منهج أهل السنة والجماعة في تدوين علم العقيدة

(إلى نهاية القرن الثالث الهجري)

تأليف
د. ناصر بن يحيى الحنيني

الطبعة الأولى
١٤٣١هـ

مركز الفكر المعاصر
٤١٦٠ طريق الإمام سعود بن عبد العزيز – حي المروج
الرياض ١٢٢٨٢-٦٦٨٢
المملكة العربية السعودية
markazfekr@hotmail.com

هذا الكتاب أطروحة دكتوراة قدمت لقسم العقيدة في جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية بإشراف فضيلة الشيخ الدكتور / عبد العزيز الراجحي حفظه الله تعالى .

يشتمل الكتاب على تمهيد وثلاثة أبواب:

الباب الأول : منهج أهل السنة في تدوين مسائل علم العقيدة من خلال الجوامع الحديثية .

الباب الثاني : منهج أهل السنة في تقرير مسائل الاعتقاد من خلال المصنفات المستقلة .

الباب الثالث: أهل السنة وطرائقهم في التصنيف.

التمهيد :

ويشتمل على :

١- تعريف التدوين .

٢- أهم الملامح العامة للحالة السياسية و الاجتماعية والعلمية

٣- أهم سمات هذه الفترة (القرون الثلاثة الأولى) .

٤- عوامل تدوين علم العقيدة .

١-تعريف التدوين :

التدوين في لغة العرب :

من دوّن الكتب (مشدّداً) إذا جمعها وكتبها [١].

وسمي الجمع تدويناً :لأن جمع الأشياء إدناء بعضها من بعض .[٢]

ومنه الديوان : وهو مجتمع الصحف [٣].

والديوان : أصلها كلمة فارسية معرّبة [٤].

والديوان : هو الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء ، وأول من دوَّن الدواوين عمر رضي الله عنه [٥].

وخلاصة الكلام أن الديوان يطلق على خمسة معان [٦]:

١-الكتبة أي الذين يكتبون ما يطلب منهم كتابته .

٢-محل الكتبة الذي يكتبون فيه .

٣-الدفتر.

٤-كل كتاب يسمى ديواناً.

٥-الكتاب الذي يكتب فيه الشعر، فيقال : فلان له ديوان شعر أي كتاب جمع فيه ما ألفه من الشعر .

والذي اصطلحوا عليه : أن معنى دوّن الكتب أي جمعها في كتاب .

---

(١)أساس البلاغة للزمخشري (١/ ٢٨٩)ط.الهيئة المصرية للكتاب ط. الثالثة ،الكليات للكفوي ص٣٠٩، ص٤٥٢(فصل الدال مادة (دون))ط.مؤسسة الرسالة ط.الثانية ١٤١٩هـ، المعجم الوسيط (١/ ٣٠٥)ط.الثانية .

(٢) الكليات للكفوي ص٤٥٢.

(٣)القاموس المحيط ص١٥٤٥، ط.مؤسسة الرسالة .

(٤)المعرّب للجوليقي ص٣١٧ط.دار القلم- دمشق ط.الأولى سنة ١٤١٠هـ ،عيون الأخبار لابن قتيبة (١/ ٥٠)ط.دار الكتب .

(٥)النهاية في غريب الحديث (٢/ ١٥٠) ط.المكتبة العلمية بيروت ،الكليات للكفوي ص٣٠٩.

(٦)تاج العروس للزبيدي(٩/ ٢٠٤)ط.صادر مصورة بولاق .

فالتدوين الكتابة مع الجمع [١].

وبعضهم يفرق بين الكتابة والتدوين والتصنيف :

فيجعل الكتابة هي مرحلة الكتابة المتفرقة التي بدأت في عهد النبي ﷺ .

ويجعل التدوين هو جمع ما كتب في دواوين وتعتبر مرحلة التدوين بدأت بأمر الخليفة عمر بن عبد العزيز وهي المرحلة الثانية .

ويجعل التصنيف المرحلة الثالثة وهي :مرحلة التأليف على الكتب والأبواب فهي مرحلة ترتيب ما جمع والتفنن في قضية الترتيب والتبويب[٢] .

ويتضح هذا من خلال معرفة معنى التصنيف والتأليف .

التصنيف:

في اللغة : الصنف طائفة من كل شيء وكل ضربٍ من الأشياء صنفٌ على حده .

وصنفه تصنيفاً : جعله أصنافاً وميز بعضه عن بعض ، قال الزمخشري :"ومنه تصنيف الكتب " أ.هـ. [٣]

التأليف: يأتي بمعنى جمع الشيء وتكميله ووصل بعضه ببعض ومنه ألف الكتاب وجمعه ووضعه ،والمؤلَّف(بفتح اللام): الكتاب يدون فيه علمٌ أو أدبٌ أو فنٌ [٤].

والتأليف : هو جمع الأشياء المتناسبة ، من الأُلفة [٥].

وبعضهم جعل مراتب تأليف الكلام خمسة :

---

(١)انظر: لسان العرب لابن منظور(١٣/ ١٦٦)ط.دار صادر، الصحاح للجوهري (٥/ ٢١١٥)ط.دار العلم للملايين ط.الرابعة ١٩٩٠م ، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص ٣٤٤ ،ط.دار الفكر بيروت تحقيق د. محمد رضوان الداية ط.الأولى عام ١٤١٠هـ.

(٢) انظر: السنة النبوية في القرن الأول الهجري ص٢٣-٢٤ د.محمد أحمد ط. دار البخاري –بريدة ط.الأولى عام ١٤١٢هـ.

(٣) أساس البلاغة (٢/ ٢٩)، وانظر : تاج العروس للزبيدي (٦/ ١٦٨)، المصباح المنير للفيومي ط. المكتبة العصرية ط. الأولى ١٤١٧هـ.

(٤) المعجم الوسيط (١/ ٢٤).

(٥) الكليات للكفوي ص٢٨٨.

١-ضم الحروف المبسوطة بعضها إلى بعض ؛ لتحصيل الكلمات الثلاثة :الاسم والفعل والحرف .

٢-تأليف هذه الكلمات بعضها إلى بعض لتحصيل الجمل المفيدة، ويقال له : المنثور من الكلام .

٣-ضم بعض ذلك إلى بعض ضمّاً له مبادٍ ومقاطع ومداخل ومخارج ،ويقال له : المنظوم.

٤-أن يعتبر في أواخر الكلام مع ذلك تسجيع ويقال له المسجع .

٥-أن يجعل له مع ذلك وزن ، ويقال له : الشعر.

ولا تجتمع هذه المحاسن كلها إلا في كلام الله جل وعلا.(١)

ويظهر من خلال ما سبق أن التأليف فيه زيادة عن التصنيف فالتصنيف الترتيب على الأبواب أما التأليف فيظهر فيه المبالغة في الترتيب وحسن الجمع داخل المصنف ، وهي من التحسينات التي عنى بها المتأخرون كثيراً.

---

(١)انظر : هذه المعاني الخمسة وزيادة في الكليات للكفوي ص٢٨٨-٢٨٩.

٢-أهم الملامح العامة للحالة السياسية و الاجتماعية والعلمية في القرون الثلاثة الأولى:

الحالة السياسية :

عصر النبوة :

تميز عصر النبوة بأحداث سياسية متلاحقة مما كان له الأثر على قضية تدوين العلم ؛ وكان من أبرز القضايا السياسية التي شغلت النبي ﷺ وأصحابه وأخذ منهم وقتاً وجهداً كبيرين قضيتان رئيسيتان :

الأولى : نشأة الدولة الإسلامية وقيامها بالمدينة :

لما هاجر النبي ﷺ إلى المدينة كان بحاجة لوقتٍ كافٍ وجيش قوي يقيم به الدولة ويجاهد المعاندين ، وزيادة على ذلك لم يكن ثمّة حاجة لتدوين القرآن أو السنة وذلك لوجود الرسول ﷺبينهم والوحي ينزل كذلك .

الثاني : انشغالهم بالجهاد ونشر دين الإسلام :

وهذا الجهاد كان من العمل بالقرآن وامتثال أمره ﷺ وكان من الفئات التي جاهدوها :

أ-**المشركون**: وعلى رأسهم قريش التي أراد ت كسر شوكة المسلمين وأن لا تقوم لهم قائمة ، فحدثت بينهم وبين المسلمين عدة معارك متلاحقة أشغلت المسلمين وكلفتهم الكثير من الأموال والأرواح ، ومن أبرز المعارك بدر الكبرى ثم أحد ثم الخندق .

ب- **اليهود** : وهم أشد الطوائف عداوة وخطورة على المسلمين كما قال تعالى : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة : ٨٢].

وقد حدثت بينهم وبين المسلمين عدة وقائع، وكانت هذه الوقائع بسبب غدرهم وخيانتهم ونقضهم للعهود لعنهم الله ،ومن أبرز الوقائع غزوة بني قريظة وغيرها من الغزوات .

ج-**النصارى** : في أواخر عصر النبوة بدأ الصراع يأخذ مظهراً جديداً ، وتطوراً

كبيراً وهو الصراع مع الدول الكبرى ، وكانت الدولة العظمى في ذلك الوقت دولة فارس الروم ، فبدأ المسلمون بقتال الروم وهم النصارى في ذلك الوقت ، وهذا التحول في نوعية الصراع يدل على قوة شوكة المسلمين وعظم دولتهم مما كان له الأثر الكبير ، والصدى الواسع في نفوس المسلمين لأنهم بدأوا بغزو أكبر دولة في عقر دارها.

ومن الأحداث السياسية الكبيرة في تلك الفترة :

فتح مكة :

الذي كان سبباً في دخول كثير من العرب في الإسلام كما قال تعالى :﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ [النصر: ١ - ٢].

وزيادة على ما ذكر سابقاً من الأحداث السياسية التي أثرت سلباً على قضية تدوين العلم أمران مهمان :

الأول : قوة حافظة الصحابة وعدم حاجتهم للتدوين .

الثاني :عدم وجود الواسطة بينهم وبين المصدر التشريعي وهو رسول الله ﷺ .

ومع هذا كله فإن الصحابة لم يتركوا الكتابة بالكلية أو يهملوها بل كانت لهم بعض الجهود في التدوين والكتابة كما سوف يمر معنا بها يعرف **"صحائف الصحابة "**.

قال الحافظ ابن حجر :"لم تكن في عصر أصحابه وكبار تبعهم مدونة في الجوامع ولا مرتبة لأمرين :

- **أحدهما** : أنهم كانوا في ابتداء الحال قد نهوا عن ذلك كما ثبت في صحيح مسلم خشية أن يختلط بعض ذلك بالقرآن العظيم .
- **وثانيهما** : لسعة حفظهم وسيلان أذهانهم .

ولأن أكثرهم كانوا لا يعرفون الكتابة " أ.هـ.(١)

عصر الخلفاء الراشدين :

---

(١) هدي الساري مقدمة فتح الباري ص٨ ، الطبعة السلفية الثانية عام ١٤٠٩هـ،مصورة دار الريان للتراث-القاهرة.

بعد عصر النبوة جاء عصر الخلفاء الراشدين الذي كان يموج بكثير من الأحداث الكبيرة والعظيمة ومن أبرزها :

أ-حروب الردة [١] :

لما مات رسول الله ﷺ عظم الخطب واشتد الحال ونجم النفاق بالمدينة وارتد من ارتد من أحياء العرب حول المدينة ، وامتنع آخرون من أداء الزكاة إلى الصديق ولم يبق للجمعة مقام سوى مكة والمدينة ، وكانت (جواثا) [٢] أول قرية أقامت الجمعة بعد رجوع الناس إلى الحق [٣] .

وقد جُهِزَ جيش أسامة لقتال الروم ، ولكن توفي النبي ﷺ ، فأشار بعضهم على أبي بكر ألاّ يرسل الجيش ، ولكن أبا بكر لم يأخذ بهذا الرأي وعزم على إنفاذ الجيش حتى لا يظن أهل الردة أن في المسلمين ضعفاً أو قلة ، ولهذا لما أُنْفِذَ الجيش كان يمر في طريقه على أحياء العرب فيرعبهم منظر الجيش ويقولون : " لولا قوة شوكتهم وكثرة عتادهم ما أنفذوا هذا الجيش " [٤] .

حتى إن أبا بكر قال قولته المشهورة : " والله لا أحل عقدة عقدها الرسول ﷺ ولو أن الطير تخطفنا والسباع من حول المدينة ، ولو أن الكلاب جرت بأرجل أمهات المؤمنين لأجهزن جيش أسامة "، وأمر الحرس أن يكونوا حول المدينة. [٥]

وحمى الله هذا الدين بسبب وقفة أبي بكر الصامدة ورجوع الصحابة إلى رأيه

---

(١) البداية والنهاية (٦/ ٣٠٨)ط.دار الريان ط. الأولى عام ١٤٠٨هـ ، عصر الخلافة الراشدة لـ د.أكرم العمري ص ٣٧٨ ط . مكتبة العبيكان ط. الأولى ١٤١٦هـ.

(٢)جواثا : بالضم وبين الألفين ثاء مثاثة يمد ويقصر ، وهو علم مرتجل حصن لعبد القيس بالبحرين فتحه العلاء بن الحضرمي في أيام أبي بكر سنة ١٢هـ عنوة ،ورواه بعضهم (جؤاثا) بالهمزة .
انظر: معجم البلدان للحموي (٢/ ٢٠٢) تحقيق فريد الجندي ط.دار الباز ط. الأولى سنة ١٤١٠هـ .

(٣)وجاء في صحيح البخاري عن ابن عباس في كتاب الجمعة - باب الجمعة في القرى والمدن برقم (٨٩٢) : "أن أول جمعة جمعت بعد جمعة في مسجد رسول الله ﷺ في مسجد عبد القيس بجواثى من البحرين ".

(٤)الردة للواقدي ص ٥١ بتحقيق د. الجبوري ط. دار الغرب الإسلامي ط. الأولى ١٤١٠هـ.

(٥)البداية والنهاية (٦/ ٣٠٨).

واتفاقهم على ذلك .

ب-كثرة الفتوحات وتوسع رقعة الدولة الإسلامية :

بعد عهد أبي بكر توسعت الفتوحات شرقاً وغرباً واستطاع المسلمون هزيمة أكبر دولتين في تلك الفترة وهما دولة فارس والروم ، مما كان له الأثر الكبير في تقوية موقف المسلمين عسكرياً وسياسياً واقتصادياً .ومن أعظم الفتوحات في تلك الفترة هو فتح بيت المقدس في زمن عمر بن الخطاب ﷺ .

ج- بداية ظهور الفتن وبذور الافتراق :

وكان ذلك عقب مقتل عمر بن الخطاب ﷺ مصداقاً للحديث الذي جاء عن حذيفة ﷺ قال : " بينما نحن جلوس عند عمر إذ قال : أيكم يحفظ قول النبي ﷺ في الفتنة ؟ قال : فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره يكفرها الصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . قال : ليس عن هذا أسألك ولكن التي تموج كموج البحر . فقال : ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين ، إن بينك وبينها باب مغلقاً ، قال عمر: أيكسر الباب أم يفتح ؟ قال : لا بل يكسر . قال : إذن لا يغلق أبداً . قلت : أجل .قلنا لحذيفة : أكان عمر يعلم الباب؟، قال: نعم، كما يعلم أن دون غدٍ الليلة ، وذلك أني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط . نسينا أن نسأله من الباب ، فأمرنا مسروقاً فسأله ، فقال: من الباب ؟ قال: عمر "(١) .

ثم حدث مقتل عثمان بن عفان ﷺ وحصل بعده فتنٌ عظيمة ، كالقتال بين علي ومعاوية وظهرت في تلك الفترة أصول الفرق كالرافضة (٢)

---

(١)الحديث أخرجه البخاري في كتاب الفتن – باب الفتنة التي تموج موج البحر برقم (٧٠٩٦).ومسلم في كتاب الإيمان برقم (٢٣١) بترتيب محمد فؤاد عبد الباقي ط. دار الحديث ط. الأولى ١٤١٢هـ.

(٢)**الرافضة** : هم غلاة الشيعة الذين غلو في علي وآل البيت حتى دعوهم من دون الله وكفروا الصحابة إلا قليلاً منهم، وأما سبب تسميتهم بالرافضة لأنهم طلبوا من زيد بن علي بن الحسين أن يتبرأ من أبي بكر وعمر فلم يجبهم إلى ذلك فرفضوه . فقال لهم رفضتموني ، فسموا رافضة . ويقال لهم(الإمامية) لأنهم يقولون إن إمامة علي بالنص من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانوا قبل ذلك يسمون بالخشبية .انظر : مقالات

والخوارج [١] والقدرية [٢] التي كانت في أصلها دسيسة على المسلمين من قبل أعدائهم من أهل الملل الأخرى ، فالرافضة في أصلها بدعة ابتدعها اليهودي الذي تظاهر بالإسلام وهو عبد الله بن سبأ. [٣]

والقدرية ابتدعها النصراني سوسن أو سنسوية [٤] ، وقد حصلت بين هذه الفرق وبين الصحابة مناظرات وردود معلومة ومعروفة ، وقد نقلت إلينا بالأسانيد الصحيحة في كتب السنة كالمناظرة بين ابن عباس والخوارج [٥]، وكتحذير وتبرأ ابن

=الإسلاميين للأشعري (١/ ٨٨) تحقيق محي الدين عبد الحميد ط. المكتبة العصرية ط. ١٤١١هـ. الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٦٢) تحقيق محمد كيلاني ط. دار المعرفة -بيروت ، منهاج السنة لابن تيمية (١ / ٣٦) تحقيق د.محمد رشاد سالم ط.جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(١) **الخوارج**:سمُّوا بذلك لخروجهم على علي -رضي الله عنه - لأنه رضي بتحكيم الحكمين في زعمهم فكفروا علياً ومعاوية وعثمان وكل من رضي بالتحكيم ، ويقولون بتكفير مرتكب الكبيرة وتخليده في النار ، والخروج على الأئمة بالسيف ، ويقال لهم : الحرورية الشراة ومن أشهر فرقهم : النجدات ، الأزارقة ، الإباضية . انظر : مقالات الإسلاميين (١/ ١٦٧)، الملل والنحل (١/ ١١٤) ،الفرق بين الفرق للبغدادي ص٤٩ ط. دار الكتب العلمية بيروت- لبنان .

(٢)**القدرية** : نعني بهم القدرية الأوائل الذي أجمع السلف على تكفيرهم لقولهم بأن الأمر أنف أي أن الله لا يعلم الشيء إلا بعد حدوثه -تعالى الله عما يقولون - والذي ابتدعها رجل نصراني أو مجوسي من أهل العراق يقال له : سوسن أو سنسوية ثم أخذ عنه هذا المذهب الخبيث معبد الجهني وأخذه من معبد غيلان الدمشقي وقد انقرض هذا المذهب كما نقله ابن حجر عن القرطبي .انظر : شفاء العليل لابن القيم ص٦١ ط. مكتبة ابن تيمية ، التنبيه والرد للملطي ص١٧٦ بتحقيق يمان الميادني ط. الأولى عام ١٤١٤هـ ،فتح الباري (١/ ١١٩) ، الفرق بين الفرق ص١٤ .

(٣) **عبد الله بن سبأ** : اليهودي من يهود صنعاء اليمن تنسب إليه السبائية الغالية التي ألّهت علي بن أبي طالب ، وقد أسلم في الظاهر ولكنه كان سبباً في كثير من الفتن من أعظمها نشر ما يسمى بالتشيع والغلو في آل البيت . انظر : منهاج السنة لشيخ الإسلام (١/ ٢٣) ، عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتن د. سليمان العودة ص٣٨ ط. دار طيبة ط. الثانية.

(٤)**سنسوية أو سوسن** : هو أول من نطق بالقدر وهو من أهل العراق وكان نصرانياً ثم أسلم ثم تنصر وأخذ عنه معبد الجهني المذهب ، انظر: شرح السنة للالكائي برقم (١٣٩٨-١٣٩٦) بتحقيق أحمد سعد حمدان ط. دار طيبة

(٥)انظر:مناظرة ابن عباس للخوارج ورجوع أربعة آلاف منهم كما في المسند (١/ ٨٦-٨٧) ط. مكتبة قرطبة مصورة عن بولاق ، الحاكم (٢/ ١٥٢-١٥٤) ط. دار الفكر - بيروت ١٣٩٨هـ ، والبيهقي في السنن (٨/ ١٧٩) ط. دار المعرفة - بيروت ط. عام ١٤١٣هـ.

عمر من القدرية [١] وغيره من الصحابة كجابر وأبي هريرة وابن عباس وأنس [٢] .

عصر بني أمية (الدولة الأمية) :

أ- الفتوحات :

ابتدأ عصر بني أمية بخلافة معاوية ﷺ وقد استمر ﷺ على المنهج ومواصلة نشر دين الإسلام والجهاد وفتح البلدان والأقاليم وقد غزا بنو أمية الروم عدة مرات وكان من ضمن ذلك القسطنطنية ، ولكنهم لم يستطيعوا فتحها [٣] .

وفتحوا كذلك بلاد المشرق وبلاد الغرب والأندلس حتى وصلوا إلى جنوب فرنسا عند جبال البرانس ووقعت المعركة المشهورة والمعروفة ببلاط الشهداء عام ١١٤هـ وتوقف الزحف الإسلامي إلى أوروبا في تلك الفترة [٤] .

ج-خلافة عبد الله بن الزبير ﷺ :

بعد موت يزيد بن معاوية [٥] الذي استباح المدينة ، وأثار غضب المسلمين عليه ، بايع الناس بالخلافة لعبد الله بن الزبير ، وأصبح أمير المؤمنين حقاً وصدقاً ، وظل والياً على الحجاز وما حولها ، وقد ذكر المؤرخون أن جميع الأمصار بايعوه بالخلافة ولكن بني أمية خرجوا علية مرة أخرى واستمر النزاع حتى هجم الحجاج [٦] بأمر من الوليد بن

---

(١) وأما تبرأ عمر من القدرية فكما في صحيح مسلم في أول حديث في كتاب الإيمان بـرقم (٨) وذلك عند روايته لحديث جبريل المشهور .

(٢) انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٥ .

(٣)انظر: الفتوح الإسلامية عبر العصور ص(١٦٣-١٦٦) د.عبد العزيز العمري ط.دار اشبيليا ط.الأولى ١٤١٨هـ.

(٤)انظر: بغية الملتمس للضبي ص(٣٥٣) رقم (١٠٢١)ط. روخس،ودولة الإسلام في الأندلس لمحمد عنان (العصر الأول -القسم الأول)ص٩٢ط.الرابعة ،ط.المجمع الثقافي -أبو ظبي عام ١٤١٧هـ.

(٥)يزيد ابن معاوية : بن أبي سفيان القرشي أبو خالد الخليفة الأموي له على سيئاته حسنة وهي غزو القسطنطنية ، واستمرت خلافته أربع سنوات وهو الذي استباح المدينة ولكن الله لم يمهله فمات بعد أن خلعه أهل المدينة توفي سنة أربع وستين .انظر :السير (٤/ ٣٥)،شذرات الذهب (١/ ٧١).

(٦)**الحجاج** : هو حجاج بن يوسف بن أبي عقيل الثقفي ،كان هو وأبوه من شيعة بني أمية ، وكان من ورائهم الظلمة ، قتل خلقاً كثيراً ظلماً وعدواناً منهم التابعي الجليل سعيد ابن جبير قال عنه الذهبي : " كان ظلوماً جباراً سفاكاً للدماء معظماً للقرآن ، له حسنات مغمورة في بحر ذنوبه "أ.هـ. مات سنة خمس وتسعين . انظر : السير (٤/ ٣٤٣)، تهذيب التهذيب لابن حجر (٢/ ١٨٤) طبعة دار الفكر ط. الأولى سنة ١٤٠٤هـ.

عبد الملك [١] على الحرم وقتل ابن الزبير وانتهت خلافته رضي الله عنه [٢] .

ب- فتنة ابن الأشعث [٣] :

وهذه الفتنة كادت أن تسقط خلافة بني أمية لأن هذه الفتنة شارك فيها بعض كبار التابعين كالشعبي [٤] وسعيد بن جبير [٥] وغيرهم ، ولكن لم يتم لهم النصر فيها [٦] ، وقد كان من إفرازاتها- كردة فعل لما حدث – ظهور بدعة الإرجاء [٧] .

د-خلافة عمر ابن عبد العزيز [٨] :

تميزت فترة خلافة عمر ابن عبد العزيز بالاستقرار السياسي والأمن والرخاء لأن

---

(١)الوليد ابن عبد الملك : بن مروان بن الحكم الخليفة الأموي أبو العباس الذي أنشأ جامع بني أمية كان مترفاً ودمياً قليل العلم نهمته في البناء ، وغزا الروم مرات في دولة أبيه ، مات سنة ست وتسعين وله إحدى وخمسون سنة .انظر: السير (٤/ ٣٤٧)، شذرات الذهب (١/ ١١١).

(٢)انظر: تفصيل ذلك في البداية والنهاية (٨/ ٣٣٧،٢٤٢-٣٥٠)، وانظر : الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري جمعاً وتوثيقاً د. يحي اليحي ص ٦٢٧-٦٦٢ ط. دار الهجرة ط. الأولى عام ١٤١٧هـ.

(٣) ابن الأشعث : عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث الكندي ، بعثه الحجاج على سجستان فثار هناك وأقبل في جمع كبير لقتال الحجاج لأجل جوره وظلمه ، كانت وفاته سنة أربع وثمانين .
انظر:سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/ ١٨٣) مؤسسة الرسالة ،ط.السابعة سنة ١٤١٠هـ،شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي (١/ ٩٤)،ط.دار الفكر عام ١٤٠٩هـ.

(٤)**الشعبي** :عامر ابن شراحيل الهمداني الشعبي ، علّامة عصره ولد سنة ثمان وعشرين سمع من عدد كبير من الصحابة وعنه خلق كثير ، قال عاصم بن سليمان :"مارأيت أحد أعلم بحديث أهل الكوفة والبصرة والحجاز والآفاق من الشعبي " أ.هـ. كانت وفاته سنة أربع ومائة .انظر: السير(٤/ ٢٩٤)،تاريخ بغداد للخطيب البغدادي (١٢/ ٢٢٧) طبعة دار الكتب ط.العلمية ،بيروت -لبنان.

(٥)**سعيد ابن جبير** :بن هشام الحافظ المقرىء المفسر الشهيد الأسدي روى وأكثر عن ابن عباس وعن غيره من الصحابة وحدث عن خلق كثير ، مات مقتولاً على يد الحجاج فرحمه الله رحمة واسعة سنة خمس وتسعين .
انظر:السير (٤/ ٣٢١)،شذرات الذهب (١/ ١٠٨).

(٦)انظر تفصيل الفتنة في البداية والنهاية (٩/ ٣٧).

(٧)روى ابن بطة في الإبانة بسنده عن قتاده قال :"إنما حدث الإرجاء بعد هزيمة ابن الأشعث ".الإبانة (٢/ ٨٨٩)بتحقيق رضا نعسان ط.دار الراية ط. الأولى ١٤٠٩هـ.

(٨)**عمر بن عبد العزيز** : بن مروان بن الحكم الأموي ، الإمام الحافظ العلامة الزاهد العابد أمير المؤمنين حقاً والخليفة الراشد صدقاً ، وقد جدد ما اندثر من سيرة الخلافة الراشدة فنشر العدل بين الناس وأقام فيهم شرعة الله مع قصر مدة خلافته كانت وفاته سنة إحدى ومائة .انظر:السير (٥/ ١١٤)، حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني (٥/ ٢٥٣) طبعة دار الكتاب العربي ،ط.الخامسة عام ١٤٠٧هـ.

صلاح الرعية بصلاح الراعي ، فكثر الخير في عهده ، حتى إن الزكاة لم يجد من يأخذها في عصره .

وكان من نتاج هذا الاستقرار السياسي النمو العلمي والثقافي فكان التدوين الفعلي المنظم للسنة النبوية في عصره وبأمر منه – رحمه الله – (١) .

عصر بني العباس (الدولة العباسية) (٢) :

قامت دولة بني العباس سنة ١٣٢هـ بعد سقوط دولة بني أمية ، وكان من أول خلفاءهم أبو العباس السفاح (٣) ، ومن أبرز الأحداث السياسية في تلك الفترة ما يلي:

أ-خلافة هارون الرشيد (٤) :

جاء هارون الرشيد للخلافة فأحيا مآثر الخلافة الراشدة ، وكان يحج سنة ويغزو سنة ، وكان يأمر بالعدل ويقرب العلماء والصالحين ويبعد أهل الفجور والخنا ،وقويت شوكة المسلمين في عصره وكثرة الفتوحات وقد أمر بقتل الزنادقة (٥) في عصره أسوة بأبيه المهدي (٦) .

ب- فتنة القول بخلق القرآن :

---

(١)البداية والنهاية (٩/ ١٩٢).

(٢)محاضرات تاريخ الأمم الإسلامي – الدولة العباسية ، للشيخ محمد الخضيري بك ص (٤٦) ط. دار المعرفة بيروت لبنان .

(٣)**السفاح** : الخليفة أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن حبر الأمة عبد الله بن العباس كان يضرب به المثل في الجود والكرم والشجاعة عاش ثلاثاً وثلاثين سنة وكانت وفاته سنة ست وثلاثين ومائة .انظر: السير (٦/ ٧٧) ، تاريخ بغداد (١٠/ ٥٣).

(٤)**هارون الرشيد** : أبو جعفر هارون بن المهدي محمد بن المنصور أبي جعفر عبد الله الخليفة العباسي الهاشمي كان ذا فصاحة وعلم وبصر بأعباء الخلافة ، وكان يحب العلماء ويعظم حرمات الدين غير مرة وله فتوحات ومواقف مشهورة توفي ستة ثلاث وتسعين ومائة .انظر: السير (٩/ ٢٨٦)، تاريخ بغداد (١٤/ ٥).

(٥)البداية والنهاية (١٠ / ١٦٥) وسيأتي كلام على الزنادقة في مبحث الحالة الإجتماعية .

(٦)المهدي : أبو عبد الله محمد بن المنصور أبي جعفر عبد الله بن محمد الخليفة العباسي كان جواداً محبباً إلى الرعية قصاباً في الزنادقة باحثاً عنهم ، وكان شجاعاً كانت وفاته سنة تسع وستين ومائة .انظر: السير (٧/ ٤٠٠) ، تاريخ بغداد (٥/ ٣٩١–٤٠١).

كانت بدايتها لما تولى المأمون (١) الخلافة وتأثر بمذهب المعتزلة وقربهم ونصر مذهبهم وامتحن علماء أهل السنة ، فكانت لأهل السنة وعلماءهم مواقف مشهورة معلومة تجلت فيها أسمى معاني الصبر والحكمة والفقه في الدين والتضحية في سبيل الله فمنهم من قتل ومنهم من أُوذي وسجن وكان من أبرزهم وأعلاهم شأناً وقدراً إمام أهل السنة حقاً وصدقاً

أبو عبد الله أحمد بن حنبل (٢) والذي كان له أثره الكبير في إحياء مذهب السلف ورد باطل المعتزلة (٣)، وقد كانت هذه الفتنة من العوامل الرئيسية لتدوين أهل السنة لاعتقادهم الصحيح إما استقلالاً وإما ضمن الجوامع الحديثية .

ج- فتنة الزنج (٤) :

(١)**المأمون** : أبو العباس عبد الله بن هارون الرشيد بن محمد المهدي الخليفة العباسي ولد سنة سبعين ومائة وقرأ العلم والأدب والأخبار والعقليات وعلوم الأوائل ،و أمر بتعريب كتبهم ، ودعا إلى القول بخلق القرآن وبالغ. وقد غزا وجاهد كانت وفاته سنة ثمان عشرة ومائتين ،وله ثمان وأربعون سنة .انظر: السير (١٠/ ٢٧٢) ، تاريخ بغداد (١٠ / ١٨٣).

(٢)هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني ، إمام أهل السنة ، صاحب الذهب المعروف وإليه تنسب الحنابلة ولد سنة أربع وستين ومائة ، كان إماماً في الحديث والفقه والزهد روى عن الشافعي وعبد الرزاق وغيرهم كثير وعنه خلق كثير منهم البخاري ومسلم امتحن في زمن المأمون و المعتصم والواثق بسبب امتناعه عن القول بخلق القرآن كانت وفاته سنة إحدى وأربعين ومائتين . انظر : البداية والنهاية (١٠/ ٣٤٠) ، السير (١١/ ١٧٧) ، مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي تحقيق د. التركي .

(٣)**المعتزلة** : هي فرقة تقول بنفي الصفات وخلق القرآن والمنزلة بين المنزلتين لمرتكب الكبيرة في الدنيا وتخليده في النار في الآخرة وسمّوا معتزلة :"لأن واصل بن عطاء – مؤسسها الأول – هو أول من قال بالمنزلة بين المنزلتين في مجلس الحسن البصري فطرده فاعتزل عند سارية من سواري المسجد في البصرة هو و عمرو بن عبيد فسمى اتباعهما من يومئذٍ معتزلة . انظر : مقالات الإسلاميين (١/ ٢٣٥) ، الملل والنحل (١/ ٤٣) ، الفرق بين الفرق ص (٨٢).

(٤) **الزِّنج**: بتشديد الزاي مع كسرها ويجوز فتحها ، وفي الأصل يطلق على جيل من السودان،وهم (الزنوج)، وواحدهم زنجي،ونقصد بها هنا الطائفة التي ظهرت وأفسدت في عصر الدولة العباسية . مؤسسها علي بن محمد ولد في قرية (ورزنين) وهو من فارس وادعى أنه علوي ، وفترة نشأته غامضة ، وذكر بعض المؤرخين أنه اشتغل في بداية أمره بالتنجيم والسحر ، وقد بدأت ثورته من عام ٢٥٥هـ إلى عام ٢٧٠هـ حيث كانت نهايته وقتله، فقد كان قبحه الله يستبيح الدماء والأعراض ويعيث في الأرض فساداً . انظر : ثورة الزنج وقائدها محمد بن علي ص(١٨-٢٦) ،(١٢٢- ١٢٤) تأليف أحمد علي ط. دار مكتبة الحياة .بيروت ط.١٩٦١ ، الفتنة السوداء لمحمد عثمان جمال ط.دارالسلام القاهرة ، شذرات الذهب (٢/ ١٥٦)،لسان العرب (٢/ ٢٩٠).

هذه الفتنة كادت أن تقصف بالخلافة العباسية واستمرت فترة طويلة ويذكر المؤرخون أنها استمرت أربعة عشرة عاماً وأربعة أشهر وستة أيام [١] ،وقد كانت نهايتهم وكسر شوكتهم على يد الخليفة العباسي أبي أحمد الموفق [٢]وذلك سنة تسع وستين ومائتين (٢٦٩هـ) ، واستطاع أن يسترد ما استولوا عليه من ديار المسلمين ، وفي سنة (٢٧٠هـ) استطاع قتل صاحب الزنج وزعيمهم وقد طمع أعداء المسلمين فيهم حال انشغالهم بقتال الزنج كالنصارى والباطنية والقرامطة الذين كثر تحركهم ونشاطهم حال قيام هذه الفتنة [٣] .

د- فتنة القرامطة [٤] :

وذلك أنه في سنة ست وثمانين ومائتين ظهور رجل من القرامطة يدعى أبا سعيد الجنابي [٥] في هجر ما حولها ، وتفاقم أمره ، فلما جاءت سنة سبع وثمانين ومائتين قتل وأفسد في بلاد هجر ، وتقاتل مع الخليفة العباسي وكان قائد الجيش العباسي : العباس بن عمرو الغنوي[٦]، ولكن القرمطي هزمه ، وقتل منهم خلق كثير فانزعج الناس

---

(١)نص على ذلك ابن كثير في البداية والنهاية (١١/ ٤٨).

(٢)**الموفق** هو : أبو أحمد ابن المتوكل على الله جعفر بن المعتصم محمد بن الرشيد الهاشمي الخليفة العباسي ولد سنة تسع وعشرين ومائتين كان أعلى أخوته رتبة وأنبلهم رأياً وأشجعهم قلباً وكان محبوباً لدى الرعية خاصة لما قتل واستئصل الخبيث طاغوت الزنج ولهذا لقبه الناس " الناصر لدين الله " . مات في صفر سنة ثمان وسبعين ومائتين . انظر:السير (١٣/ ١٦٩)، تاريخ بغداد (٢/ ١٢،١٢٧).

(٣)انظر : الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ص (١٣٦) د. محمد الخطيب ط. مكتبة الأقصى ط. الثانية ١٤٠٦هـ.

(٤)**القرامطة** : من الفرق الباطنية ، وهم ينسبون إلى حمدان بن الأشعث الذي كان يلقب بـ"قرمط " وكانوا سبباً في كثير من الفتن والحروب على أهل الإسلام ويقول عنهم شيخ الإسلام : " وهم ملاحدة في الباطن خارجون عن جميع الملل أكفر من الغالية كالنصيرية ، ومذهبهم مركب من المجوس والفلاسفة والصابئة مع إظهار التشيع ، وجدهم رجل يهودي كان ربيباً لرجل مجوسي "أ.هـ انظر:منهاج السنة (٨/ ٢٥٨) ، مقالات الإسلام(١/ ١٠٠) ، الفرق بين الفرق ص(٢١٣).

(٥)**أبو سعيد الجنابي** : هو الحسن بن بهرام القرمطي ، رأس القرامطة – قبحه الله – في بلاد البحرين ، وكان على اعتقاد خبيث تاركاً للصلاة والزكاة ، وكان ينكر على من يذكر الله ويسبحه مات مقتولاً على يد أحد خدمه سنة ثلاثمائة وواحد.انظر : البداية والنهاية (١١/ ١٢٨-١٣٠)، السير (١٦/ ٢٧٤).

(٦)العباس بن عمرو الغنوي :من أهل تل بني سيار كان يتولى اليمامة والبحرين لبني العباس قاتل القرامطة بأمر من المعتضد بالله ،كانت وفاته سنة خمسين وثلاثمائة .انظر:وفيات الأعيان لابن خلكان (٥/ ٢٦٢) تحقيق د.إحسان عباس ،ط.دار صادر –بيروت.

لذلك وخافوا على دمائهم وأموالهم ، وفي سنة تسع وثمانين ومائتين عاث القرامطة بسواد الكوفة في عهد المعتضد العباسي [(١)] ،ولكن المسلمين استطاعوا قتل رئيسهم وصلبه ببغداد ، وفي نفس السنة هجم القرامطة على الشام وحصلت بينهم معارك ضارية وتضرر المسلمون فيها كثير وفي نفس السنة انتشر القرامطة وقطعوا الطريق على الحجيج ولكن الله سلم واستطاع الخليفة العباسي المكتفي [(٢)] قطع دابرهم وشرهم في تلك السنة واستمر القتال معهم في عدة أماكن يطول سردها ، ولم يتمكن من كسر شوكتهم إلا بعد انقضاء القرون الثلاثة الأولى ، وذلك في سنة أربعمائة وسبعين للهجرة (٤٧٠هـ) في موقعة الخندق تعد من المعارك الحاسمة في التاريخ التي قضت عليهم نهائياً بعد أن ظلوا زهاء قرنين من الزمن مصدر الرعب والفزع للناس [(٣)] .

الحالة الاجتماعية :

حالة العرب قبل الإسلام :

كانت غالب قبائل العرب في عزله اجتماعية عن باقي الشعوب والحضارات والغالب عليها حياة البداوة ، والسعي في طلب الماء والكلأ ، وحتى في حال استقرارها تختار المناطق الخاصة بها ، وقليل من قبائل العرب التي اختلطت بغيرها من الشعوب كما فعلت الغساسنة [(٤)]

---

(١)**المعتضد العباسي** :الخليفة العباسي أحمد بن الموفق بالله بن المتوكل جعفر بن المعتصم محمد بن الرشيد الهاشمي ولد سنة اثنتين وأربعين ومائتين ، وكان ملكاً مهيباً شجاعاً جباراً شديد الوطأة من رجال العالم يقدم على الأسد وحده ،كانت وفاته سنة تسع وثمانين ومائتين .انظر:السير (١٣/ ٤٦٣) ، تاريخ بغداد (٤/ ٤٠٣-٤٠٧).

(٢)**المكتفى بالله** : أبو محمد، علي بن المعتضد بالله أبي العباس أحمد بن الموفق طلحة بن المتوكل العباسي كان يضرب بحسن المثل في زمانه ، وهدم المطاير التي عملها أبوه وصيرها مساجد ورد أملاك الناس إليهم . كانت وفاته سنة خمس وتسعين ومائتين .انظر: السير(١٣/ ٤٧٩) ، تاريخ بغداد (١١/ ٣١٦ –٣١٨).

(٣)- انظر: البداية والنهاية (١١/ ٨٦-١٢٨)، الحركات الباطنية ص(١٥٨).

(٤) **الغساسنة** : من قبائل العرب التي تنسب إلى ماء بالمشلل قريب من الجحفة والذين شربوا منه سموا به قبائل من ولد مازن بن الأزد ، وهم بطون شتى من الأزد ، وقيل إن فيهم غير الأزد.

انظر : معجم البلدان (٤/ ٢٣٠)، جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص٤٧٢ ط.دار الكتب العلمية –بيروت ط.الأولى ١٤٠٣هـ.

بالشام والمناذرة (١) بالحيرة حينما اختلطوا بفارس والروم وكان يطلق عليه عرب الروم (٢) وكان العرب لهم عادات وتقاليد اجتماعية تميزهم عن غيرها منها المحمود ومنها المذموم فلما جاء الإسلام أقر ما كان منها محموداً لنصرة المظلوم ، وكرم الضيافة ، ونجدة الملهوف ، والوفاء بالوعد والعهد ، والغيرة على الأعراض ، وأبطل ما كان منها مذموماً مثل شرب الخمر ، ولعب الميسر ، والزواج بغير عدد ، وقتل الأولاد خشية الفقر ، وقتل الإناث ووأدهن خشية العار ، وإثارة الحروب لأتفه الأسباب ، وجميع هذا جاء الإسلام فحرمه وذمه وحذر منه وأبدلهم بعادات وحياة اجتماعية نقية وهذب مظهرهم وعدل سلوكهم وأخلاقهم فلما آمنوا صدقوا ما عاهدوا الله عليه (٣) .

حفاظ المجتمع المسلم على هويته :

ولهذا كان من منهجه ﷺ أن يكون مجتمعاً له سمته وهديه الخاص به وحرص على أن يتميز عن غيره من أصحاب لأديان الباطلة .

فلما استقر ﷺ في المدينة وخالط المسلمون اليهود ، وكانوا أصحاب دين وعادات اجتماعية بدأت التوجيهات النبوية بالتحذير من التشبه بهم في حياتهم الاجتماعية لأن عدوهم الجديد أشد مكراً من قريش ولهذا كان النبي يأتي بالنهي والتحذير من التشبه بهم تارة خاصاً باليهود وتارة بالمشركين وتارة بكل كافر وعلى سبيل المثال :

١- **التحذير من التشبه بغير المسلمين عموماً :**

عن ابن عمر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " بعثت بالسيف بين يدي الساعة ليعبد الله عز وجل وحده لا شريك له ، وجعل رزقي تحت رمحي ، وجعل الذل والصغار على

---

(١) المناذرة:وهم ملوك الحيرة من آل المنذر وهم بنو نصر بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن مسعود بن مالك ، وكان آخر ملوكهم النعمان بن المنذر بن عمرو بن المنذر بن الأسود بن النعمان بن المنذر بن امرىء القيس .انظر:جمهرة أنساب العرب ص٤٢٢.

(٢)انظر : زاد المعاد لابن القيم (٣/ ٦٤٦) بتحقيق الأرناؤ مؤسسة الرسالة ط. الثالثة عشر سنة ١٤٠٦هـ .

(٣)بتصرف : من السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ، د. مهدي رزق الله ص(٧٨-٨١) ط. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ط. الأولى عام ١٤١٢هـ .

من خالفني ، ومن تشبه بقومٍ فهو منهم"(١) .

٢- معاشرة الحائض دون الجماع - مخالفة لليهود-:

عن أنس ﷺ قال : " إن اليهود كانوا إذا حاضت المرأة منهم لم يؤاكلوها ولم يجامعوهن في البيت ، فسأل أصحاب النبي ﷺ فأنزل الله تعالى : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ . . . . . .﴾ [البقرة : ٢٢٢].

فقال رسول الله ﷺ : " اصنعوا كل شيء إلا النكاح " . فبلغ ذلك اليهود فقالوا ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئاً إلا خالفنا فيه ..." الحديث (٢) .

٣-مخالفة الكفار في قيامهم على ملوكهم وهم قعود :

عن جابر ﷺ قال : " اشتكى رسول الله ﷺ فصلينا وراءه وهو قاعد ، وأبو بكر يسمع الناس تكبيره ، فالتفت إلينا فرآنا قياماً فأشار إلينا مقعدنا ، فصلينا بصلاته قعوداً ، فلما سلم قال :" إن كدتم آنفاً لتفعلون فعل فارس والروم ، يقومون على ملوكهم وهم قعود ، فلا تفعلوا ائتموا بأئمتكم : إن صلى قائماً فصلوا قياماً ، وإن صلى قاعداً فصلوا

(١) رواه : ابن المبارك في الجهاد ص(٨٩) رقم (١٠٥) عن طاووس مرسلاً تحقيق نزيه حماد ، ط. دار المطبوعات الحديثة ، جدة ط. ١٩٨٠م. وسعيد ابن منصور في سننه (٢/ ١٤٣) رقم (٢٣٧٠) عن الحسن مرسلاً تحقيق الأعظمي ط. الأولى عام ١٤٠٥هـ دار الكتب العلمية بيروت .وعبد ابن حميد في المنتخب من مسنده (٢/ ٥١) برقم (٨٤٦) تحقيق العدوي ط. الأولى ١٤٠٥هـ دار الأرقم الكويت .وأحمد في المسند (٢/ ٩٢).وابن الأعرابي في معجمه (٦/ ٣٣٦) برقم (١١٣٧) تحقيق د. أحمد البلوشي ط. مكتبة الكوثر ط. الأولى سنة ١٤١٢هـ .والطحاوي في مشكل الآثار في باب بيان مشكل ما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذل والزرع (١/ ٢١٣) برقم (٢٣١) تحقيق الأرناؤط ط. مؤسسة الرسالة ط. الأولى سنة ١٤١٥هـ .وأبو داوّد في اللباس –باب في اللباس والشهرة (٤/ ٤٤) برقم (٤٠٣١) ط. المكتبة الإسلامية – اسطانبول وذكره البخاري في كتاب الجهاد ومعلقاً بصيغة التمريض.وأخرجه الهروي في ذم الكلام (٢/ ٣٨٨) برقم (٤٧٤)،(٤٧٥)،(٤٧٦) بتحقيق أبو جابر الأنصاري ط. مكتبة الغرباء الأثرية .ط.الأولى سنة ١٤١٩هـ.وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٢/ ٦٧٦) برقم (٧٩٧) :" رواه أبو داوّد من حديث ابن عمر بسند صحيح " أ.هـ استخراج أبي عبد الله الحداد ط. دار العاصمة – الرياض ط. الأولى ١٤٠٨هـ ، وصححه الألباني كما في إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل (٥/ ١٠٩) بإشراف :زهير الشاويش ،المكتب الإسلامي ،ط.الثانية عام ١٤٠٥هـ .

(٢)أخرجه مسلم في صحيحه- كتاب الحيض برقم (٣٠٢).

قعوداً "[١] .

٤-الصلاة في النعال والخفاف مخالفة لأهل الكتاب :

عن يعلى بن شداد ابن أوس عن أبيه ﷺ قال رسول الله ﷺ :"خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا في خفافهم "[٢] .

٥- استحباب السحور مخالفة لأهل الكتاب :

عن عمر بن العاص ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : " فصل ما بين صيامنا وصيامهم أكلة السحر "[٣] .

٦-الأمر بصيام عاشوراء مخالفة لليهود باتخاذه عيداً :

عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال : " كانت يهود تتخذ يوم عاشوراء عيداً".

فقال رسول الله ﷺ : " خالفوهم ، صوموا أنتم "[٤] .

٧- إتيان النساء على أي هيئة تكذيباً ومخالفةً لليهود :

عن جابر ﷺ قال: " كانت اليهود تقول : إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول ، فنزلت:﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ [البقرة : ٢٢٣] "[٥] .

٨- إعفاء اللحى والشوارب مخالفة للمشركين :

عن ابن عمر ﷺ عن النبي ﷺ قال :" خالفوا المشركين ، وفروا اللحى ، وأحفوا الشوارب "[٦] .

---

(١)أخرجه مسلم في صحيحه -كتاب الصلاة برقم (٤١٣).

(٢) أخرجه أبو داوّد في سننه في الصلاة – باب الصلاة في النعل (١/ ١٧٦) برقم (٦٥٢) . والحاكم في المستدرك (١/ ٢٦٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/ ٤٣٢) في كتاب الصلاة باب سنة الصلاة في النعلين . والبغوي في شرح السنة (٢/ ٤٤٣) برقم (٥٣٤) ، في كتاب الصلاة باب الصلاة في النعال . وقال الحاكم : صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي (المستدرك١/ ٢٦٠).

(٣)- أخرجه مسلم في الصيام برقم (١٠٩٦).

(٤) أخرجه مسلم في الصيام برقم (١١٣١).

(٥) أخرجه البخاري في التفسير – باب قوله تعالى: ﴿نساؤكم حرث لكم﴾ برقم (٤٥٢٨).
ومسلم في كتاب النكاح برقم (١٤٣٥).

(٦)- أخرجه البخاري في اللباس – باب تقليم الأظافر برقم (٥٨٩٢).

عام الوفود وأثره الاجتماعي :

ومما كان له الأثر في استفادة المسلمين من غيرهم في الحياة الاجتماعية وتأثر غيرهم بعادات المسلمين وتصحيح النبي ﷺ لهذه العادات ما كان من عام الوفود في السنة التاسعة من الهجرة الذي استقبل فيه وفود العرب وعدّل وضرب ما كان لديهم من عادات سيئة أو منهي عنها وعلى سبيل المثال :

أ- وفد عبد القيس :

عن ابن عباس رضي الله عنه قال : " إن وفد عبد القيس .....إلى أن قال : " ونهاهم عن أربع عن الحنتم [(١)] ، والدباء [(٢)] ، والنقير [(٣)] والمزفت [(٤)] ..." [(٥)] .

وزاد مسلم : " قالوا : يا نبي الله ما علمك بالنقير ؟ قال :" بلى جذع تنقرونه، فتقذفون به من التمر ثم تصبون فيه من الماء حتى إذا سكن غليانه شربتموه حتى إن أحدكم ليضرب ابن عمه بالسيف " [(٦)] ...الخ

ب-وفد كنده :

قال ابن إسحاق : "وقدم على رسول الله ﷺ الأشعث بن قيس في وفد كنده

(١) الحنتم : جرار مدهونة خضر كانت تحمل الخمر فيها إلى المدينة ثم اتسع فيها فقيل للخزف كله حنتم ، واحدتها حنتمة ، وإنما نهي عن الانتباذ فيها لأنها تسرع الشدة فيها لأجل دهنها.انظر : النهاية لابن الأثير (١/ ٤٤٨).

(٢) الدباء: على وزن فُعّال: القرع ، واحدتها دباءة ، كانوا ينتبذون فيها فتتسرع الشدة في الشراب ، وتحريم الانتباذ في هذه الظروف كان في أول الإسلام ثم نسخ عن الشافعي وذهب أحمد ومالك إلى بقاء التحريم. انظر :النهاية لابن الأثير (٢/ ٩٦).

(٣) النقير : أصل النخلة ينقر وسطه ثم ينبذ فيه التمر ، ويلقى عليه الماء ليصير نبيذا مسكراً ، والنهي واقع على مايعمل فيه لاعلى اتخاذ النقير فيكون على حذف المضاف .انظر:النهاية لابن الأثير (٥/ ١٠٤).

(٤) المزّفت: وهو الإناء الذي طلي بالزِّفت وهو نوع من القار ، ثم انتبذ فيه.انظر : النهاية لابن الأثير (٢/ ٣٠٤).

(٥)البخاري في الإيمان باب أداء الخمس من الإيمان برقم (٥٣).

(٦)- مسلم في الإيمان برقم (١٨).

فحدثني الزهري بن شهاب : " أنه قدم على رسول الله ﷺ في ثمانين راكباً من كنده فدخلوا على رسول الله ﷺ مسجده ، وقد رجلوا .... وتكحلوا ، وعليهم جُببَ الحيرة ، وقد كففوها بالحرير ، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ قال:" ألم تُسلموا ؟ ، قالوا : بلى ، قال : فما بال هذا الحرير في أعناقكم ؟ قال: فشقوه منها ، فألقوه" (١) .

الفتوحات والاختلاط بأهل الديانات الأخرى :

ولما كثرت الفتوحات في عهد الخلفاء الراشدين ، ودخل أصحاب الأديان والحضارات الأخرى في دين الإسلام ، استفاد المسلمون من بعض ما عندهم ولكن الصحابة رضوان الله عليهم مع هذه الاستفادة حرصوا على تميز المسلم فرداً أو مجتمعاً بهويته ولباسه وحياته كلها ، وكان هذا واضحاً في سياساتهم وتعاملهم مع أهل الذمة وغيرهم مما كان تحت حكم المسلمين .

فهذا عمر ﷺ يشترط على أهل الذمة شروطاً يبين فيها حرصه على عدم تأثر المسلمين بأهل الملل الأخرى فمما جاء في الشروط التي اشترطها على أهل الذمة من النصارى وغيرهم وغالبها مما شرطوها هم على أنفسهم :

"أن نوقر المسلمين ، ونقوم لهم من مجالسنا إذا أرادوا الجلوس، ولا نتشبه بهم في شيء من لباسهم : قلنسوة أو عمامة أو نعلين أو فرق شعر ، ولا نتكلم بكلامهم ولا نُكنى بكناهم ، ولا نركب السروج ، ولا نتقلد السيوف، ولا نتخذ شيئاً من السلاح ، ولا نحمله ، ولا ننقش خواتيمنا بالعربية ، ولا نبيع الخمور ، وأن نجز مقادم رؤوسنا ، وأن نلزم زينا حيثما كان ، وأن نشد الزنانير على أوساطنا ، وأن لا نظهر الصليب على كنائسنا ، ولا نظهر صليباً ولا كتباً في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم ، ولا نضرب بنواقيسنا في كنائسنا إلا ضرباً خفياً ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نظهر

---

(١) أخرج القصة ابن سعد في الطبقات (١/ القسم الثاني/ ٦٤) ط.دار التحرير ١٣٨٨هـ.انظر : سيرة ابن هشام (٤/ ٢٢٨) بتحقيق عمر عبد السلام تدمري ط. دار الكتاب العربي ط. الثانية ١٤٠٩هـ ، وزاد المعاد لابن القيم (٣/ ٦١٧).

النيران في شيء من طرق المسلمين " [١] .

وقريباً من هذه الشروط فعل المتوكل مع أهل الذمة في عصره [٢] ، مع هذا كله كان موقف السلف – رحمهم الله ورضي الله عنهم – موقف المستفيد من حضارات الأمم الأخرى مع التمسك بالشرع والدين وعدم الانبهار بها معهم واتباع سبيلهم المخالف لنهج الإسلام ، فهذا سلمان الفارسي يشير على النبي ﷺ بحفر الخندق يوم غزوة الأحزاب وكانت طريقة فارسية فعمل النبي ﷺ ولم تكن معروفة لديهم [٣] .

وهذا عمر استخدم الدواوين للجند وما يجري لهم من أرزاق [٤] وكذلك لما أرخ عمر لهذه الأمة بالتاريخ الهجري كان أصل الفكرة من غير المسلمين [٥] .

---

(١)- أخرجه الخلال في أحكام الملل بلفظ مقارب لهذا في باب الشروط الواجبة عليهم ص(٣٥٧) برقم (١٠٠٠) تحقيق سعيد كسروي حسن ط. دار الكتب العلمية ،بيروت ط. الأولى ط. ١٤١٤هـ. والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٢٠٢) . وأوردها شيخ الإسلام في اقتضاء الصراط المستقيم وقال عقبها :" رواه حرب بإسناد جيد " ، وقال عقب رواية أخرى مشابهة :" ولهذه الشروط أشهر شيء في كتب الفقه والعلم وهي مجمع عليها في الجملة بين العلماء من الأئمة المتبوعين وأصحابهم وسائر الأئمة " أ . هـ اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٣٢٧،٣٢٥) بتحقيق د. العقل ط. الرشد ط. الثالثة ١٤١٣هـ ،
وأوردها ابن القيم في أحكام أهل الذمة وقال عقبها :" وشهرة هذه الشروط تغني عن إسنادها فإن الأئمة تلقوها بالقبول وذكروها في كتبهم واحتجوا بها ، ولم يزل ذكر الشروط العمرية على ألسنتهم وفي كتبهم ، وقد أنفذها بعده الخلفاء وعملوا بموجبها " أ .هـ . انظر: أحكام أهل الذمة (٢/ ٦٦٣-٦٦٤) بتحقيق د. حجي الصبحي ط. العلم للملايين ط. الثالثة ١٩٨٣م.

(٢)انظر : البداية والنهاية (١٠/ ٣٢٧).

(٣) حفر الخندق : انظر : المغازي للواقدي (٢/ ٤٤٥) ط. عالم الكتب بتحقيق د. مارسون جونس ط. الثالثة ١٤٠٤هـ، وفتح الباري لابن حجر (٧/ ٤٥٣) ط. السلفية الثانية مصورة دار الريان ط. ١٤٠٩هـ ، وانظر : السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص(٤٤٦).

(٤) استخدام عمر للدواوين ، انظر : دراسات في الحضارة الإسلامية د. حسن الباشا ص(٥٥) ط . دار النهضة العربية ط.١٩٨٨م .

(٥)**استخدام التاريخ الهجري** :قال الحافظ في فتح الباري (٧/ ٣١٥):"وروى ابن أبي خيثمة من طريق ابن سيرين قال :"قدم رجل من اليمن فقال : رأيت شيئاً يسمونه التاريخ يكتبونه من عام كذا وشهر كذا ، فقال عمر : هذا حسن فأرخوا ، فلما أجمع على ذلك قال قوم أرخوا للمولد ، وقال قائل : للمبعث ، وقال قائل من حين خرج مهاجراً ، وقال قائل من حين توفي فقال قوم من رجب ، وقال قائل من رمضان فقال عثمان : أرخوا المحرم فإنه شهر حرام وهو أول السنة ومنصرف الناس من الحج قال وكان ذلك سنة سبع عشرة وقيل ستة عشرة في ربيع الأول " أ.هـ .

الموالي وأثرهم على المجتمع المسلم :

ومما كان له الأثر في حياة المسلمين سلباً وإيجاباً الموالي والعبيد الذين استرقوا بعد فتح بلدانهم بالجهاد في سبيل الله ، وكان منهم من حسن إسلامه وأصبح رأساً في العلم والدعوة والجهاد، وكتب تراجم طافحة بسيرهم العطرة ، وهذه من مزايا هذا الدين العظيم أنه لا فضل لعربي ولا عجمي إلا بالتقوى والعلم والصلاح والعمل .

واسمع إلى هذا الحوار الذي دار بين الإمام الزهري (١) ،وبين عبد الملك بن مروان (٢) .

قال لي عبد الملك بن مروان :"من أين قدمت؟ قلت : من مكة ،قال : فمن خلفت يسُودها؟ قلتُ : عطاء ، قال : أمن العرب أم من الموالي ؟ قلت من الموالي ، قال : فيم سادهم ؟ قلت: بالديانة والرواية ، قال : إن أهل الديانة والرواية ينبغي أن يسودوا ، فمن يسود أهل اليمن ؟ قلت : طاووس ، قال : فمن العرب أو الموالي ؟ قلت : من الموالي ، قال : فمن يسود أهل الشام ؟ قلت : مكحول ، قال :فمن العرب أم من الموالي ؟ قلت : من الموالي ، عبد نُوبي أعتقته امرأة من هذيل ، قال : فمن يسود أهل الجزيرة ؟ قلت : ميمون بن مهران، وهو من الموالي ، قال: فمن يسود أهل خُراسان ؟ قلت : الضحاك بن مُزاحم من الموالي ، قال : فمن يسود أهل البصرة ؟ قلت : الحسن من الموالي، قال : فمن يسود أهل الكوفة ؟ قلت : إبراهيم النّخعي ، قال : فمن العرب أم من الموالي؟ قلت: من العرب . قال : ويلك، فرّجت عني ، والله ليسودن الموالي على

---

(١)**الإمام الزهري** هو : محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري المدني نزيل الشام وعلم الحجاز والشام الحافظ أحد الأئمة الأعلام روى عن ابن عمر وجابر شيئاً قليلاً وعنه عطاء وعمر بن عبد العزيز وعمرو بن دينار وعمرو ابن شعيب وهو أول من دون العلم وكتبه وقال الإمام أحمد : الزهري أجود الناس حديثاً وأجود الناس إسناداً "أ.هـ وكانت وفاته سنة أربع أو ثلاث وعشرين ومائة وعمره اثنين وسبعين سنة .انظر:سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٢٦) ،التاريخ الكبير (١/ ٢٢٠) دار الكتب العلمية -بيروت ، تهذيب التهذيب (٩/ ٣٩٥) .

(٢)**عبد الملك** بن مروان هو : ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية الخليفة النقية أبو الوليد أحد خلفاء بني أمية ولد سنة ست وعشرين سمع عثمان وأب هريرة وأبا سعيد وأم سلمة وعنه عمرواً وخالد بن معدان ورجاء ابن حيوة وهو أول من ضرب الدنانير وكتب عليها القرآن وفاته سنة ستٍ وثمانين عن نيفٍ وستين سنة، انظر:سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٤٦) ، تاريخ بغداد (١٠/ ٣٨٨).

العرب في هذا البلد حتى يخطب لها على المنابر، والعرب تحتها. قلت : يا أمير المؤمنين : إنما هو دين، من حفظه، ساد، ومن ضيعه سقط" [(١)] .

"ولما سيطر حكم الإسلام على أكثر البلاد دخل تحت حكمه أمم كثيرة رغبة ورهبة وكان لها أديان مختلفة من يهودية ومجوسية ونصرانية ووثنية وغير ذلك ، وكان للكثير من هذه الأمم سلطان كبير مثل المجوس والرومان فسلبهم المسلمون ذلك ولما ييئس هؤلاء من مجابهة الإسلام بالقوة وجهاً لوجه فانصرف جهدهم وكيدهم إلى الدسائس والمؤامرات والاغتيالات لرجاله العظام " [(٢)] .

لهذا كله نجد أن من أهم الآثار السلبية لهؤلاء الموالي أصحاب الديانات السابقة ما يلي :

١- بث الفرقة والتشكيك في أصول الدين :

وذلك يتضح من خلال دراستنا لأصول الفرق الكبرى التي تنتسب للإسلام .

فالرفض والتشيع دسيسة يهودية من قبل عبد الله بن سبأ ، والباطنية دسيسة مجوسية [(٣)] ، والتعطيل ونفي الصفات أصله من اليهود .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "أصل مقالة تعطيل الصفات مأخوذ عن تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين [(٤)] .

---

(١) سير أعلام النبلاء (٥/ ٨٥).

(٢)بتصرف من شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري د.الغنيمان (١/ ٩) ط.مكتبة لينة ط.الثانية ١٤١٣هـ.

(٣)**المجوسية** : المجوس هم الذين يعبدون النار ، ويسجدون للشمس إذا طللعت ، وينكرون نبوة آدم ونوح وقالوا : إن الله لم يرسل إلا رسولاً واحداً ولاندري من هو ، ويقولون بإثبات أصلين : النور والظلمة ويستحلون المحارم .انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٢٣٠) تحقيق الكيلاني ط.دار المعرفة –بيروت، والبرهان للسكسكي ص٩٠ تحقيق بسام العموش / مكتبة المنار ط.الأولى ١٤٠٨هـ، اعتقادات فرق المشركين للرازي ص١٢٠ تحقيق المعتصم بالله البغدادي ، دار الكتب ط. الأولى سنة ١٤٠٧هـ

(٤)**الصابئون** :جمع صابيء وهو الخارج من دين إلى دين آخر . القاموس ص٥٦.والصابئة : هم الذين بعث فيهم إبراهيم عليه السلام وكانوا يسكنون حرّان ، وكانوا يعظمون الكواكب السبعة ويقولون إنها مدبرة هذا العالم .وبعضهم يقول بأنهم قسمان : **مشركون** وهم عبدة الكواكب والنجوم ،**وحنفاء** : وهم الذين جاء ذكرهم في القرآن وهم قوم إبراهيم أهل دعوته .انظر : الملل والنحل (٢/ ٥)، اعتقادات فرق المشركين

فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام هو الجعد بن درهم ..." أ.هـ. [(١)]

وبدعة القدرية الأوائل دسيسة مجوسية :

قال شيخ الإسلام : " وقد روي أن أول من ابتدع القول بنفي القدر بالعراق رجل من أهل البصرة يقال له سيسوية من أبناء المجوس وتلقاه عنه معبد الجهني " [(٢)] .

وقال داوّد بن أبي هند [(٣)] : " ما فشت القدرية بالبصرة حتى فشا من أسلم من النصارى " أخرجه ابن بطة في الإبانة [(٤)]،وهذا يؤكد ما ذكرناه سابقاً .

وقال ابن حزم [(٥)] : " الأصل في خروج هذه الطوائف عن ديانة الإسلام أن الفرس كانوا من سعة الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر في أنفسهم حتى أنهم كانوا يسمون الأحرار والأبناء وكانوا يعدّون سائر الناس عبيداً لهم ، فلما امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدي العرب ، وكانت العرب أقل الأمم عند الفرس خطراً تعاظمهم الأمر وتضاعفت لديهم المصيبة وراموا كيد الإسلام بالمحاربة في أوقات شتى

=للرازي ص١٢٥، البرهان في علوم القرآن للزركشي ص٩٢ تحقيق :د.محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ،ط.الثانية ، إغاثة اللهفان لابن القيم(٢/ ٢٤٩) تحقيق:محمد حامد الفقي ،مكتبة الرياض الحديثة ، تفسير ابن كثير (١/ ١٠٤) (تفسير القرآن العظيم) ط.دار التراث .

(١)مجموع الفتاوى (٥/ ٢٠) جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه ،عالم الكتب –الرياض ،ط.الأولى عام ١٤١٢هـ.

(٢)انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٣٨٤).

(٣)داوّد بن أبي هند دينار بن عُذَافِر الإمام الحافظ الثقة أبو محمد الخرساني ثم البصري من موالي بني قشير حدث عن ابن المسيب والشعبي وغيرهما وعن سفيان وشعبة والقطان وغيرهم وكان مفتي أهل البصرة كانت وفاته سنة تسع وثلاثين ومائة .انظر:السير (٦/ ٣٧٦) ، الجرح والتعديل لا بن أبي حاتم (٣/ ٤١١) ،دائرة المعارف العثمانية ،حيدر آباد -الهند ،ط.الأولى عام ١٣٧١هـ.

(٤)الإبانة (٢/ ٣٠٠) (القسم الخاص بالقدر بتحقيق د.عثمان الأثيوبي).

(٥)ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الفارسي الأصل ثم الأندلسي القرطبي الوزير الظاهري المذهب صاحب التصانيف كالمحلى والفصل وغيرها ولد سنة أربع وثمانين وثلاثمائة بقرطبة ونشأ في نعيم ورفاهية ورزق ذكاءً مفرطاً ، وكان شديداً على مخالفيه في المذهب ، وكان شاعراً وأديباً متأثراً بكتب الفلاسفة كانت وفاته سنة ست وخمسين وأربعمائة .انظر : السير (١٨/ ١٨٤)، جذوة المقتبس ص٣٠٨ ط.الدار االمصرية للتأليف والترجمة .

ففي كل ذلك يظهر الله تعالى الحق ...

فأظهر قوم منهم الإسلام واستمالوا أهل التشيع بإظهار محبة أهل بيت رسول الله ﷺ واستشناع ظلم علي رضي الله عنه .

ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن الإسلام ..." (١) أ.هـ مختصراً .

٢-ظهور ما يسمى بالزندقة (٢) والزنادقة :

وقد انتشرت الزندقة والزنادقة في عهد الدولة العباسية وخاصة في عهد المهدي ولكن المهدي انبرى لهذه الظاهرة وقد استعد لاستئصالها من شأفتها فقام - رحمه الله - مقاماً عظيماً سطرته كتب التاريخ ، وكان من أهم ما قام به ما يلي :

أولاً: أنشأ ديواناً للزندقة للبحث عن الزنادقة ومحاكمتهم وجعل لديوان الزنادقة مشرفاً أطلق عليه اسم " صاحب الزنادقة " ومن أصحاب الزنادقة عمر الكلواذي .

قال الطبري في حوادث سنة ١٦٧هـ:"وفيها جد المهدي في طلب الزنادقة والبحث عنهم في الآفاق وقتلهم وولى أمرهم عمر الكلواذي ، وخلفه محمد بن عيسى بن حمدوية فقتل من الزنادقة أيضاً عدداً كبيراً " أ.هـ (٣) .

ثانياً :أمر بمناظرتهم وتأليف الكتب في الرد عليهم .

---

(١)انظر: الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (٢/ ٢٧٣) تحقيق د.محمد نصر، و- د. عبد الرحمن عميرة ط. عكاظ للنشر والتوزيع ط.الأولى ١٤٠٢هـ.

(٢)**الزندقة** :تطلق على معانٍ عدة بدأً من الإلحاد وإنكار الدين إلى الخلاغة والمجون والعبث ، ويمكن أن نوجز معانيها فيما يلي :١- الزنديق كلمة معربة عن الفارسية وأصلها (زنديك) وهو الذي ينحرف عن (الفستا) ويتبع الزند. ٢- مشتقة من الصديقين بالارامية التي تدل على الزهاد من المانوية ثم انتقلت للعربية محرفة . ٣- مشتقة من زندا ويعنى بها السحر . ٤ -مشتقة من (زندكر) بالفارسية وهي تعني الدهري القائل ببقاء الدهر. ٥- من ينكر النبوات والكتب السماوية . ٦- من يظهر الإسلام ويبطن الكفر . ٧- يطلق وهو نادر على من أفرط في المجون والخلاعة .

وانظر: موسوعة الأديان والمذاهب (٢/ ٦٩)للعميد عبدالرزاق محمد أسود ط.الدار العربية للموسوعات- بيروت ،لبنان، ط.الثانية ١٤٢٠هـ. من تاريخ الإلحاد ٣٦ومابعدها د.عبدالرحمن بدوي ط.سينا للنشر- القاهرة ،مصر ،ط.الثانية ١٩٩٣م.

(٣) انظر: دراسات في تاريخ الخلافة العباسية د. أمينة البطار ص ١٨١ ، ط. دار القلم والكتاب ط. الأولى ١٤١٨ هـ.

قال الإمام السيوطي :" وهو أول من أمر بتصنيف كتب الجدل في الرد على الزنادقة والملحدين "[١].

وقد تابعه على هذه السياسة أبناؤه الهادي والرشيد فرحم الله الجميع رحمة واسعة .

٣-نفوذ الموالي وتحكمهم في سير الخلافة وتعيين الخلفاء :

لقد مر بالدولة العباسية نفوذ عنصرين من عناصر الأعاجم : الأول عنصر الفرس وكان ذلك في بداية الدولة فالذين آزروا الدولة وكانوا سبباً في قيامها وتوطيد دعائمها هم من العناصر الفرسية كأبي سلمة الخلال -الذي يعرف بوزير آل محمد-[٢]، وغيره من الوزراء والقواد[٣].

والثاني : عنصر الأتراك فقد قوي نفوذهم في العصر العباسي الثاني فكانت بداياته في عصر المأمون وقويت في عصر المعتصم[٤].

ولهذا تميز هذا العصر باعتماد الخلافة على الترك حتى سيطروا على مقاليد الحكم[٥] وقد كان المعتصم أول من استكثر من استخدام الأتراك في الجيش والبلاط فقد استقدم في سنة (٢٢٠ هـ) قوماً من بخارى[٦]

---

(١)تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٢٧١ ط. المكتبة التجارية الكبرى ط. الرابعة ١٣٨٩هـ.

(٢)**أبو سلمة الخلال** : حفص بن سليمان الهمداني الوزير القائم بأعباء الدولة العباسية أنفق أموالاً كثيرة في إقامة الدولة العباسية وقد دبر له أبو مسلم الخراساني مكيدة فقتله سنة اثنتين وثلاثين ومائة .
انظر:السير (٦/ ٧) ، شذرات الذهب (١/ ١٩١).

(٣)انظر: كتاباً نفيساً حول هذه القضية بعنوان " أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول " . د. علي عبد الرحمن العمرو ط. السادسة ١٤١٤هـ .

(٤)**المعتصم** : أبو إسحاق محمد بن الرشيد هارون بن محمد المهدي الخليفة العباسي ولد سنة ثمانين ومائة كان شجاعاً لكنه قليل العلم وأمتحن الناس بخلق القرآن زمناً وهو الذي غزا الروم بعمورية وهزمهم مات سنة سبع وعشرين ومائتين .انظر:السير (١٠/ ٢٩٠)، تاريخ بغداد (٣/ ٣٤٢).

(٥)الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية د. فاروق عمر ص ٥١ ط.مكتبة المثنى . بغداد ط. الثانية ١٩٧٧م.وانظر: العالم الإسلامي في العصر العباسي د.حسن أحمد محمود ، ود. أحمد شريف ص٣٢٦ ط. دار الفكر العربي ط. الخامسة .

(٦) **بخاري**: من أعظم مدن بلاد ماوراء النهر ، وكانت قاعدة ملك السامانية ، وهي مدينة قديمة نزهة كثيرة البساتين واسعة الفواكه وفتحت في عهد معاوية رضي الله عنه على يد عبيد الله بن زياد بن أبيه مصالحة مع ملكتهم واسمها خاتون .انظر : معجم البلدان(١/ ٤١٩)، تقويم البلدان ص٦٨٣لأبي الفداء صاحب حماة ط.دارصادر -بيروت مصورة عن الطبعة السلطانية بباريس سنة ١٨٦٠م.

وسمرقند [١] وفرغانه [٢] وأشروسنة[٣] وغيرها حتى بلغوا ١٨ ألفاً وألبسهم ملابس متميزة من الديباج عليها مناطق ذهبية [٤].

ولقد أساء الأتراك السلوك كما لم يعرفوا كيف وأين يستخدمون قوتهم حتى أدت إلى ثورة أهل بغداد واضطرابهم لتأذيهم من العسكر الأتراك حتى قال ياقوت الحموي: " فاجتمع أهل الخير على باب المعتصم وقالوا : إما أن تخرج من بغداد فإن الناس قد تأذوا بعسكرك أو نحاربك .. " [٥] أ.هـ ، ثم انتقل المعتصم بهم إلى سامراء [٦].

ووصل نفوذ الأتراك وأثرهم السلبي على المسلمين إلى أن يتآمروا على اغتيال الخلفاء وعلى التدخل في اختيار الخليفة الذي يخدم مصالحهم . فقد اتفق المنتصر [٧]مع القادة الأتراك على قتل أبيه المتوكل [٨] ثم أجبر أخويه المعتز [٩]

---

(١) **سمرقند** :بلد معروف مشهور قيل إنه من أبنية ذي القرنين بما وراء النهر ، وقال الأزهري : بناها شمر أبو كرب فسميت شمر كنت فأعربت فقيل سمر قند .انظر :معجم البلدان (٣/ ٢٧٩).

(٢) فرغانة : بالفتح ثم سكون ، مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان في زاوية من ناحية هيطل بينها وبين سمرقند خمسون فرسخاً .انظر :معجم البلدان (٤/ ٢٨٧).

(٣) **أشروسنة**:بالضم ثم السكون وضم الراء وواو ساكنة وسين مهملة وهي بلدة كبيرة بماوراء النهر من بلاد الهياطلة بين سيحون وسمرقند وبينها وبين سمرقند ستة وعشرون فرسخاً.انظر: معجم البلدان(١/ ٢٣٤).

(٤)مروج الذهب للمسعودي (٤/ ٥٣) (نقلاً عن د. فاروق عمر ص ٦٠).

(٥)معجم البلدان لياقوت الحموي (٣/ ١٩٦) تحقيق فريد الجندي ط.دار الباز ط. الأولى سنة ١٤١٠هـ.

(٦)الخلافة العباسية د. فاروق عمر ص ٦١.

(٧)**المنتصر بالله** : أبو جعفر وأبو عبد الله محمد بن المتوكل علي الله جعفر بن المعتصم الخليفة العباسي ، وكان وافر العقل راغباً في الخير قليل الظلم وكانت خلافته ستة أشهر كانات وفاته سنة ثمان وأربعين ومائتين وعمره ستاً وعشرين سنة .انظر:السير(١٢/ ٤٢) ، تاريخ بغداد (٢/ ١١٩).

(٨)المتوكل : أبو الفضل جعفر بن المعتصم بالله محمد بن الرشيد هارون الخليفة العباسي ، قال خليفة بن خياط : " استخلف المتوكل فأظهر السنة وتكلم بها في مجلسه وكتب إلى الآفاق برفع المحنة وبسط السنة ونصر أهلها " أ.هـ، مات مقتولاً على يد الأتراك في قصره سنة سبع وأربعين ومائتين .انظر: السير (١٢/ ٣٠) ، تاريخ بغداد (٧ / ١٦٥).

(٩)**المعتز بالله** : أبو عبد الله محمد وقيل الزبير بن المتوكل جعفر بن المعتصم الخليفة العباسي ، وكانت الدولة في وقته مستضعفه من الأتراك وقام الأتراك بخلعه لأنه لم يعطهم ما يريدونه من مال وعذبوه وقتلوه سنة خمس وخمسين ومائتين .انظر:السير (١٢/ ٥٣٢)، تاريخ بغداد (٢/ ١٢١-١٢٦).

والمؤيد [١] على التنازل عن الخلافة بناءً على رغبة الأتراك [٢] وحتى المنتصر لم يدم في الخلافة إلا ستة أشهر ودبر له الأتراك مكيدة فسمُّوه وقتلوه عن طريق طبيبه الخاص [٣].

نشاط حركة الترجمة [٤] :

وقد نشطت الترجمة لكتب الفلاسفة اليونان والوثنين في عهد العباسيين مما كان له الأثر السلبي في تأثر كثير من المسلمين بهذه الكتب وبعض الطوائف التي أصلت بعض عقائدها بناءً على ما جاء في بعض هذه الكتب كالمعتزلة وغيرهم من المتكلمين.

وقال السيوطي : " المنصور أول خليفة قرَّب المنجمين وعمل بأحكام النجوم وأول خليفة ترجمت له الكتب السريانية والأعجمية بالعربية ككتاب كليلة ودمنة وإقليدس .." [٥] أ.هـ.

وبلغت الترجمة ذروتها في عهد المأمون الذي استخرج كتب الفلاسفة واليونان من جزيرة قبرص [٦].

بل كان من مظاهر العناية بالترجمة تشجيع المترجمين و إجزال العطاء لهم والبحث عن المخطوطات القديمة وبذل الكثير من المال في سبيل الحصول عليها ، وإرسال الوفود والسفارات لجلبها من البلاد التي يعتقد وجودها فيها مثل بيزنطة [٧].

---

(١)**المؤيد بالله** : ابراهيم بن المتوكل بن المعتصم عقد له أخوه بولاية عهد الخلافة من بعده أي المعتز فبلغه عنه أمر فضربه وخلعه من الولاية وحبسه ثم أخرج ميتاً سنة اثنين وخمسين ومائتين .انظر : السير (١٢/ ٣٣٣) ، تاريخ بغداد (٦/ ٥٠).

(٢)الخلافة العباسية د. فاروق عمر ص ٦٩.

(٣)مروج الذهب (٤/ ١٣٤) (نقلاً عن الخلافة العباسية ص ٦٩)، وانظر السير (١٢/ ٤٣).

(٤)انظر : حول الترجمة المراجع التالية :حنين بن اسحاق العصر الذهبي للترجمة د. ماهر عبد القادر ط. دار النهضة العربية بيروت .حنين بن اسحاق دراسة لغوية وتاريخية أحمد الدبيلان ط. مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤١٤هـ.دراسات في الحضارة الإسلامية د. حسن الباشا (ص٨٧-٩١).

(٥)تاريخ الخلفاء ص٢٦٩ ،المكتبة التجارية ،ط.الرابعة عام ١٣٨٩هـ.

(٦)سير أعلام النبلاء (١/ ٢٧٨) . وانظر: مقدمة تحقيق سنن سعيد ابن منصور د. الحميد ص ٣٧-٣٨ ط. دار الصميعي ط. الأولى ١٤١٤هـ

(٧)انظر: دراسات في الحضارة ص ٨٧، الفهرست لابن النديم ص ٣٣٩ – ٣٤٠ تحقيق :رضا تجدد ابن علي المازندي ،دار المسيرة .

(وكان لأهل الذمة منة النصارى واليهود والصابئة دور كبير في حركة الترجمة)[(١)]

ومن أوائل المترجمين أبو يحي بن البطريق [(٢)]، وكان يترجم عن اليونانية في عهد المنصور.

ومنهم يوحنا بن ماسوية [(٣)] واشتغل بالترجمة في عهد هارون الرشيد ومنهم شيخ المترجمين حنين بن إسحاق [(٤)] وكان يقال إنه أعلم أهل عصره بالطب وقد عهد إليه المأمور ببيت الحكمة ليترجم ما أمكن من كتب اليونان وكان يعمل معه ابنه إسحاق .

ويقال إن المأمون كان يعطيه زنة ما يترجم ذهباً .

وممن ترجم كذلك عبد الله بن المقفع [(٥)] الذي ترجم كتاب كليلة ودمنة .

---

(١)دراسات في الحضارة ص٨٨.

(٢)هو يوحنا ابن البطريق كان مولى للمأمون أميناً على الترجمة ألكن اللسان في العربية وكانت الفلسفة أغلب عليه من الطب ، تولى ترجمة كتب " أرسطو طاليس "كانت وفاته قريباً من عام ٢٠٠ه . انظر: الأعلام للزركلي (٨/ ٢١٠).

(٣)**يوحنا بن ماسويه** أبو زكريا يحي ، وكان طبيباً مقدماً عند الملوك عالماً مصنفاً ، وقد عهد إليه الرشيد ما وجد من كتب الطب القديمة وكان مجلسه ببغداد من أعمر المجالس لشهرته وحذقه له نحو أربعين كتاباً وقد جمع بين الطب والفلسفة والأدب توفي سنة ٢٤٣هـ.انظر : الأعلام للزركلي (٨/ ٢١١)،الفهرست ص٣٥٤.

(٤)حنين ابن اسحاق النصراني علامة وقته في الطب وكان بارعاً في لغة اليونان عرّب كتاب إقليدس وله تصانيف كثيرة ، مات سنة ستين ومائتين .انظر:السير(١٢/ ٤٩٢)،وفيات الأعيان (٢/ ٢١٧).

(٥)**عبد الله بن المقفع** الفارسي واسمه بالفارس " روزبة " ويكنى قبل إسلامه أبا عمرو فلما أسلم تكنى بأبي محمد كان مجوسياً فأسلم على يد عيسى ابن علي ابن عم السفاح كان كاتباً شاعراً فصيحاً وترجم كتباً كثيرة من الفارسية إلى العربية منها كتاب كليلة ودمنة واتهم بالزندقة مات مقتولاً سنة ١٤٥هـ .انظر: وفيات الأعيان (٢/ ١٥١) ، الفهرست ص١٣٢ .

الحالة العلمية :

أ- عناية الإسلام بالعلم ورفع شأن أهله :

منذ بزوغ فجر الإسلام والعلم هو الركيزة الأساسية التي يعتمد عليها ويعتنى بها.

بل إن الإسلام لما جاء رفع المستوى الثقافي لدى العرب،وكانوا أمة أمية لاتعرف القراءة ولا الكتابة إلا نفراً يسيراً منهم ،فجاء الإسلام وحث العرب وغيرهم على العلم وتعلم الكتابة والقراءة [١] ؛ فأول آية أنزلت على رسول الله ﷺ : ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ...﴾ [العلق:١] ، وتوالت الآيات القرآنية والتوجيهات النبوية القولية أو الفعلية ومن بعده صحابته الكرام وتابعوهم على الحث على العلم والاستزادة منه فهو دين علم وقائم على العلم لا على الجهل .

والله سبحانه فرّق بين أهل العلم ومن عداهم فقال سبحانه : ﴿ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِى ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الزمر : ٩].

ورفع منزلة أهله بقوله جل شأنه : ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة : ١١].

ولم يأمر نبيه بطلب الزيادة من شيء إلا من العلم: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِى عِلۡمًا ﴾ [طه: ١١٤] وذلك لشرفه وعلو منزلته ، وقال ﷺ : " طلب العلم فريضة على كل مسلم " [٢].

---

(١) انظر:مناهج التأليف عند العلماء العرب ص١٧ للدكتور مصطفى الشكعة ط.دار العلم للملايين . السادسة١٩٩١م.

(٢)الحديث :مروي عن عدد من الصحابة منهم أنس وابن مسعود وأبو سعيد الخدري وابن عباس وابن عمر وعلي بن ابي طالب وجابر وبمجموع طرقه يرتقي إلى الحسن فقد أخرجه عن أنس :ابن عدي في الكامل (٣/ ٢٥٧) عند ترجمته لسليمان حزم الضبي وكذلك أخرجه في (٤/ ١١٨) عند ترجمته لطريف ابن سلمان ط. دار الفكر ط.الثالثة ١٤٠٩هـ. وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ٣٦٤) وفي الرحلة في طلب الحديث برقم (١،٢،٣) ط. دالر الكتب العلمية بتحقيق د. نور الدين عتر ط. الأولى ١٣٩٥هـ.
وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٣) برقم (١٥،١٦،..) بتحقيق أبي الأشبال الزهيري ط. دار ابن الجوزي ط. الأولى ١٤١٤هـ. والعقيلي في الضعفاء (٢/ ٢٣٠) بتحقيق د. عبد المعطي قلعجي ط. دار الكتب العلمية ط. الأولى . وأخرجه ابن ماجه في المقدمة – باب الإمتناع بالعلم والعمل به (١/ ٤٨) بتحقيق الأعظمي ط. الثانية ١٤٠٤ وقال المزي : " إن طرقه تبلغ به رتبة الحسن " أ . هـ . وقال العراقي : "

وقال ﷺ: " من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة " (١).

وقال أيضاً :" الدنيا ملعونة ، ملعون مافيها إلا ذكرَ الله وما والاه أو معلم أو متعلم " (٢).

ب - عناية النبي ﷺ بالكتابة خاصّة :

مع توجيهات النبي ﷺ القولية لصحابته وأمته كان له ﷺ منهج عملي واضح يبين عنايته بالعلم وأنه الركيزة الأساسية لحضارة وتقدم الأمة وإليك بعض الأمثلة :

- **المثال الأول : أسرى بدر :**

وذلك لما أُسِرَ من أُسِرَ في غزوة بدر من المشركين كان الفداء أربعين أوقية فمن لم يكن عنده الفداء دُفع إليه عشرة من صبيان المسلمين ليعلمهم الكتابة فكان زيد بن ثابت ممن عُلّم (٣).

- **المثال الثاني : كثرة كتاب الوحي :**

فقد بلغ كتاب الوحي لديه ﷺ أربعون كاتباً وكذلك كان لديه كتاب للرسائل وكتاب للصدقات (٤) وهذا كله يدل على حرصه على الكفاية وتعليم أصحابه ورفع مستواهم العلمي .

=قد صحح بعض الأئمة طرقه " أ . هـ . انظر: تخريج أحاديث الإحياء للعراقي وابن السبكي والزبيدي (١/ ٥٧) استخراج محمود الحداد ط.دار العاصمة –الرياض ط.الأولى ١٤٠٨هـ، وصححه الألباني كما في صحيح الجامع برقم (٣٨٠٨) ، وفي مشكلة الفقر برقم ٨٦ ط. المكتب الإسلامي ط. الأولى ١٤٠٥هـ.

(١)ذكره البخاري هكذا من غير إسناد في كتاب العلم – باب العلم قبل القول، والعمل وأخرجه مسلم مطولاً في كتاب الذكر والدعاء والتوبة برقم (٢٦٩٩).

(٢)أخرجه الترمذي في كتاب الزهد – باب ما جاء في هوان الدنيا على الله عز وجل برقم (٢٣٢٢) وقال : " حسن غريب " أ.هـ .وأخرجه ابن ماجه في أبواب الزهد –باب مثل الدنيا برقم (٤١٦٤).وأخرجه العقيلي في الضعفاء (٢/ ٣٢٦) عند ترجمة عبد الرحمن بن ثابت الشامي والحديث صححه الألباني كما في صحيح الجامع برقم (٣٤٠٨).

(٣)الطبقات لابن سعد (٢/ القسم الأول / ١٤) ط. دار التحرير – القاهرة ط. ١٣٨٨هـ.

(٤)انظر : السنة قبل التدوين د. محمد عجاج الخطيب ص ٢٩٨ ط. دار الفكر ط. الخامسة، وبحوث في تاريخ السنة المشرفة د. أكرم ضياء العمري ص ٢٢١ ط. الربعة ١٤٠٥ هـ .

- **المثال الثالث : حرصه على تعليم أهل بيته الكتابة :**

فعن الشفاء بنت عبد الله [١] أنها قالت : " دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا عند حفصة فقال لي :" ألا تعلمين هذه رقية النملة كما علمتيها الكتابة " [٢].

ج- الجمع بين الأحاديث التي نهت عن الكتابة والتدوين وبين الأحاديث المبيحة لذلك:

إن المتأمل فيما ورد عنه ﷺ يجد أن هناك أحاديث جاءت تنهى عن الكتابة ووردت أحاديث تسمح وتأذن بالكتابة ولهذا وجه العلماء هذا الأمر الذي ظاهره التعارض بأمور قبل أن نذكرها نذكر الأحاديث الواردة في هذا الباب:

١- **أحاديث النهي عن الكتابة :**

منها حديث :" لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه ، وحدثوا عني ولا حرج ، ومن كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار " [٣].

٢- **أحاديث السماح بالكتابة :**

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال:" كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه فنهتني قريش ، وقالوا : تكتب كل شيء سمعته من رسول الله ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا ؟ فأمسكت عن الكتاب فذكرت ذلك للرسول الله ﷺ فأومأ بإصبعه إلى فيه وقال:" أكتب والذي نفسي بيده ما خرج منه إلا الحق " [٤].

---

(١)الشفاء بنت عبدالله بن عبد شمس العدويه القرشية ، قيل اسمها (ليلى) صحابية لها أحاديث .انظر : التقريب ص١٣٥٩.

(٢)أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١١/ ١٦) في كتاب الجامع –باب الرقى والعين والنفث.أخرجه أبو داوود في الطب – باب ما جاء في الرقى برقم (٣٨٨٧).وأحمد في المسند (٦/ ٣٧٢) ،(٦/ ٢٨٦).وأخرجه الحاكم (٤/ ٤١٤) كتاب الرقى –باب ذكر- رقية النملة وقال : صحيح الاسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي . وصححه الألباني كما في صحيح أبي داود (٢/ ٤٦٨)والصحيحة برقم (١٨٧).

(٣)أخرجه مسلم في الصحيح كتاب الزهد الرقاق برقم (٣٠٠٤) من حديث أبي سعيد الخدري .

(٤)أخرجه أبي داوود في كتاب العلم باب في في كتاب العلم برقم (٣٦٤٦) .وأحمد في مسنده (٢/ ١٦٢، ١٩٤) . والدارمي في السنن في باب من رخص في كتابة العلم (١/ ١٣٦) برقم (٤٨٣) بتحقيق د. زمرلي ط. دار الكتاب العربي ط. الأولى ١٤٠٧هـ . والحاكم في المستدرك (١/ ١٠٥-١٠٦) .والحديث صحيح : انظر صحيح أبي داوّد للألباني (٢/ ٤٠٨).

وعن أبي هريره ﷺ في حديث فتح مكة وجاء فيه : " فجاء رجل من أهل اليمن فقال اكتب لي يا رسول الله فقال: " اكتبوا لأبي فلان " [(١)].

وعن ابن عباس ﷺ : " لما اشتد برسول الله ﷺ وجعه قال : " ائتوني بكتابٍ أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده " [(٢)].

٣- الجمع بين أحاديث النهي والإباحة [(٣)]:

أولها : أن النهي خاص بوقت نزول القرآن ،خشية التباسه بغيره ، والإذن في غير ذلك الوقت .

ثانيهما : أن النهي خاص بكتاب الوحي المتلوّ (القرآن) الذين كانوا يكتبونه في صحف لتحفظ في بيت النبوة . فلو أنه أجاز لهم كتابة الحديث : لم يؤمن أن يختلط القرآن بغيره . والإذن لغيرهم .

ثالثهما : أن النهي لمن أمن عليه النسيان ، ووثق بحفظه ، وخيف اتكاله على الخط إذا كتب . والإذن لمن خيف نسيانه ، ولم يوثق بحفظه ، أو لم يخف اتكاله على الخط إذا كتب .

رابعهما : أن النبي ﷺ خص بالإذن عبد الله بن عمرو : لأنه كان قارئاً للكتب المتقدمة، ويكتب بالسريانية والعربية . وكان غيره – من الصحابة – أميين : لا يكتبوا إلا الواحد و الاثنان ، وإذا كتب لم يتقن ولم يصب التهجي فلما خشي عليهم الغلط فيما يكتبون: نهاهم ؛ ولما أمن على عبد الله ابن عمرو ذلك : أذن له.

د- السلف وعنايتهم بالتدوين والكتابة :

١- عناية الصحابة بالكتابة والتدوين :

لقد حرص الصحابة على تدوين العلم وخاصة أحاديث رسول الله ﷺ وكان ما

---

(١)أخرجه البخاري في العلم – باب كتابة العلم برقم (١١٢).

(٢)أخرجه البخاري في العلم – باب كتابة العلم برقم (١١٤) .

(٣)الإمام البخاري وصحيحه د.عبد الغني عبد الخالق : ص (٨٤-٨٦) ط. دار المنارة ،جدة ط.الأولى ١٤٠٥ هـ .وانظر: بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص ٢٢٥.

دوُّنوه هو بدايات للتدوين الفعلي للسنة النبوية فنقلت إلينا كتب السنة بعض ما دونوه، وأطلقوا عليه صحائف الصحابة (١) ونذكر من أهمها على سبيل المثال لا الحصر:

- صحيفة علي بن أبي طالب.
- صحيفة عبد الله بن عمرو بن العاص.
- صحيفة عمرو بن حزم.
- صحيفة جابر بن عبد الله.
- صحيفة أبي هريرة.
- صحيفة سمرة بن جندب.

وسيأتي بسط الكلام عنها مفصلاً عند الحديث عن المنهج في التدوين ضمن الجوامع الحديثية.

٢- الحالة العلمية في عصر الخلفاء الراشدين:

لقد كان تعليم الناس لدينهم متزامناً مع الفتح الإسلامي للأقاليم ولهذا كان أول مهمة رئيسية للصحابة والتابعين ومن بعدهم بعد فتح المناطق هي تعليم الناس أمور دينهم (٢).

* **ففي المدينة**: كانت هي المركز للخلافة وفيها يحدث الصحابة من بعدهم من كبار التابعين بالسنة فكانت هناك حلق للتعليم لأبي هريرة وعائشة وغيرهم كثير (٣).

* **وفي مكة**: ترك النبي ﷺ فيها عتّاب بن أسيد والحكم بن أبي العاص و عثمان بن أبي طلحة وغيرهم (٤).

* **وفي الكوفة**: نزل عدد من أصحاب رسول الله ﷺ فيها في عهد عمر رضي الله عنه حين فتحت العراق للمسلمين ومن أشهرهم: علي بن أبي طالب، وابن مسعود وغيرهم

(١) انظر: كتاب صحائف الصحابة للشيخ أحمد الصويان ط. الأولى ١٤١٠ هـ. وكتاب معرفة النسخ والصحف الحديثية د. بكر أبو زيد ط. دار الراية ط. الأولى ١٤١٢هـ.
(٢) تاريخ التعليم في الأندلس د. محمد عبد الحميد عيسى ص ٧٣ ط. دار الفكر العربي ط. الأولى ١٩٨٢ م.
(٣) السنة قبل التدوين د. محمد عجاج الخطيب ص ١٦٤.
(٤) المصدر السابق ص ١٦٦.

كثير [١].

***وفي الشام** : كتب يزيد بن أبي سفيان إلى عمر ليعينه بالعلماء ، ليفقهوا أهل الشام فأرسل إليه : معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبا الدرداء [٢].

***وفي مصر** : لما دخل المسلمون في عهد عمر بإمرة عمرو بن العاص ﷺ كان معه عدد كبير من الصحابة وكان معه من المكثرين من الرواية كعبد الله بن عمرو بن العاص الذي مكث فيها حتى بعد وفاة والده [٣].

***وفي المغرب والأندلس :**

لما فتحت هذه الأقاليم نزل في أفريقية عدد من الصحابة من أشهرهم : المسور بن مخرمة ، ومسعود بن الأسود البلوي و المقداد بن الأسود وسلمة بن الأكوع [٤].

وقد بلغ من اهتمام الخلفاء بتعليم الناس ونشر العلم بينهم أن عمر ﷺ بعث رجلاً يقال له أبو سفيان يستقرىء أهل البوادي القرآن فمن لم يقرأ ضربه بالسوط [٥] وكان مما يقوله في خطبه ﷺ :" اللهم إني أُشهدك على أمراء الأمصار ، فإني بعثتهم يعلمون الناس دينهم وسنة نبيهم " [٦].

٣- التدوين العملي للسنة في عهد عمر بن عبد العزيز :

قال الإمام البخاري :" وكتب عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم : انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ولا تقبل إلا حديث النبي ﷺ ولتفشوا العلم ولتجلسوا حتى يعلم من لا يعلم ، فإن العلم لا يهلك حتى يكون سراً " [٧].

---

(١)المصدر السابق ص ١٦٧ . وانظر : عصر الخلافة الراشدة د. أكرم العمري ص ٢٩٧.
(٢)المصدر السابق ص ١٦٨ . وانظر : عصر الخلافة ص ٢٩٨.
(٣)المصدر السابق ص ١٧٠ .
(٤)السنة قبل التدوين ص ١٧٢ .
(٥)انظر: عصر الخلافة ص ٢٩٦
(٦)المسند (١/ ٤٨)
(٧)صحيح البخاري كتاب العلم – باب كيف يقبض العلم .

قال الحافظ في الفتح : " يستفاد منه ابتداء تدوين الحديث النبوي وكانوا قبل ذلك يعتمدون على الحفظ فلما خاف عمر بن عبد العزيز وكان على رأس المائة الأولى من ذهاب العلم بموت العلماء رأى أن في تدوينه ضبطاً له وإبقاءً "(١).

وكان كلما جمع بعض السنة بعث بها دفتراً إلى عمر بن عبد العزيز.(٢)

هـ- أثر الأمراءوالخلفاء في نشر العلم بين المسلمين :

١- عبر فتح الأقاليم نقلت المذاهب والمدارس العلمية إليها فعلى سبيل المثال :

انتشار مذهب الإمام الأوزاعي في الأندلس وانتقاله إليها من الشام يوضح هذا ما سطره علماء تراجم الأندلس يقول الحميدي (٣) : في ترجمته لـ صعصعة بن سلام : " أندلسي فقيه ، من أصحاب الأوزاعي ، وهو أول من **أدخل الأندلس مذهب الأوزاعي** "(٤).

وكان هذا قبل انتشار مذهب الإمام مالك في الأندلس ، فنجده مثلاً في ترجمته لـ زهير بن مالك البلوي : " من أهل قرطبة كان فقيهاً على مذهب الأوزاعي على ما كان عليه أهل الأندلس قبل دخول بني أمية "(٥).

وأول من أدخل مذهب مالك إلى الأندلس هو زياد بن عبد الرحمن اللّخْميُّ المعروف بشبطون (٦).

وأول من نقل موطأ مالك وأدخله الأندلس وقراءة نافع الأندلس هو الغازي بن قيس. (٧)

---

(١)فتح الباري (١/ ٢٣٥) .

(٢) الإمام الزهري وأثره في السنة ص٢٩٥د.حارث سليمان الضاري منشورات مكتبة بسام –الموصل العراق ط.١٤٠٥هـ.

(٣)الحميدي هو : أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الأندلسي الفقيه الظاهري صاحب ابن حزم وتلميذه ، أخذ العلم من ابن عبد البر والحافظ عبد الرحيم البخاري وعنه الحافظ العبدري واسماعيل التيمي من مؤلفاته : الجمع بين الصحيحين ، وجذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، كانت وفاته سنة ثمان وثمانين وأربعمائة .انظر: السير (١٩/ ١٢٠) ،شذرات الذهب (٣/ ٣٩٢).

(٤)جذوة المقتبس للحميدي ص ٢٤٤ ط. الدار المصرية للتأليف والترجمة ط. ١٩٦٦م.

(٥)تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ص١٨١ ، جذوة المقتبس ص٢٢١.

(٦)جذوة المقتبس ص ٢١٨ ، ترتيب المدارك (٣/ ١١٧) ط. المغربية بتحقيق الصحراوي .

(٧) ترتيب المدارك (٣/ ١١٤).

وأول من أدخل علم مالك مصر هو عثمان بن الحكم الجذامي وهو من مشاهير أصحاب مالك من المصريين [١].

٢- ولعل من أبرز الأمثلة على ازدهار الناحية العلمية ما قام به بنو أمية في الأندلس حينما أسسوا دولتهم هناك ، فأنشئوا المساجد وأقاموا حلق العلم ، وأجروا الرواتب و الأعطيات للعلماء لكي يتفرغوا للتدريس [٢] .

يقول المقري :" انتهت مساجد قرطبة على أيام عبد الرحمن الداخل إلى : أربعمائة وتسعين مسجداً ثم زادت بعد ذلك كثيراً " [٣].

٣- انتشار المذاهب في الأقاليم كان من العوامل الرئيسية لهذا الانتشار هو تبني بعض الدول للمذهب ونشره بأمر السلطة .

يقول الحميدي :" مذهبان انتشر في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان : مذهب أبي حنيفة ، فإنه لما ولي القضاء أبو يوسف كانت القضاة مِنْ قِبَله ، فكان لا يولي قضاء البلاد من أقصى المشرق إلى أقصى أعمال إفريقيا إلا أصحابه والمنتمين إلى مذهبه .

ومذهب مالك بن أنس عندنا ، فإن يحي بن يحي كان مكيناً عند السلطان مقبول القول في القضاة ؛ فكان لا يلي قاضٍ في أقطارنا إلا بمشورته واختياره ، ولا يشير إلا بأصحابه ومن كان على مذهبه ، والناس أسرع إلى الدنيا والرياسة ، فأقبلوا على ما يرجون بلوغ أغراضهم به على أن يحي بن يحي لم يل قضاءً قط ، ولا أجاب إليه ، وكان ذلك زائداً في جلالته عندهم ، وداعياً إلى قبول رأيه لديهم " [٤].

---

(١)ترتيب المدارك (٣/ ٥٢).

(٢)تاريخ التعليم ص ٧٧.

(٣)نفح الطيب للمقري(٢/ ٧٨) ط. القاهرة ، وانظر : تاريخ التعليم ص ٧٩ .

(٤)جذوة المقتبس ص ٣٨٣- ٣٨٤.

٣-أهم سمات هذه الفترة (القرون الثلاثة الأولى) :

أ- فضل أهل الزمان في هذه القرون الثلاثة :

مما يميز هذه الفترة أن النص قد جاء من المعصوم ﷺ بفضله وفضل أهله في الجملة فقد جاء عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنه قال: " خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، قال عمران : فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثاً ثم إنَّ بعدكم قوماً يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولا يفون ، ويظهر فيهم السمن "[(١)]. وفي رواية عند مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت : " سأل رجل النبي ﷺ : أي الناس خير ؟ قال : " القرن الذي أنا فيه ثم الثاني ثم الثالث "[(٢)].

وكذلك جاء عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :" يأتي على الناس زمان يغزو فئام من الناس ، فيقولون : فيكم من صاحب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون لهم : نعم ، فيفتح لهم . ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال لهم : فيكم من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون : نعم فيفتح لهم . ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال لهم : هل فيكم من صاحب من صاحب أصحاب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون : نعم ، فيفتح لهم "[(٣)].

يقول شيخ الإسلام :" وقد ثبت عن النبي ﷺ من غير وجه أنه قال : " خير القرون القرن الذي بعثت فيهم ثم الذين يلونهم " والأدلة الدالة على تفضيل القرن الأول ثم الثاني أكثر من أن تذكر "[(٤)].

ب- المعاصرة والقرب من مصدر التشريع :

---

(١)أخرجه الإمام البخاري في كتاب فضائل الصحابة – باب فضائل أصحاب النبي ﷺ برقم (٣٦٥٠) ، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة برقم (٢٥٣٥).

(٢)مسلم في فضائل الصحابة برقم (٢٥٣٦).

(٣)البخاري في فضائل الصحابة – باب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم برقم (٣٦٤٩)

(٤) التسعينية (٣/ ٩٤٣-٩٤٤) ط. لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق د. محمد العجلان ط. مكتبة المعارف ط. الأولى عام ١٤٢٠هـ.

إن من أهم مميزات هذه الفترة معاصرة نزول الوحي ومصاحبة الرسول ﷺ والسماع منه مباشرة بدون واسطة بالنسبة لأصحاب النصف الأول من القرن الأول وما بعده من القرون القرب من هذا المصدر مما يعطي قوة في النقل والتوثيق وذمة وعمقاً في الفقه والفهم للتنزيل والسنة لأنه كلما بعد العهد وكثرت الواسطات بين المحدث والنبي ﷺ قل الفهم وكثر احتمال الكذب على رسول الله ﷺ .

ولهذا كان أهل العلم يسعون ويجدون في طلب العالي من الإسناد،

قال النووي (١) في تقريبه :" النوع التاسع والعشرون : معرفة الإسناد العالي والنازل : الإسناد خصيصة لهذه الأمة وسنة بالغة مؤكدة ، وطلب العلو فيه سنة ، ولهذا استحبت الرحلة وهو أقسام : أجلها القرب من رسول الله ﷺ بإسناد صحيح نظيف " أ.هـ (٢).

ونقل السيوطي (٣) عن ابن حزم قوله: " نقل الثقة عن الثقة يبلغ به النبي ﷺ مع الاتصال خصَّ الله به المسلمين دون سائر الملل، أما مع الإرسال والإعضال فيوجد في كثير من اليهود، لكن لا يقربون فيه من موسى قربنا من محمد صلى الله عليه وسلم بل يقفون بحيث يكون بينهم وبين موسى أكثر من ثلاثين عصراً ، وإنما يبلغون إلى شمعون

---

(١) النووي : محي الدين أبو زكريا يحي بن شرف بن مري الشافعي شيخ الإسلام صاحب التانيف العظام كشرحه على مسلم ورياض الصالحين وغيرهما من مؤلفاته التي ألقى الله لها القبول في الأرض ، كان مولده سنة إحدى وثلاثين وستمائة ، وكان رحمه الله في أيام الطلب يقرأ على مشايخه في اليوم اثنا عشر درساً شرحاً وتصحيحاً ولم يتزوج – رحمه الله تعالى – وكانت وفاته سنة ست وسبعين وستمائة .انظر : تذكرة الحفاظ للذهبي (٤/ ١٤٧٠) دار الكتب العلمية ،بيروت-لبنان، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٨/ ٣٩٥) تحقيق الحلو والطناحي ط. هجر ط. الثانية ١٤١٣هـ .

(٢) تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي (٢/ ١٤٥) تحقيق د. أحمد عمر هاشم ط. دار الكتب العلمية ط. الأولى ١٤٠٥هـ .

(٣) السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري المسند الشافعي إمام حافظ مؤرخ أديب له نحو ٦٠٠ مصنف منها الكتاب الكبير والرسالة الصغيرة ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس وخلا بنفسه فألف أكثر كتبه كانت وفاته سنة إحدى عشرة وتسعمائة .انظر:شذرات الذهب (٨/ ٥١) ، الأعلام للزركلي (٣/ ٣٠١) ط. دار العلم للملايين ط. العاشرة ١٩٩٢م .

ونحوه ، قال : أما النصارى فليس عندهم من صفة هذا النقل إلا تحريم الطلاق فقط وأما النقل بالطريق المشتملة على كذاب أو مجهول العين فكثير في نقل اليهود والنصارى ، قال وأما قول الصحابة والتابعين ، فلا يمكن اليهود أن يبلغوا إلى صاحب نبي أصلاً ، ولا إلى تابع له ، ولا يمكن النصارى أن يصلوا إلى أعلى من شمعون وبولص" أ.هـ (١).

ج- ظهور السنة وصفاء العقيدة :

لقد كانت القرون الثلاثة الأولى ليس فيها راية غير راية السنة ولا يسمح فيها لأهل الضلال والبدع بإظهار ضلالهم وبدعهم إلا ما كان في القرن الثالث وما حصل فيه من امتحان لأهل السنة على يد المأمون والمعتصم ثم كان الفرج والعودة إلى الأصل وما كان عليه المجتمع من السنة وصفاء العقيدة في عهد المتوكل – رحمه الله تعالى – رحمة واسعة .

قال الذهبي : " وفي سنة ٢٣٤هـ أظهر المتوكل السنة ، وزجر عن القول بخلق القرآن ، وكتب بذلك إلى الأمصار ، واستقدام المحدثين إلى سامراء وأجزل صِلاتِهم ، ورووا أحاديث الرؤية والصفات " أ.هـ(٢).

وقال أيضاً : " وغضب المتوكل على أحمد بن أبي داود ، وصادره وسجن أصحابه.." أ.هـ (٣).

ويؤكد هذا الحافظ ابن حجر بقوله : " واتفقوا أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يقبل قوله من عاش إلى حدود العشرين ومائتين ، وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهوراً فاشياً ، وأطلقت المعتزلة ألسنتها ورفعت الفلاسفة رؤوسها ، وامتحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن وتغيرت الأحوال تغيراً شديداً ، ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن وظهر قوله ﷺ :" ويفشوا الكذب " ظهوراً بيناً حتى يشمل الأقوال والأفعال

---

(١)تدريب الراوي (٢/ ١٤٥) وانظر : شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ص ٤٠ تحقيق د. محمد سعيد خطيب ط. دار احياء السنة .

(٢)السير (١٢/ ٣٤) ، وانظر: الثقات لابن حبان (٢/ ٣٣٠) ط. الهندية الأولى ١٣٩٥هـ

(٣)السير (١٢/ ٣٦).

والمعتقدات والله المستعان " أ.هـ (١).

ويقول الحافظ ابن بطة العكبري (٢) وهو يصف تغير الزمان عليه بعد انقضاء العصور المفضلة بقوله : " فلو أن رجلاً ممن وهب الله له عقلاً صحيحاً وبعداً نافذاً فأمعن نظره وردد فكره وتأمل أمر الإسلام وأهله وسلك بأهله الطريق الأقصد والسبيل الأرشد لتبين له أن الأكثر والأعم الأشهر من الناس قد نكصوا على أعقابهم وارتدوا على أدبارهم فحادوا عن المحجة وانقلبوا عن صحيح الحجة ، ولقد أضحى كثير من الناس يستحسنون ما كانوا يستقبحون ويستحلون ما كانوا يحرمون ويعرفون ما كانوا ينكرون وما هذه – رحمكم الله – أخلاق المسلمين ولا أفعال من كانوا على بصيرة في هذا الدين ولا من أهل الإيمان واليقين " أ.هـ (٣).

ويقول شيخ الإسلام : " ولا ينقل عن أحد من علماء الإسلام قبل المائة الثانية أنه أنكر ذلك ولا قال خلافه -يعني إثبات صفة الكلام لفظاً ومعنى من الله - بل كانت الآثار مشهورة بينهم متداولة في كل عصر ومصر ، بل أنكر ذلك شخص في زمن الإمام أحمد - وهو أول الأزمنة- التي نبغت فيها البدع بإنكار ذلك على الخصوص ، وإلا فقبله قد نبع من أنكر ذلك وغيره ، فهجر أهل الإسلام من أنكر ذلك وصار بين المسلمين كالجمل الأجرب " (٤) أ.هـ.

ويقول أيضاً:"فلما ابتدعت الجهمية هذه المقالات في أثناء المائة الثانية أنكر ذلك سلف الأمة وأئمتها ، ثم استفحل أمرهم في أوائل المائة الثالثة بسبب ما أدخلوه في

---

(١)فتح الباري (٧/ ٨).

(٢)ابن بطة : هو أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد حمدان العُكْبَري الحنبلي شيخ العراق صاحب كتاب الابانة الكبرى العالم الفقيه . قال الخطيب :" حدثني أبو حامد الدلوي قال : " لما رجع ابن بطة من الرحلة لازم بيته أربعين سنة لم يُر في سوق ولا رؤي مفطراً إلا في عيد وكان أمّاراً بالمعروف ، لم يبلغه خبر منكر إلا غيره " أ.هـ .كانت وفاته سنة ثلاثمائة وسبع وثمانين .انظر:السير (١٦/ ٥٢٩)، تاريخ بغداد (١٠/ ٣٧١-٣٧٥).

(٣)الإبانة عن شريعة الفرق الناجية لابن بطة (١/ ١٨٨) .

(٤)التسعينية (٢/ ٥٥٥) .

شركهم وفريتهم من ولاة الأمور وجرت المحنة المشهورة ..."[1] أ.هـ.

د- الظهور والغلبة للمسلمين على أهل الملل الأخرى :

وذلك في جميع الميادين العلمية والسياسية والاقتصادية والعسكرية وأصبحت كثير من بقاع العالم شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً تحت حكمهم وكان دين الله قائماً وسوق الجهاد رائجة وكل من كان على غير ملة الإسلام فهو إما محارب مخذول مهزوم أو ذمي تحت كلمة أهل الإسلام يدفع الجزية عن يد وهو صاغر ولا شك أن تلك القوة والعزة لم تحدث في أي عصر من العصور وبدء الانحسار والتراجع بعد القرون الثلاثة الأولى والله المستعان .

هـ-العصر الذهبي لكثير من العلوم [2]:

فعلم الحديث رواية ودراية كان أكثر نشاط له خلال هذه القرون رواية وتدويناً وتصنيفاً فالكتب الستة وأمهات السنن في المسانيد دونت في هذه الفترة وما يلحق به من علوم الحديث تعلم الرجال والعلل وغيرها حفظاً للسنة من عبث العابثين خاصة لما انتشر وظهر الوضع والكذب في الحديث فتصدى له جهابذة علماء أهل الإسلام في تلك الفترة فقعدوا وأصلوا لهذه العلوم [3].

وكذلك علم الاعتقاد والرد على المبتدعة الضلال بل أصبح كل من أتى بعدهم عالة على كتبهم إلى يومنا هذا وكذلك علم اللغة والأدب وما يلحق به من الشعر والبلاغة وقل مثل ذلك في الفقه وأصوله ففي هذه الفترة برز أصحاب المذاهب الأربعة وعاشوا في هذه الفترة وأثروا العلم و بما دونه أو ما كتبه تلاميذهم عنهم فرحمهم الله رحمة واسعة .

---

(١)انظر : التسعينية (١/ ٢٩٤) ، وانظر : إعلام الموقعين لابن القيم (١/ ٣٢-٣٤) تحقيق الوكيل ط. مكتبة ابن تيمية ط. ١٩٦٩م.

(٢)انظر : دراسات في الحضارة الإسلامية د. حسن الباشا (٨٣-٨٦).

(٣)انظر : بحوث في تاريخ السنة المشرفة د. أكرم العمري ص٤٧.

وخلاصة ما تقدم :

أن جميع العلوم الشريفة وما هو مكمل لها وتابع دوّن وكتب وأصّل تأصيلاً دقيقاً في هذه الفترة الذهبية وهذا مما يجعل هذه الفترة متميزة على غيرها .

ولم يقتصر الأمر في هذه القرون على الإنتاج العلمي في مجال العلوم الشرعية بل تعدى ذلك إلى البحث والإنتاج الخصب في ميادين العلوم الطبيعية كالطب والكيمياء والفلك والرياضيات والجغرافيا والتاريخ .

وفي تلك الفترة التي أحرزت فيه الدولة العباسية هذا التقدم العلمي الهائل كانت أوروبا تتخبط في ظلام الجهل ، وكان أقصى ما يطمح إليه رجال الدولة فيها أن يتعلموا مجرد كتابة أسمائهم [١].

و- عدم ظهور المدارس البدعية المنظمة [٢]:

إن مما يميز هذه الفترة أن أهل البدع وإن ألفوا المؤلفات وكان لهم رموز ومشايخ لكنهم متفرقون في البلدان وأمورهم غير منظمة وفي الغالب يؤول أمرهم إلى القمع والقضاء عليهم .

فلما انقضت القرون الثلاثة ظهرت مدارس بدعية جديدة ولها اتباع وطلاب ومنظرون ، ورتب أصحاب البدع القديمة صفوفهم ومؤلفاتهم فظهرت في القرن الرابع مدارس جديدة مثل :مدرسة الأشاعرة [٣].

---

(١)دراسات في الحضارة الإسلامية ص٩٠.

(٢)انظر : التسعينية لشيخ الإسلام (٣/ ٩٠٨).

(٣)الأشاعرة : هي من الطوائف الكلامية التي تنسب إلى أبي الحسن الأشعري الذي رجع في آخر حياته إلى مذهب أهل السنة-في الجملة- بخلاف أتباعه وتلاميذه الذين ظلوا على هذا الإنحراف وهم يخالفون أهل السنة في غالب أبواب الاعتقاد ومسائله ففي الصفات معطلة نفاة ما عدا سبع صفات ، وفي الكلام لايثبتون حروفه وألفاظه من الله تعالى بل يقولون هو معنى قائم بالنفس ، وفي الرؤية يثبتونها إلى غير جهة، وينفون علو الله واستوائه على عرشه وهم مرجئة في الإيمان ،وفي القدر يميلون للجبر،وللأسف منتشرون اليوم في غالب الأقطار الإسلامية .انظر : موقف ابن تيمية من الأشاعرة د.عبد الرحمن المحمود ط. مكتبة الرشد ط. الأولى ١٤١٥هـ، فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام (٢/ ٨٥٣) د. غالب عواجي ط. مكتبة لينة ط. الأولى ١٤١٢هـ.

ومدرسة الماتريدية [١].

وكان لهما أتباع ومؤلفات ومنظرون .

يقول شيخ الإسلام : " فإن إطلاق الجواب في هذه المسألة نفياً وإثباتاً خطأ - يعني مسألة هل يقال إن كلام الله حرف وصوت أم لا ؟- وهي من البدع المتولدة الحادثة بعد المائة الثالثة ، لما قال قوم من متكلمة الصفاتية : إن كلام الله الذي أنزله على أنبيائه كالتوراة والإنجيل والقرآن والذي لم ينزله ...ليس إلا مجرد معنى واحد ، هو صفة واحدة قامت بالله إن عبر عنها بالعبرانية كانت توراة وإن عبر عنها بالسريانية كانت الإنجيل وإن عبر عنها بالعربية كانت القرآن ..." [٢].

٤-عوامل تدوين علم العقيدة :

لقد كان العلم كتاباً وسنةً هو الشغل الشاغل للصحابة والتابعين علماً وحفظاً وفهماً وتعلماً وتعليماً ثم جاء من بعدهم وأضافوا إليه العناية بتدوينه وجمعه في كتب وصحف لا يفرقون فيه بين حكم من أحكام الطهارة ولا المعاملات ولا أمور العقائد بل الكل لديهم دين يدينون الله به ، ثم بعد ذلك ظهر التبويب والترتيب لمسائل الدين وكان من ضمن تلك الأبواب أن عقدوا أبواباً لبعض مسائل الاعتقاد وكان لهذا التخصيص لبعض تلك الأبواب دون غيرها عوامل.

ثم بعد ذلك أفردوا كتباً مستقلة وكان لهذا التدوين بهذه الصفة أيضاً عوامل .

ويمكن أن نذكر على سبيل الإجمال أهم العوامل لتدوين علم العقيدة في تلك القرون سواءً ضمن الجوامع الحديثية أو ما أفردوا من مسائل في كتب مستقلة وهي

---

(١)الماتريدية : تنسب هذه الطائفة إلى محمد بن محمد بن محمود المعروف بأبي منصور الماتريدي ، وهو من علماء الحنفية ومذهبهم يوافق الأشاعرة في غالب مسائل الاعتقاد ويضيفون صفة ثامنة وهي صفة التكوين ، وهم منتشرون في غالب بلاد الهند وباكستان والمناطق التي ينتشر فيها مذهب أبي حنيفة .انظر : الماتريدية دراسة وتقويماً د. أحمد عوض الله الحربي ط. دار العاصمة ط. الأولى ١٤١٣هـ .الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات للشمس السلفي الأفغاني ط. مكتبة الصديق ط. الأولى ١٤١٣هـ . فرق معاصرة د. غالب عواجي (٢/ ٨٦٩).

(٢)التسعينية (٢/ ٥٤٠).

كالتالي :

أولاً : ظهور الانحراف في مسائل العقيدة :

لقد كان عصر النبوة وعصر الخلافة الراشدة الراية المرفوعة والسواد الأعظم هو لأهل السنة كما تقدم ذكره ، ثم لمّا حدثت الفتن ودخل من دخل من أهل الأمم الأخرى بقصد الطعن في الإسلام وظهرت البدع وانتشرت مقولاتهم ، وظهر لهم رؤساء يقتدون بهم خاف أهل السنة على عامة المسلمين أن يغتروا بشبههم فدونوا وكتبوا عقائدهم وردوا على أهل الباطل بما يشفي ويكفي .

يقول الإمام الدارمي (١) في مقدمة رده على بشر المريسي (٢) :"...ولولا ما بدأكم هذا المعارض بإذاعة ضلالات المريسي وبثها فيكم ، ما اشتغلنا بذكر كلامه ، مخافة أن يعلق بعض كلامه بقلوب بعض الجهال - إلى أن قال- :..فمن أجل ذلك كرهنا الخوض في هو إذاعة نقائصه حتى أذاعها المعارض فيكم وبثها بين أظهركم ..." (٣) أ.هـ.

وقال شيخ الإسلام :"...وقد قيل إن مالكاً إنما صنف الموطأ تبعاً له ، وقال : جمعت هذا خوفاً من الجهمية أن يضلوا الناس لما ابتدعت الجهمية النفي والتعطيل ..." (٤) أ.هـ.

---

(١)**الدارمي** : هو عثمان ابن سعيد بن خالد أبو سعيد الدارمي ، ولد قبل المائتين بيسير روى عن أحمد وإسحاق وابن معين وغيرهم وعنه زكريا البلخي ومحمد الهروي وغيرهما ، قال أبو داود :" منه تعلمنا الحديث " أ . هـ ، وقال الذهبي :" الحافظ الإمام الحجة كان لهجاً بالسنة بصيراً بالمناظرة "أ.هـ من مصنفاته : الرد على الجهمية ، والرد على بشر المريسي ، والمسند الكبير ، كانت وفاته سنة ثمانين ومائتين .انظر : السير (١٣/ ٣١٩)، طبقات الشافعية للسبكي (٢/ ٣٠٢).

(٢)**بشر المريسي** : هو بشر بن غياث بن أبي كريمة العدوي أبو عبد الرحمن كان من كبار الفقهاء ، لكنه كان من رؤس الجهمية في عصره وقد مقته أهل العلم وكفره جماعة منهم، له مصنفات عدة منها : التوحيد ، الرد على الخوارج ، كفر المشبهه.كانت وفاته سنة ثمان عشرة ومئتين.انظر : السير (١٠/ ١٩٩)، تاريخ بغداد (٧/ ٥٦-٦٧).

(٣)انظر : نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد علي المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد ص ١٤٢-١٤٥، تحقيق د.رشيد الألمعي، ط. مكتبة الرشد ط. الأولى ١٤١٨هـ، وانظر: الشريعة للإمام الآجري (٢/ ٦٩٨)تحقيق د. عبد الله عمر الدميجي ط. دار الوطن الأولى ١٤١٨هـ.

(٤)التسعينية (١/ ١٥٩).

ولعل من أبرز الأمثلة ما كتبه أهل السنة حول مسألة خلق القرآن وذلك لما انتشرت وفتن الناس بهذه المقولة كثرت مصنفاتهم حول هذه القضية .

ثانياً : ظهور وانتشار مصنفات وكتب أهل البدع :

إن من العوامل التي كانت وراء التدوين لكتب الاعتقاد هو ما سطره أهل البدع من رسائل وكتب وانتشرت بين الناس ، فكان لزاماً على أهل السنة أن يسطروا عقائدهم حتى تنتشر ويبين للناس فساد ما كتبه أهل البدع .

يقول شيخ الإسلام :" إن الذي أوجب لهم – أي السلف- جمع هذه الأحاديث وتبويبها ما أحدثت الجهمية من التكذيب بموجبها وتعطيل صفات الرب المستلزمة لتعطيل ذاته ، وتكذيب رسوله والسابقين الأولين والتابعين لهم بإحسان ، وما صنفوه من ذلك من الكتب وبوَّبوه أبواباً مبتدعة يردون بها ما أنزل الله على رسوله ويخالفون بها صرائح المعقول وصحائح المنقول ، وقد أوجب الله تعالى تبليغ ما بعث به رسله ، وأمر ببيان العلم وذلك يكون بالمخاطبة تارة ، وبالمكاتبة تارة أخرى ، فإذا كان المبتدعون قد وصفوا الإلحاد في كتب ، فإن لم يكتب أهل العلم الذي بعث الله به رسوله في كتب لم يظهر ، إلحاد ذلك ولم يحصل تمام البيان والتبليغ ..." [(١)] أ.هـ.

ثالثاً: خشية ضياع العلم بسبب موت العلماء من الصحابة ومن بعدهم :

لما كثرت الفتوحات وبدأ الموت يأخذ كثيراً من صحابة رسول الله الذين حوت صدورهم العلم عن رسول الله اجتهد السلف في تدوين العلم عنهم وكان من أبرز من قام بالتدوين الفعلي الإمام الزهري بأمر من عمربن عبد العزيز حيث جاء في كلامه رحمه الله تعالى :" انظر ما كان من حديث رسول الله ﷺ فاكتبه فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء .."[(٢)] أ.هـ.

---

(١)التسعينية (٣/ ٩٣٨). وانظر مقدمة كتاب النتصار لأبي الخير العمراني (١/ ٨٩-٩٦) تحقيق د. سعود الخلف ط. أضواء السلف ط. الأولى ١٤١٩هـ.وانظر: مقدمة ابن خزيمة لكتاب التوحيد وبيان السبب الباعث على التأليف (١/ ٩-١٠)تحقيق د.الشهوان ط. دار الرشد ط. الأولى ١٤٠٨هـ.

(٢)سبق ذكر هذا النقل عن عمر بن عبد العزيز .

وقال الإمام الدارمي : " وقد كان مَن مضى مِن السلف يكرهون الخوض في هذا وما أشبهه ، وقد كانوا رزقوا العافية منهم ، وابتلينا بهم عند دروس الإسلام وذهاب العلماء فلم نجد بُداً من أن نرد ما أتوا به من الباطل بالحق ..." [١] أ.هـ.

رابعاً : طلب الناس من العلماء الكتابة في أمر العقيدة :

من العوامل ما كان يرد إلى علماء أهل السنة من الأقاليم والبلدان إما أن يطلبوا منهم الإجابة عن إشكال أو استفسار فيكتب العالم فيها أو يطلب منه الناس أن يؤلف كتاباً في الاعتقاد ورسائل الأئمة شاهده على هذا مثل رسائل الإمام أحمد وغيرهما [٢] .

ومثالها كذلك ما ذكر الإمام ابن أبي زمنين [٣] في مقدمة كتابه حيث قال :"أما بعد : فإن بعض أهل الرغبة في اتباع السنة سألني أن أكتب له أحاديث يشرف على مذاهب الأئمة في اتباع السنة والجماعة الذي يقتدى بهم وينتهى إلى رأيهم ." [٤] .

ومثالها كذلك رسالة السجزي [٥] إلى أهل **زبيد** [٦] في الرد على من أنكر الحرف والصوت [٧].

---

(١)الرد على الجهمية للدارمي ص ٢٣ تحقيق د. بدر البدر ط. دار الأثير . الكويت ط. الثانية ١٤١٦هـ.

(٢)انظر الإبانة (القسم الخاص بالرد على الجهمية) (١/ ٣٣٨-٣٥٧).

(٣)**ابن أبي زمنين** : محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد الألبيري الأندلسي أبو عبد الله .قال الذهبي عنه :" الإمام القدوة الزاهد- شيخ قرطبة – ثم قال : وتفنن واستبحر من العلم وصنف في الزهد والرقائق وقال الشعر الرائق وكان صاحب جد وإخلاص ومجانية للأمراء "أ.هـ.كانت وفاته سنة تسع وتسعين وثلاثمائة انظر:السير (١٧/ ١٨٨)، ترتيب المدارك(٧/ ١٨٣).

(٤)أصول السنة لابن زمنين ص ٣٤ بتحقيق عبد الله محمد البخاري ط. مكتبة الغرباء الأثرية ط. الأولى عام ١٤١٥هـ.

(٥)**السجزي** هو : عبيد الله بن سعد بن حاتم الوايلي البكري السجزي أبو نصر قال عنه الذهبي :" الإمام العالم الحافظ المجود شيخ السنة وشيخ الحرم "،كانت وفاته سنة أربعمائة وأربع وأربعين ،انظر:السير (١٧/ ٦٥٤).

(٦) **زبيد** : بفتح أوله وكسر ثانية ثم ياء مثناة من تحت هي مدينة مشهورة باليمن أحدثت في أيام المأمون وينسب إليها إليها جمين من العلماء ، انظر :معجم البلدان للحموي (٣/ ١٤٨).

(٧) كتابه هذا مطبوع بتحقيق محمد با كريم باعبدالله ط.دار الراية ط. الأولى عام ١٤١٤هـ.

ويقول اللالكائي [١] في مقدمة كتابه : " وقد كان تكررت مسألة أهل العلم إيي عوداً وبدءاً في شرح اعتقاد مذاهب أهل الحديث قدس الله أرواحهم وجعل ذكرنا لهم رحمة ومغفرة فأجبتهم إلى مسألتهم لما رأيت فيه من الفائدة الحاصلة والمنفعة السنية التامة ..." [٢] أ.هـ.

خامساً : تدوين السلف لاعتقادهم خشية أن ينسب إليهم ما لا يعتقدونه من العقائد الباطلة ، وكذلك لكونهم محط أنظار العامة ولأن الناس يتناقلون اعتقاداتهم اقتداء بهم :

وقد سطر السلف اعتقاداتهم في رسائل مختصرة وسوف نذكرها مفصلة في آخر باب من هذا البحث إن شاء الله .

يقول الإمام التيمي : " قال بعض علماء أهل السنة أما بعد : فإني وجدت جماعة من مشايخ السلف وكثيراً ممن تبعهم من الخلف ممن عليهم المعتمد في أبواب الديانة وبهم القدوة في استعمال السنة قد أظهروا اعتقادهم ، وما انطوت عليه ضمائرهم في معاني السنن ليقتدي بهم المقتفي وذلك حين فشت البدع في البلدان وكثرت دواعيها في الزمان " أ.هـ.

ثم ذكر اعتقادات الأئمة التي ذكروها عن أنفسهم [٣] .

وسيأتي ذكر الرسائل المختصرة في الاعتقاد التي ألفها الأئمة مثل اعتقاد أحمد بن حنبل وسفيان وغيرهم والباعث لهم على ذلك ما ذكرناه آنفاً.

سادساً : دور الحكام والأمراء :

لعل من العوامل المهمة هو ما قام به بعض الحكام والأمراء والخلفاء من توجيه العلماء لتدوين العلم أو للتأليف عموماً والتشجيع عليه ولعل من أبرز الفترات التي شُجع فيها التأليف والتصنيف في عهد الدولة العباسية أ.هـ [٤] .

---

(١)هبة الله بن الحسن بن منصور الرازي الطبري اللالكائي أبو القاسم محدث بغداد الإمام الحافظ ، الفقيه الشافعي كانت وفاته سنة ثمان عشرة وأربعمائة .انظر:السير (/)، تاريخ بغداد(١٤/ ٧٠).

(٢)شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٢٦) تحقيق د. أ ن ط. دار طيبة ط. الأولى .

(٣)الحجة في بيان المحجة (٢/ ٤٧٣-٤٧٧).وانظر : الإبانة (القسم الخاص بالقدر) (٢/ ١٨٨).

(٤) انظر : نقض المنطق لشيخ الإسلام ص١٨-٢١ ،تحقيق الفقي ،ط.المكتبة العلمية –بيروت .

الأمثلة على هذا الأمر ما يلي:

أ- معاوية بن أبي سفيان :

لقد كان ﷺ يأمر بعض الصحابة كالمغيرة ابن شعبة أن يكتب له حديث رسول الله ﷺ فقد جاء في صحيح البخاري عن ورّاد كاتب المغيرة بن شعبة :" أن معاوية كتب إلى المغيرة أن أكتب إليَّ بحديث سمعته من رسول الله ﷺ ، قال فكتب إليه المغيرة إني سمعته يقول عند انصرافه من الصلاة :" لا إله إلا الله وحده لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير " . قال :" وكان ينهى عن قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال ، ومنع وهات ، وعقوق الأمهات ، ووأد البنات " (١) .

ب-الخليفة عمر بن عبد العزيز :

وأمره للزهري وغيره من العلماء بجمع وتدوين حديث رسول الله ﷺ وقد تقدم الكلام عليه.

ج-الخليفة المتوكل:

الذي نصر أهل السنة وقربهم في مجلسه وأمرهم أن يروّا له أحاديث الصفات .

قال ابن كثير :" وقد كتب الخليفة المتوكل إلى أحمد يسأله عن القول في القرآن سؤال استرشاد واستفادة لا سؤال تعنت ولا امتحان ولا عناد فكتب إليه أحمد – رحمه الله تعالى – رسالة حسنة فيها آثار عن الصحابة وغيرهم وأحاديث مرفوعة " (٢) أ.هـ.

وقال الذهبي :" وفي سنة ٢٣٤هـ أظهر المتوكل السنة ، وزجر عن القول بخلق القرآن ، وكتب بذلك إلى الأمصار ، واستقدم المحدثين إلى سامراء وأجزل صلاتهم ، ورووا أحاديث الرؤية والصفات ..." (٣) .

وقال السيوطي : " فأظهر الميل إلى السنة ونصر أهلها ورفع المحنة وكتب بذلك إلى الآفاق ، وذلك في سنة أربع وثلاثين واستقدم المحدثين إلى سامراء وأجزل عطاياهم

---

(١)أخرجه البخاري في كتاب الرقاق –باب ما يكره من قيل وقال برقم (٦٤٧٣).

(٢)البداية والنهاية (١٠/ ٣٥٤).

(٣)السير (١٢/ ٣٤).

وأكرمهم ، وأمرهم بأن يحدثوا بأحاديث الصفات والرؤية ، وجلس أبو بكر ابن أبي شيبة في جامع الرصافة فاجتمع إليه نحو من ثلاثين ألف نفس ، وجلس أخوه عثمان في جامع المنصور فاجتمع إليه أيضاً نحو من ثلاثين ألف نفس ..." (١) أ.هـ.

د- الخليفة الأموي هشام بن عبد الرحمن الداخل (٢) :

وكان هذا الخليفة يعزز مجالس العلم والأدب لا سيما الحديث والفقه وفي عصره ذاع مذهب مالك ، وقد أدلى عناية كبيرة بتدريس اللغة العربية ونشرها حتى بين النصارى واليهود (٣).

هـ- الخليفة الأموي عبد الرحمن بن الحكم بن هشام (٤) :

وفي عهده العلماء والفقهاء والمحدثين . وشغف عبد الرحمن بجمع الكتب وأخذ إلى المشرق من يبحث له عن الكتب القيمة ويستنسخها له فجمع منها طائفة كبيرة ، وكان أول من عني بجمعها من أمراء الأندلس (٥) .

و-الأمير عبد الله بن طاهر بن الحسين (٦) :

وكان يجزل العطاء لمن يؤلف المصنفات والكتب منها " أن القاسم بن سلام أبا عبيد كان إذا ألف كتاباً أهداه إلى عبد الله بن طاهر فيحمل إليه مالاً خطيراً استحساناً لذلك" (٧) .

---

(١)تاريخ الخلفاء ص ٣٤٦.

(٢)**هشام بن عبد الرحمن الداخل** : أبو الوليد المداني بويع بالملك عند موت واله سنة اثنتين وسبعين ومائة وعمره إذ ذاك ثلاثون سنة وكان ديناً ورعاً ويعدل في الرعية مات سنة ثمانين ومائة وله سبع وثلاثون سنة . انظر:السير (٨/ ٢٥٣).

(٣)انظر : دولة الإسلام في الأندلس لمحمد عثمان (العصر الأول – القسم الأول) ص ٢٢٩.

(٤)**عبد الرحمن بن الحكم** بن هشام بن الداخل أبو المطرِّف الأمير المرواني كان حسن السيرة لين الجانب مات سنة ثمان وثلاثين ومائتين .انظر:السير (٨/ ٢٦٠).

(٥)دولة الإسلام في الأندلس ص ٢٨٠-٢٨٢.

(٦)**عبد الله بن طاهر** بن الحسين بن مصعب الأمير العادل حاكم خراسان وما وراء النهر كان صاحب علم وأدب وفقه وكان أميراً عليها من قبل المأمون مات سنة ثلاثين ومائتين .انظر:السير (١٠/ ٦٨٤)، تاريخ بغداد (٩/ ٤٨٣).

(٧)طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى (١/ ٢٦١)ط.دار المعرفة .

ز-الخليفة المأمون :

وكانت له عناية بالكتب وإكرام أهل العلم لكتابة المصنفات وتدوينها، وقد بلغت عنايته بالكتب وحث أهل العلم على التصنيف مبلغاً عظيماً ، وذلك أنه كان يفرغ بعض أهل العلم للتصنيف ويكفيهم مؤونة البحث عن المال والتكسب .

ومن قصصه في هذا الأمر أنه: (**أمر الفرّاء عالم العربية المعروف بأن يؤلف ما يجمع أصول النحو وما سمع من العرب** ، وأمر أن يُفرَد في حجرة من حجر الدار ، ووكل به جواري وخدماً يقمن بما يحتاج إليه حتى لا يتعلق قلبه ، ولا تتشرف نفسه إلى شيء ، حتى أنهم كانوا يؤذنونه بأوقات الصلاة ، وصيّر له الوراقين ، وألزمه الأمناء والمنفقين، **فكان يملي والوراقون يكتبون** ، حتى صنف (**الحدود**) ، في سنين ، وأمر المأمون بكتبه في الخزائن). [1]

---

(١) تاريخ بغداد (١٤/ ١٤٩-١٥٠).

الباب الأول

منهج أهل السنة في تدوين مسائل علم العقيدة من خلال الجوامع الحديثية .

ويشتمل على تمهيد وفصلين :

الفصل الأول : منهج أهل السنة في تقرير مسائل الاعتقاد من خلال الجوامع الحديثية.

الفصل الثاني: منهجهم في الرد على أهل البدع من خلال الجوامع.

تمهيد الباب الأول

ويشتمل على :

أ- التعريف بأهل السنة وبالمنهج وبالعقيدة .

ب- أهمية معرفة منهج أهل السنة في تدوين مسائل الاعتقاد.

ج- أهم ما تميز به منهج أهل السنة في تدوين علم العقيدة عن غيره من المناهج.

د- العوامل المؤثرة في تغير المنهج في تدوين علم العقيدة .

هـ- بيان أهمية ومكانة دواوين السنة .

أ- التعريف بأهل السنة وبالمنهج وبالعقيدة :

أهل السنة :

السنة لغة [١] :

السيرة والطريقة محمودةً كانت أو مذموماً وهي مأخوذة من السنن وهو الطريق ، ومنه الحديث الصحيح :"من سنَّ في الإسلام سنة حسنة ....ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة ". [٢]

قال القاضي عياض :" وسنن الطريق نهجه ويقال سننه بضمها ، سننه بفتح السين وضم النون وكان هذا جمع سنة وهي الطريقة أيضاً " [٣] .

وقال ابن الأثير :" تكرر في الحديث ذكر السنة وما تصرف منها والأصل فيها الطريقة والسيرة " [٤] .

والذي غلب على إطلاق السنة ما كان **محموداً** [٥] .

قال الزمخشري :" سنَّ سنة حسنة : طرَّق طريقة حسنة واستن بسنته ، وفلان متسنن :عامل بالسنة " [٦] .

السنة في الاصطلاح :

تطلق السنة ولها عدة معاني اصطلح عليها العلماء :

١ -عند المحدثين:

ما جاء عن النبي ﷺ من أقواله وأفعاله وتقريره وما همَّ بفعله [٧] .

---

(١) انظر تعريف السنة في اللغة في :الصحاح ص٢١٣٨-٢١٤٢، القاموس ص١٥٥٨، النهاية في غريب الحديث (٢/ ٤٠٩)، لسان العرب (١٣/ ٢٢٠-٢٢٩)، أساس البلاغة (١/ ٤٦٢)، مشارق الأنوار (٢/ ٢٢٣)، تاج العروس (٩/ ٢٤٢-٢٤٦).

(٢) الحديث رواه مسلم في الزكاة برقم (١٠١٧).

(٣)مشارق الأنوار للقاضي عياض (٢/ ٢٢٣) ط.المكتبة العتيقة- تونس .

(٤)النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٢/ ٤٠٩).

(٥)لسان العرب مادة (سنن) (١٣/ ٢٢٦).

(٦)أساس البلاغة (١/ ٤٦٢).

(٧)انظر : فتح الباري (١٣/ ٢٥٩).

وزاد بعضهم : صفاته ﷺ الخَلْقية والخُلُقية [(١)].

٢- عند علماء أصول الفقه [(٢)]:

يراد بها ما جاء عن النبي ﷺ خاصَّة ، فيعدون المصدر الأول من مصادر الشريعة : "الكتاب" . والمصدر الثاني : "السنة".

٣- عند الفقهاء [(٣)]:

وتطلق ويراد بها عند الفقهاء ما ليس بواجب يعنى أنه مندوب أو مستحب .

قال الإمام الشوكاني : " ...وأما في عرف أهل الفقه فإنما يطلقونها على ما ليس بواجب " أ.هـ [(٤)].

٤-وتطلق ويراد بها كل ما دل عليه دليل شرعي ، سواء كان ذلك في الكتاب العزيز أو ما جاء عن النبي ﷺ أو ما اجتهد فيه الصحابة .

قال الشاطبي :" ويطلق أيضاً لفظ السنة على ما عمل عليه الصحابة وجد ذلك في الكتاب أو السنة أو لم يوجد ، لكونه اتباعاً لسنة ثبتت عندهم لم تنقل إلينا ، أو اجتهاداً مجتمعاً عليه منهم أو من خلفائهم فإن إجماعهم إجماع .." أ.هـ.[(٥)]

ويستدلون له بقوله ﷺ :" عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ". [(٦)]

---

(١) انظر : دراسات في الحديث النبوي للأعظمي (١/ ١)، تدوين السنة د. محمد مطر الزهراني ط. مكتبة الصديق – الطائف ط. الأولى سنة ١٤١٢هـ.

(٢) الموافقات للشاطبي (٤/ ٢٨٩) ط. دار ابن عفان تحقيق مشهور حسن سلمان ط. الأولى مذكرة الشنقيطي ص٩٥.

(٣) القاموس الفقهي لسعدي أبو حبيب ص١٨٤، ط. إدارة القرآن والعلوم الإسلامية .

(٤) إرشاد الفحول ص٣٣ ط. دار المعرفة – بيروت ط. ١٣٩٩ وانظر مجموع الفتاوى (٢٢/ ٥٤٠).

(٥) الموافقات (٤/ ٢٩٠).

(٦) الحديث أخرجه أحمد (٤/ ١٢٦-١٢٧) ، وأبو داوّد في السنة – باب لزوم السنة برقم (٤٦٠٧) ، والترمذي في كتاب العلم – باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع (٥/ ٤٣-٤٤) برقم (٢٦٧٦).والحديث صحيح : انظر ظلال الجنة تخريج أحاديث السنة للألباني (١/ ٢٦) برقم (٤٩،٤٨،٤٧) ط. المكتب الإسلامي .

٥- يطلق لفظ السنة على ما يقابل البدعة : " وهو الذي يهمنا في هذا البحث " :
فيقال " فلان على سنة " إذا كان على اعتقاد سليم من البدع والأهواء .

قال الشاطبي :" ويطلق أيضاً في مقابلة البدعة ...".[(١)]

التعريف بمصطلح " أهل السنة ":

لما حدث الافتراق في الأمة وظهرت البدع اضطر أهل الإسلام أن يجعلوا شعاراً لمن سلم اعتقاده حتى يتميز عن غيره ، فأصبح مصطلح " **أهل السنة** " لا يطلق إلا على من سلم من البدع وكان صحيح الاعتقاد .

قال السمعاني :" **السُّنِّي** : بضم السين المهملة وتشديد النون المكسورة هذه النسبة إلى السنة التي هي ضد البدعة ، ولما كثر أهل البدع خصوا جماعة بهذا الانتساب " أ.هـ.[(٢)]

ويطلق ويراد بمصطلح "أهل السنة" في مقابل الرافضة :

قال شيخ الإسلام : " فلفظ أهل السنة يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة ، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة ، وقد يراد به أهل الحديث والسنة المحضة ، فلا يدخل فيه إلا من أثبت الصفات لله تعالى ...." أ.هـ.[(٣)]

وكانت مؤلفات السلف في الاعتقاد يطلق عليها كتب السنة كما سوف يمر معنا حول المؤلفات .

قال ابن أبي عاصم في آخر كتاب السنة : " .. سألت عن السنة ما هي ؟ والسنة : اسم جامع لمعان كثيرة في الأحكام وغير ذلك ، ومما اتفق أهل العلم على أن نسبوه إلى السنة : القول بإثبات القدر ، ...."[(٤)] أ.هـ .

ثم ذكر مسائل الاعتقاد عل سبيل الإجمال في جميع الأبواب.

---

(١) الموافقات (٤/ ٢٩٠).
(٢) الأنساب للسمعاني (٣/ ٣٢٤) بتحقيق عبد الله عمر البارودي ط. دار الكتب العلمية ط. الأولى ١٤٠٨هـ.
(٣) منهاج السنة لابن تيمية (٢/ ٢٢١) بتحقيق د. محمد رشاد سالم ط. جامعة الإمام .
(٤) السنة لابن أبي عاصم (٢/ ١٠٢٧) تحقيق د. باسم الجوابرة ط. دار الصميعي ط. الأولى ١٤١٩.

تعريف المنهج :

المنهج في اللغة [1]:

نهج ينهج نهجاً ، وهو الطريق البين الواضح وهو المنهج والمنهاج ويطلق على الطريق المستقيم .

ومنه قوله تعالى :﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة : ٤٨] .

قال ابن عباس : "سبيلاً وسنة ".

وقال الحافظ ابن حجر : "والمنهاج : السبيل أي الطريق الواضح " [2].

ومنه قول الشاعر :

ولقد أضاء لك الطريق وأنهجت
سبل المسالك والهدى تعدي [3]

قال ابن فارس :" النهج : الطريق ، وقد نهج فلان الطريق : بيَّنه وهو منهاج مستقيم " أ.هـ . [4]

وقال الزمخشري : " أخذ النهج والمنهج والمنهاج . وطريق نهج ، وطرق نهجه . ونهجت الطريق : بيّنتهُ ، وانتهجته : استبنته ، ونهج الطريق وأنهج : وضح " أ.هـ [5]

المنهج في الاصطلاح :

بعد أن تقرر أن معنى المنهج في اللغة : هو الطريق الواضح المستقيم البين،فإن المعنى الاصطلاحي له ارتباط بالمعنى اللغوي .

---

(١) انظر : الصحاح للجوهري (١/ ٣٤٦).وأساس البلاغة للزمخشري (٢/ ٤٨٤) ، لسان الغرب (٢/ ٣٨٣) ، مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص٨٢٥ ط. دار القلم بتحقيق صفوان داوودي ط. الأولى ١٤١٢هـ ، مجمل اللغة لابن فارس ص ٨٤٥ تحقيق زهير سلطان ط. مؤسسة الرسالة ط. الأولى ١٤٠٤هـ . القاموس المحيط ص٢٦٦.

(٢) فتح الباري (١/ ٦٤).

(٣) انظر الصحاح (١/ ٣٤٦)، اللسان (٢/ ٣٨٣).

(٤) مجمل اللغة ص ٨٤٥.

(٥) أساس البلاغة (٢/ ٤٨٤).

فعرفه بعضهم بقوله : " **إن المنهج بمعناه العام** : هو منطق كلي يحكم العمل العلمي ويوجهه منذ أن يكون فكرة ، حتى يصير بناءً قائماً اعتماداً على أصول وقواعد تشكل في مجملها نسقاً متكاملاً " أ.هـ [١] .

وعرف بعضهم المنهج العلمي بقوله :

"القواعد العلمية التي يسلكها العقل في حركته للبحث عن الحقيقة في أي مجال من مجالات المعرفة ..."أ.هـ.[٢]

وعرفها بعضهم بقوله : " من التنظيم الصحيح لسلسلة من الأفكار العديدة ، إما من أجل الكشف عن الحقيقة حين نكون بها جاهلين أو من أجل البرهنة عليها للآخرين حين نكون بها عارفين " أ.هـ.[٣]

ويمكن أن نخلص مما سبق بأن المراد بالمنهج : " هي الأصول والضوابط والقواعد التي يسير عليها الباحث أو المؤلف أو العالم في أي فن من الفنون مع التناسق والتكامل أثناء هذه المسيرة " .

هذا إذا أطلق المنهج هكذا بشكل عام ، ولكن لابد أن نحدد هوية هذا المنهج فإذا قلنا: المنهج الإسلامي فله سماته وخصائصه التي تميزه عن غيره من المناهج [٤] ، وإذا أضفنا قيداً أدق فقلنا : منهج أهل السنة عنينا به تميز أهل السنة -في طرائق بحثهم وقواعدهم التي رسخوها -عن غيرهم من أصحاب الطوائف المبتدعة .

التعريف بالعقيدة :

---

(١) أبجديات البحث في العلوم الشرعية لفريد الأنصاري ص٢٣ ط. مطبعة النجاح – الدار البيضاء ط. الأولى ١٤١٧هـ.

(٢) مناهج البحث العلمي د. عبد الرحمن بدوي ص٣ (نقلاً عن مناهج البحث في العقيدة الإسلامية ص١٥ د. عبد الرحمن الزنيدي ط. دار اشبيليا ط. الأولى عام ١٤١٨هـ.

(٣) منهج البحث عند الكندي لفاطمة إسماعيل ص٣٧ ط. المعهد العالمي للفكر الإسلامي ط. الأولى ١٤١٨هـ .

(٤) انظر للاستزادة: منهج كتابة التاريخ الإسلامي د. محمد صامل السلمي ص ٩٠-٩١ ط. دار طيبة ط. الأولى ١٤٠٦هـ.

العقيدة في اللغة [١]:

مأخوذ من العقد : نقيض الحل ،ومنه عقد الحبل أي شدُّه وعقد البيع وعقد العهد: أي شدَّه و وثّقه بإحكام وقوة ،ومنه عقد اليمين ، ومنه قيل لفلان عقيدة [٢] ومنه قيل : اعتقد النوى إذا صلب [٣] .

قال الجوهري : " وناقة معقودة القَرَا : موثقة الظهر،وجمل عَقْدٌ قال النابغة :
"فكيف مزارها إلا بعَقْدٍ مُمَرٍّ ليس ينقضه الخوؤن " أ.هـ . [٤]

العقيدة في الاصطلاح :

أ-المعنى العام :

"هي التي يجزم بها الإنسان ويصدق بها من غير شكٍ ولا ارتياب سواءً كان حقاً أو باطلاً"

وهذا المعنى العام يندرج تحته كل من اعتقد عقيدة صحيحة أو غير صحيحة . [٥]

قال الفيومي :" العقيدة ما يدين الإنسان به ، وله عقيدة حسنة سالمة من الشك " أ.هـ. [٦]

ب-المعنى الخاص :

ما يدين به الإنسان ربه ويعتقده من أمور الدين.

ونقصد بها من اعتقد عقيدة أهل الإسلام أي العقيدة الإسلامية فالذي يؤمن بأركان الإيمان الستة والغيبيات وما جاء عن الله ورسوله من غير شك ولا ريب فهو

---

(١) راجع : الصحاح للجوهري (٢/ ٥١٠)،القاموس المحيط ص٣٨٣،المفردات للراغب ص٥٧٦ ،أساس البلاغة (٢/ ١٣١)،لسان العرب (٣/ ٢٩٦)،المحكم لابن سيد (١/ ٩٢) تحقيق مصطفى السنار د. حسين نصار ط. الأولى ١٣٧٧هـ، مصورة مكتبةالباز ،تاج العروس للزبيدي (٢/ ٤٢٦)،المصباح المنير للفيومي ص٢١٨.
(٢) المفردات ص٥٧٧.
(٣) أساس البلاغة للزمخشري (٢/ ١٣٢) ط. المكتبة العصرية ط. الأولى ١٤١٧هـ،
(٤) الصحاح (٢/ ٥١١).
(٥) المعجم الوسيط (٢/ ٦١٤)، وانظر مدخل لدراسة العقيدة لعثمان جمعة ضميرية ص ١٢١ ط. مكتبة الوادي ط. الأولى ١٤١٤هـ.
(٦) المصباح المنير ص ٢١٨.

معتقد عقيدة أهل الإسلام وعقيدته عقيدة إسلامية .

وقد دون الأئمة بعض كتبهم ورسائلهم وصدروها بذكر عقيدتهم وسوف تمر معنا، وكانوا يطلقون عليها (عقيدة فلان) فهذا المصطلح له معنىً خاص عند السلف وهو ما ذكرنا.

ب- أهمية معرفة منهج أهل السنة في تدوين مسائل الاعتقاد :

أولاً : إن معرفة منهج السلف في تدوين علم العقيدة يعطي الباحث قوة في الاستدلال والرد على المخالفين نظراً لوضوح الأثر القوي والفعال في كتب السلف مع أنها أقل بكثير من كتب المتأخرين ، وكذلك فإن قوة بعض علماء أهل السنة العلمية التي ظهرت من خلال تقريرهم لمسائل الاعتقاد والرد على المخالفين ؛كان من أعظم الأسباب: اعتمادهم على منهج السلف في تقرير وتدوين مسائل العقيدة وعلى رأسهم: شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم فإن الناظر في كتبهم يرى كثرة النقول عن السلف في القرون الثلاثة الأولى، وهذا كله يؤيد ما ذكرناه ، وتبرز الأهمية أكثر في العصور المتأخرة التي قل فيها العلم المؤصل على المنهج الصحيح (١) والله المستعان .

ثانياً : إن تقدم العلوم بشتى أنواعها وفروعها مرتهن بصحة المنهج ، فتقدم العلم وتحقيق الأهداف المرجوة منه مرتهن بصحة المنهج أو فساده .

ولعل من أبرز الأمثلة على هذا : المناهج التي سلكها أهل الكلام وأهل البدع والتي أضاعوا أعمارهم فيها والتخبط في أوديتها وفي نهاية المطاف رجعوا إلى منهج الحق الواضح الذي فيه الهدى والنور .(٢)

وقل مثل ذلك بالنسبة للمناهج الغربية الحديثة التي لما كان مصدرها من غير الوحي الرباني في تفسير الوجود ، ولعدم معرفتهم لحقيقة الربوبية والعبودية لله ، ولوظيفة الإنسان ودوره ولحقيقة نشأته ومصيره ، ولعلاقته بالكون من حوله فإنه يخبط بالظنون والأوهام ، ويرجم بالغيب بدون دليل .(٣)

ثالثاً : أن اختلاف الطوائف في مسائل العقيدة كان الباعث والعامل الرئيسي

---

(١) انظر على سبيل المثال : درء التعارض الجزء السابع والسادس لشيخ الإسلام ، واجتماع الجيوش الإسلامية ، ومبحث أدلة العلو في الكافية الشافية لابن القيم رحمه الله تعالى .

(٢) انظر رجوع وتوبة أهل الكلام عن مناهجهم في شرح العقيدة الطحاوية (١/ ٢٤٢-٢٤٧) تحقيق د. التركي .

(٣) انظر : منهج كتابة التاريخ الإسلامي د. محمد صايل السلمي ص ٩١.

اختلاف المناهج [١] في الأعم الأغلب وليس هذا قاعدة مطردة.

يقول شيخ الإسلام : "وهذا الكلام – يعني تقديم العقل على النقل قد جعله الرازي [٢] وأتباعه قانوناً كلياً فيما يستدل به من كتب الله تعالى وكلام أنبيائه عليهم السلام ، وما لا يستدل به ، ولهذا ردوا الاستدلال بما جاءت به الأنبياء والمرسلون في صفات الله تعالى ، وغير ذلك من الأمور التي أنبأوا بها ...(ثم قال): وأما هذا القانون الذي وضعوه فقد سبقهم إليه طائفة ، منهم أبو حامد [٣] وجعله قانوناً في جواب المسائل التي سُئل عنها في نصوص أشكلت على السائل [٤]....(إلى أن قال): ومثل هذا القانون الذي وضعه هؤلاء يضع كل فريق لأنفسهم قانوناً فيما جاءت به الأنبياء عن الله ، فيجعلون الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه هو ما ظنوا أن عقولهم عرفته ، ويجعلون ما جاءت به الأنبياء تبعاً له ؛ فما وافق قانونهم قبلوه وما خالفه لم يتبعوه " أ.هـ. [٥]

ثم يصرح شيخ الإسلام أن الباعث وراء تأليفه كتاب درء التعارض إنما هو بيان فساد المنهج والقاعدة التي ساروا عليها فيقول :

" ولما كان بيان مراد الرسول ﷺ في هذه الأبواب لا يتم إلا بدفع المعارض العقلي ،

---

(١) مناهج البحث في العقيدة الإسلامية في العصر الحاضر د. عبد الرحمن الزنيدي ص٢٢.

(٢) **الرازي** هو : محمد بن عمر بن الحسين القرشي التيمي البكري أبو المعالي وأبو عبد الله المعروف بالفخر الرازي . ويعرف بابن خطيب الري ، المتكلم صاحب التصانيف وأحد فقهاء الشافعية ، كان على طريقة الأشاعرة وألف كثيراً من المصنفات في نصر مذهبهم والرد على مخالفيهم منها : أساس التقديس – التفسير الكبير وغيرها كانت وفاته سنة ٦٠٦هـ.انظر : السير (٢١/ ٥٠٠) ، طبقات الشافعية (٨/ ٨١) ، وفيات الأعيان (٤/ ٢٤٨).

(٣) أبو حامد هو : زين الدين محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزّالي صاحب التصانيف ، وممن كان ملازماً لإمام الحرمين برع في الفقه وعلم الكلام والجدل وتزهد في آخر حياته وله مصنفات كثيرة من أشهرها : إحياء علوم الدين – تهافت الفلاسفة وله زلات وانحراف في العقيدة كالتصوف والتأويل وغير ذلك ويذكر أنه تاب عن ذلك في آخر حياته كانت وفاته سنة ٥٠٥هـ.انظر : السير (١٩/ ٣٢٢) ، وفيات الأعيان(٤/ ٢١٦-٢١٩) ، طبقات الشافعية (٦/ ١٩١).

(٤) له رسالة مستقلة في هذا القانون بعنوان " قانون التأويل " انظر : ما ذكر د. عبد الرحمن المحمود في موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/ ٦٢٩).

(٥) درء تعارض العقل والنقل (١/ ٤-٦) بتصرف واختصار.تحقيق د. محمد رشاد سالم ط. جامعة الإمام .

وامتناع تقديم ذلك على نصوص الأنبياء ، بيَّنا في هذا الكتاب فساد القانون الفاسد الذي صدوا به الناس عن سبيل الله ، وعن فهم مراد الرسول وتصديقه فيما أخبر ..." أ.هـ.[١]

بل هناك كلام أصرح من هذا كله وسبق به أبو حامد وهو كلام الفيلسوف ابن سينا [٢] حيث يقول :" ...أما أمر الشرع فينبغي أن يعلم فيه قانون واحد وهو أن الشرع والملل الآتية على لسان نبي من الأنبياء يرام بها خطاب الجمهور كافة . ثم من المعلوم الواضح أن التحقيق الذي ينبغي أن يرجع إليه في صحة التوحيد من الإقرار بالصانع موحداً مقدساً عن الكم والكيف والأين والمتى والوضع والتغير حتى يصير الاعتقاد أنه ذات واحدة ...الخ " أ.هـ.[٣]

نسأل الله السلامة والعافية فابن سينا بعد أن أصل هذا القانون والمنهج أقام عليه نفي الصفات وجميع نصوص الشرع جعلها لا حجة فيها حيث قال في موضع آخر :" فظاهر هذا كله أن الشرائع واردة لخطاب الجمهور بما يفهمون مقرباً ما لا يفهمون إلى أفهامهم بالتشبيه والتمثيل ولو كان غير ذلك لما أغنت الشرائع البتة فكيف يكون ظاهر الشرائع حجة في هذا الباب "أ.هـ.[٤]

رابعاً : مع كثرة المناهج المنحرفة لأهل البدع المتمثلة في كتبها ومؤلفاتها الكثيرة ، قد يظن الظان أن منهج السلف منهج لا يؤيده إلّا القلة من العلماء ، ولم يؤلف فيه إلا القليل ، وإبراز هذه المراحل بعلمائها ومصنفاتها ، وتحليل ودراسة مناهجها يعطي

---

(١) المصدر السابق (١/ ٢٠).

(٢) **ابن سينا**: هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسين بن سينا البلخي الفيلسوف الطبيب المشهور صاحب التصانيف في الفلسفة والمنطق والطب من أشهرها : الإشارات – النجاة – الشفا ، قال عنه ابن القيم : " إمام الملحدين ، المعلم الثالث للفلاسفة المشائين ، وهو الذي حاول تقريب الفلسفة من دين الإسلام فلم يصل إلى ما وصلت إليه الجهمية الغالية في التجهم في غلوهم ومذهبهم أسدُّ وأصحُّ مذهباً منه "أ.هـ. إغاثة اللهفان (٢/ ٢٦١)، السير (١٧/ ٥٣١).

(٣) الأضحوية في المعاد لابن سينا ص٩٧ تحقيق د. حسن عاصي ط. المؤسسة الجامعية – بيروت ط. الثانية ١٤٠٧هـ.

(٤) الأضحوية ص١٠٣.

صورة واضحة وجلية عن منهج السلف وأنه الأصل في عالم المناهج المختلفة .

ج-أهم ما تميز به منهج أهل السنة في تدوين علم العقيدة عن غيره من المناهج :

أولاً: الوضوح في المعاني والسهولة في العبارات والألفاظ :

وهذا واضح وجلي لأن جل مؤلفاتهم تنطق بالكتاب والسنة ،الذين هما أوضح وأسهل عبارة كما قال الله جل وعلا : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ [القمر : ١٧]

ولعل البصير المنصف يتضح له الفرق حينما يقرأ في مؤلف من مؤلفات السلف في القرون الأولى وحينما يقرأ لأحد الفلاسفة أو أهل الكلام. فالأول سهل واضح عليه علامات الهدى والنور، والآخر معقدٌ ملغزٌ لا يفهمه كاتبه فضلاً عن قارئه وعليه علامات الظلمة والبعد عن نور الكتاب والسنة .

ثانياً: الاحتجاج بالكتاب والسنة في جميع مسائلهم :

مع تعظيم نصوص الوحيين وتقديمهما في الاستدلال والاحتجاج والرد إليهما عند التنازع وجعلهما المصدرين الوحيدين فلا احتجاج ولا استدلال بالكشف والذوق والرؤى والمنامات ولا بالعقل المخالف لنصوص الكتاب والسنة ، ولا بأقوال الأئمة المضلين المخالفين صراحة للشرع المطهر قولاً وعملاً .

ثالثاً : الاحتجاج بخبر الآحاد :

إن من أهم ما يميز أهل السنة أنهم يحتجون بالسنة الواردة عن المصطفى صلى الله عليه وسلم متواترها وآحادها مادام أن السند متصل برواية الثقات الأثبات .

وإن عدم العمل بخبر الواحد وهي القاعدة التي بنى عليها أهل البدع باطلهم في رد الحق الذي ألزمهم به أهل السنة، ما هي إلا نوع من أنواع رد السنة ولون من ألوان اتباع الهوى والإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض -نسأل الله السلامة والعافية- حتى وصل الأمر ببعض علماء أهل السنة أن يؤلف مؤلفاً خاصاً يبين فيه وجوب الاحتجاج بخبر الواحد أو يعقد كتاباً مستقلاً ضمن كتبهم مثل البخاري في صحيحه ، وسوف يمر معنا عند ذكر المصنفات إن شاء الله .

رابعاً: اتفاقهم على مسائل العقيدة أثناء تقريرهم وتدوينهم لها :

سواءً كان ضمن الجوامع الحديثية أو في كتب العقيدة المستقلة ، وسواءً كان في مختصراتهم أو مطولاتهم فالاتفاق واضح وبين، وهذه ميزة تميزوا بها عن غيرهم مع تباعد أمصارهم وأعصارهم -رحمهم الله رحمة واسعة- وهذا من أعظم الأدلة على صحة المنهج وسلامته .

يقول الإمام التيمي – رحمه الله- مبيناً ما ذكرناه بقوله :" ومما يدل على أن أهل الحديث هم على الحق أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أوّلهم إلى أخرهم قديمهم وحديثهم مع اختلاف بلدانهم وزمانهم ، وتباعد ما بينهم من الديار ، وسكون كل واحدٍ منهم قطراً من الأقطار وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرةٍ واحدة وبخط واحد يجرون فيه على طريقة واحدة لا يحيدون عنها ولا يميلون فيها ، قولهم في ذلك واحد ونقلهم واحد لا ترى بينهم اختلافاً ولا تفرقاً في شيءٍ ما وإن قلّ ، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ، ونقلوه عن سلفهم ، وجدته كأنه جاء من قلب واحد ، وجرى على لسان واحد وهل على الحق دليل أبين من هذا ؟

قال الله تعالى :﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٣] ،وقال الله تعالى :﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ [آل عمران : ١٠٣] .

وأمّا إذا نظرت إلى أهل الأهواء والبدع ، رأيتهم متفرقين مختلفين أو شيعاً وأحزاباً ، لا تكاد تجد اثنين منهم على طريقة واحدة في الاعتقاد ..." [١] .

ولعل السبب في هذه الميزة أن المصدر والمعين الذي وردوه هو معين واحد ومورد واحد ألا وهو الوحي المنزل .

يقول الإمام التيمي- رحمه الله – أيضاً :".. وكان السبب في اتفاق أهل الحديث أنهم أخذوا الدين من الكتاب والسنة ، وطريق النقل فأورثهم الاتفاق والائتلاف.."[٢] .

---

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٢٤).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٢٢٦).

خامساً : حسن العرض وجودة الترتيب ودقة التبويب :

إن الناظر في كتب السلف – رحمهم الله – يعجب من تفننهم في عرض المسائل وتقسيمها على الأبواب فتجد الأبواب مرتبة ترتيباً منطقياً يسهل على الذهن متابعته واستيعابه ، وكل فصل مترتب على الذي قبله .

وكذلك فإنك تعرف المراد والقول الحق من عنوان الباب قبل قراءة ما تحته ، وتستفيد من عناوينهم دقة الاستنباط وعمق الفهم ، وهذا قل ما تجده في كتب غيرهم – رحمهم الله – ولعلنا حينما نبدأ بذكر منهجهم تفصيلاً يتضح ذلك مدعماً بالأمثلة من كتبهم ومصنفاتهم.

سادساً : عرضهم لأقوال الصحابة وجمعها في كتبهم:

أثناء عرض مسائل الاعتقاد لأنهم يرون أن فهم النصوص إنما يكون وفق فهمهم لأنهم عاصروا التنزيل وصاحبوا المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى فكانوا أفقه الناس وأعلمهم بعد رسول الله ﷺ مع أمانتهم وعدالتهم ، وأهم ما تميز به الصحابة أنهم لم يختلفوا في مسائل العقيدة مما يعطي أقوالهم قوة في الحجة .

يقول ابن القيم – رحمه الله -:" ولم يحفظ عن الصحابة والتابعين نزاع فيما يذكر أنه من الصفات ...". [1]

وقال في موضع آخر : " ...وقد تنازع الصحابة في كثير من مسائل الأحكام وهم سادات المؤمنين ، وأكمل الأمة إيماناً ، ولكن بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال ، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة ، كلمة واحدة من أولهم إلى أخرهم ..." [2] .

فلهذا كله حرص السلف على تدوين أقوالهم وآراءهم .

---

(١) الصواعق المرسلة (١/ ٢٥٢) تحقيق د. علي الدخيل الله ط. دار العاصمة ط. الأولى عام ١٤٠٨هـ.

(٢) إعلام الموقعين (١/ ٨٣).

قال صالح بن كيسان [١] : " اجتمعت أنا والزهري – ونحن نطلب العلم – فقلنا : نكتب السنن . فكتبنا ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ثم قال الزهري : نكتب ما جاء عن أصحابه فإنه سنة قال : فقلت أنا : لا ليس بسنة ، لا نكتبه . قال : فكتب ولم أكتب ، فأنجح وضيعت " أ.هـ [٢] .

ولهذا نجد المصنفات الحديثية في القرون الثلاثة الأولى مليئة بأقوال الصحابة كمصنف عبد الرزاق وابن أبي شيبة وموطأ مالك وغيرهم .

سابعاً : الشمولية والاستيعاب :

وذلك يظهر جلياً فيما يلي :

١-أثناء استدلالهم فهم يأخذون بجميع النصوص فلا يأخذون بعضها ويتركون البعض الآخر .

٢-جمع الأدلة من الكتاب والسنة وأقوال الصحابة ومن أتى بعدهم أثناء الاستدلال لما يريد منه من مسائل وهذا يدل على قوة المنهج الذي سلكوه فلا يدعون حجة لمحتج عليهم.

٣-الشمولية أثناء عرض مسائل الاعتقاد فيذكرونها كلها خاصة إذا ذكروا عقائدهم وما يدينون الله به فإن الشمولية تظهر في عرضهم بهذه الطريقة بوضوح .

د – العوامل المؤثرة في تغير المنهج في تدوين علم العقيدة :

أولاً : ظهور المخالفة للاعتقاد الصحيح من عدمه :

لاشك أن الفترات التي تظهر فيها السنة وتقمع فيها البدعة ولا يظهر لها دعاة ولا مؤلفون لا يحتاج أهل السنة وعلماؤهم أن يؤلفوا أو يصنفوا في أمر لا حاجة له ، ولكن

---

(١) صالح بن كيسان : أبو محمد المدني ، مؤدب ولد عمر بن عبد العزيز الحافظ الثقة الثبت الفقيه المحدث . انظر : السير (٥/ ٤٥٤) ، التقريب : ص٤٤٧ ط. تحقيق أبو الأشبال الباكستاني ط. دار العاصمة ط. الأولى ١٤١٦هـ.

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١١/ ٢٥٨) برقم (٢٠٤٨٧) ، والخطيب في تقييد العلم ص١٠٦ ، وأبو نعيم في الحلية (٣/ ٣٦٠).

لما بدأت الفتن والبدع تظهر اضطر أهل السنة أن يدرجوا ضمن جوامعهم الحديثية أبواباً تورد فيها الأحاديث التي تبين بطلان هذه البدعة، فمثلاً أول ما ظهر الكلام في القدر عقد الأئمة في جوامعهم باباً خاصاً بالقدر كما فعل الإمام مالك في موطأه [(١)] ، ولما كثرت البدع وذاع صيتها وكثرت شبهاتها؛ اضطر أهل السنة لتغيير المنهج في التدوين فلم يقتصروا على سرد الأحاديث مجردة بل أضافوا إليها أقوال الصحابة والتابعين وجعلوا الأبواب والتراجم تدل صراحة في الرد على بدعهم كما فعل الإمام البخاري في صحيحه .

ولما صنف أهل البدع رأى أهل السنة أنه لا يكفي سرد الأحاديث بل لابد من إفراد مؤلفات خاصة لبيان الاعتقاد الصحيح في هذه المسألة مع الرد على المخالف كما فعل مثلاً الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام لما صنف كتابه الإيمان .

ثانياً : دخول علم الكلام على المسلمين :

لم يكن المسلمون في القرن الأول يشتغلون بغير القرآن والسنة من العلم ثم لما ترجمت كتب اليونان والفرس وظهر علم الكلام عند الطوائف المخالفة لأهل السنة وانتشرت شبهاتهم عن طريق الدلائل المنطقية المبنية على قواعد المنطق اليوناني ، اضطر أهل السنة للتوسع وتغيير المنهج في التدوين فلم يكتفوا بذكر النصوص الشرعية مجردة بل أضافوا إليها وجه الاستنباط واستخراج الأدلة العقلية الدامغة للمخالفين كل ذلك بسبب دخول علم الكلام عليهم مع أنهم ذموه وحرموا الاشتغال به .

يقول السيوطي :" ...أن علوم الأوائل (يعني اليونان والفرس) دخلت إلى المسلمين في القرن الأول لما فتحوا بلاد الأعاجم لكنها لم تكثر فيهم ولم تنتشر بينهم لما كان السلف يمنعون من الخوض فيها ثم اشتهرت في زمن البرمكي ثم قوى انتشارها في زمن المأمون لما أثاره من البدع وحث عليه من الاشتغال بعلوم الأوائل وإخماد السنة " أ.هـ.[(٢)]

---

(١) انظر : الموطأ (٢/ ٦٢) ، (٢/ ٦٨) رواية الزهري .

(٢) صون المنطق ص١٢ تحقيق د. النشار ط. الأولى ط. السعادة مصر .

ثالثاً : عامل الزمان :

أ-لاشك أن القرب من زمن الوحي والبعد عنه بأزمان متباعدة يؤثر في قضية العلم وسعته وعمقه وفهمه ولهذا كان السلف الأوائل أقل الناس كلاماً وأعظمهم علماً وفهماً ، والمتأخرون كثر كلامهم وقل علمهم ولهذا نجد في القرون الأولى صغر حجم المؤلفات سواءً كان تقريراً أم رداً بخلاف المتأخرين .

ب-زمن الفتن والقلاقل وعدم الاستقرار يختلف فيه التدوين عن زمن الاستقرار والتفرغ للتأليف .

ج-زمن ظهور السنة وأهلها يختلف كتابة العلوم فيه وانتشارها وتوسعها عن الزمن الذي تحارب فيه السنة وتظهر فيه البدع وكتبها.

رابعاً : عامل المكان :

أ-لا شك أن هناك فرقاً بين من يكتب ويدون وهو في حواضر العلم والسنة والذي يدون في الحواضر البعيدة عن السنة وأهلها .

فمن دوّن في المدينة ومكة يختلف عمن دون في خراسان وما وراء النهر هذا في المجموع والغالب وليس في كل الأحوال ، ولهذا اعتذر عن الإمام أبي حنيفة لما أكثر من الأخذ بالرأي وترك السنة بأنه في العراق ولم تصله كثير من الأحاديث بخلاف الأئمة الذين كانوا بالمدينة ومكة ونحوها .

ب-قد يكون في بعض الأماكن ما يستوجب بسط الكلام عن قضية عقدية محددة لانتشارها والحاجة إليها في ذلك البلد ، ولا تدعوا الحاجة إليها في بلد آخر فالمؤلف يختصر القول فيها أو لا يتكلم فيها أصلاً فخذ مثلاً الإمام عبد الرزاق الصنعاني لما ألف كتابة المصنف عقد للحديث عن أهل الكتاب بابين .

فترجم أحد الأبواب بقوله : " **كتاب أهل الكتاب** "(١) .

وعقد باباً آخر بعنوان : " **كتاب أهل الكتابين** "(٢) .

---

(١) انظر : المصنف (٧/ ٣-١٣٢).

(٢) المصنف (١٠/ ٣١١-٣٧٧).

ولعل السبب في هذا أن أرض اليمن كانت موطناً لأهل الكتاب فاهتم -رحمه الله- بهم وبأحكامهم لأن المكان الذي هو فيه اضطره للحديث بتوسع عنهم .

خامساً : الفتن التي تعم بلداً أو عموم أهل السنة أو عالماً بعينه :

كل هذا له أثر في المنهج في التدوين فخذ على سبيل المثال :

أ-فتنة القول بخلق القرآن:

لما عمت البلوى فيها علماء أهل السنة اهتموا للتأليف فيها والرد على المخالفين فتوسعوا في الرد على هذه البدعة والفتنة .

ب-فتنة اللفظ التي تعرض لها الإمام البخاري مع شيخه الذهلي :

فنجد أن الإمام البخاري ظهر أثرها عليه من خلال مؤلفاته ، فألف كتاباً مستقلاً في خلق أفعال العباد وعقد عدة أبواب في الصحيح يرد ويقرر حول هذه المسألة انظر على سبيل المثال :

كتاب التوحيد ضمن صحيحه من الباب رقم (٤٠-٤٧) كانت هذه الأبواب حول قضية خلق أفعال العباد واللفظ ، وذلك لأن الكلام حول هذه القضية انتشر في عصره وهو ممن أوذي بسببها -رحمه الله- وليس المجال هنا لسرد هذه الفتنة فهي معروفة ومشهورة .

سادساً : قوة العالم وعمق فهمه وفقهه :

إن التباين بين بعض المصنفات قد يرجع في بعض الأحيان لقوة علم المصنف أو عمق فهمه ، فالناظر في كتب السنة وتبويبهم لا شك أنه يظهر لديه عمق فهمهم وفقههم ولكن الذي له القدح المعلى ، والسبق في الفقه والاستنباط هو الإمام البخاري -رحمه الله- فكان هذا من العوامل التي كان لها الأثر في تغيير المنهج في التأليف ، فإن الإمام البخاري لم يسبق أن جاء مؤلف قبله صنع في التراجم مثل صنيعه واستنبط مثل استنباطاته وكل من أتى بعده في الغالب فهو عالة عليه -رحمه الله- رحمة واسعة .

وهذا كذلك واضح في المتأخرين مثل شيخ الإسلام الذي جدد المنهج في مجال التصنيف والتأليف رحم الله علماء المسلمين رحمة واسعة .

سابعاً: اختلاف الأغراض في التصنيف :

فالذي يصنف لبيان عقيدة أهل السنة يختلف عمن أراد الرد على أهل البدع ، والذي ألف للرد على الزنادقة يختلف عمن ألف في الرد على من انحرف من أهل الإسلام ، والذي ألف في الرد على المخالف من أهل السنة تختلف طريقته عمن ألف في الرد على أهل البدع، وهكذا .

قال ابن الأثير :" فاختلاف الأغراض هو الداعي إلى اختلاف التصانيف"أ.هـ [1] .

هـ-بيان أهمية ومكانة دواوين السنة ويشتمل :

أ-التعريف بالمصطلحات التي تطلق على الجوامع الحديثية.

ب-التعريف الموجز بأهم الجوامع الحديثية ومؤلفيها خلال القرون الثلاثة الأولى وبيان أهميتها ومكانتها.

أ- التعريف بالمصطلحات التي تطلق على الجوامع الحديثية :

لما بدأ أهل العلم بكتابة الحديث وجمعه في دواوين اختلفت مسمياتهم لهذه الدواوين التي تجمع هذه الأحاديث ولعل من أشهر هذه المصطلحات ما يلي :

الجوامع – المسانيد – السنن – المعاجم .

الجوامع :

هي الكتب التي اشتملت على أبواب الدين ، وبعضهم يذكر أنهم اصطلحوا على أنها مما اشتملت على الأبواب التالية :

١-العقائد .

٢-الأحكام .

٣-الرقائق .

---

(١) جامع الأصول لابن الأثير (١/ ٤٦)تحقيق الأرناؤوط ط.دار الفكر ط.الثانية ١٤٠٣هـ.

٤-الآداب .

٥-التفسير والتاريخ والسير .

٦-الشمائل .

٧- الفتن .

٨-المناقب .

ولعل من أبرز أمثلتها صحيح البخاري وجامع الترمذي .[١]

ومما يلحق بهذا النوع المستخرجات والمستدركات على الجوامع[٢] .

المستخرجات هي :

أن يأتي المصنف إلى الكتاب " مثل الصحاح أو السنن " فيخرج أحاديثه بأسانيد لنفسه من طريق غير طريق صاحب الكتاب فيجتمع معه في شيخه أو من فوقه[٣] .

ومن الأمثلة على هذه المستخرجات في القرون الثلاثة الأولى :

الصحيح المستخرج على صحيح مسلم لأبي بكر الأسفراييني ت (٢٨٦هـ) .[٤]

وكثرت المستخرجات بعد القرون الثلاثة الأولى .

المستدركات هي :

كتاب يستدرك فيه مؤلفه ما فات مؤلفاً آخر في كتاب له على شرطه .

ومن أشهرها المستدرك على الصحيحين للحاكم ت (٤٠٥هـ)[٥] .

السنن :

هي الكتب المرتبة على الأبواب الفقهية ، وليس فيها شيء من الموقوف إلا ما ندر

---

(١) الحديث النبوي : مصطلحه ، بلاغته ، كتبه د.محمد الصباغ ص٢٨٤ ط. المكتب الإسلامي ط. الخامسة ١٤٠٧هـ.

(٢) أصول التخريج ودراسة الأسانيد د. الطحان ص١٠٨ ط. دار القرآن الكريم بيروت ط. الثالثة ط. ١٤٠١هـ.

(٣) انظر: فتح المغيث للسخاوي (١/ ٤٤) ط. دار الطبري بتحقيق: علي حسين علي ط. الثانية ١٤١٢هـ.

(٤) انظر: السير (١٣/ ٤٩٢)، وسيأتي الكلام عليه .

(٥) الحديث النبوي ص ٢٨٦.

مثاله سنن أبي داوّد [١] .

المصنفات والموطآت:

وهي التي يكون ترتيبها كترتيب السنن من حيث الأبواب ولكنها تعتني بالدرجة الأولى بذكر الآثار الموقوفة والمقطوعة وإن كان موطأ مالك المرفوع فيه أكثر من الموقوف ومن أبرز المصنفات التي لها عناية بالموقوفات والمقطوعات : مصنفا عبد الرزاق و ابن أبي شيبة .

الفرق بين المصنفات والسنن:

" أن المصنف يشتمل على الأحاديث المرفوعة والموقوفة والمقطوعة على حين أن السنن لا تشتمل على غير الأحاديث المرفوعة إلا نادراً لأن الأحاديث الموقوفة والمقطوعة لا تسمى في اصطلاحهم سنناً " .[٢]

المسانيد :

هي الكتب التي ذكرت الأحاديث فيه حسب ترتيب أسماء الصحابة ولكن ترتيب أسماء الصحابة داخل هذا المسند تختلف طريقته من عالم إلى آخر .

- فهناك من يعتمد السابقة للإسلام كمسند الإمام أحمد .
- وهناك من يعتمد الأنساب .
- وهناك من يعتمد الترتيب الهجائي [٣] .

ومن المسانيد ما صنف مؤلفه أحاديث كل صحابي على أبواب الفقه مثل مسند بقي بن مخلد الأندلسي (وسيأتي الكلام عليه) [٤] وكذلك مسند يعقوب بن حميد بن كاسب (وسيأتي الكلام عليه) [٥] .

---

(١) الرسالة المستطرفة للكتاني ص٣٢ ط.سنة ١٣٧٩هـ ، والحديث النبوي ص٢٧٨ ، وأصول التخريج ص ١٠٨.

(٢) أصول التخريج للطحان ص١٣٤ .

(٣) الحديث النبوي ص ٢٨٤ ، ومفتاح السنة للخولي ص ٣٠ ، ط. دار الكتب العلمية ط. الرابعة ١٤٠٣هـ.

(٤) السير (١٣/ ٢٩١).

(٥) السير (١١/ ١٥٩).

المعاجم :

ما تذكر فيه الأحاديث مرتبة على الصحابة (كمعجم الطبراني الكبير) ، أو الشيوخ (كمعجم ابن الأعرابي) أو البلدان [1] .

ب- التعريف الموجز بأهم الجوامع الحديثية ومؤلفيها خلال القرون الثلاثة الأولى وبيان أهميتها ومكانتها:

ولعلنا نذكر أهم الجوامع والتي هي متوفرة بين أيدينا ، وقد قمت بترتيبها حسب تقدم وفاة مؤلفيها :

١- الجامع لمعمر ت (١٥٣هـ).

٢- الموطأ للإمام مالك ت (١٧٩هـ).

٣- الجامع لابن وهب ت (١٩٧هـ).

٤- المصنف لعبد الرزاق الصنعاني ت (٢١١هـ).

٥- سنن سعيد بن منصور ت (٢٢٧هـ) .

٦- المصنف لأبي بكر بن أبي شيبة ت (٢٣٥هـ) .

٧- سنن الدارمي ت (٢٥٥هـ).

٨- صحيح الإمام البخاري ت(٢٥٦هـ) .

٩- صحيح الإمام مسلم ت (٢٦١هـ).

١٠- سنن ابن ماجه ت (٢٧٣هـ).

١١- سنن أبي داوود ت (٢٧٥هـ).

١٢- جامع(سنن) الترمذي ت (٢٧٩هـ).

---

(١) الحديث النبوي ص٢٨٥.

١ -"الجامع "[(١)] للإمام معمر بن راشد ت (١٥٣هـ).

ترجمة موجزة للمؤلف [(٢)]:

هو الإمام معمر بن راشد ، أبو عروة بن أبي عمرو الأزوري مولاهم البصري نزيل اليمن، كان من أهل البصرة فانتقل إلى اليمن ومكث فيها إلى أن مات ، وكان من أوعية العلم ، ومن المحدثين الأثبات ، وكان يُرحل إليه لأخذ العلم عنه وأشهر من روى عنه ونشر علمه هو الإمام عبد الرزاق الصنعاني صاحب المصنف .

وقال عنه الذهبي : " حسن التصنيف " أ.هـ. [(٣)]

طريقة ترتيب الجامع إجمالاً :

ليس للكتاب طريقة واضحة بل هو ترتيب لا يلتزم طريقه واحدة بل يذكر الآداب ثم بعض الأحكام ثم بعض مسائل الاعتقاد ثم يعود للآداب مرة أخرى وهكذا .

ولهذا لم يظهر الترتيب بشكل موضوعي إلا متأخراً كما في صحيح البخاري والسنن.

وعندي أن هذا التبويب داخل الجامع يبعد أن يكون من صنيع الإمام معمر - خاصَّة وأنه وصِف بأنه حسن التصنيف- لعدة أمور :

أ- عدم التناسق والترتيب بين الأبواب .

---

(١) طبع الجامع في آخر كتاب المصنف لعبد الرزاق بتحقيق الأعظمي . وبعض المعاصرين يرى أن الجامع المطبوع في آخر المصنف ليس لمعمر وقد أفادني د. إبراهيم بن ناصر الناصر بأن الشيخ حماد الأنصاري – رحمه الله- ممن يرى هذا الرأي ، وذكر لي كذلك أنه – أي د. الناصر – اتصل بفؤاد سزكين وأفاده بأنه أطلع على نسخة خطية للجامع وأنها هي نفسها التي في آخر المصنف سوى فروق يسيرة لا تذكر " .وذكر سزكين أن له نسخ خطية :الأولى : في صائب بأنقرة برقم (٢١٦٤) ٧٩ورقة ، والثانية : في فيض الله برقم (٥٤١) (من ٩٢أ-٢١٣أ) ، وفيض الله برقم (٥٠٧) / ١٢ (١١٢أ-١٢١ب).
الظاهرية حديث ٣٦٧ (فهرس معهد المخطوطات العربية ١/ ٧٢).
الكتاني بالرباط (٣٣٢) (ص٣٥٦-٦٠٩نسخة حديثة).

(٢) انظر : الطبقات لابن سعد (٥/ ٣٩٧) ، السير (٧/ ٥) ، التهذيب (١٠/ ٢١٨).

(٣) السير (٧/ ٦).

ب- أن الذي كان سائداً في عصره ومعروفاً ما يسمى بالنسخ الحديثية كما ذكر ذلك في ترجمته [١] .

ج- التكرار في التبويب فقد عقد باباً للطيرة ثم كرره مرة آخرى [٢] ، وهذا يدل على أن معمر كان يسرد الحديث سرداً دون الالتفات إلى التبويب .

أهم الأبواب العقدية التي ذكرت ضمن جامع معمر :

- باب في التماثيل وما جاء فيه .[٣]
- باب الطيرة .[٤]
- باب الطيرة .[٥]
- باب أسماء الله تبارك وتعالى .[٦]
- باب النشر وما جاء فيه .[٧]
- باب الرقى والعين والنفث .[٨]
- باب قول الرجل ما شاء الله وشئت .[٩]
- باب لا يقول أحد ربّي ولا ربّتي .[١٠]
- باب القدر .[١١]
- باب الإسلام والإيمان .[١٢]

(١) السير (٧/ ١٢).
(٢) المصنف (١٠/ ٤٠٢-٤٠٦).
(٣) المصنف (١٠/ ٣٩٧).
(٤) المصنف (١٠/ ٤٠٢).
(٥) المصنف (١٠/ ٤٠٦).
(٦) المصنف (١٠/ ٤٤٥).
(٧) المصنف (١١/ ١٣).
(٨) المصنف (١١/ ١٤).
(٩) المصنف (١١/ ٢٧).
(١٠) المصنف (١١/ ٤٥).
(١١) المصنف (١١/ ١١١).
(١٢) المصنف (١١/ ١٢٦).

- باب الأخذه [١] والتمائم .[٢]
- باب الكاهن .[٣]
- باب لزوم الجماعة .[٤]
- باب الفتن .[٥]
- باب المهدي .[٦]
- باب أشراط الساعة .[٧]
- باب الدجال .[٨]
- باب نزول عيسى .[٩]
- باب قيام الساعة .[١٠]
- باب الحوض .[١١]
- باب من يخرج من النار .[١٢]
- باب وصف الجنة .[١٣]
- باب وصف النار .[١٤]

---

(١) الأخذة:التأخيذ حبس السواحر أزواجهن عن غيرهنَّ من النساء.انظر:النهاية في غريب الحديث(١/ ٢٨)
(٢) المصنف (١١/ ٢٠٨).
(٣) المصنف (١١/ ٢٠٩).
(٤)المصنف (١١/ ٣٣٩).
(٥) المصنف (١١/ ٣٤٩).
(٦) المصنف (١١/ ٣٧١).
(٧) المصنف (١١/ ٣٧٤).
(٨) المصنف (١١/ ٣٨٩).
(٩) المصنف (١١/ ٣٩٩).
(١٠) المصنف (١١/ ٤٠٢).
(١١) المصنف (١١/ ٤٠٤).
(١٢) المصنف (١١/ ٤٠٧).
(١٣) المصنف (١١/ ٤١٣).
(١٤) المصنف (١١/ ٤٢١).

٢- الموطأ للإمام مالك ت(١٧٩هـ) .

ترجمة موجزة للمؤلف [(١)]:

هو أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي المدني ، إمام دار الهجرة كان مولده سنة(٩٣هـ).

أخذ العلم عن كبار علماء المدينة كربيعة الرأي ، والزهري ، ونافع مولى عمر ، وغيرهم كثير ، وقد تأهل للفتيا وهو ابن إحدى وعشرين سنة فقط .

وله طلاب كثر من مشارق الأرض ومغاربها ، كانت وفاته سنة (١٧٩هـ) -رحمه الله - رحمة واسعة وكان من أعظم مؤلفاته هو كتاب الموطأ وهو الذي بين أيدينا الآن .

الموطأ وأهميته وطريقة ترتيبه: [(٢)]

صنف الإمام مالك الموطأ وتوخى فيه القوي من أحاديث أهل الحجاز ، وساق فيه الكثير من المراسيل وأقوال الصحابة والتابعين وآراؤه الفقهيه .

ورتبه على ترتيب كتب الفقه المعروفه ، ولعله يعد من أول من رتب وبّوب الكتب.

وقيل في سبب تسميته للموطأ : أن علماء المدينة قد واطؤوه عليه فأصبح كتابه هذا جامعاً للكثير من الأحاديث الصحيحة .

قال الخطيب - عند ذكر المصنفات في الأحكام المسندة - :" ..وأما موطأ مالك ابن أنس ، فهو المقدم في هذا النوع ويجب أن يبتدأ بذكره على كل كتاب لغيره .." أ.هـ. [(٣)]

وقال الشافعي : " ما كتاب بعد كتاب الله أنفع من موطأ مالك " أ.هـ [(٤)]

وقد وردت إلينا روايات للموطأ بينها اختلافات من عدة وجوه :

---

(١) انظر : السير (٨/ ٤٣) ، ومقدمة تحقيق الموطأ برواية الزهري (٦-٣٢).

(٢) انظر: مقدمة تحقيق الموطأ برواية الزهري ص٣٣ د. بشار عواد ومحمود محمد خليل، وانظر : موطأ مالك رواية محمد بن الحسن الشيباني مع التعليق الممجد للكنو [illegible] ٦٤-٧٠) تحقيق د. تقي الدين الندوي ط. دار السنة والسير ، دار القلم . دمشق ط. الأولى ١٢ [illegible]

(٣) الجامع للخطيب (٢/ ١٨٦).

(٤) الجامع (٢/ ١٨٦).

١- من حيث ترتيب الكتب والأبواب .

٢- من حيث عدد الأحاديث المرفوعة .

٣- مختلفة في الأحاديث المرسلة والموقوفة والبلاغات .

وكان السبب في هذا الاختلاف تفاوت الزمن في الأخذ عن الإمام لأنه رحمه الله كان ينظر فيه ويُعدل ويزيد وينقص .

قال القاضي عياض : " قال عتيق الزبيري : وضع مالك الموطأ على نحو من عشرة الآلف حديث ، فلم يزل ينظر فيه كل سنة ، ويسقط منه حتى بقي هذا ، ولو بقي قليلاً لأسقط كله " أ.هـ [١] .

وأشهر روايات الموطأ :

١- رواية يحي بن يحي الليثي. [٢]

٢- رواية محمد بن الحسن الشيباني . [٣]

٣- رواية أبي مصعب الزهري وهي أكبر وأكثرهما من حيث عدد الأحاديث . [٤]

وقد عقد كتباً رئيسية ثم أدرج تحتها أبواباً تفصيلية ، وعقد كتاباً اسماه " الجامع " حوى بعض أبواب الآداب والأخلاق وبعض مسائل العقيدة والرقاق .

وقد اعتنى به جمع من العلماء من أهم شروحه :

١- التمهيد لابن عبد البر ت(٤٦٣هـ).

٢- الاستذكار لابن عبد البر ت(٤٦٣هـ).

٣- تنوير الحوالك للسيوطي ت(٩١١هـ).

٤- شرح الإمام الزرقاني على الموطأ ت(١١٢٢هـ).

---

(١) ترتيب المدارك (٢/ ٧٣).

(٢) طبعت هذه الرواية بتحقيق فؤاد عبد الباقي ، وله طبعة أخرى من إعداد أحمد راتب عرموش ط. دار النفائس ط. العاشرة ١٤٠٧هـ.

(٣) طبعت مع التعليق الممجد للكنوي بتحقيق د. تقي الدين الندوي ط. دار السنة ودار القلم ط. الأولى عام ١٤١٢هـ.

(٤) طبعت بتحقيق د. بشار عواد ومحمود محمد خليل ط. مؤسسة الرسالة ط. الثانية ١٤١٣هـ.

الأبواب العقدية في الموطأ (رواية أبي مصعب الزهري):

وقبل البدء لابد من التنبيه على ما يلي :

١ - قلة أبواب الاعتقاد في الموطأ وذلك نتيجة لقلة البدع حيث كان الإمام في المدينة معقل أهل الإسلام وفيها منبع الرسالة .

٢ - أن جميع أبواب الاعتقاد ضمنها في كتاب الجامع ضمن الموطأ وهي كالتالي :

- باب ما جاء في اليهود .[١]
- باب النهي عن القول بالقدر .[٢]
-باب جامع ما جاء في القدر .[٣]
-باب صفة عيسى ابن مريم والدجال .[٤]
-باب ما جاء في المشرق .[٥]
-باب في صفة جهنم .[٦]

٣-"الجامع "[٧] لابن وهب ت (١٩٧هـ).

ترجمة موجزة للمؤلف:[٨]

هو عبد الله بن وهب بن مسلم أبو محمد المصري القرشي الفهري بالولاء ، وقيل كان ولاءه للأنصار ، كان ملازماً للإمام مالك وأخذ عنه علمه ، فقد لازمه عشرين سنة [٩]

---

(١) الموطأ كتاب الجامع (٢/ ٦٢).
(٢) الموطأ كتاب الجامع (٢/ ٦٨).
(٣) الموطأ كتاب الجامع (٢/ ٧١).
(٤) الموطأ كتاب الجامع (٢/ ٩٢).
(٥) الموطأ كتاب الجامع (٢/ ١٥٤).
(٦) الموطأ كتاب الجامع (٢/ ١٧٣).
(٧) طبع سنة ١٩٣٩ بالقاهرة بتحقيق د. ديفيد ويل – المعهد الفرنسي وطبع مؤخراً بتحقيق د. مصطفى أبو الخير ط. دار ابن الجوزي ط. الأولى عام ١٤١٦هـ.
(٨) انظر : ترتيب المدارك (٣/ ٢٢٨) ، السير (٩/ ٢٢٣).
(٩) ترتيب المدارك (٣/ ٢٣٠).

وقال عنه الإمام مالك " ابن وهب إمام عالم [١] " ، وحسبك بهذه الشهادة من مثل هذا الإمام .

قال أصبغ :"ابن وهب أعلم أصحاب مالك بالسنن والآثار"[٢]

وكان ابن القاسم يقول : " لو مات ابن عيينة ، لضربنا إلى ابن وهب أكباد الإبل ، ما دون أحد العلم تدوينه "[٣] ،كانت وفاته سنة (١٩٧هـ).

الجامع وأهميته وطريقة ترتيبه :

كان الجامع لابن وهب له مكانه عظيمة عند علماء عصره لدرجة أنهم كانوا يكتبونه ويتناقلونه لكي يحفظ .

فقد جاء في ترجمة أحد شيوخ ابن وهب وهو ابن مطروح أنه كتب جامع ابن وهب[٤].

وجاء في ترجمة عبد الجبار السرتي [٥] : قال ابن اللباد : " كنا نسمع على عبد الجبار في جامع ابن وهب ..."أ.هـ [٦]

وقد بلغت أحاديثه سبع عشرة وسبعمائة ما بين مرفوع وموقوف ومقطوع [٧]

وهذا العدد للمطبوع فقط ، ولا نعلم عدد الأحاديث في الكتاب الأصلي .

ويظهر أن ابن وهب جمع كتبه الصغار وجعلها في كتاب واحد وهو كتاب الجامع الذي بين أيدينا ، فقد جاء في ترجمته أن من مؤلفاته كتاب :" الأهوال " قال القاضي عياض :" وبعضهم يضيفها إلى الجامع [٨]".

---

(١) المصدر السابق (٣/ ٢٣١).
(٢) المصدر السابق (٣/ ٢٣٣).
(٣) المصدر السابق (٣/ ٢٣٤).
(٤) ترتيب المدارك (٤/ ٢٥٠).
(٥) هو عبد الجبار بن خالد بن عمران أبو حفص من كبار أصحاب السحنون ،سمع من السجلماسي والحفري وغيرهم، وسمع منه أبو العرب وابن الباد وغيرهم ،كان ذا رياسة في العلم ونظرٍ تام ويضرب به المثل في العلم والدين، كانت وفاته سنة ٢٨١هـ.انظر: ترتيب المدارك (٤/ ٣٨٤-٣٨٨).
(٦) ترتيب المدارك (٤/ ٣٨٦).
(٧) مقدمة الجامع ط. دار ابن الجوزي ص٢٨.
(٨) ترتيب المدارك (٣/ ٢٤٢).

قلت ومثله كتاب :" لا هام ولا صفر "[١].

أبواب الاعتقاد التي اشتملها كتاب الجامع :

-" في الطيرة والعدوى والهام والصفر والغول "[٢] الأحاديث من رقم(٦٢٢-٦٣٢).

-"عاهت وقدر ".[٣] الأحاديث من رقم (٦٣٣-٦٦٠).

-" في التمايم والتِّوَل والنفس "[٤] الأحاديث من رقم (٦٦١-٦٩٨).

-"ماجاء في الرقية " .[٥] الأحاديث رقم (٦٩٩-٧١٧).

٤- "المصنف "[٦] للإمام عبد الرزاق الصنعاني ت (٢١١هـ).

ترجمة موجز للمؤلف[٧]:

هو عبد الرزاق بن همام بن نافع أبو بكر الحميري مولاهم الصنعاني عالم اليمن ، الحافظ الكبير حدث عن الأوزاعي والثوري ومالك وغيرهم كثير وعنه ابن عيينه وأحمد بن حنبل وابن المديني ويحي بن معين وغيرهم كثير .

قال علي بن المديني : قال لي هشام بن يوسف :"كان عبد الرزاق أعلمنا وأحفظنا "[٨].

قال الحافظ ابن حجر : " ثقة حافظ ، مصنف شهير ، عمي في آخر عمره فتغير وكان يتشيع "[٩]أ.هـ .

وقال أحمد بن صالح :" قلت لأحمد بن حنبل :رأيت أحسن حديثاً من عبد الرزاق

---

(١) مقدمة جامع ابن وهب ص٢٨.

(٢) الجامع لابن وهب (٢/ ٧١٥).

(٣)الجامع (٢/ ٧٢٥)، ويظهر لي من خلال الاطلاع على أحاديث هذا الباب أن بعض الأحاديث تابعة للباب الذي قبل وأُدخلت ضمن هذا الباب خطأً ولعله من بعض النساخ .

(٤) الجامع (٢/ ٧٤٧).

(٥) الجامع (٢/ ٧٧٧).

(٦) طبع المصنف بتحقيق الدكتور حبيب الرحمن الأعظمي ط. المكتب الإسلامي ط. الثلنية ١٤٠٣هـ . ومعه كتاب الجامع لمعمر .

(٧) انظر : السير (٩/ ٥٦٣) ، التقريب ص٦٠٧.

(٨) السير (٩/ ٥٦٦).

(٩) التقريب ص٦٠٧.

؟ قال :لا "[١].

"المصنف " وأهميته وترتيبه :

قال عنه الذهبي :" وهو خزانة علم .." [٢].

ولعل من أهم ما يميز هذا الكتاب هو احتواءه على الآثار عن الصحابة والتابعين في حين أنها لا توجد في كثير من كتب السنة ، ولهذا حرص السلف أمثال الإمام أحمد وابن معين والمديني على الأخذ منه لأنه كما قال عنه الذهبي خزانة علم .

قال الجعدي : " وله تصنيف مليح ترويه الحنابلة في بغداد مسنداً إلى أحمد " [٣].

أبواب الاعتقاد التي اشتملها المصنف :

-باب من سب رسول الله ﷺ كيف يصنع به [٤].

-كتاب أهل الكتاب [٥].

-كتاب أهل الكتابين [٦].

-الحلف بغير الله [٧].

-الحلف بالقرآن والحكم فيه [٨].

-باب من حلف على ملة غير الإسلام [٩].

٥- "السنن " [١٠] لـ سعيد ابن منصور ت (٢٢٧ هـ).

---

(١) ميزان الاعتدال (٣/ ٣٢٨) للذهبي بتحقيق البجاوي ط. دار الفكر العربي .

(٢) ميزان الاعتدال (٣/ ٣٢٣).

(٣) طبقات فقهاء اليمن لعمر بن علي الجعدي ص٦٨ ط. دار الكتب العلمية – بيروت ط. الثانية ١٤٠١هـ بتحقيق فؤاد السيد .

(٤) المصنف : كتاب الجهاد (٥/ ٣٠٧).

(٥) المصنف (٦/ ٣-١٣٢)، وذكر فيه المسائل التي تخص معاملة أهل الكتاب وجعلها على شكل أبواب .

(٦) المصنف (١٠/ ٣١١-٣٧٧) ، وهو أيضاً ذكر لبعض المسائل التي تخص أهل الكتاب .

(٧) المصنف (٨/ ٤٦٩).

(٨) المصنف (٨/ ٤٧٢).

(٩) المصنف (٨/ ٤٧٩).

(١٠) طبع الكتاب ناقصاً فلم يطبع إلّا الجزء الثالث منه بتحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي .ثم يسر الله وعثر الدكتور سعد الحميد – حفظه الله – على نسخة خطيه تمثل نصف الكتاب أو أكثر وقام بإخراج جزءٍ

ترجمة موجزة للمؤلف [1]:

● هو أبو عثمان سعيد بن منصور بن شعبة البزاز الخرساني النيسابوري الجوزجاني البلخي ، المروزي .

وقد طاف البلاد شرقاً وغرباً وأخذ عن علماء عصره ومن أشهر من أخذ عنهم : الإمام مالك وابن المبارك وابن عيينة وغيرهم كثير وعنه أخذ كبار الأئمة ومن أشهرهم : الإمام أحمد بن حنبل ، والبخاري ومسلم وأبو داوّد وغيرهم كثير .

قال سلمة بن شبيب : " وذكرت له – أي الإمام أحمد – سعيد ابن منصور فأحسن الثناء عليه وفخَّم أمره " [2].

وقال عنه ابن حبان : " كان ممن جمع وصنف ، وكان من المتقنين الأثبات " [3].

وقال عنه الكلبي في كتابه العلم المشهور : " وأسنده الإمام المجمع على عدالته ، المتفق في الصحيحين على إخراج حديثه وروايته ... " [4].

وكان رحمه الله من أعلام أهل السنة الذين دافعوا ونشروا عقيدة أهل السنة ووقفوا أمام أهل البدع ويشهد لهذا تعليقاته على الآيات والأحاديث في سننه وما نقله الأئمة في ترجمته [5].

كتابه "السنن":

أهميته ومكانته :

= منها في خمسة أجزاء ولم ينته بعد من إكمال تحقيق الكتاب يسَّر الله نشره وطباعته ويعتبر عمل الشيخ في تحقيق الكتاب عملاً متميزاً وجهداً مباركاً أبان فيه الشيخ عن مقدرةٍ فائقة في تخصصه ألا وهو" الحديث وعلومه"نفع الله به وبعلمه ،والكتاب طبع في دار الصميعي – الرياض ط. الأولى ١٤١٤هـ.

(١) انظر : السير (١٠/ ٥٨٦-٥٩٠) ، وانظر: ترجمة وافيه كافية تغنيك عن كثير من المراجع وهي مقدمة لشيخ د. سعد الحميد لسنن سعيد بن منصور الطبعة الجديدة .(وقد جاءت ترجمة حافلة في ١٢٨ صفحة).

(٢) الجرح والتعديل (٤/ ٦٨ برقم (٢٨٤) .

(٣) الثقات لابن حبان (٨/ ٢٦٨-٢٦٩) ط. مجلس دائرة المعارف العثمانية الهند ط. الأولى .

(٤) نقلاً عن مقدمة السنن (ص١٠٨- ١٠٩).

(٥) انظر : مقدمة السنن عقد مبحثاً بعنوانه (عقيدته) ص١١٥ .

قال الخطيب البغدادي -مبيناً أحق الكتب بالتقديم- :"... ثم الكتب المصنفة في الأحكام الجامعة للمسانيد وغير المسانيد ...(وذكر منها) : سنن سعيد بن منصور "[1] أ.هـ.

وقال ابن نقطة في ترجمة سعيد ابن منصور : " صنف كتاب السنن وجمع فيها من أقوال الصحابة والتابعين وفتاويهم ما لم يجمعه غيره " [2]أ.هـ.

وقال الخطيب : " وله كتاب في السنن والأحكام كبير وحديثه مشهور ..." [3]أ.هـ.

وقال الحافظ ابن كثير :" سعيد بن منصور صاحب السنن المشهورة التي لا يشاركه فيها إلّا القليل " [4] أ.هـ.

ويقول الذهبي:"من نظر سنن سعيد بن منصور عرف حفظ الرجل وجلالته" [5]أ.هـ.

ويقول ابن خير الاشبيلي :" وهذا المصنف من رفيع الكتب ..." [6]أ.هـ.

ترتيبه إجمالاً :

جاء ترتيبه كغيره من السنن على أبواب الفقه إلا أنه خالف القاعدة وأودعه الكثير من الآثار الموقوفة والمقطوعة التي هي من خصائص المصنفات والموطآت ، ولكن هذه مصطلحات لا مشاحة فيها .

وهو يجعل تحت الكتب الرئيسية أبواباً تفصيلية كصنيع أصحاب السنن الأربعة ، والكتاب يدل على فقه المؤلف ودقة استنباطه رحمه الله [7] .

أبواب الاعتقاد التي اشتملها كتاب السنن :

---

(١) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/ ١٨٦) بتحقيق د. الطحان ط. مكتبة المعارف . الرياض ط. ١٤٠٣هـ.

(٢) التقييد لابن نقطة (٢/ ٢٨٧) بتحقيق كمال الحوت ط. دار الكتب العلمية –بيروت .ط. الأولى ١٤٠٨هـ.

(٣)المتفق والمفترق (١١٠٧/ أ) (نقلاً عن مقدمة الحميّد للسنن ص٢١٦).

(٤) البداية والنهاية : (١٠/ ٣١٢).

(٥) تاريخ الإسلام (ص١٨٦ وفيات ٢٢١-٢٣٠) (نقلاً عن مقدمة الحميّد لسنن ص ٢١١).

(٦) فهرست ابن خير ص١٣٦ (نقلاً عن المقدمة ص١٦٧).

(٧) انظر : مقدمة الحميّد ص ١٨٤ . وسيأتي مزيد بيان عند الحديث عن المنهج في الترتيب والتبويب في الجوامع الحديثية .

لقد ظهر من خلال الأبواب عناية هذا الإمام بعقيدة أهل السنة والرد على المخالفين، وكذلك من خلال تعليقه على الأحاديث والآثار التي يوردها، والأبواب كالتالي:

-باب ما جاء في التوكل على الله [١].

-باب ما جاء في لزوم الجماعة [٢].

-باب في الأئمة المضلين [٣].

-باب ما جاء بمن وكلت الفتنة [٤].

-باب في فضل عثمان بن عفان [٥].

-باب ما جاء في الشفاعة [٦].

-باب ما جاء في القدر [٧].

-باب ما جاء في النهي عن مجالسة أهل الأهواء [٨].

-باب النهي عن الاستماع إلى أهل البدع [٩].

-باب نزول عيسى بن مريم وفتح الروم [١٠].

-باب في النهي عن سب أصحاب النبي ﷺ واللعنة على من سبهم [١١].

-باب ما جاء في خيار الأئمة [١٢].

---

(١) السنن (مخطوط ل (١٩٨/ أ)).
(٢) (ل ١٩٨/ أ).
(٣) (ل١٩٨/ ب).
(٤) (ل٢٠٢/ ب).
(٥) (ل٢١٣/ أ).
(٦) (ل٢١٦/ أ-٢١٧ب).
(٧) (ل٢١٧/ أ-٢١٨/ ب).
(٨) (ل٢١٨/ ب-٢١٩/ أ).
(٩) (ل-٢٢/ ب).
(١٠) (ل٢٢٠/ ب).
(١١) (ل٢٢٣/ أ-٢٢٣/ ب).
(١٢) (ل٢٢٤/ ب-٢٢٥/ ب).

-باب ما جاء في فضيلة الحسن والحسين ابني علي [(١)].

٦- " المصنف " [(٢)] لأبي بكر بن أبي شيبة ت(٢٣٥هـ).

ترجمة موجزة للمؤلف [(٣)]:

هو عبد الله بن محمد بن إبراهيم أبي شيبة بن عثمان العبسي مولاهم المشهور بأبي بكر بن أبي شيبة .

وطلب العلم ورحل وتنقل في جمع الحديث حتى صار إماماً علماً في هذا الشأن وكان بيته كلهم بيت علم ، قال عبد الحميد الحماني :" أولاد ابن أبي شيبة من أهل العلم كانوا يزاحموننا عند كل محدث "[(٤)] أ.هـ.

وقد أخذ عن كبار علماء عصره مثل : ابن عيينة و وكيع والقطان وغيرهم كثير .

وقد أخذ عنه العلم كذلك كبار المحدثين كالبخاري ومسلم والإمام أحمد بن حنبل وبقي بن مخلد وغيرهم كثير .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام :" ربانيو الحديث أربعة : فأعلمهم بالحلال والحرام : أحمد بن حنبل ، وأحسنهم صيانة وأداءً له : علي بن المديني ، وأحسنهم وضعاً للكتاب : ابن أبي شيبة ، وأعلمهم بصحيح الحديث وسقيمه : يحي بن معين " [(٥)] أ.هـ.

وقال أبو زرعة :" ما رأيت أحفظ من أبي بكر بن أبي شيبة ..." [(٦)] أ.هـ.

وذكر أنه في زمن المتوكل كان عدد الذين حضروا حلقة تحديثه ثلاثون ألفاً [(٧)].

---

(١) (ل٢٢٩/أ).

(٢) طبع بحيدر أباد – الدكن بتحقيق : عبد الخالق الأفغاني ، عن مطبعة العلوم الشرفية سنة ١٩٦٦م.
وطبع عدة طبعات تجارية سيئة مثل : طبعة دار الكتب – بيروت بتحقيق : محمد عبد السلام شاهين وطبعة دار الفكر – بتحقيق :اللحام .وقد طبع الجزء الأول محققاً من قبل : حمد الجمعة ومحمد اللحيدان – كتاب الطهارة فقط ط. الأولى ١٤١٦هـ . وهو تحقيق لابأس به ومقدمته جيدة .

(٣) انظر : تاريخ بغداد (١٠/ ٦٦) ، السير (١١/ ١٢٣) ، مقدمة التحقيق للجزء الخاص بالطهارة ص١٠-١٩ .

(٤) السير (١١/ ١٢٣) ، تاريخ بغداد (١٠/ ٦٨).

(٥) تاريخ بغداد (١٠/ ٦٩).

(٦) تاريخ بغداد (١٠/ ٦٩).

(٧) تاريخ بغداد (١٠ / ٦٧).

كتابه "المصنف":

أهميته ومكانته :

قال ابن كثير:"صاحب" المصنف" الذي لم يصنف أحد مثله قط قبله ولا بعده "[١] أ.هـ.

وذكر ابن أبي يعلى في ترجمة الخلال أن رجلاً قال : " أريد رجلاً يكتب لي من كتاب الصلاة ما ليس في كتاب ابن أبي شيبة ..."[٢] أ.هـ ، وهذا يدل على علو منزلة الكتاب في عصرهم .

وقال حاجي خليفة : " ..وهو كتاب كبير جداً جمع فيه فتاوى التابعين وأقوال الصحابة وأحاديث الرسول ﷺ على طريقة المحدثين بالأسانيد مرتباً على الكتب والأبواب على ترتيب الفقه "[٣] أ.هـ.

وقال الذهبي :" وكان محمد بن عبد الرحمن الأموي – صاحب الأندلس – محباً للعلوم عارفاً ، فلما دخل بقيٌّ – يعني ابن مخلد – الأندلسي "بمصنف" أبي بكر بن أبي شيبة وقرىء عليه ، أنكر جماعة من أهل الرأي ما فيه من الخلاف ، واستبشعوه ونشطوا العامة عليه ، ومنعوه من قراءته ، فاستحضره صاحب الأندلس محمد وإياهم ، وتصفح الكتاب كله جزءاً جزءاً حتى أتى على آخره ، ثم قال لخازن الكتب : هذا كتاب لا تستغني خزانتنا عنه فانظر في نسخة لنا ثم قال لبقيّ : انشر علمك ، واروِ ما عندك ونهاهم أن يتعرضوا له "[٤] أ.هـ.

ترتيب الكتاب ومنهجه إجمالاً :

الكتاب يعني بالدرجة الأولى بالآثار عن الصحابة والتابعين ويستدل بالأحاديث المرفوعة ولكنها أقل بكثير من الموقوفات والمقطوعات .

وهو يجعل لكل قول في المسألة باباً مستقلاً ثم باباً آخر للرأي الآخر ولكن هذا

---

(١) البداية والنهاية (١٠/ ٣٢٨).

(٢) طبقات الحنابلة (١/ ٧٣).

(٣) كشف الظنون (٢/ ١٧١١-١٧١٢) ط. المكتبة الفيصلية .

(٤) السير (١٣/ ٢٨٨).

ليس مطرداً.

وعدد الأبواب عنده كبير أكثر من غيره من أصحاب المصنفات كما نص على ذلك الرامهرمزي في المحدث الفاصل [١].

ويظهر من خلال كتبه وأبوابه اهتمام المصنف بالفقه والاستنباط وقل من يجمع بين حفظ الروايات وفهم واستنباطات الفقهاء [٢].

ويظهر أنه لم يراجع ترتيب الأبواب التفصيلية داخل الكتاب فهي مبعثرة وقد يدخل بعضها في كتاب ليس تابعاً له ولعله من تصرف النساخ وأما الكتب فالغالب أنها لا بأس بها إلا كتاب الجهاد فإنه كرره مرتين ولعله من تصرف بعض النساخ ، وبعض الكتب لا توجد في بعض النسخ الخطية مما يؤكد أنه من تصرف بعض النساخ [٣] وقد يعلق المؤلف ويشرح بعض الكلمات الغريبة وهذا نادر [٤] .

أبواب الاعتقاد التي أشتملها الكتاب :

-كتاب الإيمان والرؤيا: [٥] وقد أشتمل على ستة أبواب مما له علاقة بالإيمان والأحاديث التي أوردها غالبها في كتابه الإيمان المطبوع مستقلاً بتحقيق الشيخ الألباني ؛ أما بقية الأبواب فهي حول الرؤيا .

-كتاب الجنة : ما ذكر في الجنة وما فيها مما أعد لأهلها [٦] .

-كتاب ذكر النار : ما ذكر فيما أعد لأهل النار وشدته [٧].

-كتاب ذكر رحمة الله : ما ذكر في سعة رحمة الله تعالى .

-كتاب الفتن : من كره الخروج في الفتنة وتعوذ منها [٨]. ما ذكر في فتنة

(١) انظر : مقدمة تحقيق المصنف للجمعة واللحيدان ص ٤١.
(٢) المصدر السابق .
(٣) المصدر السابق ص٤٢.
(٤) المصدر السابق ص٤٥.
(٥) المصنف (٦/ ١٥٧)
(٦) المصنف (٧/ ٥٣).
(٧) المصنف (٧/ ٧٢).
(٨) المصنف (٧/ ٤٤٦).

الدجال [١]. ما ذكر في عثمان [٢].

-كتاب الجمل : ما ذكر في الخوارج [٣].

٧- "سنن" [٤] الدارمي ت (٢٥٥هـ).

ترجمة موجزة للمؤلف [٥]:

هو أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام الدارمي السمرقندي هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام بسمرقند .

روى عن أكابر شيوخ عصره كالنضر بن شميل ، وسعيد ابن عامر الضبعي وخليفة بن خياط وغيرهم كثير .

وعنه روى كبار الأئمة : كمسلم والبخاري في غير الصحيح والترمذي وغيرهم كثير .

قال الخطيب :" كان أحد الرحالين في الحديث ، والموصوفين بجمعه وحفظه ، والاتقان له ، مع الثقة والصدق والورع والزهد ، واستقضى على سمرقند فأبى فألح عليه السلطان حتى تقلده وقضى قضية واحدة ، ثم استقضى فأعفي ، وكان على غاية العقل وفي نهاية الفضل ، يضرب به المثل في الديانة والحلم والرزانة ، والاجتهاد والعبادة ، والتقلل والزهادة " [٦] أ.هـ.

قال ابن حبان :" كان من الحفاظ المتقنين ، وأهل الورع في الدين فقد حفظ وجمع، وتفقه وصنف وحدَّث ، وأظهر السنة في بلده ودعا إليها وذب عن حريمها وقمع من

---

(١) المصنف (٧/ ٤٨٨).

(٢) المصنف (٧/ ٥١٤).

(٣) المصنف (٧/ ٥٥٢).

(٤)طبع الكتاب عدة طبعات منها :ط. دار الكتاب العربي –تحقيق فؤاد زمرلي ط. الأولى سنة ١٤٠٧هـ. ط.كانبور ط. سنة ١٢٩٣هـ.ط. دار إحياء السنة النبوية ط. سنة ١٣٤٦هـ بعناية محمد أحمد دهمان .ط. فيصل آباد ط. سنة ١٤٠٤هـ تخريج وتعليق عبد الله هاشم يماني المدني .ط. دار القلم . دمشق سنة ١٤١٢هـ تحقيق مصطفى ذيب البغا.

(٥) انظر : السير (١٢/ ٢٢٤) ، تاريخ بغداد (١٠/ ٢٩).

(٦) تاريخ بغداد (١٠/ ٢٩).

خالفها "[١] أ.هـ.

قال إسحاق بن أحمد بن خلف :" كنا عند محمد بن إسماعيل البخاري فورد عليه كتاب فيه نعي عبد الله بن عبد الرحمن فنكَّس رأسه ثم رفع واسترجع ، وجعل تسيل دموعه على خديه ثم أنشأ يقول :

إِنْ تَبْقَ تُفْجَعْ بِالأَحِبَّةِ كُلِّهِمْ وَفَناءُ نَفْسِكَ لا أَبالَكَ أَفْجَعُ "[٢] أ.هـ.

مكانة سنن الدارمي :

وبعضهم يسمى السنن للدارمي بـ"المسند " وعلل العراقي ذلك لكون أحاديثه مسند كما صنع البخاري وسمى صحيحه الجامع بالمسند [٣].

وكذلك يطلق عليها " الجامع " كما ذكر في ترجمة الدارمي بعض من ترجم له كالذهبي [٤] وأشار إليها العراقي [٥].

وقد طبع مؤخراً باسم الجامع وذكر المحققون أنه وجد باسم الجامع على بعض النسخ[٦].

وقال الحافظ في النكت لما ذكر قول ابن الصلاح :" أول من صنف في الصحيح البخاري".

اعترض عليه الشيخ علاء الدين مغلطاي فيما قرأت بخطه بأن مالكاً أول من صنف في الصحيح وتلاه أحمد بن حنبل وتلاه الدارمي ..." [٧] أ.هـ.

---

(١) الثقات لابن حبان (٨/ ٣٦٤).

(٢) السير (١٢/ ٢٢٩).

(٣) تدريب الراوي للسيوطي (١/ ١٧٤) بتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ط. المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ط.الثانية سنة١٣٩٢هـ .

(٤) السير (١٢/ ٢٢٨).

(٥) التدريب (١/ ١٧٤).

(٦) طبع باسم فتح المنان ط. الدار المكية في عشرة مجلدات شرح فيه سنن الدارمي .

(٧) النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر (١/ ٢٧٦) تحقيق: د. ربيع المدخلي ط. دار الراية – الرياض ط.الثانية ١٤٠٨هـ.

ثم قال : " ..وأما ما يتعلق بالدارمي فتعقبه الشيخ – يعني ابن الصلاح – بأن فيه الضعيف والمنقطع ، ولكن بقي مطالبة مغلطاي بصحة دعواه بأن جماعة أطلقوا على مسند الدارمي كونه صحيحاً فإني لم أر ذلك في كلام أحد ممن يعتمد عليه ...الخ" [(١)] أ.هـ.

والعلائي قال :" لو قدم الدارمي بدل ابن ماجه فكان سادساً لكان أولى " [(٢)] أ.هـ.

وقال الحافظ ابن حجر :" ليس دون السنن في الرتبة بل لو ضم إلى الخمسة لكان أمثل من ابن ماجة فإنه أمثل منه بكثير .." [(٣)] أ.هـ.

وقال الشيخ عبد الحق الدهلوي :" قال بعضهم كتاب الدارمي أحرى وأليق بجعله سادساً للكتب لأن رجاله أقل ضعفاً ووجود الأحاديث المنكرة والشاذة نادرة فيه ، وله أسانيد عالية ، وثلاثياته أكثر من ثلاثيات البخاري "[(٤)] أ.هـ.

أبواب الاعتقاد التي اشتملها كتاب السنن للدارمي :

-باب في اجتناب الأهواء [(٥)] .

-باب اجتناب أهل الأهواء والبدع والخصومة [(٦)] .

-باب الرسالة عباد بن عباد الخواص الشامي [(٧)] .

-باب رؤية الرب تعالى في النوم [(٨)] .

-باب في افتراق هذه الأمة [(٩)] .

---

(١) المصدر السابق (١/ ٢٨٠) ، وانظر: توضيح الأفكار للصنعاني (١/ ٣٩) تحقيق :محي الدين عبد الحميد ط. المكتبة السلفية .

(٢) مقدمة السنن بتحقيق زمرلي (١/ ١٠).

(٣) تدريب الراوي (١/ ١٧٤).

(٤) مقدمة السنن بتحقيق زمرلي (١/ ١٠) وانظر للاستزادة كذلك :" الإمام ابن ماجه وكتابة السنن " للنعماني (١٨٥-١٨٧) تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة . ط. مكتبة المطبوعات الإسلامية ط. السادسة – بيروت سنة ١٤١٩هـ.

(٥) السنن المقدمة ص١٠٣.

(٦) السنن المقدمة ص١٢٠.

(٧) وهي رسالة في الاعتقاد انظر : المقدمة ص١٦٦.

(٨) كتاب الرؤيا (٢/ ١٧٠).

(٩) كتاب السير (٢/ ٣١٤).

-باب في لزوم الطاعة والجماعة [١].

-باب من حمل السلاح علينا فليس منا [٢].

-باب الإمارة في قريش [٣].

-باب في النهي عن أن يقول ما شاء الله وشاء فلان [٤].

-باب في الأئمة المضلين [٥].

-باب في النهي عن أن يقول : مطرنا بنوء كذا وكذا [٦].

-باب في الطاعة ولزوم الجماعة [٧].

-باب في نفخ الصور [٨].

-باب شأن الساعة ونزول الرب [٩].

-باب النظر إلى الله تعالى [١٠].

-باب صفة الحشر [١١].

-باب الشفاعة [١٢].

-باب القرآن كلام الله [١٣].

---

(١) كتاب السير (٢/ ٣١٤).
(٢) السير (٢/ ٣١٥).
(٣) السير (٢/ ٣١٥).
(٤) كتاب الاستئذان (٢/ ٣٨٢).
(٥) كتاب الرقائق (٢/ ٤٠١).
(٦) كتاب الرقائق (٢/ ٤٠٥).
(٧)كتاب الرقائق (٢/ ٤١٧).
(٨) كتاب الرقائق (٢/ ٤١٨).
(٩) كتاب الرقائق (٢/ ٤١٨).
(١٠)كتاب الرقائق (٢/ ٤١٩).
(١١) كتاب الرقائق (٢/ ٤٢٠).
(١٢)كتاب الرقائق (٢/ ٤٢١).
(١٣) كتاب فضائل القرآن (٢/ ٥٣٢).

- ٨- صحيح [1] الإمام البخاري ت (٢٥٦هـ):

ترجمة موجزة للمؤلف [2]:

هو أمير المؤمنين وشيخ المحدثين أبو عبد الله : محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بَرْدِزْبَة البخاري الجعفي .

وهو كبير أهل الجرح والتعديل ، الذي جمع بين الفقه والحديث كما أبان ذلك ضمن جامعه المشهور . طاف ورحل البلاد شرقاً وغرباً وأفذ عن علماء عصره ولنا ثلاث وقفات قبل ذكر مشايخه :

الأولى : أنه رحمه الله أخذ العلم عمن صحت عقيدته -في الغالب- حرصاً منه على صيانة هذا الدين فقد قال- رحمه الله - :" لم أكتب إلا عمن قال : الإيمان قول وعمل "[3] أ.هـ.

الثانية : أنه لم يأخذ إلا عمن له دراية بالصنعة أعني علم الحديث فقد قال : "

(١) لقد تنافس الأئمة والنساخ في القديم والحديث على نسخ الكتاب وطباعته لأنه أصح كتاب بعد كتاب الله وكفى به شرفاً لمن طبعه ونشره بين الناس ولعلي أذكر أهم الطبعات :
ط.الأميرية سنة ١٢٨٦هـ(٤ج في ٢مج) . ط. بولاق القاهرة ،١٢٩٦هـ.
ط.العامرة – استانبول سنة ١٣١٥هـ.
ط. الخيرية – القاهرة ،١٣٢٠هـ.(٩مج).
ط.إدارة الطباعة المنيرية – القاهرة ، ١٣٤٨هـ.(٩ج في ٥مج).
ط. مطابع الشعب – القاهرة ، ١٣٧٨هـ .(٩ج في ٣٣مج).
ط. المكتبة الإسلامية – استانبول .(٨ج في ٤مج) (عليه حواشي وتعليقات والمتن هو فرع لليونينية وهي المتن الذي شرح القسطلاني عليه البخاري).
ط. الشرفية – القاهرة ، ١٣٠٤هـ (٤ج في ٢مج).
ط. التقدم العلمية – القاهرة ، ١٣٢٠هـ.
ط. المطبعة العثمانية المصرية : المطبعة البهية ، ١٣٣٤٣هـ (٤ج في ٢مج).

(٢) لقد ازدانت كتب الترجمة لما أودعت ترجمة هذا العالم بداخلها وتسابق المترجمون لبسط الكلام حوله ولعل المقام هنا لا يتسع لذكر كل من ترجم له ولكن لعل من أجودها : الإمام البخاري وصحيحه د. عبد الغني عبد الخالق ط. دار المنارة ، والسير (١٢/ ٣٩١) ، تاريخ بغداد (٢/ ٤،٣٣) ، وابن حجر في هدي الساري مقدمة فتح الباري .

(٣) هدي الساري ص٥٠٣.

كتبت عن ألف وثمانين نفساً ليس فيهم إلا صاحب حديث "[١] أ.هـ.

الثالثة : أنه -رحمه الله- كان متواضعاً للعلم وأهله فأخذ عمن فوقه وعن أقرانه عن من هم في طبقة تلاميذه وهم دونه عملاً بقول وكيع :" لا يكون الرجل عالماً حتى يحدث عمن فوقه وعمن هو مثله وعمن هو دونه "[٢] أ.هـ.

وقد قال هو : " لا يكون المحدث كاملاً حتى يكتب عمن هو فوقه ، وعمن هو مثله وعمن هو دونه " [٣] أ. هـ.

شيوخه :

تقدم أنه أخذ عن أكثر من ألف شيخ ولعلنا نذكر أشهرهم على سبيل الإجمال والاختصار :

- أبو بكر عبد الله الزبير الحميدي .
- مطرف بن عبد الله .
- أبو اليمان الحكم بن نافع .
- محمد بن سلام البيكندي .
- عبد الله بن محمد المسندي .
- عبد الله بن عبد الله بن عثمان .
- محمد بن يحي الذهلي .
- مكي بن إبراهيم .
- قتيبة بن سعيد .
- إسحاق بن راهوية .
- أبو عاصم النبيل .
- أبو الوليد الطيالسي .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

- عارم (محمد بن الفضل).
- أبو نعيم .
- أحمد بن صالح .
- أصبغ بن الفرج.

وغيرهم كثير لا يحصون .

وقد قسم الحافظ في مقدمة الفتح شيوخه إلى خمس طبقات [١] .

ثناء الأئمة عليه :

قال أبو عمر سليم بن مجاهد : " كنت عند محمد بن سلام البيكندي ، فقال : لو جئت قبل لرأيت صبياً يحفظ سبعين ألف حديث . قال : فخرجت في طلبه حتى لحقته قال : أنت الذي يقول : إني أحفظ سبعين ألف حديث ؟ قال : نعم وأكثر . ولا أجيئك بحديث من الصحابة والتابعين إلا ولي من ذلك أصلٌ أحفظه حفظاً عن كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ " [٢] أ.هـ.

- وقال نعيم بن حماد:" محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة " [٣] أ.هـ.
- وقال أبو بكر بن أبي شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير :" ما رأينا مثل محمد بن إسماعيل " [٤] أ.هـ.

كتابه الصحيح :

اسم الكتاب :

قد سماه مؤلفه بهذا الاسم .

- **" الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه"** [٥]

---

(١) انظر : هدي الساري ص ٥٠٣ .
(٢) السير (١٢/ ٤١٧).
(٣) السير (١٢/ ٤١٩).
(٤) السير (١٢/ ٤٢١).
(٥) علوم الحديث لابن الصلاح ص٢٦ تحقيق نور الدين عتر ط. دار الفكر ١٤٠٦هـ.

واشتهر قديماً وحديثاً بـ:" صحيح البخاري ".

وقد ظهرت براعة الإمام البخاري في ترتيبه لأبواب واستنباطاته الفقهية الدقيقة والتي أصبح كتابه حديث وفقه زيادة على شرطه في الصحيح الذي أصبح أعلى أنواع الصحيح ما أخرجه البخاري ووافقه عليه مسلم .

ولقد ظهر فقهه جلياً من خلال تراجمه وأبوابه وحسن ترتيبه وتصنيفه ولهذا كثر عنده تكرار الحديث وتقطيعه لأنه أهتم واعتنى بالجوانب الفقهية والاستنباطات والفوائد الحديثية زيادة على الصناعة الحديثية وجودة الإسناد والرواية .

ومما يدل على أهميته أنه أول من صنف في الصحيح المجرد ولا يشكل عليه قول الشافعي :" ما أعلم في الأرض كتاباً في العلم أكثر صواباً من كتاب مالك -في رواية أصح من الموطأ- فإنما كان ذلك قبل كتابي البخاري ومسلم" (١) .

ومما يدل على مكانته أنه مقدم كذلك على مسلم في علمه وشخصه وفي كتابته وتدوينه .

قال الإسماعيلي : " فإني نظرت في كتاب الجامع الذي ألفه أبو عبد الله البخاري فرأيته جامعاً -كما سمى- لكثير من السنن الصحيحة ، ودالاً على جمل من المعاني الحسنة المستنبطة التي لا يكمل لمثلها إلا من جمع إلى معرفة الحديث ونقلته ، والعلم بالروايات وعللها علماً بالفقه واللغة وتمكناً منها كلها وتبحراً فيها " ...إلى أن قال : " غير أن أحداً لم يبلغ من التشدد مبلغ أبي عبد الله ولا تسبب إلى استنباط المعاني واستخراج لطائف فقه الحديث وتراجم الأبواب الدالة على ماله صلة بالحديث المروي فيه تسببه ، ولله الفضل يختص به من يشاء "(٢) أ.هـ.

وقال الحاكم أبو أحمد النيسابوري : " رحم الله محمد بن إسماعيل فإنه ألف الأصول – يعني أصول الأحكام – من الأحاديث ، وبين للناس وكل من عمل بعده فإنما أخذه من كتابه ، كمسلم بن الحجاج " (٣) أ.هـ.

(١) هدي الساري ص١٢ .
(٢) هدي الساري ص ١٣ .
(٣) المصدر السابق .

وقال الدار قطني :" لولا البخاري لما ذهب مسلم ولا جاء "[(١)] أ.هـ.

وقال الحافظ أيضا "والكلام في نقل كلام الأئمة في تفضيله كثير ويكفي منه اتفاقهم على أنه كان أعلم بهذا الفن من مسلم "[(٢)] أ.هـ.

وقد ظهرت عناية علماء هذه الأمة بهذا السفر الجليل خلال النظر في كثرة شروحاته ما بين مخطوط ومطبوع ومفقود ولعل من أشهرها وأحسنها وأفضلها ما يلي :

١- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري [(٣)] للكرماني ت (٧٨٦هـ).

٢- فتح الباري [(٤)] للحافظ ابن رجب الحنبلي ولم يتمه (٧٩٥هـ).

٣- فتح الباري [(٥)] شرح صحيح الإمام البخاري لابن حجر وهو أعظمها وأحسنها وأكثرها فائدة وعلماً .

٤- عمدة القاري للبدر العيني [(٦)]ت (٨٥٥هـ).

٥- إرشاد الساري للقسطلاني [(٧)] ت (٩٢٣هـ).

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق .

(٣) ط. ط.دار إحياء التراث العربي بيروت لبنانط.الثانية ط. ١٤٠١هـ.

(٤) ط. دار ابن الجوزي ت: طارق بن عوض الله محمد ط. سنة ١٤١٧هـ الطبعة الأولى .

(٥) طبع الكتاب لعدة طبعات من أشهرها :

- ط. بولاق سنة ١٣٠٠هـ - ١٣٠١هـ ٣مج - القاهرة .

ط. دهلي - طبع حجر سنة ١٣٠٩هـ.

ط. الخيرية - سنة ١٣٢٥ - ١٣٢٩هـ (وبهامشه متن الجامع الصحيح) ١٣ مج - القاهرة .

ط. المطبعة البهية المصرية - القاهرة سنة ١٣٤٨هـ ١٣مج .

ط. مصطفى الحلبي - القاهرة سنة ١٣٧٩هـ ١٧مج .

ط. السلفية الأولى - القاهرة سنة ١٣٨٠هـ ١٣مج (وهي المتداولة وأشرف عليها محب الدين الخطيب وتعليقات الشيخ ابن باز).

ط. السلفية الثانية ط. ١٤٠٨هـ، ١٤مج .

(٦) ط. دار الطباعة المنيرية .

(٧) أما هدي الساري فله طبعة مشهورة وهي ط. بولاق سنة ١٤٠٣هـ في ١٠مج وبهامشها شرح مسلم للنووي .

الكتب والأبواب العقدية التي اشتملها صحيح البخاري [١]:

١- كتاب الإيمان [٢].(وذكر تحته (٤٢) باباً).

٢- كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ومناقب [٣] الأنصار.

٣- كتاب القدر [٤].

٤- كتاب استتابة المرتدين [٥].

٥- كتاب الفتن [٦].

٦- كتاب الأحكام [٧].(ويعني به أمور السياسية الشرعية والإدارة وما يتعلق بها).

٧- كتاب أخبار الآحاد [٨].

٨- كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة [٩].

٩- كتاب التوحيد [١٠].(وفي بعض الروايات كتاب"الرد على الجهمية").

---

(١) ألف أهل العلم كتباً في تراجم وأبواب البخاري وما مراده بالتراجم وما مناسباتها وإليك بعضها :

مناسبات تراجم البخاري لـ بدر الدين بن جماعة ط. دار السلفية بومباي الهند – تحقيق: محمد إسحاق السلفي ط. الأولى ١٤٠٤هـ.

رسالة شرح تراجم أبواب صحيح البخاري لأحمد المعروف بشاه ولي الله الدهلوي بن عبد الرحيم – حيدر أباد – مجلس دائرة المعارف العثمانية .

المتداوي على تراجم أبواب البخاري لابن النير الاسكندراني تحقيق: صلاح الدين مقبول أحمد – الكويت مكتبة المعلا ط. ١٤٠٧هـ.

الأبواب والتراجم لصحيح البخاري تأليف محمد بن زكريا الكاندهلوي تقديم أبي الحسن الندوي – ط. الثانية – لكنهو – مكتبة دار العلوم لذرة العلماء ط. ١٣٩٤هـ ٣مج .

(٢) انظر فتح الباري ط. السلفية الثانية (١/ ٦٠- ١٦٦).

(٣) الفتح (٧/ ٥-٣٢٤).

(٤) الفتح (١١/ ٤٨٦-٥٢٣).

(٥) الفتح (١٢/ ٢٧٦-٣١٦).

(٦)الفتح (١٣/ ٥-١١٣).

(٧) الفتح (١٣/ ١١٩-٢٢٩).

(٨) الفتح (١٣/ ٢٤٤-٢٥٦).

(٩) الفتح (١٣/ ٢٦١-٣٥١).

(١٠) الفتح (١٣/ ٣٥٩-٥٤٧).

١٠-صحيح [١] الإمام مسلم ت(٢٦١هـ).

ترجمة موجزة للمؤلف [٢]:

هو الإمام الحافظ الحجة المتقن : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري كان مولده سنة ٢٠٦هـ على الصحيح .

وقد نبغ على أقرانه منذ بداية طلبه للعلم فقد قال شيخه إسحاق بن راهوية :" أي رجل يكون هذا " [٣].

وقال شيخه إسحاق الكوسج :" لن نعدم الخير ما أبقاك الله للمسلمين " [٤].

وقد أكثر من الرحلة والتطواف في البلاد والأخذ عن الأكابر فقد سمع من الإمام القعنبي بمكة وبخراسان من إسحاق بن راهوية وبالحجاز من سعيد بن منصور ، وبالعراق من الإمام أحمد بن حنبل – رحمه الله -.

وأجل شيوخه الإمام البخاري وكان يعظمه ويُجِلُّهُ كثيراً حتى إنه قبل ما بين عينيه وقال:" دعني أقبل رجليك يا أستاذ الأستاذين وسيد المحدثين ، وطبيب الحديث في علله " [٥] أ.هـ.

وقد تخرج على يد هذا الإمام جلة من المحدثين منهم :

---

(١) وأهم طبعات الكتاب مايلي :
الجامع الصحيح : ط. كلكته سنة ١٢٦٥هـ.
الجامع الصحيح : ط. بولاق – القاهرة ، ١٢٩٠هـ.
الجامع الصحيح : ط. الآستانة – المطبعة العامرة ط. ١٣٣٤هـ.
صحيح مسلم : القاهرة ط. دار الكتب العربية : المطبعة الميمنية سنة ١٣٢٧هـ ٢مج .
صحيح مسلم : القاهرة ط. دار احياء الكتب العربية سنة ١٣٧٤هـ ، ٥مج.
صحيح مسلم : القاهرة ط. محمد علي صبيح سنة ١٣٨٠هـ ٤مج ٨ج .

(٢) انظر ترجمته في : تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٠) ، سير أعلم النبلاء (١٢/ ٥٥٧) ، وانظر : مقدمة منهجية الحديث عند القاضي عياض في إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم للدكتور الحسين بن محمد شِواط ، ومقدمة كتاب الإمام مسلم ومنهجه في صحيحه للدكتور محمد عبد الرحمن طوالبة .

(٣) تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٢) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٨٩) ط.دار الكتب العلمية ،بيروت-لبنان.

(٤) السير (١٢/ ٥٦٣).

(٥) تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٢).

ابن خزيمة وأبو حاتم الرازي وأبو عوانة الاسفرايني وغيرهم كثير .

ثناء الأئمة عليه :

قال محمد بن بشار :" حُفاظ الدنيا أربعة ...وذكر منهم : الإمام مسلم "(١) أ.هـ.

وقال ابن أبي حاتم :" مسلم ثقة من الحفاظ له معرفة بالحديث " (٢) أ.هـ.

وقال الخطيب البغدادي :" مسلم أحد الأئمة من حفاظ الحديث " (٣) أ.هـ.

وقال النووي – رحمه الله- :" مسلم أحد أعلام أئمة هذا الشأن ، وكبار المبّرزين فيه ، وأهل الحفظ والإتقان ، والرّحالين في طلبه إلى أئمة الأقطار والبلدان والمُعْترف له بالتقدم فيه بلا خلاف عند أهل الحذق والعرفان ، والمرجوع إلى كتابه والمعتمد عليه في كل الأزمان ..ومن حقّق نظره في صحيح مسلم –رحمه الله- علم أنه إمام لا يلحقه من بعد عصره ، وقل من يساويه بل يُدانيه من أهل وقته ودهره – و﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة :٤]، وقال أيضاً :" وأجمعوا على جلالته ، وإمامته ، وعلو مرتبته ، وحذفه في هذه الصنعه وتقدمّه فيها ، وتضلّعه منها ، ومن أكبر الدلائل على جلالته وإمامته وورعه وحذقه وقعوده في علوم الحديث واضطلاعه منها وتفننه فيها كتاب الصحيح ..." (٤).

كتابه الصحيح :

اسم الكتاب :

نص الإمام مسلم على تسميته بـ"المسند الصحيح" فقد قال :" صنعت هذا المسند الصحيح ..." (٥).

تبويبه وترتيبه :

---

(١) السير (١٢/ ٥٦٤).

(٢) الجرح والتعديل (٨/ ١٨٢).

(٣) تاريخ بغداد (١٣/ ١٠٠).

(٤) انظر : شرح النووي على مسلم ص١٠، ١١، ٢١.

(٥) تاريخ بغداد (١٣/ ١٠١).

صحيح مسلم لا توجد فيه أبواب تفصيلية ولكن فيه كتب عامة ، ولكنه جعل أحاديث الكتاب مرتبة على حسب الأبواب .

قال ابن الصلاح : ثم إن مسلماً – رحمه الله وإيانا- رتب كتابه على الأبواب لئلا يزداد بها حجم الكتاب أو لغير ذلك "[١] .

وقد كان ترتيبه دقيقاً – رحمه الله – فقد جمع أحاديث كل باب على حدة ولكنه لم ينص على عناوين الأبواب .

ومما يميز صحيح الإمام مسلم :" أنه لم يخلط مع الأحاديث شيئاً من أقوال الصحابة ومن بعدهم حتى الأبواب والتراجم كل ذلك حرصاً عن أن لا يدخل في الحديث غيره، فليس فيه بعد المقدمة إلا الحديث "[٢] .

وقد اختلف أهل العلم في السبب الباعث له على ترك التراجم التفصيلية على أقوال :

الأول : قال ابن الصلاح :" لئلا يزداد بهم حجم الكتاب "[٣] ، وهذا السبب غير وجيه[٤] .

الثاني : وذهب ابن عساكر إلى أن خلو الصحيح من التراجم والأبواب ليس عن عمد من مسلم بل لأنه توفي قبل إتمام كتابه واستيعاب تراجمه وأبوابه[٥] .

ولعله – رحمه الله – لم يترجم لعناوين الأبواب وتعمد ترك ذلك لتحريك ذهن القاري وفهمه ، وحصل ما أراد ، فقد تسابق الشُّراح الصحيح ليترجموا أبوابه بما يليق

---

(١) صيانة صحيح مسلم من الإخلا والغلط لابن الصلاح ص١٠١ ط. دار الغرب الإسلامي – تحقيق: موفق عبد الله عبد القادر ط. عام ١٤٠٤هـ.

(٢) انظر مقدمة المعلم بفوائد مسلم للمازري للشيخ محمد الشاذلي النيفر (١/ ١٠٧) ط. دار المغرب الإسلامي ط. الثانية عام ١٩٩٢هـ.

(٣) انظر : صيانة صحيح مسلم ص١٠١.

(٤) انظر : الإمام مسلم ومنهجه في صحيحه ص١٠٧.

(٥) سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٧٤)، كشف الظنون لحاجي خليفة (١/ ٥٥٥) ، وانظر الإمام مسلم ومنهجه في صحيحه ص١٠٧.

كل على حسب ما أداه اجتهاده [١].

قال الإمام النووي :" فترجم جماعة منهم أبوابه تراجم بعضها جيد وبعضها غير جيد إما لقصور عبارة الترجمة وإما لركاكة لفظها وإما لغير ذلك [٢].

وذكر الإمام المازري :" أنه وقف على نسخة مبوبة من صحيح مسلم " [٣].

وذكر الدكتور الحسين شواط :" أنه وقف على نسخة خطية لصحيح مسلم كتبت عام ١٠٩٠هـ تحمل تراجم مختلفة عما سبق في اللفظ والمعنى كما أنها تزيد كثيراً عن عدد تراجم الإمام النووي " [٤].

ولعل أقربها وأحسنها ما وضعه الإمام النووي من التراجم .

قال ابن القيم رحمه الله:

"يعرف قوله في السنة من سياق الأحاديث التي ذكرها ولم يتأولها ولم يذكر لها التراجم كما فعل البخاري ولكن سردها بلا أبواب ولكن تعرف التراجم من ذكره للشيء مع نظيره ، فذكر في كتاب الإيمان كثيراً من أحاديث الصفات...." [٥].

أهم الشروح على صحيح الإمام مسلم [٦]:

١- المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي [٧] وهو أشهرها وأكثرها فائدة.

٢- المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي ت (٦٥٦هـ) [٨].

---

(١) الإمام مسلم ومنهجه في الصحيح ص١٠٦ ، العلم (١/ ٣٣) .

(٢) شرح مسلم للنووي (١/ ٢١).

(٣) المعلم بفوائد مسلم (١/ ٣٣).

(٤) منهجية فقه الحديث ص٢٩.

(٥) اجتماع الجيوش الإسلامية ص٢٤١.

(٦) انظرها مفصلة في كتاب : الإمام مسلم ومنهجه في صحيحه ص ١٥٣-١٦٢.

(٧) المطبعة المصرية ١٣٤٧هـ - القاهرة (٨ج ٦مج).

- المطبعة المصرية ١٣٤٩هـ- القاهرة (١٨ج ٩مج).

(٨) ط. دار الكتاب المصرية –القاهرة ، دار الكتاب اللبناني : بيروت سنة ١٤١٣هـ ، ٣مج . تحقيق : الحسن أبو فرحة .

٣- المعلم بفوائد مسلم للمازري ت (٥٣٦هـ) [(١)].

٤- إكمال المعلم بفوائد مسلم للقاضي عياض ت(٥٠٤هـ) .

٥- إكمال إكمال المعلم للأُبِّي ت(٨٢٧هـ) [(٢)].

ولعل هذه من أشهر الشروح وغيرها كثير .

أهم الكتب العقدية التي اشتملها صحيح الإمام مسلم :

١- كتاب الإيمان [(٣)].

٢- كتاب الإمارة [(٤)].

٣- كتاب الفضائل وفضائل الصحابة [(٥)].

٤- كتاب القدر [(٦)].

٥- كتاب صفات المنافقين وأحكامهم [(٧)].

٦- كتاب الجنة وصفة نعيمها و أهلها [(٨)].

٧- كتاب الفتن و أشراط الساعة [(٩)].

١١-سنن [(١٠)] الحافظ ابن ماجة ت (٢٧٣هـ).

---

(١) ط. دار الغرب الإسلامي – بيروت ١٤١٢هـ – تحقيق محمد الشاذلي النيفر .

(٢) ط. مطبعة السعادة- القاهرة سنة ١٣٢٨هـ (طبع بهامش الصحيح) (٧مج).

(٣) صحيح مسلم (١/ ٣٦-٢٠٢) –ترتيب فؤاد عبد الباقي ط. دار الحديث –القاهرة . الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

(٤) الصحيح (٣/ ١٤٥١- ١٥٢٨).

(٥) الفضائل من الصحيح يندرج تحتها فضائل النبي ﷺ وفضائل الأنبياء من قبله انظر الصحيح (٤/ ١٧٨٢-١٨٥٣) ، وأما فضائل الصحابة فانظر الصحيح (٤/ ١٨٥٤- ١٩٧٣) .

(٦) الصحيح (٤/ ٢٠٣٦- ٢٠٥٢).

(٧) الصحيح (٤/ ٢١٤٠-٢١٧٣).

(٨) الصحيح (٤/ ٢١٧٤-٢٢٠٦).

(٩) الصحيح (٤/ ٢٢٠٧-٢٢٧١).

(١٠) أهم طبعات السنن :ط. دهلي – مطبع مولوي حسين محمد سنة ١٢٧٣هـ وبهامشه وبين السطور شرح الدهلوي المسمى (إنجاح الحاجة). ط. دهلي سنة ١٣٢٣هـ .ط. القاهرة – مكتبة المعاهد العلمية سنة ١٣٤٨هـ.ط. القاهرة – مطبعة مصطفى محمد سنة ١٣٥٤هـ.ط. فؤاد عبد الباقي – المكتبة العلمية بيروت سنة ١٣٧٣هـ.ط. الأعظمي سنة ١٤٠٣هـ.

ترجمة موجزة للمؤلف [١]:

هو الإمام محمد بن يزيد الرَّبعي ، مولاهم بالولاء . أبو عبد الله ابن ماجة القزويني ، كانت ولادته سنة (٢٠٩هـ).

وقد ارتحل وطاف البلاد في طلب الحديث فسمع من عدد من جلة العلماء مثل : محمد بن عبد الله بن نمير ، وزهير بن حرب ، وأبي بكر بن أبي شيبة وغيرهم من العلماء [٢].

وعنه أخذ جمع مثل :

علي بن سعيد العسكري وإبراهيم بن دينار الحوشي الهمزاني وأحمد بن إبراهيم القزويني وغيرهم كثير [٣].

ثناء الأئمة عليه :

قال الذهبي : " الحافظ الكبير ، الحجة ، المفسر ..." [٤].

وقال ابن خلكان :" الحافظ المشهور مصنف كتاب السنن في الحديث ، كان إماماً في الحديث عارفاً بعلومه وجميع ما يتعلق به ..." [٥].

وقال الخليلي :" هو ثقة كبير متفق عليه محتج به له معرفة بالحديث وحفظ " [٦].

كتابه السنن:

اسم الكتاب : المشهور والذي يتداول أهل العلم هو كتاب السنن لابن ماجة ولم يعرف اسم آخر .

---

(١) انظر :السير (١٣/ ٢٧٧) ، وفيات الأعيان (٤/ ٢٧٩)، وانظر : الإمام ابن ماجة وكتابه السنن (وهو كتاب ما تسمى إليه الحاجة) للنعماني ص١٦٩ تحقيق : أبو غدة ط. مكتبة المطبوعات – ط. السادسة ١٤١٩هـ .بيروت.

(٢) انظر السير (١٣/ ٢٧٨).

(٣) الإمام ابن ماجة وكتابه السنن ص١٧٣.

(٤) السير (١٣/ ٢٧٧).

(٥) وفيات الأعيان (٤/ ٢٧٩).

(٦) السير (١٣/ ٢٧٩).

منزلة الكتاب وتبوبيه وترتيبه :

قال ابن ماجة :" عرضت هذه السنن على أبي زرعة الرازي فنظر فيه فقال : أظن إن وقع هذا في أيدي الناس تعطلت هذه الجوامع أو أكثرها " [1].

وقال ابن كثير :" ابن ماجة صاحب السنن المشهور وهي دالة على عمله وعلمه وتبحره وإطلاعه واتباعه السنة في الأصول والفروع ويشتمل على اثنين وثلاثين كتاباً وألف وخمسمائة باب وعلى أربعة آلاف حديث كلها جياد سوى اليسيرة " [2].

وقال في اختصار علوم الحديث :" هو كتاب مفيد قوي التبويب في الفقه "[3] أ.هـ.

وقال ابن حجر : " وكتابه في السنن جامع جيد كثير الأبواب والغرائب " [4].

وقال الذهبي :" سنن أبي عبد الله (ابن ماجة) كتاب حسن لولا ما كدره من أحاديث واهية ليست بالكثيرة "[5] أ.هـ.

أهم الشروح والتعليقات على السنن :

- مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة للبوصيريَّ (٨٤٠هـ) [6].
- شرح سنن ابن ماجة لمغلطاي ت (٧٦٢هـ) [7].
- الديباجة في شرح سنن ابن ماجة للدميري ت (٨٧٣هـ) [8].

---

(١) السير (١٣/ ٢٧٨).

(٢) البداية والنهاية (١١/ ٥٦).

(٣) نقلاً عن الإمام ابن ماجة وكتابه السنن ص١٧٨.

(٤) التهذيب (٩/ ٤٦٨).

(٥) تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٣٦).

(٦) – ط. بتحقيق : محمد الكشناوي – بيروت الدار العربية سنة ١٤٠٣هـ. ط. بتحقيق علي عزت عطية – القاهرة – دار الكتب الحديثة سنة ١٤٠٣هـ. ط. بتحقيق كمال يوسف الحوت – بيروت – دار الجنان سنة ١٤٠٦هـ.

(٧) طبع مؤخراً (ولم يتمه) بتحقيق : كامل عويضة ط. دار الباز ط. الثانية ١٤٢٠هـ .،وهي طبعة سيئة جداً فيها تحريفات ظاهرة وفي كل صفحة وسطر تقريباً ،ولا أدري أي أصل اعتمد عليه هذا الناسخ.
وقد حقق في قسم السنة في جامعة الإمام كرسالة علمية .

(٨) وهو مخطوط ولم يكمله . قال الحافظ في المجمع المؤسس (٣/ ٣٤١) : " وكان شرع في شرح ابن ماجة

- نور مصباح الزجاجة على سنن ابن ماجة لعلي بن سليمان الدمنتي ت (١٣٠٦هـ) [١].
- حاشية على سنن ابن ماجة للسندي ت (١١٣٨هـ) [٢].

أبواب الاعتقاد التي اشتملها كتاب السنن لابن ماجة [٣]:

المقدمة [٤]:

- باب اتباع سنة رسول الله ﷺ [٥].
- باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه [٦].
- باب سنة الخلفاء الراشدين [٧].
- باب اجتناب البدع والجدل [٨].
- باب اجتناب الرأي والقياس [٩].
- باب في الإيمان [١٠].
- باب في القدر [١١].

=فهات عنه مسودة ، وقد بيض بعضه على ما فيه من إعواز" أ.هـ. وهو مخطوط في المكتبة السعيدية بالهند (١/ ٢١٢) (١٠ حديث ٤١٨) مج ١ ، في ٢٨٨ق بتاريخ ٨٩٧هـ. وله نسخة في تونك (١/ ١٣٨) (انظر الفهرس الشامل (٢/ ٧٨٩) الحديث).

(١) القاهرة ط. الوهبي سنة ١٢٩٤هـ.
القاهرة ط. الوهبية سنة ١٢٩٩هـ.
القاهرة ط. الأزهرية .

(٢) ط. دار الفكر – بيروت – ط. الثانية .

(٣) الإحالات على ط. د. الأعظمي .

(٤) وقد اشتملت المقدمة في غالب أبوابها على قضايا الاعتقاد .

(٥) السنن (١/ ٥).

(٦) السنن (١/ ٦).

(٧) السنن (١/ ١٠).

(٨) السنن (١/ ١١).

(٩) السنن (١/ ١٢).

(١٠) السنن (١/ ١٢).

(١١) السنن (١/ ١٦).

- فضائل أصحاب رسول الله ﷺ [١].
- باب ذكر الخوارج [٢].
- فيما أنكرت الجهمية [٣].

أبواب الدعاء:

- باب اسم الله الأعظم [٤].
- باب أسماء الله عز وجل [٥].
- أبواب الفتن [٦].
- أبواب الزهد:

-التوكل واليقين [٧].

- ذكر الحوض [٨].
- ذكر الشفاعة [٩].
- صفة النار [١٠].
- صفة الجنة

---

(١) السنن (١/ ٢٠).
(٢) السنن (١/ ٣٢).
(٣) السنن (١/ ٣٤).
(٤) السنن (٢/ ٣٤٦).
(٥) السنن (٢/ ٣٤٧).
(٦) السنن (٢/ ٣٦٣-٤٠٤).
(٧) السنن (٢/ ٤١٩).
(٨) السنن (٢/ ٤٤٩).
(٩) السنن (٢/ ٤٥٠).
(١٠) السنن (٢/ ٤٥٣).

١١-سنن [١] أبي داوّد السجستاني ت (٢٧٥هـ).

ترجمة موجزة للمؤلف [٢]:

هو سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير أبو داوّد السجستاني ، ولد سنة (٢٠٢هـ. وكان يرحمه الله ذا زهد وعبادة وخلق ورأساً وإماماً في العلم والإمامة في الدين ، وقد طاف البلاد شرقاً وغرباً وحصل علماً كثير فأهم شيوخه :

الإمام أحمد بن حنبل ، وعلي بن المديني ، وعلي بن مسلمة القعنبي ، وأحمد بن صالح المصري ، وسعيد بن منصور وغيرهم كثير .

وعنه : الإمام النسائي صاحب السنن ، وأبو سعيد بن الأعرابي وأبو بكر الخلال وأبو بكر بن أبي الدنيا وأبو بشر الدولابي وأبو عوانة الاسفريني وغيرهم كثير .

ثناء الأئمة عليه :

- قال الخلال :" أبو داوّد الإمام المقدم في زمانه رجل لم يسبقه إلى معرفته بتخريج العلوم وبصره بمواصفه أحد في زمانه " [٣] أ.هـ.
- قال الحاكم :" أبو داوّد إمام أهل الحديث في عصره بلا مدافعة "[٤] أ.هـ.

---

(١) طبع الكتاب عدة طبعات من أهمها :
ط. دهلي – الهند عام ١١٧١هـ.
ط. لكنهو – الهند عام ١٢٦٠هـ.
ط. لكنهو – الهند عام ١٢٩٠هـ.
ط. الكستلية – مصر عام ١٢٨٠هـ بعناية نصر الهوريني .
ط. طبعة حجرية في الهند عام ١٣٢٢هـ في أربع مجلدات كبار وهي من أجود ما طبع من حيث ضبط النص ، واعتمد على نسخ عديدة ، وأعيد نشره في أربعة عشر جزءً وفي هامشه شرح عون المعبود بضبط عبد الرحمن محمد عثمان عام ١٣٨٨هـ.
ط. محمد محي الدين عبد الحميد ط. الأولى عام ١٣٥٤هـ.
ط. عبيد الدعاس وعادل السيد ط. عام ١٣٨٨هـ.
(انظر للمزيد الإمام أبو داوّد وكتابه السنن للشيخ عبد الله البراك ص٥٤-٥٦ ط. الأولى عام ١٤١٢هـ).

(٢) انظر ترجمته في : تاريخ بغداد (٩/ ٥٥) ، السير (١٣/ ٢٠٣)، وانظر بتوسع: الإمام أبو داوّد وكتابه السنن لعبد الله البراك.

(٣) تاريخ بغداد (٩/ ٥٧)، السير (١٣/ ٢١١).

(٤) السير (١٣/ ٢١٢).

- وقال محمد بن محمد الهروي :" كان أحد الحفاظ الإسلام لحديث رسول ﷺ وعلمه وعلله وسنده ، في أعلى درجة النسك ، والعفاف ، والصلاح ، والورع ، من فرسان الحديث "(١).

- وقال الحافظ ابن حجر :" ثقة حافظ من كبار العلماء "(٢).

كتابه السنن :

اسم الكتاب :

أما اسم الكتاب فقد سماه أبو داوّد بـ كتاب :" السنن" .

فقد قال في رسالته إلى أهل مكة في وصف سننه :" فإنكم سألتم أن أذكركم الأحاديث التي في كتاب السنن "(٣).

مكانة كتابه السنن :

- قال الساجي :" كتاب الله أصل الإسلام ، وكتاب السنن لأبي داوّد عهد الإسلام "(٤).

- وقال النووي :" ينبغي للمشتغل بالفقه وبغيره الإعتناء بسنن أبي داوّد لمعرفته القامة ، فإن معظم أحاديث الأحكام التي يحتج بها فيه ، مع سهولة تناوله وتلخيص أحاديثه ، وبراعة مصنفه ، واعتناؤه بتهذيبه "(٥) أ.هـ.

- وقال ابن القيم – رحمه الله – :" ولما كان كتاب السنن لأبي داوّد – رحمه الله – من الإسلام بالموضع الذي خصه الله به ، بحيث صار حكماً بين أهل الإسلام ، وفصلاً في موارد النزاع والخصام ، فإليه يتحاكم المنصفون ، وبحكمه يرضى المحققون ، فإنه

---

(١) تاريخ بغداد (٩/ ٥٨).

(٢) تقريب التهذيب برقم (٢٥٤٨) ص٤٠٤ ط. الباكستاني دار العاصمة .

(٣) رسالة أبي داوّد إلى أهل مكة في وصف سننه ص٢٤ تحق الصباغ ط. المكتب الإسلامي ط. الثالثة ١٤٠٥هـ.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢/ ٤٩).

(٥) مقدمة بذل المجهود ص٤-٥ للسهارنفوري ط. دار الريان – القاهرة ط. الأولى ١٤٠٨هـ.

جمع شمل أحاديث الأحكام ، ورتبها أحسن ترتيب ، ونظمها أحسن نظام ، مع انتقائها أحسن انتقاء ، واطراحه منها أحاديث المجروحين والضعفاء "[١] أ.هـ.

- وقال الخطابي :" وقد جمع أبو داوّد في كتابه هذا من الحديث في أصول العلم وأمهات السنن وأحكام الفقه ما لا نعلم متقدماً سبقه إليه ولا متأخراً لحقه فيه "[٢] أ.هـ.

- وقال ابن الأعرابي :" لو أن رجلاً لم يكن عنده من العلم إلا المصحف الذي فيه كتاب الله ثم هذا الكتاب (وأشار إلى نسخة السنن وهي بين يديه) لم يجتمع معهما إلى شيء من العلم بتة "[٣] أ.هـ.

أهم الشروح والتعليقات على السنن:

- معالم السنن للخطابي ت (٣٣٨هـ)[٤].
- شرح ابن رسلان ت(٨٤٤هـ)[٥].
- بذل المجهود في حل أبي داوّد للهارنفوري ت(١٣٤٦هـ)[٦].
- عون المعبود شرح سنن أبي داوّد لشرف الحق العظيم آبادي[٧].
- الكتب والأبواب العقدية في سنن أبي داوّد :

جمع الإمام أبو داوّد غالب أبواب الاعتقاد في كتاب مستقل في آخر سننه وأسماه كتاب "السنة" وكتاب "الفتن" :

- باب شرح السنة[٨].

---

(١) شرح ابن القيم لسنن بهامش عون المعبود (١/ ٢٣).
(٢) نقلاً عن كتاب الإمام أبو داوّد كتابه السنن للبراك ص٦٦ .
(٣) مقدمة بذل المجهود للهانفوري ص٤ .
(٤) ط. بتحقيق محمد راغب الطباخ عام ١٣٥١هـ.
(٥) كان مخطوطاً وانظر مواضعه في تاريخ التراث لسزكين (١/ ٢٩٣) ثم أخذ رسائل دكتوراه في قسم السنة في كلية أصول الدين بجامعة الإمام .
(٦) ط. قديماً ثم أعيدت طباعته حديثاً مصوراًعام ١٤٠٨ هـ نشر دار – الريان – القاهرة .
(٧) ط.في أربعة عشر جزءً على تعليقات ابن القيم بضبط عبد الرحمن محمد عثمان عام ١٣٨٨هـ.
(٨) سنن أبي داوّد (٤/ ١٩٧) ط. المكتبة الإسلامية . تركيا تحقيق محي الدين عبد الحميد .

- باب مجانية أهل الأهواء [١].
- باب مجانية أهل الأهواء وبغضهم [٢].
- باب ترك السلام على أهل الأهواء [٣].
- باب النهي عن الجدال في القرآن [٤].
- باب في لزوم السنة [٥].
- باب من دعا إلى السنة [٦].
- باب في التفضيل [٧].
- باب في الخلفاء [٨].
- باب في فضل أصحاب رسول الله ﷺ [٩].
- باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله ﷺ [١٠].
- باب في استخلاف أبي بكر رضي الله عنه [١١].
- باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة [١٢].
- باب في التخيير بين الأنبياء [١٣].
- باب في رد الإرجاء [١٤].

---

(١) السنن (٤/ ١٩٨).
(٢) السنن (٤/ ١٩٨).
(٣) السنن (٤/ ١٩٩).
(٤) السنن (٤/ ١٩٩).
(٥) السنن (٤/ ٢٠٠).
(٦) السنن (٤/ ٢٠١).
(٧) السنن (٤/ ٢٠٦).
(٨) السنن (٤/ ٢٠٧).
(٩) السنن (٤/ ٢١٤).
(١٠) السنن (٤/ ٢١٤).
(١١) السنن (٤/ ٢١٥).
(١٢) السنن (٤/ ٢١٦).
(١٣) السنن (٤/ ٢١٧).
(١٤) السنن (٤/ ٢١٩).

- باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه [١].
- باب في القدر [٢].
- باب في ذراري المشركين [٣].
- باب في الجهمية [٤].
- باب في الرؤية [٥].
- باب في الرد على الجهمية [٦].
- باب في القرآن [٧].
- باب في الشفاعة [٨].
- باب في ذكر البعث والصور [٩].
- باب في خلق الجنة والنار [١٠].
- باب في الحوض [١١].
- باب في المسألة في القبر وعذاب القبر [١٢].
- باب في ذكر الميزان [١٣].

(١) السنن(٤/ ٢١٩).
(٢) السنن (٤/ ٢٢٢).
(٣) السنن(٤/ ٢٢٩).
(٤) السنن (٤/ ٢٣١).
(٥) السنن (٤/ ٢٣٣).
(٦) السنن(٤/ ٢٣٤).
(٧) السنن (٤/ ٢٣٤).
(٨) السنن (٤/ ٢٣٦).
(٩) السنن (٤/ ٢٣٦).
(١٠) السنن (٤/ ٢٣٦).
(١١) السنن (٤/ ٢٣٧).
(١٢) السنن (٤/ ٢٣٨).
(١٣) السنن (٤/ ٢٤٠).

- باب في الدجال [١].
- باب في الخوارج [٢].
- باب في قتال الخوارج [٣].
- باب في قتال اللصوص [٤].
- كتاب الفتن والملاحم من سنن أبي داوّد [٥].

١٢ -جامع [٦] الترمذي ت(٢٧٩هـ).

- **ترجمة موجزة للمؤلف [٧]:**

هو الإمام محمد بن عيسى بن سوره بن موسى بن الضحاك أبو عيسى السُّلَمي الغدير الترمذي.

وقد ارتحل الإمام الترمذي وطوف البلاد شرقاً وغرباً وأخذ عن أكابر علماء عصره مثل :الإمام البخاري ،محمد بن بشار بندار ،قتيبة بن سعيد ،محمد بن المثنى ،اسحاق بن راهوية وغيرهم كثير.

وقد أخذ عنه العلم جمع من أهل العلم مثل :

أبو بكر أحمد بن إسماعيل بن عامر السمرقندي ، وأبو الحارث أسد بن حمدوية النسفي ، والحسين بن يوسف الغريري ، وحماد بن شاكر الوران وغيرهم كثير.

---

(١) السنن (٤/ ٢٤١).

(٢) السنن (٤/ ٢٤١).

(٣) السنن (٤/ ٢٤٢).

(٤) السنن (٤/ ٢٤٦).

(٥) السنن (٤/ ٩٤-١٢٥).

(٦) ط. دلهي عام ١٢٦٩هـ، ط. لكناو الهند ١٢٩٣هـ، ط. محمود الحسن -دهلي : كتاب خان رشيدية ، ط. عام ١٣٧٧هـ.ط. دهلي بعناية محمد عبد الأحد، ط. عام ١٣٢٨هـ ومع الشمائل المحمدية ، ط. تحقيق : أحمد شاكر ط. الحلبي ١٣٥٨ هـ.ط. بتحقيق : عزت الدعاس – حمص مكتبة دار الدعوة ١٣٨٥هـ.

(٧) انظر : سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٧٠)، وفيات الأعيان (٤/ ٢٧٨) ، وانظر للاستزادة : (الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه والصحيحين د. نور الدين عتر ، ط. مؤسسة الرسالة ط. الثانية ١٤٠٨هـ).

ثناء الأئمة عليه :

قال أبو سعد الإدريسي :" كان أبو عيسى يضرب المثل في الحفظ "[١] أ.هـ.

قال ابن حجر :" أحد الأئمة ، ثقة حافظ "[٢] أ.هـ.

قال عمر بن عبد الملك :" مات البخاري فلم يخلف بخراسان مثل أبي عيسى في العلم والحفظ والورع والزهد . بكى حتى عمي وبقي ضريراً سنين "[٣] أ.هـ.

كتابه "السنن" أو "الجامع ":

اسم الكتاب :

اختلفت عبارات الأئمة في تسمية كتاب الترمذي فبعضهم يسمية كتاب الترمذي فبعضهم يسميه الصحيح وهذا بعيد لأن مؤلفه لم يشترط في كتابة الصحة المطلقة .

وبعضهم يطلق عليه السنن وهو مشهور بذلك لأنه مبوب على أبواب الفقه وبعضهم يطلق عليه " الجامع " وهو الأشهر ولعله الراجح لأمرين :

الأول : لإشتماله على فنون الحديث الثانية التي إذا استوعبها أي كتاب سُمِّي في عرف المحدثين جامعاً والفنون الثانية هي :

السير ، الآداب ، التفسير ، العقائد ،الفتن ، الأحكام ، الأشراط ، المناقب .

الثاني : أنه لم يشترط ولم يلتزم فيه بالصحة [٤].

مكانة كتابه الجامع :

قال الإمام الترمذي : " صنفت هذا الكتاب فعرضته على علماء الحجاز فرضوا به ، وعرضته على علماء العراق فرضوا به ، وعرضته على علماء خراسان فرضوا به ومن كان في بيته هذا الكتاب فكأنما في بيته نبي يتكلم " [٥] أ.هـ.

---

(١) السير (١٣/ ٢٧٣).

(٢)التقريب ص٨٦٦ برقم (٦٢٤٦).

(٣) تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٣٤).

(٤)انظر الإمام الترمذي د. نور الدين عتر ص٥١ .

(٥) السير (١٣/ ٢٧٣)، التذكر (٢/ ٦٣٤).

وقال الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر المقدسي :" سمعت الإمام أبا إسماعيل عبد الله بن محمد الأنصاري بهراة ، وجرى بين يديه ذكر أبي عيسى الترمذي وكتابه ، فقال :" كتابه عندي أنفع من كتاب البخاري ومسلم ، لأن كتابي البخاري ومسلم لا يقف على الفائدة منهما إلا المتبحر العالم وكتاب أبي عيسى قد شرح أحاديثه وبينها يصل إلى فائدته كل أحد من الناس "[١] أ.هـ.

أهم الشروح والتعليقات على الكتاب :

- تحفة الأحوذي يشرح جامع الترمذي للمباركفوري ت(١٢٥٣هـ)[٢].
- عارضة الأحوذي في شرح صحيح الترمذي لأبي بكر بن العربي المالكي ت (٥٤٣هـ)[٣]
- معارف السنن شرح الترمذي تأليف محمد يوسف الحسيني النبوري[٤].
- النفح الشذي شرح سنن الترمذي لابن سيِّد الناس ت(٧٣٤هـ)[٥].
- كشف النقاب عما يقوله الترمذي وفي الباب تأليف محمد حبيب الله مختار[٦].

الكتب والأبواب العقدية في جامع الترمذي :

-باب ماجاء في تسوية القبور[٧].

-باب ماجاء في كراهية تجصيص القبور والكتابة عليها[٨].

---

(١) البداية والنهاية (١١/ ٧١).

(٢) ط. المكتبة السلفية – المدينة ١٣٨٣هـ بتحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الرحمن محمد عثمان .

(٣)ط. الصاوي – القاهرة سنة ١٣٥٢هـ.ط. دار الكتاب العربي – بيروت .

(٤) ط. المكتبة النبورية – كراتشي سنة ١٣٨٢هـ.

(٥) حقق في رسالتين علميتين :

الأولى : دراسة وتحقيق : عبد الرحمن صالح محي الدين – المدينة – الجامعة الإسلامية ١٤٠٦هـ.

الثانية : دراسة وتحقيق وتعليق : د. أحمد معبد عبد الكريم ط. دار العاصمة الرياض ١٤٠٩هـ.

(٦) ط. مجلس الدعوة والتحقيق الإسلامي – كراتشي ١٤٠٩هـ.

(٧) كتاب الجنائز (٣/ ٣٦٦) ط. تحقيق : أحمد شاكر .

(٨) كتاب الجنائز (٣/ ٣٦٨).

-كتاب القدر [١].

-كتاب الفتن [٢].

-كتاب صفة الجنة [٣].

-كتاب صفة النار [٤].

-كتاب الإيمان [٥].

-كتاب المناقب [٦].

---

(١) (٤/ ٣٨٦).

(٢) (٤/ ٤٠٠).

(٣) (٤/ ٥٧٩).

(٤) (٤/ ٦٠٤).

(٥) (٥/ ٥).

(٦) (٥/ ٥٤٤).

الفصل الأول

منهج أهل السنة في تقرير مسائل الاعتقاد
من خلال الجوامع الحديثية

المبحث الأول

طرائقهم في ترتيب وتبويب مسائل الاعتقاد .

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول : التصنيف الشامل دون ترتيب أو تبويب تفصيلي .

المطلب الثاني :التصنيف والترتيب والتبويب التفصيلي .

المطلب الأول : التصنيف الشامل دون ترتيب أو تبويب تفصيلي :

حينما بدأ التصنيف كان الهدف منه جمع السنة خشية الضياع وحتى يحفظ الدين وكان الجميع يرون أنهم متعبدون بما فيها لا يفرقون فيه بين أحكام عبادات أو معاملات أو عقائد فكله دين يدينون الله به ، ثم بدأ الأئمة بالتصنيف والترتيب على الكتب العامة ولكن لا يندرج تحتها أبواب تفصيلية فظهرت ما يسمى بالجوامع الحديثية مثل : جامع معمر ، وجامع سفيان الثوري وغيرهم .

وخلاصة لما تقدم كانت المصنفات التي لا تعتني بالترتيب والتبويب على قسمين :

النوع الأول : ما كان خالياً تماماً من ذكر التراجم والأبواب .

النوع الثاني : ما كان فيه أبواب عامة ولم تذكر فيه تراجم تفصيلية .

يقول الدكتور سزكين : " وقد مَّر تطور كتب الحديث بالمراحل التالية :

أ- كتابة الحديث : وقد سُجِّلت الأحاديث في عصر الصحابة وأوائل التابعين في كراريس صغيرة أطلق على الواحد منها اسم صحيفة أو جزء .

ب- تدوين الحديث : جمعت الكتابات المتفرقة في الربع الأخير من القرن الأول ، والربع الأول من القرن الثاني الهجري .

ج- تصنيف الحديث : وقد رتبت الأحاديث في هذه المرحلة وفق مضمونها في أبواب منذ سنة :١٢٥هـ تقريباً .

ومع أواخر القرن الثاني للهجرة ظهرت إلى جانب الطريقة الأولى : طريقة أخرى لترتيب الأحاديث وفق أسماء الصحابة في كتب المسانيد .

وفي القرن الثالث الهجري نقحت الكتب المنهجية المبتكرة وأعدَّت كتب جامعة سميت عند الباحثين المحدثين باسم : المجموعة الصحيحة وربما تكون هذه التسمية غير دقيقة "[1] أ.هـ.

---

(١) تاريخ التراث العربي (١/ ١/ ١٢٠) طباعة ونشر :إدارة الثقافة والنشر بالجامعة ط.عام ١٤١١هـ.

ولكن قبل الحديث عن هذين القسمين لابد أن تقدم لها بمقدمتين :

المقدمة الأولى : البواعث على التصنيف بهذه الطريقة :

١- القرب من مشكاة النبوة ومن عهد الصحابة الكرام حملة هذا الدين ، فكان الفهم للأحاديث والعمل بمقتضاها هو الأصل ولا حاجة لترتيب أو تبويب ، وإنما ظهرت الحاجة بعد ذلك للتقريب إلى الأذهان ولتقسيمها على أبواب الفقه والأحكام وما إلى ذلك .

٢- قلة التفرق ، وعدم ظهور البدع لأن السواد الأعظم لأهل السنة ، فلم تدعوا الحاجة لعقد أبواب تفصيلية للرد على أهل البدع أو إثارة شبهات غير موجودة ، ولكن لما أظهرت البدع وأطلَّت برؤوسها وظهرت كتبهم ومصنفاتهم تفنن الأئمة في العرض والتبويب والترتيب وكثرة الاستنباطات من النصوص لدمغ تلك البدع وإقامة الحجة عليهم .

٣- في تلك الفترةِ أعني بدايات التدوين الأولى كانت سوق الرحلة في طلب وجمع الحديث هي الرائجة ، فكان الاعتماد على الحفظ خشية فوات الإملاء عند الشيخ الذي يرحل إليه وما وجد من كتب، فإنما هي نسخ معدودة لكي تملى على طلبة العلم لا لعامة الناس ، وهذه ليس فيه ما يبعث على ترتيبها وتصنيفها على الأبواب لأن الغرض منها جمع الحديث فقط ؛ فكان الاعتماد على الحفظ .

قال الحافظ ابن حجر :" ... لم تكن في عصر أصحابه وكبار تبعهم مدونة في الجوامع ولا مرتبة لأمرين :

أحدهما : أنهم كانوا في ابتداء الحال قد نهوا عن ذلك كما ثبت في صحيح مسلم خشية أن يختلط بعض ذلك بالقرآن العظيم .

وثانيهما : لسعة حفظهم وسيلان أذهانهم ، ولأن أكثرهم كانوا لا يعرفون الكتابة "(١) أ.هـ.

---

(١) هدي الساري ص٨.

المقدمة الثانية :

ب- ما الإيجابيات والفوائد من التصنيف بهذه الطريقة الخالية من الترتيب التبويب ؟

لعلنا نذكر أهم الإيجابيات على سبيل الإجمال :

١- السهولة في العرض وعدم التكلف وسرد الأحاديث تباعاً مما يسهل على القاريْ قراءتها والاستفادة منها .

٢- بهذه الطريقة يؤخذ الدين بشموليته وعموميته عقائده وأحكامه ومعاملاته وعباداته وآدابه ، وأنه كل من عند الله متعبد لله به ، ولم يحدث التفريق بين العبادات والعقائد إلّا عند ظهور الخلاف في باب العقيدة .

٣- بهذه الطريقة يستطيع العالم أن يستنبط من الحديث أكثر من فائدة في أكثر من باب من أبواب الدين ،و لكن لما يورد الحديث في باب من أبواب المعاملات و فيه فائدة في باب من أبواب الاعتقاد فإن الشُرّاح والعلماء يجعلون الأصل التركيز على الفائدة من الباب الذي وضع الحديث فيه ويجملون الكلام حول الفائدة الأخرى التي لا تندرج تحت هذا الباب وبهذا قد يفوت بعض العلم بخلاف الطريقة التي لا تتعلق بباب من أبواب الدين ولهذا كثر التكرار في الأحاديث عند البخاري مثلاً.

٤- أن من أراد الحفظ فهذه الطريقة أسهل عليه وأجود كما ذكر ذلك ابن الأثير [١] .

بعد هاتين المقدمتين نبدأ بذكر النوع الأول من القسم الأول وهو :

النوع الأول : ما كان من المصنفات خالياً من ذكر أبواب عامة أو تراجم تفصيلية:

والمقصود ما كان يوجد فيه الحديث والآثار السرد من غير تعرض لتقسيمها حسب الأبواب وكانت المصنفات التي هي بهذه الكيفية غالباً ما تكون في القرن الأول وبدايات القرن الثاني للأسباب التي ذكرناها آنفاً ولعل من أبرز هذه الأنواع من المؤلفات ما يلي :

---

(١) جامع الأصول (١/ ٤٣) لابن الأثير تحقيق : الأرناوؤط ط. دار الفكر ط. الثانية ١٤٠٣هـ.

أ- النسخ والصحف الحديثية ولعل من أبرزها :

صحائف الصحابة [(١)]:

الصحابة ﭬ هم أوّل من اعتنى بتدوين العلم والوحي وقد تناقلت كتب السنة ما دوّنوه من صحف كانت تعرف " **بصحيفة فلان** [(٢)] " من الصحابة بعينه وهذه الصحف على ضربين: **الأول : ما كتب في حياته ﷺ وهذه ثلاثة صحف :**

صحيفة علي بن أبي طالب – ﭬ – :

عن أبي جحيفة قال : قلت لعلي : " هل عندكم كتاب ؟ قال : لا ، إلا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم ، أو ما في هذه الصحيفة، قال : قلت : فما في هذه الصحيفة ؟ قال : العقل ، وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر " [(٣)] أ.هـ.

وجاء في رواية أخرى عن إبراهيم التيمي ، عن أبيه عن علي ﭬ قال :" ما عندنا شيء إلا كتاب الله وهذه الصحيفة عن النبي ﷺ : "المدينة حرام ما بين عائر إلى كذا ، من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعلية لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرف ولا عدل ،وقال :ذمة المسلمين واحدة فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ،لا يقبل منه صرف ولا عدل ، ومن تولّى بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والناس أجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل " [(٤)].

وجاء في رواية أخرى :" لعن الله من ذبح لغير الله ، ولعن الله من سرق منار

---

(١) للاستزادة انظر : صحائف الصحابة لأحمد الصويان ط. الأولى عام ١٤١٠هـ ، ومعرفة النسخ والصحف الحديثية لـ د.بكر أبو زيد ط. الراية ط. الأولى ١٤١٢هـ.

(٢) والصحيفة في الاصطلاح : " ما تشتمل على حديث فأكثر ينتظمها إسناد واحد " . وهي مرادفة للنسخة.

انظر : معرفة النسخ والصحف الحديثية د. بكر أبو زيد ص٢٣.

(٣) أخرجه البخاري في العلم – باب كتابة العلم برقم (١١١) .وما ينقل عن علي غير هذه الصحيفة من الصحف والكتب إنما هو من اختلاق وكذب الرافضة. انظر: منهاج السنة (٨/ ١٣٦).

(٤) أخرجه البخاري في فضائل المدينة – باب حرم المدينة برقم (١٨٧٠) ومسلم في كتاب الحج برقم (١٣٧٠).

الأرض ، ولعن الله من لعن والديه ولعن الله من آوى محدثاً "[١].

قال الحافظ ابن حجر :" والجمع بين هذه الأحاديث أن الصحيفة كانت واحدة وكان جميع ذلك مكتوباً فيها فنقل كل واحد من الرواة عنه ما حفظه والله أعلم "[٢] أ.هـ.

صحيفة عبد الله بن عمرو " الصحيفة الصادقة " :

وأما تسميتها بالصادقة فهذه تسمية عبد الله بن عمرو لها فقد جاء عنه أنه قال : " ما يرغبني في الحياة إلا خصلتان : الصادقة والوهط [٣] فأمّا الصادقة : فصحيفة كتبتها عن رسول الله ﷺ وأمّا الوهط: فأرض تصدق بها عمرو بن العاص كان يقوم عليها "[٤].

وعن صفوان بن سليم عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال : " استأذنت النبي ﷺ في كتابة ما سمعته منه قال : فأذن لي فكتبته . فكان عبد الله يسمي صحيفته تلك : الصادقة "[٥] أ.هـ.

وكان في بعض الأحيان يحدث منها :

قال أبو قبيل[٦]:

" كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص وسئل : أي المدينتين تفتح أولاً : القسطنطنية[٧]

---

(١) مسلم في الأضاحي برقم (١٩٧٨/ ٤٥)،

(٢) الفتح (١/ ٢٤٧).

(٣) **الوهط** : قال ابن موسى :" الوهط قرية بالطائف على ثلاثة أميال من وج كانت لعمرو بن العاص " أ.هـ ، وقال ابن الأعرابي :" عرش عمرو بن العاص بالوهط ألف ألف عود كرم على ألف ألف خشبة ابتاع كل خشبة بدرهم، فحج سليمان بن عبد الملك فمر بالوهط فقال : أحب أن انظر إليه ، فلما رآه قال : هذا أكرم مال وأحسنه ما رأيت لأحد مثله لولا أن هذه الحرة وسطه ، فقيل له : ليست بحرة لكنها مسطاح الزبيب ، وكان زبيبه جمع في وسطه فلما رآه من البعد ظنه حرة سوداء " أ.هـ . معجم البلدان للحموي (٥/ ٤٤٤).

(٤) أخرجه الدارمي (١/ ١٣٨) ، والخطيب في تقييد العلم ص٨٤ .

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٤/ القسم الثاني / ص٨) في ترجمة "عبد الله بن عمرو بن العاص ".

(٦) **أبو قبيل** : هو حيُّ بن هانيء بن ناضِر -بنون معجمة- أبو قبيل : بفتح القاف وكسر الموحدة بعدها تحتانية ساكنة ، العافري المصري صدوق ، يهم من الثالثة مات سنة ثمان وعشرين .انظر:تقريب التهذيب ص٢٨٢،برقم (١٦١٦)، تحقيق أبو الأشبال صغير أحمد الباكستاني ط. دار العاصمة النشرة الأولى ١٤١٦هـ.

(٧) **القسطنطنية** : ويقال : قسطنطنية ، بإسقاط ياء النسبة قال ابن خردازية :" كانت رومية دار ملك الروم ، وكان بها منهم تسعة عشر ملكاً ونزل بعمورية منهم ملكان ، وعمورية دون الخليج بينها وبين القسطنطنية ستون ميلاً ، وملك بعدهما ملكان آخران برومية ثم ملك أيضاً برومية قسطنطين الأكبر ثم انتقل إلى بيزنطيه ،

أو رومَّية [(١)] ؟ فدعا عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتاباً فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب، إذ سئل رسول الله ﷺ: أي المدينتين تفتح أولاً: قسطنطنية أو رومَّية؟ فقال رسول الله ﷺ: "مدينة هرقل تفتح أولاً، يعني القسطنطنية" [(٢)] أ.هـ.

ولعل غالب الصحيفة إن لم يكن كلها قد وصل إلينا بالإسناد وكما هو الحال في مسند الإمام أحمد (٢/ ١٧٨-٢٢٧) بـرواية عمرو بن شعيب عن أبيه عن جـده [(٣)].

صحيفة عمرو بن حزم [(٤)]:

قال ابن سعد: "وكتب رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم حين بعثه إلى اليمن عهداً يعلمه فيه شرائع الإسلام وفرائضه وحدود" [(٥)].

وقال ابن عبد البر: "وكتب له – رسول الله ﷺ – كتاباً فيه: الفرائض والصدقات والديات" [(٦)].

وقال الحافظ ابن حجر: "استعمله النبي ﷺ على نجران وروى له كتاباً كتبه له فيه:

=وبنى عليها سوراً وسماها "قسطنطنية" وهي دار ملكهم إلى اليوم وأسسها اسطنبول وهي دار ملك الروم وبينها وبين بلاد المسلمين البحر المالح، عمَّرها ملك من ملوك الروم يقال له قسطنطين فسميت باسمه" أ.هـ. وقد فتحت على يد محمد الفاتح الخليفة العثماني – رحمه الله –. انظر: معجم البلدان (٤/ ٣٩٥).

(١) رومية: بالتخفيف وهي مدينة رياسة الروم وعلمهم وسمّي الروم روماً لإضافتهم إلى مدينة رومية واسمها رومانس بالرومية فعرّب هذا الاسم، وهي شمالي وغربي القسطنطنية بينهما مسيرة خمسين يوماً أو أكثر وبها يسكن البابا الذي تطيعه الفرنجة وهو لهم بمنزلة الإمام، وهي الآن في ايطاليا. انظر: معجم البلدان (٣/ ١١٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢/ ١٧٦). والحاكم (٤/ ٥٠٨-٥٥٥) وصححه ووافقه الذهبي. وأورده الهيثمي في المجمع (٦/ ٢١٩) وقال: "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير أبي قبيل وهو ثقة" أ.هـ، وصححه الشيخ أحمد شاكر كما في المسند بتحقيقه برقم (٦٦٤٥). والألباني كما في السلسلة الصحيحة برقم (٤).

(٣) ممن استظهر هذا فؤاد سزكين كما في تاريخ التراث العربي (١/ ١/ ١٥٣).

(٤) عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان الخزرجي البخاري، يكنى بأبي الضحاك وأول مشاهده: الخندق، استعمله رسول الله ﷺ على نجران وهو ابن سبع عشرة سنة. انظر: الإصابة (٢/ ٥٣٢) لابن حجر ط.دار الفكر، أسد الغابة (٤/ ٩٨) لابن الأثير ط. دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.

(٥) الطبقات الكبرى (١/ القسم الثاني/ ص٢١)

(٦) الاستيعاب بهامش الإصابة (٢/ ٥١٧) لابن عبد البر، ط.دار الفكر.

الفرائض والزكاة والديات وغير ذلك "(١).

وقد روى الأئمة بأسانيدهم- وكلها لا تخلوا من مقال- تفاصيل هذه الصحيفة وما فيها ، ولكن الجمل التي فيها لها شواهد تدل على صحتها من الأحاديث الثابتة والصحيحة.

وقد أثبت الأئمة هذه الصحيفة من المتقدمين والمتأخرين واعتمدوا عليها فمن ذلك:

✓ اعتماد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ عليها في دية الأصابع (٢).

✓قال الإمام أحمد –رحمه الله - :" لاشك أن الرسول ﷺ كتبه واحتج الفقهاء كلهم بما فيه من مقادير الديات " (٣).

✓وقال ابن عبد البر بعد أن ساق مقادير الديات من كتاب عمرو بن حزم : " هذا كله مجتمع عليه ..." (٤).

وقال أيضاً :" وهو كتاب مشهور عند أهل السير معروف ما فيه عند أهل العلم معرفة تستغني بشهرتها عن الإسناد لأنه أشبه المتواتر في مجيئه لتلقي الناس له بالقبول والمعرفة " (٥).

✓وقال الشوكاني :" وهذا الحديث قد تلقته الأمة بالقبول " (٦).

✓وقال يعقوب الفسوي (٧):" لا أعلم في جميع الكتب أصح من كتاب عمرو بن حزم ،كان أصحاب رسول الله ﷺ والتابعون يرجعون إليه ويدعون آراءهم " (٨).

---

(١) الإصابة (٢/ ٥٣٢).

(٢) أخرجه: عبد الرزاق في المصنف (٩/ ٣٨٤) برقم (١٧٦٩٨) تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي المكتب الإسلامي الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ .والبيهقي (٨/ ٩٣) وسنده صحيح .

(٣) انظر : زاد المعاد (١/ ١١٩).

(٤) التمهيد (١٧/ ٣٨٢) تحقيق سعيد أحمد أعراب .

(٥) التمهيد (١٧/ ٣٣٨).

(٦) السيل الجرار (٤/ ٤٤٣) ط. دار الكتب العلمية ط. ١٤٠٥هـ.

(٧) يعقوب بن سفيان الفسوي :الإمام الحافظ الحجة الرحال محدث إقليم فارس أبو يوسف ،من أهل مدينة فسا ، ويقال له يعقوب بن أبي معاوية .سمع أبا عاصم النبيل ،وعبيد الله بن موسى وغيرهم ،وحدث عنه : أبو عيسى الترمذي وأبو عبدالرحمن النسائي وغيرهم.مات سنة سبع وسبعين ومئتين .انظر :السير (١٣/ ١٨٠).

(٨) انظر: نصب الراية للزيلعي (٢/ ٣٤٢) ط. دار الحديث .

الثاني : ماكتب بعد وفاته ﷺ .

صحيفة جابر بن عبد الله - رضي الله عنه - :

كان جابر رضي الله عنه يكتب حديث النبي ﷺ ، فقد جاء عن الربيع بن سعد أنه قال :" رأيت جابراً يكتب عن ابن سابط في ألواح "(١).

والذي اهتم بها ورواها هو سليمان بن قيس اليشكري (٢):

قال ابن أبي حاتم :" جالس سليمان اليشكري جابراً فسمع منه وكتب عن صحيفة "(٣).

وروى الخطيب البغدادي بسنده أن همّام بن يحي قال :" قدمت أم سليمان اليشكري فقرىء على ثابت وقتادة وأبي بشر والحسن ومطرف فرووها كلها ، وأما ثابت فروى منها حديثاً واحداً "(٤).

صحيفة سمرة بن جندب - رضي الله عنه - :

وهذه الصحيفة كتبها سمرة إلى بنيه وأودع فيها علماً جماً وأحاديث كثيرة وردت إلينا مسندة في كتب السنة المشهورة وهي لا تخلو من مقال ولكن بعضها يشهد لها ما ورد في الأحاديث الصحيحة .

قال الحافظ ابن حجر في ترجمة سليمان بن سمرة بن جندب : " روى عن أبيه نسخة كبيرة ..."(٥).

وقد جاء أن هذه الوصية كانت عند : مروان بن جعفر بن سعد بن سمرة بن جندب (٦).

---

(١) الخطيب في تقييد العلم ص١٠٩ .

(٢) سليمان بن قيس اليشكري ،روى عن أبي سعيد وجابر وعنه قتادة وعمرو بن دينار وثقه جمع منهم أبوزرعة والنسائي والعجلي وابن حبان وغيرهم ، وكانت وفاته في فتنة ابن الزبير وذكره البخاري فيمن مات ما بين السبعين إلى الثمانين.انظر: التهذيب(٤/ ١٨٨)، التاريخ الكبير للبخاري(٤/ ٣٠) .

(٣) الجرح والتعديل (٤/ ١٣٦) برقم (٥٩٦).

(٤) الكفاية في علم الرواية ص ٥٠٦ ط. دار الكتب الحديثة بالقاهرة مراجعة عبد الحليم محمد عبد الحليم ط. الثانية

(٥) التهذيب (٤/ ١٧٣).

(٦)الطبقات لابن سعد (٦/ ٢٩١).

وقد جاء في أولها : " من سمرة بن جندب ، سلام عليكم فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإني أوصيكم بتقوى الله ، وأن تقيموا الصلاة وتؤتوا الزكاة ، وتجنَّبوا الخبائث ، وتطيعوا الله ورسوله والخلفاء الذين يقيمون أمر الله ، وأن رسول الله ﷺ كان أمرنا أن نصلي من الليل ، ويصلي أحدنا بعد الصلاة المكتوبة ما قل أو كثر ونجعلها وتراً..."(١).

صحيفة أبي هريرة – رضي الله عنه – :

كان رضي الله عنه أكثر الصحابة رواية للحديث وقد كتب عنه تلاميذه عدة نسخ من أبرزها :

- صحيفة همام بن منبه عنه .
- نسخة أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة .
- نسخة سهيل بن أبي صالح عن أبيه (٢).

وقال الحافظ ابن حجر : " أجمع أهل الحديث على أنه أكثر الصحابة حديثاً ، وذكر أبو محمد بن حزم أن مسند بقي بن مخلد احتوى من حديث أبي هريرة على خمسة آلاف وثلاثمائة حديث وكسر " (٣) أ.هـ.

ب- المسانيد:

ولعل من الطرق التي جمع فيها الحديث من غير تبويب ولا ترتيب هو ما يسمى "**بالمسانيد**" بأن تجمع الأحاديث على مسانيد الصحابة دون النظر إلى ترتيبها وتبويبها حسب موضوعاتها.

وقد كان الهدف من هذا الأمر هو أن يُخَصَّ حديث النبي ﷺ بالجمع حتى يمكن حفظه وروايته ونقله .

قال الحافظ :"...إلى أن رأى بعض الأئمة منهم أن يفرد حديث النبي ﷺ خاصَّة

---

(١) كشف الاستار عن زوائد مسند البزار (٢/ ١٣٧) برقم (١٣٧٧) ط. مؤسسة الرسالة ط. الأولى ١٣٩٩هـ بتحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي .
(٢) انظر التفصيل ذلك في صحائف الصحابة للصويان ص١٨٩ .
(٣) الإصابة (٤/ ٢٠٤-٢٠٥).

وذلك على رأس المائتين "[١] أ.هـ.

أهم الدوافع لتصنيف المسانيد :

لعلنا نذكر من الأسباب التي دعت الأئمة أن يصنفوا الحديث بهذه الطريقة ، بل إنها استمرت حتى بعد ظهور الترتيب على الأبواب ولعل من أهم الأسباب ما يلي :

١- جمع الحديث ليحفظ لفظه دون الالتفات لما قد يستنبط منه أو معرفة تحت أي الأبواب هو فالمقصد الأساسي حفظ السنة لا غير وهي طريقة تسهل الحفظ للقارىء خاصة إذا رتبت على حسب رواة الحديث من الصحابة .

قال ابن الأثير :" فمنهم من قصرت همته على تدوين الحديث مطلقاً ليحفظ لفظه ، ويستنبط منه الحكم ..."[٢] أ.هـ.

٢- أن الذي يستنبط من الأحاديث مباشرة لا يفوته غالباً أوجه الاستنباط أما الذي يصنفها على الأبواب فغالباً ما يقتصر على وجه واحد من الاستنباط وهو الباب الذي أدرج تحته .

٣- أن تدوين الحديث بهذه الطريقة فيه إظهار لصورة قد تغيب عن الذهن وهو أن العمل بهذه الأحاديث واجب ودين ولا يفرق فيها بين أحاديث أحكام وعقائد كما هو عند المتأخرين ولهذا كانت هذه المسانيد هي مصدر من المصادر التي حفظ بها الدين . وكان لها أثر أيضاً في حفظ عقيدة الأمة بأن صارت مرجعاً لهم وقت الفتن وانتشار البدع .

أهم المسانيد المصنفة في القرون الثلاثة الأولى :

المسانيد مرتبة على حسب تقدم وفاة الراوي:

١. المسند[٣] لحماد بن سلمة[٤] ت : (١٦٧هـ).

---

(١) هدي الساري ص٨.
(٢) جامع الأصول (١/ ٤٣).
(٣) جذوة المقتبس ص ٢٥٢.
(٤) ستأتي ترجمته في آخر باب من البحث.

٢. المسند [١] لوكيع بن الجراح [٢] ت: (١٩٧هـ).

٣. المسند [٣] لأسد بن موسى [٤] (أسد السنة) ت:(٢١٢هـ).

٤. المسند [٥] لأبي إسحاق إبراهيم بن نصر [٦] ت : (٢١٣هـ ويقال ٢١٠هـ).

٥. المسند [٧] لعبيد الله بن موسى العبسي [٨] ت : (٢١٣هـ).

٦. المسند [٩] لإسحاق بن راهويه [١٠] ت: (٢١٤هـ).

---

(١) التحبير في المعجم الكبير للسمعاني (٢/ ١٨١) تحقيق منيرة ناجي سالم .

(٢)وكيع بن الجرَّاح بن مليح بن عدي بن فرس ،الإمام الحافظ محدث العراق أبو سفيان الرؤاسي الكوفي ، سمع من :هشام بن عروة وسليمان الأعمش وغيرهما ، وعنه سفيان الثوري وعبدالله بن المبارك وغيرهما ، وكان من بحور العلم وأئمة الحفظ.انظر :السير (٩/ ١٤٠)،الجرح والتعديل (١/ ٢١٩) ،مقدمة كتاب الزهد لـد.عبد الرحمن الفروائي (١/ ٨٨).

(٣) السير (١٠/ ١٦٤).

(٤) أسد بن موسى الملقب (أسد السنة) هو: أسد بن موسى ابن إبراهيم الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان القرشي الأموي المرواني المصري . قال النسائي : ثقة ولو لم يصنف لكان خيراً له .وقال البخاري : هو مشهور الحديث ، يقال له : أسد السنة .كانت وفاته في مصر سنة اثنتي عشرة ومئتين .انظر : السير (١٠/ ١٦٢) ، تهذيب التهذيب (١/ ٢٢٨).

(٥) السير (١٠/ ٣٩٧).

(٦) أبي إسحاق إبراهيم بن نصر الخراساني المطوعي الغازي .كان أبو زرعة يقدمه ويفخمه ، استشهد في حرب بابك الخرمي سنة ثلاث عشرة ومئتين .انظر : السير (١٠/ ٣٩٧).

(٧) السير (٩/ ٥٥٤) ، انظر : فتح الباري المقدمة ص ٨ .

(٨) عبيد الله بن موسى ابن أبي المختار ، باذام ، أبو محمد العبسي –بموحدة– مولاهم الكوفي . الحافظ العابد ، وثقه ابن معين وجماعة ، وحديثه في الكتب الستة ، قال أبو حاتم : ثقة صدوق حسن الحديث.قال أحمد بن عبد الله العجلي : ثقة ، رأس في القرآن عالم به ، ما رأيته رافعاً رأسه ، وما رئي ضاحكاً قط . مات في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة .انظر : السير (٩/ ٥٥٣) ، تهذيب التهذيب (٧/ ٤٦).

(٩) طبقات الداوّدي (١/ ١٠٢)لشمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي تحقيق علي محمد عمر نشر مكتبة وهب الدبعة الأولى عام ١٣٩٢هـ .

(١٠) إسحاق بن راهوية هو : إسحاق بن إبراهيم بن مَخْلَد بن إبراهيم التميمي ثم الحنظلي ، المروزي المعروف بـ" راهوية" شيخ المشرق وسيد الحفاظ ، قال عنه الإمام أحمد :" لا أعرف لإسحاق في الدنيا نظير ". وقال النسائي :" ابن راهويه أحد الأئمة ، ثقة مأمون سعت سعيد بن ذؤيب يقول : ما أعلم على وجه الأرض مثل إسحاق " .وقال عن نفسه :" أحفظ سبعين حديث عن ظهر قلبي ".مات سنة ثلاث أربعين ومائتين .انظر : السير (١١/ ٣٥٨) ، طبقات الحنابلة (١/ ١٠٩).

٧. المسند [١] للحميدي [٢] ت: (٢١٩هـ).

٨. المسند [٣] ليحي بن عبد الحميد الحماني [٤] ت: (٢٢٨هـ).

٩. المسند [٥] لنعيم بن حماد [٦] ت: (٢٢٩هـ).

١٠. المسند [٧] لعلي بن المديني [٨] ت: (٢٣٤هـ).

١١. المسند [٩] لأبي خيثمة زهير بن حرب [١٠] ت: (٢٣٤هـ).

---

(١) السير (١١/ ٦١٦).

(٢) الحميدي: عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله بن أسامة بن عبد الله بن حُميد ابن زُهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى. قال أحمد بن حنبل: الحميدي عندنا إمام، وقال يعقوب الفسوي: حدثنا الحُميدي، ومالقيت أنصح للإسلام وأهله منه. مات بمكة سنة تسع عشرة. انظر: السير (١٠/ ٦١٦)، تهذيب التهذيب (٥/ ١٨٩).

(٣) السير (١٠/ ٥٢٧).

(٤) يحي بن عبد الحميد الحماني: هو يحي بن عبد الحميد ابن عبد الرحمن بن ميمون بن عبد الرحمن الحافظ أبو زكريا ابن المحدث الثقة يحي الحماني الكوفي. قال محمد بن عبد الرحمن: سُئل أحمد بن حنبل عن يحي الحماني فسكت فلم يقل شيئاً. قال أحمد بين زهير عنه: يحي الحماني ثقة. مات سنة ثمان وعشرين ومئتين. انظر: السير (١٠/ ٥٢٦)، تهذيب التهذيب (١١/ ٢١٣).

(٥) السير (١٠/ ٥٩٧).

(٦) نعيم بن حماد: بن معاوية بن الحارث بن همام بن سلمة بن مالك. الإمام العلامة الحافظ صاحب التصانيف، قال يوسف بن عبد الله الخوارزمي: سألت أحمد بن حنبل عن نُعيم بن حماد فقال: لقد كان من الثقات. وقال أبو حاتم: محله الصدق. مات في السجن سنة ثمان وعشرين ومئتين. انظر: السير (١٠/ ٥٩٥)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٠٩).

(٧) السير (١١/ ٤٧).

(٨) علي بن المديني هو: أبو الحسن علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدي مولاهم البصري المعروف بابن المديني. الشيخ الإمام الحجة أمير المؤمنين في الحديث، قال أبو حاتم الرازي: كان ابن المديني عَلَماً في الناس في معرفة الحديث والعلل، كان أحمد بن حنبل لا يسميه إنما يكنيه تبجيلاً له، ما سمعت أحمد سماه قط. مات في سامراء في ذي القعدة سنة أربع وثلاثين ومئتين. انظر: السير (١١/ ٤١). تهذيب التهذيب (٧/ ٣٠٦).

(٩) الفهرست ص٢٨٦.

(١٠) زهير بن حرب بن شداد، الحرشي النسائي ثم البغدادي، أبو خيثمة، الحافظ الحجة، أحد أعلام الحديث حدث عن سفيان ويحي القطان وغيرهما، وعنه السيخان وأبو داود وابن ماجة وغيرهم، أكثر من التطواف في العلم، وجمع وصنف وبرع في هذا الشأن. كانت وفاته سنة أربع وثلاثين ومائتين. انظر: السير (١١/ ٤٨٩)، تاريخ بغداد (٨/ ٤٨٢)، شذرات الذهب (٢/ ٨٠).

١٢. المسند[١] لابن أبي شيبة[٢] ت: (٢٣٥هـ).

١٣. المسند[٣] الكبير لسهل بن زنجالة[٤] ت: (٢٣٨هـ).

١٤. المسند[٥] للإمام أحمد بن حنبل[٦] ت: (٢٤١هـ).

١٥. المسند[٧] ليعقوب بن حميد بن كاسب[٨] ت: (٢٤١هـ).

١٦. المسند[٩] لمحمد بن أسلم الكندي الطوسي[١٠] ت: (٢٤٢هـ).

١٧. المسند[١١] لمحمد بن يحي العدني[١٢] ت: (٢٤٣هـ).

---

(١) السير (١١/ ١٢٥)،الفهرست ص٢٨٥.

(٢) ابن أبي شيبة : تقدمت ترجمته .

(٣) السير (١٠/ ٦٩٢).

(٤) **سهل بن زنجالة** : وهو سهل بن أبي سهل أبو عمرو الرازي الخيّاط الأشتر .الحافظ الإمام الكبير ، قال أبو حاتم : صدوق .قال أبو يعلى الخليلي : سهل ثقة حجة ارتحل مرتين وله تصانيف ولا تقدم عليه أحد في الإتقان والديانة من أقرانه في وقته .توفي سنة ثمان وثلاثين ومئتين .انظر: السير (١٠/ ٦٩٢)، تهذيب التهذيب (٤/ ٢٢١).

(٥) السير (١١/ ٣٢٧).

(٦) أحمد بن حنبل : تقدمت ترجمته .

(٧) السير (١١/ ١٥٩).

(٨) **يعقوب بن حميد بن كاسب** : أبو الفضل ، يعقوب بن حميد بن كاسب المدني نزيل مكة .الحافظ المحدث الكبير ، كان من أئمة الأثر على كثرة مناكير له .قال البخاري : لم نر إلا خيراً .وقال أبو حاتم : ضعيف الحديث .وقال النسائي : ليس بشيء .مات في آخر سنة إحدى وأربعين ومئتين .انظر:السير (١١/ ١٥٨) ، تهذيب التهذيب (١١/ ٣٣٦).

(٩) السير : (١٢/ ١٩٥).

(١٠) **محمد بن أسلم** هو : محمد بن أسلم بن سالم بن يزيد أبو الحسن الكندي الطوسي الخراساني .الإمام الحافظ الرباني شيخ الإسلام ، قال فيه محمد بن رافع : دخلت على محمد بن أسلم ، فما شبهته إلا بأصحاب رسول الله ﷺ ، قال الحاكم : قام محمد بن أسلم مقام وكيع وأفضل من مقامه لزهده وورعه وتتبعه للأثر . مات سنة اثنتين وأربعين ومئتين بنيسابور .انظر : السير (١٢/ ١٩٥).

(١١) السير (١٢/ ٩٦).

(١٢) محمد بن يحي العدني : أبو عبد الله محمد بن يحي ابن أبي عمر العدني .الإمام المحدث الحافظ شيخ الحرم ، قال ابن أبي حاتم : سألت أبي عنه فقال : كان رجلاً صالحاً ، وكانت به غفلة رأيت عنده حديثاً موضوعاً ، حدث به عن ابن عيينة وكان صدوقاً .مات بمكة سنة ثلاثٍ وأربعين ومئتين .انظر : السير (١٢/ ٩٦) ، تهذيب التهذيب (٩/ ٤٥٧).

١٨. المسند [١] لأحمد بن منيع أبو جعفر البغوي [٢] ت : (٢٤٤هـ).
١٩. المسند الأكبر [٣] لأبي إسحاق إبراهيم بن سعيد الجوهري [٤] ت : (٢٤٧هـ)
٢٠. المسند [٥] لعبد بن حميد [٦] ت : (٢٤٩هـ).
٢١. المسند [٧] لإسحاق بن البهلول بن حسان [٨] ت : (٢٥٢هـ).
٢٢. المسند [٩] ليعقوب بن إبراهيم الدورقي [١٠] ت :(٢٥٢هـ) .
٢٣. المسند [١١] للدارمي [١٢] ت: (٢٥٥هـ).

---

(١) السير (١١/ ٤٨٣).

(٢) أحمد بن منيع هو : أحمد بن منيع بن عبد الرحمن أبو جعفر البغوي ثم البغدادي وأصله من مرو الروذ . الإمام الحافظ الثقة ، وثقه صالح جزرة وغيره .مات في شوال سنة أربع وأربعين ومئتين .انظر : السير (١١/ ٤٨٣) ، تهذيب التهذيب (١/ ٤٢) .

(٣) السير (١٢/ ١٤٩).

(٤) أبو إسحاق الجوهري هو: أبو إسحاق إبراهيم بن سعيد البغدادي الجوهري،الإمام الحافظ المجود ، وثقه النسائي ، قال الخطيب : كان ثقةً ثبتاً مكثراً .توفي مرابطاً بعين زربة فما حرروا وفاته كما ينبغي فقيل : مات سنة سبع وأربعين وقيل سنة أربع وأربعين وقيل سنة تسع وأربعين . انظر : السير (١٢/ ١٤٩)، تهذيب التهذيب (١/ ١٠٧).

(٥) السير (١٢/ ٢٣٥).

(٦) عبد بن حميد هو : عبد الله بن حميد بن نصر الكسي ، ويقال : الكشي –بالفتح والإعجام ، أبو محمد ويقال اسمه : عبد الحميد .إمام حافظ حجّة جوّال ، كان من الأئمة الثقات .كانت وفاته سنة تسع وأربعين ومئتين .انظر : السير (١٢/ ٢٣٥) ، شذرات الذهب (٢/ ١٢٠).

(٧) الطبقات السنية (٢/ ١٥٣)تحقيق د.عبد الفتاح الحلو ط.دار الرفاعي ط.الأولى١٤٠٣هـ.

(٨) إسحاق بن البهلول هو : إسحاق بن البهلول ابن حسان أبو يعقوب التنوخي الأنباري .الحافظ الثقة العلامة ، قال أبو بكر الخطيب : كان ثقة .مات في الحجة في سنة اثنين وخمسين ومئتين .انظر : السير (١٢/ ٤٨٩) ، تاريخ بغداد (٦/ ٣٦٦-٣٦٩).

(٩) السير (١٢/ ١٤٢).

(١٠) يعقوب الدورقي هو : يعقوب بن إبراهيم بن كثير بن زيد بن أفلح بن منصور بن مُزاح أبو يوسف العبدي القيسي مولاهم ، الدورقي .الحافظ الإمام الحجة ، وثقه النسائي وغيره .وقال الخطيب : كان ثقة حافظاً متقناً وقال أبو حاتم : صدوق . مات سنة ثلاثين ومئتين .انظر : السير (١٢/ ١٤١) ، تهذيب التهذيب (١١/ ٣٣٤).

(١١) السير (١٢/ ٢٢٨).

(١٢) الدارمي هو: عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام بن عبد الله ، أبو محمد التميمي ثم الدارمي السمرقندي .الحافظ الإمام ، أحد الأعلام ، روى نعيم بن ناعم قال : سمعت محمد بن عبد الله بن نمير يقول

٢٤. المسند [١] لمحمد بن سنجر الجرجاني [٢] ت: (٢٥٨هـ).

٢٥. المسند [٣] لأحمد بن الفرات الرازي [٤] ت: (٢٥٨هـ)

٢٦. المسند [٥] لمحمد بن جوان بن شعبة [٦] ت: (٢٥٨هـ).

٢٧. المسند [٧] لأحمد بن سنان القطان [٨] ت:(٢٥٨هـ).

٢٨. المسند [٩] لإسحاق بن إبراهيم الجرجاني [١٠] ت : (٢٥٩هـ).

٢٩. المسند [١١] لإسماعيل بن يزيد القطان [١٢] ت : (٢٦٠هـ).

=: غلبنا عبد الله بن عبد الرحمن بالحفظ والورع .قال محمد بن عبد الله المخرمي يقول : ياأهل خُراسان مادام عبد الله بن عبد الرحمن بين أظهركم فلا تشتغلوا بغيره .مات في سنة خمسٍ وخمسين ومئتين .انظر : السير (١٢/ ٢٢٤) ، تهذيب التهذيب (٥/ ٢٥٨).

(١) السير (١٢/ ٤٨٦)،العبر (١/ ٣٧١)،تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٧٨).

(٢) محمد بن سنجر الجرجاني :أبو عبد الله الحافظ سمع أبا نعيم وطبقته،وكان ثقة خيراً ، كانت وفاته في ربيع الأول بصعيد مصر سنة ٢٥٨هـ.انظر:العبر(١/ ٣٧١) ،تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٧٨) ، شذرات الذهب (٢/ ١٣٨) .

(٣) السير (١٢/ ٤٨٧).

(٤) أحمد بن الفرات الرازي : ابن خالد أبو مسعود الضبي الرازي نزيل أصبهان .الشيخ الإمام الحافظ الكبير الحجة محدث أصبهان ، طلب العلم في الصغر وعُدّ من الحفاظ .قال أبو عروبة الحراني : أبو مسعود الأصبهاني في عداد أبي بكر بن أبي شيبة في الحفظ وأحمد بن سليمان الرهاوي في الثبت .توفي في شعبان سنة ثمان وخمسين ومئتين .

انظر : السير (١٢/ ٤٨٠) ، تهذيب التهذيب (١/ ٥٧).

(٥) تاريخ بغداد (٢/ ١٦٠).

(٦) محمد بن جوان بن شعبة ويقال محمد بن شعبة بن جوان أبو علي .انظر:تاريخ بغداد (٢/ ١٦٠).

(٧) العبر في خبر من غبر للذهبي(١/ ٣٧٠)تحقيق زغلول ط.دار الكتب العلمية –بيروت .

(٨) أحمد بن سنان القطان أبو جعفر الواسطي الحافظ ،سمع أبا معاوية وطبقته ، وصنف المسند،كتب عنه ابن أبي حاتم وقال :هو إمام أهل زمانه.العبر (١/ ٣٧٠) .

(٩) السير (١٢/ ٥٠٧).

(١٠) إسحاق بن إبراهيم الجرجاني : أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن موسى الجرجاني العَصَّار الوزدولي . الإمام الكبير الحافظ الثبت ، وكان أحد الثقات .مات سنة تسع وخمسين ومئتين .انظر: السير (١٢/ ٥٠٧) .

(١١) طبقات الداودي (١/ ١١٤)، لسان الميزان (١/ ٤٤٣) لابن حجر ط.دار الكتاب الإسلامي ط.الثانية.

(١٢) إسماعيل بن يزيد القطان هو : إسماعيل بن يزيد بن حريث أبو برد القطان أبي أحمد .كان يذكر بالزهد والعبادة كثير الغرائب والفوائد .روى عنه أبو حاتم وسُئل عنه فقال صدوق .توفي قبل الستين والمائتين .انظر : لسان الميزان (١/ ٤٤٣) ، طبقات الداودي (١/ ١١٤).

٣٠. المسند [١] ليعقوب بن شيبة [٢] ت: (٢٦٢هـ).

٣١. المسند الكبير [٣] لأحمد بن منصور الرمادي [٤] ت: (٢٦٥هـ).

٣٢. المسند [٥] لعلي بن حرب الموصلي [٦] ت: (٢٦٥هـ).

٣٣. المسند [٧] ليزيد بن سنان بن ذيّال [٨] ت: (٢٦٤هـ).

٣٤. المسند [٩] الكبير للإمام مسلم [١٠] ت: (٢٦٤هـ).

٣٥. المسند [١١] لعمار بن رجاء [١٢] ت:(٢٦٧هـ).

---

(١) السير (١٢/ ٤٧٦).

(٢) يعقوب بن شيبة هو : ابن صلت بن عُصفور ، أبو يوسف السدوسي البصري ثم البغدادي .الحافظ الكبير العلامة الثقة ، وثقه أبو بكر الخطيب وغيره .مات في سنة اثنتين وستين ومئتين .انظر: السير (١٢/ ٤٧٦) ، تاريخ بغداد (١٤/ ٢٨١-٢٨٣).

(٣) السير (١٢/ ٣٩٠).

(٤) أحمد منصور الرمادي : أبو بكر أحمد منصور بن سيّار بن مُعارِك ، الرمادي البغدادي .الإمام الحافظ الضابط ، قال الدار قطني : هو ثقة .قال ابن أبي حاتم : كان أبي يوثقه .مات سنة خمسٍ وستين ومئتين.انظر : السير (١٢/ ٣٨٩) ، تهذيب التهذيب (١/ ٤٢).

(٥) السير (١٢/ ٢٥٣).

(٦) علي بن حرب الموصلي : ابن محمد بن علي بن حيَّان بن مازن بن العضوبة ، أبو الحسن الطائي الموصلي. الإمام المحدث الثقة الأديب مسند وقته ، قال أبو حاتم : صدوق .قال الدار قطني : ثقة.مات سنة خمس وستين ومئتين. انظر : السير (١٢/ ٢٥١) ، تهذيب التهذيب (٧/ ٢٦٠).

(٧) السير (١٢/ ٥٥٤).

(٨) يزيد بن سنان بن ذيّال : ابن يزيد بن ذيَّال ، أبو خالد البصري القزّاز ، مولى قريش .الإمام الحافظ الثقة بلغنا أنه كان ثقةً إماماً نبيلاً .توفي جمادي الأولى سنة أربع وستين ومئتين .انظر:السير (١٢/ ٥٥٤) ، تهذيب التهذيب (١/ ٢٩٢).

(٩) السير (١٢/ ٥٧٩).

(١٠) الإمام مسلم : أبو الحسين ، مسلم ابن الحجاج بن مسلم صاحب الصحيح .الإمام الحجة الكبير الحافظ المجود الصادق ، قال أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن الأخرم : إنما أخرجت نيسابور ثلاثة رجال : محمد بن يحي ومسلم بن الحجاج وإبراهيم بن أبي طالب .انظر: السير (١٢/ ٥٥٧) ، تهذيب التهذيب (١٠/ ١١٣).

(١١) السير (١٣/ ٣٥).

(١٢) **عمار بن رجاء** : أبو ياسر التغلبي الأستر أبادي .الحافظ الثقة الإمام رحل وجمع وصنف ، قال أبو سعيد الإدريسي : كان شيخاً فاضلاً ديِّناً كثير العبادة والزهد ، ثقة في الحديث .مات سنة سبع وستين ومئتين. انظر:السير (١٣/ ٣٥).

٣٦. المسند [١] لأسيد بن عاصم [٢] ت: (٢٧٠هـ) .

٣٧. المسند [٣] لأحمد مهدي بن رستم الأصبهاني [٤] ت:(٢٧٢هـ).

٣٨. المسند [٥] لأبي أمية محمد بن إبراهيم البغدادي الطرسوسي [٦] ت: (٢٧٣هـ)

٣٩. المسند [٧] لأحمد بن حازم ابن أبي غرزة [٨] ت: (٢٧٦هـ) .

٤٠. المسند [٩] لبقي بن مخلد [١٠] ت: (٢٧٦هـ).

٤١. المسند [١١] للحنيني [١٢] ت: (٢٧٧هـ) .

---

(١) السير (١٢/ ٣٧٨).

(٢) **أسيد بن عاصم** : الثقفي أبو الحسين .الحافظ المحدث الإمام ، قال ابن أبي حاتم : ثقة رضيً .توفي سنة سبعين ومئتين. انظر:السير (١٢/ ٣٧٨).

(٣) السير (١٢/ ٥٩٧).

(٤) **أحمد بن مهدي بن رستم** : أبو جعفر الأصبهاني .الإمام القدوة العابد الحافظ المتقن ، قال محمد بن يحي بن منده : لم يُحدِّث ببلدنا منذ أربعين سنة أوثق منه .وقال أبو نعيم الحافظ : كان صاحب ضياع وثروة أنفق على أهل العلم ثلاث مئة ألف درهم.توفي سنة اثنتين وسبعين ومئتين .انظر:السير (١٢/ ٥٩٧).

(٥) السير (١٣/ ٩١).

(٦) **أبو أمية محمد البغدادي** : أبو أمية محمد بن إبراهيم بن مسلم البغدادي ثم الطرسوسي .الإمام الحافظ المجود الرحال ، قال ابن يونس: كان فهماً ، حسن الحديث .قال أبو داود : ثقة .قال أبو عبد الله الحاكم :.أبو أمية صدوق كثير الوهم .مات سنة ثلاث وسبعين ومئتين .انظر : السير (١٣/ ٩١) ، تهذيب التهذيب (٩/ ١٤).

(٧) السير (١٣/ ٢٣٩).

(٨) **أحمد بن حازم ابن أبي غرزة** : أحمد بن حازم بن محمد بن يونس بن قيس بن أبي غرزة ، أبو عمرو الغفاري الكوفي .الإمام الحافظ الصدوق ، ذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : كان متقناً .توفي سنة ست وسبعين ومئتين .انظر : السير (١٣/ ٢٣٩).

(٩) السير (١٣/ ٢٩١).

(١٠) **بقي بن مخلد** :ابن يزيد أبو عبد الرحمن الأندلسي القرطبي .الإمام القدوة شيخ الإسلام الحافظ ، كان ورعاً فاضلاً زاهداً قد ظهرت له إجابات الدعوة في غير ما شيء ،وكان إماماً مجتهداً صالحاً .توفي سنة ست وسبعين ومئتين. انظر : السير (١٣/ ٢٨٥).

(١١) السير (١٣/ ٢٤٣) ، تاريخ بغداد (٢/ ٢٢٦).

(١٢) **الحنيني** : أبو جعفر محمد بن الحسين بن موسى بن أبي الحنين الحنيني الكوفي .الإمام المحدث ، الحافظ المتقن ، وثقه الدار قطني وغيره .مات في سنة سبع وسبعين ومئتين .انظر : السير (١٣/ ٢٤٣) ، تاريخ بغداد (٢/ ٢٢٥-٢٢٦).

٤٢. المسند [١] للدارمي عثمان بن سعيد [٢] ت: (٢٨٠هـ).

٤٣. المسند [٣] لإبراهيم بن نصر بن عبد العزيز الرازي [٤] ت: (٢٨٠هـ).

٤٤. المسند [٥] للعنبري [٦] ت: (٢٨٠هـ).

٤٥. المسند [٧] لمحمد بن عيسى الأزهر أبو العباس البرتي [٨] ت: (٢٨٠هـ).

٤٦. المسند [٩] لإسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل [١٠] ت: (٢٨٢هـ).

٤٧. مسند [١١] أبي هريرة للعسكري [١٢] ت: (٢٨٢هـ).

---

(١) السير (١٣/ ٣١٩).

(٢) الدارمي : عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد أبو سعيد التميمي الدارمي السجستاني .الإمام العلامة الحافظ الناقد شيخ تلك الديار .قال محمد بن المنذر : سمعت أبا زرعة الرازي ، وسألته عن عثمان بن سعيد فقال : ذاك رُزق حُسن التصنيف .قال أبو الفضل الجارودي : كان عثمان بن سعيد إماماً يقتدى به في حياته وبعد مماته .انظر : السير (١٣/ ٣١٩).

(٣) السير (١٣/ ٣٥٥).

(٤) إبراهيم بن نصر : بن عبد العزيز أبو إسحاق الرازي .الحافظ الإمام المجود محدث نهاوند ، قال جعفر بن أحمد : سألت أبا حاتم عن إبراهيم بن نصر فقال : كان معنا عند أبي سلمة بالبصرة وكان يُورق .توفي في حدود الثمانين ومئتين .انظر: السير (١٣/ ٣٥٥).

(٥) السير (١٣/ ٣٧٧).

(٦) العنبري : أبو إسحاق إبراهيم بن إسماعيل العنبري الطوسي .الإمام القدوة الرباني المجود محدث طوس وأزهدهم بعد محمد بن أسلم وأخصهم بصحبته ، وأكثرهم رحلة .مات بعد الثمانين ومئتين .انظر : السير (١٣/ ٣٧٧).

(٧) الطبقات السنية (٢/ ٧٤).

(٨) أحمد بن محمد البرتي : أحمد بن محمد بن عيسى الأزهر أبو العباس البرتي ، أبو العباس البغدادي الحنفي [illegible]اضي العلامة الحافظ الثقة العابد ، قال الخطيب : كان ثقة ثبتاً حجةً يُذكر بالصلاح والعبادة .قال الدار[illegible] : ثقة .مات سنة ثمانين ومئتين .السير (١٣/ ٤٠٧)، تاريخ بغداد (٥/ ٦١-٦٣).

([illegible]) ترتيب المدارك (٤/ ٢٨٠).

(١٠)أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل : بن سهل القرشي مولاهم الكوفي نزيل مصر .الإمام الحافظ ، قال عبد الرحمن بن أبي حاتم : هو صدوق .مات سنة تسعين ومئتين .انظر : السير (١٣/ ١٥٦) ، تاريخ بغداد (١١/ ٤٢٩-٤٣٠).

(١١) السير (١٣/ ٣٠٥).

(١٢) العسكري : أبو إسحاق إبراهيم بن حرب العسكري السمسار .الإمام المحدث ، والعسكري نسبة إلى مدينة عسكر مكرم قريبة من البصرة .انظر : السير (١٣/ ٣٠٥) .

٤٨. المسند [١] لإسماعيل القاضي [٢] ت : (٢٨٢هـ) .

٤٩. المسند [٣] للحارث بن محمد بن أبي أسامة [٤] ت : (٢٨٢هـ).

٥٠. المسند [٥] لعلي بن عبد العزيز بن المرزبان [٦] ت:(٢٨٦هـ).

٥١. المسند [٧] الكبير لابن أبي عاصم [٨] ت: (٢٨٧هـ) .

٥٢. المسند [٩] لـأبي علي النيسابوري القباني [١٠] ت: (٢٨٩هـ) .

٥٣. المسند [١١] (مرتب على الرجال) ليتم بن محمد بن طمغاج [١٢] ت: (٢٩٠هـ).

---

(١) السير (١٣/ ٣٤٠)، تاريخ بغداد (٦/ ٢٨٤)،

(٢) إسماعيل القاضي : أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن محدث البصرة حماد بن زيد بن درهم الأزدي مولاهم البصري المالكي قاضي بغداد وصاحب التصانيف .الإمام العلامة الحافظ شيخ الإسلام، قال أبو بكر الخطيب : كان عالماً متقناً فقيهاً شرح المذهب واحتج له .قال ابن مجاهد : سمعت المبرد يقول : إسماعيل القاضي أعلم مني بالتصريف .انظر: السير (١٣/ ٣٣٩)، تاريخ بغداد (٦/ ٢٨٤-٢٩٠)، طبقات الداودي (١/ ١٠٥).

(٣)السير (١٣/ ٣٨٨).

(٤) الحارث بن محمد بن أبي أسامة : واسم أبي أسامة :داهر .الحافظ الصدوق العالم ، ذكره ابن حبان في الثقات وقال الدار قطني : صدوق .توفي سنة اثنتين وثمانين ومئتين .انظر:السير (١٣/ ٣٨٨)، تاريخ بغداد (١٨/ ٢١٨-٢١٩).

(٥) السير (١٣/ ٣٤٨).

(٦) علي بن عبد العزيز بن المرزبان : ابن سابور أبو الحسن البغوي ،نزيل مكة، الإمام الحافظ ، قال الدار قطني: ثقة مأمون .قال ابن أبي حاتم : كتب إلينا بحديث أبي عبيد وكان صدوقاً .مات سنة ست وثمانين ومئتين .انظر : السير (١٣/ ٣٤٨).

(٧) السير (١٣/ ٤٣٦).

(٨) ابن أبي عاصم : حافظ كبير ، إمام بارع متبع للآثار كثير التصانيف .قدم أصبهان على قضائها ونشر بها علمه ، قال أبو الشيخ : كان من الصيانة والعفة بمحل عجيب . قال الحافظ أبو نعيم : كان فقيهاً ظاهري المذهب .مات سنة سبع وثمانين ومئتين .انظر:السير (١٣/ ٤٣٠).

(٩) السير (١٣/ ٥٠٠).

(١٠) أبو علي النيسابوري القباني : أبو علي الحسين بن محمد بن زياد النيسابوري .الإمام الحافظ الثقة شيخ المحدثين بخراسان .مات سنة تسع وثمانين ومئتين .انظر:السير (١٣/ ٤٩٩).

(١١) السير (١٣/ ٤٩٦).

(١٢) يتم بن محمد بن طمغاج : أبو عبد الرحمن الطوسي .الحافظ الإمام الجوال الثقة ، قال الحافظ أبو عبد الله الحاكم : هو محجدث ثقة مصنف .توفي في حدود الثمانين أو التسعين ومئتين.انظر : السير (١٣/ ٤٩٦).

٥٤. المسند [١] لعبد الرحمن بن محمد بن سالم الرازي [٢] ت: (٢٩١هـ).

٥٥. المسند [٣] للبزار [٤] ت: (٢٩٢هـ).

٥٦. المسند [٥] لنصر بن أحمد بن نصر الكندي [٦] ت: (٢٩٣هـ).

٥٧. المسند [٧] لعباس بن حمدان الأصبهاني [٨] ت: (٢٩٤هـ).

٥٨. المسند [٩] للحكم بن معبد بن أحمد بن عبيد [١٠] ت: (٢٩٥هـ).

٥٩. المسند [١١] الكبير لإبراهيم بن معقل النسفي [١٢] ت: (٢٩٥هـ).

---

(١) السير (١٣/ ٥٣١).

(٢) عبد الرحمن بن محمد بن سالم الرازي : أبو يحي الأصبهاني .الحافظ المجود العلامة المفسر إمام جامع أصبهان ، وكان من أوعية العلم .مات في سنة إحدى وتسعين ومئتين .انظر : السير (١٣/ ٥٣٠).

(٣) السير (١٣/ ٥٥٤).

(٤) البزار : أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البصري البزار .الشيخ الإمام الحافظ الكبير ، ذكره أبو الحسن الدار قطني فقال : ثقة يخطيء ويتكل على حفظه .قال أبو أحمد الحاكم : يخطيء في الإسناد والمتن .مات سنة اثنتين وتسعين ومئتين .انظر : السير (١٣/ ٥٥٤)، تاريخ بغداد (٤/ ٣٣٤-٣٣٥).

(٥) السير (١٣/ ٥٣٨).

(٦) نصر بن أحمد بن نصر الكندي : هو الحافظ المجود الماهر الرحال ، أبو محمد البغدادي نصرك نزيل بُخارى سمع محمد بن بكار وعبد الأعلى بن حماد وغيرهم ، حدث عنه :ابن عقدة وخلف بن محمد وآخرون. توفي سنة ثلاث وتسعين ومئتين .انظر : السير (١٣/ ٥٣٨)، تاريخ بغداد (١٣/ ٢٩٣-٢٩٤).

(٧) الطبقات السنية (٤/ ١٤٨).

(٨) عباس بن حمدان الأصبهاني : أبو العباس الأصبهاني الوليد بن أبان بن بونة الحافظ المجود العلامة ، حدث عن أحمد بن عبد الجبار ،وأحمد بن الفرات وغيرهم ،حدث عنه:أبو الشيخ والطبراني وغيرهم،مات سنة عشر وثلاث مئة.انظر:السير (١٤/ ٢٨٨).

(٩) الطبقات السنية (٣/ ١٨٠).

(١٠) الحكم بن معبد بن أحمد بن عبيد بن عبدالله ابن الأحجم بن أسد بن أسيد ، أبو عبدالله الفقيه الأديب وروى عن نصر بن علي الجهضمي ومحمد بن يحيى العدني وغيرهما وعنه أبو الشيخ وأبو نعيم الحافظ وغيرهما ،توفي سنة خمس وتسعين ومائتين . انظر:الطبقات السنية (٣/ ١٨٠)، تاريخ أصبهان لأبي نعيم (١/ ٣٥١)تحقيق سيد كسروي حسن ط.دار الكتب العلمية-بيروت ط.الأولى ١٤١٠هـ.

(١١) طبقات الداودي (١/ ٢٣).

(١٢) إبراهيم بن معقل النسفي:ابن لاحجاج أبو إسحاق النسفي ،الإمام الحافظ الفقيه القاضي،قال أبو يعلى الخليلي : هو ثقة حافظ .مات سنة خمس وتسعين ومئتين .انظر: السير (١٣/ ٤٩٣).

٦٠. المسند [(١)] للوادعي [(٢)] ت: (٢٩٦هـ).

٦١. المسند [(٣)] لمطين بن محمد بن عبد الله الفرقي [(٤)] ت: (٢٩٧هـ).

٦٢. المسند [(٥)] لمسدد بن مسرهد [(٦)] ت : (٢٢٨ هـ).

٦٣. المسند [(٧)] لابن رزين [(٨)] ت: (في حدود ٢٨٥هـ) .

٦٤. المسند [(٩)]لعلي بن الحسن الذهلي أبو الحسن الأفطس [(١٠)] (كان حيا في١٢٥١هـ)

٦٥. المسند (ورتبه على البلدان) [(١١)] لأبي زرعة الرازي [(١٢)] ت (٢٦٤هـ) .

---

(١) السير (١٣/ ٥٦٩).

(٢) الوادعي : أبو حصين محمد بن الحسين بن حبيب الوادعي الكوفي .المحدث الحافظ الإمام القاضي ، وثقه الدار قطني .توفي سنة ست وتسعين ومئتين .انظر: السير (١٣/ ٥٦٩)، تاريخ بغداد (٢/ ٢٢٩).

(٣) طبقات الداودي (٢/ ١٦١).

(٤) أبو جعفر محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي الملقب بمطين .الشيخ الحافظ الصادق محدث الكوفة ، سُئل عنه الدار قطني فقال : ثقةٌ جبل .وقال الخليلي : ثقة حافظ .توفي سنة سبع وتسعين ومئتين .انظر: السير (١٤/ ٤١).

(٥) السير (١٠/ ٥٩٢).

(٦) مسدد بن مسرهد : ابن مسربل أبو الحسن الأسدي البصري .الإمام الحافظ الحجة أحد أعلام الحديث .قال أحمد بن حنبل : مسدد صدوق فما كتبت عنه فلا تعد .قال النسائي :ثقة .قال جعفر بن أبي عثمان : قلت لابن معين عمن أكتب بالبصرة ؟ قال : اكتب عن مسدد فإنه ثقة ثقة .مات سنة ثمان وعشرين ومئتين .انظر : السير (١٠/ ٥٩١)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٩٨).

(٧) السير (١٣/ ٣٥٠) .

(٨) ابن رزين : العلاء بن أيوب بن رزين الإمام المجود الحافظ أبو الفضل الموصلي .كان عابداً مخبتاً من أحسن الناس صوتاً بالقرآن قاله يزيد بن حمد الأزدي .انظر : السير (١٣/ ٣٥٠).

(٩) الأعلام للزركلي (٤/ ٢٧١).

(١٠) علي بن الحسن الذهلي الأفطس شيخ نيسابور ومحدثها ، روى عن سفيان بن عيينة وغيره ، وقال الحاكم: وكان شيخ عصرنا ببلدنا كان حياً سنة ٢٥١هـ.انظر :لسان الميزان (٤/٢١٨)،تذكرة الحفاظ (٢/٥٢٩).

(١١) مقدمة كتاب الاعتقاد له تحقيق الحداد ص١٧ ،ط.دار الفرقان.

(١٢)عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد الفروخ أبو زرعة الرازي ،الحافظ المحدث المشهور الثقة الثبت وستأتي ترجمته عند سرد مصنفات الاعتقاد في آخر باب في البحث.

ولعل من أجلها وأشهرها هو مسند الإمام أحمد بن حنبل –رحمه الله– فلا بد من التعريف ولو على سبيل الاختصار :

١ – مسند الإمام أحمد بن حنبل ت (٢٤١هـ):

اسم المؤلف : وقد تقدم التعريف به .

الكتاب وطريقة ترتيبه :

رتبه رحمه الله على السابقة إلى الإسلام والمكانة من الدين ، فبدأ بالعشرة مقدماً الخلفاء الأربعة ثم أهل بدر ثم أهل الحديبية وهكذا ...[(١)].

مكانته ومنزلته :

قال حنبل :" جمعنا أحمد بن حنبل أنا وصالح وعبد الله وقرأ علينا المسند –وما سمعه غيرنا– وقال :" هذا الكتاب جمعته وانتقيته من أكثر من سبعمائة ألف حديث وخمسين ألف ، وما أختلف فيه المسلمون من حديث رسول الله ﷺ فارجعوا إليه ، فإن وجدتموه وإلا فليس بحجة "[(٢)].

وقال أبو موسى المديني :" وهذا الكتاب أصل كبير ومرجع وثيق لأصحاب الحديث انتقى من حديث كثير ومسموعات وافرة فجعله إماماً ومعتمداً وعند التنازع ملجئاً ومستنداً "[(٣)].

٢– مسند أبي داوّد الطيالسي ت(٢٠٤هـ):

هو سليمان بن داوّد بن الجارود ، وقد كان مولده سنة ١٢٣هـ وطلب العلم مبكراً وارتحل في طلب العلم وتنقل بين البلدان وقد قال عن نفسه :" أنه كتب عن ألف شيخ "[(٤)].

من أبرز شيوخه : شعبة بن الحجاج ، حماد بن سلمة ، والوضاح البشكيري أبو عوانة ، وابن أبي ذئب وغيرهم كثير [(٥)].

---

(١) تدوين السنة النبوية د. محمد مطر الزهراني ص١٠٣.
(٢) المصدر السابق .
(٣) المصعد الأحمد لابن الجزري المطبوع في مقدمة المسند تحقيق : أحمد شاكر (١/ ٣١-٣٢).
(٤) السير (٩/ ٣٨١).
(٥) انظر مقدمة تحقيق مسند الطياسي د. محمد التركي (١/ ٢١-٢٥). ط. هجر ط. الأولى ١٤١٩هـ.

ثناء الأئمة عليه : قال عمرو بن علي الفلاس :" ما رأيت في المحدثين أحفظ من أبي داوّد "" . قال الذهبي معقباً :" قلت قال هذا وقد صحب يحي القطان وابن مهدي ورافق ابن المديني " [(١)] أ.هـ.

- وقال ابن المديني :" ما رأيت أحفظ من أبي داوّد " [(٢)] أ.هـ.
- وقال وكيع :" أبو داوّد جبل العلم " [(٣)] أ.هـ.

وكتابه المسند هذا إنما هو يعد من جمع أحد طلابه وهو يونس بن حبيب وليس هو من تصانيف الإمام أبي داوّد .

قال الذهبي :" سمع يونس بن حبيب عدة مجالس مفرقة فهي "المسند" الذي وقع لنا " [(٤)] أ.هـ.

قال البقاعي معقباً على من قال إنه من صنف المسند :" الذي حمل قائل هذا القول عليه تقدم عصر أبي داوّد على أعصار من صنف المسانيد ، وظن أنه الذي صنفه ، وليس كذلك ، فإنه ليس من تصنيف أبي داوّد ، وإنما جمعه بعض الخراسانين جمع فيه ما رواه يونس بن حبيب خاصة عن أبي داوّد " [(٥)] أ.هـ

النوع الثاني : ما كان فيه أبواب عامة ولم تذكر فيه تراجم تفصيلية :

وبرز هذا النوع في منتصف القرن الثاني ،" وكانت طريقتهم في جمع الحديث أنهم يضعون الأحاديث المتناسبة في باب واحد ، يضمون جملة من الأبواب بعضها إلى بعض ، ويجعلونها في مصنف واحد ، يخلطون الأحاديث بأقوال الصحابة وفتاوى التابعين " [(٦)].

وكان العمل عندهم في القرن الأول على ما سلف ذكره وهو الرواية من صحف

---

(١) السير (٩/ ٣٨٠).
(٢) السير (٩/ ٣٨٢).
(٣) المصدر السابق .
(٤)المصدر السابق .
(٥) توضيح الأفكار للصنعاني (١/ ٢٢٩) ط. المكتبة السلفية .
(٦) انظر : الحديث والمحدثون ص ٢٤٤ لمحمد محمد أبو زهو ط.دار الكتاب العربي -بيروت ١٤٠٤هـ.

وكتب غير مرتبة ولا مبوبة .

قال الإمام الذهبي – رحمه الله- :" في سنة ثلاث وأربعين – يعني ومائة- شرع علماء الإسلام في هذا العصر في تدوين الحديث والفقه والتفسير ، فمصنف ابن جريج بمكة ، ومالك الموطأ بالمدينة ، والأوزاعي بالشام ...، وكثر تدوين العلم وتبويبه ودوّنت كتب العربية ، واللغة ، والتاريخ وأيام الناس ، وقبل هذا العصر كان الأئمة يتكلمون من حفظهم أو يروون العلم من صحف صحيحة غير مرتبة " (١) أ.هـ.

وكان الأئمة يجمعون أحاديث كل باب أو كتاب عام مرتبة ترتيباً متسلسلاً وموضوعياً فيجمعون أحاديث مثل الصلاة مرتبة ؛فيبدأ مثلاً بالأحاديث التي تتحدث عن حكمها ثم ينتقلون للأحاديث التي تتحدث عن أحكام الفاتحة ثم الركوع وهكذا.

ولعل من الكتب التي حوت كتباً عامة غير تفصيلية فيها وصل إلينا :

كتاب الجامع لابن وهب ومعمر بن راشد وكتاب الجامع ضمن موطأ مالك، فإنهم درجوا على نفس الطريقة بوضع عناوين عامة دون تراجم تفصيلية (٢) .

وهذه العناوين العامة قد تكون بعنوان "كتاب كذا .." أو بعنوان "باب كذا ..." ،

صحيح الإمام مسلم وعنونة أبوابه وكتبه :

وهنا ينبغي أن نشير إلى ما صنعه الإمام مسلم في صحيحه حيث جعل ترتيبه من هذا النوع ولم يجعل تراجم تفصيلية وإنما اكتفى بذكر الأبواب العامة ولكن الأحاديث فيه مرتبة ترتيباً موضوعياً ولهذا لما جاء الشراح لوضع العناوين لم يتصرفوا في ترتيب الأحاديث بتقديم أو تأخير وذلك لأنها مرتبة على حسب الموضوع .

وقال ابن الصلاح :"...فهو مبوب في الحقيقة –يعني صحيح مسلم – ولكنه لم يذكر فيه تراجم الأبواب لئلا يزداد بها حجم الكتاب " (٣) .

---

(١) نقلاً عن مقدمة سنن سعيد بن منصور للحميّد ص ٥٢.

(٢) انظر : ما تقدم في التمهيد من الكلام على الجوامع الحديثية في القرون الثلاثة الأولى .

(٣) صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط لابن الصلاح ص١٠١ تحقيق موفق عبد القادر ط.الغرب الإسلامي –بيروت ط.الثانية١٤٠٨هـ.

وذهب ابن عساكر إلى أنه مات قبل أن يتمه [١].

وعليه فيمكن أن نعد صحيح الإمام مسلم من الكتب التي لم تجعل عناوين تفصيلية حيث لم ينص عليها ، ويمكن أن نجعله باعتبار ترتيبه الموضوعي ممن رتبها وجعل لها مثل ما يشبه العناوين التفصيلية .

وقد ذكر الإمام المازري أنه وقف على نسخة مبوبة من صحيح مسلم [٢].

ولكن هذا لعله من صنيع بعض النساخ ، وهذا الذي انتشر وعرف بين المحدثين فقد قال الديوبندي :" وقريء علي جامعه مع خلو أبوابه من التراجم " [٣].

الجوامع مجموعة كتب لمصنف واحد :

قد تكون كتب الجوامع مجموعة لعدة مؤلفات للمصنف ولهذا كانت عناوين وكتب عامة كما هو الحال في جامع ابن وهب .

قال القاضي عياض عند ذكر مؤلفاته :" كتاب الأهوال " قال :" وبعضهم يضيفها إلى الجامع " [٤] أ.هـ.

ومثله كتاب " لا هام ولا صفر" المنسوب إليه [٥].

فقد ورد في الجامع بعنوان " في الطيرة والعدوى والهام والصفر والغول " [٦].

"الجامع " عنوان عام ضمن الجوامع الحديثية :

ولعل من أبرز الأمثلة صنيع الإمام مالك في الموطأ : فقد جعل كتاب مستقلاً ضمن كتاب الموطأ بعنوان "الجامع" وضمنه أبواب عامة وجعل أبواب الاعتقاد كلها مجتمعة فيه [٧].

---

(١) السير (١٢/ ٥٧٤).
(٢) المعلم (١/ ٣١٣) .
(٣)فتح الملهم للديوبندي (١/ ١٠٠) (نقلاً عن الإمام مسلم ومنهجه في صحيحة لطوالبه ص١٠٦) .
(٤) ترتيب المدارك (٣/ ٢٤٢).
(٥) مقدمة تحقيق الجامع لابن وهب ص ٢٧ .
(٦) الجامع لابن وهب (٢/ ٧١٥) .
(٧) الموطأ برواية الزهري (٢/ ٦٢-١٧٣) .

وهذا الكتاب الذي عقده الإمام مالك ضمن موطأه يشتمل على العقائد والآداب والطب ونحوها أما الأحكام التفصيلية فهي ضمن الكتب الأخرى .

وقبل أن نذكر الجوامع في القرون الثلاثة الأولى لابد أن نشير إلى أننا سوف نذكر الجوامع بنوعيها المرتبة على الأبواب العامة أو المرتبة على وجه التفصيل ؛ وذلك لمناسبة ذكره هنا ، وكذلك ما يخص السنن.

الجوامع التي صنفت خلال القرون الثلاثة الأولى :

١. الجامع [١] الكبير والصغير لسفيان الثوري [٢] ت: (١٦١هـ) .
٢. الجامع [٣] لحماد بن سلمة [٤] ت : (١٦٧هـ).
٣. الجامع [٥] لبهلول بن راشد [٦] ت: (١٨٣هـ) .
٤. الجامع [٧] الصغير والكبير لمحمد بن الحسن الشيباني [٨] ت: (١٨٩هـ).

---

(١) السير (٧/ ٢٣٠) ، طبقات الداودي (١/ ١٩٠) ، وممن روى الجامع الأشجعي انظر: السير (٨/ ٥١٥).

(٢) سفيان الثوري : هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، أبو عبد الله الكوفي ، إمام أهل الدنيا في زمانه جمع بين العلم والزهد والعمل ، يقال بلغ عدد شيوخه ستمائة شيخ ، وبلغ الذين رووا عنه قريب الألف .كانت وفاته سنة إحدى وستين ومئة .انظر : السير (٧/ ٢٢٩) ، حلية الأولياء (٦/ ٣٥٦)(وترجمته في الحلية واسعة جداً) ، تاريخ بغداد (٩/ ١٥١).

(٣) فتح الباري في عدد من المواضع (انظر معجم المصنفات الواردة في فتح الباري ص١٥٢).

(٤) ستأتي ترجمته في آخر باب من البحث.

(٥) ترتيب المدارك (٣/ ٨٧).

(٦) بهلول بن راشد : أبو عمرو من أهل القيروان .قال محمد بن أحمد التميمي : كان ثقة مجتهداً ورعاً مستجاب الدعوة لاشك في ذلك كان عنده علم كثير .قال أبو حاتم : هو ثقة لا بأس به .قال أبو بكر المالكي : كان البهلول من أهل الفضل والعلم والورع معروفاً بذلك مع العبادة والاجتهاد .انظر: ترتيب المدارك (٣/ ٨٧).

(٧) السير (٩/ ١٣٦) ، السير (١٠/ ٦٣١) ، وانظر : مقدمة كتاب الحجة على أهل المدينة لمحمد بن الحسن الشيباني ص٧ تحقيق السيد مهدي حسن الكيلاني القادري ط.المعارف الشرقية حيدر أباد الهند ١٣٨٥هـ مصورة عالم الكتب بيروت.،والفهرست ص٢٥٨.

(٨) محمد بن الحسن الشيباني : ابن فرقد أبو عبد الله الشيباني الكوفي صاحب أبو حنيفة .العلامة فقيه العراق ، قال الذهبي : كان مع تبحره في الفقه يُضرب بذكائه المثل .توفي سنة تسع وثمانين ومئة .انظر: السير (٩/ ١٣٤) ، تاريخ بغداد (٢/ ١٧٢-١٨٢).

٥. الجامع [١] لزياد بن عبد الرحمن (شبطون) [٢] ت: (١٩٣هـ).
٦. الجامع [٣] لابن وهب [٤] ت: (١٩٧هـ).
٧. الجامع [٥] لسفيان بن عيينة[٦] ت:(١٩٨هـ).
٨. الجامع [٧] ليحي بن سلام أبو زكريا البصري [٨] ت : (٢٠٠هـ).
٩. الجامع [٩] لإسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة [١٠] ت: (٢١٢هـ).

---

(١) ترتيب المدارك (٣/ ١٢١).
(٢) شبطون : زياد بن عبد الرحمن ابن زياد بن عبد الرحمن بن زهير بن ناشرة اللخمي الأندلسي .الفقيه الإمام مُفتي الأندلس ، وكان إماماً عالماً ورعاً ناسكاً مهيباً كبير الشأن ، أراده هشام صاحب الأندلس على القضاء فأبى وتعنت وكان هشام يكرمه ويخلو به ويسأله .مات سنة ثلاث وتسعين ومئة . انظر :السير (٩/ ٣١١).
(٣) السير (٩/ ٢٢٥).
(٤) ابن وهب : عبد الله بن وهب ابن مسلم الإمام شيخ الإسلام أبو محمد الفهري مولاهم المصري الحافظ طلب العلم وله سبع عشرة سنة ، لقي بعض صغار التابعين وكان من أوعية العلم ومن كنوز العلم .قال أبو زرعة : نظرت في نحو من ثلاثين ألف حديث لابن وهب ولا أعلم أني رأيت له حديثاً لا أصل له ، وهو ثقة وقد سمعت يحي بن بكير يقول : ابن وهب أفقه من ابن القاسم .انظر : السير (٩/ ٢٢٣)، تهذيب التهذيب (٦/ ٦٥).
(٥) عزا السيوطي بعض الآثار إلى جامع سفيان بن عيينة، انظر:الدر المنثور(٧/ ٦٨٤) عند تفسير قوله تعالى:﴿يوم يسحبون في النار على وجوههم... ﴾ الآية القمر [٤٨]،وانظرالسنة لعبدالله بن الإمام أحمد(١/ ٤٢٧) ، فهرسة ابن خير ص١٣٤-١٣٥،وابن حجر في فتح الباري (انظر معجم المصنفات الواردة في فتح الباري ص١٥٤) .
(٦) ستأتي ترجمته عند سرد مصنفات الاعتقاد في آخر باب من البحث.
(٧) السير (٩/ ٣٩٧) ، طبقات الداودي (٢/ ٣٧١).
(٨) يحي بن سلام أبو زكريا البصري : ابن أبي ثعلبة الإمام العلامة أبو زكريا البصري نزيل المغرب بإفريقية .قال أبو حاتم : صدوق .وقال ابن عدي : يكتب حديثه مع ضعفه .مات سنة مئتين .انظر: السير (٩/ ٣٩٦).
(٩) الطبقات السنية (٢/ ١٨٦).
(١٠) إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة : الإمام بلا مدافعة ذو الفضائل الشيفة والخصال المنيفة ، قال محمد بن عبد الله الأنصاري : ما ولى القضاء من لدن عمر بن الخطاب إلى اليوم ، أعلم من إسماعيل بن حمّاد بن أبي حنيفة . فقيل له : يا أبا عبد الله ، ولا الحسن بن أبي الحسن ؟.قال : والله ولا الحسن .كانت وفاته سنة اثنتي عشرة ومائتين .انظر : الطبقات السنية (٢/ ١٨٤).

١٠. الجامع [١] الكبير والصغير لإسحاق بن راهوية [٢] ت: (٢١٤هـ).
١١. الجامع [٣] لابن حبيب المالكي الأندلسي [٤] ت: (٢٣٨هـ).
١٢. الجامع [٥] لمحمد بن سحنون [٦] ت: (٢٥٦هـ).
١٣. الجامع [٧] للدارمي [٨] ت: (٢٥٥هـ).
١٤. الجامع [٩] الكبير والجامع الصغير للمزني [١٠] ت: (٢٦٤هـ).
١٥. الجامع [١١] على الأبواب لمسلم [١٢] ت: (٢٦٤هـ).
١٦. الجامع [١٣] الكبير لإبراهيم بن محمد الثقفي [١٤] ت: (٢٨٣هـ).

---

(١) السير (١٠/ ٧٠).
(٢) إسحاق بن راهوية : تقدمت ترجمته .
(٣) السير (١٢/ ١٠٣).
(٤) ابن حبيب المالكي الأندلسي : أبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون بن جاهمة بن الصحابي عباس بن مرداس السلمي العباسي .أحد الأعلام إمام علامة ، فقيه الأندلس وكان موصوفاً بالحذق في الفقه كبير الشأن بعيد الصيت كثير التصانيف .قال أبو القاسم بن بشكوال :قيل لسحنون : مات ابن حبيب فقال : مات عالم الأندلس بل والله عالم الدنيا .مات سنة ثمان وثلاثين ومئتين .انظر : السير (١٢/ ١٠٢) ، تهذيب التهذيب (٦/ ٣٤٧).
(٥)ترتيب المدارك (٤/ ٢٠٧).
(٦) محمد بن سحنون : تفقه بأبيه ، كان إماماً في الفقه ثقة ، قال يحي بن عمر : كان ابن سحنون من أكثر الناس حجة وألقنهم بها وكان ينظر أباه وكان يسمع بعض كتب أبيه في حياته ، ويأخذ الناس عنه قبل خروج أبيه فإذا خرج أبوه قعد مع الناس يسمع معهم من أبيه .مات سنة ست وخمسين ومئتين .انظر : ترتيب المدارك (٤/ ٢٠٤).
(٧) السير (١٢/ ٢٢٨).
(٨) الدارمي : تقدمت ترجمته .
(٩) السير (١٢/ ٤٩٣)،العبر للذهبي (١/ ٣٧٩).
(١٠) المزني : أبو إبراهيم إسماعيل بن يحي بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم المزني ، تلميذ الشافعي .وهو قليل الرواية ولكنه كان رأساً في الفقه ، قال ابن أبي حاتم : سمعت من المزني وهو صدوق .وقال أبو سعيد بن يونس : ثقة ، كان يلزم الرباط .مات سنة أربع وستين ومئتين .انظر : السير (١٢/ ٤٩٢).
(١١) السير (١٣/ ٥٧٩).
(١٢) مسلم : تقدمت ترجمته .
(١٣) طبقات الداودي (١/ ١٨-١٩).
(١٤) إبراهيم بن محمد الثقفي : إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفي .قال أبو نعيم في تاريخ أصبهان : كان غالياً في الرفض تُرك حديثه .وقال : كان أولاً زيدياً ثم صار إمامياً .مات سنة نيف ثمانين ومائتين. انظر : طبقات الداودي (١/ ١٨).

ومما يمكن أن نلحقه بهذا النوع من المصنفات وما قيل في الجوامع يمكن أن يقال فيه ألا وهي "السنن".

السنن التي ألفت في القرون الثلاثة الأولى :

١٧. السنن [1] في الفقه لمكحول الشامي [2] ت :(١١٦هـ).

١٨. أول من صنف السنن [3] سعيد ابن أبي عروبة [4] ت: (١٥٦هـ).

١٩. ألف كتاباً كبيراً في السنن [5] لابن أبي ذئب [6] ت: (١٥٨هـ).

٢٠. السنن [7] في الفقه للأوزاعي [8] ت :(١٥٩هـ).

٢١. السنن [9] لزائدة بن قدامة [10] ت:(١٦١هـ).

---

(١) الفهرست لابن النديم ص٢٨٣.

(٢) مكحول عالم الشام ،يكنى أبا عبد الله ،وقيل :أبو أيوب ،وقيل :أبو مسلم الدمشقي الفقيه روى عن أبي مسلم الخولاني ومسروق وغيرهما ، وحدث عنه الزهري وربيعة الرأي وغيرهما ،كانت وفاته سنة ست عشرة ومائة.انظر :السير (٥/ ١٥٥) ، حلية الأولياء (٥/ ١٧٧).

(٣) السير (٦/ ٤١٣).

(٤) سعيد ابن أبي عروبة : أبو النضر بن مهران العدوي مولاهم البصري .الإمام الحافظ عالم أهل البصرة وأول من صنف السنن النبوية .وكان من بحور العلم إلا أنه تغير حفظه لما شاخ .قال يزيد بن هارون : لقيت ابن أبي عروبة قبل الأربعين ومائة بدهر ورأيته سنة اثنتين وأربعين ومائة فأنكرته .وكان يحي بن سعيد القطان يوثقه .مات في سنة ست وخمسين ومئة .انظر : السير (٦/ ٤١٣)، تهذيب التهذيب (٤/ ٥٦).

(٥) السير (٧/ ١٤٩).

(٦) ابن أبي ذئب : محمد بن عبد الرحمن بن المغيرة بن الحارث بن أبي ذئب، واسم ابن أبي ذئب هشام بن شعبة،قال أحمد بن حنبل : كان يشبه سعيد ابن المسيب ، فقيل لأحمد : خلف مثله ؟ قال : لا، ثم قال : كان أفضل من مالك إلا أن مالكاً – رحمه الله – اشد تنقية للرجال منه .مات سنة ثمان وخمسين ومئة .انظر : السير (٧/ ١٣٩).

(٧) الفهرست لابن النديم ص٢٨٤.

(٨) ستأتي ترجمته في آخر باب من البحث.

(٩) الفهرست لابن النديم ص٢٨٢.

(١٠) زائدة بن قدامة ،الإمام الثبت ،الحافظ ،أبو الصلت ،الثقفي الكوفي ،حدث عن زياد بن علاقة وعاصم بن أبي النجود وغيرهما ،وعنه ابن المبارك وأبو أسامة وغيرهما ،قال أبو أسامة :حدثنا زائدة وكان من أصدق الناس وأبرهم . السير (٧/ ٣٧٥).

٢٢. السنن [١] في الفقه لعبد العزيز بن طهمان [٢] ت : (١٦٣هـ).

٢٣. السنن [٣] لحماد بن سلمة [٤] ت: (١٦٧هـ).

٢٤. السنن في الفقه [٥] لعبدالله بن المبارك [٦] ت : (١٨١هـ).

٢٥. السنن [٧] ليحي بن زكريا [٨] ت : (١٨٣هـ).

٢٦. السنن [٩] في الفقه لهشيم بن بشير السلمي [١٠] ت: (١٨٣هـ).

٢٧. السنن [١١] للمعافى بن عمران [١٢] ت: (١٨٥هـ) .

---

(١) الفهرست ص٢٨٤.

(٢) **إبراهيم بن طهمان بن شعبة الإمام**، عالم خراسان، أبو سعيد الهروي نزيل نيسابور ثم حرم الله تعالى حدث عن آدم بن علي وثابت البناني وغيرهما، وحدث عنه صفوان بن سليم شيخه وأبو حنيفة وغيرهما، وثقه ابن المبارك وأحمد وأبو حاتم وغيرهم. انظر: السير (٧/ ٣٧٨).

(٣) الفهرست لابن النديم ص٢٨٣.

(٤) ستأتي ترجمته في مصنفات الاعتقاد في آخر باب.

(٥) الفهرست ص٢٨٤.

(٦) ستأتي ترجمته في المصنفات .

(٧) الفهرست لابن النديم ص٢٨٢.

(٨) يحي بن زكريا بن أبي زائدة الهمداني، بسكون الميم، أبو سعيد الكوفي، ثقة متقن من كبار التاسعة مات سنة أربع وثمانين ومائة. انظر: تقريب التهذيب ص١٠٥٤.

(٩) الفهرست لابن النديم ص٢٨٤.

(١٠) **هشيم بن بشير بن أبي خازم**، واسم أبي خازم قاسم بن دينار الإمام شيخ الإسلام محدث بغداد وحافظها أبو معاوية السلمي، أخذ عن : الزهري وعمرو بن دينار وغيرهما، و عنه : ابن اسحاق وعبد الحميد بن جعفر وغيرهما، سكن بغداد ونشر بها العلم وصنف التصانيف. انظر : السير (٨/ ٢٨٧).

(١١) السير (٩/ ٨١).

(١٢) **المعافى بن عمران** : بن نفيل بن جابر بن جبلة الإمام شيخ الإسلام ياقوتة العلماء أبو مسعود الأزدي الموصلي الحافظ. وكان من أئمة العلم والعمل قل من ترى العيون مثله. قال أحمد بن يونس : كان سفيان الثوري يقول : المعافى بن عمران ياقوتة العلم. وقال بشر بن الحارث : إني لأذكر المعافى اليوم فأنتفع بذكره وأذكر رؤيته فأنتفع، قال يحي بن معين : المعافى ثقة. مات سنة خمس وثمانين ومئة. انظر: السير (٩/ ٨٠)، تهذيب التهذيب (١٠/ ١٨٠).

٢٨. السنن في الفقه [1] للوليد بن مسلم [2] ت(١٩٥هـ).

٢٩. السنن [3] لوكيع بن الجراح [4] ت: (١٩٧هـ).

٣٠. السنن [5] في الفقه لعبد الوهاب الخفاف [6] ت : (٢٠٤هـ).

٣١. السنن [7] لروح بن عبادة [8] ت: (٢٠٥هـ) .

٣٢. السنن [9] في الفقه لعبد الزاق بن همّام [10] ت: (٢١١هـ).

٣٣. السنن [11] في الفقه لإسحاق بن راهوية [12] ت : (٢١٤هـ).

---

(١) الفهرست لابن النديم ص٢٨٤،هدية العارفين (٢/ ٥٠٠).

(٢) **الوليد** بن مسلم الإمام ،عالم أهل الشام أبو العباس الدمشقي الحافظ مولى بني أمية ،حدث عن يحي بن الحارث وسعيد بن عبد العزيز وغيرهما ،وارتحل في هذا الشأن ،وصنف التصانيف وتصدى للإمامة واشتهر اسمه ،كان من أوعية العلم ،ثقة حافظاً لكن رديء التدليس فإذا قال حدثنا فهو حجة ،هو في نفسه أوثق من بقية وأعلم،حدث عنه الليث بن سعد ’وبقية بن الوليد.انظر :السير (٩/ ٢١١)،الجرح والتعديل (٩/ ١٦).

(٣) الفهرست لابن النديم ص٢٨٣، هدية العارفين لإسماعيل باشا (٢/ ٥٠٠)، الأعلام للزركلي (٨/ ١١٧).

(٤) تقدمت ترجمته .

(٥) الفهرست ص٢٨٤.

(٦) **عبد الوهاب بن عطاء** الإمام الصدوق العابد المحدث أبو نصر البصري الخفاف مولى بني عجل سكن بغداد حدث عن حميد الطويل وسعيد الحريري وغيرهما ، وعنه أحمد بن حنبل وعمرو الناقد وغيرهما ،قال ابن معين :ثقة وكذا قال الدار قطني ، وقال البخاري :ليس بالقوي ، توفي سنة أربع ومئتين.انظر :السير (٩/ ٤٥١).

(٧) السير (٩/ ٤٠٥).

(٨) **روح بن عبادة** : بن العلاء بن حسان بن عمرو الإمام أبو محمد القيسي البصري .الحافظ الصدوق ، وكان من كبار المحدثين ، قال يعقوب بن شيبة : روح بن عبادة كان أحد من يتحمل الحمالات وكان سرياً مرباً كثير الحديث صدوقاً ، سمعت علياً يقول : من المحدثين قوم لم يزالوا في الحديث لم يُشغلوا عنه ،نشؤوا، فطلبوا ثم صنفوا ثم حدثوا منهم روح بن عبادة .مات سنة خمس ومئتين .انظر : السير (٩/ ٤٠٢) ، تهذيب التهذيب (٣/ ٢٥٣).

(٩) الفهرست لابن النديم ص٢٨٤.

(١٠) تقدمت ترجمته.

(١١) الفهرست ص٢٨٦.

(١٢) تقدمت ترجمته.

٣٤. السنن [(١)] لمحمد بن الصباح الدولابي [(٢)] ت:(٢٢٧هـ).

٣٥. السنن [(٣)] لجعفر بن بشر البغدادي [(٤)] ت: (٢٣٤هـ) .

٣٦. السنن [(٥)] في الفقه لابن أبي شيبة [(٦)] ت : (٢٣٥هـ).

٣٧. السنن [(٧)] في الفقه لسريج بن يونس [(٨)] ت : (٢٣٥هـ).

٣٨. السنن [(٩)] في الفقه لعثمان بن أبي شيبة [(١٠)] ت (٢٣٧هـ).

٣٩. سنن [(١١)] ابن ماجة [(١٢)] ت: (٢٧٣هـ) .

---

(١) السير (١٠/ ٦٧١).

(٢) **محمد بن الصباح الدولابي** : أبو جعفر المزني مولاهم البغدادي .الإمام الحافظ الحجة ، وثقه أحمد بن حنبل، وقال أبو حاتم : ثقة حجة .وقال يعقوب بن شيبة : ثقة صاحب حديث عالم بهشيم .مات سنة سبع وعشرين ومئتين. انظر: السير (١٠/ ٦٧١)، تهذيب التهذيب (٩/ ٢٠٣).

(٣) السير (١٠/ ٥٤٩).

(٤) **جعفر بن بشر البغدادي** : الثقفي أبو محمد البغدادي الفقيه البليغ .كان مع بدعته يُوصف بزهدٍ وتأله وعفة وله تصانيف جمة وتبحر في العلوم .مات سنة أربع وثلاثين ومئتين .انظر: السير (١٠/٥٤٩) ، تاريخ بغداد (٧/ ١٦٢).

(٥) الفهرست ص٢٨٥.

(٦) تقدمت ترجمته.

(٧) الفهرست ص٢٨٧.

(٨) **سريج بن يونس** بن إبراهيم الإمام القدوة الحافظ أبو الحارث المروزي ثم البغدادي ، حدث عن : إسماعيل بن جعفر وهشيم بن بشير وغيرهما ، وعنه :مسلم والنسائي وغيرهما ،سئل أحمد بن حنبل عنه فقال :صاحب خير ،توفي سنة خمس وثلاثين ومئتين .انظر : السير (١١/ ١٤٦).

(٩) الفهرست ص٢٨٥.

(١٠) **عثمان بن أبي شيبة** هو الإمام الحافظ الكبير المفسر أبو الحسن عثمان بن محمد بن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان بن خوستى العبسي مولاهم الكوفي صاحب التصانيف وأخو الحافظ أبي بكر ،حدث عن شريك وأبي الأحوص وغيرهما ، وحدث عنه :البخاري ومسلم وغيرهما ، قال يحي بن معين :ثقة مأمون.انظر : السير (١١/ ١٥١).

(١١) السير (١٣/ ٢٧٨).

(١٢) **ابن ماجة** : محمد بن يزيد أبو عبد الله ابن ماجة القزويني .الحافظ الكبير الحجة المفسر ، كان ابن ماجة حافظاً ناقداً صادقاً واسع العلم .قال أبو يعلى الخليلي : هو ثقة كبير متفق عليه محتج به له معرفة بالحديث وحفظ .مات سنة ثلاث وسبعين ومئتين .انظر : السير (١٣/ ٢٧٧).

٤٠. السنن [(١)] بشواهد الحديث لأحمد بن محمد المروذي [(٢)] ت: (٢٧٥هـ).

٤١. سنن [(٣)] الترمذي [(٤)] ت: (٢٧٩هـ).

٤٢. السنن [(٥)] لأبي الموّجه [(٦)] ت: (٢٨٢هـ).

٤٣. السنن [(٧)] لإبراهيم الحربي [(٨)] ت : (٢٨٥هـ).

٤٤. السنن [(٩)] للكجّي [(١٠)] ت: (٢٩٢هـ).

٤٥. السنن [(١١)] في الفقه للمعمري [(١٢)] ت : (٢٩٥هـ).

٤٦. السنن [(١٣)] للأثرم [(١٤)] ت: (في حدود ٢٦٠هـ).

---

(١) الفهرست لابن النديم ص٢٨٥.

(٢) ستأتي ترجمته في آخر باب من البحث.

(٣) السير (١٣/ ٢٧٤).

(٤) **الترمذي** : محمد بن سورة بن موسى بن الضحاك .الحافظ العلم الإمام البارع ، قال ابن حبان في الثقات : كان أبو عيسى ممن جمع وصنف وحفظ وذاكر .قال أبو سعيد الأدريسي : كان أبو عيسى يُضرب به المثل في الحفظ .مات سنة تسع وسبعين ومئتين .انظر : السير (١٣/ ٢٧٠)، تهذيب التهذيب (٩/ ٣٤٤).

(٥) السير (١٣/ ٣٤٨).

(٦) **أبو الموّجه** : محمد بن عمرو الفزاري المروزي اللغوي الحافظ الشيخ الإمام محدث مرو .قال أبو الصلاح : وهو محدث كبير أديب كثير الحديث .انظر : السير (١٣/ ٣٤٧).

(٧) السير (١٣/ ٣٧٠).

(٨) ستأتي ترجمته في الباب الأخير من البحث.

(٩) السير (١٣/ ٤٢٣).

(١٠) الكجي : أبو مسلم إبراهيم بن عبد الله بن مسلم بن ماعز بن مهاجر البصري الكجي .الشيخ الإمام الحافظ المعَمَّر شيخ العصر ، وثقه الدار قطني وغيره .مات سنة اثنتين وتسعين ومئتين .انظر : السير (١٣/ ٤٢٣) ، تاريخ بغداد (٦/ ١٢٠-١٢٤).

(١١) الفهرست ص٢٨٦.

(١٢) **المعمري** الإمام الحافظ المجود البارع محدث العراق الحسن بن علي بن شبيب البغدادي المعمري ،سمع من :شيبان بن فروخ وأبا نصر التمار وعلي بن المديني وغيرهم ،وعنه :أبو بكر النجاد وأبو سهل بن زياد وغيرهما ،توفي سنة خمس تسعين ومئتين .انظر : السير (١٣/ ٥١٠).

(١٣) السير (١٢/ ٦٢٤).

(١٤) **الأثرم** : أبو بكر أحمد بن محمد بن هانيء الإسكافي الأثرم .الإمام الحافظ العلامة ، أخبرني أبو بكر بن صدقة : قال إبراهيم الأصبهاني يعني ابن أرمة مما أحسب يقول : أبو بكر بن الأثرم أحفظ من أبي زرعة الرازي واتقن .مات في حدود الستين ومئتين .انظر : السير (١٢/ ٦٢٣) ، تهذيب التهذيب (١/ ٦٧).

٤٧. السنن [١] لابن رزين [٢] ت: (في حدود ٢٨٥هـ) .

٤٨. السنن [٣] في الفقه لمحمد بن عثمان بن أبي شيبة [٤] ت :(٢٩٧هـ).

٤٩. السنن [٥] ليوسف القاضي [٦] ت: (٢٩٧هـ) .

٥٠. السنن [٧] لأبي بكر الفريابي [٨] ت: (٣٠٠هـ).

---

(١) السير (١٣/ ٣٥٠).

(٢)ابن رزين : تقدمت ترجمته .

(٣) الفهرست ص٢٨٥.

(٤) **محمد بن عثمان بن أبي شيبة** الإمام الحافظ المسند أو جعفر العبسي الكوفي ،سمع من :أبيه وأبي بكر وغيرهم ، وعنه :ابن صاعد وابن السماك وغيرهما ،قال صالح جزرة :ثقة ،وقال ابن عدي :لم أر له حديثاً منكراً فأذكره ،توفي سنة سبع وتسعين ومئتين .انظر : السير (١٤/ ٢١).

(٥) السير (١٣/ ٣٧٠).

(٦) **يوسف القاضي** : أبو محمد يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد بن درهم الأزدي مولاهم البصري الأصل البغدادي .الإمام الحافظ الفقيه الكبير الثقة القاضي .حرص عليه أهله فإنهم بيت علم . قال الخطيب : كان ثقة صاحاً عفيفاً مهيباً سديد الأحكام ولي القضاء بالبصرة .مات سنة سبع وتسعين ومئتين .انظر: السير (١٤/ ٨٥) ، تاريخ بغداد (١٤/ ٣١٠-٣١٢).

(٧) الفهرست لابن النديم ص٢٨٧.

(٨) **جعفر بن محمد** بن الحسن بن المستفاض الإمام الحافظ الثبت شيخ الوقت أبو بكر الفريابي القاضي ،حدث عن :شيبان بن فروخ ، ومحمد بن أبي بكر المقدمي وغيرهما ،وحدث عنه : أبو بكر النجاد وأبو بكر الشافعي وغيرهما ،قال أحمد بن كامل :كان الفريابي مأموناً موثوقاً به.انظر :السير (١٤/ ٩٦).

المطلب الثاني

التصنيف والترتيب والتبويب التفصيلي

و يشتمل على:

أ- مميزات هذه الطريقة.

ب- طريقتهم في تبويب وترتيب الكتب والأبواب الرئيسية

ج- طريقتهم في تبويب وترتيب الأبواب التفصيلية.

التصنيف والترتيب والتبويب التفصيلي :

وظهرت هذه الطريقة في أواخر القرن الثاني فكانت الجوامع الحديثية تقسم على كتب عامة وتحتها أبواب وتراجم تفصيلية وعرفت الكتب في تلك الفترة بـ الجوامع والسنن والصحاح ونحوها .

أ-مميزات هذه الطريقة :

لقد تميزت هذه الطريقة عن غيرها من طرق التصنيف السابقة بما يلي [(١)]:

١ -أن هذا الترتيب الموضوعي الدقيق يسهل الوصول للحديث لمن لا يعرف لفظ الحديث أو راويه .

٢-تقريب الحديث من الفهم لأول وهلة ، فإن الحديث إذا ورد في كتاب الصلاة علم الناظر فيه أن الحديث دليل ذلك الحكم ، وأنه يتعلق بمسألة كذا مما وضع عنواناً على الحديث . فلا يحتاج لأن يفكر في ذلك ، وهكذا تقوم الأبواب بمهمة المرشد الذي يوضح الطريق للسالك .

٣-التدريب والتمرين على طريقة الفهم والاستنباط من الأحاديث عند النظر في تراجم الأبواب التي تدل على حكم مستنبط من الأحاديث المندرجة تحته أو إضافة التعرف على عمق وفهم وفقه السلف وعلو منزلتهم عمن أتى بعدهم

إشكال والجواب عنه :

ولقائل أن يقول :" كيف تزعمون أن السلف الأول أصحاب القرن الأول لم يعرفوا الترتيب والتصنيف على الأبواب وهم أحرص الأمة على حديث رسول الله ص وتبليغه للداعين وأن من أتى بعدهم قد حاز هذه المنقية العظيمة والمرتبة الشريفة ؟"

والجواب :

هو ما سطره الإمام ابن الأثير في مقدمة جامع الأصول حيث قال :

" لما كان أولئك الأعلام هم الأولين في هذا الفن ، والسابقين إليه ، لم يأت صنعهم

---

(١) انظر : الإمام الترمذي د. عتر ص ٢٧٢-٢٧٣.

على أكمل الأوضاع وأتمِّ الطرق ، فإن غرضهم كان أولاً حفظ الحديث مطلقاً وإثباته ، ودفع الكذب عنه ، وحذف الموضوعات عليه ، والنظر في طرقه وحفظ رجاله ، وتزكيتهم ، واعتبار أحوالهم ، والتفتيش عن دخائل أمورهم ، حتى قدحوا فيمن قدحوا ، وجرحوا من جرحوا ، وعدَّلوا من عدَّلوا ، وأخذوا عمن أخذوا ، وتركوا من تركوا . هذا بعد الاحتياط والضبط والتدبر ، فكان هذا مقصودهم الأكبر، وغرضهم الأوفر ولم يتسع الزمان والعمر لأكثر من هذا الغرض الأعم ، والمهم الأعظم ، ولا رأوا في أديانهم أن يشتغلوا بغيره من لوازم هذا الفن التي هي كالتوابع ، بل ولا كان يجوز لهم ذلك ، فإن الواجب أولاً إثبات الذات ، ثم ترتيب الصفات ، والأصل إنما هو عين الحديث و ذاته ، ثم بعد ذلك ترتيبه وحسين وضعه ، ففعلوا ما هو الغرض المتعين ، واخترمتهم المنايا قبل الفراغ والتخلي لما فعله التابعون لهم ، والمقتدون بهم ، والمهتدون بهديهم ، فتعبوا – رحمهم الله- لراحة من بعدهم ، ونَصِبوا [1] لِدَعِة [2] من اقتفى آثارهم.

ثم جاء الخلف الصالح ، فأحبوا أن يظهروا تلك الفضيلة ، ويشيعوا تلك المنقبة الجليلة ، وينشروا تلك العلوم التي أفنوا أعمارهم في جمعها ، ويفصلوا تلك الفوائد التي أجملوا تحسين وضعها ، إما بإبداع ترتيب ، أو بزيادة تهذيب ، أو اختصار وتقريب ، أو استنباط حكم ، وشرح غريب ." [3] أ.هـ.

---

(١) من النصب وهو التعب .
(٢) من الدعة وهي السكون والراحة .
(٣) جامع الأثير (١/ ٤٦-٤٧).

ب- طريقتهم في تبويب وترتيب الكتب والأبواب الرئيسية.

وسوف نفصل الحديث حول :

أولاً:طريقتهم في عرض الأبواب والكتب الرئيسية .

ثانياً:منهجهم في عناوين الكتب والأبواب الرئيسية .

ثالثاً:أثر ظهور البدع على عناوين الأبواب والكتب الرئيسية.

أولاً:طريقتهم في عرض الأبواب والكتب الرئيسية .

وسوف نتحدث عن هذه القضية من خلال :

أ-مواضع الكتب والأبواب العقدية في الجوامع الحديثية :

ولعلنا نتطرق من خلال هذا البند لعدة أمور :

١ . غالب كتب الاعتقاد أبوابه تكون في أوائل الجوامع أو في أواخرها والغالب في أوائلها وغالباً ما يقدم الكتاب لأهميته وخطورته .

فمثلاً لو نظرنا إلى : (كتاب الإيمان) في : البخاري ومسلم [(١)]،لوجدناه هو الأول من حيث الترتيب وذلك لأهمية هذه القضية وخطورتها وظهور الإنحراف فيها كما سيأتي.

كذلك الإمام ابن ماجة جعل جل كتب وأبواب الاعتقاد مضمنة في مقدمة كتابه السنن [(٢)]، والبقية في آخره .

٢ . أنها تكون متقاربة ، وفي غالب الأحيان تجمع في موضع واحد وهذا يظهر من صنيع الأئمة انظر مثلاً لما صنعه سعيد بن منصور في سننه تجد أن أبواب الاعتقاد لديه متقاربة جداً وفي موضع واحد تقريباً [(٣)] .

٣. مناسبتها لما قبلها وما بعدها :

وظهرت براعة الأئمة في وضع كتب وأبواب الاعتقاد وترتيبها ، ولم يكن هذا

---

(١) انظر فتح الباري (١/ ٦٠-١٦٦). ومسلم (٣/ ١٤٥١-١٥٢٨).

(٢) انظر سنن ابن ماجة بتحقيق الأعظمي (١/ ٥-٣٤).

(٣) انظر السنن مخطوط (ل ١٩٨/ أ-ل ٢٢٩/ ب).

الترتيب عشوائياً بل كان لحكمة ولمناسبة .

ولعل من أبرز ما يمكن أن يمثل به هو صحيح الإمام البخاري الذي أطال الشراح في ذكر مناسبات تراجمه وأبوابه وكتبه ولعل من أنفس من تكلم حول مناسبات ترتيب الكتب الرئيسية في صحيح الإمام البخاري ما سطره الإمام شيخ الإسلام أبي حفص عمر البلقيني وهي بحق كما قال الحافظ ابن حجر :" ولقد أبدى فيه لطائف وعجائب ..." [١].

فقد ذكر هذا الإمام مناسبات ترتيب كتب البخاري كلها من أولها إلى آخرها وقد ذكرها الحافظ في مقدمة الفتح [٢].

والذي يهمنا من كلامه ما يخص أبواب وكتب الاعتقاد .

قال – رحمه الله- :" بدأ البخاري بقوله : " كيف بدأ الوحي " [٣] ولم يقل "كتاب بدء الوحي لأن بدء الوحي من بعض ما يشتمل عليه الوحي "إلى أن قال :" وقدمه لأنه منبع الخيرات وبه قامت الشرائع وجاءت الرسالات ، ومنه عرف الإيمان والعلوم وكان أوله إلى النبي ﷺ بما يقتضي الإيمان من القراءة والربوبية وخلق الإنسان فذكر بعد كتاب الإيمان والعلوم وكان الإيمان أشرف العلوم ..." [٤].

ثم قال معلقاً على مناسبة القدر ما نصه :

" ولما كان الذكر والدعاء سبباً للاتعاظ ذكر المواعظ والزهد وكثيراً من أحوال يوم القيامة ثم ذكر ما يبين أن الأمور كلها بتصرف الله تعالى، فقال : كتاب القدر وذكر أحواله ، ولما كان القدر قد تحال إليه الأشياء المنذورة قال كتاب النذور ..."[٥] أ.هـ.

ثم قال معلقاً على مناسبة كتاب الفتن وخبر الواحد والاعتصام بالكتاب والسنة

---

(١) هدي الساري ص٤٩٧.

(٢) المصدر السابق ص٤٩٤-٤٩٧.

(٣) في رواية أبي ذر وهي من الروايات المعتمدة " كيف كان بدء الوحي " .انظر الفتح (١/ ١٣).

(٤) هدي الساري ص٤٩٤.

(٥) هدي الساري ص٤٩٧.

والتوحيد ما نصه:

" ولما كانت الحيل فيها ارتكاب ما يخفى أردف ذلك بتعبير الرؤيا لأنها مما يخفى وإن ظهر للمعبر، وقال الله تعالى :﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ ﴾ [الإسراء : ٦٠].

فأعقب ذلك بقوله كتاب الفتن ، وكان من الفتن ما يرجع فيه إلى الحكام فهم الذين يسعون في تسكين الفتنة غالباً فقال كتاب الأحكام وذكر أحوال الأمراء والقضاة ولما كانت الإمامة والحكم قد يتمناها قوم أردف ذلك بكتاب التمني ولما كان مدار حكم الحكام في الغالب على أخبار الآحاد . قال :" ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق " ولما كانت الأحكام كلها تحتاج إلى الكتاب والسنة قال الاعتصام بالكتاب والسنة وذكر أحكام الاستنباط من الكتاب والسنة والاجتهاد وكراهية الاختلاف ، وكان أصل العصمة أولاً وآخراً هو توحيد الله فختم بـ كتاب التوحيد .." [1] أ.هـ.

ب –التدرج في عرض الأبواب :

إن التسلسل الموضوعي والتدرج في عرض الكتب والأبواب هو نتيجة حتمية لما سبق ذكره من مناسبات تعلق الأبواب بعضها على بعض ولهذا ظهر التدرج واضحاً وكان من أعظم فوائد هذا التدرج ما يلي :

١- الانتقال من وحدة موضوعية إلى أخرى بسهولة ويسر وفهم مما يعين على استيعاب الأحكام المستفادة من الأحاديث والآثار في الأبواب .

٢- التعرف على الحكمة الإلهية في التشريع وأن هذا الدين جاء ليرفع الحرج عن هذه الأمة ويظهر كذلك جوانب الإعجاز في التشريع الذي يحمل في طياته صلاح دين العباد ودنياهم .

اعتبارات التدرج في عرض الأبواب :

كان للأئمة – رحمهم الله– منهج في التدرج في عرض الأبواب متنوع ولعل من

---

(١) هدي الساري ص٤٩٧.

أهمها ما يلي :

١- التدرج الموضوعي :

لقد كان للسلف منهج دقيق وعجيب حينما بدأ التصنيف والترتيب والتبويب يأخذ طريقاً تفصيلياً في جوامعهم الحديثية .

فتجدهم يبدأون بذكر المقدمات والأسباب وأصول الانحراف ثم يذكرون البدع والمحدثات وهكذا، لأن التسلسل الموضوعي أن تبدأ بذكر أصول الانحراف وأسبابه ثم بعد ذلك يذكر ما ورد في ذم البدع والتحريف في الدين ثم يذكر أحاديث الصفات ونخوها والقدر التي تتضمن رداً على المخالفين .

الأمثلة على ذلك:

المثال الأول : المقدمة في سنن ابن ماجه :

لقد أبان صنيع الإمام ابن ماجه في مقدمته التي أودعها أبواب الاعتقاد عن براعة عجيبة في تدرجه في عرض أبواب الاعتقاد .

فلقد بدأ في مقدمته بذكر خمسة أبواب كمدخل ذكر فيها أصولاً يجب العناية بها وهي الأساس في الاعتقاد بل في سائر أبواب الدين .

وكانت الأبواب الخمسة كالتالي :

١- باب اتباع سنة رسول الله ﷺ [١] .

٢- باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه [٢] .

٣- باب سنة الخلفاء الراشدين [٣] .

٤- باب اجتناب البدع والجدال [٤].

٥- باب اجتناب الرأي والقياس [٥] .

---

(١) السنن (١/ ٥).

(٢) السنن (١/ ٦).

(٣) السنن (١/ ١٠).

(٤) السنن (١/ ١١).

(٥) السنن (١/ ١٢).

ثم سرد أبواب الاعتقاد : الإيمان ثم القدر...وهكذا .

المثال الثاني : باب القدر في موطأ مالك :

كذلك الإمام مالك لما تعرض لموضوع القدر في موطأه بدأ بذكر باب بعنوان " النهي عن القول بالقدر "[١] .

ثم أردفه بباب بعنوان " باب جامع ما جاء في القدر "[٢] .

المثال الثالث :كتاب السنة في سنن أبي داود :

يشبه صنيع الإمام أبي داود في الأبواب الأولى من كتاب السنة في سننه بما صنعه الإمام ابن ماجه حيث جعل تقريباً الأبواب السبعة الأولى كمدخل ومقدمة ذكر فيها الأصول العظمى التي ينبغي العناية بها وهي كالتالي :

١-باب شرح السنة [٣].(وذكر فيه أحاديث الافتراق).

٢- باب مجانبة أهل الأهواء [٤].

٣- باب مجانبة أهل الأهواء وبغضهم [٥].

٤- باب ترك السلام على أهل الأهواء والبدع [٦].

٥- باب النهي عن الجدال في القرآن [٧].

٦- باب في لزوم السنة [٨].

٧- باب من دعا إلى السنة [٩].

---

(١) الموطأ (٢/ ٦٨).

(٢) الموطأ (٢/ ٧١).

(٣) السنن (كتاب السنة) (٤/ ١٩٧).

(٤) السنن (٤/ ١٩٨).

(٥) السنن (٤/ ١٩٨).

(٦) السنن (٤/ ١٩٩).

(٧) السنن (٤/ ١٩٩).

(٨) السنن (٤/ ٢٠٠).

(٩) السنن (٤/ ٢٠١).

ولعل من الفوائد التي يمكن أن تستنبط من صنيع الأئمة في مثل هذا التدرج هو الحث والدعوة إلى التمسك بالحق والسنة والدعوة إليه وتعلمه ، قبل الخوض مع أهل الباطل والرد عليهم ، ولعل هذا هو الذي ميز أصحاب القرون الثلاثة الأولى عمن أتى بعدهم من كثر خوضهم في علم الكلام والرد على أهل الأهواء وأهل الكلام والله المستعان .

وقد أشار بعض شراح صحيح البخاري إلى هذا الأمر وأنها ظاهرة عنده في تدرج أبوابه وأن ترتيبه قائم على هذا الاعتبار [(١)] .

٢- التدرج حسب الأهمية :

وظهر نوع من التدرج في عرض أبواب الاعتقاد ضمن الجوامع الحديثية ألا وهو البدء بالأهم ثم المهم ، وهذا متوافق مع أحكام هذا الدين فيقدم ما كان نفعه أعظم ويبدأ بالتحذير مما خطره أشد.

ولهذا نجدهم تارة يقدمون الباب من أبواب الاعتقاد لأهميته وانتشار المخالفة فيه ، وتارة يبدؤون بذكر البدع الأشد ثم الأخف وإليك بعض الأمثلة التي تدل على ما ذكرناه :

المثال الأول : ترتيب مالك في الموطأ:

تعرض الإمام مالك لبعض قضايا الاعتقاد فنجده لما جاء يعرضها بدأ بأهم القضايا فذكر مثلاً أولاً :" باب ما جاء في اليهود " [(١)] .

ثم ذكر بعده " باب النهي عن القول بالقدر " [(٢)] .

وهذه إلماحةٌ من الإمام إلى خطورة اليهود وأنهم أشد خطراً من القدرية حيث جعل القدرية بعدهم مباشرة .

المثال الثاني : صنيع الإمام البخاري ومسلم :

---

(١)الموطأ (٢/ ٦٢).

(٢) الموطأ (٢/ ٦٨).

ودرج على هذا الفقه إمامي السنن وهما الإمام البخاري والإمام مسلم في صحيحهما حيث جعلا من أوائل الأبواب في صحيحهما "كتاب الإيمان "[(١)].

المثال الثالث : صنيع الإمام البخاري في كتاب التوحيد :

ولعل ما صنعه الإمام البخاري أثناء تبويبه لكتاب التوحيد من صحيحه من أكبر الشواهد والأدلة على ما ذكرناه من عناية السلف بالتدرج أثناء عرضهم للأبواب والتراجم فقد جعل الإمام البخاري أول باب في كتاب التوحيد من صحيحه بعنوان :"**باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تعالى** "[(٢)].

وكيف لا يقدمه وهو زبدة الرسالات ألا وهو الدعوة إلى إفراد الله بالعبادة فقدمه لأهميته فهو أهم وأعظم ما يعنى به من أمر التوحيد ، وكل شيءٍ سواه فهو دونه في الأهمية مع أهميته .

ج- كثرة الأبواب والكتب ضمن الجوامع وقلتها :

إن الناظر في تبويب الأئمة لقضايا الاعتقاد ضمن جوامعهم الحديثية يرى أن هناك تبايناً في كثرة التبويب وقلته ولعلنا حينما نتعرف على الأسباب يزول هذا الإشكال ولعل من أهم الأسباب والعوامل ما يلي :

١- عامل الزمن :

لما بدأ التصنيف والتأليف على الأبواب كان في بدايته تبويباً عاماً وحتى لما بدأ التفصيل لم يكن بشكل موسع ثم لما تقدم الزمن في أواخر القرن الثالث تفنن الأئمة في تبويبهم للمسائل وكثر ذلك جداً .

ومن الأمثلة على ندرة وقلة التبويب عند متقدمي الأئمة :

المثال الأول : الإمام مالك :

حيث جاء محصلة عدد أبواب الاعتقاد (ستة) أبواب فقط .

---

(١) انظر فتح الباري (١/ ٦٠) ، مسلم (١/ ٣٦).
(٢) الفتح (١٣/ ٣٥٩-٣٦٠).

المثال الثاني : ابن وهب في جامعه :

جاء محصلة عدد أبواب الاعتقاد (أربعة) أبواب فقط .

ولما تقدم الزمن وبدأ النصف الثاني من القرن الثالث ازداد عدد الأبواب وكثرة التراجم ولا أدل على ذلك من صنيع الإمام البخاري مثلاً والترمذي وأبي داود وغيرهم والله المستعان .

٢- عامل المكان :

وكذلك لاختلاف أماكن البلدان أثر، فهذا الإمام في منطقته ظهرت السنة وقمعت البدعة، تجده قد لا يبوب كثيراً لقضايا الاعتقاد لظهورها واشتهارها وعدم وجود الداعي لذلك .

ولكن غيره من الأئمة يعيش في مكان فيه مثلاً ديانات غير دين الإسلام أو توجد به بعض البدع كل هذا يؤثر في تبويبه :

وإليك الأمثلة:

المثال الأول :التبويب في مصنف ابن أبي شيبة:

إن الناظر في مصنف ابن أبي شيبة على كبر حجمه وكثرة أبوابه وكتبه ، إلا أن قضايا الاعتقاد لم تخص في مصنفه بتبويب يذكر فقد كان محصلة عدد أبواب وكتب الاعتقاد في مصنفه (خمسة كتب رئيسية) ولا يوجد تحتها أبواب تفصيلية تذكر ولعل السبب في ذلك هو أن الإمام ابن أبي شيبة كان في زمن المتوكل لما أظهر السنة ومكّن أهل السنة من التحديث ونشر السنة (١) وأفل نجم البدعة في عصره فلم يحتج للتبويب على قضايا لا توجد في المكان الذي هو فيه .

المثال الثاني : تبويب الإمام عبد الرزاق الصنعاني :

وانظر مثلاً إلى صنيع الإمام عبد الرزاق وكيف أثر عامل المكان أثناء تصنيفه فالإمام يعيش في أرض يعيش فيها أهل الكتاب ولهذا نجده في مصنفه عقد كتابين

---

(١) انظر : تاريخ الخلفاء للسيوطي ص٣٤٦.

حول أهل الكتاب .

الأول بعنوان :" كتاب أهل الكتاب " (١).

الثاني بعنوان :" كتاب أهل الكتابين" (٢).

٣- عوامل خاصة بالمؤلف نفسه :

قد يتعرض أحد الأئمة لفتنة أو لخلاف أو يتهم بأمر فتجده يظهر ذلك جلياً في تبويبه وترتيبه وتراجمه ولعل من أقوى وأظهر الأمثلة صنيع الإمام البخاري حينما أكثر التبويب والترجمة في صحيحه على قضية ومسألة " اللفظ" (٣) وهي الفتنة التي جرت بينه وبين الإمام الذهلي ولعلي أسوق لك بعض الأمثلة من صحيحه تؤيد ما ذكرناه :

عقد عدة أبواب في آخر كتاب التوحيد وهي كالتالي :

الباب رقم (٥٢): باب قول النبي ﷺ :" الماهر بالقرآن مع سفرة الكرام البررة وزينوا القرآن بأصواتكم" (٤).

---

(١) المصنف (٦/ ٣).

(٢) المصنف (١٠/ ٣١١).

(٣) مسألة "اللفظ" هي الفتنة التي حصلت بين الإمامين البخاري وشيخه الذهلي وكلاهما من أئمة أهل السنة والحديث ولكن الذهلي وبعض أهل السنة لم يفهموا مراد البخاري وظنوا أنه وافق اللفظية الذين عدهم السلف من أهل البدع وأنهاذريعة للقول بخلق القرآن ولهذا قال أحمد:" من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي " فتمسك بظاهر قول أحمد جماعة من أهل الحديث ولم يفهموا مراده على الحقيقة. وكان الإمام البخاري يفرق بين التلاوة والمتلو والقراءة والمقروء فالتلاوة فعل العبد وهي مخلوقة والمتلو هو كلام الله على الحقيقة غير مخلوق .

قال ابن القيم مبيناً حقيقة الفتنة بقوله:" هذا مذهب الإمام البخاري ومذهب الإمام أحمد وأصحابهما من سائر أهل السنة ، فخفى تفريق البخاري وتمييزه على جماعة من أهل السنة والحديث ، ولم يفهم بعضهم مراده وتعلقوا بالمنقول عن أحمد نقلاً مستفيضاً أنه قال :"من قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي ،ومن قال :غير مخلوق فهو مبتدع "، وساعد ذلك نوع حسد باطن للبخاري لما كان الله نشر له من الصيت والمحبة في قلوب الخلق واجتماع الناس عليه حيث حل ، حتى هظم كثير من رياسة أهل العلم ، وامتعضوا لذلك فوافق الهوى الباطن الشبهة الناشئة من القول المجمل ، وتمسكوا بإطلاق الإمام أحمد ،وإنكاره على من قال :لفظي بالقرآن مخلوق وأنه جهمي ، فتركب من مجموع هذه الأمور فتنة وقعت بين أهل الحديث"أ.هـ مختصر الصواعق ص٤٢١-٤٢٢، وانظر مجموع الفتاوى (٧/ ٦٥٥)،وهناك كتاب قيم لأخينا الشيخ سليمان مريزن العسيري بعنوان (لحظ اللحظ في بيان مسألة اللفظ) ص٦٦-٦٧ دار البيان الحديثة-الطائف ط.الأولى ١٤٢٢هـ.

(٤) الفتح (١٣/ ٥٢٧-٥٢٨).

قال الحافظ :" والذي قصده البخاري إثبات كون التلاوة فعل العبد فإنها يدخلها التزيين والتحسين والتطريب "[١] أ.هـ.

الباب رقم (٥٣): باب قول الله تعالى: ﴿ فَٱقْرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ﴾ "[٢].

قال الحافظ :" ومناسبة هذه الترجمة وحديثها للأبواب التي قبلها من جهة التفاوت في الكيفية ومن جهة جواز نسبة القراءة للقاريء "[٣] أ.هـ.

الباب رقم (٥٥):باب قول الله تعالى﴿ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴾[٤].

قال الحافظ :" قال البخاري في خلق أفعال العباد : قد ذكر الله أن القرآن يحفظ ويسطر ، والقرآن الموعى في القلوب، المسطور في المصاحف، المتلو بالألسنة كلام الله ليس بمخلوق ، وأما المداد والورق والجلد فإنه مخلوق "[٥] أ.هـ.

الباب رقم (٥٧):باب قراءة الفاجر والمنافق وأصواتهم وتلاوتهم لا تجاوز حناجرهم[٦].

قال الحافظ معلقاً على أول حديث في الباب :" ومطابقته للترجمة ظاهرة ومناسبتها لما قبلها من الأبواب أن التلاوة متفاوتة بتفاوت التالي فيدل على أنها من عمله "[٧] أ.هـ.

ثانياً:مناهجهم في عناوين الأبواب :

إن العناية بالعنوان للمصنف أو الكتاب أو الباب أو الترجمة يدل على فقه وعمق فهم المؤلف ، وكان هذا واضحاً في صنيع الأئمة في القرون الثلاثة الأولى وذلك من خلال :

---

(١) الفتح (١٣/ ٥٢٨).
(٢) الفتح (١٣/ ٥٣٠).
(٣) الفتح (١٣/ ٥٣٠).
(٤) الفتح (١٣/ ٥٣٢).
(٥) الفتح (١٣/ ٥٣٢).
(٦) الفتح (١٣/ ٥٤٥).
(٧) الفتح (١٣/ ٥٤٥).

أ- التدرج في العناوين:

من الكبير إلى الصغير ومن الواسع إلى الضيق ؛ فالأئمة يبدءون بذكر الكتاب الرئيسي ثم يذكرون ما تحته من أبواب تفصيلية ثم يذكر تحت الأبواب الأحاديث .

وكانت عباراتهم على الباب الرئيسي الذي يحوي أبواب فرعية مختلفة .

- فتارة يطلقون عليه " كتاب " وهذا صنيع غالب الأئمة كالبخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم .

- وتارة يطلقون على الكتاب الرئيسي لفظ " أبواب " وهي مرادفة للفظ "الكتاب " وظهر ذلك جلياً في صنيع الإمام الترمذي وابن ماجة.

يقول الدكتور نور الدين عتر :" وباستقراء تبويب الترمذي لكتابه ، نجده كما سبق في الباب الأول قد أدرج أحاديثه تحت نوعين من عناوين التبويب والتصنيف :

النوع الأول :

العنوان العام الجامع لأحاديث تتعلق بمسائل متعددة ولأبواب كثيرة من جنس واحد ، كالطهارة ، والزكاة ، والنكاح ، ويستعمل الترمذي لفظ " أبواب " مضافاً لموضوع تلك الأحاديث على هذه الطريقة (أبواب الطهارة عن رسول الله ﷺ) ، (أبواب الزكاة عن رسول الله ﷺ) وهكذا....

النوع الثاني :

العنوان والتبويب الخاص لمسألة معينة يخرج الترمذي حديثاً أو أكثر للدلالة عليها ، ويستعمل كلمة (باب) مضافاً لما يدل على موضوع ما تضمنه الباب في أغلب الأحيان نحو قوله :" باب ما جاء في السواك ".

أما البخاري فينقسم تبويبه إلى نوعين على نحو ما ذكرناه في الترمذي أيضاً لكن البخاري يستعمل لفظ " كتاب " في العناوين الجامعة للمتفرقات وهي المستعملة في كتب الفقه لنفس الغرض أيضاً .

ويشتركان في استعمال (باب) للمسألة المعنية بخصوصها .

فكلمة " أبواب " في كتاب الترمذي ، ترادف لفظ " كتاب " في صحيح البخاري ومصنفات الحديث والفقه ، لكن الترمذي زاد فيها قوله عن رسول الله ﷺ "[1] أ.هـ.

ب–وضوح العنوان ودلالته على المراد :

إن المتأمل في عناوين الكتب الرئيسية يجدها واضحة ودالة على مضمونها في كل الأحوال أو في الغالب، بخلاف العناوين للأبواب الفرعية قد تخفى الدلالة في بعض المواضع، ولابد فيها من استنباط وإعمال فكر؛ وذلك لأن الباحث عن الحديث في هذه المصنفات أول ما يبدأ بتصفح عناوين الكتب الرئيسية حتى يصل إلى مراده ولن يستطيع إذا لم تكن واضحة .

فمثلاً لما تقرأ عنوان " كتاب الإيمان " في الصحيحين أو الترمذي أو نحوه تعرف مباشرة ماذا يحتوي عليه الكتاب قبل تصحفه فإن كنت تبحث عن حديث حول مسائل الإيمان سوف تجده مباشرة هنا ،وقل مثل ذلك في بقية الكتب الرئيسية .

وكذلك لما تقرأ " كتاب الرد على الجهمية "[2] تعلم مباشرة أن الهدف من هذه الأحاديث المندرجة تحت الكتاب هو الرد على أهل البدع المخالفين لأهل السنة وهكذا .

ج– استيعاب العنوان لما يتضمنه من أبواب تفصيلية :

وقد اعتنى الأئمة أثناء عنونتهم للأبواب والكتب الرئيسية أن تكون مستوعبة لما تحتها من متفرقات، لأنه ربما تكون متفرقات في الاعتقاد ولا يجمعها موضوع واحد فجعل الأئمة عناوين لمثل هذه المتفرقات تدل على المراد ، فعلى سبيل المثال :

المثال الأول : كتاب " التوحيد " من صحيح الإمام البخاري أو " الرد على الجهمية "

المتأمل فيه يجد فيه تقريراً ورداً على أهل البدع في مسائل متفرقة مثل العلو والرؤية والكلام والسمع والبصر ونحوها، والجامع لها أنها من قضايا التوحيد ومما خالفت فيها الجهمية فعنون لها بهذا العنوان المناسب ليستوعب ما تحته من متفرقات .

---

(١) الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين ص٢٧٣-٢٧٤ لـد.عتر.

(٢) البخاري عنون كتاب التوحيد في بعض النسخ " الرد على الجهمية " وسيأتي الكلام عليه .

المثال الثاني : كتاب (السنة) من سنن الإمام أبي داود :

فالسنة في اصطلاح السلف يراد بها : قضايا الاعتقاد ولهذا جعل هذا الكتاب في آخر سننه بمثابة كتاب مستقل وملحق بالسنن، ذكر فيه جميع مسائل الاعتقاد سواءً تقرير المسألة أو الرد على المخالفين .

ثالثاً:أثر ظهور البدع على عناوين الكتب والأبواب الرئيسية

إن المتأمل في الفترة التي ظهرت فيها المصنفات التي عنيت بالترتيب والتبويب يجد أنها متزامنة مع انتشار بعض البدع ولقد أشار الأئمة في تبويبهم لهذا الأمر حتى في بدايات التصنيف فخذ على سبيل المثال :

ما بوب به الإمام معمر بن راشد جامعه وهو متوفى سنة (١٥٣هـ) حول قضايا الاعتقاد التي ظهر فيها الخلل ، ومن المعروف أن أول البدع ظهوراً هي بدعة القدر ثم تلتها بدعة الخوارج وانحرافهم في باب الإيمان وهذا الأمر كان واضحاً في جامعه فقد عقد بابين :

أ-باب القدر [١].

ب-باب الإسلام والإيمان [٢].

وكذلك الإمام مالك ت(١٧٩هـ) وهو من المتقدمين في التصنيف فقد عقد بابين في القدر :

أ-باب النهي عن القول بالقدر [٣].

ب-باب جامع ما جاء في القدر [٤].

ولما جاء القرن الثالث وظهرت بدع لم تكن موجودة توسع الأئمة في عنونة الأبواب الدالة على قضايا الاعتقاد بل أضافوا إليها صراحة الرد على أهل البدع

---

(١) المصنف (١١/ ١١١).

(٢) المصنف (١١/ ١٢٦).

(٣) الموطأ (٢/ ٦٨).

(٤) الموطأ (٢/ ٧١).

كالجهمية والمعتزلة ، وظهرت عناية الأئمة " بباب الإيمان " لاشتراك طوائف عديدة في الانحراف في هذا الباب فالخوارج والمعتزلة والمرجئة والجهمية كلهم مخالفون في هذا الباب وممن أفرد كتاباً مستقلاً حول االإيمان :

١- الإمام البخاري [١].

٢- الإمام مسلم [٢].

٣- الإمام الترمذي [٣].

وأما ابن ماجة فعقد باباً مستقلاً ضمن المقدمة [٤].

وأما الإمام أبو داود فقد عقد بابين في كتاب السنة .

الأول :" باب في الإرجاء " [٥].

الثاني :" باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه " [٦].

ومما يلاحظ عنايتهم بقضية القضاء والقدر أيضاً اتفاق الجميع إلا ماندر على عقد كتب أو أبواب مستقلة حول هذه القضية وذلك لاستمرار المخالفة فيها وتطورها .

ومن مظاهر الاهتمام والعناية بالعناوين الدالة على المخالفة العقدية ما يلي :

أ-عقدهم كتاباً أو باباً مستقلاً فيها .

ب-تقديم الباب أو الكتاب في الترتيب وقد تقدم الإشارة إلى صنيع البخاري ومسلم.

ج-التصريح أو الإشارة للمخالفين كقولهم " الرد على الجهمية " أو " رد الإرجاء " وهكذا .

---

(١) الفتح (١/ ٦٠).

(٢) مسلم (١/ ٣٦).

(٣) الترمذي السنن (٥/ ٥).

(٤) السنن (١/ ١٢).

(٥) السنن (٤/ ٢١٩).

(٦) السنن (٤/ ٢١٩).

ج- طريقتهم في تبويب و ترتيب الأبواب التفصيلية.

ويمكن أن نتحدث في هذا المبحث عما يلي :

أولاً : أنواع التراجم (على وجه العموم).

ثانياً: طرائقهم في الترجمة للأبواب (على وجه الخصوص).

تمهيد :

لم تحظ كتب السنة بدراسة شاملة حول منهجهم في الترتيب والتبويب إلا ما كان من صحيح الإمام البخاري الذي كُتب في تراجمه وأبوابه دراسات عدة على رأسها مقدمة الحافظ لشرحه "فتح الباري " ولعلي أذكر أهم الأسباب في عدم وجود دراسة لمنهج أصحاب الجوامع الحديثية في التبويب والترتيب [(١)] وهي كالتالي :

١- براعة الإمام البخاري وتفننه في ترتيب وعرض الأبواب والتراجم وكذلك براعته العجيبة في الاستنباط من الأدلة ووضوح ذلك في تراجمه .

قال المحدث أحمد الدهلوي :" وأراد -يعني البخاري- أيضاً أن يفرغ جهده في الاستنباط من حديث رسول الله ﷺ ويستنبط من كل حديث مسائل كثيرة جداً ، وهذا أمر لم يسبقه إليه غيره " [(٢)] أ.هـ.

٢- أن أصحاب الجوامع قبل وبعد البخاري لم يتميزوا بأمر يدعوا لدراسة منهجهم في عرض الأبواب فقد كانت الأبواب والتراجم لديهم واضحة ووجه المطابقة واضحة ، فلم تدعو الحاجة لدراسة أبوابهم وتراجمهم مثلما دعت الحاجة عند الإمام البخاري .

٣- تقدُّم الإمام البخاري في هذا الفن -أعني علم الحديث- وكذلك تقدم كتابه في المرتبة على غيره من الجوامع الحديثية فهو أصح كتاب بعد كتاب الله تعالى.

---

(١) انظر : الإمام الترمذي للدكتور : نور الدين عتر ص٢٧٢-٢٧٣ .

(٢) رسالة شرح تراجم أبواب صحيح البخاري ص٩ للشيخ المحدث أحمد الدهلوي ط. دار الحديث ، بيروت.

٤- عندما أكثر الإمام من الاستنباطات من خلال التراجم وكان فيها ما هو ظاهر ومنها ما هو غير ظاهر وليس كل أحد يستطيع الوصول إليه ؛ اختلفت آراء الناس تجاهها وتباينت فاحتيج لدراسة هذه الأبواب.

قال ابن المنيِّر :" والمقصود بهذه المقدمة أن الإمام أبا عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري لما أودع كتابه من الفقه الذي اشتملت عليه التراجم ما أودع ورصَّع في عقود تلك الأبواب من جواهر المعاني والحقّ اللُّباب ما رصَّع ظهرت من تلك المقاصد فوائد ، وخفيت فوائد ، واضطربت الأفهام فيما خفي ، ضمن محوِّم [(١)] وشارد .

فقائل يقول : أُختُرِمَ [(٢)] ولم يهذب الكتاب ، ولم يرتب الأبواب .

وقائل يقول : جاء الخلل من النساخ وتجذيفهم [(٣)]، والنقلة وتحريفهم .

وقائل يقول : أبعد المنجع [(٤)] في الاستدلال فأوهم ذلك أن في المطابقة نوعاً من الاعتدال " [(٥)] أ.هـ.

أما أصحاب الكتب الأخرى فلم يحصل حول تراجمهم كثير خلاف أو بحث فلم يكن هناك داعٍ للتصنيف أو الكلام على أبوابهم وتراجمهم لوضوح التراجم وسهولتها .

---

(١) محوِّم : من حام الطائر وغيره حول الشيء يحوم حوماً وحومانا :أي دار، ومقصوده أي يدور حول المعنى الصحيح أو يبعد . انظر : الصحاح ص١٩٠٨، القاموس ص١٤١٩.

(٢) أُختُرِم : يقال :" أُخْتُرِم فلان عنَّا " -مبنياً للمفعول- : أي مات واخترمته المنية : أي أخذته .انظر القاموس ص١٤٢٢.

(٣) تجذيفهم : أي سرعتهم يقال :"جذف الطائر :أسرع".انظر القاموس :ص١٠٢٨.

(٤) المنجع : النُجْعة : طلب الكلأ في موضعه ،ومراد المؤلف : أي لم يهتدي للحق وأبعد عنه .انظر القاموس ص٩٨٩.

(٥) المتواري على أبواب البخاري ص٣٥-٣٦ لابن المنير- ت. علي حسن عبد الحميد .

أولاً : أنواع التراجم (على وجه العموم).

إن المتأمل في هذه الجوامع الحديثية يرى أن الأئمة اعتنوا عناية فائقة بالتراجم للأبواب وتباينت طرائقهم في ذلك لأن القارىء للتراجم يعرف الجهد الذي بذله المصنف في الترتيب والتبويب،وكذلك يعطي صورة جلية عن فقه المصنف وعمق فهمه ولهذا كانت عنايتهم بها فائقة إضافة إلى حرصهم - رحمهم الله - على تسهيل وتقريب الفوائد المستنبطة من الحديث وكذلك الوصول للحديث بأسهل وأقرب السبل.

ويمكننا أن نقسم التراجم [١] إلى مايلي :

أ-التراجم الظاهرة .

ب-التراجم الاستنباطية.

ج-التراجم المرسلة .

د-التراجم المكررة .

أ- التراجم الظاهرة [٢]:

ونعني بها التي يتضح المراد منها ويظهر وجه مطابقتها للأحاديث المندرجة تحتها من أول وهلة ولا تحتاج إلى إعمال فكر واستنباط ولعل هذا هو الغالب على التراجم .

قال الحافظ :" ولنذكر ضابطاً يشتمل على بيان أنواع التراجم فيه وهي ظاهرة وخفية ، أما الظاهرة فليس ذكرها من غرضنا هنا ، وهي أن تكون الترجمة دالة بالمطابقة لما يورد في مضمنها ،وإنما فائدتها الإعلام بما ورد في ذلك الباب من غير اعتبار لمقدار تلك الفائدة كأنه يقول : هذا الباب فيه كيت وكيت ، أو باب ذكر الدليل على الحكم الفلاني مثلاً ، وقد تكون الترجمة بلفظ المترجم أو بعضه أو بمعناه ..." [٣] أ.هـ.

وقد أخذت التراجم الظاهرة في كتب الأئمة أشكالاً مختلفة وهي كالتالي :

---

(١) انظر : الإمام الترمذي د. عتر ص٢٧٤.

(٢) الإمام الترمذي ص٢٧٥.

(٣) هدي الساري ص١٥.

١- الترجمة بصيغة خبرية عامة :

(وذلك بأن تكون الترجمة عبارة تدل على مضمون الباب بصيغة خبرية عامة تحتمل عدة أوجه، فتدل على محتوى الباب بوجه عام ، ثم يتعين المراد لما يذكر من الحديث في الباب) (١).

وغالباً ما يستخدم هذه الطريقة للاختصار حيث يذكر عنوان عام تندرج تحته مسائل كثيرة وإليك بعض الأمثلة :

المثال الأول : في كتاب السنة لأبي داوّد :

عقد الإمام أبو داوّد في كتابه السنة باباً عاماً بعنوان " باب في القدر " (٢).

المثال الثاني : ابن ماجه في المقدمة :

عقد الإمام ابن ماجة باباً عاماً بعنوان :

" باب فيما أنكرت الجهمية " (٣).

وأدرج تحت هذا الباب عدد من الأحاديث مرتبة ترتيباً موضوعياً تتناول الرؤية والكلام ونحوها ، ولكنه عمل هذا العنوان ليدل على المضمون ويختصر في التراجم وعناوين الأبواب .

المثال الثالث : البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة :

عقد البخاري باباً عاماً جامعاً لمعانٍ كثيرة بعنوان :

" باب قول النبي ﷺ "بعثت بجوامع الكلم" " (٤).

فإن جوامع الكلم تندرج تحتها أحكاماً كثيرة ولكنه أوجز العبارة بلفظ الحديث وكأنها إشارة إلى أن الكلام القليل الذي يحوي معانٍ كثير هو الأولى بالذكر والتقديم ، حيث جعل الإمام البخاري هذا الباب هو أول الأبواب في كتاب الاعتصام بالكتاب

---

(١) الإمام الترمذي لـد.عتر ص٢٧٥.
(٢) السنن لأبي داوّد (٤/ ٢٢٢).
(٣) سنن ابن ماجه (١/ ٣٤).
(٤) الفتح (١١/ ٢٦١).

والسنة وأن هذا من خصائص كلام رب الأرباب وخصائص كلام رسوله الكريم [(١)].

٢-الترجمة بصيغة خبرية خاصة :

أي أن الترجمة تدل على المسألة معينة ولا يتطرق إليها احتمال آخر كأن تكون الترجمة تدل صراحة على مسألة عقدية محددة ويعرف المراد مباشرة عند قراءة الترجمة قبل النظر فيما تحتها من الأحاديث .

ولعل من فوائد هذه الطريقة :

أ-معرفة الحكم مباشرة من الترجمة قبل قراءة الأحاديث وهذا أكثر سهولة ويسر وأخصر طريق للوصول إلى الحكم المراد .

ب-بيان وضوح الحكم المراد من الحديث وعدم خفاءه .

ج-بيان أن هذا الرأي مما يرجحه المؤلف ويراه [(٢)]. ولهذا كان أهل السنة يبرزون المعتقد الصحيح الذي يدينون الله به من خلال تراجمهم، ولعل الأمثلة توضح ذلك كله :

المثال الأول : البخاري في كتاب الإيمان :

لعل من القضايا الكبرى عند أهل السنة والتي أشتد الصراع فيها بينهم وبين الطوائف المخالفة لمنهجهم قضية " الإيمان " وأحكامه ولهذا نجد أن العناية به كانت مبكرة منذ بدايات القرن الثاني، فهذا الإمام معمر في جامعه عقد باباً بعنوان " باب الإسلام والإيمان " [(٣)] ، وأبدع الإمام البخاري في كتاب الإيمان في التبويب ، ولهذا سوف نكثر من الأمثلة من خلال هذه المباحث لجودة التراجم وتنوعها وصلاحيتها للتمثيل في غالب ما سنذكره إن شاء الله .

عقد الإمام البخاري أبواباً كثيرة من هذا النوع من الترجمة وهي الترجمة الظاهرة

---

(١) الفتح (١١/ ٢٦٢).

(٢) انظر : الإمام الترمذي د. عتر ص٢٧٧.وقال ابن المنير عند سياق أنواع التراجم في صحيح الإمام البخاري :" منها ما يتناوله الحديث بنصه أو ظاهره وهذه هي الجلية "أ.هـ.المتواري على أبواب البخاري ص٣٧.

(٣) مصنف عبد الرزاق (١١/ ١٢٦).

بصيغة خبرية محددة في مسألة عقدية بعينها وذلك ليبين منهج أهل السنة بوضوح ، وليعلم أنه على هذا المنهج ويتبناه وإليك المثال :

قال الإمام البخاري في كتاب الإيمان :" باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال "(١).

قال الحافظ في الفتح :" ووجه مطابقة هذا الحديث للترجمة ظاهر " (٢).

المثال الثاني : أبو داود في السنة .

ومما يمكن أن يمثل به في مثل هذه الصورة صنيع الإمام أبي داوّد في سننه في كتاب السنة فقد عقد باباً دالاً على حكم واضح بين يعرف من خلال قراءة عنوان الترجمة وقبل قراءة ما تحته من أحاديث والباب هو :" باب في النهي عن سبِّ أصحاب رسول الله ﷺ " (٣).

وأورد تحت هذا الباب الحديث الصحيح المشهور :" لا تسبوا أصحابي ، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحدٍ ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه " (٤).

المثال الثالث : سعيد بن منصور في سننه :

ولعل هذا مثال آخر يشابه المثال السابق حول النهي عن سب أصحاب النبي ﷺ فقد بوَّب الإمام سعيد بن منصور في سننه باباً بعنوان :" باب في النهي عن سب أصحاب النبي ﷺ واللعنة على من سبهم " (٥).

وأضاف الإمام أبو سعيد : " واللعنة على من سبهم ". ولعلها إضافة من عندهِ وإن كان لم يدل عليها دليل صحيح .

ولكنه أورد حديثاً مرسلاً عن عطاء عن النبي ﷺ :" من حفظني في أصحابي كنت

---

(١) الفتح (١/ ٩١).

(٢) الفتح (١/ ٩٣).

(٣) السنن (٤/ ٢١٤).

(٤) الحديث أخرجه : متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري ، فأخرجه البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ -باب قول النبي ﷺ " لو كنت متخذاً أحداً خليلاً " برقم (٣٦٧٣).وأخرجه مسلم في فضائل الصحابة برقم (٢٥٤٥).

(٥) سنن سعيد بن منصور مخطوط (ل ٢٢٣/ أ-٢٢٣/ ب) .

له يوم القيامة حافظاً ، ومن سب أصحابي فعليه لعنة الله " [(١)].

المثال الرابع : الدارمي في سننه :

ومن الأمثلة ما بوَّبه الإمام الدارمي في سننه بقوله :" باب في النهي عن أن يقول ما شاء الله وشاء فلان " [(٢)].

ومن خلال هذه الترجمة تعرف أنه لا يجوز أن يقال هذا اللفظ فهو ذو دلالة محكمة واضحة بيِّنة .

ولعلي أذكر لك ما ذكره الحافظ ابن حجر حول هذه القضية :

يقول –رحمه الله– :" ..وكثيراً ما يترجم –يعني البخاري– بلفظ الاستفهام كقوله " باب هل يكون كذا أو من قال كذا " ونحو ذلك ، وذلك حيث لا يتجه له الجزم بأحد الاحتمالين وغرضه بيان هل يثبت ذلك الحكم أو لم يثبت ، فيترجم على الحكم ومراده ما يتفسر بعد من إثباته أو نفيه أو أنه محتمل لهما وربما كان أحد المحتملين أظهر ، وغرضه أن يبقى للنظر مجالاً ، وينبه على أن هناك احتمالاً أو تعارضاً يوجب التوقف حيث يعتقد أن فيه إجمالاً ، أو يكون المدرك مختلفاً في الاستدلال به .." [(٣)] أ.هـ.

٣-الترجمة بصيغة الاستفهام :

وهذه من أنواع التراجم ظاهرة المعنى.

والدوافع للأئمة حول هذا النوع من التراجم –وإن كان هذا ليس بكثير في أبواب الاعتقاد –مايلي :

أ- أن هذه المسألة مختلف فيها وهي محل بحث وتحتاج إلى ترجيح ، ولهذا يكثر استخدامها في الأبواب الفقهيه من الجوامع [(٤)].

---

(١) سنن سعيد بن منصور المصدر السابق .

(٢) سنن الدارمي كتاب الاستئذان (٢/ ٣٨٢).

(٣) هدي الساري ص١٦.

(٤) يقول د. سعد الحميد في مقدمة تحقيق لسنن سعيد بن منصور ص١٨٦ :" وقد تكون الترجمة عند سعيد بلفظ الاستفهام وهذا كثير كقوله في كتاب الوصايا "(باب هل يقضي الحي النذر عن الميت)" أ.هـ.

ب- أن هذه المسألة ليست محل خلاف بل المقصود هو إثارة الانتباه وإعمال الذهن والفكر فيها ، أو للتنبيه على دليل المسألة الوارد في الباب ، أو أن الدليل محتمل لأكثر من وجه .

ج- تنبيه على مسألة لم تحدث ، وإنما من باب ذكر الاحتمالات الواردة في الذهن، وسوف يتضح هذا عند ذكر الأمثلة .

وقد تكون صيغة الاستفهام في بداية الترجمة أو في منتصفها كما سوف يتضح من خلال الأمثلة .

المثال الأول : عبد الرزاق في مصنفه :

عقد الإمام عبد الرزاق في مصنفه باباً بعنوان :"باب من سبّ النبي ﷺكيف يصنع به " (١).

وعند قراءتك لهذه الترجمة فإنك تلحظ ما يلي :

١- الحكم على ساب النبي ﷺ ، هل القتل كما ذكر ذلك في الأحاديث والآثار تحت الباب ؟أم ماذا؟

٢- أنه صورها بعنوان ثم جعل الاستفهام والسؤال وهو الثمرة لهذا الباب في آخر الترجمة .

٣- لم يقصد بقوله " كيف يصنع به " أنه أمر مختلف فيه بدليل ما أورده تحت الباب من اتفاق السلف على قتله ، ولكن ليشحذ الذهن وينبه على المسألة وذلك لخطورتها .

المثال الثاني : البخاري في كتاب الفتن :

عقد الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الفتن باباً بعنوان:"باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة " (٢).

---

(١) المصنف (٥/ ٣٠٧).

(٢) الفتح (١٣/ ٣٨).

وهذا يدل على عمق فهم الإمام وكيف خرج بهذه الفائدة من هذا الحديث في الباب ، ولهذا دلت الترجمة على حكم لم يقع في عصر الصحابة . ولم يقع في عصر حتى الإمام البخاري .

وأيضاً قد يقول قائل فما الفائدة إذا لم يكن هذا الأمر واقع ؟

نقول : لخطورة هذا الأمر ، أراد الإمام البخاري أن ينبه عليه وأن يكون لدى المسلم معرفة بالحكم الشرعي في مثل هذه النوازل لأن الانحراف في هذا الباب خطير وضرره عظيم [1].

المثال الثالث : الترمذي في المناقب :

وقد يكون الاستفهام في الترجمة والجواب بنص الحديث أو الأثر في الباب ، وذلك للفوائد التي ذكرناها سابقاً، ومن هذا صنيع الإمام الترمذي حيث عقد في كتاب المناقب من جامعه باباً بعنوان :" باب ما جاء كيف ينزل الوحي على النبي ﷺ ؟" [2].

المثال الرابع : الترمذي في الفتن :

وقد يكون السؤال في الترجمة عن موضع أو مكان والجواب يكون في نص الحديث المندرج تحت هذه الترجمة ، وهذا كله للفت الانتباه وشحذ الذهن وهو من أساليب التشويق لمعرفة هذه الفائدة ، والباب الذي عقده بعنوان :"باب ما جاء من أين يخرج الدجال؟ " [3].

---

(١) قال العلامة البدر العيني عند قول الإمام البخاري :" باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة ":
قال :" أي هذا باب يذكر فيه كيف أمر المسلم يعني ماذا يفعل في حال الاختلاف والفتنة إذا لم تكن- أي إذا لم توجد – وكان تامَّه، وجماعة : أي مجتمعون على خليفة ، وحاصل معنى الترجمة أنه إذا وقع اختلاف ولم يكن خليفة فكيف يفعل المسلم ؟ من قبل أن يقع الاجتماع على خليفة ، وفي حديث الباب بين ذلك وهو أنه يعتزل الناس كلهم ولو بأن يعض بأصل شجرة حتى يدركه الموت وذلك خير له من دخوله بين طائفة لا إمام لهم خشية ما يؤول من عاقبة ذلك من فساد الأحوال باختلاف الأهواء وبسبب الآراء " أ.هـ.عمدة القاري (٢٤/ ١٩٣) ط. المنيرية مصورة دار إحياء التراث العربي بيرت-لبنان.

(٢) السنن كتاب المناقب (٥/ ٥٥٧).

(٣) السنن كتاب الفتن (٤/ ٤٤١).

ب- التراجم الاستنباطية :

ويقصد بها التراجم التي دلالتها غير ظاهرة وتحتاج إلى إعمال ذهن وقد يتضمن المصنف فيضع عنواناً للترجمة بعيد الاحتمال وقد يعجز بعض الشراح عن معرفة مناسبة الترجمة .

وهذا النوع من التراجم يظهر فقه المؤلف ودقة استنباطه ، ولهذا تتفاوت المصنفات من حيث كثرة هذا النوع من التراجم وقلتها بحسب فقه المؤلف وسعة علمه .

ولهذا نجد أن الإمام البخاري –رحمه الله –لم يأت قبله ولا بعده من الأئمة في كثرة التراجم الاستنباطية ، التي أعجزت أفهام الشراح عن الوصول إلى مراده في بعض المواضع .

قال القسطلاني :" وبالجملة فتراجمه حيَّرت الأفكار ، وأدهشت العقول والأبصار ولقد أجاد القائل :

أعيا فحول العلم حلَّ رموز ما أبداه في الأبواب من أسرار "[1]أ.هـ.

أهم الأسباب التي دعت الأئمة لمثل هذا النوع من التراجم :

ولقائل أن يقول : لماذا الإمام البخاري وغيره من الأئمة يخفي وجه مطابقة الترجمة للأحاديث أليس من الأولى أن تكون المطابقة ظاهرة لكل قارىء فهي أسهل وأيسر للفهم ؟

والجواب أن لهم دوافع نجملها فيما يلي :

١- تنبيه القاريء إلى وجه استنباط أو حكم بعيد عن الذهن ممكن أن يستنبط من هذا الدليل .

قال الحافظ :" وكثيراً ما يترجم بأمر مختصٍ ببعض الوقائع لا يظهر في باديء الرأي كقوله " باب استياك الإمام بحضرة رعيته " فإنه لما كان الاستياك قد يُظن أنه من أفعال المهنة فلعل بعض الناس يتوهم أن إخفاؤه أولى مراعاة للمروؤة فلما وقع في

(١) إرشاد الساري (١/ ٢٤).

الحديث أن النبي ﷺ استاك بحضرة الناس دل على أنه من باب التطيب لا من الباب الآخر ..." [(١)] أ.هـ.

٢- شحذ ذهن الطالب والقاريء لكي يجتهد في استخراج الفوائد والأحكام من الأحاديث وحتى يعطي الطالب الملكة والقدرة على الاستنباط ولهذا كانت الفوائد كثيرة من صحيح الإمام البخاري لكثرة من شرحه وكل أتى واستنبط أوجهاً قد لا تكون عند الآخر فحصل بها نفع عظيم للأمة .

قال الحافظ :" ولهذا اشتهر من قول جمع من الفضلاء (فقه البخاري في تراجمه) وأكثر ما يفعل ذلك إذا لم يجد حديثاً على شرطه في الباب ظاهر المعنى في المقصد الذي ترجم به ويستنبط الفقه منه ، وقد يفعل ذلك لغرض شحذ الأذهان في إظهار مضمره واستخراج خبيئه ..." [(٢)] أ.هـ.

٣- لإظهار وإبراز أمور أخرى متعلقة بالترجمة بطريق غير مباشر كأن يوميء أو يشير إلى مذهب مخالف ، أو للإشارة إلى الخلاف في هذه المسألة أو لتضعيف قول أو نحو ذلك ولا يمكن أن يظهر إلا باستخدام هذا النوع من التراجم .

ولعلنا نذكر طرفاً من أنواع التراجم الاستنباطية عند الحديث عن عمق فهم السلف ودقة استنباطهم في المبحث القادم فهو أليق والحديث عن هذه القضية به ألصق والله الموفق .

ج-التراجم المرسلة :

ونعني بهذه التراجم التي أرسلت فلم يذكر لها عنوان بل يكتفي المصنف بقوله : "باب".

وللمصنفين دوافع للترجمة بهذا النوع وهي على أَضْرُب عدة منها :

١- أن يفرد لأحد الأحاديث التابعة للباب باباً مستقلاً للتنبيه على أن في هذا الحديث فائدة سوى ما في ترجمة الباب السابق.

---

(١) هدي الساري ص١٦.

(٢) هدي الساري ص١٦.

يقول الشيخ الدهلوي :" ومنها أنه قد يجمع في باب أحاديث كثيرة كل واحدٍ منها يدل على الترجمة ثم يظهر له في حديث واحد فائدة أخرى سوى الفائدة المترجم عليها ويعلم على ذلك بعلامة " الباب " وليس غرضه أن الباب الأول قد انقضى بما فيه وجاء الباب الآخر برأسه ، ولكن قوله " باب" هنالك بمنزلة ما يكتب أهل العلم على الفائدة المهمة لفظ تنبيه أو لفظ فائدة أو لفظ قف " (١).

المثال الأول : الترمذي في صفة الجنة :

عقد الإمام الترمذي باباً في صفة الجنة بعنوان " باب ما جاء في صفة أنهار الجنة " (٢).

ولكنه عقد باباً مرسلاً بدون عنوان في بعض الروايات قبله ، وبعضها ضمن الباب ، ولكن الشاهد أنه عقد باباً مستقلاً وذكر فيه الحديث المروي عن أبي هريرة ﷺ قال :" قال رسول الله ﷺ : "يوشك الفرات يحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً" (٣).

فالباب الأصل حول أنهار الجنة وقد جاء في بعض الأحاديث أن دجلة والفرات من أنهار الجنة (٤)،وهنا أشار بهذا الباب المرسل إلى فائدة أخرى لها علاقة بنهر الفرات وأنه يحسر عن جبل أو كنز من ذهب هذا الذي ظهر لي والله أعلم .

المثال الثاني : الترمذي في باب ما جاء في الشفاعة

عقد الإمام الترمذي باباً في كتاب صفة القيامة بعنوان :" باب ماجاء في الشفاعة " (٥) ثم عقد باباً مرسلاً بعده وذكر فيه حديث أبي أمامة:" حديث السبعين ألف الذين

---

(١) رسالة شرح تراجم أبواب البخاري للدهلوي ص٢٠.

(٢) السنن كتاب صفة الحنة (٤/ ٦٠٣).

(٣) الحديث أخرجه: الإمام البخاري في كتاب الفتن- باب خروج النار برقم (٧١١٩).ومسلم في الفتن برقم (٢٨٩٤).

(٤) جاء في الحديث : عن أبي هريرة ﷺ قال :قال رسول الله ﷺ:"سيحان وجيحان والفرات والنيل كلٌ من أنهار الجنة".الحديث أخرجه :مسلم في صحيحه في كتاب الجنة برقم (٢٨٣٩).

(٥) سنن الترمذي كتاب صفة القيامة (٤/ ٥٣٧).

يدخلون الجنة بغير حساب"[1].

والذي يظهر أنه أفرده بباب لفائدة لعلها أن هناك من يدخل الجنة بدون الشفاعة التي جعلها الله لنبيه ولغيره بل بواسع رحمته سبحانه لما لهم من الفضل والشرف والعبادة ، ولعل أعظم ما عملوه هو تحقيقهم للتوحيد[2].

قال الحافظ :" أن من المكلفين من لا يحاسب أصلاً ومنهم من يحاسب حساباً يسيراً ومنهم من يناقش الحساب "[3] أ.هـ.

٢- إذا كان هذا الباب المرسل له علاقة غير ظاهرة يعد كالفصل من الذي قبله:

وهذا يكثر عند الإمام البخاري في صحيحه .

المثال الأول : البخاري في باب خروج النار :

عقد الإمام البخاري باباً بعنوان " باب خروج النار "[4] ثم عقد باباً مرسلاً وأورد فيه حديث: " تصدقوا ، فسيأتي على الناس زمان يمشي الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها "[5].

والناظر في هذا الباب والحديث الذي تحته لا يجد علاقة لأول وهله بين البابين .

قال الحافظ :" قوله (باب) كذا للجميع بغير ترجمة ، لكن سقط من شرح ابن بطال ، وذكر أحاديثه في الباب الذي قبله ، وعلى الأول فهو كالفصل من الذي قبله ، وتعلقه به من جهة الاحتمال الذي تقدم ، وهو أن ذلك يقع في الزمان الذي يستغني فيه الناس عن المال إما لاشتغال كل منهم بنفسه عند طروق الفتنة فلا يلوي على الأهل فضلاً عن المال ، وذلك في زمن الدجال " ...إلى أن قال :" وإما عند خروج النار التي

---

(١) الحديث : أصله في الصحيحين من رواية ابن عباس و أبي هريرة انظر : البخاري (كتاب الرقاق – باب يدخل الجنة سبعون ألفاً – برقم (٦٥٤١،٦٥٤٣،٦٥٤٢).

(٢) انظر: فتح المجيد للشيخ عبد الرحمن بن حسن (١/ ١٦٤) تحقيق د. الوليد الفريان ط. دار الصميعي ط. الثانية ١٤١٧هـ.

(٣) الفتح (١١/ ٤١٤).

(٤) البخاري كتاب الفتن باب خروج النار ، انظر الفتح (١٣/ ٨٤).

(٥) الحديث في كتاب الفتن باب رقم (٢٥) حديث رقم (٧١٢٠).

تسوقهم إلى المحشر فيعز حينئذٍ الظهر وتباع الحديقة بالبعير الواحد ولا يلتفت أحد حينئذٍ إلى ما يثقله من المال بل يقصد نجاة نفسه ومن يقدر عليه من ولده وأهله ، وهذا أظهر الاحتمالات وهو المناسب لصنيع البخاري والعلم عند الله تعالى "[١] أ.هـ.

المثال الثاني : البخاري في استتابة المرتدين :

ولعل من الأمثلة المناسبة لما ذكرنا من هذا النوع ما صنعه الإمام البخاري في كتاب استتابة المرتدين حيث عقد باباً بعنوان :" باب إذا عرَّض الذمي أو غيره بسبِّ النبي ﷺ "[٢].

ثم عقد باباً مرسلاً بعده وأورد فيه حديث : " كأني انظر إلى النبي ﷺ يحكي نبياً من الأنبياء ضربه قومه فأدموه فهو يمسح الدم عن وجهه ويقول : رب اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون "[٣].

قال الحافظ :" كذا للأكثر بغير ترجمة ، وحذفه ابن بطال فصار حديث ابن مسعود المذكور فيه من جملة الباب الذي قبله ، واعترض بأنه إنما ورد في قومٍ كفار أهل حرب والنبي ﷺ مأمور بالصبر على الأذى منهم فلذلك امتثل أمر ربه . قلت -أي الحافظ - : فهذا يقتضي ترجيح صنيع الأكثر من جعله في ترجمة مستقلة لكن تقدم التنبيه على أن مثل ذلك وقع كالفصل من الباب الذي قبله فلا بد له من تعلُّق به في الجملة ، والذي يظهر أنه أشار بإيراده إلى ترجيح القول بأن ترك قتل اليهود لمصلحة التأليف ، لأنه إذا لم يؤاخذ الذي ضربه حتى جرحه بالدعاء عليه ليهلك بل صبر على أذاه وزاد فدعا له فلأن يصبر على الأذى بالقول أولى "[٤] أ.هـ.

فوائد تتعلق بالتراجم المرسلة :

الأولى : قال الدهلوي :" أنه قد يكتب لفظة "باب" مكان قول المحدثين (وبهذا الإسناد) ، وذلك حيث جاء حديثان بإسناد واحد كما يكتب (ح) حيث جاء حديث

---

(١) الفتح (١٣/ ٨٨).
(٢) الفتح (١٢/ ٢٩٣).
(٣) الحديث في البخاري : كتاب استتابة المرتدين – باب رقم (٥) برقم (٦٩٢٩).
(٤) الفتح (١٢/ ٢٩٣).

بإسنادين ..." [١].

الثانية : أن الإمام الترمذي يستعمل لفظة (باب منه) إذا كان الباب مكملاً لما ترجم به في الباب السابق أو متعلقاً به فيكون الضمير عائداً على الباب السابق [٢].

الثالثة : لم يستعمل هذه الطريقة (أعني التراجم المرسلة) من مصنفي الجوامع الحديثية في القرون الثلاثة الأولى سوى الإمام البخاري وتلميذه الإمام الترمذي .

الرابعة : أن العلاقة بين الترجمة المرسلة وما قبلها قد تكون ظاهرة وقد تكون خفية بعيد عن الذهن ويكثر هذا عند الإمام البخاري .

الخامسة : قلة الأبواب المرسلة في ما يخص أبواب الاعتقاد خاصة عند الإمام البخاري –رحمه الله –.

د- التراجم المكررة :

و من طرائق الأئمة في تراجم أبوابهم: التكرار في بعضها وقد أخذت أشكالاً وصوراً عدة منها :

١- التكرار بنفس اللفظ .

٢- التكرار مع اختلاف يسير جداً .

٣- التكرار بالمعنى : وهذا قد يكون إفراده للأهمية .

ولعل تكرار التراجم لم يكن عبثاً ولعلنا نجتهد ونذكر بعض الأسباب والدوافع المتوقعة وهي على سبيل الإجمال ما يلي :

١-التأكيد على هذا الباب لأهميته عند المؤلف أو لكثرة الانحراف فيه أو نحو ذلك .

٢- يكرره لزيادة فائدة في الثاني ، كتقوية الحديث إذا جاء بسند آخر فيفرده بباب مستقل للإشارة إلى هذا السند.

---

(١) رسالة شرح تراجم أبواب البخاري ص١١.

(٢) الإمام الترمذي د. عتر ص٢٩٣.

٣- قد يستدرك المؤلف ويظهر له بعض الأحاديث الدارجة في نفس الباب فيعيد الترجمة ليدرج تحتها الأحاديث التي استدركها .

٤- أن ذلك تصرف من بعض النساخ .

الأمثلة على التراجم المكررة :

المثال الأول : معمر في جامعه :

لعل من أوائل الكتب المصنفة على الأبواب كتاب الجامع لمعمر وقد كرر باب الطيرة مرتين [١].

وقد ذكرت هناك أن هذا قد يكون من تصرف بعض النساخ وذلك أن الترتيب لم يكن موجوداً في عصره بهذه الطريقة .

أو أنه استدرك بعض الأحاديث التي فاتته فأعاد التبويب مرة أخرى .

المثال الثاني : عبد الرزاق في مصنفه :

والإمام عبد الرزاق عقد بابين خاصين بأهل الكتاب ولكنه غاير بين ألفاظ البابين مغايرة يسيرة فقال :

الأول : كتاب أهل الكتاب [٢].

الثاني : كتاب أهل الكتابين [٣].

المثال الثالث : الدارمي في سننه :

وممن كرر في الأبواب الدارمي فقد عقد بابين بلفظين متقاربين :

الأول بلفظ : "باب في لزوم الطاعة والجماعة" [٤].

الثاني بلفظ :" باب في الطاعة ولزوم الجماعة "[٥].

---

(١) انظر : مصنف عبد الرزاق (١٠/ ٤٠٢) ، (١٠/ ٤٠٦).

(٢) المصنف (٦/ ٣-١٣٢).

(٣) المصنف (١٠/ ٣١١-٣٧٧).

(٤) سنن الدارمي كتاب السير (٢/ ٣١٤).

(٥) السنن كتاب الرقائق (٢/ ٤١٧).

والمتأمل في عنوان البابين يظهر له الحكمة في التكرار والتغاير اليسير في ألفاظهما.

فالأول : (في لزوم الطاعة) هذا الأصل في الباب ثم الجماعة لأنه أدرج تحته حديث: " من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر ..." الحديث [١].

وقد بوَّب البخاري بلفظ " باب السمع والطاعة للإمام ".

والثاني (في الطاعة) و (لزوم الجماعة) فعبر بلزوم الجماعة أي عدم الخروج على جماعة المسلمين وإمامهم وهذا هو الأصل في هذا الباب لأنه أدرج تحته حديث :

" خيار أئمتكم ..." إلى قوله :" قلنا : أفلا ننابذهم يارسول الله عند ذلك ؟ قالا : لا ، ما أقاموا فيكم الصلاة ..." الحديث [٢].

هذا الذي ظهر لي والله أعلم بالصواب .

المثال الرابع : أبو داود في السنة :

كذلك الإمام أبو داود عقد بابين وجعل الباب الثاني فيه زيادة لفظة ولكن لها فائدة :

الأول بعنوان : باب مجانبة أهل الأهواء [٣].

الثاني بعنوان : باب مجانبة أهل الأهواء وبغضهم [٤].

والأحاديث التي أوردها تحت البابين دلتا على ما ذكرنا حيث أورد تحت الباب الثاني ما يدل على البغض لأهل الأهواء زيادة على مجانبتهم وتركهم .

المثال الخامس : الدارمي في سننه :

وبنفس طريقة أبي داود عقد الإمام الدارمي بابين متطابقين في اللفظ إلّا أن الثاني فيه زيادة فقال في :

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الأحكام – باب السمع والطاعة للإمام مالم تكن معصية برقم (٧١٤٣).

(٢) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإمارة (٢/ ١٤٨١) برقم (١٨٥٥).

(٣) السنن (٤/ ١٩٨).

(٤) المصدر السابق .

الأول : باب في اجتناب الأهواء [1].

الثاني : باب في اجتناب أهل الأهواء والبدع والخصومة [2].

فالأول فيه التحذير من البدع نفسها وبيان خطورتها ومخالفتها والثاني التحذير من المبتدعة واجتنابهم وهجرهم [3].

ثانياً : طرائقهم في الترجمة للأبواب (على وجه الخصوص).

بعد أن انتهينا من الحديث في المبحث السابق عن طرائق الأئمة وتنويعهم في التراجم (بشكل عام) ، ننتقل الآسن إلى الحديث عن تبويبهم وترجمتهم للأبواب (بشكل خاص) ، وهي على أنواع :

١- الترجمة بحكم مسألة عقدية محددة .

٢- الترجمة بنص الآية .

٣- الترجمة بلفظ الحديث .

٤- الترجمة بالآثار غير المرفوعة .

٥- التنويع في عنوان وعبارة الترجمة .

٦- التراجم الطويلة والمختصرة .

ولعلنا من خلال العرض والتمثيل لكل نوع من أنواع التراجم نوضح ونبرز صور هذه التراجم ونقربها للفهم والله المستعان .

---

(١) سنن الدارمي المقدمة ص١٠٣.

(٢) سنن الدارمي المقدمة ص١٢٠.

(٣) ومن الذين كان عندهم تكرار في التراجم الإمام سعيد بن منصور في سننه ولكني لم أجد له تكرار في أبواب الاعتقاد .يقول د. الحميِّد في مقدمة السنن (١/ ١٨٧): " وقد تتكرر عند بعض التراجم ، كقوله في كتاب الزهد : باب الزهد ، ثم بعده بثلاثة أبواب قال : باب الحلم والتواضع والزهد ثم بعده بثلاثة أبواب قال : باب الزهد في الدنيا ، ثم بعده بباب واحد قال : باب الزهد والتواضع ومايكره من عجب الرجل بعمله " أ.هـ.ثم مثل بمثال آخر ثم قال- عفا الله عنه - : " وكان بإمكان المصنف أن يضم هذه الأبواب وأمثالها بعضها إلى بعض وينسِّق بينها " أ.هـ .والذي يظهر لي خلاف ما قاله الشيخ الحميِد، وذلك أن غرضه من هذه التراجم المكررة ماتقدم ذكره في بداية هذا المبحث بأن له مغزىً وفائدة تدرك من خلال مغايرته بين عناوين التراجم وأن في كل ترجمة زيادة فائدة عن الأخرى والله أعلم .

١- الترجمة بمسألة عقدية محدودة :

و من طرق السلف في تراجمهم للأبواب التفصيلية هو الترجمة بذكر مسألة عقدية ، أو ذكر حكمها الذي يعتقده أهل السنة فيها ومن ضمنهم مؤلف الجامع ، وهذه الطريقة تظهر فيها عناية السلف بمسائل العقيدة وإبراز منهجهم فيها بوضوح ، ومن خلال التمثيل يتضح المراد .

المثال الأول : الإمام مالك في قضية القدر :

عقد الإمام مالك باباً ضمن كتابه " الجامع " في موطأه بعنوان " باب النهي عن القول بالقدر" (١) .

فالإمام جعل الترجمة لبيان حكم القول ببدعة القدرية ، والتي كانت موجودة في عصره – رحمه الله– وذكر تحتها من الأحاديث والآثار ما يتوافق مع ما ترجم له .

المثال الثاني : الدارمي في سننه :

وهكذا الإمام الدارمي عقد أبواباً فيها ذكر حكم مسائل عقدية ومن ضمن هذه الأبواب عقد باباً بعنوان :" باب في النهي عن أن يقول مطرنا بنوء كذا وكذا " (٢) .

فهذا فيه بيان أنه لا يجوز أن يقال هذا اللفظ بل هو بفضل الله ورحمته.

المثال الثالث : البخاري في الإيمان :

عند الإمام البخاري في كتاب الإيمان أبواباً تدل على مسائل كثيرة ولعل من هذه الأبواب قوله :" باب حب الرسول ﷺ من الإيمان " (٣) .

المثال الرابع : البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة :

كذلك عقد الإمام البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باباً يبين فيه حكم من آوى محدثاً فقال :" باب إثم من آوى محدثاً" (٤) .

---

(١) الموطأ كتاب الجامع (٢/ ٦٨).
(٢) سنن الدارمي كتاب الرقائق (٢/ ٤٠٥).
(٣) الفتح (١/ ٧٤).
(٤) الفتح (١٣/ ٢٩٥).

فالبخاري -رحمه الله- لم يقل " من آوى محدثاً " بل قال :" إثم من آوى محدثاً " وغرضه بيان الحكم في هذه المسألة وأنه لا يجوز وأن فاعلها آثم عند الله عز وجل.

قال الإمام العيني – معلقاً على هذه الترجمة -: " أي هذا باب في بيان إثم من آوى محدثاً – بضم الميم وكسر الدال- أي : مبتدعاً أو ظالماً أو آوى محدث المعصية " [١].

المثال الخامس : الترمذي في الفتن :

عقد الإمام الترمذي في جامعه باباً في كتاب الفتن بعنوان :

" باب ما جاء لا يحل لمسلم أن يروّع مسلماً " [٢].

وفيه الصراحة والبيان والوضوح في حكم من أخاف أو أفزع مسلماً بأنه لا يحل له ، وأورد فيه من الأحاديث ما بين حكم هذه المسألة .

٢- الترجمة بنص الآية :

ولعل من طرائق الأئمة في تراجمهم أنهم يترجمون بنص الآية .

أسباب الترجمة بهذه الطريقة :

أ-تقديم كتاب الله في الاستدلال قبل ذكر الأحاديث لأن السنة المصدر الثاني .

ب-أن الآية أقوى دليل يمكن أن يحتج به حتى على من ينكر بعض السنة كما فعل أهل البدع في رد خبر الآحاد .

ج-أن تكون الآية نصاً في الموضوع الذي أورد الأحاديث فيه .

د-أوردها لكي يبين وجه الاستنباط منها ويتضح هذا من خلال قراءة الأحاديث الواردة في الباب .

هـ-ليبين تأويل الآية التي ترجم الباب بنصها، وذلك من خلال قراءة ما اندرج تحتها من أحاديث وآثار وشرح للغريب .

الإمام البخاري والترجمة بنص الآية:

---

(١) عمدة القاري (٢٥/ ٤٣).

(٢) سنن الترمذي (٤/ ٤٠٢).

ذكر بعضهم أن هذه الطريقة – أعني الترجمة بنص الآية – مما تفرد بها الإمام البخاري عن غيره من المحدثين أصحاب الجوامع الحديثية ، وهذا يؤيد ما ذكرناه سابقاً أن هذا الإمام قد حاز قصب السبق في حسن الترتيب والتبويب في جامعه الصحيح .

يقول الدكتور نور الدين عتر :" ومن أهم ما تفرد به من المسالك في تراجمه الظاهرة :

أن يترجم بآية قرآنية : فيجعل الآية عنواناً للباب ، والمقصود من ذلك تأويل الآية أو الاستدلال بها كحكم من الأحكام ثم تقوية هذا التأويل والاستدلال بما يُخرّج من الأحاديث .." [(١)] أ.هـ.

والذي يظهر لي أن الأمر بخلاف هذا لأن الإمام عبد الرزاق الصنعاني ترجم ببعض الآيات في مصنفه وهو متقدم على البخاري وإليك هذه الأمثله من مصنف عبدالرزاق:

-باب ﴿ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْكِتَـٰبُ أَجَلَهُۥ ﴾ [البقرة : ٢٣٥]"[(٢)].

-باب﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ ﴾ [البقرة : ٢٣٣] ".[(٣)]

-باب ﴿ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا ﴾[البقرة : ٢٣٣] ".[(٤)]

-باب﴿ فَـَٔاتُواْ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُواْ ﴾[الممتحنة : ١١] ".[(٥)]

-باب﴿ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ ﴾ [النور : ٢] ".[(٦)]

الأمثلة على هذه الطريقة (من صحيح الإمام البخاري):

والناظر في صنيع الإمام البخاري في تراجمه بهذه الطريقة يلحظ أنه أكثر منها

---

(١) الإمام الترمذي ص٢٨٢.

(٢) المصنف (٧/ ٥٧)

(٣) المصنف (٧/ ٥٧).

(٤) المصنف(٧/ ٥٨).

(٥) ذكر المصنف باب ﴿وآتوهم مثل ما أنفقوا ﴾ والصواب ما أثبتناه ، المصنف (٧/ ١٨٥).

(٦) المصنف (٧/ ٣٦٧).

خاصَّة في كتاب التوحيد ، ولعل من الأسباب في ذلك هو ذكرناه سابقاً في بداية هذا المبحث وأهمها الرد على أهل البدع بأن في القرآن زيادة على أخبار الآحاد ما يرد على بدعتكم .

المثال الأول : في كتاب الإيمان :

عقد الإمام البخاري باباً واحداً فقط بهذه الطريقة في كتاب الإيمان وهو :
بابٌ ﴿ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ﴾[التوبة : ٥].

قال الحافظ :" هو منون في الرواية ، والتقدير : هذا باب تفسير قوله تعالى: (فإن تابوا) ، وتجوز الإضافة أي : باب تفسير قوله . وإنما جعل الحديث تفسيراً للآية لأن المراد بالتوبة في الآية الرجوع عن الكفر إلى التوحيد ، ففسره قوله ﷺ " حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله " "[1] أ.هـ.

واعترض عليه العيني بأن مجيء البخاري في الآية ليس ليفسرها لأنه ليس في موضع تفسير بل لبيان أن الأعمال من الإيمان ويرد فيها على المرجئة [2] .

المثال الثاني : في كتاب مناقب الأنصار :

عقد الإمام البخاري في كتاب مناقب الأنصار باباً بعنوان :
" باب قول الله عز وجل: ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ [الحشر : ٩] . . . ." [3]

قال الحافظ :" هو مصير منه إلى أن الآية نزلت في الأنصار وهو ظاهر سياقها ، وحديث الباب ظاهر في أنها نزلت في قصة الأنصاري فيطابق الترجمة " [4] أ.هـ.

قال العيني :" وعلى كل حال المطابقة موجودة من حيث أنها فيمن يسمى

---

(١) الفتح (١/ ٩٥) ،وانظر :شرح تراجم أبواب البخاري للذهلوي ص١٨ .
(٢) انظر عمدة القاري (١/ ١٧٧-١٧٨).
(٣) الفتح (٧/ ١٤٩).
(٤) المصدر السابق .

بالأنصاري مفرداً وبالأنصار جمعاً "[١] أ.هـ.

كتاب التوحيد وكثرة التراجم فيه بالآيات :

وقد أكثر المؤلف الترجمة بالآيات حتى إنه جعل كل أبواب كتاب التوحيد مترجم عليها بالآيات إلا ما ندر ، ولعل قائلاً يقول : ما الحكمة في هذا الكتاب دون غيره أن يترجم بالآيات في غالب أبوابه ؟

والجواب : ما أشرنا إليه سابقاً في أسباب الترجمة بالآية في كتب الأئمة وهو أنهم يريدون أن يثبتوا لأهل البدع أن مذهبهم الحق مؤيد ليس فقط بأحاديث الآحاد التي ينكرونها بل حتى بالآيات القرآنية التي يتفق على الاحتجاج بها كلا الطرفين وعليه فإن من خالفهم فقد خالف الكتاب والسنة جميعاً .

قال الحافظ :" الذي يظهر من تصرف البخاري في كتاب التوحيد أنه يسوق الأحاديث التي وردت في الصفات المقدسة فيدخل كل حديث في باب ويؤيده بآية من القرآن للإشارة إلى خروجها عن أخبار الآحاد على طريق التنزل في ترك الاحتجاج بها في الاعتقاديات ، وإن من أنكرها خالف الكتاب والسنة جميعاً "[٢] أ.هـ.

المثال الثالث : البخاري في كتاب التوحيد:

عقد البخاري ثاني باب في الكتاب وترجم له بآية قرآنية وهو قوله :

" باب قول الله تبارك وتعالى :﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾[الإسراء : ١١٠] ..."[٣] أ.هـ.

قال ابن بطال :" غرضه في هذا الباب إثبات الرحمة وهي من صفات الذات فالرحمن وصفٌ وصف الله تعالى به نفسه ..."[٤] أ.هـ.

المثال الرابع : البخاري في كتاب التوحيد أيضاً :

---

(١) عمدة القاري (١٦/ ٢٦٣).

(٢) الفتح (١٣/ ٣٧٢).

(٣) الفتح (١٣/ ٣٧٠).

(٤) الفتح (١٣/ ٣٧١) ، عمدة القاري (٢٥/ ٨٤).

ومن الطرق التي يسلكها الإمام البخاري أثناء ترجمته بنصوص الآيات **أن يترجم بنص آيتين** مثاله قوله :

" باب قول الله تعالى : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ﴾ [آل عمران : ٢٨].

وقوله جلَّ ذكره : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ﴾[المائدة : ١١٦] "(١).

ولعلنا نكتفي بما سبق ذكره من الأمثلة .

٣- الترجمة بلفظ الحديث :

ومن ما يميز كتب السنة المبوبة هو الترجمة بلفظ الحديث النبوي ولعلنا نذكر بعض الدوافع والأسباب التي جعلتهم يترجمون أبوابهم بلفظ الحديث .

أسباب الترجمة بلفظ الحديث :

أ- لبيان وضوح وظهور دلالته وأنه من المحكم البيِّن الذي لا خفاء فيه .

ب- فيه إشارة إلى ثبوت ذلك الحديث عند المصنف واحتجاجه وعمله به .

قال الحافظ :"..أن اختياره يؤخذ في العادة من الآثار التي يودعها في الترجمة " أ.هـ(٢)

وقال الدكتور عتر :" وفائدة جعل لفظ الحديث أو بعضه ترجمة ، إعلام أن المصنف قائل بذلك الحديث ذاهب إليه ، وقد وجدت ذلك بالاستقراء في جامع الترمذي مطرداً ". أ.هـ. (٣).

ج- التنويع في الاستدلال وحشد الأدلة في قضية معينة فيذكر الترجمة بلفظ حديث ويورد تحته من الأحاديث الأخرى التي تدل على نفس القضية حتى تجتمع جميع الأدلة في الباب .

د- تقديم هذا الدليل على غيره من الأدلة عند المصنف وذلك قد يكون لظهوره ووضوح دلالته على الحكم أو لقوته من جهة السند أو لغيرها من الأسباب التي دعته

---

(١) الفتح (١٣/ ٣٩٥)

(٢) الفتح (١/ ٥٧٥) في شرح باب كم تصلي المرأة في الثياب من كتاب الصلاة عند الحديث رقم (٣٧٢) .

(٣) انظر : الإمام الترمذي ص ٢٧٩.

لتقديمه في الذكر .

هـ- يترجم به لأنه ليس على شرطه وإن كان ثابتاً عنده.

أنواع الترجمة بلفظ الحديث :

وقد تنوعت أساليبهم في الترجمة بلفظ الحديث وهي على سبيل الإجمال كالتالي:

النوع الأول: الترجمة بلفظ الحديث كاملاً :

وهذا في الغالب إذا كان لفظ الحديث مختصراً غير مطول ولا يصلح تقطيع الحديث لأن حكمه مرتبط بجميع لفظه .

المثال الأول : الدارمي في سننه :

عقد الإمام الدارمي في كتاب السير من سننه باباً بعنوان :" باب من حمل علينا السلاح فليس منا " (١).

وأورد تحته الحديث بلفظ :" من سلَّ علينا السلاح فليس منا " (٢).

ولكن الدارمي – رحمه الله – ترجمه بلفظ حديث -وإن لم يورده -وهذا من باب بيان ألفاظ الحديث ورواياته ، فإن هذا اللفظ المترجم به قد ورد عند البخاري بل وترجم عليه البخاري في كتاب الفتن :" باب قول النبي ﷺ:"من حمل علينا السلاح فليس منا " (٣).

وأورد تحته الحديث بنفس اللفظ الذي ذكره الدارمي (٤).

المثال الثاني : البخاري في الفتن:

عقد الإمام البخاري في كتاب الفتن باباً بعنوان :" باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي :" إن ابني هذا لسيِّد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين " (٥).

---

(١) الدارمي كتاب السير (٢/ ٣١٥).

(٢) برقم (٢٥٢٠).

(٣) الفتح (١٣/ ٢٦).

(٤) برقم (٧٠٧٠).

(٥) الفتح (١٣/ ٦٦).

وأورد تحته قصة جاء فيها : قال الحسن :" ولقد سمعت أبا بكرة قال : بينا النبي ﷺ يخطب جاء الحسن فقال النبيﷺ :" ابني هذا سيِّد ، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين "[١].

يوجد فرق يسير هو زيادة حرف اللام في قوله: (لسيد).

قال الحافظ :" ولم أر في شيءٍ من طرق المتن "لسيد" باللام كما وقع في هذه الترجمة "[٢] أ.هـ.

المثال الثالث : ابن ماجة في الفتن :

عقد الإمام ابن ماجة باباً بعنوان " باب سباب المسلم فسوق وقتاله كفر " [٣].

وذكر تحته الحديث الصحيح المشهور : " سباب المسلم فسوق وقتاله كفر"[٤] والمثال واضح فيما ذكرنا .

النوع الثاني: الترجمة ببعض لفظ الحديث :

وهذا كثير جداً في كتب السنة وخاصة عند الإمام البخاري والإمام الترمذي فتارة يؤخذ من أوله أو من وسطه أو من آخره حسب الموضع الذي يريد أن يستشهد ويحتج به المصنف .

وهذه الطريقة أي الترجمة ببعض لفظ الحديث ظهرت مبكرة فهذا الإمام عبد الرزاق ترجم ببعض لفظ حديث كما سوف يمر معنا في الأمثلة .

المثال الأول : عبد الرزاق في المصنف :

عقد الإمام عبد الرزاق في كتاب " أهل الكتاب " من مصنفه باباً بعنوان :"

---

(١) الحديث برقم (٧١٠٩).

(٢) الفتح (١٣/ ٦٦).

(٣) السنن لابن ماجة (٢/ ٣٦٥).

(٤) الحديث في سنن ابن ماجه برقم (٣٩٨٧)، (٣٩٨٨)، (٣٩٨٩) والحديث مخرج في الصحيحين :عند البخاري في الإيمان (باب خوف المؤمن أن يحبط عمله وهو لا يشعر) برقم (٤٨) .وعند مسلم في الإيمان برقم (١١٦).

أقاتلهم حتى يقولوا لا إله إلَّا الله "[١].

وأورد تحته الحديث المشهور الصحيح :" أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلَّا الله ..." [٢] الحديث .

ولعل الاختلاف يسير جداً حيث ذكر الإمام عبد الرزاق لفظ (أقاتلهم) والحديث (أقاتل الناس) .

المثال الثاني : البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة :

عقد الإمام البخاري باباً في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة بعنوان :

" باب قول النبي ﷺ : " لتتبعن سنن من كان قبلكم " [٣]

والحديث لفظه :" لتتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضباً تبعتموهم – قلنا : يارسول الله اليهود والنصارى ؟ قال : فمن ؟" [٤].

المثال الثالث: الترمذي في الإيمان :

وكذلك الترمذي عقد باباً في الإيمان بعنوان :" باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً " [٥].

وكذلك الإمام ابن ماجه عقد باباً في الفتن بعنوان :" باب بدأ الإسلام غريباً " [٦].

وأورد تحته الحديث المشهور الصحيح :" إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء " [٧].

---

(١) المصنف (٦/ ٦٦).

(٢) في المصنف برقم (١٠٠٢١) وقد أخرجه :البخاري في الإيمان – باب (فإن تابوا وأقاموا الصلاة ..) برقم (٢٥).ومسلم في الإيمان برقم (٢٠)، (٢١)، (٢٢).

(٣) الفتح (١٣/ ٣١٢).

(٤) الحديث برقم (٧٣٢٠).

(٥) السنن (٥/ ١٩).

(٦) السنن (٢/ ٣٧٦).

(٧) الحديث في الترمذي برقم (٢٦٢٩) وقال الترمذي : وفي الباب عن سعد وابن عمر وجابر وأنس وعبد الله بن عمرو .والحديث أخرجه : مسلم في الإيمان برقم (٦٥). أحمد في المسند (٢/ ٣٨٩). وابن ماجه في الفتن، باب بدأ الإسلام غريباً .

النوع الثالث: الترجمة بمعنى الحديث وتغيير يسير في اللفظ :

وفي بعض المواضع يغير الأئمة بعض لفظ الحديث لكي يصبح عنواناً للترجمة لأن مراده الأساس هو المعنى وليس اللفظ وهذا له أمثلة :

المثال الأول : الدارمي في سننه :

عقد الإمام الدارمي باباً بعنوان :" باب الإمارة في قريش "(١) وأورد تحته الحديث الصحيح :" إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا أكبه الله على وجهه ما أقاموا الدين "(٢).

والحديث لم يأت بلفظ "الإمارة" بل بلفظ " الأمر " ولكن معنى الأمر : الإمارة ، وقد ورد في بعض الروايات :" الأمراء " و " الملك" و" الأئمة"(٣) وكل مؤداها أن الإمارة تكون فيهم وهذا الذي قصده المؤلف .

المثال الثاني : البخاري في الإيمان :

عقد الإمام البخاري في كتاب الإيمان باباً بعنوان :" باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه "(٤).

وأدرج تحته الحديث بلفظ : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه "(٥).

فجعل عنوان الترجمة هو الخلاصة والفائدة من الحديث مع البقاء على غالب اللفظ فقال (من الإيمان) مع عدم ورودها بهذا اللفظ ولكن هذا هو الذي يستفاد من لفظ الحديث " لا يؤمن أحدكم حتى ..." قال العيني :" مطابقة الحديث للترجمة ظاهرة لا تخفى "(٦).

---

(١) سنن الدارمي (٢/ ٣١٥).

(٢) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الأحكام – باب الأمراء من قريش برقم (٧١٣٩).

(٣) أشار إليها الحافظ في الفتح (١٣/ ١٢٢) عند شرحه للحديث .

(٤) الفتح (١/ ٧٣).

(٥) برقم (١٣).

(٦) عمدة القاري (٢٤/ ١٣٩).

المثال الثالث : البخاري في القدر :

عقد الإمام البخاري باباً في القدر بعنوان :" باب إلقاء العبد النذر إلى القدر "[(١)] وأورد تحته الحديث بلفظ :" لا يأتي ابن آدم النذر بشيء لم يكن قدرته ، ولكن يلقيه القدر وقد قدرته له استخرج به من البخيل "[(٢)].

قال الحافظ: " ...وأيضاً قد جرت عادة البخاري أنه يترجم بما ورد في بعض طرق الحديث وإن لم يسق ذلك اللفظ بعينه ...."أ.هـ[(٣)].

النوع الرابع :الترجمة بلفظ حديثٍ ليس في الباب أصلاً:

وهذا النوع يشير إليه البخاري كثيراً ،وغير البخاري كذلك،وأما سبب الترجمه به عند البخاري وعدم إيراده في الباب فقد نص الأئمة لأنه ليس على شرطه[(٤)].

وعند غير البخاري للطائف أخرى منها مثلاً:الترجمة باللفظ المشهور الصحيح وإيراد الحديث المسند غير المشهور للدلالة والتعريف به ، ومن الأمثلة ما صنعه الإمام الدارمي فقد عقد باباً بعنوان:"باب النهي أن يقول :مطرنا بنوء كذا وكذا "[(٥)].

وأورد تحته حديثاً غير مشهور يدل على موضوع الترجمة .

مسائل تتعلق بمبحث الترجمة بلفظ الحديث :

الأولى : قد يترجم المصنف بلفظ حديث ليس في كتابه ولعل الباعث له على ذلك أنه على غير شرطه أو أنه أبلغ في الدلالة على ما يريد وهذا عند البخاري واضح .

الثاني : أن الأئمة عند الترجمة بلفظ الحديث يستخدمون عبارات مختلفة منها أن يقول المصنف:

---

(١) الفتح (١١/ ٥٠٨) باب رقم (٦).

(٢) الحديث برقم (٦٦٠٩).

(٣) الفتح (١١/ ٥٠٨).

(٤) الفتح (١/ ١١٦-١١٧)عند شرحه لباب الدين يسر في كتاب الإيمان.

(٥) سنن الدارمي (٢/ ٤٠٥) والحديث الذي أشار إليه في الترجمة أخرجه :البخاري في الصحيح كتاب الأذان –باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم برقم (٨٤٦) . ومسلم في كتاب الإيمان برقم (٧١).

أ- باب (ويذكر لفظ الحديث).

ب- باب قول النبي ﷺ ...).

ت- باب حديث (ويذكر لفظ الحديث).

٤- الترجمة بالآثار غير المرفوعة :

ومما سار عليه الأئمة في تراجم أبوابهم أنهم يترجمون بلفظ أثر عن صحابي أو من دونه ، ولعل البخاري هو أوضح مثال في استخدامه لهذه الطريقة ولعل الدافع له أو لغيره ما يلي :

الدوافع والأسباب للترجمة بالآثار :

أ- أن لفظ الأثر مراد لأنه يدل على الحكم الذي يترجم لدى المصنف .

ب- أنه لم يصح بهذا اللفظ حديث وإن كان المعنى موجود في الأحاديث المرفوعة.

ج- أن يكون الأثر موافقاً لمذهب المصنف ثم يذكر الأدلة في الباب .

الأمثلة على هذا النوع من التراجم :

المثال الأول : الإمام عبد الرزاق في مصنفه :

عقد الإمام عبد الرزاق في مصنفه في كتاب (أهل الكتاب) باباً بعنوان :
" لا يدخل الحرم مشركاً" (١).

وأورد فيه أثراً عن عطاء قال :" لا يدخل الحرم كله مشرك ، وتلا:﴿ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَا﴾ [التوبة : ٢٨] " (٢).

ووجه المطابقة بين الترجمة والأثر ظاهرة والله أعلم .

المثال الثاني : البخاري في الإيمان :

عقد الإمام البخاري باباً في الإيمان بعنوان :" باب دعاؤكم إيمانكم" (٣).

---

(١) المصنف (٦/ ٥٢).

(٢)المصدر السابق .

(٣) الفتح (١/ ٦٤).

وهذا هو لفظ أثر عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾ [الفرقان : ٧٧].

قال الشيخ بدر الدين بن جماعة :" هذا منقول عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ﴾ قالوا معناه : أن الدعاء من الإيمان كما جاء في الحديث : " الدعاء أفضل العبادة " ، والدعاء عمل من الأعمال فتكون الصلاة والزكاة والصوم والحج من الإيمان لأنها أعمال كالدعاء .

...ومقصود البخاري بسائر الأبواب الواردة إثبات أن الإيمان قول وعمل"أ.هـ بتصرف [(١)].

وهذا النوع من التراجم في كتب الأئمة قليل بل عده بعضهم أنه مما تفرد به البخاري عن غيره من أصحاب الكتب الستة [(٢)].

٥-التنويع في عنوان وعبارة الترجمة :

ولعل مما درج عليه السلف التنويع في عبارة وعنوان الترجمة حتى يشعروا القاريء بالتجديد في الوصف وحتى يبعدوا عنه السآمة والملل أثناء القراءة ، مع أن الحكم المشترك بين الأبواب واحد، فمثلاً قد يكون عدة أبواب تدور حول دخول الأعمال في مسمى الإيمان فجدد المصنف العرض في عنوان الترجمة وفي عباراتها ، فمرة يجعلها ظاهرة ومرة خفية و مرة طويلة ومرة قصيرة ، ومرة يقدم بعض الألفاظ ويؤخرها في الترجمة التي تليها ، وكما ذكرنا أن الذي له القدح المعلى في هذا الباب هو الإمام البخاري – رحمه الله – .

المثال الأول : عبد الرزاق في المصنف :

الإمام عبد الرزاق في مصنفه استخدم التنويع في عنوان وعبارة الترجمة مع أن الكتابين اللذين عقدها لا فرق بينها وقد تكررت فيهما بعض الأبواب :

---

(١) مناسبات تراجم البخاري ص٣٠ .

(٢) انظر الإمام الترمذي د. عتر ص٢٨٣.

- الأول : كتاب أهل الكتاب [١].
- الثاني : كتاب أهل الكتابين [٢].

المثال الثاني : أبو داوود في السنن :

عقد الإمام أبو داود بابين في كتاب السنة بعناوين متقاربة ومواضيعهما مشتركة :

الأول : باب في الجهمية [٣].

وأورد تحته الأحاديث التي تثبت الصفات والعلو .

الثاني : باب في الرد على الجهمية [٤].

وأورد فيه أحاديث في الصفات والعلو ،ولعل مراده التنويع في عنوان وعبارة الترجمة .

المثال الثالث : البخاري في الإيمان :

عقد الإمام البخاري عدة أبواب في الإيمان كلها يقول فيها مثلاً :

(باب إطعام الطعام من الإسلام) [٥] أو الإيمان .

(باب حب الرسول ﷺ من الإيمان) [٦].

وبينهما قال (باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه) [٧].

فقدم لفظ (من الإيمان) هنا وقبله وبعده أخّره وذلك للتنويع في عنوان وعبارة الترجمة .

قال الكرماني عند قوله (باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه) : " قوله

(١)المصنف (٦/ ٣).
(٢) المصنف (١٠/ ٣١١).
(٣) سنن أبي داود (٤/ ٢٣١).
(٤) السنن (٤/ ٢٣٤).
(٥) الفتح (١/ ٧١) وقال الكرماني :" وفي بعض النسخ (من الإيمان) " انظر : الكواكب الدراري (١/ ٩١) لشرح صحيح البخاري ط.دار إحياء التراث العربي بيروت-لبنان ط.الثانية ١٤٠١هـ.
(٦) الفتح (١/ ٧٤).
(٧) الفتح (١/ ٧٣).

(من الإيمان) : قدم لفظ الإيمان – بخلاف أخواته حيث يقول :" حب الرسول من الإيمان " وقال :" إطعام الطعام من الإيمان "– إما للاهتمام بذكره وإما للحصر فكأنه قال : المحبة المذكورة ليست إلا من الإيمان تعظيماً لهذه المحبة وتحريضاً عليها " [1] أ.هـ.

وتعقبه الحافظ بقوله : " وهو توجيه حسن إلا أنه يرد عليه أن الذي بعده أليق بالاهتمام والحق معاً ، وهو قوله " باب حب الرسول من الإيمان " **فالظاهر أنه أراد التنويع في العبارة ....** " [2] أ.هـ.

٦- التراجم المطولة والمختصرة :

مما يمكن أن يلاحظ على تراجم الأئمة لأبواب الاعتقاد في جوامعهم الحديثية التطويل في بعض التراجم والاختصار في البعض الآخر ولعل من الدوافع لهذا الصنيع أمور عدة :

أ-إرادة التوضيح والبيان لبعض المسائل المشكلة من خلال الترجمة .

ب-اختلاف التراجم في وضوح معناها وخفاءها فالواضح يختصر ويكتفى بالإشارة إليه والخفي يحتاج لبسط في العبارة .

ج_تضمين العنوان الرد على المخالف تفصيلاً إذا كان طويلاً وإذا كان مختصراً يكتفى بالإشارة والتلميح إجمالاً .

أولاً : التراجم المختصرة :

ولها صور عدة :

الصورة الأولى : جعل عنوان الباب أو الترجمة لكتاب كامل من كتب الاعتقاد مثال : " باب في الإيمان " أو " باب في القدر " ونحو ذلك وهذا واضح في صنيع الأئمة .

الصورة الثانية : التراجم المرسلة وهو قولهم (باب) فقط هي نوع من أنواع

---

(١) الكواكب الدراري (١/ ٩٣).

(٢) الفتح (١/ ٧٣).

الاختصار في التراجم وقد تقدم بسط الكلام حولها .

ثانياً : التراجم المطولة :

وهذه لها صور كثيرة منها ما يلي :

الصورة الأولى : الإتيان بلفظ الحديث كاملاً وهذا يؤدي إلى طول الترجمة :

مثاله : ابن ماجة في الفتن :

عقد باباً بعنوان : " باب لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض "[(١)].

الصورة الثانية : ذكر عدد من الموضوعات في ترجمة واحدة :

مثالها : ابن ماجة في الفتن :

عقد باباً بعنوان :" باب فتنة الدجال وخروج عيسى بن مريم عليه السلام وخروج يأجوج ومأجوج "[(٢)].

فهذه اشتملت على ثلاثة موضوعات :

١- فتنة الدجال .

٢- خروج عيسى ابن مريم .

٣- خروج يأجوج ومأجوج .

الصورة الثالثة : ذكر المسألة وحكمها ودليلها ضمن ترجمة واحدة :

وهذا قد يكون لاهتمام المؤلف بهذه القضية أو لأنها من القضايا الكبار في العقيدة وهكذا .

مثالها : البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة :

عقد الإمام البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة باباً بعنوان :

" باب إذا اجتهد العامل – أو الحاكم – فأخطأ خلاف الرسول ﷺ من غير علمٍ فحكمه مردود ، لقول النبي ﷺ :" من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد "[(٣)].

---

(١) السنن لابن ماجة (٢/ ٣٦٦).

(٢) السنن لابن ماجة (٢/ ٣٩٧).

(٣) الفتح (١٣/ ٣٢٩).

فالترجمة اشتملت على :

١- المسألة " إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول ﷺ ".

٢- حكم المسألة " فحكمه مردود ".

٣- الدليل على الحكم : " من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد ".

الصورة الرابعة : ذكر عدة أدلة ضمن ترجمة واحدة :

وقد يذكر صاحب الجامع في الترجمة عدة أدلة ويحشدها لنصرة ما يذهب إليه ، وهذا واضح في صنع أئمة السنة – رحمهم الله – إذا انتصروا لعقيدتهم .

مثالها : البخاري في التوحيد :

عقد باباً طويلاً بعنوان :" باب قول الله تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات : ٩٦] ، ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٤٩]،ويقال للمصورين : أحيوا ما خلقتم .﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس : ٣] "(١) .

قال الحافظ :" ذكر ابن بطال عن المهلب أن غرض البخاري بهذه الترجمة إثبات أن أفعال العباد وأقوالهم مخلوقة لله تعالى " أ.هـ(٢) .

مسائل تتعلق بهذا المبحث :

الأولى : أن التطويل في التراجم وارد في أبواب الفقه أكثر لأنها هي التي يكثر فيها النزاع والخلاف والاستدلال ونحو ذلك (٣) .

فعلى سبيل المثال عقد الإمام سعيد ابن منصور ترجمة طويلة في كتاب الطلاق من سننه بعنوان :" باب الرجل له أربعة نسوة ، فنهى واحدة عن الخروج ، فوجد امرأة من

---

(١) الفتح (١٣/ ٥٣٦).

(٢) الفتح (١٣/ ٥٣٧).

(٣) انظر مقدمة سنن سعيد للحميِّد (١/ المقدمة ص١٨٧).

نسائه قد خرجت ، فقال : فلانة أنت طالق ، أَيَّتُهُنَّ تطلق منه "[١] .

الثانية : أن الأصل في التراجم الاختصار لا التطويل والخروج عن الأصل يكون لغرض وفائدة كما تقدم .

الثالثة : أن الإمام البخاري هو الذي أكثر من التراجم الطويلة وخاصة في أواخر كتاب التوحيد وذلك حول قضية خلق أفعال العباد والتي وقعت له الفتنة فيها –رحمه الله– .

---

(١) المصدر السابق .

المبحث الثاني

دقة استنباطهم وعمق فهمهم

ويشتمل على تمهيد ومطلبين:

المطلب الأول : بيان ذلك من خلال تراجم الأبواب .

المطلب الثاني : بيان ذلك من خلال التعليق على النصوص .

تمهيد :

تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظ هذا الدين ، وهيأ لهذا الأمر أسباباً ولعل من أهم الأسباب في حفظ هذا الدين ، هو الجهد الضخم الذي قام به سلفنا الأوائل في القرون المفضلة ، وقد توزعت هممهم وجهودهم في ميادين شتى ، فهذا يشرح ويفسر آيات الله ويبين غريبه ، ويستخرج مكنوناته ودرره ، وذاك يبين صحيح الحديث من سقيمه ومقبوله من مردوده ، ويظهر علله ويجرح ويعدل في حملته ذباً عن السنة وحفظاً لها . ومنهم من صرف جهده لاستخراج الفوائد والأحكام من حديث سيد الأنام ، وتفاوتت هممهم وقدراتهم في هذا الأمر على حسب قوة العلم وعمق الفهم ، ولكن مع هذا التفاوت فهم في الجملة يفوقون من أتى بعدهم فهو عالة على ما قرّروه واستبطوه من حديث رسول الله ﷺ ولهذا فالسلف رحمهم الله- قلَّ كلامهم وكثر نفعهم ، ومن أتى في الأزمان المتأخرة ولا حول ولا قوة إلا بالله كثر كلامهم وقلَّ نفعهم إلا ما رحم ربك.

ولعل من المجالات التي ظهرت فيها براعة الأئمة في قوة الاستنباط وعمق الفهم تراجمهم وتعليقاتهم على هذه التراجم وما اندرج تحتها من أحاديث فقد تفننوا – رحمهم الله – ما بين مكثر ومقل حسب غرضه وطريقته في التصنيف ، والله الموفق لكل خير وهدى .

وهذا العمل الذي أودعوه في كتبهم ، من الأدلة الواضحة والحجج الدامغة التي يظهر فيها فضل علم السلف على علم الخلف ، ويظهر كذب تلك المقولة التي تنعت أولئك الأخيار بقلة الفقه ، وأنهم لا يعرفون من الحديث إلا الرواية وأما الدراية فهي لمن أتى بعدهم (١) .

ولعل من التراجم التي أهتم السلف فيها اهتماماً كبيراً وأودعوا فيها خلاصة

(١) سوف نتكلم – إن شاء الله – لا حقاً في آخر مبحث من هذه الرسالة عن هذه الشبهة وغيرها ونردها تفصيلاً نسأل الله الإعانة والتوفيق والسداد .

علمهم وفهمهم هي التراجم الخاصة بأبواب الاعتقاد ، وذلك لعلمهم بخطورة وأهمية هذا الجانب .

والسلف – رحمهم الله- أدركوا قول نبيهم الكريم ﷺ حينما أرشدهم لهذا العمل بقوله :" نضَّر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها ، ثم أداها كما سمعها فرُبَّ مبَّلغ أوعى من سامع "[(١)].

فالشأن ليس في النقل فقط بل في النقل والفقه معاً .

قال ابن المنيِّر :" كان من الحقوق الواجبة نشرها (أي السنة) على الناس قاطبة يحملها الآخذ إلى الطالب ، ويبلغها الشاهد إلى الغائب ،قال رسول الله ﷺ :" نضَّر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها ، ثم أداها كما سمعها فرُبَّ مُبَّلغ أوعى من سامع "،فوظيفة الحامل الجاهل في هذه الأمانة أن يؤديها إلى أهلها بالوفاء والتسليم ووظيفة الحامل الحاذق أيضاً أن يؤديها إلى من عساه أحذق منه في الفهم والتفهيم ..."أ.هـ[(٢)].

سبب تعمق البخاري في التراجم وتفننه :

السبب الأول : أن البخاري جعل الفقه في التراجم ، فيأتي بها يريد من أبحاث الفقه وأدلته في الترجمة ثم يخرج الأحاديث التي تدل عليها ، وتستنبط منها الفوائد التي ترجم بها، قال شاه ولي الله الدهلوي : " وأراد أيضاً أن يفرغ جهده في الاستنباط من حديث رسول الله ﷺ ويستنبط من كل حديث مسائل كثيرة جداً ، وهذا أمر لم يسبقه إليه غيره ، غير أنه استحسن أن يفرق الأحاديث في الأبواب ، ويودع في الأبواب سر الاستنباط " انتهى، أما الترمذي فإنه يتعرض للفقه تعقيباً على الحديث بعد تخريجه ضمن محتوى الباب ومن هنا فإننا نجد مهمة تراجم الترمذي في الأعم الأغلب الدلالة على مضمون الباب .

---

(١) هذا الحديث من الأحاديث المتواترة وهو حديث صحيح رواه :الترمذي في كتاب العلم – باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع (٥/ ٣٣) برقم (٢٦٥٦).وابن ماجه في المقدمة – باب من بلغ علماً (١/ ٤٩) برقم (٢٤٤).وأحمد في المسند (١/ ٤٣٧).وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٣١٣).

(٢) المتواري ص٣٣.

السبب الثاني : أن البخاري ضيق شرط الكتاب وتشدد فيه ، فقلت مادته بينما توسع الترمذي في شرطه فساعده ذلك على الاستدلال بما يريد من الحديث . ولذلك أثره الكبير في كثرة الاستنباط والإيغال في العمق والدقة لدى الإمام البخاري بينما لا يحتاج الترمذي لذلك إلا قليلاً ، وذلك فيما يخرج الحديث للاستدلال به على مسألة مستنبطة منه فيروي الحديث ويذكر بعده تلك المسألة وأقوال العلماء فيها ، ويترجم بها في الباب دلالة على مقصده من الباب [1] .

---

(١) الإمام الترمذي . د. نور الدين عتر ص ٢٩٦ .

المطلب الأول : بيان دقة استنباط السلف وعمق فهمهم من خلال التراجم :

لقد تنوعت أساليبهم – رحمهم الله – في إيداع هذه التراجم خلاصة و زبدة فقههم وفهمهم ما بين مقلٍّ ومكثر ، وكما ذكرنا في كل باب أن الذي له اليد الطولى والقدح المعلى هو شيخهم وإمامهم ومقدمهم أمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري – رحمه الله – مع عدم غمطنا لحق وفضل أحدٍ منهم كما سوف يظهر لنا من خلال ما نعرضه من الأمثلة وأن هذا الأمر اشترك فيه الأئمة كلهم – رحمهم الله – .

أ- طرائقهم في الاستنباط من التراجم والأمثلة عليها :

١- عنوان الترجمة هو وجه الاستدلال والاستنباط من الأحاديث :

وذلك بأن يجعل العنوان هو ما يمكن أن يستنبطه ويفهمه صاحب الجامع من هذه النصوص التي يوردها .

وبهذا يظهر جمعه للفقه والحديث وهو صنيع الإمام البخاري وذلك لكي لا يزاحم الحديث والدليل الشرعي كلام الناس مع عدم إغفال الإشارة إلى الفقه الموجود فيها والأحكام .

قال ابن المنيرِّ :" فهذا -والله أعلم- سِرُّ كون البخاري – رحمه الله- ساق **الفقه** في التراجم سياقه المخلِّص للسنن المحضة عن المزاحم المستثير لفوائد الأحاديث من مكامنها المستبين من إشارات ظواهرها مغازي بواطنها ، فجمع كتابه العلمين والخيرين الجمَّيْن فحاز كتابه من السنة جلالتها ومن المسائل الفقهية سلالتها وهذا غوص ساعده عليه التوفيق ، ومذهب في التحقيق دقيق "أ.هـ[(١)] .

وهذا النوع فيه توضيح وبيان لوجه الاستنباط من الدليل .

الأمثلة على هذا النوع :

المثال الأول : البخاري في التوحيد.

مما أبرزه الإمام البخاري في تراجمه لأبواب الاعتقاد هو وجه الاستنباط

---

(١) المتواري ص (٣٩-٤٠).

والاستدلال من هذا الدليل ، وجعل هذا الأمر هو عنوان الترجمة زيادة في التوضيح والبيان .

فعلى سبيل المثال لما أراد أن يدلل على أن لفظ القاريء من عمله وعمله مخلوق عقد باباً وقال :" باب وسمّى النبي ﷺ عملاً وقال لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب" (١) .

فقدم بين الأحاديث بوجه الاستنباط الذي يمكن أن يؤخذ ويستدل به من هذه الأحاديث .

المثال الثاني : البخاري في الاعتصام .

وكذلك عقد الإمام البخاري باباً في كتاب الاعتصام بعنوان :

" باب نهي النبي ﷺ على التحريم إلا ما تُعْرَف إباحته وكذلك أمره نحو قوله حين أحلوا :"صيبوا من النساء " ..."(٢) .

فقد ذكر ما استنبط الإمام البخاري وما استفاده من مسألة في ترجمته وهي أن الأصل في النهي التحريم إلا ما دل السياق على أنه ليس كذلك.

قال الحافظ :" قوله (باب نهي النبي ﷺ على التحريم) أي النهي الصادر منه محمول على التحريم وهو حقيقة فيه ، قوله (إلا ما تعرف إباحته) أي: بدلالة السياق أو قرينة الحال أو قيام الدليل على ذلك "أ.هـ(٣) .

ولعل مما دفع البخاري للترجمة بهذا الأمر ليبين أنه قد تقع مخالفة للأمر أو النهي من الصحابة ولكن لا تكون مخالفة لنهي مفاده التحريم وإنما يكون النهي أولاً وفيه للإباحة والتخيير.

قال ابن المنيرِّ :" قصد بهذه الترجمة التنبيه على أن المخالفة التي وقعت أحياناً لما طلب منهم لم تكن عدولاً عن الاعتصام إذ لم يخالفوا واجباً ولم يؤثر عنهم ذلك ،

---

(١) الفتح (١٣/ ٥١٩).
(٢) الفتح (١٣/ ٣٤٨).
(٣) الفتح (١٣/ ٣٤٩).

وصور المخالفة فهموا فيها عدم العزم عليهم وتمكينهم من بعض الخيرة ..."أ.هـ[١].

المثال الثالث : الترمذي في الفتن .

عقد الإمام الترمذي باباً في كتاب الفتن بعنوان :

"باب ما جاء في تغيير المنكر باليد أو باللِّسان أو بالقلب "[٢].

وذكر تحته الحديث الصحيح:" في إنكار الرجل على مروان تقديمه الخطبة على الصلاة بحضرة أبي سعيد الخدري" [٣].

فجعل الترمذي عنوان الترجمة هي وجه الاستدلال وأنه يغير وينكر بيده وبلسانه وبقلبه على حسب استطاعته .

٢- الترجمة بصيغة الاستفهام وجعل الجواب مستفاداً من الأحاديث في الباب :

وهذا نوع من طرائقهم في الاستنباط بأن يجعل وجه الاستنباط والفقه على صيغة سؤال يكون جوابه مفهوماً من الأحاديث في الباب .

والأمثلة على هذا النوع كثيرة ، بل إنها ظهرت هذه الطريقة مبكرة ولعل الأمثلة توضح هذا الأمر جلياً ، وهذه الصيغة في الاستفهام لا نقصد ما تقدم عند ذكر أنواع التراجم الظاهرة بل نقصد بها ما كان يحتاج إلى الاستنباط .

الأمثلة على هذا النوع :

المثال الأول : عبد الرزاق في مصنفه

أكثر الإمام عبد الرزاق من الترجمة بصيغة الاستفهام والتي تدل على الحكم المستنبط من الأحاديث ، مع ما تقدم عهده – رحمه الله –.

فعقد في (كتاب أهل الكتابين) عدة أبواب من هذا النوع منها قوله :

١- " باب المشرك يتحول من دينٍ إلى دين هل يترك ؟ "[٤].

---

(١) المتواري ص ٤٢٠.

(٢)السنن (٤/ ٤٠٧).

(٣) أخرجه الإمام مسلم في الإيمان برقم (٤٩).

(٤)المصنف (١٠/ ٣١٨).

٢- " باب هل تهدم كنائسهم وما يمنعوا ؟"[(١)].

٣- " باب هل يصافح المسلم أهل الكتاب ؟"[(٢)].

فالأول: "باب المشرك يتحول من دين إلى دين هل يترك ؟"

نجد أن الإمام عبد الرزاق يرجح أنه يترك وهذا الجواب مستفاد مما أدرجه تحت هذه الترجمة فقد قال عبد الرزاق :" أخبرنا ابن جريج قال : حُدِّثت حديثاً رفع إلى عليٍّ في يهودي أو نصرني تزندق ، قال : دعوه يحول من دين إلى دين " أ.هـ[(٣)].

والثاني : باب هل تهدم كنائسهم ومما يمنعوا ؟"

نجد أن الإمام ذكر فيها قولين وذكر الثالث وهو التفصيل فيها ولعله الراجح عنده .

فذكر أثراً عن الحسن:" أنها تهدم" [(٤)]،ثم أثراً عن ميمون:" أنها لا تهدم" [(٥)]،ثم أورد أخيراً أثر عن ابن عباس أنه سئل هل للمشركين أن يتخذوا الكنائس في أرض العرب ؟ فقال ابن عباس :" أمّا ما مصَّر المسلمون فلا ترفع فيه كنيسة ، ولا بيعه ، ولا صليب، ولا سنان ، ولا ينفخ فيها ببوق ، ولا يضرب فيها بناقوس ، ولا يدخل فيها خمر ولا خنزير ، وما كانت من أرض صولحوا صلحاً فعلى المسلمين أن يفوا لهم بصلحهم "أ.هـ[(٦)].

قال عبد الرزاق :" تفسير ما مصَّر المسلمون ، يقول ما كانت من أرضهم أو أخذوها عنوة " [(٧)].

أما الثالث : باب هل يصافح المسلم أهل الكتاب ؟.

(١) المصنف (١٠/ ٣١٩).
(٢) المصنف (١٠/ ٣٧٢).
(٣) المصنف (١٠/ ٣١٨).
(٤) المصنف(١٠/ ٣١٩).
(٥) المصنف(١٠/ ٣٢٠).
(٦) المصنف برقم (١٩٢٣٤).
(٧) المصنف (١٠/٣٢٠)..

فأورد فيه أثراً بالجواز وأثراً بالكراهية ولكن يظهر أنه يرى الجواز لأنه في باب مماثل في مصنفه بعنوان " مصافحة أهل الكتاب " (١).

رجح الجواز حيث جاء فيه : " قال عبد الرزاق : ولا بأس به "(٢).

والذي يظهر من صنيعه أنه يقدم القول الذي يراه ثم يعرض للرأي الآخر إلا إذا كان هناك تفصيل في المسألة ، وأما إذا لم يورد إلا قولاً واحداً فهو الجواب عن هذه المسألة وكأنه لا يرى عبرة بالأقوال الأخرى والله أعلم .

المثال الثاني : البخاري في الأحكام :

ولعل من الطرق في عرض التراجم بصيغة الاستفهام ويكون الجواب مستفاداً من الأحاديث والآثار في الباب أن يكون الجواب هو مجموع هذه الأحاديث وليس حديثاً واحداً بعينه فهذا الإمام البخاري – رحمه الله- عقد باباً في كتاب الأحكام بعنوان :" كيف يبايع الإمام الناس؟" (٣).

ولعل من يقرأ يظن أنه يريد الكيفية الفعلية ولكن من خلال سرده للأحاديث يتبين أنه يريد الصيغة والهيئة القولية يعني ماذا يقول له الناس وقت مبايعته ؟.

قال الحافظ :" قوله (باب كيف يبايع الإمام الناس) : المراد بالكيفية الصيغ القولية لا الفعلية ، بدليل ما ذكره من الأحاديث الستة وهي : البيعة على السمع والطاعة ، وعلى الهجرة ، وعلى الجهاد ، وعلى الصبر ، وعلى عدم الفرار ولو وقع الحدث ، وعلى بيعة النساء على الإسلام ، وكل ذلك وقع عند البيعة بينهم فيه بالقول "أ.هـ(٤).

فهذا يدل على فقه البخاري حيث خرج بخلاصة مستنبطة من مجموع هذه الأحاديث ماذا يمكن أن يقال للإمام عند مبايعته بناء على ما ورد في هذه الأحاديث .

---

(١) المصنف (٦/ ١١٧).

(٢) المصدر السابق .

(٣) الفتح (١٣/ ٢٠٤).

(٤) الفتح (١٣/ ٢٠٦).

٣- الترجمة هي خلاصة الحكم المستنبط من مجموع الأحاديث والآثار في الباب :

ونقصد بهذا النوع أن يترجم المصنف بترجمة هي خلاصة حكم يدل عليه مجموع الأحاديث في الباب ، وعادة يُلجأ إلى هذه الطريقة طلباً للاختصار وتسهيلاً للباحث عن الأحاديث في هذه المسألة بحيث يجدها مجموعة تحت هذه الترجمة الدالة على الحكم المراد.

وهذه الطريقة هي الغالبة في صنيع الأئمة عند إشارتهم إلى قضية عقدية مهمة أو كثر النزاع حولها مع أهل البدع كقضايا الإيمان أو الصفات أو القدر ونحوها.

الأمثلة على هذا النوع :

المثال الأول : الإمام أبو داود في السنة :

من القضايا الكبرى عند أهل السنة والجماعة هي قضية الإيمان وزيادته ونقصانه وخلافهم مع المرجئة حول زيادته ونقصانه معلومة مشهورة ولهذا أهتم بها الأئمة كثيراً وظهر ذلك جلياً في تراجمهم ، فهذا الإمام أبو داود عقد باباً بعنوان :

" باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه " (١).

ثم أورد تحته مجموعة من الأحاديث بعضها ظاهر المطابقة وبعضها غير ظاهر البته، ومثله الإمام البخاري عقد باباً في كتاب الإيمان بعنوان:

" باب زيادة الإيمان ونقصانه " (٢).

وذكر فيه الآيات والأحاديث بل أضاف إليها تعليقه واستنباطه زيادة في التوضيح والبيان – رحمه الله-.

المثال الثاني : البخاري في الإيمان .

عقد الإمام البخاري في كتاب الإيمان باباً بعنوان :

" تفاضل أهل الإيمان في الأعمال "(٣).

---

(١) السنن لأبي داود (٤/ ٢١٩).

(٢) الفتح (١/ ١٢٧) ، وانظر المتواري ص٥٤.

(٣) الفتح (١/ ٩١).

وأورد تحته حديثين الأول : حديث " يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم يقول الله تعالى أخرجوا من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فيخرجون منها قد أسودُّوا فيلقون في نهر الحيا أو الحياة - شك مالك -فينبتون كما تنبت الحَبَّةُ في جانب السيل ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية"(١).

ووجه مطابقة الترجمة للحديث أن التفاضل في الإيمان إنما هو حاصل بسبب الأعمال .

قال البدر العيني :" مطابقة الحديث للترجمة ظاهرة وهي أن المذكور فيه هو أن القليل جداً من الإيمان يخرج صاحبه من النار والتفاوت في شيء فيه القلة والكثرة ظاهرة وهو عين التفاضل ..." أ.هـ (٢).

والثاني : حديث :" بينا أنا نائم رأيت الناس يعرضون عليَّ وعليهم قمص ، منها ما يبلغ الثُّديَّ ، ومنها ما دون ذلك ، وعرض عليَّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجرُّه ، قالوا فما أوّلت ذلك يا رسول الله قال : الدِّين " (٣).

قال الحافظ :" ومطابقته للترجمة ظاهرة من جهة تأويل القمص بالدين ، وقد ذكر أنهم متفاضلون في لبسها فدلَّ على أنهم متفاضلون في الإيمان " أ.هـ (٤).

المثال الثالث : ابن ماجه في أبواب الدعاء

عقد الإمام ابن ماجه في أبواب الدعاء باباً بعنوان :

" باب اسم الله الأعظم " (٥).

وأورد فيه عدد من الأحاديث كلها تشير إلى ما ورد في اسم الله الأعظم فالترجمة هي خلاصة مجموع هذه الأحاديث وهو ما ورد حول اسم الله الأعظم (٦).

---

(١) برقم (٢٢).
(٢) عمدة القاري (١/ ١٦٨-١٦٩).
(٣) البخاري برقم (٢٣).
(٤) الفتح (١/ ٩٣).
(٥) السنن (٢/ ٣٤٦).
(٦) انظر ما ورد حول الاسم الأعظم : فتح الباري (١١/ ٢٢٧).

وبسرده لما ورد حول الاسم الأعظم كأنه يشير إلى الخلاف الوارد حول القضية .

٤-إعمال قياس الأولى في تراجم الأبواب :

ومما يدل على عمق فهم السلف في تراجمهم للأبواب استخدامهم لطريقة قياس الأولى ، فقد يدل الحديث على حكم معين ، ويأخذون منه حكماً آخر بطريق الأولى ويجعلونه عنواناً للترجمة ليظهروا ويبرزوا وجه الاستنباط الذي استنبطوه ، وقد يكون ظاهراً وقد يكون خفياً .

قال ابن المنيِّر – عن تراجم الإمام البخاري- :" ومنها – أي تراجم الأبواب – ما يكون ثبوت الحكم فيه بطريق الأولى بالنسبة إلى المنصوصة "أ.هـ [(١)].

الأمثلة على هذا النوع :

المثال الأول : أبو داود في السنة :

عقد الإمام أبو داود في سننه في كتاب السنة باباً بعنوان :

" باب ترك السلام على أهل الأهواء " [(٢)].

فالترجمة تدل على حكم وهو ترك السلام على أهل الأهواء زجراً لهم على بدعتهم ، ثم أورد الإمام تحت هذه الترجمة حديثين .

الأول : حديث عمار بن ياسر قال :" قدمت على أهلي وقد تشققت يداي ، فخلقوني بزعفران ، فغدوت على النبي ﷺ فسلمت عليه فلم يرد علي وقال : اذهب فاغسل هذا عنك " [(٣)].؟

فغاية ما يدل هذا الحديث هجر من وقع في مخالفة أو معصية للمصلحة وترك السلام عليه ، والمؤلف أشار إلى أن أهل الأهواء يترك السلام عليهم من باب أولى وأحرى فهم أشد إثماً وجرماً ممن تخلَّق بالخلوق المشار إليه في الحديث .

---

(١) المتواري ص٣٧.

(٢) السنن (٤/ ١٩٩).

(٣) الحديث في سنن أبي داود برقم (٤٦٠١).

والحديث حسنه الألباني كما في صحيح سنن أبي داود (٣/ ١١٧).

قال السهارنفوري معلقاً على الحديث : " مع أن رد السلام واجب ولكن لا يرد على أهل المعاصي زجراً وردعاً عنها وكذلك أهل الأهواء منهم أولى بأن لا يرد سلامهم وأولى أن لا يفاتحوا السلام "أ.هـ[(١)] .

والثاني : حديث عائشة – رضي الله عنها – "أنه اعتلَّ بعير لصفية بنت حيي وعند زينب فضل ظهر ، فقال رسول الله ﷺ لزينب : " أعطيها بعيراً " فقالت : " أنا أعطي تلك اليهودية ؟ فغضب رسول الله ﷺ فهجرها ذا الحجة والمحرم وبعض صفر " [(٢)] .

فالحديث يدل على هجر من وقع في مخالفة شرعية للمصلحة والمصنف استدل بطريق الأولى على حكم ترك السلام وهجر أهل البدع .

قال السهانفوري : " وهذا أيضاً هجران على المعصية فالهجران على البدعة أولى " أ.هـ [(٣)] .

المثال الثاني : البخاري في التوحيد

عقد الإمام البخاري في كتاب التوحيد باباً بعنوان :

" باب كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم " [(٤)] .

وأورد الإمام البخاري تحته أحاديث دلالته صريحة على المراد وفيها كلام الرب مع الأنبياء ولكن بعضها ليس في كلام الرب مع الأنبياء ، بل إن الحديث الذي فيه التصريح بكلام الرب مع الأنبياء هو حديث أنس فقط ونصه :" عن حميد قال : سمعت أنساً – رضي الله عنه – قال : سمعت النبي ﷺ يقول :" إذا كان يوم القيامة شُفِّعت فقلت : يا رب أدخل الجنة من كان في قلبه خردلة فيدخلون ..."الحديث [(٥)] .

وأما الأحاديث الأخرى ففيها كلام الرب مع غير الأنبياء فالسؤال هنا كيف دلَّت على كلام الرب مع الأنبياء ؟ فيقال : دلت بطريق الأولى فإذا جاز أن يتكلم مع عامة

---

(١) بذل المجهود في حل أبي داود (١٨/ ١٢٣).
(٢) الحديث في سنن أبي داود برقم (٤٦٠٢).وضعفه الألباني في ضعيف سنن أبي داود .
(٣) بذل المجهود (١٨/ ١٢٤).
(٤) الفتح (١٣/ ٤٨١).
(٥) الحديث في البخاري برقم (٧٥٠٩).

البشر فمع الأنبياء من باب أولى وأحرى .

قال الحافظ : " ليس في أحاديث الباب كلام الرب مع الأنبياء إلا في حديث أنس وسائر أحاديث الباب في كلام الرب مع غير الأنبياء، وإذا ثبت كلامه مع غير الأنبياء فوقوعه للأنبياء بطريق الأولى "أ.هـ[(١)] .

المثال الثالث : أبو داود في السنة :

عقد الإمام أبو داود باباً في السنة من سننه بعنوان :

" باب مجانبة أهل الأهواء وبغضهم " [(٢)] .

فالباب يفيد بمجانبة أهل الأهواء وهجرهم وبغضهم في الله وأورد تحته حديث كعب بن مالك وفيه :" ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة ، حتى إذا طال عليَّ تسوَّرت جدار حائط أبي قتادة وهو ابن عمي فسلمت عليه فو الله ماردَّ عليَّ السلام،ثم ساق خبر تنزيل توبته .. " [(٣)] .

فإذا كان يهجر من أذنب ذنباً ويجانب ولا يسلم عليه فمن باب أولى وأحرى من تلبس ببدعة وهوى .

قال السهارنفوري :" قوله " فوالله مارد عليَّ السلام ": لأنهم قد نهوا عن الكلام والسلام فلما كان الأمر في العاصي كذلك ففي ترك الكلام مع أهل الأهواء أوجب لأن خطأهم في العقائد وتلك كانت معصية في العمل "أ.هـ [(٤)] .

٥-الإشارة إلى معنى أو حكم بعيد غير ظاهر من عنوان الترجمة:

إن من أظهر الصور التي برز فيها عمق فهم السلف ودقة استنباطهم في تراجمهم هي تلك الصورة التي كان الإمام البخاري الإمام المقدم فيها وهي الإشارة إلى معنى أو

---

(١) الفتح (١٣/ ٤٨٥).
(٢) السنن (٤/ ١٩٩).
(٣) الحديث في السنن (٤/ ١٩٩) برقم (٤٦٠٠). والحديث أخرجه البخاري في المغازي -باب حديث كعب بن مالك برقم (٤٤١٨) .
(٤) بذل المجهود (١٨/ ١٢٢-١٢٣).

حكم بعيد لا يظهر لأول وهلة بل لا يظهر لكل أحد وإنما للفقيه الخبير بطرق الاستنباط ودقائق الفقه حتى وصل الأمر أن قال بعض من لم يفهم مقصد الإمام البخاري : أنه لم يبيض الكتاب وبعضهم نسبه إلى التقصير في فهمه وعلمه .

قال الشيخ بدر الدين ابن جماعة : " فإن الإمام أبا عبد الله محمد ابن إسماعيل البخاري سبق بوضع كتاب الجامع الصحيح الذي أجمع على صحته الأئمة من أهل التعديل والجرح وضمن تراجم بعض الأبواب ما يبعد فهمه من حديث ذلك الباب ؛ ووقع ذلك بعض التباس على كثير من الناس فبعضهم مصوباً له ومتعجباً من حسن فهمه ، وبعضٌ نسبه إلى التقصير في فهمه وعلمه وهؤلاء ما أنصفوه لأنهم لم يعرفوه .

وبعض قال : لم يبيض الكتاب وهو قول مردود ، فإنه أسمع الكتاب مراراً على طريقة أهل هذا الشأن وأخذه عنه الأئمة الأكابر من البلدان .

وبعض قال : جاء ذلك من تعريف النساخ ، وهو قول مردود فإنه لم يترك مروياً من أئمة الحديث على شروطهم من تصحيحهم له وضبطهم ...الخ" أ.هـ [(١)].

الأمثلة على هذا النوع من التراجم :

المثال الأول : البخاري في التوحيد :

عقد الإمام البخاري في كتاب التوحيد باباً بعنوان :

" باب قول الله تعالى : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾ [آل عمران : ٢٨] ، وقوله جل ذكره : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ﴾[المائدة : ١١٦] ". [(٢)]

ومراد البخاري إثبات النفس لله سبحانه وأتى بالأدلة من القرآن والسنة وأورد تحته ثلاثة أحاديث : اثنان منها مطابقتها مع الترجمة واضحة، أما الثالث وهو أول حديث في الباب فالمناسبة غير ظاهرة ووجه المطابقة بعيد ونص الحديث :" ما من أحدٍ أغير من الله ، من أجل ذلك حرَّم الفواحش وما أحد أحبُّ إليه المدح من الله " [(٣)]

---

(١) مناسبات تراجم البخاري ص ٢٥ –٢٦.
(٢) الفتح (١٣/ ٣٩٥).
(٣) البخاري برقم (٧٤٠٣).

وقد خفي المراد على بعض الشراح وعلى سبيل المثال الكرماني في شرحه على الصحيح ونص كلامه ما يلي قال :" والمقصود من هذا الباب إطلاق النفس وهو بمعنى الذات ، فإن قلت الحديث الأول ليس فيه ذكر النفس قلت لعله اعتبر استعمال (أحد) مقام (النفس) وهما متلازمان في صحة الاستعمال لكل منهما مكان الآخر،والظاهر أنه كان قبل الباب ونقله الناسخ لأنه أنسب بذلك "أ.هـ (١).

فانتهى الكرماني إلى أنه غلط من الناسخ ، ولم يهتد إلى مراد البخاري من إيراد هذا الحديث تحت هذا الباب .

وممن أخطأ أيضاً في المراد ابن المنيِّر في كتابه على تراجم البخاري حيث قال :" قلت – رضي الله عنك – ترجم على ذكر النفس في حق الباري جلَّ جلاله وجميع ما ذكره يشتمل على ذلك إلا حديث عبد الله المذكور أولاً فليس للنفس فيه ذكر ..

فوجه مطابقته – والله أعلم – أنه صدَّر الكلام بـ(أحد)، و"أحد" الواقع في النفي عبارة عن النفس على وجه الخصوص ، وليس هو أحداً في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ هذان من الوحدة أي الواحد ..."أ.هـ (٢).

وقد دافع العيني عمَّن أخطأ في المراد (٣).

وتعقب الحافظ ابن حجر هذا التأويل الذي يراه بعيداً عن الصواب بقوله :" وكل هذا غفلة عن مراد البخاري ، فإن ذكر النفس ثابت في هذا الحديث الذي أورده ، وإن كان لم يقع في هذه الطريق لكن أشار إلى ذلك كعادته ، فقد أورده في تفسير سورة الأنعام بلفظ " لا شيء " وفي تفسير سورة الأعراف بلفظ " ولا أحد "، ثم اتفقا على " أحب إليه المدح من الله "، ولذلك مدح نفسه ، وهذا القدر هو المطابق للترجم ، وقد كثر منه أن يترجم ببعض ما ورد في طرق الحديث الذي يورده ولو لم يكن ذلك القدر

---

(١) اللامع الدراري (٢٥/ ١١٩).

(٢) المتواري ص٤٢٥ – وقريب منه الشيخ بدر الدين بن جماعة في مناسباته ص١٤٠.

(٣) عمدة القاري (٢٥/ ١٠٠).

موجودة في تلك الترجمة " أ.هـ (١).

فالبخاري – رحمه الله – قصد بهذا الحديث أن فيه دلالة– وإن لم تكن ظاهرة– على إثبات النفس لله تعالى وهي قوله: " أحب إليه المدح من الله " ولذلك مدح نفسه وهذا القدر هو المطابق للترجمة .

تنبيه :

المراد بالنفس أي ذات الله سبحانه .

قال شيخ الإسلام :" ونفسه هي ذاته المقدسة "أ.هـ (٢).

ويقول أيضاً :" ويراد بنفس الشيء ذاته وعينه كما يقال : رأيت زيداً نفسه وعينه وقد قال الله تعالى : ﴿ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَ ﴾[المائدة :١١٦]...إلى أن قال : فهذه المواضع المراد فيها بلفظ" النفس " عند جمهور العلماء : الله نفسه التي هي ذاته المتصفة بصفاته ليس المراد بها ذاتاً منفكة عن الصفات ولا المراد بها صفة للذات " أ.هـ (٣).

المثال الثاني : البخاري في التوحيد أيضاً .

عقد الإمام البخاري في كتاب التوحيد باباً بعنوان :

" باب كلام الرب مع جبريل ونداء الله للملائكة " (٤).

أورد تحت هذا الباب ثلاثة أحاديث ، الأول منها والثاني مطابقتها مع الترجمة ظاهرة ولكن الشأن في الحديث الثالث عن أبي ذر ﷺ ونصه : عن المعرور قال :" سمعت أبا ذر عن النبي ﷺ قال :" أتاني جبريل فبشرني أنه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة قلت وإن سرق وإن زنى ؟ قال : وإن سرق وإن زنى " (٥).

فلم يرد في الحديث لفظاً يدل على تكليم الله لجبريل أو لملائكته ، ولكن الإمام

(١) الفتح (١٣/ ٣٩٦).
(٢) مجموع الفتاوى (١٤/ ١٩٦-١٩٧).
(٣) مجموع الفتاوى (٩/ ٢٩٢-٢٩٣).
(٤) الفتح (١٣ / ٤٦٩).
(٥) في البخاري برقم (٧٤٨٧).

البخاري وجه استنباطه من الحديث بعيد .

قال الحافظ :" وفي مناسبته – أي الحديث – غموض ، وكأنه من جهة أن جبريل إنما يبشر النبي ﷺ بأمر يتلقاه عن ربه عز وجل ، فكأن الله سبحانه قال له : بشر محمداً بأن من مات من أمته لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة فبشره بذلك "أ.هـ [(١)] .

وقال الكرماني :" فإن قلت كيف دل على الترجمة ؟ قلت : من حيث أن تبشير جبريل لا يكون إلا بإخبار الله تعالى له بذلك وأمره له به " أ.هـ [(٢)] .

٦-الترجمة للباب بعنوان علاقته بالكتاب أو الباب الرئيسي غير ظاهرة :

ومما يظهر فيه عمق فقه السلف ودقة فهمهم إيرادهم لأبواب فرعية ضمن الأبواب الرئيسية ولا علاقة بينهما في الظاهر ، ولكن عند التأمل تظهر العلاقة واضحة وجلية .

ولعل من الدوافع لمثل هذا العمل في كتبهم أمور :

أ-الإشارة إلى مسائل لها علاقة بهذا الباب ولكن علاقتها غير مباشرة.

ب-الإشارة إلى ما يتوهم أنه لا علاقة له بالباب ليؤكدوا العلاقة بينهما لإفادة القاريء فائدة قد تكون بعيدة عن ذهنه .

ج-ذكر الاحترازات في هذه المسألة فيوردونها في باب مستقل حتى لا يتوهم أنه له علاقة بالباب .

الأمثلة على هذا النوع :

المثال الأول : أبو داود في السنة :

عقد الإمام أبو داود في السنة باباً بعنوان :

" باب في قتال اللصوص " [(٣)] .

---

(١) الفتح (١٣/ ٤٧١) وانظر : ارشاد الساري (١٠/ ٤٣٢).

(٢) شرح الكرماني (٢٥/ ١٨٤) وانظر عمدة القاري للعيني (٢٥/ ١٥٦).

(٣) سنن أبي داود كتاب السنة (٤/ ٢٤٦).

وأورد تحته حديثين :

الأول : عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال :" من أريد ماله بغير حق فقاتل فقُتِلَ فهو شهيد "[(١)].

الثاني : عن سعيد بن زيد عن النبي ﷺ قال :" من قتل دون ماله فهو شهيد ومن قُتل دون أهله فهو شهيد ومن قُتل دون دمه أو دون دينه فهو شهيد "[(٢)].

وقد كان الباب الذي قبله بعنوان :

" باب في قتال الخوارج "[(٣)].

والذي يظهر لي -والله أعلم- أن الإمام أبا داود أراد بهذه الترجمة أحد هذه الأمور أو كلها :

١- أراد أن يبين أن قتال اللصوص ومدافعتهم مشروع مثل قتال الخوارج لا فرق وإن كانوا من أهل السنة وليسوا من الخوارج فالإمام أورد هذه الترجمة حتى لا يظن ظان أن القتال مشروع في حق الخوارج فقط بل حتى لأهل السنة العصاة الذين يعتدون على الأنفس والأموال والأعراض .

٢- أراد أن يذكر اللصوص كالمسألة الملحقة التي لا علاقة لها مباشرة بالباب ولكن علاقتها بالباب الذي قبله أنهم يقاتلون مثل الخوارج وإلا فالأصل أن الأبواب لمن تلبس بمخالفة عقدية وأما اللصوص فعصاة وليسوا مبتدعة ولكن إيرادهم لأنهم شابهوهم في الاعتداء على الناس وشابهوهم من حيث العقوبة الواقعة عليهم وهي

---

(١) الحديث : أخرجه الترمذي في كتاب الديانة – باب ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد برقم (١٤٢٠)

وقال الترمذي :"حديث حسن صحيح " .وصححه الألباني كما في صحيح أبي داود (٣/ ١٧٢) برقم (٤٧٧١) .وصححه كذلك في صحيح الترمذي (٢/ ٦٢) برقم (١٤٥٣) .

(٢) أخرجه الترمذي كذلك في كتاب الديات – باب ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد برقم (١٤٢١).
وقال الترمذي :حديث حسن .وصححه الألباني كما في صحيح أبي داود (٣/ ١٧٢) برقم (٤٧٧٢).
وكذلك في صحيح الترمذي (٢/ ٦٣) برقم (١٤٥٥).

(٣) سنن أبي داود (٤/ ٢٤٢).

قتالهم .

٣- جعله في آخر باب من السنة وذلك لأدنى ملابسة وأن الكبيرة تلي البدعة في المرتبة .

٤- مما يؤيد ما ذكرناه أن عبد الرزاق فعل في المصنف قريباً من صنيع الإمام أبي داود حيث عقد باباً بعنوان " باب اللص " (١) ثم باباً بعنوان " باب من قتل دون ماله فهو شهيد " (٢) ثم باباً بعنوان " باب قتال الحرورية " (٣).

المثال الثاني : البخاري في الإيمان.

عقد الإمام البخاري باباً في كتابه الإيمان بعنوان :

" باب أحبُّ الدين إلى الله أدومه " (٤).

فالظاهر من هذا الباب أنه يدل على المداومة على العمل الصالح وهذا غاية ما يدل ولا علاقة له بكتاب الإيمان .

وقد تسابق العلماء الذين صنفوا في تراجم البخاري في إيضاح مقصود بإيراده لهذه الترجمة في هذا الباب .

قال الشيخ بدر الدين بن جماعة :" وتارة يكون حكم الترجمة مفهوماً من الحديث ولكن بطريق خفي وفهم دقيق ، كما فهم إن الأعمال من الإيمان من قول عائشة :" أحب الدين إليه مادام عليه صاحبه " وجه فهمه في ،" أحب" (أفعل) (٥) تفضيل يقتضي محبوباً دونه ، ولا يكون الدين محبوباً وأحب منه إلا باعتبار الأعمال..الخ "أ.هـ (٦).

وقال ابن المنيِّر:" إن قال قائل : كيف موقعها من زيادة الإيمان ونقصانه ؟ قلنا :

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ١١٢).

(٢) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ١١٣).

(٣) مصنف عبد الرزاق (١٠/ ١١٧).

(٤) باب رقم (٣٢) الفتح (١/ ١٢٤).

(٥) في المطبوعة (أفضل)ولعل الصواب ما ذكرته.

(٦) مناسبات تراجم البخاري ص٢٦.

لأن الذي يتصف بالدوام والترك ، إنما هو العمل ، وأما الإيمان فلو تركه لكفر دلَّ على أن العمل الدائم هو الذي يطلق عليه أنه أحب الدين إلى الله عز وجل ..."أ.هـ [(١)].

قال الحافظ :" مراد المصنف الاستدلال على أن الإيمان يطلق على الأعمال ، لأن المراد بالدين هنا العمل ، والدين الحقيقي هو الإسلام ، والإسلام الحقيقي مرادف للإيمان فيصح بهذا مقصوده " أ.هـ [(٢)].

---

(١) المتواري ص٥٤.

(٢) الفتح (١/ ١٢٤-١٢٥).

المطلب الثاني : بيان عمق فقه السلف ودقة استنباطهم من خلال التعليق على النصوص .

تمهيد :

الأصل في كتب السنة هو سرد الأحاديث وجعلها تحت أبواب تدل على الأحكام المستنبطة منها ، ولم تخلط بالاستنباطات ولا ذكر الخلافات ولا غير ذلك لأنها ليست كتب فقه بل ألفت أصالة لحفظ السنة وتبويبها وتركيبها حتى يستطيع القاريء أن يصل إلى الحديث في مظانه المعهودة .

ولكن الأئمة قد يخرجون عن هذا الأصل ، فيذكرون بعض الأراء ، ويشرحون بعض الألفاظ الغريبة ، وقد يذكرون وجه الاستنباط من الدليل أو الترجمة ولكن كل هذا يعتبر نادراً وقليلاً .

ومما يهمنا في هذا المقام : أن الناظر في هذه التعليقات سواءً على التراجم أو الأحاديث والآثار ينجلي لديه بوضوح عمق فهم السلف ودقة فقههم – رحمهم الله رحمة واسعة –.

والأئمة في تعليقاتهم عليها ما بين مقل ومستكثر ، وتَقِلُّ تعليقاتهم على الأبواب العقدية أكثر من غيرها وذلك لوضوحها وقلة المخالف فيها بخلاف أبواب الفقه والأحكام التي يكثر فيها الخلاف وتكثر فيها أوجه الاستنباط والاجتهاد .

أنواع التعليق على النصوص والتراجم والأمثلة على ذلك :

تنوعت مقاصد الأئمة ودوافعهم لمثل هذه التعليقات على ندرتها وقلتها كما سبق وعليه تنوعت أساليبهم وطرقهم في عرضها .

ولعلنا نقسم التعاليق بحسب الاعتبارات إلى نوعين :

الأول : أنواع التعليقات بحسب قائلها .

الثاني : أنواع التعليقات بحسب موضوعاتها .

أنواع التعليق بحسب قائلها :

أ- تعليقات المصنف نفسه :

وهذه التعليقات إما أن يصرح باسمه كما يقول البخاري " قال أبو عبد الله ..." ثم بذكر تعليقه ، أو يذكر التعليق غير معزوٍ لأحد فيكون منسوباً للمصنف لأنه صاحب الكتاب وهذا عليه أمثله كثيرة .

الأمثلة على هذا النوع :

المثال الأول : عبد الرزاق في المصنف .

أخرج عبد الرزاق في مصنفه أثراً عن عمر ﷺ فقال فيه :"عن معمر عن أيوب عن رجل من بني غفار قال : قال عمرﷺ :" لا تشتروا رقيق أهل الذمة ، فإنهم أهل خراج ، يؤدي بعضهم عن بعض من تلادهم "أ.هـ (١).

قال عبد الرزاق – معلقاً – :" تلادهم: ما ولد عندهم "أ.هـ (٢).

فهذا التفسير والتعليق غير معزوٌ لأحد فيكون المراد به تعليق المصنف،يوضحهُ :

المثال الثاني : البخاري في التوحيد .

عقد الإمام البخاري في كتاب التوحيد باباً بعنوان :

" باب قول الله تعالى: ﴿ وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك : ١٣] يتخافتون : يتسارُّون " (٣)

فالإمام فسَّر معنى يتخافتون : يتسارُّون ولم يصرح باسمه لكنه ينصرف له مباشرة لأنه هو مصنف الكتاب والكلام إذا لم يعزُ إلى أحد فهو له .

ب- التعليقات التي ينقلها المصنف عن غيره :

وهذه التعليقات ينقلها المصنفون عن غيرهم من أهل العلم لشرح غريب أو بيان حكم أو بيان وجه في الاستنباط أو نقل أقوالهم في أي مسألة هذا كثير في مصنفاتهم .

---

(١) المصنف (٦/ ٤٧).

(٢) المصدر السابق ، وقال ابن الأثير :"والتالد : المال القديم الذي ولد عندك وهو تفيض الطارف" أ.هـ. النهاية في غريب الحديث (١/ ١٩٤).

(٣) الفتح (١٣/ ٥٠٩).

المثال الأول : الترمذي في صفة الجنة .

أورد الترمذي حديثاً قال فيه :

حدثنا أبو كريب حدثنا رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن درَّاج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي ﷺ في قوله تعالى : ﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ [الواقعة : ٣٤] ،قال : " ارتفاعها لكما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة سنة" (١) .

قال أبو عيسى :" هذا حديث غريب لا تعرفه إلا من حديث رشدين بن سعدٍ ، وقال بعض أهل العلم في تفسير هذا الحديث :" إن معناه الفرش في الدرجات وبين الدرجات كما بين السماء والأرض "أ.هـ . (٢)

فالإمام الترمذي عزا تفسير الحديث إلى بعض أهل العلم ونقل عن غيره وهذا نوع من التعليقات كما ذكرنا سابقاً .

المثال الثاني : البخاري في الإيمان.

عقد الإمام البخاري باباً في كتاب الإيمان بعنوان :

" باب من قال إن الإيمان هو العمل (٣) لقول الله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[الزخرف : ٧٢]

وقال عدة من أهل العلم في قوله تعالى:﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر :٩٢]

عن قول لا إله إلّا الله . وقال :﴿ لِمِثْلِ هَـٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَـٰمِلُونَ ﴾ [الصافات :٦١] "أ.هـ (٤)

---

(١) الحديث أخرجه: الترمذي في كتاب صفة الجنة باب ما جاء في صفة ثياب أهل الجنة برقم (٢٥٤٠). والإمام أحمد في المسند (٣/ ٧٥).والطبري في تفسيره (٢٧/ ١٨٥) .وابن أبي الدنيا في صفة الجنة ص٥٧ برقم (١٥٤) بتحقيق طارق طنطاوي ط. مكتبة الفرقان.والبغوي في تفسيره (٨/ ١٣) بتحقيق محمد النمر ، عثمان الجمعة ،سليمان الحرش ط. دار طيبة ط. الثانية ١٤١٤هـ. والحديث ضعفه الألباني في تعليقه على المشكاة (٣/ ١٥٦٧) .

(٢) السنن (٤/ ٥٨٦).

(٣) الفتح (١/ ٩٧) باب رقم (١٨).

(٤) انظر: الفتح (١/ ٩٧).

فالبخاري – رحمه الله – عزا تفسير هذه الآية التي أوردها إلى أهل العلم ونقل عنهم ولم يتكلم هو مباشرة وهذا نوع من التعليقات التي لا تعزا للمصنف نفسه والتي ينقلها عن غيره .

أنواع التعليقات بحسب موضوعاتها :

تتنوع التعليقات بحسب الدافع والسبب لهذا التعليق ، فقد يكون سبب التعليق هو شرح غريب فهذا نوع ، أو نقل أقوال أهل العلم في المسألة فهذا نوع ، أو بيان رأي المصنف في قضية معينة فهذا نوع أو لبيان وجه الاستنباط من الدليل فهذا نوع كذلك .

وهناك نوع سوف نرجيء الكلام عنه في مباحث قادمة وهو التعليق للرد على أهل البدع والمخالفين.

نخلص إلى أن التعليقات بحسب الموضوعات تنقسم إلى التالي :

١-التعليق لشرح غريب أو تفسير لفظة أو التعريف بمكان أو غير ذلك .

٢-التعليق لبيان رأي المصنف وترجيحه في المسألة .

٣-التعليق لنقل أقوال أهل العلم في المسألة .

٤-التعليق لبيان وجه الاستنباط من الدليل.

٥-التعليق لإزالة إشكال قد يتوهم في الدليل .

٦-التعليق لإضافة أدلة أخرى حول المسألة .

أولاً:التعليق لشرح غريب،أو تفسير لفظة في الحديث،أو التعريف بمكان ونحوه :

وهذا النوع من التعليقات كثير وذلك من خلال تتبعنا لتعليقات الأئمة في كتب السنة خلال القرون الثلاثة الأولى .

وسبب كثرة هذا النوع من التعليقات هو : أن المقصود بالأصالة هو فهم النص أو إزالة ما حوله من غموض حتى يفهم الفهم الصحيح ، ولأن تأخير التعليق في مثل هذا المقام قد لا يكون مستحسناً بخلاف غيره من التعليقات قد يكون سائغاً لأن له مقاماً آخر ككتب الفقه ونحوها .

وكما ذكرنا سابقاً فإن شرح هذه الكلمات وبيان معناها قد يكون من المصنف مباشرة أو ينقل عن غيره .

وكذلك قد يكون شرح الغريب له علاقة مباشرة بقضايا عقدية أو لا يكون .

ولهذا فهذا النوع من التعليق يكون على أقسام :

أ-شرح لفظة غريبة لها علاقة مباشرة بالمسألة العقدية الواردة في الحديث .

ب-شرح لفظة لا علاقة لها بالمسألة العقدية الواردة في الحديث .

ج-شرح معنى غامض في النص الوارد .

د-شرح لفظة لا علاقة لها بالباب كتعريف بمكان أو بقبيلة ونحو هذا.

وإليك الأمثلة على كل نوع :

أ-شرح ألفاظ غريبة لها علاقة مباشرة بالمسألة العقدية الواردة في الباب:

وهذا هو الأصل لبيان المراد حتى تفهم المسألة فهماً صحيحاً ،وقد ظهر هذا الأمر حتى في المصنفات المتقدمة كموطأ مالك ومصنف عبد الرزاق .

المثال الأول : مالك في الموطأ.

أورد الإمام مالك أثراً عن كعب الأحبار وجاء فيه :" قال مالك :" أنه بلغه أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه أراد الخروج إلى العراق ، فقال له كعب الأحبار رضي الله عنه : لا تخرج إليها يا أمير المؤمنين فإن بها تسعة أعشار السحر ، وبها فسقة الجنِّ ، وبها **الداء العضال** " أ.هـ [1] .

قال : - يعني مالك - :" والعُضَال يعني : الأهواء " أ.هـ [2] .

ومراد الإمام مالك أن يبين أن أرض المشرق فيها تظهر الأهواء والبدع والتفسير واضح العلاقة بالقضية العقدية –والله أعلم –.

ولكن معنى " العُضَال " في أصل اللغة كما ذكر ذلك ابن الأثير قال :" ففي

---

(١) الموطأ (٢/ ١٥٤) باب ما جاء في المشرق برقم (٢٠٥٥).
وأخرجه سعيد بن منصور بأثم منه في سننه في باب ما جاء في النهي عن سب أصحاب النبي ﷺ واللعنه على من سبهم .

(٢) المصدر السابق .

حديث كعب و ذكره ...هو المرض الذي يعجز الأطباء فلا دواء له " أ.هـ[١].

وقال الزرقاني عند شرحه لهذا الأثر :" العُضال : بضم العين وضاد معجمة هو الذي (يعيي) [٢] الأطباء أمره وكان هذا من الكتب القديمة "أ.هـ[٣].

وقد جاء في رواية عن سعد بن منصور في سننه :" أن عمر ﷺ قال : وما الداء العضال ؟ فقال : الأهواء المختلفة ، وبها غرز إبليس رأسه وبث جنوده "أ.هـ[٤].

المثال الثاني :معمر في الجامع .

أورد عبد الرزاق حديثاً بسنده عن معمر عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه – ﷺ – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إنّ لي أسماءً : أنا أحمد ، وأنا محمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب "أ.هـ[٥].

قال معمر :" قلت للزهري : وما العاقب ؟ قال : الذي ليس بعده نبي "أ.هـ[٦]

فهذا التعليق من معمر يبين فيه معنى العاقب الذي يدل في معناه على مسألة عقدية مهمة وهي ختم النبوات والرسالات بنبوة نبينا محمد ﷺ .

المثال الثالث : الترمذي في صفة الجنة .

أورد الترمذي حديثاً طويلاً وجاء فيه " ثم يطَّلع فيعرِّفهم نفسه " [٧] يعني الله سبحانه وتعالى .

ثم علّق الترمذي بعد نهاية الحديث وقال :" ومعنى قوله في الحديث : فيعِّر فهم

---

(١) النهاية في غريب الحديث (٣/ ٢٥٤).

(٢) في المطبوع (يعني) ولعله خطأ مطبعي والصواب ما أثبته .

(٣) شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك (٤/ ٣٨٥) ط. دار الفكر ط. ١٣٥٥هـ .

(٤) سنن سعيد بن منصور مخطوط (ل١٢٣/ ب).

(٥) الحديث أخرجه معمر في جامعه كما في المصنف (١٠/ ٤٤٦) باب أسماء النبي ﷺ .والبخاري في المناقب – باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ برقم (٣٥٣٢) .ومسلم في كتاب الفضائل برقم (٢٣٥٤).

(٦) المصنف (١٠/ ٤٤٦).

(٧) الحديث في الترمذي كتاب صفة الجنة باب ما جاء في خلود أهل الجنة وأهل النار برقم (٢٥٥٧).

نفسه يعني يتجلَّى لهم "أ.هـ [(١)].

فتعليق الترمذي هنا لبيان معنى له علاقة بقضية عقدية مهمة وهي رؤية المؤمنين لربهم .

ب-شرح لفظة غريبة لا علاقة لها بالمسألة العقدية الواردة في الحديث:

وهذا كثير في أبواب الاعتقاد وغيرها والغرض منه حتى يفهم النص كله بجميع مسائله فهماً صحيحاً .

المثال الأول : ابن ماجة في أبواب الفتن .

أورد الإمام ابن ماجة حديثاً في سننه في أبواب الفتن عن حذيفة قال : "حدثنا رسول الله ﷺ حديثين : قد رأيت أحدهما وأنا انتظر الأخر، قال حدثنا :" أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال " أ.هـ . [(٢)]

(قال ابن ماجة معلقاً): " قال الطنافسي [(٣)]: يعني وسط قلوب الرجال "أ.هـ [(٤)].

وأمّا الإمام البخاري عند إيراده لهذا الحديث أسند عن شيخه عن أهل اللغة تفسيراً لمعنى " الجذر".

فقال : سمعت أبا أحمد بن عاصم يقول سمعت أبا عبيد (يعني القاسم بن سلام) يقول : قال الأصمعي وأبو عمرو وغيرهما :" جذور قلوب الرجال " ، الجذر الأصل من كل شيء " [(٥)] قال الحافظ :" اتفقوا على التفسير،ولكن عند أبي عمرو أن (الجذر)

---

(١) السنن (٤/ ٥٩٧).

(٢) الحديث أخرجه: ابن ماجه في أبواب الفتن – باب ذهاب الأمانة برقم (٤١٠٢) .والبخاري في كتاب الرقاق – باب رفع الأمانة برقم (٦٤٩٧).

(٣) **الطنافسي** : هو شيخ ابن ماجه في هذا الإسناد في الحديث وهو :علي بن محمد بن إسحاق بن أبي شداد أبو الحسن الطنافسي الكوفي روى عن وكيع وابن عيينه وابن نمير وغيرهم كثير ، وعنه ابن ماجه وأبو حاتم وأبو زرعة وغيرهم كثير ،وثقه أبو حاتم والخليلي وغيرهما كانت وفاته سنة (٢٣٣)هـ.انظر : تهذيب التهذيب (٧/ ٣٣١) ، السير (١١/ ٤٥٩).(الطنَافِسي) : بفتح طاءٍ وخفة نون وكسر فاء نسبة إلى الطنافس جمع طنفس هي البساط .انظر : المغني في ضبط أسماء الرجال للهندي ص١٦٠ ط.دار الكتاب العربي –بيروت ط. ١٤٠٢هـ.

(٤) سنن ابن ماجه (٢/ ٣٩٢).

(٥) الفتح (١١/ ٣٤١).

بكسر الجيم وعند الأصمعي بفتحها " أ.هـ [(١)].

المثال الثاني :الدارمي في الرقائق:

أورد الإمام الدارمي في سننه في كتاب الرقائق الحديث المشهور حديث الرجل الذي أمر أبناءه أن يحرقوه بعد موته [(٢)]. وجاء في لفظ الحديث :" وإنه لبث حتى ذهب منه عمر وبقي عمر ، فعلم أنه لم يبتئر عند الله خيراً " [(٣)].

قال أبو محمد – يعني الدارمي – :" يبتئر : يدخر "[(٤)].

قال الجوهري :" وقد بأرت الشيء وابتأرته ، إذا ادَّخرته "أ.هـ . [(٥)]

المثال الثالث : أبو داود في السنة .

أورد الإمام أبو داود حديثاً حول الخوارج في كتاب السنة وجاء فيه :" سيماهم التحليق والتسبيد، فإذا رأيتموهم فأنيموهم " [(٦)].

قال أبو داود – معلقاً – :" التسبيد : استئصال الشعر " [(٧)].

قال الحافظ :" قوله التحليق أو قال التسبيد شك من الراوي وهو بالمهملة والموحدة بمعنى التحليق، وقيل أبلغ منه وهو بمعنى الاستئصال .." أ.هـ[(٨)].

ج–شرح معنى غامض في النص الوارد :

قد يرد في بعض الأحاديث عبارات مجملة ، أو لا يفهم لفظها ومعناها كل الناس

---

(١)الفتح (١١/ ٣٤٢).

(٢) الحديث أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٣، ٤٠٧).والبخاري بمعناه في كتاب الأنبياء باب (٥٤) برقم (٣٤٧٨) ، (٣٤٧٩) وفي الرقاق – باب الخوف من الله برقم (٦٤٨٠).ومسلم في التوبة برقم (٢٦١٨).

(٣) سنن الدارمي –كتاب الرقائق – باب فيمن قال إذا متّ فأحرقوني بالنار برقم (٢٨١٣).

(٤) السنن للدارمي (٢/ ٤٢٥).

(٥)الصحاح (٢/ ٥٨٣).

(٦) الحديث في أبي داود في كتاب السنة –باب في قتال الخوارج برقم (٤٧٦٦) وصححه الألباني كما في صحيح أبي داود (٣/ ١٧٠).ولكن أصله في البخاري في كتاب التوحيد – باب قراءة الفاجر والمنافق ولكن جاء على الشك أو (التحليق أو التسبيد).

(٧) السنن (٤/ ٢٤٤).

(٨) الفتح (١٣/ ٥٤٦).

ولكن ليس لغرابة فيها ، ولكن لأن المعنى في الحديث لم يظهر أو قد يلتبس على بعض الناس وإليك بعض الأمثلة :

المثال الأول : عبد الرزاق في المصنف .

أورد عبد الرزاق أثراً في مصنفه في كتاب أهل الكتابيين بسنده أن ابن عباس سئل هل للمشركين أن يتخذوا الكنائس في أرض العرب ؟ فقال ابن عباس ﷺ :" أمَّا مصَّر المسلمون فلا ترفع فيه كنيسة ولا بيعة ، ولا صليب ، ولا سنان ، ولا ينفخ فيها ببوق ، ولا يضرب فيها بناقوس ، ولا يدخل فيها خمر ولا خنزير ، وما كانت من أرض صولحوا صلحاً ، فعلى المسلمين أن يفوا لهم بصلحهم "أ.هـ [1].

قال عبد الرزاق معلقاً على الأثر : " تفسير ما مصَّر المسلمون ، يقول : ما كانت من أرضهم أو أخذوها عَنْوة " أ.هـ . [2]

فالإمام عبد الرزاق علّق هذا التعليق لأن معنى (مصَّر المسلمون) قد يخفى ويكون غامضاً على بعض الناس فبين ووضح -رحمه الله رحمة واسعة- .

المثال الثاني : ابن ماجة في أبواب الزهد .

أورد الإمام ابن ماجة حديثاً في صفة الجنة بسنده عن شيخه هشام بن خالد وجاء فيه : قال رسول الله ﷺ :" ما من أحدٍ يُدْخِلُه الله الجنة إلا زوجه الله عز وجل ثنتين وسبعين زوجة : ثنتين من الحور العين ، وسبعين من ميراثه من أهل النار . ما منهن واحدة إلا ولها قُبُل شَهيٌ ، وله ذكر لا ينثني " . [3]

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في كتاب أهل الكتابين -باب هل تهدم كنائسهم ؟ وما يمنعوا ؟ (١٠/ ٣٢٠) برقم (١٩٢٣٤).وكذلك في كتاب أهل الكتاب -باب هدم كنائسهم وهل يضربوا بناقوس برقم (١٠٠٠٢) (٦/ ٦٠).و البيهقي في سننه الكبرى (٩/ ٢٠١) مختصراً .

(٢) المصنف (١٠/ ٣٢٠) ، وانظر تفصيل المسألة في أحكام [illegible] الذمة لابن القيم (٢/ ٦٧٠-٦٩٦) وقد نقل ابن القيم هذا الأثر ولكن مع تغيير في ألفاظه فلير[illegible] ث مفيد .

(٣) الحديث أخرجه ابن ماجه في أبواب الزهد – باب صفة الجنة برقم (٤٣٩٣) السنن (٢/ ٤٥٧). والحديث قال عنه الألباني : "ضعيف جداً كما في ضعيف الجامع برقم (٥١٤٥).

ونقل ابن ماجة تعليقاً على هذا الحديث ما نصه :" قال هشام بن خالد [(١)] : (من ميراثه من أهل النار) : يعني رجالاً دخلوا النار فورث أهل الجنة نساءَهم كما وُرِثت امرأة فرعون " [(٢)].

د- شرح ألفاظ لا علاقة لها بالباب :

وهذه أمور ليست من صميم البحث ولكن ذكرت لتعلقها بشرح الغريب وتعليقات الأئمة على النصوص في جوامعهم .

ولعله من الأمثلة ما يلي :

التعريف بلقب أحد الرواة :

مثاله : الإمام الدارمي في سننه .

أورد الإمام الدارمي في سننه في باب في افتراق هذه الأمة حديث الافتراق المشهور بسنده ومن ضمن رجال السند رجل يقال له :" أزهر بن عبد الله الحرازي ". [(٣)]

وقال الدارمي بعد أن ذكر الحديث :" الحراز : قبيلة من أهل اليمن ". [(٤)]

فالدارمي هنا عرّف بلقبه وأنه من قبيلة حراز باليمن .

---

(١) **هشام بن خالد** : بن يزيد بن مروان الأزرق أبو مروان الدمشقي السلامي روى عن الوليد بن مسلم ومروان بن معاوية وغيرهما وعنه أبو داود وابن ماجه وغيرهما قال عنه الحافظ في التقريب : صدوق كانت وفاته سنة ٢٤٩هـ.التهذيب (١١/ ٣٥) ، التقريب ص١٠٢١ برقم (٧٣٤١).

(٢) سنن ابن ماجه (٢/ ٤٥٧).

(٣) **أزهر** بن عبد الله بن جَمِيح الحرازي حمصي روى عن تميم الدارمي مرسلاً وعن النعمان بن بشير وغيرهما وعنه صفوان بن عمرو وعمر بن جشم وغيرهما كان يسب علياً ،قال عنه الحافظ في التقريب :" صدوق تكلموا فيه للنصب ".انظر :التهذيب (١/ ١٧٩) ، التقريب ص١٢٣ برقم (٣١٢).

(٤) سنن الدارمي (٢/ ٣١٤).

وحراز : بالفتح وتخفيف الراء وآخره زاي : مخلاف باليمن قرب زبيد ، سمي باسم بطن من حمير وهو حراز ويكنى أبا مرثد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد بن سهل بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن أيمن بن الهميسع بن حمير ، ويقال لقريتهم حرازة ، وبها تعمل الأطباق الحرازية .انظر :معجم البلدان (٢/ ٢٧٠) ، جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص٤٣٤ ،٤٣٥، ٤٧٨ . ط. دار الكتب العلمية –بيروت ط. الأولى سنة ١٤٠٣هـ.

التعريف ببعض الأماكن

مثاله : الإمام الترمذي في سننه :

أورد الإمام الترمذي بسنده حديثاً عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال :قال رسول الله ﷺ : " ضرس الكافر يوم القيامة مثل أحد ،وفخذه مثل البيضاء ،ومقعده من النار مسيرة ثلاث مثل الرَّبذة " (١)

وقال الترمذي معلقاً " (ومِثْلُ الرَّبذة) : كما بين المدينة و الربذة ،و(البيضاء) : جبل مثل أحد " (٢).

الرَّبذة : " بفتح أوله وثانية ، وذال معجمة مفتوحة أيضاً وهي من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من قيد تريد مكة ، وبهذا الموضع قبر أبي ذر الغفاري رضي الله عنه "(٣)

البيضاء : قال ابن الأثير :" قيل هو اسم جبل " (٤)

وقال الحموي :" البيضاء ثنية التنعيم بمكة لها ذكر في كتاب السيرة " (٥)

وقال أيضاً : " والبيضاء موضع بقرب حمى الرَّبذة .." (٦)

٢-التعليق لبيان رأي المصنف وترجيحه في المسألة :

ومما يظهر فقه المصنف هو ترجيحه في المسائل وذكر اختياره أثناء تعليقه على النصوص أو التراجم .

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب صفة جهنم -باب ماجاء في عظمة أهل النار برقم (٢٥٧٨) (٤/ ٦٠٦) ، وقال الترمذي : حسن غريب .والحديث صحيح كما في السلسلة الصحيحة للألباني برقم (١١٠٥) المجلد الثالث ص٩٥ .وأصل الحديث في مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها برقم (٢٨٥١). بلفظ : " ضرس الكافر أو ناب الكافر مثل أحد وغلظ جلده مسيرة ثلاثا".

(٢) سنن الترمذي (٤/ ٦٠٦).

(٣) انظر : معجم البلدان (٣/ ٢٧) ، النهاية في غريب الحديث (٢/ ١٨٣).

(٤) النهاية في غريب الحديث (١/ ١٧٣).

(٥) معجم البلدان (١/ ٦٢٩).

(٦) معجم البلدان (١/ ٦٣٠).

وقد يذكر الأقوال الأخرى وقد لا يذكر ، وقد يصرح بأنه اختياره وقد يفهم من السياق وذلك حينما يذكر الرأي مدعماً بالأدلة دون ذكر للآراء الأخرى فإن هذا يفيدنا بأنه رأي للمصنف .

وقد يذكر – وخاصة في أبواب الاعتقاد – بأن هذا هو مذهب السلف فهذا يفيدنا بأنه رأي للمصنف لأنه لم يخالفهم أو يذكر نقلاً عن غيرهم مخالفاً لما ذكروه وإليك الأمثلة :

المثال الأول : عبد الرزاق في المصنف .

أورد الإمام عبد الرزاق في مصنفه عن عطاء بسنده وجاء فيه :" كان خالد بن العاص وشيبة بن عثمان يقولان إذا أقسما : (وأبي) فنهاهما أبو هريرة عن ذلك أن يحلفا بآبائهما ، قال فغيَّر شيبة فقال : (لعمري) ، وذلك أن إنساناً سأل عطاءً عن (لعمري) وعن (لا ها الله إذاً) أبهما بأس ، فقال : لا ثم حدَّث هذا الحديث عن أبي هريرة " أ.هـ . (١)

ثم علق الإمام عبد الرزاق يقوله :" وأقول : ما لم يكن حلف بغير الله فلا بأس ، فليس لعمري بقسم " أ.هـ (٢) .

فكأن المصنف يرجح جواز اطلاق هذه الصيغة لأنها ليست بقسم ،ولعله نفس الترجيح الذي رجحه الإمام البخاري حيث عقد باباً في كتاب الأيمان والنذور بعنوان :

" باب قول الرجل : لعمر الله " ، قال ابن عباس: لعمرك : لعيشك " (٣) .

ثم أخرج طرفاً من حديث الإفك بسنده ومما جاء فيه :" فقام النبي ﷺ فا ستعذر من عبد الله بن أبي ، فقام أسيد بن حضير فقال لسعد بن عبادة : لعمر الله لنقتلنَّهُ" (٤) الحديث .

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٨/ ٤٧٠) في كتاب الأيمان والنذور –باب الحلف بغير الله ، وأيم الله ، ولعمري برقم (١٥٩٣٣).

(٢) المصنف (٨/ ٤٧٠).

(٣) الفتح (١١/ ٥٥٥) باب رقم (١٣).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور –باب قول الرجل :لعمر الله برقم (٦٦٦٢).

قال الحافظ :" قوله (باب قول الرجل لعمر الله) أي هل يكون يميناً ؟ وهو مبني على تفسير

" لعمر " ذكر أثر ابن عباس في قوله تعالى (لعمرك) أي حياتك ...(إلى أن قال) : وقال الزجاج : العمر : الحياة ، فمن قال لعمر الله كأنه حلف ببقاء الله ..." أ.هـ [(١)].

المثال الثاني : البخاري في الإيمان .

عقد الإمام البخاري باباً في كتاب الإيمان بعنوان : " باب قول النبي ﷺ : " بني الإسلام على خمس " . [(٢)]

ثم علَّق البخاري على هذا الباب بقوله : " وهو قَوْلٌ وَفِعْلٌ : ويزيد وينقص " [(٣)]

فالإمام البخاري ذكر المذهب الذي يراه وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة من أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص .

المثال الثالث : الترمذي في صفة الجنة .

أورد الإمام الترمذي حديثاً في رؤية الناس لربهم يوم القيامة ثم عقب ذلك بقوله : " وقد روي عن النبي ﷺ روايات كثيرة مثل هذا ما يُذْكَرُ فيه أَمْرُ الرُّؤية أنَّ الناس يرون ربهم وذكر القَدَم وما أشبه هذه الأشياء والمذهب في هذا عند أهل العلم من الأئمة مثل سفيان الثوري ومالك بن أنس ، وابن المبارك ، وابن عيينة ، ووكيع وغيرهم ، وأنهم رووا هذه الأشياء ثم قالوا : تروى هذه الأحاديث ونؤمن بها ، ولا يقال كيف ؟ وهذا الذي اختاره أهل الحديث أن تروى هذه الأشياء كما جاءت ويُؤْمَن بها ولا تفَسَّرَ ولا تتوهم ولا يقال كيف ؟ وهذا أمر أهل العلم الذي اختاروه وذهبوا إليه " أ.هـ [(٤)].

٣-التعليق لنقل أقوال أهل العلم في المسألة :

---

(١) الفتح (١١/ ٥٥٥).

(٢)الفتح (١/ ٦٠) باب رقم (١).

(٣) الفتح (١/ ٦٠).

(٤) سنن الترمذي (٤/ ٥٩٧) باب ماجاء في خلود أهل الجنة وأهل النار .

ومما يظهر كذلك فقه أصحاب الجوامع وسعة اطلاعهم ما ينقلونه عن أهل العلم سواءً لذكر الخلاف أو لذكر أقوالهم تأييداً لرأي المصنف الذي يرجحه أو لتفسير أمر أو مسألة في النص أو وجه في الاستنباط ونحوه .

وإليك الأمثلة على هذا الأمر :

المثال الأول : معمر في الجامع .

أورد الإمام معمر في جامعه أثراً عن عكرمة – رحمه الله- حول التماثيل وما جاء فيها ونص الأثر : " ما عُفِّر في الأرض (يعني به التماثيل) فلا بأس به " (١) .

ثم عقب على ذلك : " قال معمر : وأخبرني من سمع مجاهداً يقول مثل قول عكرمة " أ.هـ . (٢)

فالإمام معمر نقل في جامعه أن مجاهداً يقول بمثل قول عكرمة في هذه المسألة (٣) .

المثال الثاني : مالك في الموطأ .

أورد الإمام مالك في موطأه في باب : " النهي عن القول بالقدر " (٤) .

عن سهيل بن مالك أنه قال : " كنت أسير مع عمر بن عبد العزيز فقال : ما رأيك في هؤلاء القدرية ؟ قال فقلت : أرى أن تستتيبهم ، فإن قبلوا ذلك ،وإلا عرضتهم على السيف ، فقال عمر بن عبد العزيز : وذلك رأيي " أ.هـ (٥) .

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (١/ ٣٩٧) برقم (٩١٤٨٩).

(٢) المصدر السابق .

(٣) انظر للاستزادة : فتح الباري شرح البخاري كتاب اللباس الأبواب رقم (٩١) ، (٩٢) وما بعدها .
فقد عقد الإمام البخاري باباً بعنوان : باباً بعنوان : " باب ما وطئ من التصاوير ".وهناك رسالة علمية جيدة بعنوان :" أحكام التصوير في الفقه الإسلامي " للأخ محمد بن أحمد علي واصل ط. دار طيبة .

(٤) الموطأ (٢/ ٦٨).

(٥) أخرجه: مالك في الموطأ (٢/ ٧٠-٧١) برقم (١٨٧٦) في كتاب الجامع النهي عن القول بالقدر .و عبد الله بن أحمد في السنة (٢/ ٤٣٠) برقم (٩٥٢) تحقيق د.محمد القحطاني ط. دار ابن القيم . الأولى ١٤٠٦هـ.

قال مالك : معلقاً على الأثر : " وذلك رأيي "[(١)].

فانظر إلى حرص هذا الإمام على عقيدة أهل السنة وبغضه لأهل البدع وجرأته في بيان حكم الله فيهم .

المثال الثالث : ابن ماجه في سننه .

وأورد الإمام ابن ماجة الحديث المشهور في عدِّ أسماء الله تعالى .[(٢)]

ثم عقب الأثر بِنَقْلٍ نَقَلَهُ عن أحد رواة السند وهو زهير .

وجاء فيه :" قال زهير [(٣)] : فبلغنا عن غير واحد من أهل العلم ، أنَّ أوَّلها يفتح بقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد ، بيده الخير وهو على كل شيءٍ قدير ، لا إله إلا الله له الأسماء الحسنى " أ.هـ [(٤)].

=وابن أبي عاصم في السنة في باب ربنا الميثاق على عباده (١/ ١٥٨) برقم (٢٠٥) تحقيق د. باسم الجوابرة ط. دار الصميعي ط. الأولى ١٤١٩هـ.وابن بطة في الإبانة (الجزء الخاص بالقدر) (٢/ ٢٣٣) برقم (١٨٣٤) تحقيق د. عثمان عبد الله آدم ط. دار الراية ط. الأولى ١٤١٥هـ.والآجري في الشريعة في باب سيرة عمر بن عبد العزيز في أهل القدر (٢/ ٩١٧) برقم (٥١١) تحقيق د. عبد الله الدميجي ط. دار الوطن . ط. الأولى ١٤١٨هـ.واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٨/ ٧٠٩) برقم (١٣١٥) ،(١٣١٦) ،(١٣١٧) .والبيهقي في سننه (١٠/ ٢٠٥).وصحح اسناده الألباني كما في تخريجه لكتاب السنة (١/ ٨٨) برقم (١٩٩).

(١) الموطأ (٢/ ٧١).

(٢) يرى جمهور المحدثين وأهل العلم أن هذا الحديث أي سرد أسماء الله الحسنى ليست ثابته عن النبي ﷺ ، قال البيهقي بعد ذكر القوادح في سندهِ :" ويحتمل أن يكون التفسير وقع من بعض الرواة وكذلك في حديث الوليد بن مسلم ..."أ.هـ الأسماء والصفات (٢/ ٣٣) تحقيق الحاشدي ط. مكتبة السوادي ط. الأولى عام ١٤١٣هـ.وقال شيخ الإسلام ابن تيمية :" والحديث الذي في عدد الأسماء الحسنى ليس هو عند أهل المعرفة بالحديث من كلام النبي ﷺ ..."أ.هـ مجموع الفتاوى (٨/ ٩٦).وانظر كذلك عدم تصحيح الأئمة لهذه الروايات في مجموع الفتاوى (٦/ ٣٧٩، ٣٨٠) و(٢٢/ ٤٨٢).وابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها ﴾الأعراف [١٨٠] ، (٤/ ١٥١٧) .وابن حجر في الفتح (١١/ ٢٢١) .وابن الوزير في العواصم والقواصم (٧/ ٢٠٧) تحقيق الأرناؤوط ط. الرسالة ط. الأولى ١٤١٢هـ والألباني في ضعيف الجامع برقم (١٩٤٣)

(٣) زهير : هو ابن محمد أبو المنذر التميمي الخراساني روى عن زيد بن أسلم وشريك وغيرهما وعنه أبلو داود الطيالسي وروح ابن عبادة وغيرهما ،قال الحافظ عنه في التبويب :" ثقة إلا أن رواية أهل الشام عنه غير مستقيمة فضعف بسببها " أ..هـ . مات سنة (١٦٢) هـ .انظر التهذيب (٣/ ٣٠١) التقريب ص ٣٤٢ برقم (٢٠٦٠) .

(٤) سنن ابن ماجة (٤/ ٣٤٨) أبواب الدعاء باب أسماء الله عز وجل برقم (٣٩٠٧) .

المثال الرابع : الترمذي في الجنائز .

أورد الإمام الترمذي حديثاً عن النبي ﷺ أن علياً قال لأبي الهيَّاج الأسدي أبعثك على ما بعثني به النبي ﷺ : " أن لا تدع قبراً مشرفاً إلا سوَّيته ، ولا تمثالاً إلَّا طمسته "أ.هـ (١).

قال الترمذي معلقاً على الحديث : " حديث علي حديث حسن ، والعمل على هذا عند بعض أهل العلم ، يكرهون أن يرفع القبر فوق الأرض ،قال الشافعي : أكره أن يرفع القبر إلا بقدر ما يعرف أنه قبر لكيلا يوطأ ولا يجلس عليه " أ.هـ (٢).

المثال الخامس : البخاري في الإيمان .

عقد الإمام البخاري باباً في كتاب الإيمان من صحيحه بعنوان :

" باب من قال أن الإيمان هو العمل " (٣) لقول الله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الزخرف : ٧٢] ، وقال عدة من أهل العلم في قوله تعالى : ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [الحجر :٩٢-٩٣]: عن قول لا إله إلا الله وقال: ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴾ [الصافات :٦١] أ.هـ" . (٤)

وموضع الشاهد من هذا المثال هو قول الإمام البخاري : " وقال عدة من أهل العلم في قوله تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[الحجر :٩٢-٩٣]

أما أهل العلم الذي يعنيهم البخاري فهم :

أنس بن مالك :

فقد أخرج الترمذي بسنده عن أنس في تفسير هذه الآية قول أنس أنه قال : " عن قول لا إله إلّا الله " (٥) .

---

(١) الحديث أخرجه: الترمذي (٣/ ٣٦٦) برقم (١٠٤٩) في كتاب الجنائز وباب ما جاء في تسوية القبور . و مسلم في الجنائز برقم (٩٦٩).

(٢) الترمذي (٣/ ٣٦٧).

(٣) الفتح (١/ ٩٧) باب رقم (١٨).

(٤) الفتح (١/ ٩٧).

(٥) أخرجه الترمذي في التفسير – باب سورة الحجر (٥/ ٢٧٨) برقم (٣١٢٦).وضعف اسناده الحافظ في الفتح (١/ ٩٨).وأخرجه الطبري بسنده (١٤/ ٦٧).

عبد الله بن عمر :

فقد أخرج الطبري في تفسيره بسنده عن ابن عمر بنفس تفسير أنس [(١)].

مجاهد :

كذلك الطبري أخرجه عن عبد الرزاق في التفسير [(٢)].

٤ -التعليق لبيان وجه الاستنباط :

وهذا النوع من التعليق هو أعظمها بل هو الذي تتجلى فيه ملكة الفقه والفهم ، ولعلنا عند ذكر الأمثلة نرى أن الذي أهتم بهذا النوع من التعاليق هو الإمام البخاري – رحمه الله – وهو الذي ميّزه عن غيره من أهل العلم الذي صنفوا الجوامع الحديثية .

الأمثلة على هذا النوع من صحيح الإمام البخاري :

المثال الأول : البخاري في الإيمان .

عقد الإمام البخاري في كتاب الإيمان باباً بعنوان :

" باب المعاصي من أمْرِ الجاهلية " [(٣)]

ثم علق الإمام البخاري مبيناً وجه الاستنباط من الأدلة فقال :" ولا يُكفَّر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك " [(٤)] هذا هو الحكم الذي يريد أن يقرره الإمام ثم ذكر من أين استنبط هذا الحكم فقال : " لقول النبي ﷺ : " إنك امرؤ فيك جاهلية " [(٥)] وقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء : ٤٨]" [(٦)] .

---

(١) أخرجه الطبري بسنده (١٤/ ٦٧).

(٢) أخرجه الطبري بسنده (١٤/ ٦٧) وعزاه الحافظ في الفتح لعبد الرزاق في التفسير ،الفتح(١/ ٩٨).

(٣) باب رقم (٢٢) الفتح (١/ ١٠٦) .

(٤) الفتح (١/ ١٠٦).

(٥) الحديث في البخاري في الإيمان في نفس الباب برقم (٣٠) ونصه : عن المعرور قال :" لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة ، فسألته عن ذلك فقال : إني سابيت رجلا فعيرته بأمه ، فقال لي النبي ﷺ : " يا أبا ذر ، أعيرته بأمه ؟ إنك امرؤ فيك جاهلية ، إخوانكم خولكم ، جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل ، وليلبسه مما يلبس ، ولا تكلفوهم ما يغلبهم ، فإن كلفتموهم فأعينوهم " أ.هـ الحديث.

(٦) الفتح (١/ ١٠٦).

فالإمام قصد بهذه الترجمة أن يبين أن المعاصي من خصال الجاهلية وقد يطلق عليها لفظ الكفر ولا يراد الكفر الأكبر أو الشرك الأكبر المخرج من المِلَّة وإنما الذي يخرج من الملة الشرك بالله عز وجل، وفيه رد على الخوارج الذين قد يستدلون بمثل هذه الأحاديث ليقرروا مذهبهم الفاسد في تكفير أهل الذنوب – والله المستعان –.

المثال الثاني : البخاري في الإيمان أيضاً .

عقد الإمام البخاري باباً في كتاب الإيمان بعنوان :

" باب زيادة الإيمان ونقصانه " (١).

ثم أورد تحتها قول الله عز وجل :﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾[المائدة : ٣]

قال البخاري معلقاً على هذه الآية مبيناً وجه الاستنباط منها على زيادة الإيمان : " فإذا ترك شيئاً من الكمال فهو ناقص " أ.هـ (٢).

وخلاصة الاستنباط : أنه مادام أنه كامل فمن ترك شيئاً من هذا الكمال في الأحكام والعبادات فهو ناقص ، واستلزمه للنقص يستدعي قبوله الزيادة وقد سبق الإمام البخاري في هذا الاستدلال على زيادة الإيمان ونقصانه منهم :

سفيان بن عيينة :

وقد سئل الإمام سفيان بن عيينة : إن قوماً يقولون الإيمان كلام ، قال : " قد كان القول قولهم قبل أن تنزل أحكام الإيمان وحدوده .... فلما علم الله ما تتابع عليهم من الفرائض ومثولهم لها قال له : قل لهم:﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة : ٣]، فمن ترك شيئاً من ذلك كسلاً أو مجوناً أدبناه عليه ، وكان عندنا ناقص الإيمان ، ومن تركها عامداً كان بها كافراً ، وهذه السنة أبلغ عني من سألك من المسلمين " (٣) أ.هـ بتصرف .

---

(١) الفتح (١/ ١٢٧) برقم (٣٣).

(٢) الفتح (١/ ١٢٧).

(٣) أخرج هذا الأثر :أبو نعيم في حلية ا لأولياء (٧/ ٢٩٦).والآجري في الشريعة من طريق آخر (٢/ ٥٥٧٩ وبلفظ مقارب برقم (١٩٧).وحسن إسناده المحقق .

الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام :

قال أبو عبيد : " أفلست ترى أن الله تبارك وتعالى لم ينزل عليهم الإيمان جملة كما لم ينزل القرآن جملة ؟ فهذه الحجة من الكتاب فلو كان الإيمان مكملاً بذلك الإقرار ما كان للزيادة إذاً معنى ولا لذكرها موضع ... والمصدق له قول الله تبارك وتعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ . . . ﴾ (١) أ.هـ بتصرف .

المثال الثالث : أبو داود في السنة .

أورد الإمام أبو داود حديثاً ما نصه :

عن ابن عباس قال : " كان النبي ﷺ يُعوِّذ الحسن والحسين " أعيذكما بكلمات الله التامة ، من كل شيطان وهامَّة ، ومن كل عين لامة " ثم يقول كان أبوكم يعوذ بهما إسماعيل وإسحاق " (٢) أ . هـ.

قال أبو داود معلقاً ومبيناً وجه الاستنباط : " هذا دليل على أن القرآن ليس بمخلوق " (٣) أ.هـ.

لأنه لا يستعاذ بمخلوق فلو كانت كلمات الله ومنها القرآن مخلوق لكان الاستعاذة بها من الشرك لأنها استعاذة بمخلوق .

قال الخطابي : " وكان أحمد بن حنبل يستدل بقوله :" بكلمات الله التامة " ، على أن القرآن غير مخلوق ، ويقول إن الرسول ﷺ لا يستعيذ بمخلوق وهو كلام الله سبحانه وتعالى " أ.هـ (٤).

وقد عقد الإمام البخاري في كتابه خلق أفعال العباد باباً بعنوان :

---

(١) كتاب الإيمان لأبي عبيد ص ١٣-١٥ تحقيق الألباني ط. المكتب الإسلامي ط. الثانية ١٤٠٣هـ.

(٢) الحديث أخرجه: البخاري في أحاديث الأنبياء باب (١٠) برقم (٣٣٧١).و الترمذي في الطب – باب الرقية من العين باب (١٨) برقم (٢٠٦٠).وقد أخرجه الأئمة في كتب العقيدة المسندة للرد على من زعم أن القرآن مخلوق انظر على سبيل المثال : اللالكائي (ص٢٠٧،٢٠٨) برقم (٣٣٧).الحجة في بيان المحجة (٢/ ١٨٨) برقم (١٤٩).

(٣) السنن (٤/ ٢٣٥).

(٤) نقلاً عن السهارنفوري في بذل المجهود (١٨/ ٢٧٤) . وانظر : الفتح (٦/ ٤٧٢).

" باب ما كان النبي ﷺ يستعيذ بكلمات الله لا بكلام غيره " أ.هـ [(١)]

وقال البخاري أيضاً في نفس هذا الكتاب :" وفي هذا دليل على أن كلام الله غير مخلوق وأن سواه خلق " [(٢)] أ.هـ.

وأخرج هذا الحديث في نفس كتابه مستدلاً به على ما ذكرنا[(٣)].

المثال الرابع : الترمذي في الإيمان .

قال الإمام الترمذي :" وقد روي من غير وجهٍ عن النبي ﷺ أنه قال :" في الزنا والسرقة ، من أصاب من ذلك شيئاً فأقيم عليه الحد فهو كفارة ذنبه ومن أصاب من ذلك شيئاً فستر الله عليه فهو إلى الله ، إن شاء عذبه يوم القيامة وإن شاء غفر له " الحديث [(٤)].

قال الترمذي معلقاً ومبيناً وجه الاستنباط من الدليل : " وهذا قول أهل العلم لا نعلم أحداً كفر أحداً بالزنا أو السرقة وشرب الخمر " [(٥)] أ.هـ .

وخلاصة الاستنباط : أنه لما كُفِّر عمن وقع في الزنا بإقامة الحد عليه لم يكن كافراً وإلا فإن الكافر لا يكفر عنه إلا بالتوبة والإسلام وليس بإقامة الحد عليه ، وكذلك ما جاء فيه أنه يوم القيامة إن شاء عفا عنه وإن شاء غفر له فهذا في حق غير الكافر لأن الكافر إلى نار جهنم خالداً مخلداً فيها – والعياذ بالله – .

وقال الحافظ في الفتح : " قوله : (فهو إلى الله) قال المازني : فيه رد على الخوارج

---

(١) خلق أفعال العباد ص ١٤٣ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) خلق أفعال العباد ص١٤٧ برقم (٤٥٤) و(٤٥٦).
(٤) الحديث جاء بلفظ :"من أصاب ذنباً أقيم عليه حد ذلك الذنب فهو كفارته " أخرجه بهذا اللفظ البخاري في التاريخ (٢/ ١/ ١٨٩).وأحمد في المسند (٥/ ٢١٥،٢١٤) كلاهما عن خزيمة بن ثابت .
والترمذي بنحوه عن علي لكن في إسناده ضعف .وله شاهد صحيح عن عبادة بن الصامت بلفظ :" فمن أتى منكم حداً مما نهى عنه فأقيم عليه فهو كفارة له ومن أخر فأمره إلى الله تبارك وتعالى إن شاء عذبه وإن شاء غفر له " الحديث .أخرجه أحمد في المسند (٥/ ٣٢٠).والبخاري بنحوه في كتاب الأحكام – باب بيعة النساء برقم (٧٢١٣).والحديث صححه بالشواهد هذه الألباني كما في السلسلة الصحيحة برقم (٢٣١٧).
(٥) السنن (٥/ ١٨).

الذين يكفرون بالذنوب ، ورد على المعتزلة الذين يوجبون تعذيب الفاسق إذا مات بلا توبة ، لأن النبي ﷺ أخبر بأنه تحت المشيئة ولم يقل : لابد أن يعذبه ..." [1] أ.هـ

المثال الخامس : البخاري في أخبار الآحاد .

قال الإمام البخاري في أول كتاب الآحاد :

" باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام .

وقول الله تعالى : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾[التوبة : ١٢٢] ." [2]

ثم علق على الآية مبيناً وجه الاستنباط منها بقوله : " ويسمى الرجل طائفة لقوله تعالى : ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ ﴾ [الحجرات : ٩] ،فلو اقتتل رجلان دخلا في معنى الآية ..." [3] أ.هـ.

فالبخاري استدل بهذه الآية على قبول خبر الآحاد وبين وجه الاستدلال والاستنباط حيث قال: إن الطائفة تطلق على الواحد .

وقد استدل بنفس هذا الدليل الإمام الشافعي في الرسالة حيث قال -بعد أن ذكر هذه الآية وما يمكن أن تفيده من أحكام -: " فقال لي قائل : احدد لي أقلَّ ما تقوم به الحجة على أهل العلم حتى يثبت عليهم خبر الخاصَّة فقلت : خبر الواحد عن الواحد حتى ينتهي به إلى النبي ﷺ أو من انتهى به إليه دونه " [4] أ.هـ

وقال الحافظ : " وهذا الاستدلال سبقه (أي البخاري) إلى الحجة به الشافعي وقبله مجاهد " أ.هـ [5].

---

(١) الفتح (١/ ٨٧) عند شرح حديث عبادة في كتاب الإيمان برقم (١٨) باب رقم (١١).

(٢)الفتح (١٣/ ٢٤٤).

(٣) الفتح (١٣/ ٢٤٤).

(٤) الرسالة للشافعي ص ٣٧٠ تحقيق أحمد شاكر ط. دار الفكر ط. ١٣٠٩هـ.

(٥) الفتح (١٣/ ٢٤٧).

٥-التعليق لإزالة إشكال قد يتوهم في الدليل :

قد يظهر إشكال يتوقع المصنف أن يحصل للقارئ ، فيعلق على الدليل لإزالة هذا الإشكال وله صور منها :

أ- إذا اختصر الحديث فقد يشكل على بعض الناس عود الضمائر :

وهذا يظهر حينما يقتطع المصنف جزءً من الحديث ليستدل به فيورده بنصه ويكون فيه ضمائر تعود على الجزء الذي لم يقتطعه المصنف فيشكل على بعض الناس عود هذه الضمائر .

الأمثلة على هذا النوع :

المثال الأول : ابن وهب في الجامع :

أورد ابن وهب في جامعه حديثاً عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال :" لا تديموا إليهم النظر " أ.هـ(١).

فالقارئ قد يشكل عليه: منهم الذين لا يدام النظر إليهم ؟.

فعلق الإمام ابن وهب على الحديث بقوله :" يعني المجذومين " أ.هـ (٢).

المثال الثاني : الترمذي في الفتن .

أورد الإمام الترمذي الحديث المشهور في ابن صيَّاد وجاء في آخره :

" قال عمر ﷺ : يا رسول الله ائذن لي فأضرب عنقه فقال رسول الله ﷺ :" إن يك

---

(١) أخرجه: ابن وهب في الجامع باب عاهة وقدر برقم (٦٣٥) (٢/ ٧٢٧) .و ابن ماجة في الطب باب الجذام (٢/ ٢٨٧) برقم (٣٥٨٨).و الإمام أحمد في المسند (١/ ٧٨و٢٩٩،٢٣٣).والطيالسي في مسنده ص٣٣٩. وابن عدي في الكامل في الضعفاء (٦/ ٢٢٢٤).وابن شيبة في مصنفه (٥/ ٣١٢) كتاب الأدب ، باب من رخص في الطيرة .والبخاري في التاريخ الكبير (١/ ١/ ١٣٨) برقم (٤١٧) ترجمة محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان .وحسَّن إسناده محقق كتاب جامع ابن وهب .وقال البوصيري :"هذا إسناد رجاله ثقات " أ.هـ الزوائد (٢/ ٢٢٤)برقم (٢٣٦)، تحقيق كمال الحوت ط. دار الجنان ط.الأولى ١٤٠٦هـ .وقال الهيثمي في المجمع (٥/ ١٠١) في باب المجذومين وقال :" رواه الطبراني وفيه ابن لهيعة وحديثه حسن وبقية رجاله ثقات ".أ.هـ.والحديث صححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (١٠٦٤).

(٢) الجامع لابن وهب (٢/ ٧٢٧).

حقاً فلن تُسلَّط عليه ، و إن لا يكنه فلا خيرَ لك في قتله "أ.هـ [١]

فأضاف الترمذي :" قال عبد الرزاق : يعني الدجال " [٢]

فتعليق عبد الرزاق الذي نقله الترمذي لبيان من هو الذي لا خير له في قتله حتى لا يظن أنه يقصد ابن صيَّاد .

المثال الثالث : ابن ماجة في فضائل أصحاب النبي ﷺ .

أورد الإمام ابن ماجة حديثاً في فضل أبي بكر عن عبد الله ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :" ألا إني أبرأ إلى كُلِّ خلٍّ من خِلِّهِ، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكرٍ خليلاً، إن صاحبكم خليل الله " أ.هـ [٣].

فأضاف ابن ماجة تعليقاً لبيان من هو المراد بقوله " صاحبكم " فقد يظن البعض أنه يقصد أبا بكر فأزال هذا الإشكال بقوله :" قال وكيع : يعني نفسه " أ.هـ. [٤]

ب- إذا كان الدليل قد يستدل بظاهرة أهل البدع لتأييد بدعتهم فيعلق المصنف ليبين الوجه الصحيح الذي يدل عليه الدليل :

مثاله : الترمذي في الإيمان .

أورد الإمام الترمذي الحديث الصحيح المشهور عن ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ :" سباب المسلم فسوق وقتاله كفر " أ.هـ [٥].

---

(١) الحديث أخرجه: الترمذي في الفتن باب ما جاء في ذكر ابن صائد (٤/ ٤٥٠) برقم (٢٢٤٩) .
والبخاري في الأدب – باب قول الرجل للرجل "إخسأ" برقم (٦١٧٣).ومسلم في الفتن برقم (٢٩٣٠).
فقد أخرجها كذلك مع مسلم البخاري في فضائل الصحابة – باب قول النبي ﷺ: "لو كنت متخذاً خليلاً " برقم (٣٦٥٦).

(٢) السنن (٤/ ٤٥٠).

(٣) أما قوله " أبرأ إلى كل خلٍ من خله " بهذا اللفظ :أخرجه ابن ماجه في المقدمة – باب فضائل أصحاب رسول الله ﷺ (١/ ٢٠) برقم (٨٢) .ومسلم في فضائل الصحابة برقم (٢٣٨٣) .وأما قوله " ولو كنت متخذاً خليلاً ..."فقد أخرجها كذلك مع مسلم البخاري في فضائل الصحابة – باب قول النبي ﷺ " لو كنت متخذاً خليلاً " برقم (٣٦٥٦).

(٤) سنن ابن ماجه (١/ ٢٠) في المقدمة .

(٥) الحديث أخرجه: الترمذي في الإيمان –باب ما جاء : سباب المؤمن فسوق برقم (٢٦٣٥) والحديث في الصحيحين :أخرجه البخاري في الإيمان – باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر برقم (٤٨).
ومسلم في الإيمان برقم (٦٤) .

ظاهر هذا الحديث استدل به الخوارج على تكفير أصحاب الكبائر .

فالإزالة هذا الإشكال علق الترمذي بقوله :" ومعنى هذا الحديث قتاله كفر ليس به كفراً مثل الارتداد عن الإسلام والحجة في ذلك ما روى عن النبي ﷺ أنه قال :" من قُتِلَ متعمداً فأولياء المقتول بالخيار إن شاءوا قتلوا وإن شاءوا عفوا ، ولو كان القتل كفراً لوجب ، وقد روي عن ابن عباس وطاووس وعطاء وغير واحد من أهل العلم قالوا:" كفر دون كفر ، وفسوق دون فسوق "أ.هـ [(١)].

قال ابن حجر :" قوله (وقتاله كفر) : إن قيل هذا وإن تضمن الرد على المرجئة لكن ظاهره يقوي مذهب الخوارج الذي يكفرون بالمعاصي ، فالجواب : إن المبالغة في الرد على المبتدع اقتضت ذلك ، ولا متمسك للخوارج فيه ، لأن ظاهره غير مراد ، لكن لما كان القتال أشد من السباب لأنه مفضٍ إلى إزهاق الروح عبر عنه بلفظ أشد من لفظ الفسق وهو الكفر ، ولم يرد حقيقة الكفر التي هي خروج عن الملة ..." أ.هـ [(٢)].

٦-التعليق لإضافة أدلة أخرى حول المسألة :

وهذا النوع من التعليقات قد يضطر إليه المصنف طلباً للاختصار في الأسانيد أو لأن الأدلة الأخرى ليست على شرطه ، أو لأنها أتى بها ليستدل بها على المعنى الصحيح الذي فسر به الدليل.

المثال على هذا النوع :

أورد الإمام ابن ماجة حديثاً حول يأجوج ومأجوج ، ثم عقب وعلّق الإمام ابن ماجة على هذا الحديث بنقل نقله عن أحد رواة السند بقوله :" قال العوَّام [(٣)]: "وَوَجِدَ

(١) سنن الترمذي (٥/ ٢٢).

(٢) فتح الباري (١/ ١٣٨).

(٣)العوّام بن حوشب : بن يزيد بن الحارث الشيباني أبو عيسى الواسطي روى عن السبيعي ومجاهد وغيرهما وعنه حفص بن عمر ويزيد بن هارون وغيرهما .قال عنه الحافظ في التقريب :" ثقة ثبت فاضل " .وقال يزيد بن هارون :" كان صاحب أمر بالمعروف ونهي عن المنكر "أ.هـ.كانت وفاته سنة (١٤٨هـ). انظر التهذيب (٨/ ١٤٥-١٤٦) ، التقريب ص٧٥٧ برقم (٥٢٤٦) .

تصديق ذلك في كتاب الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ [الانبياء : ٩٦]" أ.هـ [1].

(١) سنن ابن ماجة في أبواب الفتن باب فتنة الدجال (٢/ ٤٠٢) برقم (٤١٣٢) .

المبحث الثالث

الأدلة

ويشتمل على:

تمهيد:

المطلب الأول :استيعابهم للأدلة في الباب

المطلب الثاني :اشتراط الصحة من عدمها.

المطلب الثالث :ذكرهم للآثار عن الصحابة ومن بعدهم.

تمهيد:

قبل أن نبدأ بالدخول إلى مسائل هذا المبحث لابد أن نقف عدة وقفات :

الوقفة الأولى : ماذا نقصد بالأدلة؟

نقصد بالأدلة : أي الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة وما ورد عن الصحابة الكرام مما اتفقوا عليه ولم يخالفوا فيه نصاً من كتاب الله ولا سنة رسوله لأن الله عز وجل تعبّد الخلق بما شرع لهم في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ وهذه الأدلة معصومة من الزلل والخطأ لأن مصدرها ومنشأها هو من عند الله كما قال الله جل وعلا : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ٣].

والله جل وعلا بين لنا أن المرجع يكون لهذين المصدرين في كل شؤوننا فقال سبحانه: ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى اللَّهِ [الشورى : ١٠]﴾ .

وقال سبحانه :﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ . . . ﴾ [النساء :٥٩].

والله سبحانه قد تكفل بحفظ هذا الدين عن طريق حفظ مصادره الرئيسية وهما الكتاب والسنة .

قال جل وعلا : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[الحجر : ٩].

وحفظه لأنه هو آخر الكتب المنزلة والناسخ لها جميعاً والمهيمن عليها فهو باق إلى قيام الساعة فلهذا كان لابد من أن يقدر الله الأسباب التي يحفظ بها ومن حفظ الله لكتابه حفظ السنة بالأسانيد الثابتة عن الثقات في مثل هذه الجوامع الحديثية .

الوقفة الثانية : اعتماد السلف على نصوص الكتاب والسنة :

وقد تجلت قوة منهج أهل السنة في مصنفاتهم وذلك لاعتمادهم على نصوص الكتاب والسنة والعناية بها حفظاً وشرحاً وتدويناً .

بل كان السلف يتواصون بأن لا يقبلوا من أحدٍ قولاً كائناً من كان إذا كان عرياً عن الدليل من الكتاب أو السنة ، وقد تظافرت واشتهرت أقوالهم في هذا الشأن .

وسيأتي مزيد بسط إن شاء الله في الباب الثاني لهذه القضية .

الوقفة الثالثة : الاحتجاج بالقرآن والسنة وإجماع سلف الأمة :

مما ميزهم وظهر ذلك جلياً في مصنفاتهم الاحتجاج بالقرآن والسنة والإجماع ، أما القرآن فواضح وأما السنة فإنهم كانوا يحتجون بما ثبت عندهم سواءً كان حديثاً متواتر أم آحاد-وسيأتي الكلام عليه- .

وكذلك ما أجمع عليه سلف الأمة من الصحابة ومن بعدهم – رحمهم الله-.

الوقفة الرابعة : عملهم بالنصوص جميعها:

إن السلف لما اعتنوا بالأدلة وجمعها وتنقيتها وترتيبها وتبويبها لم يكن ذلك ترفاً أو مباهاةً بما صنفوا ، وإنما الغرض هو العمل بها جميعها والأخذ بها كلها واعتقاد أنها دين من عند الله ولم يضربوا بعضها ببعض كما فعل أهل البدع حينما أخذوا بعضها وتركوا بعضها الآخر .

الوقفة الخامسة : صدق نيتهم وإخلاصهم:

إن ما قام به السلف من جمع هذه الأدلة ظهرت عليها علامات صدق نيتهم وإخلاصهم لربهم فألقى القبول لهذه الجوامع وأصبحت مرجعاً للأمة يتلقاها الخلف عن السلف وبما جاء فيها يتعبدون ، ولم تكن لهم أغراض دنيوية أو أطماع شخصية من وراء هذا الجمع لهذه الأدلة بل كان قصدهم تبليغ دين الله إلى عباده وابتغاء مرضاته عز وجل فرحمهم الله رحمة واسعة .

المطلب الأول : استيعابهم للأدلة في الباب .

تمهيد :

لقد حرص السلف على استيعاب كل ما ورد في الباب لأنهم- رحمهم الله - يعتقدون ديانة وتعبداً لله أنه يجب عليهم العمل بكل ما ورد كبيراً كان أو صغيراً .

وكذلك لإقامة الحجة على المخالف بذكر الأدلة الواردة في بيان الحق والسنة حتى لا يدعوا حجة لمحتج عليهم .

ولأن هذا الاستيعاب هو مظهر من مظاهر قوة منهجهم وتميزهم على غيرهم من أصحاب المناهج الضالة التي لا تعمل بكل ما جاء عن الله وعن رسوله بل يعملون بما يوافق أهواءهم ويتركون ما يخالفها .

وبالنظر لهذا الاستيعاب يظهر لنا بوضوح فضل أولئك الأخيار على من أتى بعدهم فآثارهم العلمية ومنها هذه الجوامع تدل على سعة اطلاعهم وتبحرهم ومعرفتهم الواسعة بالنصوص الشرعية من الكتاب والسنة ، كيف لا وقد بذلوا أوقاتهم وأموالهم وضحوا بأنفسهم وأموالهم لجمع هذه النصوص والارتحال شرقاً وغرباً وبعدهم عن أهلهم وذويهم كل هذا نُصْرَةً للدين وحمايةً له ، ونشراً لسنة المصطفى ﷺ ، نسأل الله أن يحشرنا في زمرتهم وأن يَمُنَّ علينا بمثل ما مَنَّ عليهم من العلم النافع والعمل الصالح إنه ولي ذلك والقادر عليه .

الأوجه التي يظهر من خلالها استيعابهم للأدلة في الباب :

ومن خلال قراءتنا وتصفحنا لهذه الميزة ألا وهي استيعابهم للأدلة في الباب من خلال الأوجه التالية :

١ - جمعهم للأدلة من المصادر الأصلية كلها : الكتاب - السنة - الإجماع :

أ- الكتاب (القرآن الكريم):

تعريفه (في اللغة) [(١)]: مأخوذ من مادة قرأ ومنه قرأت الشيء فهو قرآن :

---

(١) انظر : الصحاح للجوهري (١/ ٦٥) ، لسان العرب (١/ ١٢٨) ، القاموس ص٦٢ ، أساس البلاغة للزمخشري (٢/ ٢٣٩) .

أي جمعته وصححت بعضه إلى بعض فمعناه الجمع والضم".

قال أبو عبيدة :" .. وإنما سمي قرآناً لأنه يجمع السور فيضمها "[١] أ.هـ.

وقال الله جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة : ١٧] أي جمعه وقراءته .

قال الجوهري :" وقرأت الشيء قرآناً : جمعته وضممت بعضه إلى بعض ، ومنه قولهم : ما قرأت هذه الناقة سَلىً قط وما قَرأتْ جنيناً ، أي لم تَضُمَّ رحمها على ولد "[٢] أ.هـ.

قال الراغب :" قال بعض العلماء : تسمية هذا الكتاب قرآناً من بين كتب الله تعالى لكونه جامعاً لثمرة كتبه ، بل لجمعه ثمر جميع العلوم كما أشار تعالى إليه بقوله : ﴿ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ ﴾[يوسف : ١١١] . وقوله :﴿ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾[النحل : ٨٩] .."[٣] أ.هـ.

وهو علم على كتاب الله عز وجل وإن كان المصدر يطلق على كل مفرود .

تعريفه في الاصطلاح[٤]:

" هو كتاب الله المنزل على رسوله وحياً غير مخلوق وألفاظه وحروفه ومعانيه من الله عز وجل منه بدأ إليه يعود ".

طرائقهم في الاستدلال بالقرآن الكريم :

تنوعت أساليب الأئمة في جوامعهم الحديثية في الاستدلال بالقرآن الكريم مع أن هذه الجوامع خصصت لجمع الحديث النبوي ، ولكن لعلمهم –رحمهم الله – أنه لا يمكن الاستغناء عن الاحتجاج والاستدلال والاستشهاد بالقرآن الكريم وذلك للرابطة القوية بينه وبين السنة المطهرة لأن كلاً منها مبين وموضح للآخر فما أجمل في أحدهما فُصِّل وبُيِّن في الآخر ، وما أطلق في أحدهما قُيِّد في الآخر ، وما كان عاماً في

---

(١)الصحاح للجوهري (١/ ٦٥) مادة قرأ.

(٢) الصحاح (١/ ٦٥).

(٣) مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ص٦٦٩.

(٤) انظر : مجموع الفتاوى (١٢/ ٥٢٩) ،(١٢/ ٢٧٤) شرح الطحاوية (١/ ١٧٢) .قوله " منه بدأ " : أي هو المتكلم به ابتداءً ، " وإليه يعود " : أي في آخر الزمان يسرى عليه فلا يبقى في المصاحف منه حرف ولا في الصدور منه آية .

أحدهما خصص في الآخر وهكذا .

ولعلنا نجمل طرائقهم في الاستدلال بالقرآن فيما يلي :

أولاً:جعل الآية ترجمة وعنواناً للباب :

ولعل هذا النوع – في نظري – من أقوى أنواع الاستدلال لأنه جعل الآية هي العنوان والمدخل لهذه المسألة وذلك لجلاء وظهور الحكم المراد في نصها .

ولعل الإمام البخاري هو أكثر المصنفين استدلالاً وذكراً للآيات في جامعه و من أكثرهم تفنناً وعرضاً للآيات .

والترجمة بالآية على أنواع :

منها ما تكون الترجمة بالآية ويأتي الحديث مفسراً لها ومصرحاً بنصها .

أو أن تكون الترجمة بالآية لإثبات مسألة معينة ويأتي الحديث لإثبات نفس المسألة ولا يشتمل على نص الآية .

الأمثلة على هذا النوع :

المثال الأول : الدارمي في الرقائق .

عقد الإمام الدارمي باباً في كتاب الرقائق من سننه بعنوان :

" باب قول الله تعالى : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ﴾[إبراهيم : ٤٨] ".(١)

وجاء الحديث تحته مبيناً لبعض معاني الآية ومتضمناً لنصها صراحةً .

فقد أورد الحديث عن مسروق قال : قلت لعائشة : "يا أم المؤمنين أرأيت قول الله تعالى :﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾[إبراهيم ٤٨-٤٩] أين الناس يومئذٍ ؟ قالت :سألت رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: "على الصراط " " (٢).

---

(١) سنن الدارمي (٢/ ٤٢٣).

(٢) الحديث أخرجه الدارمي في السنن كتاب الرقائق –باب قول الله تعالى (يوم تبدل الأرض غير الأرض)

المثال الثاني : البخاري في التوحيد :

سبقت الإشارة إلى أن البخاري أكثر من هذا النوع ، وبالذات في كتاب التوحيد حيث كان غالب تراجم الكتاب من هذا النوع .

وهنا قد ينشأ إشكال من كون البخاري أكثر من الترجمة بالآيات في كتاب التوحيد بالذات :

والجواب هو : ما نص عليه الحافظ ابن حجر حيث قال : " الذي يظهر من تصرف البخاري في كتاب التوحيد أنه يسوق الأحاديث التي وردت في الصفات المقدسة فيدخل كل حديث منها في باب ويؤيده بآية من القرآن للإشارة إلى خروجها عن أخبار الآحاد على طريق التنزل في ترك الاحتجاج بها في الاعتقاديات ، وأن من أنكرها خالف الكتاب والسنة جميعاً " أ.هـ [(١)].

عقد الإمام البخاري في كتاب التوحيد باباً بعنوان :

" باب قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾ [الذاريات : ٥٨] "[(٢)]

وأخرج تحته عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال النبي ﷺ :" ما أحد أصبر على أذى يسمعه من الله ، يدّعون له الولد ثم يعافيهم ويرزقهم" [(٣)].

ووجه المطابقة هو أن الآية أثبتت صفة الرزق لله وكذلك الحديث جاء فيه لفظ "يرزقهم".

وهذا النوع من الترجمة بالآية لم يذكر في الحديث نص الآية وإنما ذكر معناها.

=برقم (٢٨٠٩) (٢/ ٤٢٣) .وأخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم برقم (٢٧٩١).و الإمام أحمد في المسند (٦/ ١٣٤).والترمذي في التفسير – باب (١٥) برقم (٣١٢١) السنن (٥/ ٢٧٦) وقال هذا حديث حسن صحيح ".وابن ماجة في أبواب الزهد – باب ذكر البعث برقم (٤٣٣٤) السنن (٢/ ٤٤٤) .والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٥٢).

(١) الفتح (١٣/ ٣٧٢) كتاب التوحيد باب رقم (٢) .

(٢) كتاب التوحيد باب رقم (٣).

(٣) الحديث أخرجه البخاري في كتاب التوحيد في الباب المذكور برقم (٧٣٧٨).

قال ابن المنيِّر :" وجه مطابقة الحديث للآية اشتماله على صفتي الرَّزْق والقوة ....أما الرَّزْاق فواضح بقوله " يرزقهم " أما القدرة والقوة فبقوله "ما أحد أصبر على أذىً سمعه من الله عز وجل " ففيه إشارة إلى قدرة الله على الإحسان إليهم مع كفرهم به ..."أ.هـ [(١)] بتصرف .

المثال الثالث : ابن ماجة في الفتن :

عقد الإمام ابن ماجة في كتاب الفتن باباً بعنوان :

" باب قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡ ﴾[المائدة :١٠٥] " [(٢)].

وقد جاء الحديث مفسراً لها ومتضمناً لنصِّها .

وأورد الحديث عن أبي أُميَّة الشعباني [(٣)] قال :" أتيت أبا ثعلبة الخُشَني [(٤)] قال: قلت كيف تصنع في هذه الآية ؟ قال:أيّة آية ؟ قلت :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ ﴾ [المائدة : ١٠٥]،قال: سألت عنها خبيراً. سألت عنها رسول ﷺ فقال:بل أئتمروا بالمعروف ،وتناهوا عن المنكر. حتى إذا رأيت شُحّاً مطاعاً.وهوى متبعاً .ودنياً مؤثرة وإعجاب كل ذي رأي برأيه ورأيت أمراً لا يدان لك به،فعليك خويِّصة نفسك ،ودع أمر العوام؟ فإن من ورائكم أيام الصبر ، صَبْرٌ فيهن على مثل قبض الجمر،للعامل فيهن مثل أجر خمسين رجلاً يعملون بمثل

---

(١) المتواري ص٤٢١ ، وانظر بتعليق قريب منه : مناسبات تراجم البخاري لا بن جماعة ص١٣٨.

(٢) كتاب الفت من سنن ابن ماجة باب رقم (٢١).

(٣) أبو أمَّية الشعباني الدمشقي :أسمه يحمد بضم التحتانية وسكون المهملة وكسر الميم وقيل بفتح أوله والميم وقيل أسمه عبد الله ،مقبول، روى عن معاذ وأبي ثعلبة وعنه عمرو بن جارية وعبد الملك بن سفيان ،قال أبا حاتم أدرك الجاهلية .انظر :التقريب ص ١١١٠، التهذيب (١٢/ ١٧).

(٤) أبو ثعلبة الخشني : صحابي معروف مشهور بكنيته ،واختلف في أسمه واسم أبيه اختلافاً كثيراً ،فقيل : اسمه جرهم وقيل جرثوم وقبل ابن ناشم وقيل ابن ناشر وقيل عمرو بن جرثوم ، ولم يختلف في صحبته ولا في نسبته إلى خشينة ، روى عنه أبو إدريس الخولاني وأبو أمية الشعباني ، وكان ممن بايع تحت الشجرة وضرب له بسهم بخيبر ، وأرسله النبي ﷺ إلى قومه فاسلموا ' مات وهو ساجد سنة خمس وسبعين .انظر:الاستيعاب لابن عبد البر (بهامش الإصابة ٤/ ٢٧)،الإصابة (٤/ ٢٩)،أسد الغابة (٥/ ١٥٤).

عمله"[(١)] أ.هـ.

ثانياً: تقديم الآيات في الاستدلال على الأحاديث النبوية بعد ذكر الترجمة:

وقد التزم أهل السنة في جوامعهم بالمنهج وهو تقديم كتاب الله ثم سنة رسول الله ﷺ تقديمهم للقرآن لأنه أشرف وأعلى منزلة وإلا فالكل حجة يعمل به.

ولكن قد يخرجون عن الترتيب عند الحاجة وسيأتي بيانها فيما بعد، وقد يذكرون الاستدلال بالآية قبل الأحاديث بسند عن أحد السلف أو يذكرونها سرداً بعد الترجمة —وهذا هو الغالب– كما هو صنيع الإمام البخاري.

الأمثلة هذا النوع:

المثال الأول: الدارمي في فضائل القرآن.

عقد الإمام الدارمي باباً في سننه في فضائل القرآن بعنوان: "باب القرآن كلام الله "[(٢)].

وأورد تحته آثراً بسنده عن قتادة قال: ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ﴾[البقرة: ٢٦] قال: " أي يعلمون أنه كلام الرحمن "[(٣)] أ.هـ.

ثم ذكر بعده الأحاديث المرفوعة.

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجة في الفتن في الباب المذكور برقم (٤٠٦٣) (٢/ ٣٨٤). وأخرجه: الترمذي في التفسير باب (٦) برقم (٣٠٥٨) السنن (٥/ ٢٤٠). وأبو داود في الملاحم —باب الأمر والنهي في السنن (٤/ ١٢٣) برقم (٤٣٤١). والطبري في التفسير (٧/ ٩٧). والبيهقي في السنن (١٠/ ٩٢).

وأبو نعيم في الحلية (٢/ ٣٠) في ترجمة (أبي ثعلبة الخشني). والبغوي في شرح السنة (١٤/ ٣٤٧) برقم (٤١٥٦) في باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وأورده السيوطي في الدرر المنثور (٣/ ٢١٥٩) وعزاه لابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وأبي الشيخ وابن مردوية والحاكم وصححه. وأخرجه ابن حبان في صحيحه كما في الإحسان لابن بلبان (٢/ ١٠٨) كتاب البر والإحسان – باب ذكر إعطاء الله جل وعلا العامل بطاعة الله ورسوله في آخر الزمان أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله برقم (٣٨٥). وضعفه الألباني كما في ضعيف أبي داود برقم (٤٣٤١) وضعيف ابن ماجة (٨٦٩) وصحح آخر ألفاظه وهي (فإن من ورائكم ...) وانظر السلسلة الصحيحة برقم (٤٩٤).

(٢) سنن الدارمي (٢/ ٥٣٢).

(٣) أخرجه: الدارمي في كتاب فضائل القرآن في الباب المذكور برقم (٣٣٥٢). والطبري في التفسير (١/ ١٨٠).

وأورده السيوطي في الدر المنثور (١/ ١٠٤) وعزاه لعبد بن حميد.

وقد يقدم الآية لأنها أوضح في المراد كما هو الحال في :

المثال الثاني : البخاري في الإيمان :

عقد الإمام البخاري في كتاب الإيمان باباً بعنوان :

"باب أمور الإيمان " [١].

وذكر بعدها آية قرآنية فقال :"وقول الله تعالى : ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ . . .﴾ [البقرة : ١٧٧] "[٢] وهذا كثير .

ثالثاً: الاستدلال بالآيات القرآنية عقب الأحاديث : لتصديقها وتأكيد ما جاء فيها من أحكام :

كما ذكرنا سابقاً أن الأصل هو تقديم القرآن ، ولكن قد يؤخر إذا اضطر المؤلف كأن يكون الحديث ظاهر الدلالة ، فيأتي بالآية بعده تصديقاً وتأكيداً لما ورد فيها من أحكام ، وغالباً ما يكون هذا الاستدلال إدراج من كلام راوي الحديث وليس من ألفاظ النبي ﷺ.

المثال على هذا النوع :ابن ماجة في الزهد

أورد الإمام ابن ماجة حديثاً مرفوعاً عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال : قال رسول الله ﷺ :" يقول الله عز وجل : أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر " أ.هـ.

قال أبو هريرة رضي الله عنه:" ومن بَلْهَ ما قد أطلعكم الله عليه . اقرأوا إن شئتم:﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [السجدة :١٧] ".أ.هـ [٣].

فهذا أبو هريرة رضي الله عنه يؤكد الحكم الذي ورد في السنة بما ورد في الآية المشار إليها وهذا مدرج من قوله لا من قول النبي ﷺ .

---

(١) الإيمان باب رقم (٣).
(٢) انظر : الفتح (١/ ٦٦).
(٣) الحديث أخرجه ابن ماجة في أبواب الزهد – باب صفة الجنة برقم (٤٣٨٣) السنن (٢/ ٤٥٥). ومسلم في كتاب الجنة برقم (٢٨٢٤).

رابعاً:الاستدلال بالآية القرآنية على المسألة المستنبطة من الحديث :

وذلك إذا استنبط المؤلف من الحديث مسألة فإنه قد يستدل لهذا الاستنباط ويعضده بآية من القرآن .

مثال هذا النوع : البخاري في الإيمان :

عقد باباً بعنوان :

" باب قول النبي ﷺ: " أنا أعلمكم بالله " [١] ثم قال البخاري : وأن المعرفة فعل القلب لقول الله تعالى : ﴿ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾[البقرة : ٢٢٥]

قال الحافظ :" مراده الاستدلال بهذه الآية على أن الإيمان بالقول وحده لا يتم إلا بانضمام الاعتقاد إليه، والاعتقاد فعل القلب وقوله :﴿ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ أي بما استقر فيها ، والآية وإن وردت في الأيمان –بالفتح- فالاستدلال بها في الإيمان –بالكسر – واضح للاشتراك في المعنى ، إذ مدار الحقيقة فيهما على عمل القلب ،وكأن المصنف لمح بتفسير زيد بن أسلم، فإنه في قوله :﴿ لَّا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ ﴾[البقرة : ٢٢٥]، قال هو كقول الرجل : إن فعلت كذا فأنا كافر ، قال : لا يؤاخذه الله بذلك حتى يعقد به قلبه ، فظهرت المناسبة بين الآية والحديث وظهر وجه دخولهما في مباحث الإيمان ..." [٢] أ.هـ.

خامساً:حصرهم للآيات الواردة في المسألة العقدية :

ومن ما يبين حرص السلف على تقوية حجتهم ضد المخالفين في قضايا الاعتقاد أنهم قد يحصرون ويذكرون غالب الآيات في المسألة المستدل لها في الباب وخاصة إذا كانت من المسائل الظاهرة أو التي اشتد الصراع فيها بينهم وبين أهل البدع كقضايا الإيمان ونحوها. **الأمثلة على هذا النوع :**

١ – المثال الأول : البخاري في الإيمان

أول باب عقده الإمام البخاري في الإيمان أورد فيه الآيات الدالة على زيادة الإيمان

---

(١) الإيمان باب رقم (١٣).
(٢) الفتح (١/ ٨٩).

ونقصانه حيث قال :

٢- " وهو قول وفعل ويزيد وينقص قال الله تعالى :﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡ ﴾ [الفتح :٤]﴿ وَزِدۡنَٰهُمۡ هُدٗى ﴾ [الكهف :١٣] ﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗى ﴾ [مريم : ٧٦] ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴾ [محمد : ١٧] ﴿ وَيَزۡدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِيمَٰنٗا ﴾ [المدثر : ٣١]

وقوله ﴿ أَيُّكُمۡ زَادَتۡهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنٗاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَزَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا ﴾ [التوبة : ١٢٤]وقوله جل وعلا : ﴿ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا ﴾ [آل عمران :١٧٣] وقوله تعالى: ﴿ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ﴾ [الأحزاب : ٢٢] ..." أ.هـ(١).

وهذا يدل على عناية الأئمة بحشد الأدلة وجمعها حول المسألة التي يريدون الاستدلال بها خاصة الأدلة من القرآن .

قال ابن رجب :" وقد تلا البخاري الآيات التي فيها ذكر زيادة الإيمان ، وقد استدل بها على زيادة الإيمان أئمة السلف قديماً منهم عطاء بن أبي رباح فمن بعده .." (٢) أ.هـ.

المثال الثاني : البخاري في التوحيد :

وعقد الإمام البخاري باباً يثبت فيه العلم لله عز وجل بعنوان :

"باب قول الله تعالى :﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾[الجن :٢٦] ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾[لقمان :٣٤] ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ ﴾[النساء :١٦٦] ﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦ ﴾[فاطر :١١] ﴿إِلَيۡهِ يُرَدُّ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ ﴾ [فصلت :٤٧] " أ.هـ (٣) .

فالإمام هنا سرد هذه الآيات ليرد على الذين ينكرون علم الله سبحانه ويظهر فيها اعتقاد أهل السنة والجماعة بأقوى حجة وأوضح سبيل ألا وهو القرآن الكريم .

سادساً: الاستدلال بالآيات القرآنية لتأييد المعنى اللغوي :

---

(١) الفتح (١/ ٦٠) كتاب الإيمان باب رقم (١).

(٢) فتح الباري للحافظ ابن رجب (١/ ٨).

(٣) الفتح (١٣/ ٣٧٤) كتاب التوحيد باب رقم (٤).

ومن الحالات التي يستدل بها المصنف بالآيات القرآنية حينما يورد معنىً لغوياً فيستدل له بآيات من القرآن ليؤكد هذا المعنى ، والإمام البخاري يكثر من هذا النوع .

المثال على هذا النوع :

الإمام البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة :

أخرج الإمام البخاري الحديث المشهور عن علي – رضي الله عنه – قال :" طرقه وفاطمة عليها السلام بنت رسول الله ﷺ فقال لهم :"ألا تصلون ؟ " فقال علي فقلت : يا رسول الله إنما أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا ، فانصرف رسول الله ﷺ حين قال له ذلك ولم يرجع إليه شيئاً ، ثم سمعه وهو مدبر يضرب فخذه وهو يقول :" ﴿ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾[الكهف :٥٤] " أ.هـ [١].

قال الإمام البخاري معلقاً :

" يقال ما أتاك ليلاً فهو طارق ، ويقال : الطارق : النجم ، والثاقب :المضيء ، يقال : اثقب نارك للموقد " أ.هـ [٢].

فالبخاري – رحمه الله– أراد أن يبين معنى: "طرقه" الواردة في الحديث فأشار إلى الآية في سورة الطارق .

فقالَ في موضع آخر في تفسير سورة الطارق :" هو النجم وما أتاك ليلاً فهو طارق . النجم الثاقب : المضيء " [٣] أ.هـ.

قال الراغب :"والطارق : السالك للطريق ، لكنْ خُصَّ في التعارف بالآتي ليلاً فقيل : طرق أهله طروقاً ، وعبر عن النجم بالطارق لاختصاص ظهوره بالليل قال تعالى :﴿والسماء والطارق ﴾...." [٤]أ.هـ.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة باب " وكان الإنسان أكثر شيءٍ جدلاً " برقم (٧٣٤٧).

(٢) الفتح (١٣/ ٣٢٦).

(٣) في كتاب التفسير – سورة الطارق الفتح (٨/ ٥٦٨).

(٤) المفردات (مادة طرق) ص٥١٨.

سابعاً: نقلهم استدلال السلف بالآيات :

ومن الطرق التي ينهجها الأئمة في الاستدلال بالآيات القرآنية ، أنهم ينقلون عن السلف استدلالهم ببعض الآيات إكمالاً للمعنى الوارد في الباب ، أو تأكيداً له أو توضيحاً لمسألة أو نحو ذلك وإليك الأمثلة :

المثال الأول : أبو داود في الفتن والملاحم .

أورد الإمام أبو داود أثراً عن ابن عباس في باب " تعظيم قتل المؤمن " [(١)] .

وجاء فيه عن سعيد بن جبير قال :" سألت ابن عباس فقال : لما نزلت التي في الفرقان :﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الفرقان : ٦٨] قال مشركوا أهل مكة : قد قتلنا النفس التي حرّم الله ودعونا مع الله إلهاً آخر وأتينا الفواحش فأنزل الله :﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ﴾[الفرقان :٧٠]، فهذه لأولئك ، قال : وأما التي في النساء :﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾[النساء : ٩٣] الآية ،قال : الرجل إذا عرف شرائع الإسلام ثم قتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم لا توبة له ، فذكرت هذا لمجاهد ،فقال : إلا من ندم " [(٢)] أ.هـ.

فالإمام هناك أورد الاستدلال بهذه الآيات عن السلف ولم ينقل من المرفوع شيئاً ، ولكن قد يقال إن تفسير الصحابي قد يأخذ حكم المرفوع إذا كان بياناً لسبب نزول الآية [(٣)] .

المثال الثاني :ابن ماجة في الإيمان .

---

(١) السنن (٤/ ١٠٣). كتاب الفتن والملاحم.

(٢) أخرجه: أبو داود في كتاب الفتن –باب في تعظيم قتل المؤمن برقم(٤٢٧٣)(٤/ ١٠٤).والطبري في التفسير عن سعيد بن جبير عن ابن أبزى عن ابن عباس (١٩/ ٤٢).وصححه الألباني كما في صحيح أبي داود (٣/ ١٤)برقم(٤٢٧٠).والأثر أورده السيوطي في الدر المنثـ ٦٢)وعزاه إلى عبد بن حميد والبخاري والحاكم وابن مردويه.

(٣) انظر: شرح العراقي على ألفيته ص٥٩.تحقيق وتعليق الاستاذ محمود ربيع ط.عالم الكتب الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ، تدريب الراوي (١/ ١٩٢) .

أخرج الإمام ابن ماجه في المقدمة في باب الإيمان حديثاً مرفوعاً عن أنس -رضي الله عنه- قال:" قال رسول الله ﷺ :"من فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده ، وعبادته لا شريك له وأقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ،مات والله عنه راض " [(١)] أ.هـ.

قال أنس :"وهو دين الله الذي جاءت به الرسل وبلَّغوه عن ربهم قبل هرج الأحاديث واختلاف الأهواء ،وتصديق ذلك في كتاب الله - عز وجل - في آخر ما نزل: ﴿فإن تابوا﴾ (قال: خلع الأوثان وعبادتها) ﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [التوبة : ٥]،وقال في آية أخرى :﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾[التوبة : ١١]" أ.هـ [(٢)].

فالإمام نقل استدلال بالآيات تصديقاً وتأكيداً لما في الحديث النبوي وقد نص الإمام الذهبي على أنه مدرج من كلام أنس وليس من المرفوع حيث قال :"صور الخبر مرفوع و سائره مدرج فيما أرى " [(٣)] أ.هـ.

مسائل متعلقة بهذا المبحث :

أولاً : السلف -رحمهم الله- كانوا ينوعون طرائقهم في الاحتجاج والاستدلال بالقرآن غير ما ذكرنا ، مثل :عقدهم كتباً لتفسير القرآن في جوامعهم ، وقد يعلقون على الآيات التي تتضمن أحكاماً في مسائل الاعتقاد .

ثانياً :لم يكثر المتقدمون من إدخال الآيات القرآنية ضمن الجوامع خشية اختلاطه بالسنة وكانوا قريبي عهد بجمع القرآن الكريم .

ثالثاً : ما سبق ذكره ليس للحصر وإنما هو بيان لأهم طرقهم مع التمثيل ببعض الأمثلة .

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجة في المقدمة -باب الإيمان (١/ ١٥) برقم (٥٨) .
والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٣٢) وقال :"هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه "أ.هـ.ووافقه الذهبي .
والحديث ضعفه الألباني كما في ضعيف ابن ماجه ص٧ برقم (١٢)،وفي ضعيف الجامع برقم (٥٧٣١).
(٢) سنن ابن ماجة (١/ ١٥).
(٣) تلخيص المستدرك بهامش مستدرك الحاكم (٢/ ٣٣٢).

ب-السنة النبوية (الأحاديث المرفوعة وما في حكمها):

تعريف السنة :

تقدم التعريف بها في التمهيد في اللغة والاصطلاح .

وهذا الأصل الثاني الذي استمد منه السلف أمور دينهم وعلى رأسها القضايا العقدية وبرز هذا واضحاً في جوامعهم الحديثية التي صنفت حتى تكون مرجعاً ومصدراً للأمة في عقيدتها وعبادتها ومعاملاتها وسائر شؤونها .

طرائقهم في الاحتجاج والاستدلال بالسنة من خلال جوامعهم :

تقدم في مبحث الترجمة بلفظ الحديث جانباً من هذه المسألة التي نحن بصددها ولعل نجمل الحديث هنا طالما فصلنا الحديث فيها مسبقاً :

أ- عقدهم أبواباً فيها الحث على تعظيم السنة واتباع النبي والتمسك بهديه :

وهذه القضية وهي الحث على التمسك بالسنة والأمر بالاتباع لهدي المصطفى ﷺ وتعظيم ما ثبت عن النبي ﷺ ظهرت جلية في الأبواب التي عقدها الأئمة في ذلك وإليك الأمثلة :

١- أبواب لزوم الجماعة وهذه كثيرة مثل ماورد في :

جامع معمر [(١)].

سنن سعيد ابن منصور [(٢)].

سنن الدارمي [(٣)].

٢- الأبواب التي فيها الأمر بلزوم السنة والتمسك بها :

ابن ماجة في سنن عقد الأبواب التالية :

-باب اتباع سنة رسول الله ﷺ [(٤)].

---

(١) جامع معمر المصنف (١١/ ٣٣٩).

(٢) سنن سعيد بن منصور (مخطوط :ل١٩٨/ أ).

(٣) سنن الدارمي كتاب السير (٢/ ٣١٤) ،كتاب الرقائق (٢/ ٤١٧).

(٤) سنن ابن ماجة (١/ ٥).

-باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ والتغليظ على من عارضه [١].

-باب سنة الخلفاء الراشدين [٢].

-باب اجتناب الرأي والقياس [٣].

أبو داود في سننه في كتاب السنة عقد الأبواب التالية :

-باب لزوم السنة [٤].

-باب من دعا إلى السنة [٥].

الإمام البخاري عقد كتاباً بعنوان :"الاعتصام بالكتاب والسنة " [٦]:

وأورد تحته ثمانية وعشرين باباً .

ب-روايتهم للأحاديث التي تحث على الاحتجاج والتمسك بالسنة والأمر بنشرها والدعوة إليها :

ولعلنا نذكر جملة من هذه الأحاديث التي أوردها الإمام البخاري في كتاب لاعتصام بالكتاب والسنة وهي كالتالي :

الحديث الأول : في (باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ) عن أبي هريرة ؓ قال : أن رسول الله ﷺ قال :" كل أمتي يدخلون الجنة إلّا من أبى ، قالوا : يا رسول الله ومن يأبى ؟ قال : من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى" [٧] أ.هـ.

الحديث الثاني : عن أبي هريرة ؓ:عن النبي ﷺ قال :" دعوني ما تركتم ، فإنما أهلك من كان قبلكم سؤالُهم واختلافهم على أنبيائهم ، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه ، وإذا أمرتكم بشيءٍ فأتوا منه ما استطعتم " [٨] أ.هـ.

(١) سنن ابن ماجة (١/ ٦).

(٢) السنن (١/ ١٠).

(٣) السنن (١/ ١٢).

(٤) سنن أبي داود (٤/ ٢٠٠).

(٥) السنن (٤/ ٢٠١).

(٦) الفتح (١٣/ ٢٦١-٣٥١).

(٧) أخرجه البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة -باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ برقم (٧٢٨٠).

(٨) أخرجه البخاري في الكتاب والباب السابقين برقم (٧٢٨٨).

الحديث الثالث :أن عائشة رضي الله عنها قالت :" صنع النبي ﷺ شيئاً ترخص فيه وتنزه عنه قوم ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فحمد اله وأثنى عليه ثم قال : ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعهُ ؟ فوالله إني أعلمهم بالله وأشدهم خشية "[(١)] أ.هـ.

الحديث الرابع :عن عائشة رضي الله عنها قالت :قال رسول الله ﷺ :" من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد "[(٢)] أ.هـ.

ج- الإجماع :

ومما يدل على استيعابهم للأدلة وخاصة المصادر الأصلية ذكرهم لإجماع عن الصحابة والسلف على المسائل وهذا نوع من استيعاب الأدلة .

تعريف الإجماع :

الإجماع في اللغة[(٣)] : العزم المؤكد ، فيقال : أجمع فلان على السفر إذا عزم عليه ومنه قوله تعالى : ﴿ فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ﴾ [يونس : ٧١].

وكذلك الاتفاق ، وهو أقرب للمعنى الاصطلاحي .

الإجماع في الاصطلاح :

قال الشوكاني :"هو اتفاق مجتهدي أمة محمد ﷺ بعد وفاته في عصر من الأعصار على أمر من الأمور "[(٤)] أ.هـ.

الأدلة على حجية الإجماع :

قال تعالى :﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ**

(١) أخرجه البخاري في الاعتصام – باب ما يكره من التعمق والتنازع والغلو في الدين والبدع برقم (٧٣٠١).

(٢) أخرجه البخاري في الصلح – باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود برقم (٢٦٩٧).وقد ترجم البخاري في كتاب الاعتصام باباً بعنوان :" باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول من غير علم فحكمه مردود لقول النبي ﷺ: "من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد " وهذا اللفظ لمسلم .

(٣) انظر : القاموس ص٩١٧ ، لسان العرب (٨/ ٥٧). المفردات للراغب ص٢٠١،الصحاح (٣/ ١١٩٨).

(٤) إرشاد الفحول ص ٧١ ط. دار المعرفة بيروت ط.١٣٩٩هـ.

ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[النساء :١١٥].

قال شيخ الإسلام :" والشافعي –رضي الله عنه– لما جَّرد الكلام في أصول الفقه احتج بهذه الآية على الإجماع ، كما كان هو وغيره ،ومالك ذكر عن عمر بن عبد العزيز ، والآية دلت على أن متبع غير سبيل المؤمنين مستحق للوعيد ،كما أن مشاق الرسول من بعد ما تبين له الهدى مستحق للوعيد، ومعلوم أن هذا الوصف يوجب الوعيد لمجردهِ فلو لم يكن الوصف الآخر يدخل في ذلك كان لا فائدة في ذكرهِ "(1) أ.هـ.

قال تعالى :﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة : ١٤٣] .

قال شيخ الإسلام :" والوسط العدل الخيار وقد جعلهم الله شهداء على الناس ، وأقام شهادتهم مقام شهادة الرسول .... فإذا كان الرب قد جعلهم شهداء لم يشهدوا بباطل ، فإذا شهدوا أن الله أمر بشيء فقد أمر به ، وإذا شهدوا أن الله نهى عن شيء فقد نهى عنه، ولو كانوا يشهدون بباطل أو خطأ لم يكونوا شهداء الله في الأرض ..."أ.هـ بتصرف(2)

احتجاج الأئمة واستدلالهم بالإجماع في جوامعهم :

ومما يدل على استيعابهم للأدلة في الأبواب أنهم يذكرون وينقلون الإجماع عن سلف الأمة عقب سردهم للأحاديث أو في أثناء التراجم .

المثال الأول : البخاري في الاعتصام بالسنة :

عقد الإمام البخاري باباً في الكتاب المذكور بعنوان :

"باب ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ وما أمر به النبي ﷺ بلزوم الجماعة وهم أهل العلم "(3) أ.هـ.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٩/ ١٧٨-١٧٩).

(٢) مجموع الفتاوى (١٩/ ١٧٧-١٧٨).

(٣) الفتح –كتاب الاعتصام باب (١٩) (١٣/ ٣٢٨).

قال الكرماني :" قوله (بلزوم الجماعة): أي قول الجماعة وهم أهل العلم يعني يلزم على المكلف متابعة حكم الجماعة والاعتصام به وهو اتفاق المجتهدين من الأمة في عصر على أمر ديني وهذه الآية مما استدل بها الأصوليون على حجية الإجماع قالوا : عدلهم الله تعالى بقوله "وسطا" إذ معناه عدولاً فتجب عصمتهم عن الخطأ قولاً وفعلاً كبيره وصغيره "[(١)] أ.هـ.

المثال الثاني : الترمذي في الإيمان :

يكثر الإمام الترمذي من التعليق على الأحاديث يذكر اتفاق وإجماع أهل العلم على بعض قضايا الاعتقاد ومن هذه المواضع عقد باباً في كتاب الإيمان بعنوان :

" باب ما جاء لا يزني الزاني وهو مؤمن "[(٢)] أ.هـ.

ثم ذكر ما يؤيد الترجمة من الأحاديث ثم ختم الباب بقوله :

" وهذا قول أهل العلم لا نعلم أحداً كفر أحداً بالزنا والسرقة وشرب الخمر " أ.هـ[(٣)]

٢- جمعهم كل ما ورد في الباب من الصحيح والضعيف المرفوع والموقوف والمقطوع :

ومما يظهر استيعابهم للأدلة في الباب أنهم يجمعون كل ما ورد في الباب من الصحيح والضعيف –ويستثنيمن ذلك البخاري ومسلم- وذلك لعدة أمور :

أ-حتى يكون القاريء والمتعلم على دراية بما صح و ما لم يصح في الباب فلا يغتر بالضعيف الذي لا تقوم به حجة .

ب-إيرادهم لما قد ضُعف سنده ولفظه ولكن معناه صحيح تؤيده الأحاديث النبوية الآيات القرآنية .

ج-زيادة في إقامة الحجة وقطع الطريق على أهل البدع الذين قد يستدلون بمثل

---

(١)شرح الكرماني (٢٥/ ٧٥).

(٢) السنن (٥/ ١٦).

(٣) السنن (٥/ ١٨).

هذه الأحاديث الضعيفة فيحرفونها لتوافق باطلهم ، فيذكرها الأئمة مع ضعفها لبيان أنها تدل على الحق الذي معهم .

د-بيان آراء السلف ونقل فقههم وفهمهم للنصوص والأدلة وخاصة الصحابة ﷺ لأن فهم النصوص لا بد أن يكون على وفق فهمهم لأنهم هم الذين عاصروا التنزيل -رضي الله عنهم وأرضاهم -.

هـ-بيان أن هذه العقيدة هي عقيدة سلف الأمة المتقدمين وليس بأمر مبتدع لم يسبقوا إليه .

٣- جمعهم للأدلة بجميع أنواعها متواترها وآحادها في العقائد والأحكام :

لعل مما يميز السلف أثناء استيعابهم للأدلة أنهم زيادةً على احتجاجهم وجمعهم للأدلة المتواترة أضافوا إلى أبواب الاعتقاد الاحتجاج والجمع للأدلة من السنة وإن كانت آحاداً خلافاً لأهل البدع الذين لم يحتجوا بخبر الواحد .

وقد أهتم السلف بهذه القضية وهي الاحتجاج بخبر الواحد حتى وصل الأمر بالإمام البخاري أن عقد كتاباً مستقلاً بعنوان :

"كتاب أخبار الآحاد" (١).

وأورد فيه الآيات والأحاديث الدالة على وجوب الأخذ به والاحتجاج بها جاء فيه ، وقد عقد تحت هذا الكتاب ستة أبواب فرعية وهي كالتالي :

أ-باب ما جاء في إجازة خبر الواحد الصدوق في الأذان والصلاة والصوم والفرائض والأحكام .

ب-بعث النبي صلى الله عليه وسلم الزبير طليعة وحده.

ج-باب ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ﴾ [الأحزاب :٥٣] فإذا أذن له واحد جاز .

---

(١) الفتح (١٣/ ٢٤٤-٢٥٦).وقال الحافظ :"هكذا عند الجميع بلفظ "باب "إلا في نسخة الصنعاني فوقع فيها "كتاب أخبار الآحاد"أ.هـ.

د-باب ما كان يبعث النبي ﷺ من الأمراء والرسل واحداً بعد واحد .

هـ-باب وصاة النبي ﷺ وفود العرب أن يبلغوا من وراءهم.

و-باب خبر المرأة الواحدة .

ولعلنا نتكلم بالتفصيل عن هذه القضية لاحقاً -إن شاء الله -[١].

٤- جمعهم للأدلة العقلية مع النقلية :

وهذا نوع من أنواع استيعابهم للأدلة ، وذلك بأنهم لم يقتصروا على ما ورد في الأدلة النقلية من الكتاب والسنة ، بل أضافوا إليها الأدلة العقلية المستنبطة من النصوص تصريحاً أو تلويحاً .

وقد تقدم الكلام بالتفصيل عن التراجم الاستنباطية وعن عمق فهم السلف ودقة فقههم من خلال التراجم ومن خلال التعليق على النصوص فليرجع إليه ففيه الدليل الواضح والقوي على استخدامهم للأدلة العقلية في التقدير أو الرد على أهل البدع .

٥-احتجاجهم باللغة والشعر :

وكذلك مما يظهر استيعابهم للأدلة ، أنهم قد يستدلون بأقوال أهل اللغة وينقلون في ذلك الأشعار من لغة العرب التي تؤيد ما يريدونه من تقرير بعض المسائل .

الأمثلة على هذا الأمر :

المثال (حول استشهادهم بالشعر) :الإمام البخاري في التوحيد :

عقد الإمام البخاري في التوحيد باباً بعنوان :

"باب ما يذكر في الذات والنعوت وأسامي الله عز وجل "،وقال خبيب :"وذلك في ذات الإله " فذكر الذات باسمه تعالى "[٢] أ.هـ.

ثم أورد الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال :"بعث رسول الله ﷺ عشرة منهم خبيب الأنصاري فأخبرني عبيد الله بن عياض أن ابنة الحارث أخبرته أنهم حين اجتمعوا

---

(١) سيأتي الكلام عليها في الباب الثاني -الفصل الأول -المبحث الثالث المطلب الخامس (إن شاء الله).

(٢) باب رقم (١٤) الفتح (١٣/ ٣٩٣).

استعار موسى يستحد بها ، فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه قال خبيب الأنصاري :

ولست أبالي حين أُقتَلُ مسلماً على أيِّ شقٍ كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلْوٍ ممزَّعِ

فقتله ابن الحارث ،فأخبر النبي ﷺ أصحابه خبرهم يوم أُصيبوا "(١) أ.هـ. قال الحافظ :"قوله (فذكر الذات باسمه تعالى) :أي ذكر الله بلفظ الذات ، وسمعه النبي ﷺ فلم ينكره ، فصار دليلاً على جواز ذلك " (٢) أ.هـ.

والتفصيل حول إطلاق لفظة (الذات) ليس هذا موضعها (٣) .

وقد تقدمت بعض الأمثلة في مبحث بيان فقه السلف من خلال تعليقاتهم على النصوص والتراجم وذكرنا تعليقهم لبيان غريب الكلمات وأنهم قد ينقلون عن أهل اللغة شرح بعض الألفاظ فليرجع إليه (٤).

المثال (حول نقلهم كلام أهل اللغة): البخاري في التوحيد :

عقد الإمام البخاري في التوحيد باب بعنوان:

"باب قول الله تعالى عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ..." ،ثم أورد نقلاً فقال : " قال يحي : الظاهر على كل شيء علماً ، والباطن على كل شيءٍ علماً " (٥) أ.هـ.

قال الحافظ : " يحي : هذا هو ابن زياد الفراء النحوي المشهور ذكر ذلك في كتاب

---

(١) الحديث في التوحيد –باب ما يذكر في الذات والنعوت برقم (٧٤٠٢).
(٢) الفتح (١٣/ ٣٩٤).
(٣) انظر :كلام شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٦/ ٩٨-٩٩).وكلام ابن القيم في بدائع الفوائد فهو نفيس (٢/ ٧).
(٤) أورد الإمام البخاري بعض أبيات الشعر في موضع آخر غير الذي ذكرناه وذلك في كتاب الفتن – باب الفتنة التي تموج موج البحر .ثم عقب بقوله :" وقال ابن عيينة عن خلف بن حوشب :كانوا يستحبون أن يتمثلوا بهذه الأبيات عند الفتن :قال امرؤ القيس :

الحرب أول ماتكون فتيــةً يسعى بزينتها لكلِّ جهولِ
حتى إذا أشتعلت وشب خرامها ولت عجوزاً غير ذات حليلِ
شمـاءُ يُنكَر لونهـا وتغيرت مكروهة للشمِّ والتقبيلِ ."أ.هـ انظر :الفتح (١٣/ ٥٢).

(٥) الفتح (١٣/ ٣٧٤) باب رقم (٤).

معاني القرآن له "[١] أ.هـ.

٦- عرضهم لأدلة القول الراجح والمرجوح :

ومما يظهر استيعابهم وجمعهم للأدلة أنهم يوردون الأدلة التي يحتج بها من خالفهم من أهل البدع ، أو من أهل السنة فيما يسوغ فيه الخلاف في بعض القضايا التي للاجتهاد فيها مجال.

وهذا ليس هو الغالب في مصنفاتهم عند عرض مسائل الاعتقاد وعرضهم لأدلتها ، ولكن عند الحاجة لذلك أو لفائدة يراها المصنف ، أو لأن الدليل الذي استدلوا به هو دليل لأهل السنة فيما ذهبوا إليه .

ولعل ابن أبي شيبة في مصنفه من أبرز وأصرح وأوضح الأمثلة في هذه القضية حيث بلغت الأبواب عنده عدداً كبيراً جداً ، وهذا يدل على سعة علمه وفقهه ، فهو في بعض القضايا يعقد باباً ويذكر فيه رأي أصحاب القول الأول وحجتهم في ذلك ، ثم يعقد باباً لأصحاب القول الثاني وحجتهم في ذلك وقد تصل إلى أكثر من ذلك ، وقد يجمعهم في باب واحد[٢] .

ولعل من الأمثلة فيما يخص مباحث العقيدة :

المثال على هذا النوع : ابن أبي شيبة في الأدب :

عقد الإمام ابن أبي شيبة بابين فيما يخص الطيرة ، فالأول وهو الذي يرجحهُ أهل السنة لتظافر النصوص عليه تحريم التطير والطيرة وأورد في ذلك الأحاديث والآثار وجعل عنوان الباب:

" ما كان يسر حديثه من أهله "[٣].

ثم أردفه بباب آخر بعنوان :" من رخص في الطيرة "[٤] .

---

(١) الفتح (١٣/ ٣٧٥).

(٢) انظر : مقدمة تحقيق المصنف لابن أبي شيبة صـ٤٠ –٤١ للجمعة واللحيدان .

(٣) انظر: المصنف (٥/ ٣١١) باب (١٦٩).

(٤) انظر : المصنف (٥/ ٣١٢) باب (١٧٠).

وأورد فيه بعض النصوص التي قد يتمسك بها من يرى جواز الطيرة أو يظن أنها داخلة في هذا الباب كحديث " فرَّ من المجذوم فرارك من الأسد "[(١)] وما شابهها.

ولعل الإمام أراد أن يستوعب الأدلة في هذا الباب كله والله أعلم.

الإمام الترمذي ونقله لأدلة المخالفين :

تقدمت بعض الأمثلة في مبحث التعليقات التي على التراجم والنصوص وذكرنا جملة من تعليقات الإمام الترمذي التي يورد فيها بعض الأدلة التي قد يستدل بها المخالفون لأهل السنة ويرد عليهم بالنصوص والنقل عن الأئمة وخاصة في باب الإيمان فلعله يغني عن الإعادة هنا .

الإمام البخاري يشير إشارة إلى أدلة المخالفين :

ولكنه – رحمه الله – لا يكثر من هذا الأمر، وسوف نذكر – إن شاء الله الأمثلة – في الفصل الثاني من هذا الباب وهو رد على أهل البدع من خلال الجوامع الحديثية .

تنبيه :

أهل السنة يوردون الأحاديث في مظانها من الأبواب العقدية وقد يكون لأهل البدع متمسك بظواهرها كما فعلت الخوارج عند استدلالهم بالأحاديث التي أطلقت على بعض المعاصي لفظ "الكفر " فالأئمة يوردونها لبيان أن هذه الأحاديث مع غيرها مجتمعة يتضح تفسيرها الصحيح ولكن الغالب أنهم يوردونها في باب التقرير لا في باب ذكر أدلة الخصوم والله أعلم .

٧- الإشارة إلى أحاديث أخرى في الباب :

ونقصد بها : أن المؤلف قد يشير إليها ولا يصرح بها ، وكذلك لا يوردها مسندة بحيث تنسب إلى كتابه ولهذا لهم طرائق متعددة في الإشارة إلى الأحاديث الأخرى في

---

(١) الحديث أخرجه: ابن أبي شيبة في المصنف (٥/ ٣١٢) في الأدب –باب من رخص في الطيرة برقم (٢٦٣٩٩).والبخاري في الطب –باب الجذام برقم (٥٧٠٧).

الباب مثل:

أولاً : الترجمة بلفظ حديث لا يوجد في كتاب المصنف .

ثانياً : الإشارة إلى الشواهد الأخرى في نفس الباب .

ثالثاً : إيرادهم للمعلقات المرفوعة .

أولاً : الترجمة بلفظ حديث لا يوجد في كتاب المصنف :

وهذه إشارة من المصنف إلى أن هذا الباب فيه حديث آخر لم يوده المؤلف في مصنفه فلعله ليس على شرطه ، الذي يهمنا أن في هذا نوعاً من استيعاب الأدلة بحيث يشير إلى أحاديث أخرى ليست في كتابه .

المثال الأول : الإمام الدارمي في الرقائق :

عقد الإمام الدارمي باباً فيه إشارة إلى لفظ حديث بعنوان :

" باب النهي أن يقول : مطرنا بنوء كذا وكذا " (١) .

وأورد تحته حديثاً آخر وبلفظ آخر لكنه يؤدي إلى نفس الحكم الذي ترجم به ، حيث أورد الحديث بسنده عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال :" لو حبس القطر عن أمتي عشر سنين ثم أنزله لأصبحت طائفة من أمتي بها كافرين ، يقولون : هو بنوءِ مِجْدَح " (٢) أ.هـ.

قال الدارمي : المِجدَح : كوكب يقال له : الدبران (٣).

---

(١) السنن للدارمي (٢/ ٤٠٥).

(٢) الحديث أخرجه الدارمي في الرقائق –باب النهي أن يقول : مطرنا بنوء كذا وكذا (٢/ ٤٠٥)برقم (٢٧٦٢).و الإمام أحمد في المسند (٣/ ٧).و النسائي في كتاب صلاة الاستسقاء –باب كراهية الاستمطار بالكوكب (٣/ ١٦٥).والحميدي في المسند (٢/ ٣٣١) برقم (٧٥١) .وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان لابن بلبان (١٣/ ٥٠٠) برقم (٦١٣٠) في كتاب النجوم والأنواء –باب ذكر التغليظ على من قال بالاختيارات والأحكام بالتنجيم.والحديث ضعفه الألباني كما في الجامع الضعيف برقم (٤٨٠١) والضعيفة برقم (١٧٢١).

(٣) قال الحافظ في الفتح (٢/ ٦٠٨) عند الحديث برقم (١٠٣٨). :" المِجْدَح : بكسر الميم وسكون الجيم وفتح الدال بعدها مهملة ويقال بضم أوله هو: الدبران بفتح المهملة والموحدة بعدها ، وقيل سمي بذلك لا ستدباره الثريا "أ.هـ.

أما الحديث الذي أشار إليه الدارمي في الترجمة بلفظ : عن زيد بن خالد الجهني أنه قال: "صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماءٍ كانت من الليلة –فلما أن انصرف أقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا: الله ورسوله أعلم . قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ،فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب ، وأمّا من قال : بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب "(١) .

والشاهد في هذا الحديث الذي ترجمه : هو قوله ﷺ :" بنوء كذا وكذا ....".

المثال الثاني : البخاري في الأحكام :

عقد الإمام البخاري باباً – بلفظ حديث ليس في صحيحه لأنه ليس على شرطه بعنوان :

" باب الأمراء من قريش "(٢) .

قال الحافظ :" ولفظ الترجمة لفظ حديث أخرجه يعقوب بن سفيان وأبو يعلى والطبراني من طريق مسكين بن عبد العزيز حدثنا سيَّار بن سلامة أبو المنهال قال :" دخلت مع أبي علي أبي برزة الأسلمي فذكر الحديث وفي آخره ...سمعت رسول الله ﷺ يقول :" الأمراء من قريش "(٣) "أ.هـ.

ثم بيَّن الحافظ سبب عدول البخاري عن رواية هذا الحديث الذي ترجم بلفظه للباب حيث قال : " ولما لم يكن شيء منها – أي طرق وألفاظ حديث الترجمة – على شرط المصنف في الصحيح اقتصر على الترجمة وأورد الذي صح على شرطه مما يؤدي معناه في الجملة ..."(٤) أ.هـ .

---

(١) الحديث أخرجه :البخاري في الأذان –باب يستقبل الإمام الناس إذا سلَّم برقم (٨٤٦) وبرقم (١٠٣٨) ، (٤١٤٧) ، (٧٥٠٣).ومسلم في الإيمان برقم (٧١) .

(٢) الفتح (١٣/ ١٢٢) باب رقم (٢).

(٣) الفتح (١٣/ ١٢٢).

(٤)الفتح (١٣/ ١٢٣).

المثال الثالث : البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة :

عقد الإمام البخاري في كتاب الاعتصام باباً بلفظ حديثين بعنوان :

" باب إثم من دعا إلى ضلالة أو سنَّ سنة سيئة " (١) أ.هـ .

فالباب مترجم له بلفظ حديثين :

الأول :" من دعا إلى ضلالة ".

والثاني :" من سن سنة سيئة ".

وكلا الحديثين في صحيح مسلم ولكنهما ليسا على شرطه (٢) .

أما الأول فلفظه :" عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال :" من دعا إلى هدىً كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً " (٣) أ.هـ.

والثاني لفظه :" فقال رسول الله ﷺ :" من سن في الإسلام سنة حسنة فَعُمِلَ بها بعده كتب له مثل أجر من عمل بها ولا ينقص من أجورهم شيء ، ومن سن في الإسلام سنة سيئة فَعُمِلَ بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها ولاينقص من أوزارهم شيء " (٤) أ.هـ.

ثانياً : الإشارة إلى الشواهد الأخرى في نفس الباب :

بعد أن يورد المؤلف الحديث بسنده يشير عادة إلى ما ورد عن غير هذا الصحابي مما يقرر نفس معنى الحديث أو لفظه أو قريباً منه .

والذي تميز بهذا الصنيع وأكثر منها حتى لا يكاد يخلو منه باب الإمام الترمذي – رحمه الله – ولا أظن أن هذا الأمر يحتاج للتمثيل عليه لكثرة ما يصنع الإمام الترمذي

---

(١) الفتح (١٣/ ٣١٤) باب رقم (١٥).

(٢) نص عليه الحافظ في المرجع السابق.

(٣)أخرجه مسلم في كتاب العلم برقم (٢٦٧٤).

(٤) أخرجه مسلم في العلم برقم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله وسبب ورود الحديث: قصة الأعراب الذين جاءوا وبهم فاقة وحاجة .

عقب سرده للأحاديث في غالب الأبواب إن لم يكن كلها .

ولكن يندر هذا الصنيع لغيرِه وإن كان الإمام البخاري يفعله فهو قليل جداً ولا يكاد يذكر .

وهذا الصنيع يطلق عليه الأئمة في علم المصطلح " الشواهد ".

ثالثاً : إيرادهم للمعلقات المرفوعة :

ومما يظهر استيعاب الأئمة لما ورد في الباب ، أنهم يشيرون إلى بعض الأحاديث وذلك بذكرها على سبيل الاختصار معلقة بغير سند متصل إلى النبي ﷺ والذي يهمنا هو المعلقات المرفوعة .

تعريف الحديث المعلق :" هو الذي حذف من مبتدأ إسناده واحد فأكثر ولو إلى آخر الإسناد " (١) أ.هـ.

صور الحديث المعلق (٢) :

١- أن يحذف جميع السند مع إضافته لقائل : كقول البخاري :" وقال النبي ﷺ ..".

٢- أن يحذف جميع السند مع عدم الإضافة إلى قائل : كأن يحكي موقفاً أو مذهباً للسلف أو عن أحد السلف .

٣- أن يحذف جميع الإسناد إلا الصحابي .

٤-أن يحذف جميع الإسناد إلا الصحابي والتابعي .

٥-أن يحذف من حدثه ويضيفه إلى من فوقه .

حكم الحديث المعلق (٣):

الحديث المعلق ضعيف ، لأنه فقد شرطاً من شروط القبول ، وهو اتصال السند بحذف راوٍ أو أكثر من أول إسناده مع عدم علمنا بحال ذلك المحذوف ، وهذا الحكم

---

(١) انظر : هدي الساري لابن حجر ص ١٩.

(٢) بتصرف من : الحديث الضعيف د. عبد الكريم الخضير ص٦٦-٦٧.

(٣) باختصار من : الحديث الضعيف ص٧٠-٧٢.

خاص بما إذا كان المعلق في كتاب لم يشترط مؤلفه الصحة ، أو اشترط ولم يفِ بشرطه ، أما إذا وجد المعلق في كتاب التزمت صحته كالصحيحين فهذا له حكم خاص .

أنواع المعلقات التي في الصحيحين وحكمها والأمثلة عليها :

٣- **هذا لا يخلو من حالين :**

٤- -**الحال الأولى** : ما كان معلقاً وجاء موصولاً في الكتاب نفسه وهذا هو الكثير الغالب على معلقات الصحيحين .

٥- وسبب التعليق : أنه كثيراً ما يحتاج إلى تكرار الحديث لتعدد ما يستفاد منه من أحكام ، فمتى احتاج إلى التكرار لجأ إلى الاختصار فعلق الإسناد خشية التطويل ، ويندر جداً أن يكون حديثاً بسنده ومتنه [(١)].

٦- **المثال على هذا النوع من أبواب الاعتقاد في البخاري :**

٧- أورد البخاري أثراً معلقاً في كتاب القدر ولفظه :

٨- وقال أبو هريرة ﷺ :" قال لي النبي ﷺ : " جَفَّ القلم على علم الله ..." [(٢)].

٩- وهذا الحديث قد وصله المصنف في كتاب الصحيح في أوائل كتاب النكاح بسنده ولفظه : " قلت يا رسول الله : إني رجل شاب ، وأنا أخاف على نفسي العنت ، ولا أجد ما أتزوج به النساء ، فسكت عني ثم قلت مثل ذلك ، فسكت عني ، ثم قلت له مثل ذلك فسكت عني ، ثم قلت مثل ذلك فقال النبي ﷺ : " يا أبا هريرة جفَّ القلم بما أنت لاقٍ ، فاختص على ذلك أو زد " [(٣)].

-**الحال الثانية** : ما لم يوجد إلا معلقاً إذا لم يوصل في موضع آخر من الكتاب وهذه لا تخلو من صورتين .

---

(١)انظر : هدي الساري ص١٩.

(٢) الفتح : (١١/ ٤٤٩) باب (٢) جف القلم .

(٣) أخرجه البخاري في النكاح – باب ما يكره من التبتل والخصاء برقم (٥٠٧٦) .وانظر : إشارة الحافظ له في مقدمة الفتح (هدي الساري) ص٦٩.

الصورة الأولى : أن يصدر الحديث المعلق بصيغة الجزم :

مثل : (قال) أو (روى) ، (أمر) (ذكر)، (حكى) فهذه الصيغة يستفاد منها الصحة إلى من علق عنه ، لكن يبقى النظر فيمن أبرز من الرجال فمنهم من هو على شرط الصحيح ، ومنهم من لا يلحق بشرطه ، أما ما كان على شرطه فلا غبار عليه ، وأما ما لا يلتحق بشرطه فقد يكون صحيحاً على شرط غيرهِ ، وقد يكون حسناً صالحاً للحجة ، وقد يكون ضعيفاً لا من جهة قدح في رجاله ، بل من جهة انقطاع يسير في إسناده .

المثال على هذه الصورة :

أورد البخاري في الإيمان حديثاً معلقاً بلفظ :" وقول النبي ﷺ :" أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة " [(١)].

قال الحافظ :" وهذا الحديث المعلق لم يسنده المؤلف في هذا الكتاب لأنه ليس على شرطه ، نعم وصله في كتاب الأدب المفرد ، وكذا وصله أحمد بن حنبل وغيره من طريق محمد بن إسحاق عن داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس وإسناده حسن " [(٢)] أ.هـ.

الصورة الثانية : أن يصدر الحديث المعلق بصيغة التمريض :

مثل (روي) ، (يُذْكَر) ، (أو في الباب عن النبي ﷺ) وما أشبهها فهذه الصيغة لا يستفاد منها الصحة ولا الضعفِ ، ففيها ما هو صحيح على شرط الصحيح ، وفيها ما هو صحيح ليس على شرطه ، وفيها ما هو حسن ، وفيها ما هو ضعيف .

وغالباً الضعيف الذي لا عاضد له يتعقبه المصنف وهو قليل جداً في الكتاب .

المثال على هذه الصورة :

أورد البخاري حديثاً في كتاب التوحيد معلقاً بصيغة التمريض ولفظه :" وُيْذكَر عن جابر عن عبد الله بن أنيس قال :" سمعت النبي ﷺ يقول يحشر الله العباد فيناديهم

(١) الفتح (١/ ١١٦) باب رقم (٢٩) باب الدين يسر معلقاً .
(٢) الفتح (١/ ١١٧).

بصوت يسمعه من بُعد كما يسمعه من قُرب : أنا الملك أنا الديَّان "[1].

---

(١) الحديث أخرجه: البخاري معلقاً بصيغة التمريض في التوحيد – باب قول الله تعالى :﴿ ولا تنفع الشفاعة عنده﴾ . وأخرجه في صحيحه معلقاً بصيغة الجزم في العلم – باب الخروج في طلب العلم .وفي الأدب المفرد – باب المعانقة برقم (٩٧٠) (انظر: صحيح الأدب المفرد للألباني ص٣٧١ ط. دار الصديق –الجبيل ط.الأولى سنة ١٤٣٤هـ).وفي خلق أفعال العباد برقم (٤٦٣) ص١٤٩ .وأحمد في المسند (٣/ ٤٩٥).
الحاكم في المستدرك (٢/ ٤٣٨) ،(٤/ ٥٧٤) وصححه ووافقه الذهبي .وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٢٥)برقم (٥١٤).والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ١٩٦) برقم (١٣١) ، (٢/ ٢٩) برقم (٦٠٠) .
الخطيب البغدادي في الرحلة في طلب الحديث برقم (٣١) ، (٣٢) ص١٠٩ ،١١٠ .وأورده الهيثمي ي المجمع (١/ ١٣٣) وعزاه للطبراني في الكبير .وأورده الحافظ في الفتح (١/ ٢٠٩) وذكر أن له طريقين آخرين :
الأول : أخرجه الطبراني في مسند الشاميين وتمام في فوائده وقال :" إسناده صالح ".
الثاني : أخرجه الخطيب في الرحلة ، وقال :" في إسناده ضعف
وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٤/ ٣٠٧) برقم رواه أحمد بإسناده " أ.هـ. ط. بتحقيق محي الدين مستو ، سمير العطار ، يوسف بدوي ط. دار ابن كثير ط. الثانية ١٤١٧هـ .وقد بسط الكلام عليه وصححه ابن القيم في الصواعق (انظر المختصر ٤٠٣) مما لا مزيد عليه .

المطلب الثاني :اشتراط الصحة من عدمها.

١- التزام الأئمة الأحاديث مسندة في جوامعهم :

الله عز وجل لما تكفل بحفظ هذا الدين هيَّأ له الأسباب لحفظه وصيانته وقد شرَّف الله أئمة السلف في القرون المفضلة بأن كانوا هم أحد الأسباب في حفظ هذا الدين ، حيث بذلوا كل ما يستطيعون ، بل بذلوا أغلى ما لديهم وهي أنفسهم التي نذروها لله ، حيث جعلوا حياتهم كلها طلباً للحديث وجمعه والتنقيب عن حال رواته وتمييز صحيحه من سقيمه .

وأعظم أمْر عملوه لحفظ هذا الدين ، هو حرصهم على جمع حديث رسول الله ﷺ بالأسانيد عن الثقات الأثبات إلى صحابة رسول الله ﷺ حتى تكون شاهدة إلى يوم القيامة بأن هذا دين الله الذي بلغه رسوله وأصبح الإسناد هو ميزة تميزت به هذه الأمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " تَسْمَعون ويُسْمَعُ منكم ويُسْمَع مِمَّنْ يسمع منكم ..." [(١)] .وأصبح الإسناد له أهمية ومكانة كبرى في حياة السلف ويظهر هذا من خلال بعض أقوالهم. قال محمد بن سيرين :" الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال ما شاء ما شاء " [(٢)] أ.هـ.وقال ابن المبارك :" بيننا وبين القوم القوائم " [(٣)] يعني الإسناد .

وقال سفيان الثوري :" الإسناد سلاح المؤمن ، إذا لم يكن معه سلاح فبأي شيءٍ يقاتل ؟" [(٤)] أ.هـ .

---

(١) الحديث : أخرجه أبو داود في سننه كتاب العلم –باب فضل من نشر العلم برقم (٣٦٥٩)..
وأحمد في المسند (٤/ ٣٤٠) حديث رقم (٢٩٢٧) تحقيق الشيخ أحمد شاكر .والحاكم في معرفة علوم الحديث ص٦٠ .ط. دار إحياء العلوم –بيروت ط. الأولى ١٤٠٦هـ.والخطيب في شرف أصحاب الحديث ص٣٧-٣٨.
(٢) مقدمة صحيح مسلم (١/ ١٥).
(٣) المصدر السابق .
(٤) مقدمة كتاب المجروحين لابن حبان (١/ ٢٧) تحقيق محمود إبراهيم زايد ط. دار الوعي – حلب ط. الثانية ١٤٠٢هـ.وشرف أصحاب الحديث للخطيب ص٤٢.

والعناية بالإسناد كانت لأجل معرفة صحيح الحديث من سقيمه ، ولهذا كانت الميزة الأخرى التي ميزت أهل السنة في القرون الأولى وما بعدها ، أنهم إذا ثبت لديهم الحديث وصح عندهم عملوا به فهذه هي الثمرة من وراء طلبهم الإسناد ومعرفة الصحيح من السقيم لأجل العمل فرحمهم الله رحمة واسعة ، وأصبح منهجاً لهم في تعلمهم وتعليمهم ودعوتهم وعملهم .

فهذا أبو حنيفة – رحمه الله – يقول :" لا يحل لأحد أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه " [(١)] أ.هـ.

وهذا الإمام مالك -نجم السنن- يقول :" إنما أنا بشر أخطىء وأصيب ، فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوه وكل ما لم يوافق الكتاب والسنة فاتركوه" [(٢)] أ.هـ.

وهذا الإمام الشافعي –رحمه الله – يقول :" أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد "[(٣)] أ.هـ.

وهذا الإمام أحمد وهو علم لأهل السنة في التمسك بالأثر والعمل بالسنة يقول –رحمه الله – :" لا تقلدوني ، ولا تقلدوا مالكاً ولا الثوري ولا الأوزاعي ، وخذوا من حيث أخذوا " [(٤)] أ.هـ.

وهذه الجوامع تظهر لك بجلاء حرص الأئمة على معرفة السنة في شتى أبواب الدين خاصة في أبواب الاعتقاد ، حيث جمعوا كل ما وجدوه من أحاديث وآثار بالأسانيد ورتبوه على الأبواب إقامة للحجة وبياناً للمحجة –رحمهم الله – وجعلنا خير

---

(١) انظر : الانتقاء في فضائل الأئمة الفقهاء لابن عبد البر ص١٤٥ ط. دار الكتب العلمية .بيروت، وإعلام الموقعين لابن القيم (٢/ ١٩٢) وعزاها إلى أبي يوسف .

(٢) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله في باب معرفة أصول العلم وحقيقته (١/ ٧٧٥) برقم (١٤٣٥).

(٣) مناقب الشافعي لابن أبي حاتم ص٦٨.

(٤) إعلام الموقعين (٢/ ١٩٢).

خلف لخير سلف .

ولعل من أمانتهم أثناء تصنيفهم وتأليفهم للجوامع الحديثية أنهم لا يوردون هذه الأحاديث التي جمعوها وبوبوها إلّا مسندة إلى المصطفى ﷺ لكي يظهر لكل قارىء فيعرف المصدر الذي أخذ المصنف منه الحديث وكما قيل :" من أسندك فقد أحالك"

وكان الأئمة في القرنين الأول والثاني لقربهم من عصر النبوة وعدم فشوا الكذب على رسول الله ، وكان الناس على دراية بالرجال وأحوالهم لم يحتاجوا عند التصنيف للكلام على الرجال أو الحكم على الأحاديث بل يكتفون بذكر الإسناد فهو الحجة والبيان لكل من قرأه .

ولهذا تجد في المصنفات المتقدمة : كجامع معمر وابن وهب وموطأ مالك عدم نقد الرجال أو الحكم على الأحاديث لما ذكرناه سابقاً ولكن لما تأخر الزمن وكثرة الفتن وظهر الكذب على رسول الله ﷺ وبُعد الناس عن عصر الصحابة وكثرة وطالت سلسلة الإسناد احتاج الأئمة في مصنفاتهم أن يصححوا ويضعفوا ويتكلموا على الرجال كما هو الحال في السنن والصحاح في النصف الثاني من القرن الثالث ولهذا كان تأليف المسانيد متقدماً على الجوامع لأن الهدف هو جمع الحديث وإبراز الطرق والإسناد التي جاء بها هذا الحديث .

واستمر الالتزام بذكر الإسناد إلى نهاية القرن الثالث وما بعده من القرون حتى القرن السادس لأن الإسناد طال ولم ينتهِ القرن الثالث إلا وقد جمعت السنة كلها ودونت فلم يحتج بعد ذلك للإسناد .

٢- اشتراطهم والتزامهم الصحة في كتبهم :

لما بعد الناس عن عصر النبوة وكثر الكذب على رسول الله ﷺ ، نوَّع الأئمة أساليبهم في بيان صحيح الحديث من سقيمه ، ولعل من أظهر الطرق التي استعملها الأئمة أن خصصوا مصنفات مستقلة للأحاديث الصحيحة والتزموا فيها أن لايوردوا

إلا الصحيح ومنها الصحيحان .

الصحيحان والتزامهم الصحة :

لقد منَّ الله على هذه الأمة بهذين الكتابين اللذين هما أصح الكتب بعد كتاب الله عز وجل

بحيث أصبح مرجعاً ومصدراً مهماً من مصادر عقيدة المسلمين ودينهم بل إنهما أصبحا شامة في جبين أصحاب القرون الثلاثة الأولى ميّزتهم عن غيرهم لوجود هذين الكتابين في تلكم القرون .

وقد التزما بأن لا يوردا إلّا الصحيح وقد وفيا بشرطيهما ، والتزماه في الأحاديث المسندة وليس في المعلقات .

وصحح البخاري أعلى رتبة من صحيح مسلم لتشدده في شرطه ولتشدده في الأخذ عن الرواة احتياطاً وزيادة في التحري .

قال المقدسي :" ...إلا أن مسلماً أخرج أحاديث أقوام ترك البخاري حديثهم لشبهة وقعت في نفسه أخرج مسلم أحاديثهم بإزالة الشبهة ....فلما تُكّلِم في هؤلاء بما لا يزيل العدالة والثقة ترك البخاري إخراج حديثهم معتمداً عليهم تحرياً وأخرج مسلم أحاديثهم بإزالة الشبهة ..." (١) أ.هـ.

شرط البخاري ومسلم في كتابيهما :

لم ينص البخاري ومسلم على شرطهما في كتابيهما ولكن الأئمة من خلال سبرهم للأحاديث فيها وسبر رجالهما استنبطوا الشرط الذي التزماه في كتابيهما .

قال المقدسي : " أعلم أن البخاري ومسلماً ومن ذكرنا بعدهم لم ينقل عن واحد منهم أنه قال : شرطت أن أخرج ي كتابي ما يكون على الشرط الفلاني ، وإنما يعرف ذلك من سبر كتبهم فيعلم بذلك شرط كل رجل منهم ،فاعلم أن شرط البخاري ومسلم أن يخرجا الحديث المتفق على ثقة نقلته إلى الصحابي المشهور من غير اختلاف

(١)شروط الأئمة الستة للمقدسي ص٢٠ ط. دار الكتب العلمية – بيروت ط. الأولى ١٤٠٥هـ.

بين الثقات الأثبات ، ويكون إسناده متصلاً غير مقطوع ..." [١] أ.هـ.

ولعل مما يميز البخاري عن مسلم ويجعله أعلى رتبه أمرين [٢]:

الأول :عدالة الرواة .

الثاني : اتصال السند .

فأما الأول : عدالة الرواة فالبخاري رواته أكثر عدالة وذلك أن البخاري إنفرد بالإخراج عن رواة لم يرو لهم مسلم وعددهم (٤٣٥) رجلاً المتكلم فيه بالضعف منهم (٨٠) رجلاً.

والذين انفرد مسلم بإخراج حديثهم دون البخاري (٦٢٠)رجلاً المتكلم فيه فيهم (١٦٠) رجلاً على الضعف من كتاب البخاري .

وأما الثاني :

اتصال السند : فالإمام مسلم كان مذهبه أن الإسناد المعنعن له حكم الاتصال إذا تعاصر المعنعن والمعنعن عنه وإن لم يثبت اجتماعها وأمكن اللقيا والبخاري لا يحمله على الاتصال حتى يثبت اجتماعها ولو مرة واحدة . [٣]

شروط الأئمة خلا الصحيحين :

قال المقدسي :" وأما أبو داود فمن بعده فإن كتبهم تنقسم على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : صحيح وهو الجنس المخرج في هذين الكتابين البخاري ومسلم

القسم الثاني : صحيح على شرطهم ....

(١) المصدر السابق ص١٨ .

(٢) انظر : فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للسخاوي (١/ ٣١-٣٢) تحقيق علي حسين علي ط. دار الإمام الطبري ط. الثامنة ١٤١٢هـ.

(٣) صدر مؤخراً بحث نفيس للشيخ الشريف حاتم العوني أثبت فيه عدم صحة ما تناقله المتأخرون من التفريق بين شرط البخاري ومسلم فأما مسلم فقد أبان عن شرطه ،وأما البخاري فليس له نص في المسألة ، وخرج الباحث بأنه ظهر له الإجماع على ما ذهب إليه مسلم وهو عدم اشتراط العلم بالسماع بين المتعاصرين إذا كان الحديث معنعناً .وعنوان بحثه : إجماع المحدثين على عدم اشتراط العلم بالسماع في الحديث المعنعن بين المتعاصرين ط.دار عالم الفوائد ط.الأولى ١٤٢١هـ.

القسم الثالث : أحاديث أخرجوها للضدية في الباب المتقدم وأوردوها لا قطعاً منهم بصحتها وربما أبان المخرج لها عن علتها بما يفهمه أهل المعرفة"[(١)] أ.هـ.

أبو داود وشروطه في السنن :

وبعض الأئمة قد يصرح بشرطه كالإمام أبي داود حيث قال :" وما كان في كتابي من حديث فيه وهم شديد فقد بينته ، ومنه لا يصح سنده وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح وبعضها أصح من بعض "[(٢)] أ.هـ.

وقال أيضاً :" وليس في كتاب السنن الذي صنفته عن رجل متروك الحديث شيء "[(٣)] أ.هـ.

يقول الحافظ ابن حجر : " وفي قول أبي داود (وما كان فيه وهن شديد بينته) ما يفهم أن الذي فيه وهن غير شديد أنه لا يبينه "[(٤)] أ.هـ.

أما سكوته وهو قوله :" وما لم أذكر فيه شيئاً فهو صالح " أ.هـ.

فقد اختلف العلماء في حكمه عليها ، فبعضهم حكم عليها بالحسن وبعضها فسَّر قوله "صالح " أي للاعتضاد والاستشهاد أي فيه ضعف يسير .

ولكن الراجح هو ما قرره الحافظ ابن حجر حيث يقول :" فلا يتجه الحكم لأحاديث هؤلاء بالحسن من أجل سكوت أبي داود لأن سكوته تارةً يكون اكتفاء بما تقدم له من الكلام في ذلك الراوي في نفس كتابه ، وتارةً يكون لذهولٍ منه ، وتارةٍ يكون لشدة وضوح ضعف ذلك الراوي واتفاق الأئمة على طرح روايته ،وتارةً يكون من اختلاف الرواة عنه وهو الأكثر "[(٥)] أ.هـ.

الترمذي وشرطه في جامعه :

---

(١) شروط الأئمة الستة ١٩-٢٠.

(٢) رسالة أبي داود إلى أهل مكة في وصف سننه ص٢٧ تحقيق د.محمد لطفي الصباغ .

(٣) المصدر السابق ص٢٦.

(٤) النكت على ابن الصلاح (١/ ٤٣٥).

(٥) النكت لابن الصلاح (١/ ٤٣٥-٤٤٠).

قال المقدسي :" وأما أبو عيسى الترمذي –رحمه الله – فكتابه على أربعة أقسام قسم صحيح مقطوع به وهو ما وافق فيه البخاري ومسلماً، وقسم على شرط الثلاثة دونهما كما بينا (عند ذكر شروط الأئمة خلا الصحيحين) وقسم أخرجه للضدية وأبان عن علته ولم يغفله ، وقسم رابع أبان هو عنه فقال : (ما أخرجت في كتابي إلا حديثاً قد عمل به بعض الفقهاء) ،وهذا شرط واسع ، فإن على هذا الأصل كل حديث احتج به محتج أو عمل بموجب عامل أخرجه سواء صح طريقه أو لم يصح ، وقد أزاح عن نفسه الكلام فإنه شفى في تصنيفه وتكلم على كل حديث بما يقتضيه ..." (١) أ.هـ.

الإمام سعيد بن منصور في سننه: (٢)

لعلنا نأخذ مثالاً على ما سبق ذكره –من التزام الأئمة بالصحة واشتراطهم ذلك في كتبهم– سنن سعيد بن منصور ، وكل ما سوف ننقله هو من الدراسة التي قام بها فضيلة الدكتور سعد الحميد في مقدمة تحقيق للسنن ومما جاء فيها :

-الأحاديث التي قام بتحقيقها والحكم عليها : (٨٦٣) حديثاً وأثراً .

-الأحاديث المقبولة فيها (الصحيح والحسن والضعيف المنجبر) : (٦٢٦) حديثاً وأثراً. -الأحاديث المردودة (ضعيف وضعيف جداً) : (٢٦٨) حديثاً.

يعني أن المقبول فيها نسبته لما حقق (٧٠ ٪) .

والمردود منها نسبته لما حقق (٣٠٪).

- **مراتب الحديث الصحيح الذي التزم الأئمة به في كتبهم :**

قال الحافظ العراقي :

وأرفع الصحيح مرويهما   ثم البخاري فمسلم فما
شرطَهما خوى فشرط الجعفي   فمسلمٍ فشرط غيرٍ يكفي (٣)

وخلاصة هذه المراتب :

---

(١)شروط الأئمة الستة ص٢١.

(٢) مقدمة سنن سعيد بن منصور للشيخ الحميد ص١٩٥ ومابعدها .

(٣) فتح المغيث للسخاوي (١/ ٤٨).

(الأول) : ما أخرجه الشيخان أو أتفقا عليه .

(الثاني): ما أخرجه البخاري فقط .

(الثالث): ما أخرجه مسلم فقط .

(الرابع): ما كان على شرط الصحيحين .

(الخامس): : ما كان على شرط البخاري .

(السادس): ما كان على شرط مسلم .

(السابع): ما كان صحيحاً على غير شرطها ما أخرجه الأئمة في كتبهم .

٣-حكمهم على الأحاديث التي أخرجوها في كتبهم :

وهذا نقصد به ما خلا البخاري ومسلم من أصحاب الجوامع ، فإن من طرائقهم في بيان الحديث الصحيح من غيره أنهم يحكمون على هذه الأحاديث في كتبهم وذلك بطرق متعددة :

- **الطريقة الأولى : الحكم صراحة على الحديث :**

كأن يصرح بأن هذا الحديث صحيح أو ضعيف أو نحو ذلك ، وهذا النوع برز فيه الإمام الترمذي فإنه لا يذكر حديثاً إلا وقد حكم عليه بالحسن أو الصحة أو بهما أو بغيره من الأحكام .

وكذلك الإمام أبو داود كما مر معنا أنه قال :" وما فيه وهن شديد بينته " أ.هـ.

وأما الترمذي فكما سبق فقد قال عنه المقدسي :" وأزاح الكلام عن نفسه بأن شفى في تصنيفه وتكلم على كل حديث بما يقتضيه " [١] أ.هـ.

الأمثلة على حكم الأئمة على الأحاديث :

المثال الأول : الإمام البخاري يحكم على حديث معلق :

قد سبق أن الأحاديث المعلقة في صحيح الإمام البخاري لم يلتزم فيها الصحة ولهذا فقد حكم على بعض معلقاته بالضعف وإليك المثال :

---

(١) شروط الأئمة الستة ص٢١.

قال البخاري في كتاب الآذان – باب مكث الإمام في مصلَّاه بعد السلام :" ويذكر عن أبي هريرة ﷺ رفعه :" لا يتطوع الإمام في مكانه " ولم يصح "[(١)] أ.هـ.

فالإمام البخاري حكم بعدم صحة هذا الحديث المعلَّق .

المثال الثاني : أبو داود في السنة :

بعد أن ساق حديث الأطيط المشهور [(٢)] عقب عليه بقوله :" والحديث بإسناد أحمد بن سعيد هو الصحيح وافقه عليه جماعة منهم يحي بن معين وعلي بن المديني ..."[(٣)] أ.هـ.

المثال الثالث : الترمذي في الإيمان :

أخرج الترمذي في كتاب الإيمان – باب ما جاء في علاقة المنافق – حديثاً بسنده

---

(١) قال الحافظ في الفتح (٢/ ٣٩٠) تعليقاً على حكم البخاري على هذا الحديث :" وذلك لضعف إسناده واضطرابه تفرد به ليث بن أبي سليم وهو ضعيف واختلف عليه فيه وقد ذكر البخاري الاختلاف فيه في تاريخه وقال :" لم يثبت هذا الحديث ..." أ.هـ.

(٢) حديث الأطيط هو الحديث عن جبير بن مطعم عن أنيس قال :" جاء أعرابي فقال : يارسول الله جهدت الأنفس ...(وجاء فيه).. :"ويحك أتدري ما الله ؟ إن عرشه على سمواته هكذا – وقال بأصابعه مثل القبة عليه – وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب " أ.هـ الحديث .

أخرجه أبو داود في السنن –باب في الجهمية برقم (٤٧٢٦).والدارمي في الرد على الجهمية برقم (٧) ص٤١) وفي الرد على المريسي ص٨٩، ١٠٥؟؟؟تعدل على ط.الجديدة.والطبراني في الكبير (٢/ ١٢٨-١٢٩) برقم (١٥٤٧) ، (١٥٤٦).وابن أبي شيبة في العرش برقم (١١) ص٥٦.والآجري في الشريعة (٣/ ١٠٩٠) برقم (٦٦٧) باب ذكر السنة التي دلت العقلاء على أن الله على عرشه. واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٤) برقم (٦٥٦).وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٥٢) برقم (٥٧٥).والدار قطني في الصفات برقم (٣٨) ،(٣٩) ص٥٢.والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣١٧-٣١٩) برقم (٨٨٣).وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٥٥٤) برقم (١٩٨).وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٣٩) برقم (١٤٧).وابن منده في التوحيد (٣/ ١٨٨)برقم (٦٤٣).وابن قدامة في إثبات صفة العلو برقم (٣٠) ص٦٠-٦١ ط.؟؟.وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٤١).والبغوي في شرح السنة (١/ ١٧٥).

والحديث صحيح صححه جماعة من الحفاظ كالدارمي وابن خزيمة وابن مندة وشيخ الإسلام رد على من ضعفه انظر :بيان تلبيس الجهمية (١/ ٥٧) ، درء التعارض (٥/ ٢٢٥) ، مجموع الفتاوى (١٦/ ٤٣٥). وابن القيم رد على من ضعفه رداً شافياً في تعليقه على تهذيب سنن أبي داود (انظر عون المعبود (١٣/ ١١).

واحتج به ابن حزم وصححه انظر بيان تلبيس الجهمية (١/ ٥٧١).

(٣) سنن أبي داود (٤/ ٢٣٢).

عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله ﷺ : " إذا وعد الرجل وينوي أن يفي به فلم يفي به فلا جناح عليه " [(١)] أ.هـ.

قال الترمذي معلقاً وحاكماً على الحديث :" هذا حديث غريب وليس إسناده بالقوي ، علي بن عبد الأعلى ثقة ، ولا يُعْرَف أبو النعمان ولا أبو وقّاص وهما مجهولان " [(٢)] أ.هـ.

فهذا تعليق من الترمذي لبيان الحكم على الإسناد مع بيان العلة في تضعيفه للسند

الطريقة الثانية : بيان علة قادحة في الحديث :

قد لا يصرح الإمام بضعف الحديث ،ولكن يشير إلى علة قادحة في الحديث فيعرف أن هذا الحديث إما ضعيف ضعفاً منجبراً أو ضعفاً شديداً وهذا منهم –رحمهم الله – أداءً للأمانة حتى يعرف القارىء هذه العلة التي قد تخفى على البعض .

المثال على هذه الطريقة : الترمذي في الإيمان :

أخرج الإمام الترمذي حديثاً بسنده في كتاب الإيمان عن أبي قلابة عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ :" إن من أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله " [(٣)].

قال الترمذي معلقاً على الحديث :" هذا حديث صحيح ، ولا نعرف لأبي قلابة سماعاً من عائشة " [(٤)].

الطريقة الثالثة : الكلام على رواة الحديث جرحاً وتعديلاً:

ولعل من طرقهم في بيان درجة الحديث كلامهم على الرواة ، وهذا يكثر عند الإمام الترمذي –رحمه الله – .

---

(١) الحديث أخرجه : الترمذي في الإيمان –باب ما جاء في علاقة المنافق برقم (٢٦٣٣) (٥/ ٢١).وبنحوه أبو داود في الأدب –باب في العدة (٤/ ٢٩٩) برقم (٤٩٩٥).والحديث زيادة على تضعيف الترمذي فقد ضعفه الألباني كما في ضعيف أبي داود برقم (٤٩٩٥) ص٤٠٦.

(٢) الترمذي (٥/ ٢١) .

(٣) أخرجه الترمذي في الإيمان – باب ما جاء في استكمال الإيمان وزيادة ونقصانه برقم (٢٦١٢). وأحمد في المسند (٦/ ٤٧).والحاكم في المستدرك وصححه (١/ ٥٣) وتعقبه الذهبي بقوله "فيه إنقطاع ".

(٤) السنن (٥/ ١١).

الأمثلة على هذه الطريقة :

المثال الأول : أبو داود في كتاب المهدي :

أخرج الإمام أبو داود حديثاً بسنده عن أم سلمة ﵂ قالت :" سمعت رسول الله ﷺ يقول :"المهدي من عترتي من ولد فاطمة " [(١)].

قال أبو داود معلقاً :" قال عبد الله بن جعفر : وسمعت أبا المليح يثني على علي بن نفيل ويذكر منه صلاحاً "[(٢)] أ.هـ.

المثال الثاني : الترمذي وكثرة كلامه على الرجال :

الإمام الترمذي يكثر من الكلام على الرواة جرحاً وتعديلاً .

فأما التعديل : فانظر مثلاً :

قال عن : سُعَيْر بن الخمس [(٣)] :"ثقة عند أهل الحديث " [(٤)] أ.هـ.

وأما الجرح :فانظر مثلاً :

قال عن : المُفَضَّل بن صالح [(٥)]:"ليس عند أهل الحديث بذلك الحافظ " [(٦)] أ.هـ.

وقال عن : الإفريقي [(٧)]:"ضعيف عند أهل الحديث " [(١)] أ.هـ.

---

(١) الحديث أخرجه: أبو داود في كتاب المهدي برقم (٤٢٨٤) (٤/ ١٠٧).وابن ماجة في أبواب الفتن – باب خروج المهدي (٢/ ٤٠٣)برقم (٤١٣٧).والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٥٧).وأبو عمرو الداني في السنن الواردة في الفتن (٩٩–١٠٠)(نقلاً عن الألباني).والعقيلي في الضعفاء (٢/ ٧٦) في ترجمة زياد بن بيان الرقي عن علي بن نفيل ،وقال :" فأما من ولد فاطمة " ففي : إسناده نظر كما قال البخاري .وقال الألباني :" وهذا سند جيد رجاله كلهم ثقات وله شواهد كثيرة "أ.هـ.انظر السلسلة الضعيفة (١/ ١٨١).

(٢) السنن (٤/ ١٠٧).وعلي بن نفيل قال عنه الحافظ في التقريب ص ٧٠٦ برقم (٤٨٤٣):"لا بأس به "أ.هـ.

(٣) سُعَيْر بن الخِمس : قال الحافظ في التقريب ص٣٩٢برقم (٢٤٤٥) :" سعير آخره راء مصغر ابن الخمس بكسر المعجمة وسكون الميم ثم مهملة ، التميمي ، أبو مالك أو أبو الأحوص ، صدوق له عند مسلم حديث واحد في الوسوسة ، من السابعة " أ.هـ.

(٤) سنن الترمذي (٥/ ٧).

(٥)المفضل بن صالح : قال الحافظ في التقريب ص ٩٦٧برقم (٦٩٠٢) :"المفضل بن صالح الأسدي النخاس بالخاء المعجمة ، الكوفي، ضعيف من الثامنة "أ.هـ.

(٦) سنن الترمذي (٤/ ٦١٣).

(٧)الإفريقي :قال الحافظ في التقريب ص ٥٧٨ برقم (٣٨٨٧) :" عبد الرحمن بن زياد بن أَنْعُم بفتح أوله

وقال عن : يحي بن عبيد الله [٢] :" ضعيف عند أكثر أهل الحديث تكلم فيه شعبة.... " [٣] أ.هـ.

٤- إيرادهم للأحاديث الضعيفة :

وسوف نتحدث عن إيراد الأئمة للأحاديث الضعيفة في مصنفاتهم ونرد على من طعن في كتبهم لأجل هذا الأمر بالتفصيل -إن شاء الله- في الباب الثالث الفصل الثاني المبحث الأول فلا داعي لذكرها هنا.

=وسكون النون وضم المهملة ، الإفريقي قاضيها ، ضعيف في حفظه من السابعة "أ.هـ.

(١) السنن (٤/ ٦١٦).

(٢) يحي بن عبيد الله قال عنه الحافظ في التقريب ص١٠٦١ برقم (٧٦٤٩) :" يحي بن عبيد الله بن عبد الله بن مَوهَب بفتح الميم والهاء وبينهما واو ساكنة ، التيمي، المدني، متروك وأفحش الحاكم فرماه بالوضع ، من السادسة "أ.هـ.

(٣) السنن (٤/ ٦١٦).

المطلب الثالث : ذكرهم للآثار عن الصحابة ومن بعدهم.

تمهيد :

وقبل الحديث عن إيراد الأئمة للآثار عن الصحابة ومن بعدهم من السلف يحسن بنا أن نعرف بالخبر والأثر والفرق بينهما :

أمّا الخبر :

مرادف للحديث النبوي فيقصد به ما أضيف إلى النبي ﷺ خاصة ، وإن كان بعضهم يرى أنه للنبي وغيره ولكن الأول أشهر وهو الراجح .

قال الحافظ :" الخبر عند علماء هذا الفن مرادف للحديث " (١) أ.هـ.

أمّا الأثر :

يشمل المرفوع والموقوف أي ما ورد عن النبي ﷺ أو الصحابة الكرام .

قال السخاوي :" ولكن المحدثون – كما عزاه إليهم النووي – يطلقون الأثر على المرفوع والموقوف " (٢) أ.هـ.

وبعضهم يخص الأثر بما ورد عن الصحابة .

قال العراقي في ألفيته :

"وسَمِّ بالموقوف ما قصرته بصاحبٍ وصلت أو قطعته

وبعض أهل الفقه سمّاه الأثر وإن تقف بغيره قيِّد تبر" (٣) أ.هـ.

الفرق بينهما :

أن الخبر لا يطلق غالباً إلا على الحديث المرفوع إلى النبي ﷺ والأثر يطلق عليهما وغالباً يطلق على ما أثر عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم .

١ -أهمية معرفة أقوال الصحابة والسلف من خلال الجوامع الحديثية :

وتظهر أهمية معرفة آثار السلف والتي لآجلها أورد الأئمة آثارهم في كتبهم –

---

(١) نزهة النظر شرح النخبة لابن حجر ص١٨ ط.الفرقان ط.الثالثة .

(٢) فتح المغيث (١/ ١٢٤).

(٣) فتح المغيث (١/ ١٢٣).

مايلي :

أ-أنهم هم الذين بلَّغوا الدين عن النبي ﷺ وعاصروه فهم أعلم وأفقه الأمة بدين الله

ب-أن أقوالهم وآراءهم حجة عند عدم وجود المخالف وعند اتفاقهم وعدم ثبوت سنة في المسألة .

ج-أن فقههم واستنباطهم وآراءهم تحوي علماً كثيراً هو أولى أن ينقل للأمة من علم وفقه من أتى بعدهم ، ومن ضيعه فقد فاته علم كثير .

قال صالح بن كيسان :" اجتمعت أنا والزهري – ونحن نطلب العلم – فقلنا : نكتب السنن فكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ قال : ثم قال الزهري : نكتب ما جاء عن أصحابه فإنه سنة ، قال :فقلت أنا :لا ، ليس بسنة ، لا نكتبه قال فكتب ولم أكتب ، فأنجح وضيعت "[1] أ.هـ.

د- من خلال إيراد الأئمة للآثار في جوامعهم بالأسانيد يمكن معرفة الثابت عنهم وغير الثابت من الأقوال والآراء والمذاهب .

هـ- أن في معرفة أقوالهم التي توافق قول العالم تقوية للرأي الذي يذهب إليه ذلك العالم بخلاف الرأي الذي لم يقل به السلف رحمهم الله .

و- أن فهم السلف للنصوص الشرعية وخاصة في مسائل العقيدة يجب أن ينقل ويدون وعليه فيجب أن نعرف موقفهم ومنهجهم من النصوص حتى نفهمها مثل فهمهم ، فهم المرجع في فهم النصوص رحمهم الله ولا يتأتى ذلك إلا بمعرفة ما ثبت عنهم من خلال الجوامع الحديثية .

٢-إفراد الأئمة مصنفات خاصة بالآثار :

ومما يظهر عناية الأئمة بالآثار عن الصحابة ومن بعدهم من السلف ، أنهم أفردوها بمصنفات ، والأحاديث المرفوعة فيها ليست هي الأغلب بل الآثار أغلب عليها ، وهذا من باب تعدد الاهتمامات والاختصاصات عند السلف ، فكل إمام منهم

---

(١) انظر : تمهيد الباب الأول في أهم ما تميز به أهل السنة عن غيرهم تقدم تخريجه .

سدَّ ثغرة ، فهذا أهتم بجمع الصحيح بل أعلى درجاته كالإمام البخاري ، ومنهم من جمع الأحاديث بجميع درجاته لمعرفة كل ما ورد في الباب ويكون المتعلم على دراية بالضعيف مثل صنيع أصحاب السنن ، ومنهم من أهتم بالآثار خاصة كصنيع أصحاب المصنفات (عبد الرزاق وابن أبي شيبة) وكذلك سعيد بن منصور في سننه ، وكذلك الإمام مالك قبلهم ، وزاد عليهم الإمام مالك بذكره البلاغات (وهي الأحاديث التي يقول فيها مالك : بلغني أن رسول الله ﷺ قال : كذا) ، وقال ابن عبد البر: إنها إحدى وستون حديثاً [(١)].

أهم المصنفات في الآثار في القرون الثلاثة الأولى :

١- المصنف [(٢)] لحماد بن سلمة البصري [(٣)] ت (١٦٧)هـ.

٢- المصنف [(٤)] لوكيع بن جراح [(٥)] ت(١٩٧)هـ.

٣- المصنف [(٦)] لسفيان بن عيينة [(٧)] ت(١٩٨)هـ.

٤- المصنف [(٨)] لعبد الرزاق بن همام الصنعاني [(٩)] ت(٢١١)هـ.

---

(١) الموطآت للإمام مالك تأليف نذير حمدان ص١٩٦ ط. دار القلم- دمشق ط. الأولى ١٤١٢هـ.

(٢) انظر : الفهرست لابن النديم ص٣١٧ ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ٢٠٣) ونقل عن الحافظ في الفتح (الطبعة السلفية الأولى : ١/ ٤٤٦ ، ٩/ ٤٢١ ، ١٠/ ٣ ، ١٢/ ٨١ ، ٢٣١،٢٣٢) نقلاً عن معجم المصنفات الواردة في فتح الباري لمشهور حسن سلمان ص٣٨٧ ط. دار الهجرة ط. الأولى ١٤١٢هـ.

(٣) ستأتي ترجمته عند ذكر مصنفات السلف في الاعتقاد في آخر باب.

(٤) انظر : المسند للإمام أحمد (١/ ٣٠٨) فقد نص عليه أثناء السند ، السير (١٨/ ٢٠٣) ، زاد المعاد لابن القيم (٤/ ٢٥٧) ،(٥/ ٤٤٠، ٦٠٢)،والفتح نقلاً عن مشهور ص٣٨٨ (٩/ ١٥٦،١٨٨،٣٨٥) ، (١٠/ ٣٥٣)،(١٢/ ٣٣٦).

(٥) تقدمت ترجمته .

(٦) ذكره ابن خير في فهرسته (١/ ١٥٩) وقال إنه في (١٨) جزءً.

(٧) سفيان بن عيينة ستأتي ترجمته مفصلة عند ذكر المصنفات في الاعتقاد في آخر باب.

(٨) مصنف عبد الرزاق تقدم الكلام عليه .

(٩) تقدمت ترجمته .

٥-المصنف [١] لمحمد بن يوسف الفريابي [٢] ت(٢١٢)هـ.

٦-السنن [٣] لسعيد بن منصور [٤] ت(٢٢٧)هـ.

٧-المصنف [٥] لأبي الربيع سليمان بن داود الزهراني البصري [٦] ت(٢٣٤)هـ.

٨-المصنف [٧] لأبي بكر بن أبي شيبة [٨] ت(٢٣٥)هـ.

٩-المصنف [٩] لبقي بن مخلد الأندلسي القرطبي [١٠] ت(٢٧٦)هـ.

٣-منهج الأئمة في إيرادهم للآثار :

وقد تنوعت طرائق الأئمة أثناء إيرادهم للآثار عن السلف ولعلنا نذكر أهمها على سبيل الإجمال :

أ-ذكرهم للآثار إذا لم يكن في الباب حديث مرفوع:

مما يجعل الأئمة يوردون الآثار مسندة أو معلقة إذا لم يوجد في الباب حديث

---

(١) انظر : السير (١٨/ ٢٠٣) ، الفتح (نقلاً عن مشهور : (٢/ ٤٧٥)

(٢) **محمد بن يوسف** بن واقد بن عثمان الفريابي ،الإمام الحافظ 'شيخ الإسلام أبو عبد الله الضبي مولاهم ، سمع من :الأوزاعي والثوري وغيرهما ،وعنه :البخاري وأحمد بن حنبل وغيرهما ،قال أحمد :كان رجلاً صالحاً،صحب سفيان ،كتبت عنه بمكة ،قال أبو حاتم :ثقة صدوق .انظر :السير (١٠/ ١١٤)،الجرح والتعديل (٨/ ١١٩).

(٣) تقدم الكلام عليه .

(٤) تقدمت ترجمته .

(٥) انظر : الرسالة المستطرفة للكتاني ص٤٠.

(٦) الإمام الحافظ المقرئ المحدث الكبير ،أبو الربيع ،سليمان بن داود الأزدي العتكي الزهراني البصري ، أحد الثقات ،سمع من :مالك بن أنس وشريك القاضي وغيرهما ،وحدث عنه :البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم ،وثقه يحي بن معين وأبو زرعة الرازي والنسائي وغيرهم .انظر :السير (١٠/ ٦٧٦)،الجرح والتعديل (٤/ ١١٣).

(٧) تقدم الكلام عليه .

(٨) تقدمت ترجمته .

(٩) انظر : بغية الملتمس للعتبي ص٢٣٠ وقال :" أربى فيه على مصنف أبي بكر بن أبي شيبة ومصنف عبد الرزاق ومصنف سعيد بن منصور وغيرهما وانتظم علماً كثيراً " أ.هـ.السير (١٣/ ٢٩١) ، جذوة المقتبس للحميدي ص١٧٧ .

(١٠) بقي بن مخلد تقدمت ترجمته عند الحديث عن المسانيد .

مرفوع فرأيهم وقولهم أقوى من غيرهم .

وهذه الطريقة تكثر عند أصحاب المصنفات لتخصصهم بذكر الآثار ونقل عند غيرهم .

مثال على هذه الطريقة : عبد الرزاق في باب الحلف بغير الله :

عقد الإمام عبد الرزاق باباً بعنوان:

" الحلف بغير الله " (١) وأورد فيه آثار عن الصحابة والتابعين ولم يذكر فيه حديثاً واحداً مرفوعاً .

ب- للتأكيد على ما جاء في المرفوع من حكم شرعي :

وهذه الطريقة كثيرة حيث تذكر عقب الأحاديث المرفوعة من باب بيان أن هذا الأمر الوارد في السنة قد عمل به السلف أو قالوه زيادة في البيان والحجة .

المثال الأول : ابن ماجة في المقدمة .

عقد الإمام ابن ماجة أول باب في المقدمة بعنوان :" باب اتباع سنة رسول الله ﷺ " وأورد عدداً من الأحاديث ومنها حديث أبي الدرداء قال :" خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نذكر الفقر ونتخوفه فقال : " آلفقر تخافون ؟ والذي نفسي بيده لتُصبَنَّ عليكم الدنيا صبّاً حتى لا يزيغ قلب أحد منكم إزاغةً إلاهية، وأيم الله لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء " (٢) أ.هـ

قال أبو الدرداء :" صدق والله رسول الله ﷺ تركنا والله مثل البيضاء ليلها ونهارها سواء " (٣) أ.هـ.

فهذا الكلام والأثر عن أبي الدرداء تأكيدٌ لما جاء في الحديث .

المثال الثاني : الترمذي في الإيمان .

---

(١) المصنف (٨/ ٤٦٩).

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجة في المقدمة في الباب المذكر (١/ ٥) برقم (٤) وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة برقم (٦٨٨).وقال إسناده حسن ورجاله ثقات "أ.هـ.

(٣) السنن (١/ ٥).

أورد الإمام الترمذي في الإيمان " باب ماجاء في ترك الصلاة " الأحاديث المشهورة في كفر تارك الصلاة ثم عقبها بأثر عن عبد الله بن شقيق وهو قوله :" كان أصحاب محمد ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة "(١).

فالترمذي ذيل الباب بهذا الأثر كالتأكيد على ما جاء في الأحاديث وأنه الذي عمل به الصحابه و أفتوا به .

ج- لنقل مذاهبهم وآرائهم ومواقفهم :

ولعل الأئمة يهدفون من وراء عرض أقوالهم أن يتعرف المسلم على آرائهم ومواقفهم تجاه بعض القضايا فعلى سبيل المثال أورد الأئمة آثاراً لبعض الصحابة تبين مواقفهم أثناء الفتن فمن ذلك .

المثال الأول : الترمذي في أبواب الفتن .

أورد الإمام الترمذي في أبواب الفتن بعض ما أثر من الصحابة حول الفتن وبيان مواقفهم فأورد حديثاً عن أبي موسى قال : "حدثنا رسول الله ﷺ :" إنَّ بين يدي الساعة لهرجاً " قال قلت: يا رسول الله ماالهرج ؟ قال :" القتل القتل " فقال بعض المسلمين : يا رسول الله إنا نقتل الآن في العام الواحد من المشركين كذا وكذا فقال رسول الله ﷺ:"ليس بقتل المشركين ولكن يقتل بعضكم بعضاً حتى يقتل الرجل جاره وابن عمه وذا قرابته " فقال بعض القوم : يا رسول الله ومعنا عقولنا ذلك اليوم ؟ فقال رسول الله ﷺ :" لا تُنْزَع عقول أكثر ذلك الزمان ، ويَخْلُف له هَبَاءٌ (٢) من الناس لا عقول لهم "(٣) أ.هـ.

---

(١) الأثر أخرجه : الترمذي في الإيمان – با ما جاء في ترك الصلاة برقم (٢٦٢٢) (٥/ ١٥) وأخرجه الحاكم (١/ ٧). وصححه الألباني انظر : صحيح الترمذي (٢/ ٣٢٩) برقم (٢١١٤).

(٢) هباءُ : من الهبوة وهي : الغبرة ، ويقال لدقاق التراب إذا ارتفع : هبا يهبوا هبواً ، والهباء في الأصل : ما رتفع من تحت سنابك الخيل ، والشيء المنبث الذي تراه في ضوء الشمس ؟ .ويراد به في الحديث حثالة الناس انظر : النهاية لا بن الأثير (٥/ ٢٤١-٢٤٢) ، الصحاح ص٢٥٣٢.

(٣) الحديث أخرجه :ابن ماجه في الفتن – باب التثبت في الفتن (٢/ ٣٧٠) برقم (٤٠٠٧).وأحمد في المسند (٤/ ٣٩١-٤١٤،٤٠٦،٣٩٢).وصححه الألباني كما في صحيح ابن ماجه (٢/ ٣٥٥-٣٥٦) برقم (٣١٩٨) والسلسلة الصحيحة برقم (١٦٨٢).

ثم قال الأشعري (يعني أبا موسى) :" وأيم الله إني لأظنها مدركي وإياكم ، وإيم الله مالي ولكم منها مخرج إن أدركتنا فيها عهد إلينا نبينا محمد ﷺ إلا أن نخرج منها كما دخلنا منها "[(١)] أ.هـ.

فهذا بيان من أبي موسى لموقفه في الفتنة حين وقوعها .

المثال الثاني : ابن ماجه في الفتن أيضاً.

وأورد موقفاً آخر لأحد الصحابة في الفتن فعن أبي بردة قال :" دخلت على محمد بن مسلمة فقال : إن رسول الله ﷺ قال :" إنها ستكون فتنة وفرقة واختلاف ، فإذا كان كذلك فأتِ بسيفك أُحُداً ، فاضربه حتى ينقطع ، ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منيَّةٌ قاضية "[(٢)].

فقال محمد بن مسلمة :" فقد وقعت وفعلت ما قال رسول الله ﷺ "أ.هـ[(٣)] .

فهذا بيان لموقف محمد بن مسلمة وهو اعتزال الفتنة وخاصة لما حدث الخلاف بين علي ومعاوية .

المثال الثالث : الترمذي في الإيمان :

قال الترمذي في نهاية باب ما جاء في ترك الصلاة :" سمعت أبا مصعب المدني[(٤)] يقول :" من قال الإيمان قول يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه "[(٥)] .

---

(١) انظر: السنن (٢/ ٣٧٠).

(٢)الحديث أخرجه: ابن ماجة في الفتن – باب التثبت في الفتنة (٢/ ٣٧١) برقم (٤٠١٠) وأخرجه أحمد في المسند (٣/ ٤٩٣).وصححه الألباني كما في صحيحه برقم (١٣٨٠) .

(٣) انظر: السنن (٢/ ٣٧١).بل جاء صريحاً عند أحمد :" أن علياً بعث إلى محمد بن مسلمة فجيء به فقال : ما خلفك عن هذا الأمر ؟ قال دفع إلى ابن عمك – يعني النبي ﷺ – سيفاً فقال : " قاتل به ما قوتل العدد ، فإذا رأيت الناس يقتل بعضهم بعضاً فاعمد به إلى صخرة فافرق بها ثم إلزم بيتك حتى تأتيك منية قاضية أو يد خاطئة " قال علي : خلوا عنه ".أخرجه: أحمد (٥/ ٢٢٥-٢٢٦).

(٤) **أبو مصعب المدني** : هو أحمد بن أبي بكر القاسم بن الحارث بن زرارة بن مصعب بن عبد الرحمن بن عوف أبو مصعب الزهري المدني ، روى عن مالك الموطأ وروايته أكبر روايات الموطأ ، قال الزبير بن بكار :" مات وهو فقيه أهل المدينة غير مدافع " أ.هـ.قال ابن حزم :" في موطئه زيادة على مائة حديث وقدمه الدار قطني في الموطأ على يحي بن بكير "أ.هـ.كانت وفاته سنة ٢٤٢هـ وله (٩٢) سنة .انظر : التهذيب (١/ ١٧) التقريب ص٨٧برقم (١٧).

(٥) انظر: سنن الترمذي (٥/ ١٥).

فالإمام الترمذي نقل قول أحد السلف وفتواه فيمن لم يدخل الأعمال في مسمى الإيمان.

المثال الرابع : أبو داود في السنن .

عقد الإمام أبو داود باباً حول زيادة الإيمان ونقصانه وكان مما أورده أثراً عن الزهري عند قوله تعالى :﴿ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَٰكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات :١٤] قال - أي الزهري - : " نرى أن الإسلام الكلمة والإيمان العمل "(1) أ.هـ.

فهذا فيه نقل لمذهب ورأي الزهري حول الإسلام والإيمان والفرق بينهما وأن العمل داخل في الإيمان.

المثال الرابع : سعيد بن منصور في سننه .

عقد الإمام سعيد باباً في الشفاعة وأورد فيه الأحاديث المرفوعة وفي نهاية الباب أثراً عن أنس يبين فيه حكم من أنكر الشفاعة فقال :" عن أنس قال :" من كذَّب بالشفاعة فلا نصيب له فيها "(2) أ.هـ.

د- لتفسير ما ورد في الحديث أو الآية :

ومن الأسباب في ذكر الآثار عن الصحابة والسلف ومن بعدهم في الجوامع الحديثية الإتيان بأقوالهم لتفسير آية أو مشكل أو غامض في حديث مرفوع .

قال الحافظ :" وتفسير الصحابي أولى أن يعتمد عليه من غيره لأنه أعلم بالمراد "(3) أ.هـ.

الأمثلة على هذا النوع :

المثال الأول : البخاري في التوحيد .

عقد الإمام البخاري باباً في التوحيد بعنوان :

(١) سنن أبي داود (٤/ ٢٢١) ، وهذا ليس فيه حجة للمرجئة لأن المقصود بالكلمة الشهادتان وأن من نطق بها دخل في الإسلام ولا ينال اسم الإيمان المطلق إلا بالعمل .

(٢) الأثر أخرجه: سعيد بن منصور في سننه في باب ما جاء في الشفاعة (مخطوط (٢١٧/أ) .و الآجري في الشريعة (٣/ ١٢١١)برقم (٧٧٧).وأورده الحافظ في الفتح (١١/ ٤٣٤) وقال :" بسند صحيح ".فالأثر صحيح كما حكم عليه الحافظ .

(٣) الفتح (١/ ١٦٣).

" باب أن لله مائة اسم إلا واحدة "

ثم قال :" قال ابن عباس :" ذو الجلال : العظمةِ ، البرّ: اللطيف "أ.هـ [١].

فابن عباس يشير إلى الآية: ﴿ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ﴾[الرحمن :٢٧] والآية: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الطور : ٢٨] ففسَّر بعض أسماء الله عز وجل .

المثال الثاني : البخاري في التوحيد أيضاً .

عقد البخاري باباً في التوحيد بعنوان :

" باب ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود :٣]،﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة : ١٢٩] ثم ذكر آثاراً عن السلف تفسيراً للآيات .

قال :" قال أبو العالية :" استوى إلى الماء : ارتفع ، فسوَّاهن : خلقهن ، وقال مجاهد : استوى : علا على العرش ، وقال ابن عباس : المجيد : الكريم ، والودود : الحبيب، يقال حميد مجيد ، كأنه فعيل من حامد محمود من حمد " [٢] أ.هـ.

ثم ذكر الأحاديث التي تثبت العلو لله عز وجل واستواءه على عرشه سبحانه وتعالى ولعل الناظر في كتب التفسير من الجوامع يجد نقلاً كثيراً عنهم في تفسير الآيات فلا داعي لذكر أمثلة أخرى لجلاء ووضوح هذا النوع .

المثال الثالث : أبو داود في الفتن والملاحم .

أخرج الإمام أبو داود حديثاً في الفتن بسنده عن ابن عمر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :" يوشك المسلمون أن يحاصروا إلى المدينة حتى يكون أبعد مسالحهم [٣] سلاح " [٤]أ.هـ.

---

(١) الفتح (١٣/ ٣٨٩) باب رقم (١٢) من كتاب التوحيد .

(٢) الفتح (١٣/ ٤٢٤) كتاب التوحيد باب رقم (٢٢).

(٣) مسالحهم : المَسْلَحة : القوم يحفظون الثغور من العدو ، وسمّوا مسلحة لأنهم يكونون ذوي سلاح أو لأنهم يسكنون المسلحة وهي كالثغر والمرقب يكون فيه أقوام يرقبون العدو لئلا يطرقهم غفلة فإذا رأوه أعلموا أصحابهم ليتأهبوا له ، وجمع المسلح : مسالح .انظر : النهاية لابن الأثير (٢/ ٣٨٨) .

(٤) الحديث أخرجه: أبو داود في الفتن والملاحم باب ذكر الفتن ودلائلها (٤/ ٩٧) برقم (٤٢٥٠) وبرقم (٤٢٩٩) .وابن حبان في صحيحه كما في الاحسان لابن بلبان في التاريخ –باب ذكر الأخبار بأن المدينة

ثم أخرج عقب هذا الحديث أثراً عن الزهري مسنداً حيث قال :" وسلاح [١] قريب من خيبر " [٢] أ.هـ.

فهذا بيان وتفسير لما ذكر في الحديث من كلمة قد تكون غريبة أو نحو ذلك .

هـ- لبيان سبب نزول الآيات الخاصة بأمر الاعتقاد :

وقد ينقل الأئمة الآثار لأن فيها تصريحاً بسبب نزول الآية التي تتعلق بمباحث العقيدة وإليك هذا المثال :

المثال على هذا النوع : مسلم في القدر :

أخرج الإمام مسلم أثراً مسنداً عن أبي هريرة ﷺ قال :" جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر فنزلت :﴿ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٤٨-٤٩] " أ.هـ [٣].

=تحاصر في آخر الزمان (١٥/ ١٧٤) برقم (٦٧٧١).والحديث صحيح (انظر صحيح أبي داود للألباني (٣/ ٩) برقم (٤٢٥٠) .وصححه الأرناؤط كما في تحقيقه وتعليقه على صحيح ابن حبان وقال " إسناده صحيح على شرط البخاري ".

(١) سلاح : كأنه يوزن قطام : موضع أسفل من خيبر .انظر: معجم البلدان (٣/ ٢٦٣).

(٢) الأثر أخرجه: أبو داود في الموضع السابق برقم (٤٢٥١) وبرقم (٤٣٠٠). وصححه الألباني كما في صحيح أبي داود .

(٣)الحديث أخرجه: مسلم في صحيحه في كتاب القدر برقم (٢٦٥٦).والترمذي في القدر (٤/ ٣٩٩) برقم (٢١٥٧).

وابن ماجة في المقدمة – باب في القدر (١/ ١٨) برقم (٧١) .

الفصل الثاني

منهجهم في الرد على أهل البدع

من خلال الجوامع .

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تضمينهم الرد من خلال تراجم الأبواب .

المبحث الثاني : الرد عليهم من خلال التعليق على النصوص

المبحث الثالث : إفرادهم أبواباً وكتباً مستقلة في الرد على أهل البدع .

المبحث الأول

تضمينهم الرد من خلال تراجم الأبواب

ويشتمل على :

تمهيد :

١- صراحة العنوان في الرد على أهل البدع عموماً .

٢- صراحة العنوان في الرد على بدعة وفرقة بعينها .

٣- التراجم غير الصريحة في الرد على أهل البدع .

٤- الإشارة إلى ضعف القول المخالف من خلال الترجمة.

٥- الإشارة إلى أدلة المخالفين .

٦- الإشارة إلى الأصول التي تمسك بها أهل السنة وميَّزتهم عن أهل البدع .

تمهيد:

وقبل الحديث عن منهج الأئمة في الرد على أهل البدع من خلال الجوامع الحديثية لابد لنا أن نقف هنا عدة وقفات .

الوقفة الأولى :

أن الأئمة رحمهم الله جمعوا في مصنفاتهم الحديثية أثناء عرضهم لمسائل الاعتقاد ما بين تقرير المسائل والاستدلال وبين الرد على أهل البدع فهو منهج أصيل- أعني الرد على أهل البدع -.

الوقفة الثانية :

أن هذا الأمر – أي الرد على أهل البدع – كان الدافع له عند السلف أن فيه حماية وصيانة لدين الأمة وعقيدتها ويرونه لوناً من ألوان الجهاد ويؤجرون عليه ولهذا بذلوا الغالي والنفيس في الذب والدفاع عن هذه العقيدة .

يقول ابن القيم –رحمه الله– عن حكم الرد على أهل التأويل الباطل :" .. فكشف عورات هؤلاء وبيان فضائحهم وفساد قواعدهم من أفضل الجهاد في سبيل الله ، وقد قال النبي ﷺ لحسان بن ثابت :" إن روح القدس معك ما دمت تنافح عن رسوله "[(١)]..."أ.هـ[(٢)].

الوقفة الثالثة :

أن الناظر في الأبواب التي عقدت في الرد على أهل البدع تزداد كلما تأخر الزمان وبعد الناس عن مشكاة النبوة ، ولهذا قلت أبواب الاعتقاد والرد على المخالفين عند المتقدمين لقلة البدع وكثرت عند المتأخرين كما هو الحال في القرن الثالث لكثرتها والله المستعان .

---

(١) الحديث أخرجه: مسلم عن عائشة في فضائل الصحابة برقم (٢٤٩٠).

(٢) انظر: الصواعق المرسلة (١/ ٣٠١) بتحقيق د. علي بن محمد الدخيل الله .

١-صراحة العنوان في الرد على أهل البدع عموماً:

لما انتشرت البدع وكثر اتباعها اضطر الأئمة إلى التنويع أثناء الرد على أهل البدع ، ومن هذه الطرق والأنواع الترجمة للأبواب بالرد صراحة على أهل البدع على وجه العموم دون تخصيص لبدعة بعينها .

فمثلاً : نراهم يعقدون باباً في الرد على الجهمية ويعنون به كل من خالفهم في أبواب الصفات والقدر ونحوها ، ولا يقصدون طائفة واحدة بعينها كذلك لا يقصدون بدعة واحدة بل يضمنون الأحاديث في الباب التي فيها إثبات للصفات والرؤية والكلام ونحوها من مسائل الاعتقاد المتفرقة .

والناظر في صنيع الأئمة في جوامعهم يظهر له ذلك جلياً وإليك الأمثلة :

كتاب التوحيد أو الرد على الجهمية (عند البخاري) [١]:

وهذا أيضاً من الكتب العامة الشاملة التي تضمنت تقرير كثير من مسائل الاعتقاد والرد على طوائف وبدع كثيرة وقد بلغ عدد أبوابه (ثمانيةً وخمسين) باباً.

باب فيما أنكرت الجهمية (ابن ماجة في المقدمة) [٢] :

عقد الإمام ابن ماجة في مقدمته باباً حول ما أنكرت الجهمية وأورد فيه الأحاديث في الصفات والرؤية والضحك والكلام والنزول والعلو وإثبات اليد لله وغيرها كثير وهذه من الأبواب العامة التي رام فيها المؤلف الرد على مجموعة من البدع التي تلبست بها الجهمية المعطلة وعنوان ترجمته دلت على ذلك .

باب في الجهمية وباب في الرد على الجهمية (عند أبي داود في السنن) [٣]:

وبنفس طريقة ابن ماجة صنع الإمام أبو داود حيث عنون لباب بعنوان هام يشمل رداً على كثير من بدع المعطلة والجهمية .

---

(١) الفتح (١٣/ ٣٥٩-٥٤٧).

(٢) سنن ابن ماجة (١/ ٣٤-٣٩).

(٣) سنن أبي داود (١٤/ ٢٣١-٢٣٤).

فهذه تقريباً الأبواب العامة التي فيها صراحة الرد على أهل البدع بشكل عام وعلى مجموعة من البدع وليس بدعة بعينها .

ولعل صنيع الأئمة بهذه الطريقة طلباً للاختصار وإجمالاً للخطاب لوضوح المخالفة العقدية التي تلبس بها هؤلاء .

٢-صراحة العنوان في الرد على بدعة أو فرقة بعينها :

وحينما يشتد الخلاف بين أهل السنة وأهل البدع ويكثر الكلام حول هذه القضية ويثير أهل البدع الشبهات حول هذه البدعة يضطر أهل السنة إلى التصريح بالبدعة ويعقدون لها باباً خاصاً والتصريح كذلك بالفرقة المخالفة ولعلنا نورد ما يدل على ذلك من صنيع الأئمة :

ما ذكر في الخوارج (عند ابن أبي شيبة) [١] :

عقد الإمام ابن أبي شيبة باباً خاصاً بالخوارج لأن فتنهم كانت ظاهرة وقد تأذى منها المسلمون كثيراً حيث سفكوا الدماء واستحلوها وكذلك كانوا يبثون شبهاتهم بين المسلمين وقد ناظرهم عدد من السلف وقد تقدم الإشارة على هذا في المقدمة ولأهمية هذه القضية عقد لها باباً خاصاً مع قلة أبواب الاعتقاد عند الإمام ابن أبي شيبة .

وقد ذكر علاماتهم وموقف السلف منهم وأهم الشبهات التي كانوا يتمسكون بها ورد السلف عليهم وما ثبت عن رسول الله ﷺ في ذمهم وذم طريقتهم .

باب ذكر الخوارج (عند ابن ماجة) [٢] :

وقد ذكر الإمام الأحاديث في ذمهم وذكر صفاتهم وموقف السلف منهم .

باب في رد الإرجاء (عند أبي داود) [٣] :

عقد الإمام أبو داود باباً في الرد على بدعة المرجئة وصرح بها لخطورتها وخصهم

---

(١) المصنف لابن أبي شيبة :كتاب الجمل (٧/ ٥٥٢).

(٢) سنن ابن ماجة (١/ ٣٢).

(٣) سنن أبي داود (٤/ ٢١٩).

بالذكر لأهمية المسألة التي خالفوا فيها .

وقد ذكر تحت هذا الباب ما يدل على أن الإيمان له شعب ثم ذكر ما يدل على دخول الأعمال في مسمى الإيمان ثم ذكر حكم ترك الصلاة وأنه يخرج من الإيمان وهذا أيضاً من الرد عليهم فرحمه الله – رحمةً واسعة .

باب في الخوارج (عند أبي داود)[1]:

عقد الإمام أبو داود بابين عن الخوارج أحدهما باب في" قتل الخوارج " والآخر باب "في قتال الخوارج" ، وجعل الأحاديث في الأول عن حكم الخروج على الأئمة بالسيف ثم ذكر في الباب الثاني صفات الخوارج وما ورد في ذمهم وقتال علي لهم وموافقة الصحابة له .

باب ما جاء في القدرية (عند الإمام الترمذي)[2]:

وأورد فيه حديثاً في ذم القدرية مرفوعاً إلى النبي ﷺ عن ابن عباس رضي الله عنه حيث قال : " صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب : المرجئة والقدرية "[3] أ.هـ.

---

(١) سنن أبي داود (٤/ ٢٤١-٢٤٦).

(٢) سنن الترمذي (٤/ ٣٩٥).

(٣) الحديث : أخرجه الترمذي في كتاب القدر –باب ما جاء في القدرية (٤/ ٣٩٥) برقم (٢١٤٩) وقال :"هذا حديث غريب حسن صحيح "أ.هـ.وابن ماجة في المقدمة –باب في الإيمان (١/ ١٣) برقم (٥٠).
وابن عدي في الكامل (٥/ ١٩٤) عند ترجمته لعلي بن نزار بن حيَّان .والخطيب في تاريخه (٥/ ٣٦٨) عند ترجمته لمحمد الصباح الجرجرائي .والطبراني في الكبير (١١/ ٢٦٢) برقم ١١٦٨٢.واللاكائي في شرح أصول أعتقاد أهل السنة (٤/ ٦٤١) برقم (١١٥٦).وابن أبي عاصم في السنة برقم (٣٤٣) ،(٣٤٤) في الطبقة المحققة الجديدة .والآجري في الشريعة (٢/ ٦٩٢) برقم (٣١٠) .والطبري في تهذيب الآثار برقم (١٤٦٩).وعبد الله بن أحمد في السنة (١/ ٣٢٥) برقم (٦٦٦).وابن بطة في الإبانة (٢/ ٨٨٨) برقم (١٢٣٢) بتحقيق رضا نعسان .
قال يحي بن معين عن هذا الحديث :" وهذا حديث منكر من هذا الوجه جداً وإنما يرويه علي بن نزار شيخ ضعيف واهي الحديث عن ابن عباس "أ.هـ أنظر تاريخ بغداد (٥/ ٣٦٧-٣٦٨).وقال شارح الطحاوية (٢/ ٣٥٨):" كل أحاديث القدرية المرفوعة ضعيفة وإنما يصح الموقوف منها "أ.هـ.وقال ابن القيم (هامش عون المعبود (١٢/ ٤٥٦) :" والذي صح عن النبي ﷺ ذمهم من طوائف أهل البدع هم الخوارج ...وأما الإرجاء والرفض والقدر والتجهم والحلول وغيرها من البدع :فإنها حدثت بعد انقراض عصر الصحابة ، وبدعة القدر أدركت آخر عصر الصحابة فأنكرها من كان منهم حياً ..."أ.هـ.وقال الألباني :"ضعيف " أنظر ضعيف ابن ماجة ص٦ برقم (١٠) و(١٣).وقد جاء عن أبي هريرة وأنس وابن عمر وجابر لكنها كلها ضعيفة ضعفاً غير منجبر .

في صفة المارقة (عند الترمذي في الفتن) [(١)]:

أورد الإمام الترمذي حديثاً في صفة المارقة وهم الخوارج علق الترمذي عليه بقوله : " .. وقد روي في غير هذا الحديث عن النبي ﷺ حيث وصف هؤلاء القوم الذي يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمِّية ، إنما هم الخوارج والحرورية وغيرهم من الخوارج " [(٢)] أ.هـ.

وبهذا يظهر لنا بجلاء صراحة العناوين التي وضعها الأئمة المصرحة بذكر أهل البدع بأسمائهم وأسماء بدعهم وكل هذا بيان منهم للحق ودفاعاً عن هذه العقيدة و فضحاً لمن أراد أن يلبس على الأمة دينها من أهل البدع فرحمهم الله –رحمة واسعة –.

ولعل من الإضافات على التراجم الصريحة هو أن الأئمة أشاروا إلى بدعة الروافض والرد عليهم في الطعن في صحابة رسول الله ﷺ .

٣- التراجم غير الصريحة في الرد على أهل البدع :

ومن طرائق الأئمة في الرد على أهل البدع أنهم يشيرون إشارة غير صريحة إلى بعض البدع أو الطوائف المبتدعة ويوردون أحاديث الذي يتدبرها ويتمعن فيها يخلص أن المراد منها هو إثبات الاعتقاد الصحيح والرد على أهل البدع في قضية معينة قد لا تظهر لمن يقرأ الترجمة لأول وهلة والأمثلة كثيرة .

وسوف نذكر أهم البدع التي تعرض الأئمة بالرد عليها دون التصريح بها وذلك من خلال سردهم للأحاديث والآثار يتبين ذلك ومن أهمها ما يلي :

أولاً : بدعة القول بالقدر :

وهذه البدعة من أوائل البدع ظهوراً ، وقد أنكر عليهم الصحابة رضوان الله عليهم كابن عمر وابن عباس وجابر وغيرهم وقد سبق الإشارة إلى هذا في التمهيد لهذه الرسالة ومما يلحظ أن الأئمة من المتقدمين والمتأخرين يكادون يجمعون على التبويب حول القضاء والقدر ولعل العامل الرئيسي هو الرد على بدعة القدرية وإليك الأمثلة :

---

(١) سنن الترمذي (٤/ ٤١٧).
(٢) المصدر السابق (٤/ ٤١٨).

معمر في الجامع "باب القدر " [(١)]:

وقد أورد فيه الأحاديث في إثبات القدر على مذهب أهل السنة وأورد فيه ما يدل على الرد الجبرية وعلى نفاة القدر وذكر كذلك مواقف الصحابة من بدعة القدرية وكيف أنهم ذموهم وردوا عليهم وتبرؤوا منهم .

فهذا معمر لم يجعل الترجمة بعنوان: (**الرد على القدرية أو على الجبرية**)،ولكن نقله للأحاديث المرفوعة، وتصريح الصحابة بالرد على المخالفين دليل على أنه أورد الباب للرد على القدرية .

مالك في الموطأ (باب النهي عن القول بالقدر) [(٢)]:

وقد ذكر فيه حديث محاجة آدم وموسى ، وحديث الميثاق، وذكر فيه أثراً في ذم القدرية والحكم بقتلهم، ثم أردفه بباب جامع في القدر، وذكر فيه أحاديث تتضمن الرد على نفاة القدر.

ولعل مما يدل على أن الإمام مالك أراد بالباب الرد على القدرية النفاة الحديث الذي أخرجه بسنده :عن طاووس اليماني أنه قال :" أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون : كل شيءٍ بقدر" ،وسمعت عبد الله بن عمر ﷺ يقول : قال رسول الله ﷺ :" كل شيءٍ بقدر حتى العجز والكيْس ، أو الكيْسُ والعجز "أ.هـ.[(٣)]

ومما يدل على ما ذكرنا ، أن الإمام البخاري في خلق أفعال العباد أدرجه تحته باب بعنوان :"أفعال العباد " [(٤)] وهي المسألة التي خالف فيها القدرية المعتزلة النفاة .

وكذلك الأئمة في كتب الاعتقاد أوردوه ضمن الأبواب التي فيها الرد على القدرية

---

(١) المصنف (١١/ ١١١-١٢٦).

(٢) الموطأ (٢/ ٦٨-٧١).

(٣) الحديث أخرجه : مالك في الموطأ –باب جامع ما جاء في القدر (٢/ ٧٣) برقم (١٨٨٠) برواية الزهري. ومسلم في كتاب القدر برقم (٢٦٥٥).وأحمد في المسند (٢/ ١١٠).والبخاري في خلق أفعال العباد ص٤٠ برقم (١٢١).

(٤) خلق أفعال العباد ص٣٩.

كالآجري في الشريعة [(١)]، واللالكائي في شرح السنة [(٢)]، وابن بطة في الإبانة [(٣)] .

سعيد ابن منصور في سننه (باب ماجاء في القدر) [(٤)]:

عقد الإمام سعيد ابن منصور باب في القدر وأورد فيه الأحاديث التي فيها الرد على المخالفين في القدر وقد ختم هذا الباب بأثر عن ابن عمر قال فيه :" ذُكر لعبد الله بن عمر قوم يكذبون بالقدر قال : لا تجالسوهم ولا تسلموا عليهم ولا تعودوا مرضاهم ولا تشهدوا أخبارهم وأعلموا أني منهم بريء وهم مني براء وهم مجوس هذه الأمة " [(٥)] أ.هـ.

والأئمة أخرجوا هذا الأثر وما يماثله في أبواب المكذبين بالقدر [(٦)] فهذا فيه دليل قوي على أن مراد الإمام بهذا الباب الرد على القدرية وإن لم يصرح بذلك .

الإمام البخاري (كتاب القدر) [(٧)]:

أما الإمام البخاري فقد عقد كتاباً مستقلاً أورد فيه (١٦) باباً حول مسائل القدر وفيها ما هو رد على القدرية أو غيرها من الطوائف المخالفة كما سوف نبينه .

المثال الأول : الرد على الجبرية [(٨)]:

عقد الإمام البخاري باباً في كتاب القدر بعنوان :

---

(١) أخرجه: الآجري في الشريعة (٢/ ٨٧٠) برقم (٤٤٩).

(٢) أخرجه:اللالكائي في شرح السنة (٤/ ٦٦١) برقم (١٢٠٠).

(٣) أخرجه: ابن بطة في الإبانة الجزء الخاص بالقدر (٢/ ١٧٣) برقم (١٦٦٣) الجزء بتحقيق د. عثمان عبدالله الأثيوبي .

(٤) سنن سعيد بن منصور المخطوط (ل ٢١٧/ أ-ب).

(٥) أخرجه :سعيد بن منصور في سننه -باب ماجاء في القدر (ل٢٧/ ب).وابن بطة في الإبانة الجزء الخاص بالقدر (٢/ ١٥٢-١٥٣) برقم (١٦٠١).

(٦) انظر :الإبانة لابن بطة (٢/ ٩٥).

(٧) الفتح (١١/ ٤٨٦-٥٢٣).

(٨) الجبرية : سمو بذلك لقولهم أن العبد مجبور على أفعاله فهو كالريشة في مهب الريح فاالفعل لله والعبد محلُّه ،وهم صنفان : الجبرية الخالصة : وهي التي لا تثبت للعبد فعلاً ولا قدرة على الفعل أصلاً .والجبرية المتوسطة : هي التي تثبت للعبد قدرة غير مؤثرة أصلاً .انظر : الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٥) ، البرهان للسكسكي ص٤٢-٤٣.

" باب ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾ "[(١)].

ومما أورده حديث علي ﷺ قال :" كنا جلوساً مع النبي ﷺ ومعه عودٌ ينكت به الأرض فنكس وقال :" ما منكم من أحدٍ إلا وقد كتب مقعده من النار أو من الجنة " فقام رجل من القوم : ألا نتكل يارسول الله ؟ قال :" لا اعملوا فكل ميسَّرٌ ، ثم قرأ : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴾ [الليل : ٥] الآية " [(٢)] أ.هـ.

قال الحافظ :" وهذا الحديث أصل لأهل السنة في أن السعادة والشقاء بتقدير الله القديم وفيه رد على الجبرية لأن التيسر ضد الجبر ، لأن الجبر لا يكون إلا عن إكراه ولا يأتي الإنسان الشيء بطريق التيسير إلا وهو غير كاره له ...."[(٣)] أ.هـ.

فالبخاري –رحمه الله – من مقاصده بهذه الترجمة الرد على الجبرية وإن لم يصرح في عنوان الترجمة بذلك .

المثال الثاني : الرد على القدرية النفاة :

عقد الإمام البخاري باباً في كتاب القدر بعنوان :

" باب ﴿ وَحَرَٰمٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَآ أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ [الأنبياء : ٩٥] ﴿ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ ﴾ [هود : ٣٦] ﴿ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴾ [نوح : ٢٧] " أ.هـ[(٤)].

وأورد الإمام البخاري تحت هذا الباب حديث أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ :" إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزِّنا أدركَ ذلك لا محاله : فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق ، والنفس تمنَّى وتشتهي ،والفرج يصدق ذلك أو يكذبه " [(٥)] أ.هـ.

قال الحافظ :" قوله (والنفس تشتهي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه) ما يستدل به

---

(١) باب (٤) الفتح (١١/ ٥٠٢).
(٢) الحديث أخرجه: البخاري في القدر باب وكان أمر الله قدراً مقدوراً برقم (٦٦٠٥).
(٣) الفتح (١١/ ٥٠٦).
(٤) الفتح (١١/ ٥١١) باب رقم (٩).
(٥) أخرجه: البخاري في القدر الباب المذكور برقم (٦٦١٢).ومسلم في القدر برقم (٢٦٥٧).

على أن العبد لا يخلق فعل نفسه لأنه قد يريد الزنا مثلاً ويشتهيه فلا يطاوعه العضو الذي يريد أن يزني ويعجزه الحيلة فيه ولا يدري لذلك سبباً ، ولو كان خالقاً لفعله لما عجز عن فعل ما يريده مع وجود الطواعية واستحكام الشهوة فدل على أن ذلك فعل مقدر يقدرها إذا شاء ويعطلها إذا شاء "(١) أهـ .

ثانياً: بدعة الإرجاء :

ومن البدع التي ظهرت وانتشرت في القرن الثاني والثالث هي بدعة المرجئة والتي تصدى لها الأئمة وأفردوا لها مصنفات وعقدوا لها الأبواب والكتب ضمن الجوامع الحديثية وقد تنوعت طرائقهم في الرد عليهم تصريحاً وتلويحاً ،وقد تقدم ذكر الأبواب الصريحة في الرد عليهم ولعلنا نذكر طرفاً من الأبواب التي عقدها الأئمة وهي غير صريحة في الرد عليهم .

الإمام البخاري في كتاب الإيمان :

كثرت تراجم وأبواب كتاب الإيمان عند الإمام البخاري وتنوعت في الرد على المخالفين ولذلك سوف نقتصر على بعض المواضع ونبين فيها التراجم التي عقدت للرد على المرجئة ولم يصرح البخاري في عنوان الترجمة بذلك :

المثال الأول :

عقد الإمام البخاري باباً بعنوان :

" ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة :٥]" (٢) .

وأورد تحته حديث ابن عمر المرفوع :" أمرت أن أقاتل الناس ... "(٣) الحديث.

قال الحافظ :" ومناسبة الحديث لأبواب الإيمان من جهة أخرى وهي الرد على المرجئة حيث زعموا أن الإيمان لا يحتاج إلى الأعمال " (٤) أ.هـ.

---

(١) الفتح (١١/ ٥١٣).

(٢) الباب رقم (١٧) من الإيمان (الفتح ١/ ٩٤).

(٣) البخاري في الإيمان الباب المذكور برقم (٢٥).

(٤) الفتح (١/ ٩٥).

المثال الثاني :

عقد الإمام البخاري باباً بعنوان :

" خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر " [(١)] أ.هـ.

قال الحافظ :" هذا الباب معقود للرد على المرجئة خاصة ، وإن كان أكثر ما مضى من الأبواب قد تضمن الرد عليهم لكن قد يشركهم غيرهم من أهل البدع في شيءٍ منها بخلاف هذا " [(٢)] أ.هـ.

الترمذي (باب ما جاء في ترك الصلاة):

ومما كثر عند الأئمة الاستدلال على دخول الأعمال في مسمى الإيمان أن الرسول ﷺ قد حكم بكفر تارك الصلاة لأنه ترك العمل ومن لا عمل له لا إيمان له بخلاف المرجئة فإنهم لا يمكن أن يقولوا بكفره لأنه عندهم غير داخل في مسمى الإيمان .

وقد عقد الإمام الترمذي باباً في كتاب الإيمان بعنوان :

" ماجاء في ترك الصلاة " [(٣)]

وهو واضح في أنه يقصد الرد على المرجئة ومما يدل على ذلك أمور :

أولاً : قد استدل الإمام أبو داود فيه الرد على المرجئة حيث عقد باباً صريحاً في الرد عليهم بعنوان **"باب في رد الإرجاء "** [(٤)] ، وأورد تحته حديث جابر المرفوع : "بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة " [(٥)] وقد أورده كذلك الترمذي .

ثانياً : قال الترمذي في آخر الباب :" سمعت أبا مصعب المدني يقول :" من قال

(١) باب رقم (٣٦) الفتح (١/ ١٣٥).

(٢) الفتح (١/ ١٣٥).

(٣) الترمذي (٥/ ١٤) باب رقم (٩).

(٤) سنن أبي داود (٤/ ٢١٩).

(٥) الحديث أخرجه : مسلم في الإيمان برقم (٨٢).والترمذي في الإيمان –باب ما جاء في ترك الصلاة برقم (٢٦٢٠).وأبو داود في السنة – باب في رد الإرجاء برقم (٤٦٧٨) (٤/ ٢١٩).وابن ماجة في سننه في أبواب إقامة الصلاة والسنة فيها – باب ماجاء فيمن ترك الصلاة برقم (١٠٦٤).

الإيمان قول يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه " أ.هـ. (١)

فهذا تصريح من الترمذي إلى أن الباب هذا معقود خاصة فيمن لم يدخل العمل في مسمى الإيمان وهم المرجئة .

ثالثاً : الأئمة في كتب الاعتقاد المستقلة أوردوا هذا الحديث وعقدوا باباً لترك الصلاة ضمن أبواب الإيمان أثناء الرد على المرجئة مثل :

الإمام الآجري عقد باباً ضمن أبواب الإيمان بعنوان:

" باب ذكر كفر من ترك الصلاة " (٢).

وأورد الحديث السابق وغيره من الآثار .

ثم قال الآجري :" هذه السنن والآثار في ترك الصلاة وتضيعها مع ما لم نذكره ....وغيره مما يدل على أن الصلاة من الإيمان ومن لم يصل فلا إيمان له ولا إسلام ..." (٣) أ.هـ بتصرف.

الإمام اللالكائي عقد باباً ضمن أبواب الإيمان بعنوان :

" سياق ما روي عن النبي ﷺ في أن الصلاة من الإيمان " (٤)

أ.هـ.

وأورد فيه الحديث السابق مستدلاً به على ما سبق .

الإمام ابن بطة عقد باباً ضمن أبواب الإيمان بعنوان:

" كفر تارك الصلاة ومانع الزكاة وإباحة قتالهم وقتلهم إذا فعلوا ذلك " (٥) أ.هـ.

وأورد فيه الأحاديث في حكم تارك الصلاة ومن ضمنها حديث جابر السابق ثم قال في نهاية الباب :" فهذه الأخبار والآثار والسنن عن النبي والصحابة والتابعين كلها

---

(١)سنن الترمذي (٥/ ١٥).

(٢) الشريعة (٢/ ٦٤٤).

(٣) الشريعة (٢/ ٦٥٤).

(٤) اللالكائي (٤/ ٨١٦).

(٥) الإبانة (٢/ ٦٦٩) تحقيق رضا نعسان .

تدل العقلاء ومن كان في قلبه أدنى حياء على تكفير تارك الصلاة وجاحد الفرائض وإخراجه من الملة وحسبك من ذلك ما نزل به الكتاب ... فأي بيان – رحمكم الله – يكون أبين من هذا وأي دليل على أن الإيمان قول وعمل وأن الصلاة والزكاة من الإيمان يكون أول من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وإجماع علماء المسلمين وفقائهم الذين لا تستوحش القلوب من ذكرهم بل تطمئن إلى اتباعهم واقتفاء آثارهم –رحمة الله عليهم وجعلنا من إخوانهم "[(١)] أ.هـ.

ثالثاً : بدعة الطعن في الصحابة الكرام :

ومن البدع التي ظهرت في عصر السلف بدعة التشيع الغالي أو الرفض وهي التي يزعم أصحابها محبة آل البيت ويغلون في حبهم حتى رفعوهم فوق منزلتهم وادعوا لهم العصمة وظهر منهم كذلك الطعن في بقية الصحابة بل تكفيرهم ولعنهم إلا نفر يسير منهم وقد تصدى الأئمة لهذه البدعة الشنيعة بعدة طرق منها :

أولاً : عقد كتب وأبواب مستقلة فيها بيان لفضائل الصحابة مجملة ومفصلة وخاصة العشرة المبشرين بالجنة وفيمن يقدح فيهم الرافضة .

ثانياً : عقد أبواب فيها بيان حرمة سب الصحابة والتشنيع على من فعل ذلك والأمثلة من صنيع الأئمة كثيرة وإن لم يصرح بذكر الشيعة أو الرافضة أو أنه رد عليهم ولكن صنيعهم يدل على ذلك فإنه لم يقدح في الصحابة –وخاصة الشيخين أبي بكر وعمر وكذلك الصديقة بنت الصديق عائشة رضي الله عنها وعن أبيها –إلا الروافض من أهل البدع .

ثالثاً : يعقدون أبواب في فضل بعض آل البيت لبيان محبتهم ومنزلتهم عند أهل السنة لا كما يزعم الرافضة أن أهل السنة لا يقدرونهم حق قدرهم وكذلك للرد على النواصب[(٢)] الذين يقدحون في آل البيت . والرد على الخوارج الذين يطعنون في عثمان

---

(١) الإبانة (٢/ ٦٨٣) باختصار.

(٢) النواصب يطلق على من يبغض علياً وأصحابه ، ويدخل في هذا الاسم الخوارج بفرقهم المختلفة ،

وعلي ومن ولاهما .

الأمثلة على النوع الأول :

الأبواب والكتب المستقلة في فضائل الصحابة .

وقد عقد الأئمة أبواباً وكتباً مستقلة في بيان فضل الصحابة وإيراد الأحاديث والأثار في ذلك مثل :

البخاري عقد كتابين :

الأول :" كتاب فضائل الصحابة "(١)

الثاني :" كتاب مناقب الأنصار "(٢).

الإمام مسلم عقد كتاباً بعنوان :

"فضائل الصحابة " (٣).

ابن ماجة عقد باباً بعنوان:

"فضائل أصحاب رسول الله ﷺ " (٤).

الإمام أبو داود عقد ثلاثة أبواب :

الأول :"باب في الخلفاء " (٥).

الثاني :" باب في فضل أصحاب رسول الله ﷺ "(٦).

الثالث :" باب في استخلاف أبي بكر ﷺ"(٧).

=والرافضة تطلق هذا الاسم على من أحب أبا بكر وعمر –رضي الله عنهما – فأهل السنة عند الروافض نواصب .انظر : مجموع الفتاوى (٢٥/ ٣٠١) ، (٣/ ٧٢-٧٣) ، لسان العرب (١/ ٧٦٢) ، القاموس ص١٧٧.

(١) الفتح (٧/ ٥-١٣٦).

(٢) الفتح (٧/ ١٣٧-٣٢٥).

(٣) صحيح مسلم (٤/ ١٨٥٤-١٩٧٣).

(٤)السنن لابن ماجة (١/ ٢٠).

(٥)السنن لأبي داود (٤/ ٢٠٧).

(٦)السنن لأبي داود (٤/ ٢١٤).

(٧) السنن لأبي داود (٤/ ٢١٥).

الإمام الترمذي عقد كتاباً كبيراً بعنوان :

" المناقب "[(١)].

أورد فيه ما يقارب (٧٥) باباً بدءً بفضائل النبي ﷺ وانهاءً بمناقب البلدان .

الأمثلة على النوع الثاني :

الأبواب التي فيها النهي عن سب الصحابة والتشنيع على من فعل ذلك :

ولعل هذه الأبواب هي أقرب الأبواب إلى الذهن في أن الأئمة مرادهم فيها الرد على الرافضة –قبحهم الله– والأمثلة من الجوامع كما يلي :

المثال الأول : سعيد بن منصور في سننه :

عقد باباً بعنوان :

" باب في النهي عن سب أصحاب النبي ﷺ واللعنة على من سبهم "[(٢)].

المثال الثاني : الإمام أبو داود في السنة :

عقد باباً ضمن السنن بعنوان :

" باب في النهي عن سب أصحاب النبي ﷺ "[(٣)].

الأمثلة على النوع الثالث :

الأبواب التي في فضل آل البيت وعثمان ومن والاهما وأهل صفين أما النواصب فإنهم يبغضون علياً وآل بيته ويجعلونه فاسقاً ولا يكفرونه :

قال شيخ الإسلام :" الخوارج الذين يكفرون علياً والنواصب الذين يفسقونه يقولون إنه كان ظالماً طالباً للدنيا ، وإنه طالب الخلافة لنفسه وقاتل عليها بالسيف وقتل على ذلك ألوفاً من المسلمين حتى عجز عن انفراده بالأمر وتفرق عليه أصحابه وظهروا عليه فقاتلوه "[(٤)] أ.هـ.

---

(١)سنن الترمذي (٥/ ٥٤٤-٦٩١).

(٢) سنن سعيد ابن منصزر (مخطوط ل٢٢٣/ أ-٢٣٣/ ب).

(٣) سنن أبي داود (٤/ ٢١٤).

(٤)منهاج السنة النبوية (١/ ١٦٢).

هذا شأن النواصب وزاد عليهم الخوارج بالطعن كذلك في عثمان رضي الله عنه.

يقول الأشعري :" والخوارج بأسرها يثبتون إمامة أبي بكر وعمر وينكرون إمامة عثمان في وقت الأحداث التي نقم عليه من أجلها ..."[١] أ.هـ.

ويقول الشهرستاني – بعد ذكره فرق الخوارج الكبرى -:" ويجمعهم القول بالتبري من عثمان وعلي رضي الله عنهم ويقدمون ذلك على كل طاعة "[٢] أ.هـ.

ولهذا كله فقد عقد الأئمة بعض الأبواب في فضل عثمان وبعضها في فضل آل البيت للرد على الطائفتين : النواصب والخوارج وإليك الأمثلة :

المثال الأول : سعيد بن منصور في سننه :

عقد الإمام سعيد بن منصور بابين للرد على الطائفتين وإن لم يصرح بهما كما ذكرنا :

الباب الأول :" باب في فضل عثمان عفان "[٣] وهو رد على الخوارج خاصة .

الباب الثاني :" باب ما جاء في فضيلة الحسن والحسين ابني علي "[٤] وهو رد على الخوارج و النواصب .

المثال الثاني :ابن أبي شيبة في المصنف :

عقد باباً في الرد على الخوارج بعنوان :

" ما ذكر في عثمان "[٥].

المثال الثالث : البخاري في الفضائل :

عقد ثلاثة أبواب في فضائل الصحابة وهي كالتالي :

الباب الأول : مناقب عثمان بن عفان[٦].

---

(١) مقالات الإسلاميين (١/ ٢٠٤).

(٢) الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١١٥).

(٣) سنن سعيد بن منصور (مخطوط ل٢١٣/ أ).

(٤) سنن سعيد بن منصور (مخطوط ل٢٢٩/ أ).

(٥) المصنف لابن أبي شيبة (٧/ ٥١٤).

(٦) البخاري في فضائل الصحابة باب رقم (٧) الفتح (٧/ ٦٥).

الباب الثاني : مناقب علي بن أبي طالب [(١)].

الباب الثالث : مناقب الحسن والحسين [(٢)].

المثال الرابع : الترمذي في المناقب :

عقد عدة أبواب منها :

الباب الأول :" باب في مناقب عثمان ﷺ " [(٣)].

الباب الثاني :" باب في مناقب علي بن أبي طالب ﷺ "[(٤)].

الباب الثالث :"باب في مناقب الحسن والحسين " [(٥)].

الباب الرابع :" باب في مناقب أهل بيت النبي ﷺ " [(٦)].

٤ - الإشارة إلى ضعف القول المخالف من خلال الترجمة :

وقد يترجم الأئمة بترجمة يظهر للقارئ منها ضعف القول المخالف وأنه لا يقاوم المذهب الذي ذهب إليه أهل السنة الذي تعضده الأدلة بجميع أنواعها من كتاب وسنة وإجماع ولغة ونحوه.

الأمثلة على هذا النوع :

المثال الأول : البخاري في التوحيد :

عقد باباً بعنوان :

" ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [هود : ٧] ، ﴿وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [النساء : ١٣٤]" [(٧)].

قال الحافظ :" كذا ذكر قطعتين من آيتين ، وتلطف في ذكر الثانية عقب الأولى لرد

---

(١) البخاري فضائل الصحابة باب رقم (٩) الفتح (٧/ ٧٥).

(٢) البخاري في فضائل الصحابة باب رقم (٢٢) الفتح (٧/ ١١٨).

(٣) الترمذي في المناقب باب رقم (١٩) (٥/ ٥٨٢).

(٤) الترمذي في المناقب باب رقم (٢٠)(٥/ ٥٩٠).

(٥) الترمذي في المناقب باب رقم (٣١) (٥/ ٦١٤).

(٦) الترمذي في المناقب باب رقم (٣٢) (٥/ ٦٢١).

(٧) البخاري التوحيد –باب رقم (٢٢)الفتح (١٣/ ٤١٦).

من توهم من قوله في الحديث :" كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء " [(١)] أن العرش لم يزل مع الله تعالى وهو مذهب باطل ، وكذا من زعم من الفلاسفة أن العرش هو الخالق الصانع ... " [(٢)] أ.هـ.

المثال الثاني : البخاري في التوحيد أيضاً :

عقد الإمام البخاري باباً في التوحيد بعنوان :

"﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ [النساء : ١٣٤] " [(٣)]

قال ابن بطال :" غرض البخاري في هذا الرد على من قال إن معنى "سميع بصير": عليم ،قال : ويلزم من قال ذلك أن يسويه بالأعمى الذي يعلم أن السماء خضراء ولا يراها والأصم الذي يعلم أن في الناس أصواتاً ولا يسمعها ولا شك أن من سمع وأبصر أدخل في صفة الكمال ممن أنفرد بأحدهما دون الآخر فصح أن كونه سميعاً بصيراً يفيد قدراً زائداً على كونه عليماً وكونه سميعاً بصيراً يتضمن أنه يسمع بسمع ويبصر ببصر كما تضمن كونه عليماً أنه يعلم بعلم " [(٤)] أ.هـ.

وقال البيهقي:- بعد ذكر الآيات والأحاديث في إثبات السمع والبصر-:" وأفاد هذا الخبر أنه سميع بصير له سمع وبصر لا على معنى أنه عليم ، إذ لو كان بمعنى العلم لأشار في تحقيقه إلى القلب ..." [(٥)] أ.هـ.

وقد أورد الإمام أبو داود حديثاً فيه إثبات السمع والبصر وجاء فيه ذكر الآية ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾ " [(٦)].

قال أبو داود معلقاً :**"وهذا رد على الجهمية "** [(٧)] أ.هـ.

---

(١) الحديث أخرجه : البخاري في التوحيد –باب "وكان عرشه على الماء " برقم (٤٧١٨).

(٢) الفتح (١٣/ ٤١٦).

(٣) الفتح (١٣/ ٣٨٤) باب رقم (٩).

(٤) الفتح (١٣/ ٣٨٥).

(٥) الأسماء والصفات للبيهقي (١/ ٤٦٣).

(٦) سيأتي ذكر الحديث وتعليق أبي داود عليه في المبحث القادم .

(٧) سنن أبي داود (٤/ ٢٣٣).

يعني الذين نفوا هذه الصفة وهم الجهمية والمعتزلة .

وبهذا يتضمن أيضاً الإشارة إلى بطلان القول الذي قال به الجهمية والمعتزلة وهو نفي السمع والبصر وذلك لظهورها وجلاءها من خلال النصوص الشرعية .

٥- الإشارة إلى أدلة المخالفين :

ومن طرائق الأئمة أثناء الرد على المخالفين أنهم يردون عليهم من خلال ذكر بعض أدلتهم ثم بيان أن هذه الأدلة لا تصلح لما استدلوا به أو يجعلونها حجة لأهل السنة ومتمسكاً لهم فيما ذهبوا إليه فيقلبون عليهم دليلهم .

والأمثلة على هذا النوع :

المثال الأول : الترمذي في الإيمان :

عقد الإمام الترمذي باباً في كتاب الإيمان بعنوان :

" باب ماجاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلّا الله " وأورد تحته عن عبادة بن الصامت ﷺ مرفوعاً :" من شهد أن لا إله إلّا الله وأن محمداً رسول الله حرّم الله عليه النار "(١).

فكان هذا الحديث فيه مستمسك للمرجئة الذين لا يدخلون العمل في مسمى الإيمان ويقولون يكفي النطق بالشهادتين مع الاعتقاد .

ومما يبين أن الإمام الترمذي أراد أن يذكر هذا الدليل حتى يرد على استدلال المرجئة بمثل هذه الأحاديث أنه علق بعد الحديث تعليقاً يفيد ما ذكرنا حيث قال :

"وقد روي عن الزهري أنه سئل عن قول النبي ﷺ :"من قال لا إله إلا الله دخل الجنة " فقال :إنما كان هذا في أول الإسلام قبل نزول الفرائض والأمر والنهي "(٢) أ.هـ.

---

(١) الحديث أخرجه : الترمذي في الإيمان –بابل ماجاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله برقم (٢٦٨٣) .

وأخرجه مسلم في الإيمان برقم (٢٩).

(٢) الترمذي (٥/ ٢٤).

ثم قال بعد ذلك :" ووجه هذا الحديث عند بعض أهل العلم أن أهل التو- سيدخلون الجنة ، وإن عذبوا بالنار لذنوبهم فإنهم لا يخلدون في النار "(١) أ.هـ.

فالتعقيب هذا الآخر منه ليبين التفسير الصحيح لهذا الدليل وجعله حجة لأهل السنة وقلب على المرجئة استدلالهم (٢).

المثال الثاني : البخاري في الاعتصام بالكتاب والسنة :

عقد الإمام البخاري ترجمة ظاهرة في أنه يريد أن يورد ما استدل به المخالف من حجة ثم يقوم هو بنقضها فقال :" باب الحجة على من قال إن أحكام النبي ﷺ كانت ظاهرة وما كان يغيب بعضهم عن مشاهد النبي ﷺ وأمور الإسلام "(٣) أ.هـ.

قال الحافظ :"قال ابن بطال : أراد – يعني البخاري – الرد على الرافضة والخوارج الذين يزعمون أن أحكام النبي ﷺ وسننه منقولة عنه نقل تواتر ، وأنه لا يجوز العمل بما لم ينقل متواتراً ، وقولهم مردود بما صح أن الصحابة كان يأخذ بعضهم عن بعض ، ورجع بعضهم إلى ما روته غيره ، وانعقد الإجماع على القول بالعمل بأخبار الآحاد .."(٤) أ.هـ.

المثال الثالث : البخاري في التوحيد :

عقد البخاري باباً في التوحيد بعنوان :

" باب في المشيئة والإرادة "(٥).

ثم أورد تحتها آيات وأحاديث ثبتها ومن ضمن هذه الآيات قوله تعالى :﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٥٨].

قال الحافظ :" قوله ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ هذه الآية مما تمسك بها المعتزلة لقولهم فقالوا هذا يدل على أنه لا يريد المعصية ، وتعقب بأن

---

(١)الترمذي (٥/ ٢٤).

(٢)انظر بنفس استدلال الزهري والترمذي استدل أبو عبيد القـ سلام في كتابه الإيمان ص١٠ وما بعده.

(٣)الفتح (١٣/ ٣٣٢) باب رقم (٢٢) من كتاب الا-

(٤)الفتح (١٣/ ٣٣٣).

(٥) الفتح (١٣/ ٤٥٤) باب رقم (٣١).

معنى إرادة اليسر التخيير بين الصوم في السفر ومع المرض والإفطار بشرطه وإرادة العسر المنفية الإلزام بالصوم في السفر في جميع الحالات .... وقد اتفق أهل السنة أنه لا يقع إلا ما يريده الله تعالى ، وأنه مريد لجميع الكائنات وإن لم يكن آمراً بها ..." (١) أ.هـ بتصرف .

وقد استدل بهذه الآية كما ذكر الحافظ المعتزلة نص على ذلك القاضي عبد الجبار الهمذاني (٢) في شرح الأصول الخمسة في كلام طويل له (٣).

٦- الإشارة إلى الأصول التي تمسك بها أهل السنة وميَّزتهم عن أهل البدع :

وهذا لون آخر من ألوان الرد على أهل البدع وذلك بذكر الأصول الكبار التي يعتقدها أهل السنة ويخالفهم فيها أهل البدع فبذكر هذه الأبواب التي فيها إثبات هذه الأصول تظهر مخالفة أهل البدع ،فهي تتضمن رداً غير صريح على أهل البدع المخالفين لأهل السنة في هذه الأصول التي ذكرت في الكتاب والسنة .

ولعلنا نذكر بعض هذه الأصول على سبيل التمثيل لا الحصر :

الأصل الأول : اتباع السنة وتعظيمها وتقديمها على الآراء والأقيسة :

وهذا مما يميز أهل السنة عن أهل البدع الذين يقدمون العقل وما تمليه عليه شياطينهم مما لم يعتضد بأية أو حديث أو أثر عمن سلف وكان هذا واضحاً من خلال بتبويب أهل السنة لهذه القضية وإليك الأمثلة من هذه الجوامع .

البخاري عقد كتاباً كاملاً " كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة " (٤).

---

(١) الفتح (١٣/ ٤٥٩).

(٢)القاضي عبد الجبار هو : عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار بن أحمد بن خليل ، أبو الحسن الهمذاني ، العلّامة في مذهبه ، المتكلم صاحب التصانيف ، شافعي المذهب ، شيخ المعتزلة ولي قضاء الري وقزوين وغيرهما من الأعمال التي كانت لفخر الدولة ابن بوية بعناية الصاحب بن عباد ،قال الخليلي :"كتبت عنه ، وكان ثقة في حديثه ولكنه داع إلى البدعة لا تحل الرواية " كانت وفاته سنة (٤١٥هـ).انظر : السير (١٧/ ٢٤٤)، لسان الميزان (٣/ ٣٨٦)، شذرات الذهب (٣/ ٢٠٢).

(٣) انظر: شرج الأصول الخمسة ص٤٣٩ وما قبلها وما بعدها .

(٤) الفتح (١٣/ ٢٦١-٣٥١).

ابن ماجة عقد عدة أبواب :

-**الباب الأول** :" باب اتباع سنة رسول الله ﷺ " [١].

-**الباب الثاني** :" باب تعظيم حديث رسول الله ﷺ على من عارضه " [٢].

-**الباب الثالث** :" باب اجتناب الرأي والقياس " [٣].

أبو داود في كتاب السنة عقد بابين :

-الأول :" باب في لزوم السنة " [٤].

-الثاني :" باب من دعا إلى السنة " [٥].

الأصل الثاني : لزوم جماعة المسلمين :

ويعنون به لزوم السنة التي احتج عليها أهل السنة وكذلك اجتماعهم على أمير أو خليفة شرعي ولا يخرجون عليه لأنهم أهل ألفة واجتماع واتباع ، وأهل البدع أهل فرقة وابتداع.

قال الإمام الشاطبي- بعد أن ذكر الأحاديث في معنى الجماعة وأقوال أهل العلم -: **"وحاصله أن الجماعة راجعة إلى الاجتماع على الإمام الموافق للكتاب والسنة وذلك ظاهر في أن الاجتماع على غير سنة خارج عن معنى الجماعة المذكورة في الأحاديث المذكورة كالخوارج ومن جرى مجراهم ...."** [٦] أ.هـ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله - **" ثم من** طريقة أهل السنة والجماعة اتباع آثار الرسول ﷺ باطناً وظاهراً واتباع السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ....ويؤثرون كلام الله على كلام غيره من كلام أصناف الناس ، ويقدمون هدى محمد

(١) سنن ابن ماجة (١/ ٥).

(٢) سنن ابن ماجة (١/ ٦).

(٣) السنة (١/ ١٢).

(٤) سنن أبي داود (٤/ ٢٠٠).

(٥) سنن أبي داود (٤/ ٢٠١).

(٦) الاعتصام (٢/ ٢٦٥).

ﷺ على هدى كل أحد وبهذا سمّوا أهل الكتاب والسنة وسمّوا أهل الجماعة ، **لأن الجماعة هي الاجتماع وضدها الفرقة ،وإن كان لفظ الجماعة فصار اسماً لنفس القوم المجتمعين** ...." أ.هـ.[(١)] بتصرف.

الأمثلة على هذا الأصل من الجوامع :

معمر في جامعه عقد باباً بعنوان :" باب لزوم الجماعة "[(٢)].

سعيد بن منصور في سننه عقد باباً بعنوان :" باب ما جاء في لزوم الجماعة "[(٣)].

الدارمي في سننه عقد بابين :

" ١- باب لزوم الطاعة والجماعة "[(٤)].

" ٢- باب في الطاعة ولزوم الجماعة "[(٥)].

ابن ماجة في سننه عقد باباً بعنوان :" باب السواد الأعظم "[(٦)].

الإمام الترمذي في سننه عقد باباً في الفتن بعنوان :

" باب ما جاء في لزوم الجماعة "[(٧)].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٥٧).

(٢) المصنف (١١/ ٣٣٩).

(٣) سنن سعيد بن منصور (مخطوط ل(١٩٨/ أ)).

(٤) سنن الدارمي كتاب السير (٢/ ٣١٤).

(٥) سنن الدارمي كتاب الرقائق (٢/ ٤١٧).

(٦) سنن ابن ماجة أبزاب الفتن (٢/ ٣٦٧).

(٧) سنن الترمذي كتاب الفتن باب (٧) (٤/ ٤٠٤).

المبحث الثاني

الرد على أهل البدع من خلال التعليق على النصوص

ويشتمل على :

أولاً : التعليق الصريح في الرد على أهل البدع .

ثانياً : التعليق غير الصريح في الرد على أهل البدع

أولاً : التعليق الصريح في الرد على أهل البدع :

وهذا أول نوع من التعليقات وهي التي يصرح فيها المؤلف في تعليق بأن هذا الاستدلال أو الاستنباط من الدليل قصد به الرد على هذه الطائفة بعينها أو هذه البدعة بعينها .

أ-الرد على فرقة بعينها :

وذلك حينما يصرح المصنف أثناء تعليقه باسم الطائفة أو الفرقة من أهل البدع وإليك الأمثلة .

المثال الأول : أبو داود في السنة :

عقد باباً في السنة بعنوان :

" باب في الجهمية " وأورد آخر حديثاً في الباب بسنده عن أبي يونس سليم بن جبير مولى أبي هريرة قال :" سمعت أبا هريرة يقرأ هذه الآية :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا ﴾ إلى قوله ﴿سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴾ [النساء : ٥٨] قال :" رأيت رسول الله ﷺ يضع إبهامه على أذنه والتي تليها على عينه ، قال أبو هريرة : رأيت رسول الله ﷺ يقرؤها ويضع أصبعيه "[١] .

قال أبو يونس : قال المقرئ :" يعني إن الله سميع بصير " يعني أن لله سمعاً وبصراً ".

قال أبو داود معلقاً : " **وهذا ردٌ على الجهمية** "[٢] .

فالإمام أبو داود صرح باسم الفرقة وهي الجهمية التي نفت صفة السمع والبصر .

المثال الثاني : الترمذي ورده على الجهمية :

---

(١) الحديث أخرجه أبو داود في السنن باب الجهمية برقم (٤٧٢٨) (٤/ ٢٣٣).وابن خزيمة في التوحيد– باب ذكر اثبات العين لله جل وعلا برقم (٤٦)(١/ ٩٧).والبيهقي في الأسماء والصفات –باب ماجاء في اثبات صفة البصر والرؤية برقم (٣٩٠)(١/ ٤٦٢).وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (١/ ٤٩٨) برقم (٢٦٥) باب ماجاء في الصفات .والحاكم في المستدرك (١/ ٢٤).واللالكائي في شرح السنة (٣/ ٤١٠) برقم (٦٨٨).والدارمي في الرد على بشر المريسي (١/ ٣١٨) الطبعة المحققة .

والحديث صححه الحافظ في الفتح (١٣/ ٣٨٥) حيث قال :"أخرجه أبو داود بسند قوي على شرط مسلم ". والألباني كما في صحيح أبي داود (٣/ ١٥٦) .

(٢) سنن أبي داود (٤/ ٢٣٣).

أخرج الترمذي حديثاً في سننه عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :" ما تصدق أحد بصدقةٍ من طيِّبٍ ، ولا يقبل الله إلَّا الطيب إلَّا أخذها الرحمن بيمينه ، وإن كانت تمرة تربوا في كف الرحمن حتى تكون أعظم من الجبل كما يربِّي أَحَدُكُم فلوَّه أو فصيله "أ.هـ [١].

قال الترمذي معلقاً على الحديث :

" وقد قال غير واحدٍ من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات من الصفات ، ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا ، قالوا : نثبت الروايات في هذا ويؤمن بها ولا يتوهم ولا يقال : كيف ؟.

هكذا روى عن مالك وسفيان بن عيينة وعبد الله بن المبارك أنهم قالوا في هذه الأحاديث أمرِّوها بلا كيف ، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة .

وأما الجهمية فأنكرت هذه الروايات وقالوا : هذا تشبيه .

وقد ذكر الله عز وجل في غير موضع من كتابه : اليد والسمع والبصر ، فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسَّروها على غير ما فسَّر أهل العلم ، وقالوا إن الله لم يخلق آدم بيده ، وقالوا : إن معنى اليد ههنا القوة .

وقال إسحاق بن إبراهيم إنما يكون التشبيه إذا قال : يدٌ كيدٍ أو مثل يدٍ ، أو سمعٌ كسمعٍ أو مثل سَمْعٍ ،فإذا قال : سمع كسمع أو مثل سمعٍ فهذا التشبيه .

وأما إذا قال كما قال الله تعالى : يدٌ وسمعٌ وبصرٌ ، ولا يقول : كيف ، ولا يقول : مثل سمعٍ ولا كسمعٍ ، فهذا لا يكون تشبيهاً ، وهو كما قال الله تعالى في كتابه : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[الشورى : ١١]" أ.هـ [٢].

الرد على بدعة بعينها :

ومن التعاليق أنهم يصرحون أن هذا الدليل أو الاستنباط إنما هو للرد على

---

(١) الحديث أخرجه: البخاري في الزكاة باب الصدقة من كسب طيب برقم (٧٥١).ومسلم في الزكاة برقم (١٠١٤).

(٢) سنن الترمذي (٣/ ٥١).

البدعة الفلانية كبدعة الإرجاء أو القول بخلق القران أو الرد على نفاة القدر ونحوها وإليك هذا المثال :

المثال على هذا النوع : أبو داود في السنة .

عقد الإمام أبو داود باب في السنة بعنوان : " باب في القران "

وأورد الحديث الصحيح أن النبي ﷺ كان يعوذ الحسن والحسين: "أعيذ كما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامَّة ومن كل عين لآمَّة ..." [١] الحديث

قال أبو داود معلقاً : " **هذا دليل على أن القرآن ليس بمخلوق** " أ.هـ [٢]

وقد استدل بنفس استدلال أبي داود لأئمة كالبخاري [٣] ، واللالكائي [٤] ، والتيمي قوَّام السنة [٥] .

ثانياً : التعليق غير الصريح في الرد على أهل البدع :

وهذا عند الأئمة كثير ويتضح أكثر حينما يعلقون على النصوص فيذكرون مذهب أهل البدع ولا ينسبونها إلى أحد لكنهم يعتنون بالرد عليها وعلى من استدل بها .

ولنذكر بعض البدع التي علَّقوا عليها ولم يذكروها باسمها صراحة :

أ-تعليقاتهم في الرد على المرجئة :

وهذه كثيرة خاصة في الكتب والأبواب التي عقدها الأئمة فيما يخص الإيمان وأحكامه وإليك بعض الأمثلة :

الإمام البخاري في كتاب الإيمان :

أكثر الإمام البخاري من التعليقات على بعض النصوص والتراجم وكان يقصد بها الرد على المرجئة فيما ذهبوا إليه ، وقد ذكرنا في مباحث سابقة بعض الأمثلة وسوف

---

(١) الحديث تقدم تخريجه وهو في البخاري برقم (٣٣٧١).

(٢) سنن أبي داود (٤/ ٢٣٥).

(٣) انظر : خلق أفعال العباد ص١٤٣.

(٤) انظر : شرح السنة لللالكائي ص٢٠٧ـ٢٠٨،برقم (٣٣٧).

(٥) انظر : الحجة في بيان المحجة للتيمي (٢/ ١٨١)برقم (١٤٩).

نعيدها ونزيد عليها ونشير إليها إشارة دون بسطٍ للقول فيها ، وقد عقد الإما البخاري عدة أبواب كلها في التعريض والرد على مذهب المرجئة الفاسد الذي يخرجون العمل عن مسمى الإيمان ويشهد لهذا تعليقاته على تلك الأبواب أو النصو المندرجة تحتها وعلى سبيل المثال مايلي :

١-قال في أول باب :" وهو قول وفعل ويزيد وينقص "[١].

٢-وقال عند باب :"قول النبي ﷺ :" أنا أعلمكم بالله ":" وأن المعرفة فعل القلب لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٢٥]" أ.هـ [٢].

قال الحافظ :" مراده الاستدلال بهذه الآية على أن الإيمان بالقول وحده لا يتم إلا بانضمام الاعتقاد إليه والاعتقاد فعل القلب ....فظهرت المناسبة بين الآية والحديث وظهر وجه دخولهما في مباحث الإيمان ، فإن فيه دليلاً على بطلان قول الكرامية : إن الإيمان قول فقط ، ودليلاً على زيادة الإيمان ونقصانه لأن قوله ﷺ :"أنا أعلمكم بالله ". ظاهر في أن العلم بالله درجات وأن بعض الناس فيه أفضل من بعض ..." [٣] أ.هـ بتصرف يسير .

٣- قال معلقاً على باب زيادة الإيمان ونقصانه وبعد ذكر الآية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ . .﴾ [المائدة :٣]الآية قال :" **فإذا ترك شيئاً من الكمال هو ناقص** " [٤]

وهذا فيه بيان وجه الاستنباط من الآية كدلالة على أن الإيمان يزيد وينقص ، وقد تقدمت الإشارة إليه .

الترمذي في الإيمان :

وقد أكثر كذلك الترمذي من التعليق على أبواب وأحاديث كتاب الإيمان من جامعه وكان يعِّرض فيه ويرد على المرجئة وإن لم يصرح باسمهم وقد تقدم نقل

(١) الفتح (١/ ٦٠).
(٢) الفتح (١/ ٨٨) باب رقم (١٣).
(٣) الفتح (١/ ٨٩).
(٤) الفتح (١/ ١٢٧) باب رقم (٣٣).

تعليقات الإمام الترمذي في أبواب ومباحث مضت من هذه الرسالة فلا داعي لإعادتها

ب-تعليقاتهم في الرد على الخوارج :

وكذلك مما تعرَّض الأئمة له بالرد هو الرد على مذهب الخوارج في الإيمان الذي يكفر مرتكب الكبائر ويخرجه من الإيمان ولعلي أقتصر بما ورد عند البخاري والترمذي وقد تقدم كما ذكرنا بعض تلك التعليقات .

البخاري في الإيمان :

عقد الإمام البخاري ثلاثة أبواب متوالية في الرد على بدعة الخوارج في الإيمان وهي كالتالي :

الباب الأول :" باب كفران العشير وكفر دون كفر "[(١)].

الباب الثاني :" باب المعاصي من أمر الجاهلية "[(٢)].

ثم قال البخاري معلقاً :" **ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا الشرك ...**"أ.هـ[(٣)].

قال الحافظ :"قال ابن بطال :" غرض البخاري الرد على من يكفر بالذنوب كالخوارج ويقول إن من مات على ذلك يخلد في النار والآية ترد عليهم ..."أ.هـ[(٤)].

الباب الثالث: "باب ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ فَأَصْلِحُواْ بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات : ٩]"[(٥)].

قال البخاري معلقاً :" **فسماهم مؤمنين** "[(٦)].

ومراده الرد على من كفر بارتكاب ذنب كبير كالقتل لأن الله سمى الطائفتين المتقاتلتين مؤمنين ولو كان الذنب يخرجهم من الملة ما سمّاهم مؤمنين .

---

(١) الفتح (١/ ١٠٤) باب رقم (٢١).

(٢) الفتح (١/ ١٠٦) باب رقم (٢٢).

(٣) الفتح (١/ ١٠٦).

(٤) الفتح (١/ ١٠٧).

(٥) الفتح (١/ ١٠٦).

(٦) الفتح (١/ ١٠٦).

الترمذي في الإيمان :

وكذلك الإمام الترمذي تعرض بالرد على الخوارج في أكثر من موضع وهي كالتالي :

١-عقد الترمذي باباً بعنوان :" باب ما جاء لا يزني الزاني وهو مؤمن "[(١)].

وذكر الآيات والأحاديث التي فيها الوعيد على فاعل تلك الكبيرة والتي فيها نفي الإيمان ثم قال معلقاً في نهاية الباب :" وهذا قول أهل العلم لا نعلم أحداً كفر أحداً بالزنا أو السرقة وشرب الخمر "أ.هـ [(٢)].

ج-تعليقاتهم في الرد على المعطلة نفاة الصفات :

ولعلي اقتصر هنا على مثال عند البخاري في التوحيد حيث عقد باباً بعنوان :" باب قول الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[العنكبوت : ٤٢] ، ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾[الصافات : ١٨٠]، ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ ﴾ [المنافقون : ٨]" [(٣)].

قال البخاري بعده معلقاً : " **ومن حلف بعزة الله وصفاته** " [(٤)].

ومراد البخاري أن يضيف شيئاً في الاستدلال وهو من حلف بعزة الله أو بشيء من صفاته فهو كالحلف بالله فدل على أن صفاته غير مخلوقة فيجب إثباتها له سبحانه وتعالى

قال الشيخ الغنيمان في شرح كتاب للبخاري :" وبهذا يتبين أن الحلف بقدرة الله وعزته وسائر صفاته أنه كالحلف به تعالى وأن صفاته ليست مخلوقة – لأنه لا يجوز الحلف بمخلوق- ولا منفصله عنه تعالى ،وبهذا يظهر مراد البخاري رحمه الله بهذا الباب وهو إثبات الصفات لله تعالى والرد على من أنكرها كالمعتزلة ومن تابعهم ."أ.هـ [(٥)].

قال الحافظ : " والذي يظهر أن مراد البخاري بالترجمة إثبات العزة لله راداً على من قال : إنه عزيز بلا عزة كما قالوا : العليم بلا علم "أ.هـ [(٦)].

---

(١) سنن الترمذي كتاب الإيمان باب رقم (١١) (٥/ ١٦).

(٢) الترمذي (٥/ ١٨).

(٣) الفتح (١٣/ ٣٨٠) باب رقم (٧).

(٤) المصدر السابق .

(٥) شرح التوحد من صحيح البخاري للغنيمان (١/ ١٤٨).

(٦) الفتح (١٣/ ٣٨٢).

المبحث الثالث

إفرادهم أبواباً وكتباً مستقلة في الرد على أهل البدع .

تمهيد:

تقدم معنا أن الأئمة في القرن الأول لم يفردوا أبواباً وكتباً مستقلة فيما يخص الرد على أهل البدع لأن الأمر كان ظاهر وعقيدة أهل السنة هي الظاهرة فلا حاجة ولا داعي لأن يفرد أبواب خاصة في الاعتقاد.

ولكن لما تأخر الزمان وكثرة البدع اضطر أهل السنة التصريح والصدع بالرد على أهل البدع وتخصيص أبواب وكتب مستقلة ضمن جوامعهم الحديثية وذلك لأهمية وخطورة البدع وكذلك للدفاع عن هذا الدين وبيان الحق للناس وتعرية الباطل وفضحه.

ولهذا لو نظرنا في الجوامع المتقدمة كجامع معمر وموطأ مالك وجامع ابن وهب والمصنفات ،وحتى سنن سعيد بن منصور لم يذكر فيها أي اسم لأي فرقة في الأبواب ولم يذكر الرد على أي بدعة باسمها كالرد على الجهمية أو نحو ذلك وذلك تصديق لما ذكرناه سابقاً لأن الحاجة لم تكن داعية ولكن لما كثرت البدع وانتشرت شبهاتهم اضطر أهل السنة للتصريح باسمائهم والرد على بدعهم وشبهاتهم .

ولعلنا نذكر أهم الأبواب والكتب التي عقدها الأئمة في الرد على أهل البدع .

أولاً : الكتب الرئيسية التي عقدت للرد على أهل البدع :

وتقصد بها الأبواب العامة التي يندرج تحتها أبواباً تفصيلية فرعية وهذه الكتب الرئيسية على أنواع :

أ – ما كان محتوياً على الرد على أهل البدع تصريحاً أو تلميحاً والأمثلة كثيرة وهي كما يلي :

١ – كتاب التوحيد أو الرد على الجهمية للبخاري :

قال الحافظ :" قوله (**كتاب التوحيد**) : كذا للنسفي وحماد بن شاكر ، وعليه اقتصر الأكثر عن الفربري، وزاد المستملي: " **الرد على الجهمية وغيرهم** " ، ووقع لابن بطال وابن التين: " **كتاب رد الجهمية** " " أ.هـ [(١)] .

(١) الفتح (١٣/ ٣٥٧).

وقد أطلق عليه شيخ الإسلام: **"كتاب التوحيد والرد على الزنادقة والجهمية "** [١]،وأطلق عليه أيضاً **"كتاب الرد على الجهمية"** [٢].

والذي يظهر من صنيع البخاري في هذا الكتاب أنه رد على نفاة الصفات وعلى نفاة القدر وعلى نفاة الرؤية، فهو لم يقتصر على الصفات كما قد يتوهم من قراءة العنوان.

قال ابن القيم رحمه الله :".....هذا الكتاب الذي ترجمه بـ"كتاب التوحيد والرد على الجهمية " رداً على أقوال الجهمية التي خالفوا بها الأمة ...."أ.هـ[٣].

٢- كتاب الإيمان عند البخاري ومسلم والترمذي :

وقصد به الرد على من خالف أهل السنة في باب الإيمان كالمرجئة والخوارج والمعتزلة وظهر ذلك جلياً كما تقدم من خلال تعليقاتهم وعناوين تراجمهم .

٣- كتاب السنة عند أبي داود والمقدمة عند ابن ماجة :

قصدا بهذين الكتابين الرد على المخالفين عموماً لأهل السنة في جميع أبواب الاعتقاد وظهر ذلك من خلال تراجم الأبواب والتعليقات .

٤- كتاب الفتن عند البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي وابن ماجة وابن أبي شيبة:

لعل من مقاصدهما وإن لم يصرحا بذلك هو تقرير الموقف وقت الفتن وذكر ما أخبر به النبي ﷺ من الفتن وكذلك بيان من خالف أهل السنة وقت الفتن كالخوارج وقد تضمن الرد عليهم من خلال التراجم والنصوص الأخرى بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم .

٥- كتاب القدر عند البخاري ومسلم والترمذي :

مما أورد الأئمة كتاباً رئيسياً يندرج تحته مجموعة من الأبواب التفصيلية هو كتاب

---

(١) التسعينية (١/ ١٣٠).
(٢) التسعينية (٢/ ٥٢٠).
(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية ص٢٣٦.

القدر وذلك لخطورته وخطورة الزلل في هذا الباب وقصدوا به الرد على نفاة القدر وعلى الجبرية كذلك وقد تقدمت الإشارة إلى الأمثلة أثناء ذكر التراجم غير الصريحة في الرد على أهل البدع .

٦- كتاب فضائل الصحابة عند البخاري ومسلم والترمذي :

وقصدوا به الرد على الروافض والنواصب وقد تقدمت الإشارة إليه .

٧- كتاب أخبار الآحاد عند البخاري :

وهو مما تفرد به حيث عقد كتاباً مستقلاً في ذلك .

٨- كتاب صفة الجنة والنار عند الترمذي وابن أبي شيبة ومسلم :

وذكر فيه ما ورد حول الجنة وأنها مخلوقة وما فيها من النعيم وقد يذكرون ما يتعلق بالرؤية ضمن هذا الكتاب .

ب- الكتب التي فيها ذكر الأصول العامة الكبرى التي خالف فيها أهل البدع :

مثل : الاعتصام بالكتاب والسنة عند البخاري .

والأحكام عند البخاري والإمارة عند مسلم .

ثانياً : الأبواب الفرعية والتفصيلية :

وقد أودعوها صنوفاً وألواناً من الردود على المخالفين وهي كالتالي :

أ-الأبواب في ذم أهل البدع واجتنابهم والتنفير من بدعهم :

وهذه كثيرة وقد تقدم التمثيل عليها .

ب-الأبواب التي فيها ذكر للملل والديانات الأخرى :

وقد يذكرون بعض ما يخص الديانات الأخرى وهو قليل وعلى سبيل المثال :

١-كتاب أهل الكتاب والكتابين عند عبد الرزاق في المصنف .

٢- باب ما جاء في اليهود عند مالك في الموطأ.

ج- الأبواب التي فيها الرد على أهل البدع صراحة :

مثل الرد على الجهمية وفيها أنكرت الجهمية عند أبي داود وابن ماجة والذي يظهر من خلال عرضنا لهذا الفصل أن الأئمة خلطوا أثناء عرض مسائل الاعتقاد تقريرهم للمسائل مع تضمينها للرد على أهل البدع فهذا منهج أصيل ومتين يدل على ثقة أصحابه فيه ويدل على قوة حججه التي تصلح للتقرير والرد في آنٍ واحد .

ثالثاً: ترتيبهم للأبواب والكتب التي أفردوها للرد على أهل البدع :

اختلفت طرائقهم في ترتيب ذكر البدع أثناء إفرادهم كتباً مستقلة في الرد عليها .

قال شيخ الإسلام:" وإن الناس في ترتيب أهل الأهواء على أقسام :

منهم من يرتبهم على زمان حدوثهم ، فيبدأ بالخوارج ،ومنهم من يرتبهم بحسب خفة أمرهم وغلظه فيبدأ بالمرجئة ، ويختم بالجهمية ، كما فعله كثير من أصحاب أحمد ﷺ ، كعبد الله ابنه ونحوه وكالخلال وأبي عبد الله بن بطة وأمثالهما ، وكأبي الفرج المقدسي ، وكلا الطائفتين تختم بالجهمية ، لأنهم أغلظ البدع ،وكالبخاري في صحيحه فانه بدأ بـ"كتاب الإيمان والرد على المرجئة " وختمه " بكتاب التوحيد والرد على الزنادقة والجهمية "،ولما صنف الكتاب في الكلام صاروا يقدمون التوحيد والصفات فيكون الكلام أولاً مع الجهمية ، وكذلك رتب أبو القاسم الطبري كتابه في أصول السنة ، والبيهقي أفرد لكل صنف مصنفاً ، فله مصنف في الصفات ، ومصنف في القدر ، ومصنف في شعب الإيمان ، ومصنف في دلائل النبوة ، ومصنف في البعث والنشور"أ.هـ[1] .

---

(١) فتاوى ابن تيمية (١٣/ ٤٩-٥٠).

الباب الثاني

منهج أهل السنة والجماعة في تدوين علم العقيدة من خلال كتب العقيدة المستقلة

تمهيد:

عوامل تدوين السلف للاعتقاد في مصنفات مستقلة

وهذه العوامل مأخوذة من مصنفات الأئمة أنفسهم والتي صرحوا بها في مصنفاتهم خلال القرون الثلاثة الأولى ويمكن أن نوجزها في التالي:

١-طلب التلاميذ والناس من العلماء التأليف لهم في مسألة أو نازلة علمية أو للرد على شبهات بعض أهل الزيغ ونحو ذلك وهذا كثيراً ما يصرحون به في بداية مصنفاتهم

وقد صرح بهذا الأمر مثلاً راوي كتاب السنة للمزني رحمه الله وأنهم طلبوا منه التأليف في هذه القضايا [١].

وهذا الإمام أبو عبيد يقول في مقدمة كتابه الإيمان :"أما بعد فإنك كنت تسألني عن الإيمان .....(إلى أن قال): وقد كتبت إليك بما انتهى إلي علمه ....".أ.هـ[٢]

وهذا الإمام أحمد يستجيب لطلب الخليفة العباسي المتوكل فيؤلف رسالة حول خلق القرآن كما جاء في مقدمتها.[٣]

وهذا عمر بن عبد العزيز يسأل فيرد على من سأله حول مسائل الاعتقاد فتدون في كتب الاعتقاد وتتناقل بين الناس كمن سأله عن الأهواء .[٤]

٢-انتشار مذهب أهل البدع وانتشار مقولاتهم بين عامّة الناس فلا يسع العلماء من أهل السنة السكوت بل لابد لهم من البيان والصدع بالحق حتى لا يغتر العامّة والدهماء بمثل هذه الشبهات.

يقول الإمام الدارمي أثناء رده على المريسي وأتباعه : " ولولا أنه يشير إليك بعض الناس ببعض النضرة في العلم ما اشتغلنا بالرد على مثلك لسخافة كلامك ورثاثة

---

(١) انظر: رسالة المزني ص٧٣.

(٢) الإيمان ص٩.

(٣) انظر: الرسالة ص٤٧ بتحقيق الشبل .

(٤) انظر: ماجاء في البدع لابن وضاح ص٧٢.

حججك ، ولكن تخوفنا من جهالتك ضرراً على الضعفاء الذين بين ظهريك ؛ فأحببنا أن نبين لهم عورة كلامك وضعف احتجاجك كي يحذروا مثلها من رأيك "أ.هـ[١]

وقد أورد الأئمة آثاراً عمن سبقهم من السلف وأهل العلم حول تغير الطريقة في نشر العلم وأنه لابد من التوسع في التدوين حين انتشار البدع فقد أورد الإمام الدارمي عن إمامين بيان هذا المنهج :

الأول : عن ابن المبارك أنه كره حكاية أقوال الجهمية والمعطلة فلما أعلنوه أنكر عليهم وعابهم على ذلك [٢].

عن الإمام أحمد أنه قال : " كنا نرى السكوت عن هذا قبل أن يخوض فيه هؤلاء فلما أظهروه لم نجد بداً من مخالفتهم والرد عليهم "أ.هـ[٣]

٣-جهل بعض أهل السنة في بعض المسائل وعدم التفريق بين الأصول الكبار التي لا يعذر فيها المخالف وبين المسائل التي للنظر والاجتهاد فيها مجال فحصلت الفرقة والشقاق فاضطر أهل العلم من أهل السنة للتأليف في بعض تلك المسائل حسماً للخلاف وبيان الحق فيها .

ومن أبرز الأمثلة على ذلك الفتنة التي حصلت بسبب القول باللفظ والتي حصل فيها الخلاف بين أهل السنة .

يقول الإمام ابن قتيبة مبيناً سبب تأليفه لكتاب الاختلاف في اللفظ:" ثم انتهى بنا القول إلى ذكر غرضنا من هذا الكتاب وغايتنا : من اختلاف أهل الحديث في اللفظ بالقرآن وتشانئهم وإكفار بعضهم بعضاً ،وليس ما اختلفوا فيه مما يقطع الألفة ولا يوجب الوحشة لأنهم مجمعون على أصل واحد وهو (القرآن كلام الله غير مخلوق).."أ.هـ[٤]

٤-التأليف لبيان عقيدة بعض الأئمة حتى لا ينسب إليهم شيئ لم يقولوا به خاصة

(١) الرد على المريسي (١/ ٥٠٧).

(٢) المصدر السابق (١/ ٥٣٨).

(٣)المصدر السابق .

(٤) الاختلاف في اللفظ ص٥٧، وانظر ص٢٠.

وأن من عادة أهل البدع الكذب على أئمة أهل السنة وعلمائهم .

وكذلك يصنف الأئمة مصنفات لبيان اعتقادهم حتى يقتدي بهم عامة الناس الذين ليس لديهم ملكة للنظر في النصوص الشرعية .

ولعل من الأمثلة على ذلك أن سبب تأليف الإمام المزني رسالته في السنة هو أنه تكلم في عقيدته ونسب إليه الوقف في القرآن فقد جاء في بداية رسالته ما نصه:" قال علي بن عبد الله الحلواني : كنت بطرابلس المغرب فذكرت أنا وأصحاب لنا السنة إلى أن ذكرنا أبا إبراهيم المزني فقال بعض أصحابنا بلغني أنه كان يتكلم في القرآن ويقف عنده ، وذكر آخر أنه يقوله إلى أن اجتمع معنا قوم آخرون فغمّ الناس غمّاً شديداً فكتبنا إليه كتاباً نريد أن نستعلم منه ؛ يكتب إلينا شرح السنة في القدر والإرجاء والقرآن والبعث والنشور والموازين وفي النظر فكتب إلينا ..." أ.هـ.[1]

ويقول الإمام التيمي في كتابه الحجة مبينا سبباً آخر لتأليف الأئمة رسائل في اعتقادهم ألا وهو حتى يقتدي بهم عامة الناس فيقول رحمه الله :

"فصل : قال بعض علماء أهل السنة أما بعد فإني وجدت جماعة من مشائخ السلف وكثيراً ممن تبعهم من الخلف ممن عليهم المعتمد في أبواب الديانة وبهم القدوة في استعمال السنة قد أظهروا اعتقادهم وانطوت عليه ضمائرهم في معاني السنن ليقتدي بهم المقتفي وذلك حين فشت البدع في البلدان وكثرت دواعيها في الزمان ...."أ.هـ[2]

٥-تَعرُّض المؤلف من أهل السنة لبعض الفتن والأحداث التي تحتم عليه بيان موقفه الصحيح من بعض القضايا العقدية التي بسببها تعرض لمثل هذا الأذى ولعل المثال الذي يستحضر دائماً فتنة اللفظ التي أوذي بسببها الإمام البخاري ومن أجلها ألف كتابه العظيم (خلق أفعال العباد) حتى يبين الحق في المسألة ويرد التهمة عن نفسه أداءً منه للأمانة وإبراءً للذمة .

---

(١) شرح السنة للمزني ص٧٣.

(٢) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٤٧٣).

وقد ظهر ذلك جلياً في مواطن من كتابه خلق أفعال العباد ولعل من أصرح هذه المواضع هو قوله :" فأما التلاوة فإنهم يتفاضلون في الكثرة والقلة والزيادة والنقصان ، وقد يقال : فلان حسن القراءة ورديء القراءة ، ولا يقال حسن القرآن ورديء القرآن ، وإنما نسب إلى العباد القراءة لا القرآن لأن القرآن كلام الرب جل ذكره والقراءة فعل العبد ، ولا يخفى هذا القدر إلا على من أعمى الله قلبه ولم يوفقه ولم يهده سبيل الرشاد ، وليس لأحد أن يشرع في أمر الله عز وجل بغير علم كما زعم بعضهم أن القرآن بألفاظنا ؛ وألفاظنا به شي واحد التلاوة هي المتلو ، والقراءة هي المقروء ، فقيل له : إن التلاوة فعل التالي وعمل القاريء فرجع وقال : ظننتهما مصدرين . قيل له : هلا أمسكت كما أمسك كثير من أصحابك ولو بعثت إلى من كتب عنك فاستردت ما أثبت وضربت عليه ، فزعم أن كيف يمكن هذا وقد قلت ومضى ؟ فقيل له : كيف جاز لك أن تقول في الله عز وجل شيئاً لا يقوم به شرحاً وبياناً إذا لم تميز بين التلاوة و المتلو ؟ فسكت إذ لم يكن عنده جواب "أ.هـ(١)

٦-تصنيف أهل البدع في باطلهم المصنفات لتقرير مذهبهم الباطل : فكان لزاماً على أهل الحق أن يطوروا وسائلهم تمشياً مع المرحلة التي هم فيها لأن العدو قد استخدم سلاحاً إعلامياً جديداً في نشر باطلهم فكان من فقه السلف أن نوعوا في التأليف فأفردوا لمسائل الاعتقاد مصنفات مستقلة حتى يقابلوا الوسيلة الإعلامية الجديدة بوسيلة مثلها بل وأحسن منها كما هو الحال في مصنفات أهل السنة .

يقول الإمام الدارمي مبيناً سبب تأليفه كتاب الرد على المريسي:" واعلموا أني لم أر كتاباً أجمع لحجج الجهمية من هذا الكتاب الذي نسب إلى هذا لمعارض ولا أنقض لعرى الإسلام منه ولو وسعني لافتديت من الجواب فيه بمحال ولكن خفت أن لا يسع أحداً عنده شيء من البيان يكون ببلد ينشر فيه هذا الكلام ثم لا ينقضه على ناشره ذباً عن الله تعالى ومحاماة عن أهل الغفلة من ضعفاء الرجال والنساء والصبيان أن

---

(١) خلق أفعال العباد ص١٦٦-١٦٧ .

يضلوا به ويفتتنوا....." أ.هـ.[1]

نصحاً للأمة وأداءً للأمانة والدفاع عن عقيدة المسلمين وصد هجمات المضلين على اختلاف مشاربهم وتوجهاتهم .

(١) الرد على المريسي (٢/ ٩٠١).

الفصل الأول

منهجهم في الاستدلال

ويشتمل على ثمانية مباحث:

المبحث الأول : اعتمادهم على أدلة الكتاب والسنة والإجماع .

المبحث الثاني : التزام الصحة من عدمها في إيراد الروايات الحديثية.

المبحث الثالث : منهجهم في عرض الأدلة.

المبحث الرابع : بيان دقة السلف وعمق فهمهم للنصوص.

المبحث الخامس : منهجهم في إيراد الآثار.

المبحث السادس : منهجهم في عرض الأدلة العقلية.

المبحث السابع : منهجهم في عرض أدلة الفطرة.

المبحث الثامن : احتجاجهم باللغة.

المبحث الأول

اعتمادهم على أدلة الكتاب والسنة وإجماع السلف والاحتجاج بها

ويشتمل على:

المطلب الأول : اعتمادهم على أدلة الكتاب والسنة.

المطلب الثاني: احتجاجهم بالإجماع.

المطلب الأول: اعتمادهم على أدلة الكتاب والسنة:

إن هذه القضية وهي الاعتماد على ما ورد في الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة من القضايا الكبرى التي هي أساس منهجهم، ومصدر تشريعهم، وسرُّ تميزهم عن غيرهم من أصحاب المناهج الضالة، وكذلك فإن أهل السنة لم يرفعوا شعار التمسك بالكتاب والسنة دون أن يكون له رصيد في واقعهم كما يفعل أصحاب الأهواء فإن أهل الأهواء يزعمون أنهم متبعون للكتاب والسنة ولكن واقعهم في تقريراتهم وردودِهم يدل على خلاف ذلك؛ بل هم من أبعد الناس عن التمسك بالكتاب والسنة، ولكن أهل السنة – رحمهم الله – صدقوا قولهم بفعلهم، فهذه مصنفاتهم تشهد لهم بذلك وتقريراتهم ، والتي استفاضت وتواترت عنهم حتى على لسان أعدائهم، وكان أهل السنة من أعلم الناس بما ورد عن الله وعن رسوله ﷺ وأهل البدع من أجهل الناس بما ورد عن الله وعن رسوله ﷺ :

شَتَّان بَيْن الحالتين فَإِنْ تُرِدْ ... جَمْعاً فما الضِّدَّانِ يجتمعان (١)

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية : "ومن المعلوم أن المعظمين للفلسفة والكلام المعتقدين لمضمونها هم أبعد عن معرفة الحديث، وأبعد عن إتباعه من هؤلاء – يعني أهل السنة – وهذا أمر محسوس، بل إذا كشفت أحوالهم وجدتهم من أجهل الناس بأقواله ﷺ وأحواله، وبواطن أموره وظواهرها، حتى لتجد كثيراً من العامَّة أعلم بذلك منهم، ولتجدهم لا يميزون بين ما قاله الرسول ﷺ وما لم يقله، بل قد لا يفرقون بين حديث متواتر عنه، وحديث مكذوب موضوع عليه ..." أ.هـ (٢) .

وقد أدرك السلف – رحمهم الله – أن النجاة والسلامة في اتباع السنة والأثر وما دل عليه الكتاب والسنة، وأن سبب ضلال من ضل إنما هو بإعراضه عن الكتاب

---

(١) نونية ابن القيم المسماة بـ"الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية" ص٣١، تحقيق: عبدالله العمير، طبعة دار ابن خزيمة، ط .الأولى، ١٤١٦هـ.

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٩٥) ،رد الدارمي على بشر المريسي (١/ ٣٠٤).

والسنة قولاً وعملاً واعتقاداً .

يقول شيخ الإسلام: "وعامة هذه الضلالات إنما تطرق من لم يعتصم بالكتاب والسنة كما كان الزهري يقول: كان علماؤنا يقولون: الاعتصام بالسنة هو النجاة، وقال مالك : "السنة سفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق" أ.هـ [١].

وقال في موضع آخر: "ولهذا كانوا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة، قال مالك – رحمه الله – : "السنة مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك" ، وهذا حق. فإن سفينة نوح إنما ركبها من صدق المرسلين واتبعهم، وأن من لم يركبها فقد كذب المرسلين، و إتباع السنة هو إتباع الرسالة التي جاءت من عند الله فتابعها بمنزلة من ركب مع نوح السفينة باطناً وظاهراً، والمتخلف عن إتباع الرسالة، بمنزلة المتخلف عن إتباع نوح – عليه السلام – و ركوب السفينة معهُ" أ.هـ [٢] .

وقد أدرك السلف كذلك أنه لا سبيل إلى الكشف عن ضلال المضلين وتلبيس الملبسين إلا بالاعتصام بالكتاب والسنة .

يقول شيخ الإسلام: "وهكذا إذا تدبر المؤمن العليم سائر مقالات الفلاسفة وغيرهم من الأمم التي فيها ضلال وكفر، وجد القرآن والسنة (كاشفان) [٣] لأحوالهم، (مبينان)[٤] لحقهم، (مميزان)[٥] بين حق ذلك وباطله، والصحابة كانوا أعلم الخلق بذلك، كما كانوا أقوم الخلق بجهاد الكفار والمنافقين ..." أ.هـ [٦] .

والسلف – رحمهم الله – التزموا هذا المنهج أعني التمسك والاعتصام بالكتاب والسنة وبما كان عليه السلف ولم يتذبذبوا ولم يترددوا ، ولم يرضوا بغيره بديلاً ولا عنه

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ٥٦-٥٧).

(٢) المصدر السابق (٤/ ١٣٧).

(٣) كذا في المطبوع ولعلها بالنصب (كاشفين).

(٤) كسابقه .

(٥)كسابقه.

(٦) المصدر السابق .

تحويلاً وأما أهل البدع فقد وصل الحال بهم إلى التصريح بمخالفة ما كان عليه السلف وأصبح الشعار الذي يعرفون به هو ترك ومخالفة ما كان عليه سلف الأمة.

يقول شيخ الإسلام : "... نعلم أن شعار أهل البدع : هو ترك انتحال إتباع السلف ولهذا قال الإمام أحمد في رسالة عبدوس بن مالك: "أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب النبي ﷺ " ... أما أن يكون انتحال السلف من شعائر أهل البدع: فهذا باطل قطعاً . فإن ذلك غير ممكن إلا حيث يكثر الجهل ويقل العلم.

يوضح ذلك: أن كثيراً من أصحاب أبي محمد من أتباع أبي الحسن الأشعري يصرحون بمخالفة السلف – في مثل مسألة الإيمان، ومسألة تأويل الآيات والأحاديث – يقولون: "مذهب السلف: أن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص، أما المتكلمون من أصحابنا : فمذهبهم كيت وكيت ، وكذلك يقولون: مذهب السلف أن هذه الآيات والأحاديث الواردة في الصفات لا تتأول والمتكلمون يريدون تأويلها إما وجوباً وإما جوازاً" ويذكرون الخلاف بين السلف وبين أصحابهم المتكلمين، هذا منطوق ألسنتهم ومسطور كتبهم" أ.هـ بتصرف [1].

وسوف نبين أن الاعتماد على الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة هو منهج أهل السنة من خلال الأمور التالية:

١ – استفاضة أقوالهم في مصنفاتهم على وجوب التمسك بالوحيين والرد إليهما عند التنازع:

والباحث المنصف لا يجد عناءً فلو اختار أي مصنف من مصنفاتهم لوجدهم ينصون على ذلك مراراً وتكراراً ، وخاصة في مقدمات مصنفاتهم وأنه هو المنهج الذي التزموا به وساروا عليه، وبه يقيمون الحجة على خصومهم.

يقول الأوزاعي في رسالته في الاعتقاد: "اصبر نفسك على السنة وقف حيث وقف القوم وقل بما قالوا، وكُفَّ عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/ ١٥٥-١٥٦).

يسعهم" أ.هـ (١).

وقال الإمام أحمد : "والسنة عندنا آثار رسول الله ﷺ ، والسنة تفسر القرآن وهي دلائل القرآن ..." أ.هـ (٢).

ويقرر هذا المنهج بوضوح أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب الإيمان حيث يقول: "والأصل الذي هو حجتنا في ذلك إتباع ما نطق به القرآن فإن الله تعالى ذكره علواً كبيراً قال في محكم كتابه : ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[النساء: ١٥٩] ..." أ.هـ (٣).

ويقول الدارمي : "فإذا اجتمع الكتاب وقول الرسول وإجماع الأمة، لم يبق لمتأول عندها تأوُّل، إلا لمكابر أو جاحد ..." أ.هـ (٤).

ويقول محمد بن نصر المروزي: "فإن قيل فما الحجة في أن الإيمان برسول الله ﷺ إنما هو بتصديقه، و إتباع ما جاء به؟ قيل : كتاب الله عز وجل ، وسنة رسول ﷺ ،قال الله عز وجل: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾[النساء: ٦٥] ،وقال: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[النور: ٦٣] ... " (٥).

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الناس:" أنه لا رأي لأحدٍ مع سنة رسول الله ﷺ "أ.هـ (٦).

٢- منهجهم العملي في مصنفاتهم:

إضافة إلى ما سبق من استفاضة أقوالهم في الحث بل وجوب التمسك بالكتاب

---

(١) انظر: اعتقاد الأوزاعي في اللالكائي (١/ ١٥٤).

(٢) اللالكائي (١/ ١٥٦)، وانظر: طبقات الحنابلة (١/ ٢٤١) عند ترجمة عبدوس بن مالك العطار، وانظر: كلاماً للإمام أحمد في السنة لابنه عبدالله (١/ ١٣٩) برقم (١٠٨).

(٣) الإيمان لأبي عبيد، ص١٠ .

(٤) الرد على الجهمية ص١٢٢ – ١٢٣ .

(٥) تعظيم قدر الصلاة لابن نصر (٢/ ٦٥٣).

(٦) تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢/ ٦٧٩).

والسنة وإجماع سلف الأمة صدقت أفعالهم أقوالهم، فهذه مصنفاتهم تشهد بذلك وهو برهان عملي منهم لمن أراد معرفة منهجهم في هذه القضية بخلاف غيرهم من أصحاب المناهج الضالة الذين يدعون التمسك بالكتاب والسنة فإذا ما رجعت ونظرت وقلبت طرفك في مصنفاتهم ومؤلفاتهم ألفيتها لا تحوي إلا زبالة أذهانهم ومنحوت أفكارهم، وترى مصنفاتهم مجدبة من نصوص الكتاب والسنة، خصبة غنية بالآراء العقلية – زعموا – وهي مصادمة ومضادة لما دل عليه الوحي المطهر.

وقد برز المنهج العملي لسلفنا الصالح في هذه القضية من خلال أمورٍ عدة نجملها فيما يلي:

أ- عناوين مصنفاتهم:

قبل أن نقرأ في مصنفاتهم تجد في عناوين كتبهم ما يدل على ذلك لأنهم يفتخرون ويجعلون شعارهم ووسامهم وعنوانهم هو التمسك بالأثر والسنة.

لقد علم الخاص والعام أن غالب مصنفات السلف في الاعتقاد أطلق عليها لفظ: "السنة" إشارة إلى أن مصدرهم في اعتقادهم هو الوحي المنزل على رسول الله ﷺ.

ولهذا كان يطلق لفظ السنة في مقابل البدعة، بل نص السلف في كتبهم على أن مرادهم بالسنة أي ما ثبت عن الله وعن رسوله فيما يخص الاعتقاد.

قال الحميدي: "السنة عندنا: أن يؤمن الرجل بالقدر خيره وشره حلوه ومره" [1] أ.هـ. ثم ذكر بقية مسائل الاعتقاد.

وقال الإمام أحمد: "أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم، وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة..." أ.هـ [2].

ولعل من أشهر ما وصل إلينا مطبوعاً من مصنفاتهم التي عنونت باسم السنة[3].

---

(١) أصول السنة للحميدي، ص٣٦، تحقيق مشعل الحواري، طبعة دار ابن الأثير، الكويت، ط. الأولى، عام ١٤١٨هـ.

(٢) طبقات الحنابلة (١/ ٢٤١).

(٣) سيأتي ذكر المصنفات مع بيان المخطوط والمطبوع والمفقود في الباب القادم – بإذن الله –.

-السنة لعبد الله بن الإمام أحمد.

-السنة لابن أبي عاصم .

-أصول السنة للحميدي.

-شرح السنة للمزني.

-السنة للمروزي.

ب- عقد أبواب مستقلة – في مصنفاتهم – للحث على التمسك بالكتاب والسنة:

ولشدة عناية السلف بهذه القضية عقدوا لها أبواباً مستقلة، وكانت في الغالب في بداية مصنفاتهم، وإن لم يكن هناك باباً مستقلاً فيبدأون بذكر الآيات والآثار التي تدل على هذا الأمر.

- الأمثلة على هذا الأمر:

المثال الأول: ابن أبي عاصم في السنة:

عقد باباً بعنوان "باب ما أمر به ﷺ من إتباع السنة وسنة الخلفاء الراشدين"(١) .

المثال الثاني: كتاب السنة لمحمد بن نصر المروزي:

والعجيب أن ابن نصر ألف هذا الكتاب ليبين وجوب الاحتجاج بالسنة وأنها قرينة كتاب الله عز وجل في الاحتجاج، والكتاب من أوله إلى آخره حول هذه القضية .

وكذلك يتبع لهذه القضية الترجمة بلفظ الآية أو لفظ حديث أو لفظ أثر وسيأتي بيانها عند المبحث الخاص بالتبويب والترتيب.

ج- الأصل الذي يرجع إليه عند المناظرة مع الخصوم هو الكتاب والسنة:

لقد برز منهج السلف في الاعتماد على الكتاب والسنة عملياً بوضوح من خلال:

١-الرد على أهل البدع.

٢-المناظرة مع أهل البدع.

أما الأول: فسيأتي الكلام عليه مفصلاً عند الحديث عن منهجهم في الرد على أهل

---

(١) السنة طبعة المحققة (١/ ٧٠) باب رقم (١٧) .

البدع.

وأما الثاني: فكان الأساس الذي ينطلقون منه هو الكتاب والسنة وهو الحاكم والفاصل بينهم وبين خصومهم ولا يرضون به بديلاً ولا عنه تحويلاً.

قال عبد العزيز الكناني في "كتاب الحيدة" في مناظرته لبشر المريسي:

"يا أمير المؤمنين – أطال الله بقاءك – كل متناظرين على غير أصل يكون بينهما يرجعان إليه إذا اختلفا في شيء من الفروع فهما كالسائر على غير الطريق، لا يعرف الحجة فيتبعها ويسلكها وهو يعرف الموضع الذي يريد فيقصده ، ولا يدري من أين جاء فيرجع يطلب الطريق فهو على ضلالٍ أبداً ،ولكننا نؤصل بيننا أصلاً ، فإذا اختلفنا في شيءٍ من الفروع رددناه إلى الأصل فإن وجدناه فيه وإلا رميناه به ولم نلتفت إليه.

قال عبد العزيز : فقال لي المأمون: نعم ما قلت فاذكر الأصل الذي تريد أن يكون بينكما، ويذكر أيضاً هو مثله (بغير مشير) حتى تتفقا على الأصل فتواصلاه بينكما،قال عبد العزيز: فقلت يا أمير المؤمنين – أطال الله بقاءك – أؤصل بيني وبينه ما أمرنا الله به واختاره لنا وأدبنا به وعلمنا ودلنا عليه عند التنازع والاختلاف ولم يكلنا إلى أنفسنا ولا إلى اختيارنا،

فقال المأمون: وذلك موجود عن الله عز وجل؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين قال الله تعالى : ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾[النساء : ١٥٩] ... أ.هـ"[(١)] .

د- الاقتصار في بعض مؤلفاتهم وردودهم على النصوص الشرعية :

ومما يبرز هذا النهج كذلك أنهم في بعض مصنفاتهم لا يخلطون النصوص الشرعية بأي كلام منهم إشعاراً منهم بأن في كلام الله وكلام رسوله الكفاية وأن هذه العقيدة واضحة بحيث يستطيع فهمها واعتقادها كل من قرأ نصوص الوحيين بخلاف العقائد الباطلة القائمة على الأدلة العقلية المعقدة والألغاز التي لا يفهمها كاتبوها فضلاً عن

(١) الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن للكناني ، ص ٣١- ٣٢ ، تحقيق د. علي الفقيهي

من يقرأها بل فضلاً عن عامة الناس.

وهم يعتمدون هذه الطريقة أثناء التقرير للاعتقاد وليس أثناء الرد وهذا هو الغالب.

وهذه الطريقة يستفيد منها الناس في معرفتهم لكل ما ورد حول هذه المسألة أو القضية التي ظهر فيها القول المبتدع فيعرف الناس ما ورد في الكتاب والسنة وهنا تظهر لهم المخالفة ويكونون على علم بما ورد ويستغنون به عن كتب أهل البدع ومقولاتهم ولهذا تجد أن السلف يؤلفون على مثل هذه الطريقة سواءً في مؤلف عام في كل أبواب الاعتقاد مثل: "السنة لابن أبي عاصم" ولعل التعليق الوحيد في الكتاب في موضع واحد عند باب "ذكر قول النبي ﷺ سألت ربي ثلاثاً "(١).

أو في مؤلف في مسألة معينة كمسألة الإيمان مثلاً ألف فيها ابن أبي شيبة مصنفاً لطيفاً ولم يذكر سوى الأحاديث والآثار وعلّق تعليق في آخر الكتاب وهذا نصه: "قال أبوبكر: "الإيمان عندنا قول وعلم، ويزيد وينقص" أ.هـ(٢)".

بل حتى في إجاباتهم على ما يرد إليهم من مسائل يقتصرون في الرد على ذكر النص الشرعي إشعاراً منهم بوضوح المسألة وكذلك إشعار السائل بقوة الجواب أنه قد جاء النص به(٣).

هـ- ربط الأدلة العقلية بالنصوص الشرعية:

ولعل مما ميز السلف أثناء سردهم للأدلة العقلية على مسائل الاعتقاد أنهم اعتمدوا الطريقة الشرعية وهي ما أشار إليه الكتاب والسنة من الأدلة العقلية أو ما كان

---

(١) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٢١١) باب رقم (٥٤).

(٢) الإيمان لابن أبي شيبة ص٥٠ ، تحقيق الألباني.

(٣) جاء في السنة لعبدالله بن الإمام أحمد (١/ ١٦٤) برقم (١٨٠): "وسألته (يعني الإمام أحمد) عمَّن قال: لفظي بالقرآن مخلوق؟ فقال: قال الله عز وجل: ﴿وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ التوبة[٦] ، قال النبي ﷺ :"حتى أبلغ كلام ربي" وقال النبي ﷺ : "إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس" أ.هـ.فهذا الإمام - رحمه الله - لم يذكر شرحاً ولا تفصيلاً إشارة منه للسائل أن في الكتاب والسنة غُنية عن كلام الناس.

مستنداً إلى أصل من الأصول التي يقررها الكتاب والسنة .

ولعلي اكتفي هنا بذكر مثال واحد فقط، وسوف نذكر بالتفصيل منهج أهل السنة في الأدلة العقلية في مبحث قادم – بإذن الله – .

قال عبد الله بن الإمام أحمد : "سمعت سوار بن عبد الله القاضي يقول دخلت على رجل أعوده من وجع به فقال: القرآن ليس بمخلوق، وذاك أنه كل من عوذني قال: أعيذك بالله ، أعيذك بالقرآن فعلمت أن القرآن ليس بمخلوق" أ.هـ[(١)] .

وهذا استدلال مرتبط بما ورد في الاستعاذة بكلام الله وهو وارد في الكتاب والسنة ولا يستعاذ إلا بالله وبصفاته ولا يستعاذ بمخلوق وقد جاء التصريح به في غير موضع من كتب السلف.

قال البخاري: "باب ما كان النبي ﷺ يستعيذ بكلمات الله لا بكلام غيره،وقال نعيم بن حماد: "لا يستعاذ بالمخلوق ولا بكلام العباد والجن والإنس والملائكة. (قال البخاري): وفي هذا دليل أن كلام الله غير مخلوق وأن سواه خلق..."أ.هـ[(٢)] .

ونختم بكلام نفيس لشيخ الإسلام حول الأدلة العقلية التي جاء بها القرآن:قال: "ودلالة القرآن على الأمور نوعان:

أحدهما: خبر الله الصادق، فما أخبر الله ورسوله به فهو حق كما أخبر الله به.

والثاني: دلالة القرآن بضرب الأمثال وبيان الأدلة العقلية الدالة على المطلوب فهذه دلالة شرعية عقلية، فهي "شرعية" لأن الشرع دلَّ عليها، وأرشد إليها؛ و"عقلية" لأنها تعلم صحتها بالفعل، ولا يقال: إنها لم تعلم إلا بمجرد الخبر..."أ.هـ[(٣)] .

و- أهل السنة يؤمنون بما جاء عن الله وعن رسوله وإن لم تدركه عقولهم:

ومما ميز سلف الأمة كذلك أنهم يؤمنون بالنصوص الشرعية حتى ولو أنهم لم

---

(١) السنة لعبدالله بن الإمام أحمد (١/ ١٦٢) برقم (١٧٢).
(٢) خلق أفعال العباد ص١٤٣ .
(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ٧١).

يفهموا معناها تعظيماً للوحي واعتقاداً بالعصمة في حقه وقدحاً في عقول البشر التي يعتريها الجهل والنقص.

يقول شيخ الإسلام: "... ولهذا كان سلف الأمة وأئمتها يجعلون كلام الله ورسوله هو الإمام والفرقان الذي يجب إتباعه، فيثبتون ما أثبته الله ورسوله ، وينفون ما نفاه الله ورسوله، ويجعلون العبارات المحدثة المجملة المتشابهة ممنوعاً من إطلاقها: نفياً وإثباتاً ، لا يطلقون اللفظ ولا ينفونه إلا بعد الاستفسار والتفصيل ، فإذا تبين المعنى أُثْبِتَ حَقُّه ونُفِيَ باطلُه، بخلاف كلام الله ورسوله، فإنه حق يجب قبوله وإن لم يفهم معناه ، وكلام غير المعصوم لا يجب قبوله حتى يفهم معناه ..." أ.هـ [(١)].

ز- عدم تفريقهم في الاحتجاج بين الكتاب والسنة:

مع أن جل مصنفات السنة الأصل ذكر ما ورد في السنة حول مسائل الاعتقاد وعنوانها يدل على ذلك، لكنهم يحتجون بالأمرين معاً ولهذا تجد في كتبهم الاحتجاج بالآيات وذكر ما يستنبط منها، وهذا برهان عملي منهم أنهم يحتجون ويعتمدون في دينهم على الكتاب والسنة معاً ولا يحتجون بأمرٍ ويتركون الآخر.

والأمثلة من كتب السنة كثيرة جداً. ولكن نذكر أبرز الأمثلة وأظهرها .

ما ورد في كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد:

عقد باباً بعنوان : "الآيات التي يحتج لها على الجهمية من القرآن". ثم قال: "وجدت في كتاب أبي بخط يده مما يحتج به على الجهمية من القرآن الكريم ..." ثم سرد الآيات الكثيره ابتداءً من سورة البقرة إلى سورة النجم حيث بلغت ما يقارب (٧) صفحات من القطع الكبير" [(٢)].

وفي هذا دلالة واضحة على عناية السلف واهتمامهم بالقرآن والسنة معاً وإدخال ذلك في كتبهم – رحمهم الله – رحمة واسعة .

---

(١) درء التعارض (١/ ٧٦)، رد الدارمي على بشر (٢/ ٦٤٧).

(٢) انظر: السنة لعبدالله (٢/ ٥١٢-٥٢٠) برقم (١٢٠٢).

كلام نفيس للمروزي في تعظيم قدر الصلاة:

ولعلي هنا أسوق نصاً لأحد أئمة السلف في تلك الفترة يقرر هذه القضية بجلاء ووضوح حيث قال: "ليس لأحد أن يقول: ليس الإسلام إلا ما في حديث فلان دون غيره من الأحاديث، حتى تقرَّ بها كلها .

وكذلك الإيمان لم يأت مفسراً بكماله في آية ولا آيتين ولا حديث ولا حديثين وكذلك الصلاة والزكاة والحج والصوم لم يأت شيء من ذلك بكماله في آية و لا آيتين ولا حديث ولا حديثين ... " أ.هـ (١) .

ولعل مما يلحق بقضية عدم تفريقهم في الاحتجاج بين الكتاب والسنة؛ بيانهم لموافقة السنة للكتاب والعكس، ويظهر ذلك عند استدلالهم لبعض المسائل العقدية فعلى سبيل المثال عند استدلال أهل السنة لمسألة عدم خروج مرتكبي الكبائر من الإيمان بقوله ﷺ في حديث البيعة ومما جاء فيه : "... ومن أصاب من ذلك شيئاً، فستره الله في الدنيا فأمره إلى الله إن شاء عاقبة وإن شاء عفا عنه ..." (٢) ففي هذا الحديث دلالة على عدم تخليده في النار فدل على أنه من أهل الإيمان، وأهل السنة يعضدون هذا الاستدلال بالآيات من القرآن فيقول الإمام محمد بن نصر المروزي : "...وقوله ﷺ : إن شاء غفر له وإن شاء عذبه" هو نظير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء : ٤٨] فحكم بأن الشرك غير مغفور للمشرك يعني إذا مات غير تائب منه لقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال : ٣٨] . مع آيات غير هذه . تدلُّ على أن التائب من الشرك مغفور له شركه، وأخبر أنه يغفر ما دون الشرك لمن يشاء ، يعني لمن أتى ما دون الشرك ..." أ.هـ (٣)

ح- مطالبة المخالف بالنص الشرعي لتصحيح دعواه:

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٤٢٤).

(٢) الحديث أخرجه البخاري في الإيمان برقم (١٨) باب رقم (١١).

(٣) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٦١٧)، وانظر للاستزادة: الرد على بشر للدارمي (١/ ٣٩١)، وكذلك (١/ ٤٩٢).

إن مما يظهر ثقة السلف بمنهجهم ، ويبين قوة حجتهم تحديهم لأهل البدع أثنا الرد عليه أو مناظرتهم أن يأتوا بدليل واحد من كتاب أو سنة أو إجماع عن السلف يؤ بدعتهم وباطلهم: وأنَّى لهم ذلك.

والأمثلة على ما ذكرنا كثيرة ولكن نقتصر على الآتي.

المثال الأول: "الدارمي في الرد على الجهمية":

قال - رحمه الله - في معرض رده على الجهمية نفاة العلو والاستواء الذين يقو ون إنه في كل مكان: "... قلنا : فما الذي دعا الملك القدوس إذ هو على عرشه في عزه وبهائه بائن من خلقه، أن يصير في الأمكنة القذرة، وأجواف الناس والطير والبهائم ويصير - بزعمكم- في كل زاوية وحجرة ومكان منه شيء ؟.

لقد شوهتم معبودكم إذ كانت هذه صفته، والله أعلى وأجلّ من أن تكون هذه صفته، فلا بد لكم من أن تأتوا ببرهان بيِّنٍ على دعواكم من كتاب ناطق أو سنةٍ ماضية، أو إجماع من المسلمين، ولن تأتوا بشيء منه أبداً " ا.هـ [(١)].

المثال الثاني: "الدارمي في الرد على بشر المريسي" :

قال - رحمه الله - : "وأما دعواك : أن تفسير "القيوم" الذي لا يزول من مكانه ولا يتحرك، فلا يقبل منك هذا التفسير إلا بأثر صحيح، مأثور عن رسول الله ﷺ ، أو عن بعض أصحابه، أو التابعين ..." أ.هـ [(٢)].

ط- نقلهم واحتجاجهم بفهم السلف للنصوص الشرعية:

إن مما يكمل ويظهر اعتماد السلف على النصوص الشرعية التزامهم بفهمها وفق فهم السلف لأنهم أقرب إلى مشكاة النبوة وأعلم بحال النصوص من حيث الإجمال والبيان والإحكام والتشابه والناسخ والمنسوخ وغير ذلك مما يعين على فهم النص الشرعي ومن ثم العمل به.

---

(١) الرد على الجهمية للدارمي ص٤٢ .
(٢) الرد على بشر للدارمي (١/ ٢١٥) .

قال الدارمي في أثناء رده على الجهمية: "... وقد علمتم – إن شاء الله – أنه لا يستدرك سنن رسول الله ﷺ وأصحابه وأحكامهم وقضاياهم إلا بهذه الآثار والأسانيد على ما فيها من الاختلاف ، وهي السبب إلى ذلك ، والنهج الذي درج عليه المسلمون، وكانت إمامهم في دينهم بعد كتاب الله عز وجل. منها يقتبسون العلم، وبها يقضون ، وبها يقيمون، وعليها يعتمدون، وبها يتزينون ، يرثها الأول منهم الآخر، ويبلغها الشاهد منهم الغائب، احتجاجاً بها، واحتساباً في أدائها إلى من لم يسمعها، يسمُّونها السنن والآثار والفقه والعلم، ويضربون في طلبها شرق الأرض وغربها، يحلُّون بها حلال الله ويحرمون بها حرامه، ويميزون بها بين الحق والباطل والسنن والبدع، ويستدلون بها على تفسير القرآن ومعانيه وأحكامه، ويعرفون بها ضلالة من ضلَّ عن الهدى، فمن رغب عنها فإنما يرغب عن آثار السلف وهديهم ، ويريد مخالفتهم ليتخذ دينه هواه، وليتأول كتاب الله برأيه خلاف ما عنى الله به.

فإن كنتم من المؤمنين ، وعلى منهاج أسلافهم ، فاقتبسوا العلم من آثارهم، واقتبسوا الهدي في سبيله، وأرضوا بهذه الآثار إماماً ، كما رضي بها القوم لأنفسهم إماماً ، فلعمري ما أنتم أعلم بكتاب الله منهم ولا مثلهم ، ولا يمكن الإقتداء بهم إلا بإتباع هذه الآثار على ما ترون، فمن لم يقبلها فإنه يريد أن يتبع غير سبيل المؤمنين وقال تعالى: ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء : ١١٥] ..." أ.هـ [(١)].

ولهذا كان من سمات أهل البدع عدم اعتدادهم بفهم السلف وتفسيرهم وعملهم بالنصوص الشرعية، وكان هذا من أسباب ضلالتهم وبعدهم عن الحق .

ي- أهل السنة يستدلون بالنصوص على وجه الاعتماد وأهل البدع على وجه الاعتضاد والاستشهاد:

إن مما ميز أهل السنة عن أهل الأهواء والبدع أنهم يجعلون النص الشرعي هو

(١) الرد على الجهمية للدارمي ، ص١٢٦-١٢٧ .

الأصل ويستنبطون منه المسائل، أما أهل الأهواء فيقررون المسائل عن طريق الاستنباط العقلي المجرد ثم يتكلفون البحث له عن دليل بل يتعسفون في ذلك ويحاولون أن يجعلوا النصوص موافقة لأهوائهم وبدعهم [(١)].

ولهذا نجد أن أهل السنة قد يفردون باباً أو مبحثاً في شرح حديث ويقررون مسائل العقيدة من خلال شرح النص الشرعي.

ومن الأمثلة على ما ذكرنا ما ذكر الإمام محمد بن نصر المروزي في كتاب تعظيم قدر الصلاة حيث أفرد باباً في شرح حديث: "الدين النصيحة" [(٢)]. حيث قال: "وهذا باب جامع مختصر من نفس تفسير الإيمان والإيمان شبيه بحديث جبريل على هذا التفسير الذي حكيناه، وهو قول النبي ﷺ : "إنما الدين النصيحة" بكلمة واحدة جامعة، فلما قيل: لمن؟ قال: لله، ولكتابه، ولرسوله، ولأئمة المسلمين وعامتهم..."أ.هـ [(٣)].

---

(١) ويقول شيخ الإسلام في التسعينية عن أهل البدع (٣/ ٩٨١) : "وإذا استدلوا بالقرآن كان ذلك على وجه الاعتضاد والاستشهاد لا على وجه الاعتماد والاعتقاد، وما خالف قولهم من القرآن تأولوه على مقتضى آرائهم، واستخفت بالكتاب والسنة وسموها ظواهر ..." أ.هـ .
وانظر : نفس المعنى في منهاج السنة (٧/ ٣٧).

(٢) الحديث أخرجه مسلم عن تميم الداري في كتاب الإيمان برقم (٥٥).

(٣) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٦٨١).

المطلب الثاني: احتجاجهم بالإجماع:

تقدم الحديث عن الإجماع وأهميته وتعريفه وأدلة حجيته، ويحسن بنا هنا أن نذكر بعض الصور والأنواع للإجماعات المتنوعة التي نقلها السلف في القرون الثلاثة الأولى، والتي تدل على احتجاجهم بالإجماع سواءً أثناء تقريرهم لمسائل الاعتقاد، أو أثناء ردهم على المخالفين من أهل البدع.

وقبل أن نذكر الإجماعات التي نقلها السلف في كتبهم لابد أن نشير إلى أن بعض أهل البدع كالشيعة والخوارج وبعض فرق المعتزلة [1]. لا يحتجون بالإجماع بل ينكرونه، وعليه فإن الاحتجاج بالإجماع يعتبر ميزة تميز بها أهل السنة عن غيرهم من أهل البدع.

ولعل مما يبرز أهمية ذكر الإجماع في بعض مسائل الاعتقاد أنه يظهر ويكشف شذوذ بعض الآراء المبتدعة وأنها مخالفة لما كان عليه السواد الأعظم، وخاصّة بعض التوجهات البدعية المعاصرة التي تتبع الشاذ من الآراء والفاسد من الأقوال لكي تبرر انحرافها عن المنهج الصحيح، ولعل مما يمكن أن يكون سدًّاً منيعاً أمام هؤلاء إثبات الإجماع في مثل هذه المسائل التي خالفوا فيها عقيدة أهل السنة ولعل من أبرز الأمثلة على هذا التوجه هو التوجه العقلاني المعاصر الذين لم يكن الكتاب والسنة والإجماع مصدر تلقيه بل ما تمليه عليه عقولهم وآراءهم ولا يتسع المقام هنا لذكر مناهجهم وآراءهم وفرقهم—والله المستعان— [2].

منهجهم في الاحتجاج بالإجماع في مصنفاتهم:

أ– التبويب بما يفيد احتاجهم بالإجماع:

لعل من أظهر الأساليب والطرق التي استخدمها السلف لبيان احتجاجهم

(١) انظر: موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي لسعدي أبو حبيب (١/ ٣٦)، طبعة دار الفكر، سوريا، ط. الثالثة، ١٤١٩هـ. منهج الاستدلال لعثمان علي حسن (١/ ١٤٠).

(٢) هناك رسالة علمية في قسم العقيدة لأخينا الدكتور سعيد بن عيضه الزهراني حول هذا الموضوع فليرجع إليها.

بالإجماع على مسائل الاعتقاد وهو التبويب بلزوم الجماعة أو بما يفيد الاحتجاج بالإجماع.

وأهل السنة يعنون بلزوم الجماعة إما الإجماع سواءً على مسائل أصول الدين والأحكام أو الاجتماع على أمير وإمام وعدم الخروج عليه فكلها من معاني الجماعة.

والذي يهمنا هنا هو التبويب بلزوم الجماعة أي ما اجتمع عليه السلف من المسائل ولعل من أبرز الأمثلة مما يؤيد ما ذكرناه هو ما فعله الإمام أبوبكر بن أبي عاصم في السنة حيث عقد باباً عن التمسك بالسنة والحث على العمل بها ثم أردفه بباب يتحدث عن لزوم الجماعة فقال - رحمه الله - : "باب : ما ذكر عن النبي ﷺ من أمره بلزوم الجماعة وإخباره أن يد الله مع الجماعة" (١).

ومما أورده من الأحاديث قوله ﷺ : "عليكم بالجماعة فإن الله لا يجمع أمة محمد ﷺ على ضلالة" (٢).

وتقدم تبويب الإمام البخاري بالآية التي يحتج بها أهل العلم لبيان حجية الإجماع وتقدمت الإشارة إلى كلام الشراح حول الباب (٣).

ومما يؤيد أن مراد السلف بلزوم الجماعة هو الاحتجاج بالإجماع ووجوب العمل به. ما ذكره الإمام الشافعي في الرسالة حيث قال: "وأمْر رسول الله ﷺ بلزوم جماعة المسلمين مما يُحتجُّ به في أن إجماع المسلمين - إن شاء الله - لازم" أ.هـ(٤).

ب - نقلهم الإجماع في بعض المسائل التي ذكرت في المصنف :

ومن طرائقهم بعد سرد الآيات والأحاديث والآثار التي يستدلون بها على مسائل

---

(١) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٨٦).

(٢) الحديث أخرجه ابن أبي عاصم في السنة برقم (٨٥) (١/ ٨٩).والطبراني في المعجم الكبير (١٧/ ٢٣٩) برقم (٦٦٥) وبرقم (٦٦٦) والحاكم في المستدرك في الفتن والملاحم (٤/ ٥٠٧)وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبي. وأورده الهيثمي في المجمع (٥/ ٢١٩) وقال: "رجاله ثقات".

(٣) انظر: المبحث حول الإجماع في الباب الأول.

(٤) الرسالة ، ص٤٠٣.

الاعتقاد أن يختم ذلك بذكر إجماع السلف على هذه المسائل زيادة منهم في إقامة الحجة وإبراز منهجهم في الاحتجاج بالإجماع وهم إما يذكرونها على سبيل الإجمال أو على سبيل التفصيل ، أما على سبيل الإجمال فمثاله ما فعله الإمام المزني [(١)] في رسالته في السنة حيث قال في آخرها:"هذه مقالات وأفعال اجتمع عليها الماضون الأوَّلون من أئمة الهدى وبتوفيق الله اعتصم بها التابعون قدوةً ورضى و جانبوا التكلف فيما كفوا..." أ.هـ [(٢)].

والمؤلف أجمل الكلام ونقل الإجماع على ما سبق ذكره دون تعدادها تفصيلاً وهذا منه طلباً للاختصار خاصة في رسائلهم الصغيرة المجملة.

وأما التفصيل فمثاله ما صنفه الإمام ابن أبي عاصم في آخر كتابه السنة حيث قال:

"ومما اتفق أهل العلم على أن نسبوه إلى السنة: القول بإثبات القدر، وأن الاستطاعة مع الفعل للفعل، والإيمان بالقدر خيره، وشره، حلوه، ومره، وكل طاعة من مطيع فبتوفيق الله له، ..." أ. هـ [(٣)].

ثم ذكر بقية مسائل الاعتقاد واحدةً تلو الأخرى دون شرح أو تفصيل.

ج – نقل الإجماع في مسائل الاعتقاد المختلفة:

وأهل السنة قد يضيفون أثناء تقريرهم للمسألة أو ردهم على شبهة ذكر الإجماع تأييداً وتأكيداً لما ورد في الكتاب والسنة لبيان قوة قولهم وضعف قول المخالف ولعلنا نذكر بعض الأمثلة في بعض مسائل الاعتقاد على سبيل الإجمال وهي :

المثال الأول: نقل الإجماع في مسائل القدر.

وقال ابن قتيبة في معرض رده على القدرية: "كأنهم لم يسمعوا بإجماع الناس على ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ..." أ.هـ [(٤)].

---

(١) سيأتي ذكر ترجمته والكلام على رسالته في مبحث المصنف في الباب الأخير.
(٢) شرح السنة للمزني ، ص٨٩ بتحقيق: جمال المرزوق، طبعة مكتبة الغرباء الأثرية.
(٣) السنة لابن أبي عاصم (٢/ ١٠٢٧).
(٤) الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ، ص٢٢ .

المثال الثاني: نقل الإجماع في مسائل الصفات والعلو.

قال ابن قتيبة في معرض رده على المعتزلة نفاة الصفات: "فقالوا: هو الحليم، ولا نقول بحلم، وهو القادر ولا نقول بقدرة، وهو العالم ولا نقول بعلم، كأنهم لم يسمعوا إجماع الناس على أن يقولوا (أساء لك عفوك) وأن يقولوا (يعفو بحلم ويعاقب بقدرة) ..." أ.هـ [(١)].

وقال الإمام البخاري: "وقال سعيد بن عامر [(٢)] : الجهمية أشر قولاً من اليهود والنصارى ، قد اجتمعت اليهود والنصارى وأهل الأديان ، أن الله تبارك وتعالى على العرش وقالوا: هم ليس على العرش شيء" أ.هـ [(٣)].

وقال الدارمي: "وقد اتفقت الكلمة من المسلمين والكافرين أن الله في السماء..." [(٤)].

وقال في موضع آخر: "وقد اتفقت الكلمة من المسلمين أن الله تعالى فوق عرشه فوق سماواته..." أ.هـ [(٥)].

المثال الثالث: نقل الإجماع حول إثبات الكلام لله وأنه غير مخلوق:

قال الإمام البخاري : بعد ذكره أسماء علماء الأمصار الذين يقولون بأن القرآن كلام الله : "...وهؤلاء المعروفون بالعلم في عصرهم بلا اختلاف منهم يقولون أن القرآن كلام الله" أ.هـ [(٦)] .

المثال الرابع: نقل الإجماع حول الاعتقاد في الصحابة:

نقل ابن قتيبة الإجمال على الاعتدال في محبة عليٍ وآل البيت في معرض رده على

---

(١) الاختلاف في اللفظ ، ص٣٦ .

(٢) سعيد بن عامر الضبعي أبو محمد البعدي الزاهد الحافظ حدث عن شعبة وابن أبي عروبة وعنه أحمد وابن المديني وابن راهويه وغيرهم كثير كانت وفاته سنة (٢٠٨هـ) .
انظر :السير (٩/ ٣٨٥) ، التهذيب (٤/ ٤٤).

(٣) خلق أفعال العباد ص١٦-١٧.

(٤) الرد على بشر المريسي (١/ ٢٢٨).

(٥) المصدر السابق (١/ ٣٤٠).

(٦) خلق أفعال العباد، ص٦٩ .

الروافض والنواصب فقال : "... والسلامة لك أن لا تهلك بمحبته (يعني علياً) ولا تهلك ببغضه وأن لا تحتمل ضغناً عليه ، بجناية غيره فإن فعلت فأنت جاهل مفرط في بغضه، وأن تعرف له مكانه من رسول الله ﷺ بالتربية والأخوة والصهر، والصبر في مجاهدة أعدائه وبذل مهجته في الحروب بين يديه مع مكانه في العلم والدين والبأس والفضل من غير أن نتجاوز من الموضع الذي وصفه به خيار السلف لما تسمعه من كثير من فضائله فهم كانوا أعلم به وبغيره، ولأن ما أجمعوا عليه هو العِيَان الذي لا يشك فيه ..." أ.هـ (١) .

د- إبرار مخالفة أهل البدع للإجماع:

ومن طرائق السلف أثناء ردهم على أهل البدع بيانهم لمخالفة أقوال أهل البدع لإجماع سلف الأمة مما يضعف تلك الأقوال ويجعلها شاذة مخالفة لما كان عليه السلف .

ومن الأمثلة على ذلك ما يلي:

المثال الأول: إبراز مخالفتهم للإجماع في مسألة رؤية الله عز وجل.

قال الدارمي في معرض رده على بشر المريسي: "... فخالفتم بسلوك هذه المحجة جميع العالمين، ورددتم قول الله تعالى : ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾ [الأنعام : ١٠٣] إذ ادعيتم أن رؤيته يعني إدراك آياته وأموره وأفعاله ..." أ.هـ (٢) .

وقال في موضع آخر: "ولو قد رد الحديث أصلاً كان أعذر له من تفاسيره، هذه المقلوبة التي لا يوافقه عليها أحد من أهل العلم ، ولا من أهل العربية، فادعى الجاهل أن تفسير قول رسول الله ﷺ : "سترون ربكم لا تضامون في رؤيته" تعلمون أن لكم رباً لا تشكون فيه كما أنكم لا تشكون في القمر أنه قمر، لا على أن أبصار المؤمنين تدركه جهرة يوم القيامة ..." أ.هـ (٣) .

---

(١) الاختلاف في اللفظ ، ص٥٦ .

(٢) الرد على بشر المريسي (١/ ١٩٩).

(٣) المصدر السابق (١/ ٣٥٩).

المثال الثاني: إبراز مخالفتهم للإجماع حول العرش والكرسي:

نقل الدارمي عن المريسي تكذيبه لمن فسر الكرسي بأنه موضع القدمين وقال المريسي إن من فسَّره بغير العلم فهو كاذب.

فقال الدارمي معقباً على قوله: "ويلك أيها المريسي، قد سألنا العلماء ، وجالسنا الفقهاء، فوجدناهم كلهم على خلاف مذهبك، فسم عالماً ممن مضى، وممن غبر يحتج بمثل هذه العمايات، ويتكلم بها حتى نعرفه ونسأله ... وقد عرضنا كلامك على كلام من مضى ومن غبر من العلماء فما وجدنا أحداً على مذهبك، وعرضناه على لغات العرب والعجم فلم يحتمل شيء منها شيئاً من كلامك..." أ.هـ [(١)].

هـ - نقل الإجماع على بعض أنواع الاستدلال:

١ - الإجماع على بعض الأدلة من اللغة:

يكثر عند السلف نقل الإجماع على بعض قضايا اللغة التي يحتجون بها على المخالف لبيان ضعف احتجاجه وعدم معرفته بلغة العرب التي هي لغة القرآن وقد تنوعت طرائقهم في الاحتجاج باللغة وسيأتي مزيد بسط لهذا الأمر لاحقاً ولكن هنا سوف نذكر بعض الأمثلة في نقلهم الإجماع في بعض القضايا والمسائل اللغوية المتعلقة ببعض مسائل الاعتقاد وسوف نذكر هنا بعض الأمثلة.

المثال الأول:

نقل الإجماع المروزي - أثناء رده على احتجاج المرجئة لمذهبهم - في بعض معاني اللغة حول الإيمان ومسائله فكان مما قاله:

"وأما اللغة فقد أجمع أهلها أن قول القائل : "صدقت في أن لك عليَّ حق" أنه إقرار بلسانه، ولا يخلو من أحد معنيين: إما أن يكون أقر له لرهبة، أو لغير ذلك وهو منكر لحقه، فذلك منه كذب؛ لأنه غير مؤمن بما يقول، أو يكون عارفاً بذلك بقلبه ، مصدقاً له، وقد أجمعوا أن ذلك عبارة عما في قلبه تحقيق إيمانه بقلبه، ..." أ.هـ [(٢)].

---

(١) رد الدارمي على بشر (١/ ٤١٥-٤١٦) بتصرف.

(٢) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٧٨٠).

المثال الثاني:

ونقل الإجماع الدارمي أثناء رده على المريسي حول إدعاء المريسي أن معنى أصابع الرحمن أي قدرته فقال: "فيقال لك أيها المعجب بجهالته : في أي لغات العرب وجدت أن أصبعيه قدرتيه؟ فأنبئنا بها، فإنا قد وجدناها خارجة من جميع لغاتهم ..." أ.هـ [(١)].

٢- الإجماع على بعض الأمور الفطرية:

ومما يستدل به أهل السنة أثناء الرد على الخصم قضايا الفطرة ومن صور الاحتجاج باللفظ: نقل الإجماع على بعض صورها ومنها:

ما ذكره الدارمي حيث قال: "...ثم إجماعٌ من الأولين والآخرين العالمين منهم والجاهلين، أنَّ كل واحد ممن مضى وممن غبر إذا استغاث بالله تعالى أو دعاه أو سأله يمد يديه وبصره إلى السماء يدعوه منها ولم يكونوا يدعوه من أسفل منهم من تحت الأرض ولا من أمامهم، ولا من خلفهم..." أ.هـ [(٢)].

وقال محمد بن عثمان بن أبي شيبة: "وأجمع الخلق جميعاً أنهم إذا دعوا الله جميعاً، رفعوا أيديهم إلى السماء" أ.هـ [(٣)].

٣- الإجماع على بعض القضايا العقلية:

ومما قرره أئمة السلف أثناء ردهم على المخالف بعض القضايا والأدلة العقلية وسيأتي مزيد بسط لها – إن شاء الله – ، وكان مما نقلوه أثناء تقريرهم لبعض الأدلة العقلية ذكر الإجماع عليها حتى تظهر قوة حجتهم.

ومن الأمثلة على ذلك ما قرره الإمام الدارمي أثناء رده على الجهمية نفاة الصفاة فكان مما قال: "وعبدتم أنتم شيئاً هو عند الخالق لا شيء؛ لأن الكلمة قد اتفقت من الخلق كلهم أن الشيء لا يكون إلا بحدٍّ وصفة ..." أ. هـ [(٤)].

---

(١) الرد على بشر المريسي للدارمي (١/ ٣٦٩).
(٢) الرد على الجهمية للدارمي ، ص٤٤ ، وانظر مثالاً آخر في الرد على بشر المريسي (٢/ ٧٢٣).
(٣) العرش لابن أبي شيبة ، ص٥١ .
(٤) الرد على الجهمية ، ص٩٨ .

٤- الإجماع على بعض القضايا المتعلقة بعلوم الحديث:

ومما نقل الأئمة الإجماع عليه بعض القضايا المتعلقة بعلم الحديث كعلم الإسناد ورواة الأحاديث ولعلي أكتفي هنا بمثالين:

الأول: نقل الدارمي الإجماع على عدم الاحتجاج بأحد الرواة وهو الكلبي فقد قال: "وقد أجمع أهل العلم بالأثر عن أن لا يحتجوا بالكلبي في أدنى حلال ولا حرام..." أ.هـ (١).

الثاني: نقل الدارمي الإجماع على ترك بعض الأسانيد (٢).

و- نقل الإجماع على بعض المسائل الفقهية مما له صلة بمسائل الاعتقاد:

قد ينقل أهل السنة الإجماع على بعض المسائل في الأحكام الشرعية لإلزام المخالف حول بعض الاعتقادات الباطلة التي يعتقدها ومن هذه الأمثلة مسألة الإيمان.

فالإمام محمد بن نصر ألزم من أزال الإيمان مرتكب الكبيرة بمسألة وهي أن الإجماع منعقد على أن من وقعت من النساء في كبيرة كشرب الخمر فنكاحها حلال فهذا دليل على أن اسم الإيمان لم يزل عنها فقال - رحمه الله - : "...ففي إجماع المسلمين على أن نكاح هذه حلال، دليل على أن شاربة الخمر، والسارقة مؤمنة في الحكم والاسم..." أ.هـ (٣).

وقال في موضع آخر ذاكراً أمثلة أخرى: "وفي اتفاق أهل العلم على وجوب الفرائض التي أوجبها الله على المؤمنين ، وإحلال الحلال ، وتحريم الحرام الذي أحلَّه الله، وحرّمه على المؤمنين عليه وله وإقامة الحدود عليه دليل على أن الإيمان لم يزل كله عنه ولا اسمه، ولولا ذلك لوجب استتابته، وقتله وسقطت عنه الحدود وإذا زال عنه الإيمان من المدركين العاقلين فهو كافر، لأنه ليس بين الإيمان والكفر

---

(١) الرد على بشر المريسي (١/ ٣٥٥).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٦٤٤).

(٣) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٥٤٢).

منزلة ثالثة" ا.هـ [١] . وذكر أمثلة أخرى في مواضع أخرى [٢] .

صيغ وألفاظ الإجماع عند السلف:

وقد تنوعت عبارات السلف في نقل الإجماع:

منها : المشهور والدارج وهو لفظ الإجماع وقد تقدم في الأمثلة السابقة.

منها : لفظ "اتفاق أهل العلم" [٣] .

ومنها : نقل إجماع أهل الأديان [٤] .

ومنها: نقل عدم الاختلاف بين أهل العلم في المسألة [٥] .

ومنها: إجماع أهل الإسلام من الموافقين والمخالفين [٦] .

ومنها : إجماع الأولين والآخرين [٧] .

ومنها : إدراك المشايخ منذ زمن على هذا القول [٨] .

وقد ختمت هذا المبحث بهذه الصيغ إتماماً لبيان منهجهم في الاحتجاج بالإجماع وطرائقهم في استخدامه ونقله في مصنفاتهم. والله الموفق.

أهل البدع ينقلون أنواعاً من الإجماع لا أساس لها :

يدعي أهل البدع أنواعاً من الإجماعات وهي غير صحيحة بل باطلة عقلاً ونقلاً فضلاً عن أن تكون مسألةً مجموعاً عليها ولهذا جعلوا أصول بدعهم على الأقيسة العقلية والإجماعات التي يدعونها كما ذكر ذلك شيخ الإسلام [٩] .

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٥٧٦).

(٢) انظر: المصدر السابق (٢/ ٥٨٦، ٥٨٧، (٩٩١-٩٩٩).

(٣) تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢/ ٥٧٦، ٥٨٦).

(٤) خلق أفعال العباد للبخاري ص١٥-١٦، رد الدارمي على بشر (١/ ٢٢٨).

(٥) خلق أفعال العباد ص٦٨، ٦٩، تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٩٩١، ٩٩٩).

(٦) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٥١٥)، (٢/ ٨٠٩).

(٧) الرد على الجهمية للدارمي، ص٤٤ .

(٨) خلق أفعال العباد، ص١١ .

(٩) انظر: التسعينية (٢/ ٦٣١)، (٢/ ٤٩٢)، (١٣/ ٨٣٧، ٨٩٨).

المبحث الثاني

التزامهم الصحة من عدمها في إيراد الروايات الحديثية

ويشتمل على :

تمهـــيد

المطلب الأول : الالتزام بما صح وثبت منهج قرآني نبوي سلفي.

المطلب الثاني : التزامهم بذكر الإسناد.

المطلب الثالث : نقدهم للروايات الحديثية.

المطلب الرابع : أهل البدع ومنهجهم في التزام الصحة في إيراد الروايات.

تمهيد:

تقدمت الإشارة إلى التزام الأئمة بالصحة في مصنفاتهم وإبراز الأسانيد لمن أراد الإطلاع على حقيقة هذه الروايات ودرجتها من حيث الصحة أو الحسن أو الضعف وتقدم النقل عنهم ، ومما يمكن أن يضاف هنا أن نقول: أن الله عز وجل قال في محكم التنزيل : ﴿ائْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأحقاف : ٤].

قال غير واحد من السلف إنها الرواية والإسناد (١)، وقالوا: هي الخط والرواية والإسناد تكتب بالخط، والأثارة من الأثر. والعلم لا يقبل من قائله إلا إذا أُثِر بالإسناد ويفيد ذلك بالخط ويكون ذلك كله من آثاره (٢) .

فهذه الميزة وهي الرواية بالإسناد مما خص الله به هذه الأمة عن غيرها من الأمم السابقة، فدينها محفوظ بالأسانيد الثابتة، فالقرآن متصل بالأسانيد بطريق التواتر والسنة كاملة واضحة طريقها ومسندة آثارها حفظت وكشف زيف العابثين بها على أيدي علماء هذه الأمة من المحدثين الحفاظ النقاد.

بل إن هذه الميزة – أعني معرفة الأسانيد وتثبيت الروايات بها – مما ميز الله به أهل السنة عن غيرهم من أهل البدع الذين لا يأثرون علماً مسنداً لما يدعونه من بدعهم وباطلهم. فالرافضة مثلاً حشوا كتبهم ومراجعهم بالروايات ، ولكن بأسانيد مظلمة أو بغير أسانيد مطلقاً بخلاف أهل السنة الذين دونوا دينهم وعقيدتهم بالأسانيد الواضحة كالشمس الثابتة الراسخة كالجبال فشتان بين مشرق ومغرب.

وكان من الأسباب التي بذلها السلف خلال القرون المفضلة لحفظ السنة هو التثبت في رواية الحديث ونقله وتمحيص الأسانيد والمتون ونقدها وبيان صحيحها من سقيمها، وكان مما فعلوه أيضاً بيان الأحاديث الموضوعة التي وضعها الزنادقة أو الجهلة من المسلمين، وسمي ذلك بمقاومة الوضع في الحديث النبوي ، وقد تقدم الكلام على

(١) انظرها مسندة في شرف أصحاب الحديث للخطيب ، ص٣٩.

(٢) درء تعارض العقل والنقل لشيخ الإسلام (١/ ٥٧-٥٨) بتصرف.

بعض جهودهم في مواجهة الزنادقة الذين وضعوا الأحاديث للطعن في الدين.

ولعل مما احتج به أهل البدع على أهل السنة عند روايتهم لأحاديث الصفات ونحوها أن قالوا إن الزنادقة وضعوا الأحاديث وهذه منها -يعني أحاديث الصفات-.

وكان مما أجاب به أهل السنة ما ذكره الإمام الدارمي حيث قال مخاطباً المريسي وأتباعه "وادعيت أيضاً أن الزنادقة قد وضعوا اثني عشر ألفاً من الحديث روجوها على رواة الحديث وأهله الغفلة منهم فيقال لك أيها المعارض : ما أقل بصرك بأهل الحديث وجهابذته، ولو وضعت الزنادقة اثني عشر ألف حديث ما تروج لهم على أهل البصر بالحديث منها حديث واحد ، ولا تقديم كلمة، ولا تأخيرها ولا تبديل إسناد مكان إسناد، ولو قد صحفوا عليهم في حديث لاستبان ذلك عندهم ورد في نحورهم ..." أ.هـ [(١)].

وقد جاء أن غلاماً قال ليحيى بن معين انظر إلى هذا الحديث الموضوع ، فقال: يحيى : "إن للعلم شباباً ينتقدون العلم" أ.هـ [(٢)].

وقيل لابن المبارك : "هذه الأحاديث المصنوعة؟ قال : يعيش بها الجهابذة" أ.هـ [(٣)].

وقد صدَّقت أفعالهم أقوالهم فها هي المصنفات في الحديث والعقيدة تشهد وتؤكد هذا المنهج ولقد تحرى السلف في إيرادهم الروايات تحرياً شديداً حتى تجد الواحد منهم قد يضعف ابنه وأخاه حماية وصيانة لأحاديث المصطفى ﷺ ، ولدين الله عز وجل .

ولعلنا من خلال استعراضنا لمنهجهم في التزام الصحة وصور ذلك الالتزام إما قولاً وإما عملاً يتبين لك صدق مقولة ابن المبارك أنه عاش لها الجهابذة – رحمهم الله- .

---

(١) الرد على بشر المريسي للدارمي (٢/ ٦٨٢) .
(٢) أخرجه الخطيب في الكفاية ، ص٨٠.
(٣) المصدر السابق .

المطلب الأول: الالتزام بما صح وثبت منهج قرآني نبوي سلفي:

أن أول مظهر من مظاهر الالتزام بالصحة في إيراد الروايات الحديثية في مصنفات الأئمة خلال القرون الثلاثة الأولى ، هو تصريحهم بذلك في كتبهم بوضوح ودون التباس.

يقول الإمام الدارمي: "... فقد أخذنا بما قال رسول الله ﷺ فلم يقبل منها إلا ما روى الفقهاء الحفاظ المتقنون مثل: معمر ومالك بن أنس وسفيان الثوري وابن عيينة، وزهير بن معاوية وزائدة وشريك وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن المبارك ووكيع..."أ.هـ(١) .

وما ذكرناه هو قول من أقوالهم من خلال مصنفاتهم، أما أقوالهم المأثورة عنهم بالأسانيد الثابتة فهي أكثر من أن تحصر قد استفاضت عنهم وعلمها الخاص والعام، وإن لم تكن مدونة في مصنفات خاصة بهم ولكن نقلها الناس عنهم وقد تقدم شيءٌ منها في ثنايا هذه الرسالة، كقول الأئمة الأربعة إذا صح الحديث فهو مذهبنا والذي نقول به ونحو ذلك.

وبالجملة فإن ذلك يدل أيضاً على أنهم أعلم الناس بالعلوم المتعلقة بالحديث كعلم الإسناد والجرح والتعديل والرجال ونحوها لأنهم لا يعملون ويقولون إلا بما ثبت وأما غيرهم فهو أقل منهم علماً في هذا الباب.

وكما قال شيخ الإسلام : "... أن علماء أهل العلم بالحديث لهم من المعرفة بأحوال الرسول ما ليس لغيرهم فهم أئمة هذا الشأن..." (٢) .

وسوف يظهر جلياً تميز أهل السنة في هذا الباب حينما نعرض للحديث عن حال أهل البدع في إيرادهم للروايات الضعيفة والموضوعة في مصنفاتهم جهلهم بالسنة والأثر.

---

(١) الرد على المريسي للدارمي (٢/ ٦٠٢) .

(٢) منهاج السنة (٧/ ٤٢٩).

بل إن هذا مستفيض عنهم أي أنهم لا يعملون ولا ينقلون إلا الثابت ليس فقط من أقوالهم بل عند غيرهم. وهو منهج قرآني نبوي.

القرآن يأمر بالتحري في الأمور والتثبت فيها:

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾[النساء: ٨٣] .

قال الحافظ ابن كثير :"وقوله : ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾ إنكار على من يبادر إلى الأمور قبل تحققها فيخبر بها ويفشيها وينشرها وقد لا يكون لها صحة.

وقد قال مسلم في "مقدمة صحيحة" : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا ابن حفص حدثنا شعبة عن خبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: "كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع" [(١)] ..."أ.هـ[(٢)] .

وقال الحافظ ابن كثير أيضاً –عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ . . ﴾[الحجرات: ٦].

" يأمر تعالى بالتثبت في خبر الفاسق ليحتاط له ، لئلا يحكم بقوله فيكون –في نفس الأمر- كاذباً أو مخطئاً ، فيكون الحاكم بقوله قد اقتفى وراءه . وقد نهى الله عن إتباع سبيل المفسدين"أ.هـ[(٣)] .

النبي ﷺ يعلم أمته الالتزام بما ثبت والعمل بما صح:

فقد حذر أمته كما جاء في الحديث الصحيح المتواتر عنه حذرهم من الكذب عليه فقد قال ﷺ : "من كذب عليَّ متعمداً فليتبوء مقعده من النار" [(٤)] .

---

(١) مقدمة صحيح مسلم، ص١٠ .

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٩٧٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٢٦٤-٣٢٦٥).

(٤) الحديث متفق على صحته من حديث علي.

(قال العلماء: إن هذا التواتر العجيب لهذا الحديث عن النبي ﷺ يدل على أنه كان يعلم أن حديثه سوف يروى، وأنه يدخل فيه الغث فرأى من الضرورة الشرعية أن ينبه أصحابه ويلقي في أذهانهم أنه الدين ويجب أن يتحروا فيه غاية التحري) (١).

وقد استدل العلماء على أن أول من وضع علم الجرح والتعديل هو رسول الله ﷺ حين قال عن الرجل: "بئس أخو العشيرة"(٢). وقد قال الخطيب في رده على من تورع عن الجرح والتعديل لرواة الأحاديث بقوله: "وليس الأمر على ما ذهبوا إليه لأن أهل العلم أجمعوا على أن الخبر لا يجب قبوله إلا من العاقل الصدوق المأمون على ما يخبر به وفي ذلك دليل على جواز الجرح لمن لم يكن صدوقاً في روايته، مع أن سنة رسول الله ﷺ قد وردت مصرحة بتصديق ما ذكرنا وبضد قول من خالفنا..." ثم ذكر الحديث الذي أشرنا إليه (٣).

الصحابة – رضي الله عنهم – يحتاطون ويثبتون في قبول الأخبار:

ولعل أعلى طبقة من طبقات الرواة والمحدثين هم الصحابة الكرام الذين كانوا أكثر الناس تثبتاً واحتياطاً في قبول الأخبار خوفاً من أن ينسب شيء لرسول الله ﷺ لم يقله أو يعمل به.

وقد ذكر الحافظ الذهبي أن أول من احتاط في قبول الأخبار هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه (٤).

وهذا عمر رضي الله عنه يتشدد في قبول الأخبار والروايات حتى أصبح إماماً لمن بعده من المحدثين في هذا الأمر، وحوادثه وقصصه في التثبت كثيرة منها على سبيل المثال: قصته مع أبي موسى الأشعري: "لما دخل أبو موسى عليه وسلّم ثلاث مرات من وراء الباب

---

(١) انظر: اهتمام المحدثين بنقد الحديث د. محمد لقمان السلفي، ص٣٠، ط.الأولى، عام١٤٠٨هـ.

(٢) الحديث في البخاري في كتاب الأدب- باب ما يجوز من اغتياب أهل الفساد والريب – برقم (٦٠٥٤) ومسلم في البر والصلة برقم (٢٥٩١).

(٣) الكفاية، ص٨٣.

(٤) تذكرة الحفاظ (١/ ١٢).

فلم يؤذن له فرجع فأرسل عمر في أثره فقال: لم رجعت؟ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إذا سلم أحدكم ثلاثاً فلم يجب فليرجع" . قال: لتأتيني على ذلك بينة أو لأفعلن بك . فجاءنا (القائل أبو سعيد الخدري) أبو موسى منتقعاً لونه ونحن جلوس فقلنا: ما شأنك ؟ فأخبرنا وقال: فهل سمع أحد منكم؟ فقلنا : نعم، كلنا سمعه، فأرسلوا معه رجلاً منهم حتى أتى عمر فأخبره" أ.هـ [(١)] .

قال الذهبي معلقاً: "أحب عمر أن يتأكد عنده خبر أبي موسى يقول صاحب آخر فقيل هذا دليل على أن الخبر إذا رواه ثقتان كان أقوى وأرجح مما انفرد به واحد، وفي ذلك حض على أن تكثر طرق الحديث لكي يرتقي عن درجة الظن إلى درجة العلم ..." أ.هـ [(٢)] .

وهذا علي ﷺ كان متحرياً في الأخذ عن غير النبي ﷺ حتى إنه ليستحلف من يحدثه بالحديث [(٣)] .

وقد قال عن نفسه: "كنت إذا سمعت النبي ﷺ حديثاً نفعني الله بما شاء منه وإذا حدثني غيري عن النبي ﷺ لم أرض حتى يحلف لي أنه سمعه من النبي ﷺ " أ.هـ [(٤)].

---

(١) البخاري في كتاب الاستئذان- باب التسليم والاستئذان ثلاثاً -برقم (٦٢٤٥) .ومسلم في كتاب الآداب برقم (٢١٥٣).

(٢) تذكرة الحافظ (١/ ٦).

(٣) تذكرة الحفاظ (١/ ١٠).

(٤) الكفاية ، ص٦٨ .

المطلب الثاني: التزامهم لذكر الإسناد:

ومن أبرز ما يميز أهل السنة أنهم لا ينسبون شيئاً إلى الرسول أو إلى الصحابة إلا سنداً واضح المخرج بل الأمر أكثر من هذا اسندوا حتى عمن أتى بعد الصحابة ودونوا أقوالهم وأخبارهم .

قال شيخ الإسلام : "والإسناد من خصائص هذه الأمة، وهو من خصائص الإسلام، ثم هو في الإسلام من خصائص أهل السنة" أ.هـ [(١)].

وقد كان السبب الباعث على الإسناد هو وقوع الفتن وفشوا الكذب فاتخذ السلف منهجاً منذ القرن الأول أن لا يأخذوا أي خبر إلّا مسنداً.

"وهذا يحيى بن سعيد القطان يذكر أن أول من فتش عن الإسناد هو الشعبي فقد قرأ الربيع بن خثيم عليه حديثاً قال الشعبي فقلت : من حدثك؟ قال: عمرو بن ميمون وقلت له من حدثك ؟ فقال: أبو أيوب صاحب رسول الله ﷺ ، قال يحيى بن سعيد : "وهذا أول ما فتش عن الإسناد" أ.هـ [(٢)].

وهذا الزهري – رحمه الله – يُعنِّف من يروي من غير إسناد، فقد جاء أن ابن أبي فروة قال بحضرته: قال رسول الله ﷺ ، فقال له الزهري: "قاتلك الله يا ابن أبي فروة ما اجرأك على الله لا تسند حديثك ؟ تحدثنا بأحاديث ليس لها خُطم ولا أزمة"أ.هـ [(٣)].

ومن منطلق هذه القاعدة كانت مصنفات السلف خلال القرون الثلاثة الأولى مسندة في الغالب ولها استثناءات قليلة وغير مؤثرة .

فمن المصنفات التي ألفت في الاعتقاد غير مسندة:

أ- الرسائل الصغيرة المختصرة التي تبين اعتقاد العالم أو يلخص فيه العالم معتقد أهل السنة وهدفه بيان عقيدة أهل السنة لعامة الناس الذين لا يحتاجون للنظر في

---

(١) منهاج السنة (٧/ ٤٣٦).

(٢) المحدث الفاصل للرامهرمزي (نقلاً عن العمري في بحوث في تاريخ السنة المشرفة ص٥.

(٣) معرفة علوم الحديث للحاكم ، ص٦ .

الإسناد [١].

ب- التأليف في الرد على أهل البدع بغرض الرد على الأدلة العقلية التي لا علاقة لها بالأحاديث والآثار [٢].

ج – المراسلات والردود على التساؤلات [٣].

وإن كان في بعض الأحيان يوردون مع الرد على المخالف الأحاديث مسندة.

ولهذا كله كان السلف أثناء تقريرهم أو ردهم على المخالف عند ذكرهم للمسألة أو حينما يشيرون إلى الدليل الشرعي يردفونه بالحديث أو الأثر المشار إليه مسنداً متصلاً إلى قائله، وانظر مثلاً: صنيع الإمام البخاري [٤] في خلق أفعال العباد والدارمي في رده على المريسي ورده على الجهمية.

كل هذا ليبرهنوا أن ما قرروه أو نسبوه [٥] إلى رسول الله ﷺ أو أحد من السلف لم يكن إلا بعلم مسند متصل ثابت وشتان بين هذا المنهج ومنهج أهل البدع الذين يكثرون من نسبة الأحاديث والأقوال إلى قائليها من غير سند ثابت متصل.

ومن أغراض السلف في إيرادهم الأحاديث والآثار مسندة لكي يبرؤا ذمتهم عند روايتهم لبعض الأحاديث أو الآثار التي فيها مقال لأن من أسندك فقد أحالك.

ولهذا كان مما اعتذر لهم عن روايتهم لبعض هذه الأحاديث أنهم رووا ذلك مسنداً [٦].

بل إن الأمر تعدى ذلك فأصبحت حتى كتبهم تروى وتنقل إلينا مسندة وإن لم يكن فيها أحاديث وآثار مسندة، ولكن من باب تثبيت نسبة الكتاب إلى صاحبه حفظاً وصيانة للعلم الموروث.

---

(١) كاعتقاد البخاري وسفيان والأوزاعي (انظر اللالكائي ١/ ١٥١ ومابعدها).

(٢) كالرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد.

(٣) كرسالة الإمام أحمد إلى المتوكل، ورسالة المزني في السنة، ورسائل عمر بن عبدالعزيز إلى عماله.

(٤) انظر: خلق أفعال العباد، ص٨٧ برقم (٢٦٩)، وص١٢٥.

(٥) انظر: الرد على الجهمية، ص١٠٢ برقم (١٦٨). والرد على المريسي (١/ ٥٠٩-٥١٠).

(٦) انظر: منهاج السنة (٥/ ٧٩)، (٧، ٣٨-٣٩).

وسوف تأتي الإشارة إلى أن أهل البدع لم تكن لهم عناية بالإسناد مثل أهل السنة ولهذا كان الغالب على مصنفاتهم الأخبار المكذوبة والموضوعة على النبي ﷺ وعلى صحابته الكرام [١].

---

(١) انظر: المصدر السابق (٧/ ٣٩).

المطلب الثالث: نقدهم للروايات الحديثية:

ولعل مما يؤكد التزام السلف رحمهم الله بالصحة في مصنفاتهم وهو من الأدلة العملية على ما سبق من ذكر أقوالهم أنهم كانوا يعقبون وينقدون الروايات إما سلباً أو إيجاباً سواءً للمرويات التي يوردونها أو يوردها غيرهم وسواءً ذلك في الحديث أو في أحد رجال الإسناد.

ويمكن أن ينقسم نقدهم في الصور التالية:

أ- كلامهم على ما يورده المخالف، من الروايات:

لقد بين السلف ضعف حجة خصومهم بنقد مروياتهم تأكيداً على أنهم لا يقبلون ولا يحتجون ولا يعملون إلا بما صح وثبت وأن أهل البدع لا يحتجون إلا بالساقط التالف من الروايات.

وقد يكون المخالف من أهل السنة في بعض المسائل أو من أهل البدع ،

والأمثلة على ذلك كثيرة:

المثال الأول: البخاري في خلق أفعال العباد:

وقد ذكر حجة من لم يقل بأن أفعال العباد مخلوقة فقال: "فإن احتج محتج فقال: قد روي أن :" فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه" [(١)] . قيل له : لو صح هذا الخبر لم يكن لك فيه حجة لأنه قال: "كلام الله، ولم يقل "قول العباد من المؤمنين والمنافقين وأهل الكتاب الذين يقرؤون بسم الله الرحمن الرحيم .

وهذا واضح بين عند من كان عنده أدنى معرفة أن القراءة غير المقروء، وليس لكلام الفجرة وغيرهم فضل على كلام غيرهم كفضل الخالق على المخلوق وتبارك ربنا

---

(١) الحديث عن أبي هريرة مرفوعاً أخرجه: عبدالله بن أحمد في السنة (١/ ١٤٨) برقم (١٢٤). والدارمي في الرد على الجهمية ، ص١٦٠ برقم (٢٨٧، ٢٨٨). والدارمي في سننه في باب فضل كلام الله على سائر الكلام برقم (١٤٠٠) تحقيق حسن سليم أحمد، طبعة دار المغني ، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ. والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٥٧٩-٥٨٣) برقم (٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩) . واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٣٣٩) برقم (٥٥٧). وأبو داود في المراسيل ، ص٣٦١ برقم (٥٣٧) تحقيق شعيب الأرناؤوط ، طبعة مؤسسة الرسالة، ط.الأولى، ١٤٠٨هـ.

وتعالى عز وجل عن صفة المخلوقين" أ.هـ [١].

فهذا نقد من الإمام البخاري لهذه الرواية بأنها لم تصح.

المثال الثاني: ابن أبي عاصم في السنة:

وقد يذكرون أثناء سردهم للحديث ما يشير إلى ضعفه أو وضعه دون التصريح بذلك ويروونه حتى يعلم أنه تالف أو موضوع مثاله الإمام ابن أبي عاصم أورد بسنده حديثاً منكراً في متنه ولكن عندما ذكر سنده أشار إلى أن الأئمة لم يعتمدوه بل ردّوه فقال: "قال أبو إسحاق إبراهيم الحزامي، وقرأت من كتابه، ثم مزَّقه، وقال لي، واعتذر إليَّ ، حلفت أن لا أراه إلا مزقته فانقطع من طرف الكتاب عن محمد بن فليح ، عن سعيد بن الحارث عن عبدالله مُنَيْن قال: بينا أنا جالس في المسجد إذ جاءه قتادة بن النعمان فجلس فتحدث ثم ثاب إليه ناس فقال :انطلق بنا يا ابن مُنَيْن إلى أبي سعيد الخدري، فإني قد أخبرت أنه قد اشتكى قال: فانطلقنا حتى دخلنا على أبي سعيد، فوجدناه مستلقياً رافعاً إحدى رجليه على الأخرى فسلمنا وقعدنا، فرفع قتادة يدهُ فقرصه قرصةً شديدة ، قال أبو سعيد: أوجعتني، قال: ذلك أردت، ألم تسمع رسول الله ﷺ يقول: " لما قضى الله الخلق استلقى ثم وضع إحدى رجليه على الأخرى، ثم قال: لا ينبغي أن يفعل مثل هذا" قال أبو سعيد : نعم" أ.هـ[٢].

فهذا الذي ذكر ابن أبي عاصم في سند الحديث إشارة إلى أن الأئمة لم يستخدموا

---

(١) خلق أفعال العباد، ص١٦٢-١٦٣ رقم (٥٠٨) وانظر كذلك برقم (٥٠٩).

(٢) ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٨٨) برقم (٥٨٠).

وقال الألباني: "إسناده ضعيف، والمتن منكر، كأنه من وضع اليهود" أ.هـ، في ظلال الجنة برقم (٥٦٨). وقريب منه ما ذكره أئمة التفسير عند قوله تعالى ﴿وما مسنا من لغوب﴾ ق [٣٨] .قال قتادة: "قالت اليهود وعليهم لعائن الله – خلق الله السموات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع وهو يوم السبت وهم يسمونه يوم الراحة فأنزل الله تكذيبهم فيما قالوه وتأولوه ﴿وما مسنا من لغوب﴾ "أ.هـ. انظر تفسير ابن كثير (٧/ ٣٢٩٧).وقال العوَّام بن حوشب: "سألت أبا مجلز عن الرجل يجلس فيضع إحدى رجليه على الأخرى فقال لا بأس به ، إنما كره ذلك اليهود زعموا أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استراح يوم السبت فجلس تلك الجلسة فأنزل الله هذه الآية" أ.هـ.أورده السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦١٠) وعزاه إلى الخطيب في تاريخه.

روايته فضلاً عن اعتقاده ولكنه – رحمه الله – أدخله في كتابه لينبه عليه بذكره للقصة حول كتابته وقد جعله الإمام – رحمه الله – في باب مرسل مستقل ليؤكد معنى التنبيه عليه لا للاحتجاج حيث فصله عن بقية أحاديث الباب(١)، حتى لا يغتر به.

ب – كلامهم على الروايات التي يوردها أهل السنة للاحتجاج أو الاستشهاد:

لم يقتصر أهل السنة على الكلام على روايات المخالف بل تكلموا حتى على روايتهم التي قد يحتجون بها ويبينون للقارئ مافيها من علل أداءً منهم للأمانة وعدلاً منهم في القول، نعم قد يذكرون بعض العلل التي يمكن أن تنجبر إذا كانت قادحة قدحاً يمكن أن ينجبر معه ضعف هذه الرواية.

والأمثلة على هذه كثيرة منها:

المثال الأول: ابن أبي عاصم في السنة:

أورد ابن أبي عاصم في السنة في باب ما ذكر من رؤية النبي ﷺ ربه تعالى: "عن عكرمة عن ابن عباس قال: "رأى محمد ربه، قال: قلت أليس الله يقول ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾[الأنعام : ١٠٣] ، قال: ويحك، ذاك إذا تجلى بنوره الذي هو نوره قال: وقال: رأى محمد ربه تبارك وتعالى مرتين"(٢).

قال ابن أبي عاصم : "وفيه كلام" أ.هـ(٣) .

وهذه إشارة من ابن أبي عاصم إلى أن الحديث فيه كلام وأجمل الكلام فيه ولكن بعض المحدثين بسط الكلام حوله مثل الإمام البيهقي حيث قال عقب إيراده للحديث : "إبراهيم بن الحكم بن أبان ضعيف في الرواية، ضعفه يحيى بن معين وغيره" أ.هـ(٤) .

---

(١) انظر: السنة لابن أبي عاصم (١/ ٣٨٨-٣٨٩) باب رقم (١٢٣) .

(٢) الأثر أخرجه الترمذي في التفسير برقم (٣٢٧٩). وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٤٨١) برقم(٢٧٣).واللالكائي(٣/ ٥٧٦) برقم (٩٢٠). والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٦٢) برقم (٩٣٦) وضعفه.

(٣) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٣٠٩).

(٤) الأسماء والصفات (٢/ ٣٦٢) .

وقال النسائي : "متروك الحديث"أ.هـ [١] .

وقال البخاري: "سكتوا عنه" أ.هـ [٢] .

وقال ابن عدي:"عامة ما يرويه لا يتابع عليه" أ.هـ [٣] .

وقال الذهبي: "تركوه وقلَّ من مشَّاه" أ.هـ [٤] .

ومن خلال هذا يتبين لنا سبب تعقيب الإمام على هذا الأثر لوضوح العِلَّة فيه.

والمثال الثاني: المروزي في تعظيم قدر الصلاة:

ومن الروايات التي نقدها الأئمة في مصنفاتهم بعض الروايات التي يستدل بها أهل السنة فيما يسوغ الخلاف فيه كالمسألة: "هل هناك فرق بين الإيمان والإسلام أم لا؟" .

فالإمام المروزي لا يفرق وكذلك البخاري وجمع من أهل العلم وعند استعراضه لحجج المخالفين تصدى لبعضها من خلال بيان العلل الحديثية .

فقال: "وأما ما روي عن الحسن، وابن سيرين أنهما كانا يقولان: "مسلم ، ويهابان مؤمن" فإن هذا حديث لم يروه عن حماد بن زيد غير المؤمل، وإذا انفرد بحديث وجب أن يتوقف ، ويتثبت فيه، لأنه كان سيء الحفظ كثير الغلط" أ.هـ [٥] .

فالإمام محمد بن نصر نقد الرواية التي يستدل بها من يرى أن هناك فرقاً بين الإيمان والإسلام وبين أن الآفة في هذه الرواية من المؤمَّل الراوي عن حماد بن زيد.

والمؤمَّل هذا هو: المؤمَّل بن إسماعيل العدوي مولى آل الخطاب وقيل مولى بني بكر.

---

(١) الضعفاء والمتروكون للنسائي (ضمن المجموع في الضعفاء ، ص٤٤) تحقيق عبدالعزيز السيروان ، طبعة دار القلم، ط . الأولى ، عام ١٤٠٥ هـ.

(٢) ميزان الاعتدال للذهبي (١/ ٢٧).

(٣) الكامل لابن عدي (١/ ٢٤٣).

(٤) ميزان الاعتدال (١/ ٢٧).

(٥) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٥٧٤).

روى له البخاري تعليقاً والترمذي والنسائي وابن ماجه.

روى عن عكرمة بن عمار وشعبة والحمادين والسفيانين وغيرهم.

وعنه أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه وابن المديني وغيرهم.

وسوف نعرض لبعض أقوال المحدثين في المؤمل ليتضح لنا دقة أهل السنة في أحكامهم على الرجال:

قال البخاري : "منكر الحديث" .

وقال الساجي: "صدوق كثير الخطأ".

وقال ابن سعد: "ثقة كثير الخطأ".

وقال ابن قانع: "صالح يخطئ" .

وقال الدارقطني: "ثقة كثير الخطأ" .

وقال أبو حاتم: "صدوق شديد في السنة كثير الخطأ".

ونختم بالخلاصة التي توصل لها الحافظ حيث قال عنه : "صدوق سيء الحفظ" [(١)].

ومن خلال عرضنا لهذا المثال نخرج بالفوائد التالية:

١-دقة السلف في حكمهم سواءً على الأسانيد أو الرجال.

٢-حرصهم على الصحيح من الروايات ولو لم يكن من المرفوع أو الموقوف بل حتى لو كان أثراً من الآثار عن التابعين ومن بعدهم.

٣-أن مصنفاتهم التي في الاعتقاد أصبحت مرجعاً للحكم على الرجال أو الأسانيد لمن أتى بعدهم وهذا يظهر مدى التزام السلف بالصحة في مصنفاتهم وحرصهم على تمحيص الروايات.

ولهذا فإن الحافظ ابن حجر في التهذيب (١٠/ ٣٤٠) نقل نص كلام الإمام محمد بن نصر كاملاً حول المؤمل في ترجمته.

---

(١) انظر: التفصيل في ترجمته: تهذيب التهذيب (١٠/ ٣٤٠)، التقريب ص٩٨٧ برقم (٧٠٧٨) ، الكاشف للذهبي (٣/ ١٩٠).

٤-حرص السلف على تمحيص الروايات حتى التي يستدلون بها أو يتداولها أهل السنة في مصنفاتهم.

ج- ذكرهم للعلل الواردة في الأحاديث والآثار:

ومن الصور كذلك التي يظهر فيها التزام أهل السنة للصحة في مصنفاتهم أنهم يذكرون العلل الواردة في الأحاديث والآثار وينقدونها سواءً لمروياتهم أو لمرويات مخالفيهم والعلل قد تكون في السند أو في المتن وإليك بعض الأمثلة:

المثال الأول: البخاري في خلق أفعال العباد:

لعل من المسائل التي كثر الخلاف فيها مسألة خلق أفعال العباد والفرق بين فعل العبد وبين المفعول والفرق بين القراءة والمقروء والتلاوة والمتلوء ، فالقراءة والتلاوة أفعال العباد والمتلوء والمقروء هو القرآن وهو غير مخلوق، وقد ابتلي الإمام البخاري لهذه المسألة ولهذا نجده يستدل ليبين أن أعمال العباد مخلوقة فيرد بها على من زعم أنها غير مخلوقة ويستدل ليبين أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق للرد على المعتزلة القائلين بخلق القرآن فكان - رحمه الله - بعض ما يستدل به المخالف ممن لا يفرق بين الفعل والمفعول ولا بين القراءة والمقروء فقال: "وإن قال قائل: فقد روى عن النبي ﷺ : " إنكم لن ترجعوا إلى الله بشيء أفضل مما خرج منه" [(١)] ، قيل له: أليس القرآن خرج منه، فخروجه منه ليس كخروجه منك إن كنت تفهم مع أن هذا الخبر لا يصح لإرساله وانقطاعه" أ.هـ [(٢)] .

فالإمام البخاري بين وجه الاستدلال الصحيح من الحديث على فرض صحته ثم

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي (٢٩١٢) . وأحمد في الزهد ص٦٢ (١٩٠) تحقيق زغلول، طبعة دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٦هـ ، وفي رسالته للمتوكل. وابن بطه في الإبانة (القسم الخاص بالرد على الجهمية) (٢/ ٢٣٥) برقم (١١) تحقيق الوابل. والحاكم في المستدرك (١/ ٥٥٥)، (٢/ ٤٤١) وقال "صحيح على شرط الشيخين" . والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٥٧٥) برقم (٥٠٣). وأبو داود في المراسيل برقم (٥٣٤) ص٣٥٩ . وعبدالله بن أحمد في السنة (١/ ١٤٠) برقم (١٠٩).

(٢) خلق أفعال العباد ص١٦٢ .

بين العلل الواردة فيه وهي الإرسال والانقطاع.

والصحيح ما ذهب إليه - رحمه الله - لأن الذين رووه مرسلاً أئمة حفاظ بخلاف من وصله وهنا يحكم له بالإرسال كما هي القاعدة المقررة في المصطلح [(١)]. وهذا الحديث أرسله جبير بن نفير [(٢)].

وعموماً معنى الحديث صحيح لأن القرآن مبتدأه من الله عز وجل وليس كما يزعم الجهمية أنه بائن منه وهو مخلوق، ولهذا قال الإمام أحمد :"كلام الله من الله ليس ببائن منه، وهذا معنى قول السلف : القرآن كلام الله منه بدا وإليه يعود. فقوله في الحديث "مما خرج منه" يعني القرآن.

ولهذا ليس معنى قول السلف (خرج منه) أي فارق ذاته وحل بغيره فإن كلام المخلوق إذا تكلم به لا يفارق ذاته ويحل بغيره، فكيف يكون كلام الله ، والصفة لا تفارق الموصوف وتحل بغيره لا صفة الخالق ولا صفة المخلوق، فمقصود السلف الرد على الجهمية بأنهم زعموا أن القرآن خلقه الله في غيره كما قال تعالى : ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّي﴾[السجدة :١٣] فأخبر أن القول منه لا من غيره من المخلوقات [(٣)].

المثال الثاني: والدارمي في الرد على بشر المريسي :

نقل الإمام الدارمي عن أهل البدع تأويلهم للكرسي بالعلم ونفوا ما ثبت في الأثر الصحيح عن ابن عباس أنه : "موضع القدمين" [(٤)] ، وأوردوا رواية أخرى عن ابن

(١) وهذا الحديث قد روي متصلاً ومرسلاً ولكن الصواب فيه الإرسال لأن الذين رووه مرسلاً أئمة حفاظ ومن رواه متصلاً مقدوح فيه فهنا يقدم الإرسال على الاتصال لوجود قرينة وهي أن من أرسله من الثقات الحافظ المتقين كالذهبي والكوسج والإمام أحمد. انظر : مبحث تعارض الوصل والإرسال في شرح ألفية العراقي للعراقي ص٧٧ . فتح المغيث للسخاوي (١/ ١٩٩). والحديث ضعفه البخاري كما نرى وبهذا يتضح لنا صحة ما ذهب إليه الإمام - رحمه الله - . وحقق كذلك الألباني كما في ضعيف الجامع برقم (٢٠٤١) .

(٢) جبير بن نفير (بنون وفاء مصغر) ابن مالك بن عامر الحضرمي، الحمصي ثقة جليل مخضرم ولأبيه صحبة مات سنة ثمانين . التقريب ص١٩٥ برقم (٩١٢)، والتهذيب (٢/ ٥٦) .

(٣) انظر: مجموع الفتاوى (١٢/ ٥١٧-٥١٨) .

(٤) أخرجه الطبري في التفسير (٣/ ٩). والدارمي في الرد على بشر (١/ ٤٠٠) .وابن منده في الرد على الجهمية

عباس أنه قال: "وسع كرسيه السماوات والأرض: علمه" أ.هـ [(١)].

قال الدارمي معلقاً: " أما ما رويت عن ابن عباس فإنه من رواية جعفر الأحمر، وليس جعفر ممن يعتمد على روايته إذ قد خالفه الرواة الثقات المتقنون..." أ.هـ [(٢)].

وجعفر هو: جعفر بن زياد الأحمر الكوفي قال عنه الحافظ في التقريب: "صدوق يتشيع" أ.هـ [(٣)].

وقال عنه الذهبي: "صدوق ، شيعي" [(٤)].

وقال عنه ابن حبان: "كثير الرواية عن الضعفاء" وإذا روى عن الثقات تفرد عنهم بأشياء في القلب منها..." أ.هـ [(٥)].

ولهذا الإمام الدارمي أعل هذه الرؤية بأمرين:

١-أن زياد الأحمر متكلم فيه كما ذكر ذلك ابن حبان .

٢-أنه خالف رواية الثقات الأثبات الذين قالوا بأن الكرسي موضع القدمين فيكون على أقل الأحوال من الشاذ لأنه خالف رواية الثقات.

=ص٤٤-٤٥ بتحقيق د. محمد فقيهي. والدارقطني في الصفات ص٣ برقم (٣٦) . وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٤٨) برقم (١٥٤) . والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٨٢). والذهبي في العلو ص٧٦ برقم (١٦٣) تحقيق أشرف عبدالمقصود.

والأثر صححه الحافظ في الفتح (٨/ ٤٧) . وقال الهيثمي في المجمع (٦/ ٣٢٣): رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح" أ.هـ . وقد روى عن غيره من السلف كأبي موسى والسدي والضحاك . وقال الحاكم "صحيح على شرطين الشيخين ولم يخرجاه" . وقال الذهبي: "رواته ثقات" أ.هـ .

(١) أخرجها : الطبري في تفسيره (٣/ ٩) ورجح هذه الرواية على غيرها . وابن منده في الرد على الجهمية ص٤٥ . وقد ضعف هذه الرواية جمع من أهل العلم: ابن منده في الرد على الجهمية ص٤٥ . وأشار إلى عدم ثبوتها البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٢٧٢).وشيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٦/ ٥٨٤) والذهبي في العلو ص١١٧ . وابن الأنباري كما في العلو للذهبي ص١١٧ . والأزهري في تهذيب اللغة (١٠/ ٥٤) بتحقيق الهلالي والنجار .

(٢) الرد على بشر المريسي (١/ ٤١١).

(٣) التقريب ص١٩٩ برقم (٩٤٨) .

(٤) الكاشف (١/ ١٨٥).

(٥) المجروحين (١/ ٢١٣-٢١٤).

وهذا يدل على التزام الأئمة بأن لا ينسبوا للسلف فضلاً عن رسول الله ﷺ إلا مـ ثبت وصح رحمهم الله رحمة واسعة .

والأمثلة على عناية الأئمة يذكر العلل الواردة في الأحاديث كثيرة ونكتفي ، ذكرناه [١] .

د – كلامهم على رجال الإسناد:

ولعل مما يظهر التزامهم بالصحة ويبرز كذلك لحرصهم على إبراء ذمتهم وذ ك بذكر ما في رجال الإسناد إما جرحاً أو توثيقاً.

(أ)- كلامهم في الرجال على سبيل التوثيق والتعديل:

يضطر أهل السنة في بعض الأحيان أن ينصوا على ثقة بعض الرواة الذين قد يتوهم أنه مقدوح فيهم أو يكون المؤلف يرجح توثيقه وإن كان هذا الراوي من الرواة المختلف فيهم ومن الأمثلة .

المثال الأول: الإمام عبد الله بن الإمام أحمد في السنة:

أخرج الإمام عبد الله بن الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن عياش الوشا – قال محمد بن الحسين:وقد رأيت عبد الله بن عياش وكان جاراً لنا و**كان من العدول الثقات** –..." [٢] ثم ذكر بقية الإسناد.

وعبد الله بن عياش بن عباس القتباني المصري أبو حفص قال عنه أبو حاتم: "ليس بالمنين صدوق يكتب حديثه وهو قريب من ابن لهيعة" [٣] .

"وقال أبو داود والنسائي" ضعيف، وذكره ابن حبان في الثقات" [٤] .

وقال الذهبي في ترجمته: "قلت حديثه في عداد الحسن" [٥] .

---

(١) انظر من الأمثلة:الرد على بشر المريسي (١/ ١٨٦، ١٩٥).السنة لعبدالله بن الإمام أحمد (١/ ١٩٦).

(٢) السنة لعبدالله (١/ ١٥٣).

(٣) تهذيب التهذيب (٥/ ٣٠٧) .

(٤) المصدر السابق .

(٥) السير (٧/ ٣٣٤).

وقال الحافظ في ترجمته : "صدوق يغلط أخرج له مسلم في الشواهد" أ.هـ [(١)].

ولهذا الاختلاف الواقع في الراوي نبه عبد الله في السنة إلى أنه يرجح عدالته وتوثيقه حتى لا يغتر القاريء بما قيل فيه، وحتى يدفعوا التهمة عن إيرادهم الآثار عن غير الثقات الأثبات.

المثال الثاني: ابن أبي عاصم في السنة:

أخرج بسنده في باب "ذكر من يُخرج الله بفضله من النار" قال : حدثنا محمد بن مهدي الأيلي أبو عبد الله ثقة صدوق حدثنا ..." ثم ذكر بقية الإسناد [(٢)].

والشاهد هو توثيقه لمحمد بن مهدي الأيلي وهذا الرجل له ترجمة عند ابن حبان في الثقات وفي الجرح والتعديل لابن أبي حاتم ولكن لم يذكرا فيه جرحاً ولا تعديلاً ولهذا فإن هذا التوثيق يعتبر من الأهمية بمكان [(٣)].

(ب) – كلامهم في الرجال على سبيل الجرح:

وكذلك فإنهم يتكلمون على رجال الإسناد لبيان ضعف دليل المخالف الذي يحتج به وقد تقدم معنا كلام الدارمي في جعفر الأحمر ولعلنا هنا نورد مثالاً آخر للدارمي أيضاً في رده على المريسي حيث قال أثناء نقده لبعض الآثار التي يحتج بها على نفي الصفات عن الله بقوله: "والثالث: أنه عن الكلبي وقد أجمع أهل العلم بالأثر على أن لا يحتجوا بالكلبي في أدنى حلال ولا حرام فكيف في تفسير توحيد الله وتفسير كتابه"أ.هـ [(٤)].

نعم الكلبي: هو محمد بن السائب الكلبي المفسر، النسابة، لا يحتج به في الحديث لأنه كما قال الحافظ في التقريب: "متهم بالكذب ورمي بالرفض" [(٥)].

---

(١) التقريب ص٥٣٣ برقم (٣٥٤٦).

(٢) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٥٧٦).

(٣) تنبيه :جاء في الزهد للإمام أحمد ص ٥١١ برقم (٢١٦٢). "حدثني محمد بن مهدي حدثنا الأبلي". فلعل هناك خطأً في أحد المصدرين وأظنه خطأً مطبعي.

(٤) الرد على المريسي للدارمي (١/ ٣٥٥).

(٥) التقريب ص٨٤٧ برقم (٥٩٣٨).

قال النسائي: "متروك الحديث"[(١)].

وقال البخاري: "تركه يحيى بن سعيد (ثم ذكر بسنده عن الكلبي قال): قال لي أبو صالح كل شيء حدثتك فهو كذب" أ.هـ[(٢)].

وقال الذهبي : " تركوه ، كذبه التيمي وزائدة وابن معين وتركه القطان وعبد الرحمن "[(٣)].

---

(١) الضعفاء والمتروكين للنسائي ، ص٢٠١ .

(٢) الضعفاء الصغير للبخاري ، ص ٤٨٢ .

(٣) المغني في الضعفاء للذهبي (٢/ ٣٠٥) تحقيق حازم القاضي، طبعة دار الكتب العلمية، ط. الأولى ، عام ١٤١٨هـ.

المطلب الرابع : أهل البدع ومنهجهم في إيراد الروايات:

إن الناظر في كتب أهل البدع ومقالاتهم يظهر له من خلال تصفحها عدة أمور:

الأول: عدم اعتمادهم في تقرير المسائل على النصوص والآثار إلا في القليل النادر.

الثاني: عند الاستدلال بالأحاديث والآثار وهو قليل جداً فإنهم يستدلون بالغريب والضعيف والموضوع وما أشبه ذلك .

الثالث: أنهم من أجهل الناس بصحيح الآثار من سقيمها وبعلم الرجال والإسناد والذي من خلاله يحكم على الأحاديث والآثار بالصحة والضعف.

يقول شيخ الإسلام : "إذ هم من أجهل الناس بالآثار النبوية وكلام السلف والأئمة كما يشهد بذلك كتبهم..." أ.هـ (١) .

ويقول أيضاً: "ومن المعلوم أن المعظمين للفلسفة والكلام المعتقدين لمضمونها هم أبعد الناس عن معرفة الحديث، وأبعد عن اتباعه من هؤلاء (يعني أهل الحديث) هذا أمر محسوس ، بل إذا كشفت أحوالهم وجدتهم من أجهل الناس بأقواله ﷺ وأحواله وبواطن أموره وظواهرها، حتى لتجد كثيراً من العامة أعلم بذلك منهم، ولتجدهم لا يميزون بين ما قاله الرسول ﷺ وما لم يقله، بل قد لا يفرقون بين حديث متواتر عنه وحديث مكذوب موضوع عليه..." (٢) .

فإذا تقرر هذا فإن أهل البدع كما ذكرنا لا يكثرون الاستدلال بالنصوص الشرعية وإذا استدلوا ذكروا الضعيف والموضوع المكذوب على رسول الله ﷺ وإليك بعض الأمثلة من مصنفات السلف خلال القرون الثلاثة الأولى.

المثال الأول:

قال ابن قتيبة في معرض رده على المشبهة : "... ولما رأى قوم من الناس إفراط هؤلاء في النفي عارضوهم بالإفراط في التمثيل فقالوا بالتشبيه المحض، وبالأقطار

---

(١) التسعينية (١/ ٣٧١).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ٩٥).

والحدود، وحملوا الألفاظ الجائية في الحديث على ظاهرها، وقالوا بالكيفية فيها، وحملوا من مستشنع الحديث: "عرق الخيل" ، و"حديث عرفات" وأشباه هذا من الموضوع ما رأوا أن الإقرار به من السنة وفي إنكاره الريبة..." أ.هـ (١) .

فالمؤلف هنا أشار إلى حديثين يستدل بهما أهل البدع على بدعهم.

الحديث الأول: حديث عرق الخيل:

هو الحديث المروي عن أبي هريرة مرفوعاً : "إن الله خلق الفرس فأجراها فعرقت ثم خلق نفسه منها" .

وأورده الدارمي في رده على المريسي (٢/ ٦٦٠) بلفظ : " قيل يا رسول الله مم ربنا؟ فقال: من ماء مرور لا من أرض ولا من سماء ، خلق خيلاً فأجراها فعرقت فخلق نفسه من ذلك العرق".

فأهل البدع الغلاة المشبهة استدلوا بهذا الحديث كما تقدم النقل عن ابن قتيبة وكذلك استدل به النفاة نفاة العلو لما جاء في الرواية الأخرى بلفظ (لا من سماء ولا من أرض).

أقوال أهل العلم في هذا الحديث:

قال ابن الجوزي في الموضوعات: "هذا حديث لا يشك في وضعه، وما وضع مثل هذا مسلم، وإنه لمن أركّ الموضوعات وأدبرها..." أ.هـ (٢).

وقال البيهقي: "باب ذكر الحديث المنكر الموضوع على حماد بن سلمة عن أبي المهزِّم في إجراء الفرس" (٣) أ.هـ.

وقال ابن عدي في ترجمة محمد بن شجاع الثلجي المتهم بوضعه لهذا الحديث: "وكان يضع أحاديث في التشبيه ينسبه إلى أصحاب الحديث ليثلبهم من ... حمله

---

(١) الاختلاف في اللفظ ص٥٢-٥٣ .

(٢) الموضوعات (١/ ١٠٥) .

(٣) الأسماء والصفات (٢/ ٢٢٩).

التعصب على أن وضع أحاديث يثلب أهل الأثر بذلك" ثم ذكر منها هذا الحديث [(١)] .

وحكم عليه شيخ الإسلام بالوضع [(٢)] .

الحديث الثاني: حديث عرفات:

ما روي عن أسماء مرفوعاً : "رأيت ربي عز وجل على جمل أحمر عليه إزاره وهو يقول قد سمحت...". الحديث قال عنه ابن الجوزي في الموضوعات: " هذا حديث لا يشك أحد في أنه موضوع محال ولا يحتاج لاستحالته أن ينظر في رجاله ..." [(٣)] أ.هـ.

المثال الثاني:

قال الدارمي في رده على بشر: "وروى المعارض عن شاذان عن حماد بن سلمة عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: " دخلت على ربي في جنة عدن شاب جعد في ثوبين أخضرين" ا.هـ [(٤)] . والحديث مداره على حماد بن سلمة.

وأورد ابن عدي هذا الحديث في ترجمته وهو مما انتقد عليه ودس في كتبه عليه [(٥)]

وأخرجه البيهقي وتعقبه بأن نقل الكلام الذي ذكره ابن عدي كذلك [(٦)] .

وشيخ الإسلام أشار إلى وضعه [(٧)] .

وأورده ابن الجوزي في الموضوعات وذكر ان الإمام أحمد استنكره [(٨)] .

وأورده السيوطي في اللآلئ المصنعة [(٩)] .

وأورده القاري في الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة [(١٠)] .

---

(١) الكامل لابن عدي (٦/ ٢٩١).

(٢) مجموع الفتاوى (٤/ ١٤٤)، (٣٣/ ١٧٠) .

(٣) الموضوعات (١/ ١٢٥) .

(٤) الرد على بشر (٢/ ٧٢٥) .

(٥) الكامل (٢/ ٢٦٠).

(٦) الأسماء والصفات (٢/ ٣٦٣-٣٦٥) .

(٧) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٨٤).

(٨) الموضوعات (١/ ١٢٥-١٢٦).

(٩) اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة (١/ ٢٨-٣٠)، طبعة دار المعرفة بيروت .

(١٠) الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة للملا علي القاري ص١٢٦ ، طبعة دار الباز، تحقيق بسيوني زغلول ، ط . الأولى ، عام ١٤٠٥هـ.

المبحث الثالث

منهجهم في عرض الأدلة

وفيه ستة مطالب:

المطلب الأول: عرض وسرد الأدلة من غير تعليق .

المطلب الثاني: عرض الأدلة مع التعليق والشرح والمناقشة.

المطلب الثالث: تكرار الأدلة حسب دلالتها على مسائل الاعتقاد

المطلب الرابع: الجمع بين الأدلة التي ظاهرها التعارض.

المطلب الخامس: احتجاجهم بخبر الآحاد.

المطلب السادس: استيعابهم لكل ما ورد في الباب.

المطلب الأول: عرض وسرد الأدلة من غير تعليق

أ- دوافع الأئمة للتأليف بهذه الطريقة:

إن من ينظر في مصنفات السلف خلال القرون الثلاثة الأولى يراها تتفاوت من حيث التعليق على النصوص والشرح من عدمه، ومن خلال استعراضنا لا يظهر أن كتب السلف في الاعتقاد تأثرت بتقدمها أو تأخرها الزمني وذلك لأن مسائل الاعتقاد ما أفردت بالتصنيف إلا للرد على أهل البدع ولهذا نرى أن بعض الأئمة صنف وهو متقدم وعلق وشرح النصوص في مصنفه ، ومن جاء بعده من الأئمة نجد أنه سرد النصوص من غير شرح ولا تعليق، فيظهر والله أعلم أن تقدم الزمن أو تأخره خلال القرون الثلاثة الأولى بالنسبة لكتب الاعتقاد المستقلة ليس له تأثير في عرض الأدلة مع الشرح والتعليق من عدمه ولكن لعلنا نجمل الكلام حول الدوافع للتأليف في مسائل الاعتقاد بسرد النصوص من غير شرح ولا تعليق وهي كالتالي:

أولاً: إذا كان الغرض من التأليف هو تقرير المسائل لا الرد على أهل البدع:

وهذا يظهر جلياً حينما ننظر في بعض الكتب ككتاب الإيمان لأبي بكر بن أبي شيبة ، وكتاب السنة لابن أبي عاصم ، فإن الهدف الأساسي منه هو جمع الأدلة لبيان الاعتقاد السليم وإن تضمنت الأدلة الرد على المخالفين، ولكن لما أخلاها من التعليق كان الهدف من التأليف هو بيان الأدلة للمعتقد الصحيح .

وقد أشار إلى هذا المعنى الدارمي في رده على بشر حيث قال: "وقد فسَّرنا أمر الرؤية، وروينا ما جاء فيها من الآثار في الكتاب الأول الذي أمليناه في الجهمية..." أ.هـ[1]

فالإمام أحال على كتابه الرد على الجهمية لأنه سرد الأحاديث في بيان الاعتقاد الصحيح في الرؤية هناك ولم يوردها هنا كلها لأنه في مجال الرد على شبهات أهل البدع العقلية والنقلية.

---

(١) الرد على بشر المريسي (١/ ٣٦٨).

ثانياً: جمع الأحاديث والآثار الواردة في باب من أبواب الاعتقاد:

وذلك إما لحفظها أو لنشرها بين الناس حتى لا يغتروا بما ينشره أهل البدع وليكون الناس على دراية بالنصوص الواردة في المسألة .

ولعل مما يمكن أن يمثل له مَا صَنَعَهُ الإمام أحمد حيث جمع أحاديث الرؤية في مصنف ، قال عبدالله بن أحمد في كتابه السنة : "رأيت أبي - رحمه الله - يصحح الأحاديث التي تروى عن النبي ﷺ في الرؤية ويذهب إليها ، وجمعها أبي - رحمه الله - وحدثنا بها" أ.هـ (١) .

ويظهر هذا أيضاً في كتاب السنة لابن أبي عاصم حيث جاءت التعليقات نادرة فيه ؛ لأن غرضه تصنيف كتاب شامل يجمع الأحاديث والآثار في اعتقاد أهل السنة .

ثالثاً: وضوح الأدلة وصراحتها في بيان الحكم الشرعي:

الأئمة في بعض الأحيان عند تقريرهم للمسائل أو الرد على المخالفين يكتفون بذكر الدليل من غير تعليق ولا بيان لوجه الاستنباط وذلك لوضوح المسألة وصراحتها في بيان الحكم الشرعي المستنبط منها فلا يتكلفون التعليق الذي لا حاجة من ذكره .

رابعاً: إبراز منهج السلف في الاعتماد على النص الشرعي:

لما ظهرت البدع، التي تعتمد على الرأي والقياس وتُزَهِّدُ الناس في السنة والأثر، كان من الأساليب التي استخدمها السلف لمواجهة هذا الإنحراف : المواجهة العملية من خلال طريقتهم في التصنيف أثناء تقريرهم لعقيدتهم، وذلك بعدم حشو مصنفاتهم بالآراء والأقيسة وجعلها محتوية على النصوص الشرعية.

ولم يكن ذلك في كل مصنفاتهم بل كان غالباً في المصنفات الخاصة بالتقرير أما التي خصصت للرد فقد اشتملت على التعليق والمناقشة .

خامساً : الفصل بين النصوص والتعليق عليها:

وكان من حرص السلف على عدم إدخال التعليقات وخلطها بالنص الشرعي أن

---

(١) السنة لعبدالله (١/ ٢٢٩- ٣٠٠).

جعلوا التعليقات مجملة إما في أول الكتاب ثم تُسْرَد النصوص مسندة من غير شرح ولا تعليق أو جعلها في آخر الكتاب لبيان المعنى الإجمالي، وسيأتي ذكر هذا النوع من التعليقات أثناء بيان مواضع التعليقات في مصنفات السلف.

ولعل من الأمثلة على هذا نجد أن الإمام محمد بن عثمان بن أبي شيبة لما صنف كتابه "العرش" جعل مقدمته حول بيان سبب تأليفه للكتاب وبيَّن انحراف أهل البدع ثم بدأ بسرد الأحاديث الواردة حول العرش ولم يعلق عليها أو يناقشها واكتفى بالتعليق الإجمالي في مقدمة الكتاب [(١)] .

سادساً : طلبهم للاختصار وعدم التطويل:

ولعل من أسباب عدم خلطهم الأدلة الشرعية بالشرح والتعليق لئلا يزداد حجم المصنف فتمل النفوس من قراءته والاطلاع على ما ورد في السنة من الأحاديث والآثار حول المسألة التي ألفت الرسالة من أجلها، وإن كان الكتاب شاملاً لكل مسائل الاعتقاد أخلوه من الشرح والتعليق لئلا يزداد حجم الكتاب لأن حجمه كبير بسبب شموله لجميع مسائل الاعتقاد هذا قبل التعليق وجمع المؤلف كل ما رد في السنة في مسائل الاعتقاد مع هذا الحجم ثم يعلق ويشرح ليصبح مؤلفاً ضخماً، ولعل مما يمثل به هنا مثل السنة لابن أبي عاصم .

ب – أمثلة على كتب السلف الخالية من التعليقات:

من الكتب التي يمكن أن يمثل بها:

١ - الإيمان لأبي بكر بن أبي شيبة:

وكتاب الإيمان لابن أبي بكر بن أبي شيبة لا يوجد فيه تعليقات البتة ولا حتى تبويب ولكن في آخر الكتاب قال جملة واحدة هذا نصها : "الإيمان عندنا قول وعمل، يزيد وينقص" [(٢)] .

---

(١) انظر: العرش لابن أبي شيبة من (ص٤٩ – ٥١).

(٢) الإيمان لأبي بكر بن أبي شيبة ، ص٥٠ .

٢- الإيمان لمحمد بن يحيى العدني:

وكذلك هنا الإمام العدني لم يعلق ولم يبوب على الأحاديث بل سردها مسندة وقد أورد بسنده كتاب "الإرجاء للحسن بن محمد بن الحنفية" في آخر الكتاب (١).

٣- ما جاء في البدع لابن وضاح:

وهذا الأحاديث فيه مسندة ومسرودة ولكن هناك تعليقات يسيرة جداً فيما يقارب سبعة مواضع تزيد قليلاً أو تنقص قليلاً (٢).

٤- السنة لعبد الله بن الإمام أحمد:

والكتاب ألف أصالة للرد على أهل الأهواء ولذلك وجدت فيه بعض التعليقات اليسيرة للإمام أحمد على بعض النصوص في الرد على الجهمية (٣).

٥- السنة لابن أبي عاصم:

والكتاب الأحاديث فيه مسندة ومسرودة ومبوبة وفيها تعليق ختامي ذكر مجمل عقيدة أهل السنة، وفي ثنايا الكتاب توجد تعليقات يسيرة: إما للكلام على راوٍ أو بيان وجه استنباط من دليل وهو قليل جداً فيما يقارب خمسة مواضع (٤).

٦- الفتن لحنبل بن إسحاق (ابن عم الإمام أحمد):

والكتاب مطبوع جزء منه وهو الجزء الرابع وليس فيه إلا الحديث السرد ولا يوجد فيه أي تعليقات (٥).

٧- كتب ابن أبي الدنيا (في أعمال القلوب):

وقد اشتهرت كتب ابن أبي الدنيا التي اهتم فيها بالزهديات والرقائق وأعمال

---

(١) وقد تصرف محقق الكتاب وهو حمد الجابري الحربي ووضع له أبواب ولكنها ليست من صنع المؤلف.

(٢) انظر: على سبيل المثال الكتاب، ص٩١، ص٩٢، ص١٢٦، ص١٨٤ .

(٣) انظر: على سبيل المثال الكتاب: ص١٠٣، ص١٩٦، ص٥٤٨ .

(٤) انظر السنة: (١/ ٢١١، ٢٨١)، (١/ ٥٧٥)، (١/ ٤٤٦)، (٢/ ١٠٢٧).

(٥) سيأتي الكلام على الكتاب في آخر باب من هذه الرسالة.

القلوب ومن أشهرها [١]:

أ- صفة الجنة.

ب – صفة النار.

ج- حسن الظن بالله .

د- التوكل على الله.

هـ- الرضا عن الله.

و- اليقين.

(١) وهناك معجم لمصنفات ابن أبي الدنيا : في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، المجلد ٤٩، ج٣، (ص٥٧٩-٥٩٤)، بتحقيق صلاح الدين المنجد.

المطلب الثاني : عرض الأدلة مع التعليق والشرح والمناقشة

أ- منهجهم في عرض التعليقات:

اختلفت وتنوعت طرائقهم في مواضع ذكر التعليقات وطريقة عرضها، كل ذلك يحكمه سياق الحديث، أو نوع المسألة التي يتكلمون عنها ونوع الأدلة هل المراد ذكر أدلة عقلية أم نقلية كل ذلك له أثر في موضع التعليق وطريقة عرضه .

ومواضع التعليقات كالتالي:

١- التعليق قبل ذكر الدليل الشرعي:

قد يسبق تعليق المصنف ذكر الدليل وذلك في الحالات التالية:

الحالة الأولى: ذكر الدليل الشرعي لما يقرره المصنف من مسألة أو مسائل .

وفي هذه الحالة يكون مقصود المؤلف الاستدلال لما يقرره من مسائل أو حكم أو قضية معينة وعليه أمثلة كثيرة منها:

المثال الأول:

قال الإمام محمد بن نصر في كتابه السنة: "ومدح الله عز وجل الذين قبلوا عن رسول الله ﷺ ما أدّى إليهم عن الله وأثنى عليهم وهم المهاجرون والأنصار من أصحاب رسول الله ﷺ وضرب بهم المثل في التوراة والإنجيل فقال: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾[الفتح : ٢٩] . وقال تعالى: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾[الفتح : ١٨] "ا.هـ[(١)].

المثال الثاني:

قال أبو عبيد في كتابه الإيمان في رده على المرجئة :

"وهذا هو الموضع الذي غلط فيه من ذهب إلى أن الإيمان بالقول، لما سمعوا تسمية الله إياهم مؤمنين ، أوجبوا لهم الإيمان كله بكماله ... (إلى أن قال):

---

(١) السنة لابن نصر ، ص١٤-١٥، وانظر مثالاً آخر ، ص٩٨.

والشاهد لما نقول والدليل عليه من كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسول الله ﷺ، فمن الكتاب قوله: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾[التوبة : ١٢٤] ، وقوله : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[الأنفال : ٢] في مواضع من القرآن مثل هذا " أ.هـ [١] .

المثال الثالث:

قال الإمام البخاري: "ومن الدليل على أن الله يتكلم كيف شاء وأن أصوات العباد مؤلفة حرفاً فيها التطريب والنغم واللحن والترجيع حديث أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ ، حدثنا عبد الله بن صالح ويحيى بن بكير قالا حدثنا الليث عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملك أنه سأل أم سلمة رضي الله عنها عن قراءة النبي ﷺ وصلاته، فقالت:" ما لكم وصلاته؟ كان يصلي ثم ينام قدر ما صلى ثم يصلي قدر ما نام، ثم ينام قدر ما صلى حتى الصبح، ونعتت قراءته فإذا قراءته حرفاً حرفاً"أ.هـ[٢] .

الحالة الثانية:

حينما يكون السياق يقتضي ذلك:

بمعنى أن المؤلف حينما يتحدث عن قضية فإن المعنى لا يكتمل إلا بذكر الدليل بعد تقرير المصنف وهو تقريباً قريب من الذي قبله .

المثال على هذه الصورة:

قال المروزي: "فشرَّع رسول الله ﷺ الشرائع وسنَّ السنن بإذن ربه ووحيه لا من

(١) الإيمان لأبي عبيد، ص١٣ .

(٢) خلق أفعال العباد، ص٥٤ ، والحديث أخرجه :أحمد في المسند (٦/ ٢٩٤، ٣٠٠، ٣٢٣) ؛ وأبو داود في سننه في كتاب الصلاة: باب استحباب ترتيل القراءة برقم (١٤٦٦)؛ وابن خزيمة في التوحيد، باب الترتيل بالقراءة في صلاة الليل (٢/ ١٨٨) برقم (١١٥٨) ؛ والحاكم في المستدرك (١/ ٣٠٩-٣١٠)، (٢/ ٢٣١-٢٣٢)؛ والبيهقي في السنن (٣/ ١٣)، كتاب الصلاة، باب ترتيل القراءة ؛ والخطيب في تاريخ بغداد (٩/ ٣٠٩٧)؛ والحديث صححه الحاكم على شرط مسلم ووافقه الذهبي.

تلقاء نفسه وشهد الله له بذلك فقال: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم : ٢-٤) .

وقـال: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾[النساء : ١٧١].

وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ ﴾[الأعراف : ١٦٩] .

فحذرنا أن نكون مثلهم لأنا ورثنا الكتاب كما ورثوه ودرسناه كما درسوه" .

الحالة الثالثة:

عند بداية فصل أو مقطع أو بداية كلام جديد:

مثاله: قال المروزي في السنة في ذكر بعض المواطن التي لا يمكن أن يعرف الحكم الشرعي من القرآن لوحده بل لابد من النظر في السنة وهو يريد بذلك الرد على منكري حجية السنة فقال - رحمه الله - : "ومن ذلك قول الله عز وجل: ﴿ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ ﴾ [البقرة : ١٤٤] "[١] ، فصلَّى النبي ﷺ في سفره حيث توجهت به راحلته" أ.هـ [٢] ، (ثم ساق بسنده أحاديث منها) :

حديث جابر رضي الله عنه : "رأيت رسول الله ﷺ يصلي تطوعاً على راحلته نحو المشرق في غزوة أنمار" [٣] .

الحالة الرابعة :

التعليق الإجمالي عند بداية الكتاب:

ولا يعلق بعد ذلك بل يسرد الحديث سرداً وأبرز مثال على ذلك وقد تقدم كتاب

---

(١) السنة للمروزي ص١٥-١٦.

(٢) السنة للمروزي ، ص٩٩-١٠٠ .

(٣) الحديث أخرجه: البخاري في المغازي ، باب غزوة أنمار برقم (٤١٤٠) .

العرش لابن أبي شيبة [١] .

٢- التعليق بعد ذكر النص الشرعي:

وهذا هو الغالب أن يذكر الدليل ثم يعلق عليه وهو أنواع وسوف يمر ذكرها، وهذه الطريقة لها حالات متعددة منها:

الحالة الأولى:

تعليق إجمالي ختامي في نهاية الفصل أو الباب:

وذلك للفصل بينه وبين الفصل الذي بعده وبيان حكم إجمالي يستنبط من مجموع هذه الأدلة في هذا الفصل أو الباب وإليك بعض الأمثلة :

المثال الأول:

قال ابن أبي عاصم في السنة في نهاية الأبواب التي عقدها حول الشفاعة: "والأخبار التي روينا عن نبينا ﷺ فيما فضَّله الله به من الشفاعة ، وتشفعه إياه فيما يشفع فيه، أخبار ثابتة موجبة بعلم حقيقة ما حوت على ما اقتصصنا ، والصاد عن الأخبار الموجبة للعلم المتواترة كافر، وقد ذكرناها ما دل على عقده من الكتاب ، جعلنا الله وكل مؤمن بها مؤمل لها من أهلها" أ.هـ [٢] .

المثال الثاني:

ذكر المروزي في السنة في نهاية الباب الذي عقده بعنوان : "ذكر السنن التي هي تفسير لما افترضه الله مجملاً مما لا يعرف معناه بلفظ التنزيل دون بيان النبي ﷺ وترجمته" [٣]

---

(١) انظر: العرش ، ص٤٩-٥١ .

(٢) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٥٧٥) وقال في موضع آخر بعد نهاية الباب الخاص بحوض النبي ﷺ (١/ ٥٢١) : "والأخبار التي ذكرناها في حوض النبي ﷺ توجب العلم، أن يعلم كنه حقيقته إنها كذلك ، وعلى ما وصف به نبينا عليه السلام حوضه، فنحن به مصدقون، غير مرتابين، ولا جاحدين، ونرغب إلى الذي وفقنا للتصديق به، وخذل المنكرين له، والمكذبين به عن الإقرار والتصديق به ليحرمهم لذة شربه، أن يوردنا فيسقينا منه شربة، نعدم ظمأ الأبد بطوله ، ونسأل ذلك بتفضله" أ. هـ .

(٣) السنة للمروزي ، ص٣٦ .

فقال: "فهذا تفسير الوجه الأول من السنن التي لها تفسير افترضه الله في كتابه مجملاً ، قد ذكرت منه ما يكفي ويستدل به أهل الفهم على ما وراءه مما لم أذكره – إن شاء الله –" [١] .

الحالة الثانية:

تعليق ختامي إجمالي لتلخيص ما سبق ذكره:

وقد يعلقون في نهاية كتبهم أو بعض الأبواب لتلخيص ما سبق ذكره من مسائل أو لذكر الخلاصة النهائية من هذا الفصل أو الباب وإليك بعض الأمثلة :

المثال الأول:

قال المروزي في كتاب تعظيم قدر الصلاة في نهاية أحد أبوابه بعد سياقه للأحاديث والآثار: "فثبت بما ذكرنا أن المصرّ على ما دون الشرك حتى يموت مؤمن غير كافر ولا مشرك وهو بين خوفٍ ورجاء، يخاف أن يعاقبه الله على معصيته إياه بما استحق من العقوبة ، ونرجوا أن يتفضل الله عليه فيعفو عنه ويغفر له ذنبه" [٢] .

المثال الثاني:

ابن أبي عاصم في كتابه الكبير (السنة) بعد أن انتهى من ذكر الأحاديث والآثار في أبواب الاعتقاد ختم كتابه بملخص لعقيدة أهل السنة على طريقة بعض السلف ذكر رؤوس المسائل العامة دون ذكر الأدلة وذكرها بصيغة الإجماع حيث قال: "سألت عن السنة ما هي؟ والسنة اسم جامع لمعانٍ كثيرة في الأحكام وغير ذلك، ومما اتفق أهل العلم على أن نسبوه للسنة: القول بإثبات القدر، وأن الاستطاعة مع الفعل للفعل، والإيمان بالقدر خيره وشره حلوه ومره، ..." أ.هـ [٣] .

---

(١) السنة للمروزي، ص٦٨ .

(٢) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٦٢٣) .

(٣) السنة لابن أبي عاصم (٢/ ١٠٢٧ – ١٠٣٢).

ب- أنواع التعليقات في مصنفاتهم:

النوع الأول: التعليق لبيان وجه الاستنباط من الدليل:

وهذا أفضل الأنواع وأشرفها وأعظمها فائدة ، ومن خلال قراءة هذه التعليقات يدرك القارئ عمق فهم السلف وسعة علمهم.

وهذه التعليقات لها حالات:

١- بيان وجه الاستنباط من دليل واحد:

وهذا هو الغالب وأمثلته كثيرة منها:

المثال الأول:

قال أبو عبيد في كتابه الإيمان: "فذكر جل ثناؤه إكمال الدين في هذه الآية(١). وإنما نزلت فيما يروى قبل وفاة النبي ﷺ بإحدى وثمانين ليلة.

كذلك حدثنا حجاج عن ابن جريج .

فلو كان الإيمان كاملاً بالإقرار ، ورسول الله ﷺ بمكة في أول النبوة كما يقول هؤلاء ما كان للكمال معنى، وكيف يكمِّل شيئاً قد استوعبه وأتى على آخره"أ.هـ(٢) .

المثال الثاني:

قال الإمام الدارمي في معرض ذكره الأدلة المثبتة لصفة الكلام لله عز وجل: "وقال إبراهيم ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[الأنبياء :٦٣-٦٧] ، فلم يُعِبْ إبراهيم أصنامهم وآلهتهم التي يعبدون بالعجز عن الكلام إلاَّ وأن إلهه متكلم قائل" (٣) .

---

(١) يشير إلى الآية ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ .

(٢) الإيمان لأبي عبيد ص١٦ .

(٣) الرد على الجهمية للدارمي ص١٥٧ . وانظر أمثلة أخرى ، خلق أمثال العباد، ص٤، تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٦١٦).

٢- بيان وجه الاستنباط من مجموعة أدلة:

وهذه حالة أخرى يظهر فيها فقد السلف حيث يذكرون مجموعة من الأدلة ثم يذكرون وجه الاستنباط منها جميعاً على وجه الإجمال وهذه بعض الأمثلة:

المثال على هذه الحالة:

البخاري - رحمه الله - أكثر من هذه الطريقة في عدة مواضع من كتابه: "خلق أفعال العباد" (١) . ولعلي اقتصر هنا على ذكر موضع واحد وهو:

قال: "وقال الله عز وجل: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا﴾[الأعراف : ٢٠٤] . وقال : ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾[الكهف :٢٧] ، وقال : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ﴾[فاطر : ٢٩] ، وقال: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ﴾(العنكبوت :٤٨) ، وقال: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾[البقرة : ١٢١] ، وقال: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾[الأحزاب :٣٤] ، وقال: ﴿يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ [آل عمران :١١٣] ، وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾[الأسراء : ٩] .

(قال الإمام البخاري معلقاً): "فبين أن التلاوة من النبي ﷺ وأصحابه، وأن الوحي من الرب، ومنه قول عائشة - رضي الله عنها -: "ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يتلى" (٢) فبينت رضي الله عنها أن الإنزال من الله وأن الناس يتلونه" أ.هـ (٣).

٣- بيان وجه الاستنباط للرد على أهل البدع:

ومن طرائقهم أنهم يبينون وجه الاستنباط من الدليل الذي به يظهر الرد على أهل البدع، وإليك بعض الأمثلة على هذه الطريقة:

المثال الأول:

---

(١) انظر على سبيل المثال : ص٥٣، ٨٤، ٩٣، ١٤٩ .

(٢) هو في صحيح البخاري في التفسير ، باب ٦، برقم (٤٧٥٠).

(٣) خلق أفعال العباد، ص٨٥-٨٦ .

أخرج الإمام الدارمي بسنده عن ابن مسعود قال: "ما بين السماء الدنيا والتي تليها مسيرة خمسمائة عام، وبين كل سمائين مسيرة خمسمائة عام، وبين السماء السابعة وبين الكرسي خمسمائة عام والعرش على الماء والله فوق العرش وهو يعلم ما أنتم عليه" (١) .

(ثم قال معلقاً) : " أفلا ترى أيها المعارض أن ابن مسعود كيف ميَّز بين العرش والكرسي، وبين السموات فما دونها التي هي أعلى الخلائق في دعواك وسميتها عرشاً دون عرش الرحمن الذي هو العرش على ألسن العالمين" أ.هـ (٢) .

المثال الثاني:

عقد الإمام ابن أبي عاصم باباً في السنة بعنوان: "باب ذكر قول النبي ﷺ سألت ربي ثلاثاً".

وذكر تحته الحديث المشهور الصحيح عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ : "إني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة ، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضهم، وإن ربي عز وجل قال لي: يا محمد إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد ، وإني أعطيك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً وبعضهم يسبي بعضاً" (٣) .

ثم ذكر الشواهد الأخرى في الباب ثم قال معلقاً: "وسمعت حامداً – وكان مما ينسب إلى معرفة بالكلام والفقه – قال: "ما على أهل القدر حديث أشد من هذا؛ لأن الله تعالى منعه الثالثة لأن مِنْ إرادة الله أن يهلك بعضهم بعضاً، ويسبي بعضهم بعضاً،

(١) هذا الأثر أخرجه : المصنف في الرد على الجهمية ، ص ٥٥ برقم (٨١).ابن خزيمة في التوحيد (١/ ٢٤٢) برقم (١٤٩)، (١٥٠) ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٣٩٦) برقم (٦٥٩)، والطبراني في الكبير (٩/ ٢٢٨) ، وأبو الشيخ في العظمة (٢/ ٦٨٨)، وابن عبدالبر في التمهيد (٧/ ١٣٩)، البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٢٩٠) برقم (٨٥١) ، والأثر إسناده صحيح ورد من عدة طرق .

(٢) الرد على بشر (١/ ٤٧١-٤٧٢).

(٣) الحديث أخرجه مسلم في الفتن برقم (٢٨٨٩).

وأعلمه أنه قضى ذلك، وأنه كائن" أ.هـ[(١)].

النوع الثاني: التعليق لإزالة إشكال أو إيضاح أمْر مُلْبِس:

وهذا النوع من التعليقات مهم، لأننا عن طريق هذه التعليقات تزال كثير من الإشكالات وتعرف دقائق المسائل التي لا يمكن لكل أحد معرفتها من الأدلة.

الأمثلة على هذا النوع:

المثال الأول: تعليقات الإمام البخاري لإزالة اللبس حول مسألة اللفظ:

تقدم الحديث مراراً عن المحنة التي تعرض لها الإمام البخاري حول مسألة اللفظ وأنه - رحمه الله - لم يتجاوز اعتقاد السلف ولم يقل أو يقرر غير عقيدتهم.

ولهذا نجد أن تعليقاته كثرت حول هذه المسألة بأسلوب مبسط وواضح بحيث استطاع أن يزيل اللبس المتوقع حول المسألة وهذه بعض المواضع:

قال - رحمه الله - : "حركاتهم وأصواتهم واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة، فأما القرآن المتلو المبين، المثبت في المصحف، المسطور، المكتوب، الموعى في القلوب، فهو كلام الله، ليس بخلق قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَـٰتٌۢ بَيِّنَـٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ﴾ ﴿العنكبوت : ٤٩﴾، وقال إسحاق بن إبراهيم: فأما الأوعية فمن يشك في خلقها؟ قال الله: ﴿وَكِتَـٰبٍ مَّسْطُورٍ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ [الطور :٢-٣]، وقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج : ٢١-٢٢]، وذكر أنه يحفظ ويسطر قال: ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم :١] ..." أ.هـ[(٢)].

وقال في موضع آخر: "فأمَّا المداد والرق ونحوه فإنه خلق، كما أنك تكتب "الله"، فالله في ذاته هو الخالق، وخطك واكتسابك من فعلك خلق، لأن كل شيء دون الله يصنعه وهو خلق، وقال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان :٢]، وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَـٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف :٤]، وقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ

---

(١) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٢١١).

(٢) خلق أفعال العباد، ص٤٢.

﴿مَجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾ [البروج :٢١-٢٢] ..." أ.هـ [١] .

فالإمام أوضح الفرق بين التلاوة والمتلو والقراءة والمقروء فالتلاوة والقراءة واللفظ مخلوق والمتلو والمقروء والملفوظ هو كلام الله حقيقة ليس بمخلوق.

ويقول شيخ الإسلام: "ولكنَّ أصل تنازعهم في مسألة اللفظ ، والمنصوص عن الإمام أحمد ونحوه من العلماء أنَّ من قال: "إن اللفظ بالقرآن والتلاوة مخلوقة" فهو جهمي، ومن قال إنه غير مخلوق فهو مبتدع؛ لأن "اللفظ والتلاوة" يراد به الملفوظ المتلو، وذلك هو كلام الله فمن جعل كلام الله الذي أنزله على نبيه مخلوقاً فهو جهمي، ويراد بذلك "المصدر وصفات العباد" فمن جعل أفعال العباد وأصواتهم غير مخلوقة فهو مبتدع ضال ... (إلى أن قال): وكلام البخاري في "كتاب خلق أفعال العباد" صريح في أن الله يتكلم بصوت، وفرق بين صوت الله وأصوات العباد، وذكر في ذلك عدة أحاديث عن النبي ﷺ ..." أ.هـ [٢] .

المثال الثاني: الإمام محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة :

أورد الإمام في معرض رده على المرجئة الحديث المشهور عن عبد الله بن مسعود قال: سُئل النبي ﷺ عن الوسوسة، قال: "تلك محض الإيمان" وفي رواية: "تلك صريح الإيمـان" [٣] .

فعلَّق الإمام على الحديث منبهاً على إشكال قد يرد وهو كيف تصبح الوسوسة صريح الإيمان فقال: "ليس يعني أن الوسوسة في نفسها هي صريح الإيمان، إنما يعني ما أظهروا له من الكراهة من الخوف من الله عز وجل ، إذا اختاروا لأن يخروا من السماء على أن يتكلموا به [٤]، ولا تطيب نفس أحد بأن تخر من السماء، وأن تصير حممة

---

(١) خلق أفعال العباد ، ص٤٤ .

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٢٣)، وانظر: (١٢/ ١٦٣، ٢٣٦) .

(٣) الحديث أخرجه مسلم في الإيمان برقم (١٣٢) .

(٤) يشير لما جاء في الرواية الأخرى عند مسلم "فسألوه : إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به قال: "وجدتموه" ؟ قالوا : نعم قال: "ذاك صريح الإيمان" الإيمان برقم (١٣٢).

إلا من شدة الخوف، فذلك الخوف هو صريح الإيمان لأنه إذا وجد الوسوسة من طريق الشرك، نظر إلى ما أعد الله لأهل الشرك من العذاب وطابت نفسه أن تكون حممة لأن من نظر إلى شيءٍ من عذاب الله باليقين كان ما دونه أهون عليه وأخف ..." أ.هـ (١).

وبمثل هذا التقرير يقول شيخ الإسلام بعد ذكره هذا الحديث: "فالشيطان لما قذف في قلوبهم وسوسة مذمومة تحرك الإيمان الذي في قلوبهم بالكراهة لذلك والاستعظام له فكان ذلك صريح الإيمان، ولا يقتضي ذلك أن يكون السبب الذي هو الوسوسة مأموراً به ..." أ.هـ (٢).

المثال الثالث: الدارمي يزيل اللبس عن حديث الصورة:

أورد الإمام الدارمي في رده على بشر حديث الصورة وبين الشبهة التي أوردها المريسي لرد حديث الصورة فقال: "وأما إنكارك أيها المريسي على رسول الله ﷺ أنه قال: "إن الله يتراءى لعباده المؤمنين يوم القيامة في غير صورته، فيقولون نعوذ بالله منك ، ثم يتراءى في صورته التي يعرفونها فيعرفونه فيتبعونه" (٣) ، فزعمت أيها المريسي أن من أقرَّ بهذا فهو مشرك .

يقال لهم: أليس قد عرفتم ربكم في الدنيا، فكيف جهلتموه عند العيان وشككتم فيه؟ (إلى أن قال) : ويلك إن هذا ليس بشك ولا ارتياب منهم، ولو أن الله يَجلّى لهم أول مرة في صورته التي عرَّفهم صفاتها في الدنيا لاعترفوا بما عرفوا ، ولم ينفروا ولكنه يرى نفسه في أعينهم لقدرته ولطف ربوبيته في صورة غير ما عرفهم الله صفاتها في الدنيا ، ليمتحن بذلك إيمانهم ثانية في الآخرة كما امتحن إيمانهم في الدنيا ليثبتهم أنهم لا يعترفون بالعبودية في الدنيا والآخرة إلاَّ للمعبود الذي عرفوه في الدنيا بصفاته التي أخبرهم بها في كتابه واستشعرتها قلوبهم حتى ماتوا على ذلك، فإذا مثل في أعينهم غير

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٧٢٦).

(٢) مجموعة الفتاوى (١٠/ ٥٥٧) .

(٣) أخرجه : البخاري -كتاب الرقاق-باب الصراط على جسر جهنم برقم (٦٥٧٣).ومسلم -كتاب الإيمان برقم (١٨٢).

ما عرفوا من الصفة نفروا وأنكروا ، إيماناً منهم بصفة ربوبيته التي امتحن قلوبهم في الدنيا، فلما رأى أنهم لا يعرفون إلا التي امتحن الله قلوبهم تجلَّى لهم في الصورة التي عرفهم في الدنيا فآمنوا به وصدقوا، وماتوا، ونشروا عليه، من غير أن يتحول الله من صورة إلى صورة ، ولكن يمثل ذلك في أعينهم بقدرته ،فليس هذا أيها المريسي بشك منهم في معبودهم، بل هو زيادة يقين وإيمان به مرتين ..." أ.هـ (١).

النوع الثالث: لبيان رأي المؤلف في المسألة:

ولعل من التعليقات التي يدونها الأئمة أنهم يذكرون رأيهم في المسألة إذا كانت المسألة مما يسوغ فيها الخلاف، وليست من الأصول الكبار لأن أصول الاعتقاد مجمع عليها وما يذكروه ليس اختياراً خاصاً بهم بل هو تقرير لعقيدة السلف - رحمهم الله - ولعلنا نذكر هنا المثالين التاليين:

المثال الأول: رأي محمد بن نصر في الفرق بين الإيمان والإسلام:

من المسائل التي وقع الخلاف فيها بين أهل السنة : "هل هناك فرق بين الإيمان والإسلام أم أنه لا فرق بينهما" .

والإمام محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة انتصر للقول الذي يقول بعدم الفرق بينهما.

فقال: "وقد ذكرنا تمام الحجة في أن الإسلام هو الإيمان وأنهما لا يفترقان ، ولا يتباينان من الكتاب، والأخبار الدالة على ذلك في موضع غير هذا ، فتركنا إعادته في هذا الموضع كراهية التطويل والتكرير ، غير أنا سنذكر ههنا من الحجة في ذلك ما لم تذكره في غير هذا الموضع ، ونبين خطأ تأويلهم والحجج التي احتجوا بها من الكتاب ، والأخبار التي استدلوا بها على التفرقة بين الإسلام والإيمان" أ.هـ (٢).

وقال في موضع آخر ذاكراً بعض الأدلة على ما يقول: وقال الله عز وجل : ﴿ إِنَّ

---

(١) الرد على المريسي (١/ ٣٨٤-٣٨٧).
(٢) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٥٣١) .

ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[آل عمران :١٩] ، وقال: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[المائدة :٣] ، وقال : ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ ﴾[البقرة : ١٣٢]. الذي ارتضاه واصطفاه هو الإسلام . ثم قال: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾[آل عمران : ٨٥] .

فدلَّ بذلك أن الإيمان المقبول الذي وعد الله عليه الثواب، هو الإسلام ؛ لأنه لو كان غير الإسلام، لكان من دان لله بالإيمان غير مقبول منه إياه لقوله : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ [آل عمران : ٨٥].

فلما اجتمعت الأمة على أن من دان لله بالإيمان فجائز أن يقبل منه، ثبت بذلك أن الإيمان هو الإسلام وهو الدين المرتضى ..." أ.هـ (١) .

وهذه المسالة الخلاف فيها مقبول وسائغ ولا يثرب فيها على المخالف فيها لأن بعض السلف قد قال بقوله؛ فهذا الإمام البخاري يرى أنه لا فرق بين الإيمان والإسلام كما قرر ذلك في صحيحه من خلال تبويبه لكتاب الإيمان في أكثر من موضع منها:

قوله : "باب إذا لم يكن الإسلام على الحقيقة" (٢) .

قال الحافظ ابن حجر: "ومحصل ما ذكره واستدل به أن الإسلام يطلق ويراد به الحقيقة الشرعية وهو الذي يرادف في الإيمان وينفع عند الله وعليه قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[آل عمران : ١٩] ..." أ.هـ (٣) .

وقوله **"باب من الدين الفرار من الفتن"** (٤) .

قال الحافظ: "عدل المصنف عن الترجمة بالإيمان ومع كونه ترجم لأبواب الإيمان مراعاة للفظ الحديث، ولما كان الإيمان والإسلام مترادفين في عرف الشرع وقال الله

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٤٤-٣٤٥).

(٢) باب رقم (١٩) من الإيمان.

(٣) فتح الباري (١/ ١٠٠).

(٤) باب رقم (١٢) من الإيمان.

تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾[آل عمران: ١٩] صح إطلاق الدين في موضع الإيمان" أ.هـ [(١)].

وقال في موضع ثالث (أي البخاري) معلقاً على حديث جبريل: "جعل ذلك كُلَّه من الإيمان" [(٢)].

قال الحافظ في الفتح: "تقدم أن المصنف يرى أن الإيمان والإسلام عبارة عن معنى واحد، فلما كان ظاهر سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام وجوابه يقتضي تغايرهما وأن الإيمان تصديق بأمور مخصوصة، والإسلام إظهار أعمال مخصوصة، أراد أن يرد لذلك بالتأويل إلى طريقته..." أ.هـ [(٣)].

وممن وافقهما كذلك : ابن عبد البر كما حكاه الحافظ في الفتح [(٤)].

تعقيب شيخ الإسلام على محمد بن نصر المروزي في ترجيحه عدم التفريق بين الإسلام والإيمان:

قال :" مقصود محمد بن نصر المروزي رحمه الله :أن المسلم الممدوح هو المؤمن الممدوح ، وأن المذموم ناقص الإسلام والإيمان ، وأن كل مؤمن فهو مسلم ، وكل مسلم فلا بد أن يكون معه إيمان ، وهذا صحيح ، وهو متفق عليه ، ومقصوده أيضاً :أن من أطلق عليه الإسلام أطلق عليه الإيمان ، وهذا فيه نزاع لفظي ،ومقصوده أن مسمى أحدهما هو مسمى الآخر ، وهذا لا يعرف عن أحد من السلف ،وإن قيل :هما متلازمان ،فالمتلازمان لا يجب أن يكون مسمى هذا هو مسمى هذا ،وهو لم ينقل عن أحد من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ولا أئمة الإسلام المشهورين أنه قال : مسمى الإسلام هو مسمى الإيمان كما نصره ،بل ولا عرفت أنا أحداً قال ذلك من السلف ولكن المشهور عن الجماعة من السلف والخلف أن المؤمن المستحق لوعد الله ،فكل

(١) فتح الباري (١/ ٨٧-٨٨).
(٢) باب رقم (٣٧) ، الفتح (١/ ١٤٠).
(٣) الفتح (١/ ١٤٠).
(٤) الفتح (١/ ١٤١).

مسلم مؤمن ،وكل مؤمن مسلم ،وهذا متفق على معناه بين السلف والخلف ، بل وبين فرق الأمة كلهم يقولون:إن المؤمن الذي وعد بالجنة لابد أن يكون مسلماً ، والمسلم الذي وعد بالجنة لابد أن يكون مؤمناً ، وكل من يدخل الجنة بلا عذاب من الأولين والآخرين ، فهو مؤمن مسلم .

ثم إن أهل السنة يقولون :الذين يخرجون من النار ويدخلون الجنة معهم بعض ذلك ، وإنما النزاع في إطلاق الاسم ، فالنقول متواترة عن السلف بأن الإيمان قولٌ وعمل ولم ينقل عنهم شيء من ذلك في الإسلام " [(١)] .

المثال الثاني: لا يمين على من حلف بغير الله:

وذكر الإمام البخاري – في معرض حشده الأدلة لبيان أن أعمال العباد مخلوقة – وجهاً لطيفاً في الاستدلال وهو أن أعمال العباد لا يجوز الحلف بها ولا تنعقد بها اليمين لأنه حلف بمخلوق .

قال – رحمه الله – "ولا نشك في قراءة الكفار وأهل الكتاب أنها أعمالهم ، وأما المقروء فهو كلام الله العزيز المنان ليس بمخلوق، فمن حلف بأصوات قيصر وبنداء المشركين الذين يقرون بالله لم يكن عليه يمين دون الحلف بالله لقول النبي ﷺ: "لا تحلفوا بغير الله" [(٢)] ..." [(٣)] .

وهذا هو الحق الذي لا محيد عنه.

يقول شيخ الإسلام : "وقد اتفق العلماء على أنه لا تنعقد اليمين بغير الله تعالى وهو الحلف بالمخلوقات ؛ فلو حلف بالكعبة أو بالملائكة، أو بالأنبياء أو بأحد الشيوخ أو بالملوك لم تنعقد يمينه ولا يشرع له ذلك" [(٤)] أ.هـ .

---

(١) الإيمان لشيخ الإسلام ص٣٤٩ تحقيق الألباني ، ط.المكتب الإسلامي بيروت -١٤٠٦هـ.

(٢) الحديث أخرجه أحمد (٣/ ٤٨٧) .وأورده الهيثمي في المجمع (٤/ ١٧٧) وضعف إسناده . ويشهد لهذا الحديث ما في الصحيح مرفوعاً: " ألا إن الله عزوجل ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت" أخرجه مسلم –كتاب الأيمان برقم (١٦٤٦).

(٣) خلق أفعال العباد ، ص١٥٨ .

(٤) مجموع الفتاوى (١/ ٣٣٥).

النوع الرابع: التعليق لبيان غريب الألفاظ:

وهذا النوع ليس بكثير وإليك هذه الأمثلة:

المثال الأول:

أورد الإمام أبو عبيد في كتابه الإيمان حديثاً جاء فيه: " إن للإسلام صوىً ومناراً كمنار الطريق" (١).

قال أبو عبيد (معلقاً) :"صوى" : هي ما غلظ وارتفع من الأرض واحدتها صوَّة" أ.هـ (٢).

والإمام أبو عبيد ليس بغريب عليه فهو إمام وحجة في اللغة وقد نقل صاحب اللسان قول أبي عمرو في معنى "**الصوى**" فقال: "قال أبو عمرو: **الصوى**: أعلام من حجارة منصوبة في الفيافي والمفازة المجهولة يستدل بها على الطريق وعلى طرفيها أراد أن للإسلام طرائق وأعلاماً يهتدى بها ؛ وقال الأصمعي: الصوى ما غلظ من الأرض وارتفع ولم يبلغ أن يكون جبلاً . قال أبوعبيد (القائل صاحب اللسان) : وقول أبي عمرو أعجب إلي وهو أشبه بمعنى الحديث" أ.هـ (٣).

المثال الثاني:

أخرج الإمام محمد بن نصر بسنده الحديث المشهور : "البذاذة من الإيمان"(٤).

---

(١) الحديث أخرجه: محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٤١٢) برقم (٤٠٥) .وابو نعيم في الحلية (٥/ ٢١٧-٢١٨).والحاكم في المستدرك (١/ ٢١) وصححه. وابن شاهين في الترغيب في فضائل الأعمال، ص٣٨٠ برقم (٤٨٧) تحقيق صالح الدعيل، طبعة دار ابن الجوزي، ط. الأولى،عام ١٤١٥هـ.
وصححه الألباني كما في الصحيحة برقم (٣٣٣) .واحتج به شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٧/ ٢٦٠).

(٢) الإيمان لأبي عبيد، ص١٤ .

(٣) اللسان (١٤/ ٤٧٢) . وانظر: الصحاح (٦/ ٢٤٠٤)، القاموس ص١٦٨١ .

(٤) الحديث أخرجه : أبو داود في الترجل (٤/ ٧٥) برقم (٤١٦١) والطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٤٦) والحاكم (١/ ٩) .والطحاوي في مشكل الآثار (٤/ ١٩١) برقم (١٥٣١) .وأحمد في الزهد ص١٩، برقم (٢٩) .والحميدي في المسند (١/ ١٧٢) برقم (٣٥٧) .والحديث صححه الحافظ في الفتح (١٠/ ٣٨١) عند شرحه للباب رقم (٧٧) ح(٥٩٢٦) .وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٣٤١) .

ثم قال معلقاً : "قال أبو سلمة: البذاذة الهيئة الرثة" أ.هـ [١] .

جاء في الزهد لأحمد: "قال عبدالله سألت أبي قلت: البذاذة ؟ قال : التواضع في اللباس" أ.هـ [٢] .

وليس بينهما تعارض فرثُّ الهيئة يدل على تواضعه في اللباس. قال الطحاوي: "فكان معنى قوله ﷺ : "البذاذة من الإيمان" أي: أنها من سيما أهل الإيمان إذ معهم الزهد والتواضع وترك التكبر كما كان الأنبياء صلوات الله عليهم قبلهم في مثل ذلك" أ.هـ [٣] .

وقال الحافظ : "والبذاذة بموحدة ومعجمتين : رثاثة الهيئة، والمراد بها هنا ترك الترفه والتنطع في اللباس والتواضع فيه مع القدرة لا بسبب جحد نعمة الله تعالى" أ.هـ [٤] .

وقال ابن الأثير: "البذاذة :رثاثة الهيئة يقال: بَذُّ الهيئة وباذُّ الهيئة أي : رث اللبسة، أراد التواضع في اللباس وترك التبجح به" أ.هـ [٥] .

ج- الاختصار والتطويل في التعليقات:

الأصل في التعليقات إما الاختصار أو التوسط والطول والإسهاب هو خروج عن الأصل لحاجة وهذا هو الذي كان عليه السلف في مصنفاتهم.

بل إنهم - رحمهم الله - يقلُّون من التعليقات حتى تصل تعليقاتهم إلى كلمة أو كلمتين ، ولكن إن احتاج الأمر إلى بسط للرد على شبهة أو إزالة إشكال متوقع حول بعض النصوص الشرعية فإنهم يسهبون القول وتطول تعليقاتهم أحياناً.

وإجماله الشديد في بعض التعليقات من أسبابه هو وضوح الدلالة من الحديث أو الآية فلا يرون أن هناك حاجة للتطويل في التعليق كما سوف يظهر لنا من خلال الأمثلة.

١- الأمثلة على التعليقات المختصرة :

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٤٦٥).

(٢) الزهد، ص٢٠ .

(٣) مشكل الآثار (٤/ ١٩٣).

(٤) الفتح (١٠/ ٣٨١).

(٥) النهاية في غريب الحديث (١/ ١١٠).

المثال الأول:

قال الإمام البخاري: "حدثنا عثمان، حدثنا جرير عن حصين بن عبدالرحمن عن مرة قال: أتيت منزل ابن مسعود أطلبه فقيل لي: هو عند أبي موسى، فأتيت أبا موسى فإذا هو وحذيفة، وهو يقول لحذيفة: إنك صاحب الحديث قال: أجل ، كرهت أن يقال قراءة فلان وقراءة فلان" (١) .

قال البخاري معلقاً: "فبيَّن أن القارئ سوى القرآن" (٢) .

وهذه - العبارة مع إيجازها لكنها تدل على عمق فهم الإمام البخاري وقوة استنباطه حيث استنبط من كلام حذيفة هذا الاستنباط .

المثال الثاني:

نقل عبد الله بن أحمد في كتابه السنة في بداية الكتاب النقول من السلف في تكفير من قال بخلق القرآن ووجه تكفيرهم وكان من ضمن ما قال:

"وقال الله عز وجل : ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[الأعراف :٥٤] . قال عبد الله بن أحمد معلقاً : "قال أبي - رحمه الله - والخلق غير الأمر" (٣) .

فهذه العبارة مع إيجازها فهي ثلاث كلمات لكنها تهدم أصلاً عظيماً من أصول الجهمية والمعتزلة ألا وهو القول بخلق القرآن، وهذا يدل على عمق فهم السلف - رحمهم الله - وقلة تكلفهم ودقة عباراتهم.

المثال الثالث:

أخرج ابن وضاح بسنده عن سمرة بن جندب: "لا تقوم الساعة حتى تروا أموراً عظاماً لم تكونوا ترونها ولا تُحدِّثون بها أنفسكم" (٤) .

---

(١) الأثر إسناده صحيح .

(٢) خلق أفعال العباد ، ص١٢٢ .

(٣) السنة لعبدالله (١/ ١٠٣).

(٤) أخرجه ابن وضاح بسنده ص١٧٦ برقم (٢٦٦). وسنده ضعيف لضعف "عفير بن معدان" ، قال ابن حجر: "ضعيف" في التقريب ص٦٨٢ برقم (٤٦٦٠).ورد مرسلاً عن الحسن بمعناه عند عبدالرزاق في باب أشراط الساعة (١١/ ٣٧٤). وأورده الهيثمي في المجمع (٧/ ٣٢٦) ، وعزاه للطبراني وضعفه بعفير بن معدان .

قال ابن وضاح معلقاً: "أنا أقول لا تقوم الساعة حتى تُعبَد الأصنام في المحارب" [(١)]

٢- الأمثلة على التعليقات المطولة:

المثال الأول: محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة:

عقد الإمام محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة باباً خاصاً وعلق وشرح حديث: "الدين النصيحة"، لما يشتمل طلبه من أحكام وفوائد ومسائل حول الإيمان وقد بدأ بذكر روايات الحديث وطرقه ثم ذكر ما يستفاد منه من أحكام [(٢)].

وقال في مقدمة شرحه: "فجمعت هذه الكلمة كل خير يبتغى ويؤمر به، وكل شر يتقى وينهى عنه، وستذكر تفسيرها بعد ذكر الأخبار فيها" أ.هـ [(٣)].

المثال الثاني: ابن أبي الدنيا في صفة النار:

أخرج بسنده أثراً عن عبدالله بن عمرو قال: " إن أهل النار نادوا: ﴿وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف :٧٧]. قال: فخلَّى عنهم أربعين عاماً ثم أجابهم: ﴿قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ﴾ [الزخرف :٧٧] فقالوا: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَـٰلِمُونَ﴾ [المؤمنون :١٠٧]. قال: فخلَّى عنهم مثل الدنيا ثم أجابهم: ﴿قَالَ ٱخْسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون : ١٠٨].

قال: فلم ينبس القوم بعد ذلك بكلمة، إن كان إلا الزفير والشهيق" أ.هـ [(٤)] ثم علق على الأثر تعليقاً مطولاً نقل فيه كلام بعض الواعظين [(٥)].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٦٨١-٧٠٠).

(٣) المصدر السابق(٢/ ٦٨١).

(٤) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار ص١١٢ برقم (١٦٨). وابن أبي شيبة في المصنف (٧/ ٧٢) برقم (٣٤١١١) في كتاب ذكر النار.

(٥) من ص١١٢-١١٥، انظر: تعليقاً آخر مطولاً في نفس الكتاب ص١٠٩-١١١.

المطلب الثالث : تكرار الأدلة حسب دلالتها على مسائل الاعتقاد

تمهيد :

لا شك أن التكرار إذا خلا من الفائدة، فإنه يورث الملل ويدل على قلة العلم، وهذا غير وارد في مصنفات السلف لعمق فهمهم وقلة كلامهم مع بركة علمهم .

والتكرار إذا أشتمل على الفائدة فلا عيب فيه، فهذا كتاب الله يكرر القضية ولكن في كل مرة تجد فيها فائدة لا تجدها في المرة التي قبلها [١].

وقد وجد في مصنفات السلف تكرار للأدلة - وإن لم يكن كثيراً- وقد تنوعت أغراضهم وأهدافهم من وراء هذا التكرار ، ويظهر هذا جلياً في المصنفات الموسوعية الكبيرة التي حوت أبواباً كثيرة في مسائل الاعتقاد ؛ فكان التكرار ضرورياً لهم لكي يكمل استدلالهم في كل مواضع الاعتقاد لأن الدليل الواحد قد يستدل به على أكثر من موضوع.

و من خلال استعراضنا نجد أن أكثر الكتب تكراراً للأحاديث هو أكثرها احتواءً على الأدلة ، وقد ظهر لي أن أكثر الكتب تكراراً وجمعاً للأحاديث هو كتاب "السنة لابن أبي عاصم" .

ونقصد كذلك بالأدلة المتكررة : الكتاب والسنة والآثار عن السلف – رحمهم الله – وإن كان الغالب في ذكر الأمثلة هو على الأحاديث المرفوعة لكثرة ولظهور وتعدد الأغراض فيها أكثر من غيرها.

و أغراضهم من وراء التكرار تظهر فيما يلي:

١- تكرار الدليل حسب دلالته على المسائل أحياناً:

لعل من أظهر الأغراض والدوافع لتكرار الأدلة في مصنفات السلف خلال القرون الثلاثة الأولى التكرار حسب إفادة النص ودلالته على الموضوع ، فقد ستدل بالدليل في أكثر من موضع وأكثر من مسألة ، فالدليل على نزول الرب مثلاً يدل كذلك

(١) انظر: كلام لشيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١٦/ ٥٣٤).

على مسألة العلو ، وفي بعض الأحيان يكرر الحديث كاملاً، وفي بعض الأحيان يذكر موضع الشاهد ويقطع الحديث على حسب الباب الذي يرد فيه، كما هي عادة الإمام البخاري في صحيحه وقد تقدم.

الأمثلة على هذه الحالة:

المثال الأول:

أورد الإمام ابن أبي عاصم في كتابه السنة الحديث المروي عن النواس بن سمعان الكلابي ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن ، إن شاء أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاغه" (١) .

والحديث في أصله أطول من هذا والإمام ابن أبي عاصم ذكر بعض ألفاظه في موطن والبعض الآخر في موطن آخر.

ولفظه تاماً ورد في موضع واحد عند غير ابن أبي عاصم كما هو عند ابن خزيمة وغيره ، بلفظ : "ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابع الله تعالى إن شاء أقامه وإن شاء أزاغه، وكان رسول الله ﷺ يقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، والميزان بيد الرحمن يخفض ويرفع" (٢) .

والمواضع التي أوردها فيه ابن أبي عاصم هي كالتالي :

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٧٣) برقم (٢٢٦) في باب (إن القلوب بين أصبعين) .وابن ماجه في المقدمة (١/ ٣٩) برقم (١٨٧) باب فيما أنكرت الجهمية .وأحمد في السنة (١/ ١٨٢) .والآجري في الشريعة (٣/ ١١٦٢) برقم (٧٣٤) في باب الإيمان بأن قلوب الخلائق بين أصبعين .والدارمي في الرد على المريسي (١/ ٣٣٨) .والحاكم في المستدرك (١/ ٥٢٥) ، (٢/ ٢٨٩).وابن خزيمة في التوحيد (١/ ١٨٨ – ١٩٠) برقم (١٠٨) باب إثبات الأصابع لله.وابن حبان في صحيحه كتاب الإحسان (٣/ ٢٢٢) برقم (٩٤٣) .والبيهقي في الأسماء والصفات (١/ ٣٧٢) برقم (٢٩٩). والدارقطني في الصفات ، ص٥٥ برقم (٤٣).وابن منده في الرد على الجهمية ص٨٧ برقم (٦٨) وفي التوحيد (٣/ ١١٠) برقم (٥١١، ٥١٢) . والبغوي في شرح السنة (١/ ١٦٥) برقم (٨٩) . والطبراني في الدعاء (٣/ ١٢٩١) برقم (١٢٦٢) . وصححه الحاكم والذهبي والبوصيري وابن منده . وقال الألباني، "حديث صحيح على شرط البخاري" ، والحديث له شواهد في الصحيح.انظر: مصباح الزجاجة (١/ ٦٩) برقم (٦٩) ، صحيح الجامع (٥٦٢٣) .

(٢) التوحيد لابن خزيمة (١/ ١٨٩) برقم (١٠٨).

الموضع الأول: في باب : "إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن ما شاء الله أقامه منها ، وما شاء أن يزيغه أزاغه" [١] .

وقد أوردها ضمن أبواب القضاء والقدر من سننه وذكر من الحديث ما يوافق لفظ الترجمة فقط واقتصر عليه بلفظ : "ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء أن يقيمه أقامه وإن شاء أن يزيغه أزاغه" [٢] .

الموضع الثاني: في باب: ما ذكر عن النبي ﷺ أنه قال : "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك" [٣] .

ثم أعاده بالسند نفسه واختار اللفظ الموافق للباب ثم قال: كان رسول الله ﷺ يقول: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك" [٤] ، واقتصر على هذا اللفظ فقط .

الموضع الثالث: في باب : "ذكر الميزان" [٥] .

ثم أعاد هذا الحديث بنفس السند وأورد لفظاً يدل على ما يريد فقط .

فقد اختار هذا اللفظ من الحديث حيث قال: "سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إن الميزان بيد الرحمن، يرفع قوماً ويخفض آخرين" [٦] .

فنلحظ من خلال تكراره هذا الحديث بالسند والمتن أنه لم يورده كاملاً وإنها ذكر موضع الشاهد في كل باب وهذا يؤيد ما ذكرناه من الحالة الأولى التي يلجأ فيها الأئمة إلى التكرار [٧] .

المثال الثاني:

أخرج الإمام محمد بن نصر المروزي في كتابه "تعظيم قدر الصلاة" الحديث

(١) باب رقم (٤٠) من السنة: (١/ ١٧٣).
(٢) برقم (٢٢٦) المصدر السابق.
(٣) باب رقم (٤١) السنة (١/ ١٨٠).
(٤) برقم (٢٣٧) المصدر السابق .
(٥) باب رقم (١٦٥) السنة (١/ ٥٢٢).
(٦) برقم (٧٩٦) المصدر السابق .
(٧) الحديث وردت له شواهد كثيرة تجدها في الإحالات السابقة في الكتاب ولكن ذكرنا ما كرره بسنده.

الصحيح المشهور بسنده عن إسحاق عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن سالم عن أبيه (عبد الله بن عمر) رضي الله عنهما :" أن رسول الله ﷺ مرَّ برجل من الأنصار وهو يعظ أخاه في الحياء ، فقال رسول الله ﷺ : "دعه فإن الحياء من الإيمان" [(١)] .

وقد ذكر الإمام هذا الحديث في موضعين مختلفين لأنه جاء بهما للاستدلال على موضعين مختلفين:

الموضع الأول:

للاستدلال به على أن شرائع الإيمان والإسلام لم تذكر كلها في القرآن وإنما جاءت السنة بذكر بعض شعب الإيمان والإسلام والتي تدل على أنها من الإيمان، ويجب الإيمان بها كلها، وبما تدل عليه.

فقال - رحمه الله - : "وقد حفظ في بعض هذه الأحاديث من شرائع الإسلام ما لم يحفظ في بعض ، فيمكن أن يكون الذين قصروا عن حفظها كلها تعلموا الإسلام قبل أن يفرض من شرائعه ما حفظ غيرهم... ليس لأحد أن يقول: ليس الإسلام إلا ما في حديث فلان دون غيره من الأحاديث حتى تقربها كلها ..." أ.هـ [(٢)] .

ثم ذكر الأحاديث التي جاءت تنص على أن بعض الأعمال من الإيمان فذكر: إماطة الأذى – والذكر – وحسن الخلق وغيرها.

ثم أورد الحديث الآنف الذكر.

الموضع الثاني:

ذكر فيه من الأدلة على أن بعض الأعمال من الإيمان وهي ليست بواجبة قد تكون نفلاً ؛للرد على من زعم أن الأعمال التي من الإيمان هي الفروض الواجبة وإذا زالت زال الإيمان فقال - رحمه الله - : "وقال الجمهور الأعظم من أهل السنة: الإيمان واحد

---

(١) الحديث في تعظيم قدر الصلاة (١/ ٤٣٦) برقم (٤٤٤)، (٤٤٥) .والحديث أخرجه الإمام البخاري في الإيمان – باب الحياء من الإيمان برقم (٢٤) .

(٢) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٤٢٤) بتصرف .

له أصل وفرع، وأصله مفترض وفرعه منه مفترض ، ومنه لا مفترض، فأما المفترض فهو ما أوجبه الله على عباده بقلوبهم وجوارحهم وذلك معلوم محدود ... والباقي من الإيمان هو نافلة لم يفترضه الله عز وجل ..." أ.هـ [(١)] بتصرف.

ثم أورد الأحاديث ؛ومنها هذا الحديث في الحياء ثم عقب عليه بقوله:

"والحياء حياءان: حياء من الله، وحياء من الناس، والذي هو أولى بالعبد الحياء من الله عز وجل ...، فمن الحياء من الله ما هو فرض، ومنه فضيلة، ونافلة وهو هائج عن المعرفة بعظمة الله، وجلاله، وقدرته ..." أ.هـ [(٢)] بتصرف.

المثال الثالث:

أورد الإمام الدارمي قول الله جل وعلا عن الوليد بن المغيرة [(٣)] قوله: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر : ٢٥] في موضعين مختلفين:

الموضع الأول: في "باب الاحتجاج للقرآن إنه غير مخلوق" [(٤)]:

قال - رحمه الله - : "فمن ذلك ما أخبر الله تعالى في كتابه عن زعيم هؤلاء الأكبر وإمامهم الأكفر الذي ادّعى أولاً إنه مخلوق وهو الوحيد، واسمه الوليد بن المغيرة فأخبر الله عن الكافر دعواه فيه ثم أنكر عليه دعواه وردَّها عليه، ووعده النار أَنِ ادَّعى أنَّ قول الله قولُ البشر ، وقوله :﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾[المدثر : ٢٥]،وقول هؤلاء الجهمية "هو مخلوق" واحد لا فرق بينهما فبئس التابع وبئس المتبوع" أ.هـ [(٥)] .

---

(١) تعظيم قدرا لصلاة (٢/ ٨٠٦) بتصرف.

(٢) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٨٢٥-٨٢٦) بتصرف.

(٣) الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم، أبو عبدشمس ، من قضاة العرب في الجاهلية، ومن زعماء قريش، ومن زنادقتها، يقال له: " العدل" لأنه كان عدل قريش كلها: كانت قريش تكسو البيت جميعها، والوليد يكسوه وحده، وكان ممن حرم الخمر في الجاهلية، وهو والد سيف الله المسلول "خالد بن الوليد" هلك بعد الهجرة بثلاثة شهور. انظر: الأعلام للزركلي (٨/ ١٢٢).

(٤) الرد على الجهمية ، ص١٨٤ .

(٥) الرد على الجهمية، ص١٨٤ .

الموضع الثاني: في "باب الاحتجاج في إكفار الجهمية" [١] :

ذكر الأدلة التي لأجلها كفر السلف الجهمية فقال : "أما الكتاب فما أخبر الله عز وجل عن مشركي قريش من تكذيبهم بالقرآن، فكان أشد ما أخبر عنهم من التكذيب قالوا: "هو مخلوق" كما قالت الجهمية سواء، قال الوحيد وهو الوليد بن المغيرة المخزومي: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾[المدثر : ٢٥] ،وهذا قول جهم: إن هذا إلا مخلوق ، وكذلك من يقول بقوله وقول من قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ﴾[الفرقان :٤]، و ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[الأنعام : ٢٥] ، و﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾[ص : ٧] ، معناهم في جميع ذلك، ومعنى جهم في قوله يرجعان إلى أنه مخلوق ليس بينهما من البون كغرز إبرة، ولا كقيس شعرة ؛ فبهذا نُكفِّرهم كما أكفر الله به أئمتهم من قريش فقال: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[المدثر : ٢٦] ، إذ قال: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر : ٢٥] لأن كل إفْكٍ وتقوُّل وسحر واختلاق وقول البشر، كله لا شك في شيء منه أنه مخلوق، فاتفق من الكفر بين الوليد بن المغيرة ، وجهم بن صفوان- الكلمة والمراد في القرآن أنه مخلوق - فهذا الكتاب الناطق في تكفيرهم" أ.هـ [٢] .

وهذا يدل على إمامتهم وفقههم وسعة علمهم – رحمهم الله رحمة واسعة -.

خاتمة هذا الباب " **تكرار الدليل حسب دلالته على المسائل** " :

ويظهر لنا من خلال استعراض هذا الباب وكتب السلف ما يلي:

١- السلف قد نصوا أنهم قد يتركون التكرار لأنه سوف يذكر مرة أخرى في موضوع آخر.

قال ابن أبي عاصم: "وتركنا أحاديث دخلت في كتاب الفتن، وفي كتب غير ذلك مما يدخل في القدر" [٣] .

---

(١) الرد على الجهمية ، ص١٩٨.

(٢) الرد على الجهمية، ص١٩٨-١٩٩ .

(٣) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٣٠٢).

وهو هنا يعتذر عن عدم سرده كل ما ورد في القدر لأنها سوف ترد في أبواب أخرى.

٢- أن أكثر الأئمة عملاً بهذه الطريقة هو الإمام ابن أبي عاصم لأنه اعتنى بتقسيم كتابه على الأبواب وجعلها عناوين على ما يريد من مسائل كما صنع الإمام البخاري.

٣- الأمثلة على هذا النوع كثيرة وانظر على سبيل المثال :

-ابن أبي عاصم في السنة حديث رقم (٤٣٢)، ورقم (٦٤٥) .

-الرد على الجهمية للدارمي ص١٩٩ برقم (٣٦١) ،وص٢٨ برقم (٣٨٥).

-السنة لعبد الله بن الإمام أحمد برقم (٥٠٠) ورقم (١٢١١).

٤- أن التكرار في بعض المواضع يكون بتقطيع الحديث دون ذكره كاملاً وفي بعض المواضع ذكره كاملاً لأنه لا يصلح الاستدلال به إلا كاملاً.

٢- تكرار الدليل للإشارة إلى زيادات في الألفاظ تفيد حكماً زائداً:

ومن الأغراض للتكرار والأنواع المفيدة هو أن يكرر الحديث ولكن يذكر في الرواية الأخرى زيادة في لفظه تفيد حكماً زائداً إما لتقرير مسألة أو لأنها تفيد في الرد على شبهة من شبهات أهل البدع.

الأمثلة على هذا النوع:

المثال الأول:

أخرج ابن أبي عاصم في السنة أحاديث الرؤية عن عدد من الصحابة ومن ضمن ما ذكر الحديث في الرؤية بسنده عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير قال: "كنا جلوساً عند رسول الله ﷺ فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال: "أما إنكم ستعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته" [1] .

وقد أورده في موضعين:

(١) أخرجه البخاري في التوحيد برقم (٧٤٣٤) وفي التفسير برقم (٤٨٥١) .وأخرجه مسلم في المساجد برقم (٦٣٤) . وهو عند ابن أبي عاصم برقم (٤٥٥).

الموضع الأول: في "باب ما ذكر عن النبي ﷺ كيف نرى ربنا في الآخرة" [(١)]، وأورد تحته هذا الحديث بسنده ولفظه ثم أعاده وذكره في **الموضع الثاني** في "باب في رؤية الرب عياناً" [(٢)].

وأخرج الحديث بسنده عن إسماعيل بن أبي خالد به مرفوعاً بلفظ: " ترون ربكم عياناً كما ترون القمر ليلة البدر" [(٣)].

ونلاحظ هنا أنه ذكر لفظة "عياناً" حيث أفرد لها باباً خاصاً وهي رد على المعتزلة والخوارج ونفاة الرؤية عموماً الذي يؤولون الرؤية بالعلم، وهنا جاءت لفظة "عياناً" صريحة بأنها الرؤية البصرية بالعين وهي المعاينة.

قال الحافظ في الفتح: "ويزيده تحقيقاً (يعني إثبات الرؤية البصرية) قوله في الخبر "إنكم سترون ربكم عياناً" لأن اقتران الرؤية بالعيان لا يحتمل أن يكون بمعنى العلم" أ.هـ [(٤)].

وفيها رد على الأشاعرة الذين يقولون يرى سبحانه لا في جهة من الرائي يقول شيخ الإسلام في معرض رده على الأشاعرة: "وفي لفظ للبخاري: "يرونه عياناً" ومعلوم أنا نرى الشمس والقمر عياناً مواجهة ، فيجب أنا نراه كذلك، وأما رؤية ما لا نُعاينَ ولا نواجهه فهذه غير متصورةٍ في العقل فضلاً عن أن تكون كرؤية الشمس والقمر"أ.هـ [(٥)].

ومما يدل كذلك أن الأئمة في مصنفاتهم لما يوردون أحاديث الرؤية في بعض الأحيان يذكرون هذه الرواية الأخيرة الصريحة في المعاينة وهي تغني عن الأولى وحتى

---

(١) باب رقم (٩٧) السنة (١/ ٣١٢).

(٢) باب رقم (٩٨) ، السنة (١/ ٣٢٣).

(٣) أخرجها ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٢٣) برقم (٤٧٠)، والبخاري في التوحيد، باب ﴿ وجوهٌ يومئذٍ ناضرةٌ﴾ برقم (٧٤٣٥) ، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٤١٣) برقم (٤١٣)، واللالكائي في شرح السنة (٣/ ٤٧٥) برقم (٨٢٥) .

(٤) فتح الباري (١٣/ ٤٣٥).

(٥) مجموع الفتاوى (١٦/ ٨٢) وانظر بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٤١٢) .

لا يطول الكتاب مثاله: الدارمي في الرد على الجهمية [(١)] .

المثال الثاني :

أخرج الإمام البخاري في خلق أفعال العباد بسنده عن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ قال له : " يا أبا موسى لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل دواد " أ.هـ[(٢)] .

فقد كرر هذا الحديث في مواضع :

ذكرها في الموضع الأول بهذا اللفظ السابق وهو المشهور ليستدل به على أن القراءة غير المقروء ؛ فالقراءة من فعل العباد وهي مخلوقة والمقروء وهو القرآن كلام الله غير مخلوق .

قال البخاري عقب إيراده لهذه الأحاديث وما يشبهها : "وعامة هذه الأخبار مستفيضة عند أهل العلم ولا ريب في تخليق مزامير آل داود وندائهم لقوله عز وجل: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾[الفرقان : ٢] " أ.هـ [(٣)] .

قال الحافظ : "وفي الحديث دلالة بينة على أن القراءة غير المقروء" أ.هـ [(٤)] .

ثم كرر هذا الحديث في موضع بعده برواية هي أصرح من الرواية الأولى عن أبي موسى الأشعري بلفظ:" أن النبي ﷺ سمع أبا موسى يقرأ فقال: "كأن هذا من أصوات آل داود" [(٥)] . فهذه الرواية صرحت بلفظ الصوت وهذه فائدتها.

---

(١) الرد على الجهمية ، ص١٠٣، برقم (١٧١).

(٢) البخاري أخرجها في خلق أفعال العباد ،ص٧٩ برقم (٢٤٤).

وفي صحيحه في فضائل القرآن ، باب حسن الصوت بالقراءة للقرآن برقم (٥٠٤٨) .وفي صحيح مسلم كتاب صلاة المسافرين برقم (٧٩٣) .

(٣) خلق أفعال العباد، ص٨٤ .

(٤) الفتح (٨/ ٧١٢).

(٥) أورد البخاري في خلق أفعال العباد ص٨٠ برقم (٢٤٥)، وأخرجه بهذا اللفظ الطحاوي في مشكل الآثار (٣/ ٢٠٠) برقم (١١٦٢).وأبو يعلى في المسند رقم (١٦٧٠) ورقم (١٧٣٣) .وأورده الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٦٠) وقال: "رواه أبو يعلى ورجاله وثِّقوا وفيهم خلاف" أ.هـ . وحسَّن إسناده الأرناؤوط في تحقيقه لمشكل الآثار.

وقد وردت رواية أخرى عند أبي نعيم وصحح إسنادها الحافظ في الفتح وجاء فيها: "دخلت دار أبي موسى الأشعري فما سمعت صوت صَنْجٍ [١] ولا بَرْبَط[٢] ولا ناي [٣] أحسن من صوته" أ.هـ [٤].

وهو يؤيد هذه الرواية.

٣- تكرار الدليل للإشارة إلى الشواهد الأخرى في الباب:

وهذا كثير في مصنفات الأئمة، ويكثر ذكر الشواهد إذا تعددت مخارج الحديث وخاصة إذا كان مما تواتر مثل أحاديث الرؤية والشفاعة والحوض والعلو وغيرها.

وقد يذكرون الشواهد لكي يعضدوا الحديث إذا كان فيه ضعف حتى يرتقي للحسن ويحتجون به.

الأمثلة:

المثال الأول:

حديث:" إن القلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن" [٥].

أخرجه الإمام ابن أبي عاصم في السنة عن عدة من الصحابة وهم:

أ- النواس بن سمعان ﷺ [٦].

ب- سبرة بن فاكهة ﷺ [٧].

---

(١) الصَنْج: بفتح المهملة وسكون النون بعدها جيم هو آلة يُتخذ من نحاس كالطبقين يضرب أحدهما بالآخر، (الفتح ٨/ ٧١١).

(٢) البربط: بالموحدتين بينهما راء ساكنة ثم طاء مهملة بوزن جعفر هو آلة تشبه العود فارسي معرب، (الفتح ٨/ ٧١١)، وانظر: النهاية لابن الأثير (١/ ١١٢).

(٣) الناي: بنون بغير همز هو المزمار، (الفتح ٨/ ٧١١).

(٤) الفتح (٨/ ٧١١).

(٥) الحديث تقدم الكلام عليه وانظر السنة لابن أبي عاصم (١/ ١٧٣) باب رقم (٤٠).

(٦) صحابي معروف، انظر: الحديث في السنة برقم (٢٢٦).

(٧) الحديث في السنة برقم (٢٢٧).

وسبرة بن فاكهة: هو سبرة بن الفاكه أو ابن الفاكهة ويقال ابن أبي الفاكهة المخزومي وقيل الأسدي، صحابي نزل الكوفة. انظر: الإصابة (٢/ ١٤).

ج – نعيم بن همّار رضي الله عنه[١] .

د – عبدالله بن عمرو رضي الله عنه[٢] .

هـ – أم سلمة رضي الله عنها[٣] .

و – عائشة رضي الله عنها[٤] .

ز – أنس بن مالك رضي الله عنه[٥] .

ح – أبو هريرة رضي الله عنه[٦] .

المثال الثاني:

عقد الإمام محمد بن نصر في كتابه تعظيم قدر الصلاة باباً بعنوان "ذكر الأخبار التي جاءت في أن سباب المسلم فسوق وقتاله كفر"[٧] .

وأخرج الحديث عن عدة من الصحابة بهذا اللفظ وهم:

١-عبدالله بن مسعود رضي الله عنه،وهذه أشهر الروايات وهي التي في الصحيح[٨] .

٢-سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه[٩] .

٣-النعمان بن عمرو بن مقرن رضي الله عنه[١٠] .

---

(١) الحديث في السنة برقم (٢٢٨).
ونعيم بن همّار ، ويقال ابن هبّار ويقال ابن هدّار ويقال ابن حمار ويقال ابن خمار و(همّار) أصح، وعدّه الحافظ من الصحابة وجعله في القسم الأول، انظر: الإصابة (٣/ ٥٦٩).

(٢) السنة برقم (٢٢٩).

(٣) السنة برقم (٢٣٠).

(٤) السنة برقم (٢٣١).

(٥) السنة برقم (٢٣٢).

(٦) السنة برقم (٢٣٦).

(٧) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ١٠١٨) .

(٨) الحديث في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ١٠١٨) برقم (١٠٨٧) إلى (١٠٩٧). والحديث من هذا الطريق عند البخاري في الأدب ، باب ما نهي من السباب واللعن برقم (٦٠٤٤).
وعند مسلم في الإيمان برقم (٦٤).

(٩) في تعظيم قدر الصلاة برقم (١٠٩٨) و(١٠٩٩).

(١٠) المصدر السابق برقم (١١٠٠).

٤-عن أبي هريرة رضي الله عنه[١].

٥-أنس بن مالك رضي الله عنه[٢].

المثال الثالث:

أخرج الإمام ابن أبي عاصم والإمام عبد الله بن أحمد والإمام الدارمي أحاديث الرؤية عن عدد من الصحابة وأثبتوا لأهل البدع أن أحاديث الرؤية متواترة بأسانيد متصلة ثابتة وواضحة وضوح الشمس وإليك سرد أسماء الصحابة الذين رووا أحاديث الرواية[٣]، من خلال:

أ- السنة لابن أبي عاصم.

ب- والسنة لعبد الله بن الإمام أحمد.

ج- والرد على الجهمية للإمام الدارمي.

وقد أخرج الأئمة أحاديث الرؤية عن عدة من الصحابة وهم:

١-أبو هريرة رضي الله عنه[٤].

٢-جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه[٥].

٣-أنس بن مالك رضي الله عنه[٦].

٤-أبو سعيد الخدري رضي الله عنه[٧].

---

(١) المصدر السابق برقم (١١٠١)، (١١٠٢).

(٢) المصدر السابق برقم (١١٠٣)، (١١٠٤).

(٣) انظرها مفصلة في حادي الأرواح للإمام ابن القيم.

(٤) السنة لابن أبي عاصم رقم (٤٥٢)، (٤٥٣)، (٤٥٤)، (٤٦٢)، (٤٦٣)، (٤٦٤)، (٤٦٥)، (٤٨٥)، (٤٨٩). السنة لعبدالله برقم (٤٢٢)، (٤٢٣)، (٤٢٥)، (٤٢٦)، (٤٣٠)، (٤٣١)، (٤٣٢)، (٤٣٣)،(٤٣٤)، (٤٣٥)، (٤٣٦) .الرد على الجهمية برقم (١٧٧)،(١٧٨) .

(٥) السنة لابن أبي عاصم (٤٥٥)، (٤٥٦)، (٤٥٧)، (٤٥٨)، (٤٥٩)، (٤٦٠)، (٤٧٠) .السنة لعبدالله برقم (٤١١)، (٤١٢)، (٤١٣)، (٤١٤)، (٤١٥)، (٤١٦)، (٤١٩)، (٤٢٠)، (٤٢١) .الرد على الجهمية برقم (١٧١)، (١٧٢).

(٦) السنة لعبدالله (٤٦٠).الرد على الجهمية برقم (١٨٦)، (١٩٨) .

(٧) السنة لابن أبي عاصم (٤٦١)، (٤٦٦)، (٤٦٧).الرد لعبدالله بن الإمام (٤٢٧)، (٤٢٨)، (٤٢٩) .الرد على الجهمية برقم (١٧٩).

٥-أبو رزين العقيلي ﷺ[1].

٦-صهيب الرومي ﷺ[2].

٧-حذيفة بن اليمان ﷺ[3].

٨-أبوبكر الصديق ﷺ[4].

٩-عبدالله بن مسعود ﷺ[5].

١٠-عبادة بن الصامت ﷺ[6].

١١-أبو أمامة ﷺ[7].

١٢-جابر بن عبد الله ﷺ[8].

١٣-عبدالله بن عمر ﷺ[9].

١٤-أبو موسى الأشعري ﷺ[10].

١٥-كعب بن عجرة ﷺ[11].

١٦-عبدالله بن عباس ﷺ[12].

---

(١) السنة لابن أبي عاصم (٤٦٨)، (٤٦٩).السنة لعبدالله (٤٤٧)، (٤٤٨)، (٤٥٠)، (٤٥١)، (٤٥٢)، (٤٥٣)، (٤٥٤) .الرد على الجهمية برقم (١٧٦).

(٢) السنة لابن أبي عاصم (٤٨١) .السنة لعبدالله (٤٤٣)، (٤٤٤)، (٤٤٦)، (٤٤٩)، (٤٥٩).الرد على الجهمية للدارمي برقم (١٧٥).

(٣) السنة لابن أبي عاصم (٤٨٢).السنة لعبدالله (٤٧٣). الرد على الجهمية برقم(١٩١).

(٤) السنة لابن أبي عاصم (٤٨٣).السنة لعبدالله (٤٧٠)، (٤٧١).الرد على الجهمية برقم (١٨١)، (١٩٠).

(٥) السنة لابن أبي عاصم (٤٨٤).السنة لعبدالله (٤٧٤)، (٤٧٥)، (٤٧٦).

(٦) السنة لابن أبي عاصم (٤٣٧).الرد على الجهمية برقم (١٨٢).

(٧) السنة لابن أبي عاصم (٤٣٨).

(٨) السنة لعبدالله (٤٥٧)، (٤٥٨).الرد على الجهمية برقم (١٨٥).

(٩) السنة لعبدالله (٤٦١)، (٤٦٢) .الرد على الجهمية برقم (١٨٧)، (١٨٩).

(١٠) السنة لعبدالله (٤٦٤).الرد على الجهمية برقم (١٨٠)، (١٩٥).

(١١) السنة لعبدالله (٤٨٤).

(١٢) السنة لعبدالله (٤٨٥).الرد على الجهمية (١٨٤).

ولعل فيما ذكرنا كفاية، وهناك أحاديث كثيرة ذكر الأئمة لها طرق وشواهد مثل حديث: " احتجاج آدم وموسى " (١) .

وقد يكررون كذلك الآثار عن السلف وخاصة في التفسير كتفسير الصمد" بأنه الذي لا جوف له" (٢) .

٤- تكرار الدليل لوروده من عدة طرق عن الصحابي وهذا ما يسمى بـ"المتابعات" :

وهذا يظهر من خلال استعراض الأمثلة السابقة فلا داعي لذكر أمثلة لوضوح هذه القضية في كتب السلف ولا تحتاج إلى أمثلة لأنهم إذا ذكروا الحديث في الغالب عن أحد من الصحابة ذكروا له عدد من الطرق والمتابعات وخاصة إذا كان في أحد رجال الإسناد ضعف فبالمتابعات ينجبر هذا الضعف وترتفع درجة الحديث للاحتجاج به .

٥- تكرار الحديث للإشارة إلى وروده من طريق غير مشهور:

تشتهر بعض الأحاديث بأنها وردت من طريق فلان، ولكن الأئمة قد يشيرون إلى أن هذا الحديث روي من طريق غير هذا الصحابي من باب جمع كل ما في الباب أو لغيرها من الأسباب.

ولاشك أن هذا فيه فائدة حديثية أو يروى من غير الطريق المشهور المعروف .

المثال على هذا النوع:

مثال هذا الحديث المشهور عن ابن عباس لما أردفه النبي ﷺ خلفه وأوصاه بالوصية المشهورة: " احفظ الله يحفظك " (٣) .

---

(١) انظر: السنه لابن أبي عاصم برقم (١٥٠)، (١٤٩)، (١٤٨)، (١٤٥)، (١٤٣) .

(٢) انظر: السنة لابن أبي عاصم عن عدد من التابعين كمجاهد وسعيد بن جبير والضحاك والحسن (٧٠١)، (٧٠٣)، (٧٠٦)، (٦٧٧، ٦٨٥، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩).

(٣) الحديث عن ابن عباس أخرجه: ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٢٥) برقم (٣٢٥)، (٣٢٦)، (٣٢٧). والترمذي في صفة القيامة برقم (٢٥١٦) . والإمام أحمد (١/ ٢٩٣)، (١/ ٣٠٣)، (١/ ٣٠٧). وأبو يعلى

لكن الإمام ابن أبي عاصم عقد باباً بعنوان: "باب في قوله – عليه السلام – لعبد الله بن جعفر حين أردفه فقال:" يا فتى ألا أهب لك؟ ألا أعلمك؟" [(١)] .

ثم أخرجه بسنده عن عبد الله بن جعفر أن النبي ﷺ أردفه خلفه وقال له : "يا فتى ألا أهب لك ، ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن، احفظ الله يحفظك واحفظ الله تجده أمامك، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أنه قد جف القلم بما هو كائن، واعلم بأن الخلائق لو أرادوك بشيء لم يردك الله به لم يقدروا عليه، واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً " أ.هـ [(٢)] .

٦- التكرار حسب ورود شبهات أهل البدع:

قد يكرر المصنف ذكر الدليل من الكتاب والسنة تبعاً لتكرار أهل البدع شبهاتهم في الأبواب، ويظهر هذا إذا كان المؤلَّف خُصِّص للرد على أهل البدع ويظهر أكثر إذا كان الرد على كتاب أو شخص بعينه من أهل البدع كالرد على المريسي للإمام الدارمي.

يقول الإمام الدارمي موضحاً هذا النوع من التكرار: "وقد أكثرنا النقض عليك وعلى إمامك المريسي والثلجي في تفسير اليد في صدر كتابنا هذا ، غير أنك أعدته في آخر الكتاب فأعدناها" [(٣)] .

=(٤/ ٤٣٠) برقم (٢٥٥٦). والطبراني في الكبير (١٢/ ٢٣٨) برقم (١٢٩٨٨). والآجري في الشريعة (٢/ ٨٢٩) برقم (٤١٢).الحاكم في المستدرك (٣/ ٥٤١-٥٤٢).البيهقي في الأسماء والصفات (١/ ١٨٨) برقم (١٢٦).اللالكائي (٤/ ٦١٤)برقم (١٠٩٥).وابن بطة في الإبانة (الجزء الخاص بالقدر ٢/ ٩١-٩٢-٩٤) برقم (١٥٠٣-١٥٠٤-١٥٠٨).والعقيلي في الضعفاء (٣/ ٥٣) عند ترجمة عبد الواحد بن سليم.وابو نعيم في الحلية (١/ ٣١٤).والخطيب في تاريخه (١٤/ ١٢٥).

وحسنه الألباني في تخريج كتاب السنة ص١٣٨ .وقال العقيلي: وقد روي هذا الكلام عن ابن عباس من غير طريق اسانيدها لينة ، وبعضها أصلح من بعض .

(١) السنة باب رقم (٦٣) (١/ ٢٢٥).

(٢) السنة(١/ ٢٢٥) برقم (٣٢٤)، والحديث عن عبدالله بن جعفر ضعيف لكنه عن ابن عباس ثابت كما سبق تخريجه.

(٣) الرد على بشر (٢/ ٧٠٢).

فالإمام هنا صرح بهذا المنهج ولعلنا نشير إلى المثال الذي ذكره الإمام ، فقد أشار إلى شبهة ذكرها المريسي لنفي اليد عن الله عز وجل وأطال الإمام الدارمي في الرد عليها فرد عليها بالنص والعقل ولغة العرب -فرحمه الله رحمة واسعة- [(١)].

وهناك مثال آخر ذكره كذلك الإمام الدارمي حول تأويل المريسي ومن معه لحديث الجارية حينما سألها النبي ﷺ أين الله ؟ [(٢)] ونفيه لعلو الله فرد عليه ثم كرر الرد عليه في موضع آخر [(٣)].

قال الدارمي : "ثم عاد المعارض إلى مذهبه الأول ناقضاً على نفسه فيما تأول في المسألة الأولى فاحتج ببعض كلام جهم والمريسي فقالوا : إن قالوا لك أين الله؟..." أ.هـ [(٤)] ، والأمثلة كثيرة [(٥)].

٧- التكرار للرد على أكثر من بدعة وأكثر من طائفة :

وقد يكرر الأئمة الحديث والآية والدليل العقلي والدليل من اللغة للرد على بدع متعددة والدليل يصلح للرد عليهم جميعاً، أو للرد على عدة طوائف وإليك الأمثلة:

المثال الأول: ابن أبي عاصم في السنة :

أخرج الإمام ابن أبي عاصم في السنة بسنده الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه وعبد الله بن جابر رضي الله عنه قالا: قال رسول الله ﷺ : "صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب: أهل الإرجاء، وأهل القدر" وفي لفظ: "المرجئة والقدرية" [(٦)].

وقد كرر هذا في عدة مواضع :

(١) انظر: الموضع الأول: (١/ ٢٣٠-٢٩٩) ، والموضع الثاني (٧٠٠-٧٠٢).

(٢) الحديث مشهور في صحيح مسلم في المساجد برقم (١٥٣٧).

(٣) الموضع الأول(١/ ٤٨٨)، والموضع الثاني (١/ ٥٠٧).

(٤) الرد على المريسي (١/ ٥٠٧).

(٥) وانظر كذلك حول خلق القرآن وإعادته للأدلة فيها بناء على شبهات المريسي وأتباعه ، الدارمي (١/ ٤٨٨).

(٦) الحديث تقدم تخريجه وأنه لا يصح.

الأول والثاني: عند عقده أبواب خاصة بالقدرية وبدعة القدر وما ورد في ذمها: "باب في قوله – عليه السلام – صنفان من أمتي..." (١).

والثاني "باب: صنفان من أمتي ليس لها في الإسلام سهم" (٢).

والموضع الثالث: عند عقده أبواب خاصَّة ببدعة المرجئة في الإيمان قال: "باب في الإرجاء والمرجئة والإيمان قول وعمل يزيد وينقص" (٣).

فالإمام ابن أبي عاصم كرر الحديث لأنه يصلح للاستشهاد به على ذم هاتين الطائفتين .

المثال الثاني: الدارمي في الرد على الجهمية:

لما ذكر – رحمه الله – الأدلة من القرآن على إثبات كلام الله والرد على الجهمية الذين يقولون إنه مخلوق فقال: "باب الإيمان بكلام الله تبارك وتعالى: فالله المتكلم أولاً وآخر لم يزل له الكلام، إذ لا متكلم غيره، ولا يزال له الكلام إذاً لا يبقى متكلم غيره فيقول: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ﴾[غافر :١٦] أنا الملك، أين الملوك؟ فلا ينكر كلام الله عز وجل إلا من يريد إبطال ما أنزل الله عز وجل، وكيف يعجز عن الكلام من علَّم العباد الكلام وأنطق الأنام" أ.هـ (٤) ، ثم ذكر الأدلة من الكتاب والسنة.

ثم قال مرة أخرى تحت باب" الاحتجاج على الواقفة (٥) " (٦) : "والحجة على هذه العصابة أيضاً جميع ما احتججنا به من كتاب الله في تحقيق كلام الله، وما روينا فيه من آثار رسول الله ﷺ فمن بعده ..." (٧) واكتفى – رحمه الله – بما ذكره من أدلة في الموضع

---

(١) باب رقم (٧١) السنة (١/ ٢٣٩).

(٢) باب رقم (٧٦) السنة (١/ ٢٤٧).

(٣) باب رقم (١٨٠) السنة (٢/ ٦٥٤).

(٤) الرد على الجهمية ص١٥٥ .

(٥) الواقفة : الذي يقولون : لا تقول إنه مخلوق ولا غير مخلوق على سبيل الشك وقد كفرهم السلف وذمُّوهم. انظر: اللالكائي (٢/ ٣٢٣)، الرد على الجهمية ص١٩٣ .
وسئل الإمام أحمد عن الواقفة فكفرهم: انظر مناقب الإمام أحمد لابن الجزري ، ص١٥٧، وسندها جيد.

(٦) الرد على الجهمية ص١٩٣ .

(٧) الرد على الجهمية ص١٩٥ .

السابق وأعاد بعضها طلباً للاختصار .

المطلب الرابع: الجمع بين الأحاديث التي ظاهرها التعارض

تمهيد:

لعل في بداية الحديث لابد من ذكر معنى جامع مانع للمقصود بالتعارض أو مختلف الحديث أو مشكله ، ولعل الأقرب هو ما تعارض ظاهر الدليل مع دليل آخر أو مع القواعد العامة في الشريعة أو مع الإجماع فأوهم معنى باطلاً[1] .

وعلى هذا فمرادنا هنا ما هو أعم من تعارض حديثين وهو والذي يختص به علم المصطلح أو تعارض آيتين وهو ما يخص علوم القرآن.

وهذا المطلب من المطالب المهمة ولذا وجب أن نبسط القول فيه حتى يظهر منهج السلف فيه بوضوح .

قال النووي: "هذا فن من أهم الأنواع، ويضطرُّ إلى معرفته جميع العلماء من الطوائف" أ.هـ[2] .

وتزداد أهميته فيما يخص مباحث علم العقيدة والتي يتعرض فيها أهل السنة للقدح في عقيدتهم من خلال إيهام الناس بأن ما يستدلون به معارض لما جاء في الأحاديث الأخرى أو لما جاء في القرآن أو معارض للمعقول ونحو ذلك كما سوف يأتي .

وهؤلاء الذين يقدحون في عقيدة أهل السنة صنفان:

الصنف الأول: الزنادقة الذين يشككون في أدلة الشريعة وهدفهم القدح في دين الإسلام ، وهؤلاء غالباً ينوعون في الأدلة المتعارضة بل قد يقدحون في كتاب الله ويشككون فيه، ولعل من أظهر الأمثلة على هذا هو كتاب **"الرد على الجهمية والزنادقة"** للإمام أحمد والذي خصص نصف الكتاب الأول في الرد على الزنادقة

---

(١) انظر : منهج النعت في علوم الحديث، د. نورالدين عتر ، ص٣٣٧، طبعة دار الفكر، ط. الثالثة،عام ١٤٠٦هـ.

(٢) التقريب (تدريب الراوي ٢/ ١٩٦)، تحقيق عبدالوهاب عبداللطيف.

الذين أثاروا الشبهات وأظهروا للناس أن في كتاب الله تعارض وقد أظهر - رحمه الله - براعة عجيبة في الرد عليهم وبرز عمق فهمه وفقهه بكتاب الله من خلال هذا الكتاب" (١)

الصنف الثاني: وهم أهل البدع الذين أرادوا أن يثبتوا للناس صحة منهجهم الباطل والقدح في عقيدة أهل السنة والسلف الصالح، وهذا هو الذي كثر كلام السلف فيه وأفردوا فيه مصنفات .

قال الإمام ابن قتيبة في كتابه" تأويل مختلف الحديث": "ونحن لم نرد في هذا الكتاب أن نرد على الزنادقة ولا المكذبين بآيات الله عز وجل ورسله، وإنما كان غرضنا الرد على من ادعى على الحديث التناقض والاختلاف واستحالة المعنى من المنتسبين إلى المسلمين" أ.هـ (٢) .

ومن أبرز ما ألف حول هذه القضية الكتب التالية:

١- "اختلاف الحديث" للإمام الشافعي :

وهو أول من ألف في هذا الفن - رحمه الله - ، ولكنه لم يتعرض للأدلة المتعارضة في مباحث العقيدة (٣) .

قال السخاوي: "وأول من تكلم فيه إمامنا الشافعي ، وله فيه مجلد جليل من جملة كتب الأم، ولكنه لم يقصد استيعابه بل هو مدخل عظيم لهذا النوع يتنبه به العارف على طريقه" (٤) .

٢- "تأويل مختلف الحديث" لابن قتيبة:

وهو كتاب أشتمل على جملة من الأحاديث المعارضة بأحاديث وآيات وإجماعات

---

(١) وذكر - رحمه الله - واحد وعشرون دليلاً من القرآن مما ادعى فيه الزنادقة التناقض وقد رد عليه وبين بطلان هذا الإدعاء (انظر من ص٨٥-١٠١).

(٢) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص٨٥ .

(٣) انظر :رسالة جيدة في مضمونها للأخ الشيخ / سليمان الدبيخي بعنوان "أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين" (١/ ٢٩)، طبعة مكتبة دار البيان الحديثة ، ط.الأولى، عام ١٤٢٢هـ .

(٤) فتح المغيث شرح ألفية الحديث للسخاوي (٤/ ٦٥).

ومعقول وواقع مشاهد ونحوها، وهذه الأحاديث في العقائد والأحكام ولكنه - رحمه الله - قصر باعه فاستدل وجمع بين النصوص في بعض المواضع بأحاديث ليست صحيحة، وفي بعض المواضع تكلف الجمع مع أن أحد الحديثين ظاهر الضعف وهذا غير داخل في مبحث التعارض لأن الصحيح لا يعارضه الضعيف بل هو من قبيل معارضة الحديث المنكر للحديث المعروف، فيقدم المعروف على المنكر قولاً واحداً.

قال ابن كثير: "وكذلك ابن قتيبة له مجلد مفيد وفيه ما هو غث وذلك بحسب ما عنده من العلم" أ.هـ [(١)].

٣- "كتاب مشكل الآثار" للإمام الطحاوي:

وهو من أوسع وأكبر الكتب في هذا المجال، ومما يميزه أن المؤلف من أهل الصنعة والدراية والمعرفة بالحديث وبعلم الاعتقاد، وكذلك ممن عرف بسلامة المعتقد. ولكن الكتاب كان يحتاج إلى زيادة ترتيب للوقوف على فوائده، ودرره؛ ولهذا يقول السخاوي: "وهو من أجل كتبه، ولكنه قابل للاختصار غير مستغن عن الترتيب والتهذيب" [(٢)].

٤- "كتاب مشكل الحديث وبيانه" لابن فورك:

وهذا الكتاب ليس فيه معارضة أحاديث بأخرى كما هو المتبادر للذهن من العنوان بل فيه تأويل وتحريف للأحاديث -وخاصة في الاعتقاد- عما تدل عليه، وقرر من خلاله عقيدة الأشاعرة التي ينتسب إليها المؤلف، مع عدم عنايته بالصحيح من الضعيف من الأحاديث [(٣)].

---

(١) اختصار علوم الحديث لابن كثير (الباعث الحثيث ٢/ ٤٨١) تعليق الالباني، طبعة دار العاصمة، ط. الأولى، عام ١٤١٥هـ.

(٢) فتح المغيث (٤/ ٦٦)، والكتاب مطبوع بتحقيق الأرناؤوط، وطبعة دار الرسالة في (١٦مج) مع الفهارس.

(٣) انظر: أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض (١/ ٣٣-٣٤)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة للشيخ د. عبدالرحمن بن صالح المحمود (٢/ ٥٦٢-٥٦٣).

٥- "كتاب الرد على الجهمية والزنادقة" للإمام أحمد:

وأنا عندي أنه لابد من ذكره ضمن المؤلفات التي تدفع التعارض المتوهم حول أدلة الاعتقاد لأنه كما سبق في أن المقصود بالتعارض هنا هو كل تعارض متوهم حول أدلة الاعتقاد، ولم أرَ أحداً أشار إلى هذا مع شهرة الكتاب وتداوله بين طلبة العلم [(١)] .

٦- "الدرة الوسطى في مشكل الموطأ" [(٢)]:

لمحمد بن خلف القرطبي ت(٥٥٧هـ).

وهو مؤلف في بيان مشكل معاني الحديث في موطأ مالك على غرار مشكل الحديث لابن فورك ، ولم يجعل له أبواباً ولا فصولاً ، وإنما جعله في نكات بلغت مائة نكتة وخمسين نكتة ، ذكرها مجملة في مقدمته ثم بدأ بتفصيلها بتوسع كبير ، وقرر فيها مذهب الأشاعرة .

تنبيه لابد منه:

لقد اعتنى الأئمة في كلام لهم متفرق بالجمع بين الأدلة التي ظاهرها التعارض وخاصة أثناء ردهم على أهل البدع، ولهم في ذلك جهد واضح لمن قرأ كتبهم بتمعن وتفكر، وإن لم يفردوه بالتأليف لأنه نوع من أنواع الرد على أهل البدع. بل إن بعضهم برز وظهر وعرف بذلك، ومن أشهر من عرف عنه هو الإمام أبو بكر بن خزيمة.

قال السخاوي : "ولذا كان إمام الأئمة أبو بكر بن خزيمة من أحسن الناس فيه كلاماً ، لكنه توسع حيث قال: لا أعرف حديثين صحيحين متضادين ، فمن كان عنده شيء من ذلك فليأتني به لأؤلف بينهما ..." أ.هـ [(٣)].

---

(١) انظر: الكتاب من ص٨٦-١٠١ كلها حول ما أشكل من آيات القرآن وما بعدها رد على أهل البدع (انظر: طبعة دار اللواء بتحقيق عبدالرحمن عميرة) .

(٢) الكتاب مخطوط ، وذكره بروكلمان في تاريخ الأدب العربي (٣/ ٢٧٧) ، وأشار إلى نسخته الوحيدة بلندن في المتحف البريطاني برقم (١٩١).

انظر :تفصيل رائع حول الكتاب في مقدمة كتاب تفسير غريب الموطأ لابن حبيب الأندلسي للشيخ العلامة الدكتور عبدالرحمن العثيمين (١/ ١٢٠) ،ط.العبيكان ط.الأولى سنة ١٤٢١هـ.

(٣) فتح المغيث (٤/ ٦٥).

ولا يستغرب على مثل الإمام ابن خزيمة هذا ؛ فإنه من العلماء الذين جمعوا بين الفقه والحديث والعلم بمسائل الاعتقاد ويشهد لهذا تراجم أبوابه في كتابه التوحيد(١)، وكتابه الصحيح.

وسوف نتحدث في هذا البحث عما يخص التعارض في أدلة الاعتقاد .

إشكال والجواب عليه:

قد يقول قائل: لماذا لم يصنف الأئمة كتباً مستقلة في الأحاديث التي ظاهرها التعارض في باب الاعتقاد؟ .

الجواب:

أولاً: لأنه لا يوجد من الأحاديث شيء كثير مشكل وخاصة في الاعتقاد بل الأصل أنه من المحكم الثابت.

ثانياً: أنه لعدم كثرة التعارض في هذا الباب -أعني باب الاعتقاد- ضمّنوا ما أثير حوله التعارض ضمن أبواب الرد على المخالفين ، لأن أهل البدع هم الذين توهموا التعارض مع ما يسمونها عقليات ، وهي أبعد ما تكون عن العقل والحس.

ثالثاً: اهتم السلف بالمحكم والتصنيف حوله وقد جمع الدارمي فيه مصنفاً(٢) .

١ - أنْواع التَّعارضْ المُتوهم في الأَدلَّة:

تمهيد:

قبل ذكر أنواع التعارض لابد من التنبيه على عدة أمور:

أولاً: أن هذه الأنواع التي سوف نذكرها خاصة بعلم الاعتقاد.

ثانياً : الغالب أن التعارض المتوهم هو بين الأحاديث بدرجة أولى ثم الحديث والعقل كما يزعم أهل البدع ولهذا ردّت وحرفت كثير من الأحاديث النبوية لأجل هذا الطاغوت ألا وهو العقل الفاسد الذي لم يهتد بنور الوحي.

---

(١) لا يدخل معنا في البحث الإمام ابن خزيمة لأنه من علماء القرن الرابع.

(٢) نص على ذلك الحاكم في معرفة علوم الحديث ص١٣٠ .

ثالثاً: أن الأصل هو السلامة من التعارض ، ولكن اضطر الأئمة لذكره والكلام حوله لأن أهل البدع أثاروه ونشروه حول الآيات والأحاديث والأدلة التي يستدل بها أهل السنة والجماعة.

رابعاً: قد يورد أهل البدع أكثر من نوع من أنواع الأدلة معارضة للدليل الذي يستشهد به أهل السنة فمثلاً قد يقولون: "هذا الدليل معارض بالقرآن والسنة والإجماع مثلاً أو معارض بالقرآن والفعل ، أو غير ذلك" .

خامساً: في كثير من المواضع من كتب السلف يوردون التعارض الذي يذكره أهل البدع ويردون عليه ولا يشيرون أنه من باب دفع التعارض بل من باب الرد على أهل البدع والرد على شبهاتهم.

سادساً: مقصودنا بالأدلة أدلة أهل السنة من الكتاب والسنة والإجماع وغير ذلك وليست مقتصرة على الأحاديث كما هو المشهور في كتب علم المصطلح.

أنواع التعارض المتوهم في الأدلة:

النوع الأول: معارضة القرآن بالقرآن:

وهذا النوع ليس بالكثير ، والغالب أنه يرد من قبل الزنادقة المشككين في القرآن وفي الإسلام.

ولعل من أبرز الكتب التي عنيت به هو ما سطَّرهُ الإمام أحمد في كتابه "الرد على الجهمية والزنادقة".

وكان الإمام أحمد يختم جوابه على الشبهات والآيات التي يزعمون أنها متعارضات بقوله: **"فهذا تفسير ما شكت فيه الزنادقة"** .

ومن الكتب التي يمكن أن يشار إليها في هذا المقام في تلك الفترة- أعني القرون الثلاثة الأولى- كتاب ابن قتيبة: **"تأويل مشكل القرآن"** (١) .

وقد ألمح إلى نوع الذين أثاروا الشبهات والتعارض في كتاب الله حيث قال:

---

(١) من أجود طبعاته، طبعة المكتبة العلمية ، تحقيق وشرح السيد أحمد صقر، ط.الثالثة، ١٤٠١هـ.

"وقد اعترض كتاب الله بالطعن ملحدون ولغوا فيه وهجروا، واتبعوا: ﴿مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾[آل عمران : ٧] بأفهامٍ كليلةٍ، وأبصار عليلةٍ، ونظرٍ مدخول، فحرَّفوا الكلام عن مواضعه، وعدلوه عن سُبُله؛ ثم قضوا عليه بالتناقض، والاستحالة، واللَّحن، وفساد النظم، والاختلاف ،وأدلوا في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغُمْر، والحدث الغِرَّ، واعترضت بالشبه في القلوب، وقد حف بالشكوك في الصدور ..." أ.هـ [(١)] .

ثم ذكر – رحمه الله – أن هذا النوع من الطعن في القرآن لم يسبقهم إليه ولا كفار قريش أي إدّعاء التعارض في القرآن فقال: "وكانوا مرةً (يعني المشركين) يقولون: هو (أي القرآن) سحر، ومرةً يقولون : هو قول الكهنة، ومرة : أساطير الأولين، ولم يحكِ الله تعالى عنهم، ولا بلغنا في شيءٍ من الروايات أنهم جدبوه من الجهة التي جدبه منها الطاعنون..." أ.هـ [(٢)] .

وقد يرد هذا النوع من التناقض في أثناء الرد على أهل البدع.

النوع الثاني: معارضة القرآن بالسنة:

وذلك أن يُدعى أن في السنة ما يناقض ويضاد كتاب الله عز وجل، فيلجأ أهل البدع إلى تحريف المعنى الصحيح للآية لكي يزيلوا التعارض الموهوم -زعموا-.

النوع الثالث: معارضة الحديث والسنة بالقرآن:

وهذا كثير ، ويستخدم هذا النوع أهل البدع لكي يلزموا أهل السنة بترك العمل ببعض الأحاديث بحجة أنها تخالف ما جاء في القرآن.

وهنا ننبه أنه لا يختلط الأمر بما ذكره أهل العلم في علامات الحديث الموضوع مخالفته لظاهر القرآن الصريح، وهذا غير داخل معنا [(٣)] .

---

(١) تأويل مشكل القرآن ، ص٢٢ .
(٢) تأويل مشكل القرآن ، ص٢٣ .
(٣) قال الإمام ابن القيم في كتابه القيم "المنار المنيف في الصحيح والضعيف" ص٨٠ : "ومنها (أي علامات الحديث الموضوع): مخالفة الحديث صريح القرآن" أ.هـ ، طبعة مكتبة المطبوعات ، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، ط.الثانية، ١٤٠٣هـ .

والسنة جاءت مفسرةً ومبينة لما في القرآن لا معارضة له.

النوع الرابع: معارضة الحديث بالإجماع:

قد يدعي أهل البدع الإجماع على مسألة لكي يردوا أو يؤلوا بعض الأحاديث لأنها بزعمهم تتعارض مع ظاهر لفظ الإجماع .

وقد ذكر شيخ الإسلام أن أهل البدع يدَّعون الإجماع في بعض المواضع وليس الأمر كما زعموا فمن ذلك أنهم يذكرون بعض الأصول التي تعارض النصوص الصريحة بدعوى الإجماع عليها ؛ مثل قولهم "إن صفة العلم لله واحدة لا تتبعض ولا تتعدد" .

قال شيخ الإسلام: "فمن أين لهم أن الباري ليس له إلا علم واحد لا يتبعض ولا يتعدد؟ وهذا لم ينطق به كتاب ولا سنة ولا قاله إمام من أئمة المسلمين ، فضلاً عن أن يكون ثابتاً بإجماع ، ولا قام به دليل عقلي وقد قال الله في كتابه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[البقرة :٢٥٥] ؛ فأخبر أنه يحاط ببعض من علمه لا بكله، وقال في كتابه : ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾[آل عمران : ٦١]. وقد احتج الإمام أحمد وغيره بهذه الآية وغيرها على أن القرآن من علم الله، فجعلوه بعض علم الله، فمن الذي يقول: إن علم الله ليس له بعض وجزء؟ واعلم أنه ليس في المسألة عمدة إلا ما اعتمد عليه إمام القوم القاضي أبو بكر بن الباقلاني، فإنه اعتمد فيها إجماعاً ادعاه، وهو في غير هذا الموضع يدعي إجماعات لا حقيقة لها..."أ.هـ[(١)] .

النوع الخامس : معارضة القرآن بالعقل:

وهو أن تتأول بعض الآيات تأويلاً باطلاً وتحرف عن معانيها الحقة بدعوى أن العقل لا يقبل هذا المعنى الظاهر.

وقد افتتح الإمام أحمد كتابه الرد على الجهمية بذكر مثال لهذا النوع حول قوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾[النساء : ٥٦] .

---

(١) التسعينية (٣/ ٨٣٦-٨٣٧)، وانظر كذلك (٣/ ٨٩٨-٨٩٩).

قال: " قالت الزنادقة: فما بال جلودهم التي عصت قد احترقت ، وأبدلهم جلوداً غيرها؟ فلا نرى إلا أن الله يعذب جلوداً لم تذنب حين يقول: بدلناهم جلوداً غيرها؟فشكوا في القرآن، وزعموا أنه متناقض..." أ.هـ (١).

فالذي ذكره الزنادقة من الاعتراض على النص القرآني إنما هي شبهة عقلية يريدون أن يقدحوا في كتاب الله عز وجل.

وقد أجابهم الإمام أحمد بما يلي: "إن قول الله تعالى: ﴿بَدَّلْنَٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ ليس يعني جلوداً غير جلودهم ، وإنما يعني بدلناهم جلوداً غيرها، تبديلها تجديدها لأن جلودهم إذا نضجت جدّدها الله، وذلك لأن القرآن فيه خاص وعام ووجوه كثيرة وخواطر يعلمها العلماء" أ.هـ (٢).

النوع السادس: مخالفة الدليل للواقع والعيان المشاهد:

وهو أن يدعي المخالفون أن الواقع المشاهد والذي يراه الناس يخالف ما دل عليه الدليل فهذا تناقض.

وقد ضرب الإمام ابن قتيبة له مثالاً فقال: "قالوا : حديث يكذبه العيان : قالوا رويتم عن أبي سعيد الخدري وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك أن النبي ﷺ قال:" وذكر سنة مائة إنه لا يبقى على ظهرها يومئذٍ نفس منفوسة" (٣) ؛ قالوا وهذا باطل بيّنٌ

---

(١) الرد على الجهمية ، ص٨٦ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) الحديث بجميع رواياته التي أشار إليها المؤلف وردت في مسلم ،وبعضها في البخاري .

– فعن عبدالله بن عمر قال: "صلى بنا رسول الله ذات ليلة صلاة العشاء في آخر حياته، فلما سلّم قام فقال: "أرأيتكم ليلتكم هذه؟ فإن على راس مائة سنةٍ منها لا يبقى ممن هو على ظهر الأرض أحد" كتاب فضائل الصحابة برقم (٢٥٣٧).

وهي في البخاري في العلم ، باب السمر في العلم برقم (١١٦).

-وعن جابر بن عبدالله ولفظه قال: سمعت النبي ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر : "تسألوني عن الساعة؟ وإنما علمها عند الله، وأقسم بالله ما على الأرض من نفسٍ منفوسة تأتي عليها مائة سنة" الفضائل برقم (٢٥٣٨).

-وعن أبي سعيد بلفظ: " لما رجع النبي ﷺ من تبوك سألوه عن الساعة، فقال رسول الله ﷺ : " لا تأتي مائة

للعيان ونحن طاعنون في سني ثلاثمائة [١] والناس أكثر مما كانوا" أ.هـ . [٢]

ومما أجاب به أهل العلم عن هذا التعارض على وجه الاختصار: وردت رواية أخرى بزيادة (منكم) وهي تزيل الإشكال فمن كان حاضرا الخطاب النبوي فلن يعيش أكثر من مائة سنة [٣].

النوع السابع: معارضة الدليل والحديث بفعل وقول الصحابي:

وهذا نوع ذكره وأشار إليه ابن قتيبة في مختلف الحديث [٤] وذكر مثالاً له وهو حديث "الأئمة من قريش" [٥] قد خالف هذا قول عمر عند موته : " لو كان سالم مولى أبي حذيفة حيًّا ما تخالجني فيه الشك" [٦] ، وقالوا: فجعلتم الإمامة تصلح لموالي الأنصار وقالوا هذا تناقض واختلاف .

والشاهد أن هذا من ضمن ما ذُكر من أنواع التعارض المتوهم.

وإن كان الأصل أن يجمع ، ولكن إذا تعذر فيقدم الحديث المرفوع الصحيح الثابت على قول الصحابي لأنه مخالف للنص الشرعي .

النوع الثامن: معارضة الحديث بحديث نبوي آخر:

وهذا من أكثر الأنواع التي يتوهم فيها التعارض وقصد الأئمة التأليف لإزالة التعارض في هذا النوع أصالة والأنواع الأخرى تبعاً لكثرة استخدام أهل البدع لهذا

=سنة وعلى الأرض نفس منفوسة اليوم" الفضائل برقم (٢٥٣٩).

(١) ثلاثمائة يقصد القرن الذي هو فيه لأن المؤلف كانت وفاته سنة (٢٧٦هـ).

(٢) تأويل مختلف الحديث ، ص٦٧.

(٣) سيأتي بسط الكلام حول هذا التعارض عند الحديث عن المنهج -الطريقة الخامسة-.

(٤) تأويل مختلف الحديث، ص٨٣.

(٥) أخرجه البخاري بلفظ:" لايزال هذا الأمر في قريش" في كتاب الأحكام باب الأمراء من قريش برقم (٧١٤٠).

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١/ ٢٠). وصححه أحمد شاكر برقم (١٢٩) .وضعفه الأرناؤوط في تحقيقه على المسند ، طبعة دار الرسالة (١/ ٢٨١) برقم (١٢٩) ولفظه في المسند : " لو أدركني أحد الرجلين ثم جعلت هذا الأمر إليه لوثقت به :سالم مولى أبي حذيفة، وأبو عبيدة بن الجراح" أ.هـ.

النوع لإثارة التعارض حول الأدلة من السنة النبوية. وغالباً يقصد علماء المصطلح بقولهم من ضمن أنواع علوم الحديث "مختلف الحديث" هو هذا النوع من التعارض.

ولعلنا عند ذكر منهجهم في الجمع وذكر الأمثلة التطبيقية نذكر جملة من الأمثلة على هذا النوع .

النوع التاسع : توهم تناقض الحديث في نفسه:

وهي كما عبر عنها الإمام ابن قتيبة يقول أهل البدع أن أول هذا الحديث ينقض آخره أو يفسد آخره ونحوها من الكلمات التي مؤدَّاها أنه لا يمكن أن يستدل به لأن معناه متناقض [(١)] .

وهذا الذي ذكرته من أنواع التعارض المتوهم هو الذي ظهر لي من خلال ما قرأته في مصنفات السلف خلال القرون الثلاثة الأولى.

٢- منهج السلف في الجمع بين هذه الأدلة :

لقد ظهر فقه السلف ومعرفتهم وإحاطتهم بعلوم الشريعة والعلوم المساندة لها من خلال جمعهم للنصوص التي ظاهرها التعارض أو التي أثار حولها التعارض بعض أهل البدع أو الزنادقة المشككين في الكتاب والسنة.

وقبل أن نذكر منهجهم التفصيلي نذكر القواعد العامة التي قررها العلماء عند وجود تعارض متوهم بين دليلين أو بين عدة أدلة وهي مدونة في كتب المصطلح وأصول الفقه وهي على سبيل الإجمال كما يلي:

-المنهج العام في الجمع بين الأدلة المتعارضة [(٢)]:

أولاً: الجمع بينهما والعمل بها جميعاً .

---

(١) انظر: مختلف الحديث: ص٨٩، ٩١، ٩٣ ، وذكر لها أمثلة ليست من مسائل الاعتقاد.

(٢) انظر: الكفاية ص٦٠٦ ، مقدمة ابن الصلاح ص٢٨٤، اختصار علوم الحديث لابن كثير (٢/ ٤٨٠) مع الباعث وتعليق الألباني، التقييد والإيضاح للعراقي ص٢٨٥ ، فتح المغيث (٤/ ٦٥)، تدريب الراوي (٢/ ٦٩٦)، نزهة النظر لابن حجر ص٣٧-٣٩ ، توضيح الأفكار للصنعاني (٢/ ٤٢٣).

ثانياً: المصير إلى النسخ والعمل بالناسخ دون المنسوخ.

ثالثاً: الترجيح بينها بأوجه من الترجيح كثيرة [١] .

رابعاً: التوقف وعدم العمل بأيٍ منهما حتى يتبين وجه للجمع.

وهذا غالباً يذكر -كما تقدم- في الأحاديث خاصة .

وسوف نتحدث عن منهجهم في الأحاديث والأدلة المتعارضة في مباحث علم العقيدة خاصة ؛ وذلك لأن علم العقيدة تظهر فيه طرق أخرى للجمع ؛ خاصة أن الأدلة المتعارضة فيه ليست النصوص الشرعية فقط ؛بل حتى العقلية والواقع وغير ذلك.

-منهجهم في الجمع على وجه التفصيل:

قبل ذكر طرائقهم في الجمع لابد أن نذكر أن في حقيقة الأمر إزالة التعارض بأي نوع من الطرق الصحيحة والمنهجية يعتبر من باب الجمع بين الأدلة ، فالقول بالنسخ مع ذكر الأدلة على ذلك يعتبر جمعاً بين النصوص، وكذلك الترجيح فمؤدى أي طريقة ممكن أن يسمى جمعاً في الحقيقة ولهذا لا نعني هنا بالجمع الطريقة الأولى التي يذكرها علماء المصطلح بل نعني كل طريقة للجمع ولو كان النسخ أو الترجيح نحو ذلك.

الطريقة الأولى: الجمع بين الأدلة وذلك بذكر أدلة أخرى تزيل التعارض:

وهذه أولى وأعلى صور الجمع وذلك بذكر الأدلة التي تبين المعنى الصحيح للأدلة المتعارضة ومن ثم يظهر الجمع بين هذين الدليلين .

ولعل الأئمة - رحمهم الله – استخدموا هذه الطريقة كثيراً أثناء ردهم على أهل البدع الذين ادعوا التعارض بين الأدلة.

ولعلنا نذكر مثالاً واضحاً نص عليه **الإمام أبي عبيد في كتاب الإيمان** وذلك عندما

---

(١) ذكر ابن الصلاح في المقدمة أن بعضهم أوصلها إلى خمسين وجهاً وتعقبه العراقي في شرحه على المقدمة وذكر أوجه الترجيح حتى أوصلها إلى مائة وعشرة وجهاً . انظر: التقيد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح للعراقي (ص٢٨٩).

ظن بعض الجهلة أن اختلاف الأحاديث في بيان عدد وأنواع شعب الإيمان يدل على التناقض فقال - رحمه الله - : "فظن الجاهلون بوجوه هذه الأحاديث **أنها متناقضة** لاختلاف العدد منها ، وهي بحمد الله ورحمته **بعيدة عن التناقض**، وإنما وجوهها ما أعلمتك من نزول الفرائض بالإيمان متفرقاً، فكلما نزلت واحدة ألحق رسول الله ﷺ عددها بالإيمان... حتى جاوز ذلك السبعين كلمة ..." (١) .

ثم قال موضحاً: "فَنَرَىَ - والله أعلم - أن هذا القول (يعني حديث السبعين شعبة) آخر ما وصف به رسول الله ﷺ الإيمان، لأن العدد إنما تناهى به وبه كملت خصاله" (٢) .

ثم بين - رحمه الله - دليله على هذا الجمع فقال: "والمصدق له قول الله تبارك وتعالى : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾[المائدة : ٣] فذكر الله جل ثناؤه إكمال الدين في هذه الآية، وإنما نزلت فيما يروى قبل وفاة النبي ﷺ بإحدى وثمانين ليلة" أ.هـ (٣) .

وذكر جملة من الأمثلة على هذه الطريقة ابن قتيبة في كتابه مختلف الحديث (٤).

الطريقة الثانية: ذكر المعنى الصحيح للأدلة التي تُوهِّم فيها التعارض وبه يزول التعارض:

وهذه الطريقة أيضاً هي الأصل بمعنى أن يكون الجمع من خلال الدليلين أو الأدلة المتعارضة ظاهراً، وهذه الطريقة مما أكثر منه السلف، ولعلي أخص هنا بالذكر **كتاب الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد** فهو تقريباً في رده على الزنادقة اقتصر في جمعه باستخدام هذه الطريقة وذلك لأنه انطلق من نفس الآيات وأثبت المعنى الصحيح ورد على الشبهات وأزال التعارض المتوهم.

---

(١) الإيمان، ص١٥ .
(٢) المصدر السابق.
(٣) الإيمان، ص١٥-١٦ .
(٤) انظر: ص٧٧، ٨٢ وغيرها.

فمن ذلك لما أورد الزنادقة على كتاب الله بعض الشبهات قالوا: "قوله : ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾[الشعراء : ٢٨] ،﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن : ١٧] ، ﴿بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج : ٤٠] فشكوا في القرآن وقالوا كيف يكون هذا من الكلام المحكم؟ " أ.هـ (1) .

فأزال هذا التعارض الإمام أحمد بقوله: "أما قوله : ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾ [الشعراء : ٢٨] : فهذا اليوم الذي يستوي فيه الليل والنهار أقسم الله بمشرقه ومغربه.

وأما قوله: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾[الرحمن : ١٧] :فهذا أطول يوم في السنة وأقصر يوم في السنة أقسم الله بمشرقهما ومغربهما.

وأما قوله: ﴿بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾[المعارج : ٤٠] :فهو مشارق السنة ومغاربها ، فهذا ما شكت فيه الزنادقة" أ.هـ (2) .

وكذلك أكثر منها الإمام ابن قتيبة (3) .

والفرق بينها وبين التي قبلها أن هذه الطريقة ليس بحاجة لذكر أدلة بل يذكر المعنى الصحيح ويقتصر عليه.

الطريقة الثالثة: القياس على أدلة أخرى لبيان وجه الجمع:

من طرائقهم في الجمع أنهم قد يذكرون نصوص مشابهة ووجه الجمع فيها ظاهر فيلحقون بها هذه الأدلة في طريقة العمل بهما جميعاً حتى يزيلوا التعارض المتوهم لدى من طرح هذه الشبهة ومن قرأها أو سمع بها ، ومن ذلك قولهم (حديثان متناقضان : قالوا رويتم أن النبي ﷺ قال: " لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يده" (4) ورويتم أنه قال:

---

(١) الرد على الجهمية ، ص٩١ .

(٢) الرد على الجهمية ، ص٩١ .

(٣) انظر: مختلف الحديث ، ص١٣٨ ، ١٣٦ ، ١٧٢ وغيرها كثير.

(٤) الحديث في الصحيحين في البخاري في الحدود – باب لعن السارق إذا لم يُسمَّ برقم (٦٧٨٣) ومسلم في كتاب الحدود برقم (١٦٨٧).

"لا قطع إلا في ربع دينار" [(١)] وقالوا: هذا حجة للخوارج لأنها تقول إن القطع على السارق في القليل والكثير [(٢)].

قال ابن قتيبة في الجمع بينهما: "ونحن نقول إن الله عز وجل لما أنزل على رسوله ﷺ ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[المائدة : ٣٨] . قال رسول الله ﷺ : " لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده" على ظاهر ما أنزل الله تعالى عليه في ذلك الوقت ثم أعلمه الله تعالى أن القطع لا يكون إلا في ربع دينار فما فوقه ولم يكن رسول الله ﷺ يعلم من حكم الله تعالى إلا ما علّمه الله عز وجل ولا كان الله تبارك وتعالى يعرِّفه ذلك جملة بل ينزله شيئاً بعد شيء ويأتيه جبريل – عليه السلام – بالسنن كما كان يأتيه بالقرآن ولذلك قال: "أوتيت الكتاب ومثله معه" يعني من السنن [(٣)].

ثم قال – رحمه الله – مستدلاً على هذا الجمع بذكر أدلة أخرى مثلها يقيس عليها هذا الجمع : "ألا ترى أنه في صدر الإسلام قطع أيدي العرنيين وأرجلهم [(٤)] وسمل [(٥)] أعينهم وتركهم بالحرة حتى ماتوا ثم نهي بعد ذلك عن المثلة لأن الحدود في ذلك الوقت لم تكن نزلت عليه فاقتص منهم بأشد القصاص لغدرهم وسوء مكافأتهم بالإحسان إليهم وقتلهم رعاءه وسوقهم الإبل، ثم نزلت الحدود ونهى عن المثلة" أ.هـ [(٦)].

فطريقة الإمام ابن قتيبة في جهة أنه قاسها على أدلة أخرى تشابه التعارض المتوهم في هذين الدليلين [(٧)].

---

(١) الحديث في الصحيحين بلفظ : "تقطع اليد في ربع الدينار فصاعداً" أخرجه البخاري في الحدود باب قوله الله تعالى: ﴿والسارق والسارقة....﴾ برقم (٦٧٩٠).ومسلم في كتاب الحدود برقم (١٦٨٤).

(٢) انظر: مختلف الحديث، ص١١٢ .

(٣) مختلف الحديث، ص١١٢ .

(٤) حديث العرنيين في البخاري في الحدود باب لم يُسق المرتدون المحاربون حتى ماتوا برقم (٦٨٤٠).

(٥) سمل: السَّمْلُ: وفي رواية البخاري بالراء "سمر". والمراد به : فقأ العين بحديدةٍ محماة أو غيرها. انظر: النهاية لابن الأثير (٢/ ٤٠٣)، فتح الباري (١٢/ ١١٤).

(٦) مختلف الحديث ،ص١١٢.

(٧) ولا يسلم لابن قتيبة بهذا الجمع بل ما فعل النبي صلى الله عليه وسلم مثل ما فعلوا بالرعاة سواءً بسواء.

الطريقة الرابعة: الاحتجاج باللغة لإزالة التعارض:

ومما استخدمه السلف كذلك بيان المعاني في اللغة حتى يمكن الجمع بين الأدلة وهذا أيضاً مما كثرت عند السلف استخدامه أثناء الجمع بين الأدلة .

قال الإمام محمد بن نصر المروزي: "والآية الواحدة يفسرها العلماء على أوجه وليس ذلك باختلاف، وقد قال سفيان بن عيينة: "ليس في تفسير القرآن اختلاف إذا صحَّ القول ذلك، وقال: (أيكون شيء أظهر خلافاً في الظاهر من "الخُنَّس"، قال عبدالله بن مسعود: هي بقر الوحش ،وقال علي : هي النجوم. قال سفيان وكلاهما واحد لأن النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل والوحشية إذا رأت إنسياً خنست في الفيضان وغيرها وإذا لم تُر إنسياً ظهرت ،قال سفيان: (فكل خنس) ، قال إسحاق: وتصديق ذلك ما جاء عن أصحاب محمد ﷺ في (الماعون) يعني أن بعضهم قال: هو الزكاة ، وقال بعضهم : عارية المتاع ، قال: وقال عكرمة: الماعون أعلاه الزكاة وعارية المتاع منه ، قال إسحاق: وجهل قوم هذه المعاني، فإذا لم توافق الكلمة الكلمة قالوا هذا اختلاف ،وقد قال الحسن وذُكر عنده الاختلاف في نحو ما وصفنا فقال: إنما أوتي القوم من قِبَل العجمة" أ.هـ [(١)] .

الطريقة الخامسة: إيراد الروايات الأخرى للحديث التي تزيل التعارض:

من فوائد ذكر روايات الحديث وألفاظه وطرقه المتعددة أن تذكر لفظ فيها فائدة قد لا توجد في الروايات الأخرى، ومن هذه الفوائد أن يكون وجه الجمع بين الأحاديث التي ظاهرها التعارض في هذه الروايات وتلك اللفظة.

فمن ذلك أنهم رووا بعض الأحاديث التي بزعمهم تخالف الواقع المشاهد فقالوا مثلاً حديث: "ما على الأرض من نفس منفوسة تأتي عليها مائة سنة" [(٢)] . قالوا : وهذا باطل بيِّن للعيان ونحن قد تجاوزنا المائة بمئات السنوات والناس في ازدياد[(٣)] .

---

(١) السنة لمحمد بن نصر المروزي ، ص٧-٨ .

(٢) تقدم الحديث في الصحيح.

(٣) مختلف الحديث ، ص٦٧ .

فالجواب: الذي ذكرهُ أهل العلم ما ورد في بعض الروايات من زيادة لفظ تبين المعنى الصحيح وتزيل التعارض المتوهم بين النص الشرعي والواقع المحسوس والمشاهد.

فالذي أجاب به العلماء أن بعض الرواة أسقط لفظة "منكم" أي بعد مائة سنة لا يبقى (منكم) أنتم يقصد الصحابة لا الأمة كلها.

وجاء في صحيح مسلم أن ابن عمر راوي الحديث قال عقبه: "فوهل الناس في مقالة رسول الله ﷺ تلك، فيما يتحدثون من هذه الأحاديث عن مائة سنة، وإنما قال رسول الله ﷺ : لا يبقى من هو اليوم على ظهر الأرض أحد، يريد بذلك أن ينخرم ذلك القرن" أ.هـ [(١)] .

وقد جاء في صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان هذا التبويب لهذه الروايات بين ما ذكرناه فقد عقد عدة أبواب وهي:

"ذكر خبر شنَّع به بعض المعطلة على أصحاب الحديث ومنتحلي السنن" [(٢)] .

ويقصد به الخبر الذي ذكرناه .

-"ذكر خبرٍ وهم في تأويله جماعة لم يحكموا صناعة الحديث" [(٣)] .

-"ذكر خبرٍ أوهم عالماً من الناس أن سِنَّ أحدٍ من هذه الأمة لا يجوز على المئة سنة" [(٤)] .

-"ذكر البيان بأنَّ ورود هذا الخطاب كان لمن كان في ذلك الوقت على سبيل الخصوص دون العموم" [(٥)] .

-"ذكر خبر ثانٍ يُصرِّح بأن عموم خبر أنس بن مالك الذي ذكرناه أريد به بعض

---

(١) صحيح مسلم (٤/ ١٩٦٥-١٩٦٦) عقب حديث برقه (٢٥٣٧) وانظر مختلف الحديث ص٦٧ .

(٢) صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان (٧/ ٢٥٣) كتاب الجنائز ح(٢٩٨٦) .

(٣) صحيح ابن حبان ترتيب ابن بلبان (٧/ ٢٥٤) ح (٢٩٨٧).

(٤) المصدر السابق (٧/ ٢٥٥) ح (٢٩٨٨).

(٥) المصدر السابق (٧/ ٢٥٦) ح (٢٩٨٩).

ذلك العموم لأقوام بأعيانهم دون كلية عمومه"[(١)] .

وذكر تحت هذا الباب حديث أنس وفيه زيادة لفظة "منكم"[(٢)] .

-"ذكر البيان بأن قوله ﷺ : "وعلى ظهر الأرض نفس منفوسة أراد به من زمن في ذلك اليوم"[(٣)] .

ومن خلال هذا التبويب وضح ابن حبان الجمع بين الروايات أنها لا تناقض الواقع وليس فيه ما يمكن أن يقدح أو يعاب على أهل السنة روايتهم لهذا الحديث.

وقد رد بمثل هذا الجواب الطحاوي[(٤)] ، وابن حجر[(٥)] وغيرهم من العلماء.

الطريقة السادسة: الجمع بين الأدلة بذكر قاعدة كلية تزيل التعارض:

ومن دقيق فهم السلف أنهم يذكرون قاعدة كلية من مجموع النصوص تعضدها الآيات والأحاديث يذكرونها ويدللون على صحتها وبها يمكن أن يزال التعارض .

وحقيقة هذا النوع يعود للأول وهو الجمع بالأدلة ولكن هنا ليس دليلاً بل بقاعدة مستخلصة من مجموع الأدلة.

فمن ذلك لما احتج أهل البدع كالخوارج مثلاً بالأحاديث - التي جاءت بتسمية بعض الذنوب والمعاصي كفراً -على باطلهم فقالوا هذا يدل على صحة ما ذهبنا إليه من أن الذنوب يكفر صاحبها كفر ردة وخروج عن الإسلام، وبعض الطوائف أولتها بغير هذا التأويل وبعضهم ردها كلها .

وهذا الأخير أي ردها يقول عنهم الإمام أبوعبيد: "إنما هو احتجاج أهل الأهواء والبدع الذين قصر علمهم عن الاتساع ، وعييت أذهانهم عن وجوهها ، فلم يجدوا

---

(١) المصدر السابق (٧/ ٢٥٧).

(٢) انظر: الحديث برقم (٢٩٩٠).

(٣) المصدر السابق (٧/ ٢٥٨) ح (٢٩٩١).

(٤) انظر: شرح مشكل الآثار (١/ ٣٤٧).

(٥) انظر: فتح الباري (٢/ ٨٩) عند شرحه للحديث (٦٠١) في مواقيت الصلاة باب السمر في الفقه والخير بعد العشاء .

شيئاً أهون عليهم من أن يقولوا : "متناقضة" فأبطلوها كلها " أ.هـ [(١)] .

ثم لمّا جاء ليرد على الخوارج استدلالهم بمثل هذه النصوص ذكر قاعدة كلية ليجمع فيه الأحاديث والأدلة الواردة التي تثبت الإيمان لأهل المعاصي وتسميهم كفاراً في بعض المواضع فقال: "وأما الآثار المرويات بذكر الكفر والشرك ووجوبهما بالمعاصي ، فإن معناها عندنا ليست تثبت على أهلها كفراً ولا شركاً يزيلان الإيمان عن صاحبه، إنما وجوهها أنها من الأخلاق والسُّنن التي عليها الكفار والمشركون وقد وجدنا لهذين النوعين من الدلائل في الكتاب والسنة نحواً مما وجدنا في النوعين الأولين..." [(٢)] .

ثم ذكر الأدلة التي تؤيد هذه القاعدة وهي أن الذنوب التي يطلق عليها كفراً وهي ليست كفر أكبر المقصود أنها من خصال وأخلاق وسنن الكفار فمن ضمن أدلته قال: " فمن الشاهد على الشرك في التنزيل قول الله تبارك وتعالى في آدم وحواء عند كلام إبليس إياهما: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ إلى ﴿جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا﴾ [الأعراف : ١٨٩-١٩٠] ، وإنما هو في التأويل أن الشيطان قال لهما: سميا ولدكما عبد الحارث فهل لأحدٍ يعرف الله ودينه أن يتوهم عليهما الإشراك بالله مع النبوة ، والمكان من الله، فقد سمى فعلهما شركاً، وليس هو الشرك بالله ،وأما الذي في السنة فقول النبي ﷺ: " أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الأصغر " [(٣)] فقد فسر لك بقوله (الأصغر) أن ها هنا شركاً سوى الذي يكون به صاحبه مشركاً بالله ..." [(٤)] إلى آخر كلامه – رحمه الله – .

ومن الأمثلة ما ذكره الإمام ابن قتيبة من إنكار بعض الناس حديث سحر يهود

---

(١) الإيمان لأبي عبيد ص٤٠ .

(٢) الإيمان ، ص٤٣ .

(٣) أخرجه الإمام أحمد (٥/ ٤٢٨ – ٤٢٩) .وقال الهيثمي في المجمع (١/ ١٠٢) "ورجاله رجال الصحيح، وحسن إسناده الحافظ كما في البلوغ ، ص٣٠٢ ، وصححه الألباني كما في الإيمان لأبي عبيد ، ص٣٨ .

(٤) الإيمان، ص٤٤ .

للنبي ﷺ وقالوا إن هذا لا يقبله العقل ولا القياس فكان مما أجابهم به قاعدة كلية عظيمة هي أساس فساد أقوالهم وتوهمهم للتعارض فقال: "هذا شيءٌ لم نؤمن به من جهة القياس ولا من جهة حجة العقل، وإنما آمنا به من جهة الكتب وأخبار الأنبياء صلى الله عليهم وسلم وتواطؤ الأمم في كل زمان عليه خلا هذه العصابة التي لا تؤمن إلا بما أوجبه النظر ودل عليه القياس فيما شاهدوا ورأوا" ا.هـ (١) .

الطريقة السابعة: أن يجعل كل دليل في موضعه اللائق والخاص به:

وهذه الطريقة راجعة إلى الجمع ببيان معنى الأدلة ولكن لأهميتها ولأنها تبرز فقه الأئمة أفردناها لوحدها ، وهذه الطريقة دارجة في كتب الأئمة أيضاً ، فمن ذلك لما احتج المعطلة الجهمية علينا بنفي الرؤية وقالوا إن الأدلة التي استدللتم بها معارضة بمثل قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾[الأنعام : ١٠٣] وقوله ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾[الأعراف : ١٤٣] .

فالأئمة أثبتوا رؤية المؤمنين لربهم في الجنة بالآيات والأحاديث المتواترة الصريحة وأما قول الله عز وجل لموسى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ ، أي في الدنيا و ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ﴾: كذلك في الدنيا فجعلوا لكل دليل موضعه اللائق به (٢) .

ومن ذلك ما ذكره ابن قتيبة حيث قال عنهم:" ذكرتم الأمر بأن يكون إمامكم من الأخيار ولا تقدموا إلا الأخيار ثم رويتم أن الصلاة خلف كل بر وفاجر فهذا تناقض" (٣) .

فأجاب عن هذا التعارض المتوهم بما ذكرنا فقال: "ونحن نقول إنه ليس ها هنا بنعمة الله اختلاف وللحديث الأول موضع وللثاني موضع وإذا وضع كل واحد منهما موضعه زال الاختلاف" (٤) . وذكر أن الأمر بتقديم الأخير والأعلم في إمامة الصلاة في المساجد ، أما الصلاة خلف كل إمام بر وفاجر أي الإمامة العظمى إمامة السلطان (٥) .

(١) مختلف الحديث ، ص١٢٦ .
(٢) انظر: الرد على الجهمية للدارمي ، ص١٢٥-١٢٦ ، الرد على الجهمية للإمام أحمد ص١٢٧ ، والرد على المريسي (٢/ ٧٣٧). ولهم أوجه في الرد غير هذا ولكن ذكرت هنا ما يناسب المقام .
(٣) مختلف الحديث، ص١٠٥ .
(٤) المصدر السابق .
(٥) المصدر السابق .

الطريقة الثامنة: القول بالنسخ:

عندما يثبت لديهم ويعرف الناسخ والمنسوخ حينئذٍ يعملون بالناسخ ويتركون المنسوخ.

والأمثلة كثيرة على عملهم بهذه الطريقة، ولكن الغالب أنها في مسائل الأحكام لا في مسائل الاعتقاد.

وقد ذكر بعض الأمثلة ابن قتيبة في مختلف الحديث وذكر أن الجمع بينهما يكون بالنسخ [(١)].

كالجمع بين أحاديث النهي عن الكتابة وأحاديث الإمامة، والنهي عن استقبال القبلة أثناء البول والغائط والإذن بها، وغير ذلك.

الطريقة التاسعة: الترجيح بين الأدلة:

والمرجحات بين الأدلة كما تقدم كثيرة تتجاوز مائة مرجح [(٢)].

وقد أحسن السيوطي - رحمه الله - حيث جعلها ترجع إلى سبعة أقسام وهي [(٣)]:

القسم الأول: الترجيح بحال الراوي: فيقدم مثلاً الأحفظ، والأكثر رواة، والأعلم وهكذا.

القسم الثاني: الترجيح بالتحمل: فيقدم من روى وتحمل بعد البلوغ على الذي تحمل قبله لأن الأول يكون أضبط.

القسم الثالث: الترجيح بكيفية الرواية: فيقدم المحكي باللفظ على المحكي بالمعنى وهكذا.

القسم الرابع: الترجيح بوقت الورود: فيقدم المدني على المكي مثلاً.

القسم الخامس: الترجيح بلفظ الخبر: فيرجح الخاص على العام والعام الذي لم

(١) انظر: مختلف الحديث: ص٦١، ١٢٨، ١٣٠، ١٩٣.

(٢) انظر: التقييد والإيضاح للعراقي ٢٨٦- ٢٨٩.

(٣) انظر: تدريب الراوي (٢/ ١٩٨-٢٠٢).

يخصص على المخصص وهكذا .

القسم السادس: الترجيح بالحكم : كتقديم الأحوط ونحوه.

القسم السابع: الترجيح بأمر خارجي : كتقديم ما وافقه ظاهر القرآن ، أو سنة أو عمل الصحابة ونحوه والغالب على الأئمة الجمع بين الأدلة والعمل بها دون الترجيح لأن إعمال الأدلة أولى من إهمالها كما هو مقرر عند أهل العلم .

٣- أمثلة تطبيقية حول (منهج السلف في الجمع بين الأدلة التي ظاهرها التعارض:

وقبل البدء في ذكر الأمثلة لابد أن ننبه إلى عدة أمور:

الأول: أن السلف عند جمعهم بين الأدلة قد يستخدمون أكثر من طريقة من الطرق التي ذكرناها في منهجهم في الجمع بين الأدلة بمعنى: أنهم قد يستخدمون أدلة أخرى في الجمع واللغة والقياس كله في مثال واحد.

الثاني: لن نتعرض أثناء عرض المثال لبيان صحة هذا الجمع من خطأ بقدر ما نتعرض لبيان منهجهم وطريقتهم في الجمع لأنه هو المراد في هذا البحث وقد نشير إلى الراجح إن أمكن في موضعه.

المثال الأول: حديث" لا عدوى ولا طيرة" وحديث "فرَّ من المجذوم" :

هذان الحديثان وما شابهها يذكرهما الأئمة في أبواب القدر ويجمعون بينهما فإن في الحديث الأول نفي العدوى وكذلك جاء أن النبي ﷺ أكل مع المجذوم وجاء في الحديث الثاني وما يشبهه الفرار من أصحاب بعض الأمراض المعدية كالجذام والأئمة لهم طرائق في الجمع بينهما ، ولكن قبل ذكر الجمع لعلنا نشير لبعض الأحاديث التي ظاهرها التعارض في هذا الباب .

النوع الأول من الأحاديث: "التي فيها نفي العدوى" :

قال ﷺ : "لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر" [١] .

---

(١) البخاري في الطب، باب لا هامة ولا صفر برقم (٥٤٢٥) .

وجاء بألفاظ متقاربة وعن عدد من الصحابة ومما جاء فيه : "فقال أعرابي: يا رسول الله: فما بال إبلي تكون في الرمل كأنها الظباء، فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينهما فيجربها ؟ فقال: "فمن أعدى الأول" (١) .

النوع الثاني من الأحاديث: "التي فيها إثبات العدوى":

منها : حديث "لا يوردنَّ ممرض على مصح" (٢) .

وحديث :" فر من المجذوم فرارك من الأسد" (٣) .

وحديث: "كان في وفد ثقيف رجل مجذوم فأرسل إليه النبي ﷺ "إنا قد بايعناك فارجع" (٤) .

وحديث : " الطاعون رجس أرسل على طائفة من بني إسرائيل أو على من كان قبلكم فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه" (٥) .

الجمع بين هذه الأحاديث التي ظاهرها التعارض:

الذي يظهر من أقوال أهل العلم أن الراجح ما أشار إليه ابن أبي عاصم في تبويبه في كتاب السنة حيث بوب بعنوان: "باب ذكر قول النبي ﷺ "لا عدوى" وقوله "من أعدى الأول" (٦) ثم أردفه بباب بعنوان: "باب ذكر قول النبي ﷺ : "من أعدى الأول" (٧)

وأشار ابن أبي عاصم هنا إلى أن الجمع يظهر من خلال الحديث نفسه وأنه أراد نفي ما كان يعتقده أهل الجاهلية أن المرض يعدي بطبعه من غير اعتقاد أنه يحصل

---

(١) البخاري في الطب ، باب لا عدوى برقم (٥٤٣٩) . ومسلم في كتاب السلام برقم (٢٢٢٠) .
(٢) البخاري في الطب، باب لا هامة برقم (٥٤٣٧)، ومسلم في كتاب السلام برقم (٢٢٢١).
(٣) البخاري في الطب، باب الجذام برقم (٥٣٨٠) .
(٤) مسلم في كتاب السالم برقم (٢٢٣١).
(٥) البخاري في الأنبياء ، باب "أم حسبت أنَّ أصحاب الكهف" برقم (٣٢٨٦) ومسلم في كتاب السلام برقم (٢٢١٨).
(٦) السنة لابن أبي عاصم (١/ ١٩٩) باب رقم (٥٢).
(٧) المصدر السابق (١/ ٢٠٧) باب رقم (٥٣).

بتقدير الله تعالى والأحاديث التي فيها الفرار من المجذوم وعدم الورود من المريض على المصح فيه إرشاد إلى مجانبة ما يحصل القدر بسببه وهو بتقدير الله تعالى كما قال جلَّ وعلا : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾[الحديد : ٢٢] .

وممن نصر هذا الجمع وقال به : ابن القيم [١] ، وابن رجب [٢] ، والنووي [٣] ، والبغوي [٤] ، وابن الصلاح [٥] ، وابن مفلح [٦] ، والقسطلاني [٧] ، وسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبدالوهاب [٨] ، والشيخ أحمد شاكر [٩] ، وغيرهم كثير [١٠] .

وهناك أنواع من الجمع قد تكون مرجوحة [١١] .

المثال الثاني: "أحاديث الوعد والوعيد" .

جاءت الأحاديث التي فيها الوعد بالجنة لمن قال لا إله إلا الله وهي كثيرة ، وجاءت الأحاديث بإطلاق الكفر ونفي الإيمان والبراءة من أصحاب بعض الذنوب وهم يقولون لا إله إلا الله أو التوعد بعدم دخول الجنة والوعيد بدخول النار ؛ وهنا زلت بعض الطوائف : فطائفة أخذت بالوعد ولم تلتفت للوعيد وهم المرجئة ، وطائفة أخذت بالوعيد ولم تلتفت للوعد وهم الخوارج ، وهدى الله أهل السنة للحق فكانوا

---

(١) انظر: زاد المعاد ٤/ ٤٤، مفتاح دار السعادة (٣/ ٣٦٢-٣٧٩) ، طبعة تحقيق الحلبي ، طبعة دار ابن المنان

(٢) انظر: لطائف المعارف ص ١٥٠ ، تحقيق السواس، طبعة دار ابن كثير عام ١٤١٣هـ .

(٣) انظر : شرحه على مسلم (١٤/ ٤٦٤).

(٤) انظر: شرح السنة (١٢/ ١٦٩).

(٥) انظر: مقدمته في علوم الحديث ، ص٢٨٤-٢٨٥ .

(٦) انظر: الآداب الشرعية (٣/ ٣٦١-٣٦٧).

(٧) انظر: إرشاد الساري (٨/ ٣٧٣).

(٨) انظر: تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد ص٤٢٥ ، طبعة المكتب الإسلامي.

(٩) انظر: الباعث الحثيث (٢/ ٤٨٤) .

(١٠) انظر: مباحث الرسالة القيمة لأخينا سليمان الدبيخي بعنوان " أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض" (١/ ٨٤-١٠٤) .

(١١) انظر: مختلف الحديث لابن قتيبة ص٦٩ .

وسطاً وأخذوا بالنصوص جميعاً وجمعوا بينهما .

النوع الأول من الأحاديث: "أحاديث الوعد" :

وهي التي جاءت بالوعد بالجنة لمن قال لا إله إلا الله .

فمن ذلك : حديث أبي ذر ﷺ قال:" أتيت النبي ﷺ وعليه ثوب أبيض وهو نائم ثم أتيته وقد استيقظ فقال: "ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة" قلت وإن زنى وإن سرق ؟ قال: "وإن زنى وإن سرق" قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: "وإن زنى وإن سرق" قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: "وإن زنى وإن سرق، على رغم أنف أبي ذر" (١) .

حديث عثمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : "من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله دخل الجنة" (٢) .

والأحاديث من هذا النوع كثيرة.

النوع الثاني من الأحاديث: "أحاديث الوعيد":

ويمكن تقسيمها إلى أربعة أقسام (٣):

الأول: ما جاء فيها إطلاق لفظ الكفر على أصحاب المعاصي، كقوله ﷺ : " سباب المسلم فسوق وقتاله كفر" (٤) .

الثاني: ما جاء فيها نفي الإيمان عمن ارتكب الكبائر.

كقوله ﷺ : " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن" (٥) .

الثالث: ما جاء فيها البراءة ممن ارتكب تلك الكبائر:

---

(١) أخرجه البخاري في اللباس، باب الثياب البيض برقم (٥٤٨٩) .ومسلم في الإيمان برقم (٩٤).

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان برقم (٢٦).

(٣) انظر: الإيمان لأبي عبيد ، ص٣٦ .

(٤) البخاري في الإيمان ، باب الفرق المؤمن أن يحبط عمله برقم (٤٨).ومسلم في الإيمان برقم (٦٤).

(٥) البخاري في المظالم، باب النهي بغير إذن صاحبه برقم (٢٣٤٣).ومسلم في الإيمان برقم (٥٧).

كقوله ﷺ : "من حمل علينا السلاح فليس منا" (1) .

الرابع: ما جاء فيها نفي دخول الجنة لمرتكبي بعض الكبائر:

كقوله ﷺ : "لا يدخل الجنة قتات" (2) .

وهناك أحاديث في الوعيد كثيرة ولكن ذكرنا ما فيه إشكال أو تعارض متوهم مع أحاديث الوعد.

الجمع بين أحاديث الوعد والوعيد:

سبق أن ذكرنا منهج السلف في الجمع بين الأدلة التي ظاهرها التعارض وهنا سوف يظهر لنا أن السلف استخدموا أكثر من طريقة للجمع بين الأدلة المتعارضة في هذا الباب وإليك البيان:

أولاً: أجمع أهل السنة على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر ولا يخرج من الإسلام إلا إذا شمل فعل لهذه الكبيرة وكذلك لا يخلد في النار .

ثانياً: قالوا إنه مستحق للوعيد الذي جاءت به النصوص وأمره في الآخرة إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه.

أما كيفية الجمع بين النصوص التي تثبت الإيمان وتنفيه أو تثبت له الإيمان ثم تصفه بالكفر أو بالبراءة منه فقد قالوا:

1 - أن المعاصي لا تزيل أصل الإيمان بل تنفي حقيقته وكماله الواجب ولهم في ذلك أدلة.

يقول أبو عبيد القاسم بن سلام: "وإن الذي عندنا في هذا الباب كله أن المعاصي والذنوب لا تزيل إيماناً ولا توجب كفراً ولكنها إنما تنفي من الإيمان حقيقته وإخلاصه الذي نعت الله به أهله واشترطه عليهم في مواضع من كتابه فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾

---

(1) البخاري في الفتن، باب قول النبي ﷺ "من حمل علينا السلاح" برقم (6659)، ومسلم في الإيمان برقم (98).

(2) البخاري في الأدب، باب ما يكره من النميمة برقم (5709)، ومسلم في الإيمان برقم (105).

إلى قولـــه: ﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[التوبة : ١١٢-١١٣] وقال: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾[المؤمنون : ١-١١] ... (إلى أن قال): فهذه الآيات التي شرحت وأبانت شرائعه المفروضة على أهله ونفت عنه المعاصي كلها، ثم فسرته السنة بالأحاديث التي فيها خلال الإيمان ... فلما خالطت هذه المعاصي هذا الإيمان المنعوت بغيرها، قيل: ليس هذا من الشرائط التي أخذها الله على المؤمنين... فنفت عنهم حينئذٍ حقيقته ولم يزل عنهم اسمه" [١] فهذا الجمع مبني على الأدلة الشرعية وهي من الطرق التي أشرنا إليها.

٢- من طرائق الجمع الاحتجاج باللغة كذلك لإثبات صحة هذا الجمع:

يقول أبو عبيد (وهو إمام في الفقه) : "فإن قال قائل : كيف يجوز أن يقال: ليس بمؤمن، واسم الإيمان غير زائل عنه؟ قيل : هذا كلام العرب المستفيض عندنا غير المستنكر في إزالة العمل عن عامله إذا كان عمله على غير حقيقته ألا ترى أنهم يقولون للصانع إذا كان ليس بمحكم لعمله ما صنعت شيئاً ، ولا عملت عملاً ،وإنما وقع معناهم ها هنا على نفي التجويد، لا على الصنعة نفسها، فهو عندهم عامل بالاسم ، غير عامل في الإتقان، حتى تكلموا به فيما هو أكثر من هذا ، وذلك كرجلٍ يعق أباه ويبلغ منه الأذى فيقال: "ما هو بولد" وهم يعلمون أنه ابن صلبه ثم يقال مثله في الأخ والزوجة والمملوك، وإنما مذهبهم في هذا : المزايلة من الأعمال الواجبة عليهم من الطاعة والبر" أ.هـ [٢] .

ثم يستدل أهل السنة على هذه القضية اللغوية بالكتاب والسنة [٣] .

---

(١) الإيمان لأبي عبيد ص٤٠-٤١ بتصرف .

(٢) الإيمان لأبي عبيد ص٤١، وانظر : تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢/ ٥٧٨-٥٧٩) .

(٣) المصدر السابق ص٤١-٤٢ .

وأما من الكتاب يقول جل وعلا : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾[آل عمران : ١٨٧] .

قال أبو عبيد: حدثنا الأشجعي عن مالك بن مغول عن الشعبي في هذه الآية قال: "أما إنه كان بين أيديهم، ولكن نبذوا العمل به" أ.هـ (١) .

وأما السنة فحديث النبي ﷺ في الأعرابي الذي خفف صلاته فقال له : " ارجع فصل فإنك لم تصل" (٢) ، فهو مصلٍ بالاسم وغير مصل بالحقيقة (٣) .

٣- من طرق الجمع في هذه القضية ذكر قاعدة كلية مهمة تجتمع من خلالها النصوص :

وهو أن : الكفر نوعان: أكبر وأصغر، والفسق نوعان أكبر وأصغر، والظلم : نوعان : أكبر وأصغر، والشرك نوعان: أكبر وأصغر (٤) .

ومن ذلك قول النبي ﷺ : "أخوف ما أخاف على أمتي الشرك الأصغر" (٥) . فدل على أن هناك شرك أكبر وأصغر ومثلها الأحاديث التي ذكرت الكفر وأطلقته على بعض المعاصي المراد الكفر الأصغر الذي لا ينقل عن الملة، والمراد أنه من خصال وأخلاق الكفار (٦)، بدليل أنه سمّاهم مؤمنين في آيات أخرى كما قال جل وعلا عن المتقاتلين: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾[الحجرات : ٩] ، فسماهم مؤمنين دل على أن إطلاق الكفر في الحديث ليس كفراً ناقلاً عن الملة (٧) .

---

(١) الإيمان، ص٤٢ .

(٢) الحديث أصله في الصحيحين من حديث أبي هريرة: أخرجه البخاري في -كتاب الأذان -باب أمر النبي ﷺ الذي لا يُتم ركوعه بالإعادة برقم (٧٩٣). ومسلم في الصلاة برقم (٣٩٧) .

(٣) انظر: الإيمان لأبي عبيد ص٤٢ .

(٤) انظر: تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢/ ٥٢٦ – ٥٢٧) ، ومختلف الحديث لابن قتيبة ص٨١ .

(٥) تقدم تخريجه.

(٦) الإيمان لأبي عبيد ، ص٤٣، وانظر الإيمان للإمام أحمد ضمن السنة للخلال وكلام ابن مهدي يقرر نفس المعنى (٣/ ٥٧٨) برقم (٩٩٨).

(٧) ويمثل تقرير أبي عبيد انظر: كلام المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٥٧٦-٥٨١).

ومن خلال هذا المثال يتضح لنا أن الأئمة استخدموا عدة طرق في الجمع في قضية واحدة فمن ذلك:

١- اللغة.

٢- الأدلة الأخرى.

٣- القواعد الكلية المجمع عليها.

المثال الثالث: الأدلة الواردة في الرواية:

جاءت الآيات والأحاديث المتواترة في إثبات رؤية الله ، ولكن أهل البدع عارضوا هذه الأحاديث الثابتة المحكمة المتواترة بالمتشابه ولبسوا على الجهال الذين لا يعرفوا معاني الآيات والأحاديث ومن هذه الأدلة التي عارضوا بها النصوص الثابتة ما يلي:

قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾[الأنعام: ١٠٣] .

قوله تعالى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾[الأعراف: ١٤٣] .

وقد استخدموا عدة طرق للجمع:

١- ذكر المعنى الصحيح للآيات وبها يظهر أنه لا تعارض: فالمراد ينفي الرواية في الآيتين في الدنيا قطعاً فلن يراه أحد من البشر أما في الآخرة فقد جاءت النصوص المتواترة بثبوت الرؤية للمؤمنين.

قال الإمام أحمد: "وأما قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ يعني في الدنيا دون الآخرة" أ.هـ [1] .

وقال الإمام الدارمي: "فاحتج محتج منهم بقوله تعالى لموسى: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ فقلنا هذا لنا عليكم لا لكم إنما قال: ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ في الدنيا" [2] .

ثم يزيد هذا المعنى بياناً فيقول مبيناً سبب المصير إلى هذا التأويل: " لأن بصر موسى من الأبصار التي كتب الله عليها الفناء في الدنيا ، فلا تحتمل النظر إلى نور البقاء،

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ، ص٩٥ .

(٢) الرد على الجهمية للدارمي ، ص١٢٥ .

فإذا كان يوم القيامة رُكِّبَتِ الأبصارُ والأسماعُ للبقاء، فاحتملت النظر إلى الله عز وجل بما طوَّقها الله" أ.هـ [(١)].

٢- الجمع عن طريق الاحتجاج باللغة:

فمعنى (لن تراني) في فترة لها نهاية وهي الدنيا وليست للأبد ولم يقل إني لا أرى مطلقاً.

ولهذا قال الإمام أحمد: "وقال لموسى ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ ولم يقل: لن أرى فأيهما أولى أن نتبع النبي ﷺ حين قال: "إنكم سترون ربكم" أو قول الجهمي حين قال: "لا ترون ربكم" أ.هـ [(٢)].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة ص١٢٨ .

المطلب الخامس : احتجاجهم بخبر الآحاد

تمهيد:

إن قضية ومسألة خبر الآحاد والاحتجاج بها من القضايا الكبرى ومن أصول أهل السنة التي تميزهم عن أهل البدع، وإن من معاول الهدم والطواغيت المضلة عن الحق والأدوات المهلكة هو قول أهل البدع بعدم حجية خبر الآحاد في العقائد.

إن هذه القاعدة التي قعدوها وليس لهم مستند ، بدعة كبرى وجريمة عظمى قرّروها حتى يبرروا باطلهم وما تمليه عليه أهواءهم لأن صراحة الأدلة ووضوحها أعيتهم فلم يستطيعوا الوقوف أمامها إلا بإحداث هذه الحيلة والمقولة الخبيثة، ولكن هيهات هيهات أن يتم لهم ما أرادوا والحق واضح أبلج كالشمس في رابعة النهار.

ولعلنا قبل أن نبين حجية خبر الواحد وإفادته للعلم وقبل ذكر احتجاج السلف به يحسن بنا أن نقف عدة وقفات :

الوقفة الأولى: رد خبر الواحد قول أحدثه المعتزلة:

إن هذا القول – أعني عدم الاحتجاج بخبر الواحد – هو قول محدث لم يقل به سلف الأمة وأئمتها وإنما أحدثه أهل البدع.

يقول ابن حزم – رحمه الله – : "إن جميع أهل الإسلام كانوا على قبول خبر الواحد الثقة عن النبي ﷺ يجري على ذلك كل فرقة في أعلمها كأهل السنة والخوارج والشيعة والقدرية حتى حدث متكلموا المعتزلة بعد المائة من التاريخ مخالفوا الإجماع في ذلك" أ.هـ [(١)] .

ثم تلقفها من لهم عناية بالكلام والأصول وقرروا هذا في كتبهم .

الوقفة الثانية: أن عدم الاحتجاج بخبر الآحاد نوع من أنواع رد السنة :

السنة مصدر مستقل من مصادر التلقي للمسلم في عباداته وسلوكه واعتقاداته

---

(١) الأحكام في أصول الأحكام لابن حزم (١/١٠٨) نشر دار الحديث ، ط.الأولى، ١٤٠٤هـ، وانظر: مختصر الصواعق ص٤٨٥ .

ويجب الإيمان بكل ما ورد متواتراً أو آحاداً والذي يرد خبر الآحاد هو راد لبعض الشرع وهو من الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض، بل هو هادم لأصل من الأصول الكبرى وهو الرد عند التنازع إلى الكتاب والسنة جميعها من غير تفريق قال جل وعلا : ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[النساء: ٥٩].

الوقفة الثالثة: رد أخبار الآحاد رد لغالب نصوص الشريعة:

إن النصوص المتواترة من السنة ليست هي الغالبة بل الغالب أحاديث آحاد لأن الأمة من عهد النبي ﷺ في أقوالهم وأفعالهم يحتجون بخبر الواحد ولا يفرقون بينه وبين المتواتر من حيث العمل والاحتجاج والقبول فلو نظرنا لمسائل الاعتقاد الكبرى لوجدنا جملة منها ثبت بالآحاد، فعليه من رد خبر الآحاد لا يبقى من دينه وعقيدته إلا النزر اليسير الذي ثبت بالتواتر وهذا مذهب أقرب إلى الزندقة منه إلى الإسلام والعياذ بالله.

الوقفة الرابعة : الإجماع منعقد على قبول خبر الواحد:

قال الإمام الشافعي: "ولو جاز لأحدٍ من الناس أن يقول في علم الخاصَّة : أجمع المسلمون قديماً وحديثاً على تثبيت خبر الواحد والانتهاء إليه بأنه لم يعلم من فقهاء المسلمين أحد إلا وقد ثبته : جاز لي ، ولكن أقول: لم أحفظ عن فقهاء المسلمين أنهم اختلفوا في تثبيت خبر الواحد بما وصفت من أن ذلك موجوداً على كلهم" أ.هـ[(١)].

الوقفة الخامسة: رد أهل البدع لخبر الواحد بحجة عدم إفادته للعلم:

بمعنى أنه لا يفيد إلا الظن وهذه الحجة عليهم لا لهم لأن الشرع كله منزل من عند الله ويجب العمل به فإذا عملوا بخبر الواحد في الأحكام دون العقائد تناقضوا ، فما الدليل على التفريق أليس كله دين يدينون الله به.

وعلى هذا القول الفاسد الذي هو أن الخبر لا يفيد إلا الظن وعليه فلا يعمل به

(١) الرسالة ، ص٤٥٧-٤٥٨، طبعة دار الفكر، تحقيق وشرح أحمد شاكر.

فإننا لا نثق بشيء نقل لنا عن رسول الله ﷺ البتة.

يقول ابن القيم - رحمه الله - : "وأما المقام الثامن: وهو انعقاد الإجماع المعلوم المتيقن على قبول هذه الأحاديث وإثبات صفات الرب تعالى بها فهذا لا يشك فيه من له أقل خبره بالمنقول، فإن الصحابة هم الذين رووا هذه الأحاديث وتلقاها بعضهم عن بعض بالقبول ولم ينكرها أحد منهم على من رواها ، ثم تلقاها عنهم جميع التابعين من أولهم إلى آخرهم ومن سمعها منهم تلقاها بالقبول والتصديق لهم، ومن لم يسمعها منهم تلقاها عن التابعين كذلك وكذلك تابع التابعين مع التابعين. هذا أمر يعلمه ضرورة أهل الحديث كما يعلمون عدالة الصحابة وصدقهم وأمانتهم ونقلهم ذلك عن نبيهم ﷺ كنقلهم الوضوء والغسل من الجنابة وأعداد الصلوات وأوقاتها، ونقل الأذان والتشهد والجمعة والعيدين، فإن الذين نقلوا هذا هم الذين نقلوا أحاديث الصفات، فإن جاز عليهم الخطأ والكذب في نقلها جاز عليهم ذلك في نقل غيرها مما ذكرناه وحينئذٍ فلا وثوق لنا بشيءٍ نقل لنا عن نبينا ﷺ البتة، وهذا انسلاخ من الدين والعلم والفعل، على أن كثيراً من القادحين في دين الإسلام قد طردوه وقالوا لا وثوق لنا بشيء من ذلك البتة" أ.هـ (١) .

الوقفة السادسة: أن القول بعدم حجية خبر الواحد اتهام لعلماء الأمة:

إن الذي يلغي العمل والاحتجاج بخبر الواحد كأنه يلغي جهود علماء الأمة في تدوين السنن والأخبار لأن غالبها آحاد ويتهمهم باللعب والعبث وعدم النصح للأمة لأنهم نقلوا لنا الأخبار بطريق غير صحيح ولا تقوم به الحجة فهم أقرب إلى اللغو واللعب والعبث منهم إلى الجد والاشتغال بالمفيد النافع ، فهم دونوا في أمور الدين ما لا يجوز الرجوع إليه ولا الاعتماد عليه (٢) يزعم هؤلاء.

خبر الواحد يفيد العلم:

(١) مختصر الصواعق ص٥٠٢ .

(٢) انظر المصدر السابق ص٤٨٦ .

إن قضية التفريق بين الأدلة الثابتة بأن منها ما يفيد العلم وما يفيد الظن أمر أحدثه أهل البدع وإلا فإن عمل مع أقوامهم وعمل رسول الله مع أصحابه والناس وعلل الصحابة والسلف من بعدهم يدل على أنهم لم يكونوا يعرفون هذا التفريق بل قلوبهم مطمئنة وموقنة بما جاء عن الله وعن رسوله.

وإن المتأمل في أصل الأصول والقضية العظمى وهي إفراد الله بالعبادة والتي خلقت الجنة والنار وأرسلت الرسل وأنزلت الكتب من أجل تقريرها نجد أن الله عز وجل مع عظم هذه القضية أرسل إلى كل أمة رسولاً واحداً وأقام به الحجة على الناس الذين بعث إليهم ، أيعقل أن يقال أنه لم يفدهم هذا إلى الظن أو غالب الظن؟

يقول ابن قتيبة – بعد ذكره للخلاف حول خبر الواحد وثبوته – : "وهذه الاختيارات إنما اختلفت هذا الاختلاف لاختلاف عقول الناس وكل يختار على قدر عقله ولو رجعوا إلى أن الله تعالى إنما أرسل إلى الخلق كافة رسولاً واحداً وأمرهم باتباعه وقبول قوله وأنه لم يرسل اثنين ولا أربعة ولا عشرين ولا سبعين في وقت واحد لدلّهم ذلك على أن الصادق العدل صادق الخبر كما أن الرسول الواحد المبلغ عن الله تعالى صادق الخبر" أ.هـ [(١)] .

وعلى هذا حينما نذكر أدلة الاحتجاج بخبر الواحد هي نفسها تدل على أنه يفيد العلم فهي تدل على وجوب العمل بها وتدل على أنها تفيد العلم .

السلف في القرون الثلاثة الأولى وخبر الواحد:

لم نجد للسلف كلاماً كثيراً حول هذه المسألة إلا في القرن الثالث لأنهم كانوا على قبول الخبر سواءً كان آحاداً أم متواتراً فلما أحدث أهل البدع ما أحدثوا ظهر الكلام حوله.

فالإمام الشافعي عقد فصلاً –وأطال الكلام حول حجيته– في الرسالة [(٢)] ،

(١) مختلف الحديث ، ص٤٦ .

(٢) الرسالة ص ٤٠١.

والبخاري عقد كتاباً في صحيحه بعنوان "كتاب أخبار الآحاد" (١) ، وهناك كتاب لقاسم بن محمد (ت٢٧٦هـ) (٢) ، بعنوان: "خبر الواحد" (٣) .

وأما السلف في كتبهم في الاعتقاد فلهم إشارات غير صريحة وهي قليلة منها:

١- الشافعي في رسالته في الاعتقاد:

أشار الإمام الشافعي إلى أن الحجة تقوم بمجرد وصول الخبر إلى المُخْبَر ولم يذكر التفريق بين خبر ولا خبر فقال - رحمه الله - : "ولا نكفر بالجهل بها أحداً (يعني نصوص الصفات) إلا بعد انتهاء الخبر إليه بها، وإن كان الوارد بذلك خبراً يقوم بالفهم مقام المشاهدة في السماع وحيث الدينون على سامعه بحقيقته والشهادة بما عاين وسمع من رسول الله ﷺ ..." أ.هـ (٤) .

وجاء عنه أيضاً في موضع آخر من الرسالة حينما سئل عن صفات الله وما يؤمن به فقال : "لله تعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وأخبر بها نبيه ﷺ أمته ، لا يسع أحداً من خلق الله تعالى قامت عليه الحجة ردَّها ؛ لأن القرآن نزل به وصح عن رسول الله ﷺ القول به فيما روى عنه العدل، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر بالله، وأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر معذور بالجهل لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالرؤيَّة والفكر" أ.هـ (٥) .

ومن خلال نص الإمام الشافعي نخلص إلى عدة أمور:

أ - قوله (فيما روى عنه العدل) : يعني راوٍ واحد وعليه قرر إقامة الحجة بهذا

---

(١) انظر: فتح الباري (١٣/ ٢٤٤).

(٢) **قاسم بن محمد بن قاسم بن يسار**، مولى الوليد بن عبدالملك ، وكان من علماء المالكية ويميل إلى مذهب الشافعي، وكان مع علمه وفقهه شاعراً محسناً بليغاً كانت وفاته سنة ٢٧٦هـ . انظر: ترتيب المدارك (٤/ ٤٤٦).

(٣) ترتيب المدارك (٤/ ٤٤٨).

(٤) اعتقاد الإمام الشافعي (ضمن مجموع بتحقيق د. عبدالله البراك) ص٢١ ، طبعة دار الوطن، ط.الأولى، ١٤١٩هـ. وأخرجها بسنده ابن قدامة في صفة العلو ص١٢٤ برقم (١٠٨، ١٠٩).

(٥) اعتقاد الشافعي (ضمن المجموع) ص٢٠ ، وانظر: ابن قدامة في صفة العلو ، ص١٢٤ .

الرجل الواحد فدلنا على احتجاجه بخبر الواحد.

ب- قوله (فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر بالله): فكفر من رد خبر الواحد الذي جاء بالنص الشرعي ولا يمكن أن يكفر شخص كان الخبر عنده يفيد الظن؛ بل لأنه يفيد العلم اليقين كما هو مقرر.

وعليه فهذا يؤكد ما سبق وأن قررناه أنهم لا يفرقون في الاحتجاج وإفادة العلم بين المتواتر والآحاد.

٢- الدارمي في رده على المريسي:

وبيَّن الإمام الدارمي أن من منهج أهل البدع عدم قبول الأحاديث إلا ما كان متواتراً بل من أعلى درجات التواتر، وهذا فيه اطَّراح للأدلة والنصوص وإهمالها وعدم إعمالها مما يؤدي إلى تعطيل الشريعة .

يقول - رحمه الله - : "وادعيت أيضاً في دفع آثار رسول الله ﷺ ضحكة لم يسبقك إلى مثلها عاقل من الأمة، ولا جاهل ، فزعمت أنه لا تقوم الحجة من الآثار الصحيحة التي تروى عن رسول الله ﷺ إلا كل حديث لو حلف رجل بطلاق امرأته أنه كذب لم تطلق امرأته: ثم قلت: ولو حلف رجل بهذه اليمين على حديثٍ لرسول الله ﷺ صحيح عنه أنه كذب ما طلقت امرأته" أ.هـ [(١)] .

هذا قول أهل البدع.

ثم قال - رحمه الله - معقباً على كلام أهل البدع:

"فيقال لهذا المعارض الناقض على نفسه، قد أبطلت بدعواك هذه جميع الآثار التي تروى عن النبي ﷺ ، ما احتججت منها لضلالتك وما لم تحتج ، ولو كنت ممن يلتفت إلى تأويله، لقد سننت للناس سنة وحددت لهم في الأخبار حداً لم يستفيدوا مثلها من أحدٍ من العالمين قبلك، ولو وجب على كل مختار من الأئمة في دعواك ألا يختار منها شيئاً حتى يبدأ بطلاق امرأته فيحلف أن هذا الحديث صدق أو كذب البتة، فإن كان

---

(١) الرد على المريسي (٢/ ٦٤٤-٦٤٥).

شيئاً طلقت به امرأته استعمله وإن لم تطلق تركهُ ، ويلك إن العلماء لم يزالوا يختارون هذه الآثار ويستعملونها وهم يعملون أنه لا يجوز لأحد منهم أن يحلف على أصحها أن النبي ﷺ قاله البتة ، ولكنهم كانوا لا يألون جهداً في الأخبار الأحفظ منها والأمثل فلأمثل من رواتها في أنفسهم، ويرون أن الأَيْمان التي ألزمتهم فيها بطلاق نسائهم مرفوعة عنهم حتى ابتدعتها أنت من غير أن يسبقك إليها مسلم وكافر، ففي دعواك يجب على القضاة والحكام أن لا يحكموا بشهادة العدول عندهم إلا بشيء يمكن القاضي أن يحلف عليه بطلاق امرأته أن الشاهد به قد صدق، أو أنه إن حلف عليها بطلاق امرأته أنها كذب لم تطلق امرأته. ويحك من سبقك إلى هذا التأويل من أمة محمد ﷺ في اتباع الروايات واختيار ما يجب منها؟ إنما يجب على القاضي أن يفحص عن الشهود ويحتاط ، فمن عدل عنده منهم حكم بشهادته ، وإن كان كاذباً في شهادته في علم الله بعدما لم يطلع القاضي منه على ذلك؛ وترد شهادة المجروح وإن كان صادقاً في شهادته في علم الله بعد ما لم يطلع القاضي على صدقه، وكذلك المذهب في استخدام هذه الآثار وقبولها من رواتها، لا ما تأولت أنت فيها من هذه السخرية بنفسك والضحك ..." أ.هـ [1] .

ومن خلال عرض الإمام الدارمي نخلص لما يلي:

أ- ادعاء المبتدع أنه لا يقبل من الآثار إلا ما يحلف عليه بالطلاق مقصودهم عدم الاحتجاج إلا بما يفيد اليقين بزعمهم وعليه فإن خبر الآحاد عندهم لا يحلف عليه لأنه لا يفيد اليقين.

ب – نص المؤلف أن دعوى أهل البدع عدم الاحتجاج إلا بما يحلف عليه أمر مبتدع لم يقل به أحد، ومن باب أولى عدم الاحتجاج بخبر الآحاد هو من البدع المحدثة.

ج – أن غالب نصوص الشرع مما لا يحلف عليه بالطلاق وعليه فيرد غالب

(١) الرد على المريسي (٢/ ٦٤٥ – ٦٤٦).

نصوص الشرع وهذا اللازم متحقق فيمن يرد أخبار الآحاد لأنه سوف يعطل العمل بالشريعة .

د – أن السلف والأئمة لم يشترطوا إلا عدالة وفقه الرواة ولم يشترطوا العدد لقبول الأخبار فهذا إجماع منهم ، وكذلك يؤيد ما سبق ذكره بأن هذا محدث حتى التفريق بين الظن واليقين في الأخبار.

٣- ابن أبي عاصم في السنة:

عقد الإمام ابن أبي عاصم في كتابه السنة باباً بعنوان: "في ذكر شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر" (١).

وهذه القضية مما خالف فيها أهل البدع من الخوارج والمعتزلة وردوا الأخبار الصحيحة الثابتة فيها.

وقد أورد في هذا الباب الحديث الصحيح الصريح الذي لا يمكن لمتأولٍ أن يتأوله وهو قول ﷺ : "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" (٢) ثم علق في نهاية الباب قائلاً : "والأخبار التي روينا عن نبينا ﷺ فيما فضّله الله به من الشفاعة ، وتشفعه إياه فيما يشفع فيه، أخبار ثابتة موجبةٌ بعلم حقيقة ما حوت على ما اقتصصنا، والصادر عن الأخبار الموجبة للعلم المتواترة كافر، وقد ذكرنا ما دل على عقده من الكتاب، جعلنا الله وكل

---

(١) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٥٧٢) باب رقم (١٧١) .

(٢) الحديث عن أنس وجابر وابن عمر وكعب بن عجرة رواه : ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٥٧٣) برقم (٨٥٥-٨٥٦). والترمذي في صفة القيامة برقم (٢٤٣٥). وابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٦٥١) برقم (٣٩٢)، (٣٩٣)، (٣٩٤)، (٣٩٥) .وابن حبان كما في الإحسان لابن بلبان (٣٨٦٨٤) برقم (٦٤٦٣) ، (٦٤٦٨) .والطيالسي ص٢٧٠ برقم (٢٠٢٦) .وأبو داود في كتاب السنة (٤/ ٣٢٦) برقم (٤٧٣٩).وأحمد في المسند (٣/ ٢١٣) .والآجري في الشريعة (٣/ ١٢١٢) برقم (٧٨١) .والحاكم في المستدرك (١/ ٦٩) وقال صحيح على شرط مسلم .وأبو نعيم في الحلية (٧/ ٢٦١)، (٣/ ٢٠٠-٢٠١).وابن ماجه في الزهد (٢/ ٤٥١) برقم (٤٣٦٥).والبيهقي في البعث والنشور ، ص٢٣ برقم (١) وصححه .والبخاري في التاريخ الكبير (٢/ ١٢٦).والحديث صحيح صححه الألباني كما في ظلال الجنة (٢/ ٤٠٠) وقال: (إسناده جيد) والأرناؤوط في تحقيقه لابن حبان.

مؤمن بها مؤمل لها من أهلها "[1] .

ومن خلال هذا التعليق يمكن أن نخلص لما يلي:

أ – أنه نص على أن أخبار الآحاد موجبة للعلم بدليل ذكره لهذا التعقيب بعد إخراجه لحديث "شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي" وهو حديث نص أهل البدع على عدم قبوله لأنه من أخبار الآحاد.

قال القاضي عبد الجبار عن هذا الحديث : "إن هذا الخبر لم تثبت صحته أولاً، ولو صح فإنه منقول بطريق الآحاد عن النبي ﷺ ، ومسألتنا طريقها العلم فلا يصح الاحتجاج بها" أ.هـ[2] .

فابن أبي عاصم لما علق بهذا التعليق قصد به الرد على المبتدعة الذين يقولون إن هذا الحديث آحاد لا يوجب العلم فبين الموقف الصحيح منه .

ب – تكفيره لمن رد الأخبار الموجبة للعلم كالأحاديث المتواترة.

حجية أخبار الآحاد في مسائل الاعتقاد:

لن نخوض في ذكر الأدلة العامة على الاحتجاج بخبر الواحد فهي كثيرة ومن أرادها بالتفصيل فليرجع إلى ما قرّرهُ العلامة ابن القيم كما في مختصر الصواعق[3]، ولكن الذي يهمنا هنا أن بعض الأدلة صرحت بأن النبي ﷺ احتج بخبر الواحد في قضايا من أصول الاعتقاد بل من أعظمها وإليك بعضها.

الدليل الأول: بعث معاذ إلى اليمن:

أخرج البخاري بسنده عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل حين بعثه إلى اليمن: " إنك تأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد

(١) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٥٧٥).

(٢) شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار، ص٦٩٠ .

(٣) مختصر الصواعق (٤٧٧-٤٨٤) فقد ذكر واحداً وعشرين دليلاً .

فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم ، فإنه ليس بينه وبين الله حجاب" أ.هـ (١) .

وجه الاستدلال من الحديث:

١ - أن النبي ﷺ قد أقام الحجة على أهل اليمن برجل واحد فدل على احتجاجه بخبر الواحد (٢) .

٢-أن النبي ﷺ قد احتج به وجعله حجة على أهل اليمن في مسألة عظيمة هي أصل الأصول ولب الرسالة وهي الدعوة إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة وهذه الأمور لابد فيها من العلم واليقين فدل على أن خبر الواحد يحتج به في العقائد، وغيره من باب أولى وأنه يفيد العلم لأن هذه المسائل مبناها على العلم واليقين لا على الظن والتخمين.

الدليل الثاني: حديث وفد عبدالقيس:

أخرج البخاري بسنده عن ابن عباس في ذكر الحديث المشهور ومما جاء فيه: "وأمرهم بأربع: أمرهم بالإيمان بالله قال: هل تدرون ما الإيمان بالله؟ " قالوا : الله ورسوله أعلم، قال شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمد رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة" ... إلى أن قال: "احفظوهنَّ وأبلغوهنَّ من وراءكم" أ.هـ (٣) .

وجه الاستدلال من هذا الدليل:

١-قوله "أبلغوهنَّ من وراءكم" : يدل على أن كل مكلف منهم مأمور بالبلاغ ولو لوحده لأن الحجة تقوم بإبلاغ واحد منهم بما أمرهم به.

٢-أن الذي أمرهم بإبلاغه أمر من أمور الاعتقاد بل أصل الدين وهو الشهادتان فلو كان غير محتج بخبر الواحد لما قَبِل أن يبلغه إلا الجماعة ولا يكتفي بواحد.

---

(١) البخاري في التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى برقم (٧٣٧١) (٧٣٧٢) ومسلم في الإيمان برقم (١٩) واللفظ له .

(٢) انظر: فتح الباري (١٣/ ٣٦٧) وشرح النووي على مسلم (١/ ١٩٧).

(٣) البخاري في كتاب أخبار الآحاد ، باب وصاة النبي ﷺ وفود العرب أن يبلغوا من وراءهم ، برقم (٧٢٦٦) . ومسلم في الإيمان برقم (١٧) .

٣-أنه لم يفرق بين أمور الاعتقاد والأحكام بل ذكرها كلها وأمر بإبلاغها وأن الحجة تقوم بإبلاغ الشخص الواحد.

الدليل الثالث: "حديث نضر الله امرأً سمع مقالتي...":

أخرج الإمام الشافعي بسنده عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال: "نضّر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ورعاها وأدَّاها ، فَرُبَّ حامل فقهٍ غير فقيه ، ورب حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغل عليهنَّ قلب مسلم: إخلاص العمل لله، والنصيحة للمسلمين، ولزوم جماعتهم، فإن دعوتهم تحيط من وراءهم" أ.هـ (١) .

وجه الاستدلال من الحديث:

١- قال الإمام الشافعي : "فلما ندب رسول الله ﷺ إلى استماع مقالته وحفظها وأدائها امرأً يؤديها – والإمرءُ واحدٌ –: دلَّ على أنه لا يأمر أن يؤدى عنه إلا ما تقوم به الحجة على من أدى إليه ..." أ.هـ (٢) .

فالحديث يدل على أن خبر الواحد محتج به لأنه قال (امرأً) ولم يقل جماعةً فبه تقوم الحجة.

٢- أن الحديث أمر الفرد أن يبلغ كل ما سمعه ولم يفصل أو يفرق بين أحكام وعقائد فدل على أنه حجة مطلقاً.

٣- جاء النص في الحديث والأمر بإبلاغه وهي الثلاث وهي من الاعتقاد

---

(١) أخرجه الشافعي في الرسالة ص٤٠١ . وأخرجه أبو داود في العلم ، باب فضل نشر العلم برقم (٣٦٦٠) وأحمد في المسند (٥/ ١٨٣) وفي الزهد ص٥٨ برقم (١٨١).وابن حبان كما في الإحسان لابن بلبان (١/ ٢٧٠) برقم (٦٧)، (٦٨)، (٦٩) .والخطيب في الفقيه والمتفقه (٢/ ١٣٩) برقم (٧٦٥) وفي شرف أصحاب الحديث ص٢٤ .والطبراني في الكبير (٥/ ١٥٨) برقم (٤٨٩).والطحاوي في مشكل الآثار (٤/ ٢٨٤) برقم (١٦٠٠) ، (١٦٠١) ، (١٦٠٢) .والدارمي (١/ ٣٠٢) في باب الاقتداء بالعلماء برقم (٢٣٤)، (٢٣٥) ، (٢٣٦) ، طبعة بتحقيق حسين سليم أحمد.وابن ماجة في المقدمة باب من بلغ علماً (١/ ٤٩) برقم (٢٤٣)، (٢٤٤)، (٢٤٥)، (٢٤٦) .وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٩٤) برقم (٩٤)، (٩٥)، (٩٦)، (٩٧) .

(٢) الرسالة ، ص٤٠٢-٤٠٣ .

"الإخلاص" و"النصيحة" "ولزوم الجماعة" وكلها تدخل ضمن الاعتقاد فمن بلغه هذا الحديث فهو عامل بأمر رسول الله ﷺ وقد بلغ حديثاً في قضايا العقيدة تدل على أن خبر الواحد يحتج به في العقائد .

٤- أن هذا الحديث استدل به أهل السنة على أهل البدع الذين يحاولون عدم الاحتجاج بالسنة.

قال الدارمي في الرد على المريسي: "لأن هذا الحديث إنما هو دين الله بعد القرآن، أولم تسمع قول رسول الله ﷺ أنه جعل حديثه أصل الفقه فقال: "نضَّر الله عبداً سمع مقالتي فوعاها ..." فجعل رسول الله ﷺ أصل الفقه كله بعد القرآن حديثه الذي تدفعه أنت وإمامك المريسي" أ.هـ [(١)] .

وهذا يدل على أنهم استدلوا به على حجية السنة مطلقاً متواترها وآحادها وأنها تفيد العلم مثل القرآن.

٥- أن هذا الحديث استدل به أهل السنة وأوردوه في كتب الاعتقاد ليحتجوا به على مسائل الاعتقاد [(٢)] .

---

(١) الرد على المريسي (٢/ ٦٤٠).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في أبواب الأمر بلزوم الجماعة برقم (٩٤) ، (٩٧)، (٩٦) (١/ ٩٤) وفي باب ما يجب على الرعية من النصح لولاتها برقم (١١٢٠).

المطلب السادس: استيعابهم لكل ما ورد في الباب

تمهيد :

من المسلمات القطعيات عند كل مسلم -أنار الله بصيرته باتباع آيات الكتاب الحكيم وسنة سيد المرسلين والعمل بها - أنه يجب عليه الإيمان والعمل بكل ما ورد عن الله وعن رسوله.

وأن الإيمان ببعض ما أنزل والكفر ببعض هي من سيما شر خلق الله وهم اليهود قتلة الأنبياء المكذبون بكتب الله ورسله قال جل وعلا: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴾[النساء : ١٥٠] (١).

وإن العمل بكل ما ورد هي من سيما أهل السنة ومن مزاياهم العظيمة حيث عملوا بكل ما ورد، واستطاعوا أن يزيلوا التعارض الذي قد يتوهم حول النصوص الشرعية في حين قصر فهم غيرهم جهلاً وتجاهلاً وإتباعاً لأهوائهم وهم أهل البدع الذين آمنوا وعملوا بما يوافق أهواءهم وتركوا بقية النصوص الشرعية فاتصفوا بالصفة الذميمة التي تقدمت وهي من صفات اليهود الذين آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعضه.

وقد ظهر منهج أهل السنة جلياً حين استدلالهم على مسائل عقيدتهم حيث ظهر استيعابهم لكل ما ورد في كل باب من أبواب الاعتقاد وتفننوا في ذلك، وكان هدفهم هو إيجاد الكفاية عند عموم الأمة من متعلميها وغير متعلميها حتى لا يستقوا ويصدروا عن غير كتب أهل السنة الثقات ويجذوا فيها الغنية والكفاية ، وكذلك ليظهروا للناس ويبينوا مخالفة أهل البدع للنصوص الصريحة الواضحة للحق في مسائل الاعتقاد من خلال حشدهم لكل النصوص الواردة على اختلاف أنواعها من كتاب وسنة وإجماع وعقل وواقع محسوس.

---

(١) الرد على بشر (١/ ٢٨٤).

يقول الإمام الدارمي: "وإنما جئت بهذه الأخبار كلها ليعلم الناس أن القوم مخالفون لما قال الله ورسوله وما مضى عليه الصحابة والتابعون، رضي الله عنهم أجمعين، وأنهم في ذلك على غير سبيل المؤمنين ومحجة الصادقين" أ.هـ [١] .

وقد تجلت صور هذا الاستيعاب من خلال ما يلي:

مظاهر وصور الاستيعاب في مصنفات السلف.

١- نصهم على ذلك صراحة في كتبهم:

لقد نص الأئمة في مصنفاتهم على هذا المنهج وأنه هو الذي يجب المصير إليه .

يقول المروزي: "ليس لأحدٍ أن يقول ليس الإسلام إلا ما في حديث فلان دون غيره من الأحاديث، حتى تقر بها كلها" أ.هـ [٢] .

ويقول الإمام أبو عبيد مبيناً عجز أهل البدع عن استيعاب الأدلة الواردة في مسائل الاعتقاد فادعوا فيها التناقض واطَّرحوها وبين أن أهل السنة بحمد الله لم يطرحوها بل عملوا بها جميعاً قال: "وأما القول الرابع ففيه تضعيف هذه الآثار فليس مذهب من يعتد بقوله ، فلا يلتفت إليه، إنما هو احتجاج أهل الأهواء والبدع الذين قصر علمهم عن الاتساع وعييت أذهانهم عن وجوهها، فلم يجدوا شيئاً أهون عليهم من أن يقولوا : متناقضة فأبطلوها كلها" أ.هـ [٣].

٢- استيعابهم لأنواع الأدلة:

والمقصود أن السلف لا يقتصرون على نوع واحدٍ من الأدلة بل يذكرون الأدلة من القرآن والأدلة من السنة والأدلة من فعل السلف وآثارهم وذكر الإجماع والأدلة العقلية والأدلة من الفطرة وهكذا .

فلو نظرنا مثلاً إلى كتاب الإيمان لأبي عبيد نجد أنه استوعب الأدلة أثناء الرد على

---

(١) الرد على بشر (١/ ٢٨٤) .

(٢) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٤٢٤).

(٣) الإيمان ص٤٠.

المخالفين في مسائل الإيمان وأثناء تقرير المذهب الحق في مسائله فنجده يذكر الأدلة من القرآن والسنة واللغة والواقع والعقل وغير ذلك [(١)] .

وانظر كذلك السنة لعبد الله بن الإمام أحمد نجد أن الكتاب الأصل يذكر فيه ما ورد في السنة ومع ذلك ينص بين ثنايا كتابه نقلاً عن أبيه وغيره من السلف استدلالهم للآيات في مواضع كثيرة من كتابه.

وقل مثله في بقية كتب السلف وقد مضى لذكر استدلالهم في المباحث السابقة فلا داعي هنا للإعادة.

٣-استيعابهم للأدلة في النوع الواحد:

استيعابهم للآيات الدالة على المسألة:

فهم - رحمهم الله - يستوعبون أفراد الأدلة في كل نوع، فنجدهم مثلاً يذكرون جميع الآيات الدالة مثلاً على إثبات صفة الكلام لله عز وجل مثل:

- ما فعل عبد الله في السنة حيث قال: "وجدت في كتاب أبي بخط يده ما يحتج به على الجهمية من القرآن ..." [(٢)] ، ثم سرد الآيات من أول المصحف إلى نهايته يستعرض ويذكر الآيات الدالة على إثبات صفة الكلام للرد بها على الجهمية حيث نقلها فيما يقارب في ثمان صفحات من القطع الكبير.

-وانظر كذلك الدارمي في رده على الجهمية حيث عقد باباً بعنوان : "باب استواء الرب تعالى على العرش وارتفاعه إلى السماء وبينونته من الخلق" [(٣)] ، ثم سرد الآيات الدالة على عنوان هذا الباب فيما يقارب خمس عشرة آية ثم سرد الأحاديث وبيان وجه الاستدلال منها[(٤)] .

---

(١) قال أبو عبيد في كتابه الإيمان ص٢٩: "فوجدنا تأويل القرآن، وآثار النبي ﷺ وما مضت عليه العلماء، وصحة النظر، كلها تصدق أهل السنة في الإيمان فيبقى القول الآخر فأي شيء يتبع بعد هذه الحجج الأربع" أ.هـ.

(٢) السنة لعبدالله (٢/ ٥١٢-٥٢٠) .

(٣) الرد على الجهمية ص٤٠ .

(٤) المصدر السابق ص٤٠-٤١ .

-وذكر في موضع آخر في "باب ذكر علم الله تبارك وتعالى" [١] الآيات الدالة على علم الله فيما يزيد على سبع عشرة آية مع ذكر وجه الاستدلال والاستنباط منها [٢]، هذا فيما يخص الآيات.

أما الأحاديث والآثار فكتبهم مستفيضة ولكن انظر على سبيل المثال :

-ما ذكره الإمام ابن أبي عاصم في مبحث الرؤية [٣]، والحوض [٤]، والشفاعة [٥] حيث ذكر كل ما ورد من الأحاديث والآثار في تلك الأبواب.

٤- إفرادهم مصنفاً مستقلاً في قضية معينة لاستيعاب كل ما ورد فيها:

وهذا نوع من أنواع الاستيعاب وطريقة من طرق التصنيف لجمع كل ما ورد في الباب فمثلاً هناك كتاب عن "العرش" خاصة ألفه محمد عثمان بن أبي شيبة وأورد فيه الآيات والأحاديث والآثار بل حتى الضعيف والمتروك من الأحاديث لكي يبرزه ويعرف من خلال سنده.

ومن الأمثلة أيضاً كتاب "السنة" لمحمد بن نصر المروزي حيث كان غرضه من التأليف بيان حجية السنة واستقلالها عن القرآن وأنها حجة لوحدها وبين حالها مع القرآن حيث تكون تارة مفسرة وتارة مبينة لما أجمل وتارة ناسخة وهكذا .

٥- إيرادهم للمتابعات والشواهد التي تزيد من صحة الحديث وتقويه:

إن من مظاهر الاستيعاب أنهم لا يقتصرون على نص حديث واحد بل يذكرون ويشيرون إلى شواهده الأخرى عن الرواة الآخرين من الصحابة ويذكرون طرق الحديث ومتابعاته ليستوعبوا كل ما ورد في الباب.

من ذلك مثلاً لما أورد الإمام محمد بن نصر في كتابه "تعظيم قدر الصلاة" حديث

---

(١) المصدر السابق ص١٣٠ .

(٢) المصدر السابق ص١٣٣-١٣٤ .

(٣) انظر السنة لابن أبي عاصم (١/ ٣٠٢-٣٣٩)، (١/ ٤٣١-٤٤٨) .

(٤) المصدر السابق (١/ ٤٧٣-٥٢١) .

(٥) المصدر السابق (١/ ٥٢٦-٥٩٤).

جبريل المشهور في الإيمان ذكر بعض طرقه ثم قال: "وقد روى جماعة من الرواة هذ الخبر عن ابن عمر أنه كان حاضراً للنبي ﷺ، حين جاءه جبريل وسأله عن هذه المسائ وأسقطوا ذكر عمر فيما بينه وبين النبي ﷺ وزادوا ونقصوا من متن الحديث وغير بعض ألفاظه..." [1] ثم سرد الروايات وألفاظها [2]، وهذا نوع من الاستيعاب.

وقد تقدم طرفاً من الأمثلة أثناء ذكر منهجهم في تكرار الأدلة وضربنا بعض الأمثلة من كتاب السنة لابن أبي عاصم فليرجع إليه.

فهدفهم من هذا الاستيعاب -زيادة على ذكر الطرق والمتابعات والشواهد لتقوية الحديث ونحو ذلك- بيان الألفاظ التي قد يوجد فيها زيادة حكم أو إشارة إلى فائدة ونحو ذلك من فوائد زيادة الألفاظ في الروايات.

٦- ذكرهم لأدلة كل قول بالتفصيل:

سواءً كان ذلك لخلاف بين أهل السنة في بعض المسائل التي يسوغ فيها الخلاف كمسألة "هل هناك فرق بين الإسلام والإيمان أم لا؟، ونحوها من المسائل وهذا هو الغالب أو ذكر أدلة المخالفين من الطوائف الأخرى.

ولهذا نجد أن الإمام محمد بن نصر أطال في عرض أدلة كل فريق حول مسألة الخلاف في الفرق بين الإسلام والإيمان وقد رجح أنه لا فرق وهو مذهب الإمام البخاري وجمع من السلف [3].

٧- استدلالهم بأدلة الخصوم (قلب الحجة عليهم):

من أعجب صور الاستيعاب للأدلة في الباب أنهم يضيفون إلى أدلتهم ما قد يستدل به مخالفهم من أهل البدع فيقلبون الحجة عليه ويكون هذا الدليل كالهدية منه لأهل السنة لتأييد الحق الذي معهم.

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٧٦).

(٢) انظر: تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٧٦-٣٩٢) حيث ذكره من طريق أبي هريرة وابن عمر وأنس ثم بعد ذلك قام بتفسير الحديث وشرحه.

(٣) انظر: تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٥٠٦ وما بعدها).

والأمثلة على هذا كثيرة:

المثال الأول: الإمام أحمد والدارمي في ردهما على الجهمية:

عقد الإمام أحمد في رده على الجهمية باباً بعنوان: "بيان ما تأولت الجهمية من قول الله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾[المجادلة : ٧] ..." (١) .

ثم ذكر حجة الجهمية بهذه الآية على نفي العلو فقال: "قالوا إن الله معنا وفينا، قلنا: الله جل ثناؤه يقول: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المجادلة : ٧].

ثم قال: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾يعني الله بعلمه ﴿وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ﴾ يعني بعلمه ﴿سَادِسُهُمْ﴾ ﴿وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ﴾ يعني بعلمه فيهم ﴿أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ يفتح الخبر بعلمه ويختم الخبر بعلمه" أ.هـ (٢) .

ويقول الإمام الدارمي بعبارة أوضح وأصرح: "قلنا هذه الآية لنا عليكم لا لكم، إنما يعني أنه حاضرٌ كلَّ نجوى ومع كل أحد من فوق العرش بعلمه لأن علمه بهم محيط وبصره فيهم نافذ لا يحجبه شيء عن علمه وبصره ولا يتوارون منه بشيء وهو بكماله فوق العرش بائن من خلقه ﴿فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾[طه : ٧] أقرب إلى أحدهم من فوق العرش من حبل الوريد قادر على أن يكون له ذلك، لأنه لا يبعد عنه شيء ولا تخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض فهو كذلك رابعهم وخامسهم وسادسهم ، لأنه معهم بنفسه في الأرض كما ادعيتم..." أ.هـ ثم ذكر حجة الإمام أحمد نفسها السابقة (٣) .

المثال الثاني: محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة :

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ص١٣٨.

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد ص١٣٨ .

(٣) الرد على الجهمية للدارمي ص٤٢-٤٣ .

من الحجج التي احتج بها المرجئة لتأييد بدعتهم بعض الأمثلة العقلية فنقل المروزي في تعظيم قدر الصلاة قولهم فقال: "وحكي عن بعض الأكابر من أستاذي المرجئة : النعمان بن ثابت وغيره انهم قالوا: المعرفة والإقرار باللسان كالدابة البلقاء لا يسمى بلقاء حتى يجتمع فيها اللونان السواد والبياض، فإذا انفرد أحوص لم يسم الدابة بلقاء، ولا يسمى كل واحد من اللونين على الانفراد بلقاء فإذا اجتمعا في الدابة سميا بلقاء فكذلك المعرفة والإقرار إذا انفرد كل واحد منهما لم يسميا إيماناً ولا يسمى الإنسان به مؤمناً." أ.هـ[(١)]. ثم عقب عليهم ورد على مثالهم فقال: "فيقال لهم: إن هذين المثلين اللذين ضربتوهما هما عليكم لا لكم لأن الدابة إذا انفردت بأحد اللونين لم تسم بلقاء أبداً ولا يسمى اللون بلقاء على حالٍ من الأحوال ما لم يجتمعا في الدابة، وأنتم قد تسمون المؤمن مؤمناً إذا اعتقد المعرفة والإيمان بالقلب وإن لم يقر بلسانه ، إذا كان أخرس، أوحيل بينه وبين الكلام ويسمون ذلك الفعل منه إيماناً ، وكذلك لو أقر بلسانه مرة ثم سكت عن الكلام فلم يتكلم أبداً لكان عندكم مؤمناً ، ولو أن الدابة البلقاء زال عنها البياض وبقي السواد وزال عنها السواد وبقي البياض لزال عنها اسم البلق فلم يسم بلقاء أبداً ولم يسم اللون الواحد إذا بقي بلقاء أبداً ... فقد بطل أن يكون الدابة مثلاً للمؤمن والبلق مثلاً للإيمان ..." أ.هـ[(٢)] .

فقد قلب الحجة عليهم – رحمه الله – وجعله مما يؤيد المعنى الحق .

المثال الثالث: الدارمي في رده على المريسي:

نقل الإمام الدارمي عن المريسي[(٣)] تأويله لصفة اليدين عن الله بأن قوله تعالى: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص : ٧٥] تأكيد للخلق؛ لا أنه خلقه بيده كقول الله: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾[البقرة : ١٩٦] .

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٧٩٨).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٧٩٨-٧٩٩) .

(٣) الرد على المريسي (١/ ٢٣٠).

قال الدارمي مبيناً أن هذه الحجة عليه لا له: "فيقال لهذا التائه الذي سلب الله عقله وأكثر جهله: نعم هو تأكيد لليدين كما قلنا لا تأكيد الخلق، كما أن قوله: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ تأكيد العدد لا تأكيد الصيام لأن العدد غير الصيام، ويد الله غير آدم، فأكد الله لآدم الفضيلة التي كرَّمه وشرفه بها، وآثره على جميع عباده إذ كل عباده خلقهم بغير مسيس بيد، وخلق آدم بمسيس [(١)] فهذه عليك لا لك، وقد أخذنا مالك من فيك محتجين بها عليك كالشاة التي تحمل حتفها بأظلافها " أ.هـ [(٢)] .

٨- ذكرهم للاحتمالات التي قد ترد على الأذهان من الشبهات:

لقد وصل استيعابهم إلى ذكر ما يمكن وما يحتمل أن يستدل به الخصم ثم يجيبون عليه وهذا يدل على شدة حرصهم على الدفاع عن الدين وعن هذه العقيدة الصافية النقية يقول الإمام أبي عبيد: "فإن قال لك قائل: فما هذه الأجزاء الثلاثة وسبعون؟ قيل له: لم تُسمَّ لنا مجموعة فنسميها ، غير أن العلم يحيط أنها من طاعة الله وتقول ، وإن لم تُذْكَر لنا في حديث واحد، ولو تفُقِدت الآثار لوُجدت متفرقة فيها ألا نسمع قوله في إماطة الأذى وقد جعله جزءاً من الإيمان [(٣)]؟ وكذلك قوله في حديث آخر: "الحياء شعبة من الإيمان" [(٤)] وفي الثالث: "الغيرة من الإيمان" [(٥)] وفي الرابع: "البذاذة من

---

(١) الأولى عدم ذكر المسيس والاقتصار على ما ورد في النص.

(٢) الرد على المريسي (١/ ٢٣٢).

(٣) الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة ولفظ البخاري مختصراً وجاء عند مسلم بلفظ : "الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان" .مسلم في الإيمان برقم (٣٥) . والبخاري في الإيمان ، باب أمور الإيمان برقم (٩) .

(٤) تقدم في الحديث السابق.

(٥) الحديث رواه ابن بطة في الإبانة (٢/ ٦٩٤)برقم (٩٢٥) (القسم الأول بتحقيق رضا نعسان).
وأورده الهيثمي في المجمع (٤/ ٣٢٧) وقال: "رواه البزار وفيه أبو مرحوم وثقه النسائي وغيره ضعفه ابن معين وبقية رجاله رجال الصحيح" .
وتعقبه الألباني وضعف هذا الحديث وذكر أن الهيثمي وهم في أبي مرحوم فوثق رجلاً غير أبي مرحوم الضعيف. انظر السلسلة الضعيفة برقم (١٨٠٨).

الإيمان" [(١)] وفي الخامس :"حسن العهد من الإيمان" [(٢)] ... الخ" أ.هـ [(٣)] .

٩- إدخالهم قضايا السلوك والأخلاق وبعض القضايا الفقهية ضمن أبواب الاعتقاد:

ومن صور الاستيعاب التي تدل على الشمولية في النظرة لهذا الدين عقائده ، وسلوكه ،ومعاملاته، أنهم يوردون الأدلة في السلوك والأخلاق والآداب وينوهون عليها.

وعلى سبيل المثال المزني في شرح السنة ذكر عدة مسائل في العبادات مثل قوله: "واقتصار الصلاة في الأسفار والاختيار فيه بين الصيام والإفطار إن شاء صام وإن شاء أفطر" [(٤)] .

وقال في موضع آخر: "فهذا شرح السنة تحريت كشفها وأوضحتها ضمن وفقه الله للقيام بها أبنته مع معونته له بالقيام على أداء فرائضه بالاحتياط في النجاسات وإسباغ الطهارة على الطاعات ... واجتناب المحارم والاحتراز من النميمة والكذب والغيبة ... والتحري في المكاسب والمطاعم والمحارم والمشارب والملابس ..." أ.هـ [(٥)] .

فهو – رحمه الله – جعل هذه بعد سرد العقيدة حتى لا يظن الظان أنه غير مطالب

---

(١) تقدم تخريجه والكلام عليه .

(٢) الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك (١/ ١٥-١٦) عن عائشة رضي الله عنها قالت: "جاءت عجوز إلى النبي ﷺ وهو عندي فقال لها رسول الله ﷺ: من أنت ؟ قالت: أنا جثامة المزنية، فقال: بل أنت حسّانة المزنية؛ كيف أنتم كيف حالكم كيف كنتم بعدنا ؟ قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، فلما خرجت قلت : يا رسول الله تقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: إنها كانت تأتينا زمن خديجة "وإن حسن العهد من الإيمان" .

وقال الحاكم : "هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد اتفقا على الاحتجاج برواته من أحاديث كثيرة وليس له علّة" أ.هـ وقد بوبه بلفظ البخاري في صحيحه في كتاب الأدب لغة(١٠/ ٤٤٩) باب رقم (٢٣).

وأخرجه ابن الأعرابي في معجم برقم (٧٧٤) والخطيب في الأسماء المبهمة ص٤٨ .والحديث صححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة برقم (٢١٦).

(٣) الإيمان لأبي عبيد ص١٧ .

(٤) شرح السنة للمزني ، ص٨٩ .

(٥) المصدر السابق ، ص٩٠-٩١ .

بهذه شرعاً بل ليثبت أن هذا كله دين من عند الله عز وجل .

وسيأتي مزيد بسط إن شاء الله وذكر أمثلة أكثر عند الباب الخاص بالرد على أهل البدع وأن أهل السنة جعلوا بعض الشعائر في العبادات مما نفارق فيه أهل البدع، وكذلك استدلوا ببعض المسائل الفقهية لإثبات بطلان قول المخالف ، وكل هذا يدل على سعة علمهم وفقههم رحمهم الله رحمة واسعة.

١٠ – استدلالهم بالوقائع والقصص لتأييد الحق الذي معهم:

ومن صور الاستيعاب أنهم يذكرون بعض الوقائع التي تشهد بصحة ما عندهم من الحق.

البخاري يورد قصة عن يهودي مع معطل:

فمن ذلك أن الإمام البخاري أورد قصة فيها يبين بطلان قول من يقول بخلق القرآن فقال: "ولقد اختصم يهودي ومسلم إلى بعض معطليهم ، فقضى باليمين على المسلم، فقال اليهودي حلِّفه بالخالق لا بالمخلوق، فإن هذا في القرآن، وزعمت أن القرآن مخلوق فحلّفه بالخالق فبهت الآخر وقال: قوما حتى انظر في أمركما وخسر هنالك المبطلون " أ.هـ [(١)] .

والبخاري في هذا الاستدلال لم يجعله فقط هو الحجة بل ذكر قبله وبعده من الآيات والأحاديث والآثار ما فيه الكفاية ولكن زيادة في إقامة الحجة وبيان وإظهار الحق الذي مع أهل السنة .

الدارمي يورد قصة عن بني إسرائيل :

ويشير أهل السنة أيضاً في بعض كلامهم إلى أن بعض أهل الديانات آمنوا بما جاء عن الله في حين لم يؤمن به أهل البدع كإيمان بني إسرائيل بالعلو فيما احتج به الدارمي على بشر أنه أورد أثراً عن قتادة قال: " قالت بنو إسرائيل : يا رب أنت في السماء ، ونحن في الأرض فكيف لنا أن نعرف رضاك وغضبك؟ قال: إذا رضيت عنكم

---

(١) خلق أفعال العباد ، ص٣٦ .

استعملت عليكم خياركم وإذا غضبت عليكم استعملت عليكم شراركم"أ.هـ. [١]

ثم قال الدارمي معقباً: "فهذا رسول الله ﷺ وصاحباه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وخيار أصحاب رسول الله والتابعين حتى بنوا إسرائيل كلهم قد قالوا بخلاف مذهبك في أن الله في كل مكان وهذا باب طويل والآثار فيه كثيرة ولكن يكفي العاقل ما ذكرنا من ذلك" أ.هـ [٢].

ويلاحظ هنا أن الإمام الدارمي قد جعل هذا الاستدلال في آخر الحجج لأنه قد أقام الحجة على المخالف بالآيات والأحاديث والآثار عن الصحابة والتابعين وجاء بهذا الأثر عن بني إسرائيل للاستئناس ولزيادة الحجة به.

وهذا يدل على سعة إطلاعهم وتبحرهم وسرعة استحضارهم للنصوص حتى الآثار التي عن بني إسرائيل وغيرهم.

١١-ذكر أقوال العرب القدماء أهل الجاهلية في إثبات بعض مسائل الاعتقاد والتي نفاها أهل البدع:

من صور الاستيعاب الواضحة :أن الأئمة إذا أرادوا إفحام الخصم ذكروا أن هذه القضية يقول بإثباتها العرب الكفار قبل الإسلام وبعد أن أسلموا ومن الأمثلة على هذا:

إثبات القدر :

ممن نفى القدر المعتزلة ، وردوا النصوص الصريحة الواضحة في هذا الأمر، وكان من ضمن ردودهم أنهم استشهدوا بشعر أهل الجاهلية ليبينوا لهم أن لغة العرب لا توافقهم ، ومن الأمثلة على هذا الاستيعاب :

ابن قتيبة في مختلف الحديث :

---

(١) الحديث أخرجه الدارمي في رده على بشر (١/ ٥٢٣) وفي الرد على الجهمية ص٥٩ وقد أورده الذهبي في العلو وقال: "هذا ثابت عن قتادة" وحسن إسناده الألباني: انظر: مختصر العلو ص١٣٠-١٣١ .

(٢) الرد على بشر المريسي للدارمي (١/ ٥٢٣-٥٢٤).

ذكر ابن قتيبة أن النظام رأس الاعتزال كذب ابن مسعود في القدر ، ثم شرع في الرد عليه ونقض حججه فكان مما قال :

"وكيف يكذب ابن مسعود في أمر توافقه العرب في الجاهلية والإسلام .

قال بعض الرُّجاز :

يا أيـها المضمر هماً لاتُهم   إنك إن تقدر لك الحمّى تُحَمْ

ولو علوت شاهقاً من العلم   كيف توقّيك وقد جف القلم

وقال آخر :

هي المقادير فلُمْني أو فذر   إن كنت أخطأت فما أخطأ القدر"أ.هـ[1]

ثم سرد أشعار العرب المسلمين .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :

"فإن العرب كانوا يثبتون القدر في الجاهلية وهو معروف عنهم في النظم والنثر ، ومع هذا فلما لم يكونوا يعبدون الله وحده لا شريك له بل عبدوا غيره كانوا مشركين شراً من اليهود والنصارى"أ.هـ.[2]

(١) تأويل مختلف الحديث ص٢٣.

(٢) رسالة في الإرادة والأمر ضمن مجموعة الرسائل الكبرى (١/ ٣٤٣-٣٤٤)ط.دار إحياء التراث العربي – بيروت .

المبحث الرابع

بيان دقة استنباط السلف وعمق فهمهم للنصوص

تمهيد: فضل علم السلف على علم الخلف.

قبل بدء الكلام على فقه السلف وعمق فهم السلف لابد أن نتحدث عن :**فضل علم السلف على علم الخلف.**

والذين حازوا قصب السبق في سعة العلم والدرجة العليا في الفقه والفهم ،هم : **صحابة رسول الله ﷺ** الذين تلقوا العلم عن رسول الله ﷺمباشرة من غير واسطة ، وكانوا أعلم الناس بلغة العرب ؛بل الناس تأخذ وتتعلم منهم اللغة التي يفهمون بها نصوص الكتاب والسنة .

والتابعون وتابعوهم- من السلف المتقدمين- كانوا أعرف الناس بسعة علمهم وفهمهم ، فهذا **الإمام الأوزاعي** يقول:" **العلم ما جاء به أصحاب محمد ﷺ فما كان غير ذلك فليس بعلم** "أ.هـ.(١)

بل السلف رحمهم الله كانوا يوصون بأخذ العلم الموروث عن صحابة رسول الله ومن فاته علمهم فاته خير كثير .

قال ابن مسعود: " لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من أصحاب رسول الله ﷺ ومن أكابرهم ، فإذا جاءهم العلم من قبل أصاغرهم فذلك حين هلكوا "أ.هـ.(٢)

وهذا ابن مسعود ﷺ يصف لنا خير الناس بعد رسول الله ﷺ وهم صحابة رسول الله مبيناً سبب علو كعبهم على غيرهم فيقول : " من كان منكم متأسياً فليتأس بأصحاب محمد ﷺ ،فإنهم كانوا أبر هذه الأمة قلوباً ، وأعمقها علماً ، وأقلها تكلفاً ، وأقومها هدياً ، وأحسنها حالاً ، قوماً اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم ، فإنهم كانوا على الهدي المستقيم " أ.هـ.(٣)

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١/ ٧٦٩)برقم (١٤٢١)،(١٠٦٧)وإسناده صحيح.

(٢) أخرجه ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٦١٦-٦١٧) برقم (١٠٥٧) إلى (١٠٦٠) ، وإسناده صحيح.

(٣) أخرجه :ابن عبدالبر في جامع بيان العلم(٢/ ٩٤٧)برقم (١٨١٠).وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٠٥-٣٠٦).وقد روي معناه عن الحسن البصري .

قال الحافظ ابن رجب –معلقاً –على هذا الأثر :" وفي هذا إشارة إلى أن من بعدهم أقل علوماً وأكثر تكلفاً " أ.هـ.[١]

ومن صور عمق فهمهم وعلوهم على من أتى بعدهم: **قلة كلامهم ،وكثرة عملهم**

وقد ظن بعض الجهلة أن المتأخرين لهم مزية على المتقدمين بكثرة مصنفاتهم وكلامهم وشروحاتهم ، وما علم هذا المسكين أن أولئك لم يسكتوا عن قلة علم ولكن سكتوا عن علم وخشية .[٢]

يقول الحافظ ابن رجب :" وقد فتن كثير من المتأخرين بهذا ، وظنوا أن من كثر كلامه وجداله وخصامه في مسائل الدين فهو أعلم ممن ليس كذلك ، وهذا جهل محض ، وانظر إلى أكابر الصحابة وعلمائهم كأبي بكر ، وعمر ، وعلي، ومعاذ، وابن مسعود ، وزيد بن ثابت كيف كانوا ؟،كلامهم أقل من كلام ابن عباس وهم أعلم منه ، وكذلك كلام التابعين أكثر من كلام الصحابة ؛والصحابة أعلم منهم ،وكذلك تابعوا التابعين كلامهم أكثر من كلام التابعين ، والتابعون أعلم منهم ، **فليس العلم بكثرة الرواية ولا بكثرة المقال ، ولكنه نور يقذف في القلب يفهم به العبد الحق ، ويميز بينه وبين الباطل ، ويعبر عن ذلك بعبارات وجيزة محصلة للمقاصد....**"أ.هـ[٣]

فالحاصل أن السلف الأوائل من الصحابة والتابعين وتابعيهم كانوا أعلم ممن أتى بعدهم وإن كان كلامهم أقل لكثرة عبادتهم وخشيتهم وخوفهم من الله .

وهذا ابن عباس يصفهم بوصف دقيق عظيم يبين منزلتهم وسبب قلة كلامهم بكلام عظيم يدل على علوهم رضي الله عنهم ومخاطباً قوماً يتمارون فيقول :" أما علمتم أن لله عباداً أسكتتهم خشية الله من غير عي ولا بكم ، وإنهم لهم العلماء والفصحاء والطلقاء والنبلاء ، العلماء بأيام الله ، غير أنهم إذا تذكروا عظمة الله طاشت لذلك

---

(١) فضل علم السلف على علم الخلف لابي رجب ص٦٦ بتحقيق محمد ناصر العجمي ط.دار البشائر.ط.الأولى ١٤١٦هـ.

(٢) المصدر السابق ص٦٠-٦١.

(٣) المصدر السابق ص٦٢-٦٣.

عقولهم وانكسرت قلوبهم وانقطعت ألسنتهم حتى إذا استفاقوا من ذلك تسارعوا إلى الله بالأعمال الزاكية ، يعدون أنفسهم من المفرطين ، وإنهم لأكياس أقوياء مع الظالمين والخاطئين ، وإنهم لأبرار برآء ، إلا أنهم لا يستكثرون له الكثير ، ولا يرضون له بالقليل ، ولا يدلون عليه بالأعمال ، هم حيث لقيتهم مهتمون مشفقون وجلون خائفون " أ.هـ[1]

يقول الحافظ ابن رجب :" **فمن عرف قدر السلف عرف أن سكوتهم عما سكتوا عنه من ضروب الكلام وكثرة الجدال والخصام ، والزيادة في البيان على مقدار الحاجة لم يكن عياً ولا جهلاً ولا قصوراً ،وإنما كان ورعاً وخشيةً لله واشتغالاً عما لا ينفع بما ينفع** .... فمن سلك سبيلهم فقد اهتدى ، ومن سلك غير سبيلهم ودخل في كثرة السؤال والبحث والجدال ، والقيل والقال فإن اعترف لهم بالفضل وعلى نفسه بالنقص كان حاله قريباً ،وقد قال إياس بن معاوية [2] :" ما من أحدٍ لا يعرف عيب نفسه إلا أحمق ، قيل له : فما عيبك ؟ قال : كثرة الكلام "أ.هـ.[3]

وإن ادعى لنفسه الفضل ولمن سبقه النقص والجهل فقد ضل ضلالاً مبيناً وخسر خسراناً عظيماً..."أ.هـ باختصار.[4]

الأوجه التي يظهر من خلالها عمق فهم السلف:

١-من خلال تعليقهم على الأدلة الشرعية:

لقد ظهر علم السلف، وعمق فهمهم للنصوص الشرعية بجلاء من خلال تعليقاتهم على النصوص الشرعية، وذلك لبيان وجه الاستنباط من الدليل لتقرير مسألة

---

(١) الأثر أخرجه :ابن المبارك في الزهد ص٦٢٥ برقم (١٤٩٥).وأبو نعيم في الحلية (١/ ٣٢٥).

(٢) إياس بن معاوية أبو وثلة البصري : القاضي الذي كان يضرب به المثل في الذكاء والدهاء ، روى عن أنس وابن المسيب وسعيد بن جبير ، وعنه شعبه وحماد بن سلمة وغيرهما ، كانت وفاته سنة إحدى وعشرين ومائة . انظر: السير (٥/ ١٥٥)، حلية الأولياء (٣/ ١٢٣).

(٣) أخرجه أبو نعيم بسندٍ لابأس به في الحلية (٣/ ١٢٤).

(٤) فضل علم السلف باختصار ص ٨٧-٨٨.

أو الرد على شبهة، أو إزالة إشكال قد يتوهم في النص الشرعي أو إزالة تعارض متوهم به النص الشرعي والأدلة الأخرى على اختلاف أنواعها ، وقد تقدم ذكر بعض هذه التعليقات لتعلقها بمباحث أخرى، ولعلنا هنا نذكر بعض الأمثلة التي تبين وتظهر دقة استنباطهم وعمق فهمهم للنصوص الشرعية وهي كالتالي:

المثال الأول: "العمل من الإيمان":

تنوعت طرائق الاستدلال عند السلف لإثبات مسألة دخول الأعمال في مسمى الإيمان ويتجلى فيه عمق فهمهم أثناء استنباطهم من الآيات والأحاديث ، وبين أيدينا مثال وهو ما قرره الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه الإيمان، حيث استدل بقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة : ٣] .

والناظر في هذا الدليل لأول وهلة يستبعد أن يكون فيه ما يدل على ما ذكرنا من دخول الأعمال في مسمى الإيمان .

فقال الإمام أبو عبيد معلقاً وموضحاً وجه الاستنباط:

"فلو كان الإيمان كاملاً بالإقرار، ورسول الله ﷺ بمكة في أول النبوة كما يقول هؤلاء ما كان للكمال معنى، وكيف يكمل شيئاً قد استوعبه وأتى على آخره" أ.هـ [(١)] .

المثال الثاني: "بيان وجه الاستنباط من حديث وفد عبد القيس" :

ولعل مما استدل به أهل السنة لإثبات نفس القضية وهي دخول الأعمال في مسمى الإيمان استدلالهم **بحديث وفد عبد القيس** ومما جاء فيه: "هل تدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا : الله ورسوله أعلم قال: شهادة أن لا إله إلا الله ، و إقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وأن تعطوا من الغنائم الخمس..." [(٢)] الحديث.

---

(١) الإيمان، ص١٦ .

(٢) الحديث في البخاري في الإيمان –باب أداء الخمس من الإيمان برقم(٥٣) وانظر كذلك رقم (٨٧)، (٥٢٣)، (١٣٩٨)، (٣٠٩٥)، (٣٥١٠)، (٤٣٦٨)، (٤٣٦٩)، (٦١٧٦)، (٧٢٦٦)، (٧٥٥٦). ومسلم في الإيمان برقم (١٧)، (١٨).

قال الإمام محمد بن نصر المروزي معلقاً ومبيناً وجه الاستدلال به:

"قالوا : فهذا رسول رب العالمين، الذي جاء بالإيمان، ودعا إليه سأله الوفد عن أمرٍ يدخلهم الجنة وينجيهم من النار، فأمرهم بالإيمان بالله، **ثم قال لهم مخافة أن يحملوا ذلك على غير وجهه:** "أتدرون ما الإيمان بالله ؟ " ثم فسَّره لهم فجعله توحيده، والإقرار برسوله، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة، وإيتاء الخمس من الغنائم، **فهذا مما يبين لك : أن الإيمان بالله إنما هو توحيده وعبادته"** أ.هـ [1] .

المثال الثالث: "بيان وجه كفر من قال بخلق القرآن":

من الفتن التي مرت بالأمة الإسلامية فتنة القول بخلق القرآن ، وقد أثار المعتزلة الشبهات حول هذه القضية وتصدى لها السلف بالرد والإبطال لها وأظهروا براعة وقوة في الاستدلال وعمقاً في الفهم ودقة في الاستنباط من النصوص الشرعية.

-استنباط الإمام أحمد:

ولعلي أسوق **كلام الإمام أحمد ينقله لنا عبد الله ابنه في كتاب السنة** ؛حيث استدل الإمام أحمد بقوله تعالى : ﴿ **فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ** ﴾[آل عمران: ٦١] ، والقرآن من علم الله وهو صفة من صفاته ومن قال بخلقها فقد كفر، وهذا هو الفقه، والعمق في الفهم مما يدل على فقه الإمام أحمد بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

قال عبدالله في السنة: "سمعت أبي – رحمه الله – يقول: من قال القرآن مخلوق فهو عندنا كافر لأن القرآن من علم الله عز وجل قال الله عز وجل :﴿ **فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ** ﴾ [آل عمران: ٦١]...إلى أن قال:﴿ **أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾[الأعراف : ٥٤]. قال أبي – رحمه الله - : **والخلق غير الأمر**"أ.هـ[2] .

-استنباط الإمام الدارمي :

بل إن السلف – رحمهم الله – قد ذكروا أدلة غير ما ذكره الإمام أحمد، **فهذا الإمام**

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٤٠١).

(٢) السنة لعبدالله (١/ ١٠٣).

الدارمي في الرد على الجهمية عقد باباً بعنوان : **"باب الاحتجاج في إكفار الجهمية"** واستدل لذلك من الكتاب، والأثر عن الصحابة ، وبما يفهم من الأدلة ، ومواقف الصحابة رضي الله عنهم .

فأمّا من الكتاب:

استدل بإخبار الله عن مشركي قريش أنهم كذبوا بالقرآن وأنهم زعموا أنه مخلوق حيث قال الوليد بن المغيرة: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر : ٢٥] .

وقال بعضهم : ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ﴾[الفرقان : ٤] ، و﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [النمل : ٦٨]

لأن كل إفكٍ ،وتقوّلٍ، وسحر، واختلاق ،وقول البشر، كله لا شك في شيءٍ منه أنه مخلوق **فاتفق قول جهم وكفار قريش فهذا الكتاب ينطق بتكفيرهم**[1] .

فهذا هو الفقه وعمق الفهم ودقة الاستنباط وقوة الاستدلال ، وهذا يدل على أن مواقفهم وأحكامهم التي يصدرونها ليست كما يظن أنهم يتناقلونها فيما بينهم من غير فهم أو فقه أو استدلال لهذا الحكم بشيء من الأدلة ؛بل ما ذكرنا يدل على أنهم ما قالوا وما أصدروا من حكم بتكفير مثل الجهمية إلا بعد أن وجدوا النصوص الشرعية تدل على ذلك.

وأما من الأثر:

الذي يدل على تكفيرهم هو ما فعله علي بن أبي طالب ﷺ لما بلغه عن قوم من الزنادقة الذين زعموا أنه إلهٌ من دون الله فحرقهم بالنار فأنكر عليه ابن عباس ﷺ وقال:" أما أنا فلو كنت لقتلتهم لقول رسول الله ﷺ "من بدَّل دينه فاقتلوه" ولما حرَّقتهم لنهي رسول الله ﷺ : **"لا تعذبوا بعذاب الله"**[2] .

---

(١) انظر: الرد على الجهمية للدارمي (١٩٨-١٩٩).

(٢) الأثر أخرجه : البخاري في كتاب الجهاد والسير –باب لايعذب بعذاب الله برقم (٣٠١٧) وهو كذلك في الصحيح برقم (٦٩٢٢).

قال الإمام الدارمي معلقاً :

"فمضت السنة من عليٍّ وابن عباس – رضي الله عنهما – في قتل الزنادقة لأنها كفرٌ عندهما، وأنهم عندهما ممن بدَّل دين الله وتأولا في ذلك قول رسول الله ﷺ ، ولا يجب على رجل قتل في قولٍ يقوله حتى يكون قوله ذلك كفراً، ولا يجب فيها دون الكفر قتل إلا عقوبة فقط ،**فذاك الكتاب في إكفارهم، وهذا الأثر**" أ.هـ [(١)] .

ثم ذكر أدلة أخرى تبين تكذيبهم بنص القرآن وهذا أيضاً مما يكفرهم به أهل السنة [(٢)]

المثال الرابع: "حول إثبات علو الله على خلقه":

تنوعت طرائق السلف في الاستدلال على علو الله على خلقه وكثرت أدلتهم ولكن لعلي أذكر هنا مثالاً يبين عمق استنباطهم وفهمهم وقوتهم في الاستدلال فمن ذلك استدلالهم بقوله تعالى: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾[الأعراف : ٤٠] .

استنباط الإمام الدارمي :

يقول الدارمي مبيناً وجه الاستدلال به، وأن فيه: "دلالة ظاهر أن الله عز وجل فوق السماء، لأن أبواب السماء إنما تُفَتَّح لأرواح المؤمنين ، ولرفع أعمالهم إلى الله عز وجل منها، ولما سوى ذلك مما يشاء الله تعالى، فإذا كان كل من الميت والعامل بنفسه في الأرض، فإلى من يُعرج بأرواحهم وأعمالهم؟ ولم تُفتَّح أبواب السماء لقوم وتُغلَّق عن آخرين إذا كان الله بزعمهم في الأرض، وما منزلة قول الله عز وجل عندهم إذا: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأعراف : ٤٠] ..." أ.هـ [(٣)] .

المثال الخامس: "إثبات صفة الكلام":

وأيضاً هذه المسألة أكثر السلف من الاستدلال بها لأن هذه الفتنة عظم شرَّها وكثرت الشبهات حولها في عصرهم، ولهذا تنوعت أدلتهم واستنباطاتهم ولعلي أسوق

---

(١) الرد على الجهمية ص٢٠٠.

(٢) انظر: الرد على الجهمية (٢٠٠-٢٠٧).

(٣) الرد على الجهمية (٦٩-٧٠) .

لك وجهاً من استنباطاتهم التي تدل على عمق فهمهم وسعة علمهم بكتاب الله فمن ذلك:

استدلالهم بقصة العجل الذي عبده بنو اسرائيل :

أن الله لما وبَّخ قوم موسى في عبادتهم للعجل ذكر أنه فقد بعض الصفات التي يعاب بها ،ولا يصلح أن يكون إلهاً ومن هذه الصفات: **أن العجل غير متكلم** .

ولا يمكن أن يعيب على العجل أمراً موجوداً فيه سبحانه فقال: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا﴾[الأعراف :١٤٨] ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ [طه : ٤٩] .

استدلالهم بقصة إبراهيم وعيبه على الأصنام التي يعبدها قومه :

واستدلوا كذلك لإثبات صفة الكلام بما ذكر الله من عيب إبراهيم عليه السلام على قومه عبادة الأصنام ،وذكر من أبرز عيوبها :**أنها لا تتكلم فكيف يعيب عليها أمراً وهو موجود في الله الذي يدعوهم إلى إفراده بالعبادة .**

قال تعالى عن إبراهيم قوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُوا۟ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء : ٦٢-٦٧] ....."[1] .

٢- الاستنباط من مجمل النصوص والخروج بقواعد كلية:

إن مما ظهر وبرز فيه عمق فهم السلف ودقة استنباطهم هو الاستنباط من مجمل النصوص الشرعية والخروج بقاعدة كلية من مجموع هذا الاستنباط مما يستطيعوا أن يقيموا به الحجة على خصومهم حيث استدلوا بقاعدة شرعية تشهد لها النصوص الشرعية وليس نصاً واحداً فقط وإليك بعض الأمثلة:

أ- قاعدة : "إطلاق لفظ الكفر على المعاصي لا تثبت على أهلها الكفر ولا الشرك الأكبر ولا تزيل عن صاحبها الإيمان":

---

(١) انظر: استدلال أهل السنة بهذين الدليلين في السنة لعبدالله (١/ ٥١٢) برقم (١٢٠٢)، والرد على الجهمية للدارمي (١٥٦-١٥٧).

قرر أهل السنة والجماعة من خلال جمعهم للنصوص الواردة حول إطلاق لفظ "الكفر" أو "الشرك" على بعض المعاصي وأثبتوا بالدليل من خلال الاستقراء للنصوص الشرعية أن المراد ليس الشرك الأكبر ولا الكفر الأكبر بل المقصود أنها من أخلاق وسنن الكفار، وليس كما زعم الخوارج أنه كافر كفراً أكبر.

قال الإمام أبو عبيد في الإيمان: "وأما الآثار المرويات بذكر الكفر والشرك و وجوبهما بالمعاصي فإن معناها عندنا ليست تثبت على أهلها كفراً ولا شركاً يزيلان الإيمان عن صاحبه، إنما وجوهها أنها من الأخلاق والسنن التي عليها الكفار والمشركون وقد وجدنا لهذين النوعين من الدلائل في الكتاب والسنة ..." أ.هـ[(١)].

وقال في موضع آخر: "فليس لهذه الأبواب عندنا وجوه إلا أنها أخلاق المشركين وتسميتهم وسننهم وألفاظهم وأحكامهم ونحو ذلك من أمورهم" أ.هـ[(٢)].

وقد تقدم بسط الكلام في غير هذا الموضع.

ب- أن الخلق غير الأمر والكلام من أمر الله فهو غير مخلوق :

وهذه القاعدة تستخلص من مجموع نصوص الكتاب والسنة:

قال سفيان بن عيينة : "قد بيَّن الله الخلق في الأمر بقوله : ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ [الأعراف :٥٤] ، فالخلق بأمره كقوله : ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾[الروم :٤] ، وكقوله : ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[يس :٨٢] وكقوله: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾[الروم :٥٢] ولم يقل بخلقه" أ.هـ[(٣)].

ومن خلال هذا النص من هذا الإمام يتبين لنا صحة القاعدة التي أقام بها أهل السنة الحجة على خصومهم من الجهمية والمعتزلة القائلين بخلق القرآن.

---

(١) الإيمان، ص٤٣ .

(٢) الإيمان، ص٤٤-٤٥ .

(٣) خلق أفعال العباد للبخاري ص٣٨ برقم (١٣).

ج- الفرق بين التلاوة والمتلو، واللفظ والملفوظ والقراءة والمقروء:

فالتلاوة فعل العبد وهو مخلوق والمتلو كلام الله غير مخلوق، وهذا الذي قرره السلف لإزالة الشبهة والالتباس الحاصل حول مسألة اللفظ التي استغلها الجهمية لنشر باطلهم.

فذكروا هذه القاعدة واستدلوا لها ليبينوا صحتها وأن الأدلة الشرعية دلّت عليها فمنها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾[الأعراف: ٢٠٤] وقال: ﴿وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ﴾[الكهف: ٢٧]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾[فاطر: ٢٩] وقال: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾[العنكبوت: ٤٨] وقال: ﴿يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾[البقرة: ١٢١]، وقال: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤]، وقال: ﴿يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ﴾[آل عمران: ١١٣]، وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].

قال الإمام البخاري مقرراً هذه القضية أحسن تقرير: "فبين أن التلاوة من النبي ﷺ وأصحابه وأن الوحي من الرب، ومنه قول عائشة - رضي الله عنها -: "ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يتلى" فبينت - رضي الله عنها - أن الإنزال من الله وأن الناس يتلونه" أ.هـ [1].

د- تمييز الله بين من كلمَّ من خلقه في الدنيا وفي الآخرة وبين من لم يكلم من أعظم الأدلة على إثبات الصفة له وإبطال تأويل أهل البدع لها [2]:

أما في الدنيا فقال الله عز وجل: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾[البقرة: ٢٥٣] فميزّ بين من اختصه بكلامه ومن لم يلكمه والله سمى موسى ممَّن كلمه فقال: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[النساء:

(١) خلق أفعال العباد، ص٨٥-٨٦.
(٢) انظرك الرد على الجهمية للدارمي (١٨٢-١٨٣).

١٦٤]فإذا لم يكلمه حقيقة فما وجه تفضيله وذكره هذه الخاصية والميزة له حتى يخصه بها إذا لم يكن كلمه .

وأمّا في الآخرة قال جل وعلا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾[آل عمران : ٧٧] ففيه دلالة على أن هناك قوماً سوف يثيبهم ويكرمهم بالكلام وهؤلاء عاقبهم بأنه لا يكلمهم يوم القيامة.

وجاء في الحديث: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة" (١) .

وهذا الذي قرره الأئمة مستنبط من مجموع النصوص مما يدل على فقههم وعمق ودقة استنباطهم – رحمهم الله – .

هـ- قاعدة ذكرها الإمام أحمد فقال:"اعلم أن الشيئين إذا اجتمعا في اسم يجمعهما فكان أحدهما أعلى من الآخر ثم جرى عليهما اسم مدح فكان أعلاهما أولى بالمدح وأغلب وإن جرى عليه اسم ذم فأدناهما أولى به "أ.هـ (٢)

وقد قرر الإمام هذه القاعدة عند رده على شبهة من الشبهات التي أثارها أهل البدع القائلين بخلق القرآن وملخص الشبهة مايلي : " أن الله نسب القول إلى الناس وهو مخلوق ولم يصرح بأنه مخلوق ونسب القول إليه ولم يصرح بأنه مخلوق ولا غيره فلا حجة لمن قال إن الله نص على أن القرآن كلامه ولم يقل مخلوق لأن الله لما ذكر كلام المخلوقين لم ينص على أنه مخلوق فلا حجة لكم يا أهل السنة في هذه الآيات المصرحة بأن القرآن كلام الله ". (٣)

وقد صدر الإمام أحمد رده بهذه القاعدة ومثل لها بمثال فقال : " ومن ذلك قول الله تعالى في كتابه : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[الحج : ٦٥] وقوله: ﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ

(١) الحديث أخرجه مسلم في الإيمان برقم (١٠٦) ، وتتمة الحديث نصه: "ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولا ينظر إليهم ولهم عذاب أليم" قال: قلت من هم؟ خابوا وخسروا قال فأعادها ثلاثاً فقلت منهم؟ خابوا وخسروا قال: "المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب أو الفاجر" .

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة ص١٢٠ .

(٣) انظر: الرد على الجهمية للإمام أحمد ص١١٨-١١٩ .

بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾[الإنسان : ٦] يعني الأبرار دون الفجار فإذا اجتمعوا في اسم الإنسان واسم العباد فالمعنى في قول الله جل ثناؤه: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾[الإنسان :٦] يعني الأبرار دون الفجار ،لقوله إذا انفرد الأبرار: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ﴾[الانفطار :١٣] ،وإذا انفرد الفجار: ﴿وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾[الانفطار : ١٤].

وقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾﴿الحج : ٦٥﴾فالمؤمن أولى به وإن اجتمعا في اسم الناس، لأن المؤمن إذا انفرد أعطي المدحة لقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾﴿الحج : ٦٥﴾ و﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾[الأحزاب : ٤٣]...."أ.هـ.(١)

ومن خلال هذا المثال يظهر لنا عمق فهم الإمام أحمد للنصوص ودقة استنباطه وعلو منزلته في العلم وأنه بحق يستحق لقب إمام أهل السنة الجماعة .

و-قاعدة :إذا سمى الله الشيء الواحد باسمين أوأكثر فهو مرسل غير منفصل ، وإذا سمى شيئين مختلفين لايدعهما مرسلين حتى يفصل بينهما:

قال الإمام أحمد مقرراً هذه القاعدة ليبين معنى قوله تعالى : ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾﴿الأعراف : ٥٤﴾ ويثبت أنه من أقوى الأدلة على التفريق بين الخلق والأمر- الذي هو كلامه- فقال : "وذلك أن الله جل ثناه إذا سمي الشيء الواحد باسمين أو ثلاثة أسامي فهو مرسل غير منفصل ، وإذا سمي شيئين مختلفين لا يدعهما مرسلين حتى يفصل بينهما من ذلك قوله :

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا﴾[يوسف : ٧٨]،فهذا شيء واحد سماه بثلاثة أسامي وهو مرسل ، ولم يقل إن له أباً وشيخاً كبيراً ، وقال : ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ﴾[التحريم : ٥]،ثم قال: ﴿ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا﴾، فلما كانت البكر غير الثيب ، لم يدعه مرسلاً حتى فصل بينهما فذلك قوله وأبكار ، وقال : ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ﴾[فاطر :١٩] ثم قال : ﴿وَٱلْبَصِيرُ﴾ فلما كان البصير غير الأعمى فصل بينهما ، ثم قال : ﴿ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا

(١) الرد على الجهمية للإمام أحمد ص١٢٠-١٢١.

ٱلْحَرُورُ﴾[فاطر : ٢١]،فلما كان كل واحد من هذا غير الشيء الآخر فصل بينهما، ثم قال :﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر : ٢٤]،فهذا كله شيء واحد فهو مرسل ليس بمفصل ، فلذلك إذا قال الله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾[الأعراف : ٥٤]،لأن الخلق غير الأمر فهو منفصل"أ.هـ[١] .

٣- عنايتهم بالأصول الكبرى في الاعتقاد:

إن مما ميز السلف رحمهم الله وبين فقههم ذكرهم للأصول الكبرى التي يجب العناية بها وأن السبب الأعظم لانحراف أهل البدع تقصيرهم وعدم عنايتهم بهذه الأصول مثل:

أ- البعد عن الجدل والخصومات في الدين:

ولهذا مثلاً نجد أن الإمام أحمد في **رسالته للمتوكل**[٢] ، الذي نصر السنة ، وقمع أهل البدع يذكره الإمام أحمد بهذا الأصل ويشكره لأنه عمل على إحياء هذا الأمر وهو البعد عن الجدل والخصومات في الدين واستدل لذلك بالنصوص والآثار فقال - رحمه الله - : "قد كتبت إليك بالذي سأل عنه أمير المؤمنين بأمر القرآن بما نصرني وإني أسأل الله أن يديم توفيق أمير المؤمنين فقد كان الناس في حوضٍ من الباطل ، واختلاف شديد يغتمون فيه حتى أفضت الخلافة إلى أمير المؤمنين ... (إلى أن قال): وذكر عبد الله بن عمرو:" أن نفراً كانوا جلوساً بباب النبي ﷺ فقال بعضهم : ألم يقل الله كذا، وقال بعضهم ، ألم يقل الله كذا، قال فسمع ذلك رسول الله ﷺ فخرج فكأنما فُقِيء في وجهه حبُّ الرمَّان فقال: " أبهذا أُمرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض، إنما ضلَّت الأمم قبلكم في مثل هذا ، إنكم لستم مما هاهنا في شيء انظروا الذي أمرتم به فاعملوا به، وانظروا الذي نهيتم عنه فانتهوا عنه" أ.هـ[٣] .

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة للامام أحمد ص١١٢-١١٣.

(٢) ٤٨-٤٩ ، تحقيق الأخ علي الشبل .

(٣) الحديث بهذا اللقط عند أحمد (٢/ ١٩٥-١٩٦) .وبنحوه عند ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٨٩) برقم

فالإمام أحمد قدَّم بهذه المقدمة قبل الحديث عن مسألة إثبات أن القرآن غير مخلوق ليبين هذا الأصل وهو أن الجدل والخصومات في أصول الدين والقرآن بغير علم هي سبب الانحراف .

ب- التمسك بالسنة والأثر ولزوم الجماعة:

وهذا أصل اعتنى به أهل السنة علماً وعملاً وتذكيراً في مصنفاتهم وقد تقدم الحديث عنه أثناء ذكر اعتمادهم على نصوص الكتاب والسنة وأنه ظهر من خلال الأبواب التي عقدوها لأجل هذه القضية ومن خلال منهجهم العملي في مصنفاتهم ، وغيرها من الأصول التي تقدمت الإشارة إليها في أبواب سابقة.

٤-ربطهم القضايا الفقهية بالقضايا العقدية:

وهذه كثيرة في مصنفاتهم ، وهو يدل على سعة علمهم حيث استطاعوا توظيف الأحكام الفقهية في التدليل بها على القضايا العقدية وإبراز منهجهم في عدم تفريقهم بين ما يسمى عند أهل البدع بالأصول والفروع بل كل ما جاء عن الله وعن رسوله دين يدينون الله به.

وقد تنوعت أغراضهم في إيرادهم لبعض المسائل الفقهية ضمن كتب الاعتقاد ويمكن أن نجملها فيما يلي:

أ- ذكرهم لبعض المسائل التي يتأثر الحكم فيها بناءً على صحة الاعتقاد أو فساده:

يذكر أهل السنة بعض الأحكام الفقهية والتي ينبني فيها الحكم بناءً على المذهب العقدي فأهل السنة مثلاً يوردون حكم تارك الصلاة والصيام والحج وقد يكفرون تارك بعضها ليثبتوا أن من ترك العمل فهو كافر بخلاف قول المرجئة الذين يقولون إن ترك جنس العمل لا يؤثر في الإيمان .

فانظر مثلاً: قول الحميدي في رسالة في السنة لما بين مخالفة أهل السنة للخوارج

=(٤١٥). وعند أحمد (٢/ ١٧٨) ، والبغوي في شرح السنة (١/ ٢٦٠). وحسن إسناده الألباني في تخريج للسنة لابن أبي عاصم برقم (٤٠٦).

الذين يكفرون مرتكب الكبيرة .

فقال: "فأمَّا ثلاث منها فلا يناظر تاركه: من لم يشهد ولم يصل ولم يصم لأنه لا يؤخر شيء من هذا عن وقته ولا يجزي من قضاه بعد تفريطه عامداً عن وقته فأمّا الزكاة فمتى ما أداها أجزأت عنه، وكان آثماً في الحبس، وأمَّا الحج فمن وجب عليه، ووجد السبيل إليه وجب عليه ..." أ.هـ[1].

ب- ذكرهم لبعض المسائل الفقهية التي يخالف فيها أهل السنة أهل البدع:

وهذه تذكر لبيان تميز أهل السنة عن غيرهم من أهل البدع وإليك بعض المسائل:

مسألة المسح على الخفين:

قال المروزي في كتابه السنة: "وقد أنكر طوائف من أهل الأهواء والبدع من الخوارج والروافض المسح على الخفين، وزعموا أن ذلك خلاف لكتاب الله ومن أنكر ذلك لزمه إنكار جميع ما ذكرنا من السنن وغير ذلك مما لم نذكر ، وذلك خروج من جماعة أهل الإسلام" أ.هـ[2] .

وجاء في الرسالة في اعتقاد سفيان الثوري: "يا شعيب بن حرب لا ينفعك ما كتبت لك حتى المسح على الخفين دون خلعها أعدل عندك من غسل قدميك"أ.هـ[3].

وجاء في اعتقاد سهل التستري: "ولا يترك المسح على الخفين" أ.هـ[4] .

مسألة الرجم للزاني المحصن:

وهذه المسألة ذكرها أهل السنة لأن بعض أهل البدع الذين لا يحتجون بالسنة أسقطوا حد الرجم على الزاني المحصن لأنه لم يذكر في كتاب الله -وهم الخوارج -.

قال محمد بن نصر مبيناً ومشيراً إلى أهل السنة في صنيعهم هذا : "وإنما ذكروا

---

(١) أصول السنة للحميدي ص٤٣-٤٤ ت. مشعل محمد الحداري، وانظر قول أبي حاتم في عقيدة كما في شرح السنة للالكائي (١٨٧١).

(٢) السنة لمحمد بن نصر المروزي ص١٠٤ .

(٣) شرح أصول أهل السنة للالكائي (١/ ١٥٢) .

(٤) المصدر السابق (١/ ١٨٣) .

الرجم الذي ليس له في كتاب الله ذكر، لينتشر ذكره في الناس ، ويشيع في العامة ، فيعلموا أنه سنة من رسول الله ﷺ فلا يمكنهم إنكاره على أنه قد أنكره ناس من أهل الأهواء والبدع"أ.هـ [(١)] .

وقال الإمام أحمد: "والرجم حق على من زنا وقد أحصن إذا اعترف أو قامت عليه بينة وقد رجم رسول الله ﷺ ، وقد رجمت الأئمة الراشدون..."أ.هـ [(٢)] .

وقال ابن المديني: "والرجم على من زنا وهو محصن إذا اعترض بذلك وقامت عليه البينة ، رجم رسول الله ﷺ ورجم الأئمة الراشدون من بعده" أ.هـ [(٣)] .

ج- ذكرهم لبعض المسائل الفقهية ليستدل على مسألة من مسائل الاعتقاد:

وقد يذكر أهل السنة المسألة الفقهية ليستدلوا بالحكم فيها على مسألة عقدية فمثلاً يستدل البخاري على مسألة أن اللفظ وأعمال العباد غير مخلوقة ليفرق فيها بين القرآن وبين أعمال العباد لكي يرد على الذي ادعوا أن أعمال العباد غير مخلوقة فقد ذكر - رحمه الله – عدد من المسائل منها:

مسألة بيع المصحف :

أخرج البخاري بسنده عن الشعبي قوله: في بيع المصاحف : " إنه لا يبيع كتاب الله وإنما يبيع عمل يديه" [(٤)] .

وأخرج بسنده أيضاً عن عبيد الله بن سليمان سألت سعيد بن المسيب عن كتابة

---

(١) السنة لابن نصر ص٩٨ .

(٢) اللالكائي (١/ ١٦٢) .

(٣) المصدر السابق (١/ ١٦٩).

وذكر الإمام البخاري فتوى لجهم تبين فيها جهله بكتاب الله قال في خلق أفعال العباد ص١٦ ما نصه: "ولقد سئل جهم عن رجل طلّق امرأته قبل أن يدخل بها فقال: عليها العدة، فخالف كتاب الله بجهله، وقال الله سبحانه : ﴿فما لكم عليهن من عدةٍ تعتدونها﴾ الأحزاب [٤٩]أ.هـ.

(٤) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص٧٧ . وأخرجه بمعناه كل من عبدالرزاق (٨/ ١١٣) وابن أبي شيبة (٧/ ٢٩٣)برقم (٢٠٢٢٢) في مصنفيهما وهو صحيح.

المصحف فقال: "ولا بأس قد كان فتى ابن عباس يكتبها بالمائة" أ.هـ (١) .

وهو في هذا يريد أن يستدل بهذا على الفرق بين كلام الله وهو القرآن المتلو وبين فعل العبد.

مسألة دخول الكنيف وفي يده الخاتم الذي فيه اسم الله :

قال البخاري: "باب ما نقش النبي ﷺ في خاتمه من كتاب الله تعالى وما يدخل به الحاجة" ثم قال: "وفي الخواتيم والدراهم البيض ذكر الله جل ذكره " وقال عطاء: في الخاتم فيه ذكر الله – عز وجل – يدخل الإنسان الكنيف أو يلم بأهله وهو بيده لا بأس به" (٢) .

ثم بين وجه إيراده لمثل هذه المسائل بقوله عقبها:"ولا نشك في قراءة الكفار وأهل الكتاب أنها أعمالهم، وأمَّا المقروء فهو كلام الله العزيز المنان ليس بمخلوق ... وليس لأحد أن يحلف بالخواتيم والدراهم البيض وألواح الصبيان التي يكتبونها ثم يمحونها مرة بعد مرة، وأن حلف فلا يمين عليه لقول الله عز وجل ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا﴾[البقرة : ٢٢] ..." أ.هـ (٣) بتصرف.

د- ذكرهم لبعض المسائل التي تظهر تمسكهم بالسنة وعملهم بها ورد:

قد يوردون بعض المسائل التي دل الدليل عليها ، وقد لا يعمل بها بعض أهل البدع لجهلهم أو عدم موافقتها لأهواءهم ، ولعل من أبرز القضايا أخذهم ببعض الرخص الشرعية كالفطر وقصر الصلاة في السفر.

قال المزني في شرح السنة: "وإقصار الصلاة في الأسفار والاختيار فيه بين الصيام والإفطار في الأسفار إن شاء صام وإن شاء أفطر" أ.هـ (٤) .

---

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص٧٨، وإسناده صحيح.كماذكره محقق الكتاب.

(٢) خلق أفعال العباد ص١٥٥ .

(٣) خلق أفعال العباد (١٥٨ – ١٥٩) .

(٤) شرح السنة للمزني ص٨٩ .

٥- الاستدلال بالدليل الواحد على أكثر من مسألة:

لعل الذي يقرأ في كتب السلف يلاحظ إدخال بعض الأدلة في غير مواضعها المتبادر منها وذلك لأنهم يستنبطون منها استنباطاً قد لا يظهر لأول وهلة فيستدلون به في أكثر من موضع ، وقد تقدم ذكر طرفٍ من هذا في مبحث تكرار الأدلة .

فمثلاً الإمام البخاري أورد الحديث في ذم الخوارج في كتابه خلق أفعال العباد ولعل القارئ يقول لماذا؟

نقول: أورده لأنه يدل على أن أفعال العباد مخلوقة.

فقد أورد البخاري الحديث في ذم الخوارج: "يقرأ القرآن رجال يمرقون من الدين لا يجاوز حلوقهم هم شر الخلق والخليقة" (١) .

وقد قدم هذا بتعليق يفيد ما ذكرنا حيث قال: "وذكر النبي ﷺ قراءة المنافقين والفجار فبين ما يتأكلون بقراءتهم فلا يرتابن أحد في خلق المنافقين وأصحاب الجحيم وأعمالهم" أ.هـ (٢) .

فالحديث دخل في باب خلق أفعال العباد باستنباط غير ظاهر لأول وهلة والظاهر أنه يدخل في باب ذكر الخوارج وما ورد فيهم.

بل أورده البخاري كذلك في موضع من خلق أفعال العباد لإثبات أن قراءة القرآن عمل من الأعمال .

فقد قال: "وقال النبي ﷺ :"يخرج قوم يحقرون أعمالكم مع أعمالهم يقرأون القرآن" فبين أن قراءة القرآن هي العمل" أ.هـ (٣) .

٦- انتقاؤهم للروايات الصريحة في المراد والدافعة لحجج أهل البدع:

إن من أعظم ما يبرر عمق فهم السلف ودقة فهمهم أنهم ينتقون الروايات التي

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه في استتابة المرتدين ، باب من ترك قتال الخوارج برقم (٦٩٣٣) وفي خلق أفعال العباد ص٥٣ برقم (١٦٦) وأخرجه مسلم في الزكاة برقم (١٠٦٤).

(٢) خلق أفعال العباد ص١٩٣ .

(٣) المصدر السابق ص٥٣ .

تكون صريحة في الدلالة على المسألة، أو التي لا يستطيع الخصم الرد عليها لصراحتها ووضوحها وإليك بعض الأمثلة:

انتقاؤهم للأحاديث التي لا يستطيع أهل البدع في باب القدر ردها:

أ- أخرج ابن أبي عاصم الحديث عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ : "إني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنةٍ بعامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم ، فيستبيح بيضتهم ؛ وإن ربي عز وجل قال لي : يا محمد إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد ، وإني أعطيك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، وبعضهم يسبي بعضاً" أ.هـ [(١)] .

ثم علَّق عقبه بقوله: "وسمعت حامداً – وكان ممن ينسب إلى معرفة بالكلام والفقه، قال: **ما على أهل القدر حديث أشد من هذا** ؛ لأن الله تعالى منعه الثالثة لأن من إرادة الله أن يهلك بعضهم بعضاً ، ويسبي بعضهم بعضاً وأعلمه أنه قضى ذلك، وأنه كائن" أ.هـ [(٢)] .

ب – أخرج ابن أبي عاصم بسنده الحديث الطويل في فتنة الرجال ، ثم **علق** عليه وقال: "سمعت عبيد الله بن معاذ بن معاد العنبري يقول: **ليس على أهل القدر حديث أشد من حديث الدجال**، وأحسبه ذكره عن بعض المتقدمين يقول: لأن الله تعالى أراد ذلك وشاءه ولو لم يرده ويشاءه لم يكن خلقه ، ولو شاء لم يخلقه، ثم أمر الأسباب التي أرادها الله فأجابته وسخرها له، ولو لم يرد ذلك ما كانت ، وغير جائز أن يكون الله تعالى خلق خلقاً، فيريد ذلك الخلق أمراً والله غير مريدٍ له، ولا شاءه؛ فيكون ما أراد ذلك الخلق الضعيف في هيئة المعدوم بعد وجوده لدى الله المشيء له والمعدم له" أ.هـ [(٣)]

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٠٨) برقم (٢٩٤). ومسلم في الفتن برقم (٢٨٨٩).

(٢) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٢١١) .

(٣) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٢٨١-٢٨٢) باب رقم (٨٥) ح (٤٠٠) .

انتقاؤهم واقتصارهم في إيراد الرواية المصرحة برؤية الله (عياناً) في باب الرؤية:

لأن هذه اللفظة صريحة في الرؤية البصرية والتي لا تكون إلا رؤية عين لما جاء في الرواية بلفظ(**عياناً**) .

ولا يمكن تأويلها بالعلم أو زيادة انكشاف ونحوها فها نحن نجد أن الإمام الدارمي في رده على الجهمية [1] لما أورد الأحاديث في باب الرؤية اختار الرواية التي جاءت بلفظ "**عياناً**" دون غيرها من الروايات ، ومثله صنيع عبد الله في السنة" [2] .

وهذا يدل على دقة وعمق فهمهم رحمهم الله.

٧-بيانهم لمآلات البدع المحدثة وحقيقة أمرها :

والتي قد تخفى على عامة الناس بل حتى بعض المنتسبين للعلم ، ولهذا نجد أن السلف نبهوا وبينوا في مواضع من كتبهم على حقيقة ما يؤول إليه كلام أهل البدع وما هي النهاية التي يريدون أن يصلوا إليها .

وفي هذا دلالة على دقة فقههم وعمق فهمهم ، وأنهم كانوا على يقظة ودراية تامة بأساليب أعداء الدين الذين يرومون هدمه بمثل هذه الوسائل الخفية .

ولعل من أبرز من كان له دراية بحقيقة مذاهب أهل البدع هو إمام أهل السنة والجماعة حقاً وصدقاً الإمام أحمد الذي حفظ الله به عقيدة المسلمين في عصره إلى يومنا هذا .

قال الإمام أحمد يفضح ويبين حقيقة قول المعطلة : "قد عرف المسلمون أنكم لا تؤمنون بشيء إنما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرونه "أ.هـ [3]

ثم قال أيضاً :" فإذا سمع الجاهل قولهم يظن أنهم من أشد الناس تعظيماً لله ، ولا يعلم أنهم إنما يعود قولهم إلى ضلالة وكفر ، ولا يشعر أنهم لا يقولون قولهم إلا فرية في

---

(١) الرد على الجهمية للدارمي ص١٠٣ .

(٢) السنة لعبدالله (١/ ٢٣٠) برقم (٤١٥) ونجد أنه جعل هذه الرواية في بداية الباب الخاص بالرؤية واختار لفظ الشاهد لبين أنه أخرج شيء في الباب وانظر ما تقدم في مبحث التكرار.

(٣) الرد على الجهمية والزنادقة ص١٠٦ .

الله "أ.هـ[(١)]

-**قال شيخ الإسلام معلقاً على كلام الإمام أحمد :**

"وهذا الذي ذكره الإمام أحمد أصل قول هؤلاء النفاة الجهمية وسر مذهبهم ، وكلما كان الرجل أعقل وأعرف ، وأعلم وأفضل ، وأخبر بحقيقة الأمر في نفسه ، وبقول هؤلاء النفاة أزداد في ذلك بصيرة وإيماناً ، ويقيناً وعرفاناً " أ.هـ[(٢)]

والسلف رحمهم الله بينوا مآلات البدع وأنها طريق الزندقة أداءً منهم للأمانة التي حملهم الله إياها ، وحتى يحذر الناس من شرها وشركها .[(٣)]

-**الإمام الهروي يبين أن السلف كانوا على بصر بحقيقة مذاهب أهل البدع وما تؤدي إليه من الإلحاد والزندقة :**

"...**فأما الطائفة التي قالت بالقدر** ؛ فأرادت منازعته في الربوبية أو وقعت فيها ؛ فضاهت المجوسية الأولى وهم الزنادقة التي كانت تشوش على الأولين دينهم لعنهم الله .....

وأما الذين قالوا في السلف الصالح بالقول السيء فأرادت القدح في الناقل ؛ لأن القدح في الناقل إبطال للمنقول ، فأرادوا إبطال الشرع الذي نقلوا ...

وأما الذين قالوا بإنكار الكلام لله عز وجل فأرادوا إبطال الكل لأن الله تعالى إذا لم يكن -على زعمهم الكاذب -متكلماً بطل الوحي وارتفع الأمر والنهي ، وذهبت الملة عن أن تكون سمعية ....وهذا قول عثمان بن سعيد أن جهماً إنما بنى زندقته على نفي الكلام لله عز وجل .."أ.هـ باختصار.[(٤)]

ومن خلال نقل كلام هذا الإمام يتبين لنا معرفتهم التامة بمآلات وأصول البدع وما تؤدي إليه ، وكلامه واضح بين لا يحتاج إلى تعليق .

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ص١٠٦.

(٢) درء التعارض (٥/ ١٨٢).

(٣) انظر : بيان تلبيس الجهمية (١/ ١٥٠-١٥١).

(٤) ذم الكلام للهروي المطبوع (٥/ ١٢٣-١٢٧)باختصار، وانظر : بيان تلبيس الجهمية (١/ ٢٧٨-٢٧٩).

-يقول شيخ الإسلام مؤكداً هذا المعنى :

"وكان أهل العلم والإيمان قد عرفوا باطن زندقتهم ونفاقهم (يعني الجهمية) ، وأن المقصود بقولهم (أن القرآن مخلوق): أن الله لا يكلم ولا يتكلم ، ولا قال ولا يقول ، وبهذا تتعطل سائر الصفات من العلم والسمع والبصر ، وسائر ما جاءت به الكتب الإلهية.

وفيه أيضاً قدح في نفس الرسالة فإن الرسل إنما جاءت بتبليغ كلام الله ، فإذا قدح في أن الله يتكلم كان ذلك قدحاً في رسالة المرسلين ، **فعلموا (يعني السلف) أن في باطن ما جاءوا به قدح عظيم في كثير من أصلي الإسلام : شهادة أن لا إله إلا الله ، وشهادة أن محمداً رسول الله ..**"أ.هـ[1]

-أقوال علماء السلف في بيان حقيقة البدع ومآلاتها :

١-عبد الله بن المبارك :

- قال :" ليس تعبد الجهمية شيئاً"أ.هـ[2]

٢-عبد الله بن إدريس [3]:

سأله رجل فقال له :" يا أبا محمد إن قبلنا ناساً يقولون إن القرآن مخلوق، فقال: أمن اليهود ؟ قال: لا ، قال: أمن النصارى ؟ قال: لا ، قال فمن المجوس ؟ قال: لا ، قال فممن ؟ قال: من أهل التوحيد، قال: ليس هؤلاء من أهل التوحيد، هؤلاء زنادقة، من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن الله عز وجل مخلوق، يقول الله : ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم**﴾ فالله لا يكون مخلوقاً، والرحمن لا يكون مخلوقاً، **وهذا أصل الزنادقة،**

(١) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٨١).

(٢) أخرجه عبدالله في السنة (١/ ١٠٩)برقم (١٧).

(٣) هو :عبدالله بن إدريس أبو محمد الأودي الكوفي روى عن الأعمش وشعبة حدث عنه مالك وابن المبارك وغيرهما ، قال عنه أبو حاتم :"هو إمام من أئمة المسلمين حجة "أ.هـ ، وقال عنه الإمام أحمد :"كان ابن إدريس نسيج وحده "أ.هـ ،وقال ابن حبان :" كان صلباً في السنة "أ.هـ.كانت وفاته سنة اثنتين وتسعين ومائة .أنظر :التهذيب (٥/ ١٢٦) ، تاريخ بغداد (٩/ ٤١٥)،الجرح والتعديل(٥/ ٨).

من قال هذا فعليه لعنة الله ، لا تجالسوهم ولا تناكحوهم "أ.هـ[١]

وهذا يدل على فقهه وحسن طريقته في بيان حقيقة قول نفاة صفة الكلام عن ا
وأنها تؤدي إلى نفي وجود الله ، وهو قول الملاحدة والزنادقة.

٣-وكيع بن الجراح :

ونقل الإمام البخاري عن ابن عيينة قوله في وكيع :"**فأتيت وكيعاً فوجدته** ن **أعلمهم به** .."أ.هـ[٢]

٤- حماد بن زيد :

قال عن الجهمية : " إنما يحاولون أن يقولوا : ليس في السماء شيء"أ.هـ[٣]

تعليق شيخ الإسلام على بعض هذه النقول :

للسلف كلام كثير ولعل ما ذكرنا للتمثيل فقط .

قال شيخ الإسلام بعد أن ساق مجموعةً من أقوالهم :

"ومثل هذا كثير في كلام السلف والأئمة ، كانوا يردون ماأظهرته الجهمية من نفي الرؤية وخلق القرآن ، ويذكرون ما تبطنه الجهمية مماهو أعظم من ذلك :**أن الله ليس على العرش ، ويجعلون هذا منتهى قولهم ، وأن ذلك تعطيل للصانع ، وجحود للخالق** ..."أ.هـ[٤]

وهذا يدل على فقه هذا الإمام وإلمامه بأحوال السلف وفقههم رحمه الله الجميع [٥].

٨-دقة عباراتهم في مصنفاتهم :

لقد ظهر عمق فهم السلف من خلال دقة ألفاظهم ، ولا يطلع على هذا الأمر إلا

---

(١) أخرجه عبدالله في السنة (١/ ١١٣-١١٤)برقم (٢٩أ). والبخاري في خلق أفعال العباد ص١٣ برقم (٥). والآجري في الشريعة (١/ ٤٩٧)برقم (١٦١).واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٢٥٦)برقم (٤٣٢).وأورده الذهبي في العلو وصححه الألباني كما في مختصر العلو ص١٥٨.

(٢) خلق أفعال العبادص ٢٨.

(٣) أخرجه عبدالله في السنة (١/ ١١٧-١١٨)برقم (٤١).

(٤) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٨٤).

(٥) سيأتي مزيد بسط في الفصل الرابع من هذا الباب -مبحث اطلاعهم ومعرفتهم بشبهات الخصوم.

من كان عالماً بحالهم ، وله عناية بأقوالهم ، وحاز من العلم مراتب عاليه .

ولقد أشار إلى هذا الجانب شيخ الإسلام ابن تيمية في تعليقه على بعض كلام للسلف كالإمام أحمد في كتابه العظيم (الرد على الجهمية والزنادقة).

- عبارة الإمام أحمد :

قال –رحمه الله –في معرض رده على كلام الجهمية :

"....وقلنا :هو شيء .

فقالوا: هو شيء لا كالأشياء .

فقلنا:إن الشيء الذي لا كالأشياء قد عرف أهل العقل ، أنه لا شيء .

فعند ذلك **تبين للناس أنهم لا يؤمنون بشيء** ، ولكن يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون من العلانية .

فإذا قيل لهم : فمن تعبدون ؟

قالوا: نعبد من يدبر أمر هذا الخلق .

فقلنا:هذا الذي يدبر أمر هذا الخلق هو مجهول لا يعرف بصفة .

قالوا: نعم .

فقلنا : **قد عرف المسلمون أنكم لا تؤمنون بشيء** ، إنما تدفعون عن أنفسكم الشنعة بما تظهرونه ..."أ.هـ(١)

-بيان دقة عباراته في هذا النقل :

ومن خلال هذا النقل عن الإمام أحمد يتبين لنا دقة عباراته رحمه الله وإليك البيان عنها :

وذلك أنه عبر– عمن يظهر لهم فساد قول أهل البدع –تارةً بلفظ **(الناس)** ، وتارة بلفظ **(المسلمون)**.

وهذا لم يكن اتفاقاً بل قصداً منه رحمه الله وهو يدل على فقهه وسعة علمه وظهر

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ص١٠٥-١٠٦.

هذا في دقة عباراته، والتي تدل على إمامته وجلالته.

فقصده حينما عبر بلفظ (الناس): أن وصفكم إياه بأنه (لا كالأشياء) وصف بالسلب المحض، وهذا يتفق العقلاء من البشر مسلمهم وكافرهم أنه هو العدم، فعبر بلفظ الناس لأن ظهور هذا الفساد لا يختص بالمسلمين.

وحينما عبر بلفظ (المسلمون): لأنه تكلم في كونه معبوداً، ولهذا صدر سؤاله بقوله **(فمن تعبدون؟)** فهو خطاب موجه للمسلمين الذين يتعبدون الله.

-تعليق شيخ الإسلام على هذه العبارات الدقيقة من الإمام أحمد:

قال شيخ الإسلام -معلقاً على هذه العبارة- ما نصه:

"فقال أحمد في هذا الموضع: "قد عرف المسلمون"، وقال هناك: "قد عرف الناس "لأنه هنا تكلم في كونه موجوداً، **فلما وصفوه بالسلب المحض أخبر أن أهل العقل يعلمون أن الموصوف بالسلب المحض هو العدم.**

فعرف الناس أنهم لا يثبتون شيئاً.

وهنا لما سألهم: من يعبدون؟ فأخبروا أنهم يعبدون مدبر الخلق، وقالوا: إنه مجهول لا يعرف بصفة، عرف المسلمون أنهم لا يعبدون شيئاً، **لأن العبادة أصلها قصد المعبود وإرادته**، والقصد والإرادة مستلزمة للعلم بالمراد المقصود.

فما يكون مجهولاً لا يعرف بصفة يمتنع أن يكون مقصوداً، فيمتنع أن يكون معبوداً، **والعبادة هي أمر ديني أمر الله بها رسوله، وهي أصل دين المسلمين**.."أ.هـ(١)

٩-معرفتهم بحقيقة فساد أقوال أهل البدع:

وإن كان هذا الكلام لا يعرفه كل أحد من الناس لأنهم يزخرفون القول فيظن غير الخبير بأقوالهم بأن كلامهم حق ولا عيب.

وهنا نسوق مثالاً يصور فقه إمام أهل السنة في زمانه، وذلك حينما بين بطلان عبارة قالها الجهم بن صفوان، وأنها تؤدي إلى نفي الصفات عن الله.

---

(١) درء التعارض (٥/ ١٨١).

قال الإمام أحمد :"**فقلنا : هو شيء ؟ فقالوا : هو شيء لا كالأشياء** "أ.هـ[(١)]

ومن قرأ جوابهم ظن أنه حق ،ولكن الإمام أحمد بين حقيقة هذا القول وأنه فاسد ويراد من ورائه نفي الصفات ؛فقال لهم :

"فقلنا : إن الشيء الذي لا كالأشياء ، قد عرف أهل العقل أنه لا شيء فعند ذلك تبين للناس أنهم لا يأمنون بشيء"أ.هـ[(٢)]

فبين الإمام أن قولهم يؤدي إلى نفي وجود الله بالكلية فضلاً عن نفيهم للصفات .

قال شيخ الإسلام :"فهذا الذي وصفه الإمام أحمد وغيره من علماء السلف من كلام الجهمية ، هو كلام من وافقهم من القرامطة الباطنية ، والمتفلسفة المتبعين لأرسطو كابن سينا وأمثاله ، ممن يقول إنه الوجود المطلق أو المقيد بالقيود السلبية ونحو ذلك ، وهو حقيقة كلام القائلين بوحدة الوجود ، ولهذا ذكر عنهم أنهم سلبوه كل ما يتميز به موجود عن موجود ، فسلبوه الصفات الأفعال وسائر ما يختص بموجود.

ولما قالوا : (**هو شيء لا كالأشياء) علم الأئمة مقصودهم** ، فإن الموجودين لابد أن يتفقا في مسمى الوجود، والشيئين لابد أن يتفقا في مسمى الشيء ، فإذا لم يكن هناك قد اتفقا فيه أصلا لزم أن لا يكونا جميعاً موجودين ، وهذا مما يعرف بالعقل .

ولهذا قال الإمام أحمد(فقلنا إن الشيء الذي لا كالأشياء قد عرف أهل العقل أنه لاشيء) فبين أن هذا مما يعرف بالعقل ، وهذا مما يعلم بصريح المعقولات.."أ.هـ[(٣)]

وهذا كله يبين لنا عمق فهم السلف وعمق فهمهم .

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ص١٠٥

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة ص١٠٥ .

(٣) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ١٧٨).

المبحث الخامس

منهجهم في إيراد الآثار

تمهيد :

تقدم الحديث عن المراد بـ"الأثر" وذكرنا أن الغالب في الإطلاق أن يكون ما أثر عن الصحابة ومن أتى بعدهم ، وإن كان الغالب هو ما ورد عن الصحابة خاصة وعلى هذا فسوف يكون الحديث حول منهج السلف في إيراد الآثار ، وقبل أن ندخل إلى صُلْبِ الموضوع فلنا عدة وقفات :

الوقفة الأولى:

أن نقل أقوال السلف ومواقفهم والاهتمام بها ، وجعلهم قدوات يحتذى بهم من خلال تدوين هذه النقول والمواقف تكمن في عدة أمور:

أ – كونهم عاصروا التنزيل أو عاصروا من عاصر التنزيل فهم أقرب مكاناً وزماناً ممن جاء بعدهم .

ب – كونهم أكثر عِلماً وأعمق فهماً من غيرهم فإن جاز تقليد أحد فتقليدهم أولى من غيرهم.

ج – أنهم حملة هذا الدين إلينا ونقلته والقدح فيهم والتزهيد فيما ينقلونه ؛ قدح فيهم وفي الدين الذي نقلوه إلينا .

د – كونهم أبر الأمة وأكثرها إيماناً وتقىً وورعاً وأمانةً فالاعتماد على نقولهم والثقة به أولى من نقول غيرهم.

هـ – أن بعض نصوص الشرع لا يتسنَّى فقه معناها والغوص في أعماقها إلا من خلال الاستنارة والاستضاءة بأقوالهم لما سبق ذكره .

الوقفة الثانية:

ومما يؤكد ما ذكرنا أن السلف رحمهم الله قد قرروا هذا المنهج واقعاً عملياً؛ فهذا عمر بن عبد العزيز يقرر هذا المنهج للأمة في عصره :

يقول الأوزاعي : "كتب عمر بن عبد العزيز – رحمه الله – أنه لا رأي لأحدٍ في كتاب الله، وإنما رأي الأئمة فيما لم ينزل فيه كتابٌ ولم تمض به سُنَّةٌ من رسول الله ﷺ ،

ولا رأي لأحدٍ في سُنَّةٍ سنها رسول الله ﷺ " أ.هـ [(١)].

وجاء عن ابن المبارك أنه كان يقول: "ليكن الأمر الذي تعتمدون عليه هذا الأثر وخذوا من الرأي ما يفسر لكم الحديث" أ.هـ [(٢)].

وقال أيضاً : "إنما الدين الآثار" أ.هـ [(٣)].

وفي هذا الصدد يبين لنا الإمام الدارمي أثناء رده على المريسي هذا الأمر بوضوح فيقول: "فإن كان لا يجوز في دعوى المريسي أن يقتدي الرجل بمن مثله من الفقهاء ، فما موضع الاتباع الذي قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾ ﴿التوبة : ١٠٠﴾ ، وما يصنع بآثار الصحابة والتابعين بعدهم، بعد أن لا يسع الرجل استعماله شيءٌ منها إلا ما استنبطه بقوله في خلاف الأثر ؟ إذا بطلت الآثار وذهبت الأخبار، وحرم طلب العلم على أهله ولزم الناس المعقول، من كفر المريسي وأصحابه والمستحيلات من تفاسيرهم ، فقد عرضنا كلامهم على الكتاب والسنة فأخطأوا في أكثرها ولم يصيبوا السنة " أ. هـ [(٤)].

الوقفة الثالثة:

أن فهم النصوص الشرعية وفقهها متوقف- في الأعم الأغلب- على فهم السلف، فإن عدم إيراد الآثار وعدم روايتها بحجة أنها ليست نصاً من كتاب أو سنة فيه تضييع لعلم كثير، وفيه اتخاذ لسبيل غير سبيل المؤمنين .

---

(١) أخرجه: الدارمي في سننه في المقدمة ، باب ما يتقي من تفسير حديث النبي ﷺ برقم (٤٤٦) ، تحقيق حسين سليم أسد وصحح إسناد الرواية. و ابن بطة في الإبانة (١/ ٢٦٣) برقم (١٠٠) مختصراً ، طبعة رضا نعسان. والآجري في الشريعة (١/ ٤٢٣) برقم (١٠٧) مختصراً ، وحسن إسناده المحقق . وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٧٨١) برقم (١٤٥٦) وحسن إسناده المحقق.

(٢) أخرجه:ابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٧٨٢) برقم (١٤٥٧) وصحح إسناد الرواية المحقق. وكذلك أبو نعيم في الحلية (٨/ ١٦٥).

(٣) أخرجه: ابن عبدالبر في جامع بيان العلم (١/ ٧٨٢) برقم (١٤٥٨) وصحح إسنادها المحقق . و كذلك أبو نعيم في الحلية (٧/ ٥٧) .

(٤) الرد على المريسي (٢/ ٦٦٨).

يقول الإمام الدارمي: "وقد علمتم – إن شاء الله – أنه لا يستدرك سنن رسول الله ﷺ وأصحابه وأحكامهم وقضاياهم إلا بهذه الآثار والأسانيد على ما فيها من الاختلاف ، وهي السبب إلى ذلك ، والنهج الذي درج عليه المسلمون وكانت إمامهم في دينهم بعد كتاب الله عز وجل، منها يقتبسون العلم ، وبها يقضون ، وبها يقيمون، وعليها يعتمدون، وبها يتزينون، يرثها الأول منهم الآخر، ويبلغها الشاهد منهم الغائب احتجاجاتها واحتساباً في أدائها إلى من لم يسمعها يسمُّونها السنن والآثار والفقه والعلم ، ويضربون في طلبها شرق الأرض وغربها يُحلُّون بها حلال الله، ويحرمون بها حرامه، ويميزون بها بين الحق والباطل، والسنن والبدع، ويستدلون بها على تفسير القرآن ومعانيه وأحكامه ويوفون بها ضلالة من ضل عن الهدى، فمن رغب عنها فإنما يرغب عن آثار السلف وهديهم ويريد مخالفتهم ليتخذ دينه هواه وليتأول كتاب الله برأيه خلاف ما عنى الله به ... ممن لم يقبلها فإنه يريد أن يتبع غير سبيل المؤمنين قوال الله تعالى: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[النساء : ١١٥] "أ.هـ(١).

ومن خلال كلام هذا الإمام نخرج بالآتي:

أ – أن الاعتماد على آثار السلف في العلم والاستنباط هو منهج درج عليه علماء المسلمين.

ب- كانوا يطلقون على الآثار السنن والفقه والعلم.

ج – كانوا يرحلون في طلبها وجمعها كالسنن عن رسول الله ﷺ.

د – يعتمدون عليها في فتاويهم وأحكامهم في الحلال والحرام.

هـ – يستعينون بها للتمييز بين الحق والباطل والسنة والبدعة عند اشتباه الأمور عليهم.

و- بها يفسرون القرآن ويعرفون معاينة وأحكامه .

---

(١) الرد على الجهمية للدارمي ص١٢٦ – ١٢٧ .بتصرف واختصار.

ز – بها يعرفون ضلال من ضل من أهل البدع وسبب ذلك ووجه الضلال الذي ضلوا فيه.

ي – أن من لم يقبل آثار السلف فهو ممن تعرض للوعيد الذي جاء فيمن يتبع غير سبيل المؤمنين.

ويقول ابن القيم رحمه الله :

"ولذلك كان الصحابة أعلم الأمة على الإطلاق وبينهم وبين من بعدهم في العلم واليقين كما بينهم وبينهم في الفضل والدين .**ولهذا كان ما فهمه الصحابة من القرآن أولى أن يصار إليه مما فهمه من بعدهم** فانضاف حسن قصدهم إلى حسن فهمهم فلم يختلفوا في التأويل في باب معرفة الله وصفاته وأسمائه وأفعاله واليوم الآخر ولا يحفظ عنهم في ذلك خلاف لا مشهور و لا شاذ ، فلما حدث بعد انقضاء عصرهم من ساء فهمه وساء قصده وقعوا في أنواع من التأويل بحسب سوء الفهم وفساد القصد وقد يجتمعان وقد ينفردان ...."أ.هـ.(١)

الوقفة الرابعة:

إن عدم الاعتداد بآثار السلف وعدم روايتها وأخذ العلم منها هو منهج أهل البدع ولا غرابة في ذلك لأنهم أصلاً يجهلون ما ورد عن النبي ﷺ فما ورد عن غيره فمن باب أولى وقد بين ذلك الأئمة في غير موضع (٢) .

الوقفة الخامسة :

أن السلف مع عنايتهم بالآثار لم يجعلوها في منزلة النص من الكتاب والسنة ولم يدعوا أن من خالف أثراً من الآثار في مسألة فيها نص شرعي أنه مبتدع أو نحو ذلك ولهذا كان من حجج أهل البدع الذين تفكروا للآثار ولم يرفعوا بها رأساً أن قالوا أنها

---

(١) الصواعق المرسلة (٢/ ٥٠٩).

(٢) انظر: الرد على بشر المريسي للدارمي (١/ ٥٥٦-٥٥٧)، (١/ ٥٩١)، (٢/ ٦٦٨)، والرد على الجهمية للدارمي ص١٢٥ – ١٢٧ .

ليست مما يلزم به الإنسان وليست سنة عن رسول الله ﷺ بل هي قابلة للنقض والرد كغيرها من الأقوال.

يقول الإمام الدارمي: "ليس اختلاف التابعين سنة لازمة كسنن النبي ﷺ وأصحابه ، فأما أن لا يكون أثراً فإنه أثر لا شك فيه **وأقاويلهم ألزم للناس من أقاويل أبي يوسف وأصحابه لأن الله تعالى أثنى على التابعين في كتابه** فقال : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [التوبة : ١٠٠] فشهد لهم باتباع الصحابة واستيجاب الرضوان من الله تعالى باتباعهم أصحاب محمد ﷺ ، واجتمعت الكلمة من المسلمين أن سمُّوهم التابعين ولم يزالوا يأثرون عنهم بالأسانيد كما يأثرون عن الصحابة ويحتجون بهم في أمر دينهم **ويرون آراءهم ألزم من آراء من بعدهم للاسم الذي استحقوا من الله تعالى ومن جماعة المسلمين الذين سمُّوهم** تابعي أصحاب محمد ﷺ " أ.هـ [(١)] .

منهجهم في إيراد الآثار يتمثل فيما يلي:

١ - إيرادهم للآثار كشاهد وعاضد ومؤكد لما في المرفوع:

ولعل هذه الصورة هي الغالبة في إيرادهم للآثار فتجدهم يوردون الآيات والأحاديث المرفوعة ثم يذكرون ما أثر عن السلف في الباب والأمثلة على هذا كثيرة لا يكاد يخلو منها كتاب فالأئمة من إيرادهم للمرفوع غالباً يذكرون الموقوفات والمقطوعات الثابتة لتؤكد ما ورد في المرفوع وانظر على سبيل المثال: السنة لابن أبي عاصم [(٢)] ، والرد على بشر للدارمي [(٣)] وغيرها كثير.

٢- إيرادهم للآثار لبيان وجه الاستنباط من الدليل:

قد يوردون الأثر عن أحد السلف لبيان وجه الاستنباط لأن فهمهم واستدلالهم أعمق وأقوى وهم أعلم من غيرهم فهذا نوع من نقل فهمهم لنصوص الكتاب والسنة

---

(١) الرد على بشر للدارمي (١/ ٥٩٣-٥٩٤).

(٢) السنة لابن أبي عاصم (١/ ١١٠) باب رقم (٢٨) (١/ ١٢١) برقم (١٤٠)، (١/ ٣٢٤) برقم (٤٧٢)

(٣) وانظر الرد على بشر للدارمي (١/ ٤٦٤-٤٦٦).

التي يجب أن نفهمها وفق فهمهم - رحمهم الله - ، ولهذا تجد أن كثيراً من استنباطات المتأخرين إنما هي مستفادة من كلام المتقدمين ، والفرق أن المتقدمين يجملون الكلام والمتأخرين يُفصِّلون ويشرحون كلام المتقدمين .

ولعلي أذكر هنا بعض الأمثلة اليسيرة على هذا الأمر مع كثرتها بالنسبة لمجموع كتب السلف في الاعتقاد خلال القرون الثلاثة الأولى:

المثال الأول:

عقد الإمام البخاري باباً في كتابه "خلق أفعال العباد" بعنوان: "باب ما كان النبي ﷺ يستعيذ بكلمات الله لا بكلام غيره" أ.هـ [(١)] .

ثم أورد أثراً عن نعيم بن حماد فقال: "وقال نعيم بن حماد : لا يستعاذ بالمخلوق ولا بكلام العباد والجن والإنس والملائكة" أ.هـ [(٢)] .

ثم عقب عليه فقال: "وفي هذا دليل أن كلام الله غير مخلوق وأن سواه خلق" أ.هـ [(٣)] ، فالبخاري هنا أورد أثر نعيم بن حماد الذي استنبط من الأدلة التي فيها الاستعاذة بكلمات الله بأنه لا يستعاذ بالمخلوق فدل على أن القرآن غير مخلوق وهو من كلمات الله.

المثال الثاني:

أخرج الإمام عبد الله بن الإمام أحمد في السنة أثراً عن هشام بن عبد الملك قال: "قال لي يحيى بن سعيد : كيف يصنعون بـ"قل هو الله أحد" ؟ كيف يصنعون بهذه الآية "إني أنا الله" يكون مخلوقاً؟ "أ.هـ [(٤)] .

ومع هذا الأثر يظهر استنباط السلف من خلال النصوص بطلان قول من قال إن القرآن مخلوق.

---

(١) خلق أفعال العباد ، ص١٤٣ .

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) السنة لعبدالله (١/ ١٥٩) برقم (١٥٧) ، وأخرجه: البخاري في خلق أفعال العباد ص١٨ برقم (٣٠) وسنده صحيح .

٣- نقل أقوالهم لبيان موافقة السلف لترجيح المصنف:

هذا كثير عند من صنف من السلف في الاعتقاد وغيره وذلك بنقل أقوالهم لبيان موافقة ما رجحوه لكي يقوى هذا الترجيح وليبينوا أن لهم سلفاً في هذا الرأي وأنهم لم يأتوا بآراء شاذة ولا مخالفة لما كان عليه السلف وهذا منهج أصيل وهو عدم تبني الآراء الشاذة التي لم يكن عليها سلف الأمة الذين عاصروا التنزيل ونقلوا لنا دقائق التفاصيل في الحلال والحرام والاعتقاد والفضائل وغيرها فرحمهم الله رحمة واسعة .

والأمثلة على ذلك كثيرة منها :

المثال على ذلك: النقل عن السلف في تكفير الجهمية:

نقل الأئمة في مصنفاتهم تكفير الجهمية عن سلف الأمة وأن علماء أهل السنة أجمعوا على ذلك، ومع هذا فقد أيدوا وقدموا بين يدي هذا الحكم النص من الكتاب والسنة الدال على إكفارهم .

وانظر: الدارمي في الرد على الجهمية مثلاً [(١)] .

وانظر: السنة لعبد الله بن الإمام أحمد [(٢)] .

والناظر في هذه النقول يطمئن لما يراه ويرجحه المصنف وأنه ليس هو الذي كفرهم لوحده بل عليه السلف قاطبة ولا شك أن في النقل عنهم لأجل هذا الغرض فائدة عظيمة.

٤- إيراد الآثار عند عدم وجود النص المرفوع:

قد يحتج أهل البدع على أهل السنة بالمطالبة بالدليل الصريح على المسألة المعينة التي يقول بها أهل السنة مثل تكفير الجهمية كما تقدم فيورد أهل السنة الآثار عن السلف التي تبين أنهم قالوا بتكفير الجهمية بناء على القواعد المتقررة في الشريعة المستنبطة من مجموع النصوص ، أو يأتون بالنصوص التي تكفر القول الذي يشابه

---

(١) الرد على الجهمية (١٩٨-٢٠٧) وتقول السلف تحديداً وما بعدها .

(٢) السنة لعبدالله (١/ ١٠٢-١٠٨)، ونقل بعدها أقوال السلف مفصلة إلى ص١٣٢ .

قولهم أو أقل منهم فيكفرونهم بناء على ذلك قال الدارمي: "فقال لي المناظر الذي ناظرني : أردت إرادةً منصوصة في إكفار الجهمية باسمهم، وهذا الذي رويت عن علي ﷺ في الزنادقة : فقلت: الزنادقة والجهمية أمرهما واحد، ويرجعان إلى معنىً واحد ومرادٍ واحد وليس قوم أشبه بقومٍ منهم بعضهم ببعض ، وإنما يُشبَّه كلُّ صنفٍ وجنسٍ بجنسهم وصنفهم، فقد كان ينزل بعض القرآن خاصاً في شيء فيكون عاماً في مثله وما أشبهه ، فلم يظهر جَهْمٌ وأصحاب جهم في زمن أصحاب رسول الله ﷺ وكبار التابعين، فيروى عنهم فيها أثرٌ منصوص مُسمّى ، ولو كانوا بين أظهرهم مظهرين آراءهم لقتلوا..." أ.هـ [١] .

فبين الإمام الدارمي أنه عند عدم وجود النص المرفوع في القضية المعينة يؤخذ بعمل السلف وأقوالهم وعملهم بالقياس على القضايا المشابهة ، ولا شك أن أقوالهم وعملهم بالقياس أولى بالأخذ ممن أتى بعدهم [٢] .

٥ـ إيرادهم للآثار لتفسير الآيات :

تقدم الكلام على هذا الأمر عند بيان منهج السلف في الاحتجاج بالآثار في الجوامع الحديثية ولعلنا نذكر هنا ونزيده بياناً ونقول:

أن الآثار الموقوفة على الصحابة تأخذ حكم المرفوع إذا لم يكن للرأي فيما نقلوه مجال، وكذلك إذا كان كلامهم في تفسير الآيات لبيان سبب نزول الآية فإنه يأخذ حكم المرفوع كما قال العراقي في ألفيته:

"وعد ما فسره الصحابي رفعاً فمحمول على الأسباب " أ.هـ [٣]

والعلماء لم يجعلوا القاعدة على إطلاقها فالذي يقوله الصحابي لا مجال للرأي فيه يكون مرفوعاً فقد استثنوا منها من عرف عنه الأخذ عن أهل الكتاب فإنه لا يكون في

(١) الرد على الجهمية للدارمي (ص٢٠٣-٢٠٤) .

(٢) وقد أورد الأئمة آثاراً كثيرة عن السلف في تكفير الجهمية وتكفير بعض أعيانهم ولكن كما ذكرنا غير مرفوعة.

(٣) انظر: الألفية مع شرحها فتح المغيث للسخاوي (١/ ١٣٩، ١٤٢-١٤٤).

حكم المرفوع كعبد الله بن عمرو بن العاص وغيره.

وأهمية الرجوع لأقوال الصحابة زيادة على معاصرتهم للتنزيل معرفتهم كذلك بلغة العرب فما فسروه بناءً على الفقه فقولهم حجة فيه.

وما سبق ذكره ينطبق على التابعين وإن كانوا في الدرجة بعد الصحابة من حيث الاحتجاج بأقوالهم أما إجماعهم وتفسيرهم فهو حجة إذا لم يخالف النص الشرعي ولا أثراً عن صحابي (١).

تظهر أهمية الآثار عن السلف في هذا الباب أنهم فسروا الآيات الدالة على مسائل الاعتقاد فكانت مصدراً من مصادر التلقي عند أهل السنة كالآيات في إثبات الصفات أو الرؤية ونحوها.

الأمثلة على ما سبق:

المثال الأول: تفسير "الصمد" (٢) عند ابن أبي عاصم:

أورد الإمام ابن أبي عاصم آثاراً كثيرة عن السلف تبين معنى "الصمد" وملخصها كما يلي:

أ – عن ابن عباس ومجاهد والحسن وسعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم: كلهم قالوا هو "الذي لا جوف له"(٣).

ب – عن ابن مسعود وأبي وائل قالوا هو: "السيد الذي انتهى سؤدده"(٤).

ج – وعن الشعبي هو: "الذي لا يأكل الطعام" (٥).

د – وعن إبراهيم النخعي هو: "الذي يعمد إليه الناس في حوائجهم" (٦).

---

(١) انظر: فصول في أصول التفسير لمساعد الطيار (٣٠-٤٠) طبعة دار النشر الدولي، ط.الأولى، ١٤١٣هـ.

(٢) انظر: السنة لابن أبي عاصم (١/ ٤٦٠-٤٦٨) في باب نسبة الرب تبارك وتعالى.

(٣) انظر: السنة برقم (٦٧٧، ٦٨٦، ٦٨٨، ٦٩٦، ٧٠٢، ٧٠٥، ٧٠٦).

(٤) برقم (٦٧٨، ٦٨٣).

(٥) برقم (٦٩٨).

(٦) برقم (٧٠٤).

وكلها معانٍ حقه تليق بالله سبحانه وتعالى .

المثال الثاني: "الإمام المروزي في تعظيم قدر الصلاة" .

من المواضع التي رد فيها الإمام المروزي على المرجئة الذين أخرجوا العمل عن مسمى الإيمان ، ذكره للآيات التي تبين أن الجزاء والإيمان مترتب على حصول العمل فكان مما قال: "وقالوا (أي أهل السنة) : قال الله تبارك وتعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ إلى قوله ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾[السجدة : ١٥-١٧] ولم يقل :"إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها أقروا بها فقط"، وقال الله عز وجل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَـٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة : ١٢١]..." أ.هـ [(١)] .

ثم أورد بسنده عن ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن مسعود والحسن كلهم يفسرون قوله "يتلونه حق تلاوته" أي بالعمل [(٢)] .

فبعضهم قال: "يتبعونه حق اتباعه" وبعضهم قال: "يحلون حلاله ويحرمون حرامه ولا يحرفونه عن مواضعه" وبعضهم قال: "يعملون بمحكم ويؤمنون بمتشابهه" .

فهو احتج بتفسير السلف لهذه الآية ليستدل به على أن العمل من الإيمان ويرد فيه على احتجاج وشبه المرجئة.

المثال الثالث: البخاري في خلق أفعال العباد:

تقدم أن البخاري استدل على مسألة اللفظ وأن هناك فرقاً بين الفعل والمفعول فالكتابة فعل العباد والمكتوب هو القرآن كلام الله غير مخلوق واستدل ببعض الآيات وتفسير السلف لها ومن ذلك نقله عن بعض السلف :

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٩٥-٣٩٨).

(٢) انظر: تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٩٥)برقم (٣٨٣) ، (٣٨٤) إلى (٣٨٩) .

أ-عن قتادة : ﴿وَالطُّورِ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾ فقال: المسطور المكتوب ﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾[الطور : ١-٣]: وهو الكتاب" أ. هـ[١] .

ب- عن مجاهد: "﴿وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾ وصحف مكتوبة: ﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ في مصحف" أ.هـ[٢] .

٦- إيرادهم للآثار عن السلف لبيان مواقفهم العملية من البدع وأهلها:

من الفوائد العظيمة لنقل آثار السلف بيان مواقفهم ومنهجهم العملي في التعامل مع البدع وأهلها، وكذلك منهجهم العملي في إظهار السنة ومحاربة البدعة وقد تنوعت هذه المواقف على النحو الآتي:

أ- بيان موقفهم تجاه الرؤوس أهل البدع ودعاتها:

اشتد نكير السلف على بعض البدع التي ظهرت وحذروا منها قولاً وعملاً ولعل من مواقفهم العملية قتلهم لرؤوس أهل البدع المحرفين لدين الله وإليك الأمثلة:

المثال الأول : (قتل علي للزنادقة)[٣] :

نقل السلف الحادثة المشهورة التي أحرق فيها علي رضي الله عنه الزنادقة الذين قالوا: " إن علياً رضي الله عنه إلهٌ من دون الله وجعلوه دليلاً وسنة تحتذى في الوقف من أهل البدع فجعلوه منهجاً للوقوف ضد من يظهر البدعة ويدعوا إليها ولهذا كما سوف يظهر في الأمثلة الأخرى ذكروا موقف السلف بعد الصحابة من الجعد وغيره وذكروه في باب الموقف من الجهمية وأنه يجب قتل رؤوسهم والدعاة لمثل هذا المذهب وهي سنة في كل من أراد أن يحرف دين المسلمين وعقيدتهم.

المثال الثاني: (قتل خالد القسري للجعد بن درهم):

---

(١) خلق أفعال العباد ص٤٢ برقم (١٢٨).

(٢) المصدر السابق برقم (١٢٩).

(٣) انظر: الرد على الجهمية للدارمي في باب الاحتجاج في إكفار الجهمية برقم (٣٦١) ص١٩٩ وفي باب قتل الزنادقة والجهمية واستتابتهم من كفرهم برقم (٣٨٤-٣٨٥) ص٢٠٨ ، وانظر الرد على بشر المريسي (١/ ٥٧٩)..

وأورد السلف في أثناء نقلهم لمواقف السلف من رؤوس أهل البدع قصة قتل الجعد بن درهم على يد خالد بن عبد الله القسري.

فمثلاً :الإمام البخاري أورد هذه القصة في خلق أفعال العباد في "باب ما ذكر أهل العلم للمعطلة الذين يريدون أن يبدلوا كلام الله" (١) .

وأورد هذه القصة الدارمي في رده على بشر المريسي (٢)، وفي رده على الجهمية في "باب قتل الزنادقة والجهمية واستتابتهم من كفرهم" أ.هـ (٣) .

المثال الثالث: (قتل خالد القسري لرجل عارض القرآن):

أخرج الدارمي بسنده: "أُوتي خالد بن عبد الله القسري برجل قد عارض القرآن فقال: قال الله في كتابه: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ وقلت أنا ما هو أحسن منه: "إنا أعطيناك الجوهر فصل لربك وجاهر، ولا تطع كلَّ سافه وكافر"، فضرب خالد عنقه وصلبه، فمر به خلف بن خليفة وهو مصلوب فضرب بيده على خشبته فقال: إنا أعطيناك العمود ، فصل لربك على عود، فأنا ضامن لك أن لا تعود" أ.هـ (٤) .

ب- موقفهم من البدع المحدثة :

كانت مواقف السلف من البدع واضحة بل إنهم كانوا لا يرضون بإقامتها وإظهارها صغرت أم كبرت ويشتد نكيرهم في ذلك كل ذلك حفاظاً على السنة وسلامة المعتقد ومحواً للبدع التي تغير وتبدل دين الله حتى يقضى عليها في مهدها وإليك بعض الأمثلة:

المثال الأول: (عمر والصحابة والسلف ينكرون ابتداع الآثار):

أخرج ابن وضاح بسنده عن عمر أثرين تحت باب بعنوان : "ما جاء في ابتداع

---

(١) خلق أفعال العباد، ص١١-١٢ برقم (٣).

(٢) الرد على المريسي (١/ ٥٨١).

(٣) الرد على الجهمية ص٢٠٨-٢٠٩ برقم (٣٨٨).

(٤) أخرجه الدرامي في الرد على الجهمية (ص٢٠٩-٢١٠) برقم (٣٨٩).

الآثار" .

الأول: عن معرور بن سويد قال: "خرجت مع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب من مكة إلى المدينة، فلما أصبحنا صلى بنا الغداة، ثم رأى الناس يذهبون مذهباً قال: أين يذهب هؤلاء؟ قيل يا أمير المؤمنين مسجد صلى فيه رسول الله ﷺ هم يأتون يصلُّون فيه، فقال: إنما أهلك من كان قبلكم بمثل هذا، يتَّبعون آثار أنبيائهم فيتخذونها كنائس وبيعاً، من أدركته الصلاة في هذا المسجد فليُصلِّ، ومن لا فليمض ولا يتعمَّدهما" أ.هـ [(١)]

ومن هذا الأثر نستفيد أن السلف نقلوا لنا مثل هذه المواقف العملية التي تبين لنا الموقف والمنهج من البدع المماثلة وأنه يجب منعها سداً للذريعة وحماية لجناب التوحيد .

الثاني: "أن عمر بن الخطاب أمر بقطع الشجرة التي بويع تحتها النبي ﷺ فقطعها لأن الناس كانوا يذهبون فيُصلُّون تحتها فخاف عليهم الفتنة" أ.هـ [(٢)] .

قال ابن وضاح معلقاً: "وكان مالك بن أنس وغيره من علماء المدينة يكرهون إتيان تلك المساجد وتلك الآثار للنبي ﷺ بالمدينة ما عدا قباء وأحد" أ.هـ [(٣)] .

وقال أيضاً : "وسمعتهم يذكرون أن سفيان الثوري دخل مسجد بيت المقدس فصلى فيه ولم يتبع تلك الآثار ولا الصلاة فيها وكذلك فعل غيره أيضاً ممن يقتدى به، وقدم وكيع أيضاً مسجد بيت المقدس فلم يعد فعل سفيان" أ.هـ [(٤)] .

المثال الثاني: (مالك يكره التثويب بالأذان ويُعدُّه بدعة):

---

(١) أخرجه ابن وضاح فيما جاء في البدع ، ص٩٠، برقم (١٠٢). وعبدالرزاق في المصنف في باب ما يقرأه في الصبح في السفر (٢/ ١١٨-١١٩) برقم (٢٧٣٤) وأثبت هذه الرواية ابن حجر في الفتح (١/ ٦٧٨) عند شرحه للحديث الوارد في كتاب الصلاة ، باب المساجد التي على طرق المدينة (في صحيح البخاري) واحتج به شيخ الإسلام كما في اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٧٥٢) .

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٢/ القسم الأول ص٧٣ غزوة الحديبية) وابن وضاح فيما جاء في البدع ص٩١ برقم (١٠٥) . وصحح إسنادها الحافظ في الفتح (٧/ ٥١٣) في كتاب المغازي عند شرحه للحديث برقم (٤١٩٥) .

(٣) انظر: ما جاء في البدع لابن وضاح ص٩١-٩٢، واقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٥٣).

(٤) المصدر السابق .

جاء عن مالك بسند صحيح أنه قال: "التثويب بدعة ولست أراه" أ.هـ [(١)].

ومقصوده بالتثويب كما ذكر ذلك الإمام الشاطبي حيث قال: "وإنما التثويب الذي كرهه أن المؤذن كان إذا أذَّن فأبطأ الناس قال بين الأذان والإقامة: "قد قامت الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح "، وهو قول إسحاق بن راهويه أنه التثويب المحدث" أ.هـ [(٢)].

قال محمد بن وضَّاح: "ثوَّب المؤذن بالمدينة زمان مالك فأرسل إليه مالك فجأة فقال له مالك : ما هذا الذي تفعل؟ قال: أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر فيقوموا ، فقال له مالك: لا تفعل لا تحدث في بلدنا شيئاً لم يكن فيه، قد كان رسول الله ﷺ بهذا البلد عشر سنين و أبو بكر وعمر وعثمان فلم يفعلوا هذا فلا تحدث في بلدنا ما لم يكن فيه، فكفَّ المؤذن عن ذلك وأقام زماناً ثم إنه تنحنح في المنارة عند طلوع الفجر فأرسل إليه مالك فقال له: ما هذا الذي تفعل ؟ قال: أردت أن يعرف الناس طلوع الفجر فقال ألم أنهك ألا تحدث عندنا ما لم يكن؟ فقال: إنما نهيتني عن التثويب، فقال له مالك: لا تفعل فكفَّ أيضاً زماناً ثم جعل يضرب الأبواب، فأرسل مالك إليه فقال له : ما هذا الذي تفعل، لا تُحْدِث في بلدنا ما لم يكن فيه" أ.هـ [(٣)].

وهذا فيه دلالة على عظيم حرص السلف على عدم انتشار البدع وسدُّهم كل الذرائع الموصلة إلى الإحداث في الدين .

٧- بيان مواقف السلف من النصوص الشرعية:

نقلت إلينا كتب الاعتقاد حال السلف مع النصوص إجمالاً وتفصيلاً ولم يكن ذلك قولاً بل حتى في المنهج العملي وإليك الأمثلة:

المثال الأول : (إسحاق بن راهويه) :

---

(١) أخرجه ابن وضاح فيما جاء في البدع ص٨٨ برقم (٩٩).

(٢) الاعتصام (٢/ ٥٣).

(٣) ما جاء في البدع لابن وضاح ص٨٩ برقم (١٠٠) .

أخرج المروزي الحديث الصحيح المشهور وقد تقدم: " لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن" ثم أردفه بالأثر عن الزهري من طريق بقية قوله: "اقرأوا أحاديث رسول الله ﷺ وأمِرُّوها على ما جاءت".

ثم قال معلقاً: "كان إسحاق إذا أملى حديث عبد الرزاق يملي حديث بقية على إثره" أ.هـ [(١)].

المثال الثاني: (عبدالله بن المبارك):

أخرج المروزي بسنده أنه ذكر عند ابن المبارك حديث: "لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن" فقال فيه قائل: ما هذا ؟ (على معنى الإنكار) فغضب ابن المبارك وقال: يمنعنا هؤلاء إلا أن نحدث بحديث رسول الله ﷺ كلما جهلنا معنى حديث تركناه، لا، بل نرويه كما سمعنا، ونلزم الجهل أنفسنا" أ.هـ [(٢)].

والأمثلة في هذا الباب كثيرة ولكن ذكرت المواقف العملية من السلف في تدوينهم ما يدل على إمرارهم لهذه الأحاديث كما جاءت وموقفهم عمن يعارضها.

٨- إيرادهم للآثار عن السلف لبيان كذب ما نسب إليهم:

من عادة أهل البدع الكذب على السلف والزعم بأنهم أَولوا بعض الصفات ونحو ذلك فيورد أهل السنة من الآثار عن السلف التي تبين كذب مزاعم أهل البدع وصدق قول أهل السنة وأن السلف كانوا على الإثبات ولم يلجأوا إلى تأويل أهل البدع.

من ذلك ما ذكره الدارمي من إدعاء بشر المريسي أن ابن عباس أول صفة القدم لله عز وجل وهو كذب عليه حيث أورد الإمام الدارمي بسند متصل صحيح إليه أنه قال: "الكرسي موضع القدمين والعرش لا يقدره إلا الله عز وجل" [(٣)].

قال الدارمي معلقاً : "فهذا الذي عرفناه عن ابن عباس صحيحاً مشهوراً فما بالك

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٤٩٤).

(٢) المصدر السابق (١/ ٥٠٥).

(٣) تقدم تخريج هذا الأثر.

تحيد عن المشهور المنصوص من قوله وتتعلق بالمغمور منه الملتبس الذي يحتمل المعاني" أ.هـ [١].

٩- ذكرهم للأدلة التي تدل على صحة ما أثر عن السلف:

في بعض المواضع عند ذكرهم لبعض آثار السلف يذكرون ما يؤيد هذا القول من الكتاب والسنة ليبينوا صحة ما ذهب إليه السلف.

ولعلي اقتصر هنا بذكر مثال واحد وهو للإمام الدارمي حيث أخرج بسنده عن ابن المبارك أنه: "سُئل: بم نعرف ربنا؟ قال: بأنه فوق العرش، فوق السماء السابعة على العرش، بائنٌ من خلقه – قال: قلت: بحدٍّ؟ قال: فبأي شيء؟" أ.هـ [٢].

قال الدارمي معلقاً ومستدلاً لقول ابن المبارك: "والحجة لقول ابن المبارك – رحمه الله – قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾[الزمر: ٥٧]، فلماذا يحفون حول العرش إلا لأنَّ الله عز وجل فوقه، ولو كان في كُلِّ مكانٍ لحفوا بالأمكنة كلها لا بالعرش دونها، ففي هذا بيانٌ بيِّنٌ للحد، وأن الله فوق العرش" أ.هـ [٣].

١٠- إيرادهم للآثار لتأييد الاستدلال العقلي عند أهل السنة:

ولعل من الأغراض المهمة لإيراد الآثار أنهم يستدلون بها على صحة الاستدلال العقلي عندهم لإفحام الخصم وهذا وإن كان قليلاً لكنه مما دون في كتب السلف وإليك هذا المثال:

قال الإمام الدارمي في معرض رده على أهل البدع الذين يزعمون أنه في كل مكان: "... ثم أكَّد المعارض دعواه في أن الله في كل مكان بقياس ضل به عن سواء السبيل، فقال: ألا ترى أنه من صعد الجبل لا يقال له: أنه أقرب إلى الله؟ فيقال لهذا المعارض –

---

(١) الرد على بشر (١/ ٤٠٠-٤٠١).

(٢) أخرجه الدارمي في الرد على الجهمية برقم (٦٧)، (١٦٢). وعبدالله بن أحمد في السنة (١/ ١١١) برقم (٢٢). وابن قدامة في العلو برقم (٩٩) ص١١٧. والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٣٣٥) برقم (٩٠٢). والأثر صححه شيخ الإسلام كما في مجموع الفتاوى (٥/ ٥١-٥٢)، وابن القيم في اجتماع الجيوش ص١٣٤-١٣٥.

(٣) الرد على الجهمية للدارمي (٩٨-٩٩).

المدعي ما لا علم له - : من أنبأك أن رأس الجبل ليس بأقرب إلى الله تعالى من أسفله ؟ لأنه من آمن بأن الله فوق عرشه فوق سماواته علم يقيناً أن رأس الجبل اقرب إلى الله من أسفله ، وأنَّ السماء السابعة أقرب إلى عرش الله تعالى من السادسة ، والسادسة أقرب إليه من الخامسة ثم كذلك إلى الأرض ، كذلك روى إسحاق بن إبراهيم الحنظلي عن ابن المبارك أنه قال: "رأس المنارة أقرب إلى الله من أسفله" وصدق ابن المبارك لأن كل ما كان إلى السماء أقرب كان إلى الله أقرب..." أ.هـ [(١)] .

١١- إيرادهم من الآثار ما كان موافقاً للفظ الحديث أو معناه:

ولعل من منهجهم في إيراد بعض الآثار ما يكون موافقاً للفظ الحديث أو معناه لما ذكرناه من أغراض سابقة ولعلي هنا أسوق مثالاً واحداً وهو صنيع الإمام ابن وضاح في كتابه: "ما جاء في البدع" حيث عقد باباً بعنوان : "كل محدثة بدعة "[(٢)].

ثم أورد الحديث المرفوع الصحيح المشهور ومما جاء فيه: "وكل بدعة ضلالة "[(٣)] الحديث ثم أورد آثاراً عن عدد من الصحابة مثل:

عمر وابن مسعود بلفظ الحديث السابق [(٤)] .

وعن معاذ بن جبل وابن مسعود وابن عباس بمعنى الحديث السابق [(٥)] .

١٢- إيرادهم للآثار وتقديمهم إياها على المرفوع لكونها أصرح وأوضح في المراد:

من الحالات التي يضطر فيها أهل السنة لتقديمهم الآثار على المرفوع لكون هذا الأثر أصرح في المراد وأكثر موافقة للفظ الله الذي أدرج تحته مثال ذلك:

ابن وضاح فيما جاء في البدع عقد باباً بعنوان "النهي عن الجلوس مع أهل البدع

---

(١) الرد على بشر المريسي للدارمي (١/ ٥٠٤).

(٢) ما جاء في البدع لابن وضاح ص٦١ .

(٣) أخرجه: مسلم في صحيحه في كتاب الجمعة برقم (٨٦٧) .

(٤) انظر: ما جاء في البدع ص٦٢-٦٣ برقم (٥٦، ٥٧، ٥٧) .

(٥) انظر: ما جاء في البدع ص٦٣-٦٦ برقم (٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣).

وخلطتهم والمشي معهم"[١].

أورد تحته مباشرة وجعله صوراً للآثار والأحاديث المرفوعة أثراً عن الحسن حيث قال: "لا تجالس صاحب بدعة فإنه يمرض قلبك" أ.هـ[٢].

---

(١) المصدر السابق، ص١٠٤.

(٢) أخرجه: ابن وضاح ص١٠٤ برقم (١٢٦).

المبحث السادس

منهجهم في عرض الأدلة العقلية

ويشتمل على تمهيد وثلاثة مطالب :

التمهيد :

١- تعريف العقل في اللغة والاصطلاح.

٢- مكانة العقل في الإسلام .

المطلب الأول : موقف السلف من العقل.

المطلب الثاني : موقف أهل البدع من الأدلة العقلية .

المطلب الثالث : منهج أهل السنة في عرض الأدلة العقلية .

التمهيد :

قبل أن ندخل في الأدلة العقلية وذكر منهج أهل السنة ومخالفيهم في الاستدلال بها يحسن بنا أن نذكر بأمرين:

١ - تعريف العقل في اللغة والاصطلاح:

أ - التعريف في اللغة [١]:

العقل: مصدر عَقَل يَعْقِل ، ومنه عقلت البعير أعقله عقلاً ،وأصله في اللغة الحبس والمنع، ومنه كما تقدم عقل البعير واعتقل لسانه إذا حبس ومنع من الكلام .

وسمي العقل عقلاً: لأنه بمنع صاحبه من التورط في المهالك - ويسمى العقل **"حِجْراً"** لأنه يحجر الإنسان عن فعل ما لا يليق .

قال الجوهري: "العَقْلُ الحِجْر والنهي" أ.هـ [٢] .

وسميت الديَّة عقلاً؛ لأن الإبل كانت تعقل بفناء ولي المقتول ، قاله الأصمعي [٣] .

ويطلق العقل على الملجأ الذي يتحصن به ، ويقال للرجل الذي يلجأ إليه قومه معقل قومه" .

قال الشاعر:

وقد أعددت للحدثان حصناً   لو أن المرء تنفعه العقول" أ.هـ [٤] .

ب - التعريف الاصطلاحي [٥]:

يطلق العقل ويراد به أربعة معان:

---

(١) انظر: الصحاح للجوهري (٥/ ١٧٦٩)، أساس البلاغة للزمخشري (٢/ ١٢٣)، القاموس المحيط ص١٣٣٦، لسان العرب (١١/ ٤٥٨)، النهاية في غريب الحديث لابن الأثير (٣/ ٢٧٨).

(٢) الصحاح (٥/ ١٧١٩).

(٣) أساس البلاغة للزمخشري (٢/ ١٣٣).

(٤) المرجع السابق .

(٥) انظر: درء التعارض (١/ ٨٩) ، مجموع الفتاوى (٩/ ٢٨٧، ٣٠٥)، الحجة في بيان المحجة للأصبهاني (٢/ ٥٠٣) ، منهج الاستدلال لعثمان علي حسن (١/ ١٥٨-١٥٩) ، الأدلة العقلية النقلية لسعود العريفي ص٢٧-٣٣، منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل (١/ ٧٠) لجابر إدريس علي أمير، طبعة أضواء السلف، ط.الأولى، ١٤١٩هـ، بغية المرتاد لشيخ الإسلام ، ص٢٦٠ .

١- الغريزة المدركة التي في الإنسان وميزته من سائر الحيوان وهي مناط التكليف.

٢- العلوم الضرورية والمعارف الفطرية وهي التي تشمل جميع العقلاء كالعلم بالأمور الممتنعة أو الممكنة ونحو ذلك.

٣- العلوم النظرية التي تحصل بالنظر والاستدلال وهي التي يتفاوت فيها الناس ، وبعض العلماء يطلق عليه "العلم" ويقصد معنى العقل على النوع الأول والثاني [(١)] .

٤- العمل بمقتضى العلم ، وهذا المعنى منفي عمن لم يعمل بما وصل إليه من العلم كحال الكفار الذين لم يعملوا بما جاءهم به أنبياء الله ورسله قال جل وعلا مخبراً عنهم بقوله: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ ﴿الملك : ١٠﴾ .

ويقول شيخ الإسلام : "والعمل بالعلم ، يدخل في مسمى العقل أيضاً بل هو من أخص ما يدخل في اسم العقل الممدوح" أ.هـ [(٢)] .

وقد أورد الإمام ابن حبان في كتابه روضة العقلاء كلاماً عن متقدمي السلف كابن المبارك وغيره حول معنى العقل والصفات المحمودة والمذمومة التي قد يتصف بها الرجل العاقل [(٣)] .

٢- مكانة العقل في الإسلام :

لقد عني الإسلام عناية عظيمة بالعقل ، وجاءت شريعته لصيانته وحفظه عن كل ما يعود عليه بالضرر الحسي أو المعنوي، وقد وجه الإسلام العقل ليعمل فيما هو أنفع له وللمجتمع ككل، وحذره وحرّم عليه كل ما يعطل ملكة التفكير والتدبر بالعقل .

والإسلام جعل العقل مصدراً من مصادر المعرفة والعلم ولم يهمله كما هو حال

---

(١) كما قرر ذلك قوام السنة الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة (٢/ ٥٠٣) .

(٢) بغية المرتاد ، ص٢٦٠ .

(٣) انظر: روضة العقلاء ، ص٣٩-٥٠ ، لابن حبان تحقيق علي بن مشرف العمري ، طبعة الكليات الأزهرية، طبعة ١٤٠١هـ.

الديانات الأخرى أو يلغيه ولا يعتبر بالنتائج التي يتوصل إليها.

فالله أمرنا بالتفكر والتدبر والسير في الأرض لأخذ العظة والعبرة ممن سبقنا من الأمم والحضارات .

قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۗ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[يوسف :١٠٩].

وقد أثنى الله على الذين أحسنوا في استعمال العقل وجعلوه دليلاً لهم إلى الحق والهدى وعاب على الذين عطلوه عن المقصد الذي خلق من أجله فقال جل وعلا: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان : ٤٤].

والإسلام كرم العقل أيما تكريم حيث جعله مناط التكليف كما تقدم وفضل أصحاب العقول الذين علموا به مقاصد الشرع العظيمة .

فقال جل وعلا: ﴿ وَلَكُمْ فِى ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[البقرة :١٧٩] .

وقصر سبحانه العظة والعبر على أصحاب العقول فقال: ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾[البقرة : ٢٦٩] ﴿ لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى﴾[يوسف :١١١]

والإسلام قد مدح المؤمنين لأنهم وظفوا العقل ووجهوه الوجهة الصحيحة حيث تفكروا به في ملكوت السموات والأرض فقال سبحانه : ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[آل عمران :١٩٠-١٩١] .

وذم الله المقلدين لآبائهم في ضلالهم وكفرهم وعدم إعمال عقولهم لمعرفة الحق والهدى فقال سبحانه :﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾[البقرة : ١٧١] .

وحرّم الإسلام الاعتداء على العقل وتعطيله عن الإدراك فقد حرّم الخمر أم الخبائث وشدد في النكير على متعاطيها.

وحرّم كل ما يتنافى مع العقل السليم من الخرافات والشعوذة والسحر والطيرة ونحوها مما فيها تعلق بالأوهام وتعلق بغير الله وتوكل على غير الله .

وجاءت النصوص المتواترة من الكتاب والسنة بتحريم مثل هذه الممارسات التي تعطل العقل وتلغيه ، وتعلقه بغير الله ،ومن هذه النصوص : قوله ﷺ: " من أتى عرَّافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ".أ.هـ[١]

---

(١) الحديث أخرجه : ابن أبي شيبة باب ماجاء في اتيان النساء في ادبارهن(٣/ ٥٢٣) برقم (١٦٨٠٣).والبخاري في التاريخ الكبير (٣/ ١٦-١٧).أبوداود في سننه كتاب الطب -باب في الكاهن برقم (٣٩٠٤).والترمذي في جامعه أبواب الطهارة-باب ما جاء في كراهية إتيان الحائض برقم(١٣٥).وابن ماجه في سننه (١/ ١١٧) الطهارة-باب ما جاء في النهي عن اتيان الحائض برقم (٦٣٤).وأحمد في المسند(٢/ ٤٠٨-٤٧٦).والدارمي في السنن (١/ ٧٣٢) كتاب الطهارة -باب من أتى امرأته في دبرها برقم(١١٧٦) ط.سليم أسد. والبيهقي في سننه (٧/ ١٩٨).والعقيلي في الضعفاء (١/ ٣١٨).وابن عدي في الكامل (٢/ ٢٢٠).

والحديث صحيح صححه الألباني في الأرواء (٧/ ٦٨) برقم (٢٠٠٦).

المطلب الأول : موقف أهل السنة من الأدلة العقلية

لقد كان موقف أهل السنة من الدليل العقلي متوافقاً مع ما أراد الله ومتوافقاً مع الفطرة السليمة ، بل إنهم أحسنوا أيما إحسان في استعماله أثناء تقريرهم لمسائل الدين وسوف نتعرض لجانب منه عند الحديث عن منهجهم في الاستدلال العقلي ويمكن أن نلخص موقعهم من الدليل العقلي فيما يلي:

١- السلف - رحمهم الله - يعدون العقل حجة ودليلاً يحتج به ويستدل به ولا يرون في ذلك ضيراً .

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - : "إن السمع حجة الله على خلقه ، وكذلك العقل فهو سبحانه أقام عليهم حجته بما ركب فيهم من العقل وأنزل إليهم من السمع " أ.هـ [(١)]

٢- أن الدليل العقلي دليل شرعي، وليس هو قسيم للشرعي بل داخل ضمن الدليل الشرعي.

فالدليل الشرعي عند أهل السنة ، سمعي وعقلي، وليس كما يزعم أهل الكلام أن الأدلة إما سمعي وإما عقلي، والذي يقابل الشرعي البدعي الذي لم يشرعه الله .

يقول شيخ الإسلام - رحمه الله - : " ثم الشرعي (يعني الدليل) قد يكون سمعياً وقد يكون عقلياً ، فإن كون الدليل شرعياً يراد به كون الشرع أثبته ودلَّ عليه ، ويراد به كون الشرع أباحه وأذن فيه..." أ.هـ [(٢)] .

٣- أن الله بيّن من الأدلة العقلية التي تدل على المسائل الكبرى في الاعتقاد أحسن بيان وأتمه وليس كما يزعم أهل الكلام أن دلالة الكتاب والسنة إنما هي بطريق الخبر المجرد.

وهذا غاية ما يصلون إليه بعد البحث فالقرآن بيَّنه أحسن البيان قبل ذلك [(٣)] .

---

(١) الصواعق المرسلة (٣/ ١١٨٧) .

(٢) درء التعارض (١/ ١٩٨).

(٣) انظر: درء التعارض (١/ ٢٨-٢٩)، وانظر : الرد على المنطقيين ص٣٨٢ .

٤- أن الأدلة العقلية على مسائل الدين لابد أن يكون لها مستند من أدلة الكتاب والسنة ولو على وجه الإجمال ، ولا يمكن أن يكون هناك دليل عقلي لم يأت به النص الشرعي ولا دل عليه ولو على وجه الإجمال.

يقول شيخ الإسلام: "... وأنه يجتمع في العلم أن يكون عقلياً وهو شرعي بالاعتبارات الثلاثة: إخباره به، أمره به ، دلالته عليه فتدبر أن النسبة إلى الشرع من الوجوه الثلاثة " أ.هـ [١] .

وهذا الأمر أي عدم خروج الأدلة العقلية عن دلالة الشرع عليها من لوازم كمال الدين كما قال جل وعلا: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[المائدة :٣] .

فكمال الدين في مسائله ودلائله ، ولا يلزم أن ينص على كل دليل عقلي بنص مستقل بل قد تدخل في ضمن أدلة عقلية عامَّة منصوص عليها [٢] .

٥- أن الأدلة العقلية تبع للدليل المأثور من الكتاب والسنة، وهذا مما يتميز به أهل السنة عن أهل البدع أثناء استدلالهم بالدليل العقلي .

يقول الإمام أبو المظفر السمعاني :" واعلم أن فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل فإنهم أسسوا دينهم على المعقول ، وجعلوا الاتباع والمأثور تبعاً للمعقول، وأما أهل السنة، قالوا : الأصل في الدين الاتباع والمعقول تبع، ولو كان أساس الدين على المعقول لاستغنى الخلق عن الوحي، وعن الأنبياء ولبطل معنى الأمر والنهي ..." أ.هـ [٣]

٦- أن الأدلة العقلية الصحيحة البيِّنة التي لا ريب فيها توافق ما أخبرت به الرسل ولا تخالفه ولا يمكن أن تخالف ما ورد عن الله وعن رسوله، ولو حصل تعارض فهو إما عدم ثبوت الدليل أو أن الدليل العقلي غير صحيح بل فاسد [٤] .

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى (١٩/ ٢٣٣-٢٣٤) ، والأدلة العقلية النقلية للعريفي ص٤٧ .

(٢) الأدلة العقلية النقلية ص٤٧-٤٨، الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية ، د. عابد السفياني ص١٣٦-١٤٦ ، وانظر : كلاماً نفيساً لأبي المظفر السمعاني في الحجة في بيان المحجة (١/ ٣٦٦).

(٣) الحجة في بيان المحجة (١/ ٣٢٠).

(٤) انظر: درء التعارض (١/ ١٣٣).

ويقول شيخ الإسلام : "فتبين أن كل ما قام عليه دليل قطعي سمعي يمتنع أن يعارضه قطعي عقلي" أ.هـ [(١)] .

يقول الإمام الشاطبي ، ما ملخصه: "الأدلة الشرعية لا تنافي قضايا العقول والدليل على ذلك من وجوه:

الأول : أنها لو نافتها لم تكن أدلة للعباد على حكم شرعي ولا غيره، لكنها أدلة باتفاق العقلاء ، فدل على أنها جارية على قضايا العقول .

الثاني: أنها لو نافتها لكان التكليف بمقتضاها تكليفاً بما لا يطاق.

الثالث: أن مورد التكليف هو العقل، وذلك ثابت قطعاً بالاستقراء التام حتى إذا فُقِدَ ارتفع التكليف رأساً وعُدَّ فاقده كالبهيمة المهملة ، وهذا واضح في اعتبار تصديق العقل بالأدلة في لزوم التكليف ، فلو جاءت على خلاف ما يقتضيه لكان لزوم التكليف على العاقل أشد من لزومه على المعتوه والصبي والنائم.

الرابع: أنه لو كان كذلك لكان الكفار أوّل من رد الشريعة به، لأنهم كانوا في غاية الحرص على رد ما جاء به رسول الله ﷺ حتى كانوا يغترون عليه وعليها، فتارة يقولون ساحر، وتارة مجنون ، وتارة يكذبونه، كما كان يقولون في القرآن :سحر ، وشعر، وافتراء ، وإنما يعلِّمه بشر، وأساطير الأولين ؛ بل كان أولى ما يقولون إنّ هذا لا يعقل ، أو هو مخالف للعقول، أو ما أشبه ذلك ، فلما لم يكن من ذلك شيء دلَّ على أنهم عقلوا ما فيه وعرفوا جريانه على مقتضى العقول.

الخامس: أن الاستقراء دل على جريانه على مقتضى العقول، بحيث تصدقها العقول الراجحة، وتنقاد لها طائعة أو كارهة ، ولا كلام في عناد معاند ولا في تجاهل متعام ، وهو المعنى بكونها جارية على مقتضى العقول ، لا أن العقول حاكمة عليها..." أ.هـ مختصراً [(٢)] .

---

(١) المصدر السابق (١/ ٨٠) .

(٢) الموافقات للشاطبي (١/ ١٩-٢٠) باختصار، طبعة دار الكتب العلمية، تعليق دراز تحقيق عبد السلام عبد الشافي ، ط.الأولى، ١٤١١هـ . وانظر الصواعق (٢/ ٤٥٧-٤٥٩).

المطلب الثاني : موقف أهل البدع من الأدلة العقلية

إن الناظر في طريقة أهل البدع من المتكلمين والفلاسفة وغيرهم في استخدام الأدلة العقلية يجزم ويقطع بفساد الطريقة لأن النتيجة التي وصلوا إليها بعد إجهاد تلك العقول الفاسدة البعيدة عن نور الوحي إلى نتائج خطيرة منها:

أ- عدم العمل بنصوص الشرع.

ب-أن أدلة الشرع لا يستفاد منها علماً البتة .

ج-أن الخلف أعلم بمقاصد وأحكام الشرع من السلف.

د-قصور وضعف دلالة الكتاب والسنة وقوة أفهامهم وعقولهم على أن يبينوا مقصود الشارع الحكيم.

إلى غير ذلك من النتائج ، ولعلنا نعرض لبعض معالم منهجهم وموقفهم من الدليل العقلي الذي يتضح من خلاله فساد الطريقة التي ساروا عليها في الاستدلال العقلي وهي على سبيل الإجمال كالتالي:

١ - إخراجهم الأدلة العقلية عن دائرة الأدلة الشرعية :

وعليه قصروا الأدلة الشرعية وحصروها بالأدلة السمعية فقط من الكتاب والسنة ولا ريب أن هذا أصل من الأصول المنحرفة التي بنوا عليها مذاهبهم الباطلة ولهذا قابلوا بين الدليل العقلي والدليل الشرعي، والأصل كما تقدم أن الدليل الشرعي يشمل الكتاب والسنة والعقل ويقابله الدليل البدعي.

يقول شيخ الإسلام : "وكثير من أهل الكلام يظن أن الأدلة الشرعية منحصرة في خبر الصادق فقط، وأن الكتاب والسنة لا يدلان إلا من هذا الوجه، ولهذا يجعلون أصول الدين نوعين: العقليات، والسمعيات، ويجعلون القسم الأول مما لا يعلم بالكتاب والسنة.

وهذا غلط منهم، بل القرآن دلَّ على الأدلة العقلية وبيَّنها ونبَّه عليها" أ.هـ[١] .

---

(١) درء التعارض (١/ ١٩٩).

٢- أنهم خالفوا الدليل العقلي الشرعي واستعاضوا عنه بالدليل العقلي المخالف للكتاب والسنة والذي قد لا يليق بالله سبحانه وأسمائه وصفاته، وهذه نتيجة حتمية لمن أعرض عن نصوص الكتاب والسنة ولعلنا نقتصر على ذكر مثال واحد:

وهو أن طوائف من المتكلمة والمتفلسفة ضربوا في حق الله جل وعلا القياس التمثيلي الذي يستوي فيه الأصل والفرع وكذلك القياس الشمولي الذي تستوي فيه أفراده والله سبحانه ليس كمثله شيء، فلا يجوز أن يُمثَّل بغيره، ولا يجوز أن يدخل هو وغيره تحت قضية كلية تستوي أفرادها.

ولكن الطريقة العقلية البرهانية الصحيحة أن يستعمل في حق الله جلَّ وعلا (قياس الأولى) سواءً كان تمثيلاً أو شمولاً كما قال جلَّ وعلا: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل : ٦٠] مثاله: كل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه ثبت نوعه للمخلوق المربوب فإنما استفاده من ربه والله أولى به [(١)] .

٣- تقديمهم للعقل على النقل:

وبهذا الأصل الفاسد عطَّلوا الشرائع وهدموا أصوله وأقاموا البدع وعليه – أي هذا الأصل – اعتمد غالب المتكلمين والفلاسفة وأهل البدع قاطبة .

وهذا الأصل مبني على مقدمات فاسدة [(٢)] وهي كالتالي:

المقدمة الأولى: ثبوت التعارض بين العقل والنقل وعليه يقدم العقل مطلقاً :

وهذه المقدمة باطلة لأن التقسيم الصحيح الذي يتفق عليه العقلاء يقول: إما أن يكون الدليلان سمعيان أو عقليان أو سمعي وعقلي، فإما أن يكونا قطعيين (وهنا لا يمكن أن يتعارضا)، وإما أن يكونا ظنيين وهنا يصار للترجيح ويقدم الراجح، وأما أن يكون أحدهما ظني والآخر قطعي وعليه فيقدم القطعي .

المقدمة الثانية: انحصار التقسيم في أربعة أمور وهي:

---

(١) انظر: الدرء (١/ ٢٩-٣٠).

(٢) انظر: عرضاً رائعاً في الصواعق المرسلة لابن القيم من بداية الجزء الثالث ، إلى ص٨٢٥ .

١- أنه لا يمكن الجمع بينهما.

٢- ولا إبطالهما.

٣- ولا تقديم النقل لأن العقل أصل النقل فلو قدمنا النقل لبطل العقل وهو أصل النقل فلزم بطلان النقل ، فيلزم من تقديم النقل بطلان العقل والنقل فتعين الأمر الر ابع وهو:

٤- تقديم العقل.

وهذه المقدمة باطلة لأمور:

أ – لأنا لا نسلم انحصار التسمية في الأربعة أمور إذ من الممكن أن يقال : نقدم العقلي تارة والسمعي تارة فأيهما كان قطعياً قدم.

ب– وأيضاً : قوله إن قدمنا النقل لزم الطعن فحاصله ممنوع فإن قوله العقل أصل النقل إما أن يريد به أنه أصل في ثبوته في نفس الأمر ، أو أصل في علمنا بصحته فالأول لا يقوله عاقل، وأما إن أراد أن العقل أصل في معرفتنا بالسمع ودليل على صحته وهذا هو مراده فيقال ليس كل ما يعرف بالعقل يكون أصلاً للسمع ودليلاً على صحته، فإن المعارف العقلية أكثر من أن تحصر، وليس كل العلوم العقلية يعلم بها صدق الرسول بل ذلك يعلم بالآيات والبراهين الدالة على صدقه.

المقدمة الثالثة: إذا تعينت القسمة إلى أربعة أمور وهي التي تقدمت تعين تقديم الأمر الرابع وهو تقديم العقل على النقل وهذه باطلة لأمور :

أ – لأن تقديم العقل على الشرع يتضمن القدح في العقل والشرع لأن العقل قد شهد للوحي بأنه أعلم منه وأنه لا نسبة له إليه وأن نسبة علومه ومعارفه إلى الوحي أقل من خردلة بالإضافة إلى جبل، فلو قدم حكم العقل عليه لكان ذلك قدحاً في شهادته وإذا بطلت شهادته بطل قبول قوله فتقديم العقل على الوحي يتضمن القدح فيه وفي الشرع.

ب – ومما يدل على بطلان هذه المقدمة أن تقديم العقول على الأدلة الشرعية ممتنع

متناقض وأما تقديم الأدلة الشرعية فهو ممكن مؤتلف فوجب الثاني وامتنع الأول فإن زيداً قد يعلم بعقله ما لا يعلمه بكر بعقله ، وقد يعلم الإنسان في حال تعقله ما يجهله في وقت آخر، والمسائل التي ادعوا فيها تعارض العقل والشرع هم مضطربون فيها ما بين مثبتٍ ونافٍ (١) ، وأما الوحي فهو قول الصادق وهو صفة لازمة لا تختلف باختلاف أحوال الناس، والعلم بذلك ممكن ورد الناس إليه ممكن.

٤- أهل البدع لايرون كمال الشريعة في الدلائل :

كما هو معلوم أن الدين إما أن يكون مسائل يجب اعتقادها وأما أن يكون دلائل لهذه المسائل وهذه الدلائل جاءت الشريعة موفية بها كلها على أتم وجه سواءً كانت سمعية أو عقلية ولهذا كان كمال هذا الدين الذي أخبر الله عنه بقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾[المائدة :٣] ، هو في المسائل والدلائل ولكن أهل البدع خالفوا وقالوا الدين كامل في مسائله لا في دلائله ، وعلى هذا الأصل بنوا أن الشرع لم يأت بالأدلة العقلية.

يقول القاضي عبد الجبار : "المراد أنه أكمل الشرائع، لا الأمور العقلية"أ.هـ(٢) .

٥- أن أهل الكلام جعلوا بعض الدلائل لإثبات بعض المسائل أصولاً يعتمد عليها ويضلل المخالف فيها مع أنهم أخطأوا وضلوا في هذه الوسائل المبتدعة البعيدة عن نور الوحي فكانت هي أصل ضلالاتهم وخطأهم ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر مسألة حدوث العالم التي انبنى عليها نفي الصفات.

يقول شيخ الإسلام: "والمقصود هنا أن كلامهم الذي زعموا أنهم أثبتوا به الصانع إنما يدل على نفي الصانع وتعطيله فلا يكفي فيه أنه باطل لم يدل على الحق بل دل على الباطل الذي يعلمون هم وسائر العقلاء أنه باطل" أ.هـ (٣) .

---

(١) انظر: نفس المعنى عند الدارمي في الرد على الجهمية ص١٢٧ .

(٢) المغني في أبواب العدل والتوحيد (١٢/ ١٦٧) (نقلاً عن الأخ العريفي في رسالته الأدلة العقلية).

(٣) مجموع الفتاوى (١٦/ ٤٤٣).

٦- إهمال أهل البدع والكلام الأدلة العقلية النقلية :

أن أهل الكلام والفلسفة أهملوا نوعاً مهماً من الأدلة الشرعية هو الأدلة العقلية النقلية السمعية التي فيها دلائل واضحة ، وحجج قاطعة ، وبراهين ساطعة ، ولكنهم أهملوها وأعرضوا عنها فإن جاؤا بها جاؤا بها على سبيل الاستئناس لا على سبيل الاستغناء والاعتماد فشتان بين مشرق ومغرب [١] .

---

(١) انظر : الأدلة العقلية والنقلية ، ص٤٥-٤٦ .

المطلب الثالث : منهج أهل السنة في عرض الأدلة العقلية

تمهيد:

إن معارضة النصوص الشرعية الصريحة الصحيحة الواضحة هي طريقة أعداء الرسل من المشركين والمكذبين، ولهذا ورث أهل الكلام والمتفلسفة هذه الطريقة عنهم لأنهم لم يرضوا بالنصوص الشرعية رأساً ولم يقدروها ويعظموها كما أراد الله سبحانه.

يقول شيخ الإسلام : "والمقصود أن المشركين كانوا يعارضون الرسول بما يتخيلونه مناقضاً لقوله، وإن لم يكن في ظاهر قوله ما يناقض: لا معقولاً ولا منقولاً، فكيف إذا كان ظاهر قوله يناقض صريح المعقول الذي عليه أئمة أرباب العقول لا سيما إذا كان المعقول هو الذي لا يمكن تصديقه إلا به ... وكذلك أيضاً أنكروا أن يبعث الله بشراً رسولاً ، وجعلوا ذلك منكراً ممتنعاً في عقولهم كما قال تعالى:﴿ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴾[الإسراء : ٩٤] وقال: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ ﴾[يونس : ٢] .

وكذلك لما أخبرهم بالمعاد عارضوه بعقولهم، وقد ذكر الله تعالى من حججهم التي احتجوا بها في إنكار المعاد ما هو مذكور في القرآن ...

والمقصود أن الرسول محمداً ﷺ كان يعارضه من المؤمنين به والكفار ما لا يكاد يحصى معارضةً لا ترد عليه ولم تكن إلا من جهل المعارض، ولم يكن في ظاهر الكلام الذي يقوله لهم ومفهومه ومعناه ما يخالفه صريح المعقول، بل كان المعارضون يعارضون بعقولهم ما لا يستحق المعارضة ..." أ.هـ (١) بتصرف .

ولما جاء الإسلام وآمن به من آمن واطمأنت قلوبهم وأيقنت بأن ما جاء الله به ورسوله هو الحق الذي ينبغي أن يتمسك به استمر الناس على هذا الحق والإيمان به دون شك أو تردد وبلَّغوه إلى من حولهم ثم لمّا دخل في الدين من دخل من أعداء الإسلام من اليهود والمجوس والنصارى وغيرهم رغبة في هدم الإسلام وأصوله

---

(١) درء التعارض (٧/ ٦١-٦٧) بتصرف.

ظهرت الفرق الضالة المنحرفة ورفعت عقيدتها بنفس الدعوى القديمة التي قالها المشركون وأعداء الرسل بأن ما جاء عن الله وعن رسوله يخالف المعقول، ولهذا كان الصدر الأول من الصحابة والتابعين الأوائل على الحق والسنة ولم تظهر المعارضات العقلية إلا بعد عصرهم.

يقول شيخ الإسلام: "ومعلوم أن عصر الصحابة وكبار التابعين لم يكن فيه من يعارض النصوص بالعقليات، فإن الخوارج والشيعة حدثوا في آخر خلافة علي، والمرجئة والقدرية حدثوا في أواخر عصر الصحابة، وهؤلاء كانوا ينتحلون النصوص ويستدلون بها على قولهم، ولا يدَّعون أن عندهم عقليات تعارض النصوص، ولكن لما حدثت الجهمية في أواخر عصر التابعين، كانوا هم المعارضين للنصوص برأيهم، ومع هذا فكانوا قليلين مقموعين في الأمة" أ.هـ [1].

ولما صنف الأئمة في الرد على المخالفين أو في تقرير مسائل الاعتقاد بسبب ظهور البدع وشبهاتهم العقلية، أودعوا كتبهم كمية كبيرة من الأدلة العقلية وقد تنوعت طرائقهم وأساليبهم في ذلك وهي كالتالي:

منهج أهل السنة في عرض الأدلة العقلية:

١- الأدلة العقلية المستنبطة من الأدلة النقلية:

لعل من أظهر أنواع الاستدلال العقلي ما كان متعلقاً ومبنياً على الدليل النقلي وهو أقوى أنواع الأدلة العقلية لارتباطه بالدليل النقلي الذي لا يستطيع أن يقدح فيه أهل البدع ولهذا أمثلة كثيرة منها:

المثال الأول: أبو عبيد في الإيمان:

من الأدلة التي استدل بها أهل السنة على أن الأعمال تدخل في مسمى الإيمان الآية التي فيها ذكر تحويل القبلة وتسمية الله للصلاة إيماناً وهي عمل.

ونجد أن الإمام أبا عبيد يذكر وجهاً من الاستنباط والاستدلال العقلي من هذا

(١) درء التعارض (٥/ ٢٤٤) وانظر تقرير نفس المعنى في السير للذهبي (٨/ ١٢٩).

الدليل النقلي فيقول - رحمه الله - : "وعلى هذا كل مخاطبة كانت لهم فيها أمر أو نهي بعد الهجرة وإنما سمّاهم بهذا الاسم بإقراره وحده إذا لم يكن هناك فرض غيره فلما نزلت الشرائع بعد هذا وجبت عليهم وجوب الأول سواء ، لا فرق بينهما، لأنها جميعاً من عند الله وبأمره وبإيجابه ، فلو أنهم عند تحويل القبلة إلى الكعبة أبوا أن يصلوا إليها وتمسكوا بذلك الإيمان الذي لزمهم اسمه ، والقبلة التي كانوا عليها لم يكن ذلك مغنياً عنهم شيئاً، ولكان فيه نقضٌ لإقرارهم؛ لأن الطاعة الأولى ليست بأحق باسم الإيمان من الطاعة الثانية، فلما أجابوا الله ورسوله إلى قبول الصلاة كإجابتهم إلى الإقرار صارا جميعاً معاً هما الإيمان؛ إذا أضيفت الصلاة إلى الإقرار والشاهد على أن الصلاة من الإيمان قول الله عز وجل : ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[البقرة : ١٤٣] ..."أ.هـ(١) .

المثال الثاني: الإمام أحمد في الرد على الجهمية:

ومن حجج نفاة صفة الكلام عن الله أن قالوا إن الكلام لا يكون إلا من جوف ولسان وشفتين(٢) .

قال الإمام أحمد: "وأما قولهم إن الكلام لا يكون إلا من جوفٍ وفم وشفتين ولسان أليس الله قال للسموات والأرض: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت :١١]؛ أتراها أنها قالت بجوف وفم وشفتين ولسان وأدوات؟ وقال: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ﴾ [الأنبياء :٧٩] أتراها سبحت بجوف وفم ولسان وشفتين ؟ ... والجوارح إذ شهدت على الكافر فقالوا : ﴿لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ﴾[فصلت : ٢١] أتراها أنها نطقت بجوف وفم ولسان ..." أ.هـ(٣) .

المثال الثالث: الإمام الدارمي في الرد على الجهمية:

ومن الأدلة العقلية التي ذكرها الأئمة في الرد على الذين قالوا إن الله في كل مكان

---

(١) الإيمان، ص١١ .
(٢) الرد على الجهمية والزنادقة ص١٣٠ .
(٣) الرد على الجهمية ص١٣١ .

ما ذكره الإمام الدارمي حيث استدل بآيات النزول والتنزيل فقال - رحمه الله - : "وما يصنع بالتنزيل من هو بنفسه في كل مكان؟ إنما يكون شبه مناولة ، لا تنزيلاً من فوق السماء مع جبريل، إذ يقول سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ ﴾ [النحل : ١٠٢].

والرب بزعمكم الكاذب في البيت معه ، وجبريل يأتيه من خارج، هذا واضح، ولكنكم تغالطون ، فمن لم يقصد بإيمانه وعبادته إلى الله الذي استوى على العرش فوق سمواته وبان من خلقه فإنما يعبد غير الله، ولا يدري أين الله"أ.هـ [(١)] .

٢- استخدامهم للأقيسة العقلية:

لقد تفنن الأئمة - رحمهم الله - في استخدام الأقيسة العقلية وهي طريقة قرآنية نبوية ، وقد استعمل الأئمة القياس على النحو الآتي:

أ- استخدام قياس الأولى [(٢)]:

إن طريقة استخدام قياس الأولى لإقامة الحجة على المخالف كدليل عقلي واضح يفهمه جميع العقلاء هي طريقة القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وعليها كان سلف الأمة في مصنفاتهم وهي طريقة عقلية مستقيمة وصحيحة وقوية .

يقول شيخ الإسلام مبيناً أن استخدام طريقة قياس الأولى هي طريقة السلف : "وهذا النمط هو الذي كان عليه السلف والأئمة كالإمام أحمد وغيره من السلف يسلكونه من القياس العقلي في أمر الربوبية وهو الذي جاء به القرآن" أ.هـ [(٣)] .

ثم عقب - رحمه الله - مبيناً سبب عزوف السلف عن استخدام الأنواع الأخرى من القياس في حق الله تعالى - وقد تقدم ذكره - حيث قال: "وذلك أن الله سبحانه لا يجوز أن يدخل هو وغيره تحت قياس الشمول الذي تستوي أفراده، ولا تحت قياس

---

(١) الرد على الجهمية للدارمي ص٦٦ .

(٢) يقول شيخ الإسلام عن قياس الأولى: "هو أن يكون الحكم المطلوب أولى بالثبوت من الصورة المذكورة في الدليل الدال عليه" أ.هـ شرح الأصفهانية ، ص٧٤ .

(٣) شرح الأصفهانية ص٧٤ ، طبعة مكتبة الرشد، ط.الأولى، ١٤١٥هـ.

التمثيل الذي يستوي فيه حكم الأصل والفرع فإن الله تعالى ليس كمثله شيء لا في نفسه المذكورة بأسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله، ولكن يسلك في شأنه قياس الأولى كما قال : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النحل : ٦٠] ، فإنه من المعلوم أن كل كمال ونعت ممدوح لنفسه لا نقص فيه يكون لبعض الموجودات المخلوقة المحدثة فالرب الخالق الصمد القيوم القديم الواجب الموجود بنفسه هو أولى به..."أ.هـ[(١)].

المثال الأول: الإمام أحمد في الرد على الجهمية:

أكثر الإمام أحمد من الاستدلال العقلي وخاصة طريقة قياس الأولى أثناء رده على الجهمية والزنادقة فكان مما قاله : "فقالوا – أي الجهمية – : لا تكونوا موحدين أبداً حتى تقولوا: قد كان الله ولا شيء، فقلنا : نحن نقول: قد كان الله ولا شيء؛ ولكن إذا قلنا : إن الله لم يزل بصفاته كلها، أليس إنما نصف إلهاً واحداً بجميع صفاته؟ وضربنا لهم في ذلك مثلاً، فقلنا أخبرونا عن هذه النخلة أليس لها جذع وكرب[(٢)] **وليف**[(٣)] **وسعف**[(٤)] **وخوص**[(٥)] **وجمار**[(٦)]؟ واسمها اسم شيء واحد، وسميت نخلة بجميع صفاتها: "فكذلك الله وله المثل الأعلى بجميع صفاته إله واحد..." أ.هـ[(٧)].

ثم يذكر بعد ذلك مثالاً آخر – رحمه الله – ويستدل من خلاله على إثبات الصفات

---

(١) شرح الأصفهانية ص٧٤ ، وانظر :بيان تلبيس الجهمية (١/ ٣٢٧-٣٢٨)،(٢/ ٥٣٥-٥٣٧)، التسعينية (٢/ ٥٠٦-٥٠٧).

(٢) الكَرَب : بالتحريك أصول السَّعَفْ الغلاظ العراض . ويقال: قطع كرب النخل أي : أصول سعفها وهي الكرانيف . القاموس ص١٦٦، أساس البلاغة (٢/ ٣٠١).

(٣) ليف: النخل معروف وهو قِسر النخل الذي يجاور السعف الواحدة ليفة. انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٨٥٠) .

(٤) السَعَفْ: جريد النخل أو ورقه وأكثر ما يقال إذا يبست . القاموس ص١٠٥٨ ، أساس البلاغة (١/ ٤٤٠).

(٥) الخوص: بالضم ورق النخل واحدتها خوصة . ويقال: أخوصت النخلة أورق وخوَّصت . القاموس ص٧٩٨، أساس البلاغة (١/ ٢٥٤).

(٦) جُمَّار: واحدتها جُمَّارة وهي شحمة النخلة وَجمَّر النخل تجميراً قطع جُمارها . انظر : أساس البلاغة للزمخشري (١/ ١٣٢) .

(٧) الرد على الجهمية ص١٣٣-١٣٤ ، وانظر درء التعارض (٥/ ١٦٢-١٦٣).

لله عز وجل بنفس الطريقة يقول– رحمه الله – .

"وقد سمَّى الله رجلاً كافراً اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي فقال: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾[المدثر :١١] ؛ وقد كان هذا الذي سمَّاه الله "وحيداً" له عينان وأذنان ولسان وشفتان ويدان ورجلان وجوارح كثيرة فقد سمَّاه الله "وحيداً" بجميع صفاته فكذلك الله، وله المثل الأعلى وهو بجميع صفاته إله واحد" أ.هـ [١] .

هذا المثال ذكره الإمام أحمد في قضية إثبات الصفات عموماً لله عز وجل وله مثال آخر:

المثال الثاني: الإمام أحمد أيضاً:

يستدل الإمام أحمد بدليل عقلي بطريقة قياس الأولى لإثبات المعية وإثبات العلو لله سبحانه وتعالى ويرد على الحلولية نفاة العلو فيقول - رحمه الله – في باب "بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على العرش" : "... فذلك قوله: ﴿لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾[الطلاق : ١٢] ، ومن الاعتبار في ذلك ، لو أن رجلاً كان في يديه قدح من قوارير صان وفيه شراب صاف، كان بصر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح، فالله وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع خلقه من غير أن يكون في شيءٍ من خلقه" أ.هـ [٢] .

ثم يستطرد ويذكر مثالاً آخر لإثبات نفس المسألة بنفس الطريقة لبيان علم الله سبحانه المحيط بكل شيء مع إثبات علوه ومباينته لخلقه فيقول – رحمه الله – : "وخصلة أخرى، لو أن رجلاً بنى داراً بجميع مرافقها، ثم أغلق بابها وخرج منها، كان ابن آدم لا يخفى عليه كم بيت في داره، وكم سعة كل بيتٍ من غير أن يكون صاحب الدار في جوف الدار، فالله وله المثل الأعلى قد أحاط بجميع خلقه وعلم كيف هو ، وما هو، من غير أن يكون في شيء مما خلق" أ.هـ [٣] .

---

(١) الرد على الجهمية ص١٣٤ .
(٢) الرد على الجهمية ، ص١٣٧ .
(٣) الرد على الجهمية ، ص١٣ .

ب – ضرب الأمثلة نوع من القياس العقلي:

وهي طريقة القرآن لتقريب المعنى المراد وبيان فساد المعنى إن كان فاسداً أو صحته إن كان صحيحاً أو لإثبات قضية ينكرها المعاندون أعداء الرسل كالمعاد والإحياء بعد الموت ونحو ذلك.

يقول ابن القيم – رحمه الله – : "وقد أرشد الله تعالى عباده إليه (يعني القياس) في غير موضع من كتابه فقاس النشأة الثانية على النشأة الأولى في الإمكان... وضرب الأمثال وصرفها في الأنواع المختلفة، وكلها أقيسة عقلية ينبه بها عباده على أن حكم الشيء حكم مثله، فإن الأمثال كلها قياسات يعلم منها حكم الممثل من الممثل به ... فالقياس في ضرب الأمثال من خاصة العقل وقد ركز الله في فطر الناس وعقولهم التسوية بين المتماثلين وإنكار التفريق بينهما والفرق بين المختلفين وإنكار الجمع بينهما ..." أ.هـ [(١)] بتصرف واختصار.

والأئمة – رحمهم الله – استخدموا هذه الطريقة غالباً عند إلزام المخالف وبيان فساد قوله وأنه يلزم عليه لوازم باطلة من خلال ضربهم مثل هذه الأمثلة العقلية.

المثال على هذا النوع: المروزي في تعظيم قدر الصلاة:

في أثناء رده على المرجئة قال – رحمه الله – : "ويقال لهم : أرأيتم رجلاً زنديقاً ، أو نصرانياً كان جالساً في سفينة، أو رأس جرفٍ مطلاً على الماء فتدبر وتفكر في الخلق فعرف أن الله واحدٌ ، لا شريك له ، وأن محمداً ﷺ جاء بالحق من عنده ، علم الله صدق ذلك منه ، فزلت قدمه ، فغرق قبل أن يتشهد بلسان، هل يكون ذلك مؤمناً؟

فإن قالوا : نعم، قيل لهم، مستكمل الإيمان؟ فإن قالوا: نعم قيل لهم فأين الإقرار؟ فإن قالوا ، لم يبق إلى أن يؤدي الإقرار، قيل لهم: فقد شهدتم بأن التصديق بلا إقرار إيمان كامل فإن أمكنه الإقرار فلم يقر أينقص الإيمان الكامل عندكم؟ فإن أقر كمل الإيمان فشهدتم له بالكمال في وقت ثم زعمتم أنه مكمل في وقت ثان فكيف يكمل ما

(١) أعلام الموقعين (١/ ١٧٧) ،وانظر :بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥٣٦).

قد كمل ..." أ.هـ[(١)].

وهذا إلزام جيد من المصنف لهم حين ضرب لهم هذا المثال الذي جعلهم يتناقضون في تقريرهم أو يرجعوا إلى الحق.

٣- بيانهم لفساد القياس والدليل العقلي الذي يستعمله أهل البدع:

وهذه الطريقة كثيرة جداً في كتب الأئمة خاصة في كتب الردود على أهل البدع لأن أهل البدع يكثرون من الأدلة العقلية، فيضطر أهل السنة أن يبينوا فسادها وهذا نوع من إقامة الحجة العقلية عليهم بأن يبينوا فساد استدلالهم ومسلكهم العقلي، والأمثلة على هذا النوع كثيرة:

المثال الأول: الإمام أحمد في الرد على الجهمية:

قال - رحمه الله - في معرض رده على الجهمية نفاة صفة الكلام عن الله: "قلنا فمن القائل: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ﴾[الأعراف :٦-٧]، أليس الله هو الذي يسأل؟ قالوا : هذا كله إنما يكون شيئاً فيعبر عن الله ، قلنا قد أعظمتم على الله الفرية، حين زعمتم أنه لا يتكلم فشبهتموه بالأصنام التي تعبد من دون الله لأن الأصنام لا تتكلم، ولا تتحرك ولا تزول من مكان إلى مكان.

فلما ظهرت عليه الحجة قال: إن الله يتكلم ، ولكن كلامه مخلوق.

قلنا : وكذلك بنو آدم كلامهم مخلوق فقد شبهتم الله بخلقه حين زعمتم أن كلامه مخلوق، ففي مذهبكم قد كان في وقت من الأوقات ألا يتكلم حتى خلق التكلم ، وكذلك بنو آدم كانوا لا يتكلمون حتى خلق الله لهم كلاماً، وقد جمعتم بين كفر وتشبيه وتعالى الله عن هذه الصفة ..." أ.هـ[(٢)].

وهنا نجد أن الإمام أحمد نقض قياسهم واستدلالهم العقلي الذي تقدم فساده وأنه

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٧٤٧).

(٢) الرد على الجهمية ، ص١٣٢-١٣٣.

قياس يقتضي تشبيه الخالق بالمخلوق والرب بالمربوب تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

ولهذا نجد الإمام أحمد - رحمه الله - نقض حجتهم العقلية بنفس الحجة العقلية وهي بيان أن قياسهم الذي اعتمدوا عليه في نفي صفة الكلام فاسد لأنه قياس يقتضي التشبيه .

المثال الثاني: الدارمي في رده على بشر المريسي:

من الأقيسة الفاسدة التي قاسها أهل البدع كبشر وأضرابه ما جاء عن الأئمة في أن القرآن يأتي يوم القيامة شافعاً مشفعاً وما حلاً مصدقاً فقالوا: معنى ذلك أنه ثوابه، قالوا: فإن جاز لهم هذا التأويل في القرآن جاز لنا أن نقول: إن نزوله : أمره ورحمته[١].

قال الإمام الدارمي مبيناً فساد هذا القياس العقلي بقوله: "فيقال لهذا المعارض: لقد قست بغير أصل ولا مثال؛ لأن العلماء قد علموا أن القرآن كلام؛ والكلام لا يقوم بنفسه شيئاً قائماً حتى تقيمه الألسن ويستلين عليها، وإنه بنفسه لا يقدر على المجيء والتحرك والنزول بغير منزل ولا محرك، إلا أن يؤتى به وينزل، والله تعالى حي قيوم، ملك عظيم ، قائم بنفسه، في عزه وبهائه يفعل ما يشاء كما يشاء وينزل بلا منزل ويرتفع بلا رافع، ويفعل ما يشاء بغير استعانة بأحد، ولا حاجة فيما يفعل إلى أحد، ولا يقاس الحي القيوم الفعَّال لما يشاء بالكلام الذي ليس له عين قائم حتى تقيمه الألسن، ولا له أمر ولا قدرة ولا إرادة ولا يتبين إلا بقراءة القراء"أ.هـ[٢].

ثم استطرد مبيناً وجهاً آخر للرد على تأويله النزول بنزول الرحمة والأمر وليس هذا موضعه ولعل فيما ذكر كفاية.

المثال الثالث: الإمام الدارمي في رده على بشر أيضاً:

لقد كرَّر الإمام الدارمي - رحمه الله - في رده على بشر بيان فساد القياس العقلي

---

(١) انظر: الرد على بشر المريسي (١/ ٤٩٨).

(٢) المصدر السابق (١/ ٤٩٨-٤٩٩).

لدى أهل البدع الذي به يستدلون على باطلهم، فقد بيَّنه أحسن بيان وهو لا شك نوع من الحِجاج العقلي السليم الذي يبرز مقدرة علماء السلف على دحض شبهات المخالفين العقلية بالعقل أيضاً فقد نقل في عدة مواضع وبين فساد بعض الأقيسة العقلية حول أسماء الله وصفاته وهي كالتالي:

أ- الموضع الأول: بيان فساد قياس أسماء الله على أسماء المخلوقين:

بين - رحمه الله - فساد قول من يقول إن أسماء الله غير الله، وأنها مستعارة كقولهم أنه قد يكون شخص بلا اسم فتسميته لا تزيد في الشخص ولا تنقص.

فقال - رحمه الله - : "ولا تقاس أسماء الله بأسماء الخلق ، لأن أسماء الخلق [1] مخلوقة مستعارة، وليست أسماؤهم نفس صفاتهم بل هي مخالفة لصفاتهم وأسماء الله صفاته، ليس شيءٌ مخالفاً لصفاته ولا شيء من صفاته مخالفاً للأسماء ... وقد يسمى الرجل حكيماً وهو جاهل، وحكماً وهو ظالم ، وعزيزاً وهو حقير... والله تبارك وتعالى اسمه كأسمائه سواء ،لم يزل كذلك ولا يزال ،لم تحدث له صفة ولا اسم لم يكن كذلك قبل الخلق، كان خالقاً قبل المخلوقين..." أ.هـ [2] مختصراً.

ب- الموضع الثاني: بيان فساد قياس من أراد نفي الصفات:

ومما احتج به بشر ومن معه ما ذكره الإمام الدارمي بقوله: "ثم احتج المعارض لترويج مذهبه بأقبح قياس: فقال: أرأيت لو كتبت اسما في رقعة ثم احترقت الرقعة، أليس إنما تحترق الرقعة ولا تضر النار الاسم شيئاً ؟ " أ.هـ [3] .

فأجابهم - رحمه الله - بأحسن جواب حيث قال: "فيقال لهذا التائه الذي لا يدري ما يخرج من رأسه: إن الرقعة وكتابة الاسم ليس كنفس الاسم ؛ إذا احترقت الرقعة احترق الخط وبقي اسم الله له وعلى لسان الكاتب كما لم يزل قبل أن يكتب ،لم تنقص النار من الاسم ولا ممن له الاسم شيئاً ، وكذلك لو كانت أسماء المخلوقين لم تنقص

(١) الرد على بشر (١/ ١٥٨).
(٢) المصدر السابق (١/ ١٦١-١٦٢) مختصراً.
(٣) الرد على بشر (١/ ١٦٣).

النار من أسمائهم ولا من أجسامهم شيئاً..." أ.هـ [١] .

ج – الموضع الثالث: بيان فساد تأويلهم الذي بنوه على قياس فاسد:

ومما تأوله أهل البدع تأويلهم لما ورد في الحديث: " إنكم لن تقرَّبوا إلى الله بشيءٍ أفضل مما خرج منه" أ.هـ [٢] .

فقالوا : (احتمل خرج منه أي من عنده من غير خروج منه كما يقال: خرج لنا من فلان كذا وكذا من الخبر، وخرج العطاء من قبله لا أنه خرج من جوفه) [٣] .

فأجاب الإمام الدارمي عن هذا التأويل الباطل المبني على تأويلٍ فاسد بقوله : "فأمّا خروجه من الله فلا يشك فيه إلا من أنكر كلامه؛ لأن الكلام يخرج من المتكلم لا محالة، وأما أن تصفه بالجوف كما ادعيت علينا زوراً فإنا نجله عن ذلك، وهو المتعالي عنه؛ لأنه الأحد الصمد كما قال، ومن زعم أنه لم يخرج منه إلا كخروج عطاءٍ من قِبَلِه، فقد أقر بأنه كلام غيرِهِ وكلام غيرِهِ مخلوق لا يجوز أن يضاف إليه صفة، ولو جاز ذلك لجاز أن يقول: كل ما تكلم به الناس من الغناء والنوح والشعر كله كلام الله وهذا محال يدعوا إلى الضلال ،وفي هذا القياس الذي ذهبتم إليه يجوز أن يقال: قول اليهود عزير ابن الله والنصارى المسيح ابن الله ثالث ثلاثة قبل أن يخبر الله عنهم كان كلام الله..."أ.هـ [٤].

٤- استعمال طريقة "السبر والتقسيم" [٥]:

وهذه الطريقة استعملها السلف في مصنفاتهم لإفحام الخصم وإقامة الحجة عليه

---

(١) المصدر السابق (١/ ١٦٤).

(٢) تقدم تخريجه والكلام عنه.

(٣) الرد على بشر (٢/ ٦٩١-٦٩٢).

(٤) الرد على بشر (٢/ ٦٩٢-٦٩٣) .

(٥) السبر والتقسيم : كلاهما واحد ، وهو إيراد أوصاف الأصل أي المقيس عليه ، وإبطال بعضها ليتعين الباقي للعلية. انظر: التعريفات للجرجاني ص ١٥٥ ، والتوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ص١٩٨- ٣٩٦، والكليات للكفوي ص ٢٦٥ ط.مؤسسة الرسالة بتحقيق عدنان درويش ومحمد المصري ط.الثانية ١٤١٩هـ.

وهي طريقة قرآنية كما قال جلَّ وعلا: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ [الطور : ٣٥] ، وكما قال سبحانه: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[المؤمنون : ٩١] ، وغيرها من الآيات [1].

المثال الأول: الكناني في الحيدة:

قال عبد العزيز الكناني لبشر المريسي أثناء مناظرته المشهورة: "... فقلت لبشر : تقول إن كلام الله مخلوق ؟ فقال: إن القرآن مخلوق ، قال عبد العزيز : فقلت له يلزمك واحدة من ثلاث لابد أن تقول : أن الله عز وجل خلق القرآن وهو عندي أنا كلامه في نفسه، أو خلقه في غيره، أو خلقه قائماً بذاته ونفسه فقل ما عندك..." وهذا هو السبر.

ثم بدأ يذكر الباطل منها والصحيح وهذا هو التقسيم حيث قال: "فإن قال إن الله خلق كلامه في نفسه فهذا محال لا يجد السبيل إلى القول به من قياس ولا نظر معقول لأن الله عز وجل لا يكون محلاً للحوادث ولا يكون فيه شيء مخلوق ولا يكون ناقصاً فيزيد فيه شيءٌ مخلوق ...

وإن قال : خلقه في غيره فيلزمه في النظر والقياس أن كل كلام خلقه الله في غيره هو كلام الله لا يقدر أن يفرق بينهما فيجعل الشعر كلام لله تعالى ويجعل قول الكفر والفحش وكل قول ذمه الله كلاماً لله وهذا محال لا يجد السبيل إليه.

وإن قال : خلق قائماً بنفسه وذاته وهذا هو المحال الباطل الذي لا تجد إلى القول به سبيلاً في قياس ولا نظر ولا معقول لأنه لا يكون الكلام إلا من متكلم كما لا تكون الإرادة إلا من مريد ... فلما استحال من هذه الجهات أن يكون مخلوقاً ثبت أنه صفة لله عز وجل وصفات الله عز وجل كلها غير مخلوقة فبطل قول بشر يا أمير المؤمنين..." أ.هـ بتصرف واختصار [2] .

---

(١) انظر: الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد للعريفي ص١٢٨ .

(٢) الحيده للكناني (٨٢-٨٣) باختصار .

المثال الثاني : الإمام أحمد في رده على الجهمية:

واحتج الإمام أحمد-رحمه الله- في رده على الجهمية والزنادقة بدليل عقلي يؤمن به كل العقلاء من البشر، حيث قال :" وإذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أن الله في كل مكان ولا يكون في مكان دون مكان فقل : أليس الله كان ولا شيء ؟

فيقول : نعم.

فقل له : حين خلق الشيء خلقه في نفسه أو خارجاً من نفسه ؟ فإنه يصير إلى ثلاثة أقول لابد له من واحد منها .

- إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه كفر حين زعم أن الجن والإنس والشياطين في نفسه.
- وإن قال : خلقهم خارجاً من نفسه ثم دخل فيهم ، كان هذا كفر أيضاً .(١)
- وإن قال : خلقهم خارجاً عن نفسه ثم لم يدخل فيهم رجع عن قوله أجمع وهو قول أهل السنة ". (٢)

٥- ذكر الإلزامات الشنيعة التي تلزم على أقوال أهل البدع :

وهذا مما أكثر منه الأئمة في كتبهم ليبرهنوا بالدليل الواضح الناصع بطلان قول أهل البدع وشناعة المذهب الذي يذهبون إليه وإليك بعض الأمثلة وليست للحصر:

المثال الأول :الإمام أبوعبيد في كتاب الإيمان :

ومما ذكره رحمه الله أثناء رده على المرجئة الذين يقولون إن الإيمان هو مجرد القول دون العمل بعض ما يلزم على هذا القول الخبيث حيث قال -رحمه الله- :" وقد يلزم على أهل هذا الرأي ممن يدعي أن المتكلم بالإيمان مستكمل له : من التبعة ما هو أشد مما ذكرنا ، وذلك فيما قص علينا من نبأ إبليس في السجود لآدم فإنه قال :﴿إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾[ص :٧٤] فجعله الله بالاستكبار كافراً وهو مقر به غير

(١) إلى هنا انتهى النص من المطبوعة بتحقيق د. عبد الرحمن عميرة ص١٣٩ .

(٢) وهذه الزيادة من المطبوعة ط. االسلفية القاهرة عام ١٣٩٣هـ.

جاحدٍ له ، ألا تسمع : ﴿خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾﴿الأعراف : ١٢﴾ وقوله ﴿رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾[الحجر : ٣٩] فهذا الآن مقر بأن الله ربه وأثبت القدر أيضاً في قوله:(أغويتني) ....(ثم قال رحمه الله) : فهل يجوز لمَن يعرف الله وكتابه وما جاء من عنده أن يثبت الإيمان لإبليس اليوم ؟".(١)

المثال الثاني : الإمام الدارمي في رده على المريسي :

من القضايا التي رد الإمام الدارمي على أهل البدع زعمهم أن أسماء الله مستعارة مخلوقة حيث قال مبيناً ما يلزم على قول من يقول إنها ليست حقيقية وأنها مخلوقة :" ومن ادعى هذا التأويل فقد نسب الله تعالى إلى العجز والوهن والضرورة والحاجة إلى الخلق ؛ لأن المستعير محتاج مضطر ، والمعير أبداً أعلى منه وأغنى ، ففي هذه الدعوى استجهال الخالق إذ كان بزعمه هملاً لا يدرى ما اسمه وما هو وما صفته .." (٢)

المثال الثالث : الإمام البخاري في خلق أفعال العباد:

ذكر رحمه الله بعض ما ذكره أهل العلم مما يلزم على من اعتقد اعتقادات الجهمية المعطلة فقال -رحمه الله- :" وقال بعض أهل العلم : إن الجهمية هم المشبهة لأنهم شبهوا ربهم بالصنم والأصم والأبكم الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم ولا يخلق ....". (٣)

٦- الرد على الدليل العقلي بدليل عقلي مثله :

ومن الطرق التي نهجها الأئمة الرد على ما يستدل به الخصم من أدلة عقلية بدليل عقلي مثله وأقوى منه وإليك المثال :

الإمام الدارمي في رده على بشر المريسي :

قال -رحمه الله- : " وأما قولك ولم تره عين فتستوصفه " ويعني رحمه الله أن

---

(١) الإيمان ص ٣٠.

(٢) الرد على بشر (١/ ١٥٨).

(٣) خلق أفعال العباد ص ٣٥. وانظر للاستزاده الرد على الجهمية للدارمي ص ١٣٢، ١٥٤، والرد على بشر(١/ ٢١٤)،وخلق أفعال العباد ص١٩٠.

المبتدعة احتجوا على نفي الصفات بأن الأعين لم تره في الدنيا فلا يمكن وصفه وهي حجة عقلية متهافته فقال رحمه الله راداً على هذه الشبهة العقلية بقوله : " فلو احتج بهذا صبي صغير لم يزد على ما قلت جهالة أفرأى أهل الجنة والنار وما فيهما بعينه فتستوصفه ؟

وهل يصفهما ويصف ما فيهما إلا بما وصفهما الله في كتابه : أن في الجنة حوراً عيناً وطعاماً وشراباً وأنهاراً ونخلاً ورماناً وشجراً وقصوراً من در وياقوت ولباساً من سندس واستبرق وحريرا وما أشبهها ...... أفتصف الجنة والنار أيها المعارض بهذه الصفات عمن رآها بعينه أو عما أخبر الله في كتابه وأخبر الرسول ﷺ ؟

وكذلك تصف رؤية الله وتفسرها عن الله وعن رسوله وإن لم تره عين تستوصفه ..".(١)

(١) الرد على بشر (١/ ١٩٧-١٩٨).

المبحث السابع

منهجهم في عرض أدلة الفطرة

تمهيد:

من القضايا المهمة التي اعتنى بها أهل السنة في الاستدلال ذكر ما دلت عليه الفطرة في بعض المسائل التي يخالف فيها أهل البدع أهل السنة ويحسن بنا أن نذكر تعريف الفطرة في اللغة والراجح في الاصطلاح عند أهل السنة :

تعريف الفطرة في اللغة (١) :

تأتي الفطرة في اللغة على عدة معان وهي كالتالي :

-بمعنى الشق وقيده بعضهم بالشق الأول أو الشق طولاً ومنه قوله تعالى : ﴿ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّ ﴾[الشورى : ٥] ،وقوله تعالى: ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾[الملك :٣].

-ويأتي بمعنى الابتداء والخلق والإيجاد ومنه قوله تعالى : ﴿قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّٗا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾[الأنعام : ١٤] .

ومنه قوله تعالى : ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِي فَطَرَنِيٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾[هود :٥١]

-وتطلق العرب الفطر على الشيء الذي لم يمر على حدوثه زمن ولم يتغير.

-وتقول العرب : " الفطاري " للرجل الفدم الذي لاخير فيه .

تعريف الفطرة في الاصطلاح على الراجح (٢):

ولعل الراجح من أقوال أهل العلم في هذه المسألة هو أن **الفطرة بمعنى الإسلام** والأدلة على ذلك كثيرة منها :

١-قوله تعالى : ﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [الروم : ٣٠].

---

(١) انظر: القاموس المحيط ص٥٨٧، والصحاح للجوهري (٢/ ٧٨١)، لسان العرب لابن منظور (٥/ ٥٥)، تاج العروس للزبيدي (٣/ ٤٧٠)، أساس البلاغة للزمخشري (٢/ ٢٠٥).

(٢) انظر: بحثاً نفيساً قدم لنيل درجة الماجستير بعنوان (الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها) لأخينا الشيخ علي بن عبد الله القرني .

قال ابن كثير رحمه الله :"يقول تعالى : فسدِّد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك من الحنيفية ملة إبراهيم الذي هداك الله لها وكملها لك غاية الكمال وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده وأنه لا إله غيره" (١).

٢-الحديث المشهور عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :" كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء ؟ ثم يقول أبو هريرة : إقرأوا إن شئتم: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾." (٢)

وجاء في بعض الروايات زيادة: " قالوا:" يارسول الله أرأيت من يموت وهو صغير ؟ قال : الله أعلم بما كانوا عاملين".

وهذا الحديث يدل على أن المراد بالفطرة الإسلام من وجوه عدة :

أ-جاء في الروايات الأخرى ما يفسر المراد بالفطرة وأنه الإسلام فقد جاء في بعض الروايات بلفظ: " ما من مولود يولد إلا وهو على هذه الملة".

ب-أن الراوي وهو أبو هريرة فسر الحديث بالآية والآية دلت كما سبق على أن المراد بالفطرة فيها الإسلام .

ج-أنه قال في الحديث يهودانه وينصرانه ويمجسانه ولم يقل يسلمانه دل على أنهم يحرفونه عن الأصل وهو الإسلام وهو الفطرة التي خلق عليها .

د- قال شيخ الإسلام :" لو لم يكن المراد بالفطرة الإسلام لما سألوا عقب ذلك :" أرأيت من يموت من أطفال المشركين وهو صغير؟" لأنه لو لم يكن هناك ما يغير تلك الفطرة لما سألوه ". (٣)

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٢٧٢٤) ، وانظر: درء التعارض لشيخ الإسلام (٨/ ٣٧٢) .

(٢) أخرجه: البخاري في صحيحه في كتاب الجنائز باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه برقم (١٣٥٨-١٣٥٩) .ومسلم في القدر برقم (٢٦٥٨).

(٣) درء التعارض (٨/ ٣٧١).

١-حديث عياض بن حمار ﷺ عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه جل وعلا : " إني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً " (١).

قال ابن القيم معلقاً على هذا الحديث :" وهذا صريح في أنهم خلقوا على الحنيفية وأن الشياطين اقتطعتهم بعد ذلك عنها وأخرجوهم منها قال تعالى : ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوۡلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخۡرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾[البقرة :٢٥٧] وهذا يتناول إخراج الشياطين لهم من نور الفطرة إلى ظلمة الكفر و الشرك ومن النور الذي جاءت به الرسل من الهدى والعلم إلى ظلمات الجهل والضلال ".(٢)

والأدلة على ما ذكرنا كثيرة والمقام لا يتسع لذكرها كلها (٣).

وهذا القول قال به جمع من أهل العلم وعلى رأسهم بعض الصحابة والتابعين وقد يطول المقام بذكرهم .(٤)

دلالة الفطرة على مسائل الاعتقاد :

لقد جاءت تعاليم الإسلام وشرائعه متوافقة ومقررة لما هو مستقر في فطر بني آدم و لا يمكن أن يكون في دين الله وشرعه شيئاً مخالفاً أو مضاداً للفطرة ولهذا كلما تمسك الإنسان بالشرع والدين كان أكثر استقراراً وطمأنينة لأنه وجد الأمر الذي يتوافق مع فطرته وهذا من جوانب الإعجاز في شريعة الله جل وعلا.

ومما يمكن أن نشير إليه وله صلة بالبحث ما يخص مسائل الاعتقاد وخاصة الكبرى منها فقد جاءت الفطرة مقررة ومؤكدة لها وهي على سبيل الإجمال كالتالي:

---

(١) أخرجه مسلم في الجنة وصفة نعيمها برقم (٢٨٦٥).
(٢) أحكام أهل الذمة (٢/ ٥٣٢).
(٣) انظر: رسالة الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها للشيخ على القرني ص١٠٤-١١٨.
(٤) ممن قال بهذا القول من الصحابة أبو هريرة وابن عباس وعمر بن الخطاب ومعاذ ومن التابعين الزهري وعكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة وابن جبير والحسن والأوزاعي والنخعي وكذلك الإمام أحمد والبخاري وابن جرير وابن حزم وابن كثير والبيهقي وشيخ الإسلام وابن القيم وابن حجر والشوكاني .
انظر : رسالة الفطرة للشيخ علي القرني ص١١٨.

دلالة الفطرة على معرفة الله والإقرار بوجوده وربوبيته:

وأما الإقرار بوجود الله وأنه رب كل شيء وأنه خالق الناس والكون فهذا مما فطر عليه جميع البشر و لا يكاد ينفك عنه أحد ، والأدلة التي جاء بها الأنبياء أو الكتب حول توحيد الربوبية وإثبات وجود الله إنما هو تذكير وتنبيه لما هو مستقر في فطر بني آدم. (١)

والرسل جميعاً لم يبعثوا لتقرير توحيد الربوبية لأنه مستقر في فطر بني آدم بل بعثوا لتقرير توحيد الألوهية وإفراد الله تعالى العبادة حده دون ما سواه .

قال تعالى مبيناً أن المشركين الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ لم يكونوا منكرين لربوبية الله جل وعلا : ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[يونس : ٣١]

دلالة الفطرة على توحيد الألوهية :

إن مقتضى الفطرة السليمة هو أن تصرف العبادة كلها لمن خلق ورزق ودبر هذا الكون وصرف العبادة لغيره من أظلم الظلم وأقبح البهتان.

والله جل وعلا جعل أساس الملة وأساس قبول الأعمال أن يكون الإنسان موحداً لربه في عبادته و لا يمكن أن يجعل توحيد العبادة بهذه المرتبة وهو لا يتوافق مع الفطرة أو لا تدل عليه.

ولعل من أبرز الأدلة على أن الفطرة دلت على هذا النوع من التوحيد هو الآيات الدالة على اخذ العهد والميثاق فإنها دلت على أن جزءً من هذا العهد كان يتضمن توحيد الألوهية .

يقول الإمام ابن كثير رحمه الله :" يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم أن الله ربهم ومليكهم وأنه لا إله إلا هو ، كما أخبر أنه تعالى فطرهم على ذلك وجبلهم عليه ". (٢)

---

(١) انظر: درء التعارض (٨/ ٤٨٨-٤٩٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ١٥٠٤)

وقال في موضع آخر مبيناً أن هذا الإشهاد حجة عليهم في الإشراك الذي وقعوا فيه ثم قال :" فدل على أن الفطرة التي فطروا عليها هي الإقرار بالتوحيد ، ولهذا قال : ﴿أَن تَقُولُوا﴾ أي :لئلا يقولوا يوم القيامة : ﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ أي : التوحيد ...."أ.هـ(١)

وكذلك فإن صاحب الفطرة السليمة الذي أقر بربوبية الله عز وجل فإنه يخرج بنتيجة فطرية عقلية على أن المستحق لهذه العبادة وحده دون ما سواه هو الله جل وعلا خالق هذا الكون ولهذا جاء في القرآن في سورة ياسين أن صاحب ياسين احتج على قومه بما تقربه عقولهم وفطرهم فقال : ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[يس : ٢٢].

يقول ابن القيم معلقاً :" فتأمّل هذا الخطاب كيف تجد تحته أشرف معنىً وأجله ، وهو أن كونه سبحانه فاطراً لعباده يقتضي عبادتهم له ، وأن من كان مفطوراً مخلوقاً فحقيق به أن يعبد فاطره وخالقه ولا سيما إذا كان مردُّه إليه ، فمبدأه منه مصيره إليه ، وهذا يوجب عليه التفرغ لعبادته ، ثم احتج عليهم بما تقر به عقولهم وفطرهم من قبح عبادة غيره وأنها أقبح شيئ في العقل وأنكره فقال : ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾[يس : ٢٣-٢٤] أفلا تراه كيف لم يحتج عليهم بمجرد الأمر بل احتج عليهم بالعقل الصحيح ، ومقتضى الفطرة ".(٢)

- دلالة الفطرة على إثبات صفات الكمال لله جل وعلا:

من المعلوم أن كل كمال لا نقص فيه بوجه من الوجوه يثبت للمخلوق ، فالخالق أحق به وأولى ، وكل نقص تنزّه عنه مخلوق فالخالق سبحانه أحق بتنزيهه عنه.(٣)

فالفطرة تثبت الكمال والتمام الذي لا نقص فيه بوجه من الوجوه للخالق المدبر

(١) المصدر السابق (٤/ ١٥٠٩-١٥١٠).
(٢) مفتاح دار السعادة (٢/ ٣٣٢-٣٣٣) ط. تحقيق الحلبي.
(٣) انظر: درء التعارض (٢/ ٣٤١).

الرب الأله المعبود ولا يمكن أن يكون إلها ورباً وهو غير كامل في صفاته وأسمائه وأفعاله سبحانه.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :" وكما أنه سبحانه في القرآن بيّن أن العالم القادر الذي يخلق ويأمر بالعدل أكمل من غيره ، وأن هذا التفضيل مستقر في الفطر ، والتسوية من منكرات العقول التي تنكرها العقول بفطرتها ، وهي من المقدمات البديهية المستقرة فيها ، فكذلك يبين أن العادم لصفات الكمال ناقص لا يمكن أن يكون ربّاً ولا معبوداً ، ويبين أن العلم بذلك فطري مستقر في القلوب.

كقوله تعالى عن الخليل: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم : ٤٢]

وقوله تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ ﴾[الأعراف :١٤٨]

(إلى أن قال): "والمقصود هنا أن كون العلم صفة كمال وكون العالم أكمل من الذي لا يعلم وكون عدم العلم نقصاً هو من أبين القضايا البديهية المستقرة في فطر بني آدم". (١)

ويدخل فيها هذا أن كل الصفات التي وردت في الكتاب والسنة الثابتة لله عز وجل هي صفات كمال لا نقص فيها بوجه من الوجوه والفطرة كذلك تدل على ذلك وتؤيد ما ورد في النص الشرعي وما يدل عليه العقل الصحيح السليم من الشهوات والشبهات .

أمثلة تطبيقية لاستدلال السلف بالفطرة على بعض مسائل الاعتقاد:

ونقتصر هنا على مثالين ذكرهما السلف في مصنفاتهم حول استخدامهم للفطرة كدليل لما يريدون تقريره:

المثال الأول :البخاري في خلق أفعال العباد وعبدالله بن أحمد في السنة :

---

(١) درء التعارض (١٠/ ١٥٤-١٥٦).

أخرج البخاري وعبد الله بن أحمد بسنديهما عن يزيد بن هارون لما سئل وقيل له :" من الجهمية ؟ فقال :" من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما يقر في قلوب العامة فهو جهمي ".(١)

وهنا استدل يزيد بن هارون على مسألة العلو وأنها قضية فطرية يعرفها حتى عامة الناس ولاتحتاج إلى أن تُحرّف ومن أوّل العلو والاستواء فهو يُحرِّف الفطرة ويحاول تغييرها .

-**يقول ابن القيم** معلقاً على هذا الأثر:" قال شيخ الإسلام : والذي تقرر في قلوب العامة هو ما فطر الله تعالى عليه الخليقة من توجهها إلى ربها تعالى عند النوازل والشدائد والدعاء والرغبات إليه تعالى نحو العلو لا يلتفت يمنة و لا يسرة من غير موقف وقفهم عليه ولكن فطرة الله التي فطر الناس عليها وما من مولود إلا وهو يولد على هذه الفطرة حتى يجهمه وينقله إلى التعطيل من يقيض له".(٢)

-**يقول الذهبي** معلقاً كذلك:" (يقر) مخفف و(العامة) مراده بهم جمهور الأمة وأهل العلم والذي وقر في قلوبهم من الآية هو ما دل عليه الخطاب مع يقينهم بأن المستوي ليس كمثله شيء .

هذا الذي وقر في فطرهم السليمة وأذهانهم الصحيحة ولو كان له معنى وراء ذلك لتفوهوا به ولما أهملوه ولو تأول أحد منهم الاستواء لتوفرت الهمم على نقله ولو نقل لا شتهر فإن كان في بعض جهلة الأغبياء من يفهم من الاستواء ما يوجب نقصاً أو قياساً للشاهد على الغائب وللمخلوق على الخالق فهذا نادر فمن نطق بذلك زجر وعلم وما أظن أن أحداً من العامة يقر في نفسه ذلك والله أعلم ".(٣)

ومسألة العلو من أظهر المسائل والتي تظافرت النصوص وإجماع الخلق والفطر

---

(١) أخرجه البخاري في خلق أفعال العبادص ٢٤برقم (٦٣).وعبد الله بن أحمد في السنة(١/ ١٢٣)برقم (٥٤). وهو صحيح الإسناد(انظر مختصر العلو للألباني ص ١٦٨).

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية ص٢١٤.

(٣) مختصر العلو للألباني ص١٦٧-١٦٨.

عليها وليس هذا موضع بسط الأدلة فيها .

المثال الثاني : الإمام محمد بن نصر في كتابه تعظيم قدر الصلاة :

استدل الإمام محمد بن نصر بالفطرة لتأييد ما ورد في أثر عن آدم عليه السلام وعن داوود عليه السلام ومما جاء فيه أنه:" ما رفع رأسه إلى السماء حتى مات حياءً من ربه".[1]

قال الإمام ابن نصر معلقاً على هذا الأثر:" وأما ما يهيج من الحياء عند ذكر النعم وكثرة الإحسان وتضييع الشكر وذلك موجود في الفطر أن من دام إحسانه إليك وكثرت أياديه عندك وقلّت مكافأتك له غضضت طرفك إذا رأيته حياءً منه فكيف بمن خلقك ولم تك شيئاً ولم يزل محسناً إليك منذ خلقك .....".[2]

ولعل فيما ذكرنا كفاية في التدليل على عناية السلف بذكر دليل الفطرة كمؤيد وعاضد للدليل الشرعي على ما يوردونه من مسائل سواء كانت تقريراً أم رداً على المخالفين.

---

(١) انظر: تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٨٤٣)برقم (٨٥٣)،(٨٥٤)، (٨٥٥).

(٢) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٨٤٤).

المبحث الثامن

احتجاجهم باللغة

تمهيد:

لا شك أن اللغة العربية لها منزلة عظيمة في الإسلام كيف لا وهي لغة القرآن والسنة الوحي المنزل من رب العالمين وقد أخبر الله عن هذا في أكثر من موضع في كتابه العظيم حيث قال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[يوسف :٢] .

وقال جل وعلا : ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾[الزمر : ٢٨].

وقال سبحانه : ﴿لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ﴾[النحل : ١٠٣].

وإنزال القرآن بلغة العرب دليل على فضلها ومنزلتها وشرفها ورفعة قدرها عن غيرها من اللغات الأخرى .

وهناك حكم أخرى من إنزال القرآن بلغة العرب وذلك للإعجاز والتحدي للعرب الذين بعث فيهم رسول الله حيث تحداها أن يأتوا بمثله أو حتى بآية منه.

ومن هذا المنطلق اعتنى صحابة رسول الله ﷺ باللغة العربية عناية كبيرة تدل على مكانتها في نفوسهم وحياتهم وأنها أساس في تعلم العلم وفهم القرآن والسنة .

يقول ابن القيم رحمه الله : " .. فمنعهم (يعني أهل الكتاب) عمر من التكلم بكلام العرب لئلا يتشبهوا بهم في كلامهم كما منعوا من التشبه بهم في زيهم ولباسهم ومراكبهم وهيئات شعورهم فألزمهم التكلم بلسانهم ليعرفوا حين التكلم أنهم كفار ، فيكون هذا من كمال التميز مع ما في ذلك من تعظيم كلام العرب ولغتهم حيث لم يسلط عليها الأنجاس و الأخابث يتبذلونها ويتكلمون بها ، كيف وقد أنزل الله بها أشرف كتبه ، ومدحه بلسان عربي ... فصان أمير المؤمنين هذا اللسان عن أهل الجحيم وغار عليه أن يتكلموا به ، وهذا من كمال تعظيمه للإسلام والقرآن والعرب الذين نزل القرآن بلغتهم وبعث الله رسوله من أنفسهم .."أ.هـ بتصرف.(١)

بل إن أهل العلم صرحوا بأن اللغة العربية هي شعار أهل الإسلام وهي التي

---

(١) أحكام أهل الذمة (٢/ ٧٦٦).

تميزهم عن غيرهم.[١]

بل إنهم نصوا على وجوب تعلمها إذا توقف فهم الكتاب والسنة وتعلم أحكام الشرع على تعلم العربية .

قال الإمام الشافعي –رحمه الله -:"فعلى كل مسلم أن يتعلم من لسان العرب ما بلغه جهده حتى يشهد به أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله ويتلو به كتاب الله وينطق بالذكر فيما افترض عليه من التكبير وأمر به من التسبيح والتشهد وغير ذلك ".أ.هـ[٢]

ولاشك أن اللغة العربية وتعلمها والتخاطب بها يؤثر حتى في السلوك والأخلاق والعادات ويبعد عن تعلم خصال وخلال الكفار والأعاجم وعاداتهم السيئة .

يقول شيخ الإسلام :" ...إنما الطريق الحسن اعتياد الخطاب بالعربية ، حتى يتلقنها الصغار في المكاتب وفي الدور فيظهر شعار أهل الإسلام وأهله ، ويكون ذلك أسهل على أهل الإسلام في فقه معاني الكتاب والسنة وكلام السلف، بخلاف من اعتاد لغة ثم أراد أن ينتقل إلى أخرى فإنه يصعب ، واعلم أن اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيراً قوياً بيناً ، ويؤثر أيضاً في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين ، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق ، وأيضاً – فإن نفس اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب ، فإن فهم الكتاب والسنة فرض ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية ، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب "أ.هـ[٣]

وقد اهتم السلف اهتماماً بالغاً بكتب اللغة :

فمن ذلك ما رواه ابن بطة في الإبانة بسنده عن أحد طلاب الإمام أحمد قال :" طلب مني أبو عبد الله –وهو في السجن –كتاب حمزة [٤] في العربية فدفعته إليه فنظر فيه قبل

(١) انظر هذا المعنى في اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٦٢).

(٢) الرسالة ص ٤٨.

(٣) اقتضاء الصراط المستقيم (١/ ٤٦٩).

(٤) حمزة بن حبيب بن عمارة بن أسماعيل التيمي الكوفي الزيات شيخ القراء وأحد القراء السبة المشهورين ،حدث عن عدي بن ثابت وعمرو بن مرة ، وعنه : الثوري وشريك وغيرهما ، كانت وفاته سنة ١٥٦هـ.

أن يمتحن" أ.هـ. [1]

أشهر علماء اللغة من أهل السنة خلال القرون الثلاثة الأولى :

ويحسن بنا أن ننبه إلى أن أهل البدع اهتموا باللغة لكي يلبسوا على عامة الناس ممن لا علم لهم بالتفاصيل الدقيقة لعلوم اللغة العربية وحاولوا أن يؤيدوا باطلهم عن طريق استخدام اللغة فظهر من أهل السنة من برز وأصبح مرجعاً في اللغة وبين باطل هؤلاء وأنه لا حجة لهم في باطلهم لا من اللغة ولا من غيرها .

يقول الإمام إبراهيم الحربي :" كان أهل البصرة -يعني أهل العربية منهم - أصحاب أهواء إلا أربعةً منهم كانوا على السنة : أبو عمرو بن العلاء ، والخليل بن أحمد ، ويونس بن حبيب ، والأصمعي "أ.هـ[2]

وأشهر علماء اللغة من أهل السنة خلال القرون الثلاثة الأولى هم :

١ . أبو عمرو بن العلاء [3] :

بن عمار بن العريان التميمي ثم المازني البصري شيخ القراءة والعربية ولد سنة ٧٠ هـ قرأ القرآن على سعيد بن جبير وحدث عن أنس بن مالك وممن أخذ عنه العربية الخليل بن أحمد والأصمعي وكان مشهوداً له بشدة تمسكه بالسنة ومحاربة البدع وأهلها كانت وفاته سنة ١٥٤هـ.

٢ . الخليل بن أحمد الفراهيدي [4]:

برع في النحو واللغة وهو واضع علم العروض وله كتاب العين من أوائل المعاجم العربية ولد سنة ١٠٠هـ ، وأخذ عنه العربية سيبويه والأصمعي والنضر بن شميل وكان رحمه الله آية في الذكاء وكان من أئمة السنة كما تقدم توفي سنة ١٧٥هـ.

=انظر : السير (٧/ ٩٠)، الجرح والتعديل (٣/ ٢٠٩)

(١) الإبانة لابن بطة (٢/ ٢٦٤)تحقيق د.الوابل (القسم الثالث).

(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ٤١٨).

(٣) انظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء ٦/ ٤٠٧، إنباه الرواة ٤/ ١٣١، بغية الوعاة ٢/ ٢٣١.

(٤) انظر ترجمته في: السير ٧/ ٤٢٩، إنباه الرواة ١/ ٣٧٦، بغية الوعاة ١/ ٥٥٧.

يونس بن حبيب [١]:

أبو عبد الرحمن يونس بن حبيب الضبي مولاهم البصري النحوي ، ولد سنة ٩٠هـ وأخذ العربية عن أبي عمرو وعنه سيبويه و الكسائي والفراء وبرز في علم النحو، وكان رحمه الله صاحب سنة وتقدم الكلام عنه .

٣. النضر بن شميل [٢]:

بن خرشة أبو الحسن المازني البصري النحوي ، نزيل مرو وعالمها ، ولد في حدود سنة ١٢٢هـ، حدث عن شعبة وحماد بن سلمة وخلق كثير غيرهما ، وعنه يحيى بن معين وإسحاق بن راهويه ، والدارمي وغيرهم خلق كثير ، وكان إماماً في العربية والحديث ، وهو أول من أظهر السنة بمرو وجميع خراسان ، وكانت له تصانيف لم يسبقه أحد إليها ، وكانت وفاته أو ل سنة ٢٠٤ هـ.

٤. الأصمعي [٣]:

هو الإمام الحجة الحافظ أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي الأصمعي البصري اللغوي وقد حدث عن شعبة وأبي عمرو بن العلاء وقد ألف كتباً كثيرة في اللغة وكان من أئمة أهل السنة وممن يحتج بأقوالهم في اللغة وقد نقل عنه الأئمة في كتبهم محتجين بأقواله كالبخاري وغيره ، كانت وفاته سنة ٢١٧هـ.

٥. أبو العباس ثعلب [٤]:

هو أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار ، أبو العباس النحوي الشيباني المعروف بثعلب ، إمام الكوفيين في النحو واللغة سمع من ابن الأعرابي والزبير بن بكار وغيرهما ، وعنه الأخفش والأنباري وغيرهما ، ولد في سنة مئتين ، وقد كان على طريقة السلف في

---

(١) انظر: السير (٨/ ١٩١)، إنباه الرواة (٤/ ٧٤)، بغية الوعاة(٢/ ٣٦٥).

(٢) انظر : السير (٩/ ٣٢٨)،إنباه الرواة (٣/ ٣٤٨)، بغية الوعاة(٢/ ٣١٦)، غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري(٢/ ٣٤١).

(٣) انظر تاريخ بغداد (١٠/ ٤١٨،)، السير (١٠/ ١٧٥)، إنباه الرواة (٢/ ١٩٧)، بغية الوعاة(٢/ ١١٢).

(٤) انظر:تاريخ بغداد (٥/ ٢٠٤)، إنباه الرواة (١/ ١٧٣)، بغية الوعاة (١/ ٣٩٦).

الاعتقاد ، وقد أحجم إبراهيم الحربي عن الكلام في مسألة الاسم والمسمى اقتداءً بثعلب ، لأنه يعده إماماً له في الاعتقاد [(١)] ، وذكره ابن القيم فيمن أثبت العلو من علماء اللغة ونقل عنه في ذلك كلاماً [(٢)] ، كانت وفاته سنة ٢٩١هـ.

٦. ابن الأعرابي [(٣)] :

هو أبو عبد الله محمد بن زياد بن الأعرابي الهاشمي مولاهم النسابه روى عن أبي معاوية الضرير و الكسائي وعنه الحربي وثعلب ولد سنة ١٥٠هـ ، وكان من أحفظ الناس للغات العرب وأنسابها وألف كتباً كثيرة ، وكان صاحب سنة كانت وفاته سنة ٢٣١هـ.

٧. إبراهيم الحربي :

صاحب كتاب الغريب ، وله معرفة واسعة بلغة العرب وممن ينقلها ويقررها ، وممن صنف فيها ككتابه العظيم (غريب الحديث)،وكان جمّاعة للغة ، وقال إمام اللغة أبو العباس ثعلب :"ما فقدت إبراهيم الحربي من مجلس لغة ولا نحو من خمسين سنة "أ.هـ [(٤)] ،وقال القفطي :" ..جمّاعاً للغة ، وصنف كتباً كثيرة منها : (غريب الحديث) ، وهو أجل كتاب ، وأكبر ما صنف في هذا النوع" أ.هـ. [(٥)]

٨. الإمام الشافعي :

وسوف تأتي ترجمة وافية له عند ذكر مصنفات أهل السنة ، وذكر في ترجمته عن جمع من أهل العلم منهم أبو عبيد القاسم بن سلام والإمام أحمد وابن هشام صاحب النحو وغيرهم كثير : أن الشافعي حجة في اللغة وممن تؤخذ عنه اللغة [(٦)] ، ولاشك أنه من

---

(١) انظر : تاريخ بغداد (٥/ ٢٠٩-٢١٠).
(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية ص٢٦٤.
(٣) انظر : السير (١٠/ ٦٨٨)، إنباه الرواه (٣/ ١٢٨)، بغية الوعاة(١/ ١٠٥).
(٤) السير (١٣/ ٣٦٠).
(٥) إنباه الرواة على أنباه النحاة (١/ ١٩٠).
(٦) آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم ص١٣٦-١٣٧ تحقيق عبدالغني عبدالخالق ط.مكتبة التراث -حلب.

أئمة أهل السنة في باب الاعتقاد. [(١)]

٩. **الإمام أحمد بن حنبل :**

وهو إمام أهل السنة بلا منازع فقد قال عن نفسه :"كتبت من العربية أكثر مما كتب أبو عمرو بن العلاء "أ.هـ[(٢)].

١٠. **أبو عبيد القاسم بن سلام :**

تقدمت ترجمته وهو ممن ألف في عقيدة أهل السنة ورد على أهل البدع من خلال الاستدلال باللغة ومن نظر في كتابه العظيم (الإيمان) علم ذلك علم اليقين وأنه إمام لا يجارى في اللغة ، وقد نقل عنه أئمة أهل السنة في كتبهم التي ألفوها في الاعتقاد كالإمام البخاري وغيره وسنذكر في ثنايا هذا المبحث بعض الأمثلة من كتابه رحمه الله.

١١. **ابن قتيبة الدينوري :**

وسيأتي سر مصنفاته في الاعتقاد وهو أديب أهل السنة له كتاب (أدب الكاتب) ، وكان من أئمة أهل السنة في الحديث واللغة والاعتقاد ، وله مصنفات حافلة يرد فيها على أهل البدع بما روي في كلام العرب من اللغة ، ومن أنفس كتبه :تأويل مختلف الحديث ، والاختلاف في اللفظ وغيرها كثير ،وكانت وفاته سنة ٢٧٦هـ.

وأئمة السنة الذين كانوا علماء في اللغة كثر، ولكن ذكرنا المشهورين منهم والمقام لا يتسع لذكرهم جميعاً ،و لا يتسع كذلك للإطالة في ترجمة من ذكرنا والله المستعان.

منهج أهل السنة في الاحتجاج باللغة في مصنفاتهم :

ظهرت بجلاء استدلالات أهل السنة والجماعة باللغة العربية في مصنفاتهم في الاعتقاد خلال القرون الثلاثة الأولى وقد تنوعت طرقهم وأساليبهم في ذلك الاحتجاج والاستدلال والرد على المخالفين بل إنهم يوردون حجج المخالفين اللغوية ويردون عليها أداءً للأمانة العلمية ولبيان ضعف استدلال أهل البدع على باطلهم .

---

(١) انظر: كلاماً وافياً حول معرفة الإمام الشافعي باللغة في:كتاب مناقب الشافعي للإمام البيهقي (٢/ ٤١-٥٩)تحقيق السيد أحمد صقر ط.مكتبة التراث ط.الأولى ١٣٩٠هـ.

(٢) طبقات الحنابلة (١/ ٧-٨).

وقد تنوعت طرائقهم في الاحتجاج باللغة على النحو التالي :

١ - الاحتجاج بكلام العرب أثناء تقرير المسائل العقدية:

وهذا كثير في مصنفاتهم فإنهم غالباً بعد ما يوردون الأدلة من الكتاب والسنة على المسألة فإنهم قد يردفونها بذكر ما يؤيد ما ذهبوا إليه من كلام أهل اللغة والأمثلة على هذا الأمر كثيرة منها :

المثال الأول :أبو عبيد في الإيمان :

كما هو مقرر في عقيدة أهل السنة والجماعة أن المعاصي لا تزيل الإيمان عن العبد بالكلية ولكن تزيل حقيقته وكماله ويبقى معه أصل الإيمان .

وقد استشهد الإمام أبو عبيد بالأدلة من الكتاب والسنة ثم ذكر كلام العرب في هذا الباب فقال : " فإن قال قائل : كيف يجوز أن يقال : ليس بمؤمن واسم الإيمان غير زائل عنه ؟ قيل : **هذا كلام العرب المستفيض** عندنا غير المستنكر في إزالة العمل عن عامله إذا كان عمله على غير حقيقته ألا ترى أنهم يقولون للصانع إذا كان ليس بمحكم لعمله : ما صنعت شيئاً ولا عملت عملاً ، وإنما وقع معناهم هاهنا على نفي التجويد لا على نفي الصنعة نفسها فهو عندهم عامل بالاسم وغير عامل في الإتقان ......".أ.هـ[(١)]

والإمام أبو عبيد حجة في نقل كلام العرب وهو من أئمة اللغة ولهذا بيّن وأكد صحة التأويل الذي قال به أهل السنة حول النصوص الواردة في نفي الإيمان عن مرتكب الكبائر .

المثال الثاني : الإمام محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة:

ومما قرّره أهل السنة كذلك حول مسألة الإيمان أن الإيمان ليس هو التصديق فقط بل يشمل ما هو أعم من ذلك ويدخل فيه القول والعمل .

---

(١) الإيمان لأبي عبيد ص٤١ .وانظر نفس هذا التقرير وهذا المعنى عند ابن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٥٧٨/٢-٥٧٩).

قال الإمام محمد بن نصر في سياق مناقشته لبعض ما أورده المخالفون في باب الإيمان من حجج :" ... ثم زعمتم أن العارف المصدق لا يمتنع من الحب لله وترك البغض له ، وأن ذلك من الإيمان فجعلتم ما يكون عن التصديق إيماناً وهذا الذي خالفتمونا من أجله **لأنكم اعتللتم باللغة وأهل اللغة لا يسمون الحب تصديقاً ولا إيماناً** ، ولا البغض كفراً لأن الحب عن التصديق يكون والبغض عن الإنكار و الجحد ؛ فقد أضفتم إلى الإيمان ما أوجبه الإيمان وكان عنه وكذلك كلما أوجبه الإيمان وكان عنه فهو إيمان لا فرق بين ذلك .

ومما يدل على ذلك أنك إذا أصدرت **اللغة بالعبارة عنهما أنهما موجب للآخر** عرفت أن المعرفة متقدمة للحب والبغض .

(ثم قال رحمه الله): ومن ذلك قول القائل : عرفت فلاناً بالشر والإساءة فأبغضته وعرفت فلاناً بالكرم والإحسان فأحببته ، **و لا تقول العرب** : أبغضته ، وعرفته بالإساءة والشر ، ولا أحببته وعرفته بالخير والإحسان **هذا محال في لغتها** لأن المعرفة تتقدمها وليست بها .."أ.هـ[1]

ومن خلال هذا العرض يخلص الإمام إلى تقرير أنه لا يمكن عد المعرفة من أعمال القلب بل هي من ما تتقدم العمل القلبي وعليه يترتب العمل القلبي وضرب لذلك أمثلة من لغة العرب ليحج بها المخالف.

وكلامه هذا في سياق طويل في الرد على المرجئة القائلين بأن الإيمان هو مجرد التصديق .[2]

٢- بيان وتأكيد صحة الاستدلال اللغوي بالدليل من الكتاب والسنة :

ومن طرائق الأئمة أثناء استدلالهم باللغة ذكر حجة هذا الاستدلال ومن أعظم ما يحتجون به هو ذكر ما يؤيده من أدلة الكتاب والسنة لأنهما وحي من الله بأفصح

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٧٣٢-٧٣٣).

(٢) انظر: تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٧١٦).

وأوضح لغة وبيان .

وهذه الطريقة فيها من القوة بحيث لا يمكن للمخالف ردها لأنها تستلزم الطعن في بلاغة وفصاحة القرآن والسنة المنزلين على رسول الله ﷺ .

والأمثلة على هذه الطريقة كثيرة منها:

المثال الأول :الإمام الدارمي في رده على المريسي:

مما رده المريسي وأتباع من أحاديث الصفات ومنها صفة القدم لله عز و جل وأنه يضع قدمه في النار حتى تقول قط قط كما جاء بذلك الحديث الصحيح من غير تأويل ولا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل بل كما يليق به جل وعلا .

وحجته في رد هذا الخبر أن الله سبحانه أخبر وقال : ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[هود :١١٩] ومن أخبر بخلاف ذلك وأن في النار غير الناس والجن فإنه معارض ومكذب بالآية فكان مما أجاب به الإمام الدارمي محتجاً باللغة التي جاء ما يصدقها في الكتاب والسنة .

فقال الإمام الدارمي –رحمه الله –:" ويلك أيها المريسي إنما أنزل هذه الآية من أنزل التي في (ق) ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾[ق : ٣٠] ويجوز في الكلام (أي كلام العرب) أن يقال لممتلئ : استزاد ، كما يمتلئ الرجل من الطعام والشراب فيقول : قد امتلأت وشبعت وهو يقدر أن يزداد كما يقال : امتلأ المسجد من الناس وفيه فضل سعة للرجال بعد ، وامتلأ الوادي ماء وهو محتمل لأكثر منه ، وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم :" يخرج المهدي فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً "[(١)] .

وفي الأرض سعة بعد لأكثر من ذلك الظلم ، وأكثر من ذلك القسط فتمتلئ جهنم بما يلقى فيها مما وعدها من الجنة والناس فتقول هل من مزيد لفضل فيها غضباً لله على

(١) الحديث أخرجه أبوداود في كتاب المهدي الباب الأول برقم (٤٢٨٥) والإمام أحمد في المسند (٣/ ٣٧) ، وبنحوه في المسند (٣/ ١٧، ٣٦، ٥٢، ٧٠) والحديث صحيح مشهور .

الكفار حتى يفعل بها الجبار ما أخبر به رسول الله ﷺ [(١)]..... ".[(٢)] أ.هـ

المثال الثاني : أبو عبيد في الإيمان :

عود على المثال السابق الذي قرر في الإمام أن النصوص التي وردت بخصوص مرتكب الكبائر والتي تنفي عنه الإيمان المقصود نفي حقيقته وكماله لا نفي أصله وذكر فيما سبق كلام العرب ولغتهم لإثبات صحة هذا التأويل نجده يعقب على هذا الأمر بذكر ما يؤيد هذا من نصوص القرآن الكريم فيقول :

" وقد وجدنا مع هذا شواهد لقولنا من التنزيل والسنة فأما التنزيل فقول الله جل ثناؤه في أهل الكتاب حين قال : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ﴾[آل عمران : ١٨٧].

(ثم أورد بسنده عن الشعبي حول هذه الآية قوله): أما إنه كان بين أيديهم ولكن نبذوا العمل به .

(ثم قال معقباً) : ثم أحل الله لنا ذبائحهم ونكاح نسائهم فحكم لهم بحكم الكتاب إذ كانوا به مقرين وله منتحلين فهم بالأحكام والأسماء في الكتاب داخلون وهو لها بالحقائق مفارقون فهذا ما في القرآن "أ.هـ[(٣)]

٣- ضربهم الأمثلة لتوضيح وتقريب المعنى اللغوي :

وهذا واضح جداً فيما تقدم من الأمثلة نجد أن الأئمة يكثرون من ضرب الأمثلة لتقريبها وتسهيلها للقارئ ولا يحتاج ذكر أمثلة هنا لما تقدم من أمثلة ولأنه سوف يأتي فصل مستقل حول منهج الأئمة في ضرب الأمثلة .

٤ - بيان فساد استدلال المخالف باللغة وبطلانه :

لم يكتف الأئمة بذكر حجتهم اللغوية فيما يذهبون إليه بل أضافوا إليه بيان بطلان

---

(١) يشير المؤلف للحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التوحيد – باب قول الله تعالى:﴿وهو العزيز الحكيم﴾ برقم(٧٣٨٤) ومسلم في في كتاب الجنة ونعيمها برقم (٢٨٤٦).

(٢) الرد على بشر المريسي (١/ ٤٠٢-٤٠٣).

(٣) الإيمان ص٤١-٤٢.

الاستدلال الذي يستدل به المخالف بلغة العرب وأن هذا منهم تلبيس وتدليس بل قرر الأئمة وأثبتوا أن أهل البدع من أجهل الناس باللغة وأبعدهم عنها وأن من أسباب تشربهم لشبهات البدع بعدهم عن اللغة الفصحى وجهلهم به فتلبس الأمر عليهم حيناً وحيناً يلبسون هم الحق بالباطل اتباعاً لأهوائهم وشهواتهم .

والأمثلة على هذه المسلك عند الأئمة كثيرة منها :

المثال الأول : ابن قتيبة في كتابه الاختلاف في اللفظ:

أورد الإمام ابن قتيبة شبهة لغوية تمسك بها نفاة الرؤية معتمدين عليها في تأويل وتحريف الآيات الواردة في الرؤية فقال –رحمه الله-:

" وقالوا في قوله : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة :٢٢-٢٣] أي منتظرة ، والعرب تقول: نظرتك وانتظرتك بمعنى واحد ومنه قول الله : ﴿انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾[الحديد : ١٣] أي انتظرونا .

وقال الحطيئة : وقد نظرتكم أبناء صادرةٍ   للورد طال بها حوزي وتنساسي [(١)]

أي انتظرتكم .

(فقال ابن قتيبة معقباً): وما ننكر أن (نظرت) قد تكون بمعنى انتظرت وأن الناظر قد يكون بمعنى المنتظر .

غير أنه يقال أنا لك ناظر :أي لك منتظر ، ولا يقال أنا إليك ناظر : أي إليك منتظر إلا أن يريد نظر العين .

والله يقول : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[القيامة :٢٢-٢٣] ولم يقل لربها ناظرة فيحتمل ما تأولوا"أ.هـ[(٢)]

ويمكن أن نلحظ هنا أن الإمام بين خطأ استدلال نفاة الرؤية باللغة وكذلك ظهر لنا أمانته وعدله في نقل العلم فهو لم يرد الحق الذي قالوه ولكنه بين أنهم استخدموه في

---

(١) انظر :لسان العرب (٥/ ٢١٧)، وكذلك يمكن أن يستشهد بقول عمرو بن كلثوم في معلقته:

أباهندٍ فلا تعجل علينا   وأنظرنا نخبرك اليقينا.

(٢) الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص٤٤-٤٥.

غير موضعه .

المثال الثاني : الإمام البخاري في خلق أفعال العباد :

أورد الإمام البخاري بعض حجج نفاة الكلام عن الله وهي حجج واهية كالقول بأنها مجاز ونحو ذلك وقد رد عليهم بالنقل عن أئمة اللغة من أهل السنة كالإمام أبي عبيد القاسم بن سلام .

قال الإمام البخاري : " وقيل لأبي عبيد : إن المريسي سئل عن ابتداء خلق الأشياء عن قول الله عز وجل : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[النحل : ٤٠]فقال : كل كلامه صله فمعنى كلامه أن يقول صلة كقوله قالت السماء فأمطرت وكقوله قال الجدار فمال قال الله تعالى : ﴿جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾[الكهف :٧٧] والجدار لا إرادة له فمعنى قوله إذا أردناه : كوناه .

قال البخاري : فكأن لم يكن عند المريسي جواب أكثر من هذا يعني أن الله لا يتكلم.

قال أبو عبيد القاسم بن سلام (ومازال الكلام للبخاري): أما تشبيه قول الله (إذا أردناه) بقوله : قالت السماء فأمطرت وقال الجدار فمال فإنه لا يشبهه هذه أغلوطة أدخلها لأنك إذا قلت قالت السماء ثم تسكت لم يدر ما معنى قالت حتى تقول فأمطرت وكذلك إذا قلت أراد الجدار ثم لم تبين ما معنى أراد لم يدر ما معناه ، وإذا قلت : (قال الله) اكتفيت بقوله قال : فـ(قال) مكتف لا يحتاج إلى شيء يستدل به على قال كما احتجت إذا قال الجدار فمال وإلا لم يكن لـ (قال الجدار) معنى ومن قال هذا فليس شيء من الكفر إلا هو دونه ومن قال هذا فقد قال على الله مالم تقله اليهود والنصارى ومذهبه مذهب التعطيل للخالق "أ.هـ[1]

ومن خلال هذا النقل الذي نقله الإمام البخاري يؤكد ما قلناه سابقاً أن أهل البدع يلبسون على الناس الذين لا علم لهم بتفاصيل اللغة ويوهمونهم أن ما يقولونه

---

(١) خلق أفعال العباد ص٢٢-٢٣.

مستنده ومرده إلى لغة العرب ولكن الأئمة الفحول من أهل السنة لهم بالمرصاد في القديم والحديث و لا يزال أهل السنة يتحدون كل مبتدع أن يأتي بشاهد صحيح في موضعه اللائق به لتاييد ما هم عليه من باطل .

المثال الثالث : الإمام محمد بن نصر المروزي في تعظيم قدر الصلاة:

مما احتج به المرجئة لتأييد مذهبه الفاسد وهو أن الإيمان هو مجرد التصديق أن الإيمان بزعمهم في اللغة التصديق .

بل إن هذه الحجة هي من أعظم حججهم كما نقل ذلك الأئمة وعليه فلعلنا نذكر هنا مثالاً للرد على هذه الشبهة اللغوية من كلام السلف من خلال مصنفاتهم خلال القرون الثلاثة الأولى .

يقول الإمام محمد بن نصر :" ومن أعظم حجج المرجئة التي يقولون بها عند أنفسهم : **اللغة** ، وذلك أنهم زعموا أن الإيمان لا يعرف في اللغة إلا بالتصديق ، وزعم بعضهم أن التصديق لا يكون إلا بالقلب ، وقال بعضهم : لا يكون إلا بالقلب واللسان .

(ثم قال معقباً): وقد **وجدنا العرب في لغتها** تسمي كل عمل حققت به عمل القلب واللسان تصديقاً فيقول القائل : فلان يصدق فعله قوله ، يعنون يحقق قوله بفعله ، ويصدق سريرته علانيته ، وفلان يكذب فعله قوله وقال الشاعر:

صدِّق القول بالفعال فإني لست أرضى بوصف قال وقيل .

وقال كثيِّر –وهو يمدح عمر بن عبد العزيز رحمه الله –:

ولِّيت فلم تشتم علياً ولم تُخف بريئاً فأمسى ساخطاً كل مجرمِ
وقلت فصدقت الذي قلت بالذي فعلت فأمسى راضياً كل مسلمِ

وتقول العرب إذا حمل الرجل على القوم في الحرب فلم يرجع ، قالوا :صدق الحمله أي حققها ، أي لم يقتصر دون أن يبلى، وإذا رجع قيل : كذب الحمله "أ.هـ [(١)]

(١) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٧١٦-٧١٧).

المثال الرابع :الإمام الدارمي في رده على المريسي.

ومن حجج أهل الزيغ المتكرره دعوى المجاز في آيات وأحاديث الصفات وهي حجج ساقطة ومتهافتة ولكن نذكر منها هذا المثال وكيف رد عليه الأئمة وشنعوا على القائل بها.

أورد الإمام الدارمي الحديث عن حذيفة :(إن العبد إذا قام يصلي أقبل الله عليه بوجهه)[١] فكان مما ادعاه المخالف لتأويل هذا النص الصريح في إثبات صفة الوجه لله أن قال أنه يقبل عليه بنعمته وثوابه وأنه قد يقال : وجه الله في المجاز كما يقال: وجه الحائط ووجه الثوب.[٢]

ثم قال الإمام الدارمي معقباً ومبيناً بطلان ما احتج به من دعوى المجاز :

" ويلك فهذا مع ما فيه من الكفر محال في الكلام فإنه لا يقال لشيءٍ ليس من ذوي الوجوه : أقبل بوجهه على إنسان أو غيره إلا والمقبل بوجهه من ذوي الوجوه .

وقد يجوز أن يقال : للثوب وجه ، والحائط ، ولا يجوز أن يقال : أقبل الثوب بوجهه على المشتري ،وأقبل الحائط بوجهه على فلان ، لا يقال : أقبل بوجهه على شيء إلا من له القدرة على الإقبال .

وكل قادر على الإقبال ذو وجه ، هذا معقول مفهوم في كلام العرب. "[٣]

٥- بيان الأئمة المعاني الصحيحة في اللغة لبعض الكلمات والألفاظ :

وذلك إما للتقرير أو للرد على تلبيسات أهل البدع فإذا كانت الكلمة تحتمل أكثر من معنى فيعمد أهل البدع لذكر بعض معانيها في غير السياق الذي سيقت من أجله للتلبيس على الجهلة والأغمار من الناس حتى لا يظهر جهله وكذبه على الله ورسوله .

---

(١) الحديث أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١/ ٣٥-٣٦)برقم ١٩، ١٨عن حذيفه بلفظ(أقبل الله عليه بوجهه) وفي صحيح البخاري أصل الحديث بلفظ(فإن الله قِبَل وجهه) في كتاب الأذان -باب هل يلتفت لأمر ينزل به برقم (٧٥٣).

(٢) أنظر الرد على المريسي (٢/ ٧٢٢-٧٢٣).

(٣) الرد على المريسي (٢/ ٧٢٣).

ومن الأمثلة على ذلك عناية الإمام أحمد أثناء رده على المعطلة ببيان المعنى الصحيح لبعض الكلمات والألفاظ التي قد يحتج بها أهل البدع ويجدون لها مستنداً من النص الشرعي فتعظم الشبهة في قلوب الجهلة من الناس .

قال الإمام أحمد مبيناً بعض ما احتج به من قال بأن القرآن مخلوق :

" فيقول من قول الله تعالى : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا ﴾[الزخرف :٣].

وزعم أن (جعل) بمعنى (خلق) فكل مجعول هو مخلوق ، فادعى كلمة من الكلام المتشابه يحتج بها من أن أراد أن يلحد في تنزله ، ويبتغي الفتنة في تأويلها".[1]

ثم شرع في الرد على هذه الشبهة من خلال بيان المعنى الصحيح لكلمة جعل وأنها ليست على إطلاقها بمعنى جعل فقال :

" وذلك أن (جعل) في القرآن من المخلوقين على وجهين : على معنى التسمية ، وعلى معنى فعل من أفعالهم .

وقوله : ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴾[الحجر :١٩] قالوا : هو شعر وأنباء الأولين وأضغاث أحلام فهذا على معنى التسمية .

وقال :﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا﴾[الزخرف :١٩] يعني أنهم سموهم إناثاً.

ثم ذكر (جعل) على غير معنى التسمية فقال : ﴿يَجْعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِم ﴾ [البقرة : ١٩]

فهذا على معنى فعل من أفعالهم.

وقال :﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا ﴾ هذا على معنى فعل ، فهل جعل المخلوقين إلا مقام خلق خلقاً لا يزول عنه المعنى ، وإذا قال الله (جعل) على غير معنى خلق لا يكون خلق ، ولا يقوم مقام خلق ، ولا يزول عنه المعنى "[2].

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ص١٠٦.

(٢) الرد على الجهمية ص١٠٧.

ثم يشرع الإمام أحمد في بيان المواضع التي وردت فيها (جعل) بمعنى خلق فيقول:

" فمما قال الله (جعل) على معنى خلق :

قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾[الأنعام: ١] يعني وخلق الظلمات والنور .

وقال : ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ﴾[النحل : ٧٨].

يقول : وخلق لكم السمع و الأبصار.

وقال : ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾[الأسراء :١٢].

ويقول : وخلقنا الليل والنهار آيتين.

وقال : ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾[نوح : ١٦].

(...إلى أن قال): ثم ذكر (جعل) على غير معنى خلق :

قوله ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ﴾[المائدة : ١٠٣] ، وقال الله لإبراهيم : ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[البقرة : ٢٤] لا يعني خالقك للناس إماماً ، لأن خلق إبراهيم كان متقدماً .

وقال إبراهيم : ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا﴾[إبراهيم : ٣٥].

وقال إبراهيم : ﴿رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ﴾[إبراهيم : ٤٠] لا يعني اخلقني مقيم الصلاة .

(إلى أن قال رحمه الله):

ومثله في القرآن كثير ،فهذا و ما كان على مثاله لا يكون على معنى خلق فإذا قال الله (جعل) على معنى خلق وقال (جعل) على غير معنى خلق ؛فبأي حجة قال الجهمي (جعل) على معنى خلق ؟ فإن رد الجهمي الجعل إلى المعنى الذي وصفه الله فيه وإلا كان من الذي يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون.

فلما قال الله : ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[الزخرف :٣].

وقال : ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[الشعراء :١٩٤-١٩٥].

وقال : ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾[مريم :٩٧].

فلما جعل الله القرآن عربياً ويسره بلسان نبيه ﷺ كان ذلك فعلاً من أفعال الله تبارك وتعالى . جعل القرآن به عربياً يعني هذا بيان لمن أراد هداه الله مبيناً وليس كما زعموا معناه أنزلناه بلسان العرب وقيل بيناه"أ.هـ

والأمثلة على هذا كثيرة ولعل في هذا المثال كفاية [١].

٦- إيرادهم للشعر في مصنفاتهم :

وهذا مظهر من مظاهر احتجاجهم باللغة حيث يوردون الأبيات الشعرية لأغراض متعددة ويمكن إجمالها على النحو الآتي :

أ- نقل ما نظمه السلف في ذم أهل البدع:

وهذا من باب ذكر ما أثر عن السلف في هذا الباب أي باب ذم أهل البدع ولعلنا نذكر مثالاً واحداً وهو ما ذكره **الإمام البخاري في خلق أفعال العباد** عن ابن المبارك في ذم الجهم ومذهبه الفاسد حيث قال :

فلا أقول بقول الجهم إن له   قولاً يضارع قول الشرك أحياناً
ولا أقول تخلى من بريته   رب العباد وولى الأمر شيطاناً
ما قال فرعون هذا في تجبره   فرعون موسى ولا فرعون هاماناً [٢]

ب- إيرادهم للشواهد الشعرية لما يقررونه من مسائل في اللغة ذات الصلة بالمسائل العقدية :

وهذا من أهم الأسباب لإيرادهم للشعر في مصنفاتهم لأن له صلة قوية بالمباحث العقدية ولهذا اعتنى به الأئمة في مصنفاتهم وإليك هذه الأمثلة :

المثال الأول :ابن قتيبة في الاختلاف في اللفظ:

---

(١) انظر الرد على الجهمية للإمام أحمدص ١١٢-١١٣.

(٢) خلق أفعال العباد ص١٥.

أورد الإمام ابن قتيبة شاهداً يبين فيه لماذا اختار النبي ﷺ القمر ليشبه رؤيتنا للقمر برؤية الله جل وعلا فيقول رحمه الله:

" وتجلى لهم -أي الله- يوم الحساب والقصاص فيرونه كما يرى القمر في ليلة البدر، لا يختلفون فيه كما لا يختلفون في القمر .

والعرب تضرب بالقمر المثل في الشهرة والظهور وقال ذو الرمة :

فقد بهرت فما تخفى على أحدٍ   إلا على أحدٍ لا يعرف القمرا

ويقولون(أي العرب) : هذا أبين من الشمس ومن فلق الصبح واشهر من القمر وحديث رسول الله ﷺ قاضٍ على الكتاب ومفسر له .

والخبر في الرؤية ليس من الأخبار التي يدفعها إلا جاهل أو معاند ظالم لتتابع الروايات به من الجهات الكثيرة عن الثقات "أ.هـ[(١)]

المثال الثاني :الإمام الدارمي في الرد على المريسي:

ومن الصفات التي نفاها المعطلة هي صفة الضحك وأولوا الأحاديث الواردة فيه بأن هذا وارد في لغة العرب كما تقول (ضحك الزرع) إذا كان مخضراً

فبين الإمام الدارمي ما ورد عن العرب حول هذا المعنى وأنه بعيد عن ما يرمي إليه المعطلة من نفي الصفة عن الله فيقول رحمه الله :

" أفلا تسمع أيها المعارض من قول رسول الله ﷺ :" من ضحك رب العالمين منه" [(٢)] أنه لا يشبه ضحك الزرع لأنه يقال للزرع : يضحك ولا يقال يضحك من أحد ولا من أجل أحد ، وإنا لم نجهل مجاز هذا في العربية ولكنه خلاف ما ذهبت إليه فقد سمعنا قول الأعشى وفهمنا معناه وهو من معنى ضحك الرب بعيد إذ يقول :

ما روضة من رياض الحزن معشبة   خضراء جاد عليها مسبل هطل

يضاحك الشمس منها كوكب شرق   مؤزر بعميم النبت مكتهل

---

(١) الاختلاف في اللفظ ص٤٥-٤٦.

(٢) الحديث رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان برقم ٣١٠.

فالزرع مادام أخضر فهو مضاحك الشمس أبداً، ولا يخص بضحكه أحداً ولا يصرفه عن أحد ،والله يضحك إلى قوم ويصرفه عن آخرين."أ.هـ[(١)]

ت- إيرادهم بعض الشواهد الشعرية لبيان صحة المعنى الذي يقرره أهل السنة حول بعض الألفاظ :

بعض الألفاظ التي يوردها أهل البدع ليحرفوا بعض معاني الصفات عن حقيقتها ويوردون بعض الآثار في هذا الباب ويفسرونها تفسيراً غير صحيح

ومن الأمثلة على هذا نفي المعطلة لصفة النزول عن الله عز وجل .

حيث أوردوا أثراً عن ابن عباس ﷺ في تفسير القيوم بأنه (الذي لا يزول) قالوا: الذي لا يتحرك ويقصدون أنه لا ينزل .

فكان مما أجاب به الإمام الدارمي بعد أن بين عدم صحة هذا الأثر عن ابن عباس حيث قال :

" ولو قد صحت روايتك عن ابن عباس ﷺ أنه قال :"القيوم الذي لا يزول " لم نستنكره وكان معناه مفهوماً واضحاً عند العلماء ، وعند أهل البصر بالعربية أن معنى لا يزول: لا يفنى ولا يبيد ، لا أنه لا يتحرك و لا يزول من مكان إلى مكان ، إذا شاء كما كان يقال للشيء الفاني : زائل ، كما قال لبيد ابن ربيعة : ألا كل شيء ما خلا الله باطل
وكل نعيم لا محالة زائل

يعني: فانٍ ، لا أنه متحرك " أ.هـ.[(٢)]

ث- إيرادهم الشعر الذي يشتمل على تقرير بعض مسائل الاعتقاد :

وهذا إما أن يكون من كلام ونظم السلف أو مما نظم بين يدي رسول الله وأقره رسول الله ﷺ .

ولعل من أبرز الأمثلة على هذا الأمر لما نشد بين يدي رسول الله ﷺ شعر أمية بن

---

(١) الرد على المريسي (٢/ ٧٧٥-٧٧٧).

(٢) الرد على المريسي (١/ ٣٥٥-٣٥٦).

الصلت وأقره النبي ﷺ وفيه إثبات العرش لله سبحانه وتعالى .

وقد أوردها بالسند عن ابن عباس كل من ابن أبي عاصم وعبد الله بن الإمام أحمد في كتابيهما الموسومين بالسنة (١):

"عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ صدَّق أمية بن الصلت في شيئ من شعره قال :

رجل وثورٌ تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث مرصد
والشمس تطلع كل آخر ليلةٍ حمراء تصبح لونها يتورد
تأبى فما تطلع لنا في رسلها إلا معذبة وإلا تجلد
قال النبي ﷺ : (صدق)" (٢)

ج- إيرادهم الشعر في مدح صحابة رسول الله ﷺ :

وهذا من الاعتقاد الصحيح الذي يشتمل على محبة رسول الله ﷺ ومحبة صحابته الذين عدلهم وزكاهم الله في كتابه وعلى لسان رسوله الكريم ولا يقدح فيهم إلا منافق معلوم نفاقه كما يفعل الرافضة أعداء الملة والدين ، ولهذا كان من شعار أهل السنة مدح الصحابة نثراً وشعراً وذكر مآثرهم وفضائلهم في مصنفاتهم في الاعتقاد .

ونقتصر هنا على ما ذكره الإمام ابن أبي عاصم في السنة حيث أورد في بعض ما قيل في صحابة رسول الله تحت **باب إثم سب صحابة رسول الله ﷺ**:

فقد أورد عن الثوري أنه قال :" قال مسلم بن البطين شعراً :

أنَّى تعاتب لا أبا لك عصبة علقوا الفرى وبرءوا من الصديق
وبرءوا شفاهاً من وزير نبيهم تباً لمن يبرأ من الفاروق
إني على رغم العداة لقائل دانٍ بدين الصادق المصدوق "(٣)

١٢. نقلهم اللغة مسندة عن علماء اللغة المحتج بهم :

وهذا مما ميزهم كذلك عن غيرهم أنهم أسندوا اللغة عن أهلها العالمين بها وأنى

(١) اخرجه عبد الله في السنة (٢/ ٤٠٥) وابن ابي عاصم في السنة (١/ ٣٩٧) برقم (٥٩١).وهو صحيح .
(٢) السنة لابن ابي عاصم (١/ ٣٩٧).
(٣) السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٦٨٨).

يتسنى لأهل البدع مثل هذا التوثيق على ما يدعونه من لغة العرب .

ولعلنا نكتفي هنا بذكر مثال واحد وهو:

- **الإمام محمد بن عثمان بن أبي شيبة في كتابه العرش:**

أورد الإمام في كتابه العرش [(١)] حديثاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ ومما جاء فيه:"كان في عماء ما تحته هواء وما فوقه هواء ثم خلق عرشه على الماء". [(٢)]

ثم أورد بسنده عن الأصمعي أنه ذكر هذا الحديث فقال :" العما في كلام العرب: السحاب الأبيض الممدود، وأما العمى المقصور فالبصر فليس هو من معنى هذا والله أعلم بذلك .." أ.هـ. [(٣)]

والمقام لا يتسع للاستطراد ولكن لعلنا أوضحنا منهجهم في الاحتجاج باللغة في مصنفاتهم رحمهم الله والذب عنها و بيان تلبيس أهل البدع وتحريفهم الذي لم يقتصر على النصوص الشرعية بل تعداه إلى تحريف اللسان العربي ولغة العرب وألفاظهم التي نقلت عنهم .

---

(١) العرش ص ٥٤برقم (٧).

(٢) الحديث أخرجه عن أبي رزين العقيلي : أحمد في المسند (٤/ ١١-١٢). والترمذي في السنن في كتاب التفسير –باب تفسير سورة هودود (٥/ ٢٦٩)برقم (٣١٠٩)وحسنه . وابن ماجه في المقدمة – فيما أنكرت الجهمية (١/ ٣٥)برقم (١٧٠). والطيالسي في المسند ص١٤٧برقم ١٠٩٣ . وعبدالله بن الإمام أحمد في السنة (١/ ٢٤٥)برقم (٤٥٠). والطبري في التفسير (٢١/ ٤). وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٤١٩)برقم (٦٢٥). والطبراني في الكبير (١٩/ ١٠٧) برقم (٤٦٨).

(٣) العرش ص٥٤، وذكر محقق الكتاب أن إسناده صحيح إلى الأصمعي .

الفصل الثاني

منهجهم في عرض قضايا الاعتقاد .

ويشتمل على ستة مباحث :

المبحث الأول : منهجهم في الأسلوب والعبارة.

المبحث الثاني : الإجمال والتفصيل وضوابطه في مصنفاتهم.

المبحث الثالث : منهجهم في ذكر مذاهب أهل السنة والمذاهب الأخرى ومناقشتها.

المبحث الرابع : الاستفادة مما كتبه المتقدمون وإيداعه في كتبهم.

المبحث الخامس :ضرب الأمثلة ومنهجهم في ذلك .

المبحث السادس : مناقشتهم للإنحرافات العقدية المعاصرة لهم والاهتمام بها.

المبحث الأول

منهجهم في الأسلوب والعبارة

تميزت مصنفات السلف في أسلوبها وعبارتها بميزات عديدة لعل من أبرزها السهولة والوضوح والبعد عن التعقيد والغموض والإلغاز ، وكذلك كثرة الاستدلال بالنصوص الشرعية وبيان فقه هذه النصوص .

وإن مما أثرى هذا الجانب في مصنفات السلف هو عنايتهم باللغة والأدب فقل أن تجد عالماً ليس له اهتمام بلغة العرب وأشعارها وأساليبها ، وهذا كان له أثر واضح على مصنفاتهم رحمهم الله والتي لم يستطع أحد أن يصل إلى ما وصلوا إليه من قوة الأسلوب ورصانة العبارة.

ولعلنا نذكر بعض ملامح هذا المنهج -أي في العبارة والأسلوب- في الأمور التالية على وجه الإجمال :

١ . السهولة والوضوح في الأسلوب :

وهذا الأمر واضح لكل من تصفح كتب السلف فقل أن تجد فيها كلاماً غير مفهوم .

و الأمر لم يقتصر على تسهيلهم لعبارة مصطلحاتهم بل تسهيلهم لعبارات المخالفين وتوضيح مرادهم حتى يتسنى لطالب العلم فهم المراد من الشبهة والرد عليها بأسهل عبارة وأوضح أسلوب.

ومن صور السهولة كذلك تحريرهم لمحل النزاع للمسائل وبيان وجه الخلاف حتى يفهم ما هو وجه الخلاف في المسألة سواء كان الخلاف بين أهل السنة أنفسهم أو بين أهل السنة وأهل البدع [1] .

ولعل مما ساعد في سهولة ووضوح مصنفات السلف اقتصارهم في كثير من تقريراتهم على ذكر المسألة ودليلها دون دخول في تفاصيل غير مفيدة .

ومما يدخل ضمن الوضوح والسهولة في العبارة البعد عن المصطلحات الكلامية

---

(١)انظر: صنيع الإمام ابن قتيبة في الاختلاف في اللفظ ص٥٧ ، حينما ذكر الخلاف بين أهل السنة في مسألة اللفظ.

والمنطقية العقيمة بل إنهم حتى عند ذكر كلام أهل البدع من أهل الكلام فإنهم يذكرونه عرياً عن هذه المصطلحات بأسلوبهم الواضح الخاص بهم .

ومما يدخل كذلك في الوضوح والسهولة في العبارة شرحهم للكلمات المشكلة التي قد يتوهم منها معنىً باطلاً ، أو لا تفهم الفهم الصحيح .

ومن الأمثلة على هذا صنيع الإمام الدارمي عندما تعرض للفظ (الحد) والمراد به نجد أنه بينه أحسن بيان حتى لا يقع في اللبس فقال :" **والله تعالى له حد لا يعلمه أحد غيره ، ولا يجوز لأحد أن يتوهم لحده غاية في نفسه**" [1] وبهذه العبارة الموجزة الواضحة السهلة نأخذ خلاصة الموقف من مسألة الحد ولاشك أن هذا براعة عجيبة من الإمام الدارمي في أسلوبه.

٢ . البلاغة الأدبية والأسلوب الراقي في التأليف والكتابة :

وهذا الأمر كما ذكرنا سابقاً يعود لاهتمام السلف باللغة والأدب وظهر ذلك جلياً على مصنفاتهم .

وقد تنوعت أساليبهم الأدبية على النحو الآتي :

أ- براعة الاستهلال :

لقد درج العرب حتى قبل الإسلام في قصائدهم وخطبهم أن يجعلوا المقدمة تشير إلى مضمون القصيدة أو الخطبة بأسلوب بلاغي عجيب وقد سطر لنا التاريخ نماذج رائعة وبعضها قيل بحضرة النبي ﷺ مثل قصيدة (قتيلة بنت الحارث)[2] التي رثت فيها أخاها وقيل أباها لما قتله النبي ﷺ ومما جاء فيها:

يا راكباً إن الأثيل مظنة   من صبح خامسةٍ وأنت موفق

---

(١) الرد على المريسي (٢٢٣-٢٢٤).

(٢) هي قتيلة بنت النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف القرشية كانت زوج عبدالله بن الحارث بن أمية الأصغر فهي أم علي بن عبدالله وأخوته الوليد ومحمد وأم الحكم ، وقد قتل النبي ﷺ أباها يوم بدر صبراً .

انظر: الإصابة (٤/ ٣٨٩-٣٩٠)، الاستيعاب لابن عبد البر (بهامش الإصابة (٤/ ٣٩٠)).

أبلغ بها ميتاً بأن تـحيةً ما إن تزال بها النجائب تخفق

إلى أن قالت :

ما كان ضرك لو مننت وربما منَّ الفتى وهو المغيظ المحنق

وجاء في كتب الأدب أن النبي ﷺ قال : " لو سمعت بهذا قبل أن أقتله ما قتلته ".(١)

ويقال إن شعرها أكرم شعر موتورةٍ وأعفه وأحلمه.(٢)

ويقول ابن قتيبة عن قول النابغة :

كليني يا أميمة ناصب وليل أقاسيه بطيئ الكواكب

قال :"لم يبتديء أحد من المتقدمين بأحسن منه ولا أعرب".(٣)

وقد حرص السلف على أن يجعلوا مقدمات كتبهم فيها إشارة إلى مضمون الكتاب ولعلي أذكر هنا أروع مقدمة للسلف في مصنفاتهم ألا وهي مقدمة الإمام أحمد لكتابه (الرد على الجهمية والزنادقة) حيث يقول :

"الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترةٍ من الرسل ، بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى ، ويصبرون منهم على الأذى ، يحيون بكتاب الله الموتى ، ويبصرون بنور الله أهل العمى ، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه ، وكم من ضال تآئه قد هدوه ، فما أحسن أثرهم على الناس ، وأقبح أثر الناس عليهم ، ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، الذين عقدوا ألوية البدع ، وأطلقوا عقال الفتنة .

فهم مختلفون في الكتاب ، مخالفون للكتاب ، مجمعون على مفارقة الكتاب ، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم ، يتكلمون بالمتشابه من الكلام ،

---

(١) انظر: قصة الأبيات في الإصابة (٤/ ٣٨٩).

وقد نقل الحافظ في الإصابة (٤/ ٣٩٠) عن الزبير بن بكار قوله :" سمعت بعض أهل العلم يغمز هذه الأبيات ويقول :إنها مصنوعة ".

(٢) انظر: مبحثاً نفيساً عن براعة الاستهلال في كتاب : براعة الاستهلال في فواتح القصائد والسور د. محمد بدري عبدالجليل ص١٣ ومابعدها .ط.المكتب الإسلامي ط. الثانية ١٤٠٥هـ.

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة ص٣ط .عالم الكتب ط.الثالثة ١٤٠٤هـ.

ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم ، فنعوذ بالله من فتن الضالين " أ.هـ.[(١)]

ونلاحظ من خلال سياقنا لهذا النص أنه ذكر وأشار إلى عدة أمور ذات أهم كبرى وهي:

- أهل العلم ودورهم في الذب عن دين الله وتبصير الناس وتحذير م وعظيم أثرهم على الفرد والمجتمع .
- خطر أهل البدع وما هم عليه من تحريف للدين وأنهم در- ت وطبقات .
- أنواع الانحرافات التي وقعت من أهل البدع وأن سببها الجهل بالدين واتباع الهوى، وكذلك الجهل بكتاب الله عز وجل ومخالفة أحكامه ونصوصه.

أن الانحرافات وقعت منهم تجاه ذات الرب وكلامه سبحانه وصفاته.[(٢)]

إضافة على الألفاظ الأدبية الراقية والسجع غير المتكلف والذي كل لفظة فيها على معنى مغاير ومفيد وليس المقصود هو زخرفة الألفاظ كقوله عن أهل البدع :(**مختلفون في الكتاب ، مخالفون للكتاب ، مجمعون على مفارقة الكتاب**) .

وهذه الجمل الثلاثة مع بلاغتها لها دلالة عظيمة في وصف انحراف أهل البدع :

فأول وصف أن مختلفون في تفسير القرآن ، ومع هذا الاختلاف فآرائهم التي هم مختلفون فيها مخالفة للكتاب وهي الصفة الثانية والنتيجة أنهم يتفقون في صفة واحدة وهي عدم موافقة النص الشرعي وهي الثالثة التي عبر عنها بقوله (مجمعون على مفارقة الكتاب).

ب- استخدام الألفاظ التي تحرك المشاعر والوجدان :

وذلك بأسلوب أدبي جميل يبين فيه شناعة ما يذهب إليه المخالف مع إبراز ما يلزم عليه من لوازم وما ينتج عنه من نتائج يقربها إلى الأذهان بأجمل وأوضح عبارة

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ص٨٥.

(٢) انظر: تعليق شيخ الإسلام ابن تيمية على هذه المقدمة في درء التعارض (٥/ ١٦٤ ومابعدها).

وأسلوب.

ونذكر هنا مثلاً للإمام الدارمي في رده على المريسي في كلام له يبين فيها قباحة ما ذهب المخالف إليه من نفي صفة اليدين عن الله حيث يقول : " ثم إنا ما عرفنا لآدم ابناً أعق ولا أحسد منه ؛ إذ ينفي عنه أفضل فضائله وأشرف مناقبه ، فيسويه في ذلك باخس خلق الله ؛ لأنه ليس لآدم فضيلة أفضل من أن الله خلقه بيده من بين خلائقه ، ففضله بها على جميع الأنبياء والرسل والملائكة ، ألا ترون موسى حين التقى مع آدم في المحاورة احتج عليه باشرف مناقبه ، فقال :(أنت الذي خلقك الله بيده) ، ولو لم تكن هذه مخصوصة لآدم دون من سواه ما كان يخصه بها فضيلة دون نفسه ؛ إذ هو وآدم في خلق يدي الله سواء في دعوى المر يسي "أ.هـ[1]

وهذا تصوير عجيب من هذا الإمام لقباحة ما هم عليه من نفي صفة اليد ولذلك تأمل لما وصف فعله بقوله:(**ما عرفنا لآدم ابناً أعق ولا أحسد منه...**).

ثم يقول في موضع آخر حول نفس القضية:"لقد حسدت أباك أيها المريسي كما حسده إبليس ؛ حيث قال :﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ [الأعراف : ١٢] وأي عقوق لآدم أعظم من أن يقول الله : خلقت أباك آدم بيدي دون من سواه من الخلائق فيقول : لا ، ولكن خلقته بإرادتك كما خلقت القردة والخنازير والكلاب والخنافس والعقارب سواء" أ.هـ.[2]

٣. استخدام أسلوب الاستفهام:

وذلك على اختلاف أنواع الاستفهام من أجل إثارة الإنتباه وشحذ ذهن القاريء بأسلوب شيق جذاب وإليك هذه الأمثلة :

المثال الأول :

الإمام أبو عبيد في كتابه الإيمان أثناء تقريره لمذهب أهل السنة أن العمل من الإيمان

(١) الرد على المريسي (١/ ٢٥٥-٢٥٦).

(٢) الرد على المريسي (١/ ٢٦٠).

استدل بقوله تعالى :﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ [البقرة : ١٤٣] قال رحمه الله : "**فأي شاهد يلتمس على أن الصلاة من الإيمان بعد هذه الآية ؟** " (١).

وحذف الجواب لكي يشحذ الذهن ويلفت نظر القاريء لدلالة الآية على المراد.

المثال الثاني :

وقد يصور المؤلف المسألة ويقربها ويعرضها على طريقة السؤال ثم يذكر جوابها شحذاً للأذهان كما سبق وكذلك لإبعاد الملل عن القاريء حتى ينشط لقراءة المسألة .

وقد يكون هذا الاستفهام يحوي هدفاً آخر وهو ذكر ما يمكن أن يشكل على المسألة فيورده المؤلف على صيغة سؤال ثم يجيب عنه وإليك هذا المثال من الإمام ابي عبيد كذلك في كتابه الإيمان حيث يقول: " فإن قال لك قائل : فما هذه الأجزاء الثلاثة وسبعون ؟ قيل له : لم تسم لنا مجموعة فنسميها ، غير أن العلم يحيط أنها من طاعة الله وتقواه ، وإن لم تذكر لنا في حديث واحد ، **ولو تفقدت الآثار لوجدتها متفرقة فيها** ...." أ.هـ. (٢)

المثال الثالث:

وهذا الإمام محمد بن نصر المروزي يستخدم هذا الأسلوب لشحذ الذهن لمسألة مهمة وهي من أصول الإسلام ويستخدم فيها طريقة السؤال ثم الجواب عنه فيقول : " فإن قيل : فما الحجة في أن الإيمان برسول الله ﷺ إنما هو بتصديقه واتباع ما جاء به ؟

قيل: كتاب الله عز وجل ، وسنة رسوله ﷺ .

قال الله تعالى:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾[النساء :٦٥]" (٣).

٤. استخدام أسلوب الوعظ والتذكير:

---

(١) الإيمان ص١١ .

(٢) الإيمان ص١٧ .

(٣) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٦٥٣).

وقد يستخدم المؤلف أسلوب الوعظ والتذكير ليقيم الحجة على المخالف وهو أسلوب من أساليب دعوة المخالف علّه يرجع ويتوب عن مخالفته وانحرافه ولعلي أذكر هنا مثالاً لإمام أهل السنة والجماعة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله في أثناء رده على الجهمية حيث يقول:"ففي هذا دلالة وبيان لمن عقل عن الله ، فرحم الله من فكر ورجع عن القول الذي يخالف الكتاب والسنة ، ولم يقل على الله إلا الحق فإن الله قد أخذ ميثاق خلقه فقال: ﴿أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الأعراف : ١٦٩] وقال في آية أخرى :﴿إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف :٣٣] فقد حرم الله أن يقال عليه الكذب وقد قال :﴿ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر :٦٠] فأعاذنا الله وإياكم من فتن الضالين " أ.هـ.(١)

٥. التعبير بألفاظ وعبارات تدل على الثقة بالمنهج والمعتقد الذي هم عليه:

لعل من أبرز ما يميز السلف عن الخلف أثناء تقرير المسائل أو الرد على أهل البدع أنك ترى من خلال ألفاظهم الثقة بالمنهج وعدم التردد واستخدام أسلوب الهجوم على المخالف لا أسلوب الضعيف المدافع غير الواثق بالمنهج وإليك هذه المقاطع من كتبهم تنبيك عما قلنا حول ثقتهم بمنهجهم وقوتهم أثناء عرضهم الحق الذي معهم .

المثال الأول :

قال الإمام الدارمي في كتابه الرد على الجهمية : " ولكن بيننا وبينكم حجة واضحة يعقلها من شاء الله من النساء والولدان ، ألستم تعلمون أنا قد أتيناكم بهذه الروايات عن رسول الله ﷺ وعن الصحابة والتابعين ، منصوصة صحيحة عنهم ، أن الله تبارك وتعالى ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا ، **وقد علمتم يقيناً أنا لم نخترع هذه الروايات ولم نفتعلها** ، بل رويناها عن الأئمة الهادية الذين نقلوا أصول الدين وفروعه

(١) الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد ص١١٦-١١٧.

إلى الأنام وكانت مستفيضة في أيديهم يتنافسون فيها ويتزينون برواياتها ويحتجون بها على من خالفها .....(إلى أن قال): ولا يلزم أحداً منها شيء إلا أن تأتوا فيها بأثرٍ ثابت مستفيض في الأمة كاستفاضة ما روينا عنهم ، **ولن تأتوا به أبداً** ، هذا واضح بين يعقله كثير من ضعفاء الرجال والنساء ..." أ.هـ.(١)

وتدبر معي تحديه للمخالفين أن يأتوا بآثار ثابتة لتأييد ما هم عليه من بدعة ولا يستخدم هذا الخطاب وهذا الأسلوب إلا الواثق بمنهجه والحق الذي معه .

المثال الثاني:

وهذا أيضاً الإمام الدارمي يتحدى المريسي وأصحابه في كتابه الرد على المريسي حيث يقول لهم :

"فإن أنكر المريسي ما قلنا فليسموا شيئاً ليس من ذوي الأسماع والأبصار أجازت العرب أن يقولوا هو سميع بصير فإنهم لا يأتون بشيء يجوز أن يقال له ذلك " أ.هـ.(٢)

ولو لم يكن واثقاً بما معه رحمه الله لم يكن ليتحداهم ليس في نصوص شرعية فقط بل في لغة العرب كلها .

٦. **استخدام أسلوب التقريع والتوبيخ :**

وهذا الأسلوب ليس دائماً ولكن عندما يشتط المخالف في العناد ويحاول أن يلبس ويقلب الحق باطلاً ويتعالى عن قبول الحق فقد يستخدم المؤلف بعض أساليب التهكم بالمخالف حتى يعرف حقيقته المغترون و المنخدعون به من الجهلة و الأغمار .

ولعلي أذكر هنا كلاماً للإمام الدارمي أثناء رده على المريسي إذ يقول له حول إثبات صفة اليد في قوله تعالى: (لما خلقت بيدي) : " فيقال لهذا التائه الذي سلب الله عقله وأكثر جهله : نعم هو تأكيد لليدين كما قلنا ، لا تأكيد للخلق كما أن قوله: ﴿تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ [البقرة : ١٦٩] تأكيد العدد لا تأكيد الصيام ...(إلى أن قال): وقد أخذنا فألك

---

(١) الرد على الجهمية للدارمي ص ٩٦-٩٧.

(٢) الرد على المريسي(١/ ٣٣٨).

من فيك محتجين بها عليك كالشاة التي تحمل حتفها بأظلافها " أ.هـ.[١]

٧. استخدام أسلوب المقارنات :

وذلك لإبراز المخالفة وبيانها للناس وبيان شناعة هذه المخالفة وأنها انحراف عن الصراط المستقيم والهدى المستبين وكما قيل : (وبضدها تتميز الأشياء) .

وقد استخدم السلف أنواعاً من المقارنات منها على سبيل الإجمال:

أ-المقارنة بين نصوص أهل البدع والنصوص الشرعية :

وذلك لإبراز حجم المخالفة للقاريء وبعدها عن مدلول النص وكيف أن النص يدل على خلاف ما يدعو إليه أهل البدع .

ولهذا السبب لم تكن مصنفات أهل البدع مليئة بالنصوص لأنها تكشف عوارهم وتبين وتوضح باطلهم ولهذا لجئوا إلى ما يدعونه من معقولات وهي في الحقيقة موهومات عند أصحابها ولا تغني من الحق شيئاً .

ومن الأمثلة على استخدام مثل هذا الأسلوب :

فهذا الإمام الدارمي يريد أن يبين فساد تأويل أهل البدع لصفة النزول فقد بين أن من يقارن بين تأويلاتهم وصراحة النصوص في إثبات هذه الصفة سوف يوقن بفساد القول الذي ذهبوا إليه وصحة ما ذهب إليه أهل السنة فيقول : " ومن يلتفت إلى تفسيرك وتفسير صاحبك مع تفسير نبي الرحمة ورسول رب العزة إذ فسر نزوله مشروحاً منصوصاً، ووقّت لنزوله وقتاً مخصوصاً ،لم يدع لك ولا لأصحابك فيه لبساً ولا عويصاً[٢] "[٣].

ب-المقارنة بين مذهب أهل البدع ومذهب أهل السنة :

وذلك ليظهر و يتضح قوة منهج أهل السنة الموافق للدليل من الكتاب والسنة

---

(١) الرد على المريسي (١/ ٢٣٢).

(٢) العويص هو الصعب ومنه اعتاص عليه الأمر التوى ، والعويص من الشعر : ما يصعب استخراج معناه والكلمة العوصاء : الغريبة ، والعوصاء: الشدة .انظر : الصحاح (٣/ ١٠٤٦-١٠٤٧)، القاموس ص : ٨٠٥ .

(٣) الرد على المريسي (١/ ٢١٥-٢١٦).

والعقل والفطرة ويظهر مخالفة مذهب أهل البدع لكل ما سبق من أدلة و إجماع أهل العقل واللسان والحس والمشاهدة .

يقول الإمام الدارمي مبيناً موافقة مذهب أهل السنة في إثبات العلو لله للعقل والفطرة وما يليق به سبحانه ومخالفة أهل البدع فيقول : "..لأنكم تزعمون أنه في كل مكان من السموات والأرض ، والسموات فوق بعضه ، وأنه في كل بيت مغلق ، وفي كل صندوق مقفل ، فهو في دعواكم محاط به مماس ، ولا يكون شيء في كل مكان إلا وذلك الشيء مما بين الأمكنة وقد أحاطت به الأرض في دعواكم والسماء ، وحيطان البيوت والأغلاق والأقفال ، ونحن نبرأ إلى الله أن نصفه بهذه الصفة ، بل هو على عرشه ، فوق جميع الخلائق في أعلى مكان وأطهر مكان كما قال الله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ﴾ [الأنعام :١٨]...(إلى أن قال): **ويحك هذا المذهب أنزه لله من السوء أم مذهب من يقول : فهو بكماله وجلاله وجلال عظمته وبهائه فوق عرشه فوق سماواته ، وفوق جميع الخلائق في أعلى مكان وأطهر مكان ، حيث لا خلق هناك ولا إنس ولا جان فتفكر أي الحزبين أعلم بالله وبمكانه وأشد له تعظيماً وإجلالاً**" أ.هـ.(١)

٨. الشدة والغلظة في الألفاظ في بعض الأحيان:

وذلك بغرض التنفير من البدعة وأهلها حتى لا يفتن بها الناس وحتى يلفتوا نظر الناس إلى عظيم خطر البدعة وعواقبها الوخيمة .

وكذلك تأديباً وزجراً للمبتدع صاحب هذه الأقوال حتى يرجع ويعلم أن المسلمين وعلمائهم لا يقبلون بهذا الانحراف وهذا الباطل .

وقد يضطر أهل السنة للغلظة إذا علموا من المبتدع عناداً وإصراراً حتى بعد قيام الحجة عليه وخاصة إذا كان ممن لديه علم وليس من الجهلة حتى يعذر .

وقد يظهر لبعض السلف سوء طويتهم من خلال تحريفهم للنصوص وكذلك من خلال فقدهم للأمانة العلمية بكتم ما يكون فيه فضح لما هم عليه وتحريف النصوص

---

(١) الرد على المريسي (١/ ٤٤٦-٤٥٠)بتصرف واختصار.

الواضحة لتوافق مذهبهم ، فإذا ظهر ذلك لبعض السلف فإنهم قد يغلظون مع هذا النوع منهم.

يقول الإمام الدارمي مبدياً بعض أسباب الغلظة على هؤلاء المخالفين فيقول :" ولو لم يوجد فيها عن رسول الله ﷺ ولا عن أصحابه خبر ولا أثر لم تكونوا مؤتمنين على كتاب الله وتفسيره أن يلتفت إلى شيء من أقاويلكم أو يعتمد على شيء من تفسيركم كتاب الله، **لما ظهر للأمة من إلحادكم فكيف إذا هم خالفوكم** " أ.هـ.[1]

فالدارمي –رحمه الله – بين سبب الغلظة وعدم الهوادة مع بعض أهل البدع لما ظهر للأمة سوء طويتهم وإلحاد بعضهم.

وقد أورد الإمام الدارمي بسنده ما يؤكد ما قلناه من أن السلف يغلظون لبعض المبتدعة في القول لاطلاعهم على بعض ما يدل على سوء طويتهم قال : " حدثنا الزهراني أبو الربيع قال : كان من هؤلاء الجهمية رجل ،وكان الذي يظهر من رأيه الترفض ، وانتحال حب علي بن أبي طالب ﷺ فقال رجل ممن يخالطه ويعرف مذهبه : قد علمتُ أنكم لا ترجعون إلى دين الإسلام ، ولا تعتقدونه ، فما الذي حملكم على الترفض وانتحال حب علي؟ قال : إذاً أصدقك أنا ، إن أظهرنا رأينا الذي نعتقده رمينا بالكفر والزندقة ، وقد وجدنا أقواماً ينتحلون حب علي ويظهرونه ثم يقعون بمن شاءوا ، ويعتقدون ما شاءوا ، ويقولون ما شاءوا ، فنسبوا بذلك إلى الترفض والتشيع فلم نر لمذهبنا أمراً ألطف من انتحال حب هذا الرجل ، ثم نقول ما شئنا ونعتقد ما شئنا ونقع بمن شئنا فلأن يقال لنا: رافضة أو شيعة أحب إلينا من أن يقال زنادقة كفار وما علي عندنا أحسن حالاً من غيره ممن نقع بهم " أ.هـ[2].

وقال الإمام الدارمي معقباً : " وصدق هذا الرجل فيما عبر عن نفسه ولم يراوغ ، وقد استبان ذلك من بعض كبرائهم و بصرائهم أنهم يستترون بالتشيع ، يجعلونه تشبيثاً

---

(١) الرد على الجهمية للدارمي ص٩٦.

(٢) الرد على الجهمية ص٢٠٦-٢٠٧.

لكلامهم وخطبهم وسلماً وذريعة لاصطياد الضعفاء وأهل الغفلة ، ثم يبذرون بين ظهراني خطبهم بذر كفرهم وزندقتهم ليكون أنجع في قلوب الجهال وأبلغ فيهم ولئن كان أهل الجهل في شك من أمرهم إن أهل العلم منهم لعلى يقين ولا حول ولا قوة إلا بالله ".أ.هـ[(١)] .

ومن خلال هذا النقل يتبين لنا عدة أمور :

أ-أن السلف حين يغلظون لبعض المبتدعة لكونهم على دراية بخبث ما هم عليه كما تبين من كلام الإمام الدارمي.

ب-أن الإغلاظ في الكلام مرتبط بحسب البدعة فالذي يظهر أن البدع المغلظة كبدع التجهم ونحوها هي التي كان السلف يغلظون الكلام فيها لكون هذه البدعة بعضها يدخل ضمن الكفر الصريح .

ج-أن الهدف من الإغلاظ في بعض المواضع حتى لا يغتر بهم العامة والدهماء ممن لا يفرق بين صحيح الكلام وباطله وإنما ما يظهر له من الكلام .

د-وقد يغلظ السلف لمن ظهر لهم زندقته وكفره وعداوته للإسلام كما فعل الإمام أحمد لما ألف كتاب الرد على الجهمية والزنادقة وبدأ الأبواب بذكر شبهات الزنادقة الذين يضربون آيات الكتاب بعضها ببعض ولهذا كان أول باب عقده الإمام أحمد في كتابه بعنوان:(**باب بيان ما ضلت فيه الزنادقة من متشابه القرآن**).[(٢)]

هـ-أن السلف في بعض المواضع ينقلون الحكم الشرعي الموافق لهذه البدعة أو المبتدع مثل نقلهم تكفير من يقول بخلق القرآن أو الحكم بالكفر على بعض أعيانهم كالجهم أو بشر المريسي ممن أقيمت عليهم الحجة وظهرت لهم المحجة فهذا منهم بيان لحكم الله الذي لا يسعهم السكوت في بيانه وإيضاحه للناس لأن الله عز وجل قد أخذ الميثاق على أهل العلم أن يبينوه ولا يكتموه فما فعلوه هو دين يدينون الله به

---

(١) المصدر السابق .

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة ص ٨٦.

وبناء على ما سبق فلا حجة لمحتج ولا معترض ممن يتهم السلف بأنهم كانوا يتشددون أو يكفرون ويبدعون ويفسقون بل ما فعلوه مبني على النص الواضح الصريح حماية للدين ونصحاً للأمة وتحذيراً وتنبيهاً للغافلين من عبث العابثين وكيد الكائدين ثبتنا الله على منهجهم حتى نلقاه .

المبحث الثاني

الإجمال والتفصيل وضوابطه في مصنفاتهم

الأصل في مصنفات السلف خلال القرون المتقدمة الثلاثة هو الإجمال والاختصار بخلاف المتأخرين الذي توسعوا وأسهبوا في التصنيف .

وما وجد من تفصيل وإسهاب عند المتقدمين فهو خلاف الأصل وليس هو الغالب .

ولعل هناك أسباب لحرصهم على عدم التفصيل والإطالة واقتصارهم على المهم من المسائل والإجمال في العرض والرد كذلك **والأسباب كالتالي:**

أهم الأسباب والعوامل للإجمال والتفصيل في مصنفات السلف:

١. أن السلف لم يخوضوا في علم الكلام ولهذا لم يحتاجوا إلى تشقيق الكلام وذكر المفترضات العقلية المنطقية بل كان جل همهم تقرير المسألة وذكر الأدلة دون الخوض فيما خاض فيه المتأخرون.

٢. حرص السلف على الاقتصار على الدليل حتى يرسخوا في عقول وقلوب الناس عموماً وطلبة العلم خصوصاً العمل بالدليل والعناية به أثناء تقرير المسائل ومخالفة أهل البدع الذين لا عناية لهم بالدليل ، ولهذا كثرت المصنفات عند السلف التي تسرد الأدلة دون شرح أو تعليق .

٣. ظهور العلم بالسنة في عصورهم وكثرة الراسخين في العلم وعدم وجود الحاجة للتطويل والشرح لأن الناس كانوا على معرفة بلغة القرآن والسنة ومدلولاتها بخلاف المتأخرين الذين بعدوا عن اللغة وعن فهم نصوص الكتاب والسنة ولهذا احتاج المتأخرون للتطويل والشرح لعدم فهم نصوص الكتاب والسنة ووضوح معانيها مثلما كانت واضحة عند أصحاب القرون المتقدمة .

٤. لما كثرت البدع وكثرت الشبهات في القرن الثالث وكثرت مصنفات المبتدعة احتاج السلف للإطالة لتغير الزمان وكثرة البدع والشبهات، واحتاج السلف لذكر هذه البدع والتعريف بها وبأهم ما يقولونه والردود عليهم .

٥. تغير طريقة السلف في التصنيف مما زاد في حجم المصنفات وكثرة

أبوابها ؛ وذلك لما ظهر التفنن في الترتيب والتبويب اضطر المصنفون لتكرار الأحاديث على حسب مناسبات الأبواب والتراجم ؛ ولهذا زاد حجم المصنفات تبعاً لظهور هذه الطريقة في التصنيف بخلاف المتقدمين الذين كان همهم جمع السنة في المسانيد أو ذكر أدلة باب معين فلم يظهر هذا التطويل عندهم .

٦. حرص السلف على عدم ذكر الشبهات إذ لم تكن ظاهرة ومنتشرة فذكرها قد يزيد في نشرها وبثها بين عامة الناس ولكن لما ظهرت الشبهات وانتشرت اضطر السلف لذكرها والرد عليها مما زاد في حجم المصنفات ويحرص السلف في مصنفاتهم على استيعاب الرد على هذه الشبهات حتى لا تعلق في قلوب العامة [١].

٧. ومن الأسباب كذلك في الإجمال والاختصار ما صرحوا به في أكثر من موضع هو خشية التطويل وإملال القاريء ومحاولة التركيز على الواضح من الأدلة وذكر القواعد الكلية التي تهدم أصول أهل البدع .

والأمثلة على هذا السبب من كلام الأئمة كثيرة وهي كالتالي:

المثال الأول :الإمام المروزي في تعظيم قدر الصلاة :

نص الإمام محمد بن نصر في أكثر من موضع من كتابه على أنه ترك أشياء كثيرة لم يذكرها أثناء التقرير أو الرد على المخالفين خشية التطويل فيقول رحمه الله :

" قد ذكرنا بعض ما حضرنا من الآيات المنزلات ، الدالات على أن الصلاة والزكاة وسائر الطاعات كلها إيمان وإسلام ودين الله عز وجل ، **وأمسكنا عن كثير منها اختصاراً ، وكراهةً للتطويل** ، واستغنينا بما ذكرناه عما لم نذكره ،...."أ.هـ.[٢]

وقال في موضع آخر :

---

(١) سيأتي مزيد بسط لهذا الأمر وهو منهج السلف في ذكر الشبهات من عدمها عند المبحث الخاص بمنهج السلف في الرد على أهل البدع –إن شاء الله –.

(٢) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٦٣).

"وقد ذكرنا تمام الحجة في أن الإسلام هو الإيمان وأنهما لا يفترقان ، ولا يتباينان من الكتاب والأخبار الدالة على ذلك في موضع غير هذا ، **فتركنا إعادته في هذا الموضع كراهية التطويل والتكرير** ، غير أنا سنذكر ههنا من الحجة في ذلك ما لم نذكره في غير هذا الموضع ...."أ.هـ.(١)

ونلحظ من خلال هذا النقل أن ما اقتصر عليه ولم يطنب لم يكن اختصاراً مخلاً بل كان لفائدة ، وذكرها هنا ما لم يذكره في موضع آخر وهذا مما يزيد في قيمة الكتاب العلمية .

وقال في موضع آخر: حول تقريره لموقف السلف من مرتكب الكبيرة ورده على الغلاة كالخوارج والمعتزلة أو الذي قصروا وتساهلوا وهم المرجئة فقال رحمه الله :

" واحتججنا لمذهبنا احتجاجاً مختصراً ، وقد بينا كلاماً وحججاً كثيرة من الخبر والنظر جميعاً لم نذكرها **كراهة للتطويل** ، وفي مقدار ما ذكرنا كفاية لأهل الفهم والديانة ".أ.هـ(٢)

المثال الثاني :الإمام الدارمي في رده على المريسي :

قال رحمه في معرض رده على نفاة الأسماء عن الله ما نصه: " وفي أسماء الله حجج وآثار مما ذكرنا **تركناها مخافة التطويل** ......"أ.هـ.(٣)

وقال في موضع آخر : وهو يقرر إثبات اليدين لله تعالى ويرد على المريسي الذي ينفي هذه الصفات بالتأويلات البعيدة والغريبة والمستكرهة فيقول رحمه الله :

" وفي هذا الباب أحاديث كثيرة **تركناها مخافة التطويل** وفيما ذكرنا من ذلك بيان بين ودلالة ظاهرة في تثبيت يدي الله عزوجل ...." أ.هـ.(٤)

منهج السلف في الإجمال والاختصار :

لعلنا نبدأ بذكر السمة الغالبة على مصنفاتهم وهي الاختصار والإجمال ونذكر أبرز

(١) المصدر السابق (٢/ ٥٣١).
(٢) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٦٥١-٦٥٢).
(٣) الرد على المريسي (١/ ١٨٤).
(٤) المصدر السابق (١/ ٢٥٥).

صور الإجمال والاختصار وطريقتهم التي ساروا عليها وهي كالتالي :

١. **الإجمال أولاً ثم التفصيل :**

من التسلسل المنطقي في مصنفات السلف أنهم يذكرون المسألة والأدلة إجمالاً ثم يفصلون ويجعلون هذا التسلسل على نوعين:

الأول : أثناء تقرير المسائل ، والثاني : أثناء سرد النصوص .

وهذه طريقة القرآن في أكثر من موضع منها على سبيل المثال [(١)] :

قوله تعالى : ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا . . ﴾ [عبس : ٢٤-٢٧].

وقع الإجمال أولاً في قوله: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾ **حيث ذكر الطعام مجملاً ثم فصل** كيفية إحداث ذلك الطعام على وجه الإيجاز بقوله ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا . . ﴾.

فمن النوع الأول (يعني عند التقرير للمسائل):ما جاء عند الإمام أبي عبيد في **كتابه الإيمان** حيث نرى أنه ذكر النصوص التي يدور عليها الخلاف بين الطوائف ثم ذكر موقف أربعة من الطوائف المخالفة على سبيل الإجمال ثم بدأ بالرد عليها تفصيلاً فرقةً فرقة وهذا من حسن الترتيب والتسلسل عنده رحمه الله فيقول :

"فهذه أربعة أنواع من الحديث ، قد كان الناس فيها على أربعة أصناف من التأويل :

فطائفة :تذهب إلى كفر النعمة .

وثانية : تحملها على التغليظ والترهيب .

وثالثة : تجعلها كفر أهل الردة .

ورابعة : تذهبها كلها وتردها .

فكل هذه الوجوه عندنا مردودة غير مقبولة لما يدخلها من الخلل والفساد " أ.هـ.[(٢)]

---

(١) انظر: من بلاغة القرآن الكريم في مجادلة منكري البعث ص٣٤٦ بدرية محمد حسن العثمان ط.دار الراية ط.الأولى سنة ١٤١٧هـ.

(٢) الإيمان لأبي عبيد ص ٣٨-٣٩.

ثم شرع في الرد تفصيلاً على كل طائفة بلغة العرب وبالنصوص الشرعية .

ومن **النوع الثاني** : وهو **ذكر الدليل على سبيل الإجمال** أثناء سرد النصوص كأن يذكر طرفه أو ملخصه ثم يذكره بعد ذلك مسنداً متصلاً بنصه كاملاً وهذه الطريقة أكثر منها الإمام البخاري في **خلق أفعال العباد** في أكثر من موضع [(١)] منها:

-أنه في **أحد المواضع** بين أن الفرق بين فعل العبد وكلام الله وأن التلاوة وذكر الله هو عمل العبد و المتلو والمقروء هو كلام الله الذي هو صفته فقال **مجملاً** الكلام :

" وبين النبي ﷺ أن ذكر الله هو العمل " . [(٢)]

ثم بعد ذلك فصل وبين مراده بهذا الدليل فأخرج بسنده عن معاذ بن جبل الحديث الذي قال فيه :"يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله أو أفضل ؟ قال :" **أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله** ". [(٣)]

ثم سرد أحاديث أخرى تبين مراده وأن ذكر الله من أعمال العباد وكلامه سبحانه صفة من صفاته .

-**وفي الموضع الآخر**: قال البخاري مجملاً ذكر الأدلة ثم فصّل :

قال رحمه الله :" وقد رفع أبو بكر صوته بقوله: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا﴾ [غافر :٢٨]" أ.هـ. [(٤)]

فهذا الكلام منه في إجمال وإشارة للدليل الذي فيه القصة وهي أطول مما ذكر لكنه اقتصر على ما يريد ثم ذكرها مسندة متصلة كاملة . [(٥)]

٢. حذف إسناد الدليل والاقتصار على النص :

---

(١) انظر: المواضع في خلق أفعال العباد ص٦٨، ٧٩، ٨٧.

(٢) خلق أفعال العباد ص٨٩.

(٣) الحديث أخرجه: البخاري في خلق أفعال العباد ص٨٩ برقم (٢٨١). وابن حبان كما في الإحسان لابن بلبان في كتاب الرقائق –باب الأذكار (٣/ ٩٩) برقم (٨١٨).والسني في عمل اليوم والليلة ص ٣برقم (٢). والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٠٧)برقم (٢١٢)،(٢١٣) ، و(٢٠/ ٩٣)برقم (١٨١).وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٧٤)وعزاه للطبراني ثم قال :" ورواه البزار من غير طريقه وإسناده حسن "أ.هـ

(٤) خلق أفعال العباد ص٩٧.

(٥) المصدر السابق برقم (٣٠٨).

الأصل في كتب السلف إيراد الأدلة مسندة إلى قائليها سواءً كانت أحاديث مرفوعة أو آثاراً عن السلف من الصحابة والتابعين .

ولكن في بعض الأحيان يغير المصنف طريقته طلباً للاختصار إما بتأليف رسالة كاملة لا يذكر فيها الأحاديث مسندة أو في ثنايا كتابه المسند يذكر بعض الأحاديث أما معلقة أو بغير إسنادٍ مطلقاً ولهذه الطريقة أمثلة :

الإمام البخاري في خلق أفعال العباد :

الأصل أن الإمام البخاري يورد الأحاديث والآثار مسندة ولكن في بعض المواضع يوردها معلقة محذوفة الأسانيد وذلك طلباً للاختصار وقد لا يعيدها مسندة كما كان في الصورة السابقة وانظر الأحاديث برقم (٨٧ إلى ١٠٥)[(١)] ذكر جملة من الأحاديث والآثار دون ذكر أي إسناد لها وهذه صورة من صور الاختصار.

٣. **الرسائل المختصرة في الاعتقاد:**

من صور الاختصار والإجمال ألف السلف رسائل مختصرة يقتصرون فيها على ذكر رؤوس المسائل في الاعتقاد ويخلونها من الأدلة إلا في النادر وهذه الرسائل عادة ما تؤلف لعامة الناس الذين يقلدون أهل العلم أو حتى يثبت العالم للناس صحة معتقده حتى لا ينسب له شيء من البدع والمخالفات.

وقد ألف السلف عدداً من الرسائل بهذه الطريقة وسيأتي كلام مفصل عنها عند ذكر مصنفات السلف في الباب الثالث إن شاء الله .[(٢)]

٤. **ذكر مثال واحد يصلح لأكثر من مسألة :**

ومن طرق الاختصار والإجمال عند ذكر الأدلة والأمثلة ذكر نص واحد يستدل به على أكثر من مسألة ولا يعيدونه طلباً للاختصار لأن الغرض الأساس من المثال أو

---

(١) بتحقيق بدر البدر .

(٢) الرسائل هذه كثيرة كرسالة أصول السنة للحميدي واللالكائي ذكر جملة من هذا النوع كاعتقاد سفيان الثوري وابن عيينه والبخاري وابن المديني والإمام أحمد وغيرهم كثير.

الدليل تحقق فلا داعي للتكرار من غير فائدة ترجى .

ومن الأمثلة على هذه الطريقة :

-الإمام الحميدي في رسالته في أصول السنة :

للإمام الحميدي رسالة مختصرة في أصول السنة وعند حديثه عن اعتقاد أهل السنة في إثبات الصفات قال :

" وما نطق به القرآن والحديث مثل:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ ﴾ [المائدة : ٦٤] ومثل :﴿ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ [الزمر :٦٧] وما أشبه هذا من القرآن والحديث لا نزيد ولا نفسره نقف على ما و قف عليه القرآن والسنة ونقول : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه :٥] ومن زعم غير هذا فهو معطل جهمي " أ.هـ[1]

ومن خلال هذا النص استطاع الإمام الحميدي أن يقرر مذهب السلف بذكر مثال أو مثالين ومثل بهما للقاعدة التي ذكرها حول إثبات الصفات الواردة في الكتاب و السنة و عدم تعطيلها ولم يذكر بقية الأدلة الواردة في الصفات لأن المقصود الذي يهدف له المصنف تحقق وهو تقرير القاعدة في مذهب السلف وهو إثبات الوارد في نصوص الكتاب والسنة حول صفات الرب سبحانه وتعالى .

-الإمام ابن أبي عاصم في السنة :

يعتبر كتاب الإمام ابن أبي عاصم من الكتب الكبار في الاعتقاد لكنه في بعض المواضع نحى منحى الاختصار والإجمال حتى لا يكبر حجم الكتاب كثيراً ؛ فنجده في بعض المواضع يجعل باباً لأكثر من مسألة ويذكر عليها دليلاً واحداً يصلح لها جميعاً .

فقد عقد باباً بعنوان : (**باب : ذكر الكلام ، والصوت ، والشخص ، وغير ذلك**).

فهذه عدة صفات ذكرها من خلال دليل واحد وأجمل الباب ولم يجعل لكل صفة باباً مستقلاً وهو نوع من أنواع الاختصار.

ثم ذكر تحت هذا الباب حديث رحلة جابر وسماعه من عبد الله بن أنيس حديث

---

(١) أصول السنة للحميدي ص٤٢ ط.بتحقيق مشعل الحداري .

الصوت بطوله مسنداً .[(١)]

٥. **الاقتصار على موضع الشاهد من الدليل :**

ويصل الاختصار في بعض الأحيان عند بعض المصنفين إلى ذكر موضع الشاهد من الدليل وعدم ذكر نصه كاملاً طلباً للاختصار.

والأمثلة على هذه الطريقة كثيرة منها:

المثال الأول :الإمام البخاري في خلق أفعال العباد:

يستخدم غالباً الأئمة هذه الطريقة عندما يكون الحديث طويلاً وهم يريدون فقط موضعاً من الحديث لا يتجاوز بضع كلمات .

وقد استعمل الإمام البخاري هذه الطريقة عندما أراد أن يورد الأدلة الدالة على إثبات صفة الكلام لله ومن هذه الأدلة حديث الشفاعة الطويل .

فقال رحمه الله مقتصراً على ذكر موضع الشاهد :

" وقال أبو بكر الصديق ﷺ عن النبي ﷺ وذكر الشفاعة قال :

("يقول نوح :انطلقوا إلى إبراهيم ، فإن الله اتخذه خليلاً ، فيأتون إبراهيم فيقول: انطلقوا إلى موسى فإن الله كلمه تكليماً)"أ.هـ[(٢)].

المثال الثاني: ابن إبي عاصم في السنة :

أورد الإمام ابن أبي عاصم في كتابه السنة الأدلة التي تثبت صفة التعجب للرب جل وعلا ومما أورده حديثاً ذكر منه موضع الشاهد فقط وهو:أن النبي ﷺ قال :" عجب ربنا تبارك وتعالى من رجلين: رجل قام من فراشه ولحافه ..." [(٣)] قال ابن أبي

---

(١) تقدم تخريج هذا الحديث.

(٢) الحديث مروي عن عدد من الصحابه وهو حديث صحيح وهوعند البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ، وأما عن أبي بكر فقد أخرجه الإمام أحمد (١/ ٤-٥). وابن عاصم في السنة في باب شفاعة النبي ﷺ (١/ ٥٤٩)برقم (٨٣٣).وأورده الهيثمي في المجمع (١٠/ ٣٧٤-٣٧٥)وقال :" رجاله ثقات ".

(٣) الحديث أخرجه: ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٨٩)في باب في تعجب ربنا من بعض ما يصنع عباده مما يتقرب به إليه برقم (٥٨١). وأحمد (١/ ٤١٦).وابن أبي شيبة في المصنف (٤/ ٢١٩)برقم (١٩٣٩٥) في

عاصم مقتصراً على هذا القدر (فذكر الحديث).

فنجد أن الإمام هنا ذكر الموضع الذي فيه التعجب ولم يذكر الرجل الثاني المشار له في الحديث وهذا يؤكد ما قلناه من اقتصارهم في بعض المواضع على موضع الشاهد.

ولفظ الحديث كاملاً كما هو عند ابن حبان : " عجب ربنا من رجلين : رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين حبِّه وأهله إلى صلاته ، فيقول الله جل وعلا لملائكته :انظروا إلى عبدي ثار عن فراشه ووطائه من بين حبِّه وأهله إلى صلاته رغبةً فيما عندي وشفقةً مما عندي ، ورجل غزا في سبيل الله فانهزم أصحابه وعلم ما عليه في الانهزام وماله في الرجوع ، فرجع حتى هريق دمه فيقول الله لملائكته :انظروا إلى عبدي رجع رجاءً فيما عندي وشفقاً مما عندي حتى هريق دمه".

المثال الثالث: الإمام الدارمي في رده على المريسي:

الإمام الدارمي أورد **حديث الأطيط** (١) محتجاً به على إثبات العلو لله على خلقه واقتصر في إيراده على موضع الشاهد فقط فقال :

"قال رسول الله ﷺ:"إن الله فوق عرشه فوق سمواته فوق أرضه مثل القبه ، وإنه ليئط به أطيط الرحل بالراكب".أ.هـ(٢)

٦. الإشارة إلى الشواهد الأخرى في الباب دون ذكر نصها أو أسانيدها:

وهذا نوع من الاختصار لأنه قد يفضي إلى التكرار الذي لا فائدة منه لأن الغرض من الشواهد ذكر ما يعضد الحديث الأصلي في الباب ويكفي الإشارة دون إعادة نصه إلا إذا احتوى على فائدة في المتن لا توجد في المتن الأصلي وقد تقدم في المبحث الخاص

=كتاب الجهاد –باب ماذكر في فضل الجهاد والحث عليه . والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ١٦٤) في كتاب السير –باب فضل الشهادة في سبيل الله . وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان لابن بلبان (٦/ ٢٩٧-٢٩٨)برقم (٢٥٥٧)،(٢٥٥٨)،في كتاب الصلاة –فصل في قيام الليل . والحاكم أخرجه وصححه (٢/ ١١٢).

وحسنه الألباني كما في ظلال الجنه ص٢٤٩. وصححه الأرناؤوط كما في تحقيقه لصحيح ابن حبان.

(١)الحديث تقدم تخريجه .

(٢)الرد على المريسي (١/ ٥١٨).

في تكرار الأئمة للأدلة .

وممن أكثر من هذه الطريقة الإمام ابن أبي عاصم في السنة وإليك هذا الموضع:

عقد الإمام ابن أبي عاصم باباً بعنوان: (**باب ذكر قول النبي ﷺ:سألت ربي ثلاثاً**)[1] وذكر الحديث في هذا الباب بنصه عن ثوبان وقد تقدم .

ثم ذكر له شواهد في الباب لنفس الحديث عن عدد من الصحابة ولكنه اقتصر على ذكر الصحابي ولم يذكر نصوص متون أحاديثهم طلباً للاختصار .

والشواهد التي أوردها عن : سعد بن أبي وقاص ، وخباب بن الأرت ، ومعاذ بن جبل ، وحذيفة ، وابن عمر، وأبي هريرة ، وخالد الخزاعي ، وأنس بن مالك[2] .

٧. العناية بذكر القاعدة العامة التي تندرج تحتها مسائل كثيرة وعدم التفصيل في ذكر كل المسائل :

وهذا زيادة على أنه نوع من الاختصار فإنه يبرز عمق فقه السلف ومدى إلمامهم بنصوص الشريعة وقواعدها الكلية .

وهذا النوع من الاختصار يلجأ إليه الأئمة أثناء الرد على شبهات الخصوم التي لا تنتهي عند حد فذكر القاعدة يغني عن إعادة الرد في كل مرة على كل شبهة ويكون فيه تحصين لأهل السنة عن شبهات أهل البدع إذا فقهوا وتعلموا هذه القواعد الكلية .

وكان هذا أيضاً من بعد النظر عند السلف رحمهم الله لمعرفتهم أن البدع تتجدد في كل زمان فمعرفة القاعدة وإشهارها بين الناس ينتفع بها حتى الأجيال التي تأتي من بعدهم .

ولعلي أذكر هنا مثالاً واحداً لإمام أهل السنة الإمام أحمد رحمه الله :

-المثال:

يقول الإمام أحمد عند رده على شبهة من شبهات الجهم بن صفوان فيقول : "ثم إن

(١) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٢٠٨).

(٢) المصدر السابق (١/ ٢٠٩-٢١٠).

الجهم ادعى أمراً آخر فقال : (إنا وجدنا آية في كتاب الله تبارك وتعالى تدل على القرآن مخلوق).

فقلنا : أي آية ؟

فقال : ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء :٢]

فزعم أن القرآن محدث وكل محدث مخلوق "أ.هـ[1]

ثم شرع في الرد عليه وبدء بذكر قاعدة كلية تصلح للرد على كل المسائل التي يمكن أن تشبهه هذه المسألة التي أثارها الجهم بن صفوان فقال رحمه الله :

"أعلم أن الشيئين إذا اجتمعا في اسم يجمعهما فكان أحدهما أعلى من الآخر ثم جرى عليهما اسم مدح فكان أعلاهما أولى بالمدح وأغلب عليه وإن جرى عليه اسم ذم فأدناهما أولى به" [2] .

فالإمام أحمد ذكر هذه القاعدة ثم ذكر لها الأمثلة فقال : "ومن ذلك قول الله تعالى في كتابه :﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج :٦٥] ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان : ٦] يعني الأبرار دون الفجار فإذا اجتمعوا في اسم الإنسان ، واسم العباد فالمعنى في قول الله جل ثناؤه :﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ يعني الأبرار دون الفجار ، لقوله إذا انفرد الأبرار : ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [الانفطار :١٣] وإذا انفرد الفجار :﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار :١٤] .

وقوله :﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج :٦٥] فالمؤمن أولى به ، وإن اجتمعا في اسم الناس؛ لأن المؤمن إذا انفرد أعطى المدحة لقوله :﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب : ٤٣] ..... (إلى أن قال) : فلما قال الله تعالى:﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء :٢].

فجمع بين ذكرين : ذكر الله وذكر نبيه ، فأما ذكر الله إذا انفرد لم يجري عليه اسم

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ص١٢٠ .

(٢) المصدر السابق.

الحدث ، ألم تسمع إلى قوله :﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت : ٤٥].

وإذا انفرد ذكر النبي ﷺ فإنه جرى عليه اسم الحدث ألم تسمع إلى قوله : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات :٩٥].

فذكر النبي ﷺ له عمل ، والله له خالق محدِث .

والدلالة على أنه جمع بين الذكرين هو قوله :﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ [الأنبياء :٢]فأوقع عليه الحدث عنه إتيانه إيانا وأنت تعلم أنه لا يأتينا بالأنباء إلا مبلغ ومذكر .

وقال الله :﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات :٥٥]، ﴿ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾ [الأعلى : ٩]، ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾[الغاشية :٢١] .

فلما اجتمعوا في اسم الذكر ،جرى عليهم اسم الحدث ، وذكر النبي إذا انفرد وقع عليه اسم الخلق وكان أولى بالحدث من ذكر الله الذي إذا انفرد لم يقع عليه اسم خلق ولا حدث ، **فوجدنا دلالة من قول الله** :﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ [الأنبياء :٢] **إلى النبي ﷺ لأن النبي ﷺ كان لا يعلم فعلمه الله .**

فلما علمه الله كان ذلك محدثاً إلى النبي ﷺ "أ.هـ[1]

٨. الانتقاء من الأدلة ما تقوم به الحجة :

ومن صور الإجمال والاختصار عند السلف في مصنفاتهم أنهم لا يوردون كل النصوص في بعض المواضع طلباً للاختصار ويركزون على ما كان ظاهر الدلالة وأصرح في المراد أو ما كان أصح شيء في الباب ، المهم أنهم قد ينتقون من الأدلة ما تقوم به الحجة وهذا يبرز جانب من إلمامهم بالنصوص الشرعية وكذلك فقهم وسعة علمهم رحمهم الله .

والأمثلة حول هذه الطريقة كثيرة منها :

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ص ١٢١-١٢٣ بتصرف.

المثال الأول : الإمام المروزي في كتابه السنة :

بعد أن انتهى المروزي من عرض الأدلة والمسائل في أحد أبواب كتابه قال :

" فهذا تفسير الوجه الأول من السنن التي لها تفسير افترضه الله في كتابه مجملاً وقد ذكرت منه ما **يكفي ويستدل به أهل الفهم على ما وراءه مما لم أذكره إن شاء الله** "أ.هـ(١)

المثال الثاني :الإمام الدارمي في كتابه الرد على الجهمية :

عقد الإمام الدارمي فصلاً لإثبات علو الله على خلقه وأنه مستو على عرشه ثم قال بعد سرده لمجموعة من الأدلة منتقاة :

" والأحاديث عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه والتابعين ومن بعدهم في هذا الأمر أكثر من أن يحصيها كتابنا هذا ، غير **أنا قد اختصرنا من ذلك ما يستدل به أولوا الألباب**...."أ.هـ.(٢)

المثال الثالث : الإمام الدارمي في رده على المريسي :

قال الإمام الدارمي في أواخر رده على المريسي الضال ما نصه :

" ولولا أن يطول الكتاب لبينا لك وجوه القاريء والقراءة والمقروء ، غير أني قد طولت وأكثرت ، ومع ذلك **اختصرت وتخطيت خرافات لم يستقم لكثير منها جواب ، غير أنا ما فسرنا منه يدل على ما لم نفسر** والله الموفق لصواب ما نأتي وما نذر "أ.هـ.(٣)

٩. الإحالة على مواضع وكتب أخرى:

ومن طرائق السلف في الإجمال الإحالة على مواضع أخرى أو كتب أخرى ألفوها في نفس الموضوع وذلك حتى يختصروا في التأليف والكتابة .

فقد يلجأ العالم لأن يحيل مثلاً في الرد على طائفة أو طوائف إلى الذي كتبه في الرد على طائفة أخرى سبق الرد عليها ولكنها احتجت بمثل ما احتجوا به فيرد عليهم رداً

(١) السنة للمروزي ص٦٨.
(٢) الرد على الجهمية للدارمي ص٦٤.
(٣) الرد على المريسي (٢/ ٩٠٠).

واحداً في موضع واحد من الكتاب ثم يحيل عليه ولا يكرر .

والإمام المروزي في تعظيم قدر الصلاة فعل مثل هذا فقال في أحد المواضع وهو يرد على الخوارج والمعتزلة في مذهبهم الفاسد تجاه مرتكب الكبيرة فيقول : " وجميع ما كتبناه من الحجج على الطائفتين اللتين ذكرنا خلافهم لنا من أصحاب الحديث فهي داخلة على هؤلاء (يعني الخوارج) ولازمة لهم"أ.هـ.(١)

وهذا هو المثال الأول .

أما المثال الثاني :الإمام الدارمي يحيل على كتبه الأخرى :

نجد أن الإمام الدارمي أثناء رده على المريسي يحيل على كتابه الآخر وهو الرد على الجهمية طلباً للاختصار فيقول:

" وقد فسرنا أمر الرؤية وروينا ما جاء فيها من الآثار في الكتاب الأول ، **الذي أمليناه في الجهمية** ، وروينا منها صدراً في صدر هذا الكتاب أيضاً ....**ولولا أن يطول الكتاب لأعدت الباب بطوله وأسانيده** " أ.هـ.(٢)

منهج السلف في التفصيل في مصنفاتهم :

وكما أن للسلف منهج بارز وواضح وهو الإجمال والاختصار وتعرضنا لأبرز طرقهم في الاختصار والإجمال والحالات التي يجملون فيها وهي الغالبة كان لزاماً أن نردف هذا بمبحث آخر مغاير وهو منهجهم وطريقتهم في التفصيل حتى تكتمل الصورة وتتضح لمن أراد الإطلاع على حقيقة منهجهم .

ولعل من أبرز الطرق والحالات التي يفصلون فيها ما يلي:

١. المصنفات الشاملة لكل أبواب الاعتقاد:

مع محاولة استيعاب الأدلة المتنوعة من الكتاب والسنة وآثار السلف في الباب وهذه الطريقة درج السلف على تسمية مصنفاتهم هذه باسم كتب (السنة) ومن

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٦٣٧).

(٢) الرد على المريسي (١/ ٣٦٨) باختصار، وانظر نفس الكتاب (٢/ ٦٧٩-٦٨٠) ، (٢/ ٨٤١).

الأمثلة عليها:

-كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد.

-كتاب السنة لابن أبي عاصم .

وهذان الكتابان ظهر التفصيل في مسائل الاعتقاد من حيث كثرة الأدلة وكذلك الترتيب على الأبواب مع تكرار الأدلة في أكثر من موضع لمناسبة الحديث ودلالته على أكثر من موضوع .

ويعتبر هذين الكتابين من أكبر ما صنف في تلك الفترة من حيث الشمول وكبر حجم الكتاب ، وقد ظهرت الكتب بعد ذلك بشكل أوسع وأكبر حجماً في القرون التالية كالرابع والخامس والسادس .

٢. **التفصيل في ذكر المذاهب والآراء الأخرى:**

وهذا نوع من أنواع التفصيل عند السلف وسوف يأتي الكلام عن هذه القضية بالتفصيل في مبحث مستقل.

٣. **التفصيل عند ذكر القضايا الكبرى والخطيرة:**

ولهذا نلحظ بعض الأئمة يستمر في كتابه على نمط عادي من ناحية الاستدلال وعرض المسائل وحينما يأتي الحديث عن قضية كبرى وخاصة التي حصل النزاع فيها بين أهل السنة ومخالفيهم يتغير المنهج فنجد الإمام يبسط الحديث ويزيد في الاستدلال والرد على المخالفين وينوع في الأدلة لما ذكرنا.

ومن الأمثلة على هذا الصنيع انظر كتاب السنة للإمام عبد الله بن الإمام أحمد حينما بدأ حديثه عن الإيمان كيف توسع وأطنب .[1]

٤. **التفصيل عند الأمر المشكل والملتبس:**

قد يتعرض المؤلف لقضية حصل حولها اللبس ويصل به الأمر إلى أن يفرد مصنفاً خاصاً بها وهو نوع من التفصيل كما سوف يأتي .

---

(١) السنة لعبد الله (١/ ٣٤٧ومابعدها).

وقد مثلنا سابقاً بتفصيل الإمام الدارمي الكلام حول لفظة (الحد) وبين المعنى والموقف الصحيح من مثل هذه الألفاظ [(١)].

٥. التفصيل عند الحاجة للرد على الشبهات:

ومما يضطر المصنف للتفصيل في بعض المواضع إذا وردت شبهة لأهل البدع وتحتاج إلى بسط في الرد واستيعاب كما صنع الإمام أحمد في رده على الجهمية حيث عقد باباً كاملاً بعنوان : (**باب ما ذكر الله في القرآن"وهو معكم "**).

من شبهات الجهمية القائلين بأن الله في كل مكان ما ورد في الآيات بأن الله مع عباده .

والإمام لما رأى خطورة هذه الشبهة على الناس عقد لها فصلاً مستقلاً وفصل واستوعب الكلام حولها.

٦. التصنيف في باب أو مسألة معينة :

ومن الطرق في التفصيل في التأليف إفراد مسألة أو باب معين بالتأليف فنرى مثلاً الأئمة أفردوا (**الإيمان**) بمصنفات مستقلة .

وجعل الإمام البخاري غالب كتابه خلق أفعال العباد في **مسألة اللفظ** وهي ليست باباً بل مسألة معينة ؛ولكن لما حصل حولها من لبس وغموض وإشكال أفردها بمؤلف مستقل.

٧. الاستطراد الذي يضطر إليه المصنف :

قد يضطر المصنف للاستطراد ويخرج عن الموضوع الأصلي ويكون هذا الاستطراد مفيداً للقاري حتى يكتمل الموضوع في ذهنه .

ومن الأمثلة على هذا الاستطراد :

المثال الأول : المروزي في تعظيم قدر الصلاة :

ناقش المروزي من يفرق بين الإيمان والإسلام ورد عليهم لأنه لا يقول بالتفريق

---

(١) انظر: الرد على المريسي (١/ ٢٢٣).

ومما تعرض له قول الله تعالى ﴿وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا﴾ [الحجرات : ١٤] :

قال معلقاً :" وقد قال بعض أهل النظر : ليس قوله لهؤلاء (قولوا أسلمنا) أمر تعبد يكونوا مطيعين به لو قالوه، إنما هو نظير قوله في المنافقين: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ وَقِيلَ ٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة : ٤٦]. "(١)

ثم عقب على هذا مستطرداً وخارجاً عن الموضوع الأصلي .

" والأمر من الله ورسوله قد يتجه على وجوه :

(ثم ذكر عدداً من الوجوه بلغ عشر صفحات مستدلاً لكل وجه من هذه الوجوه وهي على سبيل الإجمال ما يلي :

١-أمر التكوين .

٢-أمر التعبد .

٣-أمر الإباحة والإحلال .

٤-أمر الدعاء .

٥-أمر السؤال .

٦-أمر الندب والاختيار .

٧-أمر معناه الاستثناء.

٨-أمر التهديد والوعيد .

٩-أمر بمعنى النهي .)(٢)

المثال الثاني :الإمام المروزي في تعظيم قدر الصلاة :

وقد يلجأ المصنف للاستطراد إذا عرض له دليل على مسألة فيستطرد في ذكر طرق هذا الحديث ورواياته وألفاظه وإن كان هذا الحديث ليس له علاقة مباشرة بموضوع الكتاب

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٥٥٦).

(٢)انظر: المصدر السابق من (٢/ ٥٥٦ إلى ٥٦٦)بتصرف واختصار.

ولهذا نجد مثلاً الإمام المروزي لما ذكر ما ورد من أن إماطة الأذى عن الطريق من شعب الإيمان أورد ما ثبت من الأحاديث والروايات حول فضل إماطة الأذى عن الطريق [١].

واستغرق هذا الاستطراد من الإمام خمس عشرة صفحة .

ونجده كذلك عند ذكره ما ورد حول الحياء وفضله يستطرد في ذكر ما ورد حوله من الروايات والألفاظ [٢] واستغرق منه ما يقارب ثلاث عشرة صفحة .

---

(١) انظر: المصدر السابق (٢/ ٨١٠-٨٢٥).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٨٢٥-٨٣٨).

المبحث الثالث

منهجهم في ذكر مذهب أهل السنة والمذاهب الأخرى ومناقشتها.



تمهيد:

لم يغفل السلف ذكر المذاهب الأخرى في مصنفاتهم بل وذكروا ما لهم من أدلة أو شبهات وكان لهم منهج متميز عن غيرهم في التعامل مع المذاهب الأخرى .

بخلاف أهل البدع الذين يكتمون أراء المخالفين لهم ولا يظهرونها لأنهم يعلمون أن الناس لو اطلعوا على ما لدى أهل السنة من الحق لا تبعوهم ، أما أهل السنة فلا يخشون من ذكر المذاهب الأخرى لثقتهم بمنهجهم والحق الذي معهم ومعرفتهم التامة بضعف مذاهب أهل البدع القائمة على الهوى والظن .

ولعلنا قبل الحديث عن طرائق السلف في ذكر المذاهب الأخرى يحسن بنا أن نذكر بأمور عدة :

١. أن الغالب في مصنفات السلف في القرون الثلاثة الأولى عدم التعرض لمذاهب المخالفين إلا في مواضع قليلة.
٢. أن السلف يذكرون المذاهب الأخرى عند التصنيف في الرد على أهل البدع .
٣. وبناءً على ما سبق فإن مناقشات السلف نادرة بناء على ندرة ذكر المذاهب .
٤. من الأسباب في عدم ذكر المذاهب الأخرى بشكل ظاهر في مصنفات السلف في القرون الثلاثة الأولى عدم توسعهم في التصنيف إلا ما كان في أواخر القرن الثالث عند انتشار البدع ومصنفاتهم.

منهج السلف في ذكر المذاهب الأخرى :

تنوعت طرائق السلف في ذكر المذاهب الأخرى، فمرة يذكرون المذهب، ومرة لا يذكرونه، ومرة يلمحون إلى المخالف ولا يصرحون، ومرة يذكرون حجته ومرة لا يذكرون ولكل حالة من هذه الحالات عوامل ودوافع تتضح من خلال عرضنا لها مع ذكر الأمثلة التي تؤكد ما نعرضه .

ويمكن أن نجمل طرائقهم في عرض المذاهب الأخرى ومناقشتها من عدمه في التالي:

١. ذكر مذاهب المخالفين إجمالاً مع عدم ذكر حججهم أو مناقشتهم :

وذلك في المصنفات التي خصصت لتقرير مذهب أهل السنة ولم يقصد منها الرد على أهل البدع .

والغالب في هذه المصنفات أن تكون مختصرة فلا يوجد مجال عند المصنف لذكر الحجج أو الرد عل المخالفين لأنه لم يكن من أهدافه عند تصنيف الكتاب .

وقد يتعرضون لذكر المذاهب باقتضاب وعدم بسط القول فيها لأن طبيعة الكتاب المؤلف لا تصلح لعرض أدلة المخالفين والرد عليها؛ وذلك كالمصنفات التي رتبت على الأبواب ولم يكن فيها إلا الأحاديث والنصوص الشرعية فقد يشير المصنف في عنوان الترجمة للفرقة أو المذهب المخالف في الباب ويذكر النصوص الواردة التي تؤيد مذهب أهل السنة وتتضمن الرد على المذهب المخالف .

ولهذه الصورة أمثلة كثيرة وهي كالتالي :

المثال الأول : الإمام العدني في كتاب الإيمان:

أورد أثراً عن وكيع ينص فيه على مذاهب المخالفين لأهل السنة في باب الإيمان فقال :

" قال وكيع : أهل السنة يقولون :الإيمان قول وعمل ،والمرجئة يقولون إن الإيمان قول بلا عمل ، و الجهمية يقولون إن الإيمان المعرفة " أ.هـ.(١)

ونلحظ من خلال هذا الأثر أنه قدم ذكر أهل السنة على المخالفين وكذلك أجمل القول ولم يفصل في ذكر مذاهبهم لما تقدم أنه لم يكن الغرض من التصنيف ذكر المذاهب الأخرى بل الغرض والهدف الأول تقرير مذهب أهل السنة والجماعة .

المثال الثاني : الإمام ابن أبي عاصم في السنة :

ومن الطرق في الإجمال في ذكر المذاهب الأخرى أن يكون عنوان الترجمة فيه الإشارة إلى مذاهبهم من غير تفصيل ولا تطويل ولعل من الأسباب أن يكون الكتاب

---

(١) الإيمان للعدني ص٩٦.

مبوباً وليس فيه إلا النصوص وخالياً من الشرح والتعليق وهذا هو السبب في الاقتصار على ذكر المذهب من غير شرح ولا تفصيل.

والإمام ابن أبي عاصم أشار في تراجم الأبواب إلى أربع طوائف وهي :

١-القدرية :

فقد عقد عدداً من الأبواب في هذه الطائفة :

-الأول: بعنوان (**باب ما ذكر عن النبي ﷺ في المكذبين بقدر الله وماهم في الآخرة وما أمر به فيهم**). [(١)]

-الثاني : بعنوان(**باب نهي النبي عليه السلام عن مجالسة أهل القدر**). [(٢)]

-الثالث: بعنوان (**باب القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم**).[(٣)]

٢-الخوارج:

وقد عقد لها باباً طويلاً ذكر فيه الأخبار الواردة فيها وذمها والموقف منها.

وجعل الباب بعنوان (**باب المارقة ، والحرورية ، والخوارج السابق لها خذلان خالقها**) . [(٤)]

٣-المرجئة :

وقد عقد باباً أشار فيه إلى مخالفتهم لأهل السنة في هذا الباب فقال :

(**باب في الإرجاء والمرجئة ، والإيمان قول وعمل يزيد وينقص**). [(٥)]

٤-الرافضة :

وعقد باباً للرافضة الذين خالفوا أهل السنة في باب الصحابة رضي الله عنهم فقال :

(**باب في ذكر الرافضة-أذلهم الله**). [(٦)]

---

(١) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٢٢٩) باب رقم (٦٥).
(٢) المصدر السابق (١/ ٢٣٦)برقم (٦٧).
(٣) المصدر السابق (١/ ٢٤٢) برقم (٧٤).
(٤) المصدر السابق (٢/ ٦٢٢) برقم (١٧٩).
(٥) المصدر السابق (٢/ ٦٥٤) برقم (١٨٠).
(٦) المصدر السابق (٢/ ٦٧٢)برقم (١٨٣).

المثال الثالث: الإمام عبد الله في كتابه السنة :

ومما اشتهر عند السلف وأكثروا من ذكرها بخلاف المذاهب والطوائف الأخرى المخالفة لهم طائفة (**الجهمية**) لأنها كانت أخطر وأخبث الطوائف في عصرهم على الإطلاق بل صرحوا بتكفيرها وتكفير رؤوسها وزعمائها ودعاتها.

ولعله من أبرز من أشار إليها في كتابه في أكثر من موضع وصرح باسمها في بعض عناوين تراجم الكتاب ونقل كلام السلف ومواقفهم منها هو الإمام عبد الله في السنة .

لكن كما ذكرنا من غير ذكر للشبهات والأدلة والردود بل هو داخل في هذه الصورة ذكر الطائفة أو المذهب مع عدم التفصيل بذكر اعتقاده والرد عليه .

وأبرز المواطن في كتاب عبد الله بن أحمد في السنة التي أشار فيها إلى الجهمية ما يلي:

أ- المواطن التي ورد فيها ذكر الجهمية على لسان السلف :

وهذه هي الأكثر لكونه لم يكثر من التراجم وأكثر من النقول عن السلف في تكفير الجهمية وموقفهم من اعتقاداتهم وهي كثيرة.[١]

ب- المواطن التي ورد فيها ذكر الجهمية من خلال ترجمة الباب:

وهي قليلة لكونه لم يكثر من التراجم ومن المواطن ما يلي :

-عقد باباً بعنوان (**سئل -أي الإمام أحمد- عما جحدت الجهمية الضلال من رؤية الرب تعالى يوم القيامة**).[٢]

-وعقد باباً بعنوان (**سئل عما جحدت الجهمية الضلال من كلام رب العالمين عز وجل**).[٣]

وعقد أبواباً أخرى لبعض الطوائف منها أنه:

-عقد باباً في القدرية بعنوان (**سئل عن القدرية والصلاة خلفهم وما جاء فيهم**).[٤]

---

(١) انظر: نقول السلف في السنة لعبدالله بن الإمام أحمد (١/ ١٠٢-١٣٠).

(٢) السنة لعبد الله (١/ ٢٢٩).

(٣) المصدر السابق (١/ ٢٨٠).

(٤) المصدر السابق (١/ ٣٨٤).

-وعقد باباً في المرجئة بعنوان (**سئل عن الإيمان والرد على المرجئة**).[(١)]

-وعقد باباً في الخوارج بعنوان(**سئل عن الخوارج ومن قال :هم كلاب النار**).[(٢)]

و الكتاب خالي من التعليقات والشرح بل هو مقتصر على النصوص والآثار ولهذا لم يكن هناك تعليقات أو ردود أو ذكر لحجج أصحاب هذه المذاهب.

٢. التفصيل في ذكر المذاهب والاختلاف بينها مع عدم التعرض للأدلة والحجج:

وقد يتعرضون لذكر المذاهب تفصيلاً ولا يقتصرون على مذهب دون آخر ولكنهم لا يتعرضون لذكر الحجج والأدلة.

والسبب في عدم ذكر حجج كل فريق أن يكون الكتاب اعتنى بالرد على مسائل اتفقت الطوائف على الاستدلال بنفس الأدلة فيكتفي المؤلف بالرد على واحدة منها ويحيل إليها عند ذكر الطوائف الأخرى.

وهذا التفصيل يشمل ذكر حقيقة قول كل فرقة ، وكذلك التفصيل في الطوائف المتفرعة عن المذهب الأصلي .

فمثلاً يذكر الخوارج والطوائف التي اختلفت في تفاصيل المذهب ؛ لأن كل طائفة من الطوائف الكبار افترقت فرقاً شتى وهذا ديدن أهل البدع وكل فرقة تضلل وتبدع بل وتكفر الأخرى .

ولعل من أبرز الأمثلة على هذه الطريقة :

-الإمام أبو عبيد في كتابه الإيمان:

فنجد أن الإمام حصر شبهات المخالفين من الطوائف في باب الإيمان ورد عليها ثم ختم كتابه بذكر المذاهب المخالفة لأهل السنة في باب الإيمان تفصيلاً وبين أوجه الخلاف بينها فقال –رحمه الله –:

---

(١) المصدر السابق(١/ ٣٠٧).

(٢) المصدر السابق (١/ ٦١٨).

" ذكر الأصناف الخمسة الذين تركنا صفاتهم في صدر كتابنا هذا ....وهم الجهمية ، والمعتزلة ، والإباضية ، والصفرية ، والفضلية " أ.هـ بتصرف.[(١)]

ثم شرع في ذكر مذهب كل فرقة تفصيلاً ثم بعد ذلك بين أوجه الاتفاق والفرق بينها فقال :" وهذه الأصناف الثلاثة من فرق الخوارج معاً ، إلا أنهم اختلفوا في الإيمان ، وقد وافقت الشيعة فرقتين منهم ، ووافقت الرافضة المعتزلة ، ووافقت الزيدية الإباضية " أ.هـ.[(٢)]

ثم بعد ذلك نلحظ أنه أجمل الرد ولم يفصل في الرد على كل طائفة وأحال على ما سبق من الردود ؛ حيث قال:" وكل هذه الأصناف يكسر قولهم ما وصفنا به (باب الخروج من الإيمان بالذنوب) إلا الجهمية فإن الكاسر لقولهم قول أهل الملة ، وتكذيب القرآن إياهم ....."أ.هـ[(٣)]

وينبغي أن ننبه هنا إلى أن الفرق بين هذه الحالة والتي قبلها هو التفصيل في ذكر المذاهب والاختلاف بينها فالأولى ذكر الطائفة إجمالاً وعدم التعرض لشرح مذهبها وما الخلاف بينها ؟ أو وجه المخالفة لأهل السنة ونحو ذلك .

٣. **ذكر حجج المخالفين مفصلة مع الرد عليها :**

وهذا يغلب اتباعه في المصنفات التي صنفت للرد على المخالفين فإنهم يتوسعون في ذكر شبهات وحجج المخالف، ويتوسعون في الرد عليها بل و يستوعبون كل الردود عليهم من حيث النص من الكتاب والسنة واللغة والعقل والفطرة .

وقد ألفت كتب كثيرة ظهرت فيها هذه الطريقة جليةً ككتاب (الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد) و(كتاب الرد على الجهمية والرد على المريسي للدارمي)،وسوف يأتي مزيد بسط لها عند حديثنا عن منهج أهل السنة في الرد على أهل الأهواء والبدع.

---

(١) الإيمان ص٤٩.

(٢) المصدر السابق ص٥٠.

(٣) الإيمان ص٥٠-٥١.

ومما ينبغي الإشارة إليه في هذا المقام عدة أمور:

أ-أن أهل السنة لهم منهج متميز عن الخلف من المتأخرين المتأثرين بالمناهج الغربية الحديثة وذلك أن أهل السنة لا يمكن أن يفصلوا في ذكر المذهب و شبهاته دون التعرض للرد على المخالف ورد باطله حتى لا تعلق بأذهان القراء.

ب-يزعم المتأخرون أن ذكر المذهب وحججه دون التعرض لنقده وبيان باطله أنه من الحياد والموضوعية وهذا باطل بل إنه يدل على الضعف وعدم القدرة على الرد على المخالف.

ج-أن التفصيل في الرد هو من الأمانة و المسؤلية الملقاة على عاتق علماء الأمة حتى لا يعبث العابثون بعقيدتهم ودينهم دون رادع أو زاجر.

د-أن السلف يفصلون ويردون في المواضع التي تستحق الرد أما ما يظهر بطلانه غالباً لأي قاري قد يتجاوزونه أو يجملون في الرد حفاظاً على الجهد والوقت.

٤. الأمانة العلمية عند نقل أقوال المذاهب الأخرى وحججها :

مما ميز أهل السنة أثناء ذكرهم للأقوال والمذاهب الأخرى هو أمانتهم في النقل وعدم التحريف أو الكتمان لشيء من حججهم أو عدم نقل المذهب كما هو عند أصحابه .

ولهذا لم نجد أحداً من أهل البدع في القديم والحديث اتهم أهل السنة بعدم الأمانة في النقل أثناء عرضهم ؛بخلاف أهل البدع لا تكاد تتصفح كتبهم في القديم والحديث إلا وتجد أن السمة البارزة والمشتركة بينهم هي فقدان الأمانة العلمية في كتبهم و نقولاتهم .

ومن صور الأمانة في النقل :

أ-**التفريق** بين أهل البدع عند عرض الخلاف بينهم،فيفرقون بين الذي بدعته وقوله قريب من السنة وبين الذي بدعته و قوله بعيد عن السنة ، ويفرقون بين من بدعته مغلظة أو مكفرة وبين الذي لا يصل إلى هذا المستوى .

وقد تقدم ما يؤكد هذا عند نقلنا ما ذكره الإمام أبو عبيد في كتابه الإيمان.

ولهذا نجد أن السلف يغلظون الكلام على الجهمية ويكفرونهم لكون بدعتهم مغلظة ولا تجد هذا في المخالفات الأخرى كالمخالفة مثلاً في الاستثناء في الإيمان ونحوها، وهذا من الأمانة في النقل للمذاهب أثناء العرض فلا يسوون بين الغلاة ومن هم أقل منهم غلواً.

ب-تصوير مذهب المخالف كما هو في الواقع من غير زيادة ولا نقصان، وعدم التقول عليهم ما لم يقولوه .

ج-التفريق بين أصحاب البدعة الواحدة وبيان ما عند كل طائفة مما تخالف فيه الأخرى مع اتفاق هذه الفرق على الأصول الكبرى .

وقد قدمنا النقل في ذلك عند عرض الإمام أبي عبيد لطوائف الخوارج وبيانه للفرق بينها.

د- ومن صور الأمانة كذلك ذكر ما معهم من الحق الذي وافقوا فيه أهل السنة وعدم كتمانه لأن رد الحق الذي معهم هو رد للحق الذي يؤمن به أهل السنة .

وسيأتي مزيد بسط لهذا الأمر في المبحث الخاص بمنهج أهل السنة في الرد على أهل البدع في المبحث الخاص بعدل أهل السنة مع خصومهم.

٥. ذكر أوجه الاختلاف والائتلاف بين أقوال المذاهب المخالفة :

عند عرض أهل السنة لمذاهب المخالفين لهم فإنهم يفصلون ويذكرون الفرق بين أقوالهم وما الذي اتفقوا عليه وما الذي اختلفوا فيه .

وفائدة هذا العرض بهذه الطريقة حتى يعلم حجم المخالفة ويعرف شبهة كل طائفة فيرد عليها بما يزيل هذه الشبهة .

والأمثلة على هذه الطريقة كثيرة منها:

المثال الأول :الإمام البخاري في خلق أفعال العباد:

تعرض الإمام البخاري لذكر من خالف أهل السنة في مسألة خلق أفعال العباد

لكنه عند عرضه بين بأسلوب يدل على سعة اطلاعه وتبحره في معرفة مذاهب المخالفين من أهل البدع .

فقال رحمه الله :" واختلف الناس في الفاعل والمفعول والفعل :

فقالت **القدرية** : الأفاعيل كلها من البشر ليست من الله .

وقالت **الجبرية** : الأفاعيل كلها من الله .

وقالت **الجهمية** : الفعل والمفعول واحد ، لذلك قالوا : لـ(كن)مخلوق"أ.هـ.(١)

ونلحظ من خلال هذا العرض سهولة التصوير لمذهب المخالفين وبيان مذهب كل طائفة بكل أمانة وبيانه للفرق بين كل مذهب والآخر.

المثال الثاني:الإمام المروزي في تعظيم قدر الصلاة :

عرض الإمام المروزي لمذاهب الناس في موقفهم من مرتكب الكبيرة وعند عرضهم بين الأقوال التي يتفق عليها أهل البدع والتي يختلفون فيها.

ونجد أنه -رحمه الله- ذكر تفاصيل دقيقة داخل المذهب المخالف .

فقال -رحمه الله- مبيناً مذهب الرافضة تجاه مرتكب الكبيرة وذكر موافقتهم للمعتزلة إلا طائفة منهم- :

" **وقالت الرافضة بمثل قول المعتزلة ، إلا طائفة منها** ذهبت إلى ما روى عن محمد بن علي بن أبي جعفر :أنه يخرج من الإيمان إلى الإسلام ، وأجمع هؤلاء على أن أحكام المؤمنين جائزة عليهم مع نفيهم اسم الإيمان عنهم ......"أ.هـ(٢)

ومن خلال هذا المثال يتضح لنا اطلاع السلف على دقائق مذاهب المخالفين وأوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف بينهم .

وكذلك العدل معهم و أنهم ليسوا بسواء في البدعة وأن بعضهم أقرب من بعض .

فالذي يقول إن مرتكب الكبيرة يخرج من الإيمان إلى الإسلام ليس كمن يقول إن

---

(١) خلق أفعال العبادص١٨٨ .

(٢) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٥٥٣).

مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن لا كافر.

٦. **بيانهم وجه مخالفة المذاهب الأخرى لمذهب أهل السنة :**

وذلك حتى تعلم البدعة ووجه كونها بدعة وضلالة وحتى يعلم وجه مخالفتها للنصوص الشرعية حتى يظهر الوجه الكالح للبدعة ويعلم الناس ضلالتها بيقين و وضوح .

فهذا الإمام البخاري في خلق أفعال العباد يقرر المذهب الصحيح ويفرق بين فعل العبد وكلام الرب جل وعلا ويبين بعدها وجه مخالفة المعتزلة في هذه المسألة .

يقول رحمه الله :" فالمقروء هو كلام الرب الذي قال لموسى : ﴿ إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي ﴾ [طه : ١٤].

إلا المعتزلة فإنهم ادعوا أن فعل الله مخلوق وأن أفعال العباد غير مخلوقة ، **وهذا خلاف علم المسلمين** إلا من تعلق من البصريين بكلام سنسوية [(١)] ،كان مجوسياً فادعى الإسلام " أ.هـ.

ومن خلال هذا العرض يظهر للقاريء حقيقة مذهب المعتزلة ووجه مخالفتهم لأهل السنة .

٧. **ذكرهم للخلاف بين أهل السنة :**

وذلك فيما يسوغ فيه الخلاف من المسائل الفرعية في الاعتقاد مما لا يثرب فيها على المخالف والأدلة تحتمل المذهبين .

وقد نص الأئمة على بعض المسائل التي وقع فيها الخلاف مثل :

مسألة الفرق بين الإيمان والإسلام :

فقد بسط الخلاف فيها الإمام المروزي في كتابه تعظيم قدر الصلاة بسطاً واسعاً ورجح عدم التفريق ، ولم يثرب على المخالف بل صرح بأنهم من أصحابه من أهل

---

(١) سنسوية أو سيسوية أو سوسن :وهو أول من ابتدع بدعة القول بالقدر وكان بالعراق ويقال إنه كان مجوسياً وعنه أخذ معبد الجهني القول بالقدر .انظر : مجموع الفتاوى(٧/ ٣٧٦).

السنة ونراه يشنع على أهل البدع فيما خالفوا فيه أهل السنة .

ولعلنا ننقل بعض نصوصه أثناء عرضه للخلاف في هذه المسألة ومن ثم نعلق عليه :

قال رحمه الله :"اختلف أصحابنا في تفسير قول النبي ﷺ :" لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن "[(١)] فقالت طائفة منهم : إنما أراد النبي ﷺ إزالة اسم الإيمان عنه من غير أن يخرجه من الإسلام ولا يزيل عنه اسمه ، **وفرقوا بين الإيمان والإسلام** .." أ.هـ[(٢)] ثم ذكر حجة هذا الفريق المخالف لرأيه في هذه المسألة .

وقال في موضع آخر :" وقد جامعتنا هذه الطائفة التي فرقت بين الإيمان والإسلام على أن الإيمان قول وعمل وأن الصلاة والزكاة من الإيمان وقد سماهما الله ديناً "أ.هـ.[(٣)]

ومن خلال هذه النقول يمكن أن نستنتج ما يلي:

١-أن هناك بعض المسائل يسوغ فيها الخلاف في بعض قضايا الاعتقاد وهي ليست من الأصول الكبرى وليست مما جاء الدليل في شأنها صريحاً .

٢-تفريق الأئمة في الأسلوب أثناء عرضهم للخلاف في المسائل التي يسوغ فيها الخلاف والتي لا يسوغ فيها الخلاف من ناحية التوسع وبسط العبارة ومن شدة الألفاظ والتثريب على المخالف من عدمه .

٣-أدب المصنف أثناء ذكره للرأي المخالف حيث قال (أصحابنا) ثم عدل معهم في القول حينما ذكر الأمر الذي يتفقون عليه ولا يخالفهم فيه إلا أهل البدع وهو أن العمل من الإيمان.

٤-ذكره لحجة الرأي الآخر كاملة من غير زيادة لا نقصان وهذه كما تقدم من الأمانة العلمية في النقل .

---

(١) الحديث تقدم تخريجه وهو صحيح .

(٢) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٥٠٦).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٥٣٣).

٥-توضيح الرأي المخالف وحقيقته بأجلى وأوضح الألفاظ وتفصيله في عرض المذهب.[(١)]

٨. **عدم ذكر بعض المذاهب الباطلة لما يترتب عليه من المفاسد:**

وقد يعرض أهل السنة إما عن التفصيل في ذكر حجج وشبهات وأقوال المخالف أو عدم ذكره أصلاً خوف المفسدة .

وذلك إذا كان المذهب مغموراً وذكر الخلاف قد يشهره ويذيعه بين الناس.

أو إذا كان في ذكره مفسدة كأن يتأثر العامة والجهلة من الناس ، وسيأتي مزيد بسط لهذه المسألة في مبحث الرد على أهل البدع.

يقول الإمام الدارمي: " ولولا مخافة هذه الأحاديث وما يشبهها ، لحكيت من قبح كلام هؤلاء المعطلة ، وما يرجعون إليه من الكفر حكايات كثيرة ؛ يتبين بها عورة كلامهم ، وتكشف عن كثير من سؤاتهم ، ولكنا نتخوف من هذه الأحاديث ، **ونخاف أن لا تحتمله قلوب ضعفاء الناس ، فنوقع فيها بعض الشك والريبة** ....." أ.هـ.[(٢)]

٩. **التصريح باسم المخالف من عدمه :**

الغالب ذكر اسم المخالف مذهباً وفرقةً أو شخصاً ورمزاً من رموز أهل البدع إذا كان الخلاف بين أهل السنة وأهل البدع ، أو يصرحون باسم المخالف من أهل السنة إن كان الخلاف بين أهل السنة وهذا نادر.

التصريح بذكر اسم المخالف من أهل البدع:

فالأئمة مثلاً صرحوا في كتبهم بل في عناوين مصنفاتهم ببعض الفرق كالرد على الجهمية أو ذكر المرجئة أو الخوارج أ و الرافضة وقد تقدمت الأمثلة في ذلك.

وقد يصرحون بذكر المخالف من أهل البدع بعينه فمثلاً :

نجد أن الإمام الدارمي ذكر اسم المريسي صراحةً في عنوان كتابه الذي ألفه .

---

(١) ومما يمكن أن يمثل به على هذا النوع من الخلاف السائغ ما نص عليه أيضاً المروزي في كتابه السنة ص١١٠ حيث ذكر خلاف بعض أهل السنة حول مسألة هل السنة تنسخ الكتاب أم لا؟.

(٢) الرد على الجهمية للدارمي ص٣١.

والإمام أحمد والبخاري نصا على ذكر اسم **الجهم بن صفوان** :

- **قال الإمام أحمد :**

" وكذلك **الجهم** وشيعته دعوا الناس إلى المتشابه من القرآن والحديث فضلوا وأضلوا بكلامهم بشراً كثيراً.."أ.هـ.(١)

وصرح الإمام أحمد في موضع آخر بأسماء آخرين فقال :

"فأضل بكلامه -**يعني الجهم**- بشراً كثيراً وتبعه على قوله رجال من **أصحاب أبي حنيفة وأصحاب عمرو بن عبيد** بالبصرة ووضع دين الجهمية ...."أ.هـ.(٢)

- **وقال الإمام البخاري :**

"قال قتيبة : بلغني **أن جهماً** كان يأخذ الكلام من **الجعد بن درهم** "أ.هـ.(٣)

و النقول كثيرة في ذكر رموز أهل البدع ورؤساءهم وفيما ذكرنا كفاية .

التصريح باسم المخالف من أهل السنة :

وهذا قليل وإلا الغالب لا يصرحون بأسمائهم ومن المواضع القليلة والنادرة ما صرح به الإمام المروزي في كتابه السنة حيث قال : " زعم **أبو ثور أن** القائل : إن السنة تنسخ الكتاب مغفل ...." أ.هـ.(٤)

ثم شرع في ذكر حجته والرد عليه وهو من أئمة السنة رحم الله الجميع .

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ص١٠١ - ١٠٢ .

(٢) المصدر السابق ص١٠٤ - ١٠٥ .

(٣) خلق أفعال العباد ص١٣ .

(٤) السنة للمروزي ص١١٠ .

المبحث الرابع

الاستفادة مما كتبه المتقدمون وإيداعه في كتبهم .

تمهيد:

إن مما ظهر في مصنفات السلف أنهم استفادوا من غيرهم من أهل العلم بدءً من صحابة رسول الله والتابعين ومن بعدهم بل حتى ممن هم من طبقتهم بل استفادوا وصرحوا بذلك ممن هم من طلابهم وممن هم دونهم في العلم وذلك لتواضعهم وإخلاصهم رحمهم الله .

والاستفادة مما كتبه المتقدمون هي بالعبارة المعاصرة جزء من المصادر العلمية لمصنفات السلف وإن كان مفهومنا هنا أوسع من جهة وأضيق من جهة بالنسبة لمصطلح المصادر .

فمفهوم الاستفادة مما كتبه المتقدمون أوسع من جهة أنه يدخل فيه حتى النقول المباشرة أو المأخوذة بالمشافهة وهي لا تدخل غالباً في المصادر العلمية الحديثة.

وهو أضيق من جهة عدم إدخال مثلاً نصوص الكتاب والسنة لتقدم الحديث عنها ولأننا نرغب في إبراز ما نقلوه ونوعية ما نقلوه وطريقتهم في النقل وليس حصر المواد المنقولة والمصادر التي أخذوا منها ولكن المقصود ذكر المنهج في ذلك .

وقبل الدخول في ذكر تفاصيل هذا المبحث لنا عدة وقفات:

الوقفة الأولى :

إن من أعظم ما استفادوه ممن تقدمهم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم هو التمسك بنصوص الكتاب والسنة ولهذا نقلوها بالأسانيد عنهم يأخذها الخلف عن السلف والثقة عن الثقة إلى صاحب الكتاب في منهج علمي موثق مأمون .

الوقفة الثانية :

أن السلف في الأصل أن يعزو القول إلى قائله وفي بعض المواضع قد يغفلون ذكر القائل أو التصريح بمصدر الفائدة ولكن ليس هو الغالب.

الوقفة الثالثة :

اطلاع السلف الواسع على المعلومات ومصادرها في زمنهم وتصريحهم بذلك في

بعض المواضع في مواقف حصلت لأعيانهم مما يعطي صورة عن سعة مصادر معلوماتهم.

الوقفة الرابعة:

استفاد أهل السنة مما كتبه المتقدمون من أهل السنة ومن غيرهم أما من أهل السنة في نقل العلم الموروث من نصوص الكتاب والسنة وفقهها .

وأما من غيرهم كأهل البدع في ذكر بعض الوقائع والاطلاع على بعض أحوالهم وتدوينها في كتبهم .

أو النقل من كتبهم لتقرير مذهبهم وهذا نادر.

الوقفة الخامسة :

لقلة الكتب المصنفة في تلك الفترة لم تكثر المصادر العلمية المكتوبة لديهم إلا ما صرحوا بالأخذ عنهم ممن لهم عناية بالتصنيف .

الوقفة السادسة :

قد تصل الاستفادة بأن تنقل رسالة من رسائل السلف المتقدمين في مصنفاتهم .

الوقفة السابعة :

قد يهملون العزو للمصادر في بعض المواضع لشهرة القول أو لعدم أهمية ذكر المصدر أو لغيرها من الأسباب.

الوقفة الثامنة :

الإكثار من الاستفادة مما كتبه أهل العلم المشهود لهم بالرسوخ في العلم .

وهذا لا يعني أنهم لا ينقلون عمن هم دونهم ولكن حرصاً منهم على ذكر الفوائد والنوادر العلمية التي قد لا توجد عند غيرهم .

الوقفة التاسعة :

الحرص على احترام التخصص فالنقل يكون في كل فن وعلم من أهله وسوف نذكر بعض الأمثلة في ثنايا هذا المبحث.

منهج السلف في الاستفادة مما كتبه المتقدمون:

ولعل منهجهم يمكن عرضه من خلال النقاط التالية .

١.١ عدم تصريحهم بالنقل عمن سبقهم :

ولعل من أبرز ما يمكن أن يشار إليه أن السلف قد لا يشيرون له مصادر المعلومة لكونها مما أخذوها عن مشايخهم ، ولم تدون في كتاب ، أو لكون المعلومة قضية تاريخية ولا ينبني عليها حكم شرعي فلم يرو في ذكر المصدر حاجة ملحة .

وعدم التصريح أخذوا فيه طريقتين :

- الأولى: عدم الإشارة مطلقاً للمصدر بل يسردونها سرداً من غير عزو لا صريح وكنائي.
- الثانية : الإشارة على سبيل العموم كقولهم (قال بعض أهل العلم) أو (قال بعض مشايخنا) ، ونحوها من العبارات لكي يشعر القاريء أن هذه المعلومة ليست من عنده وإنما استفادها من غيره .

وهذا ليس بالقليل في مصنفات السلف .

ومن الأمثلة على عدم التصريح بالاستفادة من كتب المتقدمين :

المثال الأول : الإمام عبد الله بن أحمد في السنة ينقل من كتاب الجامع لسفيان:

الإمام عبد الله نقل بسنده (١) عن سفيان إلى محمد بن كعب القرضي (٢) قال : " نزلت تعييراً لأهل القدر :﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر : ٤٩].

وقد عزا هذا الأثر السيوطي إلى كتاب جامع سفيان (٣) ، ولعل عبد الله اكتفى بذكر الإسناد فهو أقوى حجة وأقوى اتصالاً ولهذا لم تكن هناك حاجة لذكر كتاب سفيان الجامع .

---

(١) انظر: السنة لعبدالله (٢/ ٤٢٧).

(٢) هو محمد بن كعب القرضي : المدني وكان قد نزل الكوفة مدة ، ثقة عالم ولد سنة أربعين على الصحيح وقال البخاري :" إن أباه كان ممن لم ينبت من سبي بني قريظة".انظر : التقريب ص٨٩١برقم (٦٢٩٧).

(٣) انظر: الدر المنثور للسيوطي(٧/ ٦٨٤).

ويحتمل أنه لم يطلع عليه وهذا الاحتمال وارد .

المثال الثاني :الإمام المروزي ينقل عن أبي عبيد كلاماً في الإيمان:

نقل الإمام المروزي كلاماً عن أبي عبيد بمعناه ولم يعزه إليه حيث ذكر **أبو عبيد مثالاً على بعض مسائل الإيمان** ونصه كالتالي: " وكذلك لو أن قوماً أمروا بدخول دار فدخلها أحدهم فما تعتب الباب أقام مكانه وجاوزه الآخر بخطوات ومضى الثالث إلى وسطها قيل لهم جميعاً داخلون وبعضهم فيها أكثر مدخلاً من بعض فهذا الكلام المعقول عند العرب السائر فيهم فكذلك المذهب في الإيمان..."أ.هـ.[(١)]

ونرى الآن نفس المثال وبنحو العبارات السابقة يقول الإمام المروزي :

"لو أن نفراً أمروا أن يدخلوا داراً فدخلها أحدهم ، فما تعتب الباب أقام مكانه ، وجاوزه الثاني بخطى ، ومضى الثالث إلى وسطها ، والرابع إلى منتهاها لقيل لهم جميعاً داخلون وإن كان بعضهم أكثر دخولاً من بعض ، وهذا لا يدفعه أحد يعرف كلام العرب فكذلك الإيمان ..."أ.هـ.[(٢)]

والإمام المروزي قد صرح باسم أبي عبيد قبل هذا النقل بصفحات ولكن هنا لم يصرح ولعله نسي أو أنه لم ير حاجة في ذكر مصدره لأنه واضح وضوح الشمس في رابعة النهار ومما يجمع عليه العقلاء فضلاً عن علماء اللغة .

المثال الثالث: الإمام البخاري يستفيد من استنباطات الإمام أحمد:

مما احتج به الإمام أحمد في إثبات أن القرآن غير مخلوق الحديث الصحيح الذي فيه سماع الملائكة الوحي من الله إذا تكلم به ، وممن استفاد من تقرير الإمام أحمد الإمام البخاري في كتابيه خلق أفعال العباد وكتابه الصحيح .

قال شيخ الإسلام:"...ومثل هذه العبارة(يعني الاستدلال بما ذكرنا) ذكر البخاري الإمام صاحب الصحيح ، إما تلقيا له عن أحمد أو غيره ، أو موافقة اتفاقية ،

---

(١) الإيمان ص٢٧.

(٢) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٦١).

وقد ذكر ذلك في كتاب الصحيح ، وفي كتاب خلق أفعال العباد ...."أ.هـ.[1]

١.٢ التصريح باسم العالم الذي كتبوا عنه:

وهذا هو الأصل في مصنفاتهم ، والعزو يكون لكتاب أو لعالم من العلماء معروف بكثرة التصنيف .

وقد يكون العزو من المصنف عمن سمع منه الفائدة أو المسألة وهذا أيضاً كثير.

ومن خلال الاستقراء نجد أن الأئمة ينقلون عادة عن كل عالمٍ في فنه الذي برز فيه .

فالمحدث ينقلون عنه الفوائد والأحكام الحديثية .

واللغوي ينقلون عنه الفوائد اللغوية وهكذا..

ومما أثار انتباهي هو نقل الأئمة عن عالمٍ من علماء السلف اشتهر بالدفاع عن عقيدة أهل السنة واشتهر بالمعرفة بالحديث وكذلك هو إمام حجة في علم اللغة وهو الإمام أبو عبيد.

والغالب على السلف المعرفة بعلم الحديث والرواية ولهذا ينقلون عنه ما يخص اللغة أو بعض استنباطاته من الأدلة لإمامته وجلالته ومن هذه النقول ما يلي :

- **الإمام البخاري ينقل عن الإمام أبي عبيد:**

فهذا أمير المؤمنين في الحديث ينقل نقلاً مطولاً في الرد على شبهات المخالفين ويصرح بمصدر هذه الفائدة فيقول : " قال أبو عبيد : أما قوله :﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الفرقان : ٢] فهو كما قال ، وقال في آية أخرى :﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل : ٤٠] فأخبر أن أول خلقه بقوله ، وأول خلق هو من الشيء الذي قال: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ فأخبر أن كلامه قبل الخلق ، وأما تحريفهم ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [النساء : ١٧١] فلو كان كما قالوا لكان ينبغي أن يكون بين الدفتين ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ [النساء : ١٧١] لأن عيسى مذكر والكلمة مؤنثة لا اختلاف بين العرب في ذلك .

---

(١) التسعينية (٢/ ٥٢٠).

وإنما خلق الله عيسى بالكلمة لا أنه الكلمة ، ألا تسمع إلى قوله:﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ [النساء : ١٧١]، يعني جبريل عليه السلام كما قال في آية أخرى :﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾ [مريم : ١٧]وقال : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران :٥٩] فخلق عيسى وآدم بقوله (كن) وليس بين هاتين الآيتين خلاف .

وأما تحريفهم ﴿ مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ ﴾ [الأنبياء :٢] فإنما حدث عند النبي ﷺ وأصحابه لما علَّم الله ما لم يكن يعلم "أ.هـ.(١)

- **الإمام ابن قتيبة ينقل عن أبي عبيد في كتبه :**

وهذا الإمام اللغوي المكثر من التصنيف في الفنون المختلفة نجده ينقل كذلك عن الإمام أبي عبيد في كتبه ويستشهد بكلامه في اللغة .

يقول في كتابه الاختلاف في اللفظ ما نصه :

" وقال أبو عبيد : يقال قرأت قراءة وقرآناً بمعنى واحد ، فجعلهما مصدرين لقرأت .."أ.هـ.(٢)

- **الإمام محمد بن نصر يصرح بنقله عن الإمام أبي عبيد :**

ونجد كذلك من كبار المحدثين الإمام محمد بن نصر ينقل في أكثر من موضع من كتبه عن الإمام أبي عبيد .

يقول رحمه الله:" فأخبر الله عز وجل أنه إنما أكمل الدين الآن في آخر الإسلام في حجة النبي ﷺ ، وزعم هؤلاء أنه كان كاملاً قبل ذلك بعشرين سنة في أول ما نزل عليه الوحي بمكة ، حين دعى الناس إلى الإقرار به ، ولو كان ذلك كذلك ما كان لذكر الإكمال معنى ، وكيف يكمل ما قد استقصى من عند آخره وفرغ منه ، هذا قول غير مقبول ، حتى لقد اضطر بعضهم حين أدخلت عليه هذه الحجة إلى أن قال : إن الإيمان

---

(١) خلق أفعال العباد ص٣٧.

(٢) الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص٥٧.

ليس بجميع الدين ، ولكن الدين ثلاثة أجزاء ، فالإيمان جزء ، والفرائض جزء ، والنوافل جزء .

وقال أبو عبيد :

وهذا غير ما نطق به الكتاب ألم تسمع إلى قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾ [آل عمران :١٩] وقال : ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ ﴾ [آل عمران : ٨٥]. وقال :﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا ﴾ [المائدة :٣].

فأخبر أن الإسلام هو الدين برمته ، وزعم هؤلاء أنه ثلث الدين فصيروا ما سمى الله ديناً كاملاً ثلث الدين " أ.هـ.(١)

ومن خلال النقول السابقة يمكن أن نستنتج ما يلي:

أولاً: فيه دلالة على مكانة الإمام أبي عبيد العلمية حيث ينقل عنه كبار الأئمة والمحدثين كالبخاري والمروزي وغيرهم.

ثانياً: النقل عنه في تخصصه الذي اشتهر به وهو اللغة وغير ذلك كاستنباطاته واستدلالاته المختلفة وردوده على شبهات المخالفين .

ثالثاً : هذه النقول لم يصرح فيها هل هي من كتب أبي عبيد أو بواسطة والغالب أنها من كتبه لاشتهار كتبه وانتشارها بين الناس .

رابعاً:احتجاجهم بأقواله في إثبات لغة العرب وهذا مما يدل على أهمية مصنفات أبي عبيد المختلفة .

١.٣ التصريح باسم الكتاب الذي نقلوا عنه :

وفي بعض الأحيان يصرح السلف بأنهم أخذوا هذه الفائدة أو المعلومة من كتاب من كتب السلف المشهورة المعروفة.

وما زالت الأمثلة تكرر حول نقل الأئمة عن أبي عبيد:

-الإمام عبد الله بن أحمد في السنة ينقل عن كتاب لأبي عبيد :

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٥٥-٣٥٦).

قال عبد الله بن أحمد في كتابه السنة :

" حدثني أبو بكر محمد بن إسحاق الصاغاني [١] قال : رأيت في كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام بخطه :

إذا قال لك الجهمي : أخبرني عن القرآن أهو الله أم غير الله ؟ فإن الجواب أن يقال له :أُحِلت في مسألتك ، لأن الله عز وجل وصفه بوصف لا يقع عليه شيء من مسألتك قال الله عز وجل :﴿الٓمٓ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [السجدة : ١-٢]، فهو من الله عز وجل ولم يقل : هو أنا و لا هو غيري ، إنما سمّاه كلامه فليس له عندنا غير ما حلاه به وننفي عنه ما نفى عنه ،..."أ.هـ. [٢]

١.٤ التصريح بالاستفادة ممن تقدمهم مشافهةً:

ومما نص الأئمة عليه من مصادر الفوائد والمسائل في مصنفاتهم ما تلقوه مشافهة عن بعض العلماء .

ولاشك أن هذا من أعلى مراتب الاتصال ونقل المعلومة وتوثيقها .

وهذا النوع لا يشابه ما نقلوه بالإسناد عمن تقدمهم بل هو مما تلقوه مباشرة دون واسطة.

وغالباً ما تكون من نوادر الفوائد ، ومن المسائل التي يعز وجودها في المصنفات المتداولة .

ومن الأمثلة على ما ذكرنا ما يلي:

المثال الأول : الإمام ابن أبي عاصم في السنة :

بعد أن أورد الإمام ابن أبي عاصم الحديث المشهور: " سألت ربي ثلاثاً ..." [٣]

---

(١) **محمد بن إسحاق الصاغاني** أبوبكر نزيل بغداد ثقة ثبت ،حدث عنه مسلم وأصحاب السنن وقال عنه الخطيب البغدادي :" كان الصغاني أحد الأثبات المتقنين مع صلابة في الدين واشتهار بالسنة واتساع في الرواية"أ.هـ كانت وفاته سنة ٢٧٠هـ .انظر : التقريب ص٨٢٤ برقم (٥٧٥٨)، السير (١٢/ ٥٩٢).

(٢) السنة لعبدالله (١/ ١٦٣).

(٣) الحديث سبق تخريجه والكلام عليه .

عن النبي ﷺ مرفوعاً وأورد الشواهد للحديث قال معلقاً : " وسمعت حامداً –وكان ممن ينسب إلى معرفة بالكلام والفقه – قال : ما على أهل القدر حديث أشد من هذا ، لأن الله تعالى منعه الثالثة ، لأن من إرادة الله أن يهلك بعضهم بعضاً ، ويسبي بعضهم بعضاً ، وأعلمه أنه قضى ذلك ، وأنه كائن "أ.هـ.(١)

المثال الثاني : ابن أبي عاصم أيضاً في باب قصة الدجال من كتابه السنة :

بعد أن أورد الإمام ابن أبي عاصم حديث الدجال الطويل نقل عن أحد السلف ما سمعه منه حول حديث الدجال فقال : " سمعت عبيد الله بن معاذ العنبري (٢) يقول : ليس على أهل القدر حديث أشد من حديث الدجال ، **وأحسبه ذكر عن بعض المتقدمين** يقول : لأن الله تعالى أراد ذلك وشاءه ولو لم يرده ويشاءه لم يكن خلقه ، ولو شاء لم يخلقه ثم أمر الأسباب التي أرادها الله فأجابته وسخرها له ، ولو لم يرد ذلك ما كانت ، وغير جائز أن يكون الله تعالى خلق خلقاً فيريد ذلك الخلق أمراً ، والله غير مريد له ، ولا شاءه ؛ فيكون ما أراد ذلك الخلق الضعيف في هيئة المعدوم بعد وجوده لدى الله المشيء له والمعدم له "أ.هـ.(٣)

ومما سبق من النقول يتبين لنا ما يلي :

أولاً : أن الاستفادة من المتقدمين قد تكون عن طريق كتبهم وقد تكون بواسطة وقد تكون مشافهة وسماعاً مباشراً من المصنف ويدون ذلك في كتابه كما هو في المثالين الأخيرين.

ثانياً :أن الفائدة المنقولة مشافهة قد يعزوها المصنف لعالم سمعها منه وسمعها العالم عن غيره ولا يشترط أن يكون هو صاحب الفائدة .

ثالثاً : أن السلف عند النقل عن أحد مشافهة يعبرون بأعلى صيغ السماع وأثبتها

---

(١) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٢١١).

(٢) عبيد الله بن معاذ بن معاذ بن نصر بن حسّان العنبري ،أبو عمرو البصري ،ثقة حافظ ،رجح ابن معين أخاه المثنى عليه ،من العاشرة ،مات سنة سبع وثلاثين. التقريب ص٦٤٥ برقم (٤٣٧٢).

(٣) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٢٨١-٢٨٢).

وهي الصيغة الدالة على السماع بإجماع المحدثين وهي قولهم (سمعت) .

١.٥ إيرادهم لبعض رسائل الأئمة في مصنفاتهم :

وهذه طريقة من طرق الاستفادة مما كتبه المتقدمون أن يودعوا كتبهم بعض رسائل الأئمة المختصرة وينقلونها مسندة أو غير مسندة وذلك حتى لا يضيع علم العلماء وفوائدهم ومسائلهم التي قد تندثر أو لا تنقل إلى المتأخرين فللأئمة فضل السبق في حفظ هذا العلم إلى من أتى بعدهم.

ومن الرسائل التي نقلها الأئمة في كتبهم ما يلي:

-رسالة الإمام أحمد إلى المتوكل في كتاب السنة لعبد الله :

وقد نقلها الأئمة وهي صحيحة النسبة للإمام أحمد وسوف ترد في الباب الثالث عند سرد المصنفات.

وعبد الله بن الإمام أحمد أوردها في باب بعنوان (**قول العلماء في القرآن ومن حفظ لنا عنه أنه قال" كلام الله ليس بمخلوق"**).[1]

١.٦ إيرادهم للمراسلات والمكاتبات بين السلف المتقدمين:

كالصحابة والتابعين وهذا لون من ألوان الاستفادة مما كتبه المتقدمون .

والأمثلة على هذا كثيرة ولعلنا الآن نقتصر على مثالين :

المثال الأول : ما كتبه عبد الله بن عمر ﷺ :

أخرج الإمام عبد الله في السنة بسنده عن نافع قال :" كان لابن عمر صديق من أهل الشام يكاتبه ، **فكتب إليه** : من عبد الله بن عمر : بلغني أنك تكلمت في شيء من القدر فإياك أن تكتب إلي ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " سيكون في أمتي أقوام يكذبون بالقدر "[2]." أ.هـ

---

(١) السنة لعبد الله (١/ ١٣٤-١٤٠)

(٢) الحديث أخرجه : أبوداود في سننه في كتاب السنة –باب لزوم السنة (٤/ ٢٠٤) برقم (٤٦١٣). والترمذي بمعناه في القدر–باب١٦ (٤/ ٣٩٧)، (برقم (٢١٥٢) ، وقال حسن صحيح غريب . وابن ماجه في أبواب الفتن –باب الخسوف (٢/ ٣٩٤)برقم (٤١١١) . وأحمد في المسند (٢/ ١٠٨، ١٣٧). وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٥٦٣) . وانظر الأثر في : السنة لعبدالله (٢/ ٤١٨-٤١٩) برقم (٩١٧).

فعبد الله استفاد مما كتبه ابن عمر الصحابي الجليل مع تباعد العصور بينهم ولكن نقلها الثقات الأثبات بالإسناد فاستفاد وأفاد الأمة كلها بحفظه لهذه الرسالة في كتابه مسندة .

المثال الثاني : ما كتبه عمر بن عبد العزيز:

يعد الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز من المجددين في مجال الكتابة والتدوين ولهذا كثرت مراسلاته ومكاتباته في مواضيع مختلفة ومنها الاعتقاد.

وسيأتي ذكر أمثلة كثيرة لمكاتباته ومراسلاته فيما يتعلق بالاعتقاد في الباب الثالث الخاص بسرد المصنفات.

أورد الإمام الدارمي في **كتابه الرد على الجهمية** الآيات والأحاديث والآثار التي فيها إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الجنة ، وكان من هذه الآثار :

ما أورده بسنده قال:"**كتب عمر بن عبد العزيز** إلى بعض أمراء الأجناد : أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله وطاعته والتمسك بأمره والمعاهدة على ما حمّلك الله من دينه ، واستحفظك من كتابه ، فإن بتقوى الله نجا أولياؤه من سخطه ، وبها تحقق لهم ولايته ، وبها رافقوا أنبياءه ، وبها نضرت وجوههم ونظروا إلى خالقهم " أ.هـ.[1]

والشاهد من النقل قوله (**ونظروا إلى خالقهم**).

١.٧ نقل المصنفين لما كتبه لهم مشايخهم من الفوائد:

وذلك بأن ينص المصنف على أن شيخه كتب له أو أرسل له رسالة يذكر فيها له فائدة علمية أو مسألة أو حكماً .

ومما يمكن أن يمثل به :

ما ذكره **الإمام الدارمي في الرد على المريسي** حيث قال:

---

(١) الرد على الجهمية للدارمي ص١٢٢ .

والأثر أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ٢٧٨).

" كتب إلى علي بن خشرم [١] قال : من نازع في حديث الرؤية ظهر أنه جهمي "أ.هـ[٢]

وقال في موضع آخر :

"**وكتب إلي علي بن خشرم** أنه سمع عيسى بن يونس [٣] يقول : لا تجالسوا الجهمية وبينوا للناس أمرهم كي يعرفوهم فيحذروهم "أ.هـ.[٤]

ومن خلال هذين النقلين يظهر لنا أن من وسائل نقل العلم عند السلف الكتابة والتدوين وخاصة بين الشيخ وتلاميذه وهو لون من ألوان الاستفادة مما كتبه المتقدمون من مشايخهم.

ولاشك أنها طريقة تثبت العلم وتحفظه ويتناقلها اللاحق عن السابق والخلف عن السلف وهي من خصائص هذه الأمة .

---

(١) علي بن خشرم -بمعجمتين- على وزن جعفر ابن عبدالرحمن بن عطاء بن هلال المروزي أبو الحسن ، ابن أخت بشر الحافي سمع من عيسى بن يونس وابن عيينة وعنه مسلم والترمذي والنسائي ابن خزيمة وغيرهم كثير. ثقة ثبت ، مات سنة ٥٧ هـ وقد قارب المائة . انظر : التقريب ص ٦٩٥ برقم (٤٧٦٣)، السير (١١/ ٥٥٢).

(٢) الرد على المريسي (١/ ٢٠٩).

(٣) عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي كوفي نزل الشام مرابطاً ثقة مأمون ، حدث عن الثوري وشعبة والأوزاعي وعنه بقية وابن وهب وابن راهوية وابن أبي شيبة وغيرهم كثير . مات سنة ٨٧هـ . أنظر : التقريب ص ٧٧٣برقم (٥٣٧٦)، السير (٨/ ٤٨٩).

(٤) الرد على المريسي (١/ ١٤٦).

المبحث الخامس

ضرب الأمثلة ومنهجهم في ذلك

تمهيد:

ضرب الأمثلة منهج وارد في القرآن الكريم والسنة النبوية ، وهو أسلوب محبب للنفوس ومقرب ومسهل لفهم العلم ورسوخه في الأذهان .

ويحسن بنا قبل الحديث عن منهج السلف في ضرب الأمثال في مصنفاتهم أن نتحدث عما يلي:

أ- معنى المثل في لغة العرب .

ب- الأمثال في القرآن الكريم .

ت- الأمثال في السنة النبوية.

ث- أهمية ضرب الأمثال في التصنيف والتأليف .

أ-معنى المثل في لغة العرب:

قال ابن المبرد: " مأخوذ من المثال ، وهو: قول سائر يُشَبَّهُ به حال الثاني بالأول ، والأصل فيه التشبيه ، فقولهم (مَثُل بين يديه): إذا انتصب ، معناه أشبه الصورة المنتصبة ، وفلان أمثل من فلان :أي أشبه بماله من الفضل .

والمثال : القصاص لتشبيه حال المقتص منه بحال الأول ؛ **فحقيقة المثل ما جعل كالعَلَم للتشبيه بحال الأول** ، كقول كعب بن زهير :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً ... وما مواعيدها إلا الأباطيل

فمواعيد عرقوب علم لكل ما لا يصح من المواعيد "أ.هـ(١).

وقال ابن السكيت (٢) :" المثل لفظ يخالف لفظ المضروب له ، ويوافق معناه معنى

(١) مجمع الأمثال للميداني (١/ ٧) تحقيق أبوالفضل ابراهيم ط.البابي الحلبي.

(٢) ابن السكيت :هو شيخ العربية أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت البغدادي، النحوي ، صاحب كتاب إصلاح المنطق ، حجة في العربية ، أخذ العلم عن أبي عمرو الشيباني وطائفة وعنه الضبي وابن فرح وغيرهم ، قال ثعلب :أجمعوا لم يكن أحدٌ بعد ابن الأعرابي أعلم باللغة من ابن السكيت "أ.هـ، وكان مؤدباً للمعتز ابن الخليفة العباسي المتوكل كانت وفاته سنة ٢٤١هـ .

انظر :السير (١٢/ ١٦-١٩)، تاريخ بغداد (١٤/ ٢٧٣)، بغية الوعاة (٢/ ٣٤٩)،إنباه الرواة (٤/ ٥٦).

ذلك اللفظ ، شبهوه بالمثال الذي يعمل على غيره " أ.هـ[١].

وقال غيره : سميت الحكم القائم صدقها في العقول أمثالاً ؛ لانتصاب صورها في العقول

مشتقة من المثول الذي هو الانتصاب.[٢]

وقال بعضهم :" إنه القول الوجيز المرسل ليعمل عليه " أ.هـ.[٣]

أنواع المثل [٤] :

للمثل ثلاثة أنواع وهي كالتالي:

-النوع الأول :المثل الموجز السائر :

وهو إما شعبي لا تعمُّل فيه ولا تأنق ولا تقيد بقواعد النحو ، وإما منقول عن الشعراء والخطباء وهم أهل اللغة .

ومما يمكن أن يمثل به هو قولهم (ربّ عجلةٍ تهب ريثاً).

-النوع الثاني : المثل القياسي :

وهو سرد وصفي أو قصصي أو صورة بيانية لتوضيح فكرة ما عن طريق التشبيه و التمثيل ، ويسميه البلاغيون التمثيل المركب .

وهو تشبيه شيء بشيء لتقريب المعقول من المحسوس .

-النوع الثالث : المثل الخرافي :

هو حكاية ذات مغزى على لسان غير الإنسان لغرض تعليمي أو فكاهي وما أشبه ذلك .

كقولهم (أكلت يوم أكل الثور الأبيض).

---

(١) المصدر السابق .

(٢) المصدر السابق.

(٣) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير (١/ ٧٧)تحقيق د.أحمد الحوفي ود.بدوي طبانة ط.الثانية ،منشورات دار الرفاعي بالرياض ١٤٠٣هـ.

(٤) نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث ص٨١-٨٢ د.عبدالمجيد محمود عبدالمجيد ط. مكتبة البيان بالطائف ط.الثانية عام ١٤١٣هـ.

ب-الأمثال في القرآن الكريم :

لقد أكثر الله عز وجل في القرآن الكريم من ضرب الأمثلة وذلك لتقريب المعاني وترسيخها في الأذهان والأمثلة على هذا كثيرة .

ويكفي شرفاً من يستخدم المثل في كلامه وتأليفه أن الله عز وجل استخدم هذا الأسلوب البلاغي الراقي السهل الميسر المحبب إلى النفوس.

المثال الأول :

ولعلنا نذكر مثالاً يعتبر من أعظم الأمثلة في القرآن وندع الميداني في مجمع الأمثال يسرد لنا هذا المثل ويعلق عليه ويقول : " قال عز من قائل :﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً ﴾- يعني كلمة التوحيد - ﴿ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ﴾-يعني النخلة -﴿ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [إبراهيم :٢٤] ، شبّه ثبات الإيمان في قلب المؤمن بثباتها ، وشبه صعود عمله إلى السماء ، بارتفاع فروعها في الهواء ، ثم قال تعالى:﴿ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ﴾ [إبراهيم :٢٥] ، فشبّه ما يكتسبه المؤمن من بركة الإيمان وثوابه في كل زمان ، بما ينال من ثمرتها كل حينٍ و أوان "أ.هـ.(١)

المثال الثاني:

وهو ما ضربه الله مثالاً لبيان الفرق بين الإله الحق و الباطل ، وقيل لبيان الفرق بين المؤمن والكافر.

قال تعالى:﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [النحل :٧٥].

قال الحافظ ابن كثير : " قال ابن عباس : "هذا مثل ضربه الله للكافر والمؤمن " ، فالعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء مثل الكافر ، والمرزوق الرزق الحسن فهو ينفق منه سراً وجهراً هو المؤمن ،وقال مجاهد : هو مثل مضروب للوثن وللحق تعالى فهل

(١) مجمع الأمثال للميداني (١/ ٢).

يستوي هذا وهذا ؟ ،ولما كان الفرق ما بينهما بيِّناً واضحاً ظاهراً لا يجهله إلا كل غبي قال الله تعالى : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ، ثم قال تعالى :﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [النحل :٧٦] ،قال مجاهد : وهذا أيضاً المراد به الوثن والحق تعالى ، يعني أن الوثن أبكمٌ لا يتكلم ولا ينطق بخير ولا يقدر على شيء بالكلية فلا مقال ولا فعال ، وهو مع هذا (كلّ) أي : عيال وكلفة على مولاه ،(أينما يوجهه)أي يبعثه(لا يأت بخير) ولا ينجح مسعاه (هل يستوي) من هذه صفاته (ومن يأمر بالعدل) أي بالقسط ، فمقاله حق وفعاله مستقيمة (وهو على صراط مستقيم).. " أ.هـ باختصار.[1]

المثال الثالث:

قوله تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحج :٧٣-٧٤] .

قال الإمام ابن القيم معلقاً على هذه الآية :

"فتأمل هذا المثل الذي أمر الناس كلهم باستماعه فمن لم يستمعه فقد عصى أمره ،

كيف تضمن إبطال الشرك وأسبابه بأصح برهان في أوجز عبارة وأحسنها وأحلاها ، وأسجل على جميع آلهة المشركين أنهم لو اجتمعوا كلهم في صعيد واحد وساعد بعضهم بعضاً وعاونه بأبلغ المعاونة لعجزوا عن خلق ذباب واحد ثم بين ضعفهم وعجزهم عن استنقاذ ما يسلبهم الذباب إياه حين يسقط عليهم فأي إله أضعف من هذا الإله المطلوب ومن عابده الطالب نفعه وخيره فهل قدر القوي العزيز حق قدره من أشرك معه آلهةً هذا شأنها .."أ.هـ.[2]

(١) تفسير ابن كثير مختصراً(٥/ ٢٠٠٤-٢٠٠٥)، وانظر روح المعاني للألوسي (١٤/ ١٩٦-١٩٧).

(٢) الصواعق المرسلة (٢/ ٤٦٦-٤٦٧).

والأمثلة كثيرة ولا يتسع المقام لذكرها .

ج- الأمثال في السنة النبوية :

والنبي ﷺ أفصح من نطق بالضاد وكلامه أبين الكلام وأسهله يكثر من ضرب المثل لأصحابه ولأمته من بعده بأسلوب واضح بين يفهمه كل أحد .

وقد وصلت إلينا هذه الأمثلة في كتب السنة مسندة لتقرير حكم شرعي أو لتوضيح أدب نبوي أو لترسيخ معنىً في الذهن وتقريبه للأفهام .

والأمثلة على الأمثال في السنة كثيرة منها :

المثال الأول :

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال :" إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلي ؛ كمثل رجل بنا بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنةٍ من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين"أ.هـ. (١)

فهذا مثل من أروع الأمثلة والتشبيه لتقريب وتوضيح المعنى.

قال الحافظ :" المشبه به واحد والمشبه جماعة فكيف صح التشبيه ؟ وجوابه : أنه جعل الأنبياء كرجل واحد ، لأنه لا يتم ما أراد من التشبيه إلا باعتبار الكل ، وكذلك الدار لا تتم إلا باجتماع البنيان،ويحتمل : أن يكون من التشبيه التمثيل وهو أن يوجد وصف من أوصاف المشبه ويشبه بمثله من أحوال المشبه به ، فكأنه شبه الأنبياء وما بعثوا به من إرشاد الناس ببيت أسست قواعده ورفع بنيانه وبقي منه موضع به يتم صلاح ذلك البيت .."أ.هـ.(٢)

المثال الثاني :

عن أبي هريرة ﷺ أن سمع رسول الله ﷺ يقول : "إنما مثلي ومثل الناس ، كمثل

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في المناقب –باب خاتم النبيين برقم (٣٥٣٥).

(٢)فتح الباري (٦/ ٦٤٦).

رجل استوقد ناراً ، فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها فجعل الرجل يزعهن ويغلبنه فيقتحمن فيها ، فأنا آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تقحّمون فيها " .(١)

قال الإمام النووي معلقاً على هذا الحديث : " ومقصود الحديث أنه ﷺ شبه تساقط الجاهلين والمخالفين بمعاصيهم وشهواتهم في نار الآخرة وحرصهم على الوقوع في ذلك -مع منعه إياهم وقبضه في على مواضع المنع منهم -بتساقط الفراش في نار الدنيا لهواه وضعف تمييزه ، وكلاهما حريص على هلاك نفسه ساع في ذلك لجهله "أ.هـ.(٢)

المثال الثالث :

عن أبي موسى الأشعري ﷺ عن النبي ﷺ قال : "إن مثل ما بعثني الله به عز وجل من الهدى والعلم كمثل غيثٍ أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا (٣) وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به "(٤).

قال الحافظ ابن حجر :

" قال القرطبي وغيره :ضرب النبي ﷺ لما جاء به من الدين مثلا بالغيث العام الذي يأتي في حال حاجتهم إليه ، وكذا كان الناس قبل مبعثه ، فكما أن الغيث يحيي البلد الميت فكذا علوم الدين تحيي القلب الميت . ثم شبه السامعين له بالأرض المختلفة

---

(١)الحديث أخرجه البخاري في الرقاق -باب الانتهاء عن المعاصي برقم (٦٤٨٣).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٥/ ٤٩).

(٣) وفي رواية لمسلم والنسائي وغيرهما:(ورعوا) بغير زاي من الرعي ،وقال النووي كلاهما صحيح .أ.هـ . انظر :فتح الباري (١/ ٢١٢).

(٤) أخرجه: البخاري في العلم -باب فضل من علم وعلم برقم (٧٩).ومسلم في كتاب الفضائل برقم (٢٢٨٢) واللفظ له.

التي ينزل بها الغيث ، فمنهم العالم العامل المعلم . فهو بمنزلة الأرض الطيبة شربت فانتفعت في نفسها وأنبتت فنفعت غيرها . ومنهم الجامع للعلم المستغرق لزمانه فيه غير أنه لم يعمل بنوافله أو لم يتفقه فيما جمع لكنه أداه لغيره ، فهو بمنزلة الأرض التي يستقر فيها الماء فينتفع الناس به ، وهو المشار إليه بقوله : " نضر الله امرأ سمع مقالتي فأداها كما سمعها " . ومنهم من يسمع العلم فلا يحفظه ولا يعمل به ولا ينقله لغيره ، فهو بمنزلة الأرض السبخة أو الملساء التي لا تقبل الماء أو تفسده على غيرها . وإنما جمع المثل بين الطائفتين الأوليين المحمودتين لاشتراكهما في الانتفاع بهما ، وأفرد الطائفة الثالثة المذمومة لعدم النفع بها . والله أعلم .

ثم ظهر لي(الكلام للحافظ ابن حجر) أن في كل مثل طائفتين ، فالأول قد أوضحناه ، والثاني الأولى منه من دخل في الدين ولم يسمع العلم أو سمعه فلم يعمل به ولم يعلمه ، ومثالها من الأرض السباخ وأشير إليها بقوله صلى الله عليه وسلم : " من لم يرفع بذلك رأسا " أي : أعرض عنه فلم ينتفع له ولا نفع . والثانية منه من لم يدخل في الدين أصلا ، بل بلغه فكفر به ، ومثالها من الأرض الصماء الملساء المستوية التي يمر عليها الماء فلا ينتفع به ، وأشير إليها بقوله ﷺ : " ولم يقبل هدى الله الذي جئت به " " أ.هـ.[1]

وقال الإمام النووي :

" أما معاني الحديث ومقصوده فهو تمثيل الهدى الذي جاء به ﷺ بالغيث ، ومعناه أن الأرض ثلاثة أنواع ، وكذلك الناس . فالنوع الأول من الأرض ينتفع بالمطر فيحيى بعد أن كان ميتا ، وينبت الكلأ ، فتنتفع بها الناس والدواب والزرع وغيرها ، وكذا النوع الأول من الناس ، يبلغه الهدى والعلم فيحفظه فيحيا قلبه ، ويعمل به ، ويعلمه غيره ، فينتفع وينفع . والنوع الثاني من الأرض ما لا تقبل الانتفاع في نفسها ، لكن فيها فائدة ، وهي إمساك الماء لغيرها ، فينتفع بها الناس والدواب ، وكذا النوع الثاني من الناس ، لهم قلوب حافظة ، لكن ليست لهم أفهام ثاقبة ، ولا رسوخ لهم في العقل

---

(١) فتح الباري (١/ ٢١٢).

يستنبطون به المعاني والأحكام ، وليس عندهم اجتهاد في الطاعة والعمل به ، فهم يحفظونه حتى يأتي طالب محتاج متعطش لما عندهم من العلم ، أهل للنفع والانتفاع ، فيأخذه منهم ، فينتفع به ، فهؤلاء نفعوا بما بلغهم . والنوع الثالث من الأرض السباخ التي لا تنبت ونحوها ، فهي لا تنتفع بالماء ، ولا تمسكه لينتفع بها غيرها ، وكذا النوع الثالث من الناس ، ليست لهم قلوب حافظة ، ولا أفهام واعية ، فإذا سمعوا العلم لا ينتفعون به ، ولا يحفظونه لنفع غيرهم . والله أعلم . **وفي هذا الحديث أنواع من العلم منها ضرب الأمثال** ، ومنها فضل العلم والتعليم وشدة الحث عليهما ، وذم الإعراض عن العلم . والله أعلم " أ.هـ.(١)

ح- أهمية ضرب الأمثال في التصنيف والتأليف :

لاشك أن الأمثال لها أهمية كبيرة في التأليف في تسهيل وصول المعلومة وتوضيحها وغيرها من الفوائد ، وحول هذا الأمر يقول العلامة ابن القيم –رحمه الله –:

" ضرب الأمثال في القرآن يستفاد منه أمور التذكير والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل وتصويره في صورة المحسوس بحيث يكون نسبته للعقل كنسبة المحسوس إلى الحس وقد تأتي أمثال القرآن مشتملة على بيان تفاوت الأجر على المدح والذم وعلى الثواب والعقاب وعلى تفخيم الأمر أو تحقيره وعلى تحقيق أمر وإبطال أمر والله أعلم"أ.هـ (٢).

ويمكن أن نعرض لبعض الفوائد من ضرب الأمثال و نجملها فيما يلي :

١ . المثل يجمل الكلام ويجعله حسناً مقبولاً للسامع و القاريء مبعداً السآمة والملل عنه .

يقول الميداني: " وتحوج (أي الأمثال) الخطيب المصقع والشاعر المفلق إلى إدماجها وإدراجها في أثناء متصرفاتها وأدراجها ؛ **لاشتمالها على أساليب الحسن والجمال**

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٥/ ٤٧-٤٨).
(٢) بدائع الفوائد (٤/ ٩).

واستيلائها في الجودة على أمد الكمال" أ.هـ.(١)

٢. بالمثل يختصر الكلام ويفهم المعنى بأوجز العبارات وأقصرها .

ويؤدي الغرض في بعض المواضع بأحسن من أن يفصل في الكلام ويتوسع فيه .

قال النظام : " يجتمع في المثل أربعة لا تجتمع في غيره من الكلام : إيجاز اللفظ وإصابة المعنى ، وحسن التتشبيه وجودة الكتابة فهو نهاية البلاغة " أ.هـ.(٢)

ولهذا كانت الأمثال كالرموز والإشارات التي يلوّح بها على المعاني تلويحاً ، وصارت من أوجز الكلام وأكثره اختصاراً(٣) .

٣. أن ضرب المثل منهج قرآني و نبوي ، وكفى بهذه الخصلة فخراً وشرفاً لمن يضرب المثل في كلامه وتصنيفه .

قال الميداني : "وكفاها جلالة قدر وفخامة فخر أن كتاب الله عز وجل –وهو أشرف الكتب التي أنزلت على العجم والعرب– لم يعر من وشاحها المفصل ترائب طواله ومفصله، ولا من تاجها المرصع مفارق مجمله ومفصله ، وإن كلام نبيه محمد ﷺ –وهو أفصح العرب لساناً وأكملهم بياناً وأرجحهم في إيضاح القول ميزاناً– لم يخل في إيراده وإصداره وتبشيره وإنذاره من مثل يحوز قصب السبق في حلبة الإيجاز ويستولي على أمد الحسن في صنعة الإعجاز"أ.هـ.(٤)

٤. أنه أقرب إلى الأذهان في تعقله وفهمه وضبطه واستحضاره له باستحضار نظيره ،فإن النفس تأنس بالنظائر والأشباه وتنفر من الغربة والوحدة وعدم النظير .(٥)

قال ابن القيم :

"فهذا بعض ما اشتمل عليه القرآن من التمثيل والقياس والجمع والفرق واعتبار

---

(١) مجمع الأمثال (١/ ١)، وانظر المثل السائر (١/ ٧٧).
(٢) المصدر السابق (١/ ٨).
(٣) المثل السائر لابن الأثير (١/ ٧٧).
(٤) مجمع الأمثال (١/ ١-٢).
(٥) انظر : نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث ص٨٣.

العلل والمعاني وارتباطها بأحكامها تأثيراً واستدلالاً ، وقالوا: وقد ضرب الله سبحانه الأمثال وصرفها قدراً وشرعاً ويقظة ومناماً ، ودل عباده على الاعتبار بذلك وعبورهم من الشيء إلى نظيره واستدلالهم بالنظير على النظير " أ.هـ.[(١)]

وقال أيضاً:

" ومن هذا ما وقع في القرآن من الأمثال التي لا يعقلها إلا العالمون ، فإنها تشبيه شيء بشيء في حكمه وتقريب المعقول من المحسوس أو أحد المحسوسين من الآخر واعتبار أحدهما من الآخر " أ.هـ.[(٢)]

منهج السلف في ضرب الأمثال في مصنفاتهم:

لقد أكثر السلف من ضرب الأمثلة في مصنفاتهم اقتداءً بطريقة القرآن الكريم وطريقة النبي ﷺ في سنته وتعليمه لأمته .

وقد تنوعت أساليبهم وطرائقهم في ضرب الأمثلة بحسب الدوافع المختلفة لإيراد الأمثلة ، ويمكن أن نجمل منهجهم في الأمور التالية :

١. ضرب الأمثلة لتأييد المعنى الصحيح :

حينما يقرر أهل السنة معنى من المعاني الصحيحة فإنهم يستخدمون الأمثلة لبيان صحة هذا المعنى الذي قرروه حتى يثبت في الذهن والعقل صحته لأن المثال إذا كان صحيحاً وتتفق عليه العقول فإن المنصف المريد للحق لا يمكن رده لهذا المثال .

وهذا كله يؤيد ما تقرر من قوة منهج السلف ووضوح منهجهم وموافقته للعقول والفطر السليمة أثناء تقريرهم لمسائل الاعتقاد.

وهناك أمثلة كثيرة منها:

المثال على هذا النوع :

الإمام أبو عبيد قرر في كتابه الإيمان أن العمل والقول من الإيمان جميعاً فقال تحت

(١) إعلام الموقعين(١/ ٢٤٦).

(٢) المصدر السابق (١/ ٢٠٠).

باب بعنوان (**باب تسمية الإيمان بالقول دون العمل**):

"وأما الحجة الأخرى : فإنا وجدنا الأمور كلها يستحق الناس بها أسماءها مع ابتدائها والدخول فيها ، ثم يفضل فيها بعضهم بعضاً ، وقد شملهم فيها اسم واحد .

من ذلك أنك تجد القوم صفوفاً بين مستفتح للصلاة، وراكع وساجد، وقائم وجالس، فكلهم يلزمه اسم المصلي ، فيقال لهم مصلون ، وهم مع هذا فيها متفاضلون .

وكذلك صناعات الناس ، **لو أن قوماً ابتنوا حائطاً وكان بعضهم في تأسيسه ، وآخر قد نصفه ، وثالث قد قارب الفراغ منه ، قيل لهم جميعاً : بناه وهم متباينون في بنائهم**"أ.هـ.(١)

فالإمام أبو عبيد ضرب مثلين ليقرر أن دخول الناس في مسمى أصل الإيمان بمجرد العمل وبمقدار تفاضلهم بالأعمال يكون زيادته ونقصانه.

مثال آخر :

وهو لأبي عبيد أيضاً قرر فيه أن النصوص الواردة في حق مرتكب الكبيرة والتي فيها نفي الإيمان عنه لا يقصد بها نفي أصله ولكن نفي حقيقته وتجويده وكماله .

وذكر أن العرب تقول للذي لا يحكم الصنعة ما صنعت شيئاً يعني لم تتقنه ولم تجوده لا أنه لم يصنع شيئاً مطلقاً .

ثم بعد ذلك ذكر مثالاً يقرر في نفس المعنى ويؤكده فقال :

" **وذلك كرجل يعقّ أباه ويبلغ منه الأذى فيقال : ما هو بولد** ، ويعلمون أنه ابن صلبه.

ثم يقال مثله في **الأخ والزوجة والمملوك** ،وإنما مذهبهم في هذا:المزايلة من الأعمال الواجبة عليهم من الطاعة والبر " أ.هـ.(٢)

٢. ضرب المثال للتوضيح والبيان:

---

(١) الإيمان ص٢٧.

(٢) الإيمان ص٤١.

ويختلف هذا النوع عن سابقه بأن الأول لتأكيد المعنى وبيان عدم مخالفته لما في الأذهان.

أما هذا فالغرض من الإتيان بالمثال هنا هو توضيح المسألة لأنه قد يحصل فيها اللبس فيذكر المؤلف المثال لإزالة أي لبس قد يتوقع في ذهن القاريء.

ولعل من المسائل التي حصل فيها اللبس مسألة اللفظ ؛ بل حصل اللبس بين أهل السنة أنفسهم .

وقد ألف في هذه المسألة الإمام ابن قتيبة كتاباً نفيساً بعنوان (**الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة**) ، وعقد فصلاً خاصاً بهذه المسألة .

وقد بين وجه اللبس في هذه المسألة بأسلوب سهل ميسر استخدم فيه طريقة ضرب المثال حتى يقربها لمن يقرأ الكتاب ، وبين الفرق بين القراءة والكتابة والاستماع وهي فعل العبد وهي مخلوقة وبين المقروء والمكتوب والمسموع وهو القرآن الذي هو صفة من صفات الباري جل وعلا.

فقال رحمه الله :

"وهو -أي القرآن- قائم في السمع ، والاستماع عمل وهو(مخلوق) [(١)] والمسموع قرآن غير مخلوق .

ومثل هذا -وإن كان لا مثل للقرآن إلا أنه تقريب منّا لما ذكرناه إلى فهمك مثل لون الإنسان لا يقوم إلا بجسمه ولا نقدر أن نقر اللون في وهمك حتى يكون متميزاً من الجسم ، وكذلك القدرة لا نقدر أن نفردها عن الجسم وكذلك الاستطاعة والحركة كل واحدة منها لا تفرد ، وإنما تقوم بالجسم والجارحة ولا تنفرد عنها ، وكذلك القرآن يقوم بتلك الخلال الأربع التي ذكرناها [(٢)] ولا يستطيع أحد أن يتوهمه منفرداً عنها ، فإذا قلت قرأت أو تلوت أو لفظت دل قولك على فعل ، وقرآن كل واحد منها قائم

---

(١) في المطبوع (غير مخلوق) وهو خطأ ظاهر.

(٢) وهي : ١-الكتابة ٢-القراءة ٣-الحفظ ٤-الاستماع.

بالآخر غير متميز منه لأن الصوت وتحريك اللسان لا يكون قراءة حتى يحمله الصوت واللسان وليس سائر الأفعال والمفعولات هكذا ؛ ألا ترى أنك تقول شتمت وسببت وقذفت فيدل قولك على فعل ومشتوم ومسبوب ومقذوف إلا أن كل واحد قائم بنفسه متميز عن الآخر فلهذا قلنا :إن القراءة شيئان وكذلك التلاوة والحفظ وقلنا الشتم شيء واحد..."أ.هـ.(١)

ومن خلال ذكر كلام الإمام تبين لنا أهمية وحاجة ذكر هذه الأمثلة لتوضيح المسألة التي يريد تقريرها وبيانها ويبين الفرق بينها وبين المسائل التي قد تشتبه بها و لا يكون هذا إلا بضرب الأمثلة التي تظهر هذا الأمر وتجليه.

٣. **نقلهم الأمثلة التي قالتها العرب :**

وقد يستشهدون بكلام العرب وأمثلتهم التي يضربونها لكي يثبتوا صحة تفسيرهم وتوجيههم للنصوص الشرعية وأنهم لم يتعدوا ما ورد في الكتاب والسنة وما جاء في كلام العرب.

فنجد مثلاً **الإمام ابن قتيبة** يذكر مسألة الرؤية ويعلق على ما ورد في الحديث من تشبيه رؤية المؤمنين لربهم في الجنة برؤيتنا للشمس والقمر .

فيقول رحمه الله :

" **والعرب تضرب بالقمر المثل في الشهرة والظهور** وقال ذو الرمة (٢) :

- فقد بهرت فما تخفى على أحدٍ إلا على أحدٍ لا يعرف القمرا

---

(١) الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص٦٣-٦٤.

(٢) ذو الرمة :هو غيلان بن عقبة بن بهيش ويكنى أبا الحارث وهو من بني صعب بن ملكان بن عدي بن عبد مناة .وهو من فحول الشعراء ،والرمة :هي الحبل ،وسمي دا الرمة بقوله في الوتد :

(لم يبق منها أبد الأبيد غير ثلاثٍ ماثلاتٍ سودٍ

وغير مرضوخ القفا موتود أشعث باقي رمة التقليد

قال أبو عمرو بن العلاء :افتتح الشعراء بامرئ القيس ، وختموا بزي الرُّمة ، مات بأصبهان سنة سبع عشرة ومئة. انظر :الشعر والشعراء لابن قتيبة (١/ ٥٢٤) تحقيق أحمد محمد شاكر ط.دار الحديث -القاهرة ، ط.الثانية ١٤١٨هـ ، السير (٥/ ٢٦٧).

ويقولون هذا أبين من الشمس ومن فلق الصبح وأشهر من القمر ...." أ.هـ.[١]

فذكره للأمثلة التي تقولها العرب يؤكد صحة المعنى الذي فسر به حديث الرؤية وأنه يتفق مع ما ورد عن العرب وهنا تظهر فائدة نقل أمثلة العرب التي ضربوها ونقلوها ودونت في الكتب .

٤. **ضرب المثال لبيان فساد قول المخالف:**

وقد يذكر الأئمة الأمثلة ليظهروا فساد قول أهل البدع من خلال هذه الأمثلة .

فهذا إمام أهل اللغة الإمام أبو عبيد في كتابه الإيمان يعقد فصلاً خاصاً بزيادة الإيمان ونقصانه[٢] ويبين فيه أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية لدلالة الكتاب والسنة ولغة العرب على ذلك .

وقد بين فساد بعض من تأول الآيات المصرحة بزيادة الإيمان من خلال كلام العرب وضرب الأمثلة التي تبين ذلك فقال :

" وأما في اللغة فإنا لم نجد المعنى فيه يحتمل تأويلهم **وذلك كرجل أقرّ له رجل بألف درهم له عليه ، ثم بينها فقال : مائة في جهة كذا ، ومائتان في جهة كذا ، حتى استوعب الألف ، ما كان هذا يسمى زيادة ، وإنما يقال له تلخيص وتفصيل** ، وكذلك لو لم يلخصها ولكنه ردد ذلك الإقرار مرات ، ما قيل له زيادة أيضاً ، إنما هو تكرير وإعادة ، لأنه لم يتغير المعنى الأول ولم يزد فيه شيئاً " أ.هـ.[٣]

ومن خلال هذا المثال نرى أن الإمام فرق بين هذه المعاني الثلاثة من خلال ضربه للمثال وبين فساد من فسر الأدلة الواردة في إثبات زيادة الإيمان بأنه تقرير وتأكيد أو تفصيل وتوضيح ونحوها من المعاني الفاسدة التي لا تتفق مع النصوص .

٥. **ضرب الأمثلة الواقعية التي حدثت :**

---

(١) الاختلاف في اللفظ ص٤٥ .

(٢) الإيمان ص٢٤ .

(٣) الإيمان ص٢٥ .

وقد يذكرون بعض القصص الواقعية التي حصلت ليمثلوا بها على ما يريدون تقريرهم من المسائل أو لبيان بطلان مذهب المخالفين .

ولعلنا نذكر هذا المثال الذي نقله **الإمام البخاري في خلق أفعال العباد:**

بعد أن قرر رحمه الله أن الجهمية ينفون جميع الأسماء والصفات عن الله عز وجل ويقولون :إن اسم الله مخلوق –تعالى الله عما يقولون – **قال رحمه الله** :

" وقالوا–أي الجهمية –: إن اسم الله مخلوق .

ويلزمهم أن يقولوا إذا أذن المؤذن :لا إله إلا الذي اسمه الله ، وأشهد أن محمداً رسول الذي اسمه الله ، لأنهم قالوا :إن اسم الله مخلوق.

ولقد اختصم يهودي ومسلم إلى بعض معطليهم ، فقضى باليمين على المسلم ، فقال اليهودي: حلفه بالخالق لا بالمخلوق ، فإن هذا في القرآن ،وزعمت أن القرآن مخلوق فحلفه بالخالق .

فبهت الآخر وقال : قوما حتى أنظر في أمركما . وخسر هنالك المبطلون"أ.هـ.[(١)]

ومن خلال هذه القصة الواقعية التي نقلها الإمام البخاري يتضح ويظهر كيف ألزم اليهودي الجهمي المعطل ، وظهر للجميع فساد مذهبهم وأنه لا يتفق حتى مع ما يدين به المعتزلة من أصول الدين الأخرى ، ولاشك أن في رواية مثل هذه القصة توضيح وبيان وإظهار ، وفضح للمذاهب الباطلة ، وكذلك فيه إقامة للحجة على المخالفين .

٦. **ضرب المثال لتقريب المعنى والحكم المستنبط من النص الشرعي :**

وقد يورد الأئمة المثال لتقريب المعنى والفائدة والحكم الذي استخرجوه واستنبطوه من النص الشرعي .

ويقربون المعنى الذي استخرجوه و استفادوه من النص من ذهن القاريء حتى لا يلتبس عليه أو يقع في فهمٍ للنص فهماً مجانباً للصواب .

---

(١) خلق أفعال العبادص ٣٦.

وعلى هذا الأمر مثالان:

المثال الأول : محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة :

بعد أن سرد الآيات الدالة على أن كمال الإيمان وزيادته وحقيقته تكون بالطاعات والتي جاءت النصوص الشرعية بها نجده يؤكد هذا المعنى من خلال بيانه للمعنى المستفاد من النص ضرب المثال الذي يؤكد ويوضح ويقرب صحة هذا المعنى .

قال رحمه الله :

" ووصف الله عز وجل المؤمنين بالأعمال ثم ألزمهم حقيقة الإيمان ، ووصفهم بها بعد قيامهم بالأعمال من الصلاة والزكاة وغيرهما فقال :﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ [الأنفال :٢] ثم قال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [الأنفال :٤] فوصفهم بحقيقة الإيمان بعد قيامهم بالأعمال التي ذكرها ....(إلى أن قال): ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ خصوصية خص هؤلاء بها دون سائر المؤمنين ، **كما يقول القائل : هذا رجل عربي** ، لأن من الرجال من ليس بعربي، ولو كان كل رجل عربياً ولا يكون رجل غير عربي لكان **قول القائل** : هذا رجل عربي ؛ لا معنى له .

وذلك كما يقول القائل : هذا رجل بصير ، لأن في الناس من ليس ببصير ، ولو كان كلهم بصراء ما كان لقولك : هذا رجل بصير معنى ، ولكان قولك **كقول القائل : هذا إنسان آدمي بشري ، ولا معنى لهذا التكرار إلا العي** "أ.هـ.[1]

المثال الثاني : ابن نصر في تعظيم قدر الصلاة أيضاً:

بعد أن أورد حديث أركان الإسلام المشهور عقب الإمام ابن نصر عليه وقال :

" فقد دل من عقل على أن الإسلام كثير ، لأن البنيان أكثر من الأصل ، إنما هو بياض ، والبنيان يكون : **الحيطان ، والبيوت ، والعلالي ، والغرف ، والأبواب ،**

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٥٦-٣٥٨) مختصراً.

والجذوع ، والصفائح ، وغير ذلك ....."أ.هـ.[١]

فالإمام ضرب مثالاً محسوساً يعايشه الناس ويرونه كل يوم وهو البنيان وما فيه من تراكيب والأصل للبنيان وأن الإسلام شبيه به في أركانه ومما يتكون منه .

٧. بيانهم لفساد الأمثلة التي يضربها أهل البدع :

ولعل من منهج السلف في ضرب الأمثلة بيانهم لبطلان الأمثلة التي يضربها أهل البدع وأنها في غير محلها وليست على ما تقرر من قواعد لغة العرب .

وهذا منهم رحمهم الله هدم لبعض طرائقهم وحججهم التي قد يلبسون بها على عوام المسلمين لكي يروج باطلهم لأن المثال كما تقدم سهل ومحبب للنفوس فقد تتشرب النفوس الجاهلة الضعيفة مثل هذه الشبهات ولهذا بادر أهل السنة لبيان فساد مثل هذه الأمثلة والأقيسة التي ضربوها .

ومن الأمثلة على هذا مايلي :

المثال الأول : الدارمي في رده على بشر المريسي:

ومن الأمثلة الفاسدة التي ضربها أهل البدع -ليبرروا نفيهم للصفات عن الله عز وجل -ما ذكره المريسي الضال من ضربه مثلاً فاسداً ليثبت من خلاله نفي صفة اليدين عن الله.

قال الإمام الدارمي موضحاً مثاله الفاسد ثم رد عليه :

"فيقال لهذا الضال المضل : أليس قد زعمت أن الله لا يشبه بشيء من خلقه ولا يتوهم الرجل في صفاته ما يعقل مثله في نفسه ؟ فكيف تشبه الله في يديه اللتين خلق بهما آدم بأقطع مجذوم اليدين من المنكبين ؟ وتتوهم ذلك ؟ فقد توهمت أقبح ما عبت على غيرك ؛ إذ ادعيت أن الله لا يدان له كالأقطع المقطوع اليدين ، ويلك إنما يقال لمن كفر بلسانه وليست له يدان : **ذلك بما كسبت يداه مثلاً معقولاً** .يقال ذلك للأقطع وغير الأقطع من ذوي الأيدي ، **غير أنه لا يضرب هذا المثل ولا يقال ذلك إلا لمن هو من**

(١) المصدر السابق (١/ ٤٢٣-٤٢٤).

ذوي الأيدي قبل أن تقطعا ، والله بزعمك لم يكن قط من ذوي الأيدي .

فيستحيل في كلام العرب أن يقال لمن ليس بذي يدين ، أو لم يك قط ذا يدين : أن كفره وعمله بما كسبت يداه ...."أ.هـ.[١]

ومن خلال هذا المثال يتضح لنا كيف أن الإمام المريسي بين فساد هذا المثال وأن العرب لا تطلقه على هذا النحو الذي أطلقه المريسي وأتباعه.

المثال الثاني: الإمام محمد بن نصر يرد على المرجئة في ضربهم الأمثلة :

مما يعتقده المرجئة عدم تأثر الإيمان بارتكاب المعاصي ولهم في ذلك شبهات وضربوا لذلك أمثلة نقلها الإمام محمد بن نصر في كتابه العظيم تعظيم قدر الصلاة فقال :

" زعم بعض المرجئة أنا إذا قلنا : أن الإيمان اسم لجميع الطاعات ، لزمنا أن نكفر العاصي عند أول معصية يفعلها ، لأنه إذا كان إنما يسمى إيماناً لاجتماع معاني فمتى ما نقص من تلك المعاني مثقال خردلة ، زال عنه الاسم ، **وضربوا لذلك مثلاً فقالوا: ومثل ذلك مثل قول القائل : عشرة دراهم ، فإذا نقص دانق ، لم تسم عشرة إلا على النقصان ، فإن نقص درهم لم تسم عشرة أبداً** " أ.هـ.[٢]

فهذه هي حجتهم وهذا هو المثال الذي ضربوه ، **ولكن الإمام رحمه الله بين فساد هذا المثال وأبطله بالحجة والبرهان القاطع** فقال :

" فقيل لهم : **إنكم ضربتم المثل على غير أصل** ، وقد غلطتم علينا ، ولم تفهموا معنانا ، وذلك أنا نقول : إن الإيمان أصل ، من نقص عنه مثقال ذرة زال عنه اسم الإيمان ، ولكنه يزداد بعده إيماناً إلى إيمانه ، فإن نقصت الزيادة التي بعد الأصل لم ينقص الأصل ..."أ.هـ.[٣]

---

(١) الرد على المريسي (١/ ٢٣٥-٢٣٦).

(٢) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٧٠٢-٧٠٣).

(٣) المصدر السابق.

ثم ذكر بعد ذلك مثالاً صحيحاً بدلاً من المثال الذي ضربوه فقال :

"وذلك كنخلة قائمة ذات أغصان و ورق فكلما قطع منها غصن لم يزل عنها اسم الشجرة وكانت دون ما كانت عليه من الكمال من غير أن ينقلب أسمها ، إلا أنها شجرة ناقصة من أغصانها ، وغيرها من النخل من أشكالها أكمل منها لتمامها بسعفها ، وقد قال الله تعالى :﴿ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [إبراهيم :٢٤]

فجعلها مثلاً لكلمة الإيمان ، وجعل لها أصلاً ، وفرعاً ، وثمراً تؤتيه ، فسأل النبي ﷺ أصحابه عن معنى هذا المثل من الله عز و جل ، فوقعوا في شجر البوادي ، قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة ، فاستحييت ، فقال رسول الله ﷺ : **"هي النخلة "** (١)" أ.هـ.(٢)

ويتبين لنا من خلال هذين المثالين أن الأئمة لم يغفلوا حتى الأمثلة التي يضربها أهل البدع لتأييد باطلهم بل تصدوا لها بالنقض والإبطال .

وكذلك أضافوا إلى ذلك المثال الصحيح بدلاً من المثال الفاسد الذي ضربه أهل البدع وهذا يوضح عناية الأئمة بقضية ضرب الأمثلة .

٨. ضرب الأمثلة الشنيعة لبيان قبح وخطر مقولات أهل البدع :

أهل السنة أثناء ردهم على أهل البدع بينوا شناعة ما هم عليه من باطل للناس بأساليب كثيرة منها –وهو الذي يهمنا هنا– ضرب الأمثلة الشنيعة التي تنفر الناس عن هذه البدعة وتبين عظيم قبحها وخطرها على معتقد المسلم وما يدين الله به .

ولعل من أقبح المعتقدات عند أهل البدع نفي الصفات عن الله حيث شبهوه بالمعدومات وقد بين السلف قبح هذا الاعتقاد من خلال ضرب الأمثال الشنيعة وقربوه للذهن حتى يستوعبه عامة الناس ولعل من أبرز الأئمة في هذا الشأن هو :

الإمام الدارمي في رده على المريسي:

---

(١) الحديث في صحيح البخاري –كتاب العلم برقم (٦٢).

(٢) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٧٠٣-٧٠٤).

نقل الإمام الدارمي اعتقاد المعتزلة والجهمية وهو نفي الصفات كلها عن الله وقد قرره وبينه أحسن بيان وخاصة في صفتي السمع والبصر فقال :

"وادعى المريسي أيضاً في قول الله تعالى:﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج :٧٥] ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران :١٥] أنه يسمع الأصوات ، ويعرف الألوان ، بلا سمع ولا بصر ، وأن قوله :﴿بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ يعني : عالم بهم لا أنه يبصرهم ببصر ، ولا ينظر إليهم بعين ، فقد يقال لأعمى : ما أبصره أي : ما أعلمه ، وإن كان لا يبصر بعين " أ.هـ. (١)

وبعد أن قرر هذا ونقله عنهم **شرع في الرد عليهم بضرب مثال يبين قبح هذا المعتقد** وخطورته على كل مسلم يؤمن بالله ويعظمه فقال : " فيقال لهذا المريسي الضال : **الحمار، والكلب أحسن حالاً من إله على هذه الصفة** ؛ لأن الحمار يسمع الأصوات بسمع ، ويرى الألوان بعين .

وإلهك بزعمك ، أعمى أصم ، لا يسمع بسمع ، ولا يبصر ببصر ولكن يدرك الصوت كما يدرك الحيطان والجبال التي ليس لها أسماع، ويرى الألوان بالمشاهدة ولا يبصر في دعواك "أ.هـ. (٢)

ولعل ما سبق ذكره في هذا المبحث يظهر ويبين لنا منهجهم في ضرب الأمثلة والله المستعان وعليه التكلان.(٣)

---

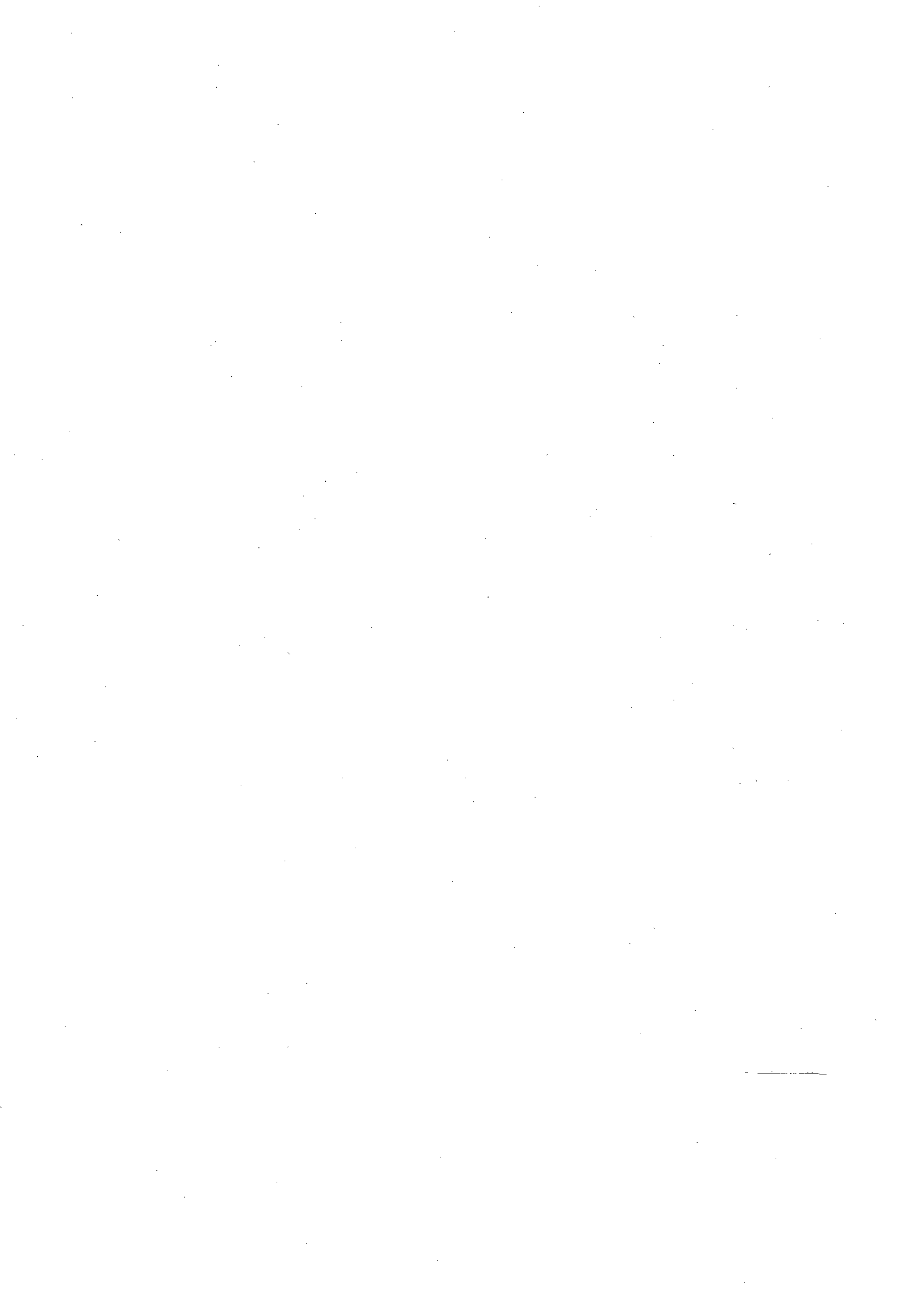
(١) الرد على المريسي للدارمي (١/ ٣٠٠).

(٢) الرد على المريسي(١/ ٣٠٠-٣٠١).

(٣) من الكتب التي أكثرت من ضرب الأمثلة من خلال الاستقراء هو كتاب(**تعظيم قدر الصلاة**) للإمام المروزي .

المبحث السادس

مناقشتهم للانحرافات العقدية المعاصرة لهم والاهتمام بها



تمهيد:

إن من أسباب انتشار مذهب السلف في أقطار المعمورة أنهم كانوا على فقه وعلم عميق ؛ ومن صور هذا الفقه والعلم في حياتهم العلمية أنهم يوردون في مصنفاتهم ومناظراتهم وتدريسهم لطلابهم ومناقشاتهم ما يجد في واقعهم من انحرافات ويتصدون لها بالرد والإبطال فيبارك الله في هذا العلم الذي وضعوه في مكانه اللائق به .

وقد اختلف واقع السلف عن واقع من أتى بعدهم الذين اهتموا بالتنظير للمسائل المستحيل والمستبعد وقوعها وأهملوا المسائل الحادثة التي يحتاجها المسلمون في عصرهم .

واهتموا بالرد على طوائف قد انقرضت وفصلوا القول فيها وتركوا وأهملوا الطوائف الضالة التي يعاصرونها إما لقلة علم أو لقلة فقه بما هو أولى بالرد والإبطال وكلا الاحتمالين يبين فضل المتقدمين من السلف على المتأخرين .

ولا أجد أحداً من السلف يصور هذا الأمر إلا ما سطرته يراع أديب أهل السنة وأحد أئمتهم الكبار المشهود له بصحة المنهج والمعتقد ألا وهو :

الإمام ابن قتيبة الدينوري في كتابه الاختلاف في اللفظ حيث يقول :

" فقد صار طلب العلم الآن يسمع ليجمع ويجمع ليذكر ويحفظ ليغالب ويفخر ، **وكان المتناظرون في الفقه يتناظرون في الجليل من الواقع والمستعمل من الواضح ، وفيما ينوب الناس** فينفع الله به القائل والسامع ، **فقد صار أكثر التناظر فيما دق وخفي فيما لا يقع وفيما قد انقرض** من: حكم الكتابة، وحكم اللعان ،ورجم المحصنين ، وصار الغرض فيه إخراج لطيفة ، وغوصاً على غريبة ، ورداً على متقدم ، فهذا يرد على أبي حنيفة ، وهذا يرد على مالك ، وآخر يرد على الشافعي بزخرف من القول ، ولطيف من الحيل ، كأنه لا يعلم أنه إذا رد على الأول صواباً عند الله بتمويهه فقد تقلد المآثم عن العاملين به دهر الداهرين .

وهذا يطعن بالرأي على ماض من السلف وهو يرى ، وبالابتداء في دين الله على

آخر وهو يبتدع.

وكان المتناظرون فيما مضى يتناظرون في معادلة الصبر بالشكر وفي تفضيل أحدهما على الآخر وفي الوساوس والخطرات ومجاهدة النفس وقمع الهوى **فقد صار المتناظرون يتناظرون في الاستطاعة والتولد والطفرة والجزء والعرض والجوهر** فهم دائبون يخبطون في العشوات قد تشعبت بهم الطرق وقادهم الهوى بزمام الردى " أ.هـ.[١]

ومن خلال هذا العرض يتبين لنا عدة أمور:

١. أن السلف في القرن الثالث ظهر عندهم من كان قليل الفقه وكان يؤلف في أمور لا ينتفع منها الناس وعلى رأس هؤلاء المتكلمين أهل الأهواء.

٢. أن السلف يعيبون على من يؤلف ويكثر الحديث في المسائل التي لا يستفيد منها الناس لأنها غير معاصرة لواقعهم أو تكون تلك المسائل قد انقرضت.

٣. أن من مظاهر عدم الاهتمام بواقع المسلمين من حيث التأليف والتدوين هو التأليف في الأمور الغامضة الدقيقة التي لا يحتاجها الناس لا متعلمهم ولا جاهلهم.

٤. أن من صور التأليف غير المفيد ما ظهر عند المتكلمين من مصطلحات مبتدعة لم يرد في إثباتها أو نفيها نص من كتاب الله أو سنة رسول الله أو أثر عمن سلف.

٥. أن السلف كان جل اهتمامهم في التصنيف أن يكتبوا في الأمور التي تقربهم من رب العباد، وإفادة الخلق في أمور دينهم وعقيدتهم وعباداتهم.

٦. من أعظم أسباب التأليف -الذي ظهر عند المتأخرين من المتكلمين- الذي لا فائدة منه هو اتباع الهوى وحظوظ النفس ولم يكن الدافع هو نصرة دين الله والذب عن شريعته.

(١) الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص١٨-١٩.

ملامح الاهتمام بمناقشة المخالفات المعاصرة من خلال مصنفاتهم :

ولعلنا نعرض لبعض الملامح التي يمكن أن تظهر لنا من خلال استقراء مصنفات السلف خلال القرون الثلاثة الأولى والتي يمكن أن نجملها فيما يلي :

١. **التصنيف والتأليف في المخالفات العقدية المعاصرة :**

وقد ظهر هذا جلياً في مصنفات السلف وأخذ صوراً وأشكالاً متعددة ولعل من أبرزها ما يلي :

أ-التصنيف في الرد على الطوائف والفرق المنحرفة المعاصرة :

وقد اهتم السلف بما أظهره أهل البدع فانبرى السلف لهذه الانحرافات المعاصرة وقدموها على غيرها لأنها أولى بالاهتمام وهذا يدل على فقههم وسعة علمهم كما تقدم.

ولعل من أبرز الطوائف التي أفرد السلف لها رسائل بالتأليف- على سبيل المثال لا الحصر-:

- **القدرية** : وانظر رسالة الإمام مالك والحسن البصري وعمر بن عبد العزيز وغيرهم كثير.[(١)]

-**الجهمية** : وانظر الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد والرد على الجهمية للدارمي .

والأمثلة كثيرة .

والأئمة أفردوا هذه الطوائف بالتصنيف لأن شرها استطال وانتشر فلا بد من بيان الحق والرد على الباطل حتى لا يلبس على الناس في دينهم .

ب- التصنيف في الرد على رؤوس أهل البدع:

الذين كان لهم صيت ذائع وشبهات منتشرة وكتب مؤلفة .

ولم يكتف السلف فقط بذكر الطائفة على وجه العموم بل ردوا على أهل البدع بأعيانهم ونصوا على مؤلفاتهم وأبطلوا مافيها وهذا من أبرز الأمور التي يظهر فيها

---

(١) سيأتي سرد كامل للمصنفات والتعريف بمؤلفيها فلا داعي لذكر شيئ حولها هنا .

اهتمام السلف بمناقشة الانحرافات العقدية المعاصرة لهم .

ولعل من أبرز الأمثلة : الرد على بشر المريسي وقد رد عليه الإمام الدارمي وكذلك الكناني في الحيدة لما حكى المناظرة التي حدثت بينه وبين بشر.

وقد ضمن السلف الرد على الطوائف والأشخاص ضمن كتبهم التي قرروها .

فغالب كتب السلف- مثلاً- نصوا على الرد على الجهمية وعلى الجهم مؤسس هذه الطائفة الخبيثة وهكذا.

ج-إفرادهم بعض المسائل بالتصنيف :

وهي تلك المسائل التي كثر النزاع واشتد الخلاف فيها بين أهل السنة وأهل البدع أو بين أهل السنة أنفسهم وهذا نادر .

وهو من مظاهر الاهتمام بها يجد في عصرهم .

وهنا نقف وقفة لنبين أن السلف لم يكن كل كتبهم ردود أفعال لما يقرره أهل البدع ، بل على العكس كانوا هم صناع المواقف وهم الذين يحركون ويديرون المعركة بينهم وبين مخالفيهم ؛ ولهذا نجد أنهم اهتموا بتقرير المسائل تقريراً عميقاً ومؤصلاً ولم يكتفوا بالردود فقط، ولا أدل على ذلك من كتب السنة الحديثية المسندة كالسنة لعبد الله والسنة لابن أبي عاصم .

ومن أبرز ما أولف في تلك الفترة على هذا المنوال :

كتب الإيمان : ككتاب الإيمان لابن أبي عبيد والعدني وابن أبي شيبة .

وهناك كتب كثيرة في الإيمان لكنها لم تصل إلينا ، لكنها تعطي دلالة واضحة على اهتمام السلف بتقرير المسائل التي يكثر النزاع فيها في عصرهم .

وكتب القدر :مثل رسالة ابن وهب في القدر ، وخلق أفعال العباد للبخاري.

٢. تكرار الكلام في المصنفات عن المخالفة المنتشرة والمعاصرة لهم بخلاف غيرها:

وهذا أيضاً مظهر من مظاهر الاهتمام بمناقشة المخالفات العقدية المعاصرة أنهم

يكررون في المصنف الواحد هذه القضية ويعرضونها بأكثر من طريقة وأكثر من وجه.

فمثلاً لو تصفحت كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد لوجدته شاملاً لكل مسائل الاعتقاد لكنه أكثر من ذكر الأدلة وكلام السلف ومواقفهم من القول بخلق القرآن .

ولا غرابة في هذا فهذه قضية عاصرها المصنف ووالده واصطلوا بنارها فهم مهتمون لتقريرها أحسن تقرير لما حدث حولها من تلبيس وتزوير على الناس والجهلة من قبل أهل البدع .

وبالضد فإن السلف أعرضوا عن ذكر بعض المسائل لأنها لم تحدث في عصرهم أو حدثت في زمن غير زمنهم ولم يعد لها ذكر .

يقول الإمام الدارمي مبيناً منهج السلف الواضح في هذا الأمر أثناء رده على المريسي :

"فلما لم يجترئ كافر أو متعوذ بالإسلام أن يظهر شيئاً من هذا وما أشبهه في عصرهم لم يجب عليهم أن يتكلفوا لنقض كفر لم يحدث بين أظهرهم فيكونوا سبباً لإظهاره ..."أ.هـ.[1]

٣. **تأثر المصنف بما يحدث له شخصياً من فتن وأحداث :**

فيصنف فيها المصنفات كما صنف الإمام البخاري في مسألة اللفظ كتاب **خلق أفعال العباد** وأبدى وأعاد حول هذه القضية في هذا الكتاب وفي صحيحه .

ومن ألف في نفس المسألة الإمام ابن قتيبة في **كتاب الاختلاف في اللفظ** .

ولعل الأمر يصل إلى ما هو أبعد من هذا وذلك أن السلف لما كثرت النزاعات والفتن والقلاقل في عصورهم صنفوا في الفتن كتباً مستقلة مثل:

- **الفتن لنعيم بن حماد.**
- **الفتن لحنبل بن إسحاق .**

---

(١) الرد على المريسي (١/ ٥٢٧).

٤. التنبيه على المواطن التي يحصل فيها التغرير والتلبيس :

وكذلك بيان أساليب أهل البدع المعاصرين للمصنف في التلبيس على الناس وفضح طرقهم حتى لا ينخدع الناس بهم .

يقول الإمام أحمد أثناء رده على الجهمية والزنادقة مشيراً إلى بعض أساليب أهل البدع في خداع الناس حتى يقبلوا باطلهم :

"فإذا سمع الجاهل قولهم يظن أنهم من أشد الناس تعظيماً لله ، ولا يعلم أنهم إنما يعود قولهم إلى ضلالة وكفر ، و لا يشعر أنهم لا يقولون قولهم إلا فرية في الله .." أ.هـ.[1]

وتكثر الأمثلة في كتب الردود لأنها مظنة فضح أهل البدع وبيان باطلهم وهذا يدل على مدى معرفة السلف بالانحرافات المعاصرة لواقعهم .

٥. نص الأئمة على اهتمامهم بما يجد في عصرهم :

وقد نص الأئمة صراحة على اهتمامهم بمتابعة المنحرفين والرد على شبهاتهم وتفنيد مزاعمهم حول بعض القضايا المسلمة في دين الإسلام .

يقول الإمام الدارمي في رده على الجهمية :

"وما ظننا أنا نضطر إلى الاحتجاج على أحدٍ ممن يدعي الإسلام في إثبات العرش والإيمان به حتى ابتلينا بهذه العصابة (يعني الجهمية) الملحدة في آيات الله فشغلونا بالاحتجاج لما لم تختلف الأمم قبلنا ، وإلى الله نشكوا ما أوهت هذه العصابة من عرى الإسلام وإليه نلجأ وبه نستعين "أ.هـ.[2]

وقد أفرد الإمام محمد بن عثمان ابن أبي شيبة كتاباً مستقلاً في إثبات العرش بعنوان: (**العرش وما روي فيه**)، ونص في مقدمته أن السبب في تأليفه الكتاب ما انتشر عن الجهمية إنكارهم للعرش .

ومن خلال هذا النقل نستفيد ما يلي :

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ص١٠٦.

(٢) الرد على الجهمية للدارمي ص٣٢.

أ- أن الأئمة تألموا لما ظهرت البدع وهذا من أعظم الأدلة على اهتمامهم بما حصل في عصورهم .

ب- أن السلف ظهر هذا الاهتمام في حياتهم لدرجة أنها أشغلتهم عن غيرها من الواجبات .

ت- لم يهملوا أي انحراف بل حتى ما يظن أنه معلوم ولا يحتاج إلى تنبيه وحتى لو كان متفقاً عليه بين أهل الأديان كلهم كل هذا لم يمنعهم من التصنيف في هذا الانحراف الذي ظهر بينهم وفي عصرهم.

٦. ظهور الاهتمام لدى السلف بما يجد في عصرهم من خلال معرفة عوامل التدوين :

إن الناظر في عوامل وأسباب التدوين يدرك أن غالب كتب السلف ألفت بناءً على ما كان في عصرهم ولم يكن ترفاً فكرياً ولا جدلاً عقيماً في أمور لم تحدث.

ولهذا كانت غالب كتب السلف بناء على طلب الناس منهم أن يؤلفوا في أمر حصل لهم بسببه اللبس ونحو ذلك ، أو التأليف في الرد على كتاب انتشر أو بدعة ظهرت وانتشرت كما نص على ذلك الأئمة في مقدمات كتبهم .

وعليه فإن السلف لم ينطلقوا في تصنيفهم من خيالات عقلية ولا احتمالات منطقية ولكن من واقع تعيشه الأمة فقدموا لهم منهجاً واضحاً ساروا عليه إلى يومنا هذا .

٧. ربطهم وجه الاستدلال وما يستنبطونه من الأدلة بواقعهم :

ومما ظهر فيه هذا الأمر بجلاء-أعني الاهتمام بما يجد في عصرهم من انحرافات – أنهم أثناء عرض الأدلة الشرعية وبيان وجه الاستنباط يذكرون ما يؤيد هذا الاستنباط من واقعهم وينزلون عليه هذه الأدلة حتى تظهر فائدة هذا النص لديهم بشكل واضح .

ومن الأمثلة على هذا :

الإمام محمد بن نصر في كتابه تعظيم قدر الصلاة :

حيث تكلم عن وجوب اتباع سنة المصطفى ﷺ في كل صغيرة وكبيرة وعدم

التقدم بين يديه بأي رأي أو قول وذكر الآيات الدالات على هذا ثم قال :

"فنهى الله المؤمنين أن يتقدموا بين يدي رسول الله ﷺ ونهاهم أن يرفعوا أصواتهم فوق صوت النبي ﷺ أو يجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض إعظاماً له وإجلالاً فكيف بمن جعل رسول الله ﷺ وغيره في دين الله وأحكامه ملتين **ثم يؤخر حديث رسول الله ﷺ ويقدمه إذا حدث عن رسول الله ﷺ بما لا يوافقه قال** : هذا **منسوخ ، فإذا حدث عنه بما لا يعرفه قال : هذا شاذ.**

فمن رسول الله ﷺ المنسوخ ومنه الناسخ ، ثم من رسول الله ﷺ الشاذ ومنه المعروف، ومن رسول الله ﷺ المتروك ومنه المأخوذ" أ.هـ.[1]

ولا شك أن الإمام محمد بن نصر يرمي ويومي إلى أهل البدع المعاصرين له الذين يردون هذه النصوص الصريحة من رسول الله ﷺ إتباعاً لأهوائهم وشهواتهم وما تمليه عليه عقولهم الفاسدة .

ومما يدل على أنه كان يتحدث عن عصره أنه ذكر ما يحتج به معاصروه من رد السنة فذكر ثلاث أمثلة لذلك ولا يمكن أن تكون غير واقعة خاصة وأنه من خلال أسلوبه رحمه الله تظهر حرقته على السنة وكيف أن أهل البدع لم يرفعوا بها رأساً.

و الأمثلة التي ذكرها عن أهل البدع المعاصرين له :

١-رد السنة بحجة أنها منسوخة وليست كذلك.

٢-رد السنة بحجة أنها شاذة وليست كذلك.

٣- رد السنة بحجة أن الحديث متروك وليس كذلك.

٨. التصنيف في تقرير ما يخالف البدعة والانحراف مما جاء في السنة :

وذلك أن أهل السنة يتخذون طريقة غير ما سبق ذكره بأن يبينوا فساد المعتقد المنتشر بالتصنيف فيما يضاد هذا الرأي .

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٦٦٠).

فمثلاً يصنفون في باب الإيمان على معتقد أهل السنة للرد على المخالفين من المرجـ والخوارج.

ويصنفون في فضائل الصحابة لتقرير عقيدة أهل السنة فيهم ومن خلالها يظهر فساد معتقد الرافضة في صحابة رسول الله ﷺ.

ويصنفون في فضائل آل البيت للرد على النواصب ، الذين يقدحون في آل البيت .

مثال هذا الأمر : الإمام النسائي يصنف في خصائص علي رضي الله عنه للرد على النواصب:

وذلك أن قوماً أنكروا عليه تأليف كتاب (الخصائص لعلي رضي الله عنه) وتركه تصنيف فضائل الشيخين ، فقال :"**دخلت دمشق والمنحرف بها عن علي كثير ، فصنفت كتاب الخصائص ، ورجوت أن يهديهم الله تعالى**".

ثم إنه صنف بعد ذلك فضائل الصحابة [(١)].

وقد قال الإمام الذهبي :"وقد كان النصب مذهباً لأهل دمشق في وقت ، كما كان الرفض مذهباً لهم في وقت ، وهو في دولة بني عبيد ، ثم عدم –ولله الحمد– النصب وبقي الرفض خفيفاً خاملاً"أ.هـ.[(٢)]

وبهذا يتبين لنا جلالة هذا الإمام وحرصه على تغيير ما فسد من عقائد الناس وذلك عن طريق التصنيف في بيان السنة المخالفة لهذه البدعة وفي هذه الطريقة من الفوائد :

١-أن النفوس تتقبلها لأن فيها النص من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

٢-أن هذه الطريقة أسهل وأسرع لأفهام عوام الناس وعدم الخوض في الرد على شبهات المخالفين .

٣-فيها قمع للبدعة وعدم إظهارها وإشهارها ، فالرد عليها صراحةً –في بعض الأوقات– قد يشهرها ويظهرها أكثر مما تستحقه

---

(١) انظر :سير أعلام النبلاء (١٤/ ١٢٩).

(٢) ميزان الاعتدال (١/ ٧٦).

٤-أنها طريقة تجنب العالم من التعرض للأذى وحرمان الناس من علمه، وتقطع ألسنة الوشاة به.

٥-فيها فضح للبدعة وبيان فسادها لأن بيان ما ورد في الكتاب والسنة صريحاً مما يخالف فيه هذه البدعة يطلع الناس على حجم المخالفة التي هم واقعون فيها.

الفصل الثالث

منهجهم في الترتيب والتبويب

ويشتمل على :

التمهيد.

المبحث الأول : دلالة التراجم وعناوين الأبواب على مسائل الاعتقاد

المبحث الثاني :منهجهم في ترتيب الأدلة أثناء عرضها .

المبحث الثالث :الاختلاف في الترتيب والتبويب بين المتقدمين والمتأخرين.

تمهيد:

ونعود مرة أخرى للحديث عن منهج السلف في التبويب والترتيب ولكن في هذه المرة منهجهم في الترتيب والتبويب في كتب السلف المستقلة في الاعتقاد .

ولكن في هذه المرة نلاحظ أن في الترتيب والتبويب في كتب الاعتقاد المستقلة تختلف كثيراً عن التبويب لمسائل الاعتقاد في الجوامع الحديثية ولعلنا نذكر أهم الفروق وهي كالتالي:

١. أن التبويب والترتيب في الجوامع الحديثية فيه تفصيل وترتيب وتبويب أكثر من المصنفات في الاعتقاد استقلالاً لتنوع الموضوعات وكثرتها في الجوامع وكبر حجمها .

٢. أن التبويب قل في كتب الاعتقاد لصغر حجمها ومحدودية موضوعاتها بخلاف الجوامع الحديثية .

٣. أن طبيعة كتب الاعتقاد ومسائلها تختلف عن الجوامع الحديثية ، فالمسائل العقدية لا يوجد فيها مسائل قابلة للاجتهاد والاستنباط واختلاف وجهات النظر بخلاف كتب الجوامع التي فيها مسائل الفقه وغيرها من العلوم التي يكثر فيها الاستنباط والاختلاف في الأحكام المستخرجة من خلال الأدلة .

٤. أن هدف السلف من التأليف في الجوامع الحديثية وجعل أبواب للاعتقاد هو تسهيل الوصول للمعلومة من خلال الموضوع المراد بحثه ، أما في كتب الاعتقاد المستقلة فالوصول لما يريد الباحث سهل خاصة مع صغر حجمها ومحدودية موضوعاتها فلم يحصل فيها توسع في التبويب والترتيب كالجوامع .

وقبل البدء بذكر منهجهم في التبويب والترتيب لنا عدة وقفات نجملها فيما يلي :

الوقفة الأولى :

أن السلف في القرون المتقدمة لم تظهر عنايتهم بالتبويب مثل القرن الثالث وما

بعده .

و هذا لا غرابة فيه لقلة التصنيف في تلك الفترة وقلة الاختلاف في قضايا الاعتقاد فلم تدع الحاجة للتفصيل والتوسع في الترتيب والتبويب.

الوقفة الثانية :

أن أكثر الكتب في القرون الثلاثة الأولى ترتيباً وتبويباً وتوسعاً في هذا الباب هو كتاب الإمام ابن أبي عاصم (السنة)[1] .

الوقفة الثالثة :

أن غالب الأبواب والتراجم تضمنت تقرير المسائل والرد على أهل البدع ولم تقتصر على جانب دون آخر .

فتجد الأئمة يشيرون غالباً في كل باب من أبواب الاعتقاد إلى من خالفهم في هذا الباب من أهل البدع .

الوقفة الرابعة :

أن الترتيب لم يقتصر على الأبواب والتراجم بل حتى إلى الأدلة المندرجة تحت هذه الأبواب والتراجم.

الوقفة الخامسة :

أن الاختلاف في قلة الأبواب وكثرتها يعود إلى عوامل مختلفة ومن أبرزها العامل والدافع من تأليف الكتاب.

فالمؤلف حينما يريد تقرير مسائل باب معين أو مسألة معينة ليس كمن يريد تقرير كل مسائل الاعتقاد فإن التبويب في الأخير سوف يكثر ويزيد عن الأول تبعاً لاختلاف الهدف من التأليف .

ومثله من يؤلف لتقرير المسائل ومن يؤلف للرد على طائفة أو شخص أو كتاب بعينه فإن الأخير سوف يقل عنده التبويب بل قد ينعدم إذا كان على شخص أو كتاب

---

(١) ولهذا سوف تكثر الأمثلة في هذا المبحث من كتاب السنة لابن أبي عاصم .

بعينه لأنه سوف يركز على المسائل لا على الأبواب .

الوقفة السادسة :

أن بعض محققي كتب السلف تصرفوا في الكتاب وجعلوا عناوين في صلب الكتاب ولم يجعلوها كهامش جانبي حتى يظهر للقاريء أن هذا ليس من فعل المصنف وإنما من فعل المحقق .

ومن أبرز الأمثلة على هذا كتاب الإيمان للعدني ، وإن كان المحقق أشار في مقدمة الكتاب لكن لو جعل التبويب جانبي لكان أولى [١] .

الوقفة السابعة :

من المصنفات التي خلت من التبويب والتراجم الرسائل الصغيرة في الاعتقاد التي لخص فيها الأئمة اعتقاداتهم أو تكلموا فيها عن مسائل محددة والسبب في عدم التبويب ظاهر والله أعلم.

---

(١) سيأتي التفصيل إن شاء الله عند سرد المصنفات في الباب الثالث.

المبحث الأول

دلالة التراجم وعناوين الأبواب
على مسائل الاعتقاد

ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول :أنواع التراجم .

المطلب الثاني : دلالة التراجم على المسائل .

تمهيد:

لابد قبل الحديث عن دلالة التراجم على مسائل الاعتقاد أن يسبقها الحديث عن أنواع هذه التراجم حتى تكتمل الصورة عن هذه التراجم وأنواعها .

وكما سبق أن أشرنا سوف نلحظ كثرة الأمثلة من كتاب السنة لابن أبي عاصم وذلك لكبر حجم الكتاب وكثرة تراجمه وأبوابه .

وأيضاً نلحظ أن التفنن في التبويب لم يظهر إلا في القرن الثالث الهجري وذلك لكثرة التصنيف والتبويب في تلك الفترة من قبل أهل السنة وأهل البدع جميعاً .

وسوف نتعرض في هذا المطلب للحديث عن الأمور التالية :

١-الترجمة بلفظ الدليل (آية – حديث – أثر).

٢-التراجم الطويلة .

٣-التراجم المرسلة .

وسوف نتعرض للحديث عن نوع مهم من التراجم في المطلب الذي يليه لصلته القوية به وهي التراجم الاستنباطية والتي لها علاقة بمطلب دلالة التراجم على المسائل.

المطلب الأول : أنواع التراجم

النوع الأول :الترجمة بلفظ الدليل

ونعني بالدليل هنا ما هو أشمل من مجرد الحديث النبوي كما هو المتبادر للذهن ولهذا سوف يحتوي على :

١-الترجمة بلفظ الآية .

٢-الترجمة بلفظ الحديث.

٣-الترجمة بلفظ الأثر .

١- الترجمة بلفظ الآية :

ومما ظهر في مصنفات السلف عنايتهم بالترجمة بلفظ الآية وهذا له عدة دلالات منها :

أ- إشارة السلف العملية على اعتمادهم على الوحيين .

ب- أن منهجهم الذي يقررونه معتمد على كتاب معصوم من الزلل والخطأ وعليه فكل من قرر مسائل الاعتقاد بعيداً عن القرآن فهو معرض للخطأ والزلل أكثر من غيره كما هو حال أهل البدع .

ت- أن المسائل المستنبطة ظاهرة الدلالة فلم يجعلوا لها عنواناً سوى نفس النص المستدل به.

والترجمة بالآية من خلال استقرائي لكتب السلف خلال القرون الثلاثة الأولى لا تخرج عن حالتين :

الحالة الأولى : ما كانت دلالتها ظاهرها حيث يأتي ذكر الآية في النص المدرج تحت الباب المعنون بنص الآية .

وهذه الحالة هي الغالبة والتي يكثر من استخدامها المصنفون.

وعلى هذه الحالة ثلاثة أمثلة :

المثال الأول : ابن أبي عاصم في السنة :

عقد الإمام ابن أبي عاصم باباً بعنوان [١] :﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[الجمعة :٣].

ثم أورد تحتها حديثاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ ونصه:

"إن في أصلاب أصلاب أصلاب رجال رجالاً ونساءً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب ثم قرأ :﴿ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾."أ.هـ[٢].

ويظهر من خلال هذا المثال أن ابن أبي عاصم عنون بالآية وأورد تحتها حديثاً يتضمنها فهو مطابق للحالة الأولى .

المثال الثاني : ابن أبي الدنيا في صفة النار:

عقد الإمام ابن أبي الدنيا باباً في كتابه صفة النار [٣] بعنوان :﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴾[المؤمنون : ١٠٤-١٠٥].

ثم أورد تحت الباب حديثاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ يفسر معنى الآية قال :

" تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه ، وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته " أ.هـ

والحديث مروي عن أبي سعيد الخدري ﷺ[٤].

---

(١) انظر السنة (١/ ٢٢٠) باب رقم (٦٠).

(٢) الحديث أخرجه: ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٢٠) برقم (٣١٨).والطبراني في الكبير (٦/ ٢٤٨)برقم (٦٠٠٥).وابن أبي حاتم في تفسيره (أورده بسنده ابن كثير في التفسير(٨/ ٣٥٢٢).وأورده السيوطي في الدر المنثور(٨/ ١٥٣)وعزاه للطبراني وابن مردويه.وأورده الهيثمي في المجمع (١٠/ ٤٠٨) وقال : إسناده جيد. وصحح إسناده الشيخ الألباني كما في ظلال الجنة ص١٣٤ .

(٣) كتاب صفة النار لابن أبي الدنيا ص٨٠ .

(٤) الحديث أخرجه: ابن أبي الدنيا في صفة النار ص٨٠ برقم (١٠٩) .والترمذي في كتاب صفة جهنم – باب ما جاء في صفة طعام أهل النار برقم (٢٥٨٧).وفي التفسير –سورة المؤمنون برقم (٣١٧٦) وقال في الموضعين :" حسن صحيح" أ.هـ.وابن المبارك في الزهد (في زيادات نعيم بن حماد على رواية المروزي في

ثم أردفه بأثر عن أحد التابعين وجاء فيه:

"قال: لفحتهم لفحةً ما أبقت لحماً على عظم إلا ألقته على أعقابهم " أ.هـ(١).

وجاء بعدة آثار في آيات أخر ثم أورد أثراً عن ابن مسعود بلفظ:

" ﴿وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٤] قال : مثل الرأس النضيج"أ.هـ(٢).

ويظهر أن المؤلف اختار أن يترجم بهذه الآية لكثرة ما ورد حولها من أحاديث وآثار بخلاف ما ورد حول الآيات الأخرى .

المثال الثالث: ابن أبي عاصم في السنة :

عقد الإمام ابن أبي عاصم باباً في كتابه السنة بعنوان:(باب في قوله عليه السلام : ﴿فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٨]).(٣)

وأورد تحتها حديثاً عن أبي هريرة أنه سمع النبي ﷺ يقول :"﴿ فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا﴾ ، قال : اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها ومولاها"أ.هـ(٤).

ويظهر وجه المطابقة بين الترجمة والحديث والدلالة واضحة ظاهرة .

الحالة الثانية : ما كانت الدلالة فيها غير ظاهرة ولا مطابقة لما تحتها من أحاديث وآثار:

=صفة النار) ص٨٤ برقم (٢٩٢).والإمام أحمد في المسند (٣/ ٨٨). وأبونعيم في الحلية (٨/ ١٨٢) قال :" تفرد به أبو شجاع عن أبي السمح"أ.هـ.والحاكم في المستدرك (٢/ ٣٩٥) وقال :" صحيح الإسناد ولم يخرجاه"أ.هـ.والسيوطي في الدر المنثور(٦/ ١١٨) وعزاه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي يعلى وابن مردويه .

(١) أخرجه: ابن أبي الدنيا في صفة النار ص٨٠-٨١برقم (١١٠) وأبونعيم في الحلية (٤/ ٣٦٠).وابن أبي شيبة في المصنف في كتاب ذكر النار (٧/ ٧٢) برقم (٤١١٠٢).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة النار ص٨٢برقم (١١٣).

(٣) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٢٢٧) باب رقم (٦٤).

(٤) الحديث عند ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٢٧) برقم (٣٢٨).وهو عند مسلم في كتاب الذكر والدعاء برقم (٢٧٢٢) من غير الإشارة للآية .

ولعلي اذكر هنا مثالاً واحداً يمكن أن نستشهد به على هذه الحالة وهو:

ما سطره الإمام البخاري في كتابه خلق أفعال العباد:

فقد عقد باباً بعنوان:(باب قول الله عز وجل: ﴿ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾[آل عمران: ٩٣]) [١].

وقد عقد الإمام هذا الباب ليبين فيه ما قرره في أكثر من موضع من كتابه وهو التفريق بين عمل المخلوق وصفة الخالق فالتلاوة فعل العبد وهي مخلوقة و المتلو التوراة والقرآن وهي كلام الله .

وقد أورد تحت هذا الباب آيات وأحاديث ثم علق عليها وقال :

" فبين أن قيامه بالكتاب وهو فعله" أ.هـ[٢] .

وأورد تحتها قوله تعالى :﴿وَافْعَلُوا الْخَيْرَ﴾ [الحج : ٧٧] ثم علق عليها بقوله:

" فأثبت الخير منهم فعلاً" أ.هـ[٣] .

فالبخاري هنا لم تتطابق الترجمة بالآية وما اندرج تحتها وإنما تتطابق الحكم المستخلص منها مع غيرها بمعنى أنه لم يورد أثراً أو خبراً حول الآية التي جعلها عنوان الترجمة والله أعلم .

٢-الترجمة بلفظ الحديث النبوي:

وقد تنوعت طرائق الأئمة بالترجمة بلفظ الحديث تبعاً لتنوع أغراضهم من إيراد الحديث عنواناً للباب .

وكما ذكرنا في الترجمة بالآية من الدلالات يمكن أن يذكر هنا ويمكن أن نضيف ما يلي:

أ-احتجاج المصنف بالحديث أو بما يدل عليه .

---

(١) خلق أفعال العباد ص١٩٥ .

(٢) المصدر السابق ص١٩٦ .

(٣) المصدر السابق ص١٩٧ .

ب-الإشارة إلى ألفاظ وروايات أخرى في الباب لم يذكرها المصنف في كتابه إما لضعفها أو طلباً للاختصار.

ج-الإشارة إلى موضع الشاهد من الحديث الذي يدل على الحكم المستنبط .

وقد نوع الأئمة في مصنفاتهم طريقة عرض الترجمة بالحديث تبعاً لتعدد الأغراض من إيراد الحديث وهي كالتالي:

الحالة الأولى : أن تكون الترجمة بلفظ حديث في الباب:

وهذه هي الغالب على مصنفات السلف والتي يعنون بها الباب وهي الأصل في هذا الباب للإشارة إلى وضوح وظهور دلالة الحديث على المراد .

ولعل أكثر الأئمة استخداماً لهذا النوع من التراجم هو الإمام ابن أبي عاصم في كتابه السنة ولا أعلم أحداً في القرون الثلاثة الأولى أكثر من هذه الطريقة سواه .

والأمثلة على هذه الحالة كثيرة منها:

المثال الأول : ابن أبي عاصم في السنة :

عقد الإمام ابن أبي عاصم باباً في كتاب السنة بعنوان: (**باب ذكر قول النبي عليه السلام:عليكم هدياً قاصداً**) [(١)].

وأورد تحته حديثاً مرفوعاً إلى النبي ﷺ قال:

"عليكم هدياً قاصداً ، فإنه من يُغالب هذا الدين يغلبه " [(٢)].

فذكر المؤلف طرفاً من الحديث بلفظه واقتصر عليه لأنه موضع الشاهد الذي يريد.

---

(١) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٩٦) باب رقم (٢٣).

(٢) الحديث أخرجه: ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٩٦) برقم(٩٩) (١٠٠) (١٠١).وأحمد في المسند(٤/ ٤٢٢) و(٥/ ٣٦١)و(٥/ ٣٥٠).والطيالسي في مسنده ص١٠٩ برقم ٨٠٩.ووكيع في الزهد (٢/ ٤٩٣)برقم(٢٣٥).والحاكم في المستدرك (١/ ٣١٢).والخطيب في تاريخه (٨/ ٩١).والطحاوي في مشكل الآثار (٣/ ٢٦٢)برقم (١٢٣٥).والبيهقي في السنن الكبرى (٣/ ١٨).

والحديث صححه الحاكم ووافقه الذهبي.وقال الشيخ الألباني في ظلال الجنة(ص٤٦برقم (٩٥)):"إسناده صحيح ورجاله ثقات" أ.هـ.

المثال الثاني: ابن أبي عاصم في السنة أيضاً:

عقد باباً في كتابه السنة بعنوان : (**باب قوله ﷺ :إن الرجل إذا رضي هدي الرجل وعمله فإنه مثله**)[١].

ثم أورد تحته الحديث عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :" إن الرجل إذا رضي هدي الرجل وعمله فهو مثله "[٢].

فالمطابقة بين العنوان والحديث واضحة .

والأمثلة كثيرة في كتاب السنة لابن أبي عاصم وانظر على سبيل المثال :

(السنة ١/ ٤٥-١٣٤-١٤٣-٢٢١) وغيرها كثير.

الحالة الثانية: الترجمة بالمعنى المفهوم من الحديث:

وهذه تختلف عما قبلها بأن يذكر المعنى المستخلص والمفهوم من الحديث ثم يورد الحديث بنصه وغالباً يهدف من وراء هذه الطريقة أن يحقق أمرين:

الأول :الاختصار والإشارة إلى الحديث إشارة عابرة.

الثانية : ذكر الحكم المستخلص من الحديث والفائدة من إيراده.

ومن الأمثلة على هذه الطريقة عند ابن أبي عاصم في السنة ما يلي:

عقد الإمام ابن أبي عاصم باباً بعنوان : (**قوله عليه السلام : الاستعاذة من الأهواء**)[٣].

ثم أورد تحتها حديثاً عن النبي ﷺ إن كان يدعو بهؤلاء الدعوات :" اللهم جنبني منكرات الأخلاق والأهواء والأدواء" أ.هـ[٤].

---

(١) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٤٣)باب رقم (٣).

(٢) الحديث أخرجه: ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٤٣)برقم (١١) (١٢).والطبراني في الكبير (١٧/ ٣٣٤) برقم (٩٢٢).وأورده الهيثمي في المجمع (٨/ ٩٠-٩١) وقا ل:" فيه عبدالوهاب بن الضحاك وهو متروك"أ.هـ.

(٣) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٤٤) باب رقم(٤)

(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٤٤) برقم (١٣).والترمذي في الدعوات –باب دعاء أم

فالمؤلف هنا أجمل المعنى في قوله (الاستعاذة من الأهواء) ولاشك أن هذا ليس بلفظ الحديث بل هو المعنى المفهوم من الحديث والذي من أجله أورد هذا الحديث في هذا الموضع.

الحالة الثالثة : الترجمة بالإشارة إلى موضوعات عدد من الأحاديث:

وقد يذكر المؤلف في ترجمة الحديث عدداً من الموضوعات التي وردت فيها بعض الأحاديث ولاشك أن هذا فيه من الاختصار والإجمال في عرض موضوعات الكتاب وهو من أغراض المصنفين في بعض المواضع .

ومن الأمثلة على هذه الحالة :

الإمام ابن أبي عاصم في السنة :

حيث عقد باباً بعنوان : (**باب ذكر قول النبي ﷺ الشقي من شقي في بطن أمه ، والطبع والجبل على الخير**)[1].

فالمؤلف أشار إلى موضوعين :

الأول : ما يقدر على الإنسان وهو في بطن أمه.

الثاني : وهو ما يجبل عليه الإنسان ويكون من طبعه الذي خلق عليه.

وأورد تحت هذا الباب عدداً من الأحاديث وهي :

الأول : حديث ابن مسعود المشهور **حديث النطفة** [2].

وهذا يوافق نص الترجمة من حيث المعنى.

=سلمة(٥/ ٥٣٦)باب رقم (١٢٧)حديث رقم(٣٥٩١) والحاكم في المستدرك(١/ ٥٣٢) وصححه ووافقه الذهبي.والطبراني في الكبير (١٩/١٩) برقم (٣٦).وابن حبان كما في الاحسان (٣/ ٢٤٠) برقم (٩٦٠).وصححه الشيخ الألباني كما في ظلال الجنة ص١٢.

(١) السنة لابن أبي عاصم (١/ ١٤٣) باب رقم(٣٣).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٤٣) برقم (١٨١).

وهو في الصحيحين كما في البخاري كتاب القدر – باب(١) برقم (٦٥٩٤) وفي التوحيد –باب قول الله تعالى: ﴿ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين﴾ برقم (٧٤٥٤).وفي مسلم في كتاب القدر برقم (٢٦٤٣)

الثاني : حديث عن ابن مسعود أيضاً موقوفاً ولفظه :

" الشقي من شقي في بطن أمه والسعيد من وعظ بغيره "[١].

وهذا لفظه مطابق للترجمة ومعناه متفق مع الحديث الأول.

الثالث: حديث :الأشج " إن فيك لخلتين يحبهما الله عز وجل" قال : قلت : وما هما ؟ قال :" الحلم والحياء "قال : قلت : قديماً كانتا فيَّ أم حديثاً ؟ قال :" قديماً" قال : الحمد لله الذي جبلني على خلتين يحبهما الله عز وجل" أ.هـ[٢].

ومن خلال الحديث يظهر مطابقة الحديث لموضوع الترجمة وهو قوله (الجبل) حيث قال في الحديث (جبلني على خلتين) .

فالمؤلف أورد هذا الحديث تحت الباب لاتفاقهما في الموضوع العام وهو ما يجبل عليه الإنسان من الخير.

الرابع :حديث عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : "إذا اشترى أحدكم خادماً فليأخذ بناصيته وليقل : اللهم إني أسألك من خيره ، وخير ما جبلته عليه"أ.هـ[٣].

ومن خلال هذا الحديث يظهر مطابقة الترجمة لموضوع الحديث وهو ما يجبل عليه الإنسان من الخير كما في قوله في الحديث:**(وخير ما جبلته عليه)**.

---

(١) أخرجه ابن أبي عاصم موقوفاً في السنة (١/ ١٤٥)برقم (١٨٣) ومرفوعاً برقم (١٨٤). وفي مسلم في القدر برقم (٢٦٤٥).وورد مرفوعا لكن فيه مقال كما في ظلال الجنة للشيخ الألباني ص٧٩.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٥٢)برقم (١٩٦) والحديث أصله في صحيح مسلم في الإيمان برقم (٢٥).

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٥٣) برقم (١٩٧).و الحديث بهذا السند ضعيف كما في ظلال الجنة (١/ ٧١) ولكن له شاهد من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص أخرجه: أبوداود(٢/ ٢٤٨) في النكاح باب برقم (٢١٦٠).وابن ماجه (١/ ٣٥٣) في النكاح باب ما يقول الرجل إذا دخلت عليه أهله برقم (١٩٢٥) .والحاكم في المستدرك (٢/ ١٨٥) وصححه .والبخاري في خلق أفعال العباد ص ٦٥ برقم (١٩٩).وابن السني في عمل اليوم والليلة ص١٧٤برقم (٦٠٠).والنسائي في عمل اليوم والليلة .والبيهقي في السنن الكبرى(٧/ ١٤٨) كتاب النكاح –باب ما يقول إذا نكح امرأة ودخل عليها .
الحديث حسنه الألباني كما في صحيح ابن ماجه(١/ ٣٢٥)

الخامس:الحديث عن أبي بن كعب ﷺ عن النبي ﷺ قال : " الغلام الذي قتله الخضر طبع كافراً" أ.هـ [(١)].

ففي هذا الحديث مطابقة لموضوع الترجمة الذي هو بعنوان (**والطبع والجبل**) فلفظة (**طبع كافراً**) موافقة لما قصده المؤلف في الترجمة وأن الإنسان قد يطبع على الخير أو الشر.

الحالة الرابعة : الترجمة بحديث ليس في الباب بنفس اللفظ :

والمراد أن المؤلف قد يترجم للباب بلفظ أو معنى حديث ليس في الباب إما لأنه ليس على شرطه كما يصنع الإمام البخاري في بعض المواضع وقد تقدم الكلام على طريقته في الباب الأول من هذا البحث.

أو لأنه ضعيف لا يحتج به أصلاً لكن يوجد في الباب أحاديث صحيحة تدل على نفس المعنى.

أو يكون صحيحاً ولكن لا يورد اللفظة التي أشار إليها اكتفاءً بالترجمة ويورد لفظاً آخر حتى تكثر الفائدة ، ويطلع القاريء على أكثر من لفظ .

ومن الأمثلة على هذه الطريقة :

الإمام ابن أبي عاصم في السنة :

فقد عقد باباً بعنوان : (**باب ذكر قول النبي ﷺ عليه سألت ربي ثلاثاً**) [(٢)].

وأورد في الباب الرواية بلفظ لا يوجد فيها هذه المقدمة وإن كانت صحيحة .

ولكن رحمه الله أشار إلى هذا اللفظ حتى لا يظن أنه لم يطلع عليه ولم يورده ولهذا بين للقاريء أنه اختار هذا اللفظ للترجمة واللفظ الآخر كحديث الباب.

و أورد شواهد أخرى صحيحة عن عدد من الصحابة ولكن لم يذكر ألفاظها.

---

(١)أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٥٥) برقم (٢٠٠).وأصله في صحيح مسلم في حديث طويل في كتاب الفضائل برقم (٢٣٨٠)ومما جاء فيه (**وأما الغلام فطبع يوم طبع كافراً**).

(٢) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٢٠٨) باب رقم (٥٤).

فالحديث الذي في الباب عن ثوبان.[(١)]

والحديث الذي أشار إليه وأورد اللفظ الآخر له حديث في صحيح مسلم رحمه الله عن سعد بن أبي وقاص.[(٢)]

فاختيار المؤلف يدل على علمه بالروايات والألفاظ ولم تأت هكذا من غير قصد كما يظن بعض الناس.

٣-الترجمة بلفظ أثر غير مرفوع:

ومما ظهر في مصنفات السلف أن يترجموا للباب بلفظ أثر عن صحابي أو تابعي لما في هذه اللفظة من دلالة أو لما فيها من صراحة فيما يريد المؤلف إيراده من موضوعات .

والترجمة بالأثر تكون على طريقتين :

الطريقة الأولى : الترجمة بلفظ أثر مع ورود لفظ حديث بنحو لفظ الأثر :

وهذه الطريقة يراد منها الإشارة إلى غير المرفوع مع ما في المأثور من دلالة قد لا تكون صريحة في المرفوعة لكنها مفهومة من معنى الحديث .

ومن الأمثلة على هذه الطريقة :

ابن وضاح في: ماجاء في البدع:

فقد عقد باباً بعنوان : (**باب كل محدثة بدعة**)[(٣)]:

وأورد تحتها أحاديث وآثار غير مرفوعة ولكن بهذا اللفظ لم يورد إلا آثاراً غير مرفوعة .

لكنه أورد أثراً عن عمر بلفظ :(وإن كل محدثة بدعة)[(٤)] وعن ابن مسعود بلفظ: (وكل محدثة بدعة)[(٥)].

---

(١) أخرجه المصنف في السنة (١/ ٢٠٨) برقم (٢٩٤).وهو عند مسلم في الفتن برقم (٢٨٨٩).

(٢) صحيح مسلم كتاب الفتن برقم (٢٨٩٠).

(٣) ماجاء في البدع لابن وضاح ص ٦١.

(٤) أثر عمر رضي الله عنه أخرجه غير ابن وضاح : ابن نصر في السنة ص ٢٨ برقم (٧٥).وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٦١٥) برقم(١٠٥٤).وهو صحيح الإسناد.

(٥) أثر ابن مسعود أخرجه غير ابن وضاح : ابن نصر في السنة ص ٢٨برقم (٧٧).والبخاري في خلق أفعال العباد مختصراً ص٣٢برقم (٩٧).والطيالسي في مسنده ص ٤٨برقم(٣٦٧).

ويظهر من خلال هذا أن الباب جاء موافقاً للفظ الأثر وليس للفظ الحديث المرفوع .

ليبين أن كل محدثة بدعة فالشيء الذي لا أصل له فهو مبتدع وقد جاءت الأحاديث والآثار بوصفه بالضلالة .

ولكن جاء بلفظ الباب مرفوعاً عند غير ابن وضاح كما في النسائي وأبي داود وغيرهما [(١)] .

فغرض المؤلف أن يبين صفة البدعة ثم يورد ما ورد فيها من ذم فالوصف البين أنها محدثة أي لا أصل ولا مستند لها من الشرع .

الطريقة الثانية : الترجمة بلفظ أثر ولا علاقة له بالمرفوع:

وهذا غالباً إذا كان من قول من هم بعد الصحابة كالتابعين وتابعيهم .

ويؤتى بكلامهم لما فيه من الفائدة والحكمة المستنبطة من مجمل النصوص وخاصة إذا كان فيه رد على أهل البدع .

ومن أحسن ما يمكن أن يمثل به لهذه الطريقة :

عبد الله بن أحمد في كتابه السنة :

فقد عقد باباً في كتابه السنة بعنوان: (**من زعم أن الله عز وجل لا يتكلم فهو يعبد الأصنام**) [(٢)] .

و أورد أقوالاً عن السلف في بيان خبث قول من قال بخلق القرآن ونفى صفة الكلام عن الله.

واختار من ألفاظ هذه الآثار ما فيه دلالة واستنباط وفيه فضح لحقيقة وخطورة مذهب النفاة وقد كان هذا اللفظ لأحد السلف من المحدثين وهو :

---

(١) انظر:أبو داود برقم (٤٦٠٧) ، والنسائي في العيدين –باب كيف الخطبة (٣/ ١٨٨).

(٢) السنة لعبدالله بن أحمد (١/ ١٧٢).

هارون بن معروف [(١)] حيث قال :" من زعم أن الله لا يتكلم فهو يعبد الأصنام "أ.هـ [(٢)].

ومن خلال نقل الأثر يظهر التطابق بين الأثر ولفظ الترجمة .

النوع الثاني : التراجم الطويلة

ومن التراجم التي ظهرت في مصنفات السلف الطول في التراجم وقد تعددت أغراضهم وأهدافهم من وراء هذا الطول ويمكن أن نجمل أنواع التراجم الطويلة فيما يلي :

١ -ما كانت بلفظ حديث كامل :

ولعل من أسباب الطول في بعض التراجم هو أن المؤلف يورد نص الحديث كاملاً ضمن الترجمة فيطول عنوان الترجمة .

ومن الأمثلة على هذا النوع:

المثال الأول : ابن أبي عاصم في السنة :

فقد عقد باباً بعنوان : (**باب : إن القلوب بين إصبعين من أصابع الرحمن ما شاء الله أقامه منها وما شاء أن يزيغه أزاغه**)[(٣)].

وأورد تحت هذا الباب أحاديث متقاربة الألفاظ تؤدي نفس معنى الحديث بل بلفظه إلا قليلاً .

المثال الثاني: ابن أبي عاصم في السنة أيضاً:

عقد باباً في كتابه السنة بعنوان : (**باب قوله ﷺ :إن الرجل إذا رضي هدي الرجل وعمله فإنه مثله**)[(٤)].ثم أورد تحته الحديث عن عقبة بن عامر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :" إن الرجل إذا رضي هدي الرجل وعمله فهو مثله" [(٥)].

---

(١) هارون بن معروف بن المروزي ، أبو علي الخزاز الضرير نزيل بغداد ثقة ثبت حدث عن سفيان بن عيينة وابن وهب وغيرهما وعنه مسلم وأحمد بن حنبل .توفي سنة ٢٣١هـ وعمره ٧٤سنة .

انظر : التقريب ص١٠١٥ برقم (٧٢٩١) ، سيرأعلام النبلاء (١١/ ١٢٩)، تاريخ بغداد (١٤/ ١٤).

(٢) المصدر السابق برقم (٢٠٩).

(٣) السنة لابن أبي عاصم (١/ ١٧٣) باب برقم (٤٠).

(٤) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٤٣)باب رقم (٣).

(٥) تقدم تخريج الحديث والكلام عليه .

ويظهر أن السبب في إيراد الحديث كاملاً عدم إمكانية اختصار الحديث لاختلال المعنى بحذف أو اختصار أي كلمة فيه .

ولا شك أن الترجمة إذا طالت من أجل هذا الغرض لا تكون عيباً على المصنف بل مما يمدح به .

٢- ما كان فيه إشارة إلى ألفاظ ومعاني أكثر من حديث:

وقد يضطر المؤلف إلى الإشارة إلى مواضيع أو بعض الألفاظ التي أوردها ضمن هذا الباب

ويمكن أن يكون شبيهاً بمن يضمن أكثر من ترجمة في باب واحد .

وإليك هذه الأمثلة الثلاثة وكلها من كتاب السنة لابن أبي عاصم :

المثال الأول :عقد المصنف باباً بعنوان :

(ذكر قول النبيﷺ: تركتكم على مثل البيضاء ، وتحذيره إياهم أن يغيروا عما يتركهم عليه ، وأمره بسنته وسنة الخلفاء الراشدين بعده)[1] .

فالترجمة اشتملت على ثلاث جمل :

الأولى : تركتكم على مثل البيضاء.

الثانية : التحذير من التغيير وإحداث ما لم يشرعه الله أو ترك ما أمروا به من السنة.

الثالثة : التمسك بسنة النبي ﷺ وسنة الخلفاء الراشدين بعده رضي الله عنهم .

فهذه الترجمة المطولة اشتملت على هذه الوصايا الثلاث والتي جاءت في أحاديث متفرقة فحاول إجمال مافيها وليبين غرضه من إيراد هذه الأحاديث هو هذه الأمور الثلاثة التي عنون بها الباب ؛ لأن الأحاديث جاءت مشتملة على أكثر من هذه الوصايا فأحب أن يظهر الفائدة التي يرمي إليها من إيراد هذه الأحاديث ويبرزها لمن يقرأ الكتاب.

وقد جاء لكل جملة بما يوافقها من الأحاديث :

---

(١) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٦٦) باب رقم (١٥).

فالجملة الأولى : (تركتكم على البيضاء):

فقد أورد تحتها عدداً من الأحاديث التي فيها الإشارة إلى أن الرسول ﷺ قد ترك الأمة بعد أن أوضح لها طريق النجاة وأصبح من شدة وضوحه كالبياض .

ولهذا فالمصنف ذكر جملة من الأحاديث التي فيها لفظة **(بيضاء)** ليشير بها إلى تطابق اللفظ والمعنى بين الترجمة والأحاديث .

ومن هذه الأحاديث ما يلي:

الحديث الأول:

عن أبي الدرداء قال : "خرج رسول الله ﷺ علينا فقال : **" أيم الله لأتركنكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها سواء"أ.هـ**[(١)] .

ووجه المطابقة ظاهرة .

الحديث الثاني :

عن العرباض بن سارية ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ **:" لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك "أ.هـ**[(٢)] .

---

(١) الحديث أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٦٦) برقم (٤٧).وابن ماجه(١/ ٥) في المقدمة -باب اتباع سنة رسول الله ﷺ برقم (٤).وقد أورده الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٦٨٨) وقال :"هذا إسناد حسن ورجاله كلهم ثقات "أ.هـ.

(٢) الحديث أخرجه: ابن إبي عاصم في السنة (١/ ٦٦)برقم (٤٨)و(٤٩).و(١/ ٥٤-٥٦)بالرقم (من ٢٦-٣٤).والحديث مشهور ومروي من طرق عديدة عن العرباض وقد أخرجه كل من :الترمذي (٥/ ٤٣)كتاب العلم -باب ما جاء في الأخذ بالسنة واجتناب البدع برقم(٢٦٧٦) .وأبوداود(٤/ ٢٠٠) كتاب السنة -باب في لزوم السنة برقم (٤٦٠٧).وابن ماجه (١/ ١٠) في المقدمة -باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين برقم (٣٤، ٣٥) .والإمام أحمد (٤/ ١٢٦-١٢٧).والدارمي (١/ ٢٢٨) المقدمة -باب اتباع السنة برقم (٩٦) ط. حسين سليم أسد .والحاكم في المستدرك(١/ ٩٦-٩٧) وقال هذا إسنادٌ صحيحٌ على شرطهما ولا أعرف له علة ووافقه الذهبي.والبيهقي في السنن الكبرى في كتاب آداب القاضي -باب ما يقضي به القاضي ويفتي به المفتي (١٠/ ١١٤).والطبري في التفسير (١٠/ ١١١، ١١٢). وابن حبان كما في الإحسان المقدمة-باب ذكر صفة الفرقة الناجية (١/ ١٧٨) برقم (٥).ومحمد بن نصر في السنة ص٢٦برقم (٦٩).والآجري في الشريعة (١/ ٤٠٠) برقم(٨٦) .واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٧٥) برقم (٨٠، ٨١).وابن بطة في الإبانة باب ما أمر به من التمسك من السنة والجماعة (١/ ٣٠٥)برقم(١٤٢) ت:رضا نعسان.

والحديث جاء فيه لفظة (البيضاء) وهو مطابق للترجمة .

الحديث الثالث:

عن جابر بن عبد الله ﷺ:" أن عمر بن الخطاب ﷺ أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض الكتب قال : فغضب ، وقال:" أمتهوكون فيها يا ابن الخطاب ؟ والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية "أ.هـ[1].

والشاهد :أنه قال (**بيضاء نقية**) فوافقت لفظة الترجمة .

والجملة الثانية : قوله (**تحذيره إياهم أن يغيروا عما يتركهم عليه**)

وهذه الجملة مستفادة من عدة أحاديث :

الحديث الأول :

حديث العرباض السابق ومما جاء فيه: (لا يزيغ عنها إلا هالك).

وهذه فيها عاقبة وذم من زاغ عن وصية الرسول ﷺ ولم يتمسك بما أمر به وهو كذلك نوع من التحذير عن أن يغير الإنسان ما أمر به .

الحديث الثاني:

حديث عبد الله بن عمرو ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :" لكل عمل شره ولكل

= وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٢٢٠) ،(١٠/ ١١٥).والطحاوي في مشكل الآثار (٣/ ٢٢٢) برقم (١١٨٦) والبغوي في شرح السنة (١/ ٢٠٥)

وصححه جمع من أهل العلم منهم:الترمذي والحاكم وابن حبان وقد تقدم .وصححه الحافظ أبو نعيم وقال :"هو حديث جيد من صحيح حديث الشاميين "أ.هـ انظر :جامع العلوم والحكم (٢/ ١٠٩) ط.الأرناؤوط.وصححه الألباني كما في ظلال الجنة ص٢٧ .

(١) أخرجه: ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٦٧) برقم (٥٠).وأحمد في المسند(٣/ ٣٨٧).وابن عبدالبر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٨٠٥) برقم (١٤٩٧).والدارمي في المقدمة –باب ما يتقى من تفسير حديث رسول الله ﷺ (١/ ٤٠٣)برقم (٤٤٩) ت: أسد.وعبدالرزاق في المصنف (٦/ ١١٣)كتاب أهل الكتاب- باب مسألة أهل الكتاب.والهروي في ذم الكلام (٣/ ٩٩-١٠٠)برقم (٥٩٤).والذهبي في السير(١٣/ ٣٢٤).

والحديث حسنه الالباني بشواهده كما في ظلال الجنة ص٢٧وانظر كلاماً مطولاً حوله في الإرواء(٦/ ٣٤-٣٨)برقم (١٥٨٩).

شره فترة ، فمن كانت فترته إلى سنتي فقد اهتدى ، ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك"أ.هـ[(١)] .

والشاهد الموافق للجملة في الترجمة قوله **(ومن كانت فترته إلى غير ذلك فقد هلك)** لأنه غير وبدل ولم يلتزم بما أوصاه به الرسول الكريم من التمسك بالسنة والمحافظة عليها وعدم الإحداث في الدين ما لم يأذن به الله .

الحديث الثالث:

حديث عائشة المشهور قالت : قال رسول الله ﷺ :"من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو مردود"أ.هـ[(٢)] .

والرابط بين هذا الحديث ولفظة الباب هو التحذير من التغيير بعد موت النبي ﷺ ، و أن من عمل عملاً ليس عليه أمر النبي ﷺ وصحابته فهو من أعظم المغيرين والتاركين لهديه ﷺ.

الجملة الثالثة :قوله (وأمره بسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده):

وهذه الجملة مأخوذة من لفظ حديث مرفوع عن النبي ﷺ ومما جاء فيه :

" فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء من بعدي الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ ..." أ.هـ.

وهو نفسه حديث العرباض بن سارية المتقدم ذكره ووجه المطابقة ظاهرة بين الباب والحديث.

المثال الثاني : ابن أبي عاصم أيضاً :

عقد الإمام ابن أبي عاصم باباً طويلاً بعنوان :

---

(١) أخرجه: ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٦٨)برقم (٥١).وأحمد في المسند (٢/ ٢١٠،١٨٨،١٥٨) وبنحوه (٢/ ١٦٥) والطحاوي في مشكل الآثار(٣/ ٢٦٦)برقم(١٢٣٧،١٢٣٦).وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان لابن بلبان(١/ ١٨٧)برقم (١١).والحديث صحيح على شرط الشيخين كما في ظلال الجنة ص٢٨.

(٢) الحديث أخرجه: ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٦٩) برقم (٥٢).
وهو في صحيح مسلم – كتاب الأقضية برقم (١٧١٨).

" باب فيما أخبر به النبي -عليه السلام - أن أمته ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة ، وذمه الفرق كلها إلا واحدة ، وذكر قوله عليه السلام : إن قوماً سيركبون سنن من كان قبلهم "أ.هـ[١] .

ففي هذا الباب إشارة إلى ثلاثة أمور :

الأمر الأول : الإشارة إلى حديث الافتراق المشهور.

الثاني : ذم الفرق كلها إلا أهل السنة والجماعة .

وهذان الأمران تضمنهما حديث الافتراق .

الأمر الثالث: وهو حديث آخر في الباب ومما جاء فيه أن هذه الأمة ستتبع بعضها سنن الكفار من اليهود والنصارى ولو دخلوا جحر ضب لدخلوه .

المثال الثالث: ابن أبي عاصم أيضاً:

عقد الإمام ابن أبي عاصم باباً بعنوان :

"باب : ما ذكر عن النبي ﷺ أنه قال في خطبته : لا مضل لمن هديت ، ولا هادي لمن أضللت ، وقوله في الصلاة على الميت : لا تحرمنا أجره ولا تضلنا بعده"أ.هـ[٢] .

ولا شك أن في الباب طولاً واضحاً وقد أتى به ليستدل على أن الهداية والإضلال بيد الله عز وجل وأشار هنا إلى حديثين في هذه الترجمة :

الأول : حديث خطبة الحاجة المشهور [٣] .

وهذا الحديث قد تقدمت الإشارة إليه .

الثاني :حديث الدعاء للميت فالمراد به :

ما جاء عن أبي هريرة ﷺ:" أن النبي ﷺ كان إذا صلى على جنازة قال :" اللهم لا

(١) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٧٥) باب رقم (٢٠).

(٢) المصدر السابق (١/ ١٩٣) باب رقم (٤٩).

(٣) تقدمت الإشارة إلى أنه مروي عن جابر وهوعند مسلم في الجمعة برقم (٨٦٧) والمؤلف ساقه هنا عن ابن مسعود وهو حديث صحيح مروي في السنن .

تحرمنا أجره، ولا تفتنا بعده "أ.هـ [1].

٣- الترجمة المشتملة على موضوعات متعددة :

وقد يضطر الإمام أن يلخص موضوعات الباب عموماً من خلال ترجمة الباب فتطول الترجمة .

وهذه الطريقة كثرة عند المتأخرين كابن خزيمة وابن حبان وغيرهما وهي نادرة عند المتقدمين .

ولا يوجد مثال على هذه الترجمة إلا ما يوجد عند **الإمام الدارمي** :

فقد عقد الإمام الدارمي باباً بعنوان طويل ونصه :

" باب الحث على طلب الحديث ، والرد على من زعم أنه لم يكتب على عهد النبي ﷺ الحديث ، والذب عن أصحاب النبي وأصحاب الحديث وأهل السنة وفضلهم على غيرهم "أ.هـ [2].

ومن خلال هذه الترجمة يمكن أن نستخلص موضوعات الباب المندرجة تحت الترجمة وهي على سبيل الإجمال ما يلي :

١-الحث على طلب الحديث .

٢-الرد على من زعم أن الحديث لم يكتب على عهد النبي ﷺ.

٣-الدفاع عن أصحاب النبي ﷺ.

٤-الدفاع عن أهل السنة وخاصة أهل الحديث منهم .

٥-بيان فضل أهل الحديث وأهل السنة على غيرهم من الطوائف.

ولاشك أن هذه الترجمة أشارة إلى موضوعات كبيرة ومهمة وقد بسط المؤلف

---

(١) والحديث أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ١٩٥) برقم (٢٦٧).ومالك في الموطأ(١/ ٤٠١)برقم (١٠١٦) كتاب الجنائز -باب ما يقول المصلي على الجنازة رواية أبي مصعب ت: بشار عواد. وابن حبان كما في الإحسان (٧/ ٣٤٢)برقم (٣٠٧٣).وأورده الهيثمي في المجمع (٣/ ٣٣) وقال:" رواه ابن أبي يعلى ورجاله رجال الصحيح"أ.هـ.وقال الألباني : إسناده حسن كما في ظلال الجنة ص١١٥ .

(٢) الرد على بشر المريسي للدارمي (٢/ ٥٩٩).

الكلام حولها بما لا مزيد عليه .

وقبل أن نختم الكلام عن التراجم الطويلة لابد أن ننبه: أن هذه التراجم الطويلة خلاف الأصل وأن الأصل هو الاختصار والقصر في الترجمة .

النوع الثالث: التراجم المرسلة

ونعني بها التراجم التي لم يجعل لها عنوان فيقول المصنف (باب) ولا يذكر عقبها شيء .

وقد تقدمت الإشارة إلى طرفٍ منها ضمن طريقة السلف في الترتيب والتبويب لمسائل الاعتقاد من خلال الجوامع الحديثية .

وقبل الحديث عن هذه الطريقة لابد أن أشير إلى عدة أمور :

أولاً : لم أجد أحداً استخدم هذه الطريقة سوى الإمام ابن أبي عاصم .

ثانياً : أن الأنواع التي سوف أذكرها لم أجد أحداً نص عليها لأن كتاب ابن أبي عاصم لم يتصدى أحد له بالشرح وبيان مقاصده كما فعل مع الإمام البخاري في الصحيح .

ثالثاً : أن ما سوف أذكره قابل للنقاش لأن المؤلف لم يفصح عن مراده ولم يجعل للكتاب مقدمة يبين فيها منهجه .

- **أنواع التراجم المرسلة :**

وقد تنوعت طرائقهم في عرض التراجم المرسلة على النحو الآتي :

١ -أن تكون الترجمة المرسلة باباً تابعاً للباب الذي قبله :

وهذا النوع هو الغالب على الأبواب المرسلة في كتاب السنة لابن أبي عاصم ومن الأمثلة ما يلي :

المثال الأول :

عقد الإمام ابن أبي عاصم باباً بعنوان : (**باب ما يجب أن يكون هوى المرء تبعاً لما جاء به النبي ﷺ**)[١] .

---

(١) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٤٥) باب رقم (٦).

ثم أردفه بباب وترجمة مرسلة وأورد تحتها الحديث الذي رواه عدد من الصحابة ومما جاء فيه قال :" كنا جلوساً عند النبي ﷺ فخط خطاً هكذا أمامه فقال : "هذا سبيل الله عز وجل "وخط خطاً عن يمينه وخط خطاً عن شماله وقال :" هذه سبل الشيطان" ثم وضع يده في الخط الأوسط ثم تلا هذه الآية :﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام :١٥٣] "أ.هـ[(١)].

ووجه مطابقة الترجمة المرسلة للباب الذي قبله ظاهره حيث دل الحديث على وجوب اتباع سبيل الله وهو التمسك بما ورد عن الله وعن رسوله واجتناب سبل الشيطان ومن ضمنها اتباع الهوى ومخالفة هدي سيد المرسلين .

فأصبح الباب المرسل تابع في الموضوع للباب قبله.

المثال الثاني :

عقد الإمام ابن أبي عاصم باباً بعنوان : (**باب ما ذكر عن النبي ﷺ من أمره بلزوم الجماعة وإخباره أن يد الله على الجماعة**)[(٢)].

وذكر تحته الأدلة التي تطابق مراد الترجمة ثم أردف هذا الباب بباب مرسل وأدرج تحته الحديث المرفوع :" الجماعة رحمة والفرقة عذاب "[(٣)].

---

(١) الحديث أخرجه: ابن أبي عاصم (١/ ٤٧) برقم (١٦-١٩)عن جابر وابن مسعود والنواس بن سمعان بألفاظ متقاربة . وأحمد في المسند عن ابن مسعود (١/ ٤٦٥،٤٣٥) وعن جابر (١/ ٣٩٧). والطيالسي عن ابن مسعود ص٣٣برقم (٢٤٤).والدارمي في المقدمة -باب في كراهية الأخذ بالرأي (١/ ٢٨٥) برقم (٢٠٨) ط.أسد. وابن وضاح في ما جاء في البدع ص٧٣برقم (٧٥). والمروزي في السنة ص٩-١٠ برقم (١١،١٢). وابن حبان كما في الإحسان (١/ ١٨٠)برقم (٦-٧).والحاكم في المستدرك(٢/ ٣١٨) وقال : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.وغيرهم كثير والحديث صحيح لا غبار عليه .

فقد صححه الألباني في ظلال الجنة ص١٣ فقال :"إسناده حسن ورجاله كلهم ثقات رجال الشيخين غير عاصم وهو ابن أبي النجود وهو حسن الحديث "أ.هـ.

(٢) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٨٦) باب رقم (٢١).

(٣) الحديث أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٩٤) برقم (٩٣) .وأحمد في المسند(٤/ ٢٧٨،٣٧٥). وأورده الهيثمي في المجمع (٥/ ٢١٧-٢١٨) وقال : " رواه عبدالله بن أحمد والبزار والطبراني ورجالهم ثقات " أ.هـ وقال الألباني في ظلال الجنة ص٤٥ :" إسناده حسن ورجاله ثقات وفي أبي وكيع واسمه الجراح بن مليح كلام يسير "أ.هـ

فظهر من خلال الحديث بجلاء أن هذا الباب المرسل يتحدث عن الجماعة وفضل ملازمتها والباب قبله كان عن نفس الموضوع فظهر أنه كالتابع للباب قبله والله أعلم .

والأمثلة على هذا النوع كثيرة في كتاب السنة لابن أبي عاصم [(١)].

٢-إذا كان الباب الأصلي يحوي المرفوع يكون المرسل فيه الآثار عن الصحابة ومن بعدهم :

ومن أنواع التراجم المرسلة أن تخصص الترجمة المرسلة للإشارة لغير المرفوع من الآثار وتكون الرئيسية للمرفوع .

ومثالها أن الإمام ابن أبي عاصم عقد باباً بعنوان: (**باب ما يطبع المؤمن عليه**)[(٢)] وأورد تحته من المرفوع ما يدل عليه .

ثم أردفه بباب مرسل وذكر فيه أثراً غير مرفوع بمعنى حديث مرفوع يؤيد نفس معنى الطبع الذي أشار إليه في الترجمة السابقة .

٣-أن يفرد باباً مرسلاً لأجل حديثٍ طويل يشتمل على أحكام عديدة :

وقد يكون تابعاً للباب قبله وقد لا يكون .

فمثلاً الإمام ابن أبي عاصم عقد أبواباً في الرؤية [(٣)] ثم خصص باباً مستقلاً مرسلاً حول حديث طويل عن أبي هريرة يثبت فيه الرؤية وفيه زيادة أنه يثبت الرؤية للمؤمنين في الموقف والحساب [(٤)].

٤-إفراد باب مرسل لحديث أو أثر غير مشهور تابع للباب قبله :

فالمؤلف قد يفرد باباً مستقلاً مرسلاً لينبه ويشير إلى أن هذا الحديث لعدم شهرته أفردناه بباب مستقل مع أن موضوعه تابع للباب قبله .

---

(١) انظر: السنة (١/ ٥٨-٦١-٦٢-١٠٠) وهذه أمثلة للتراجم المرسلة التي سيقت لنفس الغرض الذي ذكرناه هنا.

(٢) السنة لابن أبي عاصم (١/ ١٠٨) باب برقم (٢٧).

(٣) انظر : ابن أبي عاصم (١/ ٣٠٢-٣٣١)الأبواب من (٩٤-١٠٢).

(٤) ابن أبي عاصم (١/ ٣٣٢) برقم (٤٨٥).

فمثلاً عقد ابن أبي عاصم باباً حول نزول الرب جل وعلا [١] ثم أردفه بباب مرسل [٢] وأورد تحته الحديث عن ابن عباس موقوفاً عليه بلفظ :

"إن الله تعالى ليمهل في شهر رمضان كل ليلة حتى إذا ذهب ثلث الليل الأول هبط إلى السماء ثم قال : هل من سائل يعطى ، هل من مستغفر يغفر له ، هل من تائبٍ يتاب عليه " أ.هـ[٣] .

و الأثر واضح أنه في الموضوع تابع لما قبله وهو إثبات نزول الرب في الثلث الأخير من الليل أما التخصيص برمضان فهذا لم يرد إلا في هذا الأثر ولهذا لما كانت هذه الزيادة غير مشهورة في كتب السنة أفرد لها باباً مستقلاً .

٥-عقد بابٍ مرسل قبل الباب الرئيس كالتوطئة والتقدمة له :

ولعل من الأغراض لعقد بابٍ مرسل أن يكون مقدمة ومدخلاً للباب الأصلي .

فمثلاً الإمام ابن أبي عاصم لما أراد أن يعقد باباً عن إثبات صفة الكلام للرب جل وعلا [٤] قدم بين يديه بباب مرسل [٥] فيه إشارة إلى فضل موسى كليم الرحمن وفيه أيضاً إشارة إلى تكليم الله له .

فقد عقد باباً مرسلاً وأورد تحته الحديث الصحيح المشهور :

عن أبي هريرة ﷺ قال :" أُرسل ملك الموت إلى موسى -عليهما السلام- فلما جاءه لطمه ففقأ عينه ، فرجع إلى ربه -تبارك وتعالى -فقال : أرسلتني إلى عبد لا يريد الموت . قال: فرد الله تعالى إليه عينه ، فقال :ارجع إليه فقل له : فليضع يده على متن ثور ، فله بما

---

(١) السنة (١/ ٣٤٦) باب رقم (١٠٧).

(٢) السنة (١/ ٣٥٧) باب رقم (١٠٩).

(٣) الأثر أخرجه: ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٥٧) برقم (٥٢٥).والدارمي في الرد على الجهمية ص ٧٩. برقم (١٣٤).واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٤٤٩) برقم (٧٦٦).وقال الشيخ الألباني في ظلال الجنةص٢٢٤ :"إسناده صحيح "أ.هـ.والحديث في [illegible] مسلم مرفوعاً من غير زيادة شهر رمضان

(٤) السنة (١/ ٤١٢) باب رقم (١٣٧).

(٥) السنة (١/ ٤١١)باب رقم (١٣٦).

عطته يده ، كل شعرة سنة .فقال : أي رب ثم ماذا ؟ قال : ثم الموت . قال : رب فالآن ، فسأل الله تعالى أن يدنيه من الأرض المقدسة رمية بحجر ، قال رسول الله ﷺ :" لو كنت ثَمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق إلى جنب الكثيب الأحمر "أ.هـ[1].

---

(١) الحديث أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٤١١)برقم (٦١٢).
والحديث في الصحيحين: كما في البخاري كتاب الجنائز-باب برقم (١٣٣٩)وفي الأنبياء -باب وفاة موسى برقم (٣٤٠٧). وفي مسلم في كتاب الفضائل برقم (٢٣٧٢).

المطلب الثاني : دلالة التراجم على المسائل

وهذا المطلب هو لب وأساس هذا المبحث والمطلب الذي قبله كالتوطئة والتقدمة له .

وقد تنوعت التراجم في دلالتها على المسائل على أنواع متعددة يمكن أن نجملها فيما يلي:

أ- مطابقة الترجمة لما احتوته من أدلة ومسائل:

وهذه أظهر أنواع التراجم وهي الغالبة بمعنى أن تكون الترجمة مطابقة ومعبرة عما اندرج تحتها من أدلة ومسائل عقدية .

والأمثلة في هذا المعنى كثيرة ولعلنا نقتصر على هذا المثال :

مثال هذا النوع : ابن أبي الدنيا في صفة النار:

لقد برزت لدى ابن أبي الدنيا هذه الطريقة بوضوح وجلاء وإليك بعض هذه المواضع :

الموضع الأول : باب مقامع أهل النار وسلاسلها وأغلالها (١) .

وأدرج تحت هذا الموضع كل ما يتعلق به من أحاديث وآثار وآيات حول المقامع والسلاسل والأغلال .

الموضع الثاني :باب صفة جهنم وسعتها (٢) .

وأورد تحت هذا الموضع ما جاء في الأحاديث وتفسير السلف للآيات التي توضح صفة جهنم وسعتها ومما أورده هنا الحديث الصحيح عن أبي هريرة ﷺ قال :

"كنا عند رسول الله ﷺ فسمعنا وجبة فقال النبي ﷺ :" هل تدرون ما هذا؟" قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال:" هذا حجر أرسل في جهنم منذ سبعين خريفاً انتهى في قعر جهنم " (٣) .

---

(١) صفة النار لابن أبي الدنيا ص٤٩.

(٢) المصدر السابق ص٢٢.

(٣) الحديث أخرجه: ابن أبي الدنيا في صفة النار ص٢٣برقم (١٣).ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها برقم (٢٨٤٤).

الموضع الثالث: جبال النار وأوديتها [١] .

و أورد تحتها كل ما يختص بذكر الجبال والأودية في النار مما ورد في القرآن والحديث وآثار السلف.

ب- دلالة التراجم على مضمون الكتاب :

والمقصود أن الأئمة قد يترجمون بترجمة تبين للقاريء موضوع الكتاب كاملاً وليس هذا الباب بخصوصه أو تبين موضوعه العام .

ولعل من أبرز الأمثلة التي يمكن أن يمثل بها ها هنا :

الإمام أحمد في كتابه الرد على الجهمية والزنادقة :

فقد عقد أول باب في كتابه بعد المقدمة ليبين موضوع الكتاب الأصلي فقال :

(باب بيان ما ضلت فيه الزنادقة من متشابه القرآن)[٢] .

ومن خلال هذه الترجمة تستطيع أن تخرج بعدة أمور :

١ -أن الحديث سوف يكون عن الزنادقة أعداء الدين .

٢ -أن هؤلاء الزنادقة قد ضلوا في أبواب الدين وخاصة ما يخص كتاب الله .

٣ -أنه سوف يبين هذا الضلال ويرد عليه وهو نوع من البيان الذي أخذه الله على أهل العلم وأوجب عليهم أن يصدعوا به .

٤ -أن الكلام سوف يدور حول الآيات القرآنية .

٥ -أن هؤلاء الضلال يتبعون المتشابه من القرآن .

ت- الترجمة بذكر خلاصة الحكم المستنبط:

وهذا النوع من التراجم يسهل على القاريء معرفة رأي المؤلف والقول الذي يريد أن يصل إليه ويقرره من خلال كتابه .

ولعل من أبرز الأمثلة التي توضح هذا النوع :

---

(١) صفة النار لابن أبي الدنيا ص٣٥.

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة ص٨٦.

ما سطره الإمام محمد بن نصر المروزي في كتابه : **تعظيم قدر الصلاة** :

وهذا الكتاب مخصص حول موضوعين رئسين :

١- الصلاة وفضلها ومنزلتها من الدين .

٢- أحكام ومسائل الإيمان والرد على المخالفين في هذا الباب.

وقد عقد باباً بعنوان:

(باب ذكر الأخبار المفسرة بأن الإيمان ، والإسلام تصديق وخضوع بالقلب ، واللسان ، وعمل بسائر الجوارح وتصديق لما في القلب)[1] .

فالمصنف هنا ذكر الخلاصة التي سوف يخرج بها القارئ من قراءة ما أورده من أحاديث وآثار وهذه الخلاصة تشمل ما يلي :

١-أنه لا فرق بين الإسلام والإيمان -عنده- والمسألة فيها خلاف بين أهل السنة.

٢-تقريره المذهب الصحيح في الإيمان وأنه يشمل الأمور الثلاثة التي أشار إليها وهي التصديق بالقلب والقول باللسان والعمل بالجوارح.

٣- مواطأة وتصديق الجوارح واللسان لما في القلب .

وقد أطال في هذا الباب من ذكر روايات حديث جبريل المشهور وعقد فصلاً خاصاً بتفسيره وذكر ما يدل عليه من مسائل الإيمان والإسلام [2] .

ث- الترجمة بوجه الاستنباط من الدليل:

ومن طرقهم في الترجمة أنهم قد يذكرون من خلال عنوان الترجمة وجه الاستنباط من الأدلة التي سوف يوردونها .

و هذه الطريقة تستخدم لإبراز وجه الاستدلال وذلك لإشهاره وحتى يطلع عليه القاري ولو لم يقرأ في ثنايا الكتاب ولكن لو قرأ عنوان الترجمة لفهم المراد ووجه الاستنباط.

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٦٧).

(٢) المصدر السابق (١/ ٣٩٢).

ومن الأمثلة الواضحة في هذا :

الإمام البخاري في خلق أفعال العباد:

ولا عجب فهو الذي حاز قصب السبق في التفنن في عرض التراجم وقد تقدم طرف منها في بيان منهجه في تراجمه من خلال جامعه الصحيح في الباب الأول .

و قد عقد الإمام باباً في كتابه خلق أفعال العباد بعنوان:

(باب ما كان النبي ﷺ يستعيذ بكلمات الله لا بكلام غيره). [(١)]

وأدرج تحتها الأحاديث الواردة عن النبي ﷺ أنه كان يستعيذ بكلمات الله .

ولو كانت مخلوقة كما يزعم أهل البدع لما استعاذ بها لأنه لا يستعاذ بالمخلوق والقرآن من كلام الله .

وقد بين مراده بعبارة واضحة فقال :

" وفي هذا دليل أن كلام الله غير مخلوق وأن سواه مخلوق " أ.هـ[(٢)].

ج- الترجمة بصيغة الاستفهام :

وذلك بغرض شحذ الذهن ليتطلع لمعرفة الجواب أو لغيرها من الأسباب مثل التنبيه على بعض الفوائد التي قد تغيب عن الذهن وغيرها.

وقد تقدم معنا أن السلف قد استخدموا هذه الطريقة في مصنفاتهم وجوامعهم الحديثية بكثرة .

الأمثلة على هذه الطريقة :

المثال الأول : المروزي في كتابه السنة :

عقد الإمام محمد بن نصر في كتابه السنة باباً بعنوان :

(ذكر السنة على كم تتصرف)[(٣)].

وذكر تحت هذه الترجمة ما فيه جواب شافٍ وكافٍ لهذا السؤال ومجمل كلامه

---

(١) خلق أفعال العباد ص ١٤٣ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) السنة ص٣٥.

كالتالي :

أنواع السنة من حيث الوجوب من عدمه [(١)] فقال :

١-سنة أجمعوا على وجوبها .

٢- سنة أجمعوا على أنها نافلة غير واجبة .

٣-سنة اختلفوا فيها ما بين قائلٍ بوجوبها وقائل بعدم وجوبها.

أنواع السنة التي اجتمعوا على أنها تتصرف على وجهين :

الأول : عمل .

الثانية : إيمان .

ثم التي هي عمل تتصرف على عدة أوجه :

١-سنة اجتمعوا على أنها تفسير لما افترضه الله مجملاً في كتابه فلم يفسره وجعل تفسيره وبيانه إلى رسول الله ﷺ.

٢-سنة اختلفوا فيها فقال بعضهم : هي ناسخة لبعض أحكام القرآن وقال بعضهم : لا بل هي مبينة في خاص القرآن وعامة وليست ناسخة لأن السنة لا تنسخ القرآن .

٣-سنة اجتمعوا على أنها زيادة على ما حكم الله به في كتابه ، وسنة هي زيادة من النبي ﷺ ليس لها أصل في الكتاب إلا جملة الأمر بطاعة النبي ﷺ والتسليم لحكمه وقضائه ، والانتهاء عما نهى عنه .

ثم بعد ذلك قام بشرح كل قسم و قال :

" وسأفسر من كل نوع من هذه الأنواع ما يستدل به أهل الفهم على ما وراءه إن شاء الله "أ.هـ[(٢)].

المثال الثاني : محمد بن وضاح في ما جاء في البدع :

عقد الإمام محمد بن وضاح في كتابه ما جاء في البدع باباً بعنوان:

---

(١) المصدر السابق بتصرف واختصار.

(٢) السنة للمروزي ص٣٥.

(باب هل لصاحب بدعة توبة ؟) [(١)].

مراد المؤلف أن صاحب البدعة قد لايوفق للتوبة ، لإصراره على اعتقاده ، وأما التوبة فهي مقبولة من كل أحد إذا وجدت شروطها المعروفة.

واستدل بكلام للسلف صريح وذكر بعض الأدلة التي يمكن أن يستنبط منها هذا الحكم منها :

-حديث "يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ثم لا يرجعون إليه حتى يرجع السهم إلى فوقه " [(٢)].

فقوله ﷺ:(ثم لا يرجعون إليه) موضع الشاهد والحديث صريح في الخوارج وهم من أهل البدع فهم لا يرجعون غالباً.

والمؤلف قصد بهذا الباب ذكر بعض مساويء البدع ومنها بل من أعظمها: أن صاحب البدعة غالباً لا يرجع إلى الحق، لأنه يراها ديناً ويستحسنها .

ومن الأحاديث التي أوردها المؤلف كذلك :

-الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال:" إن الله حجز التوبة عن كل صاحب بدعة "أ.هـ[(٣)].

ولاشك أن هذا الحديث نص في الموضوع ولا يحتاج إلى بيان وهو جواب عن السؤال الذي طرحه في الترجمة.

---

(١) البدع لابن وضاح ص١١٧.

(٢) الحديث في صحيح البخاري وقد تقدم بيانه في أكثر من موضع في الرسالة .

(٣) الحديث أخرجه: ابن وضاح في البدع ص١١٩ برقم (١٥٧).وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٥٩)برقم (٣٧).وأبو الشيخ في طبقات المحدثين بأصبهان (٣/ ٦٠٩-٦١٠)حديث رقم (٧٥٣) عند ترجمة أبي جعفر أحمد بن عيسى بن ماهان الرازي ط.بتحقيق عبدالغفور البلوشي ط.مؤسسة الرسالة ط.الأولى ١٤١٢هـ. والهروي في ذم الكلام (٤/ ١٧٨-١٧٩)برقم (٩٦٠).وابن عدي في الكامل (٦/ ٢٥٧)عند ترجمة محمد بن عبدالرحمن القشيري.وأورده الهيثمي في المجمع (١٠/ ١٨٩) وقال:" رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح غير هارون بن موسى الفروي وهو ثقة " أ.هـ.وأورده المنذري في الترغيب (١/ ١٠٧) برقم (٨٣) في باب الترهيب من ترك السنة وارتكاب البدع والأهواء وقال :" رواه الطبراني وإسناده حسن" أ.هـ.

المبحث الثاني

منهجهم في ترتيب الأدلة أثناء عرضها

تمهيد:

لم يقتصر جهد السلف على ترتيب الأبواب والتراجم بل تعداه إلى ترتيب الأدلة أثناء عرضها داخل المصنفات التي صنفت في الاعتقاد.

وأيضاً فإن ترتيب الأدلة سابق على ترتيب الأبواب والتراجم ؛ لأننا وجدنا بعض الذين لم يبوبوا كتبهم رتبوا الأدلة ترتيباً موضوعياً وقد تقدم مثل هذا في الجوامع الحديثية وأظهر مثال على هذا الإمام مسلم في صحيحه وإن لم يبوب لكن الشُّراح الذين بوبوا الأحاديث لم يجدوا عناءً في التبويب ولم يتصرفوا في ترتيب الكتاب لأن الإمام قد كفاهم المؤونة وإن لم يفصح بالتبويب في كتابه .

وقل مثل هذا في بعض المصنفات العقدية المستقلة مثل الإيمان للعدني ولابن أبي شيبة .

والأئمة كذلك لما بوبوا الكتاب وجعلوا له تراجم لم يتركوا الأحاديث والآيات والآثار دون ترتيب بل رتبوها ترتيباً دقيقاً وظهر منهجهم في الترتيب للأدلة واضحاً كما سوف يأتي.

منهج الأئمة في ترتيب الأدلة أثناء عرضها

ويمكن أن نجمل منهجهم في ترتيب الأدلة كالتالي:

أولاً: الأصل تقديم الآيات ثم الأحاديث ثم الآثار:

هذا هو الأصل في مصنفات السلف أثناء عرض الأدلة لتقرير المسائل العقدية .

وقد يتركون هذا الأصل لفائدة تحصل أو مصلحة تتحقق من وراء الإخلال بهذا الترتيب وسوف تظهر من خلال عرضنا لمنهجهم في الفقرات القادمة .

الأمثلة على هذا الأصل :

وقد كثرت الأمثلة على الأصل ولا غرابة لأن الأصل هو السائد وغير الأصل هو النادر .

والأمثلة على سبيل الإجمال ما يلي :

المثال الأول : ابن أبي شيبة في العرش:

الإمام محمد بن عثمان ابن أبي شيبة صنف كتاباً خاصاً حول العرش و ما ورد فيه والأصل أنه كتاب مختص بالسنن والآثار ومع ذلك لم يخله من ذكر الآيات الدالة على إثبات العرش واستواء الله عليه .

والتزم المنهج الأصيل وهو تقديم الآيات على الأحاديث والآثار.

فقد بدأ بذكر الآيات القرآنية وهي كالتالي:

-قوله تعالى:﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾[هود : ٧].

-قوله تعالى:﴿ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ [فصلت :١١].

-قوله تعالى :﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ ﴾[الحديد : ٤].

-قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] .

ثم ذكر ما يدل على علوه سبحانه وارتفاعه على خلقه فأورد:

-قوله تعالى:﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة : ٥].

-قوله تعالى:﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾[فاطر : ١٠].

-قوله تعالى:﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ [آل عمران : ٥٥].

-قوله تعالى:﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ﴾[النساء : ١٥٨].

ثم بعد ذلك بدأ بسرد الأحاديث والآثار إلى نهاية الكتاب والتزم بهذا الترتيب في سر الأدلة في كتابه رحمه الله .

المثال الثاني :ابن نصر في تعظيم قدر الصلاة :

من الأمور التي استدل لها الإمام محمد بن نصر المروزي في كتابه القيم تعظيم قدر الصلاة أن الطاعات والأعمال كلها من الإيمان والدين.

وقد بدأ في سرد الأدلة مستخدماً المنهج الأصيل وهو البدء بالآيات القرآنية والتعليق عليها وبيان وجه الاستنباط منها ثم يذكر الأحاديث والآثار المروية في هذا الباب.

فقد قال رحمه الله : " ووصف الله عز وجل المؤمنين بالأعمال ثم ألزمهم حقيقة الإيمان ووصفهم بها بعد قيامهم بالأعمال من الصلاة والزكاة وغيرها فقال : ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾[الأنفال : ٢] ثم قال: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ [الأنفال : ٤]، فوصفهم بحقيقة الإيمان بعد قيامهم بالأعمال التي ذكرها" أ.هـ.[١]

ثم علق على الآيات تعليقاً مطولاً ثم قال مبينا منهجه في ترتيب الأدلة :

" قد ذكرنا ما حضرنا من الآيات المنزلات الدالات على أن الصلاة والزكاة وسائر الطاعات كلها إيمان وإسلام ودين لله عز وجل وأمسكنا عن كثير منها اختصاراً وكراهة للتطويل واستغنينا بما ذكرناه عما لم نذكره **ثم نبتدي الآن بذكر الأخبار المروية عن المصطفى رسول رب العالمين الدالة على مثل مما دل عليه كتاب الله** "أ.هـ[٢].

ثم سرد ما ورد في السنة من الأحاديث والآثار ملتزما هذا المنهج الذي ذكرناه في ترتيب وعرض الأدلة .

المثال الثالث:الإمام الدارمي في رده على بشر المريسي:

ومن القضايا التي أثارها المريسي نفي صفة اليدين عن الله عز وجل وقد تصدى له هذا الإمام بالرد والإبطال على شبهاته مستخدماً نفس المنهج الذي ذكرنا في عرض

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٥٦-٣٥٧).

(٢) المصدر السابق (١/ ٣٦٣).

الأدلة فقد بدأ في الرد بذكر الآيات ثم السنن ثم الآثار .

وقد أفصح رحمه الله عن هذا المنهج فقال :

"فقد كفانا الله ورسوله مؤنة تفسيرك هذا بالناطق من كتابه وبما أخبر الله على لسان نبيه ﷺ ، فأما الناطق من كتابه:

فقوله:﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾[ص : ٧٥].

وقوله :﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [المائدة : ٦٤].

وقوله :﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الفتح : ١٠].

وقوله :﴿بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ﴾ [آل عمران : ٢٦].

وقوله :﴿وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ ﴾[الحديد : ٢٩].

وقوله :﴿تَبَـٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾[الملك : ١].

وقوله : ﴿ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[الحجرات :١].....إلى أن قال : وأما المأثور من قول رسول الله ﷺ فقوله ﷺ:" إن المقسطين على منابر من نور عن يمين الرحمن وكلتا يديه يمين" (١) ...."أ.هـ(٢) .

ثم بعد سرده للمرفوع من الروايات ذكر المأثور عن الصحابة ومن بعدهم (٣) ملتزما هذا المنهج في ترتيب الأدلة -رحمه الله -.

ثانياً : تقديم المرفوع من الأحاديث على الآثار :

ولم يقتصر السلف في الترتيب على تقديم الآيات على ما ورد في السنة بل ما ورد في السنة كان لهم ترتيب خاص أيضاً فهم يقدمون المرفوع على الآثار من الموقوفات والمقطوعات ونحوها .

ولعلي أذكر هنا مثالاً واقتصر عليه لوضوح هذا الأمر والمثال هو:

(١) الحديث أخرجه مسلم في كتاب الإمارة برقم (١٨٢٧).

(٢) الرد على المريسي للدارمي (١/ ٢٤٣-٢٤٤)بتصرف يسير.

(٣) انظر: المصدر السابق (١/ ٢٦١)وما بعدها .

المروزي في تعظيم قدر الصلاة :

عقد الإمام محمد بن نصر المروزي باباً بعنوان:

(باب ذكر النهي عن قتل المصلين وإباحة قتل من لم يصل)(١) .

وأورد تحته المرفوع من الأحاديث ثم أردفها بما ورد عن الصحابة ملتزماً هذا المنهج في ترتيب الأدلة أثناء عرضها .

فأورد مثلاً الحديث عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : " إنها ستكون عليكم أئمة تعرفون منهم وتنكرون فمن أنكر فقد برئ ومن كره فقد سلم ولكن من رضي وتابع "قالوا: يا رسول الله أفلا نقتلهم ؟ قال : " لا ما صلوا " أ.هـ(٢) .

وأورد غير هذا الحديث وهي كثيرة ثم بعد ذلك أردفها بما ورد عن الصحابة فأورد مثلاً ما ورد عن أبي العالية قال :" كان أبو بكر ﷺ إذا بعث جيشاً إلى أهل الردة قال : اجلسوا قريباً منهم فإن سمعتم أذاناً إلى طلوع الشمس وإلا فأغيروا عليهم " أ.هـ(٣) .

ثم بعد ذلك عقب مصرحاً بالتزامه هذا المنهج في ترتيب الأدلة أثناء عرضها فقال :

" ثم ذكرنا الأخبار المروية عن النبي ﷺ في إكفار تاركها وإخراجه إياه من الملة وإباحة قتال من امتنع من إقامتها **ثم جاءنا عن الصحابة رضي الله عنهم مثل ذلك ولم يجئنا عن أحد منهم خلاف ذلك** " أ.هـ(٤) .

ثالثاً : تقديمهم الآثار على المرفوع من الحديث :

الأصل أن يقدم الحديث المرفوع على الآثار كما تقدم ، وقد يخالف المصنفون هذه القاعدة ويقدمون الآثار على المرفوع لمصلحة أو فائدة .

ويمكن أن نرجع هذا الصنيع إلى ثلاث حالات رئيسية مستنبطة من مصنفات

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٩٠٧).

(٢) الحديث أخرجه:المروزي في تعظيم قدرالصلاة (/ ٩٠٧) برقم (٩٤٩).و مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة برقم (١٨٥٤).

(٣)هذا الأثر أخرجه : المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٩٢٣)برقم (٩٧٣).

(٤) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٩٢٥).

السلف خلال القرون الثلاثة الأولى وهي كالتالي :

أ-الحالة الأولى :تقديمهم الأثر على المرفوع لكونه أصرح في الدلالة على المراد:

وتكون مطابقته للترجمة أظهر من الحديث المرفوع ولهذا أمثلة من أبرزها:

صنيع الإمام ابن وضاح في كتابه البدع :

حيث عقد باباً بعنوان : **(باب تغيير البدع)**[1].

ثم أورد تحته مباشرة أثراً عن أبي إدريس الخولاني أنه كان يقول:

"لأن أسمع بناحية المسجد بنار تحترق أحب إلي من أن أسمع فيه ببدعة ليس لها مغير، وما أحدثت الأمة في دينها بدعة إلا رفع الله عنهم بها سنة " أ.هـ[2].

ثم أورد بعده بأثرين حديثاً مرفوعا إلى النبي ﷺ عن الحكم بن عمير الثمالي [3] قال : قال النبي ﷺ :" الأمر المُفْظِع [4] والحِمْل المُضْلِع [5] والشر الذي لا ينقطع إظهار البدع " أ.هـ[6].

فالمصنف من شدة حرصه على تقديم ما هو أصرح في المراد قدم الأثر على المرفوع .

ولعل له عذراً آخر وهو أن الحديث لم يثبت عن النبي ﷺ.

ففي الأثر النص صريح في بيان مراد المؤلف ومطابق للترجمة حيث جاء في الأثر

---

(١) ماجاء في البدع ص٨٣.

(٢) الأثر :أخرجه ابن وضاح في ما جاء في البدع ص٨٣برقم (٨٧).وورد بمعنى الأثر عن ابن عمر كما في السنة لابن نصر ص٢٩برقم (٨١).

(٣) **الحكم بن عمير الثمالي** : ممن شهد بدراً وقد روي عنه مناكير .انظر : الإصابة (١/ ٣٤٧)، الاستيعاب لابن عبدالبر(بهامش الإصابة(١/ ٣١٩)).

(٤) المفظع: قال التيمي في الحجة(١/ ٢٩٤) بعد إيراده الحديث:"قال أهل اللغة أفظع الأمر وفظع اشتد وأمر فظع وفظيع أي شديد"أ.هـ.

(٥) المضلع: قال التيمي كذلك :"والمضلع المثقل"أ.هـ.

(٦) الحديث أخرجه ابن وضاح في البدع ص٨٤برقم (٨٩).وأخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٥٩)برقم (٣٦).والطبراني في الكبير (٣/ ٤٢٧).وابن بطة في الإبانة (١/ ١٩٢)برقم (٢٧)ت:نعسان.والتيمي في الحجة في بيان المحجة (١/ ٢٩٤)برقم (١٥٦).وأورده الهيثمي في المجمع (١/ ١٨٨) وقال : "فيه بقية بن الوليد وهو ضعيف"أ.هـ.وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (٧٥٦) "ضعيف جداً"أ.هـ.

قوله: "ليس لها مغير" وعنوان الترجمة (**تغيير البدع**).

والمرفوع لم يأت فيه النص على التغيير في كتاب المؤلف بل جاء ذم إظهار البدع .

فظهر من خلال هذا العرض أن سبب تقديم الأثر على المرفوع في الترتيب أثناء عرض الأدلة لكونه أصرح في المراد .

ويكفي ما ذكرنا ولا داعي لذكر أمثلة أخرى .

ب- الحالة الثانية :تقديمهم الأثر على المرفوع لبيان وجه الاستنباط مما سيرد من النصوص المرفوعة:

ومن الأسباب في تقديم الأثر على الحديث المرفوع في بعض الأحيان :أن الأثر فيه التصريح بوجه الاستنباط من الدليل وهنا تظهر أهميته ووجه تقديمه على المرفوع .

ولا يمكن أن يستفاد من النص إذا لم يعرف وجه الاستنباط منه .

و المصنفون يذكرون الأثر المحتوي على بيان وجه الاستنباط من باب التأدب مع السلف وأن كلامهم أولى أن يقدم ويذكر من كلام غيرهم من المتأخرين كالمصنف مثلاً ونحوه.

ولعل من أبرز الأمثلة على هذا :

الإمام البخاري في خلق أفعال العباد:

عقد باباً بعنوان : (**باب ما كان النبي ﷺ يستعيذ بكلمات الله لا بكلام غيره**)[(١)].

ثم أورد بعده مباشرة الأثر عن نعيم بن حماد حيث قال :

" لا يستعاذ بالمخلوق وبكلام العباد والجن والإنس والملائكة " أ.هـ[(٢)].

ثم أورد بعدها الأحاديث المرفوعة التي فيها استعاذة النبي ﷺ **بكلمات الله** في بعض المواطن.

ومن أبرز وأشهر هذه المواطن :

---

(١) خلق أفعال العباد ص ١٤٣ .

(٢) أورده البخاري في خلق أفعال العباد ص١٤٣ ولم يذكر له سنداً.

ما جاء في صحيح مسلم عن خولة بنت حكيم –رضي الله عنها – قالت : كان رسول الله ﷺ يقول :" من نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك "أ.هـ[١].

فظهر من خلال هذا المثال فائدة تقديم المصنف للأثر على الأحاديث المرفوعة ؛ وذلك أن القاريء فهم مراد المصنف من إيراد هذه الأحاديث من خلال نقله لكلام نعيم بن حماد في بداية الباب.

وثمة فائدة أخرى وهي تابعة للحالة الأولى وهي مطابقة لفظ حماد للفظ الباب فهو أصرح في مراد المؤلف من لفظ الحديث المرفوع .

ج–الحالة الثالثة : تقديمهم الآثار على الأحاديث المرفوعة لصلتها بتفسير الآيات:

تقدم معنا أن الأصل في مصنفات السلف تقديم الآيات ثم الأحاديث ثم الآثار .

وعند سردهم للآيات في بعض المواضع يضطرون لذكر ما ورد عن السلف من آثار في تفسير الآيات لأن هذا الموضع هو الأليق بها وليس تأخيرها حتى يفهم معنى الآية على الوجه الصحيح.

ومن الأمثلة على هذه الحالة :

الإمام المروزي في كتابه السنة :

عقد الإمام محمد بن نصر في كتابه السنة باباً بعنوان :

(ذكر الوجه الثاني من السنن التي اختلفوا فيها : أهي ناسخة لبعض أحكام القرآن أم هي مبينة عن خصوصها وعمومها)[٢].

ثم أورد تحتها الخلاف بين أهل العلم في هذه المسألة وذكر من الأدلة الواضحة التي تبين استقلال السنة عن القرآن وأنها قد تنسخ ما ورد بعض أحكام القرآن .

ثم ذكر بعض الأدلة التي تدل على استقلال السنة وأنها حجة لوحدها ومنها ما

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في خلق أفعال العباد ص١٤٣-١٤٤ برقم (٤٤١).وهو عند مسلم في كتاب الذكر والدعاء برقم (٢٧٠٨).

(٢) السنة لابن نصر ص ٦٩.

جاء في السنة من أحكام لا توجد في القرآن.

ومن الأمثلة على ذلك المحرمات من النساء سرد الآية وتفسير السلف لها ثم ذكر ما ورد في السنة من المحرمات مما لم يذكر في القرآن .

قال –رحمه الله -:"وقال الله عز وجل :﴿ وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ . . .﴾الآية [النساء : ٢٢-٢٣].

ثم أورد أثرين في تفسير الآية عن ابن عباس وعمرو بن سالم مولى الأنصار [١] قال : "حرم الله من النساء سبعاً ومن الصهر سبعاً " أ.هـ[٢].

ثم قال ابن نصر معقباً:

"فحرَّم الله عز وجل في الآية الجمع بين الأختين ، لم يحرم الجمع بين أمرأتين غيرهما ثم قال :﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ﴾ فحرمت السنة الجمع بين المرأة وعمتها وبينها وبين خالتها.

ثم أورد بسنده الحديث الصحيح المتفق على صحته عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :" لا يجمع الرجل بين المرأة وعمتها ، و لا بين المرأة وخالتها "أ.هـ[٣].

ثم أورد عدة طرق وروايات حول هذا الحديث ثم قال:

" وحرَّم في الآية امرأتين من الرضاعة فقط : الأم والأخت لم يحرم غيرهما من الرضاعة : ﴿ وَأُحِلَّ لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ﴾ فصار اللازم في الحكم على ظاهر الكتاب وعمومه أن يكون ما وراء ما حرم في الآية من النساء محللات النكاح بقوله:﴿ وَأُحِلَّ

(١) هو أبو عثمان الأنصاري عمرو بن سالم المدني ثم الخراساني قاضي مرو رأى ابن عباس وابن عمر وارسل عن أبي بن كعب وعنه مطرف بن طريف وليث ابن أبي سليم وثقه أبوداود وقال عنه الحافظ في التقريب مقبول .انظر : التقريب برقم (٨٣٠٢) ، والتهذيب (١٢/ ١٨١).

(٢) الأثران أخرجهما ابن نصر في السنة ص ٧٧برقم (٢٦٦-٢٦٨).

(٣) الحديث في الصحيحين :أخرجه البخاري في كتاب –باب لاتنكح المرأة على عمتها برقم (٥١٠٩). ومسلم في النكاح برقم (١٤٠٨).

لَكُم مَّا وَرَآءَ ذَٰلِكُمْ ﴾ فجاءت الأخبار الثابتة عن النبي ﷺ بأنه حرم بنت الأخ وبنت الأخت من الرضاعة وأخبر أن الرضاعة تحرم ما يحرم من الولادة " أ.هـ[(١)].

فظهر من خلال هذا المثال أن الإمام المروزي قدم الآثار وخالف الأصل في الترتيب لضرورة السياق وأن الآثار متعلقة بالآيات التي سيقت للتمثيل على ما أراد تقريره من أن السنة تستقل بأحكام لا توجد في القرآن .

رابعاً: ترتيبهم للآثار أثناء عرضها :

إن من دقة السلف في عرض الأدلة أنهم اهتموا بترتيبها تفصيلاً وليس إجمالاً ومن صور هذا الترتيب التفصيلي ترتيب الآثار التي يوردونها بعد الآيات والأحاديث .

وقد راعوا في هذا الترتيب ما راعوه في الأدلة الأخرى .

فالقرآن يقدم لجلالته وعظمته وفضله فهو كلام الله جل وعلا ثم الحديث عن النبي ﷺ.

والآثار رتبوها آخذين في الاعتبار تقديم من له الأفضلية والسبق والحجة ألا وهو تقديم ما أثر عن الصحابة على ما أثر عن التابعين وهكذا .

وخروجهم عن هذه القاعدة لفائدة أو مصلحة موجودة في مصنفاتهم وقد تقدم بسط شيء منها في الصور السابقة .

ومن الأمثلة على هذا الأمر :

محمد بن نصر في السنة :

حيث سرد ما ورد عن الصحابة في ذم الابتداع والإحداث في الدين عن الصحابة الكرام كابن مسعود وابن عمر وحذيفة وغيرهم [(٢)] ثم أردفها بنقول عن كبار التابعين كعمر بن عبد العزيز وغيره[(٣)] .

---

(١) السنة لابن نصر ص٧٧-٨١باختصار.

(٢) السنة لابن نصر ص٢٩-٣٠.

(٣)المصدر السابق ص٣١.

خامساً:الترتيب الموضوعي للأدلة :

لم يقتصر جهد السلف على الترتيب حسب نوع الدليل من كونه قرآناً أو سنة بل تعداه إلى الترتيب الموضوعي بحيث تجمع أدلة كل موضوع في سياق واحد وفي مكان واحد بتدرج موضوعي متناسق غير متنافر مما يسهل للقاريء الفهم والاستنباط من الأدلة وما دلت عليه من أحكام .

وقد ظهرت صور عدة لهذا الترتيب نجملها فيما يلي:

أ- الصورة الأولى :

الترتيب الموضوعي عند خلو التصنيف من الأبواب والتراجم :

ونقصد بهذا أن الأئمة في بعض مصنفاتهم وخاصة المتقدمة منها لم تكن لهم عناية واضحة بالتبويب كما ظهرت عند المتأخرين، ولكن مما يدل على فقههم وحسن ترتيبهم أنهم عند سردهم الأدلة لم تكن سرداً لا رابط فيه بين الأدلة ؛ بل على العكس من ذلك أظهروا براعة عجيبة في حسن الترتيب الموضوعي .

ومن الأمثلة الواضحة في هذا المجال كتاب **(الإيمان)** **للعدني** فقد أخلاه مصنفه من الأبواب والتراجم لكنه رتب الأدلة فيه على الأبواب .

ولهذا نجد أن المحقق لم يجد عناءً في جعل أبواب للكتاب لترابط الأدلة ووضوح الوحدة الموضوعية بينها .

قال المحقق في مقدمة الكتاب:

" وكما ذكرت في وصف المخطوطة فإن أحاديثها وآثارها سردت سرداً بدون تبويب أو ترتيب لما تدل عليه ، لذلك فقد وضعت لها أبواباً وعنونتها بما يناسبها ..." أ.هـ(١) .

فالعناوين في الكتاب المطبوع ليست من صنع المؤلف بل من صنع المحقق وليته وضعها في الهامش بل هي في صلب الصفحات فالذي لا يقرأ المقدمة يجزم يقيناً بأنها

---

(١) مقدمة تحقيق كتاب الإيمان للعدني ص٥٨.

من صنع المؤلف.

وكذلك الإمام ابن أبي شيبة في كتابه الإيمان نجد أنه لم يجعل تبويباً لكتابه بل جعله كله أحاديث وآثار من غير فصل بينها .

ونجد أن الإمام ابن أبي شيبة في المصنف يعقد كتاباً بعنوان: (**كتاب الإيمان والرؤيا**)[١] .

وأورد فيه نفس الأحاديث والآثار مع خلاف يسير عن كتاب الإيمان المستقل له .

وقد وضع تراجم وأبواب للكتاب مختصرة لكنها تؤكد ما سبق بأن ترتيبهم للأدلة لم يكن عشوائياً بل كان موضوعياً ولو لم يصرحوا بهذه الأبواب .

وهذه الأبواب التي ذكرها في المصنف ولم يذكرها في كتابه الإيمان هي :

-ما ذكر في الإيمان والإسلام [٢] .

-ما قالوا في صفة الإيمان [٣] .

-من قال أنا مؤمن [٤] .

-ما ذكر فيما يطوى عليه المؤمن من الخلال [٥] .

-ثم ذكر بابين مرسلين ختم بهما الكتاب من غير تراجم [٦] .

وقد يكون غرض الأئمة من حذف التبويب: الاختصار ويعوضون عنه بالترتيب الموضوعي المنطقي للأدلة بحيث يمكن للقاريء أن يفهم موضوع الأدلة وما سيقت لأجله.

ب- الصورة الثانية:

البدء بتقرير أصول اعتقاد أهل السنة ثم الرد على المخالفين:

---

(١) المصنف (٦/ ١٥٧).

(٢)المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق(٦/ ١٥٩).

(٤) المصدر السابق(٦/ ١٦٠).

(٥) المصدر السابق(٦/ ١٦١).

(٦) المصدر السابق(٦/ ١٦٣،١٦٢).

إن مما ظهر فيه الترتيب الموضوعي للأدلة أنهم يبدأون بذكر أصول أهل السنة في كل باب ثم يعرضون مخالفات أهل البدع والرد عليها .

ولهذا ليس من المنهج الصحيح ولا السديد ما يفعله بعض من يؤلف في الاعتقاد لكي يقرر عقيدة أهل السنة أن يقدم المخالفات والشبهات على تقرير الحق الذي مع أهل السنة بدليله من الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة .

وذلك لأن معرفة الحق أوجب وأولى من معرفة الباطل والإطلاع عليه .

وكذلك حتى لا تعلق الشبهات في القلوب قبل معرفة الحق الواضح البين بالأدلة الصحيحة الصريحة .

والأمثلة على هذا الأمر كثيرة وهي الأصل في مصنفاتهم ولكن لعلي أسوق هنا مثالاً واضحاً في هذه القضية :

الإمام ابن أبي عاصم في كتابه السنة :

عقد باباً عظيماً في تقرير أصل من أصول أهل السنة والجماعة فقال:

(**باب في ذكر مفارقة الجماعة**)[١] ثم سرد ما ورد من الحث على التمسك بجماعة المسلمين وعدم الخروج عليهم وعدم التفرق والتحذير من ذلك ثم أردف هذا الباب الذي قرر فيه أصلاً مهماً من أصول أهل السنة باباً خاصاً بالخوارج و ما ورد فيهم وبيان مخالفاتهم وذلك بعد أن قرر الأصل الذي خالفوا فيه أهل السنة فقال :

(**باب المارقة ، الحرورية ، والخوارج السابق لها خذلان خالقها**)[٢] .

فالقاريء اطلع على أصل أهل السنة الذي تعضده الأدلة وما فيه من تحذير من الخروج على جماعة المسلمين وذم من خالفهم وخرج عليهم وعلى إمامهم الشرعي.

ثم اطلع على ما ورد حول الخوارج المخالفين لهذا الأصل العظيم .

---

(١) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٦١٧)باب رقم (١٧٨).

(٢) السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٦٢٢)باب رقم (١٨٨).

ت- الصورة الثالثة :

التقدمة والتوطئة قبل الدخول في الموضوع الرئيسي:

كالبدء بذكر ما ورد في ذم البدع وأهلها أو ذم طائفة بعينها ثم يردفونها بذكر مخالفاتها ثم الرد عليها ولا شك أن هذا فيه تسلسلاً موضوعياً ومنطقياً للقاريء يستطيع فيه الربط بين حلقات الموضوع كلها .

ويمكن أن نذكر هنا مثالين يوضحان هذه الصورة بجلاء وهي كالتالي:

المثال الأول : عبد الله بن الإمام أحمد في السنة :

وممن سار على هذا المنهج عبد الله بن الإمام أحمد في كتابه السنة ؛ فقد عقد باباً في ذم بدعة القدرية وحكم الصلاة خلفهم وبيان سوء مذهبهم ثم عقبه بذكر الأحاديث الواردة باب القدر عموماً .

قال في بداية كلامه عن القدر على شكل عنوان للباب: (**سئل عن القدرية والصلاة خلفهم وما جاء فيهم**)(١) .

فهو بدء بذمهم وذكر ما جاء فيهم ثم بدء بذكر ما ورد في الرد عليهم من الأحاديث والآثار (٢) .

المثال الثاني : ابن وضاح في البدع :

التزم ابن وضاح التسلسل الموضوعي في عرض الأدلة حول البدع وظهر ذلك جلياً من خلال تراجم أبوابه .

فقد عقد الباب الأول في الكتاب بعنوان : (**باب اتقاء البدع**) (٣) .

فهذا الباب يذكر فيه ما ورد في التحذير والابتعاد والتوقي من البدع قبل الوقوع فيها وهو لاشك أول أمر ينبغي أن ينبه له .

---

(١) السنة (١/ ٣٨٤).

(٢) انظر المصدر السابق بداية الجزء الثاني.

(٣) البدع لابن وضاح ص٢٥.

ثم أردفه بباب بعنوان : (**باب ما يكون بدعة**)[١].

ومراده من هذا الباب ذكر الأمور التي إذا مارسها العبد صار واقعاً في البدعة يعني ضوابط البدعة المنهي عنها .

وهو بهذا يبين المنهجية قبل ذكر وسرد البدعة بذكر ضوابطها بعد أن حذر منها، فلله درُّه من إمام .

ثم أردفه بباب بين فيه ضابطاً عاماً لكل الأعمال التي يمارسها الإنسان ويستطيع أن يميز فيها بين ما هو مشروع وما هو مبتدع بعنوان : (**باب كل محدثة بدعة**)[٢] بعد أن ذكر في الباب قبله أمثلة على البدع والمحدثات والتي يمكن أن يستخلص منها بعض الضوابط .

ثم أردفه بباب رابع بين فيه غلظ عقوبة المحدث في الدين والمغير للشرع بعنوان : (**باب إحداث البدع**)[٣] وذكر فيه ما ورد في الوعيد لمن أحدث البدع وكيف كان موقف السلف من المحدثين للبدع .

ثم بعد أن بين البدع وضوابطها وعقوبة من أحدثها انتقل إلى الناحية العملية والتي فيها العلاج بعد ذكر هذا الداء الخطير على الأمة ألا وهو القيام بتغيير البدع وإزالتها فقد عقد الباب الخامس بعنوان : (**باب تغيير البدع**)[٤].

ومن خلال هذا العرض والأمثلة والصور السابقة يتضح لنا أن السلف لم يكونوا يسردون الأدلة من غير مراعاة للتسلسل والترتيب الموضوعي والمنطقي وهذا يدل على براعتهم وعمق فهمهم أثناء التصنيف والتدوين للعلم .

سادساً: انتقاء ألفاظ الأحاديث في تقدم الأحاديث وتأخرها:

إن مما يدل على براعة الأئمة في عرض الأدلة بصورة شيقة أنهم ينتقون ألفاظ

---

(١) البدع لابن وضاح ص٣٩.
(٢) المصدر السابق ص٦١.
(٣) المصدر السابق ص٧٩.
(٤) المصدر السابق ص٨٣.

الروايات المناسبة لموضع الحديث .

فمثلاً إذا اشتمل الحديث على لفظة تدل على النهاية والتأخر أخروا الحديث إلى نهاية الباب ليتناسب موضعه مع لفظه وكذلك العكس.

ولعلي أذكر هنا مثالين يمكن أن يمثل بهما في هذا الموضع من كتاب **السنة لابن أبي عاصم**:

المثال الأول:

من الأبواب التي عقدها ابن أبي عاصم حول القدر وما ورد فيه وذم من خالف فيه أهل السنة باباً بعنوان : (**باب في قوله عليه السلام :بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله بأسماء أهل الجنة**) [1].

وأورد تحته عدداً من الأحاديث وكان آخر حديثٍ في الباب بلفظ يشعر بالآخرية ويناسب لفظه أن يكون في آخر الباب فقد أورد الحديث عن أبي هريرة ﷺ قال :قال رسول الله ﷺ :"أُخِّر الكلام في القدر لشرار هذه الأمة " أ.هـ[2].

فلفظة (**أُخِّر**) تناسب الموضع وهو آخر حديث في الباب.

المثال الثاني :

عقد الإمام ابن أبي عاصم باباً بعنوان : (**باب ذكر الكلام والصوت والشخص وغير ذلك**) [3].

---

(١) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٢٤٨).

(٢) الحديث أخرجه: ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٥١)برقم (٣٥٩).وابن الأعرابي في المعجم (١/ ١٣٨) برقم (٢٤)، (٢/ ٣٨٩-٣٩٠)برقم (٣٧٢).والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٧٣).والعقيلي في الضعفاء الكبير (٣/ ٣٦٦) في ترجمة عنبسة بن مهران الحداد.وابن عدي في الكامل (٥/ ٢٦٣)عند ترجمة عنبسة الحداد .
وابن حبان في المجروحين(٢/ ١٧٨)عند ترجمة عنبسة الحداد.والبيهقي في القضاء والقدر ص٢٩٢-٢٩٣برقم (٤٤٩)،(٤٥٠).واللالكائي من غير طريق أبي هريرة عن رجل من الأنصار (٣/ ٦٢٦)برقم (١١١٧).ومن نفس طريق اللالكائي العقيلي في الضعفاء(٣/ ٣٦٦).وأورده الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٠٢)وقال :"رواه البزار والطبراني في الأوسط ورجال البزار في أحد الإسنادين رجال الصحيح غير عمر بن أبي خليفة وهو ثقة "أ.هـ وحسنه البزار و الألباني كما في الصحيحة برقم (١١٢٤).

(٣) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٣٥٨)باب رقم (١١٠).

وأورد تحته الحديث الصحيح حديث الصوت المشهور ثم أورد حديث النواس بن سمعان وختم به الباب ومما جاء في الرواية التي أوردها :" فيقول جبريل : قال : الحق وهو العلي الكبير ، قال : فيقولون : كلهم مثلما قال جبريل حتى ينتهي بهم جبريل حيث أمره الله من السماء والأرض"أ.هـ[١].

فقوله في الحديث (**حتى ينتهي بهم جبريل**) يشعر بمعنى الآخرية وهو لفظ الانتهاء.

والذي يجعلنا نرجح هذا الرأي أن المؤلف أخر الحديث مع أنه في الترجمة قدم صفة الكلام على قضية الصوت وفي سرده للأحاديث قدم حديث الصوت على حديث النواس الذي فيه التصريح بلفظ الكلام .

فتأخيره للحديث لفائدة وهو اشتماله على لفظ الانتهاء حتى يناسب موضعه وهو آخر الباب.

ومراعاة تقديم وتأخير الحديث لا يشترط فيه مناسبته للفظ **بل قد يكون لمناسبة معنى الحديث .**

ومما يمكن أن يمثل به لمناسبة المعنى في التقديم والتأخير :

صنيع الإمام البخاري في كتابه الإيمان من صحيحه:

حيث جعل آخر باب وحديث في كتاب الإيمان هو حديث النصيحة .

قال الحافظ ابن حجر :" **ختم البخاري كتاب الإيمان بباب النصيحة مشيراً إلى أنه عمل بمقتضاه في الإرشاد إلى العمل بالحديث الصحيح دون السقيم** "أ.هـ[٢].

وللبخاري مقاصد في كل باب من وراء تأخير وتقديم الأحاديث وغالباً ما يشير إليها الحافظ أو ينقل عن غيره من أهل العلم.

---

(١) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٣٦٠)برقم (٥٢٧).
(٢) فتح الباري (١/ ١٦٩).

المبحث الثالث

الاختلاف في الترتيب والتبويب بين المتقدمين والمتأخرين

تمهيد:

لابد قبل الحديث عن موضوع المبحث لابد من تحرير معنى المتقدمين والمتأخرين .

وهنا نقصد بها أمرين:

الأول: المتقدمون والمتأخرون خلال القرون الثلاثة الأولى.

الثاني: المتقدمون قبل القرن الثالث والمتأخرون بعد القرن الثالث.

وعليه فإن الفروق بين المتقدمين والمتأخرين خلال القرون الثلاثة الأولى أقل منها بين المتقدمين والمتأخرين بعد القرن الثالث.

وذلك لاختلاف الزمان وكثرة البدع وكثرة التصنيف والتأليف وغيرها من الأسباب مما قد تقدم بسط الكلام حوله .

ولن نطيل الكلام حوله لعدم تعلقه بشكل أساسي بموضوع البحث ولأنها متداخلة مع القرون التي بعد القرن الثالث لهذا سوف نجمل الكلام حول هذا الموضوع.

أهم الاختلافات بين المتقدمين والمتأخرين في التبويب والترتيب:

١ . كثرة الأبواب والتراجم عند المتأخرين بخلاف المتقدمين:

ولعل هذا يرجع لأمرين :

أ-كبر حجم الكتب والمصنفات عند المتأخرين وكثرة المادة العلمية فنتج عنه كثرة التراجم والأبواب.

ب-كثرة المسائل المتفرعة والحادثة عند المتأخرين بخلاف المتقدمين .

ولعلنا نجري مقارنة بين بعض الكتب عند المتقدمين والمتأخرين ويظهر لنا فيها التفاوت الكبير في عدد الأبواب والتراجم ومن هذه الأمثلة :

المثال :مقارنة بين كتابي السنة لعبد الله بن الإمام أحمد وأي كتاب سنة فيما بعد القرون الثلاثة الأولى:

نجد أن الأبواب والتراجم عند عبد الله قليلة وليست كثيرة بخلاف من تأخر عنه

فإنها تتجاوز المئات:

فهذا :كتاب الشريعة للآجري عدد أبوابه بلغ: (١٨١) باباً .

والتوحيد لابن خزيمة بلغ : (٨٦) باباً .

وهنا لابد أن ننبه إلى أمر وهو : أن هذا في الأعم الأغلب وإلا فبعض من صنف خلال القرن الثالث أكثر من الأبواب حتى فاق بعض من تأخر عنه ألا وهو الإمام ابن أبي عاصم وهو يعتبر الوحيد في تلك الفترة حيث بلغ عدد أبواب **كتابه السنة (٢٣٨) باباً.**

٢. طول الترجمة عند المتأخرين وقصرها عند المتقدمين:

ولعل هذا الفارق من أبرز الفوارق بين المتقدمين والمتأخرين في قضية التبويب والترتيب ولعل سبب هذا التفاوت أمور منها :

أ-غزارة علم المتقدمين واكتفاءهم بالإشارة دون بسط العبارة ؛ بخلاف المتأخرين لبعدهم عن مصدر الوحي ودخول العجمة في حياتهم صعب عليهم فهم كثير من معاني الكتاب والسنة ولهذا احتاجوا أن يُبسط لهم في العبارة حتى يتضح المعنى.

ب-كثرة الشبهات والفتن عند المتأخرين مما اضطرهم إلى التفصيل وزيادة التوضيح خوف اللبس وفهم المسائل والأدلة على غير وجهها .

ولعل بطرحنا للأمثلة في بيان طول التراجم عند المتأخرين بشكل لا يكاد يوجد عند المتقدمين يتضح هذا الأمر أكثر.

ومن هذه الأمثلة ما يلي :

المثال الأول : التبويب عند الإمام ابن خزيمة ت(٣١١هـ):

ولعل الإمام ابن خزيمة برز هذا الأمر عنده أكثر من غيره وإليك بعض هذه الأبواب:

-الباب الأول من كتابه ونصه:

(باب ذكر البيان من خبر النبي ﷺ في إثبات النفس لله عز وجل على مثل موافقة التنزيل الذي بين الدفتين مسطور وفي المحاريب والمساجد والبيوت والسكك

مقروء)[١].

- الباب الثاني : برقم (٥٨) قال :

(باب ذكر البيان أن شفاعة النبي ﷺ التي ذكرت أنها لأهل الكبائر وهي على ما تأولته وأنها لمن قد أدخل النار من غير أهل النار والذين هم أهلها أهل الخلود فيها بل لقوم من أهل التوحيد ارتكبوا ذنوباً وخطايا فأدخلوا النار ليصيبهم سفعاً منها) [٢].

ولا أظن أن أحداً ممن صنف في القرون الثلاثة الأولى قد بلغ هذا الطول في تراجمه .

- الباب الثالث: برقم (٨٠) قال :

(باب ذكر أخبار ثابتة السند صحيحة القوام قد يحسب كثير من أهل الجهل أنها خلاف هذه الأخبار التي قدمنا ذكرها لاختلاف ألفاظها وليست عندنا مخالفة لسر معناها ونؤلف بين المراد من كل منها بعد ذكرنا الأخبار بألفاظها إن الله وفق لذلك وشاءه)[٣].

فالترجمة عند ابن خزيمة تعتبر كالتلخيص لما سوف يسرده في الباب وما سوف يقوم بالتعليق عليه .

المثال الثاني : الإمام ابن بطه ت(٣٨٧هـ) في الإبانة :

وإن كان أقل طولاً منه لكنها بمقارنتها بكتب المتقدمين تعتبر من التراجم الطويلة وإليك الأمثلة :

- **الباب الأول :**

قوله**(باب بيان الإيمان وفرضه وأنه تصديق بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالجوارح والحركات ولا يكون العبد مؤمناً إلا بهذه الثلاث)** [٤]

فالمؤلف ذكر خلاصة الحكم الذي سوف يصل إليه القاريء من خلال هذا الباب.

---

(١) التوحيد لابن خزيمة (١/ ١٣).

(٢) المصدر السابق (٢/ ٦٥٩).

(٣) المصدر السابق (٢/ ٨٤٧).

(٤) الإبانة (٢/ ٧٦٠) ت : رضا نعسان .

- الباب الثاني :

قوله : (الباب الثالث : في ذكر ما أخبرنا الله تبارك وتعالى أنه أرسل المرسلين إلى الناس بدعوتهم إلى عبادة رب العالمين ثم أرسل الشياطين على الكافرين تحرضهم على تكذيب المرسلين ومن أنكر ذلك فهو من الفرق الهالكة)[١].

وغير ها من الأبواب في كتابه .

ولعل فيما ذكرنا كفاية والله أعلم.

---

(١) الإبانة (١/ ٢٦٧) الجزء الخاص بالقدر ت: د.عثمان عبدالله آدم الأثيوبي.

الفصل الرابع

منهجهم في التصنيف في الرد
على أهل البدع

ويشتمل على: تمهيد وتسعة مباحث:

تمهيد : أثر البدع وما صنف فيها على تدوين علم العقيدة

المبحث الأول :أهمية الدفاع عن عقيدة السلف والرد على المخالف

المبحث الثاني :منهجهم في عرض الحجج واستيعاب الأدلة في الرد على المخالف.

المبحث الثالث :معرفتهم بشبهات الخصوم واطلاعهم على كتبهم .

المبحث الرابع :نقضهم الأصول التي بنوا عليها بدعهم .

المبحث الخامس :منهجهم في ذكر الشبهات .

المبحث السادس :الإنصاف في الرد على الخصوم .

المبحث السابع :إظهار تناقض أهل البدع .

المبحث الثامن :نقلهم لما حدث من مناظرات مع أهل البدع .

المبحث التاسع :موقفهم من كتب أهل البدع ومصنفاتهم.

تمهيد : أثر البدع وما صنف فيها على تدوين علم العقيدة

لا شك أن من أهم عوامل التصنيف عند السلف لمسائل الاعتقاد هو ما ألفه أهل البدع من كتب ورسائل ليضلوا بها الناس عن سواء السبيل .

ولما توسع أهل البدع في التصنيف وأكثروا توسع أهل السنة و أكثروا ؛كل ذلك مقاومة منهم لهذا المد الخطير من أهل البدع واستخدامهم لهذه الوسيلة الإعلامية الفتاكة وهي التصنيف والتأليف ،ولهذا نجد أن أهل السنة برعوا في استخدام هذه الوسيلة حتى فاقوا أهل البدع وتجاوزوهم بمراحل ولا أدل على ذلك من كثرة مصنفاتهم في شتى مسائل الاعتقاد.

وعند الحديث عن أثر البدع وما صنف فيها على تدوين علم العقيدة لابد من الكلام على أمرين:

١-نماذج وأمثلة لبعض مصنفات أهل البدع خلال القرون الثلاثة الأولى .

٢-بعض آثار البدع وما صنف فيها على تدوين علم العقيدة .

وسوف نتعرض للأمر الأول وهو :

١-نماذج وأمثلة لبعض مصنفات أهل البدع خلال القرون الثلاثة الأولى :

كانت بدايات التصنيف عند أهل البدع متقدمة في بدايات القرن الهجري الثاني وكانت المصنفات تظهر متزامنة مع ظهور البدع وشدتها ونشاط رؤوسها وإليك هذه الأمثلة وهي كالتالي:

١. التوحيد [١] :

وهو لتقرير مذهب المعتزلة القدرية .

والمصنف هو: واصل بن عطاء الغزَّال أبو حذيفة المخزومي مولاهم البصري كانت ولادته سنة ثمانين للهجرة ، وكان رأساً في الاعتزال كانت وفاته سنة إحدى وثلاثين ومائة للهجرة. [٢]

---

(١) انظر : السير (٥/ ٤٦٥)،الفهرست لابن النديم ص ٢٠٣ ط.دار المسيرة .

(٢) انظر: السير(٥/ ٤٦٤)، الفهرست ص٢٠٢.

٢. **المنزلة بين المنزلتين** [(١)] :

وهذا أيضاً فيه تقرير لأصل من أصول المعتزلة ومؤلفه هو واصل بن عطاء أيضاً.

٣. **العدل والتوحيد** [(٢)]:

وهو لتقرير مذهب القدرية المعتزلة الفاسد.

والمؤلف هو: عمرو بن عبيد بن باب مولى بني العدوية من بني تميم ثم من بني تميم ، وقال بعضهم : باب من سبي كابل من سبي عبد الرحمن بن سمرة .

ولد في السنة التي ولد فيها واصل بن عطاء سنة ثمانين وكان صديقاً لأبي جعفر المنصور وهو من رؤوس المعتزلة القدرية .

كانت وفاته سنة أربع وأربعين ومائة . [(٣)]

٤. **الرد على القدرية** [(٤)]:

وهو لعمرو بن عبيد أيضاً وجار على نفس المنهج والمسلك .

٥. **الوعد والوعيد** [(٥)]:

المؤلف: هو : أبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف مولى لعبد القيس ولد سنة ١٣١هـ وكانت وفاته سنة ٢٢٧هـ، وهو الذي زعم أن نعيم الجنة وعذاب النار ينتهي بحيث إن حركات أهل الجنة تسكن حتى لا ينطقون بكلمة و أنكر الصفات المقدسة حتى العلم والقدرة . [(٦)]

٦. **الاستطاعة** [(٧)]:

وهو لأبي الهذيل .

---

(١) السير (٥/ ٤٦٥)، الفهرست ص٢٠٣.
(٢) السير (٦/ ١٠٦) ، الفهر ست ص٢٠٣.
(٣) المصدر السابق .
(٤) المصدر السابق .
(٥) الفهرست ص٢٠٤.
(٦) السير (١٠/ ٥٤٢) ، الفهرست ص٢٠٣.
(٧) الفهرست ص٢٠٤.

الحركات[١]:

وهو لأبي الهذيل .

٧. **الجواهر والأعراض**[٢]:

وهو لأبي الهذيل .

٨. **الحوض والشفاعة وعذاب القبر**[٣]:

وهو لأبي الهذيل .

٩. **كتاب الرد على أصحاب الحديث في التشبيه**[٤]:

وهو لأبي الهذيل.

١٠. **كتاب الإمامة**[٥]:

والمؤلف هو : هشام بن الحكم أبو محمد الكوفي الرافضي القائل بالتشبيه في حق المولى جل وعلا ، وهو من متكلمي الشيعة وكبارهم ، ومن غلاة المشبهة كان يزعم أن ربه طوله سبعة أشبار بشبر نفسه ، وكان يقول بالجبر الشديد مات بعد نكبة البرامكة ويقال عاش إلى خلافة المأمون[٦].

١١. **كتاب الرد على أصحاب الإثنين**[٧].

لهشام بن الحكم .

١٢. **كتاب التوحيد**[٨].

لهشام بن الحكم .

١٣. **كتاب الميزان**[٩].

---

(١) الفهرست ص٢٠٤ .
(٢) المصدر السابق.
(٣)المصدر السابق .
(٤)المصدر السابق.
(٥) الفهرست ص٢٢٤ .
(٦) السير (١٠/ ٥٤٣) ، الفهرست ص ٢٢٣، لسان الميزان (٦/ ١٩٤)
(٧) الفهرست ص ٢٢٤ .
(٨) المصدر السابق .
(٩)المصدر السابق .

١٤. **كتاب في الجبر والقدر**[(١)].

١٥. **كتاب القدر**[(٢)].

١٦. **كتاب الاستطاعة**[(٣)]:

- وغيرها كثير لهشام بن الحكم.

١٧. **الرد على من عاب الكلام**[(٤)]:

المؤلف هو: بشر بن المعتمر أبو سهل من كبار المعتزلة ورؤسائهم، وكان راوية للشعر والأخبار، وابتلي بالبرص في جسده كان وفاته سنة ٢١٠هـ[(٥)].

١٨. **الكفر والإيمان**[(٦)].

١٩. **تأويل متشابه القرآن**[(٧)].

٢٠. **الإمامة**[(٨)].

٢١. **العدل**[(٩)].

٢٢. **كتاب في المنزلة بين المنزلتين**[(١٠)].

ولعل في ذكر هذه الأمثلة كفاية ويمكن أن نخلص فيها إلى عدة أمور:

أ-كثرة تصنيف أهل البدع في تلك الفترة.

ب-تنوعها في غالب مسائل الاعتقاد.

ج-إفرادهم مصنفات لمسائل جزئية في الاعتقاد وفيه دليل على عنايتهم بتقرير

(١)المصدر السابق.

(٢)المصدر السابق.

(٣)المصدر السابق.

(٤) الفهرست ص٢٠٥.

(٥)المصدر السابق.

(٦)المصدر السابق.

(٧)المصدر السابق.

(٨)المصدر السابق.

(٩)المصدر السابق.

(١٠)المصدر السابق.

مذاهبهم.

د-تنوعت المصنفات تبعاً لتنوع البدع إلا أن الملاحظ أن المعتزلة لهم النصيب الأكبر في هذه المصنفات .[1]

هـ-أنها لم تقتصر على التقرير بل خصص بعضها للرد على مخالفيهم من أهل السنة وغيرهم.

و-أن غالبها كان في القرن الثالث الهجري وهذا يدل على كثرة المصنفات تبعاً لكثرة البدع وانتشارها وخاصة كلما بعد الناس عن زمن النبوة .

٢-بعض آثار البدع وما صنف فيها على تدوين علم العقيدة :

بعد ذكر هذه المصنفات وهي كثيرة ولم نذكر إلا نزراً يسيراً منها وهذا يدل على تأثير هذه الهجمة الفكرية والعلمية على أهل السنة في تلك الفترة مما جعل السلف يتفننون في التدوين والتصنيف في مسائل الاعتقاد ويمكن أن نجمل هذه الآثار فيما يلي :

أ-تقريرهم الاعتقاد الصحيح الواضح بصورة مختصرة ومبسطة :

وذلك لكثرة الفتوحات في تلك الفترة وكثرة الداخلين في الإسلام فاضطر أهل السنة للتصنيف في تقرير مذهبهم بشكل مبسط وميسر خوفاً من افتتان هؤلاء حديثي العهد بالإسلام بمثل هذه البدع وما صنف فيها .

ب-كثرة التصنيف تبعاً لكثرة مصنفات أهل البدع وخاصة في القرن الثالث :

ولهذا لما رأى أهل السنة كثرة تلك المصنفات انبروا للرد عليهم ولبيان باطلهم وتقرير مذهب أهل السنة بوضوح حتى لا يفتتن بها عامة الناس ، وقد تقدم نقل نصوص كثيرة عن الأئمة أثناء حديثنا عن عوامل التدوين .

ج-التنويع في مواضيع المصنفات :

وذلك لأن أهل البدع لم تكن مخالفاتهم ومصنفاتهم في تلك المخالفات محصورةً في موضوع واحد أو موضوعين بل في غالب مسائل الاعتقاد.

---

(١) حتى الخوارج ذكر لهم ابن النديم بعض المصنفات انظر الفهرست ص٢٣٣.

د- إفراد مصنفات مستقلة لبعض المسائل :

وذلك إما لإفراد أهل البدع مصنفات في مسائل معينة أو لكثرة الكلام حول مسألة من المسائل والخوض فيها بالباطل من قبل أهل البدع .

هـ- التصنيف للرد على كتب معينة :

وذلك لانتشارها واشتهارها بين الناس وخاصة من قبل أهل البدع .

و- التصنيف للرد على شخص بعينة من رؤوس أهل البدع وعلمائهم :

وذلك لانتشار بدعه ومقولاته بين الناس وإشهارها وإظهارها مما لا يدع مجالاً للسكوت عليها ولو كان مستتراً بها لما تكلفوا بالرد عليها .

ومن الأمثلة : كتاب الرد على بشر المريسي للإمام الدارمي .

ز- الرد على فرقة بعينها :

وذلك لانتشارها وافتتان بعض الناس بها وظهور خطرها .

كالرد على الجهمية للإمام أحمد والدارمي .

ح- التصنيف استقلالاً بدل عرضها على سبيل الإجمال في كتب الجوامع الحديثية :

وهذا واضح من خلال مصنفاتهم المستقلة ولهذا نجد متقدمي الأئمة كمالك وغيره أفردوا أبواب لبعض المخالفات التي حصلت في عصرهم ولم يكن لأهل البدع مكانة ولا قوة ولا سلطان ولم يروا حاجة للرد عليهم أو إفراد مصنفات في مسألة عامة الناس فيها على السنة لأن في هذا إشهار وإظهار لباطلهم .

ط- التبويب والترتيب لمصنفاتهم :

والإشارة ضمن هذه الأبواب إلى الرد على مخالفيهم من أهل البدع وبيان وجه الاستنباط من الدليل لتقرير الحق الذي معه وإبطال الباطل الذي مع أهل البدع.

ي-كبر حجم المصنفات :

تبعاً لكثرة المسائل المتكلم فيها وحاجة الناس للتعليق على النصوص والرد على شبهات أهل البدع .

المبحث الأول

أهمية الدفاع عن عقيدة السلف والرد على المخالف .

لاشك أن أي ملة من الملل وأي أمة من الأمم لابد وأن تدافع عن مبادئها وعقائدها بكل ما أوتيت من قوة حسية أو قوة معنوية وتبذل في سبيل نشر هذه المبادئ والذود عنها الغالي والنفيس .

وأهل السنة هم أولى الناس بهذا الأمر لاسيما وهم أهل الحق وأسعد الناس بكتاب الله وسنة رسوله الكريم علماً وعملاً وتعليماً .

ولعلنا نذكر بعض الأمور التي يظهر من خلالها أهمية الدفاع عن هذه العقيدة التي هي أساس الملة وبها يكون الفوز الفلاح يوم القيامة وبها عز المسلمين ورفعتهم في الدنيا والآخرة وأهم هذه الأمور التي يظهر من خلالها أهمية الدفاع عن عقيدة السلف والرد على المخالفين لها ما يلي :

١ . تحقيق ما وعد الله به من حفظ هذا الدين :

قال الله جل وعلا: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[الحجر : ٩] فقد تكفل الله بحفظ هذا الدين عقائده وأحكامه على مر العصور إلى قيام الساعة ، وكان الشرف لهذه الأمة أن جعلها هي القائمة بأمر الله إلى قيام الساعة تحمل هذا الدين يبلغه السلف إلى الخلف ويرثه الآخر عن الأول جيلا بعد جيل .

ومن سنن الله في هذا الكون أن جعل لكل شيءٍ سبباً وحفظ الدين لابد له من أسباب من أهم هذه الأسباب أن يقوم أهل العلم بالكتاب والسنة بالدفاع عنه وبيان بطلان المبطلين وتحريفات المحرفين كل عالم يأخذ حظه ونصيبه من هذا الحفظ .

يقول الرازي :" فإن قيل :فلم اشتغلت الصحابة بجمع القرآن في المصحف وقد وعد الله تعالى بحفظه وما حفظه الله فلا خوف عليه ؟

الجواب : أن جمعهم للقرآن كان من أسباب حفظ الله تعالى إياه **فإنه تعالى لمّا أن حفظه قيضهم لذلك** .." أ.هـ.(١)

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي –رحمه الله –:" ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ : أي في حال

(١) مفاتيح الغيب للرازي وبهامشه تفسير ابي السعود (٥/ ٢٥٧)ط.دار الفكر –بيروت ط.١٣٩٨هـ.

إنزاله وبعد إنزاله .

ففي حال إنزاله أودعه الله في قلب رسوله ، واستودعه في قلوب أمته ، وحفظ الله ألفاظه من التغيير فيها ، والزيادة والنقص ، ومعانيه من التبديل .

فلا يحرف محرف معنى من معانيه إلا وقيض الله له من يبين الحق المبين وهذا من أعظم آيات الله ونعمه على عباده المؤمنين " أ.هـ.[١]

ولهذا لما تكفل الله بحفظه حفظ ولم يكله إلى مخلوق ولما وكل حفظ التوراة إلى اليهود ضيعوه كما قال تعالى :﴿بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾[المائدة :٤٤].

أي: فجعل حفظه إليهم فضاع.[٢]

وعليه فإن الدفاع عن عقيدة سلف الأمة واجب على أهل العلم لكي ينالوا هذا الشرف بأن يكونوا أحد الأسباب في حفظ هذا الدين وهذا القرآن المنزل على رسوله .

وقد تحقق وعد الله بحفظ هذا فقد دون السلف عقيدتهم وما يدينون الله به وكذلك دونوا ردودهم على تحريفات المحرفين وشبهات المشبهين وحققوا وعد الله حقاً وصدقاً ويقيناً وشهد على ذلك المسلم والكافر والبر والفاجر .

٢. صد هجمات الطاعنين في هذا الدين:

لاشك أن أي تقصير في رد طعن الطاعنين وتلبيس الملبسين سوف يظهر أثره على الأمة في عقيدتها ودينها بل وحياتها كلها .

والواقع يشهد بهذا ؛ فقد مرت بالأمة فترات انتشرت فيها البدع وظهر فيها الشر والفساد وضعف الداعي للخير والسنة مع وجود بعض علماء أهل السنة وكان من أسباب ظهور البدع وانتشارها تقصير هؤلاء العلماء في الرد على هذه البدع وبيان شرها .

ولعل من الأمثلة على ذلك :

الإمام أحمد في زمنه فقد وقف مع بعض أهل العلم في فتنة خلق القرآن وقصر

---

(١) تفسير السعدي (٤/ ١٥٨) ط.دار الافتاء ط.١٤١٠هـ.

(٢) انظر: تفسير القرطبي (١٠/ ٦).

بعضهم وسكتوا إما رغبةً أو رهبة فحفظ الله الدين بهؤلاء العلماء كما حفظ الله الدين بأبي بكر زمن الردة .

ويقول الإمام أحمد في مقدمة كتابه الرد على الجهمية :

"الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى و يصبرون منهم على الأذى يحيون بكتاب الله الموتى ويبصرون بنور الله أهل العمى فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه وكم من ضال تائه قد هدوه فما أحسن أثرهم على الناس وأقبح أثر الناس عليهم .

ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين الذين عقدوا ألوية البدع وأطلقوا عقال الفتنة ....." أ.هـ.(١)

ومن خلال هذا النص الذي قاله هذا الإمام يمكن أن نستنبط ما يلي :

أ-أن الله لم يخل أي فترة من أهل العلم الذين يقومون بأمر الدين كما جاء في الحديث :

" لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك..".(٢)

ب-أن هؤلاء العلماء كان من أهم وظائفهم : ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين وهو الذي أشرنا إليه في هذه الفقرة.

ج-أن هذا يستلزم منهم الصبر على ما سوف يلقون في سبيل الدفاع عن هذه العقيدة وهذا الدين .

د-أن أثرهم عظيم على هذه الأمة بسبب ردهم شبهات الطاعنين وتحريفات المحرفين .

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ص ٨٥.

(٢) أخرجه: البخاري في كتاب المناقب-باب رقم (٢٨) حديث رقم (٣٦٤١).ومسلم في صحيحه في كتاب الإمارة برقم (١٠٣٧).

٣. أن هذا نوع من الجهاد المأمور به شرعاً:

الجهاد في سبيل الله يكون بالسيف وهو أعلى المراتب وهناك نوع آخر هو الجهاد بالحجة والبيان وهو الرد على الكفار و المنافقين والمحرفين لدين الله .

بل إنه في بعض المواضع قد يفوق جهاد النفس كما قرر ذلك أهل العلم :

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله :"وأمره الله تعالى -يعني النبي ﷺ- بالجهاد من حين بعثه وقال: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾[الفرقان : ٥٢].

فهذه سورة مكية أمر فيها **بجهاد الكفار بالحجة والبيان وتبليغ القرآن ، وكذلك جهاد المنافقين إنما هو بتبليغ الحجة** وإلا فهم تحت قهر أهل الإسلام قال تعالى :﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ [التوبة : ٧٣].

فجهاد المنافقين أصعب من جهاد الكفار وهو جهاد خواص الأمة وورثة الرسل والقائمون به أفراد في العالم والمشاركون فيه والمعاونون عليه وإن كانوا هم الأقلين عدداً ، فهم الأعظمون عند الله قدراً .

ولما كان من أفضل الجهاد قول الحق مع شدة المعارض مثل أن تتكلم به عند من تخاف سطوته وأذاه ، كان للرسل – صلوات الله عليهم وسلامه – من ذلك الحظ الأوفر ، وكان لنبينا – صلوات الله وسلامه عليه – من ذلك أكمل الجهاد وأتمه." أ.هـ.(١)

فبين الإمام ابن القيم أن الدفاع عن الدين وفضح خطط الأعداء الذين يريدون أن يحرفوه نوع من أنواع الجهاد بل هو في بعض المواضع يكون أفضل من الجهاد بالسيف والسنان .

وقد كان النبي ﷺ يستخدم هذا النوع من الجهاد وهو الجهاد باللسان لما يعلم من أثره البالغ على أعداء الدين .

---

(١) زاد المعاد (٣/ ٥-٦).

يقول ابن القيم -رحمه الله -:

"**فكشف عورات هؤلاء -يعني أهل البدع - وبيان فضائحهم وفساد قواعدهم من أفضل الجهاد في سبيل الله** وقد قال النبي ﷺ لحسان بن ثابت ﷺ :"إن روح القدس معك ما دمت تنافح عن رسوله وقال : أهجهم أو هاجهم وجبريل معك وقال: "اللهم أيده بروح القدس مادام ينافح عن رسولك ، وقال عن هجائه لهم : " والذي نفسي بيده لهو أشد فيهم من النبل "، وكيف لا يكون بيان ذلك من الجهاد في سبيل الله ؟ .....فالمدافعة عن كلام الله ورسوله والذب عنه من أفضل الأعمال وأحبها إلى الله وأنفعها للعبد " أ.هـ.(١)

فتبين من خلال ما سبق أن الدفاع عن عقيدة سلف الأمة هو نوع من الجهاد في سبيل الله بل من أعظم أنواعه والله المستعان .

٤ . إزالة الشبهة والغشاوة عمن قد يكون افتتن ببعض البدع :

وغالبهم من عوام الناس ودهمائهم وضعافهم ولهذا إذا لم يبين أهل العلم ويردوا على المخالفين وقعت الشبهة في قلوب هؤلاء وتشربتها قلوبهم وانحرفوا في أعظم أمور دينهم وهو أمر العقيدة .

ولهذا كان الدفاع عن عقيدة السلف من الأهمية بمكان وقد نص الأئمة أنهم ما صنفوا الكتب في الرد على المخالفين إلا خوفاً على ضعفة المسلمين من الافتتان بشبهات أهل البدع.

يقول الإمام الدارمي -رحمه الله - في مقدمة كتابه (الرد على بشر المريسي):

"ولولا ما بدأكم هذا المعارض بإذاعة ضلالات المريسي وبثها فيكم ما اشتغلنا بذكر كلامه ، **مخافة أن يعلق بعض كلامه بقلوب بعض الجهال ، فيلقيهم في شك من خالقهم** ....." أ.هـ.(٢)

---

(١) الصواعق المرسلة (١/ ٣٠١-٣٠٢) بتصرف يسير.

(٢) الرد على المريسي (١/ ١٤٢).

ويقول في موضع آخر :

"فخشينا ألا يسعنا إلا الإنكار على من بثها -يعني الشبهات – ودعا الناس إليها منافحة عن الله وتثبيتاً لصفاته العلى ولأسمائه الحسنى ودعاءً إلى الطريقة المثلى **ومحاماة عن ضعفاء الناس وأهل الغفلة من النساء والصبيان أن يضلوا بها ويفتتنوا إذ بثها فيهم** .." أ.هـ.(١)

فتبين مما سبق خطورة السكوت وعدم البيان وأهمية الدفاع عن عقيدة الأمة والرد على أهل الزيغ والضلال وفضح باطلهم لعامة الناس حتى يبقوا في مأمن من فتنتهم وتلبيسهم والمسئولية كلها ملقاة على عاتق هؤلاء العلماء حتى يبينوا لهم الحق والصواب.

٥. إظهار الحق وبيانه للناس:

إن هذا الدين لم يشرع لكي يحصر في فئة المتعلمين والعلماء ، بل شرع ليكون منهج حياة يعيشون به .

ولا خير في علم عالم إذا لم يبلغه ويبينه للناس وأهم وأوجب ما يجب على أهل العلم نشره بين الناس ما يخص عقائدهم تجاه ربهم ونبيه الكريم .

وقد أخذ الله الميثاق على أهل العلم أن يبينوه ولا يكتمونه فقال جل وعلا :﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴾[آل عمران : ١٧٨].

وقال جل وعلا مهدداً ومتوعداً أهل العلم الذين يكتمون ما أنزل الله من الحق ولا يبينوه ويظهروه للناس حتى لا يضلوا ومن البيان الرد على من لبس على الأمة في أمر عقيدتها ودينها.

قال جل وعلا :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ

(١) المصدر السابق (١/ ١٤٥).

وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[البقرة : ١٥٩-١٦٠].

قال الحافظ ابن كثير :" وفي هذا تحذير للعلماء أن يسلكوا مسلكهم فيصيبهم ما أصابهم ، ويسلك بهم مسلكهم ، فعلى العلماء أن يبذلوا ما بأيديهم من العلم النافع الدال على العمل الصالح ولا يكتموا منه شيئاً ..."أ.هـ.(١)

يقول الشيخ السعدي :" هذه الآية وإن كانت نازلة في أهل الكتاب وما كتموا من شأن الرسول ﷺ وصفاته فإن حكمها عام لكل من اتصف بكتمان ما أنزل الله (من البينات) الدالات على الحق المظهرات له." أ.هـ.(٢)

فتبين من خلال هذه النصوص وأقوال أهل العلم خطورة كتمان العلم وعدم بيان الحق والرد على المبطلين المحرفين للنصوص الشرع والخطاب متوجه بالدرجة الأولى إلى العلماء الذين يستطيعون البيان وإزالة الشبهة واللبس عن الناس .

٦. وضع منهج واضح المعالم في الرد والمناقشة للمخالفين :

إن مما يظهر أهمية الرد على المخالفين والدفاع عن عقيدة الأمة : وضع منهج واضح للعلماء ،ولطلبة العلم إذا أرادوا إبطال أي شبهة أو الرد على أي انحراف ؛ بحيث تؤتي هذه الجهود المباركة ثمارها المرجوة منها من تصحيح لما فسد في المعتقد، وإبطال لتلبيس الملبسين، وغيرها من الثمار، والمصالح التي تنتج عن الالتزام بالمنهج الصحيح في الرد والمناقشة .

وإن مشكلة الأمة في الأزمان المتأخرة هي: مشكلة المنهج –أي المنهج الصحيح في الرد والمناقشة – وبسبب هذه المشكلة لم تكن ردود المتأخرين في القوة والرصانة كما هي الحال في ردود المتقدمين .

ومن هنا نؤكد على أهمية الدفاع عن العقيدة ، والرد على المبطلين ليس لأجل الرد على أهل الباطل فحسب؛بل لأجل وضع منهج واضح المعالم لمن يأتي من أجيال الأمة .

---

(١) تفسيرابن كثير (٢/ ٨٢٢).
(٢) تفسير السعدي (١/ ١٨٦).

ولهذا من كان على طريقة السلف في الرد والمناقشة من المتأخرين كان في القوة والرصانة مثل المتقدمين .

ومن العلماء - الذين احتذوا حذو السلف في الرد والمناقشة، وكان لمصنفاته القبول والانتشار على مدى سبعة قرون تقريباً-: شيخ الإسلام ابن تيمية وتلامذته الذين احتذوا حذوه في الأخذ بمنهج السلف؛ ولهذا كان شيخ الإسلام على مدى هذه القرون السبعة ممن أحيا وأظهر منهج السلف في طريقتهم في الرد والمناقشة وأصبحت معلماً من المعالم العلمية التي يرجع إليها لمعرفة منهج السلف.

وإن الناظر في واقعنا المعاصر ليدرك حاجة طلاب العلم لمعرفة منهج السلف في الرد والمناقشة ، فقد انتشرت ردود كثيرة وكان الحق مع أصحابها وهم على منهج أهل السنة في المعتقد لكنهم لم يوفقوا لنهج طريقة السلف في الرد والمناقشة .

فكم رأينا من يعتدي ويظلم في رده ، وكم رأينا من يرد الحق الذي مع المخالف بحجة أن القائل به رجل ليس من أهل السنة .

وكم رأينا من جاء ليرد على البدعة فرد عليها ببدعة مثلها ، وبعضهم أخذته الغيرة ليرد على مبطل فكان رده ضعيفاً هزيلاً وأصبح ضُحْكَةً -و لا حول و لا قوة إلا بالله- لأهل البدع ؛بل بعضها جاء ليرد على المبطل فإذا به يقرر الشبهة نقداً ويجعل الرد نسيئة وهذا كله من عواقب عدم العناية بمنهج السلف علماً وعملاً وتعليماً.

ومما يجعلنا نؤكد على أهمية معرفة منهج السلف في الرد والمناقشة ومعرفة منهجهم في ذلك عدة أمور :

أ- الحذر من أذية المؤمنين وخاصة العلماء وتتبع زلاتهم والوقيعة فيهم بغير حق:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :" وليس لأحدٍ أن يتبع زلاّت العلماء ، كما ليس له أن يتكلم في أهل العلم والإيمان إلا بما هم أهل له فإن الله تعالى عفا للمؤمنين عمّا أخطئوا ، كما قال تعالى :﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾[البقرة : ٢٨٦] قال

الله :"قد فعلت ".

وأمرنا أن نتبع ما أنزل إلينا من ربنا ولا نتبع من دونه أولياء ، وأمرنا أن لا نطيع مخلوقاً في معصية الخالق ، ونستغفر لإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، فنقول :﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ ﴾[الحشر : ١٠].

وهذا أمر واجب على المسلمين في كل ما كان يشبه هذا من الأمور ،ونعظم أمره تعالى بالطاعة لله ورسوله ، ونرعى حقوق المسلمين ، لاسيما أهل العلم منهم ، كما أمر الله ورسوله ، ومن عدل عن هذه الطريق فقد عدل عن اتباع الحجة إلى اتباع الهوى في التقليد، وآذى المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا ، فهو من الظالمين ، ومن عظم حرمات الله ، وأحسن إلى عباد الله كان من أولياء الله المتقين"أ.هـ[(١)].

ب- الحذر من إصدار الأحكام على من لا يستحقها :

من تبديع وتكفير ونحوها ، والذي يزل في هذا الباب إنما أوتي من قبل جهله بالمنهج في الرد والمناقشة مع المخالف ، ولا نغفل هذا الباب بل هو من منهجنا أن من قامت عليه الحجة والبينة فإنه يبدع ويفسق ويكفر كل على حسب حالته والمسألة التي غلط فيها .

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه :" إذا رأيت المقالة المخطئة قد صدرت من إمام قديم ، فاغتفرت لعدم بلوغ الحجة له ، فلا يغتفر لمن بلغته الحجة ما اغتفر للأول ؛ فلهذا يبدع من بلغته أحاديث عذاب القبر ونحوها إذا أنكر ذلك ، ولا تبدع عائشة ونحوها ممن لم يعرف بأن الموتى يسمعون في قبورهم ، **فهذا أصل عظيم ، فتدبره فإنه نافع** "أ.هـ[(٢)]

ويقول أيضاً : " وليس كل من خالف في شيء من هذا الاعتقاد يجب أن يكون هالكاً ، فإن المنازع قد يكون مجتهداً مخطئاً يغفر الله خطأه ، وقد لا يكون بلغه في ذلك

(١) مجموع الفتاوى (٣٢/ ٢٣٩).

(٢) مجموع الفتاوى (٦/ ٦١).

من العلم ما تقوم به عليه الحجة "أ.هـ.[١]

ت- الحذر من الغلط في فهم كلام الأئمة في هذا الباب:

وذلك أن الأئمة قد يكفرون طائفة بعينها أو شخصاً بعينه لما قام عندهم من الأدلة على قيام الحجة على هذا المخالف ووضوحها لديهم فلا تؤخذ أقوالهم لتعمم على كل من قال بهذا القول من غير نظر إلى قيام الحجة وفقه كلام السلف في مثل هذه الوقائع .

يقول شيخ الإسلام :"فإذا رأيت إماماً قد غلّظ على قائل مقالته أو كفره ، فلا يعتبر هذا حكماً عاماً في كل من قالها ، إلا إذا حصل فيه الشرط الذي يستحق به التغليظ عليه والتكفير له "أ.هـ.[٢]

٧. بالدفاع عن الدين والعقيدة يظهر الحق ويزداد الإيمان ويقوى به اليقين:

إن من عظيم النعمة على المؤمنين المنافحين عن دين الله أنهم يزدادون به يقيناً وإيماناً ويعظم في قلوبهم ويظهر لهم فساد من خالفهم .

يقول شيخ الإسلام :" ...فالحق كالذهب الخالص ، كلما امتحن ازداد جودة ، والباطل المغشوش المعشى ، إذا امتحن ظهر فساده فالدين الحق كلما نظر فيه الناظر ، وناظر عنه المناظر ظهرت له البراهين وقوى به اليقين وازداد به إيمان المؤمنين وأشرق نوره في صدور العالمين"أ.هـ[٣] .

٨. بالدفاع عن الدين والعقيدة يظهر فساد المفسدين وباطلهم لكل الناس:

بالدفاع عن العقيدة والرد على المخالفين يظهر ويفضح فساد المفسدين وتلبيس الملبسين لكل الناس حتى لأهل السنة أنفسهم قد لا يظهر لهم بذلك الوضوح إلا بعد الرد والمناقشة لهذا الباطل .

يقول شيخ الإسلام :" ..والدين الباطل إذا جادل عنه المجادل ، ورام أن يقيم عوده المائل ، أقام الله تبارك وتعالى من يقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق ،

(١) مجموع الفتاوى (٣/ ١٧٩).
(٢) مجموع الفتاوى (٢٣/ ٣٤٩).
(٣) الجواب الصحيح (١/ ١٥)ط.المجد التجارية .

ويبين أن صاحبه الأحمق كاذب مائق ، وظهر فيه من القبح والفساد والحلول والاتحاد والتناقض والإلحاد والكفر والضلال والجهل والمحال ما يظهر به لعموم الرجال أن أهله من أضل الضلال حتى يظهر فيه من الفساد ما لم يكن يعرفه أكثر العباد ، ويتنبه بذلك من كان غافلاً من سنة الرقاد من كان لا يميز الغي من الرشاد ..."أ.هـ[1] .

٩. بالدفاع عن الدين يُستبان سبيل المجرمين :

إن من أهم ما يمكن أن تظهر ثمرته لأهل الحق -من خلال ردهم على الباطل- معرفة طريقة المبتدعة والطاعنين في الدين في التدليس والتلبيس وتحريف النصوص عن معانيها الحقة ومعرفة كيفية تلاعبهم بالنصوص بحيث يستطيع كل أحد الرد عليهم وبيان باطلهم حتى من عامة الناس وصغار الطلبة .

وسوف يمر معنا طرفاً من طرق أهل السنة في الرد على المخالفين وبه تكمل الصورة للقارئ في بيان أهمية الرد على المخالفين .

(١) المصدر السابق (١/ ١٥-١٦).

المبحث الثاني

منهجهم في عرض الحجج واستيعاب الأدلة في الرد على المخالف

تمهيد:

مر معنا في مباحث سابقة الكلام عن منهج السلف خلال القرون الثلاثة الأولى في عرض الأدلة وكان من ضمنها الكلام على (استيعاب السلف للأدلة) في الباب الذي يريدون تقرير مسائل الاعتقاد فيه .

ولعل بعض ما ذكرناه يتكرر هنا ولكن ليس بالكثير لأن له علاقة بهذا المبحث.

وسوف نركز في حديثنا والأمثلة على منهجهم فيما يخص استيعابهم للحجج والأدلة أثناء الرد على المخالفين متجاوزين الحديث عن استيعابهم للحجج والأدلة أثناء تقريرهم لمسائل الاعتقاد لأنه قد مر كما سبقت الإشارة إليه .

وسوف يظهر لنا من خلال عرض هذا المبحث كيف أن السلف كانت ردودهم شافية كافية وبها أقاموا الحجة على مخالفيهم ولم يدعوا حجة لمحتج سواء كان بحسن نية أو بسوء نية -رحمهم الله رحمة واسعة-.

منهجهم في عرض الحجج واستيعاب الأدلة في الرد على المخالف:

تنوعت طرائق الأئمة في استيعاب الحجج والأدلة على النحو الآتي :

١. **حشد أنواع من النصوص في القضية الواحدة التي يراد الرد عليها:**

من أبرز مظاهر الاستيعاب وهي التي يحسن البدء بها وهي استيعاب أنواع الأدلة أثناء الرد على المخالف ، ونقصد بأنواع الأدلة :أن الأدلة من الكتاب نوع ، والأدلة من السنة نوع ثانٍ، والأدلة من إجماع سلف الأمة نوع ثالث ، والأدلة العقلية نوع رابع ، ونقل ما يؤيده من أقوال السلف نوع خامس من الأدلة وهكذا .

وأيضاً يحشدون النصوص في النوع الواحد من الأدلة فقد يوردون جميع الأدلة في القرآن التي تصرح بالرد على بدعة من البدع مثلاً كبدعة : نفي الرؤية -نفي العلو- نفي النزول -نفي بعض الصفات الفعلية وهكذا ...

المثال على هذه الطريقة : الإمام أحمد في الرد على الجهمية والزنادقة :

قال رحمه الله-في معرض رده على بدعة القول بخلق القرآن - :" وقد ذكر الله

كلامه في غير موضع من القرآن ، فسماه كلاماً ولم يسمه خلقاً :

قوله:﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾ [البقرة : ٣٧] .

وقال:﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[البقرة : ٧٥].

وقال :﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾ [الأعراف : ١٤٣].

وقال :﴿إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى﴾ [الأعراف :٤٤].

وقال :﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾[النساء : ١٦٤].

وقال :﴿فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ﴾ [الأعراف :١٥٨] فأخبرنا الله أن النبي ﷺ كان يؤمن بالله وبكلام الله .

وقال :﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾[الأعراف :٤٤].

وقال : ﴿لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف : ١٠٩].

وقال :﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة :٦] ولم يقل حتى يسمع خلق الله .

فهذه نصوص بلسان عربي مبين لا يحتاج إلى تفسير هو مبين بحمد الله .." أ.هـ.(١)

ومن خلال هذا النقل عن هذا الإمام يتبين لنا أنه رحمه الله لم يقتصر على آية أو آيتين وإنما استوعب كل الآيات أو أغلبها والتي دلت على أن القرآن كلام الله ليس بمخلوق .

فهذا نوع من الاستيعاب وهو الاستيعاب للأدلة في النوع الواحد،وهناك نوع آخر من الاستيعاب وهو ذكر أنواع متعددة من الأدلة فيذكرون الكتاب والسنة والإجماع واللغة والعقل وغير ذلك .

ولعل من الأمثلة على هذا النوع ما ذكره الإمام أبو عبيد في كتابه الإيمان عند تقريره لمذهب أهل السنة والرد على المخالفين فقد قال رحمه الله :

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ص١١٧-١١٨.

"فوجدنا تأويل القرآن ، وآثار النبي ﷺ وما مضت عليه العلماء ، وصحة النظر ، كلها تصدق أهل السنة في الإيمان ، فيبقى القول الآخر فأي شيء يتبع بعد هذه الحجج الأربع .."أ.هـ[١].

٢. **الرد على المخالف بنفس نوع الدليل :**

فإذا استدل المخالف بآية يردون عليه بنفس نوع الدليل وهو ذكر آيات أخرى تنقض هذا الاستدلال وتبين المعنى الصحيح للآية التي استدل بها المخالف.

وغالباً تستخدم هذه الطريقة حينما يلبس أهل البدع على الناس باستدلالهم ببعض الآيات أو حينما يشككون في كتاب الله بذكر بعض الآيات التي ظاهرها التعارض فيضطر أهل السنة للرد عليها بنفس الطريقة بذكر آيات أخرى تبين وتزيل التعارض المتوهم لدى المخالف أو المشكك.

المثال على هذه الطريقة :

ولعل من أبرز الأمثلة ما ذكره الإمام أحمد حينما رد على الزنادقة المشككين في آي القرآن فقد أوردوا شبهة مفادها :" أن الله عز وجل قال في آية :﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾[٢] ثم قال في آيـة أخرى: ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[٣] فقالوا هذا تناقض كيف ينسب لهم عدم الكلام ثم يثبته في موضع آخر ".[٤]

ثم شرع في الرد على هذه الشبهة بنفس نوع الأدلة بأن أزال هذا التناقض بذكر أدلة من القرآن ولم يأت بأدلة من السنة لتكون الحجة أقوى على المخالف حتى يثبت أن القرآن غير متناقض وأن من ادعى ذلك فهو من أجهل الناس بكتاب الله .

فقد قال رحمه الله : " أما تفسير ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾[المرسلات :٣٥] فهذا أول ما

(١) الإيمان لأبي عبيد ص٢٧-٢٨.

(٢) المرسلات [٣٥].

(٣) الزمر[٣١].

(٤) الرد على الجهمية والزنادقة ص٨٦-٨٧بتصرف واختصار.

تبعث الخلائق على مقدار ستين سنة لا ينطقون ، ولا يؤذن لهم في الاعتذار فيعتذرون ، ثم يؤذن لهم في كلام فيتكلمون ، فذلك قوله ﴿رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا ﴾ [السجدة :١٢] فإذا أذن لهم في الكلام واختصموا فذلك قوله :﴿ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمۡ تَخۡتَصِمُونَ﴾ [الزمر : ٣١] عند الحساب وإعطاء المظالم ، ثم يقال لهم بعد ذلك ﴿ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ ﴾ [ق: ٢٨] أي عندي ﴿وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ﴾ [ق :٢٨] فإن العذاب مع هذا القول كائن.." أ.هـ.[١]

فهذا البيان العظيم من هذا الإمام يوضح لنا الطريقة الأخرى في استيعابهم للحجج أثناء ردهم على المخالفين، وهي تبين كذلك منزلة الإمام أحمد وعميق فقهه بكتاب الله رحمه الله رحمة واسعة .

٣. إبراز وإظهار مخالفة أهل البدع للنصوص الصريحة :

من أساليب السلف في استيعاب الحجج في الرد على أهل البدع أنهم يظهرون ويبرزون المخالفة ويبينون وجه مخالفتها لصراحة النصوص .

وهذا الأسلوب يظهر شناعة وقبح قولهم حتى لعامة الناس مما يزيد في قناعة من يقرأ في كتب السلف بالحق الذي معهم ويزيده قناعةً بباطل البدعة وفسادها .

وممن درج على هذا الأسلوب الإمام المحدث البخاري كما في كتابه خلق أفعال العباد.

المثال على هذه الطريقة : البخاري في خلق أفعال العباد:

قال الإمام البخاري :" وقال علي بن الحسن :" سمعت ابن مصعب يقول : كفرت الجهمية في غير موضع من كتاب الله :

(قولهم إن الجنة تفنى) وقال الله : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ [ص :٥٤] فمن قال إنها تنفد فقد كفر .

وقال :﴿أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَا ﴾ [الرعد : ٣٥] فمن قال إنها لا تدوم فقد كفر .

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ص ٨٧.

وقال :﴿ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ﴾ [الواقعة :٣٣] فمن قال إنها تنقطع فقد كفر .

وقال :﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴾[هود : ١٠٨] فمن قال إنها تنقطع فقد كفر" أ.هـ(١) .

ووجه الاستيعاب ذكر جميع الآيات المصرحة بخلاف ما يقوله أهل البدع من مواضع مختلفة في القرآن .

وهذا الأسلوب يقطع حجة الخصم فلا يدع مجالاً له لأن يجادل بالباطل فالذي أبطل حجته ليس قول عالم يقبل النقاش والجدال ولا حديث مختلف في صحته فيمكن رده ولكن الذي أبطل الحجة نص صريح في كتاب الله جل وعلا ولا يرد صراحة هذه النصوص إلا ضال طمس الله بصيرته وأعمى قلبه عن اتباع الحق .

٤. **شرحهم للنص الذي يستدل به على إبطال حجة الخصم:**

وذلك من خلال : - بيان معناه .

- بيان وجه الاستدلال منه .
- ضربهم للأمثلة التي توضح المعنى المراد من الدليل .

ولعلي أقتصر على مثال عند الإمام أحمد في رده على الجهمية :

مما أورده أهل البدع من الشبهات النقلية لنفي صفة العلو عن الله عز وجل قوله تعالى :﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾[الأنعام : ٣] وغيرها من الآيات المشابهة لها .

فكان مما أجاب به الإمام بعض النصوص المصرحة بعلوه ثم ذكر المعنى الصحيح من الآية فقال : " وقلنا لهم : أليس تعلمون أن إبليس كان مكانه والشياطين مكانهم فلم يكن الله ليجتمع هو وإبليس في مكان واحد ، وإنما معنى قول الله جل ثناؤه :﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأنعام : ٣] ، يقول : هو إله من في السموات وإله من في الأرض وهو على العرش قد أحاط علمه بما دون العرش ، ولا يخلو من علم الله مكان ، و لا يكون علم الله في مكان دون مكان فذلك قوله :﴿لِتَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴾[الطلاق :١٢] .

---

(١) خلق أفعال العبادص ١٧، والأثر صحيح الإسناد وهو عند عبدالله في كتابه السنة (١/ ١٣٠-١٣١).

ومن الاعتبار في ذلك لو أن رجلاً كان في يديه قدح من قوارير صاف وفيه شراب صاف ، كان بصر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح ، فالله – وله المثل الأعلى – قد أحاط بجميع خلقه من غير أن يكون في شيءٍ من خلقه " أ.هـ.(١)

فالإمام هنا استخدم في الرد عليهم عدة أمور :

-إيراد النصوص الشرعية التي تبين مراد النص الشرعي.

-صرح بالمعنى الصحيح للآية التي استدلوا لها وشرحها .

-بين وجه الاستدلال من الدليل .

-ضرب الأمثلة التي تقرب ما يريد بيانه بأسلوب سهل ميسر .

-تأييد معنى الآية الصحيح بآيات ونصوص أخرى .

٥. بيان بطلان الاستدلال بالدليل – من جهة المعنى – ولو كان ضعيفاً من جهة الثبوت :

ومن ذلك أن أهل البدع قد يستدلون بحديث ضعيف أو هالك كما هي عادتهم فهم أجهل الناس بصحيح الحديث وسقيمه ، فلا يكتفي أهل السنة بإثبات ضعف الحديث بل يضيفون إليه عدم صحة الاستدلال به من جهة المعنى .

وهذا والله فيه إقفال كل الطرق والمنافذ على الخصم فإما أن يقر على نفسه بالخطأ وإما أن يعترف بفساد استدلاله .

وبهذه الطريقة يثبت أهل السنة أنهم من أعرف الناس بمعاني النصوص حتى الضعيفة منها وليس كما يزعم أهل البدع أنهم لا يعرفون معاني النصوص وما دلت عليه .

الأمثلة على هذه الطريقة :

والأمثلة على هذه الطريقة كثيرة وهي تثبت بطلان اتهام أهل البدع لأهل السنة بأنهم لا علم لهم إلا بالراوية ،وسيأتي تفصيل الرد على هذه الشبهة في آخر مبحث من هذه الرسالة –إن شاء الله –.

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ص١٣٧ .

المثال الأول: البخاري في خلق أفعال العباد :

ذكر الإمام البخاري شبهة من لم يفرق بين التلاوة والمتلو والقراءة والمقروء وهي : الاستدلال بحديث مرفوع هذا نصه :" فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على سائر خلقه " (١).

فعقب على هذا الإمام قائلاً:" قيل له : **لو صح الخبر لم يكن لك فيه حجة** ، لأنه قال "كلام الله " ولم يقل " قول العباد من المؤمنين والمنافقين وأهل الكتاب الذين يقرؤون بسم الله الرحمن الرحيم "، وهذا واضح بين عند من كان عنده أدنى معرفة أن القراءة غير المقروء ، وليس لكلام الفجرة وغيرهم فضل على كلام غيرهم كفضل الخالق على المخلوق ، وتبارك ربنا وتعالى عز وجل عن صفة المخلوقين " أ.هـ.(٢)

فالإمام لا يرى صحة الخبر ومع ذلك بين المعنى الصحيح منه ورد على استدلالهم به من جهة المعنى ، وهذا يدل على أمور:

-خبرته التامة بصحيح الحديث من سقيمه بخلاف أهل البدع .

-معرفته التامة بمعاني النصوص والروايات سواء ما صح أو لم يصح .

-بيانه ضعف استدلال أهل البدع بالنصوص الشرعية وأنهم يضعونها في غير مواضعها .

-استيعابه في الرد على كل حجج الخصوم فلم يقتصر على بيان ضعف الرواية بل أضاف إليها عدم صحة المعنى الذي قصدوه من الدليل .

المثال الثاني : الدارمي في الرد على الجهمية :

ب- أورد الإمام الدارمي شبهة لأهل البدع احتجوا بها على باطلهم وهي حجة وشبهة باطلة من ناحية الثبوت ومن ناحية المعنى .

ت- قال الإمام الدارمي مبيناً حجة أهل البدع في إنكارهم علو الله ونزوله:

---

(١) تقدم الحديث وتقدم هناك تخريجه .

(٢) خلق أفعال العباد ص١٦٢-١٦٣ ، وانظر مثالا آخر بعده مباشرة ص١٦٣ .

ث- "سمعت محتجاً يحتج عنهم في إنكارهم الحد والنزول ، وفي قولهم :"هو في كل مكان " بحديث :" **أربعة أملاك التقوا : أحدهم جاء من المشرق ، والآخر من المغرب ، والثالث من السماء ، والرابع من الأرض فقالوا أربعتهم : جئنا من عند الله** "[(١)] .." أ.هـ.[(٢)]

ج- فحاصل حجة أهل البدع هو هذا الحديث الضعيف بل المتهالك الذي لم يثبت فقال الإمام في رده على هذا الحديث من جهة عدم ثبوته ما يلي:

ح- **"إن أفلس الناس من الحديث وأفقرهم فيه الذي لا يجد من الحديث ما يدفع به تلك الأحاديث الصحيحة المشهورة في تلك الأبواب إلا هذا الحديث** .." أ.هـ.[(٣)]

خ- ثم أردف رده على الحديث من جهة عدم ثبوته الرد عليه من جهة المعنى فقال :

د- " **قلنا هذا الحديث لو صح لكان معناه مفهوماً معقولاً لا لبس فيه** لأنهم جاؤوا كلهم من عند الله كما قالوا ، لأن الله تعالى على عرشه فوق سماواته ، وسماواته فوق أرضه كالقبة ، ...." أ.هـ.[(٤)]

فالأئمة رحمهم الله لم يكتفوا بذكر عدم ثبوت الحديث من جهة السند بل بينوا عدم صحة المعنى الذي يستدلون به من خلال هذا الحديث وهذا يبين قوة حجتهم وعمق فهمهم وسعة علمهم وجهل مخالفهم وضعف حجته.[(٥)]

والأمثلة على هذه الطريقة والمنهج كثيرة ولعلنا نكتفي بما ذكر من أمثلة .

عقد مقارنة بين أقوال أهل البدع وأقوال الكفار والمشركين والمرتدين:

وهذه الطريقة تدل على فساد قول المخالف وخبث المذهب الذي يسلكه مما يزيد قناعة القاري والمريد للحق بفساد طريقة أهل البدع وسوء مذهبهم .

بل إن السلف عند إجراءهم المقارنة بين الكفار وأهل البدع يبينون في بعض

(١) الحديث :لم أجد من أخرجه ولعله من موضوعات أهل البدع .
(٢) الرد على الجهمية ص٩٩.
(٣) المصدر السابق .
(٤) المصدر السابق .
(٥) انظر مثالاً آخر على هذا الأمر عند الدارمي في رده على بشر المريسي (١/ ٣٥٤-٣٣٥٦).

المواضع أن الكفار في بعض المسائل أسد وأصح مذهباً من أهل البدع .

الأمثلة على هذه الطريقة :

المثال الأول:الدارمي في رده على بشر المريسي:

من المسائل التي اشتد النزاع فيها بين أهل السنة وأهل البدع مسألة العلو وكان مما استدل به أهل السنة على إثبات العلو حديث حصين الخزاعي والد عمران الصحابي المشهور والذي أثبت العلو لله عز وجل مع أنه كان كافراً فقال الإمام الدارمي معلقاً على هذا الدليل :

" **فحصين الخزاعي في كفره يومئذٍ كان أعلم بالله الجليل الأجل من المريسي وأصحابه** مع ما ينتحلون من الإسلام ؛ إذ ميز بين الإله الخالق الذي في السماء وبين الآلهة والأصنام المخلوقة التي في الأرض .." أ.هـ.(١)

المثال الثاني :الإمام البخاري في خلق أفعال العباد:

مما احتج به الإمام البخاري لبيان ضلال أهل البدع أن أهل الجاهلية قبل الإسلام كانوا يثبتون القدر فهم أسد مذهباً وأصح طريقة في هذا الباب من أهل البدع نفاة القدر المكذبين به .

قال رحمه الله :" وقال همام عن قتادة : **كانت العرب تثبت القدر في الجاهلية** " أ.هـ.(٢)

المثال الثالث : الدارمي في الرد على الجهمية :

تقدم أن الإمام الدارمي استدل على أن القرآن غير مخلوق أن الله عاب في كتابه على المشركين من أمثال الوليد بن المغيرة قوله عن القرآن أنه قول بشر أي مخلوق وهو نفس قول أهل البدع .

قال الإمام الدارمي :

" **وقوله :﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر :٢٥] وقول هؤلاء الجهمية "هو مخلوق**

---

(١) الرد على المريسي (١/ ٢٢٨).

(٢) خلق أفعال العباد ص ٩٩.

" واحد لا فرق بينهما ، فبئس التابع وبئس المتبوع .." أ.هـ.[1]

ومن خلال هذه الأمثلة يتبين لنا ما يلي :

١ -أن السلف كانوا يعقدون المقارنة بين أقوال أهل البدع وأقوال الكفار أثناء الرد على أهل البدع.

٢ -أنهم كانوا يستخدمون هذه الطريقة لإظهار قبح مذهب أهل البدع وفساد طريقتهم وهذه الطريقة بالغة النكاية في أهل البدع لأنها تحط من قدر مذاهبهم وتجعلها في بعض المواضع أشر من مذاهب الكفار والمشركين .

٣ -كانوا يستخدمون هذه الطريقة بأسلوبين :

الأول :بيان موافقة أهل البدع للكفار في قولهم الفاسد كما في مسألة خلق القرآن في المثال الثالث.

الثاني : بيان أن أهل البدع أشر وأفسد مذهباً في بعض المسائل من الكفار والمشركين كما في مسألة العلو والقدر في المثال الأول والثاني .

١ . التنزل مع المخالف في قوله والانتقال معه إلى حجة أخرى لإلزامه وإقامة الحجة عليه :

وهذه طريقة الرسل وأتباعهم في إقامة الحجة على المخالف وإفحامه وإسكاته كما أخبرنا الله عن المناظرة بين إبراهيم والنمروذ فقال جل وعلا :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ [البقرة : ٢٥٨].

قال الشيخ السعدي[2]:

"فلما رآه الخليل مموها تمويهاً ربما راج على الهمج الرعاع .

قال إبراهيم – ملزماً بتصديق قوله إن كان كما يزعم:

---

(١) الرد على الجهمية ص١٨٤.

(٢) تفسير السعدي (١/ ٣٢٠)

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة : ١٥٨].

فإبراهيم انتقل من الحجة التي قد يجادل معها الخصم إلى الحجة التي لا يستطيع معها الجدال ولا حتى بالباطل وهذا من أروع وأعلى مقامات المناظرة أن تجعل الخصم يقف مبهوتاً وعاجزاً عن أن يرد على حجتك ودليلك .

قال الحافظ ابن كثير :" ولهذا قال له إبراهيم لما ادعى هذه المكابرة :﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ ﴾ أي : إذا كنت كما تدعي من أنك تحيي وتميت؛ فالذي يحيي ويميت هو الذي يتصرف في الوجود في خلق ذواته، وتسخير كواكبه وحركاته ،فهذه الشمس تبدو كل يوم من المشرق فإذا كنت إلهاً كما ادعيت تحيي وتميت فأت بها من المغرب، **فلما علم عجزه وانقطاعه وأنه لا يقدر على المكابرة في هذا المقام** : بهت :أي أخرس فلا يتكلم وقامت عليه الحجة ...." أ.هـ.(١)

وهنا لابد من تنبيه وهو :

أن إبراهيم لم ينتقل من دليل إلى دليل آخر بل ألزم النمرود بطرد دليله إن كان صادقاً.(٢)

قال ابن كثير :

"وهذا التنزيل على هذا المعنى أحسن مما ذكره كثير من المنطقيين أن عدول إبراهيم عن المقام الأول إلى المقام الثاني انتقال من دليل إلى أوضح منه ، ومنهم من قد يطلق عبارة ردية ، وليس كما قالوه ، **بل المقام الأول يكون كالمقدمة للثاني ويبين بطلان ما ادعاه نمروذ في الأول والثاني** .." أ.هـ.(٣)

الأمثلة على هذه الطريقة :

ممن أكثر من هذه الطريقة الإمام الدارمي في رده على بشر في أكثر من موضع وهذه

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٦٣١).
(٢) انظر السعدي (١/ ٣٢٠).
(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٦٣١).

المواضع كالتالي :

الموضع الأول: حول إثبات الأصابع لله عز وجل :

قال رحمه الله :" ولئن جزعت (يعني المريسي وأتباعه) من حديث ابن مسعود عن النبي ﷺ في قصة الحبر ، **مالك راحة في رواية عائشة وأم سلمة وغيرهم مما يحقق حديث ابن مسعود ويثبت روايته** " أ.هـ.[١]

فالدارمي انتقل من الحجة التي حاول التهرب منها المريسي والطعن فيها إلى روايات أخرى مثلها وأصرح منها فماذا سوف يجيب عنها أهل البدع .

الموضع الثاني : إثبات الضحك لله عز وجل :

قال رحمه الله :" ولئن جزعت من حديث أبي موسى عن النبي ﷺفي الضحك حتى نفيته عن الله بمعنى ضحك الزرع ، **مالك راحة فيما روى ابن مسعود ﷺ مما يكذب دعواك ويستحيل به تفسيرك** " أ.هـ.[٢]

الموضع الثالث : حول إثبات الضحك لله عز وجل أيضاً:

قال رحمه الله :

" وسنذكر لك أيضاً بعض ما روي عن النبي ﷺ في ضحك الرب تعالى مما ينقض دعواك حتى تضمه إلى حديث أبي رزين وأبي موسى رضي الله عنهما فتعلم أن الله لم يوفقك للصواب من التأويل " أ.هـ.[٣]

٢. شرح الأحاديث التي تتضمن الرد على المخالفين :

وبيان معناها الصحيح الموافق لما جاء عن الله وعن رسوله وما جاء عن الصحابة والسلف الكرام .

وهذه الطريقة تشعر بقوة مذهب أهل السنة المؤصل والمعتمد على النصوص الشرعية لا على الأوهام العقلية كما هو حال أهل البدع .

(١) الرد على بشر (١/ ٣٧٥)
(٢) المصدر السابق (٢/ ٧٧٣).
الرد على المريسي (٢/ ٧٨٢-٧٨٣).

وغالباً ما يشرح أهل السنة الأحاديث التي فيها أصول الإسلام وقواعده الكبار .

ومن الأمثلة على هذه الطريقة :

الإمام محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة : شرحه لحديث جبريل المشهور:

فقد شرح الإمام هذا الحديث العظيم الذي يعد من أصول الدين وبين بطلان مذهب المرجئة من خلال شرحه وقد صرح بذلك في مقدمة شرحه للحديث فقال :

" اختلف الناس في تفسير حديث جبريل عليه السلام هذا فقال طائفة من أصحابنا : قول النبي ﷺ "الإيمان أن تؤمن بالله " ، وما ذكر معه ، كلام جامع مختصر ، له غور **وقد أوهمت المرجئة في تفسيره ، فتأولوه على غير تأويله** ؛قلة معرفة منهم بلسان العرب ، وغور كلام النبي ﷺ الذي قد أعطي جوامع الكلم ، وفواتحه ، واختصر له الحديث اختصاراً ﷺ...." أ.هـ [(١)] ثم شرع في شرحه جملة جملة .

٣. إيراد بعض المسائل الفقهية ضمن مصنفاتهم العقدية:

وقد تنوعت أغراضهم وأهدافهم من إيراد هذه المسائل ويمكن إجمالها فيما يلي :

أ- بيان جهل أهل البدع ببعض المسائل الفقهية الواضحة:

وذلك لبيان بعدهم عن العلم وأهله وأنهم من أجهل الناس بهذا الدين حتى لا يغتر بهم الناس ويظنون أنهم على شيء .

ومن ذلك صنيع **الإمام البخاري في خلق أفعال العباد** حيث قال :

" وقد سئل جهم عن رجل طلق امرأته قبل أن يدخل بها فقال : عليها العدة .

فخالف كتاب الله بجهله ، وقال سبحانه: ﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا﴾ [الأحزاب : ٤٩]..." أ.هـ.[(٢)]

ب- ذكر بعض المسائل التي يكون الخلاف فيها مبني على الخلاف العقدي:

كمسألة ترك الصلاة فالذي يكفر تارك الصلاة هم أهل السنة ولا يمكن أن يقارن

---

(١) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٩٢).

(٢) خلق أفعال العباد ص١٦.

فعلهم هذا بفعل الخوارج الذي يكفرون بارتكاب الكبائر .

المثال الأول :حكم تارك الصلاة .

قال الحميدي في رسالته في السنة :

" وأن لا نقول كما قالت الخوارج من أصاب كبيرة فقد كفر ولا نكفر بشيء من الذنوب إنما الكفر في ترك الخمس التي قال رسول الله ﷺ :" بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت " [(١)] .

فأما ثلاث منها فلا يناظر تاركه : من لم يتشهد ولم يصل ولم يصم لأنه لا يؤخر شيء من هذا عن وقته و لا يجزيء من قضاه بعد تفريطه فيه عامداً عن وقته " أ.هـ. [(٢)]

وكذلك ممكن أن يقال أن المرجئة لا يكفرون تارك الصلاة بناءً على اعتقادهم الفاسد في الإيمان وهو : إخراج العمل من الإيمان ، فمن ترك كل الأعمال عندهم ومنها الصلاة لا يكون كافراً بحال .

المثال الثاني : حكم المسح على الخفين :

قال محمد بن نصر في كتابه السنة :

"وقد أنكر طوائف من أهل الأهواء والبدع من الخوارج والروافض : المسح على الخفين ، وزعموا أن ذلك خلاف لكتاب الله .

ومن أنكر ذلك لزمه إنكار جميع ما ذكرنا من السنن ، وغير ذلك مما لم نذكر ، وذلك خروج من جماعة أهل الإسلام " أ.هـ. [(٣)]

فمسألة المسح على الخفين مسألة فقهية والخلاف فيها بين أهل السنة وأهل البدع لعدم احتجاجهم الكامل بالسنة النبوية .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الإيمان –باب دعاؤكم إيمانكم برقم (٨) ومسلم في صحيحه في الإيمان برقم (١٦)

(٢) أصول السنة للحميدي ص ٤٣ .

(٣) السنة لابن نصر ص١٠٤ .

فالخلاف وإن كان في مسألة فقهية فالخلاف مبني على الخلاف العقدي بين أهل السنة وأهل البدع.

ج- الاستدلال ببعض المسائل الفقهية لإبطال بعض ما يحتج به أهل البدع في بعض مسائل الاعتقاد:

وقد برز هذا بصورة جلية عند الإمام البخاري لكي يثبت أن أفعال العباد مخلوقة وأن فعل العبد غير كلام الله فالقرآن كلام الله غير مخلوق والقراءة فعل العبد وهي مخلوقة .

ولها صلة بالفتنة التي تعرض لها حول مسألة اللفظ، والتي أنكر بعض الناس عليه قوله إن القراءة فعل العبد وهي مخلوقة .

وقد أورد الإمام البخاري بعض المسائل الفقهية -والتي يقر بها مخالفوه – ليثبت الفرق بين المقروء وهو كلام الله وهو غير مخلوق وبين القراءة وهو فعل العبد وهو مخلوق.

المواضع التي ذكر فيها الإمام البخاري هذه المسائل :

أكثر الإمام البخاري من ذكر المسائل الفقهية التي قد يستدل بها على أن هناك فرقاً بين القراءة والمقروء والكتابة والمكتوب والتلاوة والمتلو وإليك هذه المواضع:

الموضع الأول :

قال رحمه الله :

"وليس لأحدٍ أن يحلف بالمخلوقين ولا بأعمارهم ولا بكلامهم ولا بكلام الكفار والمنافقين ولا بقول إبليس ، فمن حلف بقول المجوس أو نحوهم لم يلزمه حنث ، إنما يذكر عن ابن مسعود وإبراهيم عن النبي ﷺ :" من حلف بسورة من القرآن فعليه بكل آية منها كفارة "؛ **فأما أصوات المخلوقين فليس فيها كفارة** " أ.هـ[1] .

وجه الاستدلال:

---

(١) خلق أفعال العباد ص ١٥٦.

أن من حلف بالله أو بشيء من صفاته ككلامه سبحانه فيلزمه الكفارة ، وأما من حلف بالمخلوق فليس عليه كفارة فالحديث فيه إثبات أن القرآن كلام الله وصفة من صفاته لأن فيه الكفارة .

ووجه الشاهد قوله (**فأما أصوات المخلوقين فليس فيها كفارة**) ففرق بين كلام الله وهو المتلو المقروء وبين التلاوة والقراءة وهي أفعال العباد.

الموضع الثاني :

قال رحمه الله :

"**ولا نشك في قراءة الكفار وأهل الكتاب أنها أعمالهم ، وأما المقروء فهو كلام الله العزيز المنان ليس بمخلوق** ، فمن حلف بأصوات قيصر وبنداء المشركين الذين يقرون بالله لم يكن عليه يمين دون الحلف بالله لقول النبي ﷺ :" لا تحلفوا بغير الله "[(١)].

وليس لأحدٍ أن يحلف بالخواتيم والدراهم البيض وألواح الصبيان التي يكتبونها ثم يمحونها مرة بعد مرة ، وإن حلف فلا يمين عليه لقول الله عز وجل :﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾[البقرة :٢٢]....." أ.هـ[(٢)].

وهذا الموضع أصرح من الذي قبله في المراد ولعل ما ذُكر من أمثلة فيه كفاية والله المستعان.

---

(١) الحديث أخرجه : أحمد في المسند (٣/ ٤٨٧) بلفظ طويل والمصنف هنا اقتصر على موضع الشاهد ولفظه عند أحمد قال : " عن أبي أمامة سهل بن أبي حنيف أن النبي ﷺ بعثه قال : أنت رسولي إلى أهل مكة قل : إن رسول الله ﷺ أرسلني يقرأ عليكم السلام ويأمركم بثلاث : **لاتحلفوا بغير الله** ، وإذا تخليتم فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها و لاتستنجوا بعظم ولا ببعرة " أ.هـ.

وأورده الهيثمي في المجمع (٤/ ١٧٧) وقال : " فيه عبدالكريم بن أبي المخارق وهو ضعيف" أ.هـ.لكن الحديث معناه صحيح ويشهد له الأحاديث الأخرى منها الحديث الصحيح :"من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك" .

(٢) خلق أفعال العبادص١٥٨-١٥٩.

المبحث الثالث

معرفتهم بشبهات الخصوم واطلاعهم على كتبهم

تمهيد:

لاشك أن معرفة حال المخالف وحقيقة مذهبه وتوثيق أقواله من مصادره التي يعتمد عليها يعين في فهم المذهب الفاسد ونقضه من أساسه .

وقد حرص السلف على هذه القضية وكانت واضحة في مصنفاتهم ؛ فكانوا لا يتكلمون عن مخالفيهم بجهل وظلم بل كانوا يتكلمون عنهم بعلم وعدل ومعرفة تامة بحالهم ، بل أصبحت كتب السلف مصدراً مهماً لمن أراد أن يعرف حقيقة مذاهب أهل البدع .

وتظهر أهمية معرفة حقيقة مذاهب أهل البدع الفاسد والاطلاع عليها في أمور عدة منها على سبيل الإجمال ما يلي :

١-الاطلاع على حقيقة المذهب يعين على فهمه ومن ثم الرد عليه وإبطاله ، والذي لا يفهم المذهب على حقيقته قد يقع في التناقض أو يجد عليه أهل البدع بعض المداخل التي قد يشنعون بها عليه.

٢-أن التصدي للرد عليهم دون معرفة حقيقة مذهبهم يفسد في بعض الأحيان أكثر مما يصلح ، لأن أهل البدع قد يحتجون بكلامه ضد أهل السنة أثناء الرد عليهم .

٣-أن الاطلاع على حقيقة مذاهبهم يزيد المؤمن إيماناً ويقيناً بالحق الذي معه ، وإيماناً ويقيناً بالباطل الذي يدعون إليه .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية :" ..**وكلما كان الرجل أعقل وأعرف وأعلم وأخبر بحقيقة الأمر في نفسه ، وبقول هؤلاء النفاة ؛ازداد في ذلك بصيرة وإيماناً ،ويقيناً وعرفاناً..**" أ.هـ[1] .

٤-أن من تصدى للرد عليهم دون علم بحالهم يقع في أمور محظورة منها:

أ-رد الحق الذي معهم وهو الذي يقول به أهل السنة .

ب-الظلم والتعدي وعدم العدل معهم وتقويلهم واتهامهم بما ليس فيهم ،

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ١٨٢).

وقد أمرنا الله بالعدل .

ج- عدم ذكر الأسس والقواعد المهمة التي يجب هدمها قبل غيرها لنقض مذهبهم ؛والمطلع على مذهبهم لا يفوته مثل هذا الأمر .

ويحسن بنا في هذا المقام أن ننقل كلاماً نفيساً لأحد العلماء الذين عاشوا خلال القرون الثلاثة الأولى واطلعوا على حقيقة مذاهب أهل البدع ،وكان شوكة في حلوقهم إلى وقتنا الحاضر ألا وهو **الإمام الدارمي صاحب النقض على بشر والرد على الجهمية** .

يقول الإمام الدارمي في كتابه العظيم (**الرد على الجهمية**) مبيناً خطورة الرد على أهل البدع دون المعرفة التامة بحقيقة مذهبهم :

"..احتججنا بهذه الحجج وما أشبهها على بعض هؤلاء الواقفة ، وكان من أكبر احتجاجهم علينا في ذلك أن قالوا : إن أناساً من مشيخةِ رواة الحديث **الذين عرفناهم عن قلة البصرِ بمذاهب الجهمية** سُئِلوا عن القرآن فقالوا : لا نقول فيه بأحد القولين ، وأمسكوا عنه إذ لم يتوجهوا لمراد القوم ، لأنها كانت أُغلوطةٌ وقعت في مسامعهم لم يعرفوا تأويلها ، ولم يُبتلوا بها قبل ذلك ، فكفوا عن الجواب فيه وأمسكوا ، فحين وقعت في مسامع غيرهم **من أهل البصر بهم ، وبكلامهم ومرادهم ممن جالسوهم وناظروهم وسمعوا قُبحَ كلامهم** ، مثل من سَمَّيْنَا ، مثل: جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، وابن المبارك ، وعيسى بن يونس، والقاسم الجزري ، وبقية بن الوليد ، والمعافى بن عمران ، **ونظرائهم من أهل البصر بكلام الجهمية** ، لم يشكو أنها كلمة كفر وأن القرآن نفس كلام الله كما قال الله تبارك وتعالى وأنه غير مخلوق ، إِذ رَدَّ الله على "الوحيد" قوله : إنه قول البشر ، وأصلاه عليه سقر ، **فَصَرَّحوا به على علمٍ ومعرفةٍ أنه غير مخلوق ، والحجة بالعارف بالشيءِ لا بالغافل عنه القليل البصر به ، وتعلق هؤلاء فيه بإمساك أهل البصر ، ولم يلتفتوا إلى قول من استنبطه وعرف أصله** .

فقلنا لهم : إن يك جَبُنَ هؤلاء الذين احتججتم بهم من قلة بصرٍ فقد اجترأ هؤلاء وصرحوا ببصر ، وكانوا من أعلام الناس ، وأهل البصر بأصول الدين وفروعه ، حتى

أكفروا من قال : " مخلوق " غير شاكين في كفرهم ، ولا مُرتابين فيهم " أ.هـ.[(١)]

ومن خلال هذا التقعيد النفيس المفيد من هذا الإمام يمكن أن نخرج بالآتي:

١-أن حسن النية وسلامة المعتقد لا تكفي لمن أراد أن يتصدى للرد على شبهات أهل البدع بل لا بد من إضافة العلم التام والراسخ بالمعتقد الصحيح وبحال أهل البدع وشبهاتهم وطرائقهم وأساليبهم حتى لا يخدع بما يقولون ويموهون .

٢-أهل البدع قد يجدون مستمسكاً لبدعهم بكلام جهلة أهل السنة الذين لا خبرة ولا إطلاع لهم على شبهات ومذاهب أهل البدع .

٣-أن السلف في القرون الأولى كانوا على دراية تامة بمذاهب المخالفين مع سعة علمهم بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة ؛ ولهذا لم يجد أهل البدع في كلامهم ما يؤيد بدعهم لا تصريحاً و لا تلويحاً.

٤-الحجة في المسائل المتعلقة بالبدع وما يتعلق بها وبأهلها تكون بكلام العارف بمذاهب أهل البدع لا بمن جهل حالهم فقوله لا يحتج به لما اعتراه من النقص في هذا الباب ألا وهو الاطلاع على حقيقة مذهبهم.

٥- من علامات فهم السلف لأقوال أهل البدع عدم ترددهم في إصدار الأحكام على بعض أقوالهم الفاسدة من التكفير و التبديع و التفسيق ؛لأنها أحكام صدرت عن علم بالشرع وبحال البدع وحقيقتها وحال أهلها ومرادهم .

الأمور التي يظهر من خلالها معرفة السلف بشبهات أهل البدع والاطلاع على كتبهم :

الذي ينظر بعين الإنصاف والتجرد عن الهوى في كتب السلف يعلم علم اليقين مدى تبحر السلف وفهمهم لأقوال مخالفيهم واطلاعهم على كتبهم ويمكن أن تبرز هذه المعرفة وهذه الدراية من خلال الأمور التالية :

---

(١) الرد على الجهمية ص١٩٦-١٩٧.

١. نص السلف على اطلاعهم على كتب أهل البدع :

فالسلف رحمهم الله لم يكونوا ينقلون عن غيرهم من أهل البدع دون توثيق أقوالهم من كتبهم أنفسهم ؛بل كانوا يرجعون إلى مصادرهم الأصلية ويطلعون على شبهاتهم من غير زيادة ولا نقصان.

وقد نص الأئمة على هذا المنهج في كتبهم أثناء ردودهم ومناظراتهم لأهل البدع .

ولعلي اقتصر هنا على كلام للإمام الدارمي الذي اشتهر بالرد على أهل البدع وبيان باطلهم .

قال –رحمه الله – في معرض رده على الواقفة وبيان حقيقة مذهبهم :

" ..**ثم إن ناساً ممن كتبوا العلم –بزعمهم – وادعوا معرفته**، وقفوا في القرآن فقالوا: لا نقول "مخلوق هو " ولا " غير مخلوق " ، ومع وقوفهم هذا لم يرضوا حتى ادعوا أنهم ينسبون إلى البدعة من خالفهم وقال بأحد هذين القولين " أ.هـ[1] .

فقوله (**ممن كتبوا العلم**) يشير إلى أنه اطلع على بعض كتبهم حول هذه البدعة .

وقال –رحمه الله – أثناء رده على المريسي مما يدل على اطلاعه على كتب أهل البدع ما نصه :

" ....كما أبطلها إمامك المريسي **في أماكن من كتابك** سنبينها لمن غفل عنها .." أ.هـ[2] .

فقوله (**في أماكن من كتابك**) يدل على اطلاعه التام على كتب أهل البدع.

٢. اطلاع السلف على أحوال أهل البدع الخاصة :

إن مما يبين معرفة السلف بحال أهل البدع والاطلاع على كتبهم وشبهاتهم أنهم ينقلون الوقائع والحوادث لأهل البدع الخاصة التي لا يعرفها كثير من الناس والتي تكشف جانباً مهماً من حقيقة أهل البدع وسوء مذهبهم وخبث طويتهم .

---

(١) الرد على الجهمية ص١٩٣.

(٢) الرد على المريسي(١/ ٢١٩).

الأمثلة على هذه القضية :

المثال الأول : الإمام أحمد وحكايته تاريخ جهم بن صفوان :

مما يدل على سعة اطلاع الإمام أحمد على سيرة رؤوس أهل البدع نجده يسرد لنا تاريخ جهم وانحرافه وبداية ضلاله مما يدل على سبر ورصد لسيرتهم من قبل أئمة السنة .

يقول رحمه الله في رده على الجهمية :

"..**فكان مما بلغنا من أمر الجهم عدو الله** ، أنه كان من أهل خراسان من أهل ترمذ ، وكان صاحب خصومات وكلام ،وكان أكثر كلامه في الله تعالى ، فلقي أناساً من المشركين يقال لهم **السمنية** [(١)] فعرفوا الجهم فقالوا له : نكلمك ، فإن ظهرت حجتنا عليك دخلت في ديننا ، وإن ظهرت حجتك دخلنا في دينك ..(ثم ذكر المناظرة التي جرت بينهم) ثم قال : **فتحير الجهم فلم يدر من يعبد أربعين يوماً** ..." أ.هـ[(٢)] .

وقال يزيد بن هارون :

"لعن الله الجهم ومن قال بقوله ، كان كافراً جاحداً ترك الصلاة أربعين يوما يزعم أنه يرتاد ديناً ، وذلك أن شك في الإسلام ، قال : قتله سلم بن أحوز على هذا القول" أ.هـ[(٣)] .

المثال الثاني : الإمام البخاري وعبد الله بن أحمد يرويان قصة مخزية للجهم بن صفوان:

أخرج الإمام البخاري وعبد الله بن أحمد بسنديهما قالا:

"كان رجل من أهل مرو صديقاً لجهم ثم قطعه وجفاه فقيل له : لم جفوته ؟ فقال : جاء منه ما لا يحتمل ، قرأت يوماً آية كذا وكذا –نسيها يحيى– فقال : ما كان أظرف

---

(١) السمنية : بضم السين وفتح الميم قوم من أهل الهند دهريون يقولون بالتناسخ وقدم العالم وإبطال النظر والاستدلال ، وأنه لا معلوم إلا من جهة الحواس الخمس ، وأنكر أكثرهم المعاد والبعث بعد الموت .
انظر : الفرق بين الفرق ص٢٠٣ ، لسان العرب (مادة سمن)(١٣/ ٢٢٠).

(٢) الرد على الجهمية للإمام أحمد ص١٠٢–١٠٣ .

(٣) السنة لعبدالله (١/ ١٦٧)برقم (١٨٩).

محمداً ، فاحتملتها ، ثم قرأ سورة طه فلما قال : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طه : ٥] قال : أما والله لو وجدت سبيلاً إلى حكها لحككتها من المصحف ، فاحتملتها ، ثم قرأ سورة القصص فلما انتهى إلى ذكر موسى قال : ما هذا ؟ ذكر قصة في موضع فلم يتمها ثم ذكر ههنا فلم يتمها ، ثم رمى بالمصحف من حجره برجليه فوثبت عليه " أ.هـ[١] .

المثال الثالث : الدارمي يحكي واقع المريسي في رده لسنة الرسول ﷺ:

قال –رحمه الله –:

"وبلغنا أن بعض أصحاب المريسي قال له : كيف تصنع بهذه الأسانيد الجياد التي يحتجون بها علينا في رد مذاهبنا ، مما لا يمكن التكذيب بها ....قال :فقال المريسي : **لا تردوه فتفتضحوا ، ولكن غالطوهم بالتأويل** فتكونوا قد رددتموها بلطف ؛ إذ لم يمكنكم ردها بعنف ..." أ.هـ بتصرف واختصار [٢] .

المثال الرابع : الإمام ابن قتيبة يحكي جرأة أهل البدع على الله :

ونسوق هنا كلاماً نفيساً للإمام ابن قتيبة يحكي فيه تجربته مع أهل البدع أثناء طلبه للعلم .

قال –رحمه الله –:

" وقد كنت في عنفوان الشباب وتطلب الآداب أحب أن أتعلق من كل علم بسبب ، وأن أضرب فيه بسهم فربما حضرت بعض مجالسهم وأنا مغتر بهم طامع أن أصدر عنهم بفائدة أو كلمة تدل على خير أو تهدي لرشد **فأرى من جرأتهم على الله تبارك وتعالى وقلة توقيهم وحملهم أنفسهم على العظائم**- لطرد القياس أو لئلا يقع انقطاع –ما أرجع معه خاسراً نادماً ...." أ.هـ[٣] .

فهذه شهادة مطلع وخبير بحالهم ، وممن جالسهم ولازمهم وهو من أئمة السلف والسنة رحمه الله .

---

(١) البخاري في خلق أفعال العباد ص٢٦برقم (٧٠) .وعبدالله في السنة (١/ ١٦٧) برقم (١٩٠) وسندها صحيح
(٢) الرد على المريسي (٢/ ٨٦٧-٨٦٨) باختصار.
(٣) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص٤٣ .

٣. نقل السلف أقوال أهل البدع ومواقفهم منهم مباشرة دون واسطة :

•ومما برز في منهج السلف أثناء تدوينهم لمسائل الاعتقاد أنهم ينقلون شبهاتهم وتحريفاتهم من أفواههم مباشرة حتى لا يزعم زاعم أنهم يتقولون عليهم .

ولهذا لم نجد أن أحداً من أهل البدع أنكر ما نسب إليه لأنه يعلم أن السلف أخذوها منهم مباشرة وناظروهم في هذه الأغلوطات وأقاموا عليهم الحجة فيها .

وبهذه الطريقة يقطعوا الطريق على من أراد أن يتهم السلف أنهم يتقولون على أهل البدع بغير علم ولا معرفة ، وهي كذلك طريقة تقنع من اغتر بهم حتى يعرف حقيقتهم من خلال كلام من سمعها منهم مباشرة .

الأمثلة من كتب السلف على هذه الطريقة :

المثال الأول :

عباد بن العوام [(١)] يلخص حقيقة مذهب بشر المريسي :

أخرج عبد الله بن أحمد في السنة بسنده عن عباد بن العوام قال :

" **كلمت بشر المريسي وأصحاب بشر فرأيت آخر كلامهم ينتهي أن يقولوا: ليس في السماء شيء**" أ.هـ[(٢)].

ومن خلال هذا النقل يمكن أن نستفيد الآتي :

أ-تصريحه بالكلام مع أهل البدع وخاصة زعماؤهم ومنظروهم .

ب-تصريحه بعدم اقتصاره على رجل واحد منهم بل مجموعة منهم **(بشر وأصحابه)**.

ج-خروجه بالنتيجة بعد فترة من التمحيص والتريث حتى لا يتهمهم بما لا يعتقدون ، وهذا يستفاد من قوله **(فرأيت آخر كلامهم)**.

---

(١) عباد بن العوام بن عمر الكلابي مولاهم ، أبوسهل الواسطي ثقة ، حدث عن ابن عون والجريري ، وعنه أحمد بن حنبل والحسن بن عرفة وغيرهما ،كانت وفاته سنة خمس وثمانين ومائة .انظر: التقريب ص٤٨٢ ورقم (٣١٥٥)، السير (٨/ ٥١١).

(٢) السنة لعبدالله (١/ ١٢٧).

د-خروجه بنتيجة خطيرة تدل على خبث وسوء مذهب بشر وأصحابه وأن السلف لم يكفروه ويحكموا بقتله إلا بعد وجود مثل هذه المبررات .

المثال الثاني :

يحيى بن أيوب [(١)] لم يتكلم في بشر حتى سمع منه مباشرة حتى يقول فيه بعلم :

في هذا المثال صراحة واضحة من السلف في تقرير هذا المنهج ، والذي يبرز فيه تثبتهم ،وورعهم ،وحرصهم على توثيق مصادرهم تجاه أقوال مخالفيهم من أهل البدع .

ولنستمع إلى كلام يحيى بن أيوب حتى نعلم منزلة السلف رحمهم الله :

قال عبد الله بن أحمد في السنة :" أخبرت عن يحيى بن أيوب قال : كنت أسمع الناس يتكلمون في المريسي **فكرهت أن أقدم عليه حتى أسمع كلامه لأقول فيه بعلم فأتيته** فإذا هو يذكر الصلاة على عيسى بن مريم صلوات الله عليه فقلت له : إنك تكثر الصلاة على عيسى فأهل ذاك هو ولا أراك تصلي على نبينا ، ونبينا ﷺ أفضل منه ؟ فقال لي : ذلك كان مشغولاً بالمرآة والمشط والنساء " أ.هـ[(٢)].

فقوله (**لأقول فيه بعلم**):في هذه الجملة ما يدل على وضوح هذا المنهج في حياتهم رحمهم الله رحمةً واسعة .

وقوله (**فكرهت أن أقدم عليه حتى أسمع كلامه**): يظهر مدى حرصهم على معرفة حال خصومهم قبل مواجهتهم حتى يكونوا على معرفة تامة بجوانب القوة والضعف ،ومعرفة تامة بجوانب الحق والباطل عندهم ؛فحين يتم اللقاء يكون النصر بإذن الله حليفهم .

---

(١) **يحيى بن أيوب أبو زكريا المقابري** :بفتح الميم والقاف ثم موحدة مكسورة ، البغدادي ، العابد ، ثقة رويعن شريك وابن وهب وغيرهما وعنه عبدالله بن أحمد والصاغاني وغيرهما ، وكان ورعاً يقول بالسنة ويعيب على من يقول بقول جهم ،كانت وفاته سنة أربع وثلاثين ومائتين .انظر : التقريب ص١٠٥٠برقم (٧٥٦٢) ، السير (١١/ ٣٨٦.)

(٢) السنة لعبدالله (١/ ١٧٠).

المثال الثالث:

الإمام الدارمي يواجه أهل البدع بمقالاتهم المخزية التي يخفونها ولا يظهرونها أمام الناس:

مما أحرج فيه الإمام الدارمي أهل البدع هو مواجهتهم بحقيقة مذهبهم وسوء طويتهم من خلال كلامهم الذي لا يظهرونه أمام الناس .

ومن ذلك أثناء رده على المريسي حيث قال :

"...فإن كنت تدفع هذه الآثار بجهلك ، فما تصنع في القرآن ، وكيف تحتال له ؟ وهو من أوله إلى آخره ناقض لمذهبك ، ومكذب لدعواك ، **حتى بلغني عنك من غير رواية المعارض أنك قلت :ما شيء أنقض لدعوانا من القرآن غير أنه لا سبيل لدفعه إلا مكابرة بالتأويل** " أ.هـ[1].

ومن خلال هذا النقل يتبين لنا أمور :

الأول : أن السلف لا يكتفون بما يقوله أهل البدع ؛بل يتأكدون من خلال مصادرهم الأخرى ليتعرفوا على حقيقة مذاهبهم ، وحتى لا ينخدعوا بما يظهره أهل البدع من زخرف القول والمداهنة والكذب الذي هو شعارهم ودثارهم في نشر باطلهم .

الثاني :حرص السلف على إبراز حقيقة مذاهب أهل البدع، وفضحهم أمام أتباعهم وأمام الجهلة من أهل السنة ممن لا يعرف حقيقة مذهبهم ،وأنهم يحاولون هدم أصول الدين وأركانه بأسلوب ماكر وخفي.

المثال الرابع :

الإمام الدارمي ينص على سماعه كلام أهل البدع منهم مباشرة وأنه أعلم بمذهبهم من أنفسهم :

نص الإمام الدارمي في موضعين من كتابه (الرد على الجهمية) على هذه القضية بعبارة صريحة وواضحة فقال في :

---

(١) الرد على المريسي (١/ ٣٩٤).

الموضع الأول :

قال رحمه الله :

"**سمعت محتجاً يحتج عنهم** في إنكارهم الحد والنزول ، وفي قولهم (هو في كل مكان)..." أ.هـ[(١)].

وهذا تصريح منه رحمه الله بمصدره وأنه سمع منهم مباشرة .

الموضع الثاني :

قال رحمه الله :

"...قلت لبعضهم : دعوا هذه الأغلوطات **التي نحن أعلم بها منكم** ..." أ.هـ[(٢)].

فانظر إلى قوله (**نحن أعلم بها منكم**) : يدل على عناية السلف بمذاهب المخالفين والاطلاع عليها حتى إنهم قد يفوقون أهل البدع في معرفة حقيقة مذهبهم .

ولا شك أن من وصل إلى هذه الدرجة من الاطلاع يدل على أنه لم يكن شيئاً عابراً أو ليس له أهمية في حياتهم العلمية ؛ بل يدل دلالة واضحة على أهمية ومنزلة العلم والاطلاع على حال أهل البدع وحقيقة مذاهبهم عند سلفنا الأوائل .

٤. تحريرهم لمحل النزاع مع أهل البدع وبيان وجه المخالفة معهم :

من الأمور التي يظهر من خلالها اهتمام السلف بمعرفة حال البدع وأهلها والاطلاع عليها والاهتمام بشبهاتهم ومعرفتها : أنهم يحددون ويفصلون أثناء تأليفهم وتصنيفهم وجه المخالفة بيننا وبينهم وكذلك يوضحون جانب الخلل عندهم .

ولا يمكن لشخص غير مطلع ولا مهتم بشبهاتهم وتقريراتهم أن يفصل هذا التفصيل الدقيق.

وبالمثال يتضح المقال .

المثال على هذه الطريقة : الإمام البخاري في خلق أفعال العباد:

---

(١) الرد على الجهمية ص٩٩

(٢) المصدر السابق ص١٨٠ .

الإمام البخاري أثناء بيانه للمذهب الحق في مسألة أفعال العباد بين أن سبب ضلال الجهمية في القول بخلق القرآن أنهم جعلوا فعل العبد وهو القراءة والتلاوة والمقروء المتلو واحد ولم يفرقوا بينهما .

فكل ما احتجوا به إنما يدل على أن أفعال العباد مخلوقة وليس شيء من صفاته- ومنها صفة الكلام- مخلوق ألبته.

وكذلك بعض أهل السنة لم يفرقوا بين فعل العبد وهو القراءة والتلاوة وهو مخلوق وبين المقروء المتلو وهو القرآن كلام الله غير مخلوق بل هو صفة من صفاته، وجعلوا الجميع غير مخلوق وصفة من صفات الله وهذا لا يصح أيضاً.

قال الإمام البخاري مقرراً ما ذكرناه سابقاً:

" ....وقد بين الله ذلك قولاً للمخلوقين حين قال :﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ [الملك :٢].

فأخبر أن العمل من الحياة ثم بين خلقه فقال :﴿ وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الملك :١٣-١٤].

مع أن الجهمية والمعطلة إنما ينازعون أهل العلم على قول الله (إن الله لا يتكلم ، وإن تكلم فكلامه خلق)-على حد زعمهم – فقالوا : إن القرآن المقروء بعلم الله مخلوق ، **فلم يميزوا بين تلاوة العباد وبين المقروء ....**" أ.هـ[1].

ومن خلال هذا النقل يبين الإمام ما يلي :

أ- أن محل النزاع بيننا وبينهم هو الموقف من كلام الله ، فأهل البدع يقولون لا يتكلم وأن تكلم فكلامه مخلوق، ونحن نثبت الكلام أنه صفة من صفاته وأن القرآن منزل غير مخلوق.

ب- أن سبب زللهم القاعدة الفاسدة التي انطلقوا منها و هي : عدم تمييزهم بين تلاوة العباد التي هي من أفعالهم ؛وأفعالهم مخلوقة ، وبين المقروء

---

(١) خلق أفعال العباد ص٩٧.

وهو كلام الله الذي هو صفة حقيقية لله نثبتها له وهي غير مخلوقة .

٥. ذكر هم التفاصيل الدقيقة لمذاهب المخالفين والفروقات بينها:

إن من الأدلة العملية على سعة اطلاع السلف بمذاهب المخالفين واهتمامهم بها : ما يظهر لنا من خلال قراءة مصنفاتهم عند عرضهم مذاهب المخالفين فإنك تلحظ أموراً عدة منها على سبيل الإجمال ما يلي :

أ-سردهم لأقوال المخالفين لأهل السنة وحججهم مع كثرتها:

مما يبين اطلاع السلف واهتمامه بأقوال المخالفين ومعرفتها :سردهم لأقوال المخالفين وبيان مذهب كل قول وحجته ولو كانت كثيرة .

والملفت للنظر أن هذا التفصيل في كتاب من كتب الاعتقاد وليس في كتب الفرق المتخصصة .

ومن الأمثلة على هذا الأمر:

الإمام أبو عبيد في آخر كتاب الإيمان :

ختم أبو عبيد كتابه (**الإيمان**) بذكر مقالات الطوائف المخالفة لأهل السنة في باب **الإيمان** ، والتي لم يشر إليها في ثنايا كتابه ؛حتى يكتمل موضوع الكتاب ،مع إشارة مختصرة لحجة كل قول فقال –رحمه الله -:

"..ذكر الأصناف الخمسة الذين تركنا صفاتهم في صدر كتابنا هذا ومن تكلم به في الإيمان هم :

الجهمية (١)،

والمعتزلة (٢)،

---

(١) وهي تنسب للجهم وقائم مذهبهم على نفي الأسماء والصفات جميعها ،وهي تتفاوت في غلوها وانحرافها وهم في باب الإيمان يقولون بالمعرفة فقط وفي القدر جبرية محضة، وقد أجمع السلف على تكفيرهم ،بل بعضهم أخرجهم من الفرق الإسلامية وعدهم ملة أخرى.

انظر :الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٦) ، الفرق بين الفرق ص١٥٨، مقالات الإسلاميين (١/ ٢١٣).

(٢)تقدم التعريف بها .

والإباضية [١]،

والصفرية [٢]،

الفضلية [٣]" أ.هـ [٤].

ثم ذكر مذهب كل طائفة وما يحتج به على وجه الاختصار ثم قال –رحمه الله -:

" وهذه الأصناف الثلاثة من فرق الخوارج معاً [٥]، إلا أنهم اختلفوا في الإيمان، وقد وافقت الشيعة فرقتين منهم: **وافقت الرافضة** [٦] **المعتزلة، ووافقت الزيدية** [٧]

---

(١) **الإباضية**: أصحاب عبدالله بن إباض الذي خرج في أواخر دولة بني أمية على الخليفة مروان بن محمد، وهم من أقل فرق الخوارج انحرافاً وأقلها غلواً وهي التي ما زالت إلى يومنا هذا، ولكنهم في باب الصفات قد يوافقون المعتزلة نفاة الصفات. وهم من أميل طوائف الخوارج إلى المسالمة وعدم القتال وإراقة الدماء وينتشرون في أجزاء من المغرب العربي والتجمع الكبير لهم في دولة عمان وهو مذهب الدولة الرسمي. وتفرقت الخوارج إلى أربع طوائف: الحفصية والحارثية وأصحاب طاعة لايراد الله بها واليزيدية.
انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١٣٤)، مقالات الإسلاميين (١/ ١٨٣)، الخوارج: دراسة ونقد لمذهبهم ص٨٤ للشيخ ناصر السعوي ط. دار المعراج ط. الأولى ١٤١٧هـ.

(٢) **الصفرية**: ويقال لهم الزيادية أصحاب زياد بن الأصفر وهي من الطوائف الكبيرة والقديمة من طوائف الخوارج، وهم من غلاة طوائف الخوارج الذين يكفرون بالذنب وهم على طوائف مختلفة في الاعتقاد كما هو حال أهل البدع أهل التفرق، وهم خالفوا الأزارقة والنجدات والإباضية في بعض المعتقدات وهم أقل غلواً من الأزارقة في بعض أقوالهم.
انظر: الملل والنحل (١/ ١٣٧)، مقالات الإسلاميين (١/ ١٨٢)، الفرق بين الفرق ص٦١، الخوارج للسعوي ص٨١.

(٣) **الفضلية**: ويقال لهم المفضلية: وهو أحد شيوخهم واسمه المفضل، وهم من طوائف الخوارج بل من غلاتهم الذين يكفرون بلكل ذنب كبر أم صغر، وكفروا من خالفهم، ومن غرائب قولهم: أن من قال: لا إله إلا الله بلسانه وهو يعني بقلبه صنماً أو المسيح أو غير ذلك لايكفر وهو مسلم.
انظر: التنبيه والرد للملطي ص١٨٩ ط. رمادي للنشر تحقيق يمان سعد الدين الميادیني ط. الأولى سنة ١٤١٤هـ، البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان للسكسكي ص٢٤ تحقيق بسام العموش ط. مكتبة المنار ط. الأولى ١٤٠٨هـ، مقالات الإسلاميين (١/ ١٩٧).

(٤) الإيمان لأبي عبيد ص٤٩.

(٥) يقصد الإباضية والصفرية والفضلية.

(٦) **الرافضة**: تقدم التعريف بها.

(٧) **الزيدية**: أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وكان زيد يفضل علياً على سائر أصحاب رسول الله ويتولى أبابكر وعمر ويرى الخروج على أئمة الجور، وأنكر على من تبرأ من أبي بكر وعمر،

الإباضية .." أ.هـ[(١)].

ب-ذكرهم للتفاصيل الدقيقة لمذاهب المخالفين :

وهذا من أكبر الأدلة على سعة الاطلاع على مذاهبهم ؛ فالجاهل بهم وبطوائفهم أو الذي ليس له دراية تامة ولا عميقة لا يمكن أن يسرد هذا السرد ويعرض هذا العرض كما هو الحال في مصنفات السلف -رحمهم الله -.

ومن الأمثلة على هذا الأمر ما يلي :

المثال الأول : الإمام أبو عبيد في كتابه الإيمان :

أبو عبيد لما نص على مذهب المرجئة القائلين بأن الإيمان قول ولا عمل بين توجيههم للآيات والأدلة الواردة في زيادة الإيمان ونقصانه بيان خبير بصير بمذهبهم فقال :

"..وأما الذين رأوا الإيمان قولاً ولا عمل ، فإنهم ذهبوا في هذه الآيات **إلى أربعة أوجه:**

أحدها : أن قالوا: أصل الإيمان الإقرار بجمل الفرائض مثل :الصلاة والزكاة وغيرها ، والزيادة بعد هذه الجمل ، وهو أن تؤمنوا بأن هذه الصلاة المفروضة هي خمس ، وأن الظهر أربع ركعات ، والمغرب ثلاثة ، وعلى هذا رأوا سائر الفرائض.

والوجه الثاني : أن قالوا: أصل الإيمان الإقرار بما جاء من عند الله ، والزيادة تمكن من ذلك الإقرار .

والوجه الثالث: أن قالوا: الزيادة في الإيمان :الازدياد من اليقين.

والوجه الرابع :أن قالوا: إن الإيمان لا يزداد أبداً ولكن الناس يزدادون منه.

=وتفرقت الزيدية إلى ست فرق وهي : الجارودية -السليمانية -البترية-النعيمية -اليعقوبية -فرقة تتبرأ من أبي بكر وعمر ، وأكثر تواجد لهم في الوقت الحاضر في بلاد اليمن وإن كان الغالب على أهل البلد انتشار مذهب أهل السنة ولكن لتعاقب الدول عليها التي تحكم بالمذهب الزيدي أدى إلى انتشاره هناك.

انظر :الملل والنحل (١/ ١٥٤)، مقالات الإسلاميين (١/ ١٣٦).

(١) الإيمان لأبي عبيد ص٥٠.

وكل هذه الأقوال لم أجد لها مصدقاً في تفسير الفقهاء، ولا في كلام العرب.." أ.هـ[(١)].

ومن خلال هذا المثال يتضح لنا دراية الإمام أبي عبيد بأقوال المخالفين حتى في أدق المسائل وتوجيهاتهم للنصوص الشرعية.

المثال الثاني: الإمام محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة:

وهذا الإمام محمد بن نصر لما جاء يعرض أحد مذاهب غلاة المرجئة- القائلين بأن الإيمان هو مجرد المعرفة -:نجده لم يقتصر على ذكره ذكراً مجرداً مختصراً بل أشار إلى تفصيل مذهبهم وخفايا معتقدهم فقال:

"..وزعمت طائفة من المرجئة أن الإيمان هو المعرفة والإقرار، وأن الخلق كلهم من النبيين والمرسلين فمن دونهم في ذلك سواء، وأن الله لم يأمر أحداً من الإيمان بشيء إلا أمر به غيره، ولم يأمره من الإيمان بشيء إلا أمر به من كان قبله، وأن الإيمان لا يلزم فرضه جملة، و لا يحدث منه شيء بعد شيء، ولا يأتي أحد منه بشيء بعد شيء إلا كان كافراً.."أ.هـ[(٢)]

ومن خلال هذا المثال استفدنا عدة أمور في معرفة تفاصيل مذهب القائلين بأن الإيمان مجرد المعرفة وهي كما يلي:

١-أن الخلق والأنبياء والمرسلين في إيمانهم سواء.

٢-أن الله لم يأمر أحداً من الإيمان بشيء إلا أمر به غيره.

٣-أن الإيمان لا يلزم فرضه إلا جملة.

٤-ولا يحدث منه شيء بعد شيء.

٥-من أتى به مجزأ شيئاً بعد شيء يكون كافراً.

وأظن لو قرأ هذا التفصيل أهل البدع لفهموا حقيقة مذهبهم واستفادوا منه أكثر من كتبهم التي تقرر مذهبهم.

---

(١) الإيمان لأبي عبيد ص٢٤-٢٥.

(٢) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٧٦٨).

وقد شرع هذا الإمام في الرد على هذه البدع كلها بالدليل النقلي والعقلي .

ج- بيانهم للفروق اليسيرة بين طوائف المخالفين :

فالسلف لا يقتصرون على ذكر مذاهب المخالفين بل يبينون موضع الخلل ، ويوضحون الفرق بين انحرافات المخالفين ويردون على كل طائفة بما يناسبها.

وأعظم من هذا ذكرهم الخلاف بين أتباع الطائفة الواحدة والإشارة إلى الفروق الدقيقة بينها.

المثال على هذه القضية :الإمام المروزي يُفَصِّل و يبين أقوال طائفة من طوائف المرجئة:

الإمام محمد بن نصر يخاطب بعض طوائف المرجئة ويرد عليهم ويشير إلى الخلاف بين أتباع الطائفة نفسها ويبين الفرق اليسير بين هذه الأقوال **فيقول -رحمه الله -:**

"...فكذلك التصديق يضاف إليه ما هو موجبه لا محالة ؛ وأنتم تقولون ذلك في غير موضع اضطراراً ، لأنكم نوعان :

نوع منكم -وهم جمهوركم وعامتكم -يقولون : إن المعرفة لا يكون في عينها إيماناً ، يمنعكم من ذلك شهادة الله تبارك وتعالى على قلوب من سُمي بالكفر أنها عالمة ، موقنة ، فزعمتم أن المعرفة ليست في عينها إيماناً حتى يكون معه الإقرار .

وقالت فرقة : لا تكون المعرفة إيماناً حتى يكون معه الخضوع .

وقالت فرقة : لا تكون المعرفة إيماناً حتى يكون معها الخضوع والإقرار.

ثم زعم من قال منكم بهذه المقالة على تعرفكم أن الخضوع إيمان مع المعرفة ، لإقرار كذلك ، والتصديق كذلك ، وليست المعرفة هي الخضوع ، ولا الإقرار ، ولا التصديق ، ولكن معرفة أوجبت ذلك كله ..." أ.هـ[1].

ومن خلال هذا المثال يتضح لنا ما يلي :

١-بيانه للفرق الدقيق بين طوائف هذه الفرقة من المرجئة، **فبعضها يقول يضيف**

(١) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٧٦٥).

مع المعرفة الإقرار ، والآخر يستبدل الإقرار بالخضوع ، والثالث يضيفهما جميعاً.

٢-معرفته بقول جمهور اتباع الطائفة وغيره من الأقوال.

٣-إشارته إلى بعض ما يستمسكون به من شبهات .

٤-إشارته إلى اطلاعه على أقوال المخالفين في أكثر من مصدر حينما قال: **(وأنتم تقولون ذلك في غير موضع اضطراراً)**.

د-ذكرهم حجج كل طائفة وما تتمسك به من الشبهات:

ومن ثم يبينون موقفهم ويردون على جميعهم؛ مظهرين لمعتقدهم الحق المؤيد بالدليل الشرعي من الكتاب والسنة .

ولعلي أذكر هنا مثالاً واحداً طلباً للاختصار .

المثال : الإمام المروزي يبين بعض حجج مرجئة الفقهاء العقلية :

لم يقتصر السلف على ذكر حجج المخالفين من الكتاب والسنة بل ذكروا حتى حججهم العقلية والتي لا يمكن أن يأتي بها إلا خبير مطلع بمذاهبهم وشبهاتهم .

ومن هؤلاء **الإمام محمد بن نصر المروزي في كتابه تعظيم قدر الصلاة** إذ يقول :

"**وحكي عن بعض الأكابر من أستاذي المرجئة** : النعمان بن ثابت [(١)] وغيره ، أنهم قالوا : المعرفة والإقرار باللسان كالدابة البلقاء لا يسمى بلقاء حتى يجتمع فيها اللونان : السواد والبياض ، فإذا انفرد أحدهما لم يسم الدابة بلقاء ، ولا يسمى كل واحد من اللونين على الانفراد بلقاء ، فإذا اجتمعا في الدابة سميا بلقاء ؛ فكذلك المعرفة والإقرار كل واحد منهما لم يسميا إيماناً ، و لا يسمى الإنسان به مؤمناً .." أ.هـ[(٢)] .

هـ-ذكرهم ردود طوائف أهل البدع بعضهم على بعض:

وهذا يدل على سعة الاطلاع ، والمعرفة الدقيقة بحال أهل البدع ومقالاتهم .

وبعد عرض الأدلة والحجج يفصل أهل السنة بينهم بذكر الرد على كل الطوائف

---

(١) يقصد الإمام أبا حنيفة رحمه الله .

(٢) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٧٩٨).

وبيان الحق الذي عليه أهل السنة .

٦. **بروز متخصصين في السلف في مذاهب المخالفين :**

ومن الأمور التي تؤكد اهتمام السلف بالمخالفين وشبهاتهم أن تخصص بعضهم في الاطلاع على كتبهم والتعمق في فهم شبهاتهم بحيث يصبح مرجعاً عند الحاجة إليه من قبل علماء السلف المعاصرين له .

ومن الأمثلة على هذا:

- شهادة السلف للإمام وكيع بن الجراح أنه من أعلم الناس بمذاهب الجهمية وأقوالهم و شبهاتهم .

فقد أورد الإمام البخاري في خلق أفعال العباد آثاراً عن السلف في ذم الجهمية وبيان قبح ما هم عليه إلى أن قال :

"**فأتيت وكيعاً فوجدته من أعلمهم به** ، فقال : يكفرون من وجه كذا ويكفرون من وجه كذا؛ حتى كفرهم من كذا وكذا وجه" أ.هـ[1] .

-وشهادة الإمام مالك لابن هرمز[2] :

قال مالك:"كنت أحب أن أقتدي به (يعني ابن هرمز) ، وكان قليل الفتيا، شديد التحفظ ، كثيراً ما يفتي الرجل ثم يبعث من يرده ، ثم يخبره بغير ما أفتاه ، **وكان بصيراً بالكلام يرد على أهل الأهواء ، كان من أعلم الناس بذلك** بيّن مسألة لابن عجلان فلما فهمها ، قام إليه فقبل رأسه " أ.هـ[3] .

---

(١) خلق أفعال العباد ص٢٨.

(٢) هو أبو بكر عبدالله بن يزيد بن هرمز الأصم ، عداده في التابعين ، وقلما روى ، وجالسه مالك كثيراً وأخذ عنه .انظر:السير(٦/ ٣٧٩)

(٣) أخرج هذا الأثر مسنداً ابن عساكر في تبيين كذب المفتري ص٣٥٢ ،سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٩٧).

المبحث الرابع

نقضهم الأصول التي بنوا عليها بدعهم

و يشتمل على تمهيد وثلاثة مطالب :

المطلب الأول :العناية بأصول المسائل ونقض أصول الانحرافات منهج قرآني ونبوي.

المطلب الثاني : بعض أصول البدع التي حرص السلف على نقضها.

المطلب الثالث :منهج السلف في نقض أصول البدع.

تمهيد:

قبل الدخول في تفاصيل هذا المبحث لابد أن نشير إلى أمرين:

الأمر الأول:

أهمية معرفة أصول المسائل في الدين عموماً، وفي العقيدة خصوصاً، وكذلك أهمية معرفة أصول البدع والمخالفات التي هي دون البدع كالمعاصي ونحوها.

ويمكن أن تظهر أهمية هذه الأمر في الآتي:

١-أن معرفة أصول المسائل وأصول أهل البدع يوفر الوقت والجهد ويحقق الفائدة المرجوة بأبسط وأسهل صورة.

لأن هدم الأصل الذي تقوم عليه البدعة مهما طال الزمان وتفرعت البدع عن هذا الأصل فإن معرفة أصلها ونقضه يكفي في الرد عليها وبيان بطلانها، وعدم العناية بالأصول يجعلنا نقف مع كل بدعة تظهر وكل ما يتفرع عن هذا الأصل ونبحث له عن ردود وقد يطول البحث بالإنسان ولم يجد ما يشفي العليل ويروي الغليل حتى ينتهي عمره.

٢-أن هدم الأصل من أصول البدع فيه إقامة للحجة بصورة أوضح وأبين من نقض المسائل المتفرعة عنه.

بل إنه بهذه الطريقة يهدم المذهب الباطل برمته فلا تقوم له بعدها قائمة.

٣-أن المتقدمين من أهل البدع والمتأخرين يوجد بينهم اشتراك واضح وهو في أصول البدع التي أقاموا عليها بدعهم.

وغالباً ما يكون الاختلاف بينهم شكلياً ولفظياً كل على ما يناسب العصر الذي عاش فيه، ولكن لا اختلاف بينهم في الأصول.

فمن أراد نقض أصول المتأخرين من أهل ال[illegible]ن فتنوا الناس بكتاباتهم، فلن يكون ذلك بمعزل عن دراسة أصولهم القد[illegible] نقضها السلف حتى تنقض مرة أخرى بأسلوب يناسب العصر الذي يعيشونه.

ولهذا لما ظهرت البدع في العصور المتأخرة في القرن السابع والثامن وما بعدها تصدى لها أئمة السنة ببيان أن أصولهم مثل أصول أسلافهم من المعطلة .

ومن أبرز من أشار إلى هذه القضية شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله – مبيناً أن متأخري المتكلمين كأبي المعالي الجويني وغيره تأثروا بأصول أهل البدع السابقين ، حيث قال:

"إن أبا المعالي وأمثاله يضعون كتب الكلام التي تلقوا أصوله عن المعتزلة والمتفلسفة ، ويبوبون أبواباً ما أنزل الله بها من سلطان ويتكلمون فيها بما يخالف الشرع والعقل .... **والأصول التي يقررها هي أصول جهم بن صفوان في الصفات والقدر والإرجاء** .." أ.هـ.(١)

ويقول أيضاً مبيناً أن **أصول الرازي هي أصول جهم** كذلك :

"وهذه الطريقة التي سلكها المؤسس في أول تأسيسه حيث أثبت وجود ما لا يكون داخل العالم و لا خارجه بما قال من قال من الفلاسفة وموافقيهم من المسلمين : أن الروح الذي في بني آدم لا داخل العالم و لا خارجه ، ولا يمكن إحساسها .

فقول جهم هو قول هؤلاء ،كما قال تعالى:﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ ﴾[البقرة: ١١٨]....." أ.هـ.(٢)

وقال في موضع آخر :" وهذه الحجج من حجج الجهمية قديماً كما ذكر ذلك الأئمة "(٣)

٤- أن هذه الطريقة –وهي معرفة أصول البدع والحرص على نقضها- هي طريقة السلف المتقدمين الراسخين في العلم الذين أخذوها من القرآن والسنة ومن أفواه الصحابة والتابعين وتابعيهم إلى عصرهم .

---

(١) التسعينية (٣/ ٩٣٨-٩٣٩)باختصار.

(٢) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥٦).

(٣) المصدر السابق (٢/ ١٥٦)، وانظر(٢/ ١٥٧).

فمن رام أن يتصدى لهجمات أعداء الدين ، ويصلح ما انحرف من واقع المسلمين فليحذوا حذوهم ويلزم غرزهم وسوف يجد ثمرة هذا في العاجل والآجل –إن شاء الله –.

٥–أن أصول البدع مستمرة إلى وقتنا الحاضر ، ولكن تغيرت مسمياتها ، فالمعتزلة في العصر الحاضر أصولهم هي أصول أسلافهم ويسمون أنفسهم(عقلانيين وعصرانيين)، والمعطلة في الوقت الحاضر أصولهم أصول أسلافهم و يسمون أنفسهم بالـ(متنورين) ، والزنادقة المعاصرون يسمون أنفسهم: حداثيين تجديديين ، ولكل قوم وارث ، وبمعرفة أصول البدع يتعرف طالب العلم على امتدادها المعاصر ولا تخدعه هذه المسميات وذلك لخبرته و إطلاعه بأصولهم التي بنيت عليها انحرافاتهم .

ولهذا نجد كثيراً من المتأخرين اهتم بنشر تراث أهل البدع السابقين في زماننا مع عدم الحاجة إليها ، ولكن الاتفاق في الأصول والافتتان بالمنهج هو الذي دفعهم لإحياء مثل هذه الكتب والمؤلفات .

الأمر الثاني :

عناية السلف بهذا الأمر :تدل دلالة واضحة على عمق فهمهم وسعة علمهم ، وحدة أذهانهم ،الذين استطاعوا بالقليل من الكلام أن يهدموا جبالاً من الشبهات والبدع .

ومن نهج نهجهم من الأئمة المتأخرين وسار على نفس قواعدهم في نقض هذه الأصول نال حظاً من سعة العلم وعمق الفهم مما جعله يبز أقرانه ، بل بعض أسلافه ، ومن باب أولى من أتى بعده ممن اعتنى بالرد على أهل البدع.

ولعل من أبرز هؤلاء الذين جددوا وأحيوا مذهب السلف، واستطاع أن يوقف مد أهل البدع المتأخرين من الفلاسفة والمتكلمين هو (**شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه**) رحمهم الله ، ولهذا كتب الله لمؤلفاته القبول والتأثير في شتى أنحاء المعمورة إلى يومنا هذا فكل من أراد كبت بدعة أو هدم أصل من أصولهم فعليه بكتب ومؤلفات هذا الإمام .

المطلب الأول : العناية بأصول المسائل ونقض أصول الانحرافات منهج قرآني ونبوي.

إن المتأمل في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ يجد أنه أولى أصول المسائل وأصول الإنحرافات عموماً عناية كبرى ، فتجده يذكر بهذه الأصول ويعيد التذكير بها في أكثر من موضع أثناء تقرير المسائل أو أثناء الرد على المخالفين من أصحاب الديانات الباطلة كاليهود والنصارى ونحوهم .

ولعل هذا من جوانب إعجازه وهو صلاحيته لكل زمان ومكان ، لأنك في كل العصور ترد الأمور الحادثة إلى تلك الأصول وتحاكمها إليها فما أذن فيه فهو مشروع وما لم يؤذن فيه فهو غير مشروع .

والكلام في القرآن هو ينسحب على الكلام في السنة فهي قرينة الكتاب ولها من الحجة ما للقرآن وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع وقد اعتنت كذلك بالأصول في المسائل وفي نقض حجج المخالفين كما سوف يظهر معنا في الأمثلة .

١ -عناية القرآن والسنة بأصول الأصول وهو الدعوة إلى إفراد الله بالعبادة:

إن مما برز بشكل واضح في غالب سور القرآن وفي السنة المطهرة العناية بالحديث عن توحيد العبادة ؛بل إن هذا الأمر -وهو حق الله على عباده- مما دعت له كل الرسالات السماوية والكتب الإلهية .

وقد عرض هذا الأمر بصور شتى وطرق مختلفة .

قال تعالى :﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل : ٣٦].

قال ابن كثير :

"فلم يزل تعالى يرسل إلى الناس الرسل بذلك ، منذ حدث الشرك في بني آدم ، في قوم نوح الذين أرسل إليهم نوح ، وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض إلى أن ختمهم بمحمد ﷺ الذي طبقت دعوته الإنس والجن في المشارق والمغارب ، وكلهم كما

قال الله تعالى :﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥]،وقال تعالى : ﴿ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴾[الزخرف : ٤٥] ..." أ.هـ[1].

وقد تنوعت أساليب الكتاب والسنة في عرض هذا الأصل العظيم: فتارة بالترغيب، وتارة بالترهيب، وتارة بذكر ما جرى للأمم السابقة ،وتارة بذكر الأدلة العقلية ،وتارة بالأدلة التي تدل عليها الفطر السليمة ،وهكذا..

ومما جاء في السنة من العناية بالتذكير بهذه الأصول العظيمة مثل:

حديث جبريل المشهور الذي جاء فيه ذكر أركان الإيمان والإسلام والإحسان.

وكل هذه العناية لبيان أهمية هذا الأصل ، وبالمقابل جاء الحديث عمن انحرف عن هذا الأصل وناقش من تعلق ببعض الشبهات وهدم أصول هذه الشبهات التي تمليها شياطين الإنس والجن .

فرسم القرآن والسنة منهجاً عظيماً في هدم أصول الانحرافات التي عليها غالب الشرور في العالم بدأً بالشرك الأكبر ومروراً بالبدع المغلظة وغير المغلظة وانتهاءً بالمعاصي الكبير منها والصغير ، ومن أبرز هذه الأصول التي هدمها ما يلي :

٢-القرآن يبين بطلان الشرك بهدم الأصل الذي بني عليه :

تقدم أن الكتاب والسنة اعتنيا عناية كبيرة ببيان التوحيد وتقريره بأنواع كثيرة من الأدلة وبأساليب متنوعة ، وكذلك حرص مع التقرير على الرد على شبهات أهل الشرك والباطل وهدم أصول هذه الشبهات.

فالقرآن في الحقيقة يناقش أصول الانحرافات في الغالب ؛والتي تتردد في كل زمان وإنِ اختلفت العبارات ،ولكن أصل الشبهات في هذا الباب واحدة .

ولعل من أصول الشرك في عبادة الله التي جاء القرآن بإبطالها وهدمها واقتلاعها من جذورها ما ذكره الله تعالى في قوله :

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ١٩٨٩)،وانظر : تفسير الطبري (١٤/ ١٠٣).

﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ۝ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾ [سبأ : ٢٢-٢٣].

وهذه الآية فيها بيان الأمور التي يتشبث بها العابد من معبوده وهو مفقود في معبودات المشركين فكيف يعبدونها من دون الله.

-تعليق الإمام ابن القيم على هذه الآية :

ولابن القيم **تعليق** نفيس في موضعين من كتبه ، وهي توضح وتبين المقصد من هذه الآية ، والتي لأجلها سقناها في هذا المبحث .

***قال** -رحمه الله -:"**فتأمل كيف أخذت هذه الآية على المشركين بمجامع الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك وسدتها عليهم أحكم سد وأبلغه** ، فإن العابد إنما يتعلق بالمعبود لما يرجوا من نفعه ؛و إلا فلو لم يرج منه منفعة لم يتعلق قلبه به ، وحينئذٍ فلا بد أن يكون المعبود مالكاً للأسباب التي ينفع بها عابده ، أو شريكاً لمالكها أو ظهيراً أو وزيراً ومعاوناً له أو وجيهاً ذا حرمة وقدر يشفع عنده ؛فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة من كل وجه وبطلت ؛انتفت أسباب الشرك وانقطعت مواده فنفى سبحانه عن آلهتهم أن تملك مثقال ذرة في السموات ...." أ.هـ[(١)].

***وقال في موضع آخر -رحمه الله** -:" فنفى سبحانه المراتب الأربع نفياً مرتباً ، متنقلاً من الأعلى إلى ما دونه ، فنفى الملك ، والشركة ، والمظاهرة ، والشفاعة التي يظنها المشرك ، وأثبت شفاعة لا نصيب فيها لمشرك ، وهي الشفاعة بإذنه .

فكفى بهذه الآية نوراً ، وبرهاناً ونجاةً ، وتجريداً للتوحيد ، وقطعاً لأصول الشرك ومواده لمن عقلها .

والقرآن مملوء من أمثالها ونظائرها ، ولكن أكثر الناس لا يشعرون بدخول الواقع تحته ، وتضمنه له ، ويظنونه في نوع وفي قوم قد خلوا من قبل ولم يعقبوا وارثاً ..." أ.هـ[(٢)].

(١) الصواعق المرسلة (٢/ ٤٦١).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٣٧٢).

فذكر سبحانه في هذه الآية أصول الشرك الأربعة وهدمها وهي:

-**الأصل الأول** :إثبات أن آلهتهم لا تملك من الأمر شيئاً فكيف تكون معبودة من دون الله المالك لكل شيء ، وهذا الأصل يقر به المشركون إذا رجعوا إلى أنفسهم (أعني إثبات الملك لله).

-**الأصل الثاني**: إثبات أنه لا شريك مع الله سبحانه في هذا الملك –والمشركون مقرون بتفرده في الملك–فإذا كان ليس له شريك ومن ضمن ما نفى أن يكونوا شركاء لله في هذا الملك هو : معبوداتهم ،فإذا لم تكن ولا حتى شريكة لله في ملكه بطل أن تكون آلهةً تستحق العبادة.

-**الأصل الثالث**: إثبات أنه لا معاون ولا ظهير مع الله لأنه سبحانه القوي القاهر المستغني عن كل أحد–وهذا مما هو مستقر في الفطر ويقر به المشركون– وآلهتهم ليست كذلك معاونة ولا ظهيرة فكيف تصح عبادتها من دون الله القوي القاهر الغني عما سواه .

-**الأصل الرابع**: نفي أن تكون هناك أي شفاعة من دون إذنه ، وأول من تنفى عنهم الشفاعة هو من أشرك مع الله ، وكل من دعا أحداً من دون الله وعبد غير الله فلا شفاعة له لعدم تحقق الشروط في شفاعته وهي : الإذن للشافع ، والرضى عن المشفوع .

٣-إشارة القرآن والسنة إلى أصول الانحرافات والمعاصي :

لم يغفل القرآن والسنة الحديث عن ما هو دون الشرك من الانحرافات والمعاصي ، ولكن عند الحديث عنها وعن علاجها يشير إلى أصول هذه الانحرافات والمعاصي ويذكر علاجها وما تفرع عن هذا الأصل وأنه سوف يستقيم إذا استقام هذا الأصل ، وإذا انحرف هذا الأصل انحرف ما تفرع عنه .

ولعل من أبرز هذه الأصول التي أشار إليها القرآن وأشارت إليها السنة ما يلي :

أ-أصل الضلال والمعاصي هو: إتباع الهوى [(١)]:

(١) قال ابن الجوزي في تعريف الهوى:"اعلم أن الهوى ميل الطبع إلى ما يلائمه ، وهذا الميل قد خلق في الإنسان لضرورة بقائه ، فإنه لولا ميله إلى المطعم ما أكل ، وإلى المشرب ما شرب ، وإلى المنكح ما نكح،

لاشك أن كثيراً من الناس يعرف أن الأمر الذي هو فيه انحراف وضلال ومعصية ولكن لا تباعه لما تهواه نفسه وشهوته يستمر ، بل قد يكون الدافع له على ارتكاب هذه الأمور المحظورة هو ما يمليه عليه الهوى والشهوة .

وقد جاءت الآيات والأحاديث تبين هذا الأصل في غير ما موضع :

قال تعالى- مبيناً سبب دخول الجنة والنجاة من النار - :﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾[النازعات : ٤٠].

فهذا تصريح من الله بأن نهي النفس عن إتباع الهوى سوف يكون من الذين بعدوا عما يغضب الله فاستحقوا أن يكونوا من أهل الجنة.

وقال تعالى-مخاطباً داوود عليه السلام – ومبيناً له سبب وأصل الضلال عن سبيل الله هو إتباع الهوى فقال:﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص : ٢٦].

وقال تعالى :﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[القصص : ٥٠].

وفي هذه الآية بيان بأن إتباع الهوى من أصول الضلال ومن أعلى مراتبه .

وقال تعالى :﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾[المؤمنون :٧١].

وهنا يبين الله أن أسباب الفساد العريض الذي يصيب الدنيا كلها هو :إتباع أهواء الضالين والمنحرفين .

وقال تعالى –مبينا سبب عدم استجابتهم لدعوة الرسول أنه إتباع الهوى –فقال: ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ﴾[القصص :٥٠].

فأصل ضلالهم وعدم استجابتهم لدعوات الأنبياء هو :إتباع أهواءهم .

وقد قرن الله ضلال الأمم والناس بإتباع الهوى وأنه مصدره في غير ما آية فقال :

=وكذلك كل ما يشتهيه ، فالهوى مستجلب له ما يفيد ، كما أن الغضب دفاع عنه ما يؤذي ، فلا يصلح ذم الهوى على الإطلاق ، وإنما يذم المفرط من ذلك ، وهو ما يزيد على جلب المصالح ودفع المضار"أ.هـ ذم الهوى ص١٨ تحقيق أحمد عطا ط.دار الكتب العلمية ط.الثانية ١٤١٣هـ،والكتاب من أنفس من تكلم عن هذا الموضوع (أعني اتباع الهوى).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ﴾ [محمد : ١٦].

﴿وَكَذَّبُواْ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ﴾[القمر : ٣].

وقد جاءت السنة بمثل هذا الأمر فقال ﷺ:" لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به" (١).

وبمعناه جاءت أحاديث أخرى كثيرة .

قال الحافظ ابن رجب –رحمه الله –:" **فجميع المعاصي تنشأ من تقديم هوى النفس على محبة الله ورسوله** ، وقد وصف الله المشركين بإتباع الهوى في مواضع من كتابه ، وقال تعالى :﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [القصص: ٥٠] ، **وكذلك البدع إنما تنشأ من تقديم الهوى على الشرع ، ولهذا يسمى أهلها أهل الأهواء** " أ.هـ(٢).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية :" وهكذا تجد كل أهل المقالات وأهل الأعمال الفاسدة ، –وإبليس إمام هؤلاء كلهم –فإنه اتبع قياسه الفاسد المخالف للنص ، واتبع هواه في استكباره عن طاعة ربه تعالى....(إلى أن قال): **وإنما المقصود هنا التنبيه على هذا الأصل** ، وهو أن من أعرض عن هدى الله علماً وعملاً فإنه لا يحصل له مطلوب ولا ينجو من مرهوب ، بل يلحقه من المرهوب أعظم مما فر منه ، ويفوته من المطلوب أعظم مما رغب فيه .

وأما المتبعون لهداه فإنهم على هدى من ربهم ، وهم المفلحون الذي أدركوا المطلوب ونجوا من المرهوب "أ.هـ باختصار. (٣)

وقد كان من فقه الأئمة في مصنفاتهم في العقيدة أن أشاروا إلى هذا المعنى وبدأوا

---

(١) أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد (٤/ ٣٦٩) .والبغوي في شرح السنة برقم (١٠٤).والحديث صححه النووي كما في جامع العلوم والحكم (١/ ٣٩٣).ولكن الحافظ ابن رجب استظهر ضعفه واستبعد تصحيحه من عدة وجوه .انظر :جامع العلوم والحكم له (١/ ٣٩٤).

(٢) جامع العلوم والحكم لابن رجب (١/ ٣٩٧).

(٣) بيان تلبيس الجهمية (١/ ١٤٩-١٥٠)باختصار.

بعض المصنفات في العقيدة بذكر ذم الهوى وأنه أصل الانحراف والوقوع في البدع .

ومن الأمثلة على هذا الإمام ابن أبي عاصم في كتابه السنة فقد جعل أول باب من كتابه بعنوان:"**ذكر الأهواء المذمومة** "[(١)] ثم أورد تحته جملة من الأحاديث التي تبين أن أصل ضلال الطوائف والفرق هو إتباع الهوى.

ب- القلب أساس الصلاح والفساد:

إذا كان القلب صحيحاً سليماً كانت الجوارح والأعمال صحيحةً سليمة، وبفساده تفسد الجوارح والأعمال .

ولهذا اعتنى الكتاب والسنة بهذا الأصل وبين أهميته وأهمية العناية به .

قال تعالى-مبيناً أن النجاة والفلاح بصلاح القلب -:﴿**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾ [الشعراء : ٨٩] .

وقال ﷺ:" ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب " أ.هـ[(٢)] .

وفي هذا الحديث إشارة عظيمة وتصريح واضح من النبي ﷺ إلى أن أصل صلاح الجوارح هو القلب، وفساده فساد لها .

قال الحافظ ابن رجب :" ولهذا يقال : **القلب ملك الأعضاء ، وبقية الأعضاء جنوده** ، وهم مع هذا جنودٌ طائعون له ، منبعثون في طاعته ، وتنفيذ أوامره ، لا يخالفونه في شيء من ذلك فإن كان الملك صالحاً كانت هذه الجنود صالحة ، وإن كان فاسداً كانت جنوده بهذه المثابة فاسدة ، ولا ينفع عند الله إلا القلب السليم ، كما قال تعالى :﴿**يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ**﴾[الشعراء : ٨٩]..." أ.هـ[(٣)]

وقال ابن القيم -رحمه الله -:" **ولما علم عدو الله إبليس أن المدار على القلب**

---

(١) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٣٥)باب رقم (١).

(٢) الحديث أخرجه :البخاري في كتاب الإيمان -باب فضل من استبرأ لدينه برقم (٥٢).ومسلم في كتاب المساقاة برقم (١٥٩٩).

(٣) جامع العلوم والحكم (١/ ٢١٠).

والاعتماد عليه ،أجلب عليه بالوساوس وأقبل عليه بوجوه الشهوات إليه ، وزين له من الأحوال والأعمال ما يصده به عن الطريق ، وأمده من أسباب الغي بما يقطعه عن أسباب التوفيق " أ.هـ.[١]

وقال أيضاً : " فإن العمل السيء مصدره عن فساد قصد القلب.." أ.هـ.[٢]

وهناك آيات وأحاديث كثيرة جاءت ببيان كثير من أصول الفساد والانحراف ، ولكن المقام لا يتسع لذكرها جميعاً وما ذكرناه كالمثال والإشارة إلى غيره .

(١) إغاثة اللهفان (١/ ٥)تحقيق حامد الفقي ط.مكتبة الرياض الحديثة .
(٢) المصدر السابق (١/ ٦).

المطلب الثاني : بعض أصول البدع التي حرص السلف على نقضها.

قبل الحديث عن أصولهم نبين منهجهم في نشر هذه الأصول:

منهج أهل البدع في نشر أصول بدعهم الفاسدة :

وأهل البدع اتخذوا منهجاً في نقضهم لأصول الإسلام مبنياً على قاعدتين:

القاعدة الأولى:

التدرج في عرض هذا الباطل ونقض هذه الأصول فيبدأوا بالأسهل ثم الأصعب ولم يظهروا هذه الأصول هكذا دفعةً واحدة ؛بل تتدرجوا فيها حتى تقبل عند الناس ، وهذا أمر معروف حتى عند أهل الحق فإن الناس إذا دعوا وعرض عليهم الحق بالتدرج كان قبولهم لهذا الحق أكثر مما لو عرض عليهم جملة واحدة.

القاعدة الثانية :

البدء بالأسهل والأقرب إلى موافقتهم كحب الرسول وحب آل البيت ونحو ذلك .

ولهذا نجد أن الزنادقة و الملاحدة واليهود وجميع أعداء الإسلام ما استطاعوا مواجهة الإسلام بالطعن فيه صراحةً ، ولكن اتخذوا بعض المذاهب البدعية التي نشروها ستاراً يطعنون به الإسلام .

فالباطنية الملاحدة لم يستطيعوا نشر كفرهم إلا برفعهم شعار محبة آل بيت رسول الله ﷺ والتشيع لهم ومناصرتهم ولولا هذا الشعار ما تبعهم أحد على كفرهم .

وزنادقة المتصوفة كأهل وحدة الوجود والاتحادية لم يستطيعوا نشر كفرهم إلا بنشرهم شعار محبة الله ومحبة رسوله ﷺ .

يقول شيخ الإسلام :"...**وهذا شأن كل من أراد أن يظهر خلاف ما عليه أمة من الأمم من الحق إنما يأتيهم بالأسهل الأقرب إلى موافقتهم ؛ فإن شياطين الإنس والجن لا يأتون ابتداءً ينقضون الأصول العظيمة الظاهرة ؛فإنهم لا يتمكنون .**

...ولهذا لما نبغت القرامطة الباطنية وهم يتظاهرون بالتجهم والرفض جميعاً ، وهم في الباطن من أعظم بني آدم كفرً وإلحاداً حتى صار شعارهم "الملاحدة" عند الخاص

والعام.."أ.هـ[(١)]

وقال أيضاً:"وإنما الغرض التنبيه على أن دعاة الباطل المخالفين لما جاءت به الرسل يتدرجون من الأسهل الأقرب إلى موافقة الناس إلى أن ينتهوا إلى هدم الدين .

وهذا مما يفعله بعض أهل الحق أيضاً في دعوة الناس إلى الحق شيئاً بعد شيء بحسب ما تقتضية الشريعة ، وما يناسب حاله وحال أصحابه " أ.هـ[(٢)].

لقد حرص السلف على نقض أصول أهل البدع ، وقبل أن نذكر منهجهم في نقض هذه الأصول نشير إلى بعض هذه الأصول التي أشاروا إليها في مصنفاتهم وبينوا أنها الأساس الذي بنيت عليه انحرافات أهل البدع .

أبرز أصول أهل البدع :

أهل البدع هم أهل أهواء وشهوات ، يتبعون أهواءهم فيما يحبونه ويبغضونه ، يحكمون بالظن والشبه ، وكل فريق قد أصل لنفسه أصولاً : إما برأيه أو قياسه أو بذوقه ، وإما بتحريف الكلم عن مواضعه ويسمونه تأويلاً تمويهاً على الجهال ، وفي بعض الأحيان يردون السنن إذا أعيتهم الحيل لتحريف النصوص ، كما فعلت الخوارج وأخذت بالقرآن وتركت السنة ، أو بالكذب واختلاق الأحاديث على رسول الله ﷺ حتى يروج باطلهم كما فعلت الرافضة.[(٣)]

ومما ينبغي الإشارة إليه أن أهل البدع لما قرروا أصولهم لم يلتفتوا إلى الأصول في الكتاب والسنة ؛ولهذا جاءت أصولهم مخالفة لما في الكتاب والسنة ، وإن كان ما قرروه في بعض المواضع يوافق الكتاب والسنة ،فهم بمنزلة أهل الكتاب الذين لبسوا الحق بالباطل كما قال تعالى:﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٧٩)باختصار.

(٢) بيان التلبيس (٢/ ٨٠).

(٣) انظر : النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ٤٢٠-٤٢١)تحقيق د.عبدالعزيز الطويان ط.أضواء السلف ط.الأولى سنة ١٤٢٠،شفاء العليل لابن القيم (١/ ٨٢-٨٣) تحقيق عمر الحفيان ط.العبيكان ط.الأولى ١٤٢٢هـ.

﴿تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران : ٧١] ،وبعض هذه الطوائف أظهر من بعض في مخالفتها لأصول الكتاب والسنة ، وبعضها أكثر مخالفة.(١)

كما قال شيخ الإسلام :" ..وكذلك الخوارج لما كانوا أهل سيف وقتال ظهرت مخالفتهم للجماعة ؛حين كانوا يقاتلون الناس ، وأما اليوم فلا يعرفهم أكثر الناس ، وبدع القدرية والمرجئة ونحوهم :لا تظهر مخالفتها بظهور هاتين .." أ.هـ(٢).

الأصل الأول :عدم التسليم للوحي وما جاء من عند الله :

واستخدموا لذلك وسائل وحيل شتى حتى لا يفضحوا ، ويظهر باطلهم لعامة الناس ، فقد لبسوا على الناس بزخرف القول وسموا رد السنة وعدم العمل بالدليل فقهاً ومعرفةً بمعاني الشريعة وتنزيها لله عما لا يليق ونحو ذلك.

وقد ظهر ت صور هذا الرد للنصوص من خلال ما يلي :

أ-الرد الصريح للنصوص الشرعية :

وقد يذكرون السبب وقد لا يذكرون ولهذا كان منهج السلف في نقض مثل هذه الأصول -كما سوف يمر إن شاء الله في المطلب القادم- أنهم يبينون مخالفة أصولهم للنصوص صراحة ، وكأنهم علموا ما ذا يفيد النص فقالوا بنقيضه .

وهذا ليس بغريب إذا علم أن أصول البدع جاءت من قبل أعداء الإسلام كاليهود والنصارى والمجوس ، ولهذا ظهر فقه السلف وعمق فهمهم لما أشاروا إلى أن مآل قول أهل البدع إلى الزندقة والإلحاد ، ورد النص صراحة هو من مظاهر الزندقة وعدم التسليم لشرع الله ودينه.

ثمرة التأصيل بغير الكتاب والسنة :رد السنة وتحريفها عن مواضعها:

قال ابن القيم -رحمه الله -:" وكل من أصّل أصلاً لم يؤصله الله ورسوله قاده قسراً إلى رد السنة أو تحريفها عن مواضعها ، فلذلك لم يؤصل حزب الله ورسوله أصلاً غير

---

(١) انظر: النبوات (١/ ٥٦٣).

(٢) النبوات (١/ ٥٦٤).

ما جاء به الرسول ﷺ ، فهو أصلهم الذي عليه يعولون ، وآخيتهم [١] التي إليها يرجعون" أ.هـ[٢].

الأمثلة على الرد الصريح من قبل رؤوس أهل البدع :

المثال الأول : الجهم يتمنى أن يمحو بعض الآيات التي لا توافق بدعته :

أخرج الإمام البخاري وعبد الله بن أحمد بسنديهما قالا:

"كان رجل من أهل مرو صديقاً لجهم ثم قطعه وجفاه فقيل له : لم جفوته ؟ فقال : جاء منه ما لا يحتمل ، قرأت يوماً آية كذا وكذا -نسيها يحيى- فقال : ما كان أظرف محمداً ، فاحتملتها ، ثم قرأ سورة طه فلما قال : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه : ٥] قال : **أما والله لو وجدت سبيلاً إلى حكها لحككتها من المصحف** ، فاحتملتها ، ثم قرأ سورة القصص فلما انتهى إلى ذكر موسى قال : ما هذا ؟ ذكر قصة في موضع فلم يتمها ثم ذكر هاهنا فلم يتمها ، **ثم رمى بالمصحف من حجره برجليه فوثبت عليه** " أ.هـ.[٣]

المثال الثاني : عمرو بن عبيد والنظام يكذبان بحديث ابن مسعود في القدر :

أخرج الخطيب في تاريخه بسنده عن معاذ العنبري قال :" سمعت عمرو بن عبيد يقول -وذكر حديث الصادق المصدوق - فقال :لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبته، ولو سمعت زيد بن وهب يقول هذا ما أجبته ، ولو سمعت عبد الله بن مسعود يقول هذا ما قبلته ، ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لرددته ، ولو سمعت الله تعالى يقول هذا لقلت له: ليس على هذا أخذت ميثاقنا" أ.هـ.[٤]

ونقل ابن قتيبة تكذيب النظام لحديث ابن مسعود هذا. [٥]

---

(١) **الأخيّة** :كأبيّة ويشد ويخفف عود في حائط أو في حبل يدفن طرفاه في الأرض ويبرز طرفه كالحلقة تشد فيها الدابة ،والآخية :بالمد والتشديد :الحرمة والذمة.انظر :القاموس ص١٦٢٤،الصحاح (٦/ ٢٢٦٥).

(٢) شفاء العليل (١/ ٨٣).

(٣) أخرجه : البخاري في خلق أفعال العباد ص٢٦برقم (٧٠) .وعبدالله في السنة (١/ ١٦٧) برقم (١٩٠) وسندها صحيح .والذهبي في العلو وصححها الألباني كما في مختصر العلو ص١٦٢.

(٤) تاريخ بغداد (١٢/ ١٧٢).

(٥) انظر:تأويل مختلف الحديث ص٢١-٢٢ورد عليه رداً مطولاً.

ولعل من صور الرد : **عدم الاحتجاج بخبر الآحاد في أمور الاعتقاد** من غير حجة تذكر وقد تقدم الكلام عن هذا الأمر .

وكذلك ادعاء أن نصوص الكتاب والسنة لا تفيد اليقين ولا العلم ، وهو تابع لما قبله من عدم الاحتجاج بخبر الواحد.

ومن صور هذا الرد :**الطعن في ألفاظ السنن** وأن من تمسك بظواهر النصوص حشوي جاهل ونحو ذلك من العبارات .

يقول الحافظ ابن رجب –رحمه الله – مبيناً حالهم مع السنة النبوية:" ...**والطعن في ألفاظ السنن حيث لم يمكنهم الطعن في ألفاظ الكتاب** ، ويذمون من تمسك بالنصوص وأجراها على ما يفهم منها ، ويسمونه جاهلاً حشوياً ، وهذا يوجد في المتكلمين في أصول الديانات ، وفي فقهاء الرأي ، وفي صوفية الفلاسفة والمتكلمين.." أ.هـ.[(١)]

ب- تقديم الرأي والهوى على النص الشرعي:

في بعض المواضع يرد أهل البدع النص الشرعي بأنواع من التبريرات التي لا وجه لها ولكن هو الرأي الفاسد والهوى المتبع .

ولعلي أسوق كلاماً نفيساً لابن نصر في تعظيم قدر الصلاة في تعليقه على حديث الزبير مع الأنصاري ونصه كما في البخاري:

-عن عروة بن الزبير :" أن رجلاً من الأنصار خاصم الزبير في شراج من الحرة ليسقي بها النخل ، فقال رسول الله ﷺ : "اسق يا زبير –فأمره بالمعروف–ثم أرسله إلى جارك ، فقال الأنصاري : آن كان ابن عمتك ، فتلون وجه رسول الله ﷺ ثم قال : "اسق ثم احبس حتى يرجع الماء إلى الجدر"، واستوعى له حقه ، فقال الزبير :والله إن هذه الآية أنزلت في ذلك :﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء : ٦٥].." أ.هـ[(٢)].

---

(١) فضل علم السلف ص٩٣-٩٤.

(٢) الحديث في البخاري في الشرب والمساقاة –باب شرب الأعلى إلى الكعبين برقم (٢٣٦٢).

قال ابن نصر في تعظيم قدر الصلاة :

"قالوا : فهذا الذي ظن أنه ﷺ مال إلى الزبير لقرابته منه ، فخرج بذلك من إيمانه ، فأنزل الله تبارك وتعالى فيه القرآن ، **فكيف يكون به مؤمناً من يردُّ عليه السنة الثابتة المعروفة برأيه ، أو برأي أحدٍ من الناس بعده تعمداً لذلك ، أو شكاً فيها ، أو إنكاراً لها حين لم توافق هواه** ؟ ثم يزعم أنه مؤمن عند الله مستكمل الإيمان من ثابتة الأخبار التي روتها علماء الأمة بالأسانيد الثابتة عن رسول الله ﷺ أنه جعل العمل من الإيمان ، فيقول : هو ليس كذلك ، جحوداً بذلك ، أو شكاً فيه ، أو كيف يكون به مؤمناً من يأتيه الخبر الثابت عن رسول الله ﷺ أنه أمر بكذا ، أو نهى عن كذا ، فيقول : قال أبو فلان كذا ، خلافاً على رسول الله ﷺ ورداً لسنته ، أم كيف يكون به مؤمناً من تُعرض سنته على رأيه ، **فما وافق منها قبل ، وما لم يوافقه منها احتال لردها** ، ألا ينظر الشقي عل من اجترأ وبين يدي من تقدم ... أ.هـ.[1]

-ويدخل في هذا تقديم الأقيسة العقلية الفاسدة على النصوص الشرعية :[2]

قال شيخ الإسلام :"القول بتقديم غير النصوص النبوية عليها ، من عقل أو كشف أو غير ذلك ، يوجب أن لا يُستدل بكلام الله ورسوله على شيء من المسائل العلمية ، ولا يُصدق بشيءٍ من أخبار الرسول لكون الرسول أخبر به ، ولا يستفاد من أخبار الله ورسوله هدىً ولا معرفةً بشيء من الحقائق ، **بل ذلك مستلزم لعدم الإيمان بالله ورسوله ، وذلك متضمن للكفر والنفاق والزندقة والإلحاد** ، وهو معلوم الفساد بالضرورة من دين الإسلام ،كما أنه في نفسه قول فاسد متناقض في صريح العقل" أ.هـ[3].

(١) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٦٥٨-٦٥٩).

(٢) ولعظيم خطر هذا الأصل الذي أصلوه على دين الإسلام تصدى شيخ الإسلام ابن تيميه لنقضه وأفرده بمصنف مستقل لم يصنف مثله وهو (درء تعارض العقل والنقل) .

(٣) درء التعارض (٥/ ٣٢٠)ويقول شيخ الإسلام في النبوات (١/ ٤٢٤):"وأما الجهمية النافية للصفات فلم يكن أصل دينهم اتباع الكتاب والرسول ؛ فإنه ليس في الكتاب والسنة نص واحد يدل على قولهم بل نصوص الكتاب والسنة متظاهرة بخلاف قولهم ، وإنما يدعون التمسك بالرأي المعقول "أ.هـ

وقد تقدم الكلام عنها في مبحث الأدلة العقلية عند أهل السنة .

الأصل الثاني :الطعن في رواة الحديث ونقلته :

وهذا الأصل اشترك فيه عامة أهل البدع وخاصة الرافضة الذين وصل بهم الأمر إلى تكفير صحابة رسول الله ﷺ .

ولهذا علم أعداء الله من الزنادقة وأهل البدع أنهم لا حيلة لهم بالنصوص الشرعية لأنها واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار ، فعمدوا إلى الطعن في النقلة –وكان من أصولهم– حتى يتم لهم ما أرادوا فإذا قدح في الطريق الموصلة للحق قدح في الحق الذي ينتهي إليه هذا الطريق .

ولهذا كان الصحابة والسلف في القرون الأولى في عصر الرواية هم الذين نقلوا لنا هذا الدين فاجتهد أهل الزيغ في الطعن فيهم حتى لا يروج الحق الذي ينقلونه .

قال أبو زرعة :"**إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق** ، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق ، والقرآن حق ، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله ﷺ **وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة**، والجرح بهم أولى وهم زنادقة " أ.هـ[(١)] .

وما أحسن ما قاله أبو حاتم :" **علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر** " أ.هـ[(٢)] .

وقال الأوزاعي :"**ما ابتدع رجل إلا غلّ صدره على المسلمين** "أ.هـ[(٣)] .

وقال الحاكم :" **عهدنا في أسفارنا وأوطاننا كل من ينسب إلى نوع من الإلحاد والبدع لا ينظر إلى الطائفة المنصورة إلا بعين الحقارة ويسميها الحشوية** [(٤)] " أ.هـ.

---

(١) الكفاية في علم الرواية ص٩٧.

(٢) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٧٩).

(٣) ذم الكلام للهروي (٤/ ١٥٥)برقم (٩٣٣).

(٤) الحشوية في اللغة : من الحشو : وهم صغار الإبل كالحاشية ، وفضل الكلام ، ويقال :فلان من حشوة بني فلان –بالكسر –من رذالهم ، وحشوتهم :أي غمارهم ودهماؤهم.انظر : الصحاح ص٢٣١٣، المخصص لابن سيده (١/ ٣/ ١٢٨)ط.المكتب التجاري –بيروت ، القاموس ص١٦٤٤.

فأصبح هذا شعارهم وأصلهم الذي بنوا عليه منهجهم في تقرير بدعهم ،وقد طعنوْا في السلف الأوائل :

-وعلى رأسهم صحابة رسول الله ﷺ لأن القدح فيهم قدح فيما نقلوا وهو دين الله الذي بعث الله به رسوله ﷺ .

-وكذلك طعنوا في الرواة من التابعين وتابعيهم وخيرة سلف الأمة ، ولاشك أن هذا من الأصول الكبرى التي استطاعوا من خلالها الطعن في دين الله ورد كل ما جاء عن الله وعن رسوله الكريم ﷺ .

-الزنادقة صرحوا بهذا الأصل :

وقد صرح الزنادقة في القرون الثلاثة الأولى بهذا الأمر وهو : أن الطعن في النقلة طعن في المنقول وهو السنة المطهرة .

ولهذا كانت الرافضة من صنع اليهود الذين يريدون هدم الدين وأصلهم قائم على الطعن في صحابة رسول الله ﷺ .

جاء في تاريخ بغداد : " أن هارون الرشيد جاء برأسٍ من رؤوس الزنادقة يدعى (**شاكر**) ليضرب عنقه قال : أخبرني لم تعلمون المتعلم منكم أول ما تعلمونه الرفض والقدر ؟قال : **أما قولنا بالرفض فإنا نريد الطعن على الناقلة ، فإذا بطلت الناقلة أوشك أن نبطل المنقول** ، وأما قولنا بالقدر فإنا نريد أن نجوز إخراج بعض أفعال العباد

=وفي اصطلاح أهل البدع والمتكلمين :يعنون به أهل السنة لأنهم تمسكوا بظواهر النصوص .

قال التهانوي في كشاف اصطلاحات الفنون (١/ ٣٩٦):"الحشوية -بسكون الشين وفتحها - وهم قوم تمسكوا بالظواهر فذهبوا إلى التجسيم وهم من الفرق الضالة ..."أ.هـ.

ويقول شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (١٢/ ١٧٦):"وأما القائل (حشوية)فهذا اللفظ ليس له مسمى معروف لا في الشرع ولا في اللغة ولا في العرف العام ...وأصل ذلك أن كل طائفة قالت قولاً تخالف به الجمهور والعامة ينسب إلى أنه قول الحشوية ، أي الذين هم حشو في الناس ليسوا من المتأهلين عندهم فالمعتزلة تسمى من أثبت القدر حشوياً ، والجهمية يسمون مثبته الصفات حشوية ...." أ.هـ مختصراً.

وانظر : منهاج السنة (٢/ ٥٢١) ، مجموع الفتاوى(٤/ ٨٧-٨٩، ١٤٦).

النقل عن الحاكم من : معرفة علوم الحديث ص٤.

لإثبات قدر الله ، فإذا جاز أن يخرج البعض جاز أن يخرج الكل " أ.هـ[(١)].

قال شيخ الإسلام:"..وهذا كان مقصود أول من أظهر بدعة التشيع ، فإنما كان قصده الصد عن سبيل الله ، وإبطال ما جاءت به الرسل عن الله .." أ.هـ[(٢)].

-أهل البدع صرحوا بهذا الأصل :

عمرو بن عبيد : رأس في الاعتزال والقدر:

-قال:" **لو شهد عندي علي وطلحة والزبير وعثمان على شراك نعل ما أجزت شهاداتهم** " أ.هـ.[(٣)]

-وقال :"**قبح الله سمرة** " أ.هـ[(٤)] يعني ابن جندب الصحابي.

-وقال :"**كان ابن عمر حشوياً** " أ.هـ.[(٥)]

النظّام يقدح في صحابة رسول الله :

أورد الإمام ابن قتيبة بعض قبائحه وجرأته على الطعن في سلف الأمة والقدح فيهم ورد السنن والآثار بالرأي والهوى وقد ذكر قدحه لجملة من الصحابة كأبي هريرة وعائشة وعمر بن الخطاب وغيرهم فقال بعد ذلك معلقاً:

"هذا قوله في جلّة أصحاب رسول الله ﷺ ورضي عنهم ، كأنه لم يسمع بقول الله عز و جل في كتابه الكريم :﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ . . ﴾[(٦)] إلى آخر السورة ، ولم يسمع بقوله تعالى :﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ ﴾[(٧)]، ولو كان ما ذكرهم به حقاً لا مخرج منه ولا عذر

(١) تاريخ بغداد (٤/ ٣٠٨)ونظر نفس المعنى من كلام الهروي في ذم الكلام (٥/ ١٢٣)،وانظر : الدين الخالص(٣/ ٤٠٤) لصديق حسن خان فيه مبحث لطيف حول هذا المعنى .

(٢) منهاج السنة (١/ ١٨).

(٣) الاعتصام (١/ ١١٩).

(٤) المصدر السابق.

(٥)درء التعارض (٧/ ٣٥١).

(٦) الفتح [٢٩].

(٧)الفتح [١٨].

فيه ولا تأويل له ،إلا ما ذهب إليه لكان حقيقاً بترك ذكره ، والإعراض عنه، إذ كان قليلاً يسيراً مغموراً في جنب محاسنهم ، وكثير مناقبهم ، وصحبتهم لرسول الله ﷺ ، وبذلهم مهجهم وأموالهم في ذات الله تعالى " أ.هـ[(١)] .

الرافضة من أكثر الطوائف طعناً في الصحابة :

يقول شيخ الإسلام :"..ثم إن الرافضة أو أكثرهم- لفرط جهلهم وضلالهم - يقولون:إنهم -يعني أبا بكر وعمر-ومن اتبعهم كانوا كفاراً مرتدين ،وإن اليهود والنصارى خير منهم ؛لأن الكافر الأصلي خير من المرتد ، وقد رأيت هذا في عدة من كتبهم ، وهذا القول من أعظم الأقوال افتراءً على أولياء الله المتقين وحزب الله المفلحين ، وجند الله الغالبين" أ.هـ[(٢)] .

الخوارج يطعنون في الصحابة :

وقد ذكر مصنفوا كتب الفرق أن الذي يجمع طوائف الخوارج هو : التبري من عثمان وعلي -رضي الله عنهما- وتكفيرهما ، وكذلك معاوية ومناصريه ،ويقدمون ذلك على كل طاعة.[(٣)]

بل نص أهل العلم على أن أصل سب الصحابة كان من الخوارج .

قال الشاطبي -رحمه الله -:**"وأصل هذا الفساد من قبل الخوارج فهم أول من لعن السلف الصالح وكفر الصحابة رضي الله عنهم** " أ.هـ[(٤)] .

النواصب يطعنون في الصحابة من آل البيت :

وممن يطعن في صحابة رسول الله ﷺ هم النواصب ويخصون آل البيت بالثلب والتكفير .

---

(١) تأويل مختلف الحديث ص١٩.

(٢) منهاج السنة (٧/ ٤٧٥).

(٣) الملل والنحل للشهرستاني (١/ ١١٥)، مقالات الإسلاميين (١/ ٢٠٤)، مروج الذهب للمسعودي (٣/ ١٢٥) ط.دار الكتاب اللبناني -بيروت ط.الأولى ١٤٠٢هـ، مجموع الفتاوى (١٩/ ٨٩).

(٤) الاعتصام (١/ ١١٩-١٢٠).

وهي ردة فعل للروافض الذين غلو في آل البيت وادعوا لهم العصمة بل والألوهية كما قالت بذلك بعض طوائفهم، وأهل السنة وسطٌ بين هؤلاء وهؤلاء.(١)

ولعل ممن نال النصيب الأكبر من الطعن من صحابة رسول الله ﷺ هو الصحابي الجليل، المكثر من رواية حديث رسول الله ﷺ بل هو أكثرهم رواية للحديث إنه :

أبو هريرة رضي الله عنه:

والعجيب أن أهل البدع وأعداء الإسلام في القديم وفي الحديث اتخذوا نفس المنهج واستخدموا نفس الطريقة وهي الطعن على المكثرين من رواة الحديث كأبي هريرة رضي الله عنه وعن جميع صحابة رسول الله ﷺ.(٢)

الإمام الدارمي يشير إلى هذا الأصل وينقضه:

وممن أشار إلى هذا الأصل -وهو الطعن في رواة الحديث وعلى رأسهم أبي هريرة رضي الله عنه- الإمام الدارمي وذكر أنه من الأصول التي اعتمد عليها أهل البدع في رد السنن والآثار وتفسير القرآن وهدم كل الدين.

وقد أطال الكلام في طعن المبتدعة على أبي هريرة ومن ذلك احتجاجهم ببعض الآثار المكذوبة عليه.

ومن ذلك قول المريسي و أتباعه :" أن عمر رضي الله عنه قال :أكذب المحدثين أبو هريرة " أ.هـ.(٣)

ولم يذكر المريسي سنداً لهذا الادعاء بل هو محض كذب وافتراء على أمير المؤمنين

(١) انظر : منهاج السنة (٤/ ٥٨٥،٣٩٥)،والمقصود بوسطية أهل السنة في هذا الباب أنهم لايغلون فيهم كما فعلت الرافضة ولم يكفروهم وينتقصوهم كالناصبة بل يوالونهم ويترضون عنهم وينزلونهم منازلهم التي تليق بهم ودلت عليها النص بالعدل والإنصاف لا بالهوى والتعصب.

(٢) هناك بحث نفيس حول أبي هريرة والدفاع عنه ضد هجمات أعداء الدين ومن هذه الأبحاث :
دفاع عن أبي هريرة لعبدالمنعم صالح العلي العزي ط.دار القلم -بيروت ط.الثانية ١٩٨١م.(وهذا البحث من أحسن البحوث التي كتبت- في نظري- لشموله واستيعابه لكل ما يدور حول أبي هريرة) . أبوهريرة وأقلام الحاقدين بقلم عبدالرحمن الزرعي ط.دار الأرقم - الكويت ط.الثالثة ١٤٠٦هـ. دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين ط.الأزهر -القاهرة ١٩٦٧م. الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة للمعلمي ص١٤٠ط.عالم الكتب -بيروت ١٤٠٢هـ.

(٣) الرد على بشر المريسي للدارمي (٢/ ٦١٧)وانظر:دفاع عن أبي هريرة للعزي ص١٢٢.

عمر بن الخطاب ﷺ.

ولهذا قال له الدارمي :"وهذا مكذوب على عمر ، فإن تك صادقاً في دعواك فاكشف عن رأس من رواه ، فإنك لا تكشف عن ثقة ، فكيف يستحل مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يرمي رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ بالكذب من غير صحة ولا ثبت " أ.هـ.[١]

وقال أيضاً :"وكيف يتهمه عمر بالكذب على رسول الله ﷺ وهو يستعمله على الأعمال النفيسة ، ويوليه الولايات ؟ ولو كان عند عمر كما ادعى المعارض لم يكن بالذي يأتمنه على أمور المسلمين ، ويوليه أعمالهم مرة بعد مرة حتى دعاه آخر ذلك إلى العمل فأبى عليه " أ.هـ.[٢]

وأثبت الدارمي كذب دعوى المريسي وذلك:أن الصحابة رووا عنه وأبناؤهم كذلك ، فكيف يكون متهماً بالكذب وهؤلاء الجمع من خيرة الصحابة لم يتهموه ولم يترددوا في الرواية عنه.[٣]

ولم يكتفوا بالطعن في أبي هريرة ﷺ بل تعدوه إلى غيره من أفاضل الصحابة ، وطعنوا فيهم بالكذب والبهتان فتصدى لهم الأئمة بالرد والنقض لهذا الأصل .

-الإمام الدارمي ينقض هذا الأصل :

قال -رحمه الله -مبيناً بطلان هذه الدعوى :

" فأقصر أيها الرجل من طعنك على أصحاب رسول الله ﷺ في الروايات فإنهم لو كانوا عند الأمة في موضع الجرح كما ادعيت عليهم -وليسوا كذلك - ما كانت لك حجة على ألف سواهم من المهاجرين والأنصار ممن لا تجد سبيلاً إلى الطعن عليهم ، وقد رووا من ذلك ما يغيظك . **وقد اجتمعت الكلمة من جميع الفقهاء أن شهادات العدول إذا شهد معهم من ليس بعدل لا يسقط . ولا يجعل مثل السوء بأصحاب**

(١) المصدر السابق (٢/ ٦١٨).
(٢) المصدر السابق (٢/ ٦٢٠).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٦٢١-٦٣٠)،وانظر: دفاع عن أبي هريرة ص١٢٢-١٢٣ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلهم بحمد الله عدول ، يؤتمنون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم . والمجروح من جرحهم ولا يزيف مائة ألف حديث مشهورة محفوظة مأثورة عن الثقات إذ وجد فيها مائة حديث منكرة ، ويجرح ألف رجل من أهل الإتقان والحفظ في الرواية إذ وجد فيهم عشرون رجلاً ينسبون إلى الغفلة والنسيان وقلة الإتقان فاربح العناء فيما ليس لك فيه شفاء . وكما لا يبهرج مائة دينار إذا وجد ديناران زائفان ولا نحكم على جماعة المسلمين بالجرح إذ وجد فيهم مجروحان ولكن نزيف الزائفة منها ونروج المنتقدة . [1]

أهل البدع طعنوا في التابعين كذلك :

والأمر لم يقتصر على الطعن في صحابة رسول الله ﷺ ، بل تعداه إلى التابعين الأبرار من أصحاب القرن الأول [2].

عمرو بن عبيد يطعن في خيار السلف:

روى ابن قتيبة بسنده عن عمرو بن النضر قال :"مررت بعمر بن عبيد فجلست إليه فذكر شيئاً فقلت ما هكذا يقول أصحابنا، قال :ومن أصحابك ؟قلت :أيوب ، وابن عون ، ويونس ، والتيمي ، فقال : أولئك أرجاس أنجاس أموات غير أحياء" أ.هـ.[3]

والمتأمل في هذه الدعوى التي ادعاها المريسي و أتباعه ، نعق بها المتأخرون في زماننا هذا ممن قل نصيبهم من العقل والدين ، وكما قيل :لكل قوم وارث .

الأصل الثالث : تحريفهم لمعاني النصوص الشرعية :

وهذا الأصل استطاعوا به أن يبطلوا كثيراً من النصوص بدعوى التأويل الذي يوافق العقول ، أو أنهم أدرى بمعاني الأدلة من السلف الأوائل .

وهذه الحيلة والأصل الذي اخترعوه إنما جاءوا به ليردوا النصوص ولكن بطريقة

(١) الرد على بشر المريسي للدارمي (٢/ ٦٣٦).
(٢) المصدر السابق (٢/ ٦٤١).
(٣) تأويل مختلف الحديث ص٥٨.

تكون ألطف على النفوس فالرد صراحة للنص يكشف زندقتهم وخبثهم وعبثهم بالدين والشريعة ، فعمدوا إلى هذه الخدعة الشيطانية .

وكذلك عمدوا إلى هذه الطريقة حتى لا يحتج عليهم بما لا قبل لهم برده أو القدح في سنده وثبوته وهو الآيات من القرآن الكريم ، فاحتالوا له بهذه الحيلة وحرفوا معاني الآيات وإن أبقوا على الألفاظ .

يقول شيخ الإسلام :"وإذا كان ألفاظ النصوص لها حرمة لا يمكن المظهر للإسلام أن يعارضها **فهم يعبرون عن المعاني التي تنافيها بعبارات أخرى ابتدعوها** ، ويكون فيها اشتباه وإجمال كما قال الإمام أحمد :فهم مختلفون في الكتاب ، مخالفون للكتاب ، مجمعون على مخالفة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم ...." أ.هـ.[(١)]

وحرفوا الكلم عن مواضعه و غيروا معاني النصوص بطريقتين :

أ-التأويل .   ب-استعمال المجاز في غير موضعه.

أ-التأويل [(٢)]:

أما هذا الأصل فقد جنوا به جناية عظيمة على الدين ، وهدموا به أصوله ، ولبسوا على الناس في معتقداتهم ، وجعلوا المؤمنين وعامة الناس-ممن لا خبرة لهم بعلوم الشريعة- في حيرة من أمرهم .

قال ابن القيم – مبيناً خطر التأويل وجنايته على الدين-:

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ١٢).

(٢) التأويل في اللغة يأتي بمعنى :**المرجع والمصير والعاقبة** ، ويأتي بمعنى **التفسير** .وهو كذلك عند السلف كما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة .

وأهل البدع أضافوا معنىً باطلاً ثالثاً وهو : **صرف اللفظ عن ظاهره من المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح** .

انظر :تهذيب اللغة للأزهري (١٥/ ٤٣٧-٤٤٢مادة آل)، معجم مقاييس اللغة لابن فارس (١/ ١٥٩)،مجمل اللغة لابن فارس (١/ ٢١٧)، الصحاح للجوهري ص١٦٢٧،القاموس ص١٢٤٤، المفردات للراغب ص٩٩، لسان العرب (١١/ ٣٢)، تاج العروس للزبيدي (٧/ ٢١٤).وانظر : الصواعق المرسلة (١/ ١٧٧) ، مجموع الفتاوى (١٣/ ٢٨٩) ، (٥/ ٣٥-٣٦) ، (٤/ ٦٩) ، (٣/ ٥٥) ، درء التعارض (١/ ١٤-٢٠٦-٢٠٧)،(٥/ ٢٣٤)، بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٢٣٤).وانظر : أضواء البيان للشنقيطي (١/ ٣٢٩).

"إذا تأمل المتأمل فساد العالم ، وما وقع فيه من التفرق والاختلاف ، وما دفع إليه أهل الإسلام وجده ناشئاً من جهة التأويلات المختلفة المستعملة في آيات القرآن ، وأخبار الرسول ﷺ التي تعلق بها المختلفون على اختلاف أصنافهم في أصول الدين فروعه ،فإنها أوجبت ما أوجبت من التباين والتحارب وتفرق الكلمة وتشتت الأهواء ، وتصدع الشمل وانقطاع الحبل ، وفساد ذات البين ، حتى صار يكفر ويلعن بعضهم بعضاً ، وترى طوائف منهم تسفك دماء الآخرين ، وتستحل منهم أنفسهم ، وحرمهم ، وأموالهم ما هو أعظم مما يرصدهم به أهل دار الحرب من المنابذين لهم ،فالآفات التي جنتها ويجنيها كل وقت أصحابها على الملة والأمة من التأويلات الفاسدة أكثر من أن تحصى أو يبلغها وصف واصف أو يحيط بها ذكر ذاكر ، **ولكنها في جملة القول أصل كل فساد وفتنة ، وأساس كل ضلال وبدعة ، والمولدة لكل اختلاف وفرقة ، والناتجة أسباب كل تباين وعداوة وبغضة** .." أ.هـ.[1]

وقد استعملوا في ذلك غرائب اللغة و استشهدوا بشواذ الأقوال ، وبالموضوع من الأحاديث ، ولكن أهل السنة كشفوا زيفهم وبينوا باطلهم بأوضح الصور وأجلاها لمن أراد الحق .

ولهذا ردّوا النصوص من الكتاب والسنة الواردة في صفات الله وادعوا فيها التأويل ظلماً وعدواناً وبنوا عليه جميع بدعهم في هذا الباب .

-أنواع التأويل الباطل [2]:

١-ما لم يحتمله اللفظ بوضعه :

مثاله: كتأويل قوله ﷺ :"حتى يضع رب العزة عليها رجله "[3] بأن الرجل جماعة من الناس ، فإن هذا لا يعرف في شيء من لغة العرب .

---

(١) الصواعق المرسلة (١/ ٣٤٨) وانظر :(١/ ٣٧٦).

(٢) الصواعق المرسلة (١/ ١٨٧-٢٠١)باختصار .

(٣) الحديث في البخاري في التفسير -باب قول ﴿وتقول هل من مزيد﴾ برقم (٤٨٥٠) بنحوه.ومسلم في صفة الجنة برقم (٣٦).

٢-ما لم يحتمله اللفظ ببنيته الخاصة من تثنية أو جمع ، وإن احتمله مفرداً:

مثاله: تأويل قوله تعالى :﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[ص : ٧٥] بالقدرة .

٣-ما لم يحتمله سياقه و تركيبه ، وإن احتمله في غير ذلك السياق :

مثاله : كتأويل قوله تعالى :﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام :١٥٨] بأن إتيان الرب إتيان بعض آياته التي هي أمره ، وهذا يأباه السياق كل الإباء ، فإنه يمتنع حمله على ذلك ، مع التقسيم والترديد والتنويع .

٤-ما لم يؤلف استعماله في ذلك المعنى في لغة المخاطب ، وإن ألف في الاصطلاح الحادث :

مثاله :كتأويل الأحد : بأنه الذي لا تميز من شيء عن شيء البتة ، ثم قال أهل التأويل الباطل :لو كان فوق العرش لم يكن أحداً ، فإن تأويل الأحد بهذا المعنى لا يعرفه أحد من العرب ، ولا أهل اللغة ، ولا يعرف استعماله في لغة قوم في هذا المعنى في موضع واحد أصلاً ، وإنما هو اصطلاح الجهمية والفلاسفة والمعتزلة ومن وافقهم .

٥-ما ألف استعماله في ذلك المعنى لكن في غير التركيب الذي ورد به النص :

مثاله:كتأويل اليدين في قوله تعالى :﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص : ٧٥] بالنعمة، والعرب تفسر اليد بالنعمة ، ولكن وقوع اليد في هذا التركيب -الذي أضاف سبحانه فيه الفعل إلى نفسه ثم تعدى الفعل إلى اليد بالباء -مما يحيل تأويل اليد في النص بالنعمة .

٦-استعمال اللفظ في معنى لم يعهد استعماله فيه أو يكون نادر الاستعمال فيه :

مثاله : تأويل صفة الكلام والرؤية وغيرها مع صراحة النصوص الواردة فيها .

٧-كل تأويل يعود على النص بالإبطال فهو باطل .

٨-تأويل اللفظ الذي له معنى ظاهر لا يفهم منه عند إطلاقه سواه بالمعنى الخفي الذي لا يطلع عليه إلا أفراده من أهل النظر .

٩-التأويل الذي يوجب تعطيل المعنى الذي هو في غاية الشرف والعلو ويحطه إلى معنى دونه بمراتب .

١٠-تأويل اللفظ بمعنى لم يدل عليه دليل من السياق ولا معه قرينة تقتضيه .

ب-استعمال المجاز في غير موضعه: [١]

لأن استعمال المجاز في موضعه اللائق به -عند من يقول به كما يقول به بعض أهل السنة- لا حرج فيه ولكن الإشكال -في نظري- أن أهل البدع أساءوا استخدام المجاز في غير موضعه لفقدهم الأمانة العلمية .

و إلا فإن الجميع يتفقون على أن قولنا (محمد أسد) : أنه ليس بالحيوان .

ومن منع من باب المجاز من أهل السنة كشيخ الإسلام وابن القيم يرجع لأمرين [٢]:

الأول :أنه لم يكن معروفاً عند أهل اللغة ولا الصحابة ولا التابعين ولا السلف السابقين من الأئمة الأربعة وغيرهم.

الثاني :أن أهل البدع توصلوا بالمجاز إلى تأويل نصوص الصفات وإبطال حقائقها ، والقول بالإرجاء وأن الأعمال غير داخلة في مسمى الإيمان.

ويبين شيخ الإسلام أن القول بالمجاز هو عمدة المرجئة و الجهمية وكل من لم يدخل الأعمال في اسم الإيمان.[٣]

قال شيخ الإسلام :" وهؤلاء(يعني أهل البدع) لهم أنواع من الإلحاد في غير الأسماء والصفات ، وإنما المقصود هنا بيان إلحاد الجهمية :نفاة الأسماء والصفات ، فهؤلاء الذين ينفون حقائق أسماء الله الحسنى ،ويقولون : إنما سمي بها مجازاً ، أو مقصود بها غيره ، أو لا يعرف معناها ،و تلبيسهم هو ما في إطلاق هذه الأسماء مما يظنونه من التشبيه الذي يجب نفيه ، ولهذا عظم كلام المسلمين في هذا الباب ..." أ.هـ[٤].

---

(١) أطال الكلام حول هذا المبحث العلامة ابن القيم كما في مختصر الصواعق ص٢٣١ وما بعدها.

(٢) موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١١٧٣-١١٧٤).

(٣) الإيمان لشيخ الإسلام ص٨٣.

(٤) درء التعارض (٥/ ١٨٦).

أهل السنة وإن قالوا بالمجاز لم يعطلوا صفات الله :

مما يدل على تجرد أهل السنة وأمانتهم العلمية وسعة علمهم بالعربية :أنهم أثبتوا لخصومهم من أهل البدع أن القول بالمجاز - عند من يقول به- لا يؤيد ما يقررونه من باطل كنفي الأسماء والصفات وإخراج الأعمال عن مسمى الإيمان ، والذي فيه صراحةً: معارضة نصوص الوحي التي هي أساس اللغة وبها يستدل ولا يستدل عليها بشواذ الأقوال وغريب اللغات .

-الإمام ابن قتيبة يقول بالمجاز:

قال –رحمه الله -:"**وقد تبين لمن قد عرف اللغة أن القول يقع فيه المجاز** ، فيقال : قال الحائط فمال ، وقل برأسك إليّ ، أي أمله ، وقالت الناقة وقال البعير .

ولا يقال هذا في مثل هذا المعنى : تكلم ، ولا يعقل الكلام إلا بالنطق بعينه ، خلا موضع واحد وهو : أن تتبين في شيء من الموات عبرة وموعظة فتقول خبّر وتكلم وذكر؛ لأنه دلّك معنى فيه ، فكأنه كلمك ، وقال الشاعر [(١)]:

وَعظَتْك أجْداث صُمُت ونعتْك ألسِنة خُفُتْ
وتكلّمت عن أوجهٍ تبلى وعن صور سُبتْ
وأرتْك قبرك في القبو ر وأنت حيٌّ لم تمُتْ

وقال الكميت [(٢)] يمدح رجلاً [(٣)]:

أَخْبَرتْ عن فَعَاله الأرضُ واستنـ ـطق منها اليَبابَ [(٤)] والمعْمُورا .... والله تعالى يقول :﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء : ١٦٤] فوكّد بالمصدر معنى

---

(١) هو أبو العتاهية كما في عيون الأخبار لابن قتيبة (٢/ ٣٠٦).

(٢) **الكميت** هو :ابن زيد الأسدي الكوفي مقدم شعراء وقته قيل بلغ شعره خمسة آلآف بيت ، روى عن الفرزدق وأبي جعفر الباقر وعنه والبة بن الحباب وأبان بن تغلب ، وقال أبو عكرمة الضبي لولا شعر الكميت لم يكن للغة ترجمان ، وكانت وفاته سنة ١٢٦هـ.
انظر : السير (٥/ ٣٨٨)، الشعر والشعراء ص١٣٩.

(٣)قال هذه الأبيات في خالد بن عبد الله القسري كما في أساس البلاغة (٢/ ٥٥٨).

(٤) اليباب : الخراب .انظر : أساس البلاغة (٢/ ٥٥٨).

الكلام، ونفى عنه المجاز.

وقال :﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل : ٤٠] فوكد القول بالتكرار ، و وكد المعنى بإنما " أ.هـ[1] مختصراً.

فأهل البدع لم يتقيدوا بهذه الضوابط التي أشار إليها ابن قتيبة.

الأصل الرابع : دعوى أن النص يمكن أن يدل على صحة كل مذهب فاسد:

وتلك الدعوى مفادها : أن الذي يستدل بالنص على مذهبه الفاسد فهو محق والذي يدل على الحق فهو محق ، ما دام أن النص يفسر على أكثر من وجه .

ولاشك أن هذا أصل خطير يبرر فيه زندقة كل متزندق وكفر كل كافر .

فالباطني : الذي يفسر قول الله تعالى :﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ﴾ [البقرة . ٦٧] بأنها : عائشة قوله حق ، والذي يقول : إنها البقرة المعروفة قوله حق .

ويطلق على هذا الأصل بعض الأئمة (دعوى عدم إفادة النص للعلم واليقين)[2]. والعجيب أن زنادقة عصرنا من المتكلمين الذين يسمون مثقفين ، وعصريين اتكأووا على هذا الأصل لتبرير باطلهم ، ولهذا زعم من زعم منهم أن القرآن يمكن أن يدل على صحة كل مذهب في الأرض .

وقد أشار إلى هذا الأصل الإمام ابن قتيبة فقال :

"ثم نصير إلى عبيد الله بن الحسن[3] وقد كان ولي قضاء البصرة فَتُهجم من قبيح مذهبه وشدة تناقض قوله ....وذلك أنه كان يقول :**أن القرآن يدل على الاختلاف** فالقول بالقدر صحيح وله أصل في الكتاب ، والقول بالإجبار صحيح وله أصل في

(١) مشكل القرآن لابن قتيبة ص١٠٩-١١١.

(٢) عدّه ابن القيم الطاغوت الأول الذي هدم به أهل البدع الدين ورد عليه بما يزيد على سبعين وجهاً كما في الصواعق المرسلة (٢/ ٦٣٣-٧٩٣).

(٣) هو عبيد الله بن الحسن بن حصين العنبري القاضي البصري ، روى عن خالد الحذاء وداود بن أبي هند وغيرهما ، وعنه :ابن مهدي ومعاذ العنبري وغيرهما ، وثقه بعضهم واتهم بمذهب رديء الذي يجعل كل مجتهد مصيب وقيل إنه رجع عنه، وكانت وفاته سنة ١٦٨هـ. انظر : ميزان الاعتدال (٣/ ٤٠٢) ، تهذيب التهذيب (٧/ ٧).

الكتاب ، ومن قال بهذا فهو مصيب لأن الآية الواحدة ربما دلت على وجهين مختلفين ، واحتملت معنيين متضادين .

وسئل يوماً عن أهل القدر وأهل الإجبار فقال : كل مصيب ،هؤلاء قوم عظموا الله وهؤلاء قوم نزهوا الله .

وقال :وكذلك القول في الأسماء فكل من سمى الزاني مؤمناً فقد أصاب ، ومن سماه كافراً فقد أصاب ، ومن قال هو فاسق وليس بمؤمن ولا كافر فقد أصاب ، ومن قال هو منافق ليس بمؤمن ولا كافر فقد أصاب ، ومن قال هو كافر وليس بمشرك فقد أصاب ، ومن قال هو كافر مشرك فقد أصاب **لأن القرآن قد دل على كل هذه المعاني** " أ.هـ[(١)] .

ولاشك أن هذا من أخبث الأقوال وهو أصل كل شر لأن فيه تبريراً وتأصيلاً لكل زندقة وكفر –والعياذ بالله –.

-أصل هذا القول من الفلاسفة قبل الإسلام :

وشيخ الإسلام أشار إلى أن هذا القول وهو تصحيح كل مذهب في الوجود هو قول طوائف من ملاحدة الصوفية وفي أصله قول السوفسطائية [(٢)] من الفلاسفة حتى قبل الإسلام. [(٣)]

وشيخ الإسلام بين أنهم على أربعة أنواع[(٤)] :

الأول :السوفسطائية المتجاهلة اللاأدرية الذين يقولون :لا نعلم هل الحقائق ثابتة

---

(١) تأويل مختلف الحديث ص٣٣.

(٢)السوفسطائية : مأخوذة من السفسطة وهي :قياس مركب من الوهميات ، وهم طائفة من فلاسفة اليونان ممن ينكرون الحسيات والبديهيات ، ومعناها باليوناني (سوفا):اسم للعلم ، و(اسطا) :اسم للغلط ، فسوفسطا :معناه علم الغلط ،ومثلوا لإنكارهم الحسيات بأن الأحول قد يرى الواحد اثنين ، والماشي يرى القمر ذاهباً وعليه فلا يجزم بأن أيهم يعرف حقاً وأيهم يريد باطلاً.انظر: كشاف اصطلاحات الفنون(٢/ ٦٦٥) ، التعريفات للجرجاني ص ١٥٨، مجموع الفتاوى (٢/ ٩٨) ، الصفدية (١/ ٩٧-٩٨)، بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥٤).

(٣) انظر مجموع الفتاوى (٢/ ٩٨).

(٤) الصفدية (٩٧-٩٨) باختصار تحقيق محمد رشاد سالم ط.مكتبة ابن تيمية ط.الثانية ١٤٠٦هـ، وانظر نفس المعنى في الصواعق المرسلة (٢/ ٦٤٩). وقوله "لاأدرية" يريد الذين يقولون لا أدري في بدهيات الأمور.

أو منفية ، وهل يمكن العلم أو لا يمكن .

الثاني:قول أهل التكذيب والجحود والنفي الذين يجزمون بنفي الحقائق والعلم بها .

الثالث:الذين يجعلون الحقائق تتبع العقائد ، فمن اعتقد ثبوت الشيء كان في حقه ثابتاً ، ومن نفاه كان في حقه منتفياً .

الرابع : قول من يقول: الحقائق موجودة لكن لا سبيل إلى العلم بها .

والفلسفة المعاصرة الحديثة أخذت في بعض تقريراتها بهذا الأصل الفاسد فصححوا كل الأديان والمذاهب الباطلة ولم يجعلوا لنصوص القرآن والسنة منزلة ولا حرمة فكل شخص يفهم النص بما يريد ويشتهي لا بما هو عليه في الحقيقة .

وقد نقل هذا أحد المفكرين الغربيين فقال :

"لقد خلف لنا التاريخ تصورين مختلفين للتأويل ، فتأويل نص ما :حسب التصور الأول يعني الكشف عن الدلالة التي أرادها المؤلف ، أو على الأقل الكشف عن طابعها الموضوعي ، وهو ما يعني إجلاء جوهرها المستقل عن فعل التأويل ، **أما التصور الثاني فيرى على العكس من ذلك أن النصوص تحتمل كل تأويل** .." أ.هـ[1] .

فهو يرى أن هناك مذهبين من يرى الوقوف مع النص على ظاهره أي نص كان ، والمذهب الثاني على نقيضه تماماً وهو أن النص يحتمل كل تأويل يمكن أن يخطر ببال بشر.

والمعركة الدائرة الآن بين الزنادقة المعاصرين و من فتن بهم ممن يزعمون أنهم مثقفون وبين من يتمسك بدينه وثوابته أساسها والفلك التي تدور حوله هو: حول قضية النص وهل يمكن لكل أحد أن يفسره بما شاء .

الأصل الخامس : الأخذ بالمتشابه من النصوص :

الأصل أن يرد المتشابه من النصوص إلى المحكم الواضح البين الذي لا لبس فيه ،

---

(١) القائل هو إ مبرتو إيكو في كتابه التأويل بين السيميائيات والتفكيكية ص١١٧ ترجمة سعيد بنكراد ط. المركز الثقافي العربي –الدار البيضاء ط.الأولى عام٢٠٠٠.

وهذه طريقة الصحابة ومن بعدهم من الصالحين من سلفنا –رحمهم الله –، فيأخذون من المحكم ما يفسرون به هذا المتشابه الذي أشكل عليهم.(١)

وهذا الأصل –وهو إتباع المتشابه – جعلوه أساساً بنوا عليه غالب بدعهم ؛ حتى لا ينكر عليهم منكر فيعمدون إلى بعض النصوص التي يجهل معانيها الحقة عامّة الناس ، ويلبسون عليهم ويوهمونهم بأن في هذه النصوص ما يدل على بدعهم ، ويتركون المحكم الثابت الذي لا لبس فيه.

وقد وصف الله –عز وجل – من اتبع المتشابه ابتغاء الفتنة بالزيغ في القلوب، فقال سبحانه: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ ﴾ [آل عمران : ٧] .

وجاء في الحديث الصحيح عن عائشة –رضي الله عنها- قالت : " تلا رسول الله ﷺ هذه الآية :﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ . . ﴾ [آل عمران : ٧] قالت فقال رسول الله ﷺ : " فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه من فأولئك الذين سمّى الله فاحذروهم " أ.هـ.(٢)

-شيخ الإسلام يبين أن هذا هو أصل من أصول أهل البدع ومن تبعهم من أهل الكلام:

قال –رحمه الله –:" ..وهؤلاء الذي يعارضون الكتاب والسنة بأقوالهم **بنوا أمرهم على أصل فاسد** وهو: أنهم جعلوا أقوالهم التي ابتدعوها هي الأقوال المحكمة التي جعلوها أصول دينهم ، وجعلوا قول الله ورسوله من المجمل الذي لا يستفاد منه علم ولا هدى ، **فجعلوا المتشابه من كلامهم هو المحكم ، والمحكم من كلام الله ورسوله هو المتشابه** ...." أ.هـ.(٣)

---

(١) انظر: إعلام الموقعين (٢/ ٣٠٥).

(٢) الحديث أخرجه: البخاري في كتاب التفسير –باب منه آيات محكمات برقم (٤٥٤٧).

(٣) درء التعارض (١/ ٢٧٥).

الإمام أحمد يبين أصل بدع الجهمية والزنادقة : الأخذ بالمتشابه من القرآن :

وقد أشار الأئمة في كتبهم إلى هذا الأصل صراحة إما :

١-عن طريق عناوين أبواب كتبهم كما فعل الإمام أحمد فقال :

(**باب بيان ما ضلت فيه الزنادقة من متشابه القرآن**) (١) .

٢- أو عن طريق التصريح بأن هذا هو أصل بدعهم كما قال الإمام أحمد في بيان أصل بدعة الجهم والجهمية فقال :

"ووجد ثلاث آيات من المتشابه قوله :﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] و﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام : ٣] و﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [الأنعام : ١٠٣] فبنى أصل كلامه على هذه الآيات.." أ.هـ.(٢)

وقد بين الإمام ابن القيم أن لأرباب الأخذ بالمتشابه في رد السنن طريقين :

الأول : ردها بالمتشابه من القرآن أو من السنن.

الثاني :جعلهم المحكم متشابهاً ، ليعطلوا دلالته .

أمثلة من رد أهل البدع المحكم الواضح البين من نصوص الكتاب والسنة وأخذهم بالمتشابه (٣):

المثال الأول :

رد الجهمية النصوص الواضحة في باب الصفات بدعوى أن هناك آيات من المتشابه تمنعهم من العمل والإيمان بهذه النصوص ، كقوله تعالى :﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى : ١١] وقوله: ﴿ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴾ [مريم : ٦٥] و﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ (٤).

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقةص٨٦.

(٢) الرد على الجهمية ص١٠٤ .

(٣) انظر هذه الأمثلة بتوسع عند ابن القيم في إعلام الموقعين (٢/ ٣٠٥-٣١٩).

(٤) ممن استخدم نفس هذا الأصل القاضي عبدالجبار في كتابه متشابه القرآن (١/ ٧٢)تحقيق د.عدنان زرزور ط.دار التراث –القاهرة ، وكذلك الرازي في مفاتيح الغيب (٢/ ٤٩) عند تفسير قوله تعالى :﴿وإلهكم أله واحد ﴾ في سورة البقرة .

وقد تقدمت إشارة الإمام أحمد إلى هذا الأصل الذي أصله الجهم واستدلاله بهذا الدليل.

المثال الثاني :

نفي صفة العلو التي جاءت النصوص الصريحة الواضحة فيها والتي تدل عليها الفطر فضلاً عن النصوص الشرعية بدعوى أن بعض النصوص من المتشابه تمنع هذا الأمر كقوله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد : ٤] و قوله﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق : ١٦] .

وقد عقد لها الإمام أحمد فصلاً مستقلاً ورد على هذا الأصل الذي زعموا أنه من المتشابه كما في رده على الجهمية [1] .

المثال الثالث:

وردت القدرية ما جاء في النصوص من إثبات القدر وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن محتجين بالمتشابه من القرآن كقوله تعالى : ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[الكهف : ٤٩] وبما يشبهها من الآيات.

المثال الرابع :

وردت الجبرية النصوص الدالة على أن للعبد قدرة واختياراً وأنه فاعل بمشيئته بالمتشابه من قول الله تعالى :﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف :٤٩] و أمثالها من الآيات.

المثال الخامس :

وردت الخوارج والمعتزلة النصوص الواردة في إثبات الشفاعة لعصاة المؤمنين من أهل الكبائر وخروجهم من النار ؛بالمتشابه من قوله تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر : ٤٨] [2] ونحوها من الآيات .

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ص١٤٠.

(٢) المدثر [٤٨].

المثال السادس :

ردت الجهمية والمعتزلة النصوص المحكمة الواضحة البينة في إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الجنة بالمتشابه من قوله تعالى :﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام : ١٠٣] وقوله لموسى :﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف : ١٤٣] وما أشبهها من النصوص .

المثال السابع :

وردت الجهمية والمعتزلة النصوص المتنوعة التي لا تحصر بعدد بأن الله عز وجل يتكلم بكلام بما شاء في أي وقت شاء وأن صفة الكلام ثابتة له بالأدلة المحكمة البينة ولكن الجهمية ومن وافقهم أبو إلا التمسك بالمتشابه من الآيات كقوله تعالى :﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى : ١١].

المثال الثامن :

رد الرافض للنصوص الصريحة الواضحة المحكمة عند علماء الأمة وعامتها التي تدل على عدالة الصحابة ومدحهم والثناء عليهم ورضاء الله عنهم ووجوب الإقتداء بهم ، بالمتشابه من النصوص كقوله ﷺ :" لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض "[١]، ونحوها من النصوص .

الأصل السادس : إثبات الصانع بدليل حدوث الأجسام :

وهذا الأصل الذي غلطوا فيه ألزموا فيه أنفسهم بما ينتج عنه من مفاسد وكان من أعظمها وأخطرها هو :نفي الصفات كلها ، فلما كانت الطريقة فاسدة ما نتج عنها لا بد أن يكون أفسد وأظلم[٢]

خلاصة دليل حدوث الأجسام [٣]:

وهو أنهم قالوا : لا يعرف صدق الرسول حتى يعرف إثبات الصانع ،و لا يعرف

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب العلم –باب الإنصات للعلماء برقم (١٢١).

(٢) النبوات (١/ ٢٨٠)

(٣) انظر:منهاج السنة (١/ ٣٠٩-٣١١)، النبوات (١/ ٢٥٠-٥٨٥،٢٥٥)،درء التعارض (١/ ٣٠١-٣٠٢)، بيان تلبيس الجهمية (١/ ٢٨٠)،موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ٩٨٤-٩٨٥).

إثبات الصانع حتى يعرف حدوث العالم ، ولا يعلم حدوث العالم إلا بما به يعلم حدوث الأجسام ، ثم استدلوا على حدوث الأجسام بأنها لا تخلو من الحوادث - أو بعبارة أخرى مستلزمة للأعراض أو بعضها - ثم قالوا وما لم يخل من الحوادث فهو حادث ، ثم إن هؤلاء احتاجوا إلى أن يقولوا ما لم يسبق الحوادث فهو حادث ثم منهم من تفطن إلى أن هذا لا يكفي لإثبات الصانع فاضطر أن يقول بإبطال حوادث لا أول لها .

وأهل البدع جعلوا هذا الدليل أصلاً لعقيدتهم في ربهم ،بل إنهم ضللوا وكفروا وفسقوا من لم يقل بهذا الأصل الفاسد الذي لا يدل عليه لا شرع ولا عقل .

قال شيخ الإسلام :" والمقصود هنا أن هؤلاء جعلوه أصل دينهم وإيمانهم ، وجعلوا النظر في هذا الدليل هو النظر الواجب على كل مكلف ، وأنه من لم ينظر في هذا الدليل فإما أنه لا يصح إيمانه فيكون كافراً ، على قول طائفة منهم ، وإما أن يكون عاصياً على قول آخرين ، وإما أن يكون مقلداً لا علم له بدينه ، لكنه ينفعه هذا التقليد ، ويصير به مؤمناً غير عاصٍ.

والأقوال الثلاثة باطلة لأنها مفرعة على أصل باطل وهو أن النظر الذي هو أصل الدين والإيمان هو هذا النظر في هذا الدليل .." أ.هـ[1] .

الجهم هو من أول من عرف عنه القول بهذا الأصل :

وهذا الأصل أول من قال به الجهم وأخذ هذا الأصل عنه تلاميذه ومن فتنوا بمذاهب المتكلمين والزنادقة من المتأخرين .[2]

ولهذا تضمنت ردود السلف الأوائل الرد على الجهم والجهمية كالإمام أحمد والدارمي وغيرهم ، لما طرد هؤلاء هذا الأصل ولزمهم لوازم كالقول بفناء الجنة والنار ورد عليهم أهل السنة بل وكفرهم السلف به.[3]

وقد ذم السلف الكلام في مثل هذه الأمور كما جاء عن أبي حنيفة قوله –لما سئل

---

(١) النبوات (١/ ٢٥٥).

(٢) منهاج السنة (١/ ٣٠٩-٣١٠).

(٣) النبوات (١/ ٥٨٥) .

عن الكلام في الأعراض والأجسام وما أحدثه الناس فقال :"مقالات الفلاسفة ! عليك بالأثر وطريقة السلف و إياك وكل محدثة فإنها بدعة " أ.هـ.[١]

بل إن السلف بينوا فساد هذه الطريقة التي ابتدعها المتكلمون من أمثال الإمام أحمد والشافعي -لما ناظروا بعض أهل البدع فإنهم استعملوا هذه الطريقة معهم فأنكروا عليهم، وابن المبارك وابن الماجشون كما ذكر ذلك عنهم شيخ الإسلام.[٢]

بطلان هذا الأصل من وجوه[٣] :

الأول :أنه دليل طويل معقد كثير المقدمات ولا يمكن أن يفرض الله على عباده أصلاً بهذا الوصف ويناقض سهولة هذا الدين ويسره .

الثاني :أنه مبتدع في دين الله لم يقل به أحد من سلف الأمة .

الثالث :أنه يلزم عليه لوازم فاسدة من نفي الصفات ونفي قدرته على الفعل والقول بأنه فعل بعد أن كان الفعل عليه ممتنعاً عليه ، ...الخ.

الرابع :أن هذا القول والأصل أوجب تسلط الفلاسفة على المتكلمين وأهل البدع في مسألة حدوث العالم وغيرها من المسائل .

دليل حدوث الأجسام أصل للمشبهة[٤] :

---

(١) أورده المقدسي في ذم التأويل ص ٣٢برقم (٦٦).تحقيق بدر البد ط.الدار السلفية ط.الأولى ١٤٠٦هـ.

(٢) انظر : مجموع الفتاوى (٥/ ٥٤٣-٥٤٤).

(٣) درء التعارض (١/ ٩٧-١٠٥،٩٩، ٣-٨-٣١٠)، (٧/ ٢٤٥،٢٤٢،٧١)/ (٩/ ١٧٠-١٧١)، (١٠/ ١٣٥)، منهاج السنة (٢/ ١٩٩-٢١٢)، مجموع الفتاوى (٥/ ٥٤١-٥٤٥)، موقف شيخ الإسلام من الأشاعرة (٣/ ٩٩١-٩٩٢) ،الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات والرد عليها من كلام شيخ الاسلام (٢/ ٢٠٧-٢٧٣) د.عبدالقادر عطا صوفي ط.الغرباء الأثرية ط.الأولى ١٤١٨هـ.

(٤) المشبهة :أو المجسمة هم الذين شبهوا الله بخلقه ، فقالوا : له يد كيد المخلوقين ، ورجل كرجل المخلوقين ، وكان بدء ظهور التشبيه في الإسلام من الروافض ، كما أن اليهود أكثرهم مشبهة .وأبرز المشبهة ورؤساؤهم :هشام بن الحكم الرافضي الكوفي ، وهشام بن سالم الجواليقي . انظر:الملل والنحل (١/ ١٨٤،١٠٣)، رسالة في الرد على الرافضة للمقدسي ص١٦٥ط.الدار السلفية الهند تحقيق عبدالوهاب خليل الرحمن ط.الأولى ١٤٠٣هـ، اعتقادات فرق المشركين للرازي ص٨١،الخطط للمقريزي (٢/ ٣٤٨)، بيان تلبيس الجهمية (٢/ ١٦٥)،منهاج السنة (٢/ ٢١٧).

وهذا الأصل الفاسد كان أصلاً لطائفة مقابلة للمعطلة وهم المشبهة .

قال شيخ الإسلام :" وهذا هو الأصل الذي أصله هشام بن الحكم [(١)] .

وهشام بن سالم الجواليقي [(٢)] وغيرهما من المجسمة الرافضة وغير الرافضة كالكرامية ..." أ.هـ. [(٣)]

فهذا الأصل مفسدته عظيمة حيث أنشأ أخبث مذهبين بين المسلمين وهما مذهب التعطيل ومذهب التشبيه .

الأصل السابع : دليل التجسيم و التركيب [(٤)]:

وهذا أيضاً من الأصول التي بنوا عليها بدعهم سواء المتقدمون منهم أو المتأخرون وجعلوه أحد الأصول التي قرروا من خلالها نفي الصفات عن الله وما يستحقه من نعوت الجلال والكمال سبحانه .

قال شيخ الإسلام :" **وهذه الحجة المبنية على التركيب هي أصل قول الجهمية نفاة**

---

(١) هشام بن الحكم الكوفي الرافضي: القائل بالتشبيه والتجسيم الذي يزعم أن ربه طوله سبعة أشبار بشبر نفسه -تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً- وكان من غلاة الرافضة وممن يقول بالجبر الشديد،وكان له مصنفات كثيرة ، وكانت وفاته بعد نكبة البرامكة .
انظر : السير (١٠/ ٥٤٣) ، لسان الميزان (٦/ ١٩٤) ، الفهرست لابن النديم ص ٢٢٣.

(٢) هشام بن سالم الجواليقي : وهو الذي زعم أن ربه على صورة الإنسان وأنه ذو حواس خمس وينكر أن يكون دماً ولحماً ، ويزعم أن لربه وفرة سوداء -تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً-.
انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٠٩) ، الفرق بين الفرق ص٤٦.

(٣) منهاج السنة (١/ ٣١١).

(٤) التركيب : الفلاسفة جعلوه خمسة أنواع : ١-التركيب مع الوجود والماهية ٢-التركيب من العام والخاص ٣-التركيب من الذات والصفات ٤-تركيب الجسم من الجواهر المفردة ٥-تركيب الجسم من المادة والصورة .
وأضاف شيخ الإسلام بعض المعاني مثل :٦- التركيب هو ما ركبه غيره٧-جمع المتفرق يسمى تركيباً كالأدوية ٨-المركب ما يمكن تفريق بعضه عن بعض كأعضاء الأنسان٩-لما يشار إليه كالشمس والفلك ١٠-ما جاز أن يعلم منه شيء دون شيء كما يعلم كونه قادراً قبل أن يعلم كونه سميعاً بصيراً.
انظر : الصفدية لشيخ الإسلام (١/ ١٠٤-١٠٦)،درء التعارض (٥/ ١٤٢) وانظر كيف نقض شيخ الإسلام هذا الأصل في : موقف شيخ الإسلام من الأشاعرة (٣/ ١٠٩٨-١١١٥)، الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات (٣/ ١٠٣-٣٠٠).

الصفات والأفعال ، وهم الجهمية من المتفلسفة ونحوهم ، ويسمون ذلك التوحيد" أ.هـ[١]، بل ما قرروه هو أصل الشرك والإلحاد .

خلاصة دليل التركيب [٢]:

أن الصفات أعراض والأعراض لا تقوم إلا بجسم وعمدتهم في نفي الجسم عن الله كونه لا ينفك من الحوادث، أو كونه مركباً من الأجزاء المفردة، فهم يستدلون بالأكوان الأربعة التي للجسم -وهي :الاجتماع والافتراق والحركة والسكون -على حدوثه.

فنفي الصفات عند المبتدعة الفلاسفة بناءً على أن إثبات الصفات تركيب والله منزه عن التركيب لكون التركيب من صفات المحدث الممكن على حد زعمهم وتعبيرهم.[٣]

ويفسرون الواحد أنه: الذي لا يتجزأ ولا يتبعض ولا يتعدد ولا يتركب؛ وعليه نفوا الصفات لأنها تستلزم الأجزاء و الأبعاض في حق الله ، ويسمون ذلك توحيداً.[٤]

والمتفلسفة يقولون : الواحد لا يصدر عنه إلا واحد ويقصدون تجريد الله من صفاته التي تليق به سبحانه وتعالى ، وقالوا:لو كان متصفاً بذلك لكان جسماً ،ولو كان جسماً لكان منقسماً ، والمنقسم ليس بواحد.[٥]

وهو أصل قول واصل بن عطاء [٦] مؤسس مذهب المعتزلة الذي قال : إن إثبات الصفات يستلزم تعدد القدماء ونفى الصفات بناء على هذا الأصل ، وهو قول ابن سينا

(١) درء التعارض (١/ ٣٠١)، وانظر :(١/ ٣٠٧)،(٨/ ١٢٣)، التسعينية (٣/ ٧٤٨)،

(٢) انظر :درء التعارض (٥/ ٢٤٥)،منهاج السنة (١/ ٢٠١)،الصفدية (٢/ ٢٢٧-٢٣٠))،مجموع الفتاوى(٦/ ٣٤٤-٣٤٥)،الأصول التي بنى المبتدعة مذهبهم في الصفات (٣/ ١٠٣-٣٠٠).

(٣) درء التعارض (٥/ ٢٤٦).

(٤) التسعينية (٣/ ٧٤٧-٧٤٨)، وانظر :درء التعارض (١/ ٢٢٣-٢٢٤).

(٥) انظر: درء التعارض (٧/ ١١٤)، منهاج السنة(١/ ٤٠٢-٤٠٤).

(٦) تقدمت ترجمته في تمهيد الفصل الرابع من الباب الثاني الفصل الرابع .

وبعض الفلاسفة وبعض من وافق المعتزلة من الشيعة.[(١)]

نقض أهل السنة لهذا الأصل :

لقد نقض أهل السنة -ولله الحمد - في القرون الثلاثة الأولى هذا الأصل ، وكذلك من سار على نهجهم في القرون المتأخرة كشيخ الإسلام وتلاميذه ، وقد بينوا أن لفظ التركيب والجسم من الألفاظ المجملة التي تحتاج إلى استفصال فما كان منها من المعاني حقاً وكمالاً وتنزيهاً لله فلا مانع من إثبات المعنى وأما اللفظ فلا نثبته لعدم ورود دليل يدل على إطلاقه على الله عز وجل ، وما كان منها من المعاني باطلاً وتنقصاً للرب فينفى عن الله -عز وجل ،وهذا مما قرره شيخ الإسلام كثيراً في كتبه[(٢)].

السلف في القرون الأولى نقضوا هذا الأصل بعينه :

هذا الأصل ذكره الأئمة وأشاروا إليه في كتبهم كما أشار إلى ذلك شيخ الإسلام .

قال شيخ الإسلام :" **فإن هذه الشبهة هي من أكبر أو أكبر أصول المعطلة لصفات الرب بل المعطلة لذاته** .....وهذه الشبهة وإن تنوعت عباراتها هي التي ذكر الأئمة أنها أصل كلام الجهمية ..." أ.هـ باختصار.[(٣)]

الإمام أحمد في كتابه الرد على الجهمية يرد على هذا الأصل :

لقد اعتنى الإمام أحمد بالرد على هذا الأصل وغيره من الأئمة المعاصرين لهم و نقضوا هذا الأصل الذي قال به الجهم ومن تبعه من أهل البدع .

قال-رحمه الله-:" فقالوا - أي الجهمية - : لا تكونوا موحدين أبداً حتى تقولوا: قد كان الله ولا شيء، فقلنا : نحن نقول: قد كان الله ولا شيء؛ ولكن إذا قلنا : إن الله لم يزل بصفاته كلها، **أليس إنما نصف إلهاً واحداً بجميع صفاته؟** وضربنا لهم في ذلك

(١) انظر: الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٤٦)، وأشار شيخ الإسلام إلى هذا الأصل ورد عليه كما في منهاج السنة (٢/ ١٢٩-١٣١) ، بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٦٣-٤٩٥)، الرد على البكري ص١٥٧ط.الدار العلمية - دلهي الهند ط.الثانية ١٤٠٥هـ.

(٢) انظر:درء التعارض (١/ ٢٧١، ٢٥٤،٧٦)، (٧/ ١٨٥،١٧٦)،(١٠/ ٢٥٨)،منهاج السنة (٢/ ١٣٥،١٠٧)،بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٤٩٨،٦١)، مجموع الفتاوى (٥/ ٤٢٩-٤٣٠).

(٣) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥٢-٥٣)باختصار، وانظر:بيان التلبيس (١/ ٤٦٣).

مثلاً، فقلنا أخبرونا عن هذه النخلة أليس لها جذع وكرب [(١)] وليف [(٢)] وسعف [(٣)] وخوص [(٤)] وجمار [(٥)]؟ واسمها اسم شيء واحد، وسميت نخلة بجميع صفاتها: ..**كذلك الله -وله المثل الأعلى- بجميع صفاته إله واحد** ..." أ.هـ [(٦)] .

ثم ضرب لهم مثلاً آخر فقال :

" وقد سمّا الله رجلاً كافراً اسمه الوليد بن المغيرة المخزومي فقال :﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾ [المدثر :١١] ، وقد كان هذا الذي سماه الله "وحيداً" له عينا ، ، وأذنان ، ولساناً ، وشفتان ، ويدان ، ورجلان ، وجوارح كثيرة ، فقد سماه الله "وحيداً" بجميع صفاته ؛**فكذلك الله – وله المثل الأعلى – هو بجميع صفاته إله واحد**" أ.هـ. [(٧)]

والإمام أحمد في هذا الكلام يبين أمرين :

الأول : مقصود أهل البدع وأنهم يحرفون معنى الحديث "كان الله ولاشي " ويفسرونه بنفي الصفات عن الله وهي حجة القائلين بالتركيب .

الثاني :رد على هذا الأصل بعد أن بين مرادهم وتلبيسهم واستدلالهم بالنص لتأييد هذا الأصل الفاسد وأنه لا يستقيم لهم ورد عليهم بالحس والواقع المشاهد وهو المثل

(١) الكَرَب : بالتحريك أصول السعف الغلاظ العراض . ويقال: قطع كرب النخل أي : أصول سعفها وهي الكرانيف . القاموس اص١٦٦، أساس البلاغة (٢/ ٣٠١).

(٢) ليف: النخل معروف وهو قشر النخل الذي يجاور السعف الواحدة ليفة. انظر: المعجم الوسيط (٢/ ٨٥٠) .

(٣) السعف: جريد النخل أو ورقه وأكثر ما يقال إذا يبست . القاموس ص١٠٥٨ ، أساس البلاغة (١/ ٤٤٠).

(٤) الخوص: بالضم ورق النخل واحدتها خوصة . ويقال: أخوصت النخلة أورق وخوّصت . القاموس ص٧٩٨ ، أساس البلاغة (١/ ٢٥٤).

(٥) جُمَّار: واحدتها جُمَّارة وهي شحمة النخلة وجمَّر النخل تجميراً قطع جمَّارها . انظر : أساس البلاغة للزمخشري (١/ ١٣٢) .

(٦) الرد على الجهمية ص١٣٣-١٣٤ ، وانظر درء التعارض (٥/ ١٦٢-١٦٣)، بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٦٣-٤٦٤).

(٧) الرد على الجهمية ص١٣٤.

الذي يشاهدونه في حياتهم اليومية ولا يمكن أن ينكروه ، ومثلاً آخر ذكره الله في كتابه وهم لا يمكن أن يكذبوا به و إلا ظهرت زندقتهم وإلحادهم.

يقول شيخ الإسلام :"فهذا القول الذي ذكره الإمام أحمد عنهم أنهم قالوا: لا تكونون موحدين أبداً حتى تقولوا (قد كان الله ولا شيء) وهو كلام مجمل ، ولكن مقصودهم أنه لم يكن موجوداً بشيء يقال إنه من صفاته ؛ فإن ثبوت الصفات يستلزم عندهم التركيب والتجزئة : إما تركيب المقدار كالتركيب الذي يزعمونه في تأليف الجسم من أجزائه ،وإما التركيب الذي يزعمونه في الحدود وهو التركيب من الصفات ، كما يقولون :النوع مركب من الجنس والفصل ، ويستلزم أيضاً التشبيه ، والتوحيد عندهم نفي التشبيه والتجسيم ، ويقولون إن الأول :يعنون به عدم النظير ، والثاني : يعنون إنه لا ينقسم " أ.هـ.(١)

الإمام أحمد والسلف نقضوا هذا الأصل بسورة الإخلاص:﴿قل هو الله أحد﴾(٢):

ومن منهج السلف في نقض هذا الأصل إبراز تكذيب الله لهم في هذا الأصل .

قال شيخ الإسلام :" وكان الأئمة كالإمام أحمد والفضيل بن عياض وغيرهما إذا أرادوا أن يذكروا ما يستحقه الله من التنزيه ذكروا سورة الإخلاص التي تعدل ثلث القرآن ، وأنها مستوفية كل ما ينفى في هذا الباب ؛ ولهذا لما ناظرت الجهمية الإمام أحمد كأبي عيسى محمد بن عيسى برغوث (٣) وغيره من البصريين والبغداديين ؛ وذكروا الجسم وملازمه :ذكر لهم أحمد سورة الإخلاص فإن ما فيها من التنزيه هو الحق دون ما أدخلوه في لفظ الجسم من الزيادات الباطلة ..." أ.هـ.(٤)

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٤٦٤)

(٢) سيأتي مزيد بسط وبيان في المطلب القادم وهومنهج السلف في نقض أصول أهل البدع .

(٣) أبوعبدالله أو أبو عيسى محمد بن عيسى برغوث الجهمي رأس البدعة ممن كان يناظر الإمام أحمد وقت المحنة ، وكان من أكابر فرقة النجارية ، ولكنه خالفهم في بعض معتقداتهم وله فرقة تسمى باسمه (البرغوثية)، صنف كتباً كثيرة منها :الاستطاعة ، المقالات ، الاجتهاد، وكانت وفاته سنة ٢٤٠هـ.

انظر:السير (١٠/ ٥٥٤)، الفتاوى (١٤/ ٣٥٢)،(١٧/ ٢٩٩-٣٠٠)، الفرق بين الفرق ص١٥٦ .

(٤) بيان التلبيس (٢/ ٥٧-٥٨)وانظر: النبوات (١/ ٢٧٦)،(٢/ ٦١٧)، مجموع الفتاوى (١٧/ ٢٩٩-٣٠٠)

وغرضنا هنا أن نبين أن السلف أشاروا في مصنفاتهم إلى هذه الأصل الفاسد وأن السلف نقضوا هذا الأصل وليس غرضنا هنا استقصاء الكلام حولها .

وشيخ الإسلام بين أن المتأخرين وإن غيروا مسميات هذه الأصول فهي بعينها أصول أسلافهم من الجهمية والمعتزلة الذين ظهروا في القرن الثاني .

الأصل الثامن : البدع الكبرى أصول لما سواها من البدع:

إن من عظيم فقه السلف تفطنهم إلى التفريق بين البدع الكبرى التي هي أساس لما سواها من البدع والتي هي أساس للزندقة وغيرها من الكفر والإلحاد.

ولهذا عدّ السلف بعض البدع الكبرى التي ظهرت من أصول أهل البدع ، ونحن هنا نقرر ما قرروا ونقتفي آثارهم علنا نظفر بشيء –ولو يسير- مما ظفروا به من الفقه في دين الله، ومعرفة مكائد أعدائهم.

يوسف بن أسباط [1] يشير إلى أصول البدع:

أخرج الأئمة في مصنفاتهم عن ابن المبارك ويوسف بن أسباط قولهما لما سئلا عن الاثنتين وسبعين فرقة فقالا:

" **أصلها أربعة : القدرية ، والمرجئة ، والشيعة ، والخوارج** ثم تتشعب كل فرقة ثماني عشرة طائفة ، فتلك اثنتان وسبعون فرقة ، والثالثة والسبعون الجماعة التي قال النبي ﷺ إنها الناجية " أ.هـ.[2]

ولأبي حاتم كلام قريب من هذا قال :" وأخبرت عن بعض أهل العلم أول ما افترق من هذه الأمة :الزنادقة والقدرية والمرجئة والرافضة والحرورية " أ.هـ.[3]

---

(١) هو يوسف بن أسباط بن واصل الشيباني الزاهد له كلام مشهور في الزهد والحكم والمواعظ وثقه جمع من السلف ، وكان من خيار أهل زمانه ، وذكر أنه دفن كتبه ، وقال عنه العجلي: صاحب سنة ، وكانت وفاته سنة ١٩٥هـ. انظر :السير (٩/ ١٦٩) ، تهذيب التهذيب (١١/ ٣٥٨)، حلية الأولياء (٨/ ٢٣٧)

(٢) الأثر : أخرجه : ابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٦٥٧) برقم (٩٨٦).وابن بطة في الإبانة (١/ ٣٧٦-٣٨٠)برقم(٢٧٦)، (٢٧٧)،(٢٧٨) القسم الأول بتحقيق رضا نعسان.والآجري في الشريعة (١/ ٣٠٣-٣٠٤)برقم (٢٠).وأورده شيخ الإسلام في مواضع من كتبه : انظر النبوات (١/ ٤٢٣)،(٢/ ٦١٨).

(٣) الإبانة (١/ ٣٨٠).

قال ابن بطة معلقاً :" فهذا جماع الفرق وأصولها ثم تشعبت كل فرقة من هذه الفرق ، وكان جماعها الأصل واختلفوا في الفروع فكفر بعضهم بعضاً وجهل بعضهم بعضاً ...." أ.هـ.[1]

الإمام الهروي [2] يبين هذه الأصول بكلام واضح :

بين شيخ الإسلام الهروي أن البدع والزندقة لها ثلاثة أصول :

١-أن بدعة القول بخلق القرآن وهي بدعة الجهمية مقصدهم نفي الرسالة لأنهم يقصدون أن الله لم يتكلم بهذا القرآن فيبطلون ما فيه من أوامر ونواهي وشرع .

٢-بدعة الرفض مقصدهم القدح في الصحابة نقلة الدين والقدح في النقلة قدح في المنقول.

٣-بدعة القول بالقدر وفيها منازعة الله في ربوبيته وهو دين المجوسية الأولى الزنادقة .

قال –رحمه الله –:

"...فأما قول الطائفة التي قالت بالقدر ؛فأرادت (منازعته)[3] في الربوبية (أو وقعت)[4] فيها ؛ فضاهت المجوسية الأولى وهم الزنادقة التي كانت تشوش على

---

(١)المصدر السابق .

(٢) هو شيخ الإسلام وناصر السنة : أبو إسماعيل عبدالله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن منصور بن مت الهروي نسبةً إلى هرات من أرض أفغانستان و لد سنة ٣٩٦هـ ، وكان ورعاً عالماً بالسنة ومنتصراً لأهل السنة وكان جريئاً في الحق شجاعاً لايخاف في الله لومة لائم ، قال ابن طاهر :"سمعت الإمام أبا إسماعيل الأنصاري بهراة يقول : عرضت على السيف خمس مرات ، لايقال لي : إرجع عن مذهبك ، ولكن يقال لي: اسكت عمن خالفك ؛فأقول :لا"أ.هـ ،وكان ذوخلق حسن وتواضع ، وقد أوذي وأخرج من بلده مرات بسبب تمسكه وإنكاره على أهل البدع المعاصرين له ، له مصنفات سارت بها الركبان من أعظمها واشهرها: ذم الكلام وأهله ، تكفير الجهمية ، مناقب الإمام أحمد ، الفاروق في الصفات ، اعتقاد أهل السنة ، وكانت وفاته سنة ٤٨١هـ. انظر: مقدمة ذم الكلام ففيها ترجمة ضافية لمحقق الكتاب الأنصاري (١/ ٢٨-١٣٧)، السير (١٨/ ٥٠٣)، طبقات الحنابلة (٢/ ٢٤٧).

(٣) في المطبوعة (منازعة) وصححته من بيان تلبيس الجهمية (١/ ٢٧٨).

(٤) في المطبوعة (أوقعت)وذكر محققها أن في النسخ (وقعت) وفي الهامش كلاماً لم يستطع قراءته ، وقد صححتها من بيان التلبيس (١/ ٢٧٨).

الأولين دينهم ...وأما الذين قالوا في السلف الصالح بالقول السيء ؛ فأرادت القدح في الناقل ؛ لأن القدح في الناقل إبطال للمنقول ، فأرادوا إبطال الشرع الذي نقلوا ، وإنما تعلقوا بعلي بن أبي طالب تسلحاً ، وأما الذين قالوا بإنكار الكلام لله -عز وجل- فأرادوا إبطال الكل لأن الله تعالى إذا لم يكن -على زعمهم الكاذب -متكلماً بطل الوحي وارتفع الأمر والنهي ، وذهبت الملة عن أن تكون سمعية .....فهذه القواعد الثلاث أبنية الزندقة الأولى وهم الزنادقة الذكور .." أ.هـ[1] بتصرف واختصار.

وأشار في موضع آخر من كتابه إلى هذه الأصول فقال:

"..وهي ثلاث قواعد نجم بعضها إثر بعض :

الأولى منها : القول بالقدر ، وهي فتنة البصرة .

ثم قصب السلف وهي فتنة الكوفة .

ثم إنكار الكلام لله وهي فتنة المشرق " أ.هـ.[2]

الأصل التاسع : المكذوب والباطل من الأحاديث والآثار:

إن مذاهب أهل البدع لا تستند في شرعيتها لا على عقل ولا على نقل ، فهي في الأساس لا تقوم على أصل .

فأصل الجهل والضلال والزندقة والنفاق والإلحاد والكفر والتكذيب والنفي لصفات الله قائم بلا برهان أصلاً ، وهذا هو الأصل الذي اشترك فيه الملاحدة مع الجهمية.[3]

وكذلك من جهلهم أنهم لما لم يعلموا دليلاً -على حد زعمهم- يدل على إثبات الصفات لله قالوا بنفيها ، وهذا دليل الجهل فكما أنهم لم يثبتوا الصفات لعدم وجود الدليل فكذلك لا يجوز لأحدٍ أن ينفي عن الله شيئاً بغير دليل ولا برهان.[4]

---

(١) ذم الكلام للهروي (٥/ ١٢٣-١٢٧)مختصراً .

(٢) المصدر السابق (٥/ ١١٠) ، وقد نقل كلام الهروي شيخ الإسلام بطوله في بيان تلبيس الجهمية (١/ ٢٦٧-٢٨٠).

(٣) انظر:بيان تلبيس الجهمية (١/ ١٣٩).

(٤) انظر : الجواب الصحيح (٤/ ٢٩٦-٢٩٧).

لما عجز أهل البدع عن أن يجدوا شيئاً من النصوص الشرعية يؤيد بدعهم لجئوا إلى الأحاديث المكذوبة والموضوعة، أو اختلقوا تلك الأحاديث، وكما تقدم اشتهر بهذا من الطوائف المبتدعة الرافضة، وأن أصل دينهم ومذهبهم قائم على الكذب على الله ورسوله وصحابته الكرام.

ولهذا إما أن يبنوا هذا الأصل على الأقيسة والآراء التي تخالف ما جاءت به الرسل -وهو الغالب- أو يدعون ويحتجون بأدلة كاذبة كالإجماع مثلاً، ويكون إجماعاً مختلقاً ومكذوباً، ولهذا كان أهل البدع منهم من اتبع المتشابه من النصوص كالخوارج والمرجئة، ومنهم من ليس معه دليل أصلاً كالجهمية.[1]

فإذا أعيتهم الحيلة فإنهم قد يكذبون ويذكرون حديثاً مختلقاً مكذوباً ولهذا أمثلة نذكر منها:

المثال الأول: أحاديث في العقل مكذوبة:

وقد نبه شيخ الإسلام في كثير من كتبه على أن ما روي في العقل كله مختلف مكذوب على النبي ﷺ.[2]

وكما هو معلوم أن أهل البدع من أصولهم التي بنوا عليها بدعهم تقديم العقل على النص الشرعي، ولهذا كان من محاولاتهم لتثبيت هذا الأصل الاستدلال له بالنصوص الشرعية، ولكن لا يوجد إلا الموضوع منها.

ظهرت أحاديث العقل في القرن الثاني والثالث:

نص أئمة الحديث على أن بعض الناس صنف في العقل مصنفاً ووضعوا فيه بعض الأحاديث الباطلة.

---

(١) انظر: التسعينية (٢/ ٦٣١)، بيان التلبيس (١/ ٥٩٢).

(٢) نص شيخ الإسلام في العديد من مصنفاته على هذا الأمر وقد سئل في بداية كتابه بغية المرتاد عن هذا الأمر وأجاب بجواب أطال فيه وبين كذب هذه الأحاديث ص ١٦٩.

وانظر: النبوات (١/ ٤٠٢)، مجموع الفتاوى (١/ ٢٤٤)، (١٨/ ٣٣٦،١٢٢)، درء التعارض (٥/ ٢٢٤)، منهاج السنة (٨/ ١٥)، الصفدية (١/ ٢٣٨)، الرد على المنطقيين ص ١٩٦، المنار المنيف لابن القيم ص٦٦.

قال الدار قطني :" كتاب العقل وضعه أربعة : أولهم ميسرة بن عبد ربه [١] ، ثم سرقه منه داود بن المحبر [٢] ، فركبه بأسانيد غير أسانيد ميسرة ، وسرقه عبد العزيز بن أبي رجاء [٣] ، فركبه بأسانيد أخر ثم سرقه سليمان بن عيسى السجزي [٤] فأتى بأسانيد أخر" أ.هـ. [٥]

ومن هذه الأحاديث :

حديث :" إن أول ما خلق الله العقل" أ.هـ. [٦]

وهذا الحديث موضوع وقد نبه عليه جمع من أهل العلم .

وجعلوا هذا من عمدتهم في قياساتهم العقلية وهو حديث كما تقدم باطل لا يصح فيه شيء.

ولعل فيما ذكرنا كفاية وهذا الذي ذكرناه للتمثيل.

وبهذا العرض نختم الكلام على ذكر بعض أصول أهل البدع وإن كان هناك الكثير من الأصول التي بنوا عليها بدعهم لكن ما ذكرناه كالمثال وكالمقدمة للمبحث

(١) **ميسرة بن عبدربه الفارسي** ثم البصري التراس الأكال من أهل دورق بلد بخوزستان ، كان ممن يروي الموضوعات ، وقد أقر بوضع الحديث ، وكان يحتسب فعله هذا ، ومما وضعه أربعون حديثاً في فضل قزوين. انظر: المجروحين لابن حبان (٣/ ١١) ، ميزان الاعتدال (٥/ ٣٥٥)، الكامل لابن عدي (/)،

(٢) داود بن المحبر بن قحذام بن سليمان بن ذكوان الطائي البصري ، كان من أهل الحديث ثم صحب قوماً من المعتزلة فأفسدوه ، وقد قدح فيه بسبب وضعه كتاباً في العقل .وكانت وفاته سنة ٢٠٦هـ.
انظر: تاريخ بغداد (٨/ ٣٥٩)، المجروحين لابن حبان (١/ ٢٩١)،ميزان الاعتدال (٢/ ٢١٠).

(٣) عبدالعزيز بن أبي رجاء : متروك ،له مصنف كله موضوع، ووضع أحاديث على الإمام مالك ، وأورد له الذهبي حديثان موضوعان في العقل .انظر :الميزان(٣/ ٣٤٢).

(٤) سليمان بن عيسى السجزي : اشتهر بالوضع في الحديث وألف كتاب تفضيل العقل جزآن ، وأجمع المحدثون على أنه كذاب .انظر: الميزان (٢/ ٢٠٨).

(٥) تاريخ بغداد (٨/ ٣٦٠) ، وانظر بغية المرتاد لشيخ الإسلام ص١٧٣ تحقيق الدويش مكتبة العلوم والحكم ط.الأولى ١٤٠٨هـ .

(٦) الحديث أخرجه : أبونعيم في الحلية (٧/ ٣١٨).وقال ابن الجوزي في الموضوعات (١/ ١٧٤) : إنه لايصح . وقال ابن القيم في المنار المنيف ص٦٦:" أحاديث العقل كلها كذب "أ.هـ.

الأساس وهو منهجهم في نقض هذه الأصول ، وأيضاً كان الغرض من ذكر بعض أصول أهل البدع للإشارة إلى أن السلف في تلك القرون قد أشاروا إليها وبينوها وأن أصول المتأخرين هي أصول المتقدمين مع الخلاف بينهم في بعض العبارات .

المطلب الثالث : منهج السلف في نقض أصول البدع.

لقد تميز منهج السلف أثناء نقضهم لأصول أهل البدع بعدد من الميِّزات منها:

أ-كان منهجهم في نقض هذه الأصول منهجاً قوياً مفحماً للخصم ومقيماً للحجة .

ب-أن هذا المنهج معتمد على أسلوب القرآن والسنة وقائم عليهما .

ج-مما يظهر تميز هذا المنهج وقوته : استفادة من أتى بعدهم من الأجيال إلى يومنا هذا ،وهذه القوة على مر العصور استفادها من الكتاب والسنة .

د-وضوح هذا المنهج وسهولته في العرض والأسلوب والعبارة يفهمه كل أحد بخلاف طريقة أهل البدع القائمة على الغموض والتعقيد.

هـ-تصريح السلف بهذه الأصول والإشارة إليها مما يسهل على من يقرأ كتبهم أن يصل إليها .

ويمكن أن نلخص منهجهم في الأمور التالية :

١. النص والتصريح والبيان لأصول البدع في مصنفاتهم :

كانت أولى خطوات نقض أصولهم: بيانها وإيضاحها للناس ؛ حتى لا يظن الظان لما يستدل أهل البدع بالآيات أنهم على حق ، وحتى يفطن الناس إلى تلبيسهم وضلالهم ، ولهذا كانت عبارات السلف صريحة كقولهم : هذا الأمر هو أصل من أصولهم ، ويطلقون عبارة (الأصل) أو ما كان في معناها.

ولهذا المنهج أمثلة :

المثال الأول : الإمام أحمد يبين أصول الجهم والجهمية :

لقد كانت عبارة الإمام أحمد صريحة فبين أصول الجهم التي بنا عليها مذهبه الفاسد ، فقد قال الإمام أحمد :

"وجد ثلاث آيات من المتشابه قوله :﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى :١١] و ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأنعام : ٣] و﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ﴾ [الأنعام : ١٠٣] **فبنى أصل كلامه على هذه الآيات**.. وتأول القرآن

على غير تأويله ، وكذب بأحاديث رسول الله ﷺ ، وزعم أن من وصف الله بشيء مما وصف الله به نفسه في كتابه أو حدث عنه رسوله كان كافراً ، وكان من المشبهة ، فأضل بكلامه بشراً كثيراً..." أ.هـ.(١)

ومن تأمل في كلام الإمام أحمد ظهر له أصول الجهم والجهمية والتي أخذ بها المتأخرون من أهل الكلام وهي كالتالي :

الأصل الأول :**نفي الصفات** وجعل عمدته الآية: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾.

الأصل الثاني :**نفي العلو** وجعل عمدته الآية: ﴿ وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ .. ﴾.

الأصل الثالث : **نفي الرؤية** وجعل عمدته الآية: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾.

الأصل الرابع : **التأويل الباطل** كما عبر عنه بقوله:"وتأول القرآن على غير تأويله ".

الأصل الخامس :**رد النص الشرعي** كما عبر عنه بقوله: "وكذب بأحاديث الرسول".

الأصل السادس :**دليل التركيب والتجسيم** كما عبر عنه بقوله :"وكان من المشبهة ".

وقد تقدم معنا في المطلب السابق أن هذه هي أصول البدع عند المتقدمين وأخذها عنهم المتأخرون.

ولخطورة هذا الأمر وانتشاره بين الناس وافتتان بعض الناس به اضطر الإمام أحمد للتصريح بهذه الأصول ولهذا قال: " فأضل بكلامه بشراً كثيراً".

المثال الثاني :الإمام الدارمي يوضح أصلاً من أصول الجهم بن صفوان :

قال الإمام الدارمي : " وادعى المعارض أيضاً أنه ليس له حد ولا غاية ولا نهاية ، **وهذا هو الأصل الذي بنى عليه جهم جميع ضلالاته واشتق منها أغلوطاته** ، وهي كلمة لم يبلغنا أنه سبق جهماً إليها أحدٌ من العالمين " أ.هـ.(٢)

ومن خلال كلام هذا الإمام فإنه أشار إلى أصول الجهمية :

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ص١٠٤.

(٢) الرد على بشر المريسي (١/ ٢٢٣).

الأصل الأول : نفي العلو فإن شبهة أهل البدع لنفي العلو إن الله لا يوصف بالحد ولا الغاية .

الأصل الثاني : وصفه بالصفات السلبية من قوله (ولا نهاية).

قال شيخ الإسلام-بعد أن ذكر حجة من حجج الرازي في نفي العلو-:

"هذه الحجة هي من جنس قولهم : لو كان فوق العرش لكان إما أن يكون أصغر منه أو بقدره أو أكبر منه ببعد متناه ، أو غير متناه ، **وهذه الحجج من حجج الجهمية قديماً كما ذكر ذلك الأئمة ، وذكروا أن جهماً وأتباعه هم أول من أحدث في الإسلام هذه الصفات السلبية** ، وإبطال نقيضها ، مثل قولهم : ليس فوق العالم ، ولا هو داخل العالم، ولا خارجه ، وليس في مكان دون مكان ، وليس بمتحيز ، ولا جوهر ، ولا جسم ، ولا له نهاية ، ولا حد ..." أ.هـ.[1]

ثم ضرب أمثلة من كلام السلف حول هذه الشبهة وهذا الأصل ونقل كلام الإمام أحمد السابق ثم أردفه بكلام الإمام الدارمي الذي ذكرناه ثم عقب عليه بقوله :

" وإذا عرف أصل هذا الكلام فجميع السلف والأئمة الذين بلغهم ذلك أنكروا ما فيه من هذه المعاني السلبية التي تنافي ما جاء به الكتاب والسنة " أ.هـ.[2]

ومن خلال عرض شيخ الإسلام وتعليقه على كلام الدارمي يتبين لنا أن عبارة الدارمي كانت في موضعها وأن هذا أصل من أصول أهل البدع .

المثال الثالث :عبد الله بن إدريس يبين أن القول بخلق القرآن أصل الزندقة :

أخرج البخاري في خلق أفعال العباد وعبد الله بن أحمد في السنة بسنديهما :" أن رجلاً سأل عبد الله بن إدريس فقال له :" يا أبا محمد إن قبلنا ناساً يقولون إن القرآن مخلوق ، فقال :أمن اليهود؟قال :لا ، قال:أمن النصارى؟ قال :لا قال فمن المجوس ؟ قال :لا ، قال: فممن ؟ قال : من أهل التوحيد، قال: ليس هؤلاء من أهل التوحيد ،

---

(١) بيان تلبيس الجهمية (٢/ ١٥٦)

(٢) المصدر السابق (٢/ ١٦٠)وانظر (٢/ ١٩٦).

هؤلاء زنادقة ، من زعم أن القرآن مخلوق فقد زعم أن الله عز وجل مخلوق ، يقول الله :﴿ بسم الله الرحمن الرحيم﴾ فالله لا يكون مخلوقاً ، والرحمن لا يكون مخلوقاً ، **وهذا أصل الزنادقة** ، من قال هذا فعليه لعنة الله ، لا تجالسوهم ولا تناكحوهم " أ.هـ.(١)

فكلام عبد الله بن إدريس فيه إشارة إلى أصل من الأصول التي حرص الزنادقة على إشاعته بين المسلمين وهو القول بخلق القرآن ، وقد تقدم معنا كلام الهروي وغيره من الأئمة أن مقصود من نفى صفة الكلام إبطال الرسالات جميعاً وكذلك إبطال الشرائع وأن الله لم يتكلم بها فهو أصل كل زندقة وكفر .

المثال الرابع : الإمام الدارمي يبين أن قول أهل البدع (إن الله لا يوصف بأين) أصل أصله الجهم بن صفوان :

لقد ورد في أحاديث صحيحة وثابتة أن الرسول سأل عن الله بأين ، لإثبات علوه سبحانه على خلقه ، وقد شرق أهل البدع بمثل هذه الأحاديث فزعموا أن الله لا يوصف بأين وكذبوا بالنصوص ، والإمام الدارمي أشار إلى هذا الأصل ورد عليهم بما ورد في القرآن من إثبات علو الله على خلقه وأن هذا خبر من الله لعباده أين هو ، وأنه في جهة العلو.

قال الدارمي :" **وأما قولك : لا يوصف بأين ، فهذا أصل كلام جهم** ، وهو خلاف ما قال الله عز وجل ورسوله ﷺ والمؤمنون ؛ لان الله تعالى قال :﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الملك :١٦] وقال للملائكة :﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ﴾ [طه : ٥] وقال :﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه : ٥] فقد أخبر الله العباد أين الله وأين مكانه ..." أ.هـ.(٢)

٢. إبرازهم وتوضيحهم لصراحة مخالفة هذه الأصول للنصوص الشرعية الثابتة الواضحة :

إن من ثمار مخالفة الكتاب والسنة التي يجنيها أهل البدع أن تظهر مخالفتهم لكل

---

(١) تقدم تخريج الأثر في الفصل الأول –المبحث الرابع من هذا الباب.

(٢) الرد على بشر (١/ ٥٠٩).

أحد من الناس فيطلعون على قبح مذاهبهم ، وسوء مسلكهم في تقريرهم لعقيدتهم .

وقد حرص السلف أثناء نقضهم لأصول أهل البدع أن يظهروا ويبرزوا هذه المخالفات فإذا علمت مخالفتهم الصريحة للنصوص الشرعية ، كانت أهم وأقوى وسيلة لنقض هذه الأصول.

وهذه الطريقة أكثر السلف منها في كتبهم لعدة أمور:

الأول : لقوة هذه الطريقة في فضح أهل البدع ونقض أصولهم .

الثاني :عناية أهل السنة بالنصوص الشرعية ومعرفتهم التامة بها مما جعلهم يبرزون في استخدام هذه الطريقة ، ويكثرون منها .

الثالث : أن هذه الطريقة أولى الطرق لنقض أصولهم فإذا علمت مخالفتهم للنص الشرعي فما بعده من طرق متفرعة عن هذه الطريقة .

الرابع : إذا أثبت أهل السنة مخالفتهم للنص الشرعي فإن موقف الخصم يكون ضعيفاً ولا يستطيع مواصلة الرد والمناظرة لأن من ثبتت عليه مثل هذه التهمة فلا كفارة لها إلا بالرجوع للنص الشرعي.

الخامس :أن عامة أصول أهل البدع -زيادة على عدم وجود أصل لها من الكتاب والسنة - مخالفة للكتاب والسنة فجمعت بين السوءتين، البدعة والمخالفة ، كما قال الإمام أحمد :" مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب ،مجمعون على مفارقة الكتاب" أ.هـ.(١)

ويظهر هذا جلياً باستخدام هذه الطريقة في نقض هذه الأصول .

ومن الأمثلة على هذه الطريقة :

المثال الأول : احتجاج ابن نصر على الخوارج بحديث مانع الزكاة :

ورد في الحديث الصحيح في بيان الوعيد لمن منع الزكاة ولم يؤدها أحاديث ومنها الحديث المروي عن أبي هريرة وجاء وفي آخر الحديث ببيان مآله النهائي فقال ﷺ:"ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار"أ.هـ.(٢)

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ص٨٥ ، وانظر : النبوات لشيخ الإسلام (١/ ٥٦١)،(٢/ ٦٢٢).

(٢) الحديث أخرجه ابن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ١٠١٠)برقم (١٠٨٢).وهو في مسلم في الزكاة برقم (٩٨٧).

وقد بين الإمام بأن عدم الجزم بخلوده في النار دل على عدم كفره فإن الكافر جزماً ليس له سبيل إلا إلى النار –والعياذ بالله –، فدل على أن تارك الزكاة مع عصيانه وارتكابه كبيرة من الكبائر لم يخلد في النار دل على عدم كفره وهو رد صريح وواضح للخوارج القائلين بكفر تارك الزكاة وأهل الكبائر عموماً .

قال الإمام ابن نصر :

"فأما الخوارج فشهدوا عليه بالكفر ، وأخرجوه من الملة ، وأما المعتزلة فأخرجوه من الإيمان ، ولم يلحقوه بالكفر ، زعموا أنه فاسق ليس بمؤمن ولا كافر.

فأكذب النبي ﷺ مقالتهم في الحديث ، فأخبر أن الله –عز وجل– يعاقب مانع الزكاة بالعقوبة التي ذكرها ، ثم يرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار ، فأطمعه في دخول الجنة ، ولم يُيئسه من رحمة الله تعالى ، وخوّفه دخول النار ، ولم يؤمنه منها، فدل على أن مانع الزكاة ليس بكافر ، ولا مشرك ؛إذ أطمعه في دخول الجنة ؛لقول الله تعالى :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾ [النساء : ٤٨] ، ودل ذلك أيضاً على أنه مؤمن إذ أطمعه في دخول الجنة لقول النبي ﷺ: " لا يدخل الجنة إلا مؤمن "..[١].." أ.هـ.[٢]

والشاهد من هذا النقل قوله : **(فأكذب النبي ﷺ مقالتهم)** فأبرز مخالفتهم للنص الشرعي الواضح .

المثال الثاني : الإمام الدارمي يظهر مخالفة الجهمية نفاة الأسماء عن الله للنص الشرعي:

من أقوال الجهمية المعطلة كأمثال بشر المريسي و أضرابه من أهل البدع أن أسماء الله مخلوقة ومستعارة وليست حقيقيةً في إطلاقها على الله .

وكان من أساليب أهل السنة في نقض مثل هذه البدع بيان مخالفتها الصريحة للنص

(١) الحديث بمعناه في البخاري في كتاب الجهاد –باب إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر برقم (٣٠٦٢)،ولفظه :"أنه لايدخل الجنة إلا نفس مسلمة " أ.هـ.وعند الدارمي بلفظ (لايدخل الجنة إلا نفس مؤمنة)في الصلاة –باب النهي عن دخول المشرك المسجد الحرام (٢/ ٨٩٦)برقم (١٤٧٠)ط.أسد.

(٢) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ١٠١٥).

الشرعي.

وقد أورد الإمام الدارمي عليهم النصوص التي تبين فساد هذا الأصل الذي زعموه ، وكان مما أورده الحديث عن عبد الرحمن بن عوف -ﷺ- قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

" قال الله : أنا الرحمن ، وهي الرحم **شققت لها من اسمي** فمن وصلها وصلته ومن قطعها بتته " أ.هـ.(١)

ثم عقب بقوله :" **فيقول الله : أنا شققت لها من اسمي وادعت الجهمية المكذبين لله ولرسوله أنهم أعاروه الاسم الذي شقها منه** " أ.هـ.(٢)

وهنا بين الدارمي أن هذا النص الصريح (**شققت لها من اسمي**) من رسول الله الذي يرويه عن ربه يقطع كل حجة ، ومن نفى عنه اسمه فإنما هو معاند ومكابر لربه ، وبهذه المقارنة البسيطة بين مذهب أهل البدع وما ورد في النص يظهر لعامة الناس فساد هذا الأصل فضلاً عن أهل العلم .

المثال الثالث : الإمام الدارمي ينقض تأويل اليدين بالنعمة :

وبنفس الأسلوب الذي ذكرناه نجد الإمام الدارمي يعقد مقارنة بين تأويل أهل البدع وبين النصوص الشرعية حتى يظهر قبح المخالفة والبدعة التي وقعوا فيها ، وأنه لا يمكن أن يوافقه الجاهل فضلاً عمن عنده شيء من العلم في هذه المذاهب.

ومما حرّفه أهل البدع أنهم تأولوا صفة اليدين- الثابتة في النصوص الشرعية - بالنعمة وخالفوا اللغة و الشرع والعقل .

---

(١) الحديث أخرجه أبوداود في السنن(٢/ ١٣٣) كتاب الزكاة -باب في صلة الرحم برقم (١٦٩٤). والترمذي في جامعه في أبواب البر والصلة -باب ما جاء في قطيعة الرحم برقم (١٩٧٢). والإمام أحمد في المسند (١/ ١٩٤) . والحاكم في المستدرك (٤/ ١٥٧) . وعبدالرزاق في مصنفه (/) برقم (١٦٩٥). وابن حبان في صحيحه (٢/ ١٨٦)برقم (٤٤٣). والحديث صححه الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه على المسند (٣/ ١٣٨)برقم (١٦٨٠).وصححه الترمذي وتعقبه المنذري وقال:في تصحيحه نظر كما في الترغيب والترهيب(٣/ ٣٠٩)برقم٣٧٠٩

(٢) الرد على بشر (١/ ١٧٧).

سرد الإمام الدارمي في نقضه على المريسي النصوص الشرعية التي تثبت صفة اليدين لله كقوله تعالى:﴿بَلۡ يَدَاهُ مَبۡسُوطَتَانِ﴾ [المائدة : ٦٤].

وقوله :﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص : ٧٥] ، ونقل تفسير السلف لها باليدين حقيقة من غير تأويل.[1]

ثم قال :" **فمن يلتفت بعد هذا إلى تأويل هذا المريسي ، ويدع تأويل هؤلاء الأئمة؟** " أ.هـ.[2]

ثم أورد دليلاً من السنة يظهر من خلاله قبح المخالفة وعدم موافقتها للنص لا لفظاً ولا معنى.

قال –رحمه الله –:" أرأيتم إذا تأولتم أن (**يد الله**) :نعمته أفيحسن أن تقولوا في قول رسول الله ﷺ :"يطوي الله السموات بيمينه يوم القيامة " [3] أنه يطويها بنعمته ؟ أم قوله :"المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن " [4]وكلتا نعمتي الرحمن نعمة واحدة؟ هذا أقبح محال وأسمج ضلال وهو مع ذلك ضحكة وسخرية ما سبقكم إلى مثلها أعجمي أو عربي " أ.هـ.[5]

المثال الرابع :الدارمي في رده على الجهمية :

قال –رحمه الله –:"...فيقول لهم (أي الجهمية) وجدنا الله تعالى ورسوله ﷺ والأمة بعده سمّوه (**كلام الله**) وزعمتم أنتم أنه (خلق الله)، **فكفى بهذا مخالفة لله ولرسوله وللأمة من بعده** ، أو ائتوا فيه بكتابٍ ناطقٍ أو أثرٍ عن رسول الله ﷺ أو أحدٍ من أهل العلم أنه مخلوق، ولن تأتوا به أبداً ، وكيف تأثرون الكفر عن رسول الله ﷺ وأصحاب رسول الله ﷺ وأهل الإسلام بعدهم" أ.هـ.[6]

---

(١) انظر : الر د على بشر (١/ ٢٨٦-٢٨٧).
(٢) الرد على بشر (١/ ٢٨٧).
(٣) أخرجه مسلم في كتاب صفة المنافقين برقم (٢٧٨٨).
(٤) أخرجه مسلم في الإمارة برقم (١٨٢٧).
(٥) الرد على بشر (١/ ٢٨٧-٢٨٨).
(٦) الرد على الجهمية للدارمي ص١٨٠.

٣. نقض أصولهم بما يحتجون به من حجج:

إن الطرف الذي يستطيع أن يتحدى خصمه بنفس ما يحتج به هو الطرف الغالب والأقوى لأمور عدة:

أ- ثقته بما هو عليه من حق ومنهج وعقيدة فهو لا يخاف من هذا الرهان والتحدي.

ب- أن فيه إفحاماً للخصم وإقامة للحجة عليه ولمن يتبعه ممن يريد الحق.

ج- أن فيه هزيمة كبرى للمبطل بأن يرد عليه بنفس ما يحتج به من أصول أو حجج، لأن فيها إثباتاً للأتباع فضلاً عن الخصوم بضعف وبطلان الأصل الذي يعتمدون عليه.

ولعلنا نذكر مثالين فيما يخص الرافضة وأصولهم:

الأمثلة على هذه الطريقة:

المثال الأول: بيان فساد أصول الرافضة:

من أصول الرافضة التي يعتمدون عليها ويرون أنه من لم يأت بها فهو كافر (الإمامة)، وشنعوا على أهل السنة، والطعن في أبي بكر وعمر وإنكار ولايتهما وخلافتهما.

والرافضة يعدون الإمامة من أركان الإسلام وأصول الإيمان:

فقد جاء في كتبهم كالكافي وغيرها عن أبي جعفر -رحمه الله- قال: "بني الإسلام على خمس: على الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والولاية، ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية" أ.هـ.(١)

وزعموا أن إمامة علي جاءت بالنص من الله ومن رسوله ﷺ، وأنه بعد رسول الله مباشرة من غير فاصل ورووا الأحاديث المكذوبة في هذا الأمر.(٢)

---

(١) الكافي للكليني (٢/ ١٥) كتاب الإيمان والكفر -باب دعائم الإسلام برقم (١)(نقلاً عن مقدمة محقق كتاب الإمامة لأبي نعيم ص٢٥ للدكتور علي فقيهي ط. مكتبة جامع العلوم والحكم ط. الأولى ١٤٠٧هـ.

(٢) المصدر السابق ص٢٦.

وقد نقض أهل السنة هذا الأصل بأمر لم يستطيعوا أن يجيبوا عنه ، وهو تكذيب الإمام علي ﷺ لهذه الدعوى بقوله لا بقول غيره ، وأثبتوها مسندة في كتبهم ومصنفاتهم .

وقد رووا في ذلك الأحاديث وهي على قسمين :

القسم الأول :نفي علي أن تكون الإمامة بالنص من رسول الله ﷺ :

ومنها الحديث الذي رواه عبد الله بن الإمام أحمد وابن أبي عاصم في كتابيهما الموسومين بالسنة بسنديهما عن علي ﷺ قال:" ما عهد إلينا رسول الله ﷺ في الإمارة شيئاً، ولكن رأي رأيناه " أ.هـ.(١)

وجاء في الصحيحين عنه -ﷺ- في ذكر خبر الصحيفة ما يكذب دعوى الرافضة عن أبي جحيفة قال : " قلت لعلي :" هل عندكم كتاب ؟ قال : لا ، إلا كتاب الله أو فهم أعطيه رجل مسلم ، أو ما في هذه الصحيفة، قال : قلت : فما في هذه الصحيفة ؟ قال : "العقل ، وفكاك الأسير ولا يقتل مسلم بكافر " (٢)أ.هـ.

القسم الثاني : ما ورد عن آل البيت في فضل أبي بكر وعمر -رضي الله عنهما- وإثباتهم لخلافتهم :

وهذه الروايات والآثار عن علي وآل بيته رضي الله عنهم تبين كذب الرافضة على علي وعلى آل بيته.

وقد عقد ابن أبي عاصم باباً بعنوان (**باب ما روي عن علي ﷺ من تفضيله أبي بكر وعمر وإيمائه إلى عثمان بن عفان ثالثهم في الفضل**).(٣)

وعقد عبد الله في السنة أبواباً حول هذه المواضيع وأورد آثاراً تؤكد ما سبق (٤).

---

(١) الحديث أخرجه عبدالله في السنة (٢/ ٥٧٠)برقم (١٣٣٦). وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٨١٨)برقم (١٢٥٣). وأحمد في المسند (١/ ١١٤). والعقيلي في الضعفاء (١/ ١٧٨). وأخرجه الدارقطني في العلل (٤/ ٨٦). وذكره ابن أبي حاتم في العلل (٢/ ٣٧٤) برقم (٢٦٣٨).

(٢) أخرجه البخاري في العلم – باب كتابة العلم برقم (١١١) . وما ينقل عن علي غير هذه الصحيفة من الصحف والكتب إنما هو من اختلاق وكذب الرافضة. انظر: منهاج السنة (٨/ ١٣٦).

(٣) السنة لابن أبي عاصم (٢/ ٨٠٧)باب برقم (٢٠٢).

(٤) انظر السنة لعبدالله (٢/ ٥٣٦-٥٧٤)، وانظر النبوات لشيخ الإسلام (١/ ٥٧٥)، منهاج السنة (١/ ١٤).

ح- مخالفتهم للأصول الكبرى في الشريعة :

ومما ينقض أصولهم إبراز مخالفتهم لقواعد وأصول الشريعة الكبرى التي أجمعت عليها الأمة، وعلمها الخاص والعام ، ومن خالفها ينكر عليه الجاهل والعالم لأن هذه الأصول الكبرى شهد لها الشرع والعقل والفطرة ، فمن خالفها فهو مخذول ، وما يقرره من أصول وعقائد تخالف هذه الأصول فمردود عليه من الصبيان والنساء فضلاً عن أهل العلم والدين المشهود لهم بالرسوخ في العلم .

ومن هذه الأصول التي جاءت بها الشريعة :

أ- الوسطية (١):

لاشك أن دين الله وسط بين الغالي والجافي ، و الإسلام وسط بين الأديان ، وشريعته وسط بين الشرائع ، وأهل السنة والجماعة وسط بين الفرق في عقيدتهم وسلوكهم وأخلاقهم .

فهم وسط في باب الأسماء والصفات بين المعطلة وبين المجسمة المشبهة .

وهم وسط في باب الإيمان بين المرجئة وبين الخوارج والمعتزلة .

وهم وسط في باب القدر بين القدرية النفاة والجبرية الغلاة .

وهم وسط في باب الصحابة بين الرافضة الغلاة في آل البيت وبين النواصب الذين يكفرونهم .

فالوسطية شعار أهل السنة وهو شعار توافق عليه الفطر السليمة ومن حاد عنه ان الفطر تستنكره فضلاً عما جاء في دين الله ما يناقضه .

وكان من الأصول التي قررها أهل السنة وبينوا مخالفة أهل البدع لها هو (الوسطية) التي جاءت بها النصوص الشرعية كما قال الله جل وعلا :﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[البقرة :١٤٣].

---

(١) هناك بحث قيم مطبوع بعنوان (**وسطية أهل السنة بين الفرق**) للدكتور محمد باكريم وهي رسالة دكتوراة علمية بالجامعة الإسلامية أشرف عليها الدكتور علي فقيهي ط.دارالراية ط.الأولى ١٤١٥هـ.

مثاله : بيان الإمام المروزي مخالفة الطوائف للوسطية في باب الإيمان في حين تمسك بها أهل السنة:

أورد الإمام محمد بن نصر المروزي ما ورد من أحاديث الوعيد لأهل الكبائر ثم علق عليها وقال :

" فغلت الخوارج والمعتزلة والرافضة في تأويل هذه الأخبار ، وكفرت بها المرجئة شكاً منهم في قول الرسول ﷺ ، أو تكذيباً منهم لمن رواها من الأئمة الذين لا يجوز اتهامهم ، ولا الطعن عليهم ،(جهلاً) [1] منهم بما يجب عليهم ، **وهكذا عامة أهل الأهواء والبدع، إنما هم بين أمرين :**

-**غلواً في دين الله وشدة ذهاب فيه حتى يمرقوا منه** بمجاوزتهم الحدود التي حدها الله ورسوله .

-**أو إجفاءً وجحوداً به حتى يقصروا** عن حدود الله التي حدها .

ودين الله موضوع فوق التقصير ،ودون الغلو ، فهو أن يكون المؤمن المذنب خائفاً لما وعد الله من العقاب على المعاصي ، راجياً لما وعد ،يخاف أن يكون المعاصي التي ارتكبها قد أحبطت أعماله الحسنة ، فلا يتقبلها الله منه ، عقوبة له على ما ارتكب من معاصيه ، ونرجوا أن يتفضل الله عليه بطوله ، فيعفو له عما أتى به من سيئة ويتقبل منه حسناته التي تقرب بها إليه ، فيدخله الجنة فلا يزال على ذلك حتى يلقى الله **وهو بين رجاء وخوف** " أ.هـ.[2]

ومن خلال هذا النقل الذي نقلناه بين الإمام فساد أصلهم من خلال بيان مجانبتهم للوسطية التي هي شعار أهل الإسلام وأصل من أصولهم الكبرى .

ب- التمسك بالجماعة :

أكثر الأئمة من الكلام على التمسك بالجماعة ورووا في ذلك الآيات والأحاديث

(١) في المطبوع (جعلاً) بالعين ولعل الصواب بالهاء .

(٢) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٦٤٥).

التي تتوعد من خالف الجماعة ، وأن الفرقة الناجية هم الجماعة كما صحت بذلك الأحاديث والآثار .

وهذا الأصل عند تقريره تظهر مخالفة بعض الطوائف لهذا الأصل كالخوارج الذين خالفوا هذا الأصل نظرياً وعملياً .

وقد عقد الأئمة فصولاً وأبواباً في كتبهم مثل :

-ابن أبي عاصم في السنة عقد باباً بعنوان (**باب في ذكر مفارقة الجماعة**). (١)

-الأبواب التي جاءت بذم الخوارج وذكروا فيها الأدلة التي تحذر وتتوعد من فارق جماعة المسلمين .

خ- بيان خطئهم وضلالهم في الاستدلال :

في بعض المواضع يستدل أهل البدع ببعض الأدلة الصحيحة في نفسها ، ولا شك في ثبوتها ، وإنما النزاع في الاستدلال بها على المسألة المعينة التي يريدون ، ولهذا كان من منهج السلف في نقض أصول أهل البدع أن يبينوا أن هذا الأصل الذي جعلوه عمدتهم وأساسهم قد أخطأوا في الاستدلال به وأنه لا يدل على ما ذكروا ، وإن كان هو في نفسه دليلاً ، ولكن قد يكون ضد ما يريدون تقريره .

وهذه الأصول والأدلة التي بين السلف خطأهم فيها قد تكون نصاً من قرآن أو سنة أو لغة العرب أو قياس عقلي وغيرها .

الإمام البخاري يوضح خطأ أهل البدع وضلالهم في الاستدلال :

قال الإمام البخاري :" وقال بعضهم : **إن أكثر مغاليط الناس في هذه الأوجه الذين لم يعرفوا المجاز من التحقيق ، ولا الفعل من المفعول ، ولا الوصف من الصفة ، ولم يعرفوا الكذب لم صار كذباً ، والصدق لم صار صدقاً** .

فأما بيان المجاز من التحقيق فمثل قول النبي ﷺ :"وجدته بحراً " (٢)، وهو الذي

---

(١) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٦١٧)باب رقم (١٧٨).

(٢) الحديث عن أنس ﷺ قال: كان رسول الله ﷺ أحسن الناس، وكان أجود الناس ، وكان أشجع الناس ، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة ، وانطلق ناس قبل الصوت ، فتلقاهم رسول الله ﷺ راجعاً وقد سبقهم إلى

يحور فيها بين الناس ، وتحقيقه أن مشيه حسن، ومثل قول القائل :علم الله معنا وفينا ، وأنا في علم الله ، إنما المراد من ذلك أن الله يعلمنا ، **وهو التحقيق** .

ومثل قول القائل : النهر يجري ، ومعناه : أن الماء يجري وهو التحقيق ،وأشباهه في اللغات كثيرة " أ.هـ.(١)

فالإمام البخاري أثبت أنه وإن استدلوا ببعض الأصول التي جعلوها عمدةً لهم في نفي الصفات وتأصيل بدعهم إلا أنهم لم يحسنوا الاستدلال بها إذا سلمنا صحة الدليل لهم .

فالمجاز مثلاً -والخلاف فيه معروف - لو تجوزنا وقلنا به لا يستقيم الاستدلال به على ما يريدون من نفي الصفات ونحوها ، وأشار إلى خلطهم أثناء الاستدلال أو ردهم بعض النصوص التي يستدل بها مخالفوهم من أهل السنة ،فإنهم لم يفطنوا إلى بعض الضلال الذي وقعوا فيه ولم يوفقوا فيه للصواب .

الإمام ابن القيم يعلق على استدلالهم بقوله :(إنا وجدناه لبحراً) وينفي أن يكون مما يستدل به على صحة المجاز:

وأسوق هنا كلاماً نفيساً للعلامة ابن القيم أثناء رده على من يقول بالمجاز ويستدل بهذا الحديث المتفق على صحته فيقول -رحمه الله -:

"...**فادعى المدعي أن هذا مجاز** ، وكان ظن أن العرب وضعت البحر لهذا الماء المستبحر ثم نقلته إلى الفرس لسعة جريه فشبهته به فأعطته اسمه ، وهذا وإن كان محتملاً فلا يتعين ولا يصار إلى القبول به لمجرد الاحتمال فإنه من الممكن أن يكون البحر اسماً لكل واسع ، فلما كان خطو الفرس واسعاً سمي بحراً، وقد تقيد الكلام بما عيّن مراد قائله بحيث لا يحتمل غيره ، **فهذا التركيب والتقييد معين لمقصوده ، وإنه بحر في**

=الصوت ، وهو على فرسٍ لأبي طلحة عري في عنقه السيف وهو يقول :" لم تراعوا ، لم تراعوا ، قال :"وجدناه بحراً " أو"إنه لبحر"أ.هـ أخرجه البخاري في كتاب الأدب -باب حسن الخلق والسخاءوما يكره من البخل برقم (٦٠٣٣).ومسلم في الفضائل برقم (٢٣٠٧).

(١) خلق أفعال العباد ص١٨٤.

جريه لا أنه بحر ماء نقل إلى الفرس .

يوضحه :أنهم قصدوا تسمية الخيل بذلك فقالوا للفرس : جواد وسابح وطرف .

ولوعري الكلام من سياق يوضح الحال ، لم يكن من كلامهم ، وكان فيه من الإلباس ما تأباه لغتهم ، ألا ترى أنك لو قلت رأيت بحراً وأنت تريد الفرس ، أو رأيت أسداً وأنت تريد الرجل الشجاع ، لم يكن ذلك جارياً على طريق البيان : فكان بالإلغاز والتلبيس أشبه منه (بالفائدة)[1] ، وهؤلاء المتكلفون والمتكلمون بلا علم يقدرون كلاماً يحكمون عيه بحكم ثم ينقلون ذلك الحكم إلى الكلام المستعمل ، وهذا غلط ، فإن الكلام المستعمل لابد أن يقترن به من البيان والسياق ما يدل على مراد المتكلم .." أ.هـ.[2]

وقال أيضاً :

" الوجه الرابع والأربعون : **وهو مما يرفع المجاز بالكلية** أنهم قالوا إن من علامة الحقيقة السبق إلى الفهم ، وشرطوا في كونها حقيقة الاستعمال كما تقدم ، وعند الاستعمال لا يسبق إلى الفهم غير المعنى الذي استعمل اللفظ فيه ،فيجب أن يكون حقيقة ، فلا يسبق إلى فهم أحد من قول النبي ﷺ في الفرس الذي ركبه (إن وجدناه لبحراً) : الماء الكثير المستبحر ، فإن في (وجدناه) ضميراً يعود على الفرس يمنع أن يراد به الماء الكثير ......بل السابق إلى الأفهام من هذا التركيب نظير السابق من قولهم :" يا رسول الله إنا نركب البحر ونحمل معنا القليل من الماء " .....**فكيف كان هذا حقيقة ، وذاك مجازاً والسبق إلى الفهم في الموضعين واحد ؟** " أ.هـ.[3]

ومما يؤيد كلام ابن القيم من كلام أهل اللغة :

- أن الأصمعي قال :"يقال للفرس بحراً إذا كان واسع الجري ، أو لأن جريه لا

---

(١) في المطبوعة (بالمائدة) وهو خطأ ظاهر .

(٢) مختصر الصواعق ص٢٥٤-٢٥٥.

(٣) المصدر السابق ص٢٦٨بتصرف واختصار.

ينفد كما لا ينفد البحر " أ.هـ.(١)

٠-قال ابن فارس في مجمل اللغة :" ويقال :فرس بحْرٌ إذا كان واسع الجري ، قال رسول الله ﷺ في مندوب أبي طلحة :إن وجدناه لبحراً " أ.هـ.(٢)

فمما سبق تبين لنا كيف أن الإمام البخاري ذكر أن غلط أهل البدع ليس في صحة الدليل في كل الأحيان ولكن في صحة الاستدلال بالدليل .

د- قلب الحجة على الخصم :

إن من أعظم ما ينقض به أصول أهل البدع أن يستدل للحق وينقض باطلهم بنفس ما استدلوا به من أدلة ،وهذا يدل دلالة واضحة على قوة منهج أهل السنة وصحة ما هم عليه ، ويظهر فساد أهل البدع وينقض أصولهم بأيديهم وأيدي المؤمنين.

يقول شيخ الإسلام :"أن عامة ما يحتج به النفاة للرؤية والنفاة لكونه فوق العرش ونحوهم من الأدلة الشرعية : الكتاب والسنة ،**هي أنفسها تدل على نقيض قولهم** ، ولا تدل على قولهم ؛ فضلاً عما يعترفون هم بدلالته على نقيض قولهم ، وهكذا عامة ما يحتجون به من الأدلة العقلية إذا وصلت معهم إلى آخر كلامهم وما يجيبون به معارضهم وجدت كلامهم في ذلك يدل على نقيض قولهم ، وإن ما يذكرونه من المناظرات العقلية هو على قول أهل الإثبات أدل منه على قولهم " أ.هـ.(٣)

وهذا الذي ذكره شيخ الإسلام تجده كثيراً في ردود أهل السنة على شبهات أهل البدع فإنهم يصرحون بهذا ويقلبون الحجة على خصومه .

الأمثلة على هذا المنهج من كتب السلف:

المثال الأول : الإمام الدارمي يقلب حجة المريسي عليه :

استدل المريسي ومن معه لتأويلهم صفة الضحك ونفيها بحديث أبي رزين العقيلي

---

(١) فتح الباري (٥/ ٢٨٥)عند شرحه للحديث في كتاب ا ـ من استعار من الناس الفرس برقم (٢٦٢٧).

(٢) مجمل اللغة (١/ ١١٧)تحقيق زهير عبدالمحسن سلطان ط.مؤسسة الرسالة ط.الأولى١٤٠٤هـ.

(٣) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٦٢٣) ودرء التعارض (٤/ ٢١٨).

وقد قرر الإمام الدارمي أنهم احتجوا بحديث يفضح بدعتهم وينقض عليهم أصلهم فقال :

"فهذا حديثك أيها المعارض الذي رويته وثبته وفسرته ، وأقررت أن النبي ﷺ قد قاله ، **ففي نفس حديثك هذا ما ينقض دعواك** وهو قول أبي رزين ﷺ للنبي ﷺ :" أيضحك الرب ؟" [(١)] ولو كان تفسير الضحك الرضى والرحمة والصفح من الذنوب فقط، كان أبو رزين في دعواك إذاً جاهلاً أن لا يعلم أن ربه يرحم ويرضى ويغفر الذنوب ، حتى يسأل رسول الله ﷺ : أيرحم ربنا ويغفر ويصفح عن الذنوب ؟ بل هو كافر في دعواك ، إذ لم يعرف الله بالرضى والرحمة والمغفرة ، وقد قرأ القرآن وسمع ما ذكر الله فيه من رحمته ومغفرته وصفحه عن الذنوب ، ما كان له فيه مندوحة عن سؤال النبي ﷺ أيغفر ربنا ويرحم ؟ إنما سأله عما لا يعلم لا عما علم وآمن به قبل ، وقرأ

---

(١) أخرجه :أبو داود في سننه (مختصراً) في كتاب الأيمان والنذور -باب ماجاء في يمين النبي ﷺ برقم (٣٢٦٦). وعبد الله بن الإمام أحمد في زوائده على المسند (٤/ ١٣) ، وفي السنة له (٢/ ٤٨٥)برقم (١١٢٠).
-وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٢١) برقم (٤٦٨) (مختصراً) ، (١/ ٤٤٠)برقم (٦٤٩) (بتمامه). والدارمي في الرد على الجهمية ص ١٠٥برقم (١٧٦). وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٤٦٠-٤٧٠)برقم (٢٧١).واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٤٨٣)برقم (٨٣٨)،(٨٣٩). والآجري في الشريعة (٢/ ١٠١٢)برقم (٦٠٥)،(٦٠٦). والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٦٠-٥٦٤). وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان (١٤/ ٩)برقم (٦١٤١). والدار قطني في الرؤية برقم(١٩١)ص٢٨٧. والطبراني في الكبير (١٩/ ٢١١-٢١٤). وأبو نعيم في صفة الجنة (مختصراً)برقم (١٦٨)ص٦١. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٣٣٨-٣٤٠) وقال :"رواه عبدالله والطبراني بنحوه وأحد طريقي عبد الله إسنادها متصل ورجالها ثقات ، والإسناد الآخر وإسناد الطبراني مرسل عن عاصم بن لقيط أن لقيطاً ..."أ.هـ.
وقال الحاكم (٤/ ٥٦٤):" صحيح الإسناد ،كلهم مدنيون ، ولم يخرجاه "أ.هـ.
-وأورده ابن القيم بطوله في زاد المعاد (٣/ ٦٧٣-٦٧٧) وعزاه إلى العسال في المعرفة ، وإلى أبي الشيخ في السنة ، وإلى ابن منده ، وإلى ابن مردويه ، وقال عقب الحديث (٣/ ٦٧٧) :" هذا حديث كبير جليل ، تنادي جلالته ،وفخامته وعظمتهُ على أنه قد خرج من مشكاة النبوة ... ورواه أئمة أهل السنة في كتبهم ، وتلقوه بالقبول ، وقابلوه بالتسليم والانقياد ، ولم يطعن أحد منهم فيه ولا في أحدٍ من رواته " أ.هـ. بتصرف.
-ونقل ابن القيم كلام ابن منده في الزاد (٣/ ٦٧٨) وجاء فيه :" ولم ينكره أحد ،ولم يتكلم في إسناده ،بل رووه على سبيل القبول والتسليم ، ولا ينكر هذا الحديث إلا جاحد أو جاهل ، أو مخالف للكتاب والسنة "أ.هـ.
وقد صححه الآلوسي في روح المعاني (٥/ ١٥/ ١٤٢). وحسنه الألباني كما في صحيح ابن ماجة برقم (١٥٠).

القرآن فوجد فيه ذكره، ولم يجد فيه ذكر الضحك.

فلما أخبره النبي ﷺ أنه يضحك قال: " لا نعدم من رب يضحك خيراً "، ولو كان على تأويلك لا ستحال أن يقول أبو رزين للنبي ﷺ: لا نعدم من رب يرحم ويرضى ويغفر خيراً، لما أنه قد آمن وقرأ قبل في كتابه: ﴿ إنه غفور رحيم ﴾، فاعقله، وما أراك تعقله" أ.هـ [(١)].

ومن خلال هذا النقل يتبين لنا أن الإمام الدارمي قد احتج بحديث أبي رزين ليدحض حجة المخالف بنفس الدليل الذي استدلوا به وبين هذا أحسن البيان وأتمه.

المثال الثاني: الإمام أحمد والدارمي يقلبون حجة نفاة العلو عليهم:

مما استدل به نفاة العلو قول الله تعالى: ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ ﴾ وقد بين الإمامان الجليلان أن هذا الدليل لأهل السنة على أهل البدع وقلبوا عليهم حجتهم ونقضوا أصلهم الذي بنوا عليه بدعتهم.

أ-**قال الإمام أحمد**:" يفتح الخبر بعلمه ويختم الخبر بعلمه، ويقال للجهمي: إن الله إذا كان معنا بعظمة نفسه فقل له، هل يغفر الله لكم فيما بينه وبين خلقه؟

فإن قال: نعم فقد زعم أن الله (يباين خلقه)[(٢)] (وأن خلقه دونه)[(٣)]، وإن قال: لا كفر " أ.هـ[(٤)].

فأثبت الإمام أحمد أن هذه الآية تدل على أنه مع خلقه بعلمه وأنه في علوه فأصبح دليل الجهمي عليه لا له.

ب-**قال الإمام الدارمي**: **" قلنا: هذه الآية لنا عليكم لا لكم**، إنما يعني أنه حاضرٌ كُلَّ نجوى ومع كل أحدٍ من فوق العرش بعلمه، لأن علمه بهم محيطٌ وبصره فيهم نافذٌ، لا يحجبه شيءٌ عن علمه وبصره، ولا يتوارون منه بشيءٍ، وهو بكماله فوق العرش،

(١) الرد على بشر المريسي (٢/ ٧٧٩-٧٨٠).
(٢) في المطبوع (بائن من خلقه) والتصحيح من درء التعارض (٦/ ١٤٢) وما أثبته أقرب للصواب.
(٣) في المطبوع (دونه) فقط ولا يستقيم المعنى والتصحيح من الدرء.
(٤) الرد على الجهمية والزنادقة ص١٣٨-١٣٩.

بائنٌ من خلقه: ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه : ٧] أقرب إلى أحدهم من فوق العرش من حبل الوريد ، قادرٌ على أن يكون له ذلك ، لأنه لا يبعد عنه شيءٌ ولا تخفى عليه خافيةٌ في السموات ولا في الأرض ، فهو كذلك رابعهم وخامسهم وسادسهم ، لا أنه معهم بنفسه في الأرض كما ادعيتم ، وكذلك فسرته العلماء .

فقال بعضهم : دعونا من تفسير العلماء ، إنما احتججنا بكتاب الله ، فأتوا بكتاب الله.

قلنا : نعم ، هذا الذي احتججتم به هو حقٌّ ، كما قال الله عز وجل ، وبها نقول على المعنى الذي ذكرنا ، غير أنكم جهلتم معناها ، فضللتم عن سواء السبيل ، وتعلقتم بوسطِ الآية وأغفلتم فاتحتَها وخاتمتها ، لأن الله عز وجل افتتح الآية بالعلم بهم وختمها به ، فقال :﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ . . . إلى قوله : ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة : ٧] ففي هذا دليل على أنه أراد العلم بهم وبأعمالهم ، لا أنه نفسه في كل مكانٍ معهم كما زعمتم ، **فهذه حجةٌ بالغةٌ لو عقلتم** " أ.هـ[١].

وقد نقل الإجماع ابن عبد البر على تأويل المعية في هذه الآية بالعلم كما نقل عنه شيخ الإسلام.[٢]

المثال الثالث: الإمام الدارمي يقلب حجة نفاة الرؤية عليهم :

قال الإمام الدارمي : " فاحتج محتجٌ منهم بقول الله تعالى لموسى :﴿لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ﴾ [الأعراف : ١٤٣] قلنا : هذا لنا عليكم لا لكم ، إنما قال : ﴿لَن تَرَىٰنِى ﴾ في الدنيا ، لأنَّ بصر موسى من الأبصار التي كتب الله عليها الفناء في الدنيا ، فلا تحتمل النظر إلى نور البقاء ، فإذا كان يوم القيامة رُكِّبَتِ الأبصارُ والأسماعُ للبقاء ، فاحتملتِ النظر إلى الله عز وجل بما طَوَّقَها الله .

---

(١) الرد على الجهمية ص٤٢-٤٣.

(٢) انظر :الدرء(٦/ ٢٥٥)وانظر: تعليق شيخ الإسلام على كلام الإمام أحمد في :الدرء (٦/ ١٤٣-١٤٦)،منهاج السنة(٨/ ٣٧٧-٣٧٨) ، مجموع الفتاوى (٣/ ٢٦٣-٢٦٥).

ألا ترى أنه يقول :﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ ولو قد شاء لا ستقر الجبلُ ورآه موسى ، ولكن سَبَقَتْ منه الكلمةُ أن لا يراه أحدٌ في الدنيا ، فلذلك قال : ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ . فأما في الآخرة فإن الله تعالى يُنْشِئُ خلقه ، فيركب أسماعهم وأبصارهم لبقاء ، فيراه أولياؤه جهراً ، كما قال رسول الله ﷺ " أ.هـ[1].

وقد درج علماء أهل السنة على الاستدلال بهذا الدليل على إثبات الرؤية والرد على المخالفين المستدلين بها ، وذكر أهل العلم أنه يمكن أن يستدل بهذا الدليل من سبعة أوجه[2]:

الوجه الأول :أن لا يُظَنَّ بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربَّه ما لا يجوز عليه ، بل هو من أبطل الباطل .

الوجه الثاني : أن الله سبحانه وتعالى لم ينكرْ عليه سؤاله ، ولو كان محالاً لأنكره عليه .

الوجه الثالث : أنه أجابه بقوله ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾، ولم يقل إني لا أُرى ، ولا إني لست بمرئي ، ولا تجوز رؤيتي ، والفرق بين الجوابين ظاهرٌ لمن تأَمَّلَهُ.

الوجه الرابع : وهو قوله :﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له في هذه الدار ، فكيف بالبشر الضعيف الذي خُلق من ضعف ..؟.

الوجه الخامس : أن الله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل الجبل مستقراً مكانه ، وليس هذا بممتنع في مقدوره ، بل هو ممكن ، وقد علق به الرؤية ، ولو كانت محالاً في ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته .

الوجه السادس : قوله سبحانه وتعالى :﴿ **فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً** ﴾ وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى ، فإنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذي

---

(١) الرد على الجهمية ص١٢٥.

(٢) انظر : حادي الأرواح لا بن القيم ص٣٠٤-٣٠٦ط.دار المعرفة –بيروت ت. عبد الرحمن اللاذقي ط.الأولى ، عام ١٤١٤هـ.

هو جماد لا ثواب له ولا عقاب ، فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته ويريهم نفسه ؟ فأعلم سبحانه وتعالى موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار ، فالبشر أضعف .

الوجه السابع : أن ربه سبحانه وتعالى قد كلَّمه منه إليه ، وخاطبه وناجاه ، ومن جاز عليه التَّكَلمُ والتكليم ، وأن يسمع مخاطبة كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز ، ولهذا لا يتم إنكار الرؤية إلا بإنكار التكليم.

ذ- بيان عدم صحة الدليل الذي يحتجون به لأصولهم المبتدعة :

تقدم أن أهل البدع لما لم يجدوا ما يؤيد بدعتهم من نص الكتاب حاولوا التحريف لبعض النصوص في الكتاب أو في السنة ، ولما فضح هذا التحريف علماء أهل الإسلام اضطروا أن يموهوا على الناس ويصورون لهم أن مذهبهم له مستند من النصوص الشرعية حتى يقبل كلامهم فاتجهوا للكتب الحديثية علهم يجدون شيئاً يؤيد بدعتهم ؛ ولكن هيهات ، فما كان منهم إلا الكذب واختلاق الأحاديث والاحتجاج بالهالك والموضوع والمتروك منها ، وفي بعض الأحيان يدخلون بعض الألفاظ المكذوبة على الأحاديث الصحيحة المشهورة ، حتى لا يتفطن لهم ، ولكن –بحمد الله – حفظ الله دينه بعلماء أهل الإسلام الذابين عن حياضه ، وإليك بعض هذه الأمثلة :

المثال الأول : احتجاج أهل البدع بحديث غير ثابت لإثبات أصلهم الفاسد (أن الله لا يدرك بشيءٍ من الحواس):

تصدى أهل السنة لدحض هذا الأصل كالإمام أحمد وغيره ، وبين بطلان هذا الأصل الذي بنوا عليه نفي الصفات والرؤية والكلام عن الله ، وهذا الأصل ذكره الجهم بن صفوان لما ناظر السمنية في قصته المشهورة.

لكن أهل البدع لما رد عليهم أهل السنة وبينوا بطلان هذا الدليل عقلاً ونقلاً، قاموا بإيراد الأحاديث المكذوبة التي تؤيد هذا الأصل ومن هذه الأحاديث ما ذكره **الإمام الدارمي في رده على بشر المريسي حيث قال :**

"باب وادعى المعارض أن الله لا يدرك بشيء من الحواس الخمس وهي في دعواه : اللمس والشم والذوق والبصر بالعين والسمع ، **واحتج لدعواه بحديث مفتعل مكذوب على ابن عباس معه شواهد ودلائل كثيرة أنه مكذوب مفتعل** ، فأول شواهده : أنه رواه المعارض عن بشر بن غياث المريسي المتهم في توحيد الله ،المكذب بصفاته .

والثاني : أنه رواه عن قوم لا يوثق بهم ، ولا يعرفون ، رواه المريسي عن أبي شهاب الخولاني ، عن نعيم بن أبي نعيم عن إبراهيم بن ميمون ،عن عطاء عن ابن عباس .

فمن أبي شهاب الخولاني؟ ومن نعيم بن أبي نعيم؟ فيحكم بروايتهم عن ابن عباس على رواية قوم أجلة مشهورين من أهل العلم ،قد رووا عن ابن عباس خلافه ؟!" أ.هـ[(١)]

فأصل المريسي الذي أراد أن يؤيده بالنص كان عمدته هذا الحديث المكذوب .

وقد أشار الإمام أحمد إلى أن مؤسس هذا الأصل وهو أن الله لا يمكن أن يدرك بالحواس هو الجهم بن صفوان حين مناظرته للسمنية.[(٢)]

قال شيخ الإسلام :" ومقصود جهم بهذه الحجة بيان إمكان وجود موجود لا سبيل إلى إحساسه ، فاحتج عليهم بالنفس الناطقة ،إذ لا سبيل إلى إحساسها...وهؤلاء يجعلون ما يثبتونه من الأمور المعقولة ، حجة على إثبات موجود ليس بمحسوس ، ثم يزعمون أن ما أخبرت به الرسل من الغيب ، هو الوجود العقلي الذي يثبتونه .

وهذا الموضع حارت فيه أحلام ، وضلت فيه أفهام ، وهم مخطئون شرعاً وعقلاً .

أما الشرع فإن الرسل أخبرت عمّا لم نشهده ولم نحسّه في الدنيا ، وسمّت ذلك غيباً لمغيبه عن الشهادة ، كقوله تعالى :﴿ **ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ** ﴾ [البقرة : ٣]ومنه قوله تعالى : ﴿ **عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ** ﴾ [الرعد : ٩]، فالغيب ما غاب عن شهود العباد ، والشهادة ما شهدوها .

وهذا الفرق لا يُوجب أن الغيب ليس مما يمكن إحساسه ، بل من المعلوم

---

(١) الرد على بشر المريسي (١/ ١٨٦-١٨٧).

(٢) انظر الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد ص ١٠٢-١٠٤.

بالاضطرار أن ما أخبرت به الأنبياء ، عليهم الصلاة والسلام ، من الثواب والعقاب كله مما يمكن إحساسه ، بل وكذلك ما أخبرت به عن الملائكة ، والعرش ، والكرسي ، والجنة ، والنار، وغير ذلك ، لكنا لم نشهده الآن .

ولهذا أعظم ما أخبرت به من الغيب ، هو الله سبحانه وتعالى ، مع إخبار الرسول ﷺ لنا أنّا نراه كما نرى الشمس والقمر ، فأيّ الإحساس أعظم من إحساسنا بالشمس والقمر ؟

وما أخبرت به من الغيب كالجنة والنار والملائكة والعرش والكرسي وغير ذلك مما يمكن إحساسه ،**فليس الفرق بين الغيب والشهادة ، هو الفرق بين المحسوس والمعقول .**

فهذا أصل ينبغي معرفته ، فإنه بسبب هذا وقع من الخلل في كلام طوائف ما لا يحصيه إلا الله تعالى "أ.هـ.[1]

فهذا الأصل قد بين فساده الأئمة بالشرع والعقل قديماً وحديثاً ، وكذلك أبطلوا كل حجج المستدلين به من أهل البدع الذين يجعلون هذا من أصولهم.[2]

وقد أبطلوا هذه الحجج كما سبق ذكره بطريقتين :

١-ببيان عدم ثبوت الدليل الذي استدلوا به. ٢-بيان بطلانه من جهة المعنى .

المثال الثاني : أصل مذهب غلاة الصوفية إدخالهم كلمة مكذوبة على حديث صحيح :

قال شيخ الإسلام :" قوله يحكي كلام **الاتحادية**[3] في صدر الكلام : " كان الله

(١) درء تعارض العقل والنقل (٥/ ١٧٢).

(٢) انظر :التسعينية(١/ ٢٥٦).

(٣) الاتحادية : ويقال لهم أهل وحدة الوجود ، وخلاصة مذهبهم أن وجود الكائنات هو عين وجود الله ومن أشهر رؤسائهم ابن عربي وابن سبعين وابين الفارض ، وسموا اتحادية بناء على أن الكثرة وتعدد الكائنات والموجودات –بزعمهم –صارت وحدة واحدة ماثم إلا الله ، وهم أشد كفراً من اليهود والنصارى لأن النصارى جعلوا الله حالاً في المسيح خاصة وهؤلاء جعلوا كل شيء من كلاب وخنازير وأوساخ متحدة أوحالة في الله –تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً–ومذهبهم مركب من ثلاثة مواد:

ولا شيء معه " [(١)] فهذه الكلمة مأثورة عن النبي ﷺ ثم قال في آخره :" وهو الآن على ما عليه كان " [(٢)] فهذه الكلمة ليست من كلام النبي ﷺ ، ولا يؤثر عن أحدٍ من أئمة الدين المقبولين عند عموم الأمة ، ولا لها ذكر في شيء من كتب الحديث ....، وأكثر هؤلاء الاتحادية يجعلون هذا من كلام النبي ﷺ **ويجعلون هذه الكلمة أُسَّ زندقتهم** ، وغرضهم: أنه لم يكن معه غَيْرٌ ،وهو الآن ليس معه غيرٌ ولا سوى ، بل الوجود هو عينه ونفسه ، فلا الأصنام والأوثان والجن والشياطين والنجاسات والأقذار غيره ولا سواه ، فإن كان وليس معه غيره ، وهو الآن ليس معه غيره ..**فإذا عرف أن هذه الكلمة لا أصل لها في الشريعة انهدمت قاعدتهم** " أ.هـ[(٣)].

فشيخ الإسلام يبين أن أساس الزندقة التي بنوا عليها مذهبهم الباطل- وهو القول بوحدة الوجود - هذه الزيادة المكذوبة على النبي ﷺ، ولم يقل بها أحد ممن يعتد به من أهل العلم ، ثم بين أننا إذا بينا عدم صحة هذه اللفظة أنهدم أصلهم ، وفي هذا إشارة إلى المنهج الذي سار عليه أئمة السنة في نقض أصول أهل البدع وهو بيان بطلان ما استدلوا به في هذا الباب.

=١- سلب الجهمية وتعطيلهم ٢- مجملات الصوفية ومتشابه كلامهم٣- زندقة الفلاسفة التي هي أصل التجهم،فالثالث أغلب على ابن سبعين والقونوي ، والثانية أغلب على ابن عربي ، والتلمساني أعظمهم تحقيقاً لهذه الزندقة والاتحاد التي انفردوا بها.

انظر:مجموع الفتاوى (٢/ ١٧٥،١٧٢،١٦٠،١٤٠)،بغية المرتادص٣٧٨-٣٨٠وص٣٨٦، ٥٢٠-٥٣١.

(١) الحديث أخرجه :البخاري في بدء الخلق –باب ما جاء في قول الله تعالى :﴿وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه﴾ برقم (٣١٩١)والذي صح من الرواية هو هذا اللفظ أما اللفظ الآخر فسيأتي الكلام عليه ، وأشار الحافظ ابن حجر إلى تنبيه شيخ الإسلام على هذه اللفظة(وهو الآن على ما عليه كان)، وأنها مكذوبة كما في فتح الباري(٦/ ٣٣٤) عند شرحه لهذا الحديث في هذا الباب .

(٢) أشار شيخ الإسلام إلى عدم صحة هذه اللفظة في عدد من كتبه : انظر:بغية المرتاد ص١٧٠، شرح حديث عمران كما في مجموع الفتاوى (١٨/ ٢٢١-٢٢٢)، ونص في مجموع الفتاوى(٢/ ٢٧٢) أن هذا من أصول الاتحادية الملاحدة . ونص العجلوني على أنها من وضع الصوفية القائلين بوحدة الوجودكما في كشف الخفاء (٢/ ١٨٩) برقم (٢٠١١) تحقيق أحمد القلاش ط.دار التراث –القاهرة.

(٣) أثار شيخ الإسلام وما يلحق به من أعمال بإشراف الشيخ بكر أبو زيد ، المجموعة الرابعة ضمن جامع المسائل (٥/ ٣٩٧) رسالة لشيخ الإسلام بعنوان (الرد على بعض أتباع سعد الدين ابن حمدويه)ط.دار عالم الفوائد ط.الأولى ١٤٢٢هـ بتحقيق محمد عزير شمس .

ر- **إلزامهم بالقواعد العلمية المتفق عليها :**

ومن طرائق السلف في نقض أصول أهل البدع إلزامهم ببعض القضايا والقواعد التي يتفق عليها أهل العلم ، وبيان أن هذا الأصل الفاسد مخالف ومناقض لهذه القواعد العلمية .

ومن هذه القواعد مثلاً ضوابط استخدام المجاز ومتى يكون الكلام مجازاً ومتى يكون حقيقةً، وكذلك ما ضابط الأمور التي يدخلها العقل والتي لا يدخلها العقل والرأي وهكذا.

ومن الأمثلة على هذه الطريقة ما يلي :

المثال على هذا الأمر:عدم التزام أهل البدع بالقواعد العلمية في استعمال المجاز:

كما سبق أن القول بالمجاز مما اختلف أهل العلم في إثباته ونفيه ، ولكن عند من يقول به اتفق أهل السنة وأهل البدع أن له ضوابط وشروط ،ولا يصح أن يكون الكلام مجازاً إلا بها ، وإذا فقدت لا يصح إطلاق المجاز عليها .

والإمام اللغوي ابن قتيبة ممن كان يرى المجاز –وقد تقدم طرف من كلامه – لكنه لا يرى دخول المجاز في باب الغيبيات والعقائد ومنها الأسماء والصفات ، وذلك أن القواعد العلمية تأبى ذلك ولغة العرب كذلك .

ومن المسائل التي ادعى فيها أهل البدع المجاز :(**صفة الكلام لله عز وجل**).

وقد نقض الإمام ابن قتيبة أصلهم –وهو القول بالمجاز في صفات الله – بأن وضح أن القواعد العلمية في هذا الباب لا يمكن أن تنطبق على هذا الأمر .

قاعدة في المجاز: (الفعل إذا أكِّد بالمصدر لا يمكن حمله على المجاز):(١)

---

(١) انظر : البحر المحيط للزركشي (٢/ ١٢١)ط.وزارة الأوقاف الكويتية بإشراف الأشقر ، القواعد للمقري (٢/ ٥٠٩)ط.جامعة أم القرى تحقيق د.أحمد بن الشيخ عبدالله بن حميد، نشر البنود على مراقي السعود(١/ ١٢١) لسيدي عبدالله بن الحاج الشنقيطي ط.مشتركة بين الإمارات والمغرب ، تأويل مشكل القرآن ص١١١، والاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص٣٧، الكليات للكفوي ص٢٦٨،٢٧٠، الإتقان للسيوطي (٣/ ١٩٨)،فتح الباري (١٣/ ٤٨٧)،بدائع الفوائد (١/ ٧٨ومابعدها)،مدارج السالكين (١/ ٤٧)،الصواعق المرسلة (١/ ٣٨٩)، مختصر الصواعق ص٢٧٨،٢٩٢.

وقد قرر هذه القاعدة علماء العربية من أهل السنة ومن أهل البدع بل نقل الإجماع على هذا الأمر .

قال الفراء :" العرب تسمي ما يوصل إلى الإنسان كلاماً بأي طريق وصل ، ولكن لا تحققه بالمصدر ، فإذا حققته بالمصدر لم يكن إلا حقيقة الكلام " أ.هـ.(١)

وقال النحاس :" أجمع اللغويون على أن الفعل إذا أكد بالمصدر لم يكن مجازاً " أ.هـ.(٢)

ولهذا مما وقع فيه المعتزلة و الأشاعرة من التناقض أن أهل اللغة أجمعوا على هذه القاعدة ، وهم يقولون مثلاً في صفة الكلام إنها مجاز ، فالآية :﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا ﴾[النساء : ١٦٤] أكد فيها الفعل بالمصدر فوقفوا حائرين عاثرين.(٣)

الإمام ابن قتيبة يقرر هذه القاعدة في كتبه :

قرر هذه القاعدة الإمام ابن قتيبة في أكثر من موضع من كتبه وإليك هذه المواضع :

الموضع الأول : في كتاب الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة:

في أثناء مناقشته لنفاة الصفات عن الله ذكر أنهم احتجوا بالمجاز لمذهبهم الفاسد فكان مما قال –رحمه الله-:"..فإن زعموا أن هذا مجاز ،قيل لهم في قول القائل : (غفر الله لك وعفا عنك وحلم الله عنك) أمجاز أم حقيقة؟ فإن قالوا مجاز فالله لا يغفر لأحد ، و لا يعفو عن أحد ، ولا يحلم عن أحد على الحقيقة ، ولن يركبوا هذه .

فإن قالوا : هو حقيقة **فقد وجب في المصدر ما وجب في الصدر** ؛ لأنا نقول غفر الله مغفرة، وعفا عفواً ،وحلم حلماً فمن المحال أن يكون واحد حقيقةً والآخر مجازاً.." أ.هـ.(٤)

الموضع الثاني : في تأويل مشكل القرآن :

قال –رحمه الله -:" ....وتبيّن له أيضاً **أن أفعال المجاز لا تخرج منها المصادر ولا**

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٧).
(٢) فتح الباري (١٣/ ٤٨٧).
(٣)انظر :بحثاً نفيساً في هذه المسألة لابن القيم في بدائع الفوائد(٢/ ٧٧-٨١)، وقد نقل ابن القيم أيضاً في الصواعق ص٢٧٨عن ابن جني المعتزلة أنهم أقروا بهذه القاعدة.
(٤) الاختلاف في اللفظ ص٣٦-٣٧.

توكّد بالتكرار ....والله تعالى يقول:﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾[النساء : ١٦٤] فوكّد بالمصدر معنى الكلام ، ونفى عنه المجاز .." أ.هـ.(١)

ز- بيان حال زعماء أهل البدع ورؤساءهم :

مما اعتنى به السلف في كتبهم ولم يغفلوه ، وفي نظري أنه داخل ضمن نقض أصولهم هو: فضح حال متبوعيهم وأهل الرأي فيهم والرؤساء ، لأن غالب أهل البدع يقلدون متبوعيهم من غير حجة ولا دليل ، ولا يعلمون عن حال هؤلاء من الزندقة والاستهانة بكتاب الله وسنة رسوله والازدراء لصحابة رسول الله الكرام ، ولو علموا لرجع بعضهم عن البدعة وعلم حال هؤلاء المخدوع فيهم .

ولهذا حرص السلف على فضحهم وبيان حالهم لأن أقوال هؤلاء عندهم كالنص الشرعي فبيان فسادهم هو هدم في الحقيقة لأصل من الأصول التي يعتمدون عليها .

وقد بين الأئمة في كتبهم حال هؤلاء :

١-**الجهم بن صفوان** بين حاله الإمام أحمد والبخاري وعبد الله بن أحمد في السنة، وقد تقدم.(٢)

٢-**بشر المريسي** أكثر السلف من ذمه وعيبه وذكر فضائحه وقد صنف الدارمي كتاباً حافلاً في الرد عليه .

٣-**عمرو بن عبيد** عقد عبد الله بن أحمد في كتابه السنة باباً خاصاً فيه بعنوان(ما قالته العلماء في عمرو بن عبيد).(٣)

وهذه الأمثلة البارزة و إلا من تصفح كتب السلف وجدها طافحة ببيان حال هؤلاء حتى لا يغتر بهم العامة ولا الدهماء ويحذروا منهم.

---

(١) تاويل مشكل القرآن ص١١١ .باختصار وتصرف.
(٢) انظر:الرد على الجهمية والزنادقة ص ١٠٢ ، والبخاري ص٢٦برقم (٧٠) .وعبدالله في السنة (١/ ١٦٧).
(٣) السنة لعبدالله (٢/ ٤٣٤).

المبحث الخامس

منهجهم في ذكر الشبهات

و يشتمل تمهيد ومطلبين :

المطلب الأول : ضوابط ذكر الشبهات.
المطلب الثاني : منهجهم في عرض الشبهات عند ذكرهـا.

تمهيد:

الأصل في بداية التصنيف هو نشر السنة والدين وعدم الاشتغال بالجدل والكلام، وهذا هو الأصل حتى لما انتشرت البدع، ولكن قد يخرج أهل السنة عن هذا الأصل لاعتبارات ومتغيرات وعوامل مختلفة، وهذا ظهر جلياً في مصنفات السلف خلال القرون الثلاثة الأولى ويمكن أن نذكر الملاحظات التالية:

١-لم تظهر الكتب التي تذكر الشبهات وترد عليها إلا في القرن الثالث.

٢-أن الغالب في المصنفات هو التقرير لا إظهار الشبهات والرد عليها.

٣-تصريح السلف أنه لولا ما ظهر من كلام أهل البدع وما نشر من كتب لهم لم يكونوا ليتكلموا في شبهات ويشتغلون بالرد عليها.

٤-اشتمال كتبهم على التقرير والرد في آن واحد والأصل بيان السنة والفرع هو الرد.

أهداف السلف من وراء الرد على الشبهات:

وقد كان ردهم على هذه الشبهات يهدف إلى أمرين رئيسين:

الأمر الأول: دفاعاً عن الدين، وإنكاراً على من أراد تحريف دين الله من المبطلين وطالبين الأجر من الله معتقدين أنه من أفضل القربات، ومن أفضل أنواع الجهاد التي يؤجر عليها الإنسان.

قال الإمام الدارمي -رحمه الله- مبيناً السبب الباعث له على التصنيف والرد على شبهات المريسي: "...فخشينا أن لا يسعنا إلا الإنكار على من بثها، ودعا الناس إليها منافحةً عن الله وتثبيتاً لصفاته العلى ولأسمائه الحسنى، ودعاءً إلى الطريقة المثلى ...." أ.هـ.[1]

الأمر الثاني: فضح أهل البدع المبدلين لدين الله وبيان حقيقة مذهبهم، وخطورة ما يدعون إليه وما يبثونه من شبهات حتى لا ينخدع بهم الدهماء وعامة الناس.

قال الإمام الدارمي أيضاً: " فحين رأينا ذلك منهم وفطنا لمذهبهم وما يقصدون

(١) الرد على المريسي (١/ ١٤٥) وانظر: (١/ ٥٣٧).

إليه من الكفر وإبطال الكتب والرسل ، ونفي الكلام والعلم والأمر عن الله ؛ رأينا أن نبين من مذاهبهم رسوماً من الكتاب والسنة وكلام العلماء ما يستدل به أهل الغفلة من الناس على سوء مذهبهم ، فيحذروهم على أنفسهم وعلى أولادهم وأهليهم، ويجتهدوا في الرد عليهم محتسبين منافحين عن دين الله تعالى ، طالبين به ما عند الله " أ.هـ.(١)

أهمية معرفة منهج السلف في ذكر الشبهات :

ولقائل أن يقول ما أهمية معرفة منهجهم في ذكر الشبهات من عدمه ؟ فنقول : إن الأهمية تكمن في أمور عدة من أهمها:

أولاً: أن السلف لهم مواقف متباينة حول هذه القضية ما بين منكر على من ذكر الشبهات ، وما بين مجيز ؛بل موجب في بعض الأحيان الرد عليها صراحة وذكرها ونشرها مع الرد عليها ، والذي ينظر بعين قاصرة قليلة العلم بأحوال السلف ومناهجهم يظن أن هذا منهم تناقض ، ولعمر الله ما هو بتناقض وأنى يأتي التناقض وهم يصدرون ويوردون في كل أمورهم من منهل معصوم وهو الكتاب والسنة فكيف يمكن أن يتناقضوا ، وبمعرفة منهجهم في ذكر الشبهات من عدمها من خلال سبر أقوالهم وردودهم يتبين لنا منهجهم الواضح المتناسق المنسجم مع أصول الشرع وقواعده العظيمة .

ثانياً: أن الشبهات التي يبثها أعداء الإسلام من الزنادقة وأهل البدع مستمرة والحرب بيننا وبينهم سجال إلى قيام الساعة ، فلا بد أن يكون لنا منهج في التعامل مع هذه الشبهات فنعرف ما هو الأصلح والأنفع للدين والأمة في بعض المواضع هل تذكر الشبهة ويذكر قائلها أم لا ؟ ومتى تذكر ومتى لا تذكر ونتعرف على ضوابط ذلك كله .

ثالثاً:تجنب الوقوع في المفاسد والمحظورات التي قد يقع فيها قليل العلم والخبرة بمنهج السلف ،لأن الدخول في معترك الشبهات والرد على المخالفين مورد لا يحسنه

(١) الرد على الجهمية ص٢٣.

كل أحد إلا من توكل على الله وكان من أهل العلم بالكتاب والسنة وبمنهج السلف في التعامل مع هذه الشبهات.

رابعاً:إذا وضح المنهج: قل الخلاف والتنازع بين أهل السنة ؛وذلك لوضوح المنهج المؤصل فيتفقون في جهاد عدوهم على راية واحدة ومنهج واحد مما يزيد في قوتهم ووحدة صفهم فيستطيعون نصر دينهم بأقوى السبل وأنفعها.

المطلب الأول : ضوابط ذكر الشبهات.

كان للسلف منهج واضح في ذكر الشبهات ولهذا من نظر وسبر حالهم في مصنفاتهم التي كانوا يردون فيها على المخالفين ويذكرون شبهاتهم يظهر له منهج واضح ، ومن أبرز معالم هذا المنهج أن ذكر الشبهات وعدم ذكره لم يكن عشوائياً أو منطلقاً من تصرفات فردية ومواقف شخصية بل كانت لهم في ذلك ضوابط شرعية في الذكر وعدمه .

ضوابط ذكر الشبهات :

ولعل من أبرز تلك الضوابط ما يلي :

الضابط الأول :الأصل ترك الجدل والخصومات ومناقشة الشبهات:

الأصل أن يعلم الناس أمور دينهم ، وتنشر فيهم أحكام الكتاب والسنة ، ولا تذكر الشبهات حتى لا ينشر الباطل ، ويبقى مغموراً مقموعاً حتى لا يذاع وينشر بين المسلمين حفظاً لدينهم وعقيدتهم .

والأصل في هذا الضابط هو قوله ﷺ:"ذروني ما تركتكم فإنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم ،فما نهيتكم عنه فاجتنبوه ، وما أمرتكم فأتوا منه ما استطعتم "أ.هـ[1] .

وقال ﷺ :" ما ضل قوم بعد هدى إلا أوتوا الجدل" ثم قرآ :﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ [الزخرف : ٥٨] " أ.هـ.[2]

---

(١) الحديث أخرجه : البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة –باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ برقم (٧٢٨٨).ومسلم في الفضائل برقم (١٣٣٧).كلاهما عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي(٥/ ٣٥٣) كتاب التفسير –باب سورة الزخرف برقم (٣٢٥٣).والإمام أحمد في المسند (٥/ ٢٥٢،٢٥٦).وابن بطة في الإبانة (٢/ ٤٨٥-٤٨٨)برقم (٥٢٦-٥٣٠).وابن ماجه(١/ ١١) في المقدمة – باب اجتناب البدع والجدل برقم (٣٩).والحاكم في المستدرك (٢/ ٤٤٧).والطبري في التفسير (٢٥/ ٨٨) . وابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٤٨)برقم (١٨١١). والآجري في الشريعة (١/ ٤٢٩-٤٣١) برقم (١٠٩-١١٠).واللالكائي (١/ ١١٤)برقم (١٧٧).والأصبهاني في الحجة (١/ ٣١١) برقم (١٦٩) . والهروي في ذم الكلام (١/ ٣٢٠-٣٢٦) برقم (٤٤-٤٥).
والحديث صححه الترمذي والحاكم ووافقه الذهبي وصححه الألباني والأرناؤوط.

ولهذا ذم السلف أهل الأهواء لاشتغالهم بعلم الكلام الذي يقوم على الشبهات والشكوك وترك السنة .

قال شيخ الإسلام:" ولهذا ذُمَّ أهل الأهواء والخصومات ، وذم أهل الجدل في ذلك والخصومة فيه ؛لأنه شر وفساد من غير حاجة داعية إليه....." أ.هـ.[١]

ولهذا أثر عن بعض السلف التحرج من ذكر كلام بعض أهل البدع لشناعته ولما يشتمل عليه من بدع وضلالات يخشى من أن تنتشر بين الناس .

قال ابن المبارك :" لأن أحكي كلام اليهود ،والنصارى أحب إليَّ من أن أحكي كلام الجهمية "أ.هـ [٢].

وكلام السلف مشهور في ذم الجدل والخصومات في الدين والدخول في علم الكلام .

وقال الإمام الدارمي :" وقد كان مَنْ مضى من السلف يكرهون الخوض في هذا وما أشبهه ، وقد كانوا رُزِقوا العافيةَ منهم ، وابتُلينا بهم عند دُرُوسِ الإسلام ، وذهاب العلماء فلم نَجِدْ بُداً من أن نَرُدَّ ما أتوا به من الباطل بالحق ، وقد كان رسول الله ﷺ يتخوف ما أشبه هذا على أمَّته ، ويحذرها إياهم ، ثم الصحابة بعده والتابعون ، مخافة أن يتكلموا في الله وفي القرآن بأهوائهم فيضلوا ، ويتماروا به على جهلٍ فيكفروا.. " أ.هـ [٣].

ومما تقدم يتبين أن عند عدم الحاجة لذكر الشبهات فالأصل هو السكوت وعدم ذكرها .

ومن تصفح كتب السلف وجد إجماعهم على ذم الجدال وإظهار شبهات أهل البدع وأن الرد عليهم والدخول معهم في الجدال هو خلاف الأصل .

---

(١) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٨).

(٢) الأثر أخرجه : عبد الله ابن أحمد في السنة (١/ ١١١) برقم (٢٣). الدارمي في الرد على بشر المريسي (١/ ١٤٣-١٤٥، ٥٣٧)، وفي الرد على الجهمية ص٢٦، ٢١١. والآجري في الشريعة (٢/ ٩٨٧).والخلال في السنة (٥/ ٨٥-٨٦)برقم (١٦٨٤)،(١٦٨٥). والأثر صححه ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص١٣٥.

(٣) الرد على الجهمية ص٢٣.

سبب كراهية السلف الكلام في الشبهات والخوض مع المخالفين:

لعل الأسباب في هذا كثيرة ومن أظهرها :

١-مخالفة هذا للنصوص الشرعية الواردة التي تنص على عدم الجدل والخصومة في الدين ، ولما نقل من إجماع الصحابة والتابعين في هذا الأمر .

٢-خوف أن تنتشر البدعة بين الناس وهي مغمورة ، ولم يكن هناك حاجة للرد عليها.

٣-خوف أن يفتن الذي يتكلم معهم بما يتلبسون به من بدع ، والغالب أن كثيراً منهم لا يناظر ولا يجادل إلا لأجل التشكيك ونشر باطله وفي هذا يقول الإمام أحمد :

كلام للإمام أحمد حول هذه المسألة بعينها:

أخرج الإمام التيمي بسنده عن حنبل بن إسحاق قال:" كتب رجل إلى أبي عبد الله -رحمه الله - كتاباً يستأذنه فيه **أن يضع كتاباً يشرح فيه الرد على أهل البدع ، وأن يحضر مع أهل الكلام فيناظرهم ، ويحتج عليهم** .

فكتب إليه أبو عبد الله : بسم الله الرحمن الرحيم، أحسن الله عاقبتك ، ودفع عنك كل محذور ومكروه ، الذي كنا نسمع وأدركنا عليه من أدركنا من أهل العلم أنهم كانوا يكرهون الكلام والجلوس مع أهل الزيغ وإنما الأمور في التسليم ، والانتهاء إلى ما كان في كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ لا في الجلوس مع أهل البدع والزيغ لترد عليهم ،فإنهم يلبسون عليك وهم لا يرجعون فالسلامة -إن شاء الله - في ترك مجالستهم ، والخوض معهم في بدعتهم وضلالتهم .." أ.هـ.[١]

٤-أن الجدال والخصومة والكلام في الشبهات أحد الأسباب الرئيسية في نشر البدع.

قال عمر بن قيس[٢] :

---

(١) الإبانة لابن بطة (٢/ ٤٧١-٤٧٢) القسم الأول بتحقيق نعسان.

(٢) عمرو بن قيس الكوفي الملائي البزاز الحافظ ، حدث عن عكرمة والحكم بن عتيبة وعطاء ، وغيرهم وحدث عنه الثوري وصحبه زماناً ،وثقه الأئمة ، وكانت وفاته بالشام .انظر:السير (٦/ ٢٥٠)، الجرح والتعديل (٦/ ٣٥٤-٣٥٥).

" قلت للحكم [١] :ما اضطر الناس إلى الأهواء ؟ قال : الخصومات" أ.هـ.[٢]

٥-خشية الوقوع في المحظورات التي قد يقع فيها أهل الحق أثناء المناظرة والخصومة .[٣]

وخلاصة الأمر :أن ترك الخوض في الشبهات والجدال في الدين من الأصول التي تميز بها أهل السنة عن غيرهم من أهل البدع .

وكذلك فإن ما سوف يذكر من حالات ذكر فيها أهل السنة الشبهات في كتبهم إنما هي حالات استثنائية عن الأصل اضطروا إليها اضطراراً ،وكانت المصلحة مقتضية عدم السكوت ووجوب الرد عليها وإبطالها.[٤]

الضابط الثاني :تذكر الشبهة ويرد عليها عند اشتهارها وظهورها بين عامة الناس:

لما كان الناس في عافية وسلامة من البدع والأهواء المضلة ، وكان الناس لا يعرفون سوى السنة والتمسك بما كان عليه الصحابة والتابعون ، لم يكن هناك حاجة لذكر شبهات أهل البدع التي لا يعرفها ولا يقرأها إلا أهلها القائلون بها ، وهم قلة مقموعون.

ولكن في القرن الثالث لما أطلت البدع برؤوسها ، وانتشر شرها ، ووجد من الحكام من ينشرها ويجبر الناس عليها، وألفت فيها المؤلفات وأصبحت شبهاتهم وضلالاتهم يعرفها العام والخاص ، اضطر أهل السنة لبيان الحق والرد عليها وذكرها صراحةً في كتبهم لأن مصلحة الكلام عليها وإبطالها أصبحت راجحة على الأصل وهو السكوت عنها وتركها وهجرها؛لأن المصلحة في السابق في هجرها حتى تنسى ولا

---

(١)الحكم :هو ابن عتيبة الإمام الكبير ، عالم أهل الكوفة ، أبو محمد الكندي مولاهم الكوفي ، ويقال : أبو عمر ، ويقال : أبو عبدالله ، حدث عن شريح القاضي وابن أبي ليلى وغيرهما وعنه منصور والأعمش وغيرهما ، وكان صاحب سنة واتباع ، وكانت وفاته ١١٥هـ.انظر : السير (٥/ ٢٠٨)، الجرح والتعديل(٣/ ١٢٣).

(٢) أخرجه الآجري (١/ ٤٤٣) برقم (١٢٤). وعبدالله في السنة (١/ ١٣٧)برقم (٩٧).واللالكائي (١/ ١٢٨)برقم (٢١٨).

(٣)انظر: الشريعة للآجري (١/ ٤٦٤).

(٤) المصدر السابق (١/ ٤٥٤-٤٥٥).

تنتشر ، ولكن في القرن الثالث وما بعده هجروها أم لم يهجروها فإن أصحابها نشروها وفتنوا الناس بها.

ابن قتيبة يبين هذا الضابط بوضوح:

قال-رحمه الله -:" ولم أر في هذه الفرق أقل عذراً ممن أمر بالسكوت والتجاهل بعد هذه الفتنة ، وإنما يجوز أن يؤمر بهذا قبل تفاقم الأمر ووقوع الشحناء ، وليس في غرائز الناس احتمال الإمساك عن أمر في الدين **قد انتشر هذا الانتشار، وظهر هذا الظهور** ،ولو أمسك عقلاؤهم ما أمسك جهلاؤهم ، ولو أمسكت الألسنة ما أمسكت القلوب ... الكلام لا يعارض بالسكوت ، والشك لا يداوى بالوقوف ، والبدعة لا تدفع بالسنة ، **وإنما يقوى الباطل أن تبصره وتمسك عنه**.." أ.هـ.(١)

والإمام الدارمي أشار في مواضع أثناء رده على المريسي أنه لولا أن بدعته وشبهاته أذاعها ونشرها بين جهلة الناس ما تصدى للرد عليه.(٢)

الضابط الثالث:تذكر الشبهة ويرد عليها عند حصول الضرر والافتتان بها :

مما صرح السلف به في كتبهم من أسباب ذكرهم شبهات أهل البدع أنه تحقق لديهم أن أناساً قد تضرروا في دينهم وعقيدتهم وفتنوا بهذه الشبهات، فرأوا وجوب الرد عليها ونشر هذا الرد بين الناس حتى يظهر بطلانها.

وقد أشار الإمام أحمد إلى هذا الأمر في كتابه الرد على الجهمية والزنادقة فقال -عن الجهم-:" ....**فأضل بكلامه بشراً كثيراً**، وتبعه على قوله رجال من أصحاب أبي حنيفة وأصحاب عمرو بن عبيد بالبصرة ووضع دين الجهمية ..." أ.هـ.(٣)

إذاً هنا يشير الإمام أحمد إلى أن الباعث له على الرد هو ما حصل من الضرر بسبب مقولات الجهم من افتتان بشر كثير بها ، ولهذا رأى الرد عليه ونشر هذا الرد ، مع أن المعروف عن الإمام أحمد كراهية كتابة غير السنة والأثر ، ولكن لما ظهرت المصلحة

---

(١) الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة ص٦٠-٦١.

(٢)انظر: الرد على المريسي(١/ ١٤٥).

(٣) الرد على الجهمية ص١٠٤.

الراجحة في الرد على أهل البدع وبيان باطلهم ألف في ذلك كتابه العظيم المعروف بالرد على الجهمية والزنادقة .

ويشير إلى هذا الإمام الدارمي –أثناء رده على المريسي حول تأويله لصفة الوجه – فيقول:

"ولولا كثرة من يستنكر الحق ويستحسن الباطل ما اشتغلنا كل هذا الاشتغال بتثبيت وجه الله ذي الجلال والإكرام .." أ.هـ.(١)

الضابط الرابع :يجتنب ذكر ما يؤدي إلى الشك والحيرة وما لا تحتمله عقول عامة الناس:

عند خروج السلف عن الأصل –وهو الإمساك عن الشبهات –فإنهم أيضاً جعلوا لذلك ضوابط ، ومنها :عند ذكر الشبهات لا يذكر ما يؤدي إلى الشك والحيرة ومالا تحتمله عقول ضعفة الناس ، لأن عند أهل البدع من العظائم مما لا يجرؤ الواحد أن يذكره مع نفسه فضلاً عن أن ينشره بين الناس.

يقول الإمام الدارمي مقرراً لهذا الضابط:" ولولا مخافة هذه الأحاديث وما يشبهها لحكيت من قبح كلام هؤلاء المعطلة ،وما يرجعون إليه من الكفر حكايات كثيرة ، يتبين فيها عورة كلامهم ، وتكشف عن كثير من سوءاتهم، **ولكنا نتخوف من هذه الأحاديث ، ونخاف أن لا تحتمله قلوب ضعفاء الناس ، فنوقع فيها بعض الشك والريبة** ، لأن ابن المبارك قال :"لأن أحكي كلام اليهود والنصارى أحب إلي من أن أحكي كلام الجهمية"....أ.هـ.(٢)

وقال شيخ الإسلام :" ....ومما يتصل بذلك : أن المسائل الخبرية العلمية قد تكون واجبة الاعتقاد ، وقد تجب في حال دون حال ، وعلى قوم دون قوم ؛ وقد تكون مستحبة غير واجبة ، وقد تستحب لطائفة أو في حال كالأعمال سواء .

---

(١) الرد على المريسي (٢/ ٧٢٣).

(٢) الرد على الجهمية ص٣١وانظر :نفس المعنى في ص١٨٠.

وقد تكون معرفتها مضرة لبعض الناس فلا يجوز تعريفه بها ، كما قال علي ﷺ :" حدثوا الناس بما يعرفون ، ودعوا ما ينكرون ،أتحبون أن يكذب الله ورسوله" [(١)].

وقال ابن مسعود :"ما من رجل يحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم ".[(٢)] .." أ.هـ.[(٣)]

الضابط الخامس :إذا أعلن بالشبهة فيجب إعلان الرد عليها ، وإن كانت مستترة فلا يسوغ ذكرها ونشرها:

يستخدم أهل البدع وسائلهم الإعلامية لنشر باطلهم ، ولكل عصر وزمان وسيلته الإعلامية ، ولكن من الوسائل التي استمرت في القديم والحديث: **(الكتب والرسائل)** ، ولهذا لما **أعلن** أهل البدع بشبهاتهم ونشروها في مصنفات يتداولها العامة والخاصة ، والجهلة والعالمون ، رأى أهل السنة أنه لا عذر لهم إلا بالإنكار العلني عليهم ، وبعضهم لقي في سبيل ذلك الأذى كما حصل في عهد المأمون والمعتصم والواثق ، وكيف أنهم نشروا كتب أهل البدع والمترجم من كتب اليونان ، فاضطر أهل السنة لذكرها والرد عليها .

الإمام الدارمي يبين هذا الضابط بوضوح فيقول:

"...فقلنا لك أيها المعارض : إنما كره من كره الخوض من هؤلاء المشايخ –إن صحت روايتك – لما أنه لم يكن يخوض فيه إلا شرذمة أذلة سراً بمناجاة بينهم وإذا العامة متمسكون منهم بالسنن الأولى والأمر الأول .

فكره القوم الخوض فيه ، إذ لم يكن يخاض فيه علانية ، وقد أصابوا في ترك الخوض فيه ،إذ لم يعلن . فلما أعلنوه بقوة السلطان ، ودعوا العامة إليه بالسيوف والسياط وادعوا أن كلام الله مخلوق ، أنكر ذلك عليهم من غبر من العلماء وبقي من الفقهاء فكذبوهم وكفروهم وحذروا الناس أمرهم ، وفسروا مرادهم من ذلك . فكان هذا من

---

(١) الأثر أخرجه:البخاري في العلم –باب من خص قوماً دون قوم برقم (١٢٧).
(٢) الأثر أخرجه:مسلم في المقدمة (١/ ١٠).
(٣) مجموع الفتاوى (٦/ ٥٩).

الجهمية خوضاً فيما نهوا عنه ، ومن أصحابنا إنكاراً للكفر البين ، ومنافحة عن الله عز وجل كيلا يسب وتعطل صفاته وذباً عن ضعفاء الناس كيلا يضلوا بمحنتهم هذه ، من غير أن يعرفوا ضدها من الحجج التي تنقض دعواهم وتبطل حججهم .

....فحين خاضت الجهمية في شيء منه وأظهروه وادعوا أن كلام الله مخلوق ، أنكر ذلك ابن المبارك ، وزعم أنه غير مخلوق ...... وكذلك قال ابن حنبل :"كنا نرى السكوت عن هذا قبل أن يخوض فيه هؤلاء ،فلما أظهروه لم نجد بدأً من مخالفتهم والرد عليهم " أ.هـ.(١)

وهذا بيان واضح من هذا الإمام الذي كانت له عناية بالرد على أهل البدع ، وكان خبيراً بالمنهج الذي كان عليه السلف ، ومراعياً للمصالح والمفاسد من إظهار الشبهات من عدمها ؛ ولهذا كثر كلامه حول ذكر الضوابط في ذلك .

الضابط السادس:الأصل عدم تكلف الرد على شبهات لم يقل بها أحد ولم تنتشر بين الناس ولهذا الضابط استثناء:

مر معنا سابقاً في الضوابط أن السلف كانوا يمسكون عن ذكر الشبهات ما لم تشتهر بين الناس وما لم يظهر ضررها.

وكذلك مما يلحق به أن السلف لا يذكرون شبهات ويتكلفون الرد عليها وهي غير موجودة ، بمعنى أنهم لا يفترضون شبهات ويردون عليها كما هو حال أهل الكلام .

ولكن لهذا الضابط استثناء سوف يذكر كضابط مستقل بعد هذا الضابط.

والسلف منعوا هذه الطريقة لأن هذا باب واسع –أعني باب الشبهات– ولا يمكن سده لو فتح ، ولهذا نجد أن أهل الكلام وأهل البدع في مصنفاتهم أطلقوا العنان للافتراضات العقلية ؛وكانت من أسباب انحرافهم وزيادة ضلالهم .

ومن أضرار تكلف شبهات غير موجودة لنقضها:نشر هذا الباطل الجديد بدعوى الرد عليه ، وهذا من أعظم الجهل والضلال والعياذ بالله .

---

(١) الرد على المريسي (١/ ٥٣٦-٥٣٨) بتصرف واختصار .

وقد بين الإمام الدارمي أن السلف لما كرهوا الخوض والجدال في الدين لم يكن عن جهل منهم ، ولكن لأن السنة كانت ظاهرة والباطل مقموعاً ولو ظهر مبتدع بشبهات لوجب عليهم الرد ولما سكتوا فيقول –رحمه الله -:

"فلما لم يجترأ كافر أو متعوذ بالإسلام أن يظهر شيئاً من هذا وما أشبهه في عصرهم لم يجب عليهم أن يتكلفوا النقض كفر لم يحدث بين أظهرهم فيكونوا سبباً لإظهاره.." أ.هـ.[1]

الضابط السابع :قد تذكر الشبهة التي لم يعلن بها أهل البدع تبعاً أثناء نقض الشبهة الأصلية لا ابتداءً واستقلالاً:

وهذا الضابط استثناء من القاعدة السابقة ، وذلك أنا قررنا أن الأصل أن لا تفتعل وتفترض شبهة لا وجود لها ويتكلف النقض لها ، ولكن قد تفترض بعض الشبهات لاستكمال النقض للشبهة الأصلية التي قال بها أهل البدع ، فلا تذكر مستقلة وابتداءً بل تبعاً أثناء الرد على الشبهة الأصلية .

وبهذه الطريقة ينتفي ضرر نشر باطل الناس في سلامة منه كما هو في الحالة السابقة ، وذلك أن بعض الشبهات حين نقضها يتبادر للذهن افتراض عقلي قريب أو مشابه أو لازم منطقي ونحو ذلك، فيضطر أهل السنة لاستكمال الرد أن ينصوا على هذا الافتراض للرد عليه .

وهناك احتمال آخر وهو : أن علماء أهل السنة لهم دراية بكلام أهل البدع وشبهاتهم ، فيوردون ما يغلب على ظنهم أن يحتج به أهل البدع مما لم ينشره أهل البدع فيبادر أهل السنة لإيراده ضمن الردود حتى يقطعوا الطريق على أهل البدع فلا تبقى معهم حجة يحتجون بها على أهل السنة .

الأمثلة على هذا الضابط :

المثال الأول : أبو عبيد في الإيمان:

لما رد أبو عبيد على القائلين بأن الإيمان لا يزيد ولا ينقص واحتج عليهم بقول الله

---

(١) الرد على المريسي (١/ ٥٢٧).

تعالى :

﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة : ٣] ، وخلاصة استدلاله بهذا الدليل : أنه لو كان الإيمان كاملاً بالإقرار ، ورسول الله ﷺ بمكة في أول النبوة كما يقول هؤلاء ما كان للكمال معنى ، وكيف يكمل شيئاً قد استوعبه وأتى على آخره.(١)

ثم عقب وذكر ما يمكن أن يطرأ في الذهن من شبهة متصلة بهذه الشبهة فقال :

"فإن قال لك قائل : فما هذه الأجزاء الثلاثة وسبعون ؟ " (٢)يعني : حديث الشعب .

فذكر ما يتصل بهذا الأمر من شبهات محتملة قد ترد ونقضها وهي تابعة للشبهة الأصلية .

المثال الثاني :ما نقله عبد الله عن أبي عبيد من أحد كتبه في الرد على الجهمية :

نقل عبد الله بن الإمام أحمد مقطعاً فيه رد على الجهمية ، وهذا المقطع ضمن كلام ، واقتصر في النقل عما أورده الإمام أبو عبيد من شبهة محتمل أن يحتج بها الجهمية ثم نقضها ، ويظهر من النقل أنها تابعة لكلام قبلها لم ينقله عبد الله بن الإمام أحمد.

أخرج عبد الله بن الإمام أحمد بسنده عن أبي بكر محمد بن إسحاق الصاغاني قال : " رأيت في كتاب **أبي عبيد القاسم بن سلام بخطه** :" إذا قال لك الجهمي : أخبرني عن القرآن أهو الله أم غير الله ؟ فإن الجواب أن يقال له: أحلت (٣) في مسألتك ، لأن الله عز وجل وصفه بوصف لا يقع عليه شيء من مسألتك ،قال الله عز وجل:﴿الٓمٓ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [السجدة : ١-٢] فهو من الله عز وجل ، ولم يقل : هو أنا ولا هو غيري إنما سماه كلامه فليس له عندنا غير ما حلاه به وننفي عنه ما

(١) انظر : الإيمان لأبي عبيد ص١٦.

(٢) الإيمان لأبي عبيد ص ١٧.

(٣) يعني قلت أمراً محالاً ، بدليل الجملة بعدها ، وقد قال أحمد في الرد على الجهمية ص١١٠- لما أورد نفس الشبهة- :"ثم إن الجهم ادعى أمراً آخر وهو من المحال فقال :...ثم ذكر نفس الشبهة "أ.هـ

نفى عنه ، فإن قالوا : أرأيتم قوله عز وجل : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل : ٤٠] فالقرآن شيء مخلوق ؟فقيل له : ليس قول الله عز وجل يقال له شيء ، ألا تسمع كلامه : ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ فأخبرك أن القول كان منه قبل الشيء ، فالقول من الله عز وجل سبق الشيء، ومعنى قوله (كن) أي كان في علمه أن يكون"أ.هـ.(١)

فأبو عبيد هنا نقل شبهة ولم يعزوها إلى قائل معين ،ولكن يظهر من السياق أنها مرتبطة بها قبلها ، وفيها تنبيه لما يمكن أن يحتج به الجهمية على أهل السنة .

ومما يدل على ما ذكرنا كذلك من خلال هذا المثال أن أبا عبيد أردف هذه الشبهة بشبهة أخرى وبين فسادها،وبين أنه يمكن أن يحتج بها الجهمي .

وقد أورد الإمام أحمد أثناء رده على الجهمية هذا المثال عنهم وأجاب عليه بجواب فيه زيادة على ما ذكره الإمام أبو عبيد .(٢)

الضابط الثامن :قد يذكر الرد دون الإشارة للشبهة أصلاً:

وهذا يظهر جلياً في الكتب التي عنيت بتقرير مذهب أهل السنة دون التعرض للرد على أهل البدع بشكل واضح .

وذلك أنهم في بعض المواضع قد يوردون الأدلة الدالة على أمر معين ويشيرون ويلمحون إلى أنه رد على من زعم خلاف ذلك من أهل البدع .

وقد أكثر من هذا الإمام البخاري في صحيحه في بعض القضايا العقدية والفقهية .لك .

ولكن أهل السنة اعتنوا بالتقرير لمسائل الاعتقاد أكثر من الاشتغال بالرد على المخالفين .

مثال على هذا الضابط :الإمام ابن أبي عاصم في السنة :

---

(١) السنة لعبدالله (١/ ١٦٣)برقم (١٧٧).والإبانة لابن بطة(٢/ ٤٠)(القسم الثالث بتحقيق د.يوسف الوابل).

(٢) انظر: الرد على الجهمية والزنادقة ص١١٠

كتاب السنة لابن أبي عاصم من الكتب التي سردت فيها الأدلة سرداً لتقرير منهج أهل السنة في قضايا الاعتقاد ، وفي بعض المواضع يعقد باباً ويورد فيه أدلة ويكون متضمناً الرد على أهل البدع ومن هذه المواضع:

قال-رحمه الله -:"باب في ذكر تجلي ربنا –عز وجل – للجبل عند كلامه لموسى عليه السلام" أ.هـ.(١)

أورد تحته الأحاديث التي فيها ما يدل على أنه سبحانه تجلى للجبل ، ثم أورد في آخر الباب أثراً عن ابن عباس قال :" ما بال هؤلاء يجدون (٢) عند محكمه ، ويهلكون عند متشابهة" أ.هـ.(٣)

وبإيراده لهذا الأثر يتبين لنا أن مراده الرد على من لم يثبت كلام الله وتجليه للجبل، وإثبات رؤية المؤمنين لربهم في الجنة ،لأنه إذا تجلى الله للجبل وهو جماد لا ثواب له ولا عقاب فلأن يتجلى لأنبياءه ورسله وأولياءه في دار كرامته من باب أولى ، وقد استدل بهذا الدليل أهل السنة في كتبهم لإثبات رؤية المؤمنين لربهم في الجنة .

فالذي لا يثبت الكلام ولا الرؤية يدعي أن هذا من المتشابه .

الضابط التاسع : تذكر الشبهة لبيان ضعف الحجة وفساد الاستدلال :

قد يتعمد أهل السنة ذكر الشبهة لما فيها من الفساد والضعف مما يقدح في مذهب المخالف ويكشف عواره .

فهذا الإمام الدارمي يبين ضعف استدلال المريسي وفساد حجته فيقول:

"واحتججت أيضاً أيها المريسي في نفي التحريك عن الله –عز وجل– والزوال **بحجج الصبيان** ، فزعمت أن إبراهيم عليه السلام حين رأى كوكباً وشمساً وقمراً : ﴿ قَالَ هَٰذَا رَبِّي فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْآفِلِينَ ﴾ [الأنعام : ٧٦] ، ثم قلت : فنفى

---

(١) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٣٣٦)باب رقم (١٠٤).

(٢) أي يجتهدون .

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٣٩)برقم (٤٩٥).

إبراهيم المحبة من كل إله زائل ، يعنى أن الله إذا نزل من سماء إلى سماء أو نزل يوم القيامة لمحاسبة العباد فقد أفل وزال كما أفل الشمس والقمر فتنصل من ربوبيتهما إبراهيم " أ.هـ.

ثم عقب عليه ورد على هذه الشبهة بما لا مزيد عليه فقال :

"فلو قاس هذا القياس تركي طمطماني [(١)] أو رومي أعجمي ما زاد على ما قست قبحاً ، وسماجةً ؛ ويلك ومن قال مِنْ خَلْقِ الله تعالى : أن الله تعالى إذا نزل أو تحرك ، أو نزل ليوم الحساب أفل في شيء كما تأفل الشمس في عين حمئة ؟

إن الله لا يأفل في خلق سواءً إذا نزل أو ارتفع كما تأفل الشمس والقمر والكواكب ، بل هو العالي على كل شيء المحيط بكل شيء في جميع أحواله من نزوله وارتفاعه .

وهو الفعال لما يريد لا يأفل في شيء بل الأشياء كلها تخشع له ، والمواضع والشمس والقمر والكواكب خلائق مخلوقة إذا أفلت أفلت في مخلوق ، في عين حمئة ، كما قال الله، والله أعلى وأجل ، لا يحيط به شيء ، ولا يحتوي عليه شيء " أ.هـ.[(٢)]

فبين فساد استدلاله وقياسه الذي لا يقول به الصبيان ولا العجم الذي لا يفهمون لغة العرب .

وهم يحتجون بهذا الدليل لإثبات قضية حدوث الأجسام التي عليها بنوا نفي الصفات ، وهو كذلك دليل وشبهة تمسكوا بها لنفي النزول عن الله خاصة .

وقد أطال شيخ الإسلام في بيان بطلان هذه الشبهة و أنها دليل لأهل الحق لا عليهم.[(٣)]

---

(١) طمطماني : ورجل طمطم وطمطمي –بكسرهما– وطمطماني –بالضم في لسانه عجمه، ولا يفصح ، وتطلق كذلك على ما في اللغة من كلام منكر .انظر: القاموس ص١٤٦٣-١٤٦٤ ، الصحاح ص١٩٧٦.

(٢) الرد على المريسي (١/ ٣٥٧-٣٥٨).

(٣) انظر:درء التعارض (١/ ١٠٠-١١١)،(١/ ٣١٣-ومابعدها)،(٢/ ٢١٦-٢٢٢)، (٨/ ٣٥٥-٣٥٦) ، (٩/ ٨٢-٨٤)، منهاج السنة (٢/ ١٤٤)، بغية المرتادص ٢٦٠، مجموع الفتاوى(٦/ ٢٥٣-٢٥٧) ، (٥/ ٥٤٢-٥٥١).

المطلب الثاني : منهجهم في عرض الشبهات عند ذكرها.

تقدم الحديث عن ضوابط السلف في ذكر الشبهات من عدمها ، وننتقل الآن إلى ذكر منهجهم عند ذكر هذه الشبهات ، وما هي طريقتهم في التعامل معها ونقضها .

ويمكن أن نشير إلى الملامح العامة لمنهجهم في ذكر الشبهات وهي كالتالي :

١ . ذكرهم الشبهة مع ذكر قائلها – إذا كان ممن اشتهر وعرف- وكان له أتباع:

يصرح السلف في بعض المواضع باسم القائل بالشبهة وغالباً إذا كان ممن اشتهر وله اتباع، لأن السلف حرصوا على عدم إشهار المغمورين من أهل البدع حتى لا يكثر أتباعهم .

ومن الأمثلة على هذا :

الإمام الدارمي يصرح في كتابه باسم (**بشر المريسي**) بل جعل اسمه في عنوان الكتاب فكان عنوان الكتاب (**نقض الإمام عثمان بن سعيد على المريسي الجهمي العنيد**).

والإمام أحمد يصرح باسم الجهم في كتابه الرد على الجهمية والزنادقة في أكثر من موضع [(١)] .

٢ . الإشارة إلى أصل الشبهة وسببها :

في كثير من الأحيان يستعان على نقض الشبهة بذكر منشأها وأساسها التي بنيت عليه ، وهذا المنهج الذي سار عليه السلف أثناء ذكرهم بعض الشبهات يدل على أمور:

أ-معرفة السلف ودرايتهم التامة بأحوال أهل البدع وأقوالهم.

ب-عمق فهم السلف في التعامل مع شبهات أهل البدع ،وذلك حين نقضها بعد ذكر أسبابها وأصولها.

ج-بيان حقيقة البدع ، وبيان سوء منشأها ومصدرها ، ولا يتم ذلك غالباً إلا بذكر أساس الشبهة وأسبابها .

د- تحذير الناس من السير على نفس مناهج أهل البدع ، وغالباً ما يتبين المنهج

(١) انظر : الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد ص١٢٠،١٠٤،١٠١.

حين ذكر منشأ البدعة وأسباب القول بها.

الإمام أحمد يبين أن سبب ضلال الجهم مناظرته للسمنية [(١)]:

الإمام أحمد اهتم كثيراً بنقض أصول الجهمية والرد عليهم لأن غالب البدع متفرعة من بدعتهم ، وقد بدأ قبل الرد على شبهات الجهم ببيان السبب الذي أوصل الجهم إلى القول بالعظائم التي نشرها كنفي الصفات وخلق القرآن والقول بالحلول ونحوها من بدعه المغلظة .

وأوضح أن السبب في ذلك غلطه وقبوله بما ألزمه به الملاحدة فلما قبل باللازم – وهو ليس بلازم – بنى عليه رأيه الفاسد في نفي الصفات.

٣. يذكرون الشُبَه العقلية والنقلية على حدٍ سواء :

مما يدل على ثقة السلف بمنهجهم وعمق فهمهم أنهم كانوا يوردون جميع الشبهات العقلية والنقلية حتى لا يظن أنهم لا يعرفون شيئاً عن العقليات كما يتهمهم خصومهم بذلك .

وكتب السلف طافحة بذلك. [(٢)]

٤. إرداف الشبهة بالرد مباشرة وعدم تأخير الرد أو السكوت عنه :

لم يظهر من عادة السلف أن يوردوا الشبهات ويسكتوا عنها أو يوردوا الشبهات ويؤخروا الرد عليها ، بل إذا ذكرت الشبهة يذكر الرد عليها بعدها مباشرة .

وانظر طريقة الإمام أحمد في التعامل مع شبهات الزنادقة والجهمية، فلم يكن يذكر الشبهة **تلو الشبهة ثم يؤخر الرد وذلك لأمور :**

أ–حتى لا تعلق في ذهن القاري فقد يفتن بها.

ب–خوفاً من أن يمل القاري فلا يطلع على الرد فيتذكر الشبهة ولا ينظر في الرد

---

(١) انظر الرد على الجهمية ص١٠٢ .

(٢) انظر: الرد على الجهمية للدارمي ص٩٧، تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢/ ٧٠٢)،(٢/ ٦٢٤)،الرد على المريسي (١/ ٣٦٦).

عليها.

ج-أقرب إلى الاستيعاب والفهم أن تذكر الشبهة والجواب عنها في موضعها حتى لا يتشتت ذهن القاري فلا يستطيع ربط أول الكتاب بآخره.

٥. **القوة في الرد ونقض الشبهة وإقناع القاريء بفساد وبطلان الشبهة :**

مما يبين قوة السلف العلمية قوة ردودهم على الشبهات التي ينقولونها في كتبهم عن أهل البدع ، ولم يعهد عن السلف أنهم ردوا عليها رداً ضعيفاً أو غير مقنع ومن تأمل في كلامهم وردودهم علم ذلك علم اليقين .

ومما يجدر الإشارة إليه هاهنا : أن السلف كانوا ينوعون الردود ، فبعضهم يسترسل في بيان بطلان الشبهة من الناحية الحديثية ، ويختصر الكلام في الناحية اللغوية ، بينما تجدها عند غيره بعكس ذلك خاصة ممن تخصص مثلاً في علم اللغة تجده يطيل الكلام عليها وينقضها بكلام أهل اللغة ويقتضب الكلام حولها من الناحية الحديثية .

ولكن السمة الغالبة هو خروج القاريء بالقناعة التامة ببطلان مثل هذه الشبهات التي يثيرها أهل البدع.

ومما يدل على قوة ردودهم استفادة المتأخرين منهم بكثرة ؛ بل ليس من المبالغة إذا قلنا إن المتأخرين لم يأتوا بجديد يذكر في باب نقض البدع وشبهاتها وإنما هم عالة على كلام السلف في القرون الثلاثة الأولى .

ومن هذا المنطلق نستفيد قاعدة مهمة وهي : انه يجب أن تكون الردود قوية حتى لا يؤتى الإسلام والدين والعقيدة من قبل من أساء من حيث يريد الإحسان ، ورحم الله امرأً عرف قدر نفسه ، وقد أحسن من انتهى إلى ما سمع .

ويشير شيخ الإسلام إلى غلط بعض من تصدى للرد على شبهات أهل الباطل ولكن كانت ردوده ضعيفة فيقول-مبيناً ضعف ن تصدى للرد على النصارى- فيقول :

" ..ومما يعجب منه أن بعض المنكرين لمجادلة الكفار بناءً على ظهور دلائل النبوة

نجده هو ومن يعظمه من شيوخه الذين يعتمدون في أصول الدين على نظرهم ومناظرتهم ، ويزعمون أنهم قرروا دلائل النبوة **قد أوردوا من الشبهات والشكوك والمطاعن على دلائل النبوة ما يبلغ نحو ثمانين سؤالاً ، وأجابوا عنه بأجوبة لا تصلح أن تكون جواباً في المسائل الظنية ، بل هي إلى تقرير شبه الطاعنين أقرب منها إلى تقرير أصول الدين** ، وهم كما مثلهم الغزالي وغيره بمن يضرب شجرة ضرباً يزلزلها به ، وهو يزعم أنه يريد أن يثبتها....." أ.هـ.[(١)]

ولكن هذا لم يحدث عند أصحاب القرون المفضلة بل هو حادث فيمن أتى بعدهم .

٦. الاهتمام بالشبهات الكبرى والتي تعتبر أصلاً يعتمدون عليه:

وقد تقدم الكلام مفصلاً عن عناية السلف بنقض أصول البدع ، وكان من ضمن أصول البدع الشبهات الكبرى التي بنوا عليها سائر الشبهات الأخرى ، وتعتبر متفرعةً عنها .

ولعلي أشير باختصار إلى نصهم على بعض الشبه الكبرى :

فمن ذلك أن الإمام الدارمي ينص على أن من أكبر شبهات القائلين بخلق القرآن هي :

الآيات التي جاءت بلفظ **جعل وأنها** تدل على أنه مخلوق لأن جعل بمعنى خلق منها :

قوله تعالى:﴿ حمٓ ۝ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝ إِنَّا جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا عَرَبِيّٗا لَّعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾ [الزخرف : ١-٣].

وقوله تعالى :﴿ جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَا ﴾ [الشورى : ٥٢].

وقد بين الدارمي أن هذه الشبهة من أقوى ما يعتمدون عليها فقال :

" وقد كان رأس حجج المريسي وأصحابه من الجهمية وأوثقها في أنفسهم حتى تأولوا فيها على الله من كتابه خلاف ما أراد ، فقالوا:...." [(٢)] ثم ذكر شبهتهم .

---

(١) الجواب الصحيح (١/ ٧٦-٧٧).

(٢)الرد على المريسي (١/ ٥٦٣).

وقد رد أهل السنة رداً مطولاً على هذه الشبهة ومن أبرز من نقضها الإمام أحمد .[١]

والأمثلة على هذا كثيرة .

٧. يبدأ بالرد على الشبه الأقرب إلى العقول فيندفع ما هو أبعد من باب أولى :

وذلك أن المعطلة كانوا لا يظهرون أقوالهم القبيحة التي لا يقبلها عامة الناس فكانوا يقولون بما هو أقرب للعقول –وإن كان فاسداً– فكان السلف يردون عليه وهو مستلزم لبطلان ما هو أشد منه .

يقول شيخ الإسلام :" ..ولهذا كان العامة من الجهمية إنما يعتقدون أنه في كل مكان . وخاصتهم لا تظهر لعامتهم إلا هذا ، لأن العقول تنفر عن التعطيل أعظم من نفرتها عن الحلول ، وتنكر قول من يقول : إنه لا داخل العالم ولا خارجه أعظم مما تنكر أنه في كل مكان ، فكان السلف يردُّن خير قوليهم وأقربها إلى المعقول ، وذلك مستلزم فساد القول الآخر بطريق الأولى " أ.هـ[٢].

وإن كان السلف لم يغفلوا أي نوع من الشبهات ، ولكن كانوا يبدأون بما هو أقرب إلى المعقول وهو الذي فتن الناس به من مقولات أهل البدع.

٨. الإعراض عن ذكر الشبه الساقطة والرد عليها وإضاعة الوقت فيها:

من خذلان الله لأهل البدع أن يذكروا شبهات لا يقول بها العقلاء فضلاً عن الجهلة منهم ،ولهذا لم يشتغل السلف بالرد على مثل هذه الشبهات ، ولكن ما كان فيه نوع فتنة للناس ويمكن أن تقبلها بعض عقولهم التي قصرت في الفهم أو في العلم .

---

(١)انظر : الرد على الجهمية والزنادقة ص١٠٦-١١٠.

(٢) درء التعارض (٦/ ١٥٤) وانظر : (٦/ ١٨١).

المبحث السادس

الإنصاف في الرد على الخصوم

إن مما اتفقت عليه الشرائع أنها جاءت بالعدل وحاربت الظلم ، وأعدل العدل توحيد الله وإفراده بالعبادة ، وأظلم الظلم أن يجعل مع الله شريك في عبادته سبحانه وتعالى ، كما قال جل وعلا على لسان لقمان حينما أوصى ابنه فقال :﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان : ١٣] ، وبالعدل قامت السموات والأرض وصلح أمر الدنيا والآخرة ، والله سبحانه حكم عدل لا يظلم مثقال ذرة ، وقد حرم الظلم على نفسه وجعله بين عباده محرماً كما جاء ذلك في الحديث الصحيح (١) .

ومن العدل اتباع ما أمر به الله عز وجل وما جاء به رسوله الكريم ﷺ ، ومن حاد عن منهج الله ومنهج رسول الله فقد جانب العدل ، ووقع في الظلم ، ولهذا كان المخالف لأوامر الله الواقع في المعاصي من الظالمين لأنفسهم .

وعليه فإن من خالف السنة في أبواب الاعتقاد واتبع غير طريق المؤمنين فهو ظالم واقع فيما نهى الله عنه ، ومن اتبع السنة في أقواله وأفعاله واعتقاداته فهو المسلم العدل المجانب للظلم.

وكل منهج بني على الظلم فحقيق أن يكون في تعامله مع الآخرين ظلم وتعد وطغيان كما هو حال أهل البدع .

وأما أهل السنة لأن منهجهم قائم على العدل فمن الطبيعي أن يكونوا في تعاملهم مع غيرهم من الخصوم وغيرهم عادلين منصفين مجانبين للظلم والعدوان.

أهل السنة إذا قدروا عدلوا ، وأهل البدع إذا قدروا ظلموا:

لقد سطر لنا التاريخ عبراً وعظات من مواقف المواجهة بين أهل البدع وأهل السنة ، وكانت الحرب بينهم سجالاً فمرة يمكن لهم وتكون لهم السلطة والقوة ويتمكنون من رقاب أهل البدع وحينها لا يعاملونهم فوق ما أمر الله به ولا يتجاوزون الحد ولا يظلمون، وأما أهل البدع فحدث ولا حرج عن الظلم والطغيان واستغلال السلطة في البطش بعلماء أهل السنة والتنكيل بهم ولا حول ولا قوة إلا بالله .

---

(١) الحديث :في مسلم في كتاب البر والصلة برقم (٢٥٧٧).

يقول شيخ الإسلام:"..ولهذا كثير من أهل البدع مع القدرة يشبهون الكفار في استحلال قتل المؤمنين وتكفيرهم كما يفعله كثير من الخوارج والرافض والمعتزلة والجهمية وفروعهم ...ومنهم من يسعى في قتل المقدور عليه من مخالفيه ، إما بسلطانه وإما بحيلته ، ومع العجز يشبهون المنافقين ، يستعملون التقية والنفاق كحال المنافقين ، ....**ولهذا كان أهل السنة مع أهل البدعة بالعكس ؛إذا قدروا عليهم لا يعتدون عليهم بالتكفير والقتل وغير ذلك ، بل يستعملون معهم العدل الذي أمر الله به ورسوله** ، كما فعل عمر بن عبد العزيز بالحرورية والقدرية ، وإذا جاهدوهم فكما جاهد علي رضي الله عنه الحرورية بعد الإعذار وإقامة الحجة ، وعامة ما كانوا يستعملونه معهم الهجران والمنع من الأمور التي تظهر بسببها بدعتهم ، مثل ترك مخاطبتهم ومجالستهم لأن هذا هو الطريق إلى خمود بدعتهم ، وإذا عجزوا عنهم لم ينافقوهم ، بل يصبرون على الحق الذي بعث الله به نبيه كما كان سلف المؤمنين يفعلون ، وكما أمرهم الله في كتابه ، حيث أمرهم بالصبر على الحق ، **وأمرهم أن لا يحملهم شنآن قوم أن لا يعدلوا** " أ.هـ.(١)

تنبيه :

أهل السنة لم يمنعهم عدلهم من الرد على أهل البدع والتشنيع عليهم :

وهنا قد يتبادر إلى ذهن بعض الناس أننا حينما ندعوا للعدل معهم نقصد من ورائه التهوين من شأن البدع وأهلها ، وهذا فهم غير صحيح ، بل القصد أننا نرد عليهم وننكر عليهم بدعتهم ، ولكن وفق ما أراد الله منا وهو العدل وعدم تجاوز الحد المشروع معهم .

صور من عدل أهل السنة مع خصومهم من خلال مصنفاتهم :

١. الاعتراف والأخذ بالحق مع كل الطوائف الموافقة والمخالفة :

من أبرز صور العدل عند أهل السنة وهو منهج برز عملياً وإن لم يقولوا به صراحة فهو واضح وضوح الشمس ،أنهم أخذوا بالحق من موافقيهم ومخالفيهم فكانوا أسعد

(١) التسعينية (٢/ ٦٩٨-٧٠١)باختصار.

الطوائف بالصواب في الأقوال والأفعال .

يقول ابن القيم –رحمه الله –بعد ذكره الطوائف المخالفة في باب القدر :

"وأهل السنة وحزب الرسول وعسكر الإيمان لا مع هؤلاء ولا مع هؤلاء بل هم مع هؤلاء فيما أصابوا فيه ، ومع هؤلاء فيما أصابوا فيه ، فكل حق مع طائفة من الطوائف فهم يوافقونهم فيه ، وهم برآء من باطلهم ، **فمذهبهم جمع حق الطوائف بعضه إلى بعض ، والقول به ونصره وموالاة أهله من ذلك الوجه ، ونفي باطل كل طائفة من الطوائف وكسره ، ومعاداة أهله من هذا الوجه** ، فهم حكّام بين الطوائف لا يتحيزون إلى فئة منهم على الإطلاق ، ولا يردون حق طائفة من الطوائف ، ولا يقابلون بدعة ببدعة ، ولا يردون باطلاً بباطل ، **ولا يحملهم شنآن قوم يعادونهم ويكفرونهم على أن لا يعدلوا فيهم ، بل يقولون فيهم الحق ، ويحكمون في مقالاتهم بالعدل .**

والله سبحانه وتعالى أمر رسوله أن يعدل بين الطوائف ؛ فقال :﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ﴾ [الشورى :١٥] فأمره سبحانه أن يدعوا إلى دينه وكتابه ، وأن يستقيم في نفسه كما أمره أن لا يتبع هوى أحد من الفرق ، وأن يؤمن بالحق جميعه ؛ لا يؤمن ببعضه دون بعض ، **وأن يعدل بين أرباب المقالات والديانات"** أ.هـ.(١)

بل إن أخذ الحق من جميع الطوائف هو من هداية الله لهم لما اختلف فيه من الحق ، كما قال جل وعلا :﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾(٢)، ولو كان الحق مع من يبغضه أو يعاديه (٣).

أمثلة من عدل أهل السنة مع أهل البدع من خلال مصنفات السلف في مثل هذه الصورة:

---

(١) شفاء العليل لابن القيم (١/ ٢٠٠)تحقيق الحفيان ط.العبيكان .

(٢) البقرة [٢١٣].

(٣) انظر نفس المعنى : الصواعق المرسلة (٢/ ٥١٥-٥١٦).

المثال الأول :الدارمي في رده على بشر المريسي :

قال الإمام الدارمي أثناء رده على بشر المريسي :" أما قولك :لا يجوز لأحدٍ أن يتأول في التوحيد غير الصواب ، **فقد صدقت** ، وتفسير التوحيد عند الأمة وصوابه قول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ..." أ.هـ.(١)

ولنتأمل كيف عدل الإمام الدارمي مع خصمه حينما أقر للخصم بالحق الذي جاء به وهو :(**أنه لا يجوز أن يتأول في توحيد الله**) .

المثال الثاني :الإمام الدارمي أيضاً في رده على المريسي :

قال –رحمه الله –:" وأما قولك :أنه غير محوي ولا محاط به ، **فكذلك هو عندنا وفي مذهبنا**...." أ.هـ.(٢)

المثال الثالث: الإمام الدارمي أيضاً:

قال –مخاطباً المريسي –:" فأما قولك :إن السلف كانوا يكرهون الخوض في القرآن **فقد صدقت** .." أ.هـ.(٣)

وهذا مع أن كتاب الدارمي في رد على رأس من رؤوسهم بل ممن قد كفره السلف ، ولكن هو العدل الذي لم ولن يتخلى عنه أهل السنة ، وللإمام الدارمي مواضع أخر يظهر فيها أيضاً هذا المنهج.(٤)

٢. التثبت قبل إصدار الحكم على الخصم أو اتهامه:

من تمام عدل أهل السنة أنهم لا يدينون أهل البدع بأي أمر إلا بعد التثبت والتأكد من تلبسهم بما اتهموا به من أقوال أو أفعال أو اعتقادات عملاً بقول الله جل وعلا :

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴾ [الحجرات :٦] ، ولهذا لم يكذبوا فيما نسبوه إلى أهل البدع

(١) الرد على المريسي (١/ ١٥٢).
(٢) الرد على المريسي (١/ ٤٤٦).
(٣) المصدر السابق (١/ ٥٢٥).
(٤) انظر : الرد على المريسي (١/ ٢١٩،٤٤١).

بخلاف أهل البدع فإنهم كذبوا على أهل السنة وقالوا فيهم ما ليس فيهم .

مثال على تثبت أهل السنة :

جاء في السنة لعبد الله بن الإمام أحمد أنه قال :" أخبرت عن يحيى بن أيوب قال :كنت أسمع الناس يتكلمون في المريسي **فكرهت أن أقدم عليه حتى أسمع كلامه لأقول فيه بعلم** فأتيته فإذا هو يكثر الصلاة على عيسى بن مريم صلوات الله عليه فقلت له :إنك تكثر الصلاة على عيسى فأهل ذاك هو ، ولا أراك تصلي على نبينا ، ونبينا ﷺ أفضل منه؟ فقال لي: " ذلك كان مشغولاً بالمرآة والمشط والنساء " أ.هـ.(١)

فهذا الإمام رحمه الله كره أن يقول فيه ويناظره أو يذكر شيئاً قاله الناس فيه وليس بثابت عنه .

فكل هذا هو من باب التثبت مع الخصم.

وبالمقابل لو رأينا ظلم أهل البدع وكيف أنهم يكذبون على السلف والأئمة وينسبون إليهم من الأقوال ما ليس فيهم لعرف المنصف الفرق بين المنهجين .

الأمثلة على كذب أهل البدع على أهل السنة :

كثر عند الإمام الدارمي الإشارة إلى هذه القضية في مواضع عدة منها:

الموضع الأول :

بين كذب المريسي وأتباعه بأنهم يصفون الله بأن له جوفاً فقال:" وأما أن نصفه بالجوف كما **ادعيت علينا زوراً فإنا نجله عن ذلك** وهو المتعالي عنه ، لأنه الأحد الصمد ،.." أ.هـ.(٢)

الموضع الثاني :

ادعى المريسي وأتباعه كذباً على أهل السنة أنهم يفسرون ضحك الله بما يشبه ضحك المخلوقين فقال –رحمه الله –:" ..ثم ادعيت على قوم من أهل السنة أنهم

---

(١) السنة لعبد الله (١/ ١٧٠)برقم ٢٠١.

(٢) الرد على المريسي (٢/ ٦٩٢).

يفسرون ضحك الله على ما يعقلون من أنفسهم ، **وهذا كذب تدعيه عليهم** ؛ لأنا لم نسمع أحداً منهم يشبه شيئاً من أفعال الله تعالى بشيءٍ من أفعال المخلوقين..." أ.هـ.(١)

الموضع الثالث :

ادعى أهل البدع أن أهل السنة يصفون الله بالجارحة ، وللأسف هذا التعبير يكثر حتى عند جهلة المتأخرين ممن هم على غير طريقة السلف ،وقد بين الإمام الدارمي كذب هذه الدعوى فقال –رحمه الله –:

" فيقال لهذا المعارض : أما ما ادعيت أن قوماً يزعمون أن لله عيناً فإنا نقوله؛ لأن الله قاله ورسوله ، وأما جارح كجارح العين من الإنسان على التركيب **فهذا كذب ادعيته عمداً لما أنك تعلم أن أحداً لا يقوله** ، غير أنك لا تألوا ما شنعت ، ليكون أنجع لضلالتك في قلوب الجهال ، والكذب لا يصلح منه جد ولا هزل فمن أي الناس سمعت أنه قال : جارح ومركب؟ ..." أ.هـ.(٢)

وهناك مواضع أخرى فليرجع إليها.(٣)

٣. عدم التعميم في الأحكام ضد الخصم بل التفصيل وبيان ما أصاب فيه وما أخطأ:

إن من صور العدل مع الخصوم أن لا يعمم في الأحكام عليهم بل يفصل ويذكر ما أصابوا فيه وما أخطئوا ، لأن هذا الحق الذي أصابوا فيه هو الحق الذي يؤمن به أهل السنة ، ولأن الله سبحانه قد أمرنا بالعدل مع كل أحد وأحق الناس بالعدل هم أهل السنة .

مثال على هذه الطريقة :

الإمام الدارمي لما رد على تأويل ضحك الرب جل وعلا بالرضا والرحمة الذي

(١) الرد على المريسي (٢/ ٧٨٠).
(٢) الرد على المريسي (٢/ ٨٢٨).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٦٨٦-٦٨٧)،وانظر كذب عمرو بن عبيد المعتزلي القدري الضال على الحسن البصري رحمه كما في السنة لعبدالله (٢/ ٤٣٨).

يقول به أهل البدع ، من عدله أنه لم يرد هذا التأويل وإنما شنع عليهم نفي صفة الضحك فبين أن الرضا والرحمة من لوازم الضحك وهذا حق ولم يرده وفصل القول ولم يرد كل قولهم فكان مما قال:"وأما قولك : إن ضحكه : رضاه ورحمته ، **فقد صدقت في بعضٍ** ؛لأنه لا يضحك إلى أحد إلا عن رضى فيجتمع منه الضحك والرضا ، ولا يصرفه إلا عن عدو ، وأنت تنفي الضحك عن الله ، وتثبت له الرضا وحده ..." أ.هـ.(١)

والأمثلة على هذا كثيرة. (٢)

٤. الحكم على أهل البدع بما يظهرون من الأقوال وترك سرائرهم إلى الله :

إن من أجلى صور العدل أن لا يؤاخذ أحد كائناً من كان إلا بما أظهر فيقال للمحسن أحسنت وللمسيء أساءت ، ولا ننقب عن النيات وما في القلوب فهذه علمها عند الله ، والرسول ﷺ كان أعدل الخلق وكف عن المنافقين ورضي منهم بما أظهروه ووكل سرائرهم إلى الله تعالى .

قال الإمام الدارمي :" وأنا أقول كما قال الشافعي **أن تقبل علانيتهم إذا اتخذوها جُنّةً من القتل ، أسرّوا في أنفسهم ما أسروا فلا يقتلوا كما أن المنافقين اتخذوا أيمانهم جنة فلم يؤمر بقتلهم** ، والزنديق عندنا شر من المنافق ، فلربما كان المنافق جاحداً بالرسول والإسلام ، مقراً بالله عز وجل مثبتاً لربوبيته في نفسه ، والزنديق معطل لله جاحد بالرسل والكتب ، وما يعرف في الإسلام زنادقة غير الجهمية ،وأي زندقة أظهر ممن ينتحل الإسلام في الظاهر ، وفي الباطن يضاهي قوله في القرآن قول مشركي قريش " أ.هـ.(٣)

فهذا من عدل أهل السنة مع خصومهم أنهم لا يدينوهم إلا بما أظهروه أما أن يتهموهم بشيء مما لا يعلمه إلا الله فهذا لم يعهد منهم رحمهم الله .

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٧٧٣).

(٢) انظر : المصدر السابق (١/ ٣٠٥)،(١/ ٤٠٢).

(٣) الرد على الجهمية ص٢١٣.

٥. يذكرون من وافقهم على الحق من خصومهم أثناء سرد مذهبهم :

من صور العدل عند أهل السنة يذكرون من وافقهم في بعض مسائل الاعتقاد ولو كان خصماً لهم من أهل البدع ، وهذا ناتج عن تجردهم وإخلاصهم وتحريهم العدل والصدق مع كل أحد.

بل قد يذكرون مذاهب أهل البدع فإذا نصوا على بعض ما قالوا به سواءً كان فيه حق أو باطل بينوا من وافقهم على هذه المسألة من أهل السنة .

ولهذا الأمر أمثلة :

المثال الأول : الإمام المروزي في تعظيم قدر الصلاة :

لما أورد الإمام الحديث المرفوع الذي فيه خصال المنافق وما يشبهها بينوا بعض مواقف أهل البدع من الخوارج وغيرهم تجاه هذه النصوص فقال :

"واحتجوا بهذه الأخبار ، وزعموا أنه منافق ،مخلد في النار ، **وقد وافقهم على ذلك فرقة ممن يقول بالحديث** فزعموا أنه منافق ، لما جاء فيه من الأخبار على غير تلخيص ولا شهود عليه بالنار ، ولكن اتباعاً للأخبار على ما جاءت يسمونه بالنفاق ، ولا يسمونه مؤمناً ، ولا مسلماً ، ولا كافراً " أ.هـ.(١)

فالإمام المروزي مع أنه لم يرتض قول أهل البدع في إطلاق المنافق على من تلبس ببعض خصال المنافقين فقد نص على بعض من وافقهم من أهل الحديث ، وهذا من عدله مع الخصم أن يبين من وافقه في قوله من أهل السنة الذين قد يكونوا أخطئوا.

ومما ينبغي أن ينبه عليه أن المروزي أشار كذلك إلى أن أهل الحديث لم يوفقوا أهل البدع في بدعتهم الأساسية وهي : تخليدهم أهل الكبائر في النار.

المثال الثاني : ابن نصر في تعظيم الصلاة أيضاً:

لما بين مذهب المرجئة في الإيمان ، بين أن جزء مما يقولوا به حق يقول به أهل السنة وهو إدخالهم القول ضمن الإيمان فقال :

(١) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٦٣٧).

" وقد جامعتنا في هذا المرجئة كلها ،على أن الإقرار باللسان من الإيمان إلا فرقة من الجهمية كفرت عندنا ..." أ.هـ.[(١)]

٦. إدانة أهل البدع بأقوالهم لا بأقوال غيرهم :

إن من تمام العدل أن تدين الشخص بأقواله التي سطرها وكتبها أو تفوه بها وقالها لا بأقوال أصحابه وأتباعه ، فقد لا يقول بهذا القول فيتهم الشخص بما ليس فيه .

وهذا يعبر عنه بالأمانة العلمية في النقل .

يقول الدارمي –أثناء رده على المريسي - :

" **وسنعبر لكم عنه من نفس كلامه** ما يحكم عليه بالجحود بعون الملك المجيد الفعال لما يريد" أ.هـ.[(٢)]

٧. التفريق بين أحوال الخصوم وبيان الغالي منهم والقريب من أهل السنة :

بين الإمام الدارمي وغيره من أئمة أهل السنة أن طوائف البدع لا تكفر كلها وليس كلها على درجة واحدة ، وقد بينوا أن من الفرق التي أجمعوا على تكفيرها الجهمية ، ومن رؤوسهم : الجهم والمريسي ، ولم يكفروا كل مبتدع بل من قامت عليه الحجة ووضحت له المحجة .

و الإمام الدارمي بين تدليس من أراد أن يسوي بين جميع طوائف أهل البدع وأن الخطب فيها يسير والخلاف هين فقال :

"وقد أخطأ المعارض محجة السبيل وغلط غلطاً كثيراً في التأويل لما أن هذه الفرق لم يكفرهم العلماء بشيء من اختلافهم ، والمريسي وجهم وأصحابهما لم يشك أحد منهم في إكفارهم .....ولا يقيس الكفر ببعض اختلاف هذه الفرق إلا امرؤ جهل العلم ولم يوفق فيه لفهم .." أ.هـ باختصار.[(٣)]

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٧٠٠).

(٢) الرد على بشر (١/ ١٤٢).

(٣) الرد على المريسي (١/ ١٤٩-١٥٢)مختصراً.وانظر (١/ ٣١٣).

٨. أهل السنة يعترفون بما وقعوا فيه من أخطاء:

قد يقع بعض جهلة أهل السنة في زلة وخطأ وهم بشر غير معصومين ، ولكن العصمة لجميعهم وليس لأفرادهم فإجماعهم معصوم من الخطأ لأن مصدره الكتاب والسنة المنزهين عن كل عيب ونقص .

وقد جاء عن وكيع أنه قال :"**وأهل العلم يكتبون مالهم وما عليهم ، وأهل الأهواء لا يكتبون إلا ما لهم** "أ.هـ [١].

والكلام في هذا المبحث كثير وحسبنا ما ذكرنا والله المستعان.

---

(١) أخرجه الهروي في ذم الكلام (٤/ ٢٤٩).

المبحث السابع

إظهار تناقض أهل البدع

إن مما يميز كتاب الله عز وجل وسنة رسوله الكريم البعد عن التناقض والانسجام التام في الألفاظ والمعاني ، وذلك لأن المصدر واحد وهو من الله عز وجل الكامل في كل صفاته وأسمائه سبحانه وتعالى .

وكل ما جاء من عند غير الله فهو معرض للاختلاف والتناقض ، ولهذا لم يكل الله تدبير شؤون الخلق لعقول البشر وأهواءهم بل أنزل كتابه ليكون حكماً بين الناس لأنه بعيد عن التناقض والفساد ، وأما ما يشرعه البشر بعقولهم فهو متناقض معرض للفساد والبطلان .

وقد بين الله هذه الحقيقة فقال جل وعلا: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَـٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ٨٢].

قال ابن جرير :" يعني جل ثناؤه بقوله (أفلا يتدبرون القرآن) أفلا يتدبر المبيتون غير الذي تقول لهم يا محمد كتاب الله ، فيعلموا حجة الله عليهم في طاعتك واتباع أمرك ، وأن الذي أتيتهم به من التنزيل من عند ربهم لاتساق معانيه ، وائتلاف أحكامه ، وتأييد بعضه بعضاً بالتصديق ، وشهادة بعضه لبعض بالتحقيق ، فإن ذلك لو كان من عند غير الله لاختلفت أحكامه ، **وتناقضت معانيه** ، وأبان بعضه عن فساد بعض " أ.هـ.(١)

فالتناقض واقع في كلام البشر ، ولهذا كان أمر الاعتقاد أشد إذ مبناه على الغيب ، ولا مجال للرأي والعقل في غالب مسائله ، فمن أدخل عقله فيما لا يستطيعه العقل ولا يحسنه لاشك أن التناقض والفساد في أقواله ظاهر لكل من اطلع عليه .

وقد اعتنى أهل السنة في بيان وإظهار تناقض أهل البدع أثناء الرد عليهم ليظهروا للناس فساد مذاهبهم القائمة على آرائهم وأهواءهم الشخصية التي لم تهتدي بنور الوحي البعيد عن التناقض والفساد.

وكل من أعرض عن طريق الكتاب والسنة فهو متناقض لا محالة.

يقول شيخ الإسلام :" فكل من أعرض عن الطريقة السلفية النبوية الشرعية

(١) تفسير الطبري (٥/ ١٧٩).

الإلهية ، فإنه لابد أن يضل ويتناقض ، ويبقى في الجهل المركب أو البسيط" أ.هـ.[١]

بل إن أهل البدع كما بين شيخ الإسلام في غير موضع أن تناقضهم في العقليات التي يزعمون لا يحصى.[٢]

وقد كان للسلف منهج قوي في بيان وإظهار تناقض أهل البدع [٣] يمكن أن نجمله في الأمور التالية :

١. **الاستدلال بالأدلة الشرعية لبيان تناقض أهل البدع :**

من أقوى الطرق أن يوضح ويستدل على تناقضهم من خلال الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة ، وهي التي لا يستطيع أهل البدع معها الجدال ولا المكابرة .

مثال على هذه الطريقة : أبو عبيد في الإيمان:

من أقوال المرجئة المخالفة لأهل السنة في باب الإيمان قولهم إن الإيمان هو اعتقاد وقول وأن العمل غير داخل في مسمى الإيمان .

وقد عد أهل السنة هذا من التناقض إذ الأقوال أعمال كما دلت على ذلك النصوص الشرعية فإذا أقررتم بالأقوال أنها من الإيمان لزمكم أن تدخلوا سائر أعمال الجوارح فلا حجة لكم في التفريق بينها والأدلة من الكتاب والسنة كثيرة .

قال أبو عبيد :" وزعم من خالفنا : **أن القول دون العمل** ، **فهو عندنا متناقض ، لأنه إذا جعله قولاً فقد أقر أنه عمل ، وهو لا يدري بما أعلمتك من العلة الموهومة عند العرب في تسمية أفعال الجوارح :عملاً.**

وتصديقه في تأويل الكتاب في عمل القلب واللسان:...ثم (ذكر الآيات في القلب ثم قال): وأما عمل اللسان فقوله :﴿ يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ [النساء :١٠٨]

---

(١) درء التعارض (٥/ ٣٥٦).

(٢) انظر : التسعينية (٣/ ٩٤٨)، مجموع الفتاوى (٥/ ٣٤١).

(٣) هناك رسالة علمية مطبوعة وهو جيدة في بابها بعنوان: (تناقض أهل الأهوء والبدع في العقيدة) للدكتورة عفاف بنت حسن محمد مختار ط.مكتبة الرشد ط. الأولى ١٤٢١هـ.

فذكر القول ثم سماه عملاً ..." أ.هـ. (١)

فأبو عبيد بين تناقض المرجئة من خلال دلالة نصوص الشرع على هذا التناقض وهو أن النصوص جاءت بتسمية القول عملاً وهو ما ينقض قولهم ويفسده.

٢. بيان تناقضهم من خلال حكمهم على الشيء الواحد بحكمين مختلفين :

من أجلى صور التناقض عند أهل البدع أنهم يحكمون بحكمين مختلفين بل متضادين، وذلك يدل على أن مذهبهم قائم على الهوى والرأي لا على نصوص الكتاب والسنة المعصومة من كل تناقض واختلاف .

ولهذه الصورة أمثلة كثيرة منها:

المثال على هذه الصورة :الإمام محمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة :

ذكر الإمام محمد بن نصر مناقشة طويلة بين أهل السنة والمرجئة في باب الإيمان ، وكان مما قرروه أن الخوف على نوعين : الأول :خوف إيمان وذلك خوف الإقرار وهو خوف اليقين ، والثاني : الخوف المزعج عن المعاصي ، وليس ذلك من الإيمان ، ولكن الإيمان سبب له. (٢)

فكان نص جواب ابن نصر عليه أن قال :" قيل لهم **أما واحدة** :فقد خرجتم من اللغة التي عليها اعتمدتم ، لأنكم لم تجدوا في اللغة أن الخوف إيمان ولا أن الأمن كفر .

والثانية: أنه إن كان معنى الخوف من الله إيماناً ، فكل خوف من الله مزعجاً من المعاصي إيمان ، ومن لم يفعل الخوف كله إيماناً **، فجعل أوله إيماناً ، وآخره لا إيمان ، فقد ناقض**، لأنه جائز أن يكون تصديق إيماناً ، وتصديق لا إيمان ، فكما كان كل تصديق إيماناً ، فكذلك كل خوف إيمان" أ.هـ. (٣)

فالإمام ابن نصر بين أنهم جعلوا الخوف الذي هو الخوف من الله إيماناً ثم لما أزعجه وأبعده هذا الخوف من الله عن المعاصي لم يكن إيماناً وهذا منهم تناقض وحكم

---

(١) الإيمان لأبي عبيد ص٢٨-٢٩.باختصار.

(٢) انظر :تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٧١٨-٧١٩).

(٣) المصدر السابق .

على الشيء الواحد بحكمين مختلفين.

٣. من صور التناقض :الحكم على الأحاديث الصحيحة بالكذب ثم الاحتجاج بها وتأويلها، أو أن تكون مكذوبة من وضع الزنادقة فيتكلف في بيان معناها وتفسيرها:

من صور التناقض أثناء تقريرهم أو أثناء ردهم على أهل السنة أن يكذبوا ببعض الأحاديث الصحيحة أو تكون غير صحيحة ثم تجدهم يحتجون بها على أهل السنة ويُؤولونها ونحو ذلك، وهذا كثير عند أهل البدع ، وله أمثلة منها:

المثال الأول : الإمام الدارمي في رده على بشر :

مما احتج به أهل السنة في إثبات صفة الأصابع لله عز وجل الحديث الصحيح عن ابن مسعود ﷺ قال :" جاء حبر إلى رسول الله ﷺ فقال :يا محمد ، إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع ، و الأرضين على إصبع ،والشجر على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، وسائر الخلائق على إصبع ، فيقول: أنا الملك . فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ :﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [الزمر : ٦٧] " (١).

فقد ادعى بشر وأهل البدع أن هذا من النبي ﷺ تكذيب لقول الحبر ، ثم ناقضوا أنفسهم وقالوا هذا حديث كذب على رسول الله ﷺ .

قال ابن التين :" تكلف الخطابي في تأويل الإصبع وبالغ حتى جعل ضحكه ﷺ تعجباً وإنكاراً لما قال الحبر ، ورد ما وقع في الرواية الأخرى :"فضحك ﷺ تعجباً وتصديقاً" بأنه على قدر ما فهم الراوي " أ.هـ.(٢)

وهم في هذا وقعوا في التناقض ، كما بين ذلك الإمام الدارمي بقوله :" **فيقال لك**

---

(١) الحديث في صحيح البخاري في كتاب التفسير –باب ﴿ **وماقدروا الله حق قدره** ﴾ برقم (٤٨١١).

(٢) نقلاً عن الحافظ في الفتح (٨/ ٤١٣).

أيها المريسي : قلما رأينا مفسراً ومتكلماً أشد مناقضاً لكلامه منك ، مرة تقول : الحديث يروى عن النبي ﷺ وتفسره قدرتين ، ومرة تقول : هو كذب ، وقول اليهود تقربه مرة وتنكره أخرى ،ولوكنت من أهل الحديث ورواته لعلمت أن الأثر قد جاء به تصديقاً لليهودي ، لا تكذيباً كما ادعيت ..." أ.هـ. (١)

ثم ذكر ما جاء مصرحاً به في الرواية أنه ضحك للحبر تصديقاً ، وأورد عليه الأحاديث الأخرى التي جاءت بإثبات الأصابع لله غير هذا الحديث.

المثال الثاني : الدارمي في رده على بشر أيضاً:

قد يتفق أهل البدع مع أهل السنة على أن بعض الأحاديث من وضع الزنادقة وهي غير ثابتة فيتكلف أهل البدع ذكرها وتأويلها تأويلاً يتفق مع مذهبهم ، وهذا من التناقض لأن الحديث لما يثبت أنه كذب فكيف يتكلف تأويله وبيان معناه ، فإن هذا لون من ألوان التناقض ، ولو أنه لم يحكم بوضعه لكان تأويله قابل لأن يناقش ويبين صوابه من خطأه أما في مثل هذه الصورة فالأصل أن يبين لهم أن هذا تناقض منهم والحديث الموضوع يطرح ولا تناقش دلالته .

مما أورده أهل البدع من الأحاديث وذكروا أنها موضوعة غير صحيحة –وهم على حق في هذا – حديث: (أن النبي ﷺ رأى ربه جعداً أمرد عليه حلة خضراء) (٢) ومن صور التناقض أنهم لما حكموا بوضعه تكلفوا تأويله وبيان معنى صحيح ، ويكفي في هذا أنه كذب على النبي ﷺ ؛لأن فيه إيهاماً للناس بثبوت هذا الحديث المكذوب الذي وضعته الزنادقة .

قال الإمام الدارمي :"فقلنا لهذا المعارض المناقض : أليس قد زعمت في صدر كتابك أن هذا الحديث من وضع الزنادقة ؟ ثم تدعي هاهنا أن أهل العلم فسروه أنه صورة جبريل ، **وأي صاحب علم يفسر أحاديث الزنادقة، يوهم الناس أنها عن رسول**

(١) الرد على بشر (١/ ٣٧٣).

(٢) الحديث سبق الكلام عليه في هذا الباب في الفصل الأول –المبحث الثاني .

الله ﷺ ؟ إلا أن يكون زعماؤك هؤلاء المعطلون ؟.."(١)

٤. من صور التناقض مخالفتهم للأصول والقواعد التي وضعوها:

وهذه الصورة من أجلى الصور وأكثرها وضوحاً في بيان تناقضهم ، وهي نتيجة حتمية لكل من وضع منهجاً أو قانوناً يخالف فيه الكتاب والسنة ، فكلما ابتعد الإنسان عن الوحي في تقريراته و تقعيداته ازداد تناقضاً واضطراباً .

والأمثلة في هذا كثيرة جداً منها على سبيل الإجمال ما يلي :

المثال الأول :الإمام أحمد في الرد على الجهمية والزنادقة :

مما بين فيه الإمام أحمد تناقض أهل البدع من الجهمية والمعتزلة في مسألة خلق القرآن أن هذا لا يجري على القواعد والأصول التي وضعوها.

وبيان ذلك : أن الإمام أحمد ذكر ما أمر الله به من القول ، وما نهى عنه من القول وأنه لم يذكر من المأمور به : قولوا عن القرآن :إنه مخلوق ، ولا من المنهي عنه :لا تقولوا :إنه كلامي .(٢)

قال -رحمه الله -:"وقد سألت الجهمية :أليس إنما قال الله :﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ١٣٦] ، ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا ﴾ [البقرة :٨٣] ، ﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ ﴾ [العنكبوت : ٤٦] ، ﴿وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ [الأحزاب : ٧٠] ، ﴿فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :٦٤] ، ﴿ وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡ﴾ [الكهف :٢٩] ، وقال:﴿ فَقُلۡ سَلَٰمٞ ﴾ [الأنعام :٥٤] ،ولم نسمع الله يقول : قولوا إن كلامي خلق .

وقال :﴿وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ﴾ [النساء :١٧١] ، وقال : ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا ﴾ [النساء : ٩٤] ، وقال:﴿لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا ﴾ [البقرة : ١٠٤] ، ..... فهذا ما نهى الله عنه ، ولم يقل لنا لا تقولوا : إن القرآن

---

(١) الرد على المريسي (٢/ ٨١٥).

(٢) انظر: التسعينية(٢/ ٥١٣).

كلامي " أ.هـ مختصراً. [١]

قال شيخ الإسلام معلقاً على كلام الإمام أحمد :

" قلت وهذه حجة قوية ، وذلك أن القرآن لو كان كما يزعمه الجهمية مخلوقاً منفصلاً ، كالسماء والأرض وكلام الذراع والأيدي والأرجل ؛لكان معرفة ذلك واجباً ،ولاسيما وعند الجهمية من المعتزلة وغيرهم أن معرفة ذلك من أصول الإيمان الذي لا يتم الإيمان إلا به ..." أ.هـ. [٢]

بمعنى أنه لو كان واجباً كما يزعمون ومن أصول الإيمان للزم أن يكون قد أفصح الله عنه بأوضح عبارة وعليه فهذا مناقض لأصلكم فيلزمكم أن تقولوا أنه ليس من أصول الإيمان وتنقضون أصلكم .

قال شيخ الإسلام :" فإذا كان الأمر كذلك كان بيان ذلك من الواجبات ، فإذا لم يأمر الله به قط مع حاجة المكلفين إليه ، ومع أن تأخير البيان عن وقت الحاجة لا يجوز ؛ علم أنه ليس مأموراً به ولا واجباً وذلك يبطل قولهم " أ.هـ. [٣]

فالإمام أحمد بين تناقضهم في تقريرهم هذا الأصل ثم هم ينقضونه أثناء ذكر بعض هذه البدع المحدثة كالقول بخلق القرآن وغيرها .

المثال الثاني :الدارمي في رده على بشر :

بين الإمام الدارمي في أكثر من موضع أثناء رده على بشر المريسي مناقضة أهل البدع لما ذكروه من أصول وقواعد ولعلنا نذكر ثلاثة مواضع للتمثيل :

الموضع الأول :

مما نفاه أهل البدع الرؤية وكان مما استدلوا به قوله تعالى :﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ ﴾ [الأنعام :١٠٣] وقالوا في الدنيا والآخرة وأن الذي يرى أفعاله وآياته ثم

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ص١١٨-١١٩ .

(٢) التسعينية (٢/ ٥١٤-٥١٥).

(٣) التسعينية (٢/ ٥١٥).

قالوا ونكل تفسيرها إلى الله .

فقال الدارمي مبيناً تناقضهم :" فيقال لهذا التائه ، الذي لا يدري ما يخرج من رأسه وينقض آخر كلامه أوله : أليس قد ادعيت في أول كلامك أنه على ما ذهب إليه من قال : لا تدركه الأبصار في الدنيا و الآخر ، أنه يرى آياته وأفعاله ، فيجوز أن يقول : رآه ، ثم قلت في آخر كلامك: فقد وكلنا تفسيرها إلى الله ، أفلا وكلت التفسير إلى الله قبل أن تفسره ؟

وزعمت أيضاً في أول كلامك أنه لابد من معرفة ذلك ، ثم رجعت عن قولك فقلت :لا بل نكله إلى الله ،فلو كان لك ناصح لحجر عليك الكلام " أ.هـ.(١)

الموضع الثاني :

من الأصول التي قررها الجهمية أن الله في كل مكان –تعالى الله عما يقولون– ونجد أن الإمام الدارمي يبين أنهم يناقضون هذه الأصول ببعض بدعهم الحادثة ، ومن ذلك أنهم نفوا أن يضع الله قدمه على نار جهنم ، فألزمهم الدارمي بأن يثبتوا هذا الأمر لأن الله بزعمهم في كل مكان ومنها جهنم .

قال –رحمه الله –:" وكيف يستحيل أيها المريسي ما وصف رسول الله ﷺ من وضع القدم في جهنم ؟ وأنت تزعم أن الله بكماله في جهنم قبل أن يملأها ، وبعد ما ملأها ؛ لأنك تزعم أنه لا يخلو منه مكان ، فجهنم من أعظم الأمكنة فأنت أول من كذب بالآية إذ تدعي أن جهنم ممتلئة من الجبار–تعالى الله عن وصفك .....فيقال لك أيها المريسي : فأنت أول من جعلته من الجنة والناس ومن تبع إبليس إذ تزعم أنه لا تخلو منه جهنم ولا شيء من الأمكنة ، أفبعض أوحش أم كل ؟.." أ.هـ باختصار.(٢)

الموضع الثالث :

بين الدارمي أن أهل البدع قرروا أنه لا يجوز الاجتهاد في صفات الله بالرأي وبين

---

(١) الرد على بشر (١/ ١٩٤).

(٢) الرد على المريسي(١/ ٤٠٣-٤٠٤).

أنهم متناقضون إذ جميع تقريراتهم تقوم على مناقضة ومضادة هذا الأصل فيقول –رحمه الله–: "وادعيت أيضاً في صدر كتابك هذا أنه لا يجوز في صفات الله تعالى اجتهاد الرأي ، وأنت تجتهد فيها أقبح الرأي ..." أ.هـ.[١]

والأمثلة في هذه الصورة كثيرة.[٢]

٥. الاستدلال ببعض الدليل وترك بعضه :

وهذه من الصور الواضحة ومن الإيمان ببعض الكتاب والكفر ببعض ، فنجد أن أهل البدع وهم أهل الأهواء يأخذون ما يوفق هواهم من الدليل الواحد ويتركون ما يخالف هواهم وبدعتهم .

وهذا من التناقض الواضح فكيف تأخذ بجزء الدليل وتترك الجزء الآخر بدون ذكر ما يبرر ذلك .

مثال هذه الصورة : ابن نصر في تعظيم قدر الصلاة :

مما احتج به المرجئة على أن الإيمان هو الاعتقاد بالقلب واللسان ولم يدخلوا الأعمال قوله ﷺ: " الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، و إقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة "وغيرها من الفرائض .

قال الإمام محمد بن نصر :" فلم جعلت المرجئة الشهادة إيماناً ، ولم تجعل جميع ما جعله النبي ﷺ من الإسلام إيماناً ؟ وكيف جعلت بعض ما سماه النبي ﷺ إسلاماً إيماناً ، ولم تجعل جميعه إيماناً وتبدأ بأصله ، وتتبعه بفروعه ، وتجعله كله إيماناً" أ.هـ.[٣]

وهذا الإلزام يشمل كل طوائف أهل البدع لأنهم أخذوا ببعض النصوص وتركوا البعض الآخر ، ولم يذكروا فرقاً واضحاً أو أمراً يبرر هذا التفريق .

٦. تناقضهم في أقيستهم العقلية :

مر معنا في مبحث الأدلة العقلية أن أهل السنة بينوا فساد الأقيسة العقلية التي قال

---

(١) المصدر السابق (٢/ ٧٩٨).

(٢) انظر : تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٧٢٩-٧٣٠، ٧٤٣).

(٣) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٧٠٢).

بها أهل البدع ومن صور بيان فساد هذه الأقيسة تناقضهم في تقريرها .

فأهل البدع يقررون أصلاً ثم يقيسون قياساً يناقض هذا الأصل .

ومن الأمثلة على هذا التناقض : أن أهل البدع قرروا أصلاً وهو عدم جواز أن يقاس الله بشيء من خلقه ، ولكنهم ناقضوا هذا الأصل وأبطلوه أثناء تقريراتهم .

ومن ذلك أنهم نفوا صفة اليدين التي جاءت بها النصوص ومن ضمن ما احتجوا به القياس الفاسد يبينه لنا الإمام الدارمي فيقول :" ثم لم يرض الجاهل المريسي مع سخافة هذه الحجج ، حتى قاس الله في يديه اللتين خلق بهما آدم أقبح القياس ، وأسمجه بعدما زعم أنه لا يحل أن يقاس الله بشيء من خلقه ، ولا بشيء هو موجود في خلقه ، ولا يتوهم ذلك ..." أ.هـ.(١)

٧. بيان تناقضهم من خلال بيان لوازم أقوالهم :

حينما يقرر أهل البدع بعض بدعهم يظهر تناقضهم من خلال بيان ما يلزم على هذه البدع من أمور تناقض ما قرروه في كتبهم وقواعدهم .

المثال على هذه الصورة: الإمام أحمد في الرد على الجهمية :

مما احتج به الإمام أحمد على الجهم أنه قال –أي الجهم -: "إن الله شيء لا كالأشياء " وبين الإمام أحمد أن هذا باطل ويناقض أصول أهل البدع كذلك .

فقال –رحمه الله -:"وقلنا : هو شيء؟ فقالوا : هو شيء لا كالأشياء ، فقلنا : إن الشيء الذي لا كالأشياء قد عرف أهل العقل أنه لاشيء .

فعند ذلك تبين للناس أنهم لا يؤمنون بشيء ، ولكن يدفعون عن أنفسهم الشنعة بما يقرون من العلانية " أ.هـ.(٢)

قال شيخ الإسلام – معلقاً على كلام الإمام أحمد-:

" ولما قالوا :"هو شيء لا كالأشياء " علم الأئمة مقصودهم ، فإن الموجودين لابد

---

(١) الرد على بشر المريسي (١/ ٢٣٤-٢٣٥).

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة ص١٠٥.

أن يتفقا في مسمى الوجود ، والشيئين لا بد أن يتفقا في مسمى الشيء ، فإذا لم يكن هناك قدر اتفقا فيه أصلاً ، لزم أن لا يكونا جميعاً موجودين وهذا مما يعرف بالعقل " أ.هـ.(١)

وقال أيضاً: " وهذا الذي نبه عليه الإمام أحمد من أن مسمى الشيء والوجود ونحو ذلك، معنى عام كلي تشترك فيه الأشياء كلها والموجودات كلها هو: المعلوم بصريح العقل الذي عليه عامة العقلاء .

ومن نازع فيه فلابد أن يقول به أيضاً فيتناقض كلامه في ذلك .." أ.هـ.(٢)

فظهر تناقضهم من خلال بيان لوازم قولهم.(٣)

٨. **من صور تناقضهم عدم وجود ضابط واضح وفرق بين ما يتأول وما لا يتأول:**

وذلك أنك تجد الطائفة الواحدة لها أكثر من قول وكل قول ينقض الآخر ويضاده ، بل إن الشخص الواحد في الكتاب الواحد ينقض كلامه أكثر من مرة.(٤)

وبين شيخ الإسلام أنهم متناقضون في الشرعيات والعقليات فقال –رحمه الله-:

"**أما الشرعيات** فإنهم-يعني الأشاعرة- تارة يتأولون نصوص الكتاب والسنة ، وتارة يبطلون التأويل ،فإذا ناظروا الفلاسفة والمعتزلة الذين يتأولون نصوص الصفات مطلقاً ، ردوا عليهم وأثبتوا لله الحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر ونحو ذلك من الصفات ، وإذا ناظروا من يثبت صفات أخرى دل عليها الكتاب والسنة كالمحبة والرضا والغضب والمقت والفرح والضحك ونحو ذلك تأولوها ، **وليس لهم فرق مضبوط بين ما يتأول ومالا يتأول** ...." أ.هـ.(٥)

ولكن أهل السنة وضعوا ضوابط لما يتأول من الكلام وما لا يتأول.(٦)

---

(١) درء التعارض (٥/ ١٧٨).
(٢) المصدر السابق (٥/ ١٧٩).
(٣) انظر من الأمثلة كذلك : تعظيم قدر الصلاة للمروزي (٢/ ٧٨٢).
(٤) انظر على سبيل المثال : رد الدارمي على المريسي (١/ ٤٩٣، ٥٠٦، ٥١١).
(٥) التسعينية (٣/ ٩٤٤).
(٦) عقد الإمام ابن القيم فصلاً في الصواعق المرسلة (١/ ٣٨٢) بعنوان : (الفصل السادس عشر : في بيان ما يقبل التأويل من الكلام ومالا يقبله).

المبحث الثامن

نقلهم لما حدث من مناظرات مع أهل البدع

تمهيد:

• من الجوانب المهمة التي نوّه ونبه عليها السلف في كتبهم ما يخص مناظراتهم مع أهل البدع لما لهذا الجانب من تاريخ يبرز قدرة السلف على إفحام خصومهم ويدل دلالة واضحة على عمق فهمهم ، وأنهم رغم مجانبتهم لعلم الكلام والفلسفة إلا أنهم لم يغفلوا هذا الجانب .

وقد ذكرت لنا المصادر العلمية المتنوعة العديد من المناظرات بين أهل السنة وبين أهل البدع على مر العصور عموماً وخلال القرون الثلاثة الأولى خصوصاً[(١)].

ولكن الذي يهمنا في هذا المبحث ما يلي :

١- أن نذكر المناظرات التي نقلها السلف في مصنفاتهم في الاعتقاد خلال القرون الثلاثة الأولى .

٢- ذكر المناظرات الحقيقية وليست التي تذكر على سبيل التعليم والافتراض ، لأننا نتعرض لما ذكروه من مناظرات حقيقية ومنهجهم كما سوف يأتي .[(٢)]

٣- أن نتعرض أثناء ذكرنا لهذه المناظرات للإشارة إلى منهجهم في تلك المناظرات.

٤- يدخل ضمن المناظرات الإشارة إلى المناظرة أو إلى جزء منها ولا يشترط ذكرها كاملة .

٥- نقصد بذكر منهجهم أي : منهجهم في ذكر المناظرات في كتبهم وليس المقصود منهجهم في المناظرات نفسها وآدابها وشروطها ونحو ذلك فهذا ليس له علاقة

---

(١) هناك بحث متميز غني بذكر مناظرات السلف ومنهجهم في تلك المناظرات لأخينا الشيخ عثمان علي حسن وعنوان بحثه (منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد) ط.دار إشبيليا ط.الأولى ١٤٢٠هـ، وهي مقدمة كرسالة لنيل درجة الدكتوراة بإشراف الشيخ عبدالرحمن البراك.

ومما يخص المناظرات خلال القرون الثلاثة الأولى :هناك مشـ م العقيدة بجامعة الإمام بعنوان جهود علماء السلف خلال القرون ويدخل من ضمن الجهود .

(٢) توسع الشيخ عثمان على حسن فذكر حتى المناظرات المفترضة انظر على سبيل المثال (٢/ ٨٩٢)، ولاعيب في ذلك لأن الرسالة متخصصة في هذا الموضوع بعينه .

مباشرة ببحثنا.

المناظرة مع أهل الباطل منهج شرعي :

جاء في كتاب الله تعالى أن من وسائل الدعوة وإقامة الحجة على من ضل عن سواء السبيل المجادلة والمناظرة بالتي هي أحسن .

قال جل وعلا :﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل : ١٢٥].

قال الشوكاني في تفسير هذه الآية :" الداعي قد يحتاج مع الخصم إلى استعمال المعارضة والمناقضة ونحو ذلك من الجدل ؛ ولهذا قال سبحانه :﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ أي : بالطريق التي هي أحسن طرق المجادلة ، وإنما أمر سبحانه بالمجادلة الحسنة لكون الداعي محقاً وغرضه صحيحاً ، وكان خصمه مبطلاً وغرضه فاسداً" أ.هـ.(١)

وقال سبحانه : ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [العنكبوت : ٤٦].

وقد اختلف أهل التفسير هل هي محكمة أو منسوخة والراجح أنها محكمة كما رجح ذلك الطبري وغيره.

قال ابن كثير:" ..وقال آخرون بل هي باقية محكمة لمن أراد الاستبصار منهم في الدين، فيجادل بالتي هي أحسن ، ليكون أنجع فيه كما قال تعالى :﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل : ١٢٥]وقال تعالى لموسى وهارون حين بعثهما إلى فرعون: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه :٤٤] ، وهذا القول اختاره ابن جرير وحكاه عن ابن زيد" أ.هـ.(٢)

المناظرة مع الباطل منهج الأنبياء والرسل :

قال سبحانه عن قصة نوح وقومه :﴿ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدْ جَٰدَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَٰلَنَا

---

(١) فتح القدير (٣/ ٢٠٣).

(٢)تفسير ابن كثير (٦/ ٢٧٠٠).

فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [هود :٣٢].

وهذا إبراهيم الخليل عليه السلام يقص الله لنا محاجته للنمروذ بن كنعان فيقول : ﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنۡ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ إِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحۡيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة :٢٥٨].

وقص الله لنا المناظرة التي تمت بين موسى وفرعون أمام الملأ وكذلك بقية الأنبياء ، فهو منهج وأسلوب من أساليب إقامة الحجة ودمغ الباطل وقمعه وإظهار فساده وتبيين عواره للجهلة والمفتونيين به.

وقد استعمل هذا المنهج السلف الأوائل من الصحابة والتابعين ومن أتى بعدهم من أئمة الهدى في الرد على المبطلين وإقامة الحجة على المعاندين .

وأما أخبار الصحابة في المناظرة كثيرة ومن أشهرها **مناظرة ابن عباس للخوارج** والتي استطاع أن يقنع جزءاً كبيراً منهم ورجعوا وتركوا معسكر الخوارج.(١)

وكذلك مناظرة علي رضي الله عنه للخوارج وإقامة الحجة عليهم قبل قتلهم وقتالهم .(٢)

وناظر عمر اليهود (٣) في إثبات نبوة النبي ﷺ وأن جبريل هو المؤتمن على وحيه وبين لهم كذبهم وسوء مذهبهم وعداوتهم لجبريل وبسبب هذه المناظرة نزل قوله جل وعلا -مؤيداً ومصدقاً لقول عمر رضي الله عنه-:

﴿ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوّٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة : ٩٧-٩٨].

قال ابن عبد البر عقب ذكره هذه المناظرة :" وهو باب من الاحتجاج لطيف

---

(١) تقدم تخريجها ص ١٢ من هذا البحث.

(٢) انظر : جامع بيان العلم (٢/ ٩٦٤) برقم (١٨٣٥).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٥٧) برقم (١٨٢٣)، وصححها المحقق.

مسلوك عند أهل النظر " أ.هـ.[١]

وتناظر الصحابة يوم السقيفة من يلي أمر المسلمين حتى صار الحق إلى أهله ، وتناظروا بعد ذلك مع أبي بكر في أهل الردة حتى أقام عليهم الحجة أبو بكر.[٢]

كيف نجمع بين مشروعية الجدل والمناظرة وما تقدم من كراهية السلف للجدل والخصومات في الدين ؟

الجواب :تقدم معنا كراهية السلف للخصومات والجدال في الدين من غير حاجة ولا ضرورة ملحة ، وكذلك إذا كان الذي سوف يناظر غير مريدٍ للحق معاند و مكابر فإن مناظرة هؤلاء غير مجدية إلا إن كان فيه مصلحة أخرى كإظهار الحق لمن حضر المناظرة أو بيان فساد مذاهبهم عند أتباعهم المفتونين بهم وغيرها من المصالح .

قال ابن عبد البر –بعد أن نقل مناظرة عمر بن عبد العزيز للخوارج –:" فهذا عمر بن عبد العزيز –رحمه الله – وهو من جاء عنه التغليظ في النهي عن الجدال في الدين وهو القائل :" من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل " ، فلما اضطر وعرف الفَلَح في قوله و رجى أن يهدي الله به لزمه البيان فبين وجادل وكان أحد الراسخين في العلم –رحمه الله –.." أ.هـ.[٣]

وقال الإمام الآجري –رحمه الله –:" فإن قال قائل : فإن اضطرني الأمر وقتاً من الأوقات إلى مناظرتهم وإثبات الحجة عليهم ألا أناظرهم ؟

قيل له : الاضطرار إنما يكون مع إمام له مذهب سوء فيمتحن الناس ويدعوهم إلى مذهبه ، كفعل من مضى في وقت أحمد بن حنبل ثلاثة خلفاء امتحنوا الناس ، ودعوهم إلى مذهبهم السوء ،فلم يجد العلماء بداً من الذب عن الدين ، **وأرادوا بذلك معرفة العامة الحق من الباطل ، فناظروهم ضرورة لا اختياراً** ، فأثبت الله –تعالى– الحق

(١) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٥٧).
(٢) المصدر السابق (٢/ ٩٥٩).
(٣) المصدر السابق (٢/ ٩٦٧).

مع أحمد بن حنبل ، ومن كان على طريقته ، وأذل الله -تعالى - المعتزلة وفضحهم ، وعرّفت العامة أن الحق ما كان عليه احمد ومن تابعه إلى يوم القيامة ، وأرجوا أن يعيد الله الكريم أهل العلم من أهل السنة والجماعة من محنة تكون أبداً.." أ.هـ.(١)

أنواع الذين يناظرون:

قال ابن بطة:"اعلم يا أخي أن الذي تبلى به من أهل هذا الشأن لن يخلو أن يكون واحداً من ثلاثة :

-**إما رجلاً قد عرفت حسن طريقته وجميل مذهبه** ومحبته للسلامة وقصده طريق الاستقامة وإنما قد طرق سمعه من كلام هؤلاء الذين قد سكنت الشياطين قلوبهم فهي تنطق بأنواع الكفر على ألسنتهم وليس يعرف وجه المخرج مما قد بلي به فسؤاله سؤال مسترشد يلتمس المخرج مما بلي والشفاء مما أوذي إلى علمك، حاجته إليك حاجة الصادي إلى الماء الزلال وأنت قد استشعرت طاعته وأمنت مخالفته فهذا الذي قد افترض عليك توفيقه وإرشاده من حبائل كيد الشياطين وليكن ما ترشده به وتوقفه عليه من الكتاب والسنة والآثار الصحيحة من علماء الأمة من الصحابة والتابعين وكل ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة وإياك والتكلف لما لا تعرف وتمحل الرأي والغوص على دقيق الكلام فإن ذلك من فعلك بدعة وإن كنت تريد به السنة فإن إرادتك للحق من غير طريق الحق باطل ....

-**ورجل آخر يحضر في مجلس أنت فيه حاضر تأمن فيه على نفسك ويكثر ناصروك** ومعينوك فيتكلم بكلام فيه فتنة وبلية على قلوب مستمعيه ...فهذا أيضاً مما ترد عليه بدعته وخبيث مقالته وتنشر ما علمك الله من العلم والحكمة ولا يكن قصدك في الكلام خصومته ولا مناظرته وليكن قصدك بكلامك خلاص إخوانك من شبكته ...

-**وثالث مشؤوم قد زاغ قلبه وزلت عن سبيل الرشاد قدمه** فعشيت بصيرته واستحكمت للبدعة نصرته يجهده أن يشكك في اليقين ويفسد عليك صحيح الدين

---

(١) الشريعة للآجري (١/ ٤٥٤-٤٥٥).

فجميع الذين رويناه وكلما حكيناه في هذا الباب لأجله وبسببه فإنك لن تأتي في باب حصر منه و وجيع مكيدته أبلغ من الإمساك عن جوابه والإعراض خطأ به لأن غرضه من مناظرتك أن يفتنك فتتبعه فيملك وييئس منك فيشفى غيظه أن يسمعك في دينك ما تكرهه فاخسئه بالإمساك عنه وأذِلْه بالقطيعة له ..." أ.هـ.(١)

منهجهم في ذكر المناظرات في كتبهم :

نقلت لنا المصادر العلمية ككتب التراجم والتواريخ والموسوعات مناظرات عديدة للسلف مع أهل البدع ، ولكن نقل السلف للمناظرات في كتبهم -وهو الذي يخص بحثنا- لم يكن بتلك الكثرة ، ولهذا ليس من هدفنا جمع واستقصاء المناظرات التي خاضها السلف مع خصومهم من أهل البدع .

ومن خلال جمع هذه المناظرات يمكن أن نستخلص منهجهم في هذه المناظرات في الأمور التالية :

١ . إفرادهم مصنفات خاصة بذكر المناظرات:

لقد بلغ اهتمام السلف بالمناظرات وما جرى فيها وتدوينها وذكر تفاصيلها أن أفردوا لها مصنفات مستقلة ،تذكر فيها جميع الحجج للطرفين وكيف استطاع أهل السنة كبت أهل البدع وإقامة الحجة عليهم وإظهار ضعف وعجز أهل البدع أمام أهل السنة .

ومما يمكن أن نستفيده من حرص السلف على إفراد مصنفات مستقلة بهذه المناظرات الأمور التالية :

أ- ثقة السلف بمنهجهم والحق الذي معهم ، ولم يجدوا أدنى غضاضة في ذكر تفاصيل المناظرة الدقيقة .

ب- إيراد كل ما يمكن أن يحتج به أهل البدع من شبهات ، وهذا يدل على ضعف ما يستدل به أهل البدع ولهذا كان السلف على قناعة بقوة ما عندهم وضعف ما عند خصومهم .

---

(١) الإبانة لابن بطة (٢/ ٥٤٠-٥٤٣)باختصار وتصرف.

ج- توثيق تاريخي وعلمي لأقوال أهل البدع ومذاهبهم ، ومناهجهم بحيث يكون أهل السنة على دراية تامة بحال خصومهم مهما تباعد الزمان والمكان.

د- نشر مذهب أهل السنة بطريقة جديدة وهي طريقة جذابة وشيقة ومقربة للحق الذي مع أهل السنة لجميع أصناف الناس الذين في مجتمعات المسلمين.

هـ- نشر منهج أهل السنة في الجدل والمناظرة وبيان الطريقة الصحيحة في مجادلة أهل الباطل .

و- إظهار ثبات أهل السنة على الحق الذي يؤمنون به ولو لقوا في سبيل ذلك أصنافاً من الترغيب والترهيب .

ز- إظهار وبيان ظلم أهل البدع وبغيهم وتعديهم على أهل السنة حال تمكنهم واغترار بعض الولاة بالباطل الذي معهم كما فعل بالإمام أحمد وغيره أيام المأمون والمعتصم والواثق الذين فتنوا بمذهب المعتزلة وتبنوا مسألة خلق القرآن ، وتأذى خلق كثير من أهل السنة بسبب هذه الفتنة .

ولعل من أبرز المناظرات التي أفردت بمصنفات هي :

أولاً : مناظرة الكناني لبشر المريسي المدونة في الكتاب المشهور بالحيدة :

وهذا الكتاب اشتهر بين الناس وعند العلماء في القديم والحديث ، ونقلها السلف في كتبهم زيادة على أنهم جعلوها مصنفة في كتاب مستقل ، وسيأتي بسط الكلام حول نسبة الكتاب للمؤلف وأهميته .

وقد نقل العلماء منه في القديم والحديث واستفادوا مما احتج به على بشر المريسي .

ومن أبرز ما يمكن أن يذكر حول الكتاب ما يلي :

أ-أن كتاب المناظرة (الحيدة)اشتمل على قواعد مهمة ينبغي استحضارها أثناء مجادلة أهل الباطلة كالاتفاق على أصل يرجع إليه ونحو ذلك من أصول المناظرات. [1]

---

(١) انظر : كتاب الحيدة بتحقيق د.الفقيهي ص٣١

ب-فيها ذكر لأبرز الأصول والقواعد التي يحتج بها أهل البدع وكيف تم نقضها وإبطالها فهي مرجع أساس في عقيدة أهل السنة وفي الرد على أهل البدع .

ج-أن فيها أنواعاً من الاستدلالات النقلية والعقلية على صحة مذهب أهل السنة قد لا توجد في غيرها.

د- فيها ذكر بعض ما يلزم من القول بمذهب المعتزلة من القبائح والشنائع التي تدل على سوء مذاهبهم وخبث مسالكهم .

هـ-بيان مقدرة السلف الفائقة في الجدل والمناظرة وتفوقهم في هذا العلم على أهل البدع مع قلة خوضهم وجدلهم ، وكثرة خوض أهل البدع وجدلهم ، فأهل السنة اضطروا إلى هذا الأمر ولم يكن أصلاً لديهم بخلاف أهل البدع الذين أقاموا دينهم على هذا الأصل.

و-ظهر أثر هذه المناظرة على المسلمين وكانت سبباً في ثباتهم على الحق الذي معهم فقد جاء في آخرها- بعد ما أظهر الله الحق وأزهق الباطل- ما نصه :" فسر المسلمون جميعاً بها وهبهم الله من إظهار الحق وقمع الباطل ، وانكشف عن قلوبهم ما كان قد اكتنفها من الغم والهم والحزن وجعل الناس يجيئون إلي أفواجاً حتى أغلقت بابي واحتجبت عنهم خوفاً على نفسي وعليهم من مكروه يلحقنا ، فقالوا : لا بد أن تملي علينا ما جرى لنعرفه ونتعلمه .." أ.هـ.(١)

فأصبحت هذه المناظرة وهذا الكتاب الذي يروي تفاصيلها من مصادر أهل السنة في تدوين عقيدتهم وأدلتهم على هذه العقيدة إلى يومنا.

ثانياً :كتاب المناظرة للإمام جعفر بن محمد الصادق :

وسيأتي مزيد بسط للكلام عن الكتاب وأهميته وتوثيق نسبته للمصنف .

وخلاصة هذه المناظرة بين رافضي يقدح في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وبين إمام من أئمة آل بيت النبي ﷺ وهو الإمام جعفر الصادق .

---

(١) الحيدة ص٨٦.

وهذه المناظرة يمكن أن نبين أهميتها فيما يلي :

أ- أن الذي دافع عن الصحابة الذين يقدح فيهم الرافضة إمام من أئمة آل البيت الذي يعد مرجعاً من مراجعهم وإماماً من أئمتهم ، ولهذا فهذه المناظرة فيها إقامة حجة قوية على الرافضة وأن مذهبهم يقوم على اتباع الهوى والقدح في صحابة رسول الله ﷺ .

ب- أن فيها ذكر ما يحتج به أهل البدع من متشابه الآيات حول صحابة رسول الله وفيها الجواب الكافي عن ذلك.

ج- أن فيها تقريراً واضح لاعتقاد أهل السنة تجاه صحابة رسول الله وآل البيت وبيان كذب ما يدعيه الرافضة من أن أهل السنة يقدحون في آل البيت.

د- نهاية المناظرة كانت نصراً لأهل السنة ورجوع الرافضي وتوبته عن مذهبه الفاسد وهذا أيضاً فيه زيادة حجة على الرافضة .

جاء في آخرها ما نصه:"فقال الرافضي : يابن رسول الله :أيقبل الله توبتي مما كنت عليه من التفريق بين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ؟

قال: نعم باب التوبة مفتوح ،فأكثر الاستغفار لهم ، أما إنك لو مت وأنت مخالفهم مت على غير فطرة الإسلام ، وكانت حسناتك مثل أعمال الكفار هباءً منثوراً .

فتاب الرجل ورجع عن مقالته وأناب " أ.هـ.[1]

٢. نقلهم للمناظرات تامة كاملة في مصنفاتهم :

نقل أهل السنة ما جرى بينهم وبين أهل البدع من مناظرات في كتبهم أو ما جرى لغيرهم من علماء أهل السنة مع أهل البدع.

والذي يهمنا ما نقله أهل السنة في مصنفاتهم خلال القرون الثلاثة الأولى ، وما

(١) المناظرة لجعفر الصادق ص ١٣٦ بتحقيق الشيخ علي الشبل ط.الأولى١٤١٧هـ.

كان بعدها فليس بداخل معنا –وهو كثير – إذ الأصل بيان منهجهم في ذكر هذه المناظرات خلال القرون الثلاثة الأولى فقط.

ولم تذكر لنا المصادر خلال القرون الثلاثة الأولى المناظرات كاملة إلا في مواضع يسيرة ، والغالب عليهم أن يذكروا موضع الشاهد أو يشيرون إليها إشارة كما سيمر معنا .

ومن أبرز المناظرات التي نقلها السلف في كتبهم كاملة ما يلي :

أ- مناظرة عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك لغيلان الدمشقي :

من أوائل البدع ظهوراً بدعة القول بالقدر وقد تصدى لها السلف بقوة وحزم بشتى وسائل الإنكار وإقامة الحجة والبيان على المخالف ،وكان من أبرز الوسائل في إقامة الحجة المناظرة والمجادلة مع المبطل لإقامة الحجة عليه وإزالة الشبهة عنه ومن ثم معاقبته إن لم يتب ويرجع عن ضلاله.

وكان من أبرز من اعتنى بهذا الأمر :الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رحمه الله .

مناظرة عمر بن عبد العزيز مع الخوارج :

وقبل أن نسرد مناظراته لابد أن نشير إلى أن هذا الخليفة الراشد كانت له عناية بمناظرة أهل البدع ، ومن المناظرات التي نقلت إلينا غير ما دون في كتب السلف في القرون الأولى: **مناظرته مع الخوارج أكثر من مرة** ، وكيف استطاع التأثير عليهم وإرجاع جزء كبير منهم إلى عقيدة أهل السنة والتوبة عما كانوا عليه من البدعة والضلال بأسلوب يدل على مقدرة السلف رحمهم الله على المجادلة والمناظرة لم يسبقوا إليه.[1]

مناظرة عمر مع غيلان الدمشقي :

وهنا سوف نتكلم عن مناظرته مع القدرية كما نقلها السلف في كتبهم خلال

---

(١) مناظرة عمر بن عبدالعزيز مع الخوارج أخرجها ابن عبدالبر بسنده في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ٩٦٥)برقم (١٨٣٦) . وأرسل عون بن عبدالله لمناظرتهم أيضاً وأخرجها كذلك ابن عبدالبر في جامعه (٢/ ٩٦٦)برقم (١٨٣٧).

القرون الثلاثة الأولى .

وقد أخرجها عبد الله بن أحمد في السنة بسنده عن أبي جعفر الخطمي قال :" شهدت عمر بن عبد العزيز وقد دعا غيلان لشيء بلغه في القدر فقال له :ويحك يا غيلان ما هذا الذي بلغنى عنك؟ قال يُكذَب عليّ يا أمير المؤمنين، ويُقال عليّ ما لم أقل ، قال: ما تقول في العلم ؟ قال:قد نفد العلم ؟ قال فأنت مخصوم ،اذهب الآن فقل ما شئت ، ويحك يا غيلان إنك إن أقررت بالعلم خصمت ، وإن جحدته كفرت ، وإنك أن تقربه فتخصم خير لك من أن تجحده فتكفر ثم قال : تقرأ ياسين ؟ قال : نعم ، فقال : اقرأ ﴿يسٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ فقرأ ﴿يسٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ إلى قوله :﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يس :١-٧] قال :قف ، كيف ترى ؟ قال : كأني لم أقرأ هذه الآية يا أمير المؤمنين ، قال :زد فقرأ ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس :٨-٩] قال: قال عمر: -رحمه الله -:قل ﴿ فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [يس :١٠] قال : كيف ترى؟ قال : كأني لم أقرأ هذه الآيات قط وإني لأعاهد الله أن لا أتكلم في شيء مما كنت أتكلم فيه أبداً ، قال : اذهب فلما ولى قال : اللهم إن كان كاذباً فيما قال فأذقه حر السلاح .

قال فلم يتكلم زمن عمر –رحمه الله – ، فلما كان زمن يزيد بن عبد الملك جاء رجل لا يهتم لهذا ولا ينظر فيه فتكلم غيلان ، فلما ولي هشام أرسل إليه فقال : أليس قد عاهدت الله عز وجل لعمر أن لا تتكلم في شيء من هذا الأمر أبداً ؟ قال : أقلتي فو الله لا أعود ، قال: لا أقالني الله إن أقلتك هل تقرأ فاتحة الكتاب ؟ قال : نعم ، قال :فاقرأ ، فقرأ ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

نَسْتَعِينُ ﴾ قال :قف ، علام استعنته ؟ على أمر بيده لا تستطيعه إلا به أو على أمر في يدك أو بيده ؟ اذهبوا به فاقطعوا يديه ورجليه واضربوا عنقه واصلبوه" أ.هـ.[١]

مناظرات جمع من السلف مع غيلان الدمشقي :

ولخطورة بدعة غيلان فقد ناظره عدد من السلف ورأوا أنه قد أقيمت عليه الحجة أكثر من مرة فلذلك أفتوا بقتله وصلبه .

فقد جاء عن الأوزاعي [٢]، وداود بن أبي هند [٣]، وإياس بن معاوية [٤] ،وربيعة بن عبد الرحمن [٥]، وميمون بن مهران [٦]، أنهم ناظروه وأقاموا عليه الحجة .

ما يستفاد من مناظرة عمر بن عبد العزيز وهشام بن عبد الملك مع غيلان:

أ-تثبت عمر بن عبد العزيز حيث قال (ما بلغني عنك) وسمع حجته من فيه.

ب-استعمل معه الحجة بكتاب الله الذي لا ينكره أي مسلم على وجه الأرض .

ج-أنه استعمل معه الحجج العقلية المستنبطة من نصوص الشرع .

د-أنه استخدم أسلوب الإقرار فجعله يقرأ الآيات ويبين له المعنى الذي تدل عليه وتنقض قوله ، مما جعله لا يستطيع أن يجيب على الحجة ويعترف بخطئه وضلاله.

هـ-عدله معه وأخذه بظاهر قوله وهذا يكذب ما يقوله بعض مبتدعة زماننا -لا كثرهم الله - أن الدوافع لعمر بن عبد العزيز في مناظرة غيلان وإغلاظ السلف -الذين

---

(١) أخرج هذه المناظرة : عبدالله بن أحمد في السنة (٢/ ٤٢٩-٤٣٠)برقم (٩٤٨). وأخرجها:الآجري في الشريعة بسند آخر (٢/ ٩٢٠)برقم (٥١٥). وابن بطة في الإبانة (٢/ ٢٣٤-٢٣٥) برقم (١٨٣٨) في القسم الثاني بتحقيق د.عثمان الأثيوبي . واللالكائي (٤/ ٧١٣)برقم (١٣٢٣)،(١٣٢٥)،(١٣٢٦). وأشار إليها الملطي في التنبيه والرد ص ١٧٧ .

(٢) أخرجها اللالكائي (٤/ ٧١٨) برقم (١٣٣٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٦/ ٣٧٧).

(٤) انظر: منهج الجدل والمناظرة (٢/ ١٠٦٩).

(٥) المصدر السابق (٢/ ١٠٧٣).

(٦) المصدر السابق (٢/ ١٠٧٤).

هم في عصره-له دوافع سياسية ، وهذا والله من أعظم الكذب على سلف الأمة وقدح لهم بما ليس فيهم ، واتهام لهم في أمانتهم وعدالتهم ، فإن مؤدى هذا القول هو الطعن في السلف وأن جهودهم في الدفاع عن العقيدة والدين لم تكن لنصرة الدين والذب عنه بل كانت لأغراض شخصية ومطامع دنيوية ، وهذه القصة تبين كذبهم وخيانتهم العلمية وعدم إظهارهم الحق ، ولكن اتباع الهوى لا دواء له.

ب- مناظرة الدارمي لرجل يدافع عن الجهمية وينكر على من كفرهم:

عقد أبو سعيد الدارمي في كتابه الرد على الجهمية باباً بعنوان : (باب الاحتجاج في إكفار الجهمية).

وأدرج هذا الباب خلاصة مناظرة حصلت له مع رجل ببغداد ينافح عنهم وينكر على من كفرهم .

قال أبو سعيد :" ناظرني رجل ببغداد منافحاً عن هؤلاء الجهمية فقال لي : بأية حجة تكفرون هؤلاء الجهمية ،وقد نهي عن إكفار أهل القبلة ؟ بكتاب ناطق تكفرونهم ، أم بأثر، أم بإجماع ؟

فقلت : ما الجهمية عندنا من أهل القبلة ، وما نكفرهم إلا بكتاب مسطور ، وأثر مأثور ، وكفر مشهور.

فأما الكتاب (.........ثم سرد الأدلة ثم قال):

فقال لي المناظر الذي ناظرني : أردت إرادةً منصوصة في إكفار الجهمية باسمهم ، وهذا الذي رويت عن علي في الزنادقة !

فقلت : الزنادقة والجهمية أمرهما واحد ، ويرجعان إلى معنى واحد ومراد واحد ..

(ثم سرد النصوص والحجج التي تدل على كفرهم من الكتاب والسنة وأنه لا فرق بينهم وبين الزنادقة الذين كفرهم الصحابة وحكموا عليهم بالقتل ، وعقد باباً تابعاً لهذا الباب بعنوان (باب قتل الزنادقة والجهمية واستتابتهم من كفرهم) وهو آخر باب في كتابه وقال في آخر ه):

ولكنا نكفرهم بما تأولنا فيهم من كتاب الله عز وجل ، وروينا فيهم من السنة وبما حكينا عنهم من الكفر الواضح المشهور الذي يعقله العوام .." أ.هـ.(١)

وهذه المناظرة يمكن أن تدلنا على أمور:

أ- أن موضوعها الرئيس والمحور الذي تدور عليه حول موضوع تكفير الجهمية وقتلهم.

ب- أن المناظرة حدثت حقيقة وليست على غرار ما يستخدمه بعض المصنفين لتقريب المسائل، ويفترض -خيالاً لا حقيقة- وقوع مناظرة بين سني وبدعي ، والدليل على هذا أنه نص على ذلك بقوله " **ناظرني رجل ببغداد**" ولو كانت غير حقيقة لمن يقل هذا.

ج- لم يفصح الدارمي عن طبيعة هذا الرجل هل هو من أهل السنة المغرر بهم أو هو من أهل البدع .

د- جعل الفصلين الأخيرين من كتابه الرد على الجهمية قائمين على المناظرة بينه وبين هذا الرجل البغدادي .

ج- مناظرة ابن قتيبة لأحد الجهمية حول خلق القرآن:

نقل لنا الإمام ابن قتيبة مناظرة كاملة جرت بينه وبين أحد الجهمية القائلين بخلق القرآن وإليك نصها كما ساقها الإمام -رحمه الله-:

قال :"وقد كان بعض الجهمية سألني مرة عن تكلم الناس في الحرف والحرفين ، ولذلك أصل في الكتاب ، أم مخلوق هو أم غير مخلوق؟

فقلت: هو غير مخلوق ما لم يقصد به إلى تلاوة القرآن .

فقال لي: فإذن القرآن يصير كلاماً بنيتك ، والكلام يصير قرآناً بنيتك .

قلت له : إن القول القليل قد يتغير بالنية والقصد ، وأنا أقر لك بذلك .

ثم قلت له : أما تعلم أن (لا إله إلا الله) رأس الإيمان وكلمة التوحيد .

---

(١) الرد على الجهمية .

قال : بلى.

قلت : فما تقول في ملحدٍ قال : (لا إله) يريد النفي ، ماذا تكون كلمته ؟

فقال : كفراً .

قلت : فإذن شطر كلمة التوحيد قد صار كفراً بالنية .

ثم قلت له : ما تقول في مؤمن أراد أن يقول :(لا إله إلا الله).

فقال:(لا إله) ثم انقطع نفسه وسطها .ما كان قوله؟.

قال :إيماناً بحاله .

قلت له :فإذن ما كان هناك كفراً بالنية قد صار هاهنا إيماناً بالنية .

وقلت له :ما تقول أنت في القرآن ؟

قال: مخلوق .

قلت :وفي أفعال العباد ؟

قال غير مخلوقة .

قلت :ما تقول في قول الله :﴿وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾[التوبة : ١١٤] ما هو ؟

قال :آية .

قلت :فهي عندك أمخلوقة أم غير مخلوقة ؟

قال :مخلوقة .

قلت :فإن دعبل بن علي الشاعر جعلها بيتاً في شعر له طويل فقال :

ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنينا

فما هي في شعر دعبل ؟

قال :قول لدعبل .

قلت :مخلوق أم غير مخلوق .

قال :بل غير مخلوق.

قلت : فأراه صار فعلاً بالنية وخلقاً بالنية فما الذي أنكرته من قولنا هذا ؟" [(١)].

٣. نقل المناظرة عن صاحبها مباشرة :

من طرائقهم في عرض المناظرات في كتبهم أن صاحب الكتاب يسند المناظرة مباشرة عن صاحبها مباشرة .

ومن فوائد هذه الطريقة توثيق نسبة المناظرة وما حدث فيها ، وتوثيق ما ينسب إليهم حتى لا يقال فيهم ما لم يقولوه.

ومن الأمثلة على هذه الطريقة :

المثال على هذا النوع :مناظرة أبي خيثمة مع رجل يقال له (مثنى):

قال عبد الله بن أحمد في كتابه السنة :

"سمعت أبا خيثمة زهير بن حرب قال : اختصمت أنا ومثنى ، فقال مثنى : القرآن مخلوق ، وقلت أنا كلام الله ، فقال وكيع –وأنا أسمع – هذا كفر ، من قال :إن القرآن مخلوق هذا كفر .

فقال مثنى : يا أبا سفيان قال الله عز وجل: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء :٢] فأي شيء هذا ؟ [(٢)]

فقال وكيع : من قال القرآن مخلوق هذا كفر " أ.هـ.[(٣)]

فالمصنف هنا اختصر المناظرة لأن غرضه جمع أقوال وكيع فيمن قال بأن القرآن

(١) الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة ص٦٦-٦٨.

(٢) المصنف هنا لم ينقل المناظرة كاملة ، لكن هذه الشبهة عرضت على الإمام أحمد –أثناء محنته – فأجاب عنها بقول الله تعالى :﴿ص والقرآن ذي الذكر ﴾ فقال هنا معرف بالألف واللام وهناك غير معرف والذي بالألف واللام هو القرآن .

وهناك جواب آخر وهو : أن الذكر المحدث ما يحدث من سامعيه وممن علمه وأنزل عليه ، لا أن القرآن محدث عند الله و أن الله كان ولا قرآن لأن القرآن من علم الله .

وأيضاً هو ما يحدثه الله عند نبيه وعند أصحابه والمؤمنين من عباده ومايحدثه عندهم من العلم مالم يسمعوه ، ولم يأتهم كتاب قبله ، ولا جاءهم به رسول .

أنظر : الإبانة لابن بطة (٢/ ١٨٤-١٨٥ ، ٢٥٠)تحقيق الوابل القسم الثالث.

(٣) أخرجها عبدالله في السنة (١/ ١١٦)برقم (٣٥).

مخلوق ، وسياق هذه المناظرة تحت الباب الذي عقده خاصاً بأقوال وكيع.[(١)]

ولأجل هذا جاءت مختصرة .

٤. ذكر خلاصة المناظرة وموضوعها:

من صور ذكرهم للمناظرات في كتب السلف خلال القرون الثلاثة الأولى أنهم يقتصرون على ذكر خلاصة المناظرة وذكر موضوع المناظرة ، طلباً للاختصار وإيرادها لغرض محدد يتبين من خلال السياق الذي سيقت فيه.

ومن الأمثلة على هذه الطريقة :

المثال الأول :مناظرة علي بن عاصم بن علي [(٢)] للجهم :

أخرج عبد الله في السنة قال :

" حدثت عن أحمد بن نصر عن علي بن عاصم بن علي قال :**ناظرت جهماً فلم يثبت أن في السماء رباً** ، جل ربنا عز وجل وتقدس " أ.هـ.[(٣)]

ومن خلال هذا النقل الموجز استفدنا ماحقيقة مذهب الجهم في العلو من خلال مناظرة السلف له.

المثال الثاني : علي يناظر الجهم : [(٤)]

قال البخاري في خلق أفعال العباد :" وقال علي: احذر المريسي وأصحابه ، فإن كلامه يستجلب الزندقة ، وأنا كلمت استاذهم جهماً فلم يثبت أن في السماء إلهاً " أ.هـ.[(٥)]

---

(١) السنة (١/ ١١٤).

(٢) لعله علي بن عاصم بن ابن صهيب أبو الحسن القرشي ولد سنة ١٠٧هـ وكانت وفاته سنة ٢٠١هـ فيمكن أن يدرك جهماً وقد بلغ عشرين سنة من عمره قبل موت الجهم .انظر: سير أعلام النبلاء (٩/ ٢٤٩).

(٣) أخرجها عبدالله بن أحمد في السنة (١/ ١٦٨)برقم (١٩١).

(٤) علق محقق خلق أفعال العباد وهو بدرالبدر بأن المقصود بعلي هو ابن المديني ، والظاهر أنه بعيد لأن الجهم توفي سنة (١٢٨هـ) وابن المديني ولد سنة (١٦٢هـ) فلايمكن أن يدركه ولا أدري من هو علي هذا ، ولعله أحد شيوخه ، أو يكون هو علي بن عاصم الذي سبق ذكره في المثال الأول والمعنى متقارب.

انظر : تاريخ مولد العلماء ووفياتهم للربعي (١/ ٣٧٧)تحقيق د.عبدالله الحمد ط.دار العاصمة ط.الأولى ١٤١٠هـ

(٥) خلق أفعال العباد ص١٦.

فالبخاري نقل لنا خلاصة مناظرة علي مع الجهم وهو أن الجهم ينفي العلو لله سبحانه .

٥. الاقتصار على موضع الشاهد من المناظرة :

في بعض المواضع يريد أهل السنة التدليل على مسألة معينة أو قضية محددة فيوردون ما ورد عن السلف في هذه المسألة ومن ذلك ما ينقل في مناظراتهم ، فيقتصرون على موضع الشاهد الذي يدل على ما يريدون.

المثال الأول :

مناظرة يزيد بن هارون [(١)] لشاذ بن يحيى [(٢)] **في بيان كفر المريسي :**

أخرج عبد الله في السنة عن إبراهيم الواسطي قال :"كنا عند يزيد بن هارون وشاذ بن يحي يناظره في شيء من أمر المريسي وهو يدعو عليه فتفرقنا على أن يزيد قال :من قال القرآن مخلوق فهو والله الذي لا إله إلا هو زنديق " [(٣)].

فموضع الشاهد الذي بينه من نقل المناظرة قول يزيد (**من قال القرآن مخلوق فهو والله الذي لاإله إلا هو زنديق**).

المثال الثاني : ابن المبارك يناظر الحلولية من الجهمية:

قال الإمام البخاري :"وقال-أي ابن المبارك- لرجل منهم : أتظنك خال منه؟ فبهت الآخر"أ.هـ[(٤)]

---

(١)يزيد بن هارون بن زاذي ،الإمام القدوة ،شيخ الإسلام ،أبو خالد السلمي مولاهم الواسطي الحافظ ،كان رأساً في العلم والعمل ،ثقةٍ حجةً، كبير الشأن ، سمع من :عاصم الأحول ،ويحي بن سعيد الأنصاري القاضي وغيرهما ، وحدث عنه : بقية بن الوليد وعلي بن المديني وأحمد بن حنبل وأبو بكر بن أبي شيبة وغيرهم ،قال علي بن المديني :ما رأيت أحفظ من يزيد بن هارون ، وقال أحمد بن حنبل : كان يزيد حافظاً متقناً، توفي سنة ست ومئتين .

انظر : السير (٩/ ٣٥٨) ،تهذيب التهذيب (١١/ ٣٢١) ،تاريخ بغداد (١٤/ ٣٤٧).

(٢) شاذ بن يحي الواسطي شيخ صدوق ، حدث عن :وكيع ويزيد ،وحدث عنه عباس العنبري وتميم بن المنتصر وغيرهم ، قال الحافظ :"مقبول".

انظر :السير (١٠/ ٤٣٤)، الجرح والتعديل (٤/ ٣٩٢)، تهذيب التهذيب (٤/ ٢٣٦) ،التقريب ص٤٢٩.

(٣) انظر :السنة (١/ ١٢٢) برقم (٥١).

(٤) خلق أفعال العباد ص١٥.

فالبخاري ذكر لنا موضع الشاهد من المناظرة وهو أن ابن المبارك استطاع أن يحتج على الحلولي الجهمي بالدليل العقلي بقوله (أتظنك خال منه؟) والمقصود : أي إذا زعمت أن الله في كل مكان فهل الله سبحانه حال فيك كذلك ؟ فهو إلزام يبين بطلان قولهم .

٦ . بيان ما يحتج به أهل البدع من الشبهات:

قد يورد أهل السنة بعض شبهات البدع ،ومن طرق توثيق هذه النقول عن أهل البدع ذكر ما حدث لهم من مناظرات مع أهل البدع ونقل احتجاجاتهم بهذه الشبهات.

من الأمثلة على هذه الصورة :

المثال الأول :مناظرة يحيى بن أيوب مع المريسي :

تقدم معنا ذكر هذه المناظرة أثناء كلامنا عن اهتمام السلف بالتثبت في النقل عن أهل البدع وعدم اتهامهم بما ليس فيهم ، ومن أبر الأمثلة ما حصل ليحيى بن أيوب .

قال عبد الله في السنة :" أخبرت عن يحيى بن أيوب قال :كنت أسمع الناس يتكلمون في المريسي فكرهت أن أقدم عليه حتى أسمع كلامه لأقول فيه بعلم ، فأتيته فإذا هو يكثر الصلاة على عيسى بن مريم صلوات الله عليه ، فقلت له إنك تكثر الصلاة على عيسى –فأهل ذاك هو – ولا أراك تصلي على نبينا، ونبينا ﷺ أفضل منه ؟

فقال لي : **ذلك كان مشغولاً بالمرآة والمشط والنساء** " أ.هـ.(١)

والفائدة من هذا النقل لهذه المناظرة بيان حقيقة أهل البدع وما هم عليه وبيان ضعف حجتهم وفساد مذاهبهم.

المثال الثاني :مناظرة رجل لعمرو بن عبيد :

أخرج عبد الله بن أحمد في السنة بسنده أن رجلاً ناظر عمرو بن عبيد وذكر كل منهم حجته. (٢)

---

(١) السنة (١/ ١٧٠)برقم (٢٠١)

(٢) انظر : السنة (٢/ ٤٣٧-٤٣٨)برقم (٩٧٥) ،ولم أذكرها كاملة طلباً للاختصار.

وهي تصلح لأن تكون مثالاً لهذه الصورة التي ذكرنا .

٧. الإشارة إلى المناظرة دون ذكر تفاصيلها وموضوعها وما حدث فيها:

وقد يذكر السلف أثناء بيانهم لحال أهل البدع أو لبيان إقامة الحجة على المخالفين أنهم ناظروا فلاناً من أهل البدع ولا يذكرون شيئاً عن تفاصيل تلك المناظرة .

ومن أبرز الأمثلة على هذه الصورة ما يلي :

المثال الأول:مناظرة علي بن أبي طالب لرجل من الخوارج يدعى (الجعد بن بعجة)[(١)]:

أخرج عبد الله في السنة بسنده عن زيد بن وهب قال :" قدم على علي ﷺ قوم من أهل البصرة من الخوارج فيهم رجل يقال له : الجعد بن بعجة فقال له : اتق الله يا علي فإنك ميت ، فقال علي ﷺ : بل مقتول قتلاً ضربة على هذا يخضب هذه –يعني لحيته من رأسه– عهد معهود وقضاء مقضي ،وقد خاب من افترى، وعاتبه في لباسه فقال:مالكم (وللباسي، هذا) [(٢)] أبعد من الكبر وأجدر أن يقتدي بي المسلم " أ.هـ.[(٣)]

والمصنف هنا أشار إلى هذه المناظرة القصيرة بين الخارجي وبين علي .

المثال الثاني :مناظرة عون بن عبد الله للخوارج بأمر من عمر بن عبد العزيز :

أشار عبد الله في السنة لهذه المناظرة وذكر طرفاً منها في كتابه. [(٤)]

المثال الثالث:الدارمي مع بعض المعطلة :

قال الإمام الدارمي في كتابه الرد على الجهمية :"**وقد كلمت بعض أولئك المعطلة ،**

---

(١) في السنة لعبدالله ولابن أبي عاصم (بعجة) وسكن محقق السنة لابن أبي عاصم العين وفي الحلية (نعجة) بالنون ، وفي المخطوط(ل١٠٦ نسخة الظاهرية) مهملة ومحركة العين بالفتح .

(٢) كذا في المخطوطة(ل١٠٦ نسخة الظاهرية) بهذا اللفظ:(مالكم وللباسي، هذا) وفي المطبوع خطأ جاءت بلفظ (مالكم وللباس هو) وهي غير مفهومة .

(٣) السنة (٢/ ٦٣٠)برقم (١٥٠٠).وأخرج هذه القصة : الإمام أحمد في المسند (١/ ٩١) وابن أبي عاصم في السنة (٢/ ٦٣٦) برقم (٩٥١).والطيالسي في مسنده ص٢٣. وأبو نعيم في الحلية (١/ ٨٢).

(٤) السنة (٢/ ٦٣٠-٦٣١)برقم (١٥٠٢).

وحدثته ببعض هذه الأحاديث ، وكان ممن يتزين بالحديث في الظاهر ويدعي معرفتها ، فأنكر بعضاً ورد رداً عنيفاً..."أ.هـ[(١)]

فالدارمي أشار إلى هذه المناظرة ولم يذكر لنا شيئاً من تفاصيلها.

المثال الرابع : الدارمي يناظر أحد المعطلة في قولهم بخلق القرآن :

أشار كذلك الدارمي إلى أنه كان يناظر بعضهم فكان مما قال :

" قلت لبعضهم : دعوا هذه الأغلوطات التي نحن بها أعلم منكم ،ولن ينزلكم الله من كتابه بالمنزلة التي يعتمد فيها على تفسيركم ، أو يقبل شيء من آرائكم " أ.هـ.[(٢)]

المثال الخامس : مناظرة سفيان الثوري لعمرو بن عبيد:

أخرج عبد الله بن أحمد في السنة بسنده عن سفيان بن عيينة قال:" قال لي سفيان الثوري اذهب بي إلى عمرو بن عبيد –وذلك قبل أن يعرفه– فذهبت إليه فكلمه ،أو جعل يسأله فكأن عمراً اتقاه فلما كان بعد قال لي : من ذاك الذي جئتني به ؟ قلت : سفيان الثوري .

قال: لو علمت لأخذته ، إنما ظننت أنه من أهل المدينة الذين يأخذون الناس من فوق" أ.هـ.[(٣)]

ومما يلحظ هنا أن المصنف لم يذكر لنا تفاصيل ما دار بين الثوري وعمرو بن عبيد .

المثال السادس :مناظرة أبي يوسف لبشر المريسي :

أخرج عبد الله عن أبيه الإمام أحمد قوله :" كنا نحضر مجلس أبي يوسف وكان بشر المريسي يحضر في آخر الناس فيشغب فيقول : إيش تقول؟ وايش قلت يا أبا يوسف ؟ فلا يزال يضج ويصيح فكنت أسمع أبا يوسف يقول: اصعدوا به إلي ، قال فجاء يوم فصنع مثل هذا ، فقال أبو يوسف :اصعدوا به إلي ، قال أبي رحمه الله (القائل عبد الله في

---

(١) الرد على الجهمية ص١٢٢.

(٢) الرد على الجهمية ص١٨٠.

(٣) السنة (٢/ ٤٤٠) برقم (٩٨٤).

السنة): وكنت بالقرب منه **فجعل يناظره في مسألة** فخفي علي بعض قوله فقلت للذي كان أقرب مني : ايش قال له أبو يوسف ؟ قال : لا تنتهي حتى تفسد خشبة " أ.هـ.(١)

فالإمام أحمد أشار إلى المناظرة ولم يذكر لنا تفاصيلها.

المثال السابع : مناظرة سفيان بن عيينة مع بشر المريسي :

أخرج عبد الله بسنده عن عبد الرحمن بن عبد الله بن سوار قال :" كنت عند سفيان بن عيينة ، فوثب الناس على بشر المريسي حتى ضربوه وقالوا: جهمي .

فقال له سفيان: يادويبة يادويبة ألم تسمع الله عز وجل يقول :﴿ **أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ** ﴾ [الأعراف :٥٤] فأخبر الله عز وجل أن الخلق غير الأمر .

قيل لسوار : فأيش قال بشر ؟ قال : سكت لم يكن عنده حجة " أ.هـ.(٢)

٨. الإشارة إلى ضلال أهل البدع أثناء مناظراتهم:

قد يذكر أهل السنة ما حدث لأهل البدع من مناظرات مع غير أهل السنة لبيان فساد طريقتهم في الاستدلال والحجاج والمناظرة .

وأبرز ما يمكن أن يمثل له :

مناظرة الجهم للسمنية :

فقد أوردها الإمام أحمد كاملة في كتابه الرد على الجهمية والزنادقة.(٣)

وأشار إليها البخاري في خلق أفعال العباد بقوله : " وقال ضمرة عن ابن شوذب : ترك جهم الصلاة أربعين يوماً على وجه الشك ، فخاصمه بعض السمنية فشك فأقام أربعين ليلة لا يصلي ،قال ضمرة:وقد رآه ابن شوذب " أ.هـ.(٤)

٩. الإشارة إلى شبهات أهل البدع التي استفادوها من خلال مناظراتهم معهم:

---

(١) السنة (١/ ١٧١) برقم (٢٠٣).

(٢)السنة لعبدالله (١/ ١٦٩)، والبخاري في خلق أفعال العباد ص١٩ (٣٧)مختصراً.

(٣) الرد على الجهمية والزنادقة ص١٠٢-١٠٤ .

(٤) خلق أفعال العباد ص١٦ برقم (١٩).

وذلك دون عزو إلى قائل منهم محدد بل يقولون مثلاً (لو قال لك الجهمي كذا فقل كذا).

كتاب الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد حصيلة مناظراته معهم :

من تأمل في كتاب الإمام أحمد وجد فيه أصول شبهات أهل البدع التي يدورون حولها ، والذي يظهر أن هذا حصيلة مناظراته لهم .

قال شيخ الإسلام : " وهذه المعاني مما ناظروا بها الإمام أحمد في المحنة ،وكان ممن احتج على أن القرآن مخلوق بنفي التجسيم : أبو عيسى محمد بن عيسى برغوث [(١)]، تلميذ حسين النجار ، وهو من أكابر المتكلمين ؛ فإن ابن أبي دؤاد كان قد جمع للإمام أحمد ما أمكنه من متكلمي البصرة وبغداد وغيرهم ممن يقول: إن القرآن مخلوق ، وهذا القول لم يكن مختصاً بالمعتزلة كما يظنه بعض الناس ....." .أ.هـ.

وذكر أنهم أصناف من غلاة المرجئة والجهمية والمعتزلة. [(٢)]

ولهذا جاء كتاب الإمام أحمد مستوعباً لغالب أصول أهل البدع ،لما ذكرنا من مناظرته لأنواع من أهل البدع فعرف كثيراً مما يرددونه ويحاولون أن يفتنوا الناس به.

ويمكن أن نعرض الآن لـ:

---

(١) تقدم التعريف به في المبحث الرابع من هذا الفصل.

(٢)مجموع الفتاوى (١٧/ ٢٩٩-٣٠٠) وانظر (١٤/ ٣٥٢) ، منهاج السنة (٢/ ٦٠٣-٦٠٤).

جدول يوضح المناظرات التي ذكرت في مصنفات السلف خلال القرون الثلاثة الأولى مرتبة على حسب تاريخ وفاة صاحب المناظرة:

المتناظرون	موضوع المناظرة	تاريخ الوفاة	المصدر
علي بن عاصم بن علي للجهم	العلو	----	السنة لعبد الله ١/ ١٦٩
مناظرة رجل لعمرو بن عبيد	في القدر	----	السنة ٢/ ٤٣٨
مناظرة ابن عباس للخوارج	في الإيمان	٦٨	المسند(١/ ٨٦)
مناظرة علي بن أبي طالب لرجل من الخوارج اسمه (الجعد بن بعجة)	عامة	٤٠	السنة (٢/ ٦٣٠)
مناظرة علي للجهم	عن العلو	------	خلق أفعال العباد ص١٦.
مناظرة عمر بن عبد العزيز لغيلان	في القدر	١٠١	السنة لعبد الله ٢/ ٤٢٩، الشريعة للآجري والتنبيه والرد للملطي
مناظرة ابن عون للخوارج بأمر من عمر بن عبد العزيز	الإيمان	قبل سنة ١٢٠	السنة٢/ ٦٣٠، ٦٤٢
مناظر سفيان الثوري لبشر	عامة	١٦١	السنة ٢/ ٤٤٠
مناظرة ابن المبارك لحلولية الجهمية	العلو	١٨١	خلق أفعال العبادص١٥.
مناظرة أبي يوسف لبشر	عن الرؤية	١٨٢	السنة١/ ١٧١
مناظرة عباد بن العوام للمريسي وأصحابه	إثبات العلو	١٨٥	السنة لعبد الله ١/ ١٢٧، ١٧٠
مناظرة سفيان بن عيينة لبشر	في خلق القرآن	١٩٨	السنة لعبد الله ١/ ١٦٨،خلق أفعال العباد
مناظرة يزيد بن هارون لـ شاذ بن يحيى	في شأن المريسي وبيان حاله	٢٠٦	السنة لعبد الله ١/ ١٢٢ ،١٧٠، خلق أفعال العباد
مناظرة ابن المديني للمريسي	إثبات العلو	٢٣٤	خلق أفعال العبادص١٦
مناظرة أبي خيثمة زهير بن حرب لمثنى	حول خلق القرآن	٢٣٤	السنة لعبد الله ١/ ١١٦

مناظرة يحيى بن أيوب لبشر	أمر النبوة	٢٣٤	السنة لعبد الله ١/ ١٧٠
مناظرة ابن قتيبة لأحد الجهمية	خلق القرآن	٢٧٦	الاختلاف في اللفظ ص٦٦
مناظرة الدارمي لبعض الجهمية	الرؤية	٢٨٠	الرد على الجهمية ص١٢٢
مناظرة الدارمي مع الجهمية	خلق القرآن	٢٨٠	الرد على الجهمية ص١٨٠
مناظرة الدارمي مع من لم يكفر الجهمية	تكفير الجهمية	٢٨٠	الرد على الجهمية ص١٩٨-٢٠٣

ويمكن من خلال هذا الجدول أن نخرج بالنتائج التالية :

١ .أن غالب المناظرات رويت ودونت في كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد .

٢ .أن غالب المناظرات كانت مع بشر المريسي ثم يأتي من بعده بقية أهل البدع ، وهذا يدل على خطورة ما يطرحه بشر وحرص السلف على نقض دعاواه .

٣ .تاريخ المناظرات تابع لتاريخ ظهور البدع ، فمن أوائل المناظرات كانت حول القدر لأن بدعة القدر من أوائل البدع ظهوراً.

٤ .أن غالب المناظرات كانت مع الجهمية حول نفي الصفات وعلى رأسها بدعة القول بخلق القرآن ونفي صفة العلو.

٥ .أن المناظرات كثرت في القرن الثالث وقلت في الثاني وندرت في الأول.

٦ .من أكثر المصنفين له عناية بالمناظرات التي قام بها بنفسه وحكاها عن نفسه: الإمام الدارمي في كتابيه (الرد على الجهمية والرد على بشر المريسي).

٧ .أن المناظرات تكثر مع من يكثر النظر في الكلام والفلسفة بخلاف البدع التي لم تشتغل بذلك قلت المناظرات معهم لعدم اشتغالهم بعلم الكلام،ومن نظر في كثرة المناظرات مع الجهمية وقلة المناظرات مع الخوارج علم وأدرك هذه القاعدة.

المبحث التاسع

موقفهم من كتب أهل البدع ومصنفاتهم

تمهيد:

تقدم معنا أن من عوامل التدوين لعلم العقيدة استقلالاً ما صنفه أهل البدع من مصنفات ، وذلك لعظيم أثر هذه الكتب على أديان الناس وعقائدهم.

وكان من أبرز المواقف التي قام بها السلف لمواجهة هذه الوسيلة الإعلامية التي تؤثر على الناس بأن استخدموا نفس الوسيلة وقاموا بتأليف الكتب والرسائل في الرد على هذه الكتب وبيان بطلان ما فيها بكل أنواع الأدلة النقلية منها والعقلية .

والباعث للسلف على التصدي بكل الوسائل لمنع ضرر هذه الوسيلة هو ما تقرر لديهم من قواعد الشرع الكلية بوجوب حفظ أعظم الضروريات الخمسة وهو حفظ الدين ولهذا قدموا حفظ الدين على كل أمر ، وكتب أهل البدع من الوسائل التي تؤدي إلى فساد أديان الناس فمواجهتها وإبطالها أولى من إبطال سائر من يريد العبث بأي ضروري من الضروريات .

وقد تنوعت أساليبهم بناءً على الأصلح في كل زمان وفي كل مكان ؛ فما يصلح في مكان قد لا يصلح في مكان آخر ، وما يصلح في زمان قد لا يصلح في زمان آخر ، فكانت أساليبهم تدور مع ما هو الأصلح لدين الناس وما يحقق المقصد الشرعي ؛ مع اتفاقهم على نبذ كتب أهل البدع و اطراحها وتحذير الناس منها.

وتقدم معنا أن السلف كانوا يرون أن الرد على أهل البدع وبيان باطلهم من أفضل أنواع الجهاد في سبيل الله ، ومن أعظم القربات التي يتقربون بها إلى الله .

وقد بين السلف أن الرد على أهل البدع والتصدي لكتبهم ليس من الأمور الممنوعة أو التي يلحق صاحبها حرج في دينه بل هو مما يمدح به وقد يكون واجباً عليه في بعض المواضع .

قال ابن رجب :"..فأما أهل البدع والضلالة ومن تشبه بالعلماء وليس منهم ؛ فيجوز بيان جهلهم ، وإظهار عيوبهم تحذيراً من الاقتداء بهم" أ.هـ.[1]

---

(١) الفرق بين النصيحة والتعيير ص١٢.

وقد بين العلماء أن ما أثر عن أهل البدع من هذه العلوم لا يجوز بثه ولا نشره ولا تعلمه ولا تعليمه .

قال الذهبي :" والعلم الذي يحرم تعلمه ونشره علم الأوائل وإلهيات الفلاسفة وبعض رياضتهم بل أكثره ، وعلم السحر ، والسيمياء [١]، والكيمياء [٢]، والشعبذة ، والحيل ، ونشر الأحاديث الموضوعة ، وكثير من القصص الباطلة أو المنكرة ، وسيرة البطال المختلفة ومثلها ، ورسائل إخوان الصفا ، وشعر يعرض فيه إلى الجناب النبوي ، فالعلوم الباطلة كثيرة جداً ، فلتحذر ..." أ.هـ.[٣]

ولا يلتفت هنا لما ينعق به أهل البدع بوصم بعض كتب السنة والحديث بأنها كتب مجسمة أو كتب يحرم قراءتها ، فأهل البدع لا غرابة في ذلك إذا صدر منهم مثل هذا الكلام لأنهم أعداء للسنة وحملتها فهم مع جهلهم بالسنة أعداء لها لأنها تفضح عوارهم وتكشف أستارهم .

وقد أنكر بعض أهل الرأي على ابن أبي شيبة كتابه المصنف لأنه بين ما خالفوا فيه السنة ، وحاولوا منع نشره وتداوله بين الناس كما حدث مع بقي مخلد في الأندلس لما صنف مسنده.[٤]

والذهبي كذلك يقص علينا عند ترجمة (أبي إسحاق إبراهيم بن أحمد المروزي)[٥]

---

(١) في اللغة العلامة كما نص على ذلك صاحب المفردات ص٤٣٨ في مادة (سام)، وانظر لسان العرب (١٢/ ٣١٢)مادة (سوم). وفي اصطلاح أهل الكلام : أمر من أمر الله أظهر آثاره في العالم الأرضي على سبيل أسماء وأرواح من آثار العلويات من النيران والكواكب والصور وهو نوع من السحر ،وهو غير الحقيقي من السحر ، وحاصله إحداث مثالات خيالية في الجو لا وجود لها في الحس . انظر : التوقيف على مهمات التعاريف ص٤٢٠، مفتاح السعادة ومصباح السيادة لطاش كبري زادة(١/ ٣١٦)

(٢) الكيمياء :قال صاحب مفتاح السعادة(١/ ٣١٧): "هو علم يراد به سلب الجواهر المعدنية خواصها وإفادتها خواصا لم تكن لها ، ولفظ الكيمياء :عبراني معرب ، أصله (كيم يه) ومعنى ذلك آية من الله "أ.هـ

(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦٠٤)

(٤)أنظر السير (١٣/ ٢٨٨).

(٥) أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد المروزي صاحب أبي العباس بن سريج وشيخ الشافعية وفقيه بغداد ، صنف كتاباً في السنة وكان ينافح عن عقيدة أهل السنة ويرد على المعتزلة ،وتحول في آخر عمره إلى مصر وتوفي بها سنة ٣٤٠هـ .انظر: السير (١٥/ ٤٢٩) ، تاريخ بغداد (٦/ ١١) .

موقف أهل البدع من كتابه الذي ألفه في السنة والرد على أهل البدع:

قال الذهبي :" صنف المروزي كتاباً في السنة وقرأه بجامع مصر وحضره آلاف ؛ فجرت فتنة ، فطلبه كافور فاختفى ، ثم أدخل إلى كافور فقال : أما أرسلت إليك أن لا تشهر هذا الكتاب فلا تظهره ؟ وكان فيه ذكر الاستواء ؛ فأنكرته المعتزلة " أ.هـ.(١)

وسوف يظهر من خلال عرضنا لموقفهم من كتب أهل البدع تنوع الطرق والأساليب في مواجهة كتب أهل البدع وقطع دابرها وفسادها عن المسلمين .

ونحن هنا في هذا المبحث نحاول أن نذكر ما أثر عن السلف في القرون الثلاثة الأولى في هذا الباب ، وإلا للمتأخرين من العلماء كلام كثير ليس هذا موضع بسطه ونقله.

موقفهم من كتب أهل البدع :

تنوعت أساليبهم في مواجهة كتب أهل البدع على النحو الآتي :

١. **الرد عليها وبيان ما فيها من باطل وإبطال ما احتجوا به من الشبهات :**

وهذا واضح وقد تعرضنا في هذا الفصل بكامله لبيان منهجهم في التصنيف في الرد على أهل البدع.

ونكتفي هنا بذكر نص كلام لشيخ الإسلام يناسب هذا المقام :

قال رحمه الله –في معرض بيان غرض السلف من تأليف الكتب في الرد على أهل البدع وبيان السنة -:" إن الذي أوجب لهم جمع هذه الأحاديث وتبويبها ما أحدثت الجهمية من التكذيب بموجبها، وتعطيل صفات الرب المستلزمة لتعطيل ذاته، وتكذيب رسوله والسابقين الأولين والتابعين لهم بإحسان وما صنفوه في ذلك من الكتب وبوبوه أبواباً مبتدعة، يردون بها ما أنزل الله على رسوله ، ويخالفون بها صرائح المعقول وصحائح المنقول، وقد أوجب الله تعالى تبليغ ما بعث به رسله، وأمر ببيان العلم ،وذلك يكون بالمخاطبة تارة ،وبالمكاتبة أخرى ،فإذا كان المبتدعون قد وضعوا الإلحاد في كتب، فإن لم

(١) السير (١٥/ ٤٢٩-٤٣٠).

يكتب العلم الذي بعث الله به رسوله في كتب لم يظهر إلحاد ذلك ،ولم يحصل تمام البيان والتبليغ ،ولم يعلم كثير من الناس ما بعث الله به رسوله من العلم والإيمان المخالف لأقوال الملحدين المحرفين ،وكان جمع ما ذكره النبي ﷺ وأخبر به عن ربه أهم من جمع غيره" أ.هـ.(١)

٢. التحذير من كتب أهل البدع :

من أولى الخطوات لمواجهة ضرر كتب أهل البدع هو :تحذير الناس منها ببيان ما احتوت عليه من شر وبلاء ، وبيان خطرها وضررها على الناس ، وغالباً ما يشيرون إلى هذه القضية أثناء الرد على هذه الكتب أو أثناء الإفتاء إذا سئلوا عنها .

-الإمام ابن خزيمة ينقل عن السلف التحذير من النظر في كتب أهل البدع:

وسئل ابن خزيمة عن الكلام في الأسماء والصفات ، فقال :بدعة ابتدعوها ، ولم تكن أئمة المسلمين وأرباب المذاهب وأئمة الدين مثل مالك وسفيان والأوزاعي والشافعي وأحمد وإسحاق ويحيى بن يحيى وابن المبارك ومحمد بن يحيى وأبي حنيفة ومحمد بن الحسن وأبي يوسف يتكلمون في ذلك ، وينهون عن الخوض فيه ، ويدلون أصحابهم على الكتاب والسنة ؛ **فإياك والخوض فيه والنظر في كتبهم بحال**" أ.هـ.(٢)

٣. إتلاف كتب أهل البدع والأمر بإزالتها: (٣)

-عمر -رضي الله عنه- يأمر بإتلاف الكتب المخالفة للشرع:

نقل أهل التاريخ أن عمرو بن العاص لما فتح مصر استشار عمر بن الخطاب في بعض كتب الفلاسفة التي وجدت في مصر فكتب له عمر :" أما الكتب التي ذكرتها إن كانت توافق كتاب الله تعالى ؛ ففيه غنى عنها ، وإن كان غير ذلك فلا حاجة بها؛ **فتقدم بإعدامها .**

---

(١) التسعينية (٣/ ٩٣٨)

(٢) أخرجه الهروي في ذم الكلام (٤/ ٣٨٧-٣٨٨)ونقله شيخ الإسلام في التسعينية (٣/ ٧٨٨-٧٨٩).

(٣) نقل جملة من فتاوى أهل العلم المتقدمين والمتأخرين الشيخ مشهورحسن سلمان في كتابه القيم (كتب حذر منها العلماء (١/ ٢٥-٦١)ط.دار الصميعي ط.الأولى ١٤١٥هـ.

فأخذ عمرو بن العاص في تفريقها على حمامات الإسكندرية وإحراقها في مواقدها ؛ فنفذت في ستة أشهر " أ.هـ.[(١)]

-**الإمام أحمد** أوصى بأن تدفن كتب أهل البدع التي توجد في تركت المتوفى وأنها لاتباع.[(٢)]

يقول ابن القيم –رحمه الله -:" ..وكذلك الكتب المشتملة على الشرك وعبادة غير الله ؛ **فهذه كلها يجب إزالتها وإعدامها** ، وبيعها ذريعة إلى اقتنائها واتخاذها ؛ فهو أولى بتحريم البيع من كل ما عداها ، فإن مفسدة بيعها بحسب مفسدتها في نفسها" أ.هـ.[(٣)]

وقال أيضاً : "**والمقصود : أن هذه الكتب المشتملة على الكذب والبدعة يجب إتلافها وإعدامها** ، وهي أولى بذلك من إتلاف آلات اللهو والمعازف ، وإتلاف آنية الخمر ، فإن ضررها أعظم من ضرر هذه ولاضمان فيها ؛ كما لاضمان في كسر أواني الخمر وشق زقاقها" أ.هـ.[(٤)]

٤. **الإفتاء بحرمة قراءتها والنظر فيها :**

-**أبو حاتم وأبو زرعة:**

قال ابن أبي حاتم :" وسمعت أبي وأبا زرعة : يأمران بهجران أهل الزيغ والبدع ويغلظان في ذلك أشد التغليظ ، وينكران وضع الكتب برأي في غير آثار .

وينهيان عن مجالسة أهل الكلام ، **والنظر في كتب المتكلمين** ويقولان لا يفلح صاحب كلام أبداً " أ.هـ.[(٥)]

---

(١) نقله مشهور حسن سليمان في :كتب حذر منها العلماء (١/ ٣٦).

(٢) ستأتي القصة كاملة وهي في طبقات الحنابلة (٢/ ٤٣٦).

(٣) زاد المعاد (٥/ ٧٦١).

(٤) الطرق الحكمية ص٢٣٥لابن القيم ، تحقيق بشير عيون ،ط.مكتبة المؤيد ط.الاولى ١٤١٠هـ.
وقد عقد فصلاً نفيساً ابن القيم في هذا الكتاب(٢٣٣-٣٥ نفس هذا الموضوع فليرجع إليه فإنه نفيس.

(٥) اللالكائي (١/ ١٧٩)، وذم الكلام للهروي (٤/ ٣٦١)، وانظر نفس المعنى لأبي حاتم (١/ ١٨٠، ١٨١).

- **وسئل أبو زرعة عن كتب المحاسبي فقال :**

"إياك وهذه الكتب ، هذه كتب بدع وضلالات ، عليك بالأثر تجد غنية ، هل بلغكم أن مالكاً والثوري والأوزاعي صنفوا في الخطرات والوساوس ؟ ما أسرع الناس إلى البدع" أ.هـ.[١]

-وسئل الإمام أحمد عن الكرابيسي فقال :

"أخزى الله الكرابيسي ، لا يجالس ، ولا يكلم ، **ولا تكتب كتبه** ، ولا يجالس من يجالسه ..." أ.هـ.[٢]

-وسئل الإمام أحمد عن تفسير الكلبي :

فقال :" من أوله إلى آخره كذب ، فقيل له : **فيحل النظر فيه**؟ قال لا" أ.هـ.[٣]

٥. الإفتاء بحرمة بيعها وشراءها وتداولها :

فتوى الإمام أحمد:

سئل الإمام أحمد عن رجل مات وترك كتباً كثيرة من كتب الرأي ، وترك عليه ديناً ، **ترى أن تباع الكتب ؟ قال : لا** ، قلت : إن عليه ديناً ، قال : وإن كان عليه دين ، فقلت له : **فأي شيء يصنع بالكتب؟ قال : تدفن ؟** " أ.هـ.[٤]

٦. هجر من ينظر في كتب أهل البدع :

-موقف حمديس القطان:

قال القاضي عياض عند ترجمة عبدالجبار بن خالد بن عمران السرتي[٥]:

"وكان بينه وبين حمديس القطان[٦] صحبة عظيمة ، وشركة في القطن يعملان في سوق الأحد فيه ، إلى أن تهاجرا بسبب كتب محمد بن مهدي البكري ، كان عبدالجبار

---

(١) السير (١٢/ ١١٢).

(٢) طبقات الحنابلة (١/ ٣٨٦) ط.العثيمين.

(٣) طبقات الحنابلة (٢/ ١٠٥)ط.العثيمين.

(٤) طبقات الحنابلة (٢/ ٤٣٦).

(٥) تقدمت ترجمته .

(٦)**حمديس بن القطان** : أحمد بن محمد الأشعري ، يقال إنه من ولد أبي موسى الأشعري ، من أصحاب سحنون ، وكان شديد النكير على أهل البدع شديد التمسك بالسنة ، وكان كثير الكتب ، ومجانباً للسلطان، وكان آية في الزهد والعبادة ، توفي سنة ٢٨٩هـ انظر: ترتيب المدارك (٤/ ٣٧٩-٣٨٣).

يقرأها ، فنهاه حمديس ،وقال له : سمعت سحنون يقول : ابن مهدي هذا ضال مضل ، فلم ينته عنها عبدالجبار ، فهجره حمديس ، ولم يزالا متهاجرين أربعاً وعشرين سنة ، وكان حمديس ينهى الناس عن السماع منه" أ.هـ. (١)

ومع هذا كله انظر إلى موقف عبد الجبار من حمديس :

قال القاضي عياض :" وكان عبدالجبار إذا مر بمسجد حمديس ، سلم عليه ، فلا يرد عليه حمديس ، فيقول عبدالجبار : ما هجرني إلا لله " أ.هـ. (٢)

وهكذا كان حال السلف اتباع الحق والاعتراف به ، مع عدم المداهنة على حساب الدين.

ولهذا كان أمر الدين عندهم فوق كل شيء .

فموقف حمديس يبين غيرته على الدين والسبب الباعث له هو التحذير من كتب أهل البدع.

وموقف عبدالجبار يظهر فيه الاعتراف بالحق وأن حمديس ما فعل ذلك إلا غيرةً لله وفي الله.

-موقف الإمام أحمد :

لما قدم الإمام أحمد حمص وجه إلى يحيى إن تركت كتب الرأي أتيتك ، وذلك أن يحيى كان يسمع كتب أهل الرأي ، وكان يذهب مذهبهم ، فلم يأته أحمد ، وكل هذا لأجل نظره في كتب أهل البدع (٣)

وقد أثر هذا الموقف في طلاب الإمام أحمد فهذا الذي روى هذه القصة وهو يحيى الوحاظي قال : " كنت عند أبي سليمان (وهو الذي هجره أحمد) فجاءه كتاب أحمد بن حنبل يذكر فيه : لو تركت رواية كتب أبي حنيفة أتيناك ، فسمعنا كتب عبد الله بن المبارك" أ.هـ. (٤)

---

(١) ترتيب المدارك (٤/ ٣٨٥-٣٨٦).

(٢) ترتيب المدارك (٤/ ٣٨٦).

(٣) طبقات الحنابلة (٢/ ٥٣٠)

(٤) المصدر السابق .

فالوحاظي ترك كتب أبي حنيفة وأقبل على كتب أهل الحديث متأثراً بموقف أحمد من أبي سليمان ،وهذا يظهر لنا مدى فقه السلف في التعامل مع الكتب التي أظهرت مخالفة للسنة والأثر.

-عقد الخلال فصلاً في كتابه السنة بعنوان:(التغليظ على من كتب الأحاديث التي فيها طعن على أصحاب رسول الله ﷺ) .(١)

قال : أخبرنا أبو بكر المروذي قال : سمعت أبا عبد الله يقول :" إن قوماً يكتبون هذه الأحاديث الرديئة في أصحاب رسول الله ﷺ وقد حكوا عنك أنك قلت : أنا لا أنكر أن يكون صاحب حديث يكتب هذه الأحاديث يعرفها ، فغضب وأنكره إنكاراً شديداً وقال :باطل معاذ الله ،أنا لا أنكر هذا! ! ، لو كان في أفناء الناس لأنكرته فكيف في أصحاب محمد ﷺ ، وقال : أنا لم أكتب هذه الأحاديث ، قلت لأبي عبد الله : **فمن عرفته يكتب هذه الأحاديث الرديئة ويجمعها أيهجر ؟ قال : نعم يستاهل صاحب هذه الأحاديث الرديئة الرجم** ..." أ.هـ.(٢)

٧. المواقف العملية لأئمة السلف من كتب أهل البدع:

لقد حرص السلف على أن يكونوا قدوات عملية لطلابهم حتى يقتدوا بهم وينقلوها لمن وراءهم ،ومن هذه المواقف :

موقف الإمام أحمد: لما جاءته رقعة فيها كلام مخالف لما عليه السلف:

جاء في الإبانة لابن بطة أن طلاب الإمام أحمد دفعوا له رقعة يسألوه عن محتواها فقرأها حتى انتهى إلى ما جاء في الإيمان :" وإنما قلت : إنه مخلوق على الحركة والفعل " ، فرمى أبو عبد الله بالرقعة من يده ، وغضب شديداً ثم قال : " هذا أهلٌ أن يحذر عنه ولا يكلم ، هذا كلام جهم بعينه ، وإنما قلت مخلوق على الحركة! هذا مثل قول الكرابيسي ، وإنما أراد الحركات مخلوقة ، هذا قول جهم ،ويله إذا قال : إن الإيمان

(١) السنة للخلال (٣/ ٥٠١).

(٢) السنة للخلال (٣/ ٥٠١).

مخلوق ؛ فأي شيء يبقى؟ ، ثم أمر بهجر من كتب هذا الكلام. (١)

وانظر إلى هذا الأسلوب الذي يدل على عظم فقه الإمام أحمد وكيف كان يوصل المنهج نظرياً وعملياً إلى طلابه .

موقف عبد الرحمن بن مهدي –رحمه الله –:

جاء في ترجمة ابن مهدي أنه أراد أن يشتري وصيفة له من رجل من أهل بغداد ، فلما قام عنه أخبر **أنه وضع كتباً في الرأي وابتدع ذلك** ، فجعل يقول : نعوذ بالله من شره ، وكان إذا أتاه قربه وأدناه ، فلما جاءه رأيته دخل وعبد الرحمن مريض فسلم فلم يرد عليه، فقعد فقال له : يا هذا ما شيء بلغني عنك؟ إنك ابتدعت كتباً أو وضعت كتباً في الرأي؟

فأراد أن يتقرب إليه بسوء رأيه في أبي حنيفة فقال : يا أبا سعيد : إنما وضعت كتباً رداً على أبي حنيفة ، فقال له : ترد على أبي حنيفة بآثار رسول الله ﷺ وآثار الصالحين ؟ فقال : لا ، فقال :إنما ترد على أبي حنيفة بآثار رسول الله ﷺ وآثار الصالحين ، فأما ما قلت فرد الباطل بالباطل، اخرج من داري فما كنت أضع أو أتبع حرمة عندك ولو بكذا وكذا ، فذهب يتكلم ، فقال له :محرم عليك أن تتكلم أو تتمكن في داري ،فقام وخرج" أ.هـ. (٢)

(١)الإبانة (الكتاب الثالث الخاص بالرد على الجهمية ٢/ ٢٩٨-٢٩٩) تحقيق د.الوابل .
(٢) حلية الأولياء (٩/ ٩).

الباب الثالث

أهل السنة وطرائقهم في التصنيف

(فيه ثلاثة فصول)

الفصل الأول

أنواع المصنفات التي دونت مسائل الاعتقاد

ويشتمل على :تمهيد وخمسة مباحث :

المبحث الأول : المصنفات المجردة لمسائل الاعتقاد.

المبحث الثاني :المصنفات في باب معين من أبواب الاعتقاد.

المبحث الثالث :المصنفات في مسألة معينة من مسائل الاعتقاد.

المبحث الرابع : مصنفات في الرد على أهل البدع.

المبحث الخامس :النظم في مسائل الاعتقاد.

تمهيد:

لقد ترك لنا سلفنا الصالح -رحمهم الله تركة من تراثهم عظيمة لا تقدر بثمن ، تركوا لنا علمهم المورث عن نبينا ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم.

ومن نظر في هذا التراث أدرك حقاً عظيم الفائدة والفوز والفلاح لمن حرص عليه ودونه وتعلمه ، وعظيم الغبن والخسارة لمن فرط فيه ولم يوله عنايته وحرصه.

وقبل الدخول في سرد مصنفات السلف على اختلاف موضوعاتها وأنواعها يحسن بنا أن نتكلم على أمور :

١-حرص السلف على تدوين العلم وكثرة مكاتباتهم ومراسلاتهم.

٢-ما روي عن بعض السلف من كراهة كتابة العلم وتوجيهه.

٣-ما ورد عن جماعة من السلف من دفن كتبهم وإتلافها.

١ - حرص السلف في القرون الثلاثة الأولى على تدوين العلم وكثرة مكاتباتهم ومراسلاتهم:

إن حرص السلف على كتابة العلم وتدوينه لا يحتاج إلى كبير جهدٍ لإثباته ، فكفى بكتب السنة وكتب الاعتقاد- التي طبقت المعمورة وسارت بذكرها الركبان- شاهداً ودليلاً على هذا الأمر ، ولكن من قرأ وتأمل في سيرهم يتبين له عظيم عنايتهم واهتمامهم بقضية التدوين إلى درجة لا تكاد تصدق .

وزيادة على ما دونوه من كتب فقد كانت لهم عناية بالمكاتبات والمراسلات فيما بينهم نقلها عنهم طلابهم وانتشرت في البلاد ، وكانت متعددة الأغراض : فمنها ما كان حثاً على الزهد في الدنيا ، ومنها ما كان نصحاً وإرشاداً ، ومنها ما كان إنكاراً لبعض المخالفات ،وغير ذلك من الأغراض .

أولاً: بعض النقول من تراجم السلف التي يظهر من خلالها عظيم عنايتهم بالتدوين:

- **سليم بن عتر** : مما جاء في ترجمته أنه أول من سجل حوادث القضاء في سجل [١] وهذا يدل على معرفتهم واطلاعهم على أهمية الكتابة والتدوين .

---

(١)السير (٤/ ١٣٢).

- **والإمام الشعبي** كان يكره كتابة العلم ومع ذلك قال :" ولقد نسيت من العلم ما لو حفظه رجل لكان عالماً " أ.هـ. (١)

وهذا يبرز أهمية التدوين في حفظ العلم عند نسيانه ،فكأن الشعبي ندم على عدم تدوين العلم لما فاته من العلم الذي لم يدونه.

بل جاء صريحاً أن بعض السلف ندم على عدم تدوينه العلم ، مثل عروة بن الزبير . (٢)

-**سعيد بن جبير** : لقد ضرب ابن جبير أروع الأمثلة في الحرص على تدوين العلم .

قال –رحمه الله -:" ربما أتيت ابن عباس ، فكتبت في صحيفتي حتى أملأها ،وكتبت في نعلي حتى أملأها ،وكتبت في كفي " أ.هـ. (٣)

وأي اهتمام فوق هذا الاهتمام ، لقد كان تدوين العلم في حياتهم شيئاً عظيماً .

-**وجاء في ترجمة عبد الله بن محمد بن عقيل وأبي جعفر الباقر** : أنهم كان يختلفون إلى جابر –رضي الله عنه- ويكتبون عنه في ألواح. (٤)

الثناء على جمع من الرواة بأنهم كانوا من أهل العناية بالتدوين والكتابة :

وردت في كتب التراجم أن السلف كانوا يثنون على بعض الرواة الذين كانوا يدونون العلم ومنهم:

أ-سالم بن أبي الجعد:

كان طلابة للعلم وكان يكتب العلم ، وكان إذا حدث جزم بما حدث به لأنه كان يكتب ، وهذا مما تميز به. (٥)

ب-الإمام الزهري :

أما الإمام الزهري فهو من المجددين في باب التدوين ، وكان مولعاً بالكتب

---

(١) السير (٤/ ٣٠١).
(٢) الحلية (٢/ ١٧٦).
(٣) السير (٤/ ٣٣٥).
(٤) انظر : السير (٤/ ٤٠٣).
(٥) السير (٥/ ١٠٩).

والتصنيف ، وهو الذي جمع ودون السنة بأمر من الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز ، وكان أقرانه يتعجبون منه أنه يكتب كل شيء ، وكانوا هم يقتصرون على كتابة الحلال والحرام فقط،ويتركون ما عداه.[(١)]

بل بلغت عنايته بتدوين العلم أن دفاتره وكتبه حملت على الدواب من كثرتها.[(٢)]

ج-عدد من السلف أثني عليهم في الكتابة والتدوين وأنهم أصحاب كتب منهم :

معمر بن راشد ، يزيد بن أبي مالك ، وعقيل بن خالد بن عقيل أبو خالد الأيلي ، وغيرهم كثير.[(٣)]

د-ابن المبارك :

ذكر في ترجمته أنه كتب عن الصغار والكبار ، وكان يحدث من كتاب.[(٤)]

هـ-عبد الملك بن الماجشون :

جاء في ترجمته أن أحد الرواة ذكر أنه كتب عنه أربعمائة جلد.[(٥)]

و-ابن وهب :

وكان ممن مدح بكثرة التدوين ، قال عنه ابن القاسم :" لو مات ابن عيينة ، لضربت إلى ابن وهب أكباد الإبل ، **مادون أحد العلم تدوينه** " أ.هـ.[(٦)]

ز-أبو عمرو بن العلاء:

كانت دفاتره وكتبه ملء بيته إلى السقف [(٧)].

ح-عبد الملك بن حبيب :

سئل كم كتبك التي ألفت ؟

---

(١) السير (٥/ ٣٣٢).
(٢) السير (٥/ ٣٣٤).
(٣) السير (٥/ ٤٣٨) ، (٦/ ٢٩٩ - ٣٠٢)(٧/ ٦).
(٤) ترتيب المدارك (٣/ ٣٩)
(٥) ترتيب المدارك (٣/ ١٤٠).
(٦) ترتيب المدارك (٣/ ٢٣٤).
(٧) السير (٦/ ٤٠٨).

قال : ألف وخمسون كتاباً .[١]

ط-محمد بن سحنون :

كان كثير الكتب غزير التأليف.[٢]

ي-الأوزاعي :

كان آية يضرب به المثل في حسن التصنيف وحسن الكتابة ، وهو ممن قيل فيه إنه أول من صنف ، وعجز من كان معاصراً له أن يكتبوا مثل كتابته ، وكان بارعاً فيها ، وكتب عن يحيى بن أبي كثير أربعة عشر كتاباً، ورسائله مشهورة متداولة بين أهل العلم، وكان كثير الكتب والرسائل.[٣]

ك-محمد بن إسحاق :

أول من دون العلم بالمدينة محمد بن إسحاق.[٤]

ل-شعيب بن أبي حمزة:

كان السلف يثنون كثيراً على كتابة شعيب بن أبي حمزة ويذكرون صحتها وضبطها.[٥]

م-محمد بن الحسن و وكيع بن الجراح:

اهتم الإمام أحمد بمصنفات محمد بن الحسن و وكيع كان يقول: "عليكم بمصنفات وكيع " أ.هـ.[٦]

ن-النضر بن شميل :

أول من أظهر السنة بمرو، وخرج كتبا كثيرة لم يسبقه إليها أحد.[٧]

---

(١) ترتيب المدارك(٤/ ١٢٨).

(٢)ترتيب المدارك (٤/ ٢٠٦)

(٣) السير (٧/ ١٠٩-١١٥)،الحلية (٦/ ١٤٤).

(٤) السير (٧/ ٣٥).

(٥) السير (٧/ ١٨٨-١٨٩).

(٦) السير(٩/ ١٣٦ - ١٥٤).

(٧) السير (٩/ ٣٣٠).

ص-مالك بن دينار :

جاء في ترجمته أنه كان مولعاً بالكتب .[١]

ع-ممن وصف بكثرة الكتب والتصنيف[٢] :

أبو عبيد القاسم بن سلام ، عيسى بن مسكين ، محمد بن حماد بن إسحاق ، يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حماد ، سليمان بن سالم القطان ، يحيى بن عمر الكندي ، حمديس القطان ، أبو عمر المغامي ، إسماعيل بن موصل الأصبحي، وغيرهم كثير.

وصية الإمام أحمد لمن أراد ضبط علم الحديث فعليه بالكتابة والتدوين.[٣]

وكان السلف لا يعدون من لا يدون العلم من أهل العلم :

مما يبين أهمية الكتابة عند السلف قول معاوية بن قرة :" كنا لا نعد من لا يكتب العلم علمه علماً ".[٤]

-عناية بعض السلف بكتابة المصحف الشريف:

إن من أشرف ما تصرف فيه الجهود هو كتابة أصل العلوم كلها وهو كتاب الله جل وعلا ، وقد اعتنى بكتابته جمع من السلف ، وعلى سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

-ابن أبي ليلى : كان من أنقط الناس للمصحف وأخطه بقلم.[٥]

-مالك بن دينار : من أعيان كتبة المصاحف مالك بن دينار ، وقد أثنى على صنيعه بعض السلف ، فقد دخل عليه أبو الشعثاء جابر بن زيد وهو يكتب المصحف فقال له ابن دينار : كيف ترى صنعتي هذه يا أبا الشعثاء ؟ قال : نعم الصنعة صنعتك ، ما أحسن هذا تنقل كتاب الله من ورقة إلى ورقة وآية إلى آية وكلمة إلى كلمة ، هذا الحلال لا بأس به.[٦]

---

(١) الحلية (٢/ ٣٧٥).
(٢) السير (١٠/ ١٧) ، ترتيب المدارك (٤/ ٣٣٢ ، ٢٩٥ ، ٣٣٣، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٧٩، ٤٣١، ٤٧١).
(٣) طبقات الحنابلة (١/ ٤١٧) محققة .
(٤) الحلية (٢/ ٣٠١).
(٥) السير (٦/ ٣١٢).
(٦) الحلية (٣/ ٨٨) ، السير (٥/ ٣٦٢).

-مطر الوراق وعبد الرحمن بن هرمز :كانا يكتبان المصاحف.[(١)]

ثانياً : بعض مكاتبات السلف التي دونت في كتب التراجم :

مما يبين عناية السلف بتدوين العلم ما ذكر من كثرة مكاتباتهم ومراسلاتهم إلى بعضهم البعض في موضوعات مختلفة ، وقد كانت المكاتبات معروفة حتى عند الصحابة –رضي الله عنهم وأرضاهم – ومن أتى بعدهم إلى نهاية القرن الثالث الهجري .

ولعلي أسوق بعض تلك المراسلات وهي كالمثال وليست حصراً لكل مراسلاتهم :

أ- مكاتبات الصحابة :

وقد اعتنى الصحابة بالكتابة عناية كبيرة وبرز في ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

مكاتبات عمر بن الخطاب :

١- ما كتبه عمر : أن اقتلوا كل ساحرٍ وساحرة.[(٢)]

٢- ما كتبه لدعوة رجل ونصحه من أهل الشام.[(٣)]

٣- ما كتبه عمر إلى شريح في القضاء ليحكم بالكتاب والسنة .[(٤)]

٤- ما كتبه عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص في شأن نهر النيل في مصر.[(٥)]

ما كتبه غير عمر من الصحابة :

٥-ما كتبه عثمان بن عفان إلى الناس وفيها بعض ما يخص مسائل الاعتقاد.[(٦)]

٦-ما كتبه عبد الله بن عمر إلى صديق له يحذره من بدعة القول القدر.[(٧)]

(١) السير (٥/ ٦٩ ، ٤٥٢).

(٢)الحجة في بيان المحجة (١/ ٤٨٣) ، اللالكائي(٧/ ١٢١٣).

(٣)الحلية (٤/ ٩٧-٩٨).

(٤)الحجة(٢/ ٤٠٣) ، السير(٤/ ١٠١) ، الحلية(٤/ ١٣٦).

(٥)اللالكائي في الكرامات ص١١٩.

(٦)الشريعة (٤/ ١٩٨٩).

(٧)السنة لعبدالله بن أحمد(٢/ ٤١٩).

٧-ما كتبه جابر بن سمرة إلى عامر بن سعد. [١]

٨-ما كتبه عبد الله بن الزبير جواباً لمن سأله. [٢]

٩-ما كتبه عبد الله بن الزبير في فضل أبي بكر -رضي الله عنه-. [٣]

١٠-ما كتبته عائشة إلى معاوية ، وما كتبه معاوية إلى عائشة. [٤]

١١-ما كتبه معاوية وعمرو بن العاص إلى عمر. [٥]

١٢-ما كتبه المغيرة بن شعبة إلى معاوية . [٦]

١٣-ما كتبه الضحاك بن قيس إلى قيس بن الهيثم لما مات يزيد بن معاوية. [٧]

١٤-ما كتبه أبو موسى الأشعري إلى ابن له. [٨]

ب- بعض مكاتبات السلف خلال القرون الثلاثة الأولى:

١. ما كتبه زر بن حبيش لعبد الملك بن مروان يعظه. [٩]

٢. ما كتبه سعيد بن جبير إلى ذر بن عبد الله . [١٠]

٣. ما كتبه أبو سلام إلى يحيى بن أبي كثير بأحاديث من مروياته. [١١]

٤. ما كتبه ميمون بن مهران إلى عمر بن عبد العزيز وما كتبه عمر إلي ميمون. [١٢]

٥. ما كتبه ميمون بن مهران إلي يونس بن عبيد . [١٣]

---

(١)اللالكائي (٦/ ١١١٩).
(٢)الحلية (٤/ ٣٠٧).
(٣)اللالكائي(٧/ ١٢٧٣)
(٤)اللالكائي (٨/ ١٤٤٦)
(٥)اللالكائي(٨/ ١٤٤٧)
(٦)الحلية(٧/ ٢٤٤).
(٧)الإبانة(٢/ ٥٨٦) ت: نعسان ، والإصابة(٢/ ٢٠٧).
(٨) ذم الكلام للهروي (٣/ ٦١).
(٩)السير(٤/ ١٧٠) ، الحلية (٤/ ١٨٤).
(١٠)السير (٤/ ٣٢٦)،الحلية (٤/ ٢٧٦- ٢٨٠) ، (٥/ ١١٠).
(١١) السير (٤/ ٣٥٦).
(١٢)السير(٥/ ٧٤) ، الحلية (٤/ ٨٨).
(١٣)السير (٥/ ٧٥).

٦. كتاب نافع الذي سمعه من ابن عمر صحيفة. [١]

مكاتبات عمر بن عبد العزيز:

ممن اشتهر بكثرة الكتابة والمراسلة هو عمر بن عبد العزيز ، ولم تدون مكاتبات مثل مكاتباته على مر العصور الثلاثة الأولى مع تقدم زمنه وكان من أهل القرن الأول- رحمه الله وإليك بعضاً منها:

١- ما كتبه عمر بن عبد العزيز إلي سالم مولى ابن عمر يطلب منه سيرة عمر في الصدقات. [٢]

٢- ما كتبه عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله يحذرهم من الظلم. [٣]

٣- ما كتبه عمر بن عبد العزيز إلى أبي بكر بن حزم في الاقتصاد في المال . [٤]

٤- ما كتبه عمر بن عبد العزيز إلى الآفاق في الاقتصاد في أدوات الكتابة التي من بيت مال المسلمين. [٥]

٥- رسالة عمر بن عبد العزيز إلى الأوزاعي و مكحول في التذكير بالموت والرضي باليسير. [٦]

٦- ما كتبه عمر بن عبد العزيز إلى رجل يذكره بالموت. [٧]

٧- ما كتبه عمر بن عبد العزيز إلى عامله على مصر إن الله بعث محمداً داعياً ولم يبعثه جابياً. [٨]

٨- ما كتبه عمر بن عبد العزيز إلى أهل الشام يأمرهم بحرق ما كتبه مكحول في

---

(١)السير (٥/ ٩٨).
(٢)السير(٥/ ١٢٧)، الحلية (٢/ ١٩٤).
(٣)السير(٥/ ١٣١).
(٤)السير(٥/ ١٣٢).
(٥)السير (٥/ ١٣٣).
(٦)السير(٥/ ١٣٣).
(٧)السير (٥/ ١٣٨).
(٨)السير(٥/ ١٤٧).

الديات.[١]

بقية مكاتبات السلف:

٨. ما كتبه عبد الملك بن مروان للحجاج أن اقتد بابن عمر في مناسكك.[٢]

٩. ما كتبه قتادة إلى الأوزاعي.[٣]

١٠. ما كتبه الإمام أحمد إلى يعقوب بن سعيد الطالقاني.[٤]

١١. كان أحمد يكاتب محمد بن أحمد الجراح في السنة والرد على المخالفين.[٥]

١٢. ما كتبه الحسن إلى عمر بن عبد العزيز لما استخلف.[٦]

١٣. ما كتبه عبيد الله بن عتبة إلى عمر بن عبد العزيز.[٧]

١٤. ما كتبه جعفر بن برقان إلى يونس بن عبيد.[٨]

١٥. ما كتبه الحجاج بن الفرافصة إلى سفيان الثوري.[٩]

١٦. ما كتبه أبو الأبيض إلى بعض إخوانه.[١٠]

١٧. ما أملاه إياس بن معاوية وكتبه عمر بن عبد العزيز في كفه حرصاً على العلم[١١]

١٨. ما كتبه يزيد بن الأصم إلى الحسين لما خرج.[١٢]

١٩. ما كتبه شريح إلى رجل فر من الطاعون.[١٣]

---

(١)السير(٥/ ١٦٢).
(٢)السير (٥/ ٣٢٧)
(٣)السير (٧/ ١٢١)، وعلق الذهبي: أن قتادة ولد أكمه وإلا فمراد الأوزاعي أن قتادة أمر من يكتب على لسانه إلى الأوزاعي.
(٤)طبقات الحنابلة (١/ ٤٤٦-٤٤٧).
(٥)طبقات الحنابلة (٢/ ٢٢٠).
(٦)الحلية (٢/ ١٤٨).
(٧)الحلية(٢/ ١٨٨).
(٨)الحلية (٣/ ١٨).
(٩)الحلية (٣/ ١٠٨).
(١٠)الحلية(٣/ ١١١).
(١١)الحلية (٣/ ١٢٥).
(١٢)الحلية(٤/ ٩٨).
(١٣)الحلية (٤/ ١٣٦).

٢٠. ما كتبه عون بن عبد الله في نصح إخوانه.[١]

٢١. كتاب ليزيد بن ميسرة.[٢]

٢٢. ما كتبه الفضل بن عيسى الرقاشي.[٣]

٢٣. رسالة الحسن البصري إلى عمر بن عبد العزيز.[٤]

مكاتبات سفيان الثوري :

١- رسالة سفيان الثوري يعظ أخاً له .[٥]

٢- ما كتبه سفيان الثوري لمن طلب منه أن يعظه.[٦]

٣- ما كتبه سفيان الثوري لمن شكا إليه ذهاب بصره .[٧]

٤- ما كتبه سفيان الثوري إلى ابن المبارك .[٨]

مكاتبات بقية السلف:

٢٥. ما كتبه إبراهيم بن أدهم إلى بعض إخوانه .[٩]

٢٦. ما كتبه ابن السماك إلى أخ له.[١٠]

٢٧. ما كتبه محمد بن النضر الحارثي إلي أخ له.[١١]

٢٨. مكاتبات محمد بن يوسف الأصبهاني.[١٢]

---

(١)الحلية (٤/ ٢٤٤).

(٢) الحلية (٥/ ٢٤١).

(٣)الحلية (٦/ ٢٠٦).

(٤)الحلية(٦/ ٣١٣).

(٥)الحلية (٦/ ٣٩١).

(٦)الحلية(٧/ ١٩).

(٧)الحلية (٧/ ٢٢).

(٨)الحلية (٧/ ٧٠).

(٩)الحلية (٨/ ١٨).

(١٠)الحلية (٨/ ٢٠٦).

(١١) الحلية (٨/ ٢٢١).

(١٢)الحلية (٨/ ٢٣٢-٢٤٠).

٢٩. ما كتبه محمد بن العلاء بن المسيب إلى محمد بن يوسف الأصبهاني.[١]

وهناك الكثير ولكن ما ذكرنا فيه كفاية وفيه دلالة على عناية السلف الفائقة بالتدوين والكتابة .

٢-ما روي عن بعض السلف من كراهة كتابة العلم وتوجيهه:

ورد عن بعض السلف كراهية كتابة العلم كالشعبي ومالك والإمام أحمد وغيرهم [٢] والناظر في واقع السلف وحالهم يرى أنهم أكثروا من الكتابة والتصنيف حتى من ثبت عنه كراهة كتابة العلم ، ولعل قليل البصر والدراية بحالهم يظن أن هذا تناقضاً منهم والأمر بخلاف ذلك .

ويمكن توجيه هذا الأمر بالآتي :

١-أن هذه الكراهة كانت في بداية الأمر خشية اختلاطه بالقرآن :

وممن صرح بذلك عروة بن الزبير حيث قال :" كنا نقول : لا نتخذ كتاباً مع كتاب الله ، فمحوت كتبي ، فوالله لوددت أن كتبي عندي ، إن كتاب الله قد استمرت مريرته" أ.هـ.[٣]

وقد تقدم الكلام عن كراهة كتابة السنة في عصر الرسول ﷺ في بداية الأمر لنفس السبب ثم رفع النهي .

٢-أن السلف كانوا يعتمدون على الحفظ ، ويخشون من عدم اعتماد الناس على حفظ العلم في الصدور:

فقد جاء عن الإمام معمر أنه أقام عشرين سنةً يحدث من حفظه ولم يكن له كتاب.[٤]

وجاء عن مطرف بن عبد الله أنه قال : "صحبت مالكاً سبع عشرة سنة ، فما رأيته قرأ الموطأ على أحد ، وكان يعيب كتابة العلم علينا ، ويقول : لم أدرك أحداً من أهل

---

(١)الحلية(٨/ ٢٤٤).

(٢) انظر :السير (٤/ ١٩٧-٣٠١) ،(٧/ ١١٤)، حلية الأولياء (٤/ ٣٢١) ، ترتيب المدارك (٣/ ١٣٥).

(٣) الحلية (٢/ ١٧٦).

(٤) السير (٧/ ٨).

بلدنا ، ولا كان من مضى يكتب، فقيل له : فكيف نصنع ؟

قال : **تحفظون كما حفظوا** ، وتعملون كما عملوا ، حتى تتنور قلوبكم ، فيغنيكم عن الكتابة ، ولقد كره عمر بن الخطاب ﷺ ذلك ، وقال : لا يكتب كتاب مع كتاب الله " .هـ.(١)

٣-خشية وقوع التحريف والتصحيف في الكتب فتروى على غير المعنى الصحيح:

قال الإمام الأوزاعي :" كان هذا العلم كريماً ، يتلاقاه الرجال بينهم ، فلما دخل في الكتب ، دخل فيه غير أهله " أ.هـ.(٢)

قال الإمام الذهبي معلقاً:" ولا ريب أن الأخذ من الصحف وبالإجازة يقع فيه خلل ، ولا سيما في ذلك العصر ، حيث لم يكن بعد نقط ولا شكل ، فتتصحف الكلمة بما يحيل المعنى ، ولا يقع مثل ذلك في الأخذ من أفواه الرجال " أ.هـ.(٣)

٤-كره بعض السلف كتابة ما يشغل عن القرآن والسنة :

ممن ورد عنه كراهة كتابة الكتب الإمام أحمد وله كلام في ذلك كثير ، وله نقول كثيرة في الوصاية بكتب بعض السلف كالوصاية بكتب ابن المبارك و وكيع مثلاً .(٤)

فالجمع بين هذا وذاك أنه :كره كتب البدع والرأي وما يشغل عن علم الكتاب والسنة ولم يكره ما كان حول الكتاب والسنة والمعاني المستنبطة منها.

قال ابن القيم -رحمه الله -:" ومسألة وضع الكتب : فيها تفصيل - ليس هذا موضعه - ، وإنما كره أحمد ذلك ومنع منه :لما فيه من الاشتغال به ،والإعراض عن القرآن والسنة ، فإذا كانت الكتب متضمنة لنصر القرآن والسنة والذب عنهما ،وإبطال الآراء والمذاهب المخالفة لهما فلا بأس بها ، وقد تكون واجبة ومستحبة ومباحة بحسب اقتضاء الحال ،والله أعلم " أ.هـ.(٥)

٣-من دفن كتبه أو أتلفها أو أوصى بإتلافها من السلف خلال القرون الثلاثة الأولى :

---

(١) ترتيب المدارك (٣/ ١٣٥).

(٢) السير (٧/ ١١٤).

(٣) المصدر السابق .

(٤) انظر : طبقات الحنابلة (١/ ١٨٦-٣٣٠)، (٢/ ١١٠).

(٥) الطرق الحكمية ص٢٣٥، وانظر : طبقات الحنابلة (٢/ ٩٤) محققة.

من الأمور التي يحسن الإشارة إليها فيما يخص تدوين العلم وكتابته ما ثبت عن بعض السلف من إتلافهم لكتبهم قبل موتهم أو دفنها أو حرقها أو أوصى بذلك ، أو محاها أو تلفت دون قصد منه ، وقد بين الإمام الذهبي سبب ذلك ،وهو خشية وقوع الكتب في يد إنسان عابث أو واهٍ يزيد فيها ويغيرها ويحرفها .[١]

وقال أيضاً: فعل هذا بكتبه من الدفن والغسل والإحراق عدة من الحفاظ خوفاً من أن يظفر بها محدث قليل الدين ، فيغير فيها ، ويزيد فيها ، فينسب ذلك إلى الحافظ ، أو أن أصوله كان فيها مقاطيع وواهيات ما حدّث بها أبداً ، وإنما انتخب من أصوله ما رواه ، وما بقي فرغب عنه ، وما وجدوا لذلك سوى الإعدام فلهذا ونحوه دفن كتبه" أ.هـ.[٢]

وممن ورد عنهم هذا الأمر:

١. عروة بن الزبير .[٣]

٢. أبو كريب محمد بن العلاء : أوصى أن تدفن كتبه .[٤]

٣. أحمد بن أبي الحواري.[٥]

٤. الثوري أوصى أن تدفن كتبه.[٦]

٥. الكتب التي كتبها الأوزاعي عن ابن أبي كثير أربعة عشر كتابا احترقت كلها[٧]

٦. ممن أوصى أن تغسل وتتلف كتبه شعبة بن الحجاج .[٨]

٧. علي بن مسهر ممن دفن كتبه.[٩]

---

(١) السير (٧/ ٢١٣).
(٢) السير (١١/ ٣٩٦).
(٣) الحلية (٢/ ١٧٦).
(٤) السير (١١/ ٣٩٦).
(٥) طبقات الحنابلة (١/ ١٩١).
(٦)السير (٧/ ٢٦١)، الحلية (٧/ ٣٨- ٦٤)
(٧) السير (٧/ ١١٠-١١٥).
(٨) السير (٧/ ٢١٣).
(٩)السير (٨/ ٤٨٦).

٨. يوسف بن أسباط ممن دفن كتبه فكان حديثه يجيء كما لا ينبغي.[١]

٩. بشر الحافي ممن دفن كتبه.[٢]

١٠. إسحاق بن راهوية.[٣]

١١. ابن لمبارك.[٤]

١٢. محمد بن يحيى الذهلي.[٥]

١٣. أحمد بن أبي الحواري أغرق كتبه كلها في البحر.[٦]

١٤. بشر بن منصور السليمي ممن أوصى بأن تغسل كتبه وتدفن.[٧]

١٥. ممن دفن كتبه محمد بن يوسف الأصبهاني.[٨]

وبعضهم تلفت كتبهم من غير قصد منهم فأثرت على ما يروونه:

١٦. هوذة بن خليفة عدمت أكثر كتبه.[٩]

١٧. محمد بن عبد الله بن المثنى الأنصاري، ممن ذهبت كتبه.[١٠]

١٨. عبد الله بن لهيعة ممن احترقت كتبه.[١١]

١٩. محمد بن جابر بن سيار السحيمي ممن ذهبت كتبه وساء حفظه.[١٢]

٢٠. أبو قرة موسى بن طارق أصابت كتبه آفة.[١٣]

---

(١) السير (٩/ ١٧١)، الثقات للعجلي (٢/ ٣٧٤).

(٢) السير (١٠/ ٤٧٠).

(٣) السير (١١/ ٣٧٧).

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) السير (١٢/ ٨٨).

(٧) الحلية (٦/ ٢٤٠).

(٨) الحلية (٨/ ٢٢٧).

(٩) السير (١٠/ ١٢).

(١٠) السير (٩/ ٥٣٢).

(١١) السير (٨/ ١٣).

(١٢) السير (٨/ ٢٣٨).

(١٣) السير (٩/ ٣٤٦).

المبحث الأول

المصنفات المجردة لمسائل الاعتقاد

تمهيد:

نقصد بهذا النوع من المصنفات ما كان شاملاً وعاماً لمسائل الاعتقاد ولم يُخصص لمسألة أو باب من أبواب الاعتقاد ،وهذا النوع هو الغالب على مصنفات السلف .

ومنهجنا في عرض المصنفات سيكون على النحو الآتي :

١-أن المصنفات المجردة لمسائل الاعتقاد صنفها السلف بطريقتين وهي :

الطريقة الأولى : الرسائل المختصرة الشاملة .

الطريقة الثانية : الكتب الشاملة المبوبة والتي تحتوي على أنواع من الأدلة .

٢-ستكون طريقة عرض المصنفات على حسب تاريخ وفاة المصنفين ونسرد فيها المصنفات دون التفريق بين الرسائل المختصرة أو الشاملة المبوبة ؛بل العبرة بتاريخ وفاة المصنف .

٣-سنورد في المصنفات ما صحت نسبته وما لم تصح وننبه على هذا الأمر في موضعه.

٤-المصنفات التي نذكرها تشمل المطبوع والمخطوط والمفقود .

٥-نختم كل نوع من أنواع المصنفات التي قسمناها على خمسة مباحث بجدول يشتمل على : المصنف -المؤلف- تاريخ الوفاة .

٦-نختم الفصل الخاص بالمصنفات بجدول شامل لكل المصنفات مرتب على حسب الترتيب السابق .

٧-يدخل ضمن المصنفات ما كتبه السلف على شكل رسائل وإن لم يصرحوا بأنها رسائل مخصصة للاعتقاد ، ولكن واقعها يشابه الرسائل المختصرة في الاعتقاد التي صنفها الأئمة ،فالعبرة بواقع الرسالة لا بالمسميات .

مصنفات السلف الشاملة لمسائل الاعتقاد :

لقد كان أولى المصنفات والرسائل في مسائل الاعتقاد هي للخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز وقد كثرت وتنوعت ما بين رسائل شاملة ورسائل تحث على التمسك بالسنة ورسائل في بعض أبواب الاعتقاد كالإيمان والقدر وغيرها من المسائل ، وسنلحق المسائل المتفرعة عن المسائل العامة بالمسائل العامة فمثلاً نلحق رسائله التي فيها الحث على التمسك بالسنة نوردها ضمن هذا المبحث وهي الرسائل الشاملة .

ويمكن أن نذكر ما تحصل لدينا من الرسائل والكتب المتعلقة بهذا المبحث وهي كالتالي :

١. رسالة في التوحيد لابن عباس(ت٦٨هـ):

المصنف :الصحابي المشهور.

الرسالة :يوجد لها نسخ خطية كما ذكر ذلك في المصادر ولم نطلع عليها .[1]

٢. ما كتبه عمر بن عبد العزيز(ت١٠١هـ) إلى أهل المدينة في النهي عن الخصومات:

ترجمة موجزة للمصنف [2]:

هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية الأموي القرشي الخليفة الزاهد العادل العالم .

حدث عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ويوسف بن عبد الله بن سلام وعنه أبو بكر بن حزم ورجاء بن حيوة وابن المنكدر والزهري وغيرهم كثير .

أمه هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب ، ولد سنة ثلاث وستين ،

---

(١) الرسالة:مخطوطة في دار الكتب القطرية برقم[١٠٦٦/ ٢١/ ٢٣] ضمن مجموع (١٤٦-١٤٨ق) .
انظر :استدراكات على تاريخ التراث العربي لسزكين(٣/ ٣) طبع حديثاً في دار ابن الجوزي بتقديم الشيخ بكر أبو زيد وإعداد مجموعة من الباحثين ط.الأولى ١٤٢٢هـ.

(٢) انظر : السير (٥/ ١١٤-١٤٨) ، وهناك كتاب حافل بعنوان (الكتاب الجامع لسيرة عمر بن عبدالعزيز تأليف أبي حفص عمر بن محمد بن الخضر المعروف بالملاء (بتشديد اللام) تحقيق د.محمد صدقي البورنو ط.موسسة الرسالة ط.الأولى سنة ١٤١٦هـ.

وطبقت شهرته وسيرته الآفاق وكان زاهداً عابداً عالماً حريصاً على تدوين السنة وكان من المجددين على رأس المائة الأولى وأول من دون السنة تدويناً حقيقياً،وقد كان عصره من أزهى وأبهى عصور الخلافة الأموية ، واشتهر بكثرة رسائله ومكاتباته لعماله ولأمراء الأجناد ولغيرهم ، وحرصه على التذكير بالتزام السنة والبعد عن المحدثات ، وكانت جهوده في مقاومة البدع نظرية بالرسائل والكتب وعملية بمناظراته ومعاقبته لهم كمناظرته للخوارج وغيلان الدمشقي ، وكانت وفاته سنة مائة وواحد .

ونص ما كتبه :قال رحمه الله :"من جعل دينه غرضاً للخصومات كثر تنقله من دين إلى دين ومن عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح ، ومن عد كلامه من عمله قل عمله إلا فيما يعنيه" أ.هـ.(١)

٣. ما كتبه عمر بن عبد العزيز(ت١٠١هـ) إلى رجل من الناس في الحث على التمسك بالسنة والبعد عن البدعة:

ونص ما كتبه: فيما يقارب صفحة كاملة ومما جاء فيها :" سلام عليك، أما بعد : فإني أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في أمره واتباع سنة رسوله ، وترك ما أحدث المحدثون بعده مما جرت به سنته وكفوا مؤنته ثم اعلم أنه لم تكن بدعة قط إلا وقد مضى قبلها ما هو دليل عليها وعبرة فيها فعليك بلزوم السنة فإنها بإذن الله لك عصمة ، فإن السنة إنما سنها من قد علم خلافها من الخطأ والزلل ......" أ.هـ.(٢)

٤. ما كتبه عمر بن عبد العزيز (ت١٠١هـ) إلى الناس في تعظيم السنة:

ونص ما كتبه: أنه كتب إلى الناس :" لا رأي لأحدٍ مع سنة سنها رسول الله ﷺ "أ.هـ.(٣)

---

(١) أخرج هذا الأثر بسنده: ابن بطة في الإبانة (٢/ ٥٠٢-٥٠٧)برقم (٥٦٦، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٨،٥٧٧-٥٨٠)بتحقيق رضا نعسان ، والذي فيه التصريح بالكتابة برقم (٥٧٩).وابن عبدالبر في جامع بيان العلم (٢/ ٩٣١)برقم (١٧٧٠)، وسندها صحيح .وبنحوه أبو نعيم في الحلية (٥/ ٣٢٦).

(٢) أخرجه :ابن وضاح في البدع والنهي ص٧٢. ابن بطة في الإبانة (١/ ٣٢١-٣٢٢) برقم (١٦٣-١٦٤). وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٣٣٨).والهروي في ذم الكلام (٤/ ٨٠).

(٣) أخرجه :ابن نصر في تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٦٧٩) .والآجري في الشريعة (١/ ٤٢٣) برقم (١٠٧) . وابن بطة في الإبانة (١/ ٢٦٣) برقم (١٠٠) تحقيق نعسان.والهروي في ذم الكلام (٤/ ٨٢).

٥. كتب عمر بن عبد العزيز(ت١٠١هـ) بإحياء السنة :

ونص ما كتبه :"كتب عمر بن عبد العزيز بإحياء السنة وإماتة البدعة " أ.هـ.[١]

٦. ما كتبه عمر بن عبد العزيز (ت١٠١هـ) في منع اليهود والنصارى من دخول المساجد:

ونص ما كتبه:عن الأوزاعي" أن عمر بن عبد العزيز كتب أن امنعوا اليهود والنصارى من دخول مساجد المسلمين "واتبع نهيه قول الله سبحانه : ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا﴾[التوبة : ٢٨]..." أ.هـ.[٢]

٧. ما كتبه عمر بن عبد العزيز(ت١٠١هـ) إلى ابنه عبد الملك :

ونص ما كتبه:وهي رسالة بمقدار نصف صفحة ومما جاء فيها :"أما بعد : فاتخذ الحق إماماً ، ولا تكن ممن يقبله إذا وافق هواه ، ويدعه إذا خالف هواه ، فإذاً أنت لم تؤجر فيما قبلت منه ، ..." أ.هـ.[٣]

٨. كتاب الحسن البصري(ت١١٠) إلى عمر بن عبد العزيز :

ترجمة موجزة للمصنف[٤]:

هو الحسن بن أبي الحسن يسار أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري ويقال مولى أبي اليسر كعب بن عمرو السلمي ، وكانت أمه مولاة لأم سلمة ﵂ ويسار أبوه من سبي ميسان ، ولد لسنتين بقيتا من خلافة عمر ﵁ ، وكان سيد أهل زمانه علماً وعملاً ، وكان شيخ أهل البصرة ، روى عن عمران بن حصين والمغيرة بن شعبه وعبد الرحمن بن سمرة وسمرة بن جندب وأبي بكرة الثقفي والنعمان بن بشير وجابر وجندب البجلي وابن عباس وغيرهم من صحابة رسول الله ﷺ ، وعنه أيوب ويونس بن عبيد وابن عون وحميد الطويل وثابت البناني ومالك بن دينار وغيرهم كثير ، وكان كثير الإرسال

(١) أخرجه : اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ٥٦)برقم (١٦).
(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (٥/ ٣٢٥).
(٣) أخرجه الهروي في ذم الكلام (٤/ ٨٤).
(٤) انظر : السير (٤/ ٥٦٣-٥٨٨) ، حلية الأولياء (٢/ ١٣١-١٦١).

عن بعض الصحابة ، وكان إماماً في الزهد والوعظ ، وسارت بمواعظه الركبان ، وكانت لها أثر عظيم في قلوب من يسمعها أو يقرأها ، ومع زهده ووعظه إلا أنه كان مفسراً محدثاً فقيهاً كثير الجهاد والغزو ، وكانت وفاته سنة مائة وعشرة .

الرسالة : وردت كاملة فيما يقارب ست صفحات في حلية الأولياء ، وهي تشتمل على التذكير بالله واليوم الآخر والحث على الزهد في الدنيا والعدل بين الرعية .[١]

٩. رسالة أبي الزناد(ت١٣٠هـ) في الاعتقاد :

ترجمة موجزة للمصنف[٢]:

هو أبو الزناد عبد الله بن ذكوان القرشي أبو عبد الرحمن الفقيه الحافظ المفتي ، روى له الأئمة الستة في كتبهم ، وكان "أبوه مولى رملة بنت شيبة بن ربيعة زوجة الخليفة عثمان وقيل مولى عائشة بنت عثمان بن عفان ، وكان مولده سنة خمس وستين في حياة ابن عباس ، روى عن أنس بن مالك وأبي أمامة وأبان بن عثمان وعروة وابن المسيب وغيرهم وعنه ابنه عبد الرحمن وموسى بن عقبة وابن أبي مليكة وغيرهم، وكان ثقة ثبتاً في الرواية، وكان صاحب سنة ، وكان صاحب كتاب وحساب ، وكانت وفاته سنة ثلاثين ومائة.

الرسالة :تتحدث عن التمسك بالسنة وعدم تقديم الهوى والرأي عليها ووجوب العمل بها ، وأن العقل لا يمكن أن يدرك بعض الأمور الغيبية وأنه يجب التسليم للوحي، وهي فيما يقارب ثلاثة صفحات ، وجاء في مقدمتها ما نصه :" إن السنن لا تخاصم ولا ينبغي لها أن تتبع بالرأي، ولو فعل الناس ذلك لم يمض يوم إلا انتقلوا من دين إلى دين ....." أ.هـ.[٣]

---

(١) أخرجها أبو نعيم في الحلية (٢/ ١٣٤-١٤٠).

(٢) انظر :السير (٥/ ٤٤٥-٤٥١)، تهذيب التهذيب (٥/ ١٧٨).

(٣) أخرجها مسندة التيمي في الحجة (١/ ٢٨١-٢٨٤).

١٠. **التوحيد للإمام جعفر الصادق (ت١٤٨):**

ترجمة موجزة للمصنف [(١)]:

هو الإمام جعفر بن محمد بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، وأمه : أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، ونسبه يكذب ما ينقله الرافضة عنه من سب أخواله آل أبي بكر ، يلقب بالصادق وأدرك بعض الصحابة وأخذ عنهم كسهل بن سعد وأنس بن مالك رضي الله عنهما ، وأكثر الرواية عن أبيه محمد الباقر وهو ثقة كأبيه وجده ، وروى عن كبار التابعين وعلماءهم كعطاء بن أبي رباح والزهري وعروة بن الزبير وغيرهم وعنه يحيى بن سعيد الأنصاري وابن جريج ومالك بن أنس والثوري وشعبة روى له أصحاب الكتب الستة إلا البخاري ،وكانت وفاته سنة ثمان وأربعين ومائة للهجرة .

الرسالة :جاء ذكرها في تاريخ التراث العربي لسزكين ولا ندري عن محتواها .[(٢)]

١١. **الفقه الأكبر لأبي حنيفة(ت١٥٠هـ):**

ترجمة موجزة للمصنف :

هو الإمام الفقيه النعمان بن ثابت بن زوطي الكوفي المشهور بأبي حنيفة ، إمام أهل الري ، ولد سنة ثمانين للهجرة ، ولم يكن بذاك في الحديث بل صرف همته للفقه والاستنباط ، وكان على طريقة السلف في باب الاعتقاد إلا في باب الإيمان فقد أخرج الأعمال عن مسمى الإيمان وتلبس بمذهب الإرجاء الذي كان السلف يحذرون منه أشد التحذير ، ولهذا ما نقل عن السلف في ذم أبي حنيفة لأجل هذا الأمر ، وكانت وفاته سنة خمسين ومائة للهجرة.

الكتاب :والكتاب مشهور عند أتباع الإمام أنه من تصنيفه ، ولكن هناك شكوك كبيرة ترجح عدم نسبة الكتاب لأبي حنيفة وذلك يتضح بالآتي :

---

(١) انظر:السير (٦/ ٢٥٥-٢٧٠) ، حلية الأولياء (٣/ ١٩٢-٢٠٦) ، تهذيب التهذيب (٢/ ٨٨).

(٢) تاريخ التراث العربي (١/ ٣/ ٢٧٠).

أ-الكتاب ضعيف السند كما قرر ذلك كثير من الباحثين .[1]

ب-ركاكة بعض العبارات والألفاظ وعدم تناسقها.[2]

ج-خلو الرسالة من أدلة شرعية من الكتاب والسنة .[3]

د-احتواءها على مسائل كثيرة مخالفة لاعتقاد السلف .[4]

والكتاب منسوب للإمام أبي حنيفة من طريقين وكلاهما لا يخلو من مقال شديد في رواته، والصحيح أنه لطلابه وليس له .

وقد نسب هذا الكتاب لأحد طلابه الذهبي وهو أبو مطيع الحكم بن عبد الله البلخي فقال -رحمه الله -:" بلغنا عن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي صاحب الفقه الأكبر .."أ.هـ[5]

وقال الألباني معلقاً على كلام الذهبي :" وفي قول المؤلف:"صاحب الفقه الأكبر " إشارة قوية إلى أن كتاب الفقه الأكبر ليس للإمام أبي حنيفة خلافاً لما هو المشهور عند الحنفية"أ.هـ[6]

ونسب بعض علماء الأحناف المتأخرين الكتاب لأبي مطيع .[7]

١٢. كتاب العالم والمتعلم لأبي حنيفة (ت ١٥٠هـ):

ترجمة المؤلف : تقدمت .

الكتاب :والكتاب على شكل أسئلة ويجيب عنها الإمام أبو حنيفة ، ويظهر أن الكتاب موضوع مكذوب على المصنف حيث أن راويه متهم بالوضع .

---

(١) انظر بحثاً نفيساً بعنوان : برآءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة لفضيلة الشيخ عبدالعزيز الحميدي ص ٤٦-٤٨.

(٢) المصدر السابق ص٤٨.

(٣) المصدر السابق ص٤٩.

(٤) المصدر السابق ص٥٠-٦٦

(٥) العلو للذهبي ص .

(٦) مختصر العلو ص١٣٦.

(٧) وهو اللكنوي في الفوائد البهية ص٦٨.

والكتاب طبع بتحقيق الكوثري .[(١)]

١٣. رسالة مختصرة بعنوان (الوصية) لأبي حنيفة (ت١٥٠هـ):

ترجمة موجزة للمصنف: تقدمت .

الرسالة :وهي وصية للإمام كتبه لطلابه قبل وفاته ، وقد طبعت مع شرحها بعنوان الجوهرة المنيفة في شرح وصية الإمام أبي حنيفة للملا حسين بن اسكندر [(٢)]

وقد ذكرها بعض المصنفين كالزبيدي وغيره .[(٣)]

١٤. رسالة الإمام أبي حنيفة (ت١٥٠هـ) إلى عثمان البتي :

ترجمة موجزة للمصنف: تقدمت.

الرسالة :رسالة موجهة إلى قاضي البصرة **عثمان** بن مسلم البتي [(٤)] في شأن الإرجاء وموقف أبي حنيفة منه ، وفيها تأكيد لما هو مشهور عن أبي حنيفة في مذهبه في إخراج العمل عن مسمى الإيمان ، وسند الكتاب مظلم مسلسل بالمجاهيل فأما من ناحية السند فلا يثبت .[(٥)]

والكتاب أشار إليه بعض الناس [(٦)]، وقد طبع بتحقيق الكوثري .

١٥. رسالة منسوبة إلى الإمام أبي حنيفة (ت١٥٠هـ) في بيان مذاهب أهل السنة والجماعة:

تقدمت ترجمته.

الرسالة :مخطوطة وبعضهم عبر عنها بقوله (المنسوبة للإمام أبي حنيفة)،وهي

---

(١) ممن أشار إليه صاحب هدية العارفين (٦/ ٤٩٥)

(٢) طبعت مع شرح اللفقه الأكبر للماتريدي طبعة الهند ١٣٢١هـ

(٣)انظر :اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين (٢/ ١٤) للزبيدي ،ط.دار الفكر ، مصورة بولاق.

(٤)عثمان بن مسلم البتي أبو عمرو البصري قاضي البصرة وكان من أهل الرأي كانت وفاته سنة ثلاث وأربعين ومائة . انظر : السير (٦/ ١٤٨).

(٥)انظر :براءة الأئمة الأربعة ص٨٠ للحميدي .

(٦) نسبه إلى أبي حنيفة صاحب كشف الظنون (١/ ٨٤٢) وصاحب هدية العارفين (٦/ ٤٩٥)،وسزكين في تاريخ التراث العربي(١/ ٣/ ٤٨).

مذكورة في كتب فهارس المخطوطات.[١]

١٦. رسالة في التوحيد منسوبة لأبي حنيفة(ت١٥٠هـ):

ترجمة المصنف:تقدمت.

الرسالة :مخطوطة ضمن فهارس المكتبات وهي موجودة فيما يقارب عشرين صفحة[٢]

١٧. عقيدة البابلي عن أبي حنيفة(١٥٠هـ) :

الرسالة :لا نعلم عنها سوى أنها مخطوطة ولا نعلم ما هو محتواها ولا من هو هذا البابلي.[٣]

١٨. رسالة في الاعتقاد للإمام الأوزاعي (ت١٥٧) :

ترجمة موجزة للمصنف[٤] :

هو عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد أبو عمرو الأوزاعي ، عالم أهل الشام وشيخ الإسلام في زمانه وكان من أئمة الحديث والسنة صاحب مذهب له أتباع إلا أنه أندثر ، روى عن كبار التابعين كعطاء بن أبي رباح ومكحول وقتادة وغيرهم كثير ، وعنه الزهري وشعبه والثوري وغيرهم ، ولد سنة ثمان وثمانين ، وكانت صنعته الكتابة ورسائله مشهورة وأسلوبه جميل ولم يستطع معاصروه أن يصلوا إلى ما وصل إليه من حسن التصنيف والكتابة ، وكان أفضل أهل زمانه ، وكانت وفاته سنة سبع وخمسين ومائة .

الرسالة :ورسالته في الاعتقاد مشهورة رواها الأئمة بأسانيدهم في كتب الاعتقاد المسندة وهي رسالة مختصرة فيما يقارب الصفحة ومما جاء فيها :" اصبر نفسك على

---

(١)مخطوط في دار الكتب القطرية ضمن مجموع (٨٢-٨٤)، الاستدراكات على سزكين(٣/ ٥).

(٢)مخطوط في مكتبة الحرم المكي برقم (عام ٦٩٨، خاص ٤٥)،في ٢٠صفحة كتبت سنة ١٢٨٠هـ. انظر:الاستدراكات على سزكين(٣/ ٥).

(٣)مخطوط في دار كتب الأوقاف ببغداد برقم (٥٣٧٠)ضمن مجموع وهي الرسالة الخامسة فيه . انظر :الاستدراكات على سزكين (٣/ ١٢).

(٤) انظر : السير (٧/ ١٠٧-١٣٤)،الجرح والتعديل (١/ ١٨٤-٢١٩) ، حلية الأولياء (٦/ ١٣٥-١٤٩).

السنة وقف حيث وقف القوم وقل بما قالوا وكف عما كفوا واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما يسعهم ...." أ.هـ.[١]

١٩. **رسالة في اعتقاد** سفيان الثوري(ت١٦١هـ):

ترجمة موجزة للمصنف[٢] :

هو سفيان بن سعيد بن مسروق بن حبيب الثوري ،الكوفي المجتهد إمام الحفاظ في زمانه ، كان له مذهب فقهي مستقل وله أتباع ، مصنف كتاب الجامع الكبير والصغير ، ولد سنة سبع وتسعين ، وروى عن أيوب السختياني وحصين بن عبد الرحمن وداود بن أبي هند وغيرهم كثير جداً بلغوا ستمائة شيخ وعنه فذكر بعضهم أن من روى عنه يقارب الألف منهم الأعمش وابن جريج والأوزاعي وابن عليه وابن عيينه وأبو داود الطيالسي وغيرهم كثير ،قال عنه شعبة:"سفيان أمير المؤمنين في الحديث " ، وقال أيضاً :"سفيان ساد الناس بالورع والعلم " ،وقال ابن المبارك :"ما أعلم على وجه الأرض أعلم من سفيان"، وكان مع غزارة علمه وحفظه أمّاراً بالمعروف لا تأخذه في الله لومة لائم ، وابتلي في ذات الله مراراً ، وكانت وفاته سنة إحدى وستين ومائة .

الرسالة : مطبوعة ضمن مصنفات السلف ومروية بالإسناد ، وهي أيضاً مخطوطة مستقلة، وهذا يدل على اهتمام أهل العلم بها وهي فيما يقارب ثلاث صفحات أو أربع .

وهي عبارة عن حوار بينه وبين أحد طلابه يدعى شعيب بن حرب[٣] ومما جاء فيها : "قال شعيب بن حرب :قلت لأبي عبد الله سفيان بن سعيد الثوري :حدثني بحديث من السنة ينفعني الله عز وجل به فإذا وقفت بين يدي الله تبارك وتعالى وسألني

---

(١) أخرجها :اللالكائي(١/ ١٥٤).وابن بطة في الإبانة(٢/ ٨٨٢) تحقيق نعسان . والتيمي في الحجة (٢/ ٤٧٤) . وأبو نعيم في الحلية (٦/ ١٤٣) .والهروي في ذم الكلام (٤/ ١٤٩).

(٢)انظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٢٩-٢٧٩) ،تاريخ بغداد (٩/ ١٥١-١٧٤)، حلية الأولياء (٦/ ٣٥٧-٧/ ١٤٤).

(٣)شعيب بن حرب ، أبو صالح المدائني نزيل مكة ، روى عن الثوري وشعبة ومسعر وغيرهم وعنه أحمد بن حنبل ويحيى بن أيوب ويعقوب الدورقي وغيرهم وهو من الثقات الأثبات ، وكانت وفاته سنة سبع وتسعين ومائة .انظر :السير (٩/ ١٨٨) ، التقريب ص٤٣٧برقم (٢٨١٢).

عنه فقال لي :من أين أخذت هذا ؟ قلت يا رب :حدثني بهذا الحديث سفيان الثوري وأخذته عنه فأنجوا أنا وتؤاخذ أنت .

فقال سفيان : يا شعيب هذا توكيد وأي توكيد اكتبْ :

بسم الله الرحمن الرحيم ، القرآن كلام الله غير مخلوق ...."أ.هـ[1]

٢٠. رسالة عبد العزيز بن الماجشون (ت ١٦٤هـ)في الاعتقاد:

ترجمة موجزة للمصنف[2]:

هو عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة الماجشون ، المدني الفقيه المحدث ، وكان ثقة ، وكان ممن يفتي الناس في الحج بلا منازع هو والإمام مالك بن أنس ، وكانت وفاته سنة أربع وستين ومائة .

الرسالة :وقد ذكرها الأئمة مسندة في مصنفاتهم وهي فيما يقارب أربع صفحات ،ومما جاء فيها :" أما بعد فقد فهمت ما سألت فيما تتابعت الجهمية ومن حالفها في صفة الرب العظيم الذي فاتت عظمته الوصف ، والتقدير وكلت الألسن عن تفسير صفته ، وانحسرت العقول دون معرفة قدره ...."أ.هـ[3]

٢١. رسالة في السنة لعبدالرحمن بن القاسم العُتَقي(ت١٩١هـ):

ترجمة موجزة للمصنف[4] :هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم العتقي أبو عبد

(١) الرسالة مخطوطة في الظاهرية وعندي مصورة عنها حصلت عليها من الجامعة الإسلامية (ضمن مجموع برقم :١٣٩(٣٢٨-٣٣١) .والرسالة أخرجها مسندة : اللالكائي (١/ ١٥١-١٥٤).وأشار إليها التيمي في الحجة(٢/ ٤٧٣).وأوردها الذهبي في تذكرة الحفاظ(١/ ٢٠٧)وفي العلو ص٢١٩برقم (٣٤١) بتحقيق الدكتور عبد الله البراك .

(٢) انظر : السير(٧/ ٣٠٩) ، تاريخ بغداد (١٠/ ٤٣٦-٤٣٩).

(٣) أخرجها ابن بطة في الإبانة (٢/ ٥٣٣)نعسان، وأوردها كاملة في موضع آخر في الإبانة كما في تتمة القسم الخاص بالرد على الجهمية بتحقيق الوليد سيف النصر (٣/ ٦٣-٧٠). وذكر جزء منها اللالكائي(٣/ ٥٠٢). وأخرجها الذهبي في :السير(٧/ ٣١١-٣١٢)، وفي العلو ص٢٣١برقم (٣٥١) .وأورد بعضاً منها ابن القيم في حادي الأرواح ص٤١٥ .وشيخ الإسلام في درء التعارض (٢/ ٣٦-٣٧) وعزاه إلى ابن بطة والطلمنكي والأثرم.وفي الحموية ضمن مجموع الفتاوى (٥/ ٤٢) وصحح إسنادها .وصححها الألباني كما في مختصر العلو ص١٤٥ .

(٤) انظر : السير (٩/ ١٢٠-١٢٥)،ترتيب المدارك (٣/ ٢٤٤-٢٦١) ، وفيات الأعيان (٣/ ١٢٩).

الله صاحب الإمام مالك ، عالم الديار المصرية ومفتيها ، روى عن مالك وعبد الرحمن بن شريح ونافع بن أبي نعيم وغيرهم ، وعنه أصبغ بن الفرج ،والحارث بن مسكين ، وسحنون وغيرهم ، وكان ذا مال ودنيا فأنفقها في طلب العلم ، وكان ذا عبادة عظيمة ومباعدة عن أخذ أعطيات السلطان ، وكان في الورع والزهد شيئاً عجيباً ، وكانت وفاته سنة إحدى وتسعين ومائة .

الرسالة:أشار إليها ابن القيم في بعض كتبه .[١]

٢٢. رسالة في الاعتقاد لسفيان بن عيينة(ت١٩٨هـ):

ترجمة المصنف[٢] :

هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي ، أبو محمد الكوفي ، الإمام الحافظ الثقة الثبت عالم الحجاز وفقيهها ومحدثها في زمانه ، كان صاحب سنة واتباع ،ولد سنة سبع ومائة ، سمع من الزهري وابن دينار والأعمش وغيرهم كثير وعنه ابن جريج وشعبة وهم من شيوخه وعلي ابن المديني والحميدي وسعيد بن منصور وغيرهم كثير ، وقال الذهبي :"سفيان حجة مطلقاً وحديثه في جميع دواوين الإسلام ، وكانت وفاته سنة ثمان وتسعين ومائة للهجرة.

الرسالة :وهي رسالة مختصرة جداً فيما يقارب نصف صفحة ، وهذا نصها بتمامه :

"السنة عشرة فمن كن فيه فقد استكمل السنة ومن ترك منها شيئاً فقد ترك السنة : إثبات القدر ، وتقديم أبي بكر وعمر ، والحوض ، والشفاعة ، والميزان ، والصراط ، والإيمان قول وعمل ، والقرآن كلام الله ، وعذاب القبر ، والبعث يوم القيامة ، ولا تقطعوا بالشهادة على مسلم " أ.هـ.[٣]

---

(١) ذكر ذلك الشيخ بكر أبو زيد في موارد ابن القيم في كتبه ص٥٠، وأحال على الصواعق(٢/ ٤٥١).

(٢) انظر : السير (٨/ ٤٥٤) ، حلية الأولياء (٧/ ٢٧٠) ، تاريخ بغداد (٩/ ١٧٤).

(٣) أخرجها بسنده : اللالكائي(٣/ ١٥٥-١٥٦) .وأشار إليها قوام السنة في الحجة (٢/ ٤٧٤) :"..ومنهم أبو محمد سفيان بن عيينة الهلالي فإنه قد أجاب في اعتقاده حين سئل عنه كما رواه محمد بن إسحاق الثقفي ." أ.هـ.

٢٣. السنة لعبد الرحمن بن مهدي(ت١٩٨هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [١]:

هو عبد الرحمن بن مهدي بن حسان بن عبد الرحمن ، أبو سعيد العنبري ، وقيل الأزدي ، مولاهم البصري اللؤلؤي ، كان مولده سنة خمس وثلاثين ومائة ، وكان ناقداً محدثاً ثبتاً سيد الحفاظ في زمانه ، متمسكاً بالسنة شديداً على أهل البدع ، سمع من ابن الماجشون والإمام مالك بن أنس وحماد بن سلمة وغيرهم وعنه ابن وهب وابن حنبل وأبو عبيد وأبو ثور وغيرهم كثير ، كانت وفاته بالبصرة سنة ثمان وتسعين ومائة للهجرة .

الكتاب :قال القاضي عياض :" قال البهلول بن راشد : لم آسف على شيء أسفي على كتاب رأيت ابن مهدي يعرضه على سفيان الثوري ، فأعجب به سفيان ، قال الصمادحي :فلما قدمت على ابن مهدي ذكرته له ، فأخرج لي كتاب السنة والفتن من تأليفه" أ.هـ.[٢]

٢٤. الفقه الأكبر للإمام الشافعي(ت٢٠٤هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [٣]:

هو الإمام محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع المطلبي الهاشمي ،أخذ العلم عن جمع من كبار علماء عصره وعلى رأسهم الإمام مالك والإمام أحمد وهو تلميذه كذلك وابن عيينه والفضيل بن عياض وغيرهم خلائق لا يحصون وعنه الإمام أحمد والحميدي وأبو عبيد القاسم بن سلام وعبد العزيز الكناني صاحب الحيدة وغيرهم كثير ، وكان الشافعي إماماً في الفقه لا يجارى متمسكاً بالآثار ، وحجة في لغة

(١) انظر : السير (٩/ ١٩٢-٢٠٨)، تاريخ بغداد (١٠/ ٢٤٠) ، حلية الأولياء (٣-٦٣).

(٢) ترتيب المدارك للقاضي (٣/ ٢٠٧).

(٣) له ترجمة موسعة في كتابين حسبك بهما :الأول : آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم ، والثاني : مناقب الإمام الشافعي للبيهقي ، وانظر: السير (١٠/ ٥-٩٩) ،تاريخ بغداد (٢/ ٥٦-٧٣)، حلية الأولياء (٩/ ٦٣-١٦١).

العرب ، وقد برز على جميع علماء عصره وشهدوا له بالإمامة وعلو الرتبة ، وعده بعض أهل العلماء من مجددي القرن الثاني وهو أول من وضع علم أصول الفقه من خلال كتابه العظيم الرسالة في أصول الفقه ، وكانت وفاته سنة أربع ومائتين .

الكتاب:هو من الكتب التي نسبت إلى الإمام الشافعي عند بعض المتأخرين ولم يعرف عن الأئمة الكبار المتقدمين الذين ترجموا للإمام الشافعي أنهم نسبوا له هذا المصنف ، وكذلك فإن الكتاب على منهج المتكلمين في الاعتقاد وليس على طريقة السلف التي اشتهر بالانتساب إليها الإمام الشافعي ونصوصه وأقواله في تقرير عقيدة السلف مشهورة متداولة تكذب ما جاء في هذا الكتاب ، ويظهر من الكتاب أنه متطابق مع كتب المتكلمين المتأخرين من الأشاعرة.(١)

٢٥. وصية الإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ):

ترجمته :تقدمت .

الرسالة :وهي عبارة عن وصيته التي ذكرها فيها اعتقاده ومما جاء فيها :" هذه وصية محمد بن إدريس الشافعي ﷺ أوصى أنه يشهد أنه لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً ﷺ عبده ورسوله وأنه يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحدٍ من رسله ، وأن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت ، وأن الله يبعث من في القبور ، وأن الجنة حق ، وأن النار حق ، وأن عذاب القبر والحساب والميزان والصراط حق ، وأن الله يجزي العباد بأعمالهم، عليه أحيا وأموت وعليه أبعث إن شاء الله، وأشهد أن الإيمان قول وعمل ومعرفة القلب يزيد وينقص ، وأن القرآن كلام الله تعالى غير مخلوق ..." أ.هـ (٢) ،ثم ذكر بقية اعتقاده .

---

(١) انظر :الدراسة التي كتبها الشيخ عبدالعزيز الحميدي في كتابه براءة الأئمة الأربعة ص٨٨-٩١ ، وأثبت عدم صحة نسبة الكتاب للإمام الشافعي وقد استظهر أن ما فيه منقول من كلام للباقلاني أحد أئمة الأشاعرة من كتابه المشهور الإنصاف وعقد مقارنة بين من خلالها هذا الأمر.

(٢) وصية الشافعي: أخرجها الهكاري في اعتقاد الشافعي ص١٤ مطبوعة ضمن مجموع فيه ثلاث رسائل بتحقيق الدكتور عبدالله البراك ط.دار الوطن ،ط.الأولى ١٤١٩هـ. وأخرجها :ابن قدامة في العلوبرقم

٢٦. رسالة في الاعتقاد للشافعي(ت٢٠٤هـ) يرويها يونس بن عبد الأعلى:

ترجمة المصنف :تقدمت .

الرسالة :وهي رسالة يرويها ابن أبي حاتم عن أبي شعيب وأبي ثور عن الشافعي ،وهي صحيحة الإسناد عنه ومما جاء فيها :" القول في السنة -التي أنا عليها ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم فأخذت عنهم مثل سفيان بن عيينة ، ومالك وغيرهما -الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وأشهد أن الجنة والنار حق ..." أ.هـ ثم ذكر بقية اعتقاده.(١)

٢٧. رسالة في الصفات (سؤال أجاب عليه الشافعي(٢٠٤هـ) :

ترجمة موجزة للمصنف:تقدمت.

الرسالة :هو سؤال وجه للشافعي عن صفات الله رواها ابن أبي حاتم عن يونس بن عبد الأعلى وسندها صحيح ومما جاء فيها :"..لله تبارك وتعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه ، وأخبر بها نبيه ﷺ أمته ،لا يسع أحداً من خلق الله قامت عليه الحجة ردها ؛ لأن القرآن نزل به ، وصح عن رسول الله ﷺ القول به ، فيما روى عنه العدل ، فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر بالله ، وأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر معذور بالجهل ،..."أ.هـ إلى أخر ما قال.(٢)

٢٨. أصول الدين ومسائل السنة للشافعي(ت٢٠٤هـ):

ترجمة موجزة للمصنف:تقدمت.

=(١٠٧) ص١٣٢-١٣٤.وأوردها الذهبي في العلو برقم (٤٠٥) ص٨٠٢ ووهن إسنادها ، وقال في السير(١٠/ ٧٩) بأنها غير صحيحة.وأخرج الوصية البيهقي في مناقب الشافعي (٢/ ٢٨٨-٢٩٠) ولكن بألفاظ تختلف عن هذه .

(١) أخرجها ابن قدامة في العلو برقم (١٠٨) ص١٣٥-١٣٦ .والهكاري في اعتقاد الإمام الشافعي ص١٦-١٨ برقم (٤).وأوردها الذهبي في العلو برقم (٤٠٤)ص٨٠١.

(٢) أخرجها ابن قدامة في العلو برقم ١٠٩ص ١٣٦ مختصرة .وأخرجها الهكاري في اعتقاد الشافعي ص٢٠-٢١ برقم ٧.وأشار إليها الذهبي في السير (١٠/ ٧٩).وابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة (٢/ ٢٦٨).

الكتاب :ذكر أنه مخطوط سزكين في تاريخ التراث .[١]

٢٩. السنة والجماعة وذم الهوى للواقدي(ت٢٠٧هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [٢]: هو أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد الواقدي المدني ، مولى بني سهم إحدى بطون بني أسلم ، كانت ولادته سنة ثلاثين ومائة ، في آخر خلافة مروان بن محمد ، كان اهتمامه بالتاريخ والسير والأخبار وأصبح مبرزاً في هذا العلم ، ولكنه ضعف في رواية الحديث ، ومما جاء في ترجمته أنه قال :" ما أدركت رجلاً من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء ولا مولى لهم إلا سألته :هل سمعت أحداً من أهلك يخبرك عن مشهده وأين قتل ، فإذا أعلمني مضيت إلى الموضع فأعاينه ، ولقد مضيت إلى المريسيع فنظرت إليها ، وما علمت غزاة إلى مضيت إلى ذلك الموضع حتى أعاينه " أ.هـ ، وكانت وفاته سنة سبع ومائتين .

الكتاب :ذكر في الكتب والفهارس ولا نعلم عنه شيئاً ، وجاء عنوانه عند ابن النديم : "كتاب السنة والجماعة وذم الهوى وترك الخروج في الفتن" أ.هـ.[٣]

٣٠. كتاب السنة لأسد بن موسى الملقب بـ(أسد السنة)، (ت٢١٢هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [٤]:هو أبو سعيد أسد بن موسى بن إبراهيم بن الخليفة الوليد بن عبد الملك بن مروان الأموي ، ولد بالبصرة ،وقيل بمصر سنة سقوط دولة بني أمية سنة اثنتين وثلاثين ومائة ، وقد كان حافظاً ثقةً روى عن شعبة وابن أبي ذئب وجرير بن عبد الحميد وغيرهم كثير وعنه أحمد بن صالح وعبد الملك بن حبيب الفقيه والربيع بن سليمان وغيرهم كثير ، وقال البخاري :" هو مشهور الحديث يقال له : أسد

---

(١) تاريخ التراث لسزكين (١/ ٣/ ١٨٩) وذكر أنها مخطوطة في كلية الحقوق بجامعة طهران٢٥١ج(١٣٥ب-١٣٨أ، انظر الفهرس (٢٤٩-٢٥٠).

(٢) انظر :السير (٧/ ١١٧) ، الفهرست لابن النديم ص١١١ ، تاريخ دمشق (١١/ ٣)، ومقدمة كتابه الردة بتحقيق د.يحيى الجبوري ،ط.دارالغرب الإسلامي .الأولى ١٤١٠هـ.

(٣) ذكره البغدادي في هدية العارفين (٦/ ١٠) ، وابن النديم في الفهرست ص ١١١ ، وفي معجم المؤلفين لكحالة (١١/ ٩٦) ، وانظر :الاستدراكات على سزكين (٣/ ٤٢).

(٤) انظر : السير (١٠/ ١٦٢)، الجرح والتعديل (٢/ ٣٣٨) .

السنة " أ.هـ، ومن كتبه كتاب الزهد ، وكانت وفاته سنة اثنتي عشرة ومائتين .

الكتاب :الكتاب ذكر في الفهارس ولا نعلم عنه شيئاً ، ولكن لا عجب فلقبه يدل على تمسكه وعنايته بالسنة فهو (أسد السنة).(١)

٣١. رسالة من أسد بن موسى (أسد السنة)(ت٢١٢هـ)إلى أسد الفرات في لزوم السنة والتحذير من البدع :

ترجمة المصنف : تقدمت .

الرسالة :وهذه الرسالة كتبها هذا الإمام إلى أحد علماء المسلمين المجاهدين الذين أظهروا السنة ومما جاء فيها:"اعلم يا أخي إنما حملني على الكتاب إليك ما ذكر أهل بلادك من صالح ما أعطاك الله من إنصافك الناس وحسن حالك مما أظهرت من السنة ، وعيبك لأهل البدع ، وكثرة ذكرك لهم وطعنك عليهم ، فقعهم الله بك وشد بك ظهر أهل السنة وقواك عليهم بإظهار عيبهم والطعن عليهم فأذلهم الله بذلك وصاروا ببدعتهم مستترين ، فأبشر أي أخي بثواب ذلك .....:أ.هـ (٢) إلى آخر ما قال ، وهي فيما يقارب صفحتين ونصف.

٣٢. أصول السنة للحميدي (ت٢١٩هـ):

ترجمة المصنف (٣) :هو عبد الله بن الزبير بن عيسى بن عبيد الله بن أسامة ، أبو بكر القرشي الأسدي الحميدي المكي ، شيخ الحرم وصاحب المسند ، روى عن الفضيل وسفيان ابن عيينة و وكيع والشافعي عنه البخاري وقد روى عنه أول حديث في صحيحه والذهلي وأبو زرعة وأبو حاتم الرازيان وغيرهم كثير ، وشهد بإمامته وجلالته حفاظ عصره ممن ذكرنا ، وكان صاحب سنة شديداً على أهل البدع ، وكان ثقة ثبتاً ، وكانت وفاته سنة تسع عشرة ومائتين .

(١) الكتاب ذكره البغدادي في هدية العارفين (٥/ ٢٠٣) .

(٢) أخرجها :ابن وضاح في البدع ص٣٤-٣٨.وأوردها الشاطبي في الاعتصام (١/ ٣٣) ، وذكرها ابن خير في فهرسته ص٢٩٩.

(٣) السير (١٠/ ٦١٦) ، طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ١٤٠).

الكتاب :والكتاب طبع في آخر مسنده ، وطبع مستقلاً ، وهو كتاب مختصر فيه تعرض لبعض مسائل الاعتقاد ، وأفاد منه العلماء ونقلوا منه كشيخ الإسلام وابن القيم والذهبي ، ومع صغر حجم الكتاب إلا أنه شمل مسائل الاعتقاد الكبرى بلفظ موجز جامع ،وهو فيما يقارب صفحتين أو ثلاث .(١)

٣٣. الأصول لأصبغ بن الفرج (ت٢٢٥هـ):

ترجمة موجزة للمصنف (٢):هو أصبغ بن الفرج بن سعيد بن نافع مولى عبد العزيز بن مروان أبو عبد الله ، روى عن الدراوردي وأشهب والقاسم وابن وهب وغيرهم كثير ، وعنه الذهلي والبخاري وابن وضاح وغيرهم كثير ، ورحل ليأخذ عن مالك فدخل المدينة يوم وفاته ، وكان من أفقه أهل مصر ، وكان صاحب سنة ،وصاحب تآليف حسان ، وممن امتحن في فتنة خلق القرآن فطلب فهرب واختفى إلى أن مات سنة خمس وعشرين ومائتين .

الكتاب :ذكره القاضي عياض وأنه يقع في عشرة أجزاء .(٣)

رسالة في أصول أهل السنة والجماعة لمحمد بن عكاشة الكرماني (كان حياً سنة ٢٢٥هـ):

ترجمة موجزة للمصنف (٤) :هو محمد بن عكاشة الكرماني أو محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن عكاشة بن محصن العكاشي نسبة إلى جده الأعلى ، ويقال له : محمد بن محصن العكاشي ،روى عن الأعمش وابن عجلان والأوزاعي والثوري وغيرهم وعنه مصعب بن سعيد ويحيى بن سعيد العطار الحمصي وغيرهما ، وهو ممن اتهم بالكذب

---

(١) طبع في آخر المسند للمصنف (٢/ ٥٤٦-٥٤٨).وأخرجه مسنداً : ابن قدامة في ذم التأويل ص٢٤ برقم (٣٩).وابن منده في التوحيد (٣/ ٤٠٩) برقم (٩٠٣) .والذهبي في العلو ص٨١٠ برقم (٤١٥)، وفي تذكرة الحفاظ (٢/ ٤١٤).ونقل منها مقاطع شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٤/ ٦).وابن القيم في اجتماع الجيوش ص٢٢٠ .وطبع مستقلاً بتحقيق مشعل الحداري ط.دار ابن الأثير -الكويت ط.الأولى ١٤١٨هـ.

(٢) انظر : ترتيب المدارك (٤/ ١٧-٢٢) ، السير (١٠/ ٦٥٦-٦٥٨).

(٣) انظر :ترتيب المدارك (٤/ ٢٠).

(٤) انظر: لسان الميزان لابن حجر (٥/ ٢٨٦-٢٨٩)، تهذيب التهذيب (٩/ ٣٨١).

والوضع في الحديث ، وكان ممن يضع الحديث ليرغب الناس في فضائل الأعمال ، وكان عابداً زاهداً كثير البكاء من خشية الله .

الرسالة :الرسالة في عقيدة أهل السنة والجماعة وفيها نقول عن السلف وقد وصلت إلينا بعض المواضع منها وأفاد منها الملطي [(١)] في كتابه التنبيه والرد وذكر بدايتها الحافظ بن حجر في اللسان فقال:"أن محمد بن عكاشة الكرماني قال : هذه رسالة في أصول أهل السنة والجماعة منهم سفيان بن عيينة و وكيع ..."قال الحافظ : وسرد جمعاً كبيراً من أهل الكوفة والشام والبصرة والحجاز والعراق .."أ.هـ، ونقل منها الملطي في التنبيه والرد مقدمتها التي أشار إليها الحافظ ثم بعد سرده لأسماء العلماء قال :" فكانوا يقولون : الرضا بقضاء الله ، والتسليم لأمر الله ، والصبر على حكم الله ، والأخذ بما أمر الله ، والنهي عما نهى الله ، ..."أ.هـ، ثم ذكر بقية الاعتقاد.[(٢)]

٣٤. رسالة في اعتقاد علي بن المديني (ت٢٣٤هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [(٣)] :هو علي بن عبد الله بن جعفر السعدي ، أبو الحسن المديني ، أمير المؤمنين في الحديث ،كان إماماً في الحديث والعلل ، قال ابن أبي حاتم : "كان علي علماً في الناس في معرفة الحديث والعلل" ، وكان أحمد لا يسميه إنما يكنيه تبجيلاً له ، وكان ممن رحل وصنف التصانيف ،روى عن ابن وهب وابن عيينة وعبد الرزاق وغيرهم، وعنه أحمد بن حنبل والبخاري وأبو داود وأبو حاتم وغيرهم ،له مصنفات كثيرة قال الخطيب إنها فقدت لم يبق منها سوى أربعة أو خمسة ،كانت وفاته سنة أربع وثلاثين ومائتين.

الرسالة :ذكر هذه الرسالة اللالكائي ومما جاء فيها :" السنة اللازمة التي من ترك

---

(١) الملطيي هو:أبو الحسين محمد بن أحمد بن عبدالرحمن الملطي الشافعي فقيه مقري له كتاب في الفرق بعنوان التنبيه والرد مطبوع ، كانت وفاته سنة ٣٧٧هـ.انظر: طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٧٧) .

(٢) أشار إليها الملطي ولعله نقلها كاملة في التنبيه والرد ص٢٥-٢٨تحت باب بعنوان (باب ما شرح من بيان السنة).وأشار إليها التيمي قوام السنة في الحجة (٢/ ٤٧٥).والحافظ ابن حجر في اللسان (٥/ ٢٨٨). وسزكين في تاريخ التراث (١/ ٤/ ٢٨).وعزا إلى ابن عساكر ذكرها.

(٣) انظر :السير (١١/ ٤١-٦٠)،تاريخ بغداد (١٠/ ٤٥٨).

منها خصلة لم يقلها أو يؤمن بها لم يكن من أهلها : الإيمان بالقدر خيره وشره ، ثم تصديق بالأحاديث والإيمان بها لا يقال لم ؟ولا كيف ؟إنما هو التصديق بها والإيمان بها وإن لم يعلم تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كفي ذلك وأحكم عليه الإيمان والتسليم ..." أ.هـ.[(١)]

٣٥. السنة لابن أبي شيبة (٢٣٥هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [(٢)]:هو عبد الله بن محمد بن القاضي أبي شيبة إبراهيم بن عثمان ، أبو بكر العبسي ، سيد الحفاظ ، صاحب المصنفات الكبار كالمسند والمصنف والتفسير ، سمع من ابن المبارك وابن عيينة وعباد بن العوام وغيرهم ، وعنه أحمد بن حنبل وأبو زرعة وأبو بكر بن أبي عاصم وبقي بن مخلد وغيرهم ،وكان ثقة ثبتاً ، وقال الفلاس :"ما رأيت أحفظ من أبي بكر بن أبي شيبة ..." ، وحدث أيام المتوكل وحضر مجلس تحديثه ما يقارب ثلاثين ألفاً ، وكانت وفاته سنة خمس وثلاثين ومائتين .

الكتاب : ذكره شيخ الإسلام ضمن مصنفات السلف .[(٣)]

٣٦. رسالة في الاعتقاد لمصعب الزبيري(٢٣٦هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [(٤)]:مصعب بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير بن العوام الأسدي ، أبو عبد الله الزبيري ، المدني ، نزيل بغداد ، عالم بالنسب ، سمع مالك بن أنس والضحاك بن عثمان والدراوردي وابن عيينه وغيرهم كثير ، وعنه ابن ماجه وأبو يعلى والزبير بن بكار وغيرهم ، واتهم بالوقف في القرآن وهو منه بريء كما سوف يأتي في النقل عنه ، وكانت وفاته سنة ست وثلاثين ومائتين.

الرسالة:نقل مقاطع منها التيمي الأصبهاني في الأسماء والصفات وفي موضع آخر

(١) أخرجها اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٦٥-١٧١)، وماجاء فيها يتشابه إلى حد كبير مع ماجاء في رسالة الإمام أحمد في الاعتقاد.

(٢) انظر: السير (١١/ ١٢٢) ،تاريخ بغداد (١٠/ ٦٦)،تهذيب التهذيب (٦/ ٣).

(٣) انظر :مجموع الفتاوى (٥/ ٢٤).

(٤) انظر :السير (١١/ ٣٠-٣٢) ، التقريب ص٩٤٦برقم (٦٧٣٨).

في باب الإيمان ، ومما جاء فيما يخص الأسماء والصفات أنه قال :" إن الله يتكلم بغير مخلوق ، وإنه يسمع بغير ما يبصر ، ويبصر بغير ما يسمع ....وإنه سميع بصير ، وكل اسم من هذه يقع في موضع لا يقع عليه الاسم الآخر ....." أ.هـ.[(١)]

وقال في موضع آخر عن الإيمان :"..اختلف الناس في الإسلام والإيمان ، فقال بعضهم : هما اسمان بمعنى واحد ، فالمسلم مؤمن ، والمؤمن مسلم ، وقال آخرون : الإسلام هو المنزلة الأولى ، والإيمان أعلى منها ، والإسلام عندهم هو الإقرار باللسان ، والإيمان عندهم التصديق بالقلب ...."أ.هـ إلى آخر ما قال .[(٢)]

ومن خلال نقله في باب الإيمان يظهر أن الرسالة ليست مختصرة لأنه ذكر الأقوال في الإيمان ثم ذكر حجة كل طائفة ثم رد عليها بشكل مختصر ،وهذا عادة لا يكون في الرسائل المختصرة.

٣٧. رسالة إسحاق بن راهوية(ت٢٣٨هـ) إلى أبي زرعة الرازي في الحث على التمسك بالسنة :

ترجمة موجزة للمصنف[(٣)] :هو أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المروزي المشهور براهويه ، كان مولده سنة إحدى وستين ومائة ، روى عن ابن المبارك والفضيل بن عياض والدراوردي وابن وهب و وكيع وغيرهم كثير وعنه أحمد بن حنبل وابن معين والبخاري والذهلي وغيرهم كثير ، قال الحاكم :"إسحاق بن راهوية إمام عصره في الحفظ والفتوى سكن نيسابور ، ومات بها .."، وكان ممن أظهر السنة وحارب البدع ، وكان سيد الحفاظ في زمانه من مصنفاته المسند ، وكانت وفاته سنة ثمان وثلاثين ومائتين.

الرسالة :قال ابن أبي حاتم :"قرأت كتاب إسحاق بن راهويه بخطه إلى أبي زرعة : "إني ازداد بك كل يوم سروراً فالحمد لله الذي جعلك ممن يحفظ سنته ، وهذا من أعظم

---

(١) الحجة في بيان المحجة (١/ ٣٩٢-٣٩٤).

(٢)الحجة (١/ ٤١٦-٤٢٠).

(٣) انظر: السير (١١/ ٣٥٨-٣٨٣)، حلية الأولياء(٩/ ٢٣٤)، طبقات الحنابلة(١/ ٢٨٦-٢٨٩).

ما يحتاج إليه طالب العلم اليوم ،وأحمد بن إبراهيم لا يزال في ذكرك الجميل حتى يكاد يفرط ، وإن لم يكن فيك بحمد الله إفراط ، وأقرأني كتابك إليه **نحو ما أوصيتك من إظهار السنة وترك المداهنة فجزاك الله خيراً فدم على ما أوصيتك فإن للباطل جولة ثم يضمحل** ، وإنك ممن أحب صلاحه وزينه ، وإني أسمع من إخواننا القادمين ما أنت عليه من العلم والحفظ فأسر بذلك " أ.هـ.[١]

٣٨. رسالة في الاعتقاد لأبي رجاء قتيبة بن سعيد الثقفي(ت٢٤٠هـ):

ترجمة موجزة للمصنف[٢]:هو أبو رجاء قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف الثقفي مولاهم البلخي البغلاني ، من أهل قرية بغلان ، من موالي الحجاج بن يوسف الأمير ، وكان مولده سنة تسع وأربعين ومائة ، قال عنه الذهبي :"شيخ الإسلام ، المحدث الإمام ، الثقة الجوال ، راوية الإسلام "أ.هـ، روى عن مالك والليث وشريك وحماد بن زيد وغيرهم كثير وعنه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي والترمذي وأكثروا عنه ، وغيرهم كثير ، وكان ثبتاً صاحب سنة وجماعة ، وكانت وفاته سنة أربعين ومائتين .

الرسالة :قال التيمي قوام السنة :"..ومنهم أبو رجاء قتيبة بن سعيد الثقفي البغلاني له اعتقاد رواه عنه أبو العباس السرّاج ..." أ.هـ.[٣]

٣٩. رسالة في اعتقاد أبي ثور(ت٢٤٠هـ):

ترجمة موجزة للمصنف[٤] :هو أبو ثور إبراهيم بن خالد الكلبي الفقيه البغدادي ، ويكنى أبا عبد الله ، سمع من سفيان ابن عيينة و وكيع والشافعي وغيرهم وعنه أبو داود وابن ماجه ومحمد بن إسحاق السراج وغيرهم كثير ، قال أحمد بن حنبل :"أعرفه بالسنة منذ خمسين سنة ، وهو عندي في مسلاخ سفيان الثوري "أ.هـ، قال ابن حبان:"كان أحد أئمة الدنيا فقهاً وعلماً وورعاً وفضلاً .." أ.هـ ، كانت وفاته سنة

---

(١) الجرح والتعديل (١/ ٣٢٩) ، وذكره أيضاًفي نفس الكتاب (١/ ٣٤٤).

(٢) انظر : السير (١١/ ١٣-٢٤) ، تاريخ بغداد (١٢/ ٤٦٤)،طبقات الحنابلة (٢/ ٢٠٤).

(٣) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٤٧٥).

(٤) انظر : السير (١٢/ ٧٢)، تاريخ بغداد (٦/ ٦٥) .

أربعين ومائتين .

الرسالة :الرسالة في أصلها جواب عما سأله أهل خراسان عن بعض أمور الاعتقاد ، وأخرجها اللالكائي بسنده قال :"أرسل رجل من أهل خراسان إلى أبي ثور إبراهيم بن خالد بكتاب يسأل عن الإيمان ما هو ؟ويزيد وينقص ؟وقول ؟ أو قول وعمل ؟ أو قول وتصديق وعمل ؟

فأجابه : إنه التصديق بالقلب والإقرار باللسان وعمل الجوارح ، وسأله عن القدرية من هم ؟ فقال : إن القدرية من قال إن الله لم يخلق أفاعيل العباد ، وأن المعاصي لم يقدرها الله على العباد ولم يخلقها ، فهؤلاء قدرية لا يصلى خلفهم ولا يعاد مريضهم ولا يشهد جنائزهم ....." أ.هـ إلى آخر ما قال. [1]

رسائل الإمام أحمد(ت٢٤١هـ) في الاعتقاد:

ترجمة موجزة للإمام أحمد [2]:

هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني ، إمام أهل السنة حقاً وصدقاً العالم المتبحر المحدث الفقيه الزاهد العابد ،كان قدوة للعلماء في عصره وبعد عصره علماً وورعاً وزهداً وجهاداً ودعوة وخلقاً ، امتحن في ذات الله بسبب عدم إجابته للمعتزلة في قولهم الظالم (أن القرآن مخلوق) ، كان مولده سنة أربع وستين ومائة في شهر ربيع الأول، طلب العلم وهو ابن ست عشرة سنة وكان ببغداد وارتحل وطوف في البلدان فرحل إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والجزيرة ،أخذ العلم عن هشيم وسفيان بن عيينة وابن عليه وابن مهدي والشافعي وعبد الرزاق والقطان وغيرهم كثير وعنه البخاري ومسلم وأبو داود وابن المديني وابن معين وولده عبد الله وصالح والأثرم والذهلي وحرب الكرماني وإبراهيم الحربي وغيرهم كثير ، قال الشافعي :"أحمد إمام في ثمان خصال :إمام في الحديث ، إمام في الفقه ، إمام في اللغة ،

(١) أخرج الرسالة اللالكائي هذه الرسالة في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٧٢).

(٢) انظر : مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي وهو أوسع من ترجم له ، وطبقات الحنابلة(١/ ٨-٤٣)، سير أعلام النبلاء(١١/ ١٧٧-٣٥٨) ، تاريخ بغداد (٤/ ٤١٢-٤٢٣) ، حلية الأولياء(٩/ ١٦١-٢٣٣).

إمام في القرآن ،إمام في الفقر ، إمام في الزهد ، إمام في الورع ، إمام في السنة " أ.هـ ، وكفى بهذه الشهادة لمعرفة منزلة هذا الإمام العظيم ، وصنف المصنفات التي سار بذكرها الناس وتناقلها العلماء في القديم والحديث ، ككتابه العظيم ديوان أهل الإسلام (المسند) ورسائله ومسائله كثيرة وسنذكر طرفاً منها –أن شاء الله – وصنف في فنون متنوعة ، وكانت وفاته سنة إحدى وأربعين ومائتين ، قال الوراق :"مابلغنا أن جمعاً في الجاهلية والإسلام مثله –يعني من شهد جنازته- حتى بلغنا أن الموضع مسح وحزر على الصحيح ، فإذا هو نحو ألف ألف ...." أ.هـ.

٤٠. رسالة الإمام أحمد إلى مسدد بن مسرهد:

وهذه الرسالة أوردها مسندة ابن أبي يعلى وقد تكلم في إسنادها ، لكنها مشهورة ومتداولة بين أهل العلم ، قال شيخ الإسلام :"وأما رسالة أحمد إلى مسدد بن مسرهد فهي مشهورة عند أهل الحديث والسنة من أصحاب أحمد وغيرهم ، تلقوها بالقبول ، وقد ذكرها أبو عبد الله بن بطة في كتاب الإبانة واعتمد عليها غير واحد كالقاضي أبي يعلى وكتبها وبخطة " أ.هـ ، وسببها أنه لما أشكل على مسدد أمر الفتنة وما وقع الناس فيه من الاختلاف في القدر والرفض والاعتزال وخلق القرآن والإرجاء كتب إلى أحمد بن حنبل :"اكتب إلي بسنة رسول الله ﷺ فلما ورد كتابه إلى أحمد بن حنبل بكى وقال : "إنا لله وإنا إليه راجعون ، يزعم هذا البصري أنه أنفق على العلم مالاً عظيماً وهو لا يهتدي إلى سنة رسول الله ﷺ فكتب إليه :" بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله الذي جعل في كل زمان بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى وينهونه عن الردى ويحيون بكتاب الله تعالى الموتى ...." أ.هـ ، ثم ذكر بقية الاعتقاد.[1]

---

(١) الرسالة أخرجها مسندة :ابن بطة في الإبانة كما هو في سند أبي يعلى ونص عليه شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٥/ ٣٩٦).

وأخرجها بسنده :أبو يعلى في الطبقات (٢/ ٤٢٦-٤٣٢) محققة ، وفي إبطال التأويلات(١/ ٢٦١) .وأخرجها بسنده :ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد ص ٢٢٤ .وذكره شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٥/ ٣٩٦) ونقلنا إثباتها عنه .ونقلها كاملة: العليمي في المنهج الأحمد (١/ ١٦٦-١٧١) بتحقيق عبدالقادر الأرناؤوط

٤١. رسالة الإمام أحمد في الاعتقاد برواية عبدوس بن مالك العطار:

وهذه الرسالة يكاد يجمع المحققون على صحة نسبتها للإمام أحمد ، وهي مشهورة متداولة في كتب أهل العلم ورووها بالأسانيد إلى الإمام أحمد ، ومما جاء فيها :"أصول السنة عندنا :التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة ، وترك الخصومات والجلوس مع أصحاب الأهواء ..." أ.هـ ، ثم ذكر بقية الاعتقاد.[1]

٤٢. رسالة في الاعتقاد للإمام أحمد يرويها عنه الاصطخري :

وهذه الرسالة نقلها بعض أهل العلم [2]، ولكنها لا تثبت لعدة أمور:

١- عدم صحة سندها ففيه مجاهيل .[3]

٢- أن هذه الرسالة لم ينص عليها من لهم عناية برسائل الإمام أحمد كالخلال من المتقدمين وشيخ الإسلام وابن القيم من المتأخرين.

٣- نص بعض أهل العلم على أنها مكذوبة وموضوعة على الإمام أحمد كالإمام

=ط.مكتبة الرشيد –الرياض ط.الأولى ١٩٩٧م. والألوسي في جلاء العينين في محاكمة الأحمدين ص٢١٧ط.المدني ١٤٠١هـ. وابن بدران في المدخل ص ٥٢تحقيق د.التركي ط.مؤسسة الرسالة ط.الثانية ١٤٠١هـ،ونقل شيخ الإسلام عن ابن منده تضعيفه لهذه الرسالة عن أحمد بل عدها مكذوبة لما فيها من بعض الألفاظ التي عليها بعض الملاحظات ،انظر مجموع الفتاوى (٥/ ٢٤٢). ومن المتأخرين ممن شكك في نسبتها الشيخ الحميدي في رسالته براءة الأئمة الأربعة ص١٠٢-١٠٥.

(١) أخرجها :الخلال في السنة (١/ ١٧٢)برقم (١٦٨). واللالكائي (١/ ١٥٦-١٦٤).وابن أبي يعلى في الطبقات (٢/ ١٦٦-١٧٤) ، وفي إبطال التأويلات(١/ ٤٤، ٥٥٢).وابن الجوزي في المناقب ص٢١٦.وذكرها شيخ الإسلام في مواضع : درء التعارض (٥/ ٢٩٧)،(٧/ ٣١٧) ، منهاج السنة (١/ ٥٢٩) ، (٨/ ٣٨٢).وذكرها العليمي في المنهج الأحمد (٢/ ١٤٣-١٤٥).وابن بدران في المدخل ص ٦٩.والألوسي في جلاء العينين ص ٢٢١.وورت في صلة الخلف ص٢٤٧.، وسزكين في تاريخ التراث (١/ ٣/ ٢٢٨)

(٢) أخرجها مسندة ابن أبي يعلى في الطبقات (١/ ٥٤-٧٤).ونقل منها مقطعاً يسيراً التيمي في الحجة في بيان المحجة (١/ ٤٢٧)،والعليمي في المنهج الأحمد (٢/ ٤٦) ،وابن بدران في المدخل ص ٨٦، والذهبي في السير (١١/ ٣٠٢)،وسزكين في تاريخ التراث (١/ ٣/ ٢٢٦).

(٣) انظر :برآءة الأئمة الأربعة للحميدي ص١١٤-١١٥.

الذهبي ، وبين أسباب ذلك.[1]

٤-اشتمالها على ألفاظ منكرة يبعد أن يقولها إمام من أئمة السنة كالإمام أحمد مثل:

- (أن الله سميع لا يشك وبصير لا يرتاب.....) ، ومنهج أهل البدع تفسير الصفة بسلب النقيض وليس منهج أهل السنة .

- (أن الله يتحرك ...) قال شيخ الإسلام:" والمنصوص عن الإمام أحمد إنكار نفي ذلك ولم يثبت عنه إثبات لفظ الحركة " أ.هـ.[2]

- (من زعم أنه لا يرى التقليد ولا يقلد أحداً في دينه أحداً فهو فاسق عند الله ورسوله ﷺ) ، وكيف يفسق الإمام من فعل أمراً محموداً وهو ترك التقليد.

٥-اشتمالها على بعض الأحاديث الموضوعة ، وهذا يبعد أن يرويه إمام المحدثين وشيخ النقاد وسيد الحفاظ الإمام أحمد بن حنبل .

٦-اشتمالها على معلومات مغلوطة لا يقولها مبتدىء في طلب العلم فضلاً عن إمام وعالم كالإمام أحمد مثل قوله عن الرافضة :" وهم الذين يتبرؤون من أصحاب محمد رسول الله ﷺ ويسبونهم وينتقصونهم ويكفرون الأئمة الأربعة : علي وعمار والمقداد وسلمان .." أ.هـ ، فهل الرافضة يكفرون هؤلاء أم يمجدونهم ويغلون فيهم .

٧-يظهر أن الرسالة لحرب الكرماني وليست للإمام أحمد كما نص على ذلك بعض من درس هذه الرسالة .[3]

٤٣. رسالة في الاعتقاد للإمام أحمد رواها عنه الحسن بن إسماعيل بن الربعي :

وهذه الرسالة نص عليها ابن أبي يعلى وغيره ومما جاء فيها :" قال لي أحمد بن حنبل -إمام أهل السنة والصابر تحت المحنة- : أجمع تسعون رجلاً من التابعين وأئمة

---

(١) في السير (١١/ ٣٠٣) حيث قال :"والله ماقالها الإمام فقاتل الله واضعها.." أ.هـ.

(٢) الاستقامة (١/ ٧٢).

(٣) انظر : بحثاً نفيساً للشيخ الحميدي في براءة الأئمة الأربعة ص١٢٠-١٢٣ .

المسلمين وأئمة السلف وفقهاء الأمصار على : أن السنة التي توفي عليها رسول الله ﷺ أولها : الرضا بقضاء الله عز وجل ، والتسليم لأمره ، والصبر على حكمه ،والأخذ بما أمر الله به ....:أ.هـ إلى آخر الاعتقاد.(١)

٤٤. رسالة في الاعتقاد للإمام أحمد يرويها محمد بن يونس السرخسي ومحمد بن حميد الأندرابي :

الرسالة أخرجها ابن أبي يعلى ومما جاء فيها :" صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة : من يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ،وأقر بجميع ما أتت به الأنبياء والرسل ، وعقد قلبه على ما أظهر من لسانه ، ولم يشك في إيمانه ، ولا يكفر أحداً من أهل التوحيد بذنب ..." أ.هـ ثم ذكر بقية الاعتقاد.(٢)

٤٥. رسالة في الاعتقاد للإمام أحمد يرويها محمد بن عوف الطائي الحمصي :

وهذه الرسالة مشهورة ومتداولة وذكرها من له عناية بالإمام أحمد كالخلال ، ومما جاء فيها :"قال أملى عليّ أحمد بن حنبل : جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ ....." أ.هـ ثم ذكر بقية الاعتقاد .(٣)

٤٦. السنة للإمام أحمد رواه عنه أحمد بن وهب القرشي:

لم أجد أحداً أشار إليه سوى صاحب صلة الخلف ،ولم أجد ترجمةً لراويها.(٤)

٤٧. رسالة في الاعتقاد لأحمد بن نصر المقرىء النيسابوري ت(٢٤٥هـ):

ترجمة موجزة للمصنف (٥):هو أحمد بن نصر بن زياد القرشي النيسابوري الزاهد

---

(١) أخرجها ابن أبي يعلى في الطبقات (١/ ٣٤٩)، وذكرها العليمي في المنهج الأحمد (٢/ ٨٦).وأخرجها أبو طاهر السلفي في مشيخته ورقة (٧١) كما نص على ذلك محقق الطبقات الدكتور العثيمين.

(٢) أخرجها ابن أبي يعلى في الطبقات في موضعين عند ترجمة راوويها: (٢/ ٣٩٣)،(٢/ ٢٩١).وأخرجها ابن الجوزي في المناقب ص٢٢٢، وسزكين (١/ ٣/ ٢٢٦).وأوردها العليمي في المنهج الأحمد (٢/ ٤١)، وابن بدران في المدخل ص ٦٧.

(٣) أخرجها ابن أبي يعلى في الطبقات (٢/ ٣٣٩)، وذكرها العليمي في المنهج الأحمد (٢/ ٦).وسزكين (١/ ٣/ ٢٢٧).

(٤) انظر : صلة الخلف بموصول السلف ص٢٦٧.

(٥) انظر : السير (١٢/ ٢٣٩) ، تهذيب التهذيب (١/ ٧٤)

المقريء ، أبو عبد الله ، روى عن أبي مسهر وابن نمير ويزيد بن هارون وغيرهم كثير وعنه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وغيرهم كثير ، وكان ثقة صاحب سنة محباً لأهل الخير ، وقال ابن حبان :"كان من خيار عباد الله وأصلب أهل بلده في السنة ومن تعلم ابن خزيمة أصل السنة "أ.هـ ، وقال الخليلي :" ثقة متفق عليه "أ.هـ، وكانت وفاته سنة خمس وأربعين ومائتين .

الرسالة :هي عبارة عن سؤالات لمشايخه ونقلها عنه أبو بكر بن خزيمة ، قال التيمي :" ومنهم -يعني من صنف اعتقاداً- أحمد بن نصر المقرئ النيسابوري ، كان أحد علماء خراسان ، وعبادها ، رحل عن خراسان حين نبغت نابغة الكرامية ، وله سؤالات سألها عن مشايخ الآفاق حدث به أبو بكر بن خزيمة عنه ..." أ.هـ.(١)

٤٨. السنة ليحيى بن عبد الغفار الكتبي (ت٢٤٨هـ):

ترجمة موجزة للمصنف(٢): يحيى بن عبد الغفار الكتبي ، روى عن زيد بن الحباب ويعلى بن عبيد وطبقاتهما ،وكانت وفاته في رمضان في ثمان وأربعين ومائتين .

الكتاب :نص عليه الذهبي في ترجمته في تاريخ الإسلام .(٣)

٤٩. السنة لعبد الوهاب الوراق (ت٢٥١هـ):

ترجمة موجزة للمصنف(٤) :عبد الوهاب بن عبد الحكم بن نافع البغدادي الوراق ، أبو الحسن ، كان آية في الزهد والورع مع علمه وفقهه ، وكان صاحب سنة واتباع ،وكان من خواص الإمام أحمد ، قال عنه أحمد :" عافاه الله قل أن ترى مثله "أ.هـ ، وقال أيضاً: "رجل صالح مثله يوفق لإصابة الحق "أ.هـ ، وكانت وفاته سنة إحدى وخمسين ومائتين.

الكتاب :نص عليه البغدادي وكحالة .(٥)

---

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٤٧٦).

(٢) انظر : تاريخ الإسلام للذهبي (وفيات ٢٤٨هـ ص ٥٤٨)، ولم أجد أحداً ترجمه له سواه.

(٣)وفيات ٢٤٨هـ ، ص٥٤٨.

(٤) السير (١٢/ ٣٢٣) ، تاريخ بغداد (١١/ ٢٥) ،طبقات الحنابلة (٨٥-٩٢).

(٥) انظر : هدية العارفين (٥/ ٦٣٧) ، معجم المؤلفين لكحالة (٦/ ٢٢٢)، الاستدراكات على سزكين (٣/ ٦٠).

٥٠. رسالة في اعتقاد البخاري (ت٢٥٦هـ):

ترجمة المصنف :تقدمت.

الرسالة : أخرجها اللالكائي بسنده ومما جاء فيها قال :"لقيت أكثر من ألف رجل...(ثم سرد جملة من أسماء من لقيهم ثم قال): ...فما رأيت أحداً منهم يختلف في هذه الأشياء : أن الدين قول وعمل ..."أ.هـ ، ثم ذكر بقية اعتقاده .[١]

٥١. أصول الدين للبخاري (ت٢٥٦هـ):

الكتاب:ذكرت نسخة خطية له في فهارس المخطوطات .[٢]

٥٢. العقيدة أو التوحيد للبخاري (٢٥٦هـ):

الكتاب :ذكره أصحاب فهارس المخطوطات بهذا العنوان.[٣]

٥٣. أصول الدين لمحمد بن سحنون (٢٥٦هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [٤]:هو أبو عبد الله محمد بن عبد السلام (سحنون) ابن سعيد التنوخي القيرواني ، فقيه المالكية وشيخهم بالمغرب ، أخذ العلم والفقه على يد والده شيخ المغرب عبد السلام المشهور بسحنون ، وروى عن أبي مصعب الزهري وابن حسان وموسى بن معاوية وغيرهم كثير ،كان إماماً في الفقه ، ثقة ، عالماً بالآثار ، صحيح الكتاب ، قال أبو العرب :"لم يكن في عصره أحذق بفنون العلم منه فيما علمت " أ.هـ، كان كثير الكتب غزير التأليف ، له نحو مائتي كتاب في فنون العلم ، وكانت وفاته سنة ست وخمسين ومائتين .

الكتاب:ذكر في الفهارس للمخطوطات. [٥]

---

(١) اللالكائي (١/ ١٧٢-١٧٦).

(٢)نسخة مخطوطة في مكتبة الدراسات العليا ببغداد برقم (٤٤/ ١٣) (٧١-٨٠)(انظر :الاستدراكات على سزكين ٣/ ٦٣).

(٣) ذكره سزكين (١/ ١/ ٢٥٩) ،وأحال على :طنطا (مجلة معهد المخطوطات العربية ١/ ١٣٧) الظاهرية (حديث ٢٠٠، ٤٦٥هـ)، وذكر أن له شرحاً بعنوان : (كفاية المقتصد الحميد على خلاصة التوحيد) من تأليف عبد الرحمن بن عبد البر الصعيدي الحوتكي ، القاهرة، ملحث ٢/ ٢٦٣رقم ٢٣٠٩١ب(١٢ورقة).

(٤) انظر : ترتيب المدارك (٤/ ٢٠٤-٢٢١) ، السير (١٣/ ٦٠).

(٥)ذكره سزكين (١/ ٣/ ١٥٧) وأحال على : مخطوط في الأوقاف بالرباط ١٠٧٦ ضمن مجموعة.

٥٤. **رسالة في السنة لمحمد بن سحنون (ت٢٥٦هـ):**

الكتاب : نص عليه القاضي عياض في ترجمته .[(١)]

٥٥. **السنة لعبد الله بن محمد المشهور بـ فوران(٢٥٦هـ):**

ترجمة موجزة للمصنف [(٢)] :هو أبو محمد عبد الله بن محمد بن المهاجر المعروف بفوران (بالراء)، حدث عن شعيب بن حرب و وكيع وأبي معاوية والإمام أحمد بن حنبل وغيرهم،وعنه عبد الله بن الإمام أحمد وأبو القاسم البغوي وابن صاعد وغيرهم ، وكان الإمام أحمد يجله كثيراً ويقدمه ويأنس به ، ويخلو معه، ويستقرض منه ،وكانت وفاته سنة ست وخمسين ومائتين .

الكتاب:نقل ابن أبي يعلى قصة يرويها فوران عن رجل جاء إلى الإمام أحمد يسأله في مسألة ، وفي نهايتها قال :" ذكره في كتاب السنة " أ.هـ.[(٣)]

٥٦. **كتاب " السنة " لأبي مسعود الرازي أحمد بن الفرات(٢٥٨هـ):**

ترجمة موجزة للمصنف [(٤)] :هو أبو مسعود أحمد بن الفرات بن خالد الضبي الرازي ، محدث أصبهان ، الحافظ الكبير ،سمع من أبي داود الطيالسي وابن نمير وأبي أسامة وغيرهم كثير وعنه أبو داود في سننه وابن أبي عاصم وابن منده والفريابي وغيرهم كثير ، عد من الحفاظ وهو في صغره شاب أمرد، وكان الإمام أحمد يقدمه لحفظ وثقته وعدالته حتى قال: " ما تحت أديم السماء أحفظ لأخبار رسول الله ﷺ من أبي مسعود الرازي "أ.هـ ، وهو صاحب مسند كبير ، وله تصانيف ، وكانت وفاته سنة ثمان وخمسين ومائتين.

الكتاب:الكتاب رواه الحفاظ بأسانيدهم إلى المصنف في عدد من فهارسهم ،ونص عليه من العلماء :التيمي ، ونقل منه مقاطع ،وذكره السمعاني .[(٥)]

---

(١) ترتيب المدارك (٤/ ٢٠٧).

(٢) انظر : طبقات الحنابلة (٢/ ٤٢-٤٦)، تاريخ بغداد (١٠/ ٧٩)

(٣) طبقات الحنابلة (٢/ ٤٦) .

(٤) السير (١٢/ ٤٨٠-٤٨٨) ، تاريخ بغداد (٤/ ٣٤٣) ، طبقات الحنابلة (١/ ١٢٩).

(٥) انظر : الحجة في بيان المحجة للتيمي (١/ ٢٤٢) ، (٢/ ٤٥٥)، والتحبير في المعجم الكبير للسمعاني (٢/ ٧٢).

٥٧. أصل السنة واعتقاد الدين لأبي زرعة(ت٢٦٤هـ) ،وأبو حاتم(ت٢٧٧هـ):

ترجمة موجزة لأبي زرعة [١]:هو عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ بن داود ، أبو زرعة الرازي الدمشقي ولد سنة مائتين ، كان حافظاً ثبتاً حجةً ، قال أحمد :"ما جاوز الجسر أحفظ منه "أ.هـ ، وقال ابن أبي شيبة :" هو أحفظ من رأيت "أ.هـ ،وقال عنه ابن راهويه :"كل حديث لا يعرفه فليس له أصل "أ.هـ ، كان كبير القدر في الزهد والورع والتواضع ، سمع من الإمام أحمد ، وأحمد بن صالح ، وابن المديني ، والذهلي وغيرهم وعنه مسلم والنسائي والترمذي وابن ماجه وغيرهم كثير ، وله مصنفات منها المسند وغيره ،وكانت وفاته سنة أربع وستين ومائتين .

الرسالة :طبعت الرسالة وذكرها المصنفون بأسانيدهم إلى المصنف ، وهي رسالة مشهورة عند أهل السنة ، وقد نوه بها العلماء ونقلوا منها مقاطع ،وهي شاملة لمسائل الاعتقاد مع صغر حجمها ومما جاء فيها:"أدركنا العلماء في جميع الأمصار :حجازاً وعراقاً ومصراً وشاماً ويمناً ، فكان مذهبهم أن الإيمان قول وعمل ، يزيد وينقص ، والقرآن كلام الله غير مخلوق بجميع جهاته ،والقدر خيره وشره من الله عز وجل ،..." أ.هـ ثم ذكرا بقية الاعتقاد.[٢]

٥٨. شرح السنة للمزني (ت٢٦٤هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [٣]:هو أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم المزني المصري ،تلميذ الشافعي ،من أبرز من أخذ عنه العلم الإمام الشافعي ونعيم بن حماد وعلي بن معبد البصري وغيرهم وعنه أبو خزيمة والطحاوي وشيخ البصرة زكريا بن يحيى الساجي وغيرهم ، كان زاهداً عالماً مناظراً محجاجاً

---

(١) انظر: السير (١٣/ ٦٥) ،لسان الميزان (٢/ ٤١٦)، وستأتي ترجمة أبي حاتم عند رسالة خاصة به في الاعتقاد.

(٢) الرسالة أخرجها: اللالكائي (١/ ١٧٦-١٧٩).وطبعت مستقلة محققة بتحقيق :أبي عبدالله محمود الحداد بعنوان (عقيدة أبي حاتم الرازي وأبي زرعة الرازي ط.دار الفرقان).

(٣) انظر : السير (١٢/ ٤٩٢) ، طبقات الشافعية (١/ ٢٣٨-٢٤٧) ، وفيات الأعيان (١/ ٢١٧-٢١٩).

غواصاً عن المعاني الدقيقة ، وقال ابن عبد البر عنه :"كان فقيهاً عالماً راجح المعرفة ، جليل القدر في النظر ، عارفاً بوجوه الكلام والجدل ، حسن البيان ، مقدماً في مذهب الشافعي وقوله وحفظه وإتقانه ،وله على مذهب الشافعي كتب كثيرة لم يلحقه أحد فيها ،ولقد أتعب الناس بعده ....."أ.هـ،وقال السبكي :"الإمام الجليل ، ناصر المذهب وبدر سمائه ، كان جبل علم مناظراً محجاجاً ، زاهداً ، ورعاً ، متقللاً من الدنيا ، مجاب الدعوة"أ.هـ، وكانت وفاته سنة أربع وستين ومائتين .

الكتاب : مطبوع على نسخ خطية وورد في بعض النسخ (عقيدة أحمد) ، أو (معتقد أحمد بن حنبل) ، والكتاب سبب تأليفه ذكره المصنف في بداية الكتاب ، وهو أنه اتهم بالوقف في القرآن فطلبوا منه كتابة عقيدته ، فأجابهم بهذا الاعتقاد.(١)

٥٩. معالم الدين لمحمد بن اليمان السمرقندي(ت٢٦٨هـ):

ترجمة موجزة للمصنف (٢) :هو محمد بن اليمان أبو بكر السمرقندي ، إمام كبير من أئمة الحنفية له كتاب في الرد على الكرامية ، وكانت وفاته سنة ثمان وستين ومائتين.

الكتاب : نص عليه من ترجم له ، وذكر سزكين له نسخ خطية .(٣)

٦٠. كتاب السنة لأبي بكر محمد بن أبي يحيى زكريا الوقارأو الوقاد(ت٢٦٩هـ):

ترجمة موجزة للمصنف (٤) :هو أبو بكر محمد بن أبي يحيى زكريا الوقار أو الوقاد ، كان حافظاً لمذهب مالك ، أخذ العلم عن : أبيه وابن عبد الحكم وأصبغ وغيرهم،

---

(١) الكتاب مطبوع بتحقيق جمال عزّون ط.مكتبة الغرباء الأثرية ط.الأولى ١٤١٥هـ، وقد حقق على نسخ خطية ذكرها المحقق ص ٤٢-٦٣، ونقلها بكاملها ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية ص ١٦٦-١٧٠، وذكر مقطعاً منها الذهبي في العلو ص٨٦٣ برقم (٤٦١) ، وذكرها في السير (١٢/ ٤٩٤) ، وفي تاريخ الإسلام في وفيات سنة٢٦٤ ص ٦٧، وانظر سزكين (١/ ٣/ ١٩٦).

(٢)انظر : الفوائد البهية ص٢٠٢، هدية العارفين ٦/ ١٧.

(٣) انظر : الفوائد البهية ص٢٠٢، ، هدية العارفين ٦/ ١٧، سزكين ١/ ٤/ ٣١ وذكر أنه مخطوط في مشهد٢/ ١٢٢ (٣٦٥ورقة).

(٤) انظر : ترتيب المدارك (٤/ ١٨٩)،شجرة النور الزكية ص٦٨برقم (٧٠)، تاريخ الإسلام وفيات ٢٦٩،ص١٨١ .(جاء في تاريخ الإسلام "الوقاد" بالدال ، وفي ترتيب المدارك وشجرة النور "الوقار" بالراء).

وعنه إسحاق بن إبراهيم بن نصر ومحمد القوصي ومحمد البرسيمي وغيرهم ،كانت وفاته سنة تسع وستين ومائتين .

الكتاب :ذكر في ترجمته ولا نعلم عنه شيئاً .[1]

٦١. رسالة في السنة لأبي بكر الوقار أو الوقاد(ت٢٦٩هـ):

الرسالة:ذكر هذه الرسالة من ترجم له آنفاً، وهي غير الأولى لأنهم ذكروها وذكروا هذه الرسالة بعدها.

٦٢. كتاب الذب عن السنة والأخبار أو الذب عن السنن والأحكام لداود بن علي الظاهري(ت٢٧٠هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [2] :هو داود بن علي بن خلف أبو سليمان البغدادي الأصبهاني رئيس أهل الظاهر ، مولى أمير المؤمنين المهدي ،ولد سنة مائتين ، سمع سليمان بن حرب والقعنبي وابن راهويه وأبا ثور ومسدد بن سرهد وغيرهم ، وصنف الكتب وكان إماماً ورعاً ناسكاً زاهداً ، وفي كتبه حديث كثير ، لكن الرواية عنه عزيزة جداً ، وأخطأ في قوله إن القرآن محدث وأنكر عليه الأئمة ذلك ومنهم الإمام أحمد ، ومصنفاته كثيرة ، وكانت وفاته سنة سبعين ومائتين.

الكتاب :نص عليه من ترجم له مثل الذهبي وابن النديم ، وذكر الذهبي أنه أربع مجلدات.[3] ، والمؤلف وإن كان عليه بعض الملاحظات العقدية إلا أن كتابه في الجملة فيه الذب عن السنة وماخلف فيه يرد عليه.

٦٣. السنة للأثرم (ت٢٧٣هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [4]:هو أحمد بن هانئ الطائي ، ويقال الكلبي ، الأثرم ، الإسكافي، أبو بكر ، من أصحاب الإمام أحمد بن حنبل ، روى عن الإمام أحمد وأبي

---

(١) نص عليه من ترجم له في المصادر السابقة.

(٢) انظر : الفهرست ص٢٧٢،السير (١٣/ ٩٧)، تاريخ بغداد (٨/ ٣٦٩-٣٧٥)،طبقات الشافعية الكبرى(٢/ ٢٨٤-٢٩٣).

(٣) انظر : الفهرست ص٢٧٢،السير (١٣/ ١٠٤).

(٤) انظر :السير (١٢/ ٦٢٣-٦٢٨)، طبقات الحنابلة (١/ ١٦٢-١٧٦).

نعيم والقعنبي وغيرهم ، وعنه النسائي في سننه ، وموسى بن هارون وابن صاعد وغيرهم كثير، له كتاب السنن مشهور وكتاب في العلل ، كان جليل القدر حافظاً ، وكانت وفاته سنة ثلاث وسبعين ومائتين .

الكتاب:نص عليه شيخ الإسلام وابن القيم ، وأطلق عليه شيخ الإسلام في بعض المواضع : (السنة والرد على الجهمية) .[1]

٦٤. رسالة إلى أهل الثغر في الاعتقاد للأثرم (ت٢٧٣هـ):

الرسالة : نص عليه ابن أبي يعلى فقال :"قال الأثرم –في أثناء كتاب إلى الثغر -: أعاذنا الله وإياكم من كل موبقة ، وأنقذنا وإياكم من كل مهلكة ، وسلمنا وإياكم من كل شبهة ، ...."أ.هـ[2]

٦٥. السنة لحنبل بن إسحاق (ت٢٧٣هـ):

ترجمة موجزة للمصنف[3]:هو حنبل بن إسحاق بن حنبل ، أبو علي الشيباني ، ابن عم الإمام أحمد ، سمع من أبي نعيم وعارم بن الفضل والإمام أحمد وغيرهم ، وعنه ابن صاعد والخلال وعثمان السماك وغيرهم ، كان ثقةً ثبتاً ،وسمع من الإمام أحمد المسند كاملاً ، وكانت وفاته ثلاث وسبعين ومائتين .

الكتاب:نقل منه شيخ الإسلام فقال :" قال حنبل بن إسحاق في كتاب السنة : قلت لأبي عبد الله أحمد بن حنبل: ما معنى قوله تعالى : ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد : ٤]و﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة : ٧] قال : علمه ، عالم الغيب والشهادة محيط بكل شيء شاهد ، علام الغيوب ، يعلم الغيب ، ربنا على العرش بلا حد ولا صفة ، وسع كرسيه السموات والأرض" أ.هـ[4] ، وذكر الكتاب في مواضع أخرى.[5]

---

(١) انظر: مجموع الفتاوى ٥/ ٣٤، ١٧/ ٧٤، درء التعارض ٢/ ٢٣، ٧/ ١٠٨ ،اجتماع الجيوش ص٢٦٩.

(٢) طبقات الحنابلة (١/ ١٦٦-١٧٢).

(٣) انظر :السير (١٣/ ٥١) ، طبقات الحنابلة (١/ ٣٨٣-٣٨٧).

(٤) مجموع الفتاوى (٥/ ٤٩٦).

(٥)انظر: التسعينية(١/ ١٦٣) ،الفتاوى(٥/ ٢٤)، (١٧/ ٧٤).

٦٦. السنة للمرُّوذي(ت٢٧٥هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [١]:هو أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج بن عبد العزيز ، المرُّوذي ، وهو المقدم من أصحاب الإمام أحمد لورعه وفضله ، وكان الإمام أحمد يأنس به وينبسط إليه ، روى عنه مسائل كثيره ، سمع من الإمام أحمد وهارون بن معروف وابن نمير وغيرهم ، وعنه الخلال وعبد الله الخرقي والد الفقيه المشهور والحذّاء وغيرهم ، وكان إماماً في السنة ، شديد الاتباع ، له جلالة عجيبة ببغداد ، وكانت وفاته سنة خمس وسبعين ومائتين .

الكتاب :نص عليه شيخ الإسلام .[٢]

٦٧. شرح السنة لغلام الخليل(ت٢٧٥هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [٣]: هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن غالب الباهلي ، البصري ،المعروف بـ (غلام خليل) ، حدث عن دينار بن عبد الله البصري وقرة بن حبيب ومحمد بن مسلمة المديني وغيرهم ، وعنه محمد بن مخلد وأبو عمرو بن السماك وأحمد بن كامل القاضي وغيرهم ، واتهم بالكذب ، كان ضعيفاً في الحديث ، وكانت وفاته سنة خمس وسبعين ومائتين .

الكتاب :نص على الكتاب سزكين وذكر أن له نسخة خطية ، وذكر أن له مختصراً . وأشار إليه التيمي في الحجة[٤] والعهدة عليه لأننا لم نطلع على الكتاب.

٦٨. رسالة في اعتقاد أبي حاتم الرازي (ت٢٧٧هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [٥] :هو محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران ، أبو

---

(١) انظر: السير (١٣/ ١٧٣) ، طبقات الحنابلة (١/ ١٣٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٤).

(٣) انظر :تاريخ بغداد(٥/ ٧٨) ، ميزان الاعتدال (١/ ١٤١).

(٤)مخطوط الظاهرية مجموع ١٣(من١أ-١٩ب)وله مختصر (انظر: سزكين١/ ٣/ ٢٣١)، الحجة في بيان المحجة (٢/ ٤٧٥).

(٥) انظر : السير (١٣/ ٢٤٧-٢٦٢)، الجرح والتعديل (١/ ٣٤٩-٣٧٥)، طبقات الحنابلة (٢/ ٢٧٠).

حاتم الحنظلي ، الرازي ، شيخ المحدثين ، كان من بحور العلم ، طوف البلاد ، وبرع في المتن والإسناد ، وصنف وجرح وعدل ، وصحح وعلل ، مولده سنة خس وتسعين ومائة ، سمع من الأصمعي وعبيد الله بن موسى وأبي اليمان وغيرهم كثير وعنه ولده الحافظ عبد الرحمن ويونس بن عبد الأعلى وأبو زرعة الدمشقي وغيرهم كثير ، ومثله لا يسأل عن ثقته وعدالته بل هو الذي يسأله الناس عن الرجال ، وكانت وفاته سنة سبع وسبعين ومائتين .

الرسالة :نقلها الأئمة مسندة في كتبهم كاللالكائي وابن أبي يعلى ومما جاء فيها :" هذا مذهبنا واختيارنا وما نعتقده ونذين الله به ، ونسأله السلامة في الدين والدنيا ؛ أن الإيمان قول وعمل ، وتصديق بالقلب ، وإقرار باللسان وعمل بالأركان ، ..." أ.هـ إلى أخر الاعتقاد.[١]

٦٩. كتاب السنة للفسوي (ت٢٧٧هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [٢] :هو يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي أبو يوسف الفسوي ،الحافظ ، الحجة ،محدث إقليم فارس ، ارتحل وطلب العلم على يد كبار علماء عصره كأبي عاصم النبيل وأبي نعيم الفضل بن دكين والحجاج بن منهال وغيرهم كثير ، وعنه أخذ العلم : الترمذي والنسائي وابن خزيمة وغيرهما ، وكان ممن جمع وصنف مع الورع والنسك والصلابة في السنة ، وقال الحاكم :"إمام أهل الحديث بفارس " أ.هـ ، وقال أبو زرعة :"قدم علينا رجلان من نبلاء الرجال ،أحدهما وأجلهما : يعقوب بن سفيان أبو يوسف ، يعجز أهل العراق أن يروا مثله ،وكانت وفاته سنة سبع وسبعين ومائتين.

الكتاب:نص عليه الأئمة بأسانيدهم إلى المصنف، وذكر الذهبي أنه كتاب في السنة صغير، على غرار ما هو مشهور عند أئمة السنة من تأليف رسائل مختصرة في الاعتقاد،

---

(١)انظر: اللالكائي(١/ ١٨٠)، طبقات الحنابلة ٢/ ٢٧٣وفيها خلاف خلاف يسير عما في اللالكائي.
(٢) السير (١٣/ ١٨٠) ، الجرح والتعديل (٩/ ٢٠٨) ، تاريخ بغداد (١٤/ ١٨١).

وجاء أيضاً بعنوان " السنة و مجانبة أهل البدع"، كما نص عليه السمعاني .[١]

٧٠. كتاب التوحيد لعثمان بن سعيد الدارمي (ت٢٨٠هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [٢] :هو عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد التميمي الدارمي السجستاني ، محدث هراة وتلك البلاد ، الحافظ الناقد ، واسع الرحلة طوف الأقاليم ولقي الكبار وسمع خلقاً كثيراً وفاق أهل زمانه فسمع من : الإمام أحمد وابن المديني وابن معين وابن راهويه وغيرهم كثير وعنه ابن خزيمة ومؤمل بن الحسين وأحمد العنبري وغيرهم كثير ،من أعظم مؤلفاته : الرد على الجهمية والرد على بشر المريسي ، وكانت وفاته سنة ثمانين ومائتين .

الكتاب :عزا له السيوطي في الدر المنثور .[٣]

٧١. السنة والجماعة لحرب الكرماني (ت٢٨٠هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [٤]:هو حرب بن إسماعيل بن خلف الحنظلي الكرماني ، أبو محمد ، وقيل : أبو عبد الله، الفقيه تلميذ الإمام أحمد ، رحل وطلب العلم فسمع من الإمام أحمد وأبي الوليد الطيالسي وابن راهويه وغيرهم وعنه أبو حاتم الرازي والقاسم بن محمد الكرماني وغيرهم ،له كتاب من أنفس كتب الحنابلة وهو مسائل حرب التي أخذها عن أحمد ، وكانت وفاته سنة ثمانين ومائتين.

الكتاب :ذكره البغدادي وعزا له الحافظ ابن حجر في الفتح .[٥]

٧٢. السنة لابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [٦] :هو عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان بن قيس القرشي مولاهم البغدادي ، المشهور بابن أبي الدنيا ، المؤدب صاحب التصانيف

---

(١)السير (١٣/ ١٨٣)، (١٩/ ٤٥٨)،التحبير للسمعاني(٢/ ٨٣)،
(٢) سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣١٩) ، طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٣٠٢).
(٣) الدر المنثور (٥/ ٤٧٨)، وانظر : الاستدراكات على سزكين (٣/ ٧٤).
(٤) انظر : السير (١٣/ ٢٤٤) ، طبقات الحنابلة (١/ ٣٨٨).
(٥) انظر: هدية العارفين (٥/ ٢٦٤) ، فتح الباري (٥/ ١٨٣) ط.الأولى .
(٦) انظر : السير (١٣/ ٣٩٧)،تاريخ بغداد(١٠/ ٨٩).

السائرة من موالي بني أمية ، ولد سنة ثمان ومائتين ، سمع من أحمد الدورقي وأحمد بن عبدة الضبي وأحمد بن منيع وغيرهم كثير وعمل أبو الحجاج المزي معجماً لشيوخه من كثرتهم ، وعنه الحارث بن أبي أسامة وابن أبي حاتم والدولابي وغيرهم كثير ، وكانت وفاته سنة إحدى وثمانين ومائتين .

الكتاب :نص عليه الذهبي .[١]

٧٣. السنة لعبد الله بن محمد بن النعمان (ت٢٨١هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [٢]:هو عبد الله بن محمد بن النعمان بن عبد السلام أبو بكر ، ثقة مأمون ، روى عن أبي نعيم ومحمد بن الصلت وأبي عسان النهدي وغيرهم ، وكانت وفاته سنة إحدى وثمانين ومائتين .

الكتاب :نص عليه التيمي في الحجة.[٣]

٧٤. الأصول لإسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد (ت٢٨٢هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [٤]:هو إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد بن درهم بن بابك الجهضمي الأزدي مولى آل جرير بن حازم القاضي ، سمع من مسدد والقعنبي وأبي الوليد الطيالسي وغيرهم وعنه موسى بن هارون الحافظ وعبد الله بن حنبل وابن صاعد وغيرهم ، كان فاضلاً عالماً متفنناً فقيهاً على مذهب مالك ، وقد جمع الفنون كلها ولولا اشتغاله بالعلم والقضاء لفاق علماء النحو المبرزين في عصره ،وعنه انتشر مذهب مالك في العراق ، وكان شديداً على أهل البدع، وكثرة مصنفاته ومنها المسند والسنن ، وكانت وفاته سنة اثنتين وثمانين ومائتين.

---

(١) نص عليه الذهبي في السير (١٣/ ٤٠١) ،وانظر الاستدراكات على سزكين (٣/ ٧٥).

(٢) تاريخ أصبهان (٢/ ١٧) برقم (٩٦٤) ، حلية الأولياء (١٠/ ٤٠٠)، طبقات المحدثين بأصبهان (٣/ ٢٨٩).

(٣) انظر : الحجة في بيان المحجة (١/ ٢٤٢) .

(٤) انظر : ترتيب المدارك (٤/ ٢٧٨) ، طبقات المفسرين للداوودي (١/ ١٠٥) (تنبيه : وقع خطأ في مطبوعة طبقات الداوودي في سنة وفاته حيث جاء أنه توفي سنة ٢٠٢هـ)

الكتاب : ذكره من ترجم له كالقاضي عياض والداوودي .[١]

٧٥. السنة لإسماعيل بن أسيد المديني (ت٢٨٢هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [٢]:هو إسماعيل بن أحمد بن السيد الثقفي أبو إسحاق ، صنف المسند والتفسير حدث عن المكيين والبصريين والكوفيين أبي كريب وطبقته ، كانت وفاته سنة اثنتين وثمانين ومائتين.

الكتاب :نقل عنه التيمي في الحجة فقال :"ذكر إسماعيل بن السيد المديني –رحمه الله – في كتاب السنة ..."أ.هـ[٣]

٧٦. رسالة في اعتقاد سهل بن عبد الله التستري (ت٢٨٣هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [٤] :هو سهل بن عبد الله بن يونس ، أبو محمد التستري ، الصوفي الزاهد ،له كلمات نافعة ، ومواعظ حسنة ، وكان ممن يكتب الحديث وكان على السنة وله كلمات مأثورة تدل على تمسكه الشديد بالسنة ، ومما جاء عنه كما في الحلية : "أصولنا ستة : التمسك بالقرآن ، والاقتداء بالسنة ، وأكل الحلال ، وكف الأذى ، واجتناب الآثام ، والتوبة ، وأداء الحقوق "أ.هـ، وكانت وفاته سنة ثلاث وثمانين ومائتين.

الرسالة :ذكرها اللالكائي مسندة ، ومما جاء فيها :"وقيل له (يعني سهل): متى يعلم الرجل أنه على السنة والجماعة ؟ قال : إذا عرف من نفسه عشر خصال : لا يترك الجماعة ، ولا يسب أصحاب النبي ﷺ ، ولا يخرج على هذه الأمة بالسيف ، ولا يكذب بالقدر ، لا يشك في الإيمان ، ولا يماري في الدين ، ولا يترك الصلاة على من يموت من

---

(١) انظر : ترتيب المدارك (٤/) ، طبقات الداوودي (١/ ١٠٦) ، شجرة النور الزكية ص٦٥. (تنبيه :وقع في كتاب الاستدراكات على سزكين(٣/ ٧٦): أن للمصنف كتاباً بعنوان(السنة) وهو وهم منهم فالذي في التراجم السنن وليس السنة).

(٢) انظر : تاريخ أصبهان (١/ ٢٥٥) ، طبقات المحدثين بأصبهان (٣/ ٣١٦) .

(٣) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٥١٦).

(٤) انظر : السير (١٣/ ٣٣٠) ، الحلية (١٠/ ١٨٩-٢١٢).

أهل القبلة بالذنب ، ولا يترك المسح على الخفين ، ولا يترك الجماعة خلف كل وال جار أو عدل " أ.هـ.[(١)]

٧٧. **السنة والنهي عن البدعة لأحمد بن يزيد القرشي (ت٢٨٤هـ):**

ترجمة موجزة للمصنف[(٢)]: هو أبو عبد الله أحمد بن يزيد القرشي المعروف بالمعلم ، يروي عن موسى بن معاوية الصمادحي ، وسحنون بن سعيد ، كان رجلاً صالحاً عالماً بالحديث وعلله ،كثير التعبد ولاجتهاد ، كثير الصلاة ، طويل الركوع والسجود، مواظباً على التلاوة ، كانت وفاته سنة أربع وثمانين ومائتين .

الكتاب :هو مخطوط في المكتبة العتيقة بالقيروان ، ومجمل الكتاب فيه الرد على أهل البدع من الجهمية والمعتزلة والمرجئة .[(٣)]

٧٨. **السنة لأبي عبد الله محمد بن يوسف البنا الصوفي(ت٢٨٦هـ):**

ترجمة موجزة للمصنف[(٤)] :هو محمد بن يوسف بن معدان بن يزيد بن عبد الرحيم الثقفي البناء الصوفي ، جد والد أبي نعيم الأصبهاني صاحب تاريخ أصبهان ، كان يحدث عن عبدالجبار والمكيين والأصبهانيين ، كان يقال :إنه مستجاب الدعاء ، وأثني على مصنفاته ، وكانت وفاته سنة ست وثمانين ومائتين.

الكتاب:ذكره التيمي ونقل منه بعض المواضع ، ومنها قوله :"واعلم أن السنة الاتباع ، وهو اتباع طاعة الله واتباع أهل طاعة الله ، فاتباع طاعة الله : اتباع أمر الله عز

---

(١) أخرجه اللالكائي (١/ ١٨٢).

(٢) انظر : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان لابن الدباغ (٢/ ٢٠٠) ، رياض النفوس لأبي بكر المالكي (١/ ٤٧٣) ، تحقيق :حسين مؤنس ، ط.الأولى ، مكتبة النهضة المصرية –القاهرة ١٩٥١م.

(٣) ذكره ونشره الدكتور محمد الطابي صمن كتاب له بعنوان : دراسات في تاريخ إفريقية في الحضارة الإسلامية في العصر الوسيط ص٣٧٩-٤١٩ ط.منشورات الجامعة التونسية ١٩٨٢م، وانظر كذلك : أهل السنة والجماعة في المغرب وجهودهم في مقاومة الانحرافات العقدية لإبراهيم التهامي ص٣٣٨ (رسالة دكتوراه) نقلاً عن (جهود علماء القرن الثالث الهجري في تقرير عقيدة السلف ص١٢١٥ للشيخ نسيم شحدة ياسين) .

(٤) انظر : تاريخ أصبهان (٢/ ١٩١) ، طبقات المحدثين بأصبهان(٣/ ٤٣٩) .

وجل ونهيه ، وأوجب الله عز وجل في طاعته طاعة المطيعين له وهم الأنبياء عليهم السلام في كل زمان..." أ.هـ.[١]

٧٩. **رسالة في السنة لابن وضاح القرطبي (ت٢٨٧هـ):**

ترجمة موجزة للمصنف[٢] :هو أبو عبد الله بن محمد بن وضاح بن بزيع مولى عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان ،القرطبي ، روى عن محمد بن عيسى الأعشى ومحمد بن خالد الأشج ويحيى بن يحيى وغيرهم وعنه أحمد بن خالد ومحمد بن لبابه ومحمد بن غالب وغيرهم ، وكان إماماً ثبتاً عالماً بالحديث بصيراً به ورعاً زاهداً متعففاً محتسباً في نشر علمه سمع الناس منه كثيراً وانتفع به أهل الأندلس ، وكانت وفاته سنة سبع وثمانين ومائتين .

الرسالة :الرسالة ذكرها من ترجم له كالقاضي عياض وغيره.[٣]

٨٠. **كتاب السنة لابن أبي عاصم (ت٢٨٧هـ):**

ترجمة موجزة للمصنف[٤] :هو أبو بكر أحمد بن عمر بن الضحاك بن مخلد الشيباني المشهور بابن أبي عاصم ، من أهل البصرة ومن أهل السنة والحديث والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقال ابن أبي نعيم "وكان فقيهاً ظاهري المذهب " وتعقبه الذهبي وقال ط:"وفي هذا نظر فإنه صنف كتاباً على داود الظاهري أربعين خبراً ثابتة مما نفى داود صحتها"، ولد سنة ست ومائتين ، وكان مجوداً للقراءة ، له مصنفات عظيمة كالمسند الكبير والآحاد والمثاني ، سمع من أبي الوليد الطيالسي وابن أبي شيبة والبخاري وغيرهم كثير وعنه أبو أحمد العسال وأبو الشيخ والكسائي وغيرهم ، وكانت وفاته سنة سبع وثمانين ومائتين .

الكتاب : والكتاب طبع مرتين : الأولى بتحقيق الشيخ الألباني مع توفر نسخة

---

(١)الحجة في بيان المحجة (١/ ٢٧٢) ، وذكره باسم السنة صراحة في نفس الكتاب (١/ ٢٤٢).
(٢) انظر: ترتيب المدارك (٤/ ٤٣٥)، السير (١٣/ ٤٤٥).
(٣) انظر : ترتيب المدارك (٤/ ٤٤٠) ، شجرة النور الزكية ص٧٦.
(٤) انظر : السير (١٣/ ٤٣٠) ، الجرح والتعديل (٢/ ٦٧).

خطية واحدة جيدة ، والثانية بتحقيق د.فيصل الجوابرة على نفس النسخة السابقة وبين ما وقع من تحريف وسقط كثير في طبعة الشيخ الألباني ، وعذر الشيخ أنه لم يتوجه لتصحيح المتن وإنما هدفه تخريج الحديث ولهذا تصرف من طبع الكتاب ولم يشر إلى هذا الأمر .

معرفة السنة الصغيرة لابن أبي عاصم (٢٨٧هـ):

الكتاب : نص عليه المقدسي في ثبت مسموعاته وسماه بهذا الإسم [(١)]، ولعله الذي في آخر السنة الكبير المطبوع ، فقد ذكر الاعتقاد مجملاً مختصراً على غرار ما هو معروف ومتداول عند الأئمة من ذكر مختصرات للاعتقاد ومما جاء فيها :"قال أبو بكر بن أبي عاصم –رحمه الله – : سألت عن السنة ما هي ؟

والسنة :اسم جامع لمعانٍ كثيرة في الأحكام وغير ذلك ، ومما اتفق أهل العلم على أن نسبوه إلى السنة : القول بإثبات القدر ، وأن الاستطاعة مع الفعل للفعل ، والإيمان بالقدر خيره وشره ، حلوه ومره ، وكل طاعة من مطيع فبتوفيق الله له ، وكل معصية من عاص فبخذلان الله السابق منه وله ، ..." أ.هـ.[(٢)]

٨١. السنة لعبد الله بن الإمام أحمد (ت٢٩٠هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [(٣)] :هو الإمام الحافظ عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ،ولد سنة ثلاث عشر ومائتين، ونشأ في بيت علم وزهد وورع ، واستفاد من علم أبيه فقد روى عنه كثيراً فسمع المسند كاملاً منه والتفسير ، قال ابن المنادى : "ومازلنا نرى أكابر شيوخنا يشهدون له بمعرفة الرجال وعلل الحديث والأسماء والكنى والمواظبة على طلب الحديث في العراق وغيرها .."أ.هـ، سمع من والده الإمام أحمد وإسحاق بن منصور الكوسج وأحمد بن خالد الخلال وغيرهم كثير، وعنه الإمام

(١) ثبت مسموعات المقدسي ص٢٢٣.

(٢) السنة (٢/ ١٠٢٧-١٠٣٢).

(٣) انظر : طبقات الحنابلة (٢/ ٥-٢٠) ، الجرح والتعديل (٥/ ٧) ، تاريخ بغداد (٩/ ٣٧٥)، مقدمة تحقيق كتاب السنة له للدكتور محمد سعيد القحطاني ص٣٧-٥٣.

النسائي ويحيى بن صاعد وأبو عوانة الاسفراييني وغيرهم كثير وكانت وفاته سنة تسعين ومائتين .

الكتاب :الكتاب مطبوع بتحقيق الدكتور محمد سعيد القحطاني وهو على نسخ يكمل بعضها بعضاً ،وقد اعتمد المحقق على ست نسخ خطية ، واطلعت على النسخة التي جعلها أصلاً وهي الظاهرية وألفيتها جيدة واضحة الخط عليها تصويبات وتعليقات يسيرة ، وتفردت النسخة الأصلية بزيادة لم توجد في غيرها من النسخ وهو الفصل الخاص بذم أبي حنيفة فيما يقارب ٣٩٦سطراً ، ولكن مع هذا الجهد الذي يشكر للشيخ المحقق فإن عليه بعض الملاحظات في قراءة بعض نصوص المخطوط وكذلك في بعض تعليقاته على الكتاب تحتاج إلى مراجعة وإعادة نظر .

ومما يلفت النظر : أنني وجدت نقلاً عن كتاب السنة لعبد الله في إبطال التأويلات لأبي يعلى ولم أجده في المطبوع .[(١)]

٨٢. **السنة لمحمد بن نصر المروزي (ت٢٩٤هـ):**

ترجمة موجزة للمصنف [(٢)] :هو أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المروزي ، الإمام الحافظ ، ولد ببغداد سنة اثنين ومائتين ، رحل وتنقل بين البلدان في طلب الحديث والعلم وأكثر السماع والرواية ممن سمع منهم : إسحاق بن راهويه وبندار والذهلي والإمام أحمد بن حنبل وغيرهم كثير، وسمع منه أبو العباس السراج والأخرم ومحمد بن إسحاق السمرقندي وغيرهم ،وله مؤلفات كثيرة ،وكان إماماً في الحديث ورجاله ونقدهم ومعرفة صحيح الحديث من سقيمه، وكان مجتهداً فقيهاً ، وكانت وفاته سنة أربع وتسعين ومائتين.

الكتاب :الكتاب طبع ثلاث طبعات :الأولى طبعة دار الفكر بدمشق والثانية بتحقيق سالم السلفي عام ١٤٠٨هـ ، والثالثة :وهي أجودها وأحسنها وأضبطها وهي

---

(١) انظر: إبطال التأويلات(٢/ ٣٤٨).

(٢) انظر:السير (١٤/ ٣٣-٤٠) ، تاريخ بغداد (٣/ ٣١٥-٣١٨)، طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ٢٤٦).

على نسخ جيدة بتحقيق الشيخ د.عبد الله محمد البصيري ط.دار العاصمة ١٤٢٢هـ .[١]

٨٣. السنة للحكم بن معبد الخزاعي (ت٢٩٥هـ):

ترجمة موجزة للمصنف[٢]:هو أبو عبد الله الحكم بن معبد بن أحمد بن عبيد بن عبد الله ابن الأحجم بن أسد بن السيد ، الخزاعي ، روى عن نصر بن علي الجهضمي ومحمد بن يحيى العدني وغيرهما وعنه أبو الشيخ وأبونعيم الحافظ وغيرهما ، وكان ثقة كثير الحديث ،وكانت وفاته سنة خمس وتسعين ومائتين .

الكتاب :ذكره شيخ الإسلام والذهبي والغزي .[٣]

٨٤. السنة لمحمد بن عثمان بن أبي شيبة (ت٢٩٧هـ):

ترجمة موجزة للمصنف[٤]:هو محمد بن عثمان بن بن أبي شيبة ، أبو جعفر العبسي الكوفي سمع أباه وعميه أبا بكر والقاسم ابن المديني وعنه ابن صاعد وابن السماك والإسماعيلي وغيرهم كثير ، جمع وصنف وله تاريخ كبير وكان من أوعية العلم ، وكانت وفاته سنة سبع وتسعين ومائتين .

الكتاب :نص عليه ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية .[٥]

٨٥. الوصول إلى معرفة الأصول لمحمد بن داود الظاهري (ت٢٩٧هـ):

ترجمة موجزة للمصنف[٦]:هو محمد بن داود بن علي الظاهري ، أبو بكر ، صاحب الفنون ،والذكاء المفرط ، وله بصر تام بالحديث وبأقوال الصحابة ، وكان

---

(١) انظر مقدمة الطبعة الأخيرة بتحقيق الدكتور البصيري ص٢٩.

(٢) انظر : الطبقات السنية (٣/ ١٨٠) ، تاريخ الإسلام للذهبي وفيات سنة ٢٩٥هـ ص١٤٠، تاريخ أصبهان (١/ ٣٥١).

(٣) انظر : التسعينية لشيخ الإسلام (١/ ١٦٥) ، تاريخ الإسلام للذهبي وفيات سنة ٢٩٥هـ ص١٤٠ ،الطبقات السنية للغزي (٣/ ١٨٠)، وذكره صاحب كشف الظنون (١/ ١٤٢٦) ، وفي هدية العارفين (٥/ ٣٣٣) ، وكحالة في معجم المؤلفين (٤/ ٧١).

(٤) انظر : السير (١٤/ ٢١) ، تاريخ بغداد (٣/ ٤٢).

(٥) اجتماع الجيوش الإسلامية ص٢١٧.

(٦) انظر : السير (١٣/ ١٠٩) ، تاريخ بغداد (٥/ ٢٥٦) .

يجتهد ولا يقلد أحداً ، روى عن أبيه وعباس الدوري وأبي قلابة الرقاشي وغيرهم ، وعنه نفطويه والقاضي أبو عمر محمد بن يوسف وغيرهما ، وكانت وفاته سنة سبع وتسعين ومائتين.

الكتاب:نص على الكتاب من ترجم له كالذهبي وابن النديم .[1]

٨٦. السنة لخال ولد ابن السني (ت٢٩٩هـ) :

ترجمة موجزة للمصنف [2]:هو أبو الحسين محمد بن حامد بن السري المروزي ، حدث عن أبي حفص الفلاس وطبقته كنصر بن علي الجهضمي والحسن بن عرفة وغيرهم ، وعنه أبو علي بن آذم وعبد الله بن الناصح وغيرهما ، وكان ثقة ، وكانت وفاته سنة تسع وتسعين ومائتين .

الكتاب :نص عليه الأئمة وذكروه مسنداً إلى مؤلفه كالحافظ ابن حجر ، بل نص الذهبي على وقوع نسخة من الكتاب عنده ،وعليه فإلى وقت الذهبي وهو متداول بين أهل العلم، والمؤلف غير مشهور .[3]

هناك بعض المصنفات لم يحدد وفاة أصحابها وهي كالتالي :

٨٧. السنة للحسين بن علي أبو علي (ت قبل ٣٠٠هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [4]: هو الحسين بن علي أبو علي ممن لقي الإمام أحمد وسمع منه ، وكان من أهل السنة وصنف فيه مصنف رد فيه على الجهمية .

الكتاب: قال ابن أبي يعلى :"وله كتاب مصنف في السنة " وقال العليمي :"وله كتاب مصنف في السنة رد فيه على الجهمية " .[1]

---

(١) الذهبي في السير (٣/ ١١٠) وفي تاريخ الإسلام وفيات سنة ٢٩٧هـ ص٦٦، وابن النديم في الفهرست ص٢٧٢.

(٢) انظر : تاريخ الإسلام وفيات ٢٩٩هـ ص ٢٥٩، العبر له (١/ ٤٣٧) .

(٣) نص على الكتاب : الحافظ ابن حجر في المجمع المؤسس (٢/ ٣٧١)،وفي المعجم المفهرس ص٥٣ وذكره الذهبي في تاريخ الإسلام وفيات ٢٩٩هـ ص٢٥٩، وفي صلة الخلف ص٢٦٧.

(٤) انظر : طبقات الحنابلة (١/ ٣٨٢) ، المنهج الأحمد(٢/ ٩٥).

٨٨. رسالة في الاعتقاد للحسن أو لحسين بن عبد الرحمن الاحتياطي الفزاري:

ترجمة موجزة للمصنف [٢] :الحسن ويقال الحسين بن عبد الرحمن بن عباد بن الهيثم أبو علي الاحتياطي الفزاري ، روى عن ابن عيينة وابن إدريس وجرير بن عبد الحميد وعنه الهيثم بن خلف ومحمد بن أبي الأزهر النحوي ، بعضهم ترك حديثه ،وذكر أحمد أنه عرفه بالتخليط ، ويروي أحاديث منكرة ، وهو ممن أدرك الإمام أحمد ، واشتهر بالقراءة.

الرسالة :والرسالة أشار إليها التيمي .[٣]

٨٩. رسالة في الاعتقاد لزهير بن نعيم البابي السجستاني (توفي في خلافة المأمون):

ترجمة موجزة للمصنف [٤]:هو زهير بن نعيم البابي السلولي ويقال العجلي ، أبو عبد الرحمن السجستاني ، نزيل البصرة ، روى عن سلام بن أبي مطيع وبشر بن منصور السلمي ويزيد الرقاشي ، وعنه عارم والفلاس ومحمد بن يحيى القطان وغيرهم ، وكان من الزهاد العباد المتقشفين ، وكانت وفاته في خلافة المأمون .

الرسالة :أشار إليها التيمي .[٥]

---

(١) انظر المصدرين السابقين .

(٢) انظر: تاريخ بغداد(٨/ ٥٧-٥٨)، (٧/ ٣٣٧)،الكامل (٢/ ٣٣٤)، واللسان(٢/ ٢١٨، ٢٩٤)، طبقات القراء(١/ ٢٤٢)

(٣) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٤٧٥).

(٤) انظر: تهذيب التهذيب (٣/ ٣٠٤) ،الحلية (١٠/ ١٤٧).

(٥) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٤٧٥).

جدول بالمصنفات الشاملة في الاعتقاد مرتبة على حسب تاريخ وفاة المصنفين:

اسم الكتاب والمصنف	تاريخ الوفاة
رسالة في التوحيد لابن عباس	٦٨
ماكتبه عمر بن عبدا لعزيز إلى أهل المدينة النهي عن الخصومات	١٠١
ماكتبه عمر بن عبدالعزيز إلى رجل من الناس في الحث على التمسك بالسنة والبعد عن البدعة	١٠١
ماكتبه عمر بن عبدالعزيز إلى الناس في تعظيم السنة	١٠١
كتب عمر بن عبدالعزيز بإحياء السنة	١٠١
ماكتبه عمر بن عبدالعزيز في منع اليهود والنصارى من دخول المساجد	١٠١
ماكتبه عمر بن عبدالعزيز إلى ابنه عبدالملك	١٠١
كتاب الحسن إلى عمر بن عبدالعزيز	١١٠
رسالة أبي الزناد عبدالله بن ذكوان في أمر الاعتقاد	١٣٠
التوحيد لجعفر الصادق	١٤٨
رسالة منسوبة إلى الإمام أبي حنيفة في بيان مذاهب أهل السنة والجماعة	١٥٠
عقيدة البابلي عن أبي حنيفة	١٥٠
العالم والمتعلم لأبي حنيفة	١٥٠
رسالة أبي حنيفة إلى عثمان البتي	١٥٠
رسالة في التوحيد منسوبة لأبي حنيفة	١٥٠
الوصية لأبي حنيفة	١٥٠

الفقه الأكبر لأبي حنيفة	١٥٠
رسالة في اعتقاد الأوزاعي	١٥٧
رسالة في اعتقاد سفيان الثوري	١٦١
رسالة ابن الماجشون عبدالعزيز في الاعتقاد	١٦٤
رسالة في السنة لعبدالرحمن بن القاسم العتقي أبو عبدالله	١٩١
السنة عبدالرحمن بن مهدي	١٩٨
رسالة في اعتقادابن عيينة	١٩٨
الفقه الأكبر للشافعي	٢٠٤
وصية الإمام الشافعي	٢٠٤
رسالة في الصفات (سؤال أجاب عنه الشافعي)	٢٠٤
أصول الدين ومسائل السنة للشافعي	٢٠٤
رسالة في الاعتقاد للشافعي يرويها يونس بن عبدالأعلى	٢٠٤
السنة والجماعة وذم الهوى للواقدي	٢٠٧
كتاب السنة لأسد بن موسى	٢١٢
ماكتبه أسد بن موسى ، في لزوم السنة والتحذير من البدع	٢١٢
أصول السنة للحميدي	٢١٩
كتاب الأصول في عشر ة أجزاء لأصبغ بن الفرج	٢٢٥
رسالة في الاعتقاد لمحمد بن عكاشة الكرماني	كان حيا سنة ٢٢٥
رسالة في اعتقاد علي ابن المديني	٢٣٤
السنة لابن أبي شيبة	٢٣٥
رسالة في الاعتقاد لمصعب الزبيري	٢٣٦

السنة لابن أبي عاصم	٢٨٧
معرفة السنة الصغيرة لابن أبي عاصم	٢٨٧
السنة لعبد الله بن الإمام أحمد	٢٩٠
السنة للمروزي	٢٩٤
السنة للحكم بن معبد الخزاعي الحنفي	٢٩٥
السنة لمحمد بن عثمان بن أبي شيبة للعبسي الكوفي	٢٩٧
الوصول إلى معرفة الأصول لمحمد بن داود بن علي الظاهري	٢٩٧
السنة لخال ولد ابن السني وهو أبو الحسين محمد بن حامد بن السري	٢٩٩
السنة للحسين بن علي أبو علي	٣٠٠ قبل
رسالة في الاعتقاد للحسين أو للحسن بن عبد الرحمن الاحتياطي	أدرك مشايخ الإمام أحمد
رسالة في الاعتقاد لزهير بن نعيم البابي السجستاني	توفي في خلافة المأمون

المبحث الثاني

المصنفات في باب معين من أبواب الاعتقاد.

من أنواع مصنفات السلف في الاعتقاد التصنيف في باب معين من أبواب الاعتقاد، وهذه الطريقة تظهر غالباً حينما يشتد الصراع بين أهل السنة وأهل البدع في بعض مسائل الاعتقاد كالقدر والإيمان وغيرها.

ومن أنواع المصنفات على الأبواب ما يلي:

المصنفات في باب القدر:

٩٢. رسالة في القدر لعمر بن الخطاب(ت٢٣هـ) أرسلها إلى أبي موسى الأشعري - رضي الله عنهما-:

الرسالة:أخرجها ابن مندة مسندة كاملة فيما يقارب صفحة كاملة ومما جاء فيها:"بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر بن الخطاب أمير المؤمنين إلى عبد الله بن قيس الأشعري، أما بعد: فإن الله تبارك وتعالى أبرم أمره، وأنفذ حكمه، وقدر مشيئته، وأخذ بالحجة على خلقه فيما أمرهم به من طاعته ..."أ.هـ إلى أخر الرسالة.(١)

٩٣. رسالة في ذم القدر لأبي الأسود الدؤلي (ت٦٩هـ):

ترجمة موجزة للمصنف(٢):هو أبو الأسود ظالم بن عمرو بن جندل بن سفيان، الدؤلي، أول من أسس العربية وفتح بابها وأنهج سبيلها ووضع قياسها، وأخذ أصول العربية من علي بن أبي طالب، وكان من القراء، وأول من وضع علم النحو، وكانت وفاته سنة تسع وستين.

الرسالة:ذكر الرسالة سزكين في كتابه ولم يعزه إلى أي مصدر.(٣)

٩٤. رسالة عمر بن عبد العزيز(ت١٠١هـ) في القدر أو الرد على القدرية:

الرسالة:وهي رسالة طويلة نسبياً فيما يقارب ثمان صفحات في القدر ومشهورة

---

(١) أخرجها ابن منده في كتابه الرد على من يقول (آلم) حرف لينفي الألف واللام والميم عن كلام الله عزوجل ص٧٨،تحقيق عبدالله الجديع ط.دار العاصمة -الرياض ط.الأولى عام١٤٠٩هـ.وقال محقق الكتاب بأن سندها جيد.

(٢) إنباه الرواه (١/ ٤٨-٥٨)، وفيات الأعيان (٢/ ٥٣٥-٥٣٩)، الشعر والشعراء (٢/ ٧٢٩).

(٣) انظر: سزكين (١/ ٤/ ٣-٤).

ومروية بالإسناد ، ومما جاء فيها :"أما بعد : فإنكم كتبتم إلي بما كنتم تستترون منه قبل اليوم في رد علم الله والخروج منه إلى ما كان رسول الله ﷺ يتخوف على أمته من التكذيب بالقدر ، وقد علمتم أن أهل السنة كانوا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة ،وسيقبض العلم قبضاً سريعاً ...." أ.هـ ، والذي يظهر أن سبب الرسالة ما كتب إليه بعض من كذب بالقدر يسألونه عنه.(١)

٩٥. رسالة عمر بن عبد العزيز(ت١٠١هـ) في القدر جواباً على سؤال ورد إليه:

الرسالة:وهذا السؤال ورد إليه من عدي بن أرطاة فأجاب عليه ، ونص السؤال والجواب هو:"أن عدي بن أرطاة كتب إلى عمر بن عبد العزيز أن قبلنا قوماً يقولون :لا قدر فاكتب إليّ برأيك واكتب إليّ بالحكم فيهم فكتب إليه : من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى عدي بن أرطاة ، أما بعد : فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو ، أما بعد : فإني أوصيك بتقوى الله ، والاقتصاد في أمره واتباع سنة نبيه ﷺ وترك ما أحدث المحدثون .....كتبت تسألني عن القدر ، على الخبير بإذن الله تعالى سقطت ، ما أحدث المسلمون محدثة ولا ابتدعوا بدعة هي أبين أمراً ولا أثبت من أمر القدر ، ولقد كان ذكره في الجاهلية الجهلاء ...." أ.هـ.(٢)

٩٦. رسالة الحسن البصري(١١٠هـ) في القدر أو الرد على القدرية:

الرسالة :هذه الرسالة نص عليها سزكين وذكر بعض نسخها وذكر أن أحد المستشرقين حققها ونشرها ، وذكر أنه ألفها للرد على الخليفة عبد الملك، وممن أشار إلى نفس الرسالة وأنها إلى الخليفة وإنها رد على القدرية الداوودي، وهذه الرسالة تحوي

---

(١) أخرجها : كاملة بسندها أبو نعيم في الحلية (٥/ ٣٤٦-٣٥٣)، وذكر سزكين في تاريخه(١/ ٤/ ١٥) أن الخطيب البغدادي قد حصل على إجازة لهذا الكتاب وعزا هذا الأمر إلى مخطوط بعنوان مشيخة الخطيب في الظاهرية في مجموع برقم (١٨).وجعل عنوان الكتاب (الرد على القدرية).

(٢) الرسالة : أخرجها: أبو داود في سننه (٤/ ٢٠٢-٢٠٤) في كتاب السنة –باب في لزوم السنة برقم (٤٦١٢).وابن وضاح في البدع والنهي عنها مختصراً ص٧٢ برقم (٧٤).والآجري في الشريعة (٢/ ٩٣٠) برقم (٥٢٩).وابن بطة في الإبانة (القسم الخاص بالقدر ٢/ ٢٣١برقم (١٨٣٣).وأبو نعيم في الحلية (٥/ ٣٣٨)،والرسالة إسنادها صحيح .

كلاماً يخالف مذهب أهل السنة ولهذا اتهم بالقدر والشهرستاني يرى أن الرسالة ليست له بل لواصل بن عطاء وأن الحسن ليس على مذهبهم بل أنكر عليهم ذلك ، وقد أثبت الأئمة في مصنفاتهم تراجعه عن القول بالقدر .[1]

٩٧. كتاب القدر لوهب بن منبه(ت١١٠هـ) :

ترجمة موجزة للمصنف[2]:هو وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار أبو عبد الله الأبناوي اليماني الذماري الصنعاني أصله من أبناء الفرس الذين بعث بهم كسرى إلى اليمن، أخذ عن بعض الصحابة منهم ابن عباس وأبي سعيد والنعمان بن بشير وغيرهم وعنه عمرو بن دينار وسماك بن الفضل وعاصم بن حيوة ، وهو تابعي ثقة يروي الإسرائيليات ،وقد ولي القضاء لعمر بن عبد العزيز، وكانت وفاته سنة عشر ومائة.

الكتاب : وقد جاء عنه أنه ندم أنه كتب كتاباً في القدر وأنكر عليه بعض السلف هذا الكتاب ، وقال الإمام أحمد عن هذا الكتاب فقال : يريد كتاب وهب كتاب الحكمة ويذكر فيه المعاصي وينزه الرب جل وعز ويعظمه ، وهؤلاء يحتجون به يعني القدرية.[3]

٩٨. رسالة في القدر للأوزاعي (ت١٥٧هـ):

(١) انظر: تاريخ التراث العربي لسزكين (١/ ٤/ ١١)، طبقات المفسرين للداوودي (١/ ١٤٧) ،الشريعة للآجري (٢/ ٧٢١(حاشية المحقق) ، ٨٧٩) ، الملل والنحل للشهرستاني (١/ ٤٧) ، السير (٤/ ٥٨٣) ،(٥/ ١٥٩) ، السنة لعبدالله(٢/ ٤٣٦، ٤٢٧،٤٤٢)، ونقل الهروي عن الحسن كلاماً في ذم الكلام (٤/ ٦٣) رؤوس القدرية كمعبد الجهني مما يزيد في تكذيب هذا الكلام المنسوب له .قال الآجري في الشريعة (٢/ ٨٧٩):"اعلموا -رحمنا الله وإياكم – أن من القدرية صنفاً إذا قيل لبعضهم : من إمامكم في مذهبكم هذا ؟ فيقولون : الحسن ، وكذبوا على الحسن ، وقد أجل الله الكريم الحسن عن مذهب القدرية ، ونحن نذكر عن الحسن خلاف ما ادعوا عليه ..." أ.هـ.

(٢) انظر: السير (٤/ ٥٤٤) ، طبقات فقهاء اليمن لابن الجعدي ص٥٧.

(٣) أخرج كلام وهب والإمام أحمد الخلال في السنة (٣/ ٥٤٧) ، وانظر : اللالكائي(٤/ ٦٨٣).
وإن كان كتابه في القدر هو الحكمة الذي أشار إليه الإمام أحمد فقد ذكره سزكين في تاريخه(١/ ٢/ ١٢٥) ، وعزاه لابن سعد في الطبقات وابن خير في فهرسته وأنها في أربعة كراريس لطيفة .

الرسالة:أخرجها ابن بطة بسنده في الإبانة وهي جواباً على سؤال أرسله رجل يقال له صالح بن بكر ومما جاء فيها:" أما بعد فقد بلغني كتابك تذكر فيه أن الكتب كثرت في الناس ورد الأقاويل في القدر بعضهم على بعض ، حتى يخيل إليكم أنكم قد شككت فيه وتسألني أن أكتب إليك بالذي استقر عليه رأيي وأقتصر في المنطق ونعوذ بالله من التحير في ديننا واشتباه الحق بالباطل علينا ..." أ.هـ.(١)

٩٩. ما كتبه سفيان الثوري(ت١٦١هـ) جواباً على من سأله :

الرسالة:أخرجها ابن بطة في الإبانة بسنده ومما جاء فيها عن عبد الله بن نمير قال : "كتب أبو داود الديلي إلى سفيان الثوري :أما بعد ؛ فما تقول في رب قدر علي هداي وعصمتي وإرشادي فخذلني وأضلني وحرمني من الصواب وأوجب علي العقاب وأنزلني دار العذاب؛ أعدل هذا الرب أم جار؟ **قال فكتب إليه سفيان:**أما بعد ؛ فإن كنت تزعم أن العصمة والتوفيق والإرشاد وجب لك على الله فمنعه ذلك؛ فقد ظلمك ومحال أن يظلم الله عز وجل أحداً ، وإن كنت تزعم أن ذلك فضل الله ؛ فإن فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم " أ.هـ.(٢)

١٠٠. رسالة في القدر لابن الماجشون عبد العزيز بن أبي سلمة (ت١٦٤هـ):

الرسالة:وهذه الرسالة أخرجها كاملة ابن بطة ، وهي فيها يقارب خمس صفحات ، ومما جاء فيها:" أما بعد : فإنك تسألني أن أفرق لك في أمر القدر ، ولعمري لقد فرق الله تعالى فيه: ﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق : ٣٧]؛ فأعلمنا أن له الملك والقدرة ، وأن له العذر والحجة ، ووصف القدر تملكاً والحجة إنذاراً ، ووصف الإنسان في ذلك محسناً ومسيئاً ومقدوراً عليه ومعذوراً عليه ....." أ.هـ.(٣)

---

(١) أخرجه :ابن بطة في الإبانة (القسم الخاص بالقدر ٢/ ٢٥٤).

(٢)أخرجه :ابن بطة في الإبانة (القسم الخاص بالقدر ٢/ ٢٧٩).

(٣)أخرجه :ابن بطة في الإبانة (القسم الخاص بالقدر ٢/ ٢٤٠-٢٤٧).

١٠١. رسالة في القدر والرد على القدرية للإمام مالك بن أنس(ت١٧٩هـ):

الرسالة : ذكرها القاضي عياض والذهبي والداودي وغيرهم وصحح إسنادها القاضي عياض والذهبي ،وجاء أنه أرسلها إلى ابن وهب. [١]

١٠٢. كتاب القدر لابن وهب (ت١٩٧هـ):

الكتاب: مطبوع طبعتين : الأولى بتحقيق العثيم –رحمه الله – ، والثانية : حديثاً بتحقيق الأخ الشيخ عمر الحفيان وهي أجود وبين بعض ما وقع من أخطاء في الطبعة السابقة . [٢]

١٠٣. الرد على القدرية لإسماعيل بن حماد الحنفي حفيد أبي حنيفة (ت٢١٢هـ):

الكتاب: ذكره حاجي خليفة والبغدادي وغيرهما ممن ترجم له . [٣]

١٠٤. رسالة في القدر لعبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون(ت٢١٢هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [٤]:هو عبد الملك بن عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون، كنيته أبو مروان واسم أبي سلمة ميمون ، والماجشون هو أبو سلمة ، تفقه بأبيه ومالك وابن أبي ازم وابن دينار وابن كنانة وغيرهم ، وعنه ، وكان فصيحاً ، وكان من الفقهاء المبرزين ، وكان العلماء يفضلونه في علم الأحباس والوقف ،وكان كثير التأليف ، وكان صاحب سنة ، شديداً على أهل البدع ، وكانت وفاته سنة اثنتي عشرة ومائتين.

الرسالة: ذكرها القاضي عياض. [٥]

١٠٥. ما كتبه أبو ثور(ت٢٤٠هـ) في القدر جواباً على سؤال ورد إليه:

الرسالة:أخرج اللالكائي بسنده :"أرسل رجل من أهل خراسان بكتاب يسأل أبا ثور : فأجاب: سألتم رحمكم الله عن من قال : إن المعاصي لم تقدر هل هو فاسق يصلى

---

(١) انظر:ترتيب المدارك(٢/ ٩٠) ،شجرة النور الزكية ص٥٤،السير (٨/ ٨٨)، طبقات الداودي ٢/ ٢٩٩،
(٢) طبع الكتاب بدار العطاء للنشر والتوزيع ط.الأولى عام١٤٢٢هـ.
(٣)كشف الظنون (١/ ٨٣٩)، هدية العارفين ٥/ ٥/ ٢٠٧، الفوائد البهية ص٤٦، الطبقات السنية (٢/ ١٨٦)
(٤) انظر : ترتيب المدارك (١٣٦-١٤٤) ، السير (١٠/ ٣٥٩).
(٥) انظر : ترتيب المدارك (٣/ ١٤٠).

خلفه ؟

فهذا فاسق بتفسيق أهل العلم لا يصلى خلفه وهو داخل في حكم أهل القدر ، ومن قال الأشياء كلها إلا بقدر إلا المعاصي فلا يصلى خلفه" أ.هـ.(١)

١٠٦. ما أجاب به أبو ثور(٢٤٠هـ) لمن سأله عن القدرية :

الرسالة:أخرج اللالكائي بسنده قال : " أرسل رجل من خراسان بكتاب يسأل أبا ثور ، فأجاب : سألتم –رحمكم الله– عن القدرية من هم ؟

فالقدرية من قال : إن الله لم يخلق أفاعيل العباد وإن المعاصي لم يقدرها على العباد ولم يخلقها فهؤلاء قدرية ...." أ.هـ.(٢)

١٠٧. الحجة على القدرية لمحمد بن سحنون(ت٢٥٦هـ):

الرسالة:ذكرها القاضي عياض وغيره.(٣)

١٠٨. خلق أفعال العباد أو الرد على القدرية والرد على الجهمية للبخاري (ت٢٥٦هـ):

الكتاب:الكتاب مطبوع بتحقيق بدر البدر ، هو يحقق الآن في قسم العقيدة بالجامعة كرسالة دكتوراه ، وقد سماه اللالكائي (الرد على القدرية) ، وسماه سزكين (خلق أفعال العباد والرد على الجهمية).(٤)

١٠٩. كتاب القدر ليونس بن عبد الأعلى (ت٢٦٤هـ):

ترجمة موجزة للمصنف (٥): هو يونس بن عبد الأعلى بن ميسرة بن حفص بن حيّان ، أبو موسى الصدفي المصري المقرئ الحافظ ، حدث عن سفيان بن عيينة وعبد الله بن وهب والوليد بن مسلم وغيرهم وعنه مسلم والنسائي وابن ماجه وغيرهم ،

---

(١)اللالكائي(٤/ ٧٣٤).

(٢)اللالكائي(٤/ ٧٢٠).

(٣) انظر : ترتيب المدارك (٤/ ٢٠٧) ، الأعلام للزركلي (٦/ ٢٠٥)، وانظر : الاستدراكات على سزكين (٣/ ٦٤).

(٤) انظر : اللالكائي (٣/ ٥٣٩) ، سزكين (١/ ١/ ٢٥٩).

(٥) انظر : السير (١٢/ ٣٤٨-٣٥١)،طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ١٧٠).

وكان ثقة ثبتاً من أكابر من أخذ عن الشافعي،وكانت وفاته سنة أربع وستين ومائتين.

الكتاب:ذكره اللالكائي في أثناء سند له فقال :"..حدثنا يونس بن عبد الأعلى – من كتابه في كتاب القدر –..." أ.هـ.(١)

١١٠. القدر لأبي داود السجستاني ت(٢٧٥هـ):

الكتاب:الكتاب ورد باسم القدر وباسم القدر المفرد أو الرد على أهل القدر ، والكتاب ، وقد نص عليه جمع من المتقدمين والمتأخرين كالحافظ الذهبي وابن حجر وسزكين .(٢)

المصنفات في باب الإيمان :

١١١. رسالة سعيد بن جبير(ت٩٥هـ) إلى عبد الملك بن مروان حينما سأله عن مسائل في الإسلام والإيمان:

الرسالة:أخرجها مسندة ابن نصر في تعظيم قدر الصلاة في موضعين :الأول منها نقل منها ما يخص الإيمان والثاني منها نقل منها ما يخص الإسلام ، فكان مما جاء في الموضع الأول:"أن عبد الملك بن مروان كتب إلى سعيد بن جبير يسأله عن هذه المسائل فأجابه فيها : سألت عن الإيمان ؟ قال :فالإيمان هو التصديق ، أن يصدق العبد بالله وملائكته وما أنزل من كتاب وما أرسل من رسول وباليوم الآخر ...." أ.هـ.(٣)

ومما جاء في الموضع الثاني :" سألت عن الإسلام ؟ فالإسلام : الإخلاص ،.." أ.هـ.(٤)

١١٢. الإرجاء للحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب المشهور بابن الحنفية (ت٩٩هـ) :

---

(١) اللالكائي (٤/ ٦٠٨).

(٢) انظر : فتح الباري ط.الأولى (١١/ ٤٨٣و٥١١) ، السير (١٣/ ٢٠٦)للذهبي ،تاريخ الإسلام له ص٣٤٦،٢٩٩، تهذيب الكمال للمزي (٢/ ٧٦٠)، وابن حجر في تهذيب التهذيب (٤/ ١٥٠)واسماه (الرد على أهل القدر)، وسزكين في تاريخ التراث العربي (١/ ١/ ٢٩٦)، وقد وجدت مخطوطاً في جامعة الإمام برقم (١٧٧٩/ ف)وكتب على الصفحة الأولى منها(كتاب القدر لأبي داود صاحب السنن)، ولكن المخطوط بعد اطلاعي عليه تبين أنه لابن وهب.

(٣) تعظيم قدر الصلاة (١/ ٣٤٦).

(٤) تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٥٦٦).

ترجمة موجزة للمصنف[(١)] : الإمام أبو محمد الهاشمي كان أجل الأخوين وأفضلهما ، حدث عن أبيه وابن عباس وجابر وسلمة بن الأكوع وغيرهم ،وروى عنه الزهري وعمرو بن دينار وموسى بن عبيدة وغيرهم ،كان من علماء أهل البيت ، قال عمرو بن دينار :ما رأيت أحداً أعلم بما أختلف فيه الناس من الحسن بن محمد ما كان زهريكم إلا غلاماً من غلمانه مات سنة مائة أو التي قبلها.

الرسالة :ذكرت كاملة في الإيمان للعدني وغيره من المراجع.[(٢)]

١١٣. ما كتبه عمر بن عبد العزيز(ت١٠١هـ) إلى عدي بن عدي :

الرسالة :أخرجها البخاري تعليقاً في صحيحه وابن أبي شيبة مسندة في الإيمان وغيرهما، ومما جاء فيها:"قال كتب إلي عمر بن عبد العزيز :أما بعد فإن الإيمان فرائض وشرائع وحدود وسنن فمن استكملها استكمل الإيمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان .." أ.هـ.[(٣)]

١١٤. كتاب عمر بن عبد العزيز(ت١٠١هـ) إلى الخوارج:

الكتاب:وهو كتاب أو رسالة أرسلها عمر بن عبد العزيز إلى بعض الخوارج الذين أرادوا الخروج والقتال فمما جاء فيها : " أما بعد ؛ فإن الله عز وجل يقول ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِ ﴾[النحل: ١٢٥] الآية ، وإني أذكركم أن تفعلوا كفعل آبائكم الذين خرجوا بطراً ورئاء الناس فبذا تخرجون من دينكم وتسفكون الدماء ...." أ.هـ.[(٤)]

١١٥. رسالة الضحاك بن مزاحم (ن١٠٢هـ) في الإيمان:

(١) السير (٤/ ١٣٠) ، تهذيب التهذيب (٩/ ٣١٥) .

(٢) انظر: الإيمان للعدني ص١٤٥، الإبانة (٢/ ٩٠٤)،السنة لعبدالله (١/ ٣٢٤)، سزكين (١/ ٤/ ٥) ، السنة للخلال (٤/ ١٣٦).

(٣) الأثر مخرج في : الإيمان لابن أبي شيبة ص٤٨،البخاري تعليقا،اللالكائي(٤/ ٨٤٤) ، السنة للخلال ٤/ ٥٧ ،وفي الإبانة (٢/ ٨٥٨)تحقيق :نعسان،وصحح سندها الألباني في تحقيقه لكتاب الإيمان لابن أبي شيبة.

(٤) أخرج الكتاب أبو نعيم في الحلية (٥/ ٣١٠) ، وأوردها الملطي في التنبيه والردص١٩٥.

ترجمة موجزة للمصنف [(١)]:هو الضحاك بن مزاحم الهلالي ، أبو محمد وقيل أبو القاسم ، صاحب التفسير ، وكان من أوعية العلم ، حدث عن ابن عباس وأبي سعيد وابن عمر وغيرهم ، وعنه عبد العزيز بن أبي رواد وعلي بن الحكم ومقاتل وغيرهم ، وثقه أحمد وابن معين وغيرهما وضعفه غيرهما ، وكانت وفاته سنة اثنين ومائة .

الرسالة :ذكرها مسندة كاملة ابن بطة في الإبانة ومما جاء فيها :"...وهو الإيمان بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين والتصديق والإقرار بما جاء من الله والتسليم لقضائه وحكمه والرضا بقدره وهذا هو الإيمان ..." أ.هـ. [(٢)]

١١٦ . رسالة في الإيمان للأوزاعي (ت١٥٧هـ):

الرسالة:وهي جواب على سؤال وجه إلى الإمام الأوزاعي ، ومما جاء فيه :"كتب رجل إلى الأوزاعي : أمؤمن أنت حقاً ؟ فكتب إليه : كتبت تسألني أمؤمن أنت حقاً ؟ والمسألة في هذا بدعة والكلام فيه جدل ، ولم يشرحه لنا سلفنا ولم نكلفه في ديننا ،..." أ.هـ. [(٣)]

١١٧ . الأزارقة لجرير بن حازم البصري (ت١٧٠هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [(٤)]:هو جرير بن حازم بن زيد بن عبد الله بن شجاع ، أبو النضر الأزدي ثم العتكي البصري ، حدث عن الحسن وابن سيرين ونافع مولى ابن عمر وغيرهم وعنه أيوب السختياني والأعمش والثوري وغيرهم ، وثقه جمع من الأئمة ، تغير قبل موته بسنة ، وكانت وفاته سنة سبعين ومائة .

الرسالة :ذكرها سزكين ، ونقل منها صاحب الأغاني في كتابه. [(٥)]

١١٨ . كتاب حماد بن زيد (١٧٩هـ) إلى جرير بن عبد الحميد:

---

(١) انظر : السير (٤/ ٥٩٨) ، تهذيب التهذيب (٤/ ٣٩٧).

(٢) أخرجها ابن بطة في الإبانة (٢/ ٦٥٠).

(٣) أخرجها ابن بطة في الإبانة (٢/ ٨٨١) ، والخلال في السنة (٣/ ٥٩٨).

(٤) انظر : السير (٧/ ٩٨) ، الجرح والتعديل (٢/ ٥٠٤).

(٥)سزكين (١/ ٢/ ١٣٣) ونقل عنه صاحب الأغاني(١/ ٢٦).

ترجمة موجزة للمؤلف [١] :حماد بن زيد بن درهم العلامة الحافظ الثبت محدث الوقت أبو إسماعيل الأزدي ،سمع من أنس بن سيرين وعمرو بن دينار وغيرهما وروى عنه :إبراهيم بن أبي عبلة وسفيان وشعبة وغيرهم ،قال عبد الرحمن بن مهدي : أئمة الناس في زمانهم أربعة وذكر منهم حماد بن زيد بالبصرة ،قال يحي بن معين : ليس أحد أثبت من حماد بن زيد ،وقال يحي النيسابوري :ما رأيت شيخاً أحفظ من حماد بن زيد، مات سنة تسع وسبعين و مئة في شهر رمضان.

الكتاب:أخرج اللالكائي بسنده عن يحيى المغيرة قال : "قرأت كتاب حماد بن زيد إلى جرير بن عبد الحميد :"بلغني أنك تقول في الإيمان بالزيادة وأهل الكوفة يقولون بغير ذلك أثبت على رأيك ثبتك الله " أ.هـ.[٢]

١١٩ . الإيمان لعبد العزيز الدراوردي (ت١٨٧هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [٣]:عبد العزيز بن محمد بن عبيد بن أبي عبيد الدراوردي ، أبو محمد المدني الجهني ، روى عن زيد بن أسلم وشريك بن عبد الله ويحيى بن سعيد الأنصاري وغيرهم وعنه شعبة والثوري والشافعي وغيرهم ، وكان صدوقاً ويحدث من كتب غيره فيخطئ قال النسائي حديثه عن عبيد الله العمري منكر ، وكانت وفاته سنة سبع وثمانين ومائة.

الكتاب: ذكر في فهارس المخطوطات .[٤]

١٢٠ . رسالة في الإيمان لسفيان بن عيينة (ت١٩٨هـ):

الرسالة :وهي جواب على سؤال سأله من كان حاضراً مجلسه فقال له : "يا أبا محمد :ما تقول في الإيمان يزيد وينقص ، قال سفيان: يزيد ما شاء الله وينقص حتى لا يبقى معك منه شيء ، وعقد بثلاثة أصابع وحلق بالإبهام والسبابة ، قال : فإن قوماً

(١)انظر :السير (٧/ ٤٥٦) ،تهذيب التهذيب (٣/ ٩).
(٢) أخرجه اللالكائي (٥/ ٩٦١)برقم (١٧٤٦)
(٣) انظر:التهذيب (٦/ ٣١٥)، السير (٨/ ٣٦٦).
(٤)مخطوط في الظاهرية ٣٥٧[مجموع ١٠٤] (٢٣٠-٢٥٠) انظر: الفهرس الشامل ١/ ٢٧٠.

يقولون الإيمان كلام ،قال سفيان: قد كان القول قولهم قبل أن تنزل أحكام الإيمان وحدوده ، بعث الله النبي ﷺ إلى الناس ...." أ.هـ .[1]

١٢١. كتاب الإرجاء إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة(ت٢١٢هـ):

الكتاب : يظهر أنه عن ذم الإرجاء لأن المصنف له كتب في ما يخص الاعتقاد كالرد على القدرية وقد تقدم .[2]

١٢٢. الإيمان لعبد الملك بن الماجشون (٢١٢هـ):

الكتاب :نص عليه القاضي عياض.[3]

١٢٣. الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت٢٢٤هـ):

ترجمة موجزة للمصنف[4]:هو أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله ،الإمام المجتهد اللغوي المحدث ذو الفنون والتصانيف التي سارت بها الركبان ، سمع من سفيان بن عيينة ووكيع والقطان وغيرهم وعنه الصاغاني وابن أبي الدنيا وعلي البغوي وغيرهم ، ومن مصنفاته المشهورة :غريب الحديث والطهور وفضائل القرآن ، وكانت وفاته سنة أربع وعشرين ومائتين.

الكتاب:مطبوع بتحقيق الشيخ الألباني ، والكتاب مع صغر حجمه إلا أنه حوى علماً عظيماً استفاد منه كل من ألف من السلف في الإيمان من المتقدمين كمحمد بن نصر في تعظيم قدر الصلاة ومن المتأخرين كشيخ الإسلام ابن تيمية.[5]

١٢٤. تسمية المنافقين لأبي الحسن المدائني(ت٢٢٤هـ):

ترجمة المصنف[6]:هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف المدائني ،

---

(١) أخرجه أبو نعيم في :الحلية ٧/ ٢٩٥، و الآجري في الشريعة ٢/ ٥٥٧-٥٥٩).

(٢)هدية العارفين ٥/ ٢٠٧،الفوائد البهية ص٤٦،الطبقات السنية (٢/ ١٨٦).

(٣) ترتيب المدارك(٣/ ١٤٠).

(٤) انظر : السير (١٠/ ٤٩٠) ، تاريخ بغداد (١٢/ ٤٠٣-٤١٦).

(٥) له نسخة خطية في الظاهرية برقم (٣٨٥٢) في (٢١) ورقة ، كتبت سنة ٤٨٨هـ، وعنها صورة محفوظة في مكتبة جامعة الكويت برقم (٣٤٠م ك مجموع ٩) لقطات(١٣٥-١٥٦).

(٦) انظر: السير (١٠/ ٤٠٠) ، تاريخ بغداد (١٢/ ٥٤-٥٦).

الأخباري ، صاحب التصانيف ، كان عجباً في معرفة السير و المغازي والأنساب وأيام العرب ، مصدقاً فيما ينقله عالي الإسناد ، سمع من قرة بن خالد وشعبة حماد بن سلمة وغيرهم ، وعنه خليفة بن خياط والزبير بن بكار والحارث بن أبي أسامة وغيرهم ، وكانت وفاته سنة أربع وعشرين ومائتين وقيل خمس وعشرين .

الكتاب : ذكره الذهبي ، وابن النديم .(١)

١٢٥ . الإيمان لزكريا بن يحيى بن صالح اللؤلؤي(ت٢٣٠هـ):

ترجمة موجزة للمصنف (٢):هو زكريا بن صالح بن سليمان ،أبو يحيى البلخي اللؤلؤي سمع من أبي مطيع الحكم بن عبد الله مفتي بلخ و وكيع وابن نمير وغيرهم وعنه البخاري والفريابي وأحمد بن سيار وغيرهم ، وكان ثقة صاحب سنة وفضل وممن يرد على أهل البدع ، وكانت وفاته سنة ثلاثين ومائتين .

الكتاب:ذكره: ابن حبان والذهبي والسيوطي والبغدادي .(٣)

١٢٦ . الإيمان لابن أبي شيبة (ت٢٣٥هـ):

الكتاب:مطبوع بتحقيق الشيخ الألباني ، وهو أحاديث وروايات وآثار وليس فيها تعليقات أو مناقشات وردود مثل كتاب أبي عبيد .(٤)

١٢٧ . الحكم والعمل بالجوارح لعبد الملك بن حبيب(ت٢٣٨هـ):

الكتاب: الكتاب ذكره من ترجم له كالقاضي عياض.(٥)

---

(١) السير (١٠/ ٤٠٢) ، الفهرست ص١١٣ .

(٢) انظر:الثقات لابن حبان (٨/ ٢٥٤) ، تذكرة الحفاظ(٢/ ٥١٧).

(٣) الثقات لابن حبان (٨/ ٢٥٤)،تذكر ة الحفاظ (٢/ ٥١٨)، طبقات الحفاظ ص٢٣٠،إيضاح المكنون(٤/ ٢٧٧).

(٤) له نسخة ي الظاهرية (مجموع ٧٨/ ٧ من ١٣٧أ-١٨٣ب في القرن السابع)، وله نسخة أخرى محفوظة في مكتبة حامد الفقي بمصر في (٨) ورقات ، وعنها مصورة محفوظة في المكتبة المركزية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ر قم (٧١٥١/ ٥) .انظر : سزكين (١/ ١/ ٢٠٧)، فهرس المصورات الفلمية بالجامعة ص١٦ ، الاستدراكات على سزكين (٣/ ٥٣).

(٥) انظر : ترتيب المدارك (٤/ ١٢٩)،مقدمة تفسير غريب الموطأ لابن حبيب للعثيمين (١/ ٥٢).

١٢٨ . كتاب الإيمان لأبي رجاء قتيبة بن سعيد(ت٢٤٠هـ):

الكتاب :ذكره الإمام الصابوني في عقيد أهل الحديث .[1]

١٢٩ . رسالة لأبي ثور في الإيمان جوابا على سؤال(ت٢٤٠هـ):

الرسالة :هي جواب على سؤال أخرجها اللالكائي بسنده، ومما جاء فيها : "...فأخبرك بقول الطوائف واختلافهم : فاعلم يرحمنا الله وإياك أن الإيمان تصديق بالقلب والقول باللسان وعمل بالجوارح .." أ.هـ.[2]

رسائل الإمام أحمد(ت٢٤١هـ) في الإيمان :

١٣٠ . كتاب الإيمان للإمام أحمد :

الكتاب : أخرجه كاملاً بالإسناد الخلال ضمن كتابه السنة ،وذكره جمع من أهل العلم من المتقدمين والمتأخرين وصحح نسبة الكتاب له الذهبي وعزا له الحافظ ابن حجر في مواضع من الفتح .[3]

١٣١ . كتاب الإرجاء للإمام أحمد:

الكتاب: ذكره الخلال ضمن الإيمان الذي في السنة له ، وهو يشتمل على ذمهم وهجرهم وحقيقة قولهم والرد عليهم ،وذكره سزكين وأشار إلى أنه ضمن الإيمان للإمام أحمد ،وقد جاء في السنة للخلال ما نصه:"وهذا إتمام كتاب الإرجاء لأبي عبد الله بعد الذي علم منه .."أ.هـ ، وجاء عند الذهبي في السير أنه قريء عليه في السجن.[4]

---

(١) انظر : عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ص٣٠٨.

(٢) اللالكائي(٤/ ٨٤٩-٨٥١).

(٣)انظر: فتح الباري ط.الأولى ١(/ ٤٧و٤٨و٨٢و٨٧و١١١).

وهو :مخطوط برقم (٢٧٧٤) الجامعة الإسلامية وتوجد نسخة في المتحف البريطاني مخطوطات شرقية برقم (٢٦٧٥) (٢٦١-٢٩٠)سزكين (١/ ٣/ ٢٢٦)، الإيمان لابن أبي يعلى تحقيق سعود الخلف ص١٦٥،الفهرست ص٢٨٥، والآجري في الشريعة(٢/ ٦١٦)،السير (١١/ ٣٢٨،٣٠١)،وذكر ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة(١/ ٤٧٩) أن راوي الكتاب هو ظليم بن حطيط ، وصلة الخلف ص٦٩، السير (١١/ ٢٨٧) .والكتاب في السنة للخلال من (٣/ ٥٦٢) إلى (٥/ ٨٢).

(٤) السنة للخلال(٤/ ٥٥) ، السير (١١/ ٢٤٣) ، محنة أحمد لحنبل ص٤٠ ، سزكين (١/ ٣/ ٢٢٦).

١٣٢. **رسالة مختصرة للإمام أحمد في الإيمان :**

الرسالة :ذكرها الخلال في السنة ، وهي جواب على سؤال ورد إليه ومما جاء فيها:" ..أما ما ذكرت من قول من يقول : إنما الإيمان قول ؛ هذا قول أهل الإرجاء ، قول محدث ،..." أ.هـ.(١)

١٣٣. **رسالة الإمام أحمد إلى أبي عبد الرحيم محمد بن أحمد الجراح الجوزجاني :**

الرسالة :ومما جاء فيها : "..واعلم رحمك الله أن الخصومة في الدين ليست من طريق أهل السنة ..." أ.هـ ، وجاء في آخرها أن تاريخ كتابتها كان سنة عشرين ومائتين، أخرجها الخلال ونقلها شيخ الإسلام في الإيمان له .(٢)

١٣٤. **أحاديث في الإيمان للإمام أحمد دفعها إلى رجل يقال له ابن أبي رزمة المروزي:**

الرسالة: نص عليها الخلال في السنة .(٣)

١٣٥. **رسالة الإمام أحمد إلى أحمد بن أبي سريح :**

الرسالة :جاء في السنة للخلال:" عن ابن أبي سريح أن أحمد بن حنبل كتب إليه في هذه المسألة : أن الإيمان قول وعمل .." أ.هـ.(٤)

١٣٦. **كتاب اللصوص للإمام أحمد:**

الكتاب :وله تعلق بالإيمان لبيان الفرق بينهم وبين الخوارج المخالفين لنا في الإيمان وقد تقدم صنيع الأئمة أن يذكر اللصوص مع الخوارج في جوامعهم الحديثية كما صنع أبو داود.، وجاء في السنة للخلال:"تمام كتاب اللصوص .." أ.هـ.(٥)

١٣٧. **الإيمان والأعمال في الرد على الكرامية لمحمد أسلم الطوسي (ت٢٤٢هـ):**

---

(١) أخرجها الخلال في السنة (٤/ ٢٠-٢٢).

(٢) أخرجها الخلال في السنة (٤/ ٢٢-٢٨) وشيخ الإسلام في الإيمان كما في مجموع الفتاوى(٧/ ٣٩٠).

(٣) السنة للخلال (٤/ ٣٤).

(٤) السنة للخلال (٣/ ٥٩٧).

(٥) السنة للخلال (١/ ١٨٧).

ترجمة موجزة للمصنف [1] :محمد بن أسلم بن سالم بن يزيد الكندي مولاهم الخراساني الطوسي ، روى عن يزيد بن هارون والنضر شميل وأبي نعيم وغيرهم وعنه ابن خزيمة وابن أبي داود و زنجويه وغيرهم ، صنف كتابه المسند وكان يقال عنه إنه ركن من أركان الإسلام ، وكانت جنازته مشهودة سنة اثنتين وأربعين ومائتين.

الكتاب: وهو كتاب كبير في جزئين ، قال أبو نعيم في ترجمته :"فقد صنف في الإيمان وفي الأعمال الدالة على تصديق القلب وأماراته كتاباً جامعاً كبيراً " أ.هـ. وقال أيضاً: "وضمن هذا الكتاب من الآثار المسندة وقول الصحابة والتابعين أحاديث كثيرة "أ.هـ ، وقال أيضاً :"..وكتابه يشتمل على أكثر من جزئين مشحوناً بالآثار المسندة وقول الصحابة والتابعين"أ.هـ. [2]

١٣٨. كتاب الإيمان للإمام العدني (ت٢٤٣هـ) [3]:

الكتاب:مطبوع بتحقيق حمد الحربي . [4]

١٣٩. رسالة في الإيمان لهشام بن عمار(ت٢٤٥هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [5]:هو هشام بن عمار بن نصير بن ميسرة بن أبان ، أبو الوليد السلمي ويقال : الظفري ، العلامة الحافظ المقريء خطيب دمشق وعالم الشام ، روى عن مالك وابن عيينة والدراوردي وغيرهم وعنه البخاري و أبو داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم كثير ، وكان ثقةً ثبتاً له مكانة عظيمة عند المحدثين ، كانت وفاته سنة خمس وأربعين ومائتين.

الرسالة : نقل التيمي مقاطع منها فمما قال :" ومما يبين لأهل العقل أن الإيمان قول

---

(١) انظر : الحلية (٩/ ٢٣٨-٢٥٤) ،السير (١٢/ ١٩٥).

(٢)الحلية (٩/ ٢٤٥ ، ٢٤٧، ٢٤٨).

(٣) تقدمت ترجمته ص١٤٩.

(٤) طبع الدار السلفية في الكويت ط.الأولى ١٤٠٧هـ.

(٥) انظر : السير (١١/ ٤٢٠)، تهذيب التهذيب (١١/ ٤٦).

وعمل يزيد وينقص ما جاء عن النبي ﷺ من الأحاديث ...." أ.هـ.[١]

١٤٠. الإيمان لعبد بن حميد الكشي (ت٢٤٩هـ):

الكتاب: عزا إليه السيوطي في الدر المنثور .[٢]

١٤١. الإيمان لابن رسته (ت٢٥٠هـ):

ترجمة موجزة للمصنف[٣]: عبد الرحمن بن عمر بن يزيد بن كثير ، الزهري ، المديني ، الأصبهاني ، الملقب بـ(رُسْتَه):(بضم الراء وسكون السين المهملة وفتح المثناة)، روى عن يحيى القطان وعبد الرحمن بن مهدي وعبد الوهاب الثقفي وغيرهم ، وعنه ابن ماجه وابن منده وعبد الله بن أحمد بن أسيد وغيرهم ، وكانت وفاته سنة خمسين ومائتين.

الكتاب: نص عليه الأئمة وعزو إليه بعض الأحاديث ورووا الكتاب بالإسانيد كابن حجر وغيره .[٤]

١٤٢. رسالة في الإيمان لمحمد بن سحنون (ت٢٥٦هـ):

الرسالة :ولعلها تتحدث عن مسألة الاستثناء كما يظهر من خلال ذكرها كما عند القاضي عياض .[٥]

١٤٣. الإيمان والرد على أهل الشرك لمحمد بن سحنون (ت٢٥٦هـ):

الرسالة :ذكرها القاضي عياض .[٦]

١٤٤. رسالة في الإيمان لعبد الله بن غافق التونسي(ت٢٧٥هـ):

ترجمة موجزة للمصنف[٧] :هو عبد الله بن غافق التونسي أبو عبد الرحمن ، سمع

---

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٥٣-٢٥٨).

(٢)الدر المنثور ٢/ ٥٠٢.

(٣) انظر : السير (١٢/ ٢٤٢) ، تهذيب التهذيب (٦/ ٢١٣) ، التقريب ص٥٩٢ برقم (٣٩٨٧).

(٤) انظر: المجمع المؤسس (٢/ ٤٣)، المعجم المفهرس ص ٥٢برقم (٥٣)، فتح الباري، ط.الأولى: (١/ ٨١) ، (٨/ ٢٥٢)،(١٣/ ١٧٠) لابن حجر ، صلة الخلف ص٧٠.

(٥) ترتيب المدارك (٤/ ٢٢٨) .

(٦) ترتيب المدارك (٤/ ٢٠٧).

(٧) انظر : ترتيب المدارك(٤/ ٣٩٧)

من سحنون وزيد بن بشير ولقي ابن عبد الحكم ، وكان موصوفاً بالورع والعلم والكرم ، وكان فقيهاً ذا هيبة ثقة مأمون ، كانت وفاته سنة خمس وسبعين ومائتين.

الرسالة : ذكر هذه الرسالة القاضي عياض ، وذكر أنه كره أن تنسب إليه تواضعاً منه ، فادعاها رجل لنفسه ، فغضب وبين للناس أنه هو الذي ألفها ورواها عنه الناس .[(١)]

١٤٥. رسالة في الإيمان للبوشنجي (ت٢٩٠هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [(٢)]:هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن سعيد بن عبد الرحمن بن موسى العبدي الفقيه المالكي البوشنجي ، العلامة ، الحافظ ، ذو الفنون ، شيخ أهل الحديث في عصره بنيسابور ، كان مولده سنة أربع ومائتين ، وارتحل شرقاً وغرباً ولقي الكبار فحدث عن أحمد بن حنبل وأبي الربيع الزهراني ومسدد وغيرهم كثير ، وعنه البخاري وابن خزيمة وابن الأخرم وغيرهم كثير ، وكان ممن جمع وصنف ، وكانت وفاته سنة تسعين ومائتين في آخر يوم من ذي الحجة ودفن في اليوم الأول من سنة إحدى وتسعين ومائتين.

الرسالة :نقل منها مقطعاً طويلاً الهروي في ذم الكلام ، ويظهر أن له عناية بمسألة الإيمان فالذهبي وابن أبي يعلى نقلوا عنه كلاماً في الإيمان والإرجاء ، ومما جاء في الرسالة لما سئل عن الإيمان :"الواجب على أهل العلم والإسلام أن يلزموا القصد للأتباع ، وأن يجعلوا الأصول التي نزل بها القرآن وأتت بها السنن من الرسول ﷺ غايات للعقول ، ولا يجعلوا العقول غايات للأصول ؛ فإن الله عز وجل ورسوله ﷺ قد يفرق بين المشتبهين ويباين بين المجتمعين ....." أ.هـ.[(٣)]

١٤٦. الإيمان لأبي سعد الهروي (ت٢٩٢هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [(٤)]:هو يحيى بن منصور بن حسن السلمي أبو سعد

---

(١) ترتيب المدارك (٤/ ٣٩٩-٤٠٠).

(٢) انظر : السير (١٣/ ٥٨١) ، طبقات الحنابلة (٢/ ٥...

(٣) ذم الكلام للهروي (٤/ ٣٤٧-٣٥٦).

(٤) انظر : السير (١٣/ ٥٧٠) ، تاريخ بغداد (١٤/ ٢٢٥) ، طبقات الحنابلة (٢/ ٥٤٤).

الهروي ، الإمام الحافظ ، الثقة الزاهد ، محدث هراة ، سمع من علي بن المديني وأحمد بن حنبل وابن راهويه وغيرهم كثير وعنه أحمد بن خلف ومحمد بن صالح بن هانئ وغيرهم ، وكان آية في التعبد والتأله ، وكانت وفاته سنة اثنتين وتسعين ومائتين .

الكتاب : ذكره الذهبي.[(١)]

١٤٧. كتاب الإيمان لمحمد بن نصر المروزي (ت٢٩٤هـ):

الكتاب:ذكره المصنف في كتابه تعظيم قدر الصلاة في أكثر من موضع ، وذكره الذهبي وعزا إليه بعض الأحاديث الحافظ ابن حجر في الفتح .[(٢)]

١٤٨. كتاب تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي (ت٢٩٤هـ):

الكتاب :مطبوع بتحقيق الدكتور عبد الرحمن الفريوائي ، عنوان الكتاب لا يدل على مضمونه تماماً فقد بدأ المصنف الكتاب بذكر ما يدل على أهمية ومكانة الصلاة ثم جعل أكثر من ثلاثة أرباع الكتاب في تقرير مسائل الإيمان وذكر أقوال المخالفين والرد عليهم ،والكتاب يروي الأحاديث بإسناده .[(٣)]

١٤٩. معالم الإيمان ليحيى بن أبي حكيم الحلاجي (ت٣٠٠هـ):

الكتاب :ذكره البغدادي.[(٤)]، والمؤلف لم أجد له ترجمة.

١٥٠. سؤالات الحسن بن محمد بن الحارث لمشايخ الآفاق في الاعتقاد فأجابوه في الإيمان (ت؟؟) :

ترجمة المصنف [(٥)]: الحسن بن محمد بن الحارث السجستاني ، من طلاب الإمام أحمد ،قال ابن حبان :" صاحب سنة يروي عن أبي نعيم روى عنه أهل بلده " أ.هـ.

الكتاب:قال التيمي :"له سؤالات سأل عنها مشايخ الآفاق فأجابوه باعتقادهم

---

(١) السير (١٣/ ٥٧١).

(٢) انظر : تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٥٩٠)،(٢/ ٥٣١)،(٢/ ٥٧٧)، فتح الباري ط.الأولى(١/ ١١٠ ، ١٢٥، ٤٩٧)، السير (١٤/ ٣٩).

(٣)مطبوع بمكتبة الدار بالمدينة ط.الأولى ١٤٠٦هـ.

(٤) في هدية العارفين (٦/ ٥١٧)، وانظر : الاستدراكات على سزكين (٣/ ٨٤).

(٥) انظر : طبقات الحنابلة (١/ ٣٧١) ، الثقات لابن حبان(٨/ ١٨٠)، وانظر السنة للخلال (١/ ٢٥٦).

في الإيمان حدث به مشايخ سجستان " أ.هـ.[١]

المصنفات في باب الصحابة :

١٥١. رسالة في ذم الرافضة للشعبي (ت١٠٤هـ):

الرسالة :وهي موجهة إلى مالك بن مغول ، أخرجها الخلال وذكرها شيخ الإسلام وعزاها إلى ابن شاهين في الكتاب اللطيف في السنة ، ومما جاء فيها :"قال مالك بن مغول : قال لي الشعبي : أحذركم هذه الأهواء المضلة وشرها الرافضة ، لم يدخلوا الإسلام رغبةً ولا رهبة ، ولكن مقتاً لأهل الإسلام ، وبغياً عليهم ...." ثم عقد مقارنة بين الرافضة واليهود بين فيها التشابه الكبير بينهما .[٢]

١٥٢. فضائل الصحابة لعبد الملك بن حبيب (ت٢٣٨هـ):

الكتاب:ذكره القاضي عياض والذهبي والبغدادي.[٣]

١٥٣. فضائل الصحابة للإمام أحمد (ت٢٤١هـ):

الكتاب:الكتاب طبع محققاً ،وذكره سزكين [٤]

١٥٤. كتاب الصحابة لسعيد بن يعقوب الطالقاني (ت٢٤٤هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [٥]:هو سعيد بن يعقوب ، أبو بكر الطالقاني ، سمع حماد بن زيد وإسماعيل بن عياش ، وعبد الله بن المبارك وغيرهم ، وعنه الأثرم وأبو زرعة الرازي وغيرهما ، وكان ثقة ، لقي الإمام أحمد وأخذ عنه ، وكانت وفاته سنة أربع

---

(١) الحجة في بيان المحجة (٢/ ٤٧٦).

(٢) أخرجها مسندة : السنة للخلال ٣/ ٤٩٦ ، وأوردها كاملة شيخ الإسلام في: منهاج السنة (١/ ٢٣-٣٤)وعزاه إلى ابن شاهين في السنة وخشيش بن أصرم في الاستقامة وأبوعمر الطلمنكي في الأصول ، وقال شيخ الإسلام :" وذم الشعبي لهم ثابت من طرق أخرى" أ.هـ.

(٣) انظر : ترتيب المدارك (٤/ ١٢٧-١٢٨)،شجرة النور ص٧٥، السير (١٢/ ١٠٣)،هدية العارفين (٥/ ٦٢٤).

(٤)بتحقيق وصي الله محمد عباس ، إشراف السيد أحمد صقر (رسالة علمية بجامعة أم القرى -كلية الشريعة -مكة المكرمة سنة ١٤٠١هـ، وانظر :سزكين (١/ ٣/ ٢٢٥).

(٥) انظر: تاريخ بغداد (٩/ ٨٩) ،طبقات الحنابلة (١/ ٤٤٦).

وأربعين ومائتين.

الكتاب :ذكره حاجي خليفة .(١)

١٥٥. كتاب في الصحابة لأحمد بن صالح المصري(ت٢٤٨هـ):

ترجمة موجزة للمصنف (٢):هو أحمد بن صالح المصري ، أبو جعفر ، المعروف بابن الطبري ،سمع ابن وهب وعنبسة بن خالد وغيرهما ، كتب عنه أحمد بن حنبل والبخاري والذهلي وغيرهما ، كان ثقة ثبتاً صاحب سنة ، بل أجمعوا على ثقته وإمامته ، وكانت وفاته سنة ثمان وأربعين ومائتين.

الكتاب :ذكره القاضي عياض .(٣)

١٥٦. كتاب في الصحابة أو مصنف في معرفة الصحابة لأحمد بن عبد الرحيم بن أبي زرعة البرقي(ت٢٧٠هـ):

ترجمة موجزة للمصنف (٤): هو أحمد بن عبد الله بن البرقي ، أبو بكر ، سمع من عمرو بن سلمة وطبقته ، وعنه أحمد بن علي المدائني ، وكان من الحفاظ المتقنين ، وكانت وفاته سنة سبعين ومائتين.

الكتاب:ذكره القاضي عياض والذهبي .(٥)

المصنفات في الصفات:

١٥٧. الصفات لحماد بن سلمة (ت١٦٧هـ):

الكتاب :ذكره شيخ الإسلام وابن أبي يعلى.(٦)

١٥٨. نفي التشبيه للإمام أحمد (ت٢٤١هـ):

---

(١)كشف الظنون (٢/ ١٤٣٢)، الاستدراكات على سزكين(٣/ ٥٨)،(وقع في الاستدراكات سعد وهو خطأ والصواب سعيد كما في تاريخ بغداد ٩/ ٨٩ سعيد).

(٢) انظر : السير (١٢/ ١٦٠) ، تاريخ بغداد (٤/ ١٩٥)، ترتيب المدارك (٤/ ٣٨).

(٣) ترتيب المدارك (٤/ ٤٠).

(٤) انظر :ترتيب المدارك(٤/ ١٨٢) ، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٧٠).

(٥) انظر: ترتيب المدارك (٤/ ١٨٢)،تذكرة الحفاظ(٢/ ٥٧٠).

(٦)الفتاوى الكبرى(٥/ ١٤) ، إبطال التأويلات (١/ ٥٠).

الكتاب :ذكره الذهبي .[1]

١٥٩. أخبار الصفات للإمام البخاري (ت٢٥٦هـ):

الكتاب :ذكره سزكين وأحال على نسخه مخطوطاً.[2]

١٦٠. معاني صفات الله لابن المبرد(٢٨٦هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [3]:هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر بن عميرة أبو العباس المبرد ، وقد برع في الأدب وكثرة الحفظ وفصاحة اللسان وبراعة البيان وبلاغة المكاتبة وحلاوة المخاطبة وجودة الخط، وكان كثير المصنفات ، وكانت وفاته سنة ست وثمانين ومائتين.

الكتاب:ذكره القفطي والداوودي.[4]

المصنفات في الفتن :

١٦١. الفتن للمعافى بن عمران (ت١٨٥هـ):

الكتاب:ذكره الذهبي .[5]

١٦٢. الفتن لعيسى بن موسى غنجار (ت١٨٦هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [6]:هو عيسى بن موسى التميمي مولاهم أبو أحمد البخاري الأزرق المعروف بغنجار ، ولقب بذلك لحمرة في وجنتيه، روى عن الثوري وإبراهيم بن طهمان وحفص بن ميسرة وغيرهم وعنه البيكندي ويعقوب الحضرمين وإسحاق الأزدي وغيرهم ، وثقه جمع من أهل العلم ،وقال الحاكم:"هو إمام عصره ومسجده مشهور ببخارى وطلبه للعلم على كبر السن.." ، وقال الحافظ :"صدوق

(١)السير (١١/ ٣٣٠).
(٢) انظر: سزكين (١/ ١/ ٢٥٩) ،طنطا (مجلة معهد المخطوطات العربية (١/ ١٣٧).
(٣) انظر :إنباه الرواة (٣/ ٢٤١) ، تاريخ بغداد (٣/ ٣٨٠).
(٤)طبقات الداودي (٢/ ٢٦٩)، إنباه الرواه(٣/ ٢٥٢).
(٥)السير(٩/ ٨١).
(٦) انظر : التهذيب (٨/ ٢٠٨) ، التقريب ص٧٧١برقم (٥٣٦٦)، نزهة الألباب في الألقاب لابن حجر (٢/ ٥٦).

ربما أخطأ ربما دلس ، مكثر من التحديث عن المتروكين ، وكانت وفاته آخر سنة ست وثمانين ومائة.

الكتاب: ذكره الخطيب البغدادي أثناء ترجمة أحمد بن محمد بن أحمد بن شجاع الصفار.[١]

١٦٣ . الفتن للوليد بن مسلم (ت١٩٥هـ):

الكتاب: ذكره ابن أبي حاتم .[٢]

١٦٤ . الفتن لعبد الرحمن بن مهدي (ت١٩٨هـ):

الكتاب: ذكره القاضي عياض.[٣]

١٦٥ . الفتن لنعيم بن حماد الخزاعي المروزي (ت٢٢٨هـ):

الكتاب: ذكره الذهبي وابن حجر رواه بإسناده إلى المصنف ، والكتاب مطبوع بتحقيق الزهيري.[٤]

١٦٦ . الفتن لإسماعيل بن عيسى العطار (ت٢٣٢هـ):

ترجمة موجزة للمصنف[٥]: هو إسماعيل بن عيسى العطار ،أبو إسحاق البغدادي ، من أهل بغداد ، من أصحاب السير والحديث ، وكانت وفاته سنة اثنتين وثلاثين ومائتين.

الكتاب: ذكره ابن النديم.[٦]

١٦٧ . الفتن لابن أبي شيبة (ت٢٣٥هـ):

الكتاب: ذكره ابن النديم والداوودي.[٧]

١٦٨ . الفتن لعثمان ابن أبي شيبة (ت٢٣٧هـ):

---

(١) تاريخ بغداد (٤/ ٣٦٦).
(٢) الجرح والتعديل (١/ ٣٤٣).
(٣) ترتيب المدارك (٣/ ٢٠٧).
(٤) المعجم المفهرس ص١٢٤، السير (١٠/ ٦٠٩).
(٥) انظر : الفهرست ص١٢٢، هدية العارفين (٥/ ٢٠٧).
(٦) الفهرست ص١٢٢، وانظر : الاستدراكات على سزكين (٣/ ٥٢).
(٧) طبقات الداوودي (١/ ٢٤٧)، الفهرست ص٢٨٥.

الكتاب:ذكره ابن النديم.[1]

١٦٩. الفتن للإمام أحمد بن حنبل(ت٢٤١هـ):

الكتاب :مخطوط .[2]

١٧٠. الفتن لحنبل بن إسحاق (ت٢٧٣هـ):

الكتاب: طبع بتحقيق الدكتور عامر حسن صبري.

١٧١. الفتن لأبي مسلم الكجي (ت٢٩٢هـ):

الكتاب: رواه بالإسناد الحافظ ابن حجر .[3]

المصنفات في الإمامة :

١٧٢. الإمامة للإمام أحمد بن حنبل (ت٢٤١هـ):

الكتاب:ذكره الذهبي.[4]

١٧٣. الإمامة لمحمد بن سحنون (ت٢٥٦هـ):

الكتاب: ذكره الذهبي.[5]

١٧٤. كتاب الإمامة والسياسة لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ):

ترجمة موجزة للمؤلف[6] :العلامة الكبير ذو الفنون أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري وقيل المروزي الكاتب صاحب التصانيف .نزل بغداد وصنف وجمع وبعد صيته حدث عن :إسحاق بن راهوية ومحمد بن زياد وغيرهما . وعنه ابنه القاضي أحمد بن عبد الله وعبيد الله السكري قال أبو بكر الخطيب :كان ثقة ديناً فاضلاً ،مات سنة مئتان وست وسبعين .

الكتاب:مطبوع ولا تصح نسبته.[7]

---

(١) الفهرست ص٢٨٥.

(٢)مخطوط في الظاهرية بدمشق في ٢٤ صفحة ،انظر مقدمة وصي الله محمد عباس لكتاب فضائل الصحابة للإمام أحمد ،الاستدراكات على سزكين(٣/ ٥٦).

(٣)المجمع المؤسس (٢/ ٤١٩)،المعجم المفهرس ص٣٤٢.

(٤)السير (١١/ ٣٣٠).

(٥)سير أعلام النبلاء (١٣/ ٦٢).

(٦)سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٩٦)،تاريخ بغداد (١٠/ ١٧٠).

(٧)انظر بحثا نفيساً للشيخ علي العليان في عقيدة ابن قتيبة ص٨٧-٩٣.

جدول الكتب المصنفة على الأبواب مرتبة على حسب تاريخ الوفاة

الكتاب والمؤلف	تاريخ الوفاة
رسالة في القدر لعمر بن الخطاب أرسلها إلى أبي موسى الأشعري	٢٣
رسالة في ذم القدر لأبي الأسود الدؤليّ	٦٩
ما كتبه سعيد بن جبير في الإيمان إلى عبد الملك بن مروان	٩٥
الإرجاء للحسن بن محمد بن علي بن أبي طالب المشهور بابن الحنفية	٩٩
ما كتبه عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن عدي حول الإيمان	١٠١
كتاب عمر بن عبد العزيز إلى الخوارج	١٠١
رسالة عمر بن عبد العزيز في القدر	١٠١
ما كتبه عمر بن عبد العزيز إلى عدي بن أرطاة في القدر	١٠١
ما كتبه عمر بن عبد العزيز في القدر جوابا لمن سأله	١٠١
ما كتبه عمر بن عبد العزيز لابن له في القدر	١٠١
رسالة للضحاك بن مزاحم في الإيمان	١٠٢
رسالة في ذم الرافضة للشعبي موجهة لمالك بن مغول	١٠٤
رسالة الحسن البصري في القدر أو الرد على القدرية	١١٠
كتاب القدر لوهب بن منبه ، سماه أحمد كتاب الحكمة	١١٠
ما كتبه الأوزاعي جوابا عمن سأله في أمر الإيمان	١٥٧
رسالة في القدر للأوزاعي إلى صالح بن بكر	١٥٧
ما كتبه سفيان الثوري في القدر جواباً لمن سأله	١٦١

الفتن لأبي مسلم إبراهيم بن عبد الله بن مسلم الكجي	٢٩٢
الإيمان للمروزي	٢٩٤
تعظيم قدر الصلاة للمروزي	٢٩٤
معالم الإيمان ليحيى بن أبي حكيم الحلاجي .	٣٠٠ تقريباً
الحسن بن محمد بن الحارث له سؤالات لمشايخ الآفاق في الاعتقاد فأجابوه باعتقادهم في الإيمان	---

المبحث الثالث

المصنفات في مسألة معينة من مسائل الاعتقاد

والمقصود بهذا النوع من المصنفات ما صنف في مسألة مندرجة تحت باب كبير ولا يشترط أن تكون مسألة جزئية صغيرة بل حتى المسائل الكبار التي تحت باب كبير، مثل الشفاعة فهي ضمن أبواب الإيمان والإيمان باليوم الآخر وهي في ذاتها ليست مسألة صغيرة بل من كبرى المسائل التي وقع فيها الخلاف بين أهل السنة وأهل البدع ولهذا صنفوا فيها المصنفات.

ويمكن أن نقسم المصنفات على حسب الأبواب ونذكر تحتها ما صنف من مسائل تابعة لهذا الباب:

المصنفات في أعمال القلوب:

١٧٥. كتاب الإخلاص للحسن البصري(ت١١٠هـ):

الكتاب: ذكره ابن خلكان والبغدادي.[١]

كتب ابن أبي الدنيا(ت٢٨١هـ) في أعمال القلوب[٢]:

١٧٦. كتاب الإخلاص لابن أبي الدنيا[٣].

١٧٧. كتاب الرضا عن الله لابن أبي الدنيا[٤].

١٧٨. كتاب فضل لا إله إلا الله لابن أبي الدنيا[٥].

١٧٩. كتاب التوكل على الله لابن أبي الدنيا[٦].

١٨٠. كتاب حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا[٧].

ما صنف في بعض مسائل الإمامة:

١٨١. شروط الإمامة للحسن البصري (١١٠هـ):

---

(١) وفيات الأعيان(٢/ ١٤٣)، هدية العارفين(٥/ ٢٦٥)، استدراكات على سزكين (٣/ ٣).

(٢) هناك بحث نفيس لصلاح الدين المنجد حول مصنفات ابن أبي الدنيا.

(٣) السير (١٣/ ٤٠١).

(٤) المصدر السابق.

(٥) طبع بتحقيق ضياء الحسن السلفي ،نشر الدار السلفية،ط.١٤١٠هـ.

(٦) طبع بتحقيق ياسين السواس ويوسف بديوي ط.دار ابن كثير ،ط.الأولى ١٤١٥هـ.

(٧) طبع بتحقيق مخلص محمد ط.دار طيبة -الرياض ط.الأولى ١٤٠٨هـ.

الكتاب : ذكر في فهارس المخطوطات.[(١)]

١٨٢. سيرة الإمام في الملحدين لعبد الملك بن حبيب (ت٢٣٨هـ):

الكتاب:ذكره القاضي عياض والذهبي والبغدادي .[(٢)]

ما صنف حول بعض البدع :

١٨٣. كتاب لا هام ولا صفر لابن وهب(ت١٩٧هـ):

الكتاب:ذكره القاضي عياض .[(٣)]

١٨٤. كتاب أحمد(ت٢٤١هـ) إلى والي البصرة لقتال بابك الخرمي [(٤)] :

الكتاب:ذكره الخلال في السنة، ومما جاء فيه قال:" ..لما كان من أمر بابك جعل أبو عبد الله يحرض على الخروج إليه وكتب معي كتاباً إلى أبي الوليد والي البصرة يحرضهم على الخروج إلى بابك.[(٥)]

١٨٥. كتاب أحمد (ت٢٤١هـ) إلى علي بن المديني في أمر بابك الخرمي:

الكتاب :ذكره الخلال بسنده قال :"أخبرني عبد الملك بن عبد الحميد قال : نسخت كتاب أحمد بن حنبل إلى علي بن المديني قبل أن يحدث عنوانه : إلى أبي الحسن علي بن عبد الله من أحمد بن محمد بن حنبل ، وداخله إلى أبي الحسن علي بن عبد الله من أحمد بن محمد:سلام عليك ، فإني أحمد الله إليك الذي لا إله إلا هو ، أما بعد: أحسن الله إليك في الأمور كلها ، وسلمك وإيانا من كل سوء برحمته ، ..." أ.هـ.[(٦)]

---

(١)مخطوطة في تيمور مجموع: (٨/ ١٧٧)(١١٧-١٢٠)، انظر : سزكين (١/ ٤/ ١٣).

(٢)ترتيب المدارك (٤/ ١٢٧) ، السير (١٢/ ١٠)، هدية العارفين(٥/ ٦٢٤).

(٣)ترتيب المدارك (٣/ ٢٤٢) ، الاستدراكات على سزكين (٣/ ٣٧).

(٤) بابك الخرمي :ممن خرج على الدولة العباسية واستباح الحرمات وكان يقول بتناسخ الأرواح ، وإباحة الفواحش ، وكان يريد إقامة ملة المجوس بطبرستان- عليه لعنة الله- ، وكان أول ظهوره سنة إحدى ومائتين ، وفي سنة اثنتي عشرة ومائتين جهز المأمون جيشاً لقتاله بقيادة محمد بن حميد الطوسي ،وكان مقتله وصلبه وتقطيع رجليه ويديه في عهد المعتصم سنة ثلاث وعشرين ومائتين. انظر : العبر للذهبي (١/ ٢٦٢، ٢٨٦ ، ٣٠٢، ٣٠٤) ، البداية والنهاية (١٠/ ٢٥٩، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٩٦-٢٩٩).

(٥)السنة للخلال (١/ ١٤٨).

(٦) السنة للخلال (١/ ١٤٧-١٤٨).

ما صنف في توحيد الربوبية:

١٨٦ . إثبات الصانع لجعفر الصادق (ت١٤٨هـ):

١٨٧ . الأدلة على الخلق والتدبير لجعفر الصادق(ت١٤٨هـ):

الكتابين:ذكرهما سزكين .[١]

١٨٨ . العظمة لإبراهيم بن عبد الله بن الجنيد الختلي**(في حدود ٢٧٠هـ):**

ترجمة موجزة للمصنف [٢]:هو أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن الجنيد الختلي السرمرائي ، الإمام الحافظ ، سمع أبا نعيم وسعيد بن أبي مريم وسليمان بن حرب وغيرهم، وعنه أبو العباس بن مسروق ومحمد بن القاسم الكواكبي وأبو بكر الخرائطي ، وثقه الخطيب وله كتب في الزهد والرقائق ، بقي إلى سنة سبعين ومائتين.

الكتاب:ذكره ابن أبي يعلى .[٣]

ما صنف في خبر الواحد :

١٨٩ . كتاب في تثبيت خبر الواحد للشافعي(ت٢٠٤هـ) :

الكتاب:جاء في ذم الكلام للهروي :"عن عبد الله بن صالح كاتب الليث قال : كنا عند الشافعي في مجلسه ، فجعل يتكلم في تثبيت خبر الواحد عن النبي ﷺ فكتبناه وذهبنا به إلى إسماعيل بن عليه وكان من غلمان أبي بكر الأصم ...." أ.هـ.[٤]

١٩٠ . خبر الواحد لداود بن علي الظاهري(ت٢٧٠هـ):

الكتاب :ذكره ابن النديم والذهبي .[٥]

١٩١ . خبر الواحد للقاسم بن محمد بن قاسم بن سيار البياني**(ت٢٧٦هـ):**

---

(١)تاريخ التراث لسزكين (١/ ٣/ ٢٧٠-٢٧١).

(٢) انظر : السير (١٢/ ٦٣١-٦٣٢) ، تاريخ بغداد (٦/ ١٢٠) ، طبقات الحنابلة (١/ ٢٤٦).

(٣)إبطال التأويلات لأبي يعلى (١/ ٥٠، ٢٦٥).

(٤) أخرجه الهروي في ذم الكلام (٤/ ٢٧٦-٢٧٧)، والخطيب في تاريخ بغداد (٦/ ٢٠-٢١)،وأشار إليها الحافظ في اللسان (١/ ٣٥).

(٥)الفهرست ص٢٧٢، السير (١٣/ ١٠٤).

ترجمة موجزة للمصنف [١]:هو أبو محمد القاسم بن محمد بن القاسم بن محمد بن سيار البياني ، الأموي الأندلسي القرطبي ، مولى الخليفة الوليد بن عبد الملك ، إمام حافظ ، محدث له ميل إلى مذهب الشافعي ، فاق أهل عصره و ضرب بإمامته المثل،وكان مجتهداً لا يقلد أحداً ،روى عن الحارث بن مسكين ويونس بن عبد الأعلى والمزني وغيرهم وعنه سعيد الأعناقي وأحمد الجباب وابنه محمد وغيرهم ، ولم يكن أحد بالأندلس مثله في حسن النظر والبصر بالحجة ، كانت وفاته في آخر سنة ست وسبعين ومائتين.

الكتاب: ذكره القاضي عياض والذهبي والسبكي .[٢]

المصنفات في الرؤية :

١٩٢. ما كتبه عمر بن عبد العزيز(١٠١هـ) إلى بعض الأجناد في أمر الرؤية:

الكتاب:ذكره ابن بطة .[٣]

١٩٣. ما كتبه الشافعي (ت٢٠٤هـ) جواباً على سؤال جاءه من الصعيد:

الكتاب:أخرجه اللالكائي والتيمي .[٤]

١٩٤. أحاديث في الرؤية للشافعي (ت٢٠٤هـ):

الكتاب: أخرج أبو نعيم بسنده عن الحسن بن محمد قال:"ومن كتب الشافعي أحاديث في الرؤية وعذاب القبر لم يكن الشافعي يتكلم في شيء من هذا ، وإنما استخرجناه لأنه كان يكره أن يضع في هذا شيئاً.." أ.هـ.[٥]

١٩٥. الرؤية للإمام أحمد (ت٢٤١هـ):

الكتاب:قال عبد الله بن الإمام أحمد في السنة :"رأيت أبي رحمه الله تعالى يصحح

---

(١) انظر : السير (١٣/ ٣٢٧-٣٣٠)،جذوة المقتبس ص ٣٢٩.

(٢)ترتيب المدارك ٤/ ٤٤٨،السير(١٣/ ٣٢٩)، طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (٢/ ٣٤٥).

(٣)الإبانة (٣/ م٣/ ٤٨)وهو الجزء الذي حقق تتمة القسم الخاص بالرد على الجهمية.

(٤)الحجة في بيان المحجة (٢/ ٢٤٧) ، اللالكائي (٣/ ٥٠٦).

(٥) الحلية (٩/ ١١٥) .

الأحاديث التي تروى عن النبي ﷺ ويذهب إليها ، وجمعها أبي رحمه الله في كتاب وحدثنا بها " أ.هـ.[١]

١٩٦ . النظر إلى الله عز وجل لابن وضاح (ت٢٨٧هـ):

الكتاب :ذكره القاضي عياض وغيره.[٢]

١٩٧ . الرؤية أو النظر إلى الله عز وجل ليحيى بن عمر بن يوسف الكناني (ت٢٨٩هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [٣]: يحي بن عمر بن يوسف الإمام شيخ المالكية أبو زكريا الكناني الأندلسي الفقيه ، قال ابن الفرضي :ارتحل وسمع بإفريقية من سحنون وأبي زكريا الحفري وغيرهما ،وروى عنه :سعيد بن عثمان وإبراهيم بن نصر وغيرهما ،قال أبو بكر بن اللباد :كان من أهل الصيام والقيام مجاب الدعاء كانت له براهين ،قال أب والعباس الأبياني ما رأيت مثل يحي بن عمر في علمه وزهده ،توفي سنة تسع وثمانين ومائتين.

الكتاب:ذكره القاضي عياض وغيره.[٤]

المصنفات في الردة :

١٩٨ . كتاب الردة لمحمد بن إسحاق (ت١٥٠هـ) صاحب السيرة:

ترجمة موجزة للمصنف [٥]: محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار ،أبو عبد الله القرشي مولاهم المدني ،صاحب السيرة النبوية حدث عن عمرو بن شعيب ومكحول وصالح بن كيسان وغيرهم، وعنه يزيد بن أبي حبيب وشعبة والثوري وغيرهم ،وهو أول من دون العلم بالمدينة ،وكان ثقة حسن الحديث ،كانت وفاته سنة خمسين ومائة .

---

(١) السنة لعبدالله (١/ ٢٢٩ ، ٣٠٠).

(٢) ترتيب المدارك (٤/ ٤٤٠) ، شجرة النور الزكية ص ٧٦.

(٣) انظر :السير (١٣/ ٤٦٢) ، ترتيب المدارك (٤/ ٣٥٧).

(٤)ترتيب المدارك (٤/ ٣٥٩) ، شجرة النور الزكية ص٧٣، هدية العارفين(٦/ ٥١٧).

(٥) السير (٧/ ٣٣-٥٥) ، تهذيب التهذيب (٩/ ٣٤).

الكتاب:ذكره محقق كتاب الردة للواقدي في مقدمة الكتاب.[(١)]

١٩٩. كتاب الفتوح الكبير والردة لسيف بن عمر التميمي (ت١٩٣هـ):

ترجمة موجزة للمصنف[(٢)]: سيف بن عمر التميمي البرجمي ويقال السعدي ويقال الضبعي ويقال الأسدي الكوفي ،روى عن عبد الله بن عمر العمري وأبي الزبير وغيرهما ،وعنه النضر بن حماد العتكي ويعقوب بن إبراهيم وغيرهما ،قال الحافظ :"ضعيف في الحديث عمدة في التاريخ " توفي سنة ثلاث وتسعين ومائة.

الكتاب :ذكره ابن النديم وسزكين.[(٣)]

٢٠٠. كتاب الردة لابن وهب (ت١٩٧هـ):

الكتاب:ذكره القاضي عياض والذهبي.[(٤)]

٢٠١. كتاب الردة للواقدي (ت٢٠٧هـ):

الكتاب:الكتاب طبع بتحقيق د.يحيى الجبوري بدار الغرب الإسلامي .

٢٠٢. كتاب الردة لإسماعيل بن عيسى العطار أبو إسحاق البغدادي(ت٢٣٢هـ):

الكتاب: ذكره البغدادي .[(٥)]

٢٠٣. كتاب الردة لأبي الحسن علي بن محمد المدائني مولى سمرة بن حندب (ت٢٣٤هـ):

الكتاب: ذكره ابن النديم .[(٦)]

٢٠٤. الردة لأبي زيد وثيمة بن موسى بن الفرات الفارسي المعروف بالوشاء

---

(١) انظر مقدمة الردة للواقدي ص١٨.

(٢) تهذيب التهذيب (٤/ ٢٥٩) ، التقريب ص ٤٢٨.

(٣) الفهرست ص١٠٦، تاريخ التراث (١/ ٢/ ١٣٤).

(٤)ترتيب المدارك (٣/ ٢٤٢)،السير(٩/ ٢٢٥).

(٥)هدية العارفين(٥/ ٢٠٧).

(٦) الفهرست ص١١٥.

الفسوي (ت٢٣٧هـ):

ترجمة مختصرة للمصنف [١]:وثيمة بن موسى بن الفرات الوشاء الفسوي أبو يزيد ، مصنف كتاب الردة ، حدث عن أبي صالح كاتب الليث وعن أبيه وغيرهما ، كانت وفاته بمصر سنة سبع وثلاثين ومائتين .

الكتاب : نقل من الحافظ في الإصابة ، وذكره البغدادي والذهبي وابن خلكان وسزكين وغيرهم . [٢]

المصنفات في الشفاعة :

٢٠٥. الشفاعة للوليد بن مسلم (ت١٩٥هـ):

الكتاب:ذكره ابن كثير . [٣]

٢٠٦. الشفاعة لإسماعيل الجهضمي (ت٢٨٢هـ):

الكتاب:ذكره القاضي عياض وابن خير والداودي وغيره. [٤]

المصنفات في الصحابة :

٢٠٧. فضائل أبي بكر وعمر لأسد بن موسى (أسد السنة ت٢١٢هـ):

الكتاب:ذكره المقدسي وغيره. [٥]

٢٠٨. إيمان عثمان لأبي زيد سعيد بن أوس بن ثابت بن زيد الأنصاري النحوي (٢١٥هـ):

---

(١) وفيات الأعيان (٦/ ١٢) ، جذوة المقتبس ص ٣٦٣.

(٢)هدية العارفين ضمن كشف الظنون (٦/ ٥٠٠) ، تغليق التعليق (١/ ٢٥٣) ، تاريخ الإسلام ص٣٩٤ ، وقال سزكين (١/ ٢/ ١٤٣): "وصل إلينا منه ١١٠ قطعة في الإصابة لابن حجر جمعها هو نرباخ وترجمها إلى الألمانية ونشرها بوصفها مادة تسهم في دراسة تاريخ ردة القبائل العربية بعد وفاة الرسول ﷺ " ، وفيات الأعيان (٦/ ١٢) ،جذوة المقتبس ص ٣٦٣.

(٣)الفصول في سيرة الرسول لابن كثير ص٢٨٤بتحقيق محمد الخطراوي ومحي الدين مستو، ط.دار ابن كثير ومكتبة دار التراث ، ط.الرابعة ١٤٠٥هـ.

(٤)ترتيب المدارك (٤/ ٢٩١) ، شجرة النور الزكية ص٦٥ ، فهرسة ابن خير ص٣٠٣، طبقات الداوودي(١/ ١٠٦).

(٥)ثبت مسموعات المقدسي ص٢٢٥، صلة الخلف ص٣١٤ ، الأعلام للزركلي (١/ ٢٩٨).

ترجمة موجزة للمصنف [(١)]: هو سعيد بن أوس بن ثابت أبو زيد الأنصاري ، صاحب اللغة والنحو ، حدث عن عمرو بن عبيد وأبي عمرو بن العلاء وعنه أبو عبيد القاسم بن سلام وعمر بن شبه وأبو حاتم الرازي ، وكان ثقة عالماً بالنحو ، وكان كثير السماع من العرب ، وكانت وفاته سنة خمس عشرة ومائة.

الكتاب:ذكره القفطي وابن خير وغيرهما.[(٢)]

٢٠٩. فضائل أبي بكر وعمر وعثمان لأبي إسحاق إسماعيل الشالنجي (ت٢٣٠هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [(٣)]:هو إسماعيل بن سعيد الشالنجي الكسائي الطبري ، أبو إسحاق من أهل استراباذ يروى عن العراقيين وكان ممن يجالس سليمان بن داود الهاشمي وروى عن يحيى بن الضريس مدة وروى عنه إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني ، وأبو عوانة ومعلى بن منصور وقال عنه أحمد :"رحم الله أبا إسحاق كان من الإسلام بمكان كان من أهل العلم والفضل ، وقال الحسن بن علي كان أوثق من كتبت عنه .." أ.هـ ، وكانت وفاته سنة ثلاثين ومائتين.

الكتاب:ذكره حاجي خليفة وغيره.[(٤)]

٢١٠. كتاب في تقديم عثمان ﷺ على علي ﷺ للإمام أحمد (ت٢٤١هـ):

الكتاب:ذكره الخلال في السنة، وعقد باباً بعنوان (الحجة في تقديم عثمان على علي رضي الله عنهما) ثم أورد أثراً ذكره الإمام أحمد لما ذكر له من يفضل الخلفاء الثلاثة ويترك عثمان ثم قال الخلال عن الراوي قوله :" ثم أخرج (يعني الإمام أحمد) لي كتاباً فيه هذه الأحاديث فقرأتها عليه " أ.هـ. [(٥)]

---

(١) انظر :إنباه الرواة (٢/ ٣٠) ، تاريخ بغداد (٩/ ٧٧).

(٢)الطبقات السنية(٤/ ٣٣)، إنباه الرواه (٢/ ٣٥) ، فهرسة ابن خير ص٣٧١.

(٣) الأنساب للسمعاني (٣/ ٣٨٣) ، الجرح والتعديل (٢/ ١٧٣-١٧٤) ، الثقات (٨/ ٩٧-٩٨).

(٤)الطبقات السنية (٢/ ١٨٨)، كشف الظنون (٢/ ١٢٧٦).

(٥)السنة للخلال (٢/ ٣٨٣).

٢١١. رسالة في فضل أبي بكر الصديق ﷺ لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ):

الكتاب:مخطوط .[١]

٢١٢. كتاب فضائل العباس ﷺ لابن أبي الدنيا(ت٢٨١هـ):

الكتاب:ذكره الذهبي.[٢]

٢١٣. كتاب فضائل علي ﷺ لابن أبي الدنيا(ت٢٨١هـ):

الكتاب: ذكره الذهبي .[٣]

٢١٤. كتاب الصحابة لأبي بكر محمد بن إسماعيل بن مهران الجرجاني الإسماعيلي (ت٢٩٥هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [٤]:هو أبو بكر محمد بن إسماعيل بن مهران النيسابوري المعروف بالإسماعيلي ، سمع من إسحاق بن راهويه وهشام بن عمار وحرملة بن يحيى وغيرهم وعنه أبو العباس السراج وابن الأخرم وولده أحمد وغيرهم كثير، الإمام الحافظ الرحال الثقة وهو أحد أركان الحديث بنيسابور كثرة ورحلة واشتهاراً ،كانت وفاته سنة خمس وتسعين ومائتين.

الكتاب:ذكره حاجي خليفة.[٥]

المصنفات في بعض الصفات:

٢١٥. ما كتبه منصور بن عمار(ت٢٠٠تقريباً) إلى بشر جواباً عما سأله في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى):

ترجمة موجزة للمصنف [٦]:هو منصور بن عمار بن كثير ، أبو السري السلمي

---

(١)مخطوط في عشر ورقات في مكتبة الأوقاف ببغداد برقم (٩/ ٩٩٣٠-٩٩٣٦)،انظر : الاستدراكات على سزكين(٣/ ٧٣).

(٢) السير (١٣/ ٤٠١).

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر: السير (١٤/ ١١٧) ، لسان الميزان (٥/ ٨١).

(٥)كشف الظنون (٢/ ١٤٣٢).

(٦) السير (٩/ ٩٣) ،تاريخ بغداد (١٣/ ٧١).

الخراساني وقيل البصري ، الواعظ روى عن الليث وابن لهيعة ومعروف الخياط وغيرهم ، وعنه علي بن خشرم ومنصور بن الحارث وزهير بن عباد وغيرهم ، وكان زاهداً عابداً يحدث بالمناكير ، وكانت وفاته في حدود المائتين.

الكتاب:ذكر الخطيب و الذهبي:" أن بشر المريسي كتب إلى منصور بن عمار يسأله عن قوله تعالى : ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾[طه: ٥] كيف استوى ؟فكتب إليه استواءه غير محدود ، والجواب فيه تكلف ، ومسألتك عنه بدعة ، والإيمان بجملة ذلك واجب" أ.هـ.[١]

٢١٦. كتاب المقام المحمود لأبي بكر المرّوذي (ت٢٧٥هـ):

الكتاب:سرد غالب محتوياته الخلال في السنة ، وهو يثبت أن المقام المحمود ومن معانيه إجلاسه لنبيه محمداً معه ، ذكره ابن أبي يعلى وابن القيم والذهبي، وسماه ابن أبي يعلى : (كتاب الرد على من رد حديث مجاهد).[٢]

٢١٧. رسالة في إثبات الإقعاد والإجلاس لمحمد بن عثمان ابن أبي شيبة العبسي الكوفي(ت٢٩٧هـ):

الكتاب:أخرجه الخلال بسنده كاملاً .[٣]

٢١٨. رسالة في إثبات الإجلاس والاستواء لله عز وجل لمحمد بن عمران الفارسي الزاهد (ت؟؟):

ترجمة موجزة للمصنف[٤]: هو محمد بن عمران الخياط ، أبو جعفر الفارسي ، نقل عن الإمام أحمد أشياء ، وكان من خيار الناس ، ولم تذكر له وفاة.

الكتاب:الرسالة أخرجها كاملة الخلال في السنة .[٥]

---

(١) تاريخ بغداد (١٣/ ٧٦) ، السير(٩/ ٩٧-٩٨).

(٢)السنة للخلال (١/ ٢١٧-٢٦٦)،بدائع الفوائد (٤/ ٣٩)،إبطال التأويلات (٢/ ٤٧٩) ،والذهبي في العلو ص٨١٨عند ترجمة محمد مصعب العابد وعند ذكر حرب الكرماني، له مختصر لأبي الفضل التيمي انظر إبطال التأويلات (٢/ ٤٨٢).

(٣) السنة للخلال (٢/ ٣٤٥-٣٤٦).

(٤) انظر : طبقات الحنابلة (٢/ ٣٤٥) ، المنهج الأحمد للعليمي (٢/ ٣٠).

(٥) السنة للخلال (٢/ ٢٣٩-٢٤٣).

المصنفات حول القرآن وما يتعلق به من مسائل :

٢١٩. رسالة في الإيمان وتكفير من قال بخلق القرآن لأبي حنيفة (ت١٥٠هـ) :
الكتاب:والكتاب ذكر في فهارس المخطوطات.(١)

٢٢٠. ما كتبه منصور بن عمار(ت٢٠٠تقريباً) إلى بشر المريسي جواباً عما سأله في القرآن:

الرسالة:ذكرها ابن بطة والذهبي والخطيب البغدادي.(٢)

٢٢١. رسالة لعبد الملك بن عبد العزيز الماجشون(ت٢١٢هـ) وهي جواب عن سؤال أرسله سحنون إليه عن التشبيه والقرآن:

الرسالة :ذكرها القاضي عياض.(٣)

٢٢٢. ما كتبه الإمام أحمد(٢٤١هـ) جواباً لسؤال أبي داود في مسألة خلق القرآن:

الرسالة :أخرجها ابن بطة في الإبانة وذكر سزكين الرسالة بعنوان (جواب الإمام أحمد عن سؤال في خلق القرآن) ومما جاء فيها أن أبا داوود قال:"كتبت رقعة أرسلت بها إلى أبي عبد الله وهو يومئذٍ متوارٍ فأخرج إلي جوابه مكتوباً فيه...." أ.هـ.(٤)

٢٢٣. رسالة الإمام أحمد (ت٢٤١هـ)إلى الخليفة المتوكل في مسألة القرآن:

الكتاب:أخرجها : أوردها ابنه صالح في مسائله ،وأخرجها عبد الله في السنة ، والتيمي في الحجة وأبو نعيم في الحلية والخلال في السنة والذهبي وغيرهم وهي مطبوعة.(٥)

---

(١)مخطوط في الظاهرية (مجموع رقم ٨) ، (٢٣ب-٢٤ب)،انظر الاستدراكات على سزكين (٣/ ٤).
(٢)الإبانة القسم الثالث بتحقيق الوابل (٢/ ٢٩٠)،السير (٩/ ٩٧)،تاريخ بغداد (١٣/ ٧٥).
(٣) ترتيب المدارك (٣/ ١٤١).
(٤) أخرجها ابن بطة في الإبانة القسم الثالث بتحقيق الوابل (١/ ٣٣٠-٣٣١)،وذكر زكين(١/ ٣/ ٢٢٦): أن هناك نسخة (سراي ريفان ٥١٠/ ٩ورقة واحدة سنة ١٠٨٤هـ) انظر: معهد المخطوطات العربية (١/ ١٢٣).
(٥)طبع بتحقيق الأخ علي الشبل،وأخرجها عبدالله في السنة (١/ ١٣٣)، مسائل صالح ابن الامام احمد(٢/ ٤١٩)برقم (١١٠٤) ، وفي الحلية(٩/ ٢١٦) ،، والتيمي في الحجة (١/ ٢٠٨)، ،الحجة(٢/ ٥١٦-٥١٧)، مناقب ابن الجوزي ص٢٠٤،السير ١١/ ٢٨١، السنة للخلال (٦/ ١٠١-١٠٧).

٢٢٤. جوابات القرآن للإمام أحمد (ت٢٤١هـ):

الكتاب:ذكره ابن أبي يعلى .[١]

٢٢٥. ما كتبه أبو طالب المشكاني (ت٢٤٤هـ) في مسألة اللفظ :

ترجمة موجزة للمصنف [٢]:هو أحمد بن حميد أبو طالب المشكاني ، المتخصص بصحبة الإمام أحمد ، وكان الإمام أحمد يكرمه ويعظمه ، وكانت وفاته سنة أربع وأربعين ومائتين.

الكتاب: صنفها وأخطأ فيها فعرضها على الإمام أحمد وصححها له والقصة مشهورة.[٣]

٢٢٦. مصنف في مسألة اللفظ لأبي بكر المرّوذي(ت٢٧٥هـ):

الكتاب:ذكره شيخ الإسلام وقال :إنه مصنف كبير وأن الخلال نقل منه في السنة.[٤]

٢٢٧. الاحتجاج بالقرآن لإسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد (ت٢٨٢هـ):

الكتاب: ذكره القاضي عياض والداوودي وابن النديم.[٥]

٢٢٨. رسالة حرب الكرماني (٢٨٠هـ)إلى ابن أبي حاتم حول مسألة اللفظ:

الرسالة :أورد اللالكائي عن ابن أبي حاتم قال: " كتب إلى حرب بن إسماعيل الكرماني الحنظلي : أن الحق والصواب الواضح المستقيم الذي أدركنا عليه أهل العلم : أن من زعم أن ألفاظنا بالقرآن وتلاوتنا مخلوقة فهو جهمي مبتدع خبيث" أ.هـ.[٦]

---

(١)طبقات الحنابلة (١/ ٢٠)،(٢/ ١١).

(٢) طبقات الحنابلة (١/ ٨١) ، تاريخ بغداد (٤/ ١٢٢).

(٣)السنة للخلال (٧/ ٩٣-٩٩)،المحنة لصالح ص(٧٠-٧١)، مجموع الفتاوى(١٢/ ٤٢٣-٤٢٤).

(٤)مجموع الفتاوى (١٢/ ٢٣٨).

(٥)ترتيب المدارك (٤/ ٢٩٢)، شجرة النور الزكية ص٦٥ ، طبقات الداوودي(١/ ١٠٦) ، الفهرست ص٢٥٢.

(٦) اللالكائي (٢/ ٣٥٣).

وقال في موضع آخر :"عن ابن أبي حاتم قال: أخبرنا حرب بن إسماعيل الكرماني –فيما كتب إلي –قال : سمعت إسحاق بن راهويه –وسئل عن الرجل يقول :القرآن ليس مخلوقاً ولكن قراءتي أنا إياه مخلوقة لأني أحكيه وكلامنا مخلوق ، فقال إسحاق : هذا بدعة ، لا يقار على هذا حتى يرجع ويدع قوله هذا " أ.هـ.(١)

٢٢٩. رسالة في أن القرآن غير مخلوق لإبراهيم الحربي(٢٨٥هـ):

الكتاب: طبع حديثاً ، ولا أعلم أن أحداً أشار إليه من المتقدمين.(٢)

المصنفات في بعض المسائل المتعلقة بالنبوة:

٢٣٠. مقام رسول الله ﷺ لعبد الملك بن حبيب (ت٢٣٨هـ):

الكتاب:ذكره القاضي عياض.(٣)

٢٣١. فضائل النبي ﷺ وأصحابه لعبد الملك بن حبيب (ت٢٣٨):

الكتاب :ذكره القاضي عياض.(٤)

٢٣٢. طاعة الرسول ﷺ للإمام أحمد (ت٢٤١هـ):

الكتاب:ذكره ابن النديم والداودي و البغدادي (٥) ونقل ابن القيم منه مقاطع وذكر موضوعه فقال : " وقد صنف الإمام أحمد كتاباً في طاعة الرسول ﷺ رد فيه على من احتج بظاهر القرآن في معارضة سنن رسول الله ﷺ وترك الاحتجاج بها ، فقال في أثناء خطبته: ..."أ.هـ ثم نقل منه ما يقارب أربع صفحات.(٦)

٢٣٣. رسالة فيمن سب النبي ﷺ لمحمد بن سحنون (ت٢٥٦هـ):

الكتاب: ذكره القاضي عياض .(٧)

---

(١) اللالكائي (٢/ ٣٥٦).
(٢)طبع بتحقيق أخينا الشيخ علي الشبل .
(٣) ترتيب المدارك (٤/ ١٢٨).
(٤)ترتيب المدارك (٤/ ١٢٨).
(٥) الفهرست ص٢٨٥ ، طبقات الداوودي (١/ ٧١) ، هدية العارفين(٥/ ٤٨).
(٦) إعلام الموقعين(٢/ ٣٠٠-٣٠٤).
(٧) ترتيب المدارك (٤/ ٢٠٧).

٢٣٤. إمارات النبوة لأبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب السعدي الجوزجاني (ت٢٥٩هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [(١)]:هو أبو إسحاق إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق السعدي الجوزجاني روى عن السهمي ويزيد بن هارون وعنه أبو داود والترمذي والنسائي ، وكان حافظاً رحالة ثقة ثبتاً ، وكانت وفاته سنة تسع وخمسين ومائتين.

الكتاب: ذكره سزكين.[(٢)]

٢٣٥. دلائل النبوة لأبي زرعة الرازي (ت٢٦٤هـ):

الكتاب:ذكره من ترجم له .[(٣)]

٢٣٦. أعلام النبوة أو دلائل النبوة لأبي داود السجستاني(ت٢٧٥هـ):

الكتاب: ذكره الحافظ ابن حجر وابن خير والبغدادي وغيرهم.[(٤)]

٢٣٧. أعلام النبوة لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ):

الكتاب: ذكره الذهبي وابن خير وغيرهما.[(٥)]

٢٣٨. دلائل النبوة لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ):

الكتاب:ذكره ابن النديم والداودي ،ولعله يكون نفس السابق .[(٦)]

٢٣٩. كتاب أعلام النبوة لابن أبي الدنيا(ت٢٨١هـ):

الكتاب :ذكره الذهبي .[(٧)]

٢٤٠. كتاب دلائل النبوة لابن أبي الدنيا(ت٢٨١):

الكتاب:ذكره الذهبي.[(٨)]

---

(١) انظر : تذكرة الحفاظ(٢/ ٥٤٩) ، تهذيب التهذيب (١/ ١٥٨).
(٢)سزكين (١/ ١/ ٢٦٢).
(٣) ذكره الحداد محقق كتاب السنة له ص١٧ .
(٤)تهذيب التهذيب (١/ ٦)،فهرسة ابن خير ص١١٠، صلة الخلف ص١٢٩، هدية العارفين (١/ ٣٩٥).
(٥)تاريخ الإسلام ص٣٨٢، فهرسة ابن خير ص١٥١، صلة الخلف ص١٢٩ .
(٦) الفهرست ص٨٦، طبقات المفسرين للداوودي (١/ ٢٤٥).
(٧) السير (١٣/ ٤٠١) .
(٨) المصدر السابق .

٢٤١. دلائل النبوة لإبراهيم الحربي (ت٢٨٥هـ):

الكتاب:ذكره ابن أبي يعلى و البغدادي .[١]

٢٤٢. شرف النبوة ليحيى بن منصور السلمي أبو سعد الهروي(ت٢٩٢هـ):

الكتاب: ذكره الذهبي.[٢]

المصنفات المتعلقة ببعض مسائل اليوم الآخر:

٢٤٣. الأهوال لابن وهب (ت١٩٧هـ):

الكتاب: ذكره القاضي عياض والذهبي والحافظ ابن حجر.[٣]

٢٤٤. أحاديث في عذاب القبر للإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ):

الكتاب:ذكرها أبو نعيم .[٤]

٢٤٥. الأهوال لعبد الله بن عبد الحكم بن أعين (ت٢١٤هـ):

ترجمة موجزة للمصنف[٥]: هو عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن الليث ، مولى عميرة (امرأة من موالي عثمان بن عفان) ، سمع مالكاً والليث وبكر بن مضر وعبد الرزاق وغيرهم وعنه ابن نمير وهارون بن إسحاق والربيع بن سليمان وغيرهم ، وكان رجلاً صالحاً ثقةً له عناية كبيرة بمذهب مالك ، وكانت له عناية بكتب الشافعي ، وكان ممن امتحن في فتنة خلق القرآن وضرب بالسياط وصبر ، وكانت وفاته سنة أربع عشرة ومائتين.

الكتاب: ذكره القاضي عياض والذهبي.[٦]

---

(١) طبقات الحنابلة (١/ ٢١٩)،هدية العارفين (٥/ ٤).

(٢) السير (١٣/ ٥٧١).

(٣)السير (٩/ ٢٢٦-٢٢٩)، ترتيب المدارك(٣/ ٢٤٢)، فتح الباري (٣/ ١٨٥)ط. الأولى.

(٤) الحلية (٩/ ١١٥).

(٥) انظر : ترتيب المدارك(٣/ ٣٦٣-٣٦٨)، السير (١٠/ ٢٢٠).

(٦)ترتيب المدارك(٣/ ٣٦٦) ، وتصحف في السير (١٠/ ٢٢٢) إلى(الأموال) ،و وهم صاحب الاستدراكات على سزكين(٣/ ٣٧) وذكر وفاة المصنف سنة ١٩١والصواب ٢١٤ ، وعزا الأهوال إلى هدية العارفين والإحالة لابن وهب وليس للمصنف في الاحالة شيء.

٢٤٦. ما روي في الحوض و الكوثر لبقي بن مخلد(ت٢٧٦هـ):

الكتاب: مطبوع .(١)

٢٤٧. صفة الجنة لابن أبي الدنيا(ت٢٨١هـ):

الكتاب: مطبوع .(٢)

٢٤٨. صفة النار لابن أبي الدنيا(ت٢٨١هـ):

الكتاب: مطبوع .(٣)

٢٤٩. أهوال يوم القيامة لابن أبي الدنيا(ت٢٨١هـ):

الكتاب: ذكره الذهبي.(٤)

٢٥٠. أهوال يوم القيامة لإسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن حماد بن زيد (ت٢٨٢هـ):

الكتاب: ذكره ابن النديم وقال : " نحو ثلاثمائة ورقة" أ.هـ .(٥)

٢٥١. الصراط ليحيى بن عمر بن يوسف الكناني (ت٢٨٩هـ):

الكتاب: ذكره البغدادي وغيره.(٦)

٢٥٢. الميزان ليحيى بن عمر بن يوسف الكناني (ت٢٨٩هـ):

الكتاب: ذكره القاضي عياض والبغدادي.(٧)

٢٥٣. الروح لمحمد بن نصر المروزي (ت٢٩٤هـ) :

الكتاب: أشار إليه شيخ الإسلام و ابن القيم .(٨)

---

(١) تحقيق عبدالقادر عطا ط.مكتبة العلوم والحكم –المدينة المنورة١٤١٣هـ.

(٢) طبع ونشر بتحقيق طارق طنطاوي .

(٣) طبع ونشر بتحقيق محمد خير رمضان يوسف .

(٤) في السير(١٣/ ٤٠١).

(٥) الفهرست ص ٢٥٢.

(٦) هدية العارفين(٦/ ٥١٧)، شجرة النور الزكية ص٧٣.

(٧) ترتيب المدارك (٤/ ٣٥٩)، شجرة النور الزكية ص٧٣،هدية العارفين(٦/ ٥١٧).

(٨) مجموع الفتاوى (٤/ ٢٠٧) ، كتاب الروح لابن القيم ص ٤١٣ تحقيق د.بسام العموش ط.مكتبة المنار – الأردن ،ط.الأولى ١٤١٠هـ.

جدول بالمصنفات في مسائل معينة مرتبة على حسب تاريخ الوفاة:

ما كتبه عمر بن عبد العزيز إلى بعض الأجناد في أمر الرؤية	١٠١
كتاب الإخلاص للحسن البصري	١١٠
شروط الإمامة للحسن البصري	١١٠
إثبات الصانع لجعفر الصادق	١٤٨
الأدلة على الخلق والتدبير	١٤٨
رسالة في الإيمان وتكفير من قال بخلق القرآن لأبي حنيفة	١٥٠
الشفاعة للوليد بن مسلم	١٩٥
كتاب لا هام ولا صفر لابن وهب .	١٩٧
كتاب الردة لابن وهب .	١٩٧
الأهوال لابن وهب	١٩٧
ما كتبه منصور بن عمار إلى بشر جواباً عما سأله في قوله تعالى (الرحمن على العرش استوى)	حدود٢٠٠
ما كتبه منصور بن عمار إلى بشر جواباً عما سأله في القرآن	حدود٢٠٠
الشفاعة لإسماعيل الجهضمي	٢٠٢
ما كتبه الشافعي في تثبيت خبر الواحد .	٢٠٤
ما كتبه الشافعي جوابا على سؤال مكتوب جاءه في رقعة من الصعيد في أمر الرؤية	٢٠٤
أحاديث في الرؤية للشافعي	٢٠٤
أحاديث في عذاب القبر للشافعي	٢٠٤

رسالة فيمن سب النبي ﷺ لمحمد بن سحنون	٢٥٦
أمارات النبوة لأبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب السعدي الجوزجاني	٢٥٩
دلائل النبوة لأبي زرعة الرازي	٢٦٤
العظمة لإبراهيم بن عبد الله بن الجنيد الختلي	حدود ٢٧٠
خبر الواحد لداود بن علي الظاهري	٢٧٠
كتاب المقام المحمود للمروذي	٢٧٥
مصنف في مسألة اللفظ لأبي المروذي	٢٧٥
أعلام النبوة أو دلائل النبوة لأبي داود السجستاني	٢٧٥
خبر الواحد للقاسم بن محمد بن قاسم بن سيار البياني	٢٧٦
رسالة في فضل أبي بكر الصديق	٢٧٦
أعلام النبوة لابن قتيبة	٢٧٦
دلائل النبوة لابن قتيبة	٢٧٦
ما روي في الحوض و الكوثر لبقي بن مخلد	٢٧٦
ما كتبه حرب الكرماني إلى ابن أبي حاتم	٢٨٠
كتاب الإخلاص لابن أبي الدنيا	٢٨١
كتاب فضل لا إله إلا الله لابن أبي الدنيا	٢٨١
الرضا عن الله لابن أبي الدنيا	٢٨١
التوكل على الله لابن أبي الدنيا	٢٨١
حسن الظن بالله لابن أبي الدنيا	٢٨١
كتاب فضائل العباس لابن أبي الدنيا	٢٨١
كتاب فضائل علي ﷺ لابن أبي الدنيا	٢٨١
كتاب أعلام النبوة لابن أبي الدنيا	٢٨١

المبحث الرابع

المصنفات في الرد على أهل البدع

مصنفات أهل السنة في الرد على أهل البدع كثيرة وقد تقدم طرفاً منها ضمن المصنفات على الأبواب ، وهي ما يلي :

٢٥٤. سؤالات لجماعة من الرهبان أجاب عليها علي بن أبي طالب (ت٤٠هـ) ، رواية سلمان الفارسي :

الكتاب:والكتاب مخطوط .[١]

٢٥٥. الرد على القدرية لابن أبي الحنفية (ت٩٩هـ):

الكتاب:ذكره سزكين.[٢]

٢٥٦. رسالة عمر بن عبد العزيز(ت١٠١هـ) في الرد على غيلان الدمشقي:

الرسالة:ذكرها ابن بطة .[٣]

٢٥٧. الرد على الرافضة لجعفر الصادق (ت١٤٨هـ):

الكتاب:ذكره سزكين .[٤]

٢٥٨. الرد على الخوارج لجعفر الصادق (ت١٤٨هـ):

الكتاب:ذكره سزكين.[٥]

٢٥٩. الرد على القدرية لجعفر الصادق (ت١٤٨هـ):

الكتاب:ذكره سزكين.[٦]

٢٦٠. المناظرة لجعفر الصادق (ت١٤٨هـ):

الكتاب:مطبوع .[٧]

---

(١) مخطوط في الظاهرية برقم (١٣٦عام ٣٨٧١)(٤٣-٤٨)، وعنها صورة في مكتبة جامعة الكويت برقم (٧٣٧م ك مجموع ٤)،انظر : فهرس المخطوطات العربية المصورة بمكتبة جامعة الكويت (٢/ ٣٩٣)، الاستدراكات على سزكين (٣/ ٣).

(٢)سزكين(١/ ٤/ ٤).

(٣)الابانة (القسم الخاص بالقدر) (٢/ ٢٧٩).

(٤) سزكين (١/ ٤/ ٤).

(٥)سزكين (١/ ٤/ ٤).

(٦)سزكين (١/ ٤/ ٤).

(٧) طبع بتحقيق الأخ الشيخ علي الشبل ، وذكره سزكين(١/ ٣/ ٢٧١) بعنوان(مناظرة الصادق في التفضيل بين أبي بكر وعلي).

٢٦١. الرد على القدرية لمقاتل بن سليمان البلخي(ت بعد١٥٠):

ترجمة موجزة للمصنف [(١)]: هو أبو الحسن مقاتل بن سليمان البلخي المفسر الكبير، يروي عن مجاهد والضحاك وعطاء وغيرهم وعنه بقية وعبد الرزاق و شبابة وغيرهم، ضعيف في الرواية كثير العلم وقد أجمعوا على تركه، وكانت وفاته بعد خمسين ومائتين.

الكتاب: ذكره الداودي وابن النديم. [(٢)] ،ولا نستطيع أن نجزم بأن رده لموافق لاعتقاد أهل السنة إلا بعد الاطلاع عليه، وذلك لأنه مجمع على تركه ومعدود من المشبهة.

٢٦٢. مجادلة أحد الدهريين للإمام أبي حنيفة(ت١٥٠هـ):

الكتاب:مخطوط يقع في ثلاث ورقات. [(٣)]

٢٦٣. الرد على القدرية للإمام أبي حنيفة (ت١٥٠هـ):

الكتاب:ذكره ابن النديم والبغدادي. [(٤)]

٢٦٤. الرد على أهل الأهواء والبدع لعبد الله بن فروخ الفارسي(١٧٦هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [(٥)]: عبد الله بن فروخ الفارسي أبو محمد فقيه القيروان في وقته روى عن ابن جريج والأعمش والثوري ومالك ،كان فقيهاً ورعاً صالحاً متواضعاً ،قليل الهيبة بالملوك لا يخاف في الله لومة لائم مبايناً لأهل البدع كانت وفاته سنة ست وسبعين ومائة.

الكتاب:ذكره القاضي عياض والدباغ وغيره. [(٦)]

٢٦٥. الرد على أهل الأهواء للشافعي (ت٢٠٤هـ):

---

(١)السير (٧/ ٢٠١)، تاريخ بغداد (١٣/ ١٦٠).

(٢)طبقات الداودي (٢/ ٣٣١) ،الفهرست ص٢٢٧.

(٣)مخطوط في مؤسسة الملك فيصل الخيرية برقم (٤٧٤٧/ ٢) في ثلاث ورقات ضمن مجموع (١٠٩-١١١ب) كتبت سنة ١١١٣هـ،انظر الاستدراكات على سزكين (٣/ ٨).

(٤)هدية العارفين(٦/ ٤٩٥)،الفهرست ص٢٨٥.

(٥)ترتيب المدارك (٣/ ١٠٢).

(٦)ترتيب المدارك (٣/ ١١٠) ، الأعلام للزركلي (٤/ ١١٢)، وعزاه لمعالم الإيمان للدباغ (١٧٨-١٨٥)، ورياض النفوس (١/ ١٧٧)، ومعجم المؤلفين لكحالة (٦/ ١٠٢).

الكتاب: ذكره البغدادي في أصول الدين .[١]

٢٦٦. تصحيح النبوة والرد على البراهمة للإمام الشافعي (ت٢٠٤هـ):

الكتاب: ذكره البغدادي في أصول الدين والبغدادي في هدية العارفين وكحالة.[٢]

٢٦٧. الرد على الملحدين في تشابه القرآن لمحمد بن المستنير أبو علي المعروف **بقطرب النحوي اللغوي (ت٢٠٦هـ):**

ترجمة موجزة للمصنف [٣]: هو محمد بن المستنير أبوعلي المعروف بقطرب النحوي اللغوي، أحد العلماء بالنحو واللغة أخذ عن سيبويه وعن جماعة من العلماء البصريين ، وكان موثقاً فيما يمليه ، وكانت وفاته سنة ست ومائتين.

الكتاب: ذكره ابن النديم والقفطي وابن خلكان وحاجي خليفة والبغدادي.[٤]

٢٦٨. الرد على من قال بخلق القرآن لعبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون (ت٢١٢هـ):

الكتاب: ذكره القاضي عياض .[٥]

٢٦٩. الرد على الجهمية لهشام بن عبيد الله الرازي **(ت٢٢١هـ):**

ترجمة موجزة للمصنف [٦] : هو هشام بن عبيد الله الرازي السني الفقيه ، حدث عن ابن أبي ذئب ومالك بن أنس وحماد بن زيد وغيرهم وعنه أبو حاتم الرازي وأحمد بن الفرات وبقية بن الوليد ، وكان من بحور العلم ومن أئمة السنة ومن أهل الفقه ، وكانت وفاته سنة إحدى وعشرين ومائتين.

---

(١) أصول الدين البغدادي ص٣٠٨.

(٢) أصول الدين البغدادي ص٣٠٨، معجم المؤلفبن (٩/ ٣٢)، هدية العارفين (٦/ ٩).

(٣) انظر: إنباه الرواه (٣/ ٢١٩) ، تاريخ بغداد (٣/ ٢٩٨).

(٤) الفهرست ص٥٨ ، طبقات الداودي (٢/ ٢٥٥)، إنباه الرواة (٣/ ٢٢٠)، وفيات الأعيان (٤/ ٣١٢) كشف الظنون (١/ ٨٣٩)، هدية العارفين (٦/ ٩) ، معجم المؤلفين (١٢/ ١٥).

(٥) ترتيب المدارك (٣/ ١٤٠).

(٦) انظر : السير (١٠/ ٤٤٦) ، لسان الميزان (٦/ ١٩٥).

الكتاب:ذكره اللالكائي .[(١)]

٢٧٠. كتاب في الرد على من قال بخلق القرآن لأبي عبيد(ت٢٢٤هـ):

الكتاب:أشار إليه عبد الله بن الإمام أحمد وابن بطة فقال :"حدثني محمد بن إسحاق الصاغاني قال :رأيت في كتاب أبي عبيد القاسم بن سلام بخطه: إذا قال لك الجهمي أخبرني عن القرآن أهو الله أم غيره ؟..." أ.هـ.[(٢)]

٢٧١. الرد على أهل الأهواء لأصبغ بن الفرج (٢٢٥هـ):

الكتاب:ذكره القاضي عياض وغيره.[(٣)]

٢٧٢. الصفات والرد على الجهمية لنعيم بن حماد الخزاعي (ت ٢٢٨هـ):

الكتاب: ذكر ه شيخ الإسلام والذهبي وأنه وضع ثلاثة عشر كتاباً في الرد على الجهمية.[(٤)]

٢٧٣. الصفات والرد على الجهمية لعبد الله بن محمد الجعفي (ت٢٢٩هـ):

ترجمة موجزة للمصنف[(٥)] : هو عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن يمان الجعفي مولاهم البخاري المسندي ، أبو جعفر شيخ ما وراء النهر الحافظ المجود ، سمي بالمسندي لكثرة اعتنائه بالأحاديث المسندة، سمع من سفيان بن عيينه وفضيل بن عياض وابن نمير وغيرهم و عنه البخاري في صحيحه والذهلي وأبو زرعة الرازي وغيرهم كثير ، كانت وفاته سنة تسع وعشرين ومائتين.

الكتاب:ذكره شيخ الإسلام .[(٦)]

---

(١) اللالكائي (٣/ ٥٠٦).

(٢)انظر السنة لعبدالله (١/ ١٦٣)،وابن بطة في الإبانة القسم الثالث :(٢/ ٤٠)، ونقل آخر منه عند البخاري في خلق أفعال العبادص ٢٢.

(٣)ترتيب المدارك(٤/ ٢٠)، شجرة النور الزكية ص٦٦.

(٤)التسعينية(١/ ١٦٠)، السير (١٠/ ٥٩٩).

(٥) انظر : السير (١٠/ ٦٥٨) ، تاريخ بغداد (١٠/ ٦٤).

(٦)التسعينية(١/ ١٦٠)، مجموع الفتاوى(٥/ ٢٤)، (١٧/ ٧٤).

٢٧٤. الرد على الزنادقة لأبي الربيع البغدادي محمد بن الليث الخطيب الفقيه (ت٢٣٤هـ):

الكتاب: ذكره ابن النديم والبغدادي.[(١)]

٢٧٥. الرد على الجهمية للعبد العزيز بن يحيى الكناني صاحب الحيدة (ت٢٤٠هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [(٢)]: هو عبد العزيز بن يحي بن عبد العزيز بن مسلم بن ميمون الكناني المكي ، سمع من الشافعي وابن عيينة وغيرهما ، وروى عنه أبو العيناء والحسين بن الفضل وكان يلقب بالغول لذمامته وكان على مذهب الشافعي وهو أحد اتباعه وممن طالت صحبته له وخرج معه إلى اليمن وهو الذي جرت بينه وبين بشر المريسي المناظرة المشهورة بحضرة المأمون ، وكانت وفاته سنة أربعين ومائتين .

الكتاب:ذكره ونقل منه نصوصاً طويلة شيخ الإسلام وابن القيم ، سمى الكتاب مرة بالرد على الزنادقة .[(٣)]

٢٧٦. الحيدة لعبد العزيز بن يحيى الكناني (ت٢٤٠هـ):

الكتاب: مطبوع عدة طبعات [(٤)] وقد شكك في نسبته بعضهم كالذهبي والسبكي [(٥)]، ولكن الكتاب ليس فيه ما يستنكر والمناظرة مشتهرة ذكرها المتقدمون والمتأخرون ولم يذكروا ما ذكره الذهبي، وحجته القدح في أحد رواة إسناد كتاب الحيدة ،وقد وجد طريق آخر غير الذي تكلم عنه الذهبي عند ابن بطة في الإبانة [(٦)]، وعليه فلا يبقى حجة

(١)هدية العارفين (٦/ ١٣)، الفهرست ص١٧٥.

(٢) تاريخ بغداد (١٠/ ٤٤٩) ، طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ١٤٤).

(٣)التسعينية(١/ ١٦٢) ، مجموع الفتاوى(٦/ ١٦٦)، (٥/ ١٣٩ ،٣١٤)،ونقل منه نصاً طويلا في الدرء (٦/ ١١٥)، اجتماع الجيوش ص٢١٩، وسماه بالرد على الزنادقة والجهمية في مجموع الفتاوى (٥/ ٣١٤) وهو غير الحيدة .

(٤) أجود ها طبعتان : الأولى بتحقيق جميل صليبا وهي من مطبوعات المجمع العلمي بدمش، والثانية بتحقيق الدكتور على الفقيهي ضمن سلسلة عقائد السلف.

(٥) ميزان الاعتدال للذهبي (٣/ ٣٥٣) ، طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ١٤٤).

(٦) الإبانة (القسم الثالث ٢/ ٢٢٥-٢٤٨)تحقيق الوابل.

لمن ينفي الكتاب، وقد ذكره جازماً بنسبته للمصنف الذهبي في أكثر من موضع فلعله رجع عن قوله .(١)

وأما نسبة الكتاب فقد نسبه له جميع من ترجم له تقريباً ولم يشككوا فيه كابن النديم والخطيب البغدادي والذهبي وابن كثير وأبو إسحاق الشيرازي وابن حجر وابن الجوزي وابن العماد وابن أبي العز الحنفي وشيخ الإسلام وابن القيم وغيرهم كثير .(٢)

مصنفات الإمام أحمد(ت٢٤١هـ) في الرد على أهل البدع :

٢٧٧. الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد:

الكتاب:الكتاب مطبوع عدة طبعات (٣) ، وكلها سيئة وفيها تحريف وسقط ولم تعتمد على نسخ خطية جيدة ولم أجد أحداً قارنها بنقول شيخ الإسلام الكثيرة من الكتاب، والكتاب من أحسن وأقوى ما ألف في الرد على أهل البدع وأوصى به ابن القيم وقال :إنه لا يستغني عنه عالم (٤)، وقد شرح شيخ الإسلام الكتاب في كلام متناثر في غالب مصنفاته ، وذكر شيخ الإسلام أنه ألفه في السجن وقت المحنة (٥) ويظهر أن الكتاب له نسخ مختلفة منذ عصر شيخ الإسلام فقد ذكر أنه اطلع على نسخ من الكتاب وبينها خلاف (٦)والكتاب مشهور ومتداول وذكره جمع ممن ترجم للإمام أحمد. (٧)، وقد رد ابن القيم رداً وافياً شافياً على من شكك في نسبة الكتاب للإمام أحمد .(٨)

---

(١) كما في العبر (١/ ٣٤١)حيث قال:"صاحب الحيدة سمع من سفيان بن عيينة وناظربشراً المريسي .." أ.هـ فهذا أسلوب يدل على عدم نفيه للمناظرة ولا للكتاب ، تاريخ الإسلام وفيات سنة ٢٤٠هـ ص٢٥٦.

(٢) انظر النقول هذه كاملة في مقدمة تحقيق كتاب الحيدة للدكتور علي الفقيهي ص١٢-١٥.

(٣) أشهر المطبوعات بتحقيق د.عبدالرحمن عميرة لكنه اعتمد على نسخة فيها نقص في بعض المواضع ومن يقارن بمطبوعة النشار ضمن عقائد السلف يظهر له الفرق ويظهر أكثر عندالمقارنة بما ينقله شيخ الإسلام ، وقد اطلعت على نسخ للكتاب وطلبت بعضها ولم تأتي إلى حين كتابة هذه الأسطر .

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية ص٢٠٢.

(٥) نص على ذلك شيخ الإسلام في : منهاج السنة (٥/ ٢٧٣) وفي مجموع الفتاوى(١٢/ ٤٤٠-٤٤١).

(٦) أشار إلى الخلاف بين النسخ في درء التعارض(٥/ ١٧٨)، وهناك نقل في إبطال التأويلات(٢/ ٣٩٦) لم أجده في المطبوع .

(٧)انظر : الفهرست ص٢٨٥، طبقات الداودي (١/ ٧١) ، إبطال التأويلات (١/ ٢٣٣، ٢/ ٢٩٨، ٣٩٦، ٤٤٢).

(٨) انظر: اجتماع الجيوش الإسلامية ص٢٠٩-٢١١.

٢٧٨. كتاب في الرد على الجهمية كتبه الإمام أحمد بخطه وكتبه عنه بخطه المروذي:

الكتاب: ذكره الخلال فقال :"أخبرنا أبو بكر المروذي ، قال : هذا ما احتج به أبو عبد الله على الجهمية في القرآن ، كتب بخطه وكتبته من كتابه فذكر المروذي آيات كثيرة ...."أ.هـ ، وجاء في السنة لعبد الله قال : " وجدت في كتاب أبي بخط يده مما يحتج به على الجهمية من القرآن "أ.هـ، ونقله شيخ الإسلام.(١)

٢٧٩. رسالة في الرد على القائلين بخلق القرآن للإمام أحمد أرسلها إلى محمد بن حمدون الأنطاكي وإلى عيسى الفتاح:

الكتاب: الكتاب ذكره الخلال في السنة.(٢)

٢٨٠. رسالة إلى أهل طرسوس في الرد على الجهمية:

الرسالة: ذكره ابن بطة في الإبانة.(٣)

٢٨١. ما كتبه الإمام أحمد جواباً لمن طلبه أن يكتب كتاباً في الرد على أهل البدع :

الرسالة: ذكرها ابن بطة .(٤)

٢٨٢. كتاب في الاحتجاج على من احتج بظاهر القرآن وترك ما فسره الرسول ﷺ:

الكتاب: قال ابن أبي يعلى :"قرأت في كتاب أبي جعفر محمد بن أحمد بن صالح بن أحمد بن محمد بن حنبل ، حدثني عمي زهير بن صالح ، قال :قرأ عليّ أبي صالح بن أحمد هذا الكتاب وقال :هذا الكتاب عمله أبي ﷺ في مجلسه رداً على من احتج بظاهر وترك ما فسره رسول الله ﷺ ودل على معناه ...." أ.هـ.(٥)

---

(١) السنة للخلال (٦/ ٤٨-٧٣) ، السنة لعبدالله (٢/ ٥١٢)، ونقله شيخ الإسلام في الدرء (٢/ ١١٦).

(٢) السنة للخلال(٦/ ٧٧).

(٣)الإبانة (القسم الثالث ١/ ٣٥٧).

(٤)الإبانة (٢/ ٤٧١)نعسان.

(٥) طبقات الحنابلة (٣/ ١٢٢).

٢٨٣. الرد على الجهمية لمحمد بن أسلم الطوسي(٢٤٢هـ):

الكتاب:ذكره أبو نعيم وذكر بعض فصوله وأثنى على الكتاب الإمام أحمد وذكره ابن العماد.[١]

٢٨٤. الاستقامة لخشيش بن أصرم (ت٢٥٣هـ):

ترجمة موجزة للمصنف[٢]:هو خشيش بن أصرم بن الأسود، أبو عاصم النسائي ،سمع روح بن عباد وعبد الرزاق وغيرهما وعنه أبو داود والنسائي وغيرهما، له رحلة واسعة وكانت وفاته سنة ثلاث وخمسين ومائتين.

الكتاب:والكتاب في الرد على أهل الأهواء والبدع كما سماه شيخ الإسلام في بعض المواضع، ونقل بعض المواضع منه الملطي في التنبيه والرد، وذكره الذهبي وابن القيم وابن خير والبغدادي والسمعاني.[٣]

٢٨٥. الحجة على النصارى لمحمد بن سحنون (ت٢٥٦هـ):

الكتاب:ذكره القاضي عياض.[٤]

٢٨٦. الرد على البكرية لمحمد بن سحنون (ت٢٥٦هـ):

الكتاب:ذكره القاضي عياض.[٥]

٢٨٧. الرد على أهل البدع لمحمد بن سحنون(ت٢٥٦هـ):

الكتاب:ذكره القاضي عياض.[٦]

---

(١)انظر :السير(١٢/ ١٩٧)، الحلية (٩/ ٢٣٩)، الأعلام للزركلي (٦/ ٣٤) ،الشذرات لابن العماد (٢/ ١٠٠).

(٢)انظر : السير (١٢/ ٢٥٠) ، شذرات الذهب (٢/ ١٢٩).

(٣)التسعينية(١/ ١٦٤)، مجموع الفتاوى (١٧/ ٥٧، ٧٤)،السير(١٢/ ٢٥٠)،تذكرة الحفاظ(٢/ ٥٥١)، تاريخ الإسلام ص١٣٠التنبيه والرد للملطي ص١١٣-١٢١، ١٢٩، ١٠٦،١٤٤،التحبير(٢/ ١٧)هدية العارفين(١/ ٣٤٥)، الرسالة المستطرفةص٣٤،اجتماع الجيوش ص١٠٩، فهرسة ابن خير ص٣٠٠.

(٤)ترتيب المدارك (٤/ ٢٠٧).

(٥)ترتيب المدارك (٤/ ٢٠٧).

(٦)ترتيب المدارك (٤/ ٢٠٧).

٢٨٨. الرد على اللفظية لمحمد بن أحمد بن حفص ، أبو حفص الصغير البخاري الحنفي (ت٢٦٤هـ):

ترجمة موجزة للمصنف (١): مولى بني عجل عالم ما وراء النهر شيخ الحنفية أبو عبد الله البخاري .تفقه بوالده العلامة أبي حفص .

قال أبو عبد الله بن منده :كان عالم أهل بخارى وشيخهم .

سمع من أبي الوليد الطيالسي والحميدي وغيرهما ، روى عنه أبو عصمة أحمد بن محمد اليشكري وعبدان بن يوسف وغيرهما ،وكان ثقة إماماً ورعاً زاهداً ربانياً صاحب سنة واتباع ،كانت وفاته سنة أربع وستين ومائتين.

الكتاب:ذكره الذهبي وغيره.(٢)

٢٨٩. كتاب الأهواء والاختلاف لمحمد بن أحمد بن حفص الصغير البخاري (٢٦٤هـ):

الكتاب:ذكره حاجي خليفة والبغدادي والذهبي وغيرهم.(٣)

٢٩٠. كتاب الرد على أهل الأهواء لأبي زرعة الرازي (ت٢٦٤هـ):

الكتاب:ذكره التيمي في الحجة في بيان المحجة ونقل منه بعض المقاطع فقال :"فصول مستخرجة من كتب السنة –فصل من كتاب الرد على أهل الأهواء لأبي زرعة الرازي " أ.هـ.(٤)

٢٩١. الرد على الجهمية لأحمد بن سيار المروزي (ت٢٦٨هـ):

ترجمة موجزة للمصنف (٥):هو أحمد بن سيار بن أيوب بن عبد الرحمن ، أبو الحسن

---

(١) السير (١٢/ ٦١٧)، الفوائد البهية ص١٩.

(٢)السير (١٢/ ٦١٨)،تاريخ الإسلام ص١٥٤، الفوائد البهيةص١٩.

(٣)الفوائد البهية في تراجم الحنفية ص١٩ ،كشف الظنون(١/ ٨٣٨)، هدية العارفين (٦/ ١٧)،السير (١٢/ ٦١٨) تاريخ الإسلام ص١٥٤، ونقل بعض النقول من كتاب له الصابوني في عقيدته ص٢٣٥ولم يصرح باسم الكتاب فلعله هذا أو الذي قبله.

(٤) الحجة في بيان المحجة للتيمي(٢/ ٤٩٣)، وانظر مقدمة الاعتقاد له بتحقيق الحدادص١٧.

(٥) السير (١٠/ ٦٠٩) ، تاريخ بغداد (٤/ ١٨٧).

المروزي ، سمع عفان بن مسلم وسليمان بن حرب وعبدان وغيرهم وعنه النسائي والبخاري في غير الصحيح ومحمد بن نصر وغيرهم وكان ذو علم وفقه وقد عد في فقهاء الشافعية وهو ثقة ثبت ، وكانت وفاته سنة ثمان وستين ومائتين.

الكتاب:ذكره الذهبي .(١)

٢٩٢. الرد على الكرامية لمحمد بن اليمان السمرقندي (ت٢٦٨هـ):

الكتاب:ذكره حاجي خليفة والبغدادي.(٢)

٢٩٣. الرد على بشر المريسي لمحمد بن عبد الله بن عبد الحكم (ت٢٦٨هـ):

ترجمة موجزة للمصنف (٣): هو محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، أبو عبد الله ، مفتي الديار المصرية، سمع من أبيه وابن وهب وأشهب وابن القاسم وعنه أبو بكر النيسابوري وأبو حاتم الرازي وعيسى بن مسكين وغيرهم ، وكان من العلماء الفقهاء وإليه كانت الرحلة من المغرب في العلم والفقه من الأندلس ، وقيل إنه أفقه أهل زمانه ، وامتحن وضرب لامتناعه عن القول بخلق القرآن وكانت وفاته سنة ثمان وستين ومائتين.

الكتاب: ذكره القاضي عياض والداوودي .(٤)

٢٩٤. تأويل مختلف الحديث أو الرد على من قال بتناقض الحديث لابن قتيبة (٢٧٦هـ):

الكتاب: مطبوع ، ويحتاج إلى عناية وإخراج خاصة مع توفر نسخ خطية له ، والعنوان المشهور هو تأويل مختلف الحديث لكن وجد في بعض نسخ المخطوطات بعنوان الرد على من قال بتناقض الحديث ، وبعضهم يسميه مشكل الحديث وبعضهم

---

(١)الأربعين في صفات رب العالمين للذهبي ص١٤٧ ضمن مجموع رسائل للذهبي بتحقيق جاسم الدوسري.

(٢)كشف الظنون(١/ ٨٣٩) ، هدية العارفين (٦/ ١٧).

(٣) ترتيب المدارك (٤/ ١٥٧)، السير (١٢/ ٤٩٧).

(٤)ترتيب المدارك (٤/ ١٦٠) ،طبقات الداودي (٢/ ١٧٦).

يسمیه مختلف الحديث .[١]

٢٩٥. الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ):

الكتاب:مطبوع أكثر من مرة .[٢]

٢٩٦. الرد على القائل بخلق القرآن لابن قتيبة (ت٢٧٦هـ):

الكتاب :ذكره الداودي والذهبي .[٣]

٢٩٧. الرد على الكرامية لعثمان بن سعيد الدارمي (ت٢٨٠هـ) :

الكتاب:ذكره البغدادي.[٤]

٢٩٨. الرد على الجهمية لعثمان بن سعيد الدارمي (ت٢٨٠هـ):

الكتاب:مطبوع بتحقيق بدر البدر وهي الطبعة المشهورة المتداولة .

٢٩٩. الرد على بشر المريسي لعثمان بن سعيد الدارمي (ت٢٨٠هـ):

الكتاب:طبع مراراً فأولاً بتحقيق الشيخ محمد الفقي وطبع طبعتين حديثتين : الأولى كرسالة علمية بتحقيق الشيخ رشيد الألمعي والثانية بتحقيق الشيخ منصور السماري.

والكتابان :فيهما من الفوائد والقواعد في الرد على أهل البدع مالا يوجد في غيرهما .

٣٠٠. المعارضة على أهل الفرق وأهل الدعاوى لسهل بن عبد الله التستري (ت٢٨٣هـ):

الكتاب:مطبوع .[٥]

---

(١) انظر : كلاماً نفيساً للشيخ على العلياني في كتابه عقيدة ابن قتيبة ص٧١-٧٢.

(٢) من أشهر طبعاته : الأولى بتحقيق الكوثري وقد حشاها بالسب والتنقص لأئمة السنة ، والثانية ضمن عقائد السلف للنشار والثالثة بتحقيق عمر أبو عمر وهي سيئة وتحتاج إلى مقابلة على نسخ خطية .

(٣)طبقات الداودي (١/ ٢٤٦)،السير (١٣/ ٢٩٨)، تاريخ الإسلام ص٣٨٢.

(٤) هدية العارفين (٥/ ٦٥٢).

(٥)مطبوع في القاهرة بدار السلام ١٤٠٠هـ.

٣٠١. **الرد على الشكوكية ليحيى بن عمر بن يوسف بن عامر الكناني (ت٢٨٩هـ):**

الكتاب:ذكره القاضي عياض .(١)

٣٠٢. **الرد على المرجئة ليحيى بن عمر بن يوسف بن عامر الكناني(ت٢٨٩هـ):**

الكتاب:ذكره القاضي عياض .(٢)

٣٠٣. **الرد على الجهمية لعبد الله بن الإمام أحمد (ت٢٩٠هـ)**

الكتاب:لعله السنة وقد أطلق عليه هذا الاسم شيخ الإسلام والذهبي.(٣)

٣٠٤. **الرد على الجهمية للحكم بن معبد الخزاعي (ت٢٩٥هـ):**

الكتاب: ذكره شيخ الإسلام ونقل منه.(٤)

٣٠٥. **الرد على أهل البدع ليحيى بن عون بن يوسف أبو زكريا الخزاعي (ت ٢٩٦هـ):**

ترجمة موجزة للمصنف (٥):هو يحيى بن عون بن يوسف أبو زكريا الخزاعي ، الزاهد ، سمع من أبيه وسحنون وغيرهما وكان رجلاً صالحاً من أهل الفقه والعلم ، وكانت وفاته سنة ست وتسعين ومائتين وقيل غير ذلك.

الكتاب:الكتاب ذكره القاضي عياض وهو مخطوط .(٦)

---

(١)ترتيب المدارك (٤/ ٣٥٩).

(٢)ترتيب المدارك (٤/ ٣٥٩).

(٣)مجموع الفتاوى(٥/ ٤٠٣)،السير (٨/ ٤٠٢)،(١٣/ ٥٢٣)، تاريخ الإسلام ص٨٨عند ترجمته للإمام أحمد.

(٤)مجموع الفتاوى (١٧/ ٧٤) ونقل منه في (١٧/ ٢٢٣).

(٥) ترتيب المدارك (٤/ ٤٠١)، شجرة النور الزكية ص٧٤.

(٦)ترتيب المدارك (٤/ ٤٠٢)، وهو مخطوط ضمن المكتبة العتيقة بالقيروان (انظر دراسات في تاريخ أفريقية في الحضارة الإسلامية ص٣٧٩ منشورات الجامعة التونسية ، أهل السنة والجماعة وجهودهم في مقاومة الانحرافات العقدية لابراهيم التهامي ص٣٣٨-٣٤٠ منشورات الجامعة التونسية ١٩٨٢.

فهرس لمصنفات السلف في الرد على أهل البدع مرتبة على حسب تاريخ الوفاة

اسم الكتاب والمصنف	تاريخ الوفاة
سؤالات لجماعة من الرهبان أجاب عليها علي بن أبي طالب رواية سلمان الفارسي	٤٠
الرد على القدرية للحسن بن محمد ابن الحنفية	٩٩
ما كتبه عمر بن عبد العزيز في الرد على غيلان	١٠١
الرد على الرافضة لجعفر الصادق	١٤٨
الرد على الخوارج لجعفر الصادق	١٤٨
الرد على القدرية لجعفر الصادق	١٤٨
المناظرة لجعفر الصادق	١٤٨
الرد على القدرية لمقاتل بن سليمان البلخي	بعد١٥٠
كتاب مجادلة لأحد الدهريين لأبي حنيفة	١٥٠
الرد على القدرية لأبي حنيفة	١٥٠
الرد على أهل الأهواء والبدع لعبد الله بن فروخ الفارسي	١٧٦
الرد على أهل الأهواء للشافعي	٢٠٤
تصحيح النبوة والرد على البراهمة للإمام الشافعي .	٢٠٤
الرد على الملحدين في تشابه القرآن لمحمد بن المستنير أبو علي المعروف بقطرب النحوي اللغوي	٢٠٦
الرد على من قال بخلق القرآن لعبد الملك بن عبد العزيز بن الماجشون	٢١٢
الرد على الجهمية لهشام بن عبيد الله الرازي	٢٢١

كتاب في الرد على من قال بخلق القرآن لأبي عبيد	٢٢٤
الرد على أهل الأهواء لأصبغ بن الفرج	٢٢٥
الصفات والرد على الجهمية لنعيم بن حماد الخزاعي	٢٢٨
الصفات والرد على الجهمية عبد الله بن محمد الجعفي	٢٢٩
الرد على الزنادقة لأبي الربيع البغدادي محمد بن الليث.	٢٣٤
الرد على الجهمية للكناني	٢٤٠
الحيدة للكناني	٢٤٠
الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد	٢٤١
كتاب في الرد على الجهمية للإمام أحمد كتبه عنه من خطه المروذي	٢٤١
ما كتبه في الرد على من قال بخلق القرآن يرويها المروذي عن الإمام أحمد	٢٤١
رسالة في الرد على القائلين بخلق القرآن للإمام أحمد أرسلها إلى محمد بن حمدون الأنطاكي وإلى عيسى الفتاح	٢٤١
كتاب في الرد على من قال بخلق القرآن للإمام أحمد	٢٤١
كتاب للإمام أحمد في الرد على القائلين بخلق القرآن وأرسله الفضل بن زياد لأهل طرسوس	٢٤١
ما كتبه الإمام أحمد جواباً لمن طلبه أن يكتب كتاباً في الرد على أهل البدع	٢٤١
كتاب في الاحتجاج على من احتج بظاهر القرآن وترك ما فسره الرسولﷺ	٢٤١
الرد على الجهمية لمحمد بن أسلم الطوسي	٢٤٢

المبحث الخامس

النظم في مسائل الاعتقاد

لا شك أن السلف لم يهملوا الشعر وهو ديوان العرب وكيف يهملونه وهم أصل العرب وحملة اللغة ومبلغيها فمنهم وبهم تعرف اللغة فلا عجب إن علمنا اهتمامهم الواضح بالنظم شعراً لما يخص مسائل الاعتقاد.

ولعلنا نذكر بعض ما وجد من نظم للسلف في ما يتعلق بمسائل الاعتقاد وهو كالآتي:

١. **أبيات للحسن البصري(ت١١٠هـ) في التوكل:**

النظم:ذكره أبو نعيم في ترجمة الحسن في ثلاثة أبيات وهي :

يجول الغنى والعز في كل موطنٍ ليستوطنا قلب امرىءٍ إن توكلا
ومن يتوكل كان مولاه حسبه وكان له فيما يحاول معقـــــلا
إذا أرضيت نفسي بمقدور حظها تعالت وكانت أفضل الناس منزلا.[(١)]

٢. **أبيات لعون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي في ذم الإرجاء (ت مابين ١١٠-١٢٠):**

ترجمة موجزة للناظم [(٢)]:هو عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي ، أبو عبد الله الكوفي ، ثقة عابد ، روى عن أبيه وابن عباس وابن عمرو وعائشة رضي الله عنهم وغيرهم وعنه مالك بن مغول وابن عجلان وأبو حنيفة وغيرهم ، وكان من آدب أهل المدينة وأفقههم و كان مرجئاً ثم تركه ، كانت وفاته مابين عشر ومائة إلى عشرين ومائة.

النظم : أشار إليه الحافظ وذكر بيتاً منه وهو:

لأول ما نفارق غير شك نفارق ما يقول المرجئونا .[(٣)]

٣. **أبيات لابن شبرمة (ت١٤٤هـ) في ذم الجدل والخصومات في الدين:**

ترجمة موجزة للناظم [(٤)]: هو عبد الله بن شبرمة بن حسان بن المنذر بن ضرار بن

---

(١) الحلية (٦/ ٣٠٥-٣٠٦).
(٢) السير (٥/ ١٠٣) ، التقريب ص٧٥٨برقم (٥٢٥٨).
(٣) تهذيب التهذيب (٨/ ١٥٣).
(٤) انظر:التهذيب (٥/ ٢٢٠) ، التقريب ص٥١٤برقم (٣٤٠١).

عمرو الضبي أبو شبرمة الكوفي القاضي ، روى عن أنس وأبي الطفيل وعبد الله بن شداد وعنه ابن المبارك وأبو العلاء أيوب بن أبي مسكين وشريك وغيرهم ، ثقة فقيه من النساك وكان شاعراً ، مات سنة أربع وأربعين ومائة .

النظم:أخرج التيمي واللالكائي بسنده أن سفيان بن عيينة قال:"سأل رجل ابن شبرمة عن الإيمان فلم يجبه ثم تمثل بهذين البيتين وقال :

إذا قلت جدوا في العبادة واصبروا ... أصروا وقالوا للخصومة أفضل

خلافاً لأصحاب النبي وبدعـــة ... وهم بسبيل الحق أعمى وأجهل" أ.هـ.[1]

ما نظمه ابن المبارك (١٨١هـ)في مسائل الاعتقاد:

ترجمة موجزة للناظم [2]:هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي مولاهم أبو عبد الرحمن المروزي ، الإمام الحافظ المشهور روى عن حميد الطويل وابن عون وعكرمة والأعمش وغيرهم وعنه الثوري ومعمر وابن عيينة وغيرهم ، قال عنه الحافظ : " ثقة ثبت ،فقيه عالم ، جواد ، جمعت فيه خصال الخير ،وكانت وفاته سنة إحدى وثمانين ومائة.

٤. **أرجوزة في الصحابة لابن المبارك :**

النظم :ذكره القاضي عياض.[3]

٥. **نظم لابن المبارك حول القرآن كلام الله :**

النظم: أخرج ابن بطة بسنده إلى نعيم بن حماد قال: رآني ابن المبارك مع رجل من أهل الأهواء فما كلمني ، فلما كان في غدٍ رآني فأخذ بيدي ثم أنشأ يقول:

يا طالب العلم صارم كل بطـــال ... وكل غاوٍ إلى الأهـواء ميّـال

إن القرآن كـلام الله تعـرفـــه ... ليس القرآن بمخـلوق ولا بال

لو أنه كان مخـلوقاً لغـــيّـره ... ريب الزمـان إلى موت وإبطال

(١) اللالكائي(١/ ١٤٩) والتيمي في الحجة (١/ ٢٨٥).

(٢) تهذيب التهذيب (٥/ ٣٣٤)، التقريب ص٥٤٠برقم (٣٥٩٥).

(٣) ترتيب المدارك (٣/ ٤٨).

وكيف يبطل مالا شيء يبطله أم كيف يبلى كلام الله الخالق العالي

وأورده ابن بطة في موضع آخر كاملاً .[١]

٦. **نظم لابن المبارك في الثناء على الصحابة وذم الرافضة ومذهب الجهم:**

النظم:الأبيات أورد بعضها البخاري في خلق أفعال وأورد الذهبي في السير عشرة أبيات منها ،ومما جاء فيها:"

إني امرؤٌ ليس في ديني لغامزه لين ولست على الإسلام طعاناً

فلا أسب أبا بكر ولا عمرا ولن أسب معاذ الله عثماناً

ولا ابن عم رسول الله أشتمه حتى ألبس تحت الترب أكفانا

....إلى آخر القصيدة وبلغت أبياتها أربعة وعشرين بيتاً .[٢]

٧. **نظم لابن المبارك في التحذير من أهل البدع:**

النظم: أخرج الهروي في ذم الكلام بسنده عن ابن المبارك قوله :

أيها الطالب علماً إئت حماد بن زيد

فخذ العلم بحلم ثم قيده بقيد

ودع البدعة من آثار عمر بن عبيد[٣]

٨. **نظم لعبد الله بن مصعب في ذم البدع وأهلها (ت ١٨٤هـ):**

ترجمة موجزة للناظم[٤]:هو عبد الله بن مصعب بن ثابت ابن الخليفة عبد الله بن الزبير بن العوام روى عن موسى بن عقبه وأبي حازم وهشام بن عروة وعنه ابنه وهشام بن يوسف وغيرهما ،كان جميلاً محتشماً فصيحاً مفوهاً وافر الجلالة محمود الولاية وكان

---

(١) الإبانة لابن بطة (القسم الثالث ٢/ ٢٩١)، ووردت كاملة في الإبانة نفس المصدر ص٢٨٥، وذكر الدكتورالبصيري في كتابه فصائد مختارة ص٧ أنها لاتصح لأن ابن المبارك توفي قبل الفتنة ولم يدرك فتنة خلق القرآن ، وعندي أن الأبيات ليس فيها ما يدل صراحة على التعريض بفتنة القول بخلق القرآن.

(٢) خلق أفعال العباد ص١٥ ، السير (٨/ ٤١٣)، ووردت كاملة في ديوان ابن المبارك وهي في كتاب قصائد مختارة في العقيدة ص٥-٧ للدكتور عبدالله محمد البصيري .

(٣) ذم الكلام للهروي (٤/ ٢٢٠).

(٤) السير (٨/ ٥١٧) ، تاريخ بغداد (١٠/ ١٧٣)

أميراً على اليمن والمدينة ،وكان يحبه المهدي ويحترمه وكانت وفاته سنة أربع وثمانين ومائة.

النظم:أخرج الهروي في ذم الكلام بسنده عن عبد الله بن مصعب قوله:

ترى المرء يعجبه أن يقـــول   وأسلم للمرء أن لا يقـول
فأمسك عليك فضول الكلام   فأن لكل كلام فضــولا
ولا تصحبن أخــــا بـدعة   ولا تسـمعن له الدهر قيلا
فإن مقالتهم كالظــــــلال   يوشـك أفياؤها أن تزولا
وقد أحكم الله آيــــــاته   وكان الرسول عليها دليلا
وأوضح للمسلمين السـبيل   فلا تتبعن سواها سبيلا [(١)]

٩. العقيا.ة الشيبانية لمحمد بن الحسن الشيباني (ت١٨٩هـ):

النظم :وهي عبارة عن قصيدة من تسعة وسبعين بيتاً من الشعر ، وشكك سزكين في نسبتها للمصنف ولا أدري لماذا ، ولها شروح ، والقصيدة لها نسخ خطية كثيرة

ومن شروحها : بديع المعاني في شرح عقيدة الشيباني لمحمد بن عبد الله بن عجلون ، بيان المعاني في عقيد الشيباني لعلوان على بن عطية الحموي، وبديع المعاني لبيان عقيدة الشيباني لأبي محمد بن علان الصديقي الشافعي المكي .[(٢)]

١٠. نظم للشافعي (ت ٢٠٤)في ذم علم الكلام:

النظم:أخرج الهروي في ذم الكلام عن الربيع قوله: أنشدنا الشافعي في ذم الكلام:

لم يبرح الناس حتى أحدثوا بدعاً   في الدين بالرأي لم تبعث بها الرسل
حتى استخف بدين الله أكثرهم   وفي الذي حُمِّلوا من حقه شغل " أ.هـ.[(٣)]

---

(١) ذم الكلام للهروي (٤/ ٣٧١).

(٢) ذكر سزكين(١/ ٣/ ٧٣-٧٤) بعض النسخ لها ، وزاد بعض النسخ للقصيدة وشروحها صاحب الاستدراكات على سزكين (٣/ ٣١-٣٧) .

(٣) ذم الكلام للهروي (٤/ ٣١٠).

١١. نظم للشافعي (ت٢٠٤هـ) في القدر :

النظم :أخرج البيهقي بسنده عن الربيع قال: سئل الشافعي عن القدر فقال:

ما شئت كان وإن لم أشــأ وما شئت إن لم تشأ لم يكن
خلقت العباد على ما علمت ففي العلم يمضي الفتى والمسن
على ذا مننت وهــذا خذلت وهذا أعنت وذا لم تعــن
فمنهم شقي ومنهم سعيد ومنهم قبيح ومنهم حســن" أ.هـ.[١]

١٢. نظم للشافعي(٢٠٤هـ) في بعض مسائل الاعتقاد:

النظم:أخرج البيهقي بسنده عن المزني قال :أنشدني الشافعي من قيله :

شهدت بأن الله لاشيء غيره وأشهد أن البعث حق وأخلص
وأن عرى الإيمان قول مبين وفعل زكي قد يزيد وينقــص
وأن أبا بكــــر خليفة ربــه وكان أبو حفصٍ على الخير يحرص
وأشهِد ربي أن عثمان فاضل وأن علياً فضله مُتخـصِّصُ
أئمة قوم يقتدى بهداهــــم لحا الله من إياهم يتنقــص
فما لغواةٍ يشتمون سفــاهةً وما لــسفيه لا يحيص ويخرص[٢]

١٣. نظم لعلي بن بحر القطان في القرآن وأنه كلام الله (ت٢٣٤هـ):

ترجمة موجزة للناظم[٣]:هو علي بن بحر بن بريّ ، أبو الحسن القطان الفارسي البغدادي، حدث عن الداوردي وحاتم بن إسماعيل وبقية بن الوليد وعنه أبو داود والذهلي وأبو زرعة وغيرهم وثقه ابن معين وغيره وكانت وفاته سنة أربع وثلاثين ومائتين.

النظم[٤]:أورد هذه الأبيات الحاكم في تاريخ نيسابور ومما جاء فيها :

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي(١/ ٤١٣).

(٢)مناقب الشافعي للبيهقي(٢/ ٦٨) ، وأخرجه اللالكائي (٧/ ١٣٩١)ونسبه للمزني .

(٣) السير (١١/ ١٢) ،تاريخ بغداد (١١/ ٣٥٢).

(٤) انظر: المنتخب من السياق لتاريخ نيسابور ص٥٢-٥٣ ، نقلاً عن صاحب قصائد مختارة ص١٠.

يقولون مخلوق كـــــلام إلهنـــا وذلك مهجور من القول منكر
أيخلق ربي مـنه شــيئاً فخلقــه يبيد ويفنى ثم يحيى وينشـر
فما قال هذا القول أحبار من مضى ولا عالم عنه الرواية تؤثـر
فإن كان هـــذا منزل في كتابنـا أجبنا سراعاً لا نصد فنكفر
وإن كان من قول النبي محمـــد أجبنا وقلنا سنة لا تؤخـر
وإلا فما بال التقحم هكـــــذا على غير شيء يستبان ويبصر

١٤. نظم في الاعتقاد لمصعب بن عبد الله الزبيري (ت٢٣٦هـ):

النظم:أخرج اللالكائي وابن بطة وابن عبد البر بأسانيدهم إلى مصعب بن عبد الله أنه قال: "ناظرت إسحاق بن أبي إسرائيل فقال : لا أقول كذا ولا أقول غيره يعني في القرآن فناظرته فقال : لم أقل على الشك ولكني أسكت كما سكت القوم فبكى فأنشدته هذا الشعر فأعجبه وكتبه ،وهو شعر قيل من أكثر من عشرين سنة :

أأقعد بعد ما رجفت عظامي وكان الموت أقرب ما يليني
أجادل كل معترض خصيم وأجعل دينه غرضاً لديني " أ.هـ

....وذكر الأبيات وهي ما يقارب اثني عشر بيتاً .(١)

١٥. نظم لإسماعيل الترمذي في الإمام أحمد وهو في السجن:

النظم: والقصيدة فيها تقرير لعقيدة السلف بلغت ستةً وستين بيتاً ، وأخرجها ابن الجوزي بسنده عن الغسيلي قال:"أخذت هذه القصيدة من أبي بكر المرّوذي ،وذكر أن إسماعيل بن فلان الترمذي قالها ،وأنشدها في أحمد بن حنبل وهو في سجن المحنة :

تبارك من لا يعلم الغيب غـيره ومن لم يزل يثنى عليه ويذكر
علا في السموات العلى فوق عرشه إلى خلقه في البر والبحر ينظر

...."أ.هـ ثم ذكر الأبيات .(٢)

---

(١) اللالكائي (١/ ١٤٨) برقم (٣٠٨)، وابن بطة في الإبانة (٢/ ٥٤٤) تحقيق نعسان ، جامع بيان العلم وفضله لابن عبدالبر (٢/ ٩٣٦-٩٣٧) برقم (١٧٨٥).
(٢) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ص٥٧٢-٥٧٦).

١٦. نظم لعلي بن الجهم(٢٤٩هـ) في فضل العشرة المبشرين بالجنة:

ترجمة موجزة للناظم [(١)]: هو علي بن الجهم بن بدر السامي الشاعر المشهور ، له ديوان شعر مشهور وكان جيد الشعر عالماً بفنونه وكان متديناً فاضلاً ،وكانت وفاته سنة تسع وأربعين ومائتين.

النظم: أخرج اللالكائي بسند عن إبراهيم الشيرازي قال :"نزل علي بن الجهم بشيراز فقال لي : أخصك بحديث ؟فقلت افعل ، قال : قال لي المتوكل : يا علي هذا الحديث الذي يروى عن النبي ﷺ : العشرة من قريش في الجنة أي حديث هو ؟ قلت يا أمير المؤمنين أصح حديث قال : فمن رواه ؟ قلت رواه سفيان الثوري عن منصور عن هلال بن يساف بن ظالم عن سعيد بن زيد قال : قال رسول الله ﷺ :"عشرة في الجنة .." فقال : ما أحسنه قلت يا أمير المؤمنين وقد حضرني شيء فأقوله ؟ قال:قل ، فقلت :

محمد خير بني النضـــر حكاه بالعدل أبو بكـر

صديق خير الخلق لا وانيا في نصره في العسر واليسر

...ثم سرد ستة عشر بيتاً " أ.هـ.[(٢)]

١٧. نظم في الاعتقاد للحكم بن معبد الخزاعي (ت٢٩٥هـ):

النظم :أوردها أبو الشيخ الأصبهاني في طبقاته وبلغت ستة عشر بيتاً فقال أبو الشيخ:

"وكان أديباً شاعراً أنشدنا الحكم لنفسه :

منحتكم يا أهل ودي نصيحتي وإني بها في العالمين لمشـــتهر

وأظهرت قول الحق والسنة التي عن المصطفى قد صح عند بها الخبر

ألا إن خير الناس بعد محمـــد عليه السلام بالعشـــي وبالبكر

...."أ.هـ إلى آخر الأبيات .[(٣)]

---

(١) تاريخ بغداد(٣٦٧-٣٦٩) ، طبقات الحنابلة (٢/ ١٢٣) ، وفيات الأعيان(٣/ ٣٥٥

(٢) اللالكائي(٧/ ١٤١٣) برقم (٢٧٢٠).

(٣) طبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ (٤/ ٥٣).

١٨. منظومة في العقيدة لابن بنت الشافعي (٢٩٥هـ):

ترجمة موجزة للمصنف [١]: هو أحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن العباس بن عثمان بن شافع الشافعي المطلبي وهو ابن بنت الإمام الشافعي الإمام، وأمه زينب بنت الإمام الشافعي، وكنيته أبو محمد روى عن أبيه وأبي الوليد بن أبي النجار وروى عنه الإمام أبو يحيى الساجي، وكان واسع العلم جليلاً فاضلاً لم يكن من آل شافع بعد الإمام أجل منه وكانت وفاته سنة خمس وتسعين ومائتين على الراجح.

النظم: ذكر سزكين أن له عقيدةً منظومة وهو مخطوطة. [٢]

١٩. نظم لمحمد بن بشير (ت ؟) يعيب المتكلمين:

النظم: أخرج ابن بطة بسنده عن ابن بشير يعيب المتكلمين:

"يا سائلي عن مقالة الشيع وعن صنوف الأهواء والبدع

دع من يقول الكلام ناحية فما يقول الكلام ذو ورع

كل أناس بزيهم حسن ثم يصيرون بعد للشيع

أكثر ما فيه أن يقال له لم يك في قوله بمنقطع" أ.هـ [٣]

٢٠. نظم لأبي الرمة (ت؟) في ذم من يقول بخلق القرآن وذم بشر المريسي وكان يوصي به بشر بن الحارث:

النظم: أخرج ابن بطة بسنده عن أبي حفص العطار قال: " سمعت بشر بن الحارث يقول حين أنشده أبو الرمة هذا الشعر في بشر المريسي: اكتبوا هذا الشعر وتعلموه، فهو أنفع لكم من غيره وعلموه صبيانكم، ورأيت بشراً يعجبه هذا الشعر إذا أنشده:

أيها الناس فاستقيموا إلى الحق وخافوا عقوبة الرحمن

واتقوا يوماً ينجلي الأمر فيه لكم من كرامة وهوان

....." أ.هـ ثم سرد الأبيات وقد بلغت خمسة عشر بيتاً. [٤]

---

(١) تهذيب الأسماء واللغات للنووي (٢/ ٢٩٦)، طبقات الشافعية الكبرى (٢/ ١٨٦).

(٢) سزكين ١/ ٣/ ١٩٨ (بانكيبور ١٠/ ١٤٨-١٤٩ رقم ٦٤٤ (من ورقة ٣٧-٣٩) ١٠٩٣هـ.

(٣) الإبانة لابن بطة (٢/ ٥٤٥) تحقيق نعسان.

(٤) الإبانة لابن بطة القسم الثالث (٢/ ٢٩٦).

جدول بعض ما نظمه السلف في مسائل الاعتقاد

النظم والناظم	تاريخ الوفاة
أبيات للحسن البصري في التوكل	١١٠
نظم لعون بن عبد الله في ذم الإرجاء	قبل ١٢٠
نظم لابن شبرمة حول ذم الخصومات في الدين	١٤٤
أرجوزة في الصحابة والتابعين لابن المبارك	١٨١
نظم لابن المبارك حول القرآن كلام الله	١٨١
نظم لابن المبارك في ذم الرافضة ومذهب الجهم	١٨١
نظم لابن المبارك في التحذير من أهل البدع	١٨١
نظم لعبد الله بن مصعب	١٨٤
العقيدة لمحمد بن الحسن الشيباني أو العقيدة الشيبانية	١٨٩
نظم للشافعي في ذم علم الكلام	٢٠٤
نظم للشافعي في القدر	٢٠٤
نظم للشافعي في بعض مسائل الاعتقاد	٢٠٤
نظم لعلي بن بحر القطان أبو الحسن في القرآن وأنه كلام الله	٢٣٤
نظم في الاعتقاد لمصعب الزبيري	٢٣٦
نظم لإسماعيل الترمذي في الإمام أحمد وهو في السجن	٢٤١
نظم علي بن الجهم في فضل العشرة	٢٤٩
نظم للحكم بن معبد الخزاعي	٢٩٥
منظومة في العقيدة لابن بنت الشافعي	٢٩٥
نظم محمد بن بشير يعيب المتكلمين	
نظم لأبي الرمة كان يوصي به بشر بن الحارث	

الفصل الثاني

شبهات المخالفين حول تصانيف السلف ومناقشتها

ويشتمل على : تمهيد وأربعة مباحث:

المبحث الأول : شبهة إيرادهم للروايات الضعيفة الموضوعة.

المبحث الثاني : دعوى عدم عنايتهم بالأدلة العقلية.

المبحث الثالث : شبهة :أنهم لا علم لهم إلا بالرواية .

المبحث الرابع : دعوى ذكرهم للرؤى و المنامات في مصنفاتهم.

تمهيد:

لاشك أن كتب السلف لما طبقت الآفاق ؛ شرِق بها أهل البدع وأعداء الدين ، وحاولوا صد الناس عن الانتفاع بها والإطلاع عليها ،بعد أن عجزوا عن منعها وانتشارها .

وكان من وسائل الصد التي استخدموها ضد مصنفات السلف وخاصة في الاعتقاد : الطعن فيها وفي قيمتها العلمية ، وإثارة الشبهات والشكوك حولها ، والتقليل من شأنها.

وقد استجاب الجهلة ،وأصحاب الأهواء لمثل هذه الدعاوى الباطلة في القديم والحديث .

وسمعنا من يصم مصنفات السلف وكتبهم بأنها كتب تجسيم وتكفير وتبديع للمسلمين ، وأنها تقوم على غير النص الشرعي .

وكان من أبرز ما حاولوا إشاعته عند ضعاف العلم وعامة الناس بعض الشبهات الضعيفة التي يكذبها الواقع المشاهد و الأفهام السليمة والنفوس المريدة للحق والعدل .

وكان من أبرز الشبهات حول المصنفات أربع شبهات وهي :

١ -شبهة إيرادهم للروايات الضعيفة والموضوعة في مصنفاتهم .

٢-شبهة أنهم لا علم إلا بالرواية .

٣-شبهة عدم عنايتهم بالأدلة العقلية.

٤-شبهة إيرادهم الرؤى المنامات في مصنفاتهم .

وهناك كلام كثير ولو تتبع الواحد سقط كلام هؤلاء أصحاب الأهواء لضاع العمر في ذلك ، ولكن نكتفي بذكر أبرز هذه الشبهات ، وهي التي أشرنا إليها.

المبحث الأول

شبهة إيرادهم للروايات الضعيفة والموضوعة.

من نعمة الله عز وجل على أهل السنة ؛ أن أهل البدع لم يوفقوا في اختيار الشبهات التي يريدون أن يضلوا الناس بها ، فاختاروا من الشبهات ما يدل على كذبهم وفساد مذهبهم وما يدل على خلاف الواقع الذي يعرفه الخاص والعام والعالم والجاهل .

ومن هذه الشبهات التي يعرف بطلانها القريب والبعيد -وأهل البدع وأتباعهم من أعلم الناس بكذب هذه الدعوى والشبهة - : **شبهة أيراد أهل السنة للضعيف والموضوع من الحديث الشريف ضمن مصنفاتهم.**

وقد مر معنا من صور القدح في أهل السنة القدح في نقلة الحديث من الصحابة والسلف بعدهم واتهامهم بالكذب في الحديث ، وبينا كذب هذه الدعوى؛فلما أعيتهم الحيلة ادعوا أن الأحاديث التي رواها أهل السنة ضعيفة .

والذي دفع أهل البدع وأهل الأهواء إلى القول بهذه الفرية على أهل السنة أمور:

١-صراحة النصوص في بيان فساد مذهبهم وصحة مذهب أهل السنة فلجئوا إلى القدح فيها وادعاء عدم ثبوتها لصراحة معناها وعجزهم عن تأويلها وتحريفها.

٢-أن رد الحديث وادعاء ضعفه وعدم ثبوته طريقة سهلة لا تتطلب منهم كبير عناء مثل الرد على الأدلة العقلية والمعاني المستنبطة من هذه النصوص.

٣-أن ادعاء عدم ثبوت هذه الأحاديث التي يرويها أهل السنة تبعد عنهم شبهة رد النص الشرعي، وتخفي بعض زندقتهم .

٤-نشرهم هذا الادعاء والبهتان والزور على أهل السنة يشوه سمعتهم ويحط من قدر مصنفاتهم فيصدون بهذه الادعاءات الباطلة بعض الجهلة و الأغمار عن الانتفاع بها والاهتداء بها إلى الحق ، ولكن الله غالب على أمره ولو كاد الكائدون وافترى المفترون.

وقد نقل شيخ الإسلام هذه الدعوى وبين أن أهل البدع اتهموا بها أهل السنة فقال :

" ...فالذي يعيب بعض أهل الحديث وأهل الجماعة بحشو القول : إنما يعيبهم بقلة المعرفة أو بقلة الفهم ، أما الأول :فبأن يحتجوا بأحاديث ضعيفة أو موضوعة أو

بآثار لا تصلح للاحتجاج ..." أ.هـ.[١]

وقبل الشروع في إبطال هذه الشبهة لابد أن نقرر أمرين مهمين:

الأمر الأول :

أن بعض أهل السنة وهم قلة لا تكاد تذكر وقعوا في مثل ما ادعاه أهل البدع من إيراد بعض الأحاديث الضعيفة أو الموضوعة ، والحكم على مصنفات أهل السنة لا يكون بمصنفات هؤلاء بل بما كان عليه جماعة أهل السنة وسوادهم الأعظم من عدم الاحتجاج بالضعيف والموضوع في الأحكام والعقائد.

قال شيخ الإسلام :" ومن عابهم من الناس فإنما يعيبهم بهذا ، ولا ريب أن هذا موجود في بعضهم ، يحتجون بأحاديث موضوعة في مسائل الأصول والفروع ،وبآثار مفتعلة وحكايات غير صحيحة ...ثم إنهم بهذا المنقول الضعيف والمعقول السخيف قد يكفرون ويضللون ويبدعون أقواماً من أعيان الأمة ويجهلونهم ففي بعضهم من التفريط في الحق والتعدي على الخلق ما قد يكون بعضه خطأً مغفوراً،وقد يكون منكراً من القول وزوراً ، وقد يكون من البدع والضلالات التي توجب غليظ العقوبة ، فهذا لا ينكره إلا جاهل أو ظالم ، وقد رأيت من هذا عجائب، **لكنهم بالنسبة إلى غيرهم في ذلك كالمسلمين بالنسبة إلى الملل** ، ولا ريب أن في كثير من المسلمين من الظلم والجهل والبدع والفجور مالا يعلمه إلا من أحاط بكل شيءٍ علماً ،**لكن كل شر يكون في بعض المسلمين فهو في غيرهم أكثر وكل خير يكون في غيرهم فهو فيهم أعلى وأعظم ،وهكذا أهل الحديث بالنسبة إلى غيرهم**" أ.هـ.[٢]

وهذا الذي نقله شيخ الإسلام يدل على عظيم عدل أهل السنة وبيان ما لهم وما عليهم ، ولكن أهل البدع لا يعنون بهذه الشبهة أن الذي يستدل بالأحاديث الضعيفة والموضوعة هم هؤلاء القلة المخالفون لجماعة أهل السنة ،بل يطعنون في كتب أهل

---

(١) نقض المنطق لشيخ الإسلام ص٢٢، بتحقيق الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة وتصحيح الشيخ محمد الفقي ط.المكتبة العلمية –بيروت .

(٢) نقض المنطق لشيخ الإسلام ص٢٢-٢٣، وانظر :مجموع الفتاوى(٣/ ٣٧٩-٣٨٠).

السنة وأصولهم المعتمدة والتي هي مصدر للنصوص الثابتة الصحيحة في الاعتقاد .

الأمر الثاني :

أن هذه الشبهة والبهتان الذي اتهم به أهل البدع أهل السنة هم أولى به ،بل الواقع يشهد بهذا ويصدقه ،وهو أن أهل البدع من أجهل الناس بصحيح الحديث وسقيمة ، وأنهم أكثر الناس روايةً للضعيف والموضوع ويجعلوه عمدتهم في تقرير دينهم وعقيدتهم .[(١)]

وقد مر معنا في ثنايا البحث ذكر أمثلة مما يحتج به أهل البدع من الموضوعات ومالا أصل له من الروايات .

وكان من أكثر الطوائف اشتهاراً برواية المكذوبات والموضوعات هم الروافض ، ولهذا كثر كلام الأئمة حولهم ، ومن نظر في مصنفاتهم وجد من هذا شيئاً كثيراً .

يقول شيخ الإسلام :" وقد اتفق أهل العلم بالنقل والرواية والإسناد على أن الرافضة أكذب الطوائف ، والكذب فيهم قديم ، ولهذا كان أئمة الإسلام يعلمون امتيازهم بكثرة الكذب " أ.هـ.[(٢)]

ثم نقل عن السلف كلاماً كثيراً يؤكد نفس المعنى .

وبين أيضاً شيخ الإسلام أن أهل البدع ليس لهم عناية بالحديث ولا معرفة صحيحة من ضعيفة ، فقال :" ...والمعتزلة –مثل سائر الطوائف– فيهم من يكذب ، وفيهم من يصدق ، ولكن ليس لهم من العناية بالحديث ومعرفته ما لأهل الحديث والسنة فإن هؤلاء يتدينون به فيحتاجون إلى أن يعرفوا ما هو الصدق... " أ.هـ.[(٣)]

الرد على هذه الشبهة وإبطالها:

ويمكن بيان ضعف هذه الشبهة وأنها كذب وافتراء على أهل السنة بالأمور التالية :

---

(١) انظر : مجموع الفتاوى (٤/ ٩٥).

(٢) منهاج السنة (١/ ٥٩-٦٢)، وانظر: (٧/ ٤١٣).

(٣) المصدر السابق (٧/ ٣٦).

١-أن أهل السنة هم أهل الحديث وحملته :

وهم الذين دونوا السنن وميزوا صحيحة من سقيمة فهم المرجع وعليهم المعول ، والناس ما علموا صحة الحديث وضعفه إلا منهم ومن كتبهم أو ممن نقل عنهم .

فكيف يدعي مدعٍ أنهم يحتجون في دينهم وعقيدتهم بالضعيف والموضوع ، وهم الذين بينوا زيفه وميزوا بين صحيحة من سقيمة .

ويكفي في بطلان هذه الشبهة أيضاً أن يعلم أن رواة دواوين الإسلام التي عليها المعول وهي الكتب الستة بدءً بالصحيحين ثم السنن الأربعة هم أئمة السنة الذين صنفوا الكتب في الاعتقاد ، وأهل السنة هم أصحاب المسانيد الكبار التي كانت مرجعاً للناس في أمور دينهم عقائده وأحكامه وفضائله ، مثل مسند الإمام أحمد وغيرها من المسانيد؛ فكيف يقول قائل إنهم يروون الضعيف والموضوع ليحتجوا به.

ومما يزيد المسلم قناعة ببطلان وفساد هذه الشبهة : أن أئمة السنة الذين صنفوا في الاعتقاد هم الذين بينوا علل الحديث الظاهرة والخفية والناس يسألونهم عن رواة الحديث ليعرفوا الصادق من الكاذب والحافظ من الغافل كالبخاري ومسلم وابن معين والمديني وابن مهدي وغيرهم كثير.

٢-أنهم تكلموا على الأحاديث وبيان عللها وبيان حال رواتها :

ومما يبين بطلان هذه الشبهة ما هو مسطر في كتبهم ومصنفاتهم التي خصصت لمسائل الاعتقاد من الكلام على الأحاديث وبيان عللها وبيان حال رواتها ، وقد ذكرنا جملةً منها.[1]

فكيف يدعي مدعٍ أنهم رووها للاحتجاج ، فمن رواها للاحتجاج لا حاجة له في

(١) انظر كلامهم على الروايات الحديثية في بعض كتبهم في الاعتقاد: خلق أفعال العباد للبخاري ص١٦٢-١٦٣، ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٨٨) برقم (٥٨٠) ،(١/ ٣٠٩) ، تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٥٧٤)، الرد على بشر المريسي للدارمي (١/ ٤١١) ،
وانظر كلامهم على رواة الأحاديث : السنة لعبدالله (١/ ١٥٣) ، السنة لابن أبي عاصم (١/ ٥٧٦) ، الرد على بشر المريسي (١/ ٣٥٥) .

أن يبين عللها وما فيها من قوادح ويبين حال رجالها ، فيفتضح أمرها ويعلم ضعفها.

وقال ابن قتيبة :"..وقد نبهوا على الطرق الضعاف ..." أ.هـ.[١] ،ثم ذكر أمثلة لذلك .

ومن أبرز الأمثلة ما بوب به الخلال في كتابه السنة حيث قال :

"**باب بيان أحاديث ضعاف رويت عن النبي ﷺ** "[٢] ،ثم قال :

"فسر أحمد بن حنبل أحاديث ضعفها وثبت غيرها مما روي عن النبي ﷺ في ترك الخروج على السلطان وكف الدماء وإن حرموا الناس أعطياتهم" [٣]، ثم سرد هذه الأحاديث ونقل حكم الإمام أحمد على بعضها.[٤]

٣-أن كتب أهل السنة (المعتمدة لديهم)لم تذكر روايات موضوعة :

وما يذكره أهل البدع هو محض افتراء إلا ما كان ممن ذكرنا ممن لا يعتمد على كتبهم ، وإن ذكروا- وهو قليل جداً بل لا يكاد يوجد- بينوا ونبهوا على ذلك حتى لا يُغتر بذكره في كتبهم .[٥]

٤-أن ما ورد من أحاديث ضعيفة ضعفاً منجبراً- وهو أعلى رتبةً من الموضوع والمتروك- **وإيرادهم له في مصنفاتهم كان له أسباب نجملها فيما يلي :**

أ-**أنهم أوردوها بعد أن أبانوا عن إسنادها** ،وبهذا برئت ذمتهم ،ومن رام معرفة صحته من ضعفه فلينظر في رجال إسناده .

ب-**أنهم أوردوا الضعيف من باب إيراد كل ما ورد في الباب لا ليحتجوا به** ويجعلوه عمدةً لهم في الدين ، ولهذا ذكروا الأحاديث الصحيحة المرفوعة والموقوفة

(١) مختلف الحديث ص٥٣.

(٢) السنة للخلال (١/ ١٢٦).

(٣)المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق (١/ ١٢٨)برقم (٨٢) وماقبله ومابعده.

(٥) تقدم معنا أن ابن أبي عاصم أورد حديثاً موضوعاً وبين أنه غير ثابت وجعل له باباً مستقلاً كي يتنبه له :انظر السنة له (١/ ٣٨٨) برقم (٥٨٠).

والمقطوعة بل حتى ما ورد من إسرائيليات ليجمعوا كل ما ورد في الباب وكما سبق أبرزوا عن أسانيدها ولم يخفوها .

قال شيخ الإسلام –عن ما رواه أبو نعيم في الحلية من الضعيف -:" وقد روى أبو نعيم في أول "الحلية " في فضائل الصحابة ، وفي كتاب مناقب أبي بكر وعمر وعثمان وعلي أحاديث بعضها صحيحة وبعضها ضعيفة ؛بل منكرة وكان رجلاً عالماً بالحديث فيما ينقله ، **لكن هو وأمثاله يروون ما في الباب** ..." أ.هـ.(١)

ج- **إيرادهم الضعيف على سبيل الاستشهاد و الإعتضاد والتأييد لا على سبيل** الاحتجاج والاعتماد ، وهذا واضح في صنيعهم .

يقول شيخ الإسلام :"**وأهل الحديث لا يستدلون بحديث ضعيف في نقض أصل عظيم من أصول الشريعة ، بل إما في تأييده وإما في فرع من الفروع** ، وأولئك (يعني أهل البدع) يحتجون بالحدود والمقاييس الفاسدة في نقض الأصول الحقة" أ.هـ.(٢)

ولهذا النوع من ذكر الحديث الضعيف للاستشهاد والتأييد لا للاحتجاج صور :

-**منها** :عند إيراد طرق الحديث ورواياته وألفاظه فتذكر بعض الطرق الضعيفة والروايات التي تقصر عن درجة الصحيح.(٣)

-**ومنها**:إيراد الروايات الضعيفة أثناء الترجيح وليس للاحتجاج ،(وذلك بترجيح معنى على غيره ، فيما إذا عرض نص يحتمل معنيين دون ترجيح بينهما ، وورد حديث ضعيف يرجح أحدهما ، فحينئذٍ نأخذ بالمعنى الذي رجحه هذا الحديث ولو كان ضعيفاً) (٤)، ويعبرون عنه بقولهم :"إنه يصلح للترجيح" يعني

---

(١) منهاج السنة (٧/ ٣٨)، وانظر : الاستقامة (٢/ ٦٧-٦٨)، ولهذا أمثلة في كتب السنة الشاملة التي أوردت كل ماورد في مسائل الاعتقاد المختلفة كالسنة لابن أبي عاصم وغيره.

(٢) نقض المنطق ص٢٣.

(٣) انظر : تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٥٩٣ومابعدها).

(٤) الحديث الضعيف للدكتور الشيخ العلامة عبدالكريم بن عبدالله الخضير ص٣٠٤.

ليس للاحتجاج [١].

د-**يوردون الضعيف للتحذير منه ودلالة الناس على ضعفه من خلال سرد طرقه** وبيان من رواه ممن لا يعتد بحديثه.

قال ابن قتيبة:" وقد يعيبهم -يعني أهل السنة- بحملهم الضعيف وطلبهم الغرائب ، وفي الغريب الداء، **ولم يحملوا الضعيف والغريب لأنهم رأوهما حقاً بل جمعوا الغث والسمين والصحيح والسقيم ليميزوا بينهما ويدلوا عليهما ، وقد فعلوا ذلك** ..." أ.هـ.[٢]

وقال شيخ الإسلام :" وهم -يعني أهل السنة – لم يكذبوا في النقل عمن نقلوا عنه ، ولكن يكون واحد من رجال الإسناد ممن يتعمد الكذب أو يغلط ، **وهم يبلغون عمن حدثهم ما سمعوه منه ،ويروون الغرائب لتُعْرَف** ، وعامة الغرائب ضعيفة ،كما قال الإمام أحمد :" اتقوا هذه الغرائب ،فإن عامتها ضعيفة ".." أ.هـ.[٣]

وقال أيضاً-أعني شيخ الإسلام-:" وقد فعل ذلك -أي رواية الضعيف – كثير من العلماء متأولين أنهم لم يكذبوا ، وإنما نقلوا ما رواه غيرهم ، وهذا يسهل إذ رووه ليعرف أنه روي ،لا لأجل العمل به والاعتماد عليه" أ.هـ.[٤]

٥-إيرادهم الضعيف لتأييد قاعدة علمية أو معنىً لغوي أو دليلٍ عقلي :

ومن أسباب إيرادهم الضعيف في مصنفاتهم أن يذكر كمثال وشاهد لبعض القضايا العلمية لا لكونه دليلاً مستقلاً يحتج به في تقرير المسائل العقدية .

ويمكن أن نجمل صور إيرادهم الحديث الضعيف بهذه الطريقة فيما يلي :

---

(١) ممن استعمله على هذا الوجه ابن القيم في تحفة المودود بأحكام المولود ص ٧٠ تحقيق صلاح الدين مقبول ط.دار إيلاف الدولية ط.الأولى ١٤١٦هـ.

(٢) مختلف الحديث ص٥١.

(٣) منهاج السنة (٥/ ٧٩).

(٤) الاستقامة (٢/ ٦٨-٦٩).

الصورة الأولى: إيراد الضعيف كمثال لقاعدة أو كشاهدٍ لغوي :

قرر بعض أهل السنة أن المراد بنفي الإيمان عن بعض من ترك الواجبات أو ارتكب المحرمات من أهل التوحيد هو نفي حقيقته وكماله لا نفيه بالكلية .

قال أبو عبيد مقرراً هذه القاعدة :" وإن الذي عندنا في هذا الباب كله: أن المعاصي لا تزيل إيماناً ،ولا توجب كفراً ، ولكنها إنما تنفي من الإيمان حقيقته وإخلاصه الذي نعت الله به أهله ...." أ.هـ [١]، ثم ذكر ما يؤيد هذه القاعدة من الكتاب وصحيح السنة ، ثم أورد إشكالاً آخر وأجاب عنه فقال:

"فإن قال قائل : كيف يجوز أن يقال ليس بمؤمن ، واسم الإيمان غير زائل عنه؟

قيل هذا كلام العرب المستفيض عندنا غير المستنكر في إزالة العمل عن عامله إذا كان عمله على غير حقيقته ....(إلى أن قال): وقد وجدنا مع هذا شواهد لقولنا من التنزيل والسنة "أ.هـ [٢]، ثم ذكر الآيات التي تدل على هذا المعنى الذي قرره في تلك القاعدة العلمية المستنبطة من مجمل النصوص و أردفها بذكر ما صح من السنة ، وكان من ضمن ما مثل به حديث ضعيف ضعفاً منجبراً يؤيد هذا المعنى وهو قول حذيفة موقوفاً: "من تأمل خلق امرأة من وراء الثياب وهو صائم أبطل صومه " أ.هـ [٣]

الصورة الثانية :إيراد بعض الأحاديث أو الآثار الضعيفة لتأييد حجة أو دليل عقلي:

---

(١) الإيمان لأبي عبيد ص٤٠.

(٢) الإيمان لأبي عبيد مختصر اً ص٤١-٤٢.

(٣) هذا الأثر ورد مرفوعاً وموقوفاً،وأبو عبيد أورده موقوفاً ، فأما المرفوع فقد حكم الأئمة بوضعه وقد أخرجه مرفوعاً ابن عدي في الكامل (٢/ ٣٤٣) عند ترجمة الحسن بن علي العدوي فإن الآفة منه لأنه كذاب ومن شيخه كذلك، وأشار السيوطي في اللالىء إلى أنه ورد كذلك موقوفاً.انظر :اللالىء المصنوعة (٢/ ١٠٥)، الفوائد المجموعةص ٩٤.

مما أوله أهل البدع صفة الاستواء لله عز وجل وأنها بمعنى الاستيلاء وكان من أجوبة أهل السنة العقلية أن هذا يقتضي أن يكون هناك مغالب لله يريد منازعته على عرشه وهذا باطل ومما يدل على صحة هذا الدليل العقلي أنه روي أن حملة العرش ما استطاعوا حمل العرش إلا لما قالوا : (لا حول ولا قوة إلا بالله) ،وقد أورد هذا الأثر لتأييد هذه الحجة العقلية الإمام الدارمي حيث قال:

"..وقد بلغنا أنهم حين حملوا العرش وفوقه الجبار في عزته وبهائه ضعفوا عن حمله واستكانوا وجثوا على ركبهم حتى لقنوا لا حول ولا قوة إلا بالله فاستقلوا به بقدرة الله وإرادته،...." أ.هـ.(١)

ثم أورد الحديث بسنده ، وهذا الحديث أو الأثر أورده شيخ الإسلام بصيغة التمريض للإشارة إلى ضعفه. (٢)

٦-إيراد الضعيف لاشتماله على لفظة تفيد معنىً من المعاني لا يوجد صراحة بهذا اللفظ في الأحاديث الصحيحة:

وذلك أن أهل السنة يوردون الآيات والأحاديث الصحيحة الثابتة ويدللون على أصل المسألة بما صح أوثبت لكن قد توجد في بعض الروايات الضعيفة لفظة فيها زيادة إيضاح لما ثبت في النصوص الشرعية من الكتاب والسنة .

المثال على هذه الصورة:الإمام الدارمي في كتابه الرد على الجهمية :

أخرج الدارمي بسنده عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال :" أيما والدٍ جحد ولده احتجب الله منه وفضحه على رؤوس الأولين والآخرين" أ.هـ.(٣)

---

(١) الرد على بشر المريسي (١/ ٤٥٧-٤٦٠).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٣)،وأورده الطبري في تفسيره عند تفسير قوله تعالى:﴿ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذٍ ثمانية﴾ (٢٩/ ٥٩)،وأورده الذهبي في العلو ص٦٨٥ برقم (٣١٦) تحقيق د.عبدالله البراك،والأثر سنده ضعيف .

(٣) الحديث أخرجه : الدارمي في الرد على الجهمية ص١٠٢ برقم (١٦٩).وأبوداود في الطلاق-باب التغليظ في الانتفاء (٢/ ٢٧٩) برقم(٢٢٦٣).والنسائي في الطلاق -باب التغليظ في الانتفاء من الولد

وهذا الحديث فيه ضعف ذكره بعد ذكر ما يدل من القرآن على إثبات الرؤية لله عز وجل ومنها قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾[المطففين : ١٥]، فأراد أن يذكر من السنة ما يوافق لفظ هذه الآية التي فيها احتجاب الله عن بعض خلقه ، فقد عقب بعد سرد هذا الحديث بقوله :" ففي هذا الحديث دليل أنه إذا احتجب عن بعضهم لم يحتجب من بعض ..." أ.هـ.(١)

وهناك أمثلة أخرى وما ذكرنا فيه كفاية .(٢)

٧-ذكر بعض الموضوعات والمكذوبات التي يستدل بها أهل البدع والكشف عن سندها وعمن وضعها :

ومما يذكره أهل السنة في مصنفاتهم بعض ما لا يثبت من الروايات ومالا أصل له ، ما يرويه أهل البدع ويشيرون إلى من وضعه ويكشفون عن حاله للتحذير منه.

والمثال على هذه الصورة :

ما أخرجه عبد الله بن أحمد في السنة حيث قال:"حدثني أبي وقرأت عليه :نا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة أبو سعيد في سنة تسع وسبعين و مائة عن مجالد قال: قيل لعامر (يعني الشعبي) لم تقع في هذه الشيعة وإنما تعلمت منهم ؟ قال : من أيهم ؟ قالوا:الحارث الأعور ، وصعصعة بن صوحان ورشيد الهجري: فقال :(...إلى أن قال عن حال رشيد الهجري أنه قال) : أتينا حسين بن علي ﷺ بعد ما قتل علي ﷺ فقلنا استأذن لنا على أمير المؤمنين ، فقال : هو نائم وحسين يعني حسناً ،

=(٦/ ١٧٩).وابن ماجه في الفرائض -باب من أنكر ولده (٢/ ١٢٤) برقم (٢٧٧٤).والدارمي في النكاح - باب من جحد ولد وهو يعرفه (٣/ ١٤٣٧)برقم (٢٨٨٤).وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان لابن بلبان (٩/ ٤١٨)برقم (٤١٠٨).والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٠٢-٢٠٣).والبيهقي في سننه الكبرى (٧/ ٤٠٣) والبغوي في شرح السنة (٩/ ٢٧٠-٢٧١)برقم (٢٣٧٥).وضعف إسناده البوصيري .

(١) الرد على الجهمية في باب الرؤية ص١٠٣ .

(٢) انظر :تعظيم قدر الصلاة (١/ ٤٣٦)برقم (٤٤٣) .

قال : فقلنا :استأذن لنا على أمير المؤمنين وسيد المرسلين ، قال : فقال حسين : ذاك قتل ، فقلنا : إنه والله ما قتل وإنه يتنفس تنفس الحي ، ويعرق من الدثار الثقيل ، قال :أما إذ علمتم فادخلوا عليه فسلموا ولا تهيجوه" أ.هـ.(١)

وعبد الله ساق هذه القصة المكذوبة ليبين مستند الرافضة في بدعتهم المشهورة المعروفة وهي الرجعة وأن علياً لم يمت ، وأراد أن يبين أن راوي القصة اعترف بها وأن الشعبي اطلع على هذه الرواية ولهذا كان شديداً عليهم ويحذر منهم لما عرف كذبهم على صحابة رسول الله ﷺ .

وراوي القصة وهو رشيد الهجري قد اتهمه الأئمة بالوضع في الحديث :

فقال :ابن حبان :" كان يؤمن بالرجعة "وذكر هذه القصة التي اختلقها.(٢)

وقال الجوزجاني :" كذاب غير ثقة" أ.هـ.(٣)

وذكر الذهبي وابن حجر أن آخر أمره صلب وقطع لسانه .(٤)

أمثلة تطبيقية على منهج أهل السنة في إيراد الروايات الضعيفة في كتبهم :

المثال الأول : ابن أبي عاصم في السنة :

قال ابن أبي عاصم :"قال أبو إسحاق إبراهيم الحزامي، وقرأت من كتابه، ثم مزَّقه، وقال لي، واعتذر إليَّ ، حلفت أن لا أراه إلا مزقته فانقطع من طرف الكتاب عن محمد بن فليح ، عن سعيد بن الحارث عن عبد الله مُنَيْن قال: بينا أنا جالس في المسجد إذ جاءه قتادة بن النعمان فجلس فتحدث ثم ثاب إليه ناس فقال :انطلق بنا يا ابن مُنَيْن إلى أبي سعيد الخدري، فإني قد أخبرت أنه قد اشتكى قال: فانطلقنا حتى دخلنا على أبي سعيد، فوجدناه مستلقياً رافعاً إحدى رجليه على الأخرى فسلمنا وقعدنا، فرفع قتادة يدهُ فقرصه قرصةً شديدة ، قال أبو سعيد: أوجعتني، قال: ذلك أردت، ألم تسمع

---

(١) السنة لعبدالله (٢/ ٥٥٨)برقم (١٣٠٤) .وأخرجها العقيلي في الضعفاء (٢/ ٦٣)

(٢) المجروحين (١/ ٢٩٤).

(٣) المغني في الضعفاء للذهبي (١/ ٣٥٤)

(٤) الميزان (٢/ ٢٤١-٢٤٢) ، اللسان(٢/ ٤٦٠-٤٦١)، وكلاهما أوردا القصة بكاملها مع زيادات .

رسول الله ﷺ يقول: "لما قضى الله الخلق استلقى ثم وضع إحدى رجليه على الأخرى، ثم قال: لا ينبغي أن يفعل مثل هذا" قال أبو سعيد : نعم" أ.هـ[١].

ومن خلال هذا المثال يتبين لنا أمور :

الأمر الأول : أشار ابن أبي عاصم إلى استنكار الأئمة لهذا الحديث الموضوع ، بل فيه ما يفيد اعتقادهم عدم جواز رواية مثل هذه الأحاديث حيث ذكر أنه مزقه من كتابه .

الأمر الثاني : أنه أفرده بباب مستقل عن بقية الأحاديث ليتنبه له الناس ولا يغترون به .[٢]

الأمر الثالث : أنه أبان عن إسناده وعرف الناس درجته.

المثال الثاني :الدارمي في الرد على المريسي :

أورد الإمام الدارمي عددا من الآيات والأحاديث الصحيحة التي تثبت اليد لله وأورد إضافة عليها كل ما ورد في الباب وأدرج بعض الأحاديث والآثار التي لا تصح ولكن يستأنس بها ويصح معناها لما ثبت من صحيح الروايات في ذلك.[٣]

ويمكن أن نستنبط من صنيع الإمام الدارمي ما يلي :

أولاً:أنه أبرز أسانيد هذه الروايات التي فيها مقال .

ثانياً:لم يجعلها عمدته في الباب بل أورد من الآيات وما صح من الروايات أضعاف أضعاف هذه الروايات التي فيها مقال.

ثالثاً: أنه أخرها وجعلها في آخر الباب حتى يتنبه لها ويكتفي القاري

---

(١) ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٣٨٨) برقم (٥٨٠).وقال الألباني: "إسناده ضعيف، والمتن منكر، كأنه من وضع اليهود" أ.هـ، في ظلال الجنة برقم (٥٦٨). وقريب منه ما ذكره أئمة التفسير عند قوله تعالى ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [قٓ: من الآية٣٨] .قال قتادة: "قالت اليهود وعليهم لعائن الله – خلق الله السموات والأرض في ستة أيام ثم استراح في اليوم السابع وهو يوم السبت وهم يسمونه يوم الراحة فأنزل الله تكذيبهم فيما قالوه وتأولوه ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ " أ.هـ. انظر تفسير ابن كثير (٧/ ٣٢٩٧).
وقال العوَّام بن حوشب: سألت أبا مجلز عن الرجل يجلس فيضع إحدى رجليه على الأخرى فقال لا بأس به ، إنما كره ذلك اليهود زعموا أن الله خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استراح يوم السبت فجلس تلك الجلسة فأنزل الله هذه الآية" أ.هـ.أورده السيوطي في الدر المنثور (٧/ ٦١٠) وعزاه إلى الخطيب في تاريخه.

(٢) السنة لابن أبي عاصم (١/ ٣٨٨) باب رقم (١٢٣).

(٣) الرد على بشر (١/ ٢٧٦-٢٨٢).

بالصحيح الذي سبق ذكره في بداية الفصل أو الباب .

وأخيراً لابد أن نؤكد على أمرين:

الأول :أن وجود الضعيف أو الموضوع نادر في مصنفات السلف.

الثاني :أن ما ورد من ضعيف الروايات وموضوعها لم يحتجوا به بل كما ذكرنا سابقاً لأمور أخرى غير الاحتجاج وأما الحجة عندهم تكون بالقرآن وصحيح السنة .

المبحث الثاني

دعوى عدم عنايتهم بالأدلة العقلية

مما سطره السلف في كتبهم وأبدوا فيه براعة فائقة استدلالاتهم العقلية التي تميزت بميزات كثيرة عن الاستدلال العقلي عند أهل البدع .

وقد أغاض أهل البدع تقدم السلف عليهم في هذا المضمار الذي طالما تشدقوا به ، وهي -بزعمهم- البضاعة التي يحسنون صنعها ، ومع هذا كان النصر والفوز حليفاً لأهل السنة في هذا الباب.

وكان من وسائل التشنيع على أهل السنة ومما يدل على غطرستهم وغرورهم دعواهم أن أهل السنة لا يعتنون بالاستدلال العقلي ، وإنما العناية كانت لهم وهم أولوا العقول الراجحة والأفهام الثاقبة .

ولأجل هذا وصفوهم ونبزوهم بالألقاب القبيحة التي تنفر الناس عنهم مثل (الحشوية) ، و(اللفظية) ،وغير ذلك من الألفاظ.

من قال بهذه الدعوى الباطلة ضد أهل السنة:

التهمة بهذا الأمر قديم ولم يكن من المتأخرين ، إن أهل البدع لسوء أدبهم اتهموا الصحابة بعدم معرفتهم بالأدلة العقلية ،وأنهم أعلم وأحكم منهم.

وقد نقل الإمام أبو المظفر السمعاني -رحمه الله -عن أهل الكلام هذا الأمر فقال:

"سؤال من أهل الكلام: قالوا :إن قولكم إن السلف من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين رحمة الله عليهم لم يشتغلوا بإيراد دلائل العقل و الرجوع إليه في علم الدين وعدو هذا النمط من الكلام بدعة ، وكما أنهم لم يشتغلوا بهذا كذلك لم يشتغلوا بالاجتهاد في الفروع وطلب أحكام الحوادث ، ولم يرو عنهم شيء من هذه المقايسات والآراء والعلل التي وضعها الفقهاء فيما بينهم ، وإنما ظهر هذا بعد أتباع التابعين ،وقد استحسنه جميع الأمة ودونوه في كتبهم فلا ينكر أن يكون علم الكلام على ذلك ...." أ.هـ.[(١)]

فالسمعاني ذكر هذا السؤال الذي يتضمن اتهام الصحابة والتابعين بعدم عنايتهم بالأدلة العقلية .

---

(١) الحجة في بيان المحجة (١/ ٣٦١-٣٦٣).

ونقل كذلك شيخ الإسلام ابن تيمية هذه الدعوى عن أحد الفلاسفة المتكلمين وهو ابن رشد الحفيد [١] حيث قال في كتابه مناهج الأدلة-بعد أن ساق اختلاف الطوائف في الأدلة وطريقة تعاملهم معا - :" أما الفرقة التي تدعى (الحشوية) فإنهم قالوا : إن طريق معرفة وجود الله تعالى بالسمع لا العقل ، أعني أن الإيمان بوجود الذي كلف الناس التصديق به يكفي فيه السمع أن يتلقى من صاحب الشرع كما يتلقى منه أحوال العبادة وغير ذلك مما لا مدخل للعقل فيه..." أ.هـ.[٢]

وهذه الفرية التي تناقلها المتكلمون وأهل البدع ونسبوها إلى أهل السنة ونقلوها إلى طلابهم كان الهدف منها إقناع الناس بتقدم رتبتهم ومنزلتهم على أهل السنة الذين لا يعتنون بالاستدلال العقلي على حد زعمهم .

ويمكن أن نجمل الرد على هذه الدعوى والشبهة فيما يلي:

١-أن الواقع يكذب هذه الدعوى فمصنفات السلف المدونة طافحة بالاستدلال العقلي:

وقد تقدم بيان ذلك مفصلاً عندما تحدثنا عن منهج أهل السنة في الاستدلال العقلي .[٣]

وقد بينا أن السلف اعتنوا عناية فائقة بالاستدلال العقلي وكان ملخص منهجهم في هذا الاستدلال على النحو الآتي :

أ-استدلالهم العقلي مستنبط قائم على النصوص الشرعية من الكتاب

---

(١) ابن رشد الحفيد هو: أبو الوليد محمد بن أبي القاسم أحمد ين شيخ المالكية أبي الوليد محمدبن أحمد بن رشد القرطبي ،المالكي، ويعرف بـ"ابن رشد الحفيد" تمييزاً له عن جده ،وكانت ولادته قبل موت جده بشهر سنة عشرين وخمسمائة ، وتفقه وبرع في المذهب وألف في شتى الفنون ،وكان له علم بالطب ،واشتغل بالفلسفة كثيراً وخاصة كتب أرسطو ،وابن سينا ،والفارابي ،ومن مصنفاته :بداية المجتهد ،ومناهج الأدلة ،وتهافت التهافت وغيرها كثير ،كانت وفاته سنة خمس وتسعين وخمسمائة .
انظر :السير (٢١/ ٣٠٧)،شذرات الذهب (٤/ ٣٢٠).

(٢) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٢٤١)، وانظر : نقض المنطق ص ٤٧.

(٣) انظر :الباب الثاني –الفصل الأول –المبحث السادس (منهجهم في عرض الأدلة العقلية).

والسنة.[١]

ب-استخدامهم الأقيسة العقلية بأنواعها :

النوع الأول من الأدلة العقلية :استخدامهم قياس الأولى .[٢]

النوع الثاني :ضرب الأمثلة نوع من القياس العقلي.[٣]

ولم يقتصر السلف على تقرير بعض المسائل بالدليل العقلي بل تعداه إلى أكثر من ذلك وهو :

النوع الثالث:بيانهم فساد القياس والدليل العقلي الذي يستعمله أهل البدع .[٤]

النوع الرابع : استخدامهم طريقة السبر والتقسيم .[٥]

النوع الخامس:ذكرهم الإلزامات الشنيعة التي تلزم على أقوال أهل البدع .[٦]

النوع السادس :الرد على الدليل العقلي بدليل عقلي مثله .[٧]

٢-كتب الرد على أهل البدع ،في حقيقتها قائمة على الاستدلال العقلي :

من المعلوم لدى الخاص والعام كثرة مصنفات السلف في الرد على أهل البدع من الجهمية وغيرهم ، وكانت مشتهرة ومتداولة في القديم والحديث كالرد على الجهمية للإمام أحمد والدارمي ، والرد على المريسي للدارمي أيضاً وغيرها كثير .

---

(١) انظر : الإيمان لابي عبيد ص١١ ، الرد عل الجهمية للإمام أحمد ص١٣٠ ، الرد على الجهمية للدارمي ص٦٦.

(٢) انظر : الرد على الجهمية للإمام أحمد ص١٣٣-١٣٤ ، ص١٣٧، وانظر درء التعارض (٥/ ١٦٢-١٦٣) ، بيان تلبيس الجهمية (١/ ٣٢٧-٣٢٨) ،(٢/ ٥٣٥-٥٣٧).

(٣) انظر :تعظيم قدر الصلاة (٢/ ٧٤٧) ، وانظر: إعلام الموقعين (١/ ١٧٧) ، بيان تلبيس الجهمية (٢/ ٥٣٦).

(٤)انظر: الرد على الجهمية للإمام أحمد ص١٣٢-١٣٣، الرد على بشر المريسي للدارمي (١/ ٤٩٨-٤٩٩) ،(١/ ١٥٨-١٦٤) ، (٢/ ٦٩١-٦٩٢).

(٥) انظر: الحيدة للكناني ص ٨٢-٨٣ ، الرد على الجهمية للإمام أحمد ص١٣٩ .

(٦) انظر: الإيمان لابي عبيد ص٣٠ ، الرد على بشر (١/ ٢١٤) ،(١/ ١٥٨) ، خلق أفعال العباد للبخاري ص٣٥ ، ١٩٠، الرد على الجهمية للدارمي ص١٣٢ ، ١٥٤ ،

(٧) انظر: الرد على بشر المريسي (١/ ١٩٧-١٩٨).

ومن المعلوم أيضاً أن عمدة أهل البدع في مصنفاتهم ورأس مالهم هو الاستدلال العقلي وإلا فهم من أجهل الناس بالنصوص الشرعية ونادراً ما يستدلون بها وان استدلوا استدلوا بالضعيف والموضوع .

وعلى هذا فأهل السنة في كتبهم المخصصة للردود سوف يردون على حجج عقلية ولا يمكن أن يردوا على هذه الأدلة دون استخدام الأدلة العقلية ، وهذا من أقوى الأدلة التي تدل على كذب هذه الدعوى .

٣-كثرة مناظرات السلف لأهل البدع ،والمناظرة قائمة على الحجاج العقلية :

تقدم في مبحث خاص عقد لبيان منهج السلف في ذكر المناظرات في كتبهم ، وتبين لنا مدى عناية السلف بالمناظرات حتى في القرن الأول ، وكان على رأسهم بعض الصحابة كابن عباس لما ناظر الخوارج، وكالخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز لما ناظر : الخوارج والقدرية.

وكذلك وصلت إلينا بعض الكتب المصنفة الخاصة بالمناظرات كالحيدة للكناني لما ناظر بشر المريسي ، وكتاب المناظرة لجعفر الصادق مع الرافضي .

ومعلوم أن المناظرات قائمة على الحجاج العقلية المستنبطة من النصوص الشرعية .

بل إن المناظرات تحتاج إلى شخص متخصص وبارع وسريع البديهة في استحضار النصوص الشرعية والعقلية ، وقد تعرض غالب السلف لمثل هذه المناظرات وخاصة أثناء محنة القول بخلق القرآن .

٤-أن الذي نهى السلف عنه وعن العناية به ليس ذات الاستدلال العقلي ، ولكن نهوا عن طريقة أهل الكلام في الاستدلال العقلي :

وهي طريقة فاسدة قائمة على عدم احترام النص الشرعي وتقديم العقل على النقل الثابت.

قال الإمام الخطابي :" واعلم أن الأئمة الماضين والسلف المتقدمين لم يتركوا هذا النمط من الكلام ، وهذا النوع من النظر عجزاً عنه ولا انقطاعاً دونه ،وقد كانوا ذوي

عقول وافرة ، وأفهام ثاقبة ، وكان في زمانهم هذه الشبه والآراء ، وهذه النحل والأهواء ، **وإنما تركوا هذه الطريقة وأضربوا عنها لما تخوفوه من فتنتها ، وحذروه من سوء مغبتها** ....(إلى أن قال): ..**قلنا إنا لا ننكر أدلة العقول ، والتوصل بها إلى المعارف ولكنا لا نذهب في استعمالها إلى الطريقة التي سلكتموها في الاستدلال** بالأعراض ، وتعلقها بالجواهر وانقلابها فيها على حدوث العالم ، وإثبات الصانع ، ونرغب عنها إلى ما هو أوضح بياناً ، وأصح برهاناً ، وإنما هو شيء أخذتموه عن الفلاسفة ، وإنما سلكت الفلاسفة هذه الطريقة، لأنهم لا يثبتون النبوات ، ولا يرون لها حقيقة ، فكان أقوى شيء عندهم في الدلالة على إثبات هذه الأمور ما تعلقوا به من الاستدلال بهذه الأشياء "أ.هـ[1]

وقال شيخ الإسلام :"ومن العجب :أن أهل الكلام يزعمون أن أهل الحديث والسنة أهل تقليد **ليسوا أهل نظر واستدلال ، وأنهم ينكرون حجة العقل** .وربما حكى إنكار النظر عن بعض أئمة السنة ،وهذا مما ينكرونه عليهم .

فيقال لهم :ليس هذا بحق ،فإن أهل السنة والحديث لا ينكرون ما جاء به القرآن ،**هذا أصل متفق عليه بينهم**، والله قد أمر بالنظر والاعتبار والتفكر والتدبر في غير آية ،**ولا يعرف عن أحد من سلف الأمة ولا أئمة السنة وعلمائها :أنه أنكر ذلك** ،بل كلهم متفقون على الأمر بما جاءت به الشريعة ،من النظر والتفكر والاعتبار والتدبر وغير ذلك ، **ولكن وقع اشتراك في لفظ "النظر والاستدلال " ولفظ "الكلام" فإنهم أنكروا ما ابتدعه المتكلمون من باطل نظرهم وكلامهم واستدلالهم** ،فاعتقدوا أن إنكار هذا مستلزم لإنكار جنس النظر والاستدلال " أ.هـ[2] .

٥-أن بعض الناس فهم من ذم السلف الاشتغال بالكلام والحث على التمسك بنصوص الكتاب والسنة عند النزاع مع المخالف أنه ذم للاستدلال العقلي :

وهذا منشأ الخطأ والخلط عند بعض المتأخرين من أهل البدع ، كما تقدم النقل عن

---

(١) الحجة في بيان المحجة (١/ ٣٧٣-٣٧٤)بتصرف .

(٢)نقض المنطق ص٤٧ .

ابن رشد ،أنهم ظنوا أن السلف لما نهوا عن الاشتغال بعلم الكلام هو الاشتغال بالاستدلال العقلي أو أنهم لا يعتنون بالدليل العقلي .

وقد بين شيخ الإسلام هذا الأمر أوضح بيان عند رده على كلام ابن الحفيد حول اتهام السلف وأهل الحديث بأنهم لا يقولون بالاستدلال العقلي فقال :" ومما يبين ذلك أن القول الذي حكاه عنهم لا يعرف في الإسلام عالم معروف قال به، ولا طائفة معروفة قالت به ؛ ولكن قد يقول بعض العوام قولاً لا يفصح بمعناه وحجته يظن به مستمعه أنه يعتقد ذلك .

والتحقيق أن هذا النقل إنما نقلته المعتزلة ومن وافقهم عليه كهذا الرجل (يعني ابن رشد) بطريق اللزوم ، لا أنهم سمعوه منهم أو وجدوه مأثوراً عنهم ، وذلك أنهم يسمعون أهل الإيمان من أهل الحديث والسنة والجماعة والفقهاء والصوفية يقولون : الكتاب والسنة ، **وإذا تنازعوا في مسألة من موارد النزاع بين الأمة في مسائل الصفات أو القدر أو نحو ذلك قالوا: بيننا وبينكم الكتاب والسنة ، فإذا قال لهم ذلك المنازع : بيننا وبينكم العقل ، قالوا نحن ما نحكم إلا الكتاب والسنة** ، ونحو هذا الكلام الذي هو حقيقة أهل الإيمان وشعار أهل السنة والجماعة ، وحلية أهل الحديث والفقه والتصوف الشرعي .

وقالوا(أي أهل الكلام) : بموجب رأيهم : يلزم من هذا أن تكون معرفة الله تعالى لا تحصل إلا بخبر الشارع إذا لم يكن للعقل مجال في إثبات المعرفة .

وهذا جهل منهم ، وقول بلا علم ؛ فإن أحداً من هؤلاء لم يقل إن الله تعالى لا يعرف بمجرد خبر الشارع الخبر المجرد ، فإن هذا لا يقوله عاقل ؛ فإن تصديق المخبر قبل المعرفة بصدقه في قوله إنه رسول الله بدون المعرفة بأنه رسول ممتنع ، ومعرفة أنه رسول الله ممن لا يعرف أن الله موجود ممتنع .." أ.هـ.[١]

٦-أن النهي عن استعمال العقل هو: في معارضة النصوص الثابتة من الكتاب

(١) بيان تلبيس الجهمية (١/ ٢٤٥)

والسنة وليس هو في النهي عن الاستدلال العقلي :

لاشك أن مما أخطأ فيه أهل الكلام والفلسفة أنهم قدموا ما يسمونه نظراً ومعقولات على نصوص الشرع المطهر ، وهذا الذي حذر منه السلف واشتد نكيرهم فيه، ولم ينكروا الاستدلال العقلي الشرعي الذي وافق النصوص الشرعية .

قال شيخ الإسلام:" وأما ما قد يقولونه (يعني أهل السنة) من أن العقل لا مجال له في ذلك أو ينهون عن الكلام ، أو عن ما سمي معقولات ونظراً ونحو ذلك :فهذا له وجوه صحيحة ثابتة بالكتاب والسنة ؛ بل والعقل أيضاً ، وبعضهم قد لا يفرق بين ما يدخل في ذلك من حق وباطل...(إلى أن قال) : من الوجوه الصحيحة :أن ما نطق به الكتاب وبينه ، أو ثبت بالسنة الصحيحة ، أو اتفق عليه السلف الصالح فليس لأحدٍ أن يعارضه معقولاً ونظراً أو كلاماً وبرهاناً وقياساً عقلياً أصلاً ، بل كل ما يعارض ذلك فقد علم أنه باطل...." أ.هـ.(1)

٧-نهى السلف عن مخاطبة عامة الناس بما لا تبلغه عقولهم وما هو فتنة لهم :

وهذا يحصل غالباً عندما تتكلف الأدلة العقلية التي تشوش على الناس أذهانهم وتجعلهم في شك من دينهم وهذا الذي نهى عنه السلف .

يقول شيخ الإسلام :" ...وأما أن يكون الكتاب والسنة نهيا عن معرفة المسائل التي تدخل فيها يستحق أن يكون من أصول الدين فهذا لا يجوز اللهم **إلا أن ينهيا عن ذلك في بعض الأحوال مثل مخاطبة شخص بما يعجز عن فهمه فيضل** ، كقول عبد الله بن مسعود ﵁ :"ما من رجل يحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنةً لبعضهم" ، وكقول علي ﵁ :"حدثوا الناس بما يعرفون ، ودعوا ما ينكرون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله ؟ " أ.هـ ، **أو مثل قول حق يستلزم فساداً أعظم من تركه** ، فيدخل في قوله ﷺ : "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه

---

(1)المصدر السابق (1/ 247).بتصرف.

وذلك أضعف الإيمان "[١]..." أ.هـ.[٢]

ومن نظر في غالب استدلالات أهل الكلام وأهل البدع رأها تفضي في غالبها إلى مثل هذه المفاسد التي ذكرها شيخ الإسلام.

(١) الحديث أخرجه مسلم في الإيمان برقم (٤٩).
(٢) درء التعارض (١/ ٥٠).

المبحث الثالث

شبهة : أنهم لا علم لهم إلا بالرواية

وخلاصة هذه الشبهة : أن أهل السنة لا يعلمون من النصوص إلا رواية ألفاظها أما بمعرفة معانيها وما تدل عليه فهذا لا يعرفه السلف بل هو مما تميز به الخلف المتأخرون عن السلف المتقدمين –كبرت كلمةً تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً– .

قال ابن القيم –رحمه الله –:" وقال شيخنا –قدس الله روحه–: والحال في هؤلاء المبتدعة الذين فضلوا طريقة الخلف على طريقة السلف حيث **ظنوا أن طريق السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه ولا فهم لمراد الله ورسوله منها** ، واعتقدوا أنهم بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم : ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾[البقرة : ٧٨] ، وأن طريقة المتأخرين هي استخراج معاني النصوص .." أ.هـ.[1]

وهذا الظن الفاسد أدى بهم إلى مفاسد عظيمة جنوا بها على الدين أعظم جناية حيث استجهلوا السلف وجعلوا الخلف من المتكلمين أعلم بنصوص الكتاب والسنة من سلف الأمة ، واعتقدوا أن السلف لا عناية لهم إلا بحفظ الحديث ونقله وروايته فقط لا غير.

ولا شك أن هذا الكلام فهم خاطئ لمذهب السلف ولهذا من الأخطاء الشنيعة عند كثير من المتأخرين أن نسبوا بدعة التفويض[2] إلى السلف .

(١) مختصر الصواعق (١/ ٩-١٠)، وانظر نفس المعنى: مجموع فتاوى شيخ الإسلام(٥/ ٩-١٠).

(٢) التفويض : ويقال لمن قال بهذا القول مفوضة أو أصحاب التجهيل :الذين قالوا إن نصوص الصفات ألفاظ لاتعقل معانيها ولا ندري ما أراد الله ورسوله منها ، ويقال لهم : اللاأدرية .وهم على صنفين :
الأول :الذين يقولون أن المراد بها خلاف مدلولها الظاهر والمفهوم ، ولا يعرف أحد من الأنبياء والعلماء ما أراد الله بها كما لايعلمون وقت الساعة .**الثاني**:يقولون : بل تجرى على ظاهرها وتحمل على ظاهرها ، ومع هذا فلا يعلم تأويلها إلا الله حيث أثبتوا لها تأويلاً يخالف ظاهرها وقالوا –مع هذا– إنها تحمل على ظاهرها.
والفرق بينهما : أن الأول يعتقد بأن ظواهر النصوص يقتضي التشبيه فيبادرون إلى النفي ، والثاني : يعتقدون بأن الظواهر لاتقتضي التشبيه ويحكمون بوجوب إجراءها على ظواهرها لكن دون أن يبينوا المعنى الواجب فهمه من تلك الظواهر.انظر: الصواعق المرسلة (٢/ ٤٢٢) ،(٣/ ٩٢٠) ، درء التعارض (١/ ١٥-١٦)، (٧/ ٣٤-٣٥)، مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات –عرض ونقد– للشيخ الدكتور أحمد بن عبدالرحمن القاضي ص١٥٢-١٥٨ط.دار العاصمة ط.الأولى ١٤١٦هـ.

أسباب نسبة هذه الشبهة للسلف :

تقدم معنا أن خلاصة هذه الشبهة ومؤداها أن السلف على مذهب التفويض في نصوص الصفات وغيرها ، وأنهم لا يعرفون من النصوص إلا ألفاظها .

وهذه الشبهة والفرية التي أدعيت على السلف ظلماً وزوراً وبهتاناً لها أسباب :

السبب الأول : الجهل بحال السلف وعدم العناية بكتبهم وما دونوه من علم :

وهؤلاء الذين ينسبون إلى السلف هذا الأمر كان من أعظم أسباب وقوعهم في هذا الخطأ هو عدم عنايتهم بحال السلف وعملهم المدون في المصنفات ، ولو قرأوها وتدبروا ما فيها لعلموا خطأهم وضلالهم في هذا الأمر .

السبب الثاني :الافتتان بعلوم الأوائل من متفلسفة اليونان وغيرهم من الأعاجم:

ولهذا جعلوا طريقة الخلف الذين ترجموا كتب اليونان وخلطوا كفرياتهم ببعض ما جاء عند المسلمين أعلم وأحكم من طريقة السلف ، واعتقدوا جهل السلف وعدم معرفتهم بحقائق النصوص ، ولو كانوا يعرفون للسلف قدرهم ومنزلتهم ما اعتقدوا هذا الاعتقاد.

السبب الثالث :دعوى الخوف على عقائد العوام [1]:

زعم بعض المتكلمين أنه ينبغي عدم ذكر معاني الصفات لهم وما تدل عليه ويقتصر على تحذيرهم مما يظن أنه تشبيه والتفصيل يكون للعلماء وهو اللائق بهم .

وكل هذا خوفاً على عقائد العوام من أن تفسد بزعمهم ، وأن عقولهم لا تدركها.

السبب الرابع: ادعاء أهل البدع أن هذا مذهب السلف حتى يروج باطلهم ويقبل لدى الناس:

مما انتشر عند العوام أن السلف يجرون النصوص على ظواهرها ، فإذا جاء مبطل يريد تأويل الصفات وتحريفها أنكر عليه عوام الناس فضلاً عن علمائهم ، فلجئوا إلى حيلة خبيثة وهي ادعاء أن مذهب السلف هو التفويض والتجهيل ، وأرادوا بذلك

---

(١) انظر: مذهب أهل التفويض ص١٧٩-١٨٣.

الحط من قدرهم وإعلاء منزلة أسيادهم من أهل الكلام والفلسفة .

السبب الخامس : عدم فهم مراد السلف من أمرهم بإمرار نصوص الصفات على ظاهرها:

اعتقد بعض جهلة المتكلمة أن ما تواتر عن بعض السلف المتقدمين من إمرار الكلام على ظاهره في نصوص الاعتقاد ،يدل دلالة واضحة أنهم لم يكونوا على علم بمعانيها .

ولا شك أن هذا فهم خاطئ لهذه المقولة. (١)

وقد بين شيخ الإسلام بطلان هذا الاستدلال فقال :" ولو كان القوم قد أمنوا باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه –على ما يليق بالله – لما قالوا : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ،ولما قالوا : أمروها كما جاءت بلا كيف ، فإن الاستواء حينئذٍ لا يكون معلوماً بل مجهولاً بمنزلة حروف المعجم.

وأيضاً : فإنه لا يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا لم يفهم عن اللفظ معنى ؛ وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أثبتت الصفات .

وأيضاً :فإن من ينفي الصفات الخبرية أو الصفات مطلقاً لا يحتاج إلى أن يقول بلا كيف فمن قال : إن الله ليس على العرش لا يحتاج أن يقول بلا كيف فلو كان مذهب السلف نفي الصفات في نفس الأمر لما قالوا بلا كيف .

وأيضاً : فقولهم أمروها كما جاءت يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه ، فإنها جاءت ألفاظ دالة على معاني ؛ فلو كانت دلالتها منتفية لكان الواجب أن يقال : أمروا ألفاظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير المراد ؛ أو أمروا لفظها مع اعتقاد أن الله لا يوصف بما دلت عليه حقيقة ، وحينئذٍ فلا تكون قد أمرت كما جاءت ولا يقال حينئذٍ بلا كيف ؛ إذ نفي الكيف عما ليس بثابت لغو من القول" أ.هـ. (٢)

---

(١) انظر نقولاً عن السلف في هذا الأمر جمع طرفاً منها الشيخ القاضي في رسالته مذهب أهل التفويض وأفاض في الرد على من استدل بها ص٣٥٨-٣٦٣.

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٤١-٤٢).

الرد على هذه الشبهة :

ويمكن أن نلخص الرد على هذه الشبهة بما يلي :

١ -أن هذا الكلام محض افتراء على السلف ونحن نطالب أي مبتدع النقل عنهم أنهم صرحوا بعدم معرفتهم بالنصوص .

٢-أن مما يكذب هذه الدعوى واقع مصنفات السلف والتي يقرأها العام والخاص ، فهي طافحة ببيان معاني النصوص ودقيق الاستنباطات التي يعز وجودها في كتب أهل البدع .

وقد مر معنا أثناء بيان منهج السلف في تقرير مسائل الاعتقاد ما يبين هذا من الوجوه التاليه :

أ-من خلال تعليقاتهم على النصوص والذي لا علم له بمعاني النصوص كيف يعلق عليها ويذكر ما فيها من فوائد.(١)

ب-من خلال الاستنباط من مجمل النصوص والخروج بقواعد كلية .(٢)

ج- من خلال عنايتهم بالأصول الكبرى كالبعد عن الجدل والخصومات في الدين(٣)

والتمسك بالأثر ولزوم الجماعة وهذا لا يكاد يخلو مصنف من الحديث عنه وذكر ما ورد فيه من الأحاديث والآثار .

د-من خلال ربطهم القضايا الفقهية بالقضايا العقدية ، وهذا لا يتم أبداً لمن لا يعرف معاني النصوص .(٤)

---

(١) انظر : الإيمان لأبي عبيد ص١٦ ، تعظيم قدر الصلاة (١/ ٤٠١)، السنة لعبدالله (١/ ١٠٣)،(٢/ ٥١٢)، الرد على الدارمي:ص٦٩-٧٠، ص١٥٦-١٥٧، ص١٩٨-١٩٩، ٢٠٠-٢٠٧.

(٢) انظر :الإيمان لأبي عبيد ص٤٣-٤٥، خلق أفعال العباد ص٣٨ ، ص٨٥-٨٦، الرد على الجهمية ص١٨٢-١٨٣، الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد ص ١١٨-١٢٠، ص ١١٢-١١٣ .

(٣) انظر: رسالة الإمام أحمد للمتوكل ص٤٨-٤٩ ط.بتحقيق الشبل .

(٤) انظر :أصول السنة للحميدي ص٤٣ -ص٤٤ ، السنة لمحمد بن نصر المروزي ص٩٨ ، ص ١٠٤، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١٥٢،١٦٢، ١٦٩) ، خلق أفعال العباد ص٧٨، ١٥٥ ،١٥٨ ، شرح السنة للمزني ص٨٩ .

هـ- الاستدلال بالدليل الواحد على أكثر من مسألة ، وهذا يبرز عظيم فقههم وعمق فهمهم للنصوص الشرعية.[١]

و- انتقاؤهم للروايات الصريحة في المراد والدافعة لحجج أهل البدع:

فيختارون وينتقون من الروايات التي لا يستطيع أهل البدع ردها ولا تأويلها لصراحتها في المراد ، ولو كانوا لا يعرفون معاني النصوص فكيف يحصل هذا الانتقاء وهذا الاختيار الذي يدل على معرفة تامة ودراية عظيمة بمعاني النصوص.[٢]

ز- من خلال جمعهم بين الأحاديث التي ظاهرها التعارض أو الجمع بين الأدلة على اختلافها من قرآن وسنة وإجماع وآثار وعقل وغير ذلك بأنواع من الجمع وهذا الباب من أعظم الأبواب التي تبين تمام معرفتهم بالنصوص ومعانيها والإجابة عما ورد عليها من إشكالات ، بل قد صنف السلف كتباً مستقلة في هذا الباب وقد استوفينا الكلام على هذا الأمر .[٣]

ح-من خلال عناوين وتراجم الأبواب :

والتي أظهروا من خلالها براعة عجيبة في جمع الأحاديث على حسب موضوعاتها ، وجمع ما ورد في كل مسألة من مسائل الاعتقاد ، ولا يمكن لمن لا يفقه معاني النصوص أن يرتب الأحاديث على الأبواب بل يجمعه سرداً على المسانيد مثلاً ولا يتعرض لتقسيمه على الأبواب .[٤]

٣-أن أئمة السلف كانوا أئمة في العلوم المختلفة كالفقه واستنباط الأحكام الشرعية ، والتفسير ونحوها:

---

(١) انظر :خلق أفعال العباد ص١٩٣ ، ٥٣ .

(٢) انظر : السنة لابن أبي عاصم (١/ ٢١١) ، (١/ ٢٨١-٢٨٢) ، وانتقاؤه الأحاديث التي هي أشد شيء على القدرية ، الرد على الجهمية للدارمي ص١٠٣ ، وانتقاؤه الرواية المصرحة برؤية المؤمنين لربهم في الجنة بأعينهم والتي جاءت بلفظ (عياناً) ، وكذلك في السنة لعبدالله (١/ ٢٣٠).

(٣) انظر: الباب الثاني -الفصل الأول -المبحث الثالث- المطلب الرابع .

(٤) أبرز من اعتنى بالتبويب الإمام ابن أبي عاصم في السنة وقد تقدم.

مما يكذب هذه الدعوى بوضوح أن السلف في القرون الثلاثة الأولى كانوا أصحاب مدارس فقهيه مشهورة ومعروفة إلى يومنا هذا ولهم أتباع وطلاب وعلى رأسهم : الأئمة الأربعة :الإمام أحمد والشافعي ومالك وأبو حنيفة ، وكذلك الثوري والأوزاعي والطبري.

فالذي ينظر في النصوص ويعمل بالأقيسة ويستنبط منها الأحكام كيف يمكن أن يتهم بأنه لا يعرف معاني النصوص الشرعية .

وكذلك كانوا من أعلم الناس بمعاني وتفسير كتاب الله ولهذا صنفوا مصنفات سارت بها الركبان وعليها المعول في القديم والحديث في فهم كلام الله جل وعلا كالإمام أحمد والطبري وغيرهم من الأئمة .

٤-أن من حصل له قصور في علم من العلوم لا يستلزم منه أن يكون مقصراً في كل العلوم ، وكذلك إن وجد من أهل السنة من لا يفقه معاني بعض الأدلة لا يمكن أن يعمم على جميع علماء أهل السنة .

قال الإمام ابن قتيبة :"..وأما طعنهم -أي طعن أهل البدع- عليهم -أي على أهل السنة - بقلة المعرفة لما يحملون ، وكثرة اللحن والتصحيف فإن الناس لا يتساوون جميعاً في المعرفة والفضل ، وليس صنف من الناس إلا وله حشو وشوب فأين هذا العائب لهم عن الزهري أعلم الناس بكل فن ، وحماد بن سلمة ومالك بن أنس وابن عون وأيوب ويونس بن عبيد وسليمان التيمي وسفيان الثوري ويحيى بن سعيد وابن جريج والأوزاعي وشعبة وعبد الله بن المبارك وأمثال هؤلاء من المتقنين ، **على أن المنفرد بفن من الفنون لا يعاب بالزلل في غيره** ، وليس على المحدث عيب أن يزل في الإعراب ولا على الفقيه أن يزل في الشعر ،وإنما يجب على كل ذي علم أن يتقن فنه إذا احتاج الناس إليه فيه ..." أ.هـ.(١)

---

(١) مختلف الحديث ص٥٤.

٥-أن عدم الخوض فيما لا يدرك معناه من النصوص ليس مما يعاب بل مما يمدح :

قد ترد بعض النصوص ولا يفهم معناها فيجب قبولها والعمل بها -إن أمكن- وإن لم يفهم معناه ، ولا يتوقف قبولها والعمل بها على معرفة المعنى .

قال شيخ الإسلام :"...بخلاف كلام الله ورسوله ، **فإنه حق يجب قبوله وإن لم يفهم معناه، وكلام غير المعصوم لا يجب قبوله حتى يفهم معناه** " أ.هـ.[1]

وهذه قاعدة عظيمة ينبغي معرفتها فإنها الفيصل بين أهل السنة وأهل البدع .

٦-أن الاشتغال بحفظ الحديث وتدوينه وروايته أمر محمود في ذاته وإن لم يشتغل بفقه معناه :

مما شنع به أهل البدع على أهل السنة اشتغالهم بجمع الحديث وروايته وحفظه ، وأنهم لم يعتنوا بفقه النصوص ومعانيها ، ونحن نقول إن الاشتغال بعلم الحديث حفظاً وروايةً وتدويناً ولو لم يقترن ببيان معانيه وفقهه يعد منقبةً لصاحبها ، فهو مبلغ لدين الله ، وهناك من العلماء من تخصص في فقه هذه النصوص دون الاشتغال بجمعها وروايتها وحفظها وهذا أيضاً لا عيب فيه ، ومنهم من جمع بين حفظ الحديث وفقهه كالإمام أحمد والشافعي ومالك وسفيان الثوري وابن عيينة وهذا الذي عليه غالب السلف ، ولكنهم لم يعيبوا على من اقتصر على أحد العلمين وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

والذي نريد التأكيد عليه أن هذه الدعوى مع مخالفتها لواقع السلف فهي ليست عيباً ولا منقصة وصاحبها له منزلة رفيعة عند الله فقد صحت الأحاديث ببيان فضل من بلغ سنة النبيﷺ ولو لم يكن فقيهاً بمعانيها فقد قال ﷺ :" إن مثل ما بعثني الله به عز وجل من الهدى والعلم كمثل غيثٍ أصاب أرضاً فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس

(١) درء التعارض (١/ ٧٦).

فشربوا منها وسقوا وزرعوا [(١)] وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه بما بعثني الله به فعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به "[(٢)].

وقا ل ﷺ:" نضّر الله امرأً سمع منا حديثاً حفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقهٍ ليس بفقيه" أ.هـ.[(٣)]

فأثبت ﷺ في الحديث أنه رب إنسان يبلغ هذا العلم وهذه النصوص وهو لا يفهم معانيها ولم يعب عليه هذا الأمر بل دعا له بالنضارة ، ولو كان عيباً لم يثنِ عليه بهذا الفعل .

قال الخطيب البغدادي في مقدمة كتابه العظيم (شرف أصحاب الحديث) :" أما بعد: وفقكم الله لعمل الخيرات وعصمنا وإياكم من اقتحام البدع والشبهات ، فقد وقفنا على ما ذكرتم **من عيب أهل المبتدعة أهل السنن والآثار ، وطعنهم على من شغل نفسه بسماع الأحاديث ، وحفظ الأخبار** ،وتكذيبهم بصحيح ما نقله إلى الأمة الأئمة الصادقون ، واستهزائهم بأهل الحق فيما وضعه عليهم الملحدون ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [البقرة: ١٥] وليس ذلك عجيباً من متبعي الهوى ، ومن

(١) وفي رواية لمسلم والنسائي وغيرهما:(ورعوا) بغير زاي من الرعي ،وقال النووي كلاهما صحيح .أ.هـ . انظر :فتح الباري (١/ ٢١٢).

(٢) أخرجه: البخاري في العلم –باب فضل من علم وعلم برقم (٧٩).ومسلم في كتاب الفضائل برقم (٢٢٨٢) واللفظ له.

(٣) الحديث روي عن عدد من الصحابة ،وهو حديث صحيح ثابت :أخرجه عن ابن مسعود : الإمام أحمد في المسند (١/ ٤٣٧).والترمذي في كتاب العلم –باب ماجاء في الحث على تبليغ العلم برقم (٢٦٥٧).
وابن ماجه في المقدمة باب من بلغ علماً برقم (٢٤٦). والشافعي في الرسالة في باب الحجة في تثبيت خبر الواحد ص٤٠١.وابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (٢/ ١٠).وابن حبان في صحيحه كما في الإحسان لابن بلبان (١/ ٢٦٨)برقم (٦٦). وأبونعيم في الحلية (٧/ ٣٣١).والبيهقي في دلائل النبوة(٦/ ٥٤٠).والخطيب في شرف أصحاب الحديث ص١٩.تحقيق محمد سعيد خطيب .والحاكم في معرفة علوم الحديث ص٢٦٠.
وابن عبدالبرفي جامع بيان العلم وفضله(١/ ١٧٩) برقم (١٨٨) ،(١٨٩)،(١٩٠)، (١٩١).والبغوي في شرح السنة برقم (١١٢).وفي الباب عن أنس وزيد بن ثابت وجبير بن مطعم وأبي الدرداء والنعمان بن بشير وجابر بن عبدالله وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم أجمعين.

أضلهم الله عن سلوك سبيل الهدى.

ومن واضح شأنهم الدال على خذلانهم صدوفهم عن النظر في أحكام القرآن وتركهم الحجاج بآياته الواضحة البرهان واطراحهم السنن من ورائهم وتحكمهم في الدين بآرائهم ...(إلى أن قال) : فقد جعل رب العالمين الطائفة المنصورة حراس الدين ، وصرف عنهم كيد المعاندين لتمسكهم بالشرع المتين واقتفائهم آثار الصحابة والتابعين .

فشأنهم حفظ الآثار وقطع المفاوز والقفار وركوب البراري البحار في اقتباس ما شرع الرسول المصطفى ، لا يعرجون عنه إلى رأي ولا هوى ، قبلوا شريعته قولاً وفعلاً وحرسوا سنته حفظاً ونقلاً حتى ثبتوا بذلك أصلها ، وكانوا أحق بها وأهلها ، وكم من ملحد يروم أن يخلط بالشريعة ما ليس منها والله تعالى يذب بأصحاب الحديث عنها فهم الحفاظ لأركانها والقوّامون بأمرها وشأنها ، إذا صدف عن الدفاع عنها فهم دونها يناضلون ،أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون" أ.هـ. [1] باختصار.

(١) شرف أصحاب الحديث للخطيب ص٣-١٠ باختصار .

المبحث الرابع

دعوى ذكرهم للرؤى و المنامات في مصنفاتهم

مما سطره السلف في بعض مصنفاتهم ذكر بعض الرؤى والمنامات التي فيها بشارة للمؤمنين أو نذارة لمن حاد عن سبيلهم ونهج غير نهجهم .

وقد شنع بعض أهل البدع على أهل السنة أنهم يوردون الرؤى والمنامات في مصنفاتهم ، و ويرومون منه التهوين من شأنهم والتقليل من علمهم وأن غاية حجتهم الرؤى والمنامات لا الأدلة والبراهين المتنوعة وفي نهاية المطاف يريدون إبطال مذهبهم وعقيدتهم وإقناع الناس بما هم عليه من باطل .

ويمكن أن نجيب عن هذه الشبهة والدعوى الباطلة بما يلي :

١ - أن مجرد إيراد المنامات في مصنفات السلف ليس سبة أو شنعة يشنع بها عليهم ، ولكن العيب أن تجعل حجة يحتج بها ودليلاً يستدل به على دينهم وعقيدتهم وهذا ما لم يفعله السلف، ولكنهم أوردوها للاستئناس والبشارة والنذارة والتخويف، وعمدتهم الدليل الشرعي من الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة .

يقول الإمام الشاطبي :"الرؤيا من غير الأنبياء لا يحكم بها شرعاً على حال إلا أن تعرض على ما في أيدينا من الأحكام الشرعية ، فإن سوغتها عمل بمقتضاها، وإلا وجب تركها والإعراض عنها، **وإنما فائدتها البشارة أو النذارة خاصة ،وأما استفادة الأحكام فلا "** أ.هـ.(١)

ويقول العلامة الإمام المعلمي :"اتفق أهل العلم على أن الرؤيا لا تصلح للحجة وإنما هي تبشير وتنبيه وتصلح للاستئناس بها إذا وافقت حجة شرعية صحيحة" أ.هـ.(٢)

٢-أن علماء أهل السنة تواتر النقل عنهم وكلماتهم مسطرة مأثورة بأن الحجة بالدليل الشرعي وأنهم مجمعون على عدم الاحتجاج والاستدلال بالرؤى والمنامات.

يقول شيخ الإسلام :" والرؤيا المحضة التي لا دليل يدل على صحتها لا يجوز أن

(١) الاعتصام (١/ ٢٦٠).

(٢) التنكيل لما ورد في تأنيب الكوثري من الأباطيل (٢/ ٢٥٩).

يثبت بها شيء بالاتفاق " أ.هـ.(١)

ويقول الإمام ابن القيم عن رؤيا غير الأنبياء :" وأما غيرهم :فتعرض على الوحي الصريح فإن وافقته وإلا لم يعمل بها " أ.هـ.(٢)

٣-أن هذه المنامات والرؤى لا تقبل مطلقاً ولا ترد مطلقاً ، ولكن ما كان موافقاً للكتاب والسنة وما دل عليه الدليل أخذنا به وما كان مخالفاً للكتاب والسنة والدليل لم يعمل به وهذا هو الذي سار عليه السلف.

يقول شيخ الإسلام :" ..فما يروى عن الأوائل من المتفلسفة ونحوهم وما يلقى في قلوب المسلمين يقظة ومناماً ، وما دلت عليه الأقيسة العقلية الأصلية أو الفرعية وما قاله الأكابر من هذه الملة علمائها وأمرائها ؛فهذا التقليد والقياس والإلهام فيه الحق والباطل ، لا يرد كله ولا يقبل كله .....(إلى أن قال) : ثم هذه الأمور لا ترد مطلقاً لما فيها من حق موافق ، ولا تقبل مطلقاً لما فيها من الباطل ، بل يقبل منها ما وافق الحق ، ويرد منها ما كان باطلاً " أ.هـ.(٣)

٤-أن الرؤى فيها تفصيل ولا يمكن أن نعمم الحكم فيها ، وهي على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : رؤيا الأنبياء :

وهي نوع من أنواع الوحي ويجب الإيمان بها وأنها من عند الله باتفاق الأمة ؛كما أخبرنا الله عن نبيه إبراهيم عليه السلام فقال جل وعلا :﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ، فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الصافات : ١٠٢-١٠٥].

(١) مجموع الفتاوى (٢٧/ ٤٥٨).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٦٢).

(٣) مجموع الفتاوى (١٩/ ٧).

القسم الثاني : رؤيا الصحابة التي أقرها النبي ﷺ :

وهذه أيضاً تابعة لما قبلها ويحتج بها لأن إقرار النبي ﷺ نوع من أنواع التشريع الذي يجب العمل به ، ولهذا النوع أمثلة كثيرة منها :

ما جاء عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال :"رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود قلت :إنكم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون :عزير ابن الله ، قالوا : وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون :ما شاء الله وشاء محمد ، ثم مررت بنفر من النصارى فقلت :إنكم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون : المسيح ابن الله، قالوا :وأنتم لأنتم القوم لولا أنكم تقولون : ما شاء الله وشاء محمد ، فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته ، فقال :" هل أخبرت بها أحداً ؟ " قلت نعم ، قال : فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : "أما بعد، فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم ، وإنكم قلتم كلمة كان بمعنى كذا وكذا أن أنهاكم عنها ، فلا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد ، ولكن قولوا : ما شاء الله وحده" أ.هـ.(١)

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن في فتح المجيد :" قلت : وإن كانت رؤيا منام فهي وحي يثبت بها ما يثبت بالوحي أمراً ونهياً والله أعلم " أ.هـ.(٢)

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله في تيسير العزيز الحميد:" وفيه أن الرؤيا قد تكون سبباً لشرع بعض الأحكام كما في هذا الحديث " أ.هـ.(٣)

---

(١) الحديث أخرجه: ابن ماجه في أبواب الكفارات - باب النهي أن يقال ما شاء الله وشئت (١/ ٣٩٢)برقم(٢١٣٢). وأحمد في المسند(٥/ ٧٢) .والدارمي في كتاب – الاستئذان باب في النهي عن أن يقول ماشاء الله وشاء فلان(٣/ ١٧٦٩) برقم (٢٧٤١) ط.حسين سليم أسد . والحديث له شاهد من حديث حذيفة أخرجه أحمد في المسند(٥/ ٣٩٣).وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (٢/ ١٥١): "هذا إسناد صحيح رجاله ثقات على شرط مسلم"أ.هـ وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة برقم (١٣٨).

(٢) فتح المجيد (٢/ ٧٠٣)ط.بتحقيق الدكتور الفريان. والكتاب للشيخ العلامة عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ رحمه الله .

(٣) تيسير العزيز الحميد ص٦٠٦ط.المكتب الإسلامي والكتاب للشيخ العلامة المحدث سليمان بن عبدالله آل الشيخ رحمه الله .

القسم الثالث : رؤيا الصالحين بعد موته ﷺ :

وهذا الذي تقدم الكلام عنه بأنه للبشارة و النذارة لا للاحتجاج والاستدلال باتفاق علماء أهل السنة والجماعة .

٥-أن المتأمل في حقيقة الأمر يجد أن الذي أخطأ وتعدى في استعمال الرؤى والأحلام وجعلها مصدراً من مصادر التشريع هم أهل البدع وليس أهل السنة ، ونثبت هذا من كلام علماءهم ومن كتبهم ولا نتقول عليهم .

وممن اشتهر بهذا الأمر من طوائف أهل البدع هم الصوفية والرافضة فعمدتهم على الرؤى والأحلام لا على النص والدليل من كتاب أو سنة أو إجماع.

يقول الإمام الشاطبي:" وأضعف هؤلاء احتجاجا قوم استندوا في أخذ الأعمال إلى المقامات وأقبلوا وأعرضوا بسببها ،فيقولون :رأينا فلاناً الرجل الصالح ،فقال لنا: اتركوا كذا ،واعملوا كذا ،ويتفق مثل هذا كثيراً للمترسمين برسم التصوف ،وربما قال بعضهم: رأيت النبي ﷺ في النوم ،فقال لي كذا وأمرني بكذا ،فيعمل بها ويترك بها معرضاً عن الحدود الموضوعة في الشريعة "[(١)].

وقد عقد رموز التصوف في كتبهم أبواباً خاصة بالمنامات على سبيل الاحتجاج لا على سبيل الاستئناس فمن ذلك :

القشيري [(٢)] في رسالته المشهورة بالرسالة القشيرية فقد عقد باباً بعنوان :(باب رؤيا القوم)[(٣)] ، ومما جاء فيه :"وقال الكتاني :رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت :ادع الله

---

(١)الاعتصام (١/ ٢٦٠).

(٢) القشيري هو : أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن بن عبدالملك بن طلحة القشيري ، الخراساني ، النيسابوري ، الشافعي الصوفي المفسر ، صاحب الرسالة المشهورة ، وقال الخطيب البغدادي :"كتبنا عنه وكان ثقة ، وكان حسن الوعظ ، مليح الإشارة ، يعرف بالأصول على مذهب الأشعري ، والفروع على مذهب الشافعي ، وقال لي :ولدت ربيع الأول سنة ٣٧٦هـ"أ.هـ، وكانت وفاته سنة ٤٦٥هـ وقد عمر تسعين سنة .انظر : تاريخ بغداد (١١/ ٨٣) ، السير (١٨/ ٢٢٧)

(٣)الرسالة القشيرية ص١٧٥للقشيري ط.دار الكتاب العربي –بيروت وبهامشها تعليقات زكريا الأنصاري.

أن لا يميت قلبي فقال :قل كل يوم أربعين مرة يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت فإن الله يحيى قلبك .." أ.هـ.(١)

ويقول ابن العربي :" وإن نظرنا إليه –أي النوم – من حيث أنه انقطاع عن عالم التصوف الأدنى مع الآدميين ، والإكباب على الدنيا ومعانيها ، وإنه إقبال على الملائكة المقربين ، وتفريغ القلب لإدراك الحقائق بطريقة الأمثال والاطلاع على ما يكون غداً رأينا أنه حياة صحيحة " أ.هـ.(٢)

وقال بعضهم :" وإذا أمره –يعني النبي ﷺ في المنام- أو نهاه عن نهي فإن كان في الصورة المنعوت بها ﷺ **فما أمره به في النوم كأمره في اليقظة وأنه يتبع وذلك ما نهى عنه** " أ.هـ.(٣)

وقال بعض المتصوفة المتأخرين :"أنه رأى النبي ﷺ في المنام فقال له يا رسول الله التنباك حلال أم حرام فالتفت إلى عائشة وهي بجنبه فقال : لو شربته هذه لما قاربتها ثلاثاً قال الرائي فحدثت نفسي أن أقول له هل قد حرمته في الشريعة ففي أي موضع من مواضع الحديث فأنسيت في الحال"ثم عقب الذي نقل القصة بقوله :"فانظر إلى هذا الذي لو شربته عائشة أم المؤمنين لما قاربها رسول الله ﷺ فأي داهية أعظم مما يترتب على شربه عدم قرب رسول الله ﷺ لزوجته أم المؤمنين وأي تعريض بتحريمه أعظم من هذا ومن **رأى النبي ﷺ فقد رآه حقاً ومن رآه مناماً فكأنما رآه يقظة** والسلام على من اتبع الهدى" أ.هـ.(٤)

---

(١)الرسالة القشيرية ص١٧٧.

(٢) قانون التأويل لأبي بكر بن العربي ص٢٦٥ تحقيق محمد السليماني ط.دار القبلة –جدة ، وط.مؤسسة علوم القرآن –بيروت ط.١٤٠٦هـ.

(٣) نقل عن أحمد بن أدريس هذا الكلام النبهاني في كتابه سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين ص٤٦٩ط.

(٤) المصدر السابق ، وللاستزادة انظر : المصادر العامة للتلقي عند الصوفية للشيخ صادق سليم صادق ص٣٠٩-٣١٢ ط.مكتبة الرشد –الرياض ط.الأولى سنة ١٤١٥هـ.

وكتب الصوفية طافحة بمثل هذا الهذيان والخرافات ، وفيه أعظم دلالة على أن أهل البدع يرمون أهل السنة بما وقعوا فيه وهم أولى الناس بما اتهموا به أهل السنة .

فهم كما قال القائل :"رمتني بدائها وانسلتي ".

٦-أن الواقع العملي لكتب أهل السنة يكذب هذه الدعوى :

فكتب أهل السنة غاية ما فيها من ذكر الأحلام والرؤى هو ما فيها من تبشير للمؤمنين ونذارة وتحذير لأهل البدع المخالفين لمنهجهم ، وعادة ما يجعلونها بعد سرد الحجة والدليل من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة فتكون على سبيل الاستئناس لا على سبيل الاحتجاج.(١)

---

(١) انظر :رسالة ابراهيم الحربي في أن القرآن غير مخلوق تحقيق الشبل ص٣٢، السنة لعبدالله (١/ ٢١٨) ، كتاب ما جاء في البدع لابن وضاح ص١٥٤ ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٢/ ٣٦٣) (٤/ ٧٤٤)، (٦/ ١٠١١).

ملاحق الكتاب

تمهيد :

مما اعترضني من الأمور المشكلة في البحث أن بعض المصنفين كانت وفاته في بداية القرن الرابع وحياته كلها في القرن الثالث ، فهل أدخلهم في البحث ، وخاصة أن هناك بحث يهتم بتدوين العقيدة في القرن الرابع وما بعده [1] وهو جزما لن يهمل هؤلاء .

فعمدت إلى طريقة وسط وهي : أن أجعل هؤلاء وهم قليل في ملحق في آخر الرسالة قبل الخاتمة ويكون على النحو الآتي :

ملحق (١) : ملحق الباب الأول : سنن النسائي الكبرى والصغرى وهو تابع للتمهيد الخاص بالتعريف بالجوامع الحديثية وما تحويه من أبواب وكتب لها صلة بمسائل الاعتقاد.

ملحق (٢) : ملحق الباب الثالث : مصنفات السلف في القرون الثلاثة الأولى وأذكر فيه من توفي في بداية القرن الرابع وهم قليل جدا .

وبهذه الطريقة يظهر للقاريء أن هؤلاء ممكن أن يدخلوا ضمن علماء القرن الثالث وعلماء القرن الرابع .

الملحق (١)

ملحق الباب الأول

سنن النسائي الكبرى والصغرى (٣٠٣هـ) :

ترجمة موجزة للمصنف [2] : هو أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن على بن سنان بن بحر بن دينار النسائي ، ثم المصري الشافعي ، القاضي ، العلامة ، الإمام الحافظ ، الناقد ، الحجة ، المتقن .

---

(١) وهي أطروحة الدكتوراة للأخ الدكتور / يوسف بن على بن عبد الله الطريف بعنوان : "تدوين علم العقيدة عند أهل السنة والجماعة : مناهجه ومصنفاته – من بداية القرن الرابع إلى نهاية القرن السادس " وهو مطبوع

(٢) انظر : السيرة (١٤/ ١٢٥) ، وفيات الأعيان (١/ ٧٧) ، طبقات الشافعية الكبرى (٣/ ١٤) ، تهذيب التهذيب (١/ ٣٢-٣٤).

شيوخه وتلاميذه :

روى عن : أبي رجاء قتيبة بن سعيد ولازمه سنة وشهرين وأكثر عنه ، وروى عن إسحاق بن راهوية ، ودحيم ، وهشام بن عمار الدمشقي ، وعمرو بن على الفلاس ، وأبي كريب محمد بن العلاء ، و غيرهم كثير .

وعنه : الطبراني صاحب المعاجم ، وأبو سعيد بن يونس ، وأبو بشر الدولابي ، وأبو جعفر الطحاوي ، وأبو جعفر العقيلي ، ،أبو أحمد بن عدي ، ابن السني وغيرهم كثير .

ولد سنة خمس عشرة ومائتين تقريبا ببلدة نسا [١] .

ثناء العلماء عليه ومكانته العلمية :

قال الذهبي : " وكان من بحور العلم مع الفهم والإتقان والبصر ونقد الرجال وحسن التأليف " أ.هـ [٢]

وقال ابن الأثير : " كان شافعيا له مناسك على مذهب الشافعي ، وكان ورعا متحريا " أ.هـ [٣]

وقال على بن عمر الحافظ : " أبو عبد الرحمن مقدم على كل من يذكر بهذا العلم في زمانه " أ.هـ [٤]

وقال السبكي :" أحد أئمة الدنيا في الحديث ، والمشهور اسمه وكتابه " أ.هـ [٥]

وقال أبو الحسين بن المظفر : "سمعت مشائخنا بمصر يعترفون لأبي عبد الرحمن النسائي بالتقدم والإمامة ويصفون من اجتهاده في العبادة بالليل و النهار ومواظبته على

---

(١) نسا : هي مدينة بخرسان بينها وبين سرخس يومان ، وبينها وبين مرو خمسة أيام ، وهي مدينة وبئة جدا وقد خرج منها جماعة من أعيان العلماء من أشهرهم النسائي صاحب السنن . انظر معجم البلدان (٥/ ٣٢٥) ، الانساب للسمعاني (٥/ ٤٨٣).

(٢) السير (١٤/ ١٢٧).

(٣) جامع الأصول (١/ ١٩٦).

(٤) المصدر السابق.

(٥) طبقات الشافعية (٣/ ١٤-١٦).

الحج والجهاد وإقامته السنن المأثورة واحترازه عن مجالس السلطان وأن ذلك لم يزل دأبه إلى أن استشهد " أ.هـ[(١)]

وكانت وفاته سنة ثلاث وثلاثمائة .

كتابه السنن الكبرى [(٢)]:

وهو كتاب فريد تميز بميزات كثيرة لا توجد في غيره من الكتب الحديثية وقد أثنى عليه العلماء ثناء عاطرا فمن ذلك :

قال عبد الرحيم المكي : "مصنف النسائي أشرف المصنفات كلها وما وضع في الإسلام مثله " أ.هـ[(٣)]

ولعلو مكانة سنن النسائي عند الحفاظ أطلقوا عليها الصحيح ، قال ابن حجر : " وقد أطلق عليه اسم الصحة أبو علي النيسابوري وأبو أحمد بن عدي و أبو الحسن الدارقطني وابن منده وعبد الغني بن سعيد وأبو يعلى الخليلي وغيرهم واطلق الحاكم اسم الصحة عليه وعلى كتابي أبي دواد والترمذي.." أ.هـ[(٤)]

وقال الحاكم : " كلام النسائي على فقه الحديث كثير ومن نظر في سننه تحير في حسن كلامه " أ.هـ[(٥)]

منهجه في كتابه السنن :

من أبرز معالم منهجه في كتابه **السنن** – على وجه الاختصار والإجمال – ما يلي :

١- أنه جمع بين طريقتي البخاري ومسلم في التصنيف ، فقد جمع الأحاديث والروايات وطرقها في موضع واحد كالإمام مسلم وجعل كتبا وأبوابا

---

(١) تهذيب التهذيب (١/ ٣٣).

(٢) الكتاب حقق كرسائل علمية لنيل درجة الدكتوراة في قسم السنة وعلومها بجامعة الإمام ولم ينشر ، وقد طبع مؤخرا بتحقيق وأشراف شعيب الأرناؤوط في اثني عشر مجلدا شملت الفهارس ، ط. مؤسسة الرسالة ط. الأولى ١٤٢٢هـ

(٣) الفهرست لابن خير ص ١١٧ .

(٤) النكت على كتاب ابن الصلاح (١/ ٤١٨-٤٨٢).

(٥) السير (١٤/ ١٣٠).

رتب فيه تلك الروايات كما فعل البخاري وظهرت عنايته بالتبويب و الترتيب وإيداعه فقه الحديث في تلك التراجم والأبواب.

٢- يقدم الصحيح من الروايات ثم يردفه بما هو أقل درجة مما يستأنس به ويستشهد به وما يمكن أن يكون فيه علة كما فعل مسلم في صحيحه [(١)] .

٣- يحكم على الأحاديث في بعض المواضع ، والغالب الاكتفاء بذكر الأسانيد والتي أبانت عن علل الأحاديث وصحيح الروايات من سقيمها .

٤- طريقته في التبويب كالتالي :

أ- العنوان الجامع لأحاديث تتعلق بمسائل متعددة ككتاب الصلاة والطهارة مثلا .

ب- النوع الثاني : الترتيب الخاص بمسائل تفصيلية في الباب الواحد ، ويندر أن يذكرها بلفظ الباب ، ولكن عادة ما يقول العنوان مباشرة دون ذكر لفظ الباب.

ت- يترجم بنص آية أو بلفظ حديث في بعض المواضع كصنيع البخاري وغيره ممن صنف على الأبواب .

ث- الإتيان بعبارة تدل على محتوى الباب أو الحكم المستخرج من الحديث.

ج- جعل عنوان الترجمة بصيغة الاستفهام وهذا تقدم كثرا في صنيع الأئمة .

سنن النسائي الصغري [(٢)] (المجتبى بالباء أو المجتنى بالنون) [(٣)] :

---

(١) انظر : السنن الكبرى للنسائي (١/ ٥٠) – القسم الأول – بتحقيق الدكتور عبد العزيز المشعل – إشراف الدكتور عزت عطية (وهي رسالة علمية لنيل درجة الدكتوارة من قسم السنة لم تطبع ولم تنشر).

(٢) طبع الكتاب عدة طبعات أشهرها والمتداولة التي عليها شرح السيوطي وحاشية السندي في ثمانية أجزاء وأربعة مجلدات ، وله مصورات كثيرة ومتداولة . أما طباعته القديمة فهي كالتالي : طبع في الهند في مجلد ١٩١٩م . طبع في مصر أربع مجلدات ، وهي من أجود الطبعات . طبع في الميمنية بمصر في جزئين . طبع في الهند ١٢٩٩هـ . طبع في الهند ١٩٨٢م بتصحيح الشيخ محمد نذير حسين.

(٣) بالباء : من الاجتباء وهو الاختيار ، وبالنون من جني الثمر وقطفه .

والنسائي طبق المنهج الذي في الكبرى على السنن الصغرى ، ولكن بقي الحديث عن صحة نسبة الكتاب - أعني الصغرى - للإمام النسائي ، لأن بعض الحفاظ نفاها ولم ينسبها له فنعرض لأقوال الفريقين ونذكر الراجح :

القول الأول : من يرى أن السنن الصغرى المعروفة بالمجتبى هي انتقاء واختصار أحد طلابه وهو ابن السني وليست للنسائي ، وهذا القول جزم به الذهبي والسبكي .

قال الذهبي : " والذي و قع لنا من سننه هو الكتاب المجتنى - بالنون - منه ، انتخاب أبي بكر بن السني .. " أ.هـ(١)

وقال أيضا في ترجمة ابن السني : " كان دينا خيرا صدوقا اختصر السنن وسماه المجتبى - بالباء - .. " أ.هـ(٢)

وقال السبكي - في ترجمة ابن السني - : " .. واختصر سنن النسائي " أ.هـ(٣)

القول الثاني : وهو الذي عليه جماهير أهل العلم أن الكتاب للنسائي ، وهو اختصار منه لكتابه الكبير وابن السني راوية للكتاب ، ولهم على ذلك شواهد وأدلة :

١- قال ابن خير : " قال أبو على النسائي - رحمه الله - : كتاب الأيمان والصلح ليسا من المصنف إنما هما من كتاب المجتبى له - بالباء - في السنن المسندة لأبي عبد الرحمن النسائي اختصره من كتابه الكبير المصنف ، وذلك أن بعض الأمراء سأله عن كتابه في السنن أكله صحيح ، فقا ل : لا ، قا ل: فاكتب لنا الصحيح منه مجودا ، فصنع المجتبى من السنن ترك كل حديث أورده في السنن مما تكلم في إسناده بالتعليل .. " أ.هـ(٤)

٢- مما يدل على أنها من تأليف وانتقاء النسائي أن ابن السني راوية السنن

---

(١) السير (٣/ ١٣٣).

(٢) تذكرة الحفاظ (٣/ ٩٤٠).

(٣) طبقات الشافعية (٣/ ٣٩).

(٤) الفهرست لابن خير ص ١١٦-١١٧ ، جامع الأصول (١/ ١٩٦-١٩٧) ، وقد عقب الذهب في السير (١٤/ ١٣١) على هذا الخبر بقوله : " هذا لم يصح ، بل المجتبى اختيار ابن السني " أ.هـ

صرح في بعض المواضع [١] من السنن بأنه سمع هذه الأحاديث من النسائي فكيف يكون اختصارا ؟ .

٣- وجود السماعات على المخطوط المتصلة بالنسائي .

٤- عنوان الكتاب كما جاء في النسخ الخطية أن المؤلف النسائي – رواية ابن السني ، ولم يذكر أنه اختصاره .

٥- أن هناك زيادات في الأبواب والأحاديث في الصغرى لا توجد في الكبرى ولو كانت اختصارا من ابن السني ما جاز له التصرف وإضافة أبواب وأحاديث وهذا يخالف الأمانة العلمية المعهودة عند السلف [٢] .

ولعل هذا القول هو الأقرب وهو الراجح .

أبرز شروح سنن النسائي الصغرى (المجتبى) :

١- زهر الربى على المجتبى للسيوطي وهو مطبوع مع السنن [٣] .

٢- تعليقات السندي على السنن وهي مختصرة وهي مطبوعة مع السنن وشرح السيوطي المختصر [٤] .

٣- التعليقات السلفية للشيخ حسين محسن الأنصارى ، وهو مطبوع في الهند.

٤- الحواشي الجديدة للشيخ أبو عبد الرحمن محمد الفنجاني (ت ١٣١هـ) ولم يتمه .

٥- الإمعان في شرح سنن أبي عبد الرحمن لابن النعمة الأندلسي [٥] .

٦- شرح الحافظ محمد بن على الدمشقي (ت٧٦٥هـ) [٦] .

---

(١) من هذه المواضع انظر : الموضع الأول : السنن الصغرى (٧/ ١٩٧) كتاب الصيد – الأمر بالتسمية عند الصيد . الموضع الثاني : السنن (٨/ ٩٣) كتاب الإيمان وشرائعه – ذكر أفضل الأعمال.

(٢) انظر رسالة المشعل تحقيق النسائي الكبرى (١/ ٩١).

(٣) صرح بهذه التسمية السيوطي في مقدمة الشرح مع السنن (١/ ٢).

(٤) صرح السندي في مقدمة التعليق في السنن (١/ ٢) : بأنه تعليق لطيف لحل الألفاظ وبيان غريبها .

(٥) السير (٢٠/ ٥٨٥).

(٦) الدرر الكامنة (٤/ ٦٢).

٧- شرح لأبي العباس أحمد بن أبي الوليد بن رشد (ت٥٦٣هـ)

٨- شرح الشيخ محمد المختار الشنقيطي ولم يتمه وهو مطبوع.

وهناك شروح غيرها .

الكتب والأبواب العقدية في السنن الكبرى :

من خلال استعراضنا لكتاب السنن الكبرى نجد أن أبرز كتابين لهما علاقة بمسائل الاعتقاد هما :

١- كتاب الملائكة : وهذا الكتاب مما تميز به النسائي عن غيره من الحفاظ ممن ألفوا في الجوامع والسنن الحديثية فلا أعلم أحدا عقد كتابا خاصا بالملائكة [١].

والكتاب لا يوجد ضمن المخطوطات للكتاب الأصلي ولكنه ذكر في تحفة الأشراف أنه من الكتب الموجوده ضمن سنن النسائي الكبرى ، وقد جمع الذين حققوا النسائي الكبرى هذه الأحاديث وأضافوها للكتاب [٢].

٢- كتاب النعوت وهو في الأسماء والصفات وجعل لكل اسم أو صفة بابا مستقلا يذكر ما ورد فيه من أحاديث وآثار [٣].

الكتب والأبواب العقدية في سنن النسائي الصغرى :

أبرز كتاب في السنن للنسائي هو : (كتاب الإيمان وشرائعه) [٤]، وهذا الكتاب لم يرد في السنن الكبرى .

---

(١) انظر السنن الكبرى (١٠/ ٤١٣-٤٢٩).

(٢) انظر تصريحهم بذلك في مقدمة التحقيق (١/ ٣١-٣٢).

(٣) انظر : سنن النسائي الكبرى (٧/ ١٢٣-١٦٧) ، وقد طبع مستقلا بتحقيق الشيخ الدكتور عبد العزيز الشهوان ط.مكتبة العبيكان ، ط. الأولى ١٤١٩هـ.

(٤) سنن النسائي (٨/ ٩٣-١٢٦).

الملحق (٢)

ملحق الباب الثالث

ويشتمل هذا الملحق على نوعين من المصنفات :

النوع الأول : ما فاتني ذكه ممن عاش في القرون الثلاثة الأولى .

النوع الثاني : ممن عاش إلى بداية القرن الرابع .

وتكون هذه المصنفات مرتبة على حسب تاريخ الوفاة وتشمل التقسيم السابق للمصنفات فندخل ماكان تقريرا لمسائل الاعتقاد وما كان ردا على أهل البدع .

أبرز المصنفات الملحقة :

٣٠٦. كتاب السنة والجماعة لمحمد بن سلام البيكندي (ت ٢٢٧ هـ) :

ترجمة موجزة للمصنف [١] : هو محمد بن سلام بن الفرج ، أبو عبد الله السلمي ، مولاهم البخاري البيكندي ، روى عن ابن المبارك وسفيان بن عيينة وابن عياش وغيرهم ، وعنه البخاري والدارمي وحميد بن النضر وغيرهم وكان من أوعية العلم وأئمة الأثر ، وكان محتشما ذا أموال ، وكان له مصنفات في كل باب من العلم ، وكانت وفاته سنة سبع وعشرين ومائتين . الكتاب ذكره شيخ الإسلام ونقل منه حيث قال : " وهكذا وصف العلماء حال جهم كما قا لأبو عبد الله محمد بن سلام البيكندي شيخ البخاري في كتاب السنة والجماعة من تأليفه – ما جاء في بدو الجهمية والسمنية وكيف كان شأنهم وكفرهم بآيات الله .. " أ.هـ [٢]

٣٠٧. صفة الصراط لابن أبي الدنيا (ت ٢١٨هـ):

الكتاب: ذكره المنجد في معجم مصنفات ابن أبي الدنيا [٣] .

---

(١) انظر : السير (١٠/ ٦٢٨) ، تهذيب التهذيب (٩/ ١٨٨).

(٢) الفتاوى الكبرى (٥/ ٣٥).

(٣) معجم مصنفات ابن أبي الدنيا لصلاح الدين المنجد (مجلة اللغة العربية بدمسق جمادي الأخرة ١٣٩٤هـ ، م٣٩ (٣/ ٥٧٩-٥٩٤).

٣٠٨. صفة الميزان لابن أبي الدينا (ت ٢٨١هـ) :

الكتاب: ذكره المنجد في معجم مصنفات ابن أبي الدنيا [١].

٣٠٩. كتاب البعث والنشور لابن أبي الدنيا (ت٢٨١هـ) :

الكتاب : ذكره المنجد في معجم مصنفات ابن أبي الدنيا [٢].

٣١٠. كتاب فيه ذكر خلق آدم وخطيئته وتوبته لمحمد بن عثمان بن أبي شيبة العبسي (ت٢٩٧) :

الكتاب : ذكر في فهارس المخطوطات [٣].

٣١١. كتاب دلائل النبوة للفريابي (ت٣٠١) :

ترجمته: تقدمت .

الكتاب: مطبوع [٤].

٣١٢. كتاب القدر للفريابي (ت ٣٠١هـ) :

الكتاب: طبع مؤخرا [٥].

٣١٣. كتاب صفة المنافق وعلاماته (ت٣٠١هـ) :

الكتاب : طبع عدة مرات[٦] .

٣١٤. كتاب عصمة النبيين لأبي عثمان سعيد بن محمد الغساني (ت ٣٠٢هـ):

ترجمة موجزة للمصنف[٧] : هو سعيد بن محمد الغساني القيراواني القيراطي ، أبو عثمان

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق .

(٣) مخطوط في الظاهرية مجموع ١٩(٤٦-٥٧) انظر : تاريخ سزكين ١/ ١/ ٣٢٠.

(٤) طبع بتحقيق عامر حسن صبري ط. دار حراء بمكة المكرمة ١٤٠٦هـ.

(٥) طبع بتحقيق عبد الله بن حمد المنصور ، ط. أضواء السلف – الرياض ، ط. الأولى ١٤١٨هـ.

(٦) طبع بتحقيق بدر البدر ، دار الخلفاء ، ١٤٠٥هـ ، وطبع بتحقيق أبو عبد الرحمن المصري الأثري ، مكتبة دار الصحابة – طنطا ١٤٠٨هـ.

(٧) انظر : إنباه الرواة (٢/ ٥٣) ، السير (١٤/ ٢٠٥-٢١٤) ، العبر (١/ ٤٤٣) ، الأعلام للزركلي (٣/ ١٠٠).

ويقال له : ابن الحداد ، من أشهر علماء القيراوان في عصره ، وكان كثير الرد على أهل البدع وكثير المناظرة للمخالفين لأهل السنة ، قال عنه الذهبي : " وهو أحد المجتهدين ، وكان بحرا في الفروع ، ورأسا في لسان العرب ، بصيرا بالسنن .." أ.هـ ، وناظر المعتزلة والباطنيين العبيديين ورجع بعض أهل البدع من تأثرهم به ، وكان وفاته سنة اثنتين وثلاثمائة .

الكتاب : ذكره البغدادي والقفطي والزركلي [١].

٣١٥. كتاب الاستواء لأبي عثمان سعيد بن محمد الغساني (ت ٣٠٢ هـ) :

الكتاب : ذكره القفطي والبغدادي والزركلي [٢].

٣١٦. كتاب الرد على الملحدين لأبي عثمان سعيد الغساني (٣٠٢هـ) :

الكتاب : ذكره البغدادي [٣]

٣١٧. كتاب المقالات لأبي عثمان لأبي عثمان سعيد الغساني (٣٠٢هـ) :

الكتاب : ذكره القفطي والبغدادي والزركلي ، وقال القفطي : " المقالات : رد فيه على المذاهب أجمعين " أ.هـ [٤]

٣١٨. كتاب فضائل الصحابة للنسائي (ت٣٠٣ هـ) :

الكتاب : أشار إليه الحافظ ابن حجر [٥].

٣١٩. كتاب خصائص علي رضي الله عنه للنسائي (ت٣٠٣هـ) :

الكتاب : أشار إليه الحافظ ابن حجر ، وطبع عدة مرات [٦].

---

(١) إنباه الرواه (٢/ ٥٣) ، هدية العارفين (٥/ ٣٨٩) ، الأعلام للزركلي (٣/ ١٠٠).

(٢) المصادر السابقة .

(٣) في هدية العارفين (٥/ ٣٨٤) ووهم وظنه غير الذي ذكرناه باسم سعيد وذكره باسم سعد وظنه آخر وتابعه على هذا الوهم صاحب الاستدراكات على سزكين (٣/ ٨٤).

(٤) إنباه الرواه (٢/ ٥٣) ، هدية العارفين (٥/ ٣٨٩، ٣٨٤) ، الأعلام للزركلي (٣/ ١٠٠).

(٥) أشار إليه الحافظ في التهذيب (١/ ٣٣) ، وطبع في المغرب وبيروت انظر : رسالة المشعل مقدمة تحقيقه لسنن النسائي الكبرى (١/ ٣٤).

(٦) أشار إليه الحافظ في التهذيب (١/ ٣٣) ، قدم كرسالة علمية بالجامعة الإسلامية بالمدينة ، وطبع بالقاهرة ، ط. الخيرية ١٣٠٨هـ . وانظر بقية الطبعات في المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع (٥/ ٢٣٥).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين وأشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد :

ففي نهاية البحث يمكن أن أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها في هذا البحث هي كالتالي :

١- أن قضية تدوين العلوم ظهرت عند السلف في وقت مبكر منذ عصر النبوة ، وظهر أكثر بعد القرن الأول وكان لهذا التطور عوامل عديدة .

٢- تميزت مصنفات السلف بالقوة في الحجة والرصانة في الأسلوب والدقة والعمق في الفهم واستمر هذا التميز عبر العصور إلى يومنا هذا ، وظهر أثرها على كثيرمن علماء أهل السنة ممن صنفوا في القرون المتأخرة .

٣- كان لأهل السنة منهج في تدوين علم العقيدة تمثل في أمرين رئيسيين :

أ- تدوين مسائل الاعتقاد من خلال الجوامع الحديثية .

ب- تدوين مسائل الاعتقاد من خلال مصنفات الاعتقاد المستقلة.

٤- تفنن السلف في طريقة التصنيف والترتيب وكان هذا على مراحل ، كان البداية في التصنيف الشامل دون ترتيب أو تبويب أو تميز لعلم دون علم بل كان الدين كله واحد ولم يظهر هذا التقسيم إلى فقه وعقيدة وغير ذلك إلا بعد ظهور البدع وظهور مصنفاتهم البدعية ، وعرفت مصنفات أهل السنة باسم المسانيد .

٥- أول طريقة كان فيها التصنيف على الأبواب كانت بما يسمى الجوامع وهي مرتبة على أبواب عامة وليست تفصيلية وكثر تدوين السلف للعلم بهذه الطريقة .

٦- ظهرت طريقة التبويب التفصيلي في بدايات القرن الثالث واستمرت وتطورت حتى بلغت الغاية في التفنن في الترتيب والتبويب وأبرز مصنف يمكن أن يمثل به في تلك الفترة صحيح البخاري والكتب الستة

عموما .

٧- عقد السلف أبوابا وكتبا مستقلة في مسائل الاعتقاد ضمن الجوامع الحديثية وعرضوا لجزئيات الاعتقاد من خلال تراجم الأبواب الفرعية ، وظهرت براعتهم وسعة علمهم من خلال تراجم الأبواب التي أودعوها دقيق فقهمم وعمق فهمهم .

٨- اعتنى السلف بعقد أبواب وكتب مستقلة في الرد على أهل البدع من خلال الجوامع الحديثية ، ولم يغفلوها وكان الرد مضمنا في ثنايا التراجم ومن خلال تعليقاتهم على الأبواب أو ما اندرج تحتها من أدلة .

٩- لم يحتج السلف بغير الصحيح من الروايات واطرحوا الضعيف الهالك والموضوع منها وبينوا حالها إما تصريحا وإما بإبراز أسانيدها عند إيرادها في مصنفاتهم .

١٠- اعتمد السلف في استدلالهم على الكتاب والسنة وما أجمع عليه سلف الأمة ، واستخدموا أنواعا من الاستدلال وبرعوا فيها وفاقوا فيها خصومهم من أهل البدع كالاستدلال العقلي والاستدلال باللغة والفطرة ونحوها من الأدلة .

١١- تميز منهج السلف في الاستدلال والرد على المخالفين في مسائل الاعتقاد بالشمولية والاستيعاب لأنواع الأدلة والحجج المختلفة .

١٢- برز فقه السلف وعمق فهمهم أثناء تدوينهم لمسائل الاعتقاد من خلال :

أ- تعليقات على النصوص وتراجم الأبواب.

ب- جمعهم بين الأدلة التي ظاهرها التعارض.

ت- الاستدلال العقلي.

ث- نقضهم لأصول البدع أثناء الرد عليهم .

ج- إظهارهم لتناقض أهل البدع في مصنفاتهم.

١٣- كان للسلف أسلوب أدبي في عرض مسائل الاعتقاد ولا غرابة في ذلك فهم حملة اللغة والحجة فيها ، واستفادوا هذه الروعة في البيان لاعتمادهم على نصوص الكتاب والسنة وكثرة الاطلاع عليها ومدارستها ونشرها وحفظها .

١٤- اعتنى السلف بالتدوين في العلوم كلها وكان أبرز اهتمام لهم هو فيما يخص مسائل الاعتقاد ، وظهر هذا الاهتمام من خلال كثرة مصنفاتهم في علم الاعتقاد حيث بلغت ما يزيد على ثلاثمائة مصنف .

١٥- اهتم السلف بالرد على أهل البدع حيث بلغ عدد مصنفاتهم في الرد على أهل البدع أربعة وخمسون مصنفا.

١٦- اهتم السلف بالنظم في مسائل الاعتقاد وبلغ عدد ما نظموه من أشعار سواء قصائد كاملة أو أبيات قليلة مفردة ما يقارب عشرون نظما .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الفهارس

فهارس الآيات القرآنية

الآيـــة	الصفحة	رقم الآية	السورة
﴿تلك عشرة كاملة﴾	٥١٢	١٩٦	البقرة
﴿ويسألونك عن المحيض... ﴾	٢٢	٢٢٢	البقرة
﴿ نساؤكم حرثاً لكم..﴾	٢٣	٢٢٣	البقرة
﴿حتى يبلغ الكتاب أجله﴾	١٩٩	٢٣٥	البقرة
﴿والوالدات يرضعن أولادهن...﴾	١٩٩	٢٣٣	البقرة
﴿ فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم ﴾	١٩٩	٢٦	البقرة
﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ...﴾	٢٧٣	٧٧	البقرة
﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم .... ﴾	٢٤٧	٢٢٥	البقرة
﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا﴾	٢٨٢	١٤٣	البقرة
﴿ يريد الله بكم اليسر﴾	٣٤١	١٨٥	البقرة
﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها ﴾	٣٤٧	٥٨	النساء
﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾	٣٤٨	١١	الشورى
﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك ﴾	٣٤٠	١٤٤	البقرة
﴿يتلونه حق تلاوته﴾	٤٣٤	١٢١	البقرة
﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابني﴾	٤٤٠	١٣٢	البقرة
﴿ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾	٤٧١	٢٥٥	البقرة
﴿فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم ...﴾	٥١٢	١٩٦	البقرة
﴿يتلونه حق تلاوته﴾	٥٢٩	١٢١	البقرة
﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعضٍ ....﴾	٥٢٩	٢٥٣	البقرة
﴿فلا تجعلوا لله أنداداً﴾	٥٣٦	٢٢	البقرة
﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه﴾	٥٥٨	١٢١	البقرة
﴿ولكم في القصاص حياةٌ يا أُلي الألباب﴾	٥٧١	١٧٩	البقرة
﴿وما يذّكر إلا أُولو الألباب﴾	٦٠٢	٢٧٩	البقرة
﴿ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع ﴾	٥٧١	١٧١	البقرة
﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم ..... ﴾	٥٨٣	١٤٣	البقرة
﴿والذين كفروا أولياءهم الطاغوت يخرجونهم﴾	٦٠١	٢٥٧	البقرة
﴿ يجعلون أصابعهم في آذانهم ﴾	٦٢٣	١٩	البقرة

﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾	٦٩٣	١٩	آل عمران
﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾	٦٩٣	٨٥	آل عمران
﴿والله بصير بالعباد﴾	٧٢٠	١٥	آل عمران
﴿ فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم	٧٤٥	٩٣	آل عمران
﴿بيدك الخير﴾	٧٧٦	٢٦	آل عمران
﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب ..﴾	٦١٨	١٨٧	آل عمران
﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل ...﴾	٨٧٢	٧١	آل عمران
﴿فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه ..﴾	٨٩١	٧	آل عمران
﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات﴾	٨٩١	٧	آل عمران
﴿فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾	٩٧٨	٦٤	آل عمران
﴿أفلا يتدبرون القرآن .....﴾	٧٢	٨٣	النساء
﴿ إن الله لا يغفر أن يشرك به .....﴾	٢٥٣	٤٨	النساء
﴿ فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ...﴾	٢٦٥	٥٩	النساء
﴿ أنزله بعلمه﴾	٢٧٥	١٦٦	النساء
﴿ ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم﴾	٢٧٧	٩٣	النساء
﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له ....﴾	٢٨٢	١١٥	النساء
﴿ وكان الله سميعاً بصيراً﴾	٣٣٥	١٣٤	النساء
﴿فإن تنازعتم في شيءٍ فردوه إلى الله ...﴾	٣٧٤،٣٧٧	١٥٩	النساء
﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك....﴾	٣٧٤	٦٥	النساء
﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾	٣٨٣	٤٨	النساء
﴿ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى﴾	٤٠٥	١١٥	النساء
﴿وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف أذاعوا به﴾	٤٠٠	٨٣	النساء
﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم﴾	٤٣٠	١٧١	النساء
﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها﴾	٥٠١	٥٦	النساء
﴿فإن تنازعتم في شيءٍ فردوه إلى الله﴾	٤٩٥	٥٩	النساء
﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾	٥٢٩	١٦٤	النساء
﴿ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ماتولى﴾	٥٥١	١١٥	النساء
﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك﴾	٦٤٠-٨٧٤	٦٥	النساء
﴿وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه﴾	٧٧٤	١٥٨	النساء
﴿ ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء﴾	٧٨١	٢٢-٢٣	النساء
﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾	٨٢٢،٨٧٧	١٦٤	النساء

﴿إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون﴾	٥٩٩	٥١	هود
﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾	٦١٧	١١٩	هود
﴿وكان عرشه على الماء﴾	٧٧٤	٧	هود
﴿عطاءً غير مجذوذ﴾	٨٢٥	١٠٨	هود
﴿قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فاتنا بها﴾	٩٨٩	٣٢	هود
﴿تفصيل كل شيء﴾	٢٦٨	١١١	يوسف
﴿يا أيها العزيز إن له أباً شيخاً كبيراً﴾	٥٣١	٧٨	يوسف
﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا ....﴾	٥٧١	١٠٩	يوسف
﴿لقد كان في قصصهم عبرةٌ لأولي الألباب﴾	٥٧١	١١١	يوسف
﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾	٦٠٩	٢	يوسف
﴿أكلها دائم وظلها﴾	٨٢٤	٣٥	الرعد
﴿عالم الغيب والشهادة﴾	٩٢٩	٩	الرعد
﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾	٢٨٦	٤٨	إبراهيم
﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات ..﴾	٢٨٦	٤٨-٤٩	إبراهيم
﴿رب اجعل هذا البلد آمناً﴾	٦٢٤	٣٥	إبراهيم
﴿رب اجعلني مقيم الصلاة﴾	٦٢٤	٤٠	إبراهيم
﴿ضرب الله مثلاً كلمةً طيبةً﴾	٧٠٣، ٧١٩	٢٤	إبراهيم
﴿تؤتي أكلها كل حين بأمر ربها﴾	٧٠٣	٢٥	إبراهيم
﴿مثل كلمةٍ طيبةٍ كشجرةٍ طيبة﴾	٧١٩	٢٤	إبراهيم
﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾	٢٣٩	٩٢	الحجر
﴿فوربك لنسألنَّهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾	٢٥٢	٩٢	الحجر
﴿فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون﴾	٢٥٣	٩٢	الحجر
﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾	٢٦٥	٩	الحجر
﴿رب بما أغويتني﴾	٥٩٤	٣٩	الحجر
﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾	٦٣٣	١٩	الحجر
﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾	٨٠٧	٩	الحجر
﴿تبياناً لكل شيء﴾	٢٦٨	٨٩	النحل
﴿ولله المثل الأعلى﴾	٥٧٧	٦٠	النحل
﴿قل نزله روح القدس من ربك﴾	٥٨٤	١٠٢	النحل
﴿ولله المثل الأعلى﴾	٥٨٥	٦٠	النحل
﴿لسان الذي يلحدون إليه أعجمي﴾	٦٠٩	١٠٣	النحل

﴿الرحمن على العرش استوى﴾	٨٧٣	٥	طه
﴿يعلم السر وأخفى﴾	٩٢٦	٧	طه
﴿فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى﴾	٩٨٨	٤٤	طه
﴿الرحمن على العرش استوى﴾	١١٣٨	٥	طه
﴿من ذكر من ربهم محدث﴾	٦٦١		الأنبياء
﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج ....﴾	٢٧٦	٩٦	الأنبياء
﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾	٣٣٠	٩٥	الأنبياء
﴿بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم....﴾	٤٣٣	٦٣-٦٧	الأنبياء
﴿بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا﴾	٥٢٧	٦٢-٦٧	الأنبياء
﴿وسخرنا مع داود الجبال يسبحن﴾	٥٨٣	٧٩	الأنبياء
﴿ما يأتيهم من ذكرٍ من ربهم محدثٍ﴾	٦٦٢	٢	الأنبياء
﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾	٦٦٢	٢	الأنبياء
﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾	٦٦٢	٢	الأنبياء
﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ....﴾	٨٦٣	٢٥	الأنبياء
﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث﴾	١٠٠٢	٢	الأنبياء
﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾	٥٣٠	٦٥	الحج
﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾	٥٣١	٦٥	الحج
﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾	٦٦١	٦٥	الحج
﴿إن الله بالناس لرؤوف رحيم﴾	٦٦١	٦٥	الحج
﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ...﴾	٧٠٤	٧٣-٧٤	الحج
﴿إن الله سميع بصير﴾	٧٢٠	٧٥	الحج
﴿وافعلوا الخير﴾	٧٤٥	٧٧	الحج
﴿ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنا ظالمون﴾	٢٤٦	١٠٧	المؤمنون
﴿قال اخسأوا فيها ولا تكلمون﴾	٤٤٦	١٠٨	المؤمنون
﴿قد أفلح المؤمنون﴾	٤٩٠	١١	المؤمنون
﴿ما اتخذ الله من ولدٍ وما كان معه من إلهٍ ..﴾	٥٩٢	٩١	المؤمنون
﴿تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون﴾	٧٤٣	١٠٤،١٠٥	المؤمنون
﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض﴾	٨٦٦	٧١	المؤمنون
﴿ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾	١٩٩	٢	النور
﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن﴾	٣٧٤	٦٣	النور
﴿قل ما يعبأ بكم ربي لولا دعاؤكم﴾	٢٠٩	٧٧	الفرقان

﴿ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً ﴾	٨٢٤	١٠٢	السجدة
﴿ ألم* تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين ﴾	٩٤٩	١-٢	السجدة
﴿ وما زادهم إلا إيماناً وتسليماً ﴾	٢٧٥	٢٢	الأحزاب
﴿لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم ﴾	٢٨٤	٥٤	الأحزاب
﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة ﴾	٤٣٤	٣٤	الأحزاب
﴿واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾	٥٢٩	٣٤	الأحزاب
﴿ كان بالمؤمنين رحيماً ﴾	٥٦٥	٤٣	الأحزاب
﴿فما لكم عليهن من عدة تعتدونها﴾	٥٣٥	٤٩	الأحزاب
﴿وكان بالمؤمنين رحيماً﴾	٦٦١	٤٣	الأحزاب
﴿فما لكم عليهن من عدة تعتدونها﴾	٨٣٣	٤٩	الأحزاب
﴿ وقولوا قولاً سديداً ﴾	٩٧٨	٧٠	الأحزاب
﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ..﴾	٨٦٤	٢٢-٢٣	سبأ
﴿وما تحمل من أنثى ولا تضع إلّا بعلمه ﴾	٢٧٥	١١	فاطر
﴿إن الذين يتلون كتاب الله ﴾	٤٣٤	٢٩	فاطر
﴿إن الذين يتلون كتاب الله﴾	٥٢٩	٢٩	فاطر
﴿وما يستوي الأعمى ﴾	٥٣١	١٩	فاطر
﴿ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور ﴾	٥٣٢	٢١	فاطر
﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ﴾	٧٧٤	١٠	فاطر
﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾	٥٢٨	٨٢	يس
﴿أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني﴾	٦٠٣	٢٣-٢٤	يس
﴿يس والقرآن الحكيم ﴾	٩٩٧	١-٧	يس
﴿ إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم﴾	٩٩٧	٨-٩	يس
﴿ فأغشيناهم فهم لا يبصرون وسواء عليهم﴾	٩٩٧	١٠	يس
﴿والله خلقكم وما تعملون ﴾	٢١٣	٩٦	الصافات
﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾	٢٣٩	٦١	الصافات
﴿ لمثل هذا فليعمل العاملون ﴾	٢٥٢	٦١	الصافات
﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾	٢١٣	٩٥	الصافات
﴿ فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى﴾	١٢٢٤	١٠٢،١٠٥	الصافات
﴿إن هذا إلا اختلاق﴾	٤٥٢	٧	ص
﴿لما خلقت بيدي ﴾	٧٧٦	٧٥	ص
﴿إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين ﴾	٥٩٣	٧٤	ص

﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾	٨٤٩	٢	الملك
﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به ....﴾	٨٤٩	١٣-١٤	الملك
﴿ أأمنتم من في السماء ﴾	٩١١	١٦	الملك
﴿وما يسطرون ﴾	٤٣٦	١	القلم
﴿برب المشارق والمغارب﴾	٤٧٧	٤٠	المعارج
﴿ ولا يلدوا إلَّا فاجراً كفاراً ﴾	٣٣٠	٢٧	نوح
﴿ وجعل الشمس سراجاً ﴾	٦٢٤	١٦	نوح
﴿عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً ﴾	٢٧٥	٢٦	الجن
﴿ ويزداد الذين آمنوا إيماناً ﴾	٢٧٥	٣١	المدثر
﴿إن هذا إلا قول البشر﴾	٤٥١	٢٥	المدثر
﴿سأصليه سقر﴾	٤٥٢	٢٦	المدثر
﴿إن هذا إلا قول البشر﴾	٥٢٥	٢٥	المدثر
﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾	٥٨٦	١١	المدثر
﴿ إن هذا إلا قول البشر﴾	٨٢٩	٢٥	المدثر
﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾	٨٩٣	٤٨	المدثر
﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾	٩٠٠	١١	المدثر
﴿وجوهٌ يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة ﴾	٦١٩	٣٢-٣٣	القيامة
﴿عيناً يشرب بها عباد الله ﴾	٦٦١	٦	الإنسان
﴿هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون﴾	٨٤٢	٣٥	المرسلات
﴿ هذا يوم لا ينطقون ﴾	٨٣٣	٣٥	المرسلات
﴿ وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى﴾	٨٣٣	٤٠	النازعات
﴿إن الأبرار لفي نعيم ﴾	٥٣١	١٣	الإنفطار
﴿ وإن الفجار لفي جحيم ﴾	٥٣١	١٤	الانفطار
﴿إن الأبرار لفي نعيم ﴾	٦٦١	١٣	الانفطار
﴿وإن الفجار لفي جحيم ﴾	٦٦١	١٤	الانفطار
﴿ كلا إنهم عن ربهم لمحجوبون﴾	١١٩٤	١٥	المطففين
﴿بل هو قرآن مجيد * في لوح محفوظ ﴾	٤٣٦	٢١-٢٢	البروج
﴿ بل هو قرآن مجيد * في لوحٍ محفوظٍ ﴾	٤٣٧	٢١-٢٢	البروج
:﴿والسماء والطارق ﴾	٢٩٤	١	الطارق
﴿فذكر إن نفعت الذكرى ﴾	٦٦٢	٩	الأعلى
﴿ إنما أنت مذكر ﴾	٦٦٢	٢١	الغاشية

فهرس الأحـاديث

فهـــرس الأعـــلام

فهرس الكلمات والألفاظ الغريبة

فهرس الفرق والطوائف

فهرس الأماكن والبلـدان

فهرس المراجع

١. الإبانة عن شريعة الفرق الناجية لابن بطة ،تحقيق رضا نعسان ، ط.دار الراية ط. الأولى ١٤٠٩هـ.

٢. أبجديات البحث في العلوم الشرعية لفريد الأنصاري ، ط. مطبعة النجاح – الدار البيضاء ط. الأولى ١٤١٧هـ.

٣. إبطال التأويلات لأخبار الصفات لأبي يعلى الفراء ،تحقيق ودراسة لأبي عبد الله محمد بن حمد النجدي ،ط.دار إيلاف الدولية ط.الأولى ١٤١٦هـ.

٤. أبو عبيد القاسم بن سلام ومنهجه في تقرير أنواع التوحيد والإيمان إعداد :الشيخ راجح الرجح ،إشراف :د.محمد العجلان (لم تطبع).

٥. أبوهريرة وأقلام الحاقدين بقلم عبدالرحمن الزرعي ، ط.دار الأرقم –الكويت ط.الثالثة ١٤٠٦هـ.

٦. اتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للزبيدي ،ط.دار الفكر ، مصورة بولاق.

٧. الآثار العقدية الواردة عن أئمة السنة في تاريخ بغداد إعداد:الشيخ علي بن سنوسي ، إشراف: د.سعود الصغري (لم تطبع) .

٨. أثار شيخ الإسلام وما يلحق به من أعمال بإشراف الشيخ بكر أبو زيد ، ط.دار عالم الفوائد ط.الأولى ١٤٢٢هـ.

٩. إثبات صفة العلو لابن قدامة تحقيق بدر البدر ط.الدار السلفية ط.الأولى ،١٤٠٦هـ.

١٠. أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول . د. علي عبد الرحمن العمرو ط. السادسة ١٤١٤هـ .

١١. اجتماع الجيوش الإسلامية لا بن القيم تحقيق عواد المعتق ط.الفرزدق التجارية –الرياض عام ١٤٠٨هـ.

١٢. إجماع المحدثين على عدم اشتراط العلم بالسماع في الحديث المعنعن بين المتعاصرين للشريف حاتم بن عارف العوني، ط.دار عالم الفوائد ط.الأولى ١٤٢١هـ.

١٣. أحاديث العقيدة التي يوهم ظاهرها التعارض في الصحيحين للشيخ سليمان الدبيخي، طبعة مكتبة دار البيان الحديثة ، ط.الأولى، عام ١٤٢٢هـ .

١٤. أحكام التصوير في الفقه الإسلامي " للأخ محمد بن أحمد علي واصل ط. دار طيبة .

١٥. أحكام الملل للخلال تحقيق سعيد كسروي حسن ط. دار الكتب العلمية . بيروت ط. الأولى ط. ١٤١٤هـ .

١٦. أحكام أهل الذمة لابن القيم بتحقيق د. صبحي الصالح ط. العلم للملايين ط. الثالثة ١٩٨٣م.

١٧. الأحكام في أصول الأحكام لابن حزم نشر دار الحديث ، ط.الأولى، ١٤٠٤هـ.

١٨. اختصار علوم الحديث لابن كثير تعليق الالباني ، طبعة دار العاصمة، ط. الأولى، عام ١٤١٥هـ.

١٩. آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم تحقيق عبد الغني عبد الخالق ط.مكتبة التراث الإسلامي حلب–سوريا.

٢٠. الآداب الشرعية والمنح المرعية لابن مفلح ط.مكتبة ابت تيمية –القاهرة .

٢١. الأدلة العقلية النقلية لسعود العريفي ط.دار عالم الفوائد ط.الأولى .

٢٢. إرشاد الساري للقسطلاني ،مصورة الطبعة الأميرية ببولاق ،نشر دار الباز

٢٣. إرشاد الفحول ط. دار المعرفة – بيروت ط. ١٣٩٩هـ.

٢٤. إرواء الغليل تخريج أحاديث منار السبيل للألباني ط.المكتب الإسلاميط. الثانية ١٤٠٥هـ.

٢٥. أساس البلاغة للزمخشري، ط.الهيئة المصرية للكتاب ط. الثالثة ١٩٨٥م.

أساس البلاغة للزمخشري ط. المكتبة العصرية ط. الأولى١٤١٧هـ.

٢٦. استدراكات على تاريخ التراث العربي لسزكين طبع حديثاً في دار ابن الجوزي بتقديم الشيخ بكر

أبو زيد وإعداد مجموعة من الباحثين ط.الأولى ١٤٢٢هـ.

٢٧. الاستيعاب بهامش الإصابة ، لابن عبد البر ،ط.دار الفكر.

٢٨. أسد الغابة لابن الأثير ط. دار إحياء التراث العربي ،بيروت لبنان.

٢٩. الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة للملا علي القاري ، طبعة دار الباز، تحقيق بسيوني زغلول ، ط . الأولى ، عام ١٤٠٥هـ.

٣٠. الأسماء والصفات للبيهقي تحقيق الحاشدي ط. مكتبة السوادي ط. الأولى عام ١٤١٣هـ.

٣١. الإصابة لابن حجر ط.دار الفكر .

٣٢. أصول التخريج ودراسة الأسانيد د. الطحان ط. دار القرآن الكريم بيروت ط. الثالثة ط. ١٤٠١هـ.

٣٣. الأصول التي بنى عليها المبتدعة مذهبهم في الصفات والرد عليها من كلام شيخ الاسلام ، د.عبدالقادر عطا صوفي ط.الغرباء الأثرية ط.الأولى ١٤١٨هـ.

٣٤. أصول السنة لابن زمنين بتحقيق عبد الله محمد البخاري ط. مكتبة الغرباء الأثرية ط. الأولى عام ١٤١٥هـ.

٣٥. أصول السنة للحميدي ، تحقيق مشعل الحداري، طبعة دار ابن الأثير، الكويت، ط. الأولى، عام ١٤١٨هـ.

٣٦. الأضحوية في المعاد لابن سينا تحقيق د. حسن عاصي ط. المؤسسة الجامعية – بيروت ط. الثانية ١٤٠٧هـ.

٣٧. اعتقاد الإمام الشافعي جمع أبي الحسن الهكاري (ضمن مجموع بتحقيق د. عبدالله البراك) ، طبعة دار الوطن، ط.الأولى، ١٤١٩هـ.

٣٨. اعتقادات فرق المشركين للرازي تحقيق:محمد المعتصم بالله البغدادي طبعة دار الكتاب ط. الأولى عام ١٤٠٧هـ.

٣٩. إعلام الموقعين لابن القيم تحقيق الوكيل ط. مكتبة ابن تيمية ط. ١٩٦٩م.

٤٠. الأعلام للزركلي ط. دار العلم للملايين ط. العاشرة ١٩٩٢م .

٤١. إغاثة اللهفان لابن القيم تحقيق:محمد حامد الفقي ،مكتبة الرياض الحديثة .

٤٢. اقتضاء الصراط المستقيم لشيخ الإسلام بتحقيق د. العقل ط. الرشد ط. الثالثة ١٤١٣هـ .

٤٣. ألفية العراقي ،تحقيق وتعليق الأستاذ محمود ربيع ط.عالم الكتب الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ.

٤٤. الإمام ابن ماجة وكتابة السنن للنعماني تحقيق : عبد الفتاح أبو غدة . ط. مكتبة المطبوعات الإسلامية ط. السادسة – بيروت سنة ١٤١٩هـ.

٤٥. الإمام أبو داوّد وكتابه السنن لعبد الله البراك ط.الأولى ١٤١٤هـ.

٤٦. الإمام البخاري وصحيحه د.عبد الغني عبد الخالق : ط. دار المنارة ،جدة ط.الأولى ١٤٠٥ هـ .

٤٧. الإمام الترمذي والموازنة بين جامعه وبين الصحيحين للدكتور نور الدين عتر ط.مؤسسة الرسالة ط.الثانية ١٤٠٨هـ.

٤٨. الإمام الزهري وأثره في السنة د.حارث سليمان الضاري منشورات مكتبة بسام –الموصل العراق ط.١٤٠٥هـ.

٤٩. الإمام محمد بن نصر المروزي وجهوده في بيان عقيدة السلف إعداد :موسم بن منير النفيعي ،(رسالة ماجستير في جامعة أم القرى بإشراف :د.محمد سعيد القحطاني).

٥٠. الإمام مسلم ومنهجه في صحيحه للدكتور محمد عبد الرحمن طوالية .

٥١. الإمامة لأبي نعيم للدكتور علي فقيهي ط.مكتبة جامع العلوم والحكم ط.الأولى ١٤٠٧هـ.

٥٢. الانتصار لأبي الخير العمراني ،تحقيق د. سعود الخلف ط. أضواء السلف ط. الأولى ١٤١٩هـ.

٥٣. الانتقاء في فضائل الأئمة الفقهاء لابن عبد البر ط. دار الكتب العلمية .بيروت.

٥٤. الأنساب للسمعاني بتحقيق عبد الله عمر البارودي ط. دار الكتب العلمية ط. الأولى ١٤٠٨هـ.

٥٥. إنصاف أهل السنة والجماعة ومعاملتهم لمخالفيهم لمحمد بن صالح العلي ط. دار الأندلس

الخضراء –جدة ط.الأولى ١٤١٦هـ.

٥٦. الأنوار الكاشفة لما في كتاب أضواء على السنة من الزلل والتضليل والمجازفة للمعلمي ط.عالم الكتب –بيروت ١٤٠٢هـ.

٥٧. أهل السنة والجماعة في المغرب وجهودهم في مقاومة الانحرافات العقدية لإبراهيم التهامي .

٥٨. الإيمان لابن أبي شيبة ، تحقيق الألباني ط.المكتب الإسلامي ط.الثانية ١٤٠٣هـ.

٥٩. الإيمان لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق الألباني ، ط.المكتب الإسلامي بيروت -١٤٠٦هـ.

٦٠. الإيمان للعدني طبع الدار السلفية في الكويت ط.الأولى ١٤٠٧هـ.

٦١. الباعث الحثيث شرح إختصار علوم الحديث لأحمد شاكر،طبعة بتعليق الألباني، تحقيق الحلبي، ط.دار العاصمة ط. الأولى ،١٤١٥هـ.

٦٢. البحر المحيط للزركشي ط.وزارة الأوقاف الكويتية بإشراف الأشقر.

٦٣. بحوث في تاريخ السنة المشرفة د. أكرم ضياء العمري ط. الربعة ١٤٠٥هـ .

٦٤. بدائع الفوائد لابن القيم الجوزية ،ط.دار الكتاب العربي –بيروت.

٦٥. البداية والنهاية ط.دار الريان ط. الأولى عام ١٤٠٨هـ .

٦٦. بذل المجهود في حل سنن أبي داوود للسهارنفوري ط. دار الريان – القاهرة ط. الأولى ١٤٠٨هـ.

٦٧. براءة الأئمة الأربعة من مسائل المتكلمين المبتدعة تأليف د.عبد العزيز بن أحمد بن محسن الحميدي ط.دار ابن عفان ،ط.الأولى ١٤٢٠هـ.

٦٨. براعة الاستهلال في فواتح القصائد والسور د. محمد بدري عبدالجليل ، ط.المكتب الإسلامي ط. الثانية ١٤٠٥هـ.

٦٩. برنامج المجاري لأبي عبد الله محمد المجاري الأندلسي تحقيق أبو الأجفان ط.دار الغرب الإسلامي –بيروت ط. الأولى ١٩٨٢م.

٧٠. البرهان في علوم القرآن للزركشي تحقيق :د.محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ،ط.الثانية.

٧١. البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان للسكسكي ،تحقيق بسام العموش ط.مكتبة المنار ط.الأولى ١٤٠٨هـ.

٧٢. البعث والنشور للبيهقي للبيهقي تحقيق :محمد زغلول ط.مؤسسة الكتب الثقافية ط.الأولى ١٤٠٨هـ.

٧٣. بغية المرتاد لشيخ الإسلام، تحقيق د.الدويش ط. مكتبة العلوم والحكم ،الطبعة الأولى عام ١٤٠٨هـ.

٧٤. بغية الملتمس للضبي ،ط. روخس–مدينة مجريط ط.١٨٨٦م.

٧٥. بلاغة القرآن الكريم في مجادلة منكري البعث ،بدرية محمد حسن العثمان ط.دار الراية ط.الأولى سنة ١٤١٧هـ.

٧٦. تاج العروس للزبيدي ط. صادر مصورة بولاق.

٧٧. تاريخ أصبهان لأبي نعيم تحقيق سيد كسروي حسن ط.دار الكتب العلمية–بيروت ط.الأولى ١٤١٠هـ.

٧٨. تاريخ الأدب العربي كارل بروكلمان ،الطبعة العربية ،دار المعارف مصر.

٧٩. تاريخ الإسلام للذهبي تحقيق عمر عبد السلام تدمري ط.دار الكتاب العربي .

٨٠. تاريخ التراث العربي لدفؤاد سزكين طباعة ونشر :إدارة الثقافة والنشر بالجامعة ط.عام ١٤١١هـ.

٨١. تاريخ بغداد تاريخ التعليم في الأندلس د. محمد عبد الحميد عيسى ط. دار الفكر العربي ط.

الأولى ١٩٨٢ م.

٨٢. تاريخ الخلفاء للسيوطي ط. المكتبة التجارية الكبرى ط. الرابعة ١٣٨٩هـ.

٨٣. التاريخ الكبير للبخاري دار الكتب العلمية – بيروت.

٨٤. للخطيب ،ط. دالر الكتب العلمية بيروت -لبنان ط. الأولى ١٣٩٥هـ.

٨٥. تاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ،القاهرة عام ١٩٦٦م .

٨٦. تاريخ مولد العلماء ووفياتهم للربعي ، تحقيق د.عبدالله الحمد ط.دار العاصمة ط.الأولى ١٤١٠هـ.

٨٧. التأويل بين السيميائيات والتفكيكية إمبرتو إيكو ترجمة سعيد بنكراد ط. المركز الثقافي العربي – الدارالبيضاء ط.الأولى عام ٢٠٠٠.

٨٨. تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ط.دار الكتاب العربي -بيروت.

٨٩. تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، طبعة المكتبة العلمية ، تحقيق وشرح السيد أحمد صقر، ط.الثالثة، ١٤٠١هـ.

٩٠. تبين كذب المفترين لابن عساكر ط.دار الكتاب العربي –بيروت ط. الرابعة ١٤١١هـ.

٩١. التحبير في المعجم الكبير للسمعاني تحقيق منيرة ناجي سالم.

٩٢. تحفة المودود بأحكام المولود لابن القيم ، تحقيق صلاح الدين مقبول ط.دار إيلاف الدولية ط.الأولى ١٤١٦هـ.

٩٣. تخريج أحاديث الإحياء للعراقي وابن السبكي والزبيدي، استخراج أبي عبد الله الحداد ط. دار العاصمة – الرياض ط. الأولى ١٤٠٨هـ .

٩٤. تدريب الراوي للسيوطي ط. نتحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ط.المكتبة العلمية بالمدينة المنورة ط. الثانية سنة١٣٩٢هـ.

تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي للسيوطي تحقيق د. أحمد عمر هاشم ط. دار الكتب العلمية.

٩٥. تدوين السنة د. محمد مطر الزهراني ط. مكتبة الصديق – الطائف ط. الأولى سنة ١٤١٢هـ.

٩٦. تذكرة الحفاظ ط.دار الكتب العلمية ، بيروت-لبنان.

٩٧. ترتيب المدارك للقاضي عياض ط.المغربية بتحقيق الصحراوي.

٩٨. الترغيب في فضائل الأعمال لابن شاهين ، تحقيق صالح الدعيل، طبعة دار ابن الجوزي، ط. الأولى،عام ١٤١٥هـ.

٩٩. الترغيب والترهيب للمنذري ط. بتحقيق محي الدين مستو ، سمير العطار ، يوسف بدوي ط. دار ابن كثير ط. الثانية ١٤١٧هـ .

١٠٠. التسعينية لشيخ الإسلام ابن تيمية تحقيق د. محمد العجلان ط. مكتبة المعارف ط. الأولى عام ١٤٢٠هـ.

١٠١. تعظيم قدر الصلاة لمحمد بن نصر المروزي تحقيق د.عبدالرحمن الفريوائي ،طمكتبة الدار بالمدينة ، ط.الأولى١٤٠٦هـ.

١٠٢. تغليق التعليق للحافظ ابن حجر ،تحقيق سعيد القزقي ط.المكتب الإسلامي.

١٠٣. تفسير ابن كثير بتحقيق ابراهيم البنا ط.دار ابن حزم ط.الأولى ١٤١٩هـ.

تفسير ابن كثير (تفسير القرآن العظيم) ط.دار التراث.

١٠٤. تفسير البغوي بتحقيق محمد النمر ، عثمان جمعة، سليمان الحرش ط. دار طيبة ط. الثانية ١٤١٤هـ.

١٠٥. تفسير السعدي ط.دار الافتاء ط.١٤١٠هـ.

١٠٦. تفسير غريب الموطأ لابن حبيب الأندلسي ،للشيخ العلامة الدكتور عبدالرحمن العثيمين ،ط.العبيكان ط.الأولى سنة ١٤٢١هـ.

١٠٧. تقريب التهذيب تحقيق أبو الأشبال صغير أحمد الباكستاني، دار العاصمة النشرة الأولى ١٤١٦هـ.

١٠٨. تقويم البلدان لأبي الفداء صاحب حماة ط.دارصادر –بيروت مصورة عن الطبعة

السلطانية بباريس سنة ١٨٦٠م.

١٠٩. تقييد العلم للخطيب البغدادي 'تحقيق يوسف العش نشر دغر الوعي-حلب ط.الثالثة ١٩٨٨م.

١١٠. التقييد لابن نقطة بتحقيق كمال الحوت ط. دار الكتب العلمية -بيروت .ط. الأولى ١٤٠٨هـ.

١١١. التمهيد لابن عبد البر تحقيق سعيد أحمد أعراب ط.المغربية .

١١٢. تناقض أهل الأهوء والبدع في العقيدة للدكتورة عفاف بنت حسن محمد مختار ط.مكتبة الرشد ط. الأولى ١٤٢١هـ.

١١٣. التنبيه والرد للملطي بتحقيق يمان الميادني ط. رمادي للنشر،ط. الأولى عام ١٤١٤هـ.

١١٤. التنكيل لما ورد في تأنيب الكوثري من الأباطيل للشيخ عبد الرحمن بن يحي المعلمي تحقيق الشيخ الألباني والشيخ محمد عبد الرزاق حمزة،ط.دار الكتب السلفية -القاهرة.

١١٥. تهذيب الأسماء واللغات لأبي زكريا النووي ، ط.دار الكتب العلمية -بيروت.

١١٦. تهذيب التهذيب لابن حجر ، طبعة دار الفكر ط. الأولى سنة ١٤٠٤هـ.

١١٧. تهذيب اللغة للأزهري بتحقيق الهلالي والنجار.

١١٨. التوحيد لابن خزيمة ،تحقيق د.الشهوان ط. دار الرشد ط. الأولى ١٤٠٨هـ.

١١٩. توضيح الأفكار للصنعاني تحقيق محي الدين عبد الحميد ط.المكتبة السلفية .

١٢٠. التوقيف على مهمات التعاريف للمناوي ط.دار الفكر بيروت تحقيق د. محمد رضوان الداية ط.الأولى عام ١٤١٠هـ.

١٢١. التوكل على الله لأبي بكر بن أبي الدنيا تحقيق :ياسين محمد السواس ،ويوسف علي بديوي ،ط.دار ابن كثير -دمشق ،ط.الأولى ١٤١٥هـ.

١٢٢. تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب،

طبعة المكتب الإسلامي.

١٢٣. الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية ، د. عابد السفياني.

١٢٤. ثبت مسموعات المقدسي تحقيق محمد بن ضياء الحافظ ،ط.دار البشائر ،ط.الأولى ١٤٢٠هـ .

١٢٥. ثبت مفتي الحنابلة بدمشق للشيخ عبد القادر التغلبي اعتنى به محمد ناصر العجمي ط.دار البشائر الإسلامية ط. الأولى ١٤١٩هـ.

١٢٦. الثقات لابن حبان ط. مجلس دائرة المعارف العثمانية الهند ، ط. الأولى ١٣٩٥هـ.

١٢٧. ثورة الزنج وقائدها محمد بن علي تأليف أحمد علي ط. دار مكتبة الحياة .بيروت عام ١٩٦١م.

١٢٨. جامع الأصول لابن الأثير تحقيق : الأرناوؤط ط. دار الفكر ط. الثانية ١٤٠٣هـ.

١٢٩. جامع الرسائل لابن تيمية تحقيق د.محمد رشاد سالم.

١٣٠. جامع العلوم والحكم للحافظ أبو نعيم ط.الأرناؤوط.

١٣١. جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر، بتحقيق أبي الأشبلي الزهيري ط. دار ابن الجوزي ط. الأولى ١٤١٤هـ.

١٣٢. الجامع لابن وهب بتحقيق د. مصطفى أبو الخير ط. دار ابن الجوزي ط. الأولى عام ١٤١٦هـ.

١٣٣. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع بتحقيق د. الطحان ط. مكتبة المعارف . الرياض ط. ١٤٠٣هـ.

١٣٤. جذوة المقتبس للحميدي ط. الدار المصرية للتأليف والترجمة ط. ١٩٦٦م.

١٣٥. الجرح والتعديل لا بن أبي حاتم،دائرة المعارف العثمانية ،حيدر آباد -الهند ،ط.الأولى عام

١٣٧١هـ.

١٣٦. جلاء العينين في محاكمة الأحمدين لنعمان خير الدين الألوسي ،ط .المدني ١٤٠١هـ.

١٣٧. جمهرة أنساب العرب لابن حزم ، ط. دار الكتب العلمية -بيروت ط. الأولى سنة ١٤٠٣هـ.

١٣٨. الجهاد لابن المبارك تحقيق نزيه حماد ، ط. دار المطبوعات الحديثة ، جدة ط. ١٩٨٠م.

١٣٩. جهود علماء القرن الثالث الهجري في تقرير عقيدة السلف والدفاع عنها إعداد:الشيخ نسيم شحدة إسماعيل ياسين (بحث أعد لنيل درجة الدكتوراة بإشراف: الشيخ د.عبد العزيز بن إبراهيم الشهوان) (لم تطبع).

١٤٠. جهود علماء القرن الثاني الهجري في تقرير عقيدة السلف والدفاع عنها إعداد: الشيخ محمد أحمد خضي (بحث أعد لنيل درجة الدكتوراه بإشراف : الشيخ د.علي حسن عسيري) (لم تطبع).

١٤١. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تيمية ،ط.المجد التجارية .

١٤٢. حادي الأرواح لا بن القيم ،ط.دار المعرفة -بيروت ت. عبد الرحمن اللاذقي ط.الأولى ، عام ١٤١٤هـ.

١٤٣. حاشية على سنن ابن ماجة للسندي ط. دار الفكر - بيروت - ط. الثانية.

١٤٤. الحجة على أهل المدينة لمحمد بن الحسن الشيباني ، تحقيق السيد مهدي حسن الكيلاني القادري ط.المعارف الشرقية حيدر أباد الهند ١٣٨٥هـ، مصورة عالم الكتب بيروت.

١٤٥. الحجة في بيان المحجة للتيمي الأصبهاني تحقيق المدخلي ط.دار الراية .

١٤٦. الحديث الضعيف لـد.عبد الكريم بن عبد الله الخضير ط.دار المسلم ، ط.الأولى ١٤١٧هـ.

١٤٧. الحديث النبوي : مصطلحه ، بلاغته ، كتبه د.محمد الصباغ ، ط. المكتب الإسلامي ط.

الخامسة ١٤٠٧هـ.

١٤٨. الحديث والمحدثون لمحمد محمد أبو زهو ط.دار الكتاب العربي – بيروت ١٤٠٤هـ.

١٤٩. الحركات الباطنية في العالم الإسلامي د. محمد الخطيب ط. مكتبة الأقصى ط. الثانية سنة ١٤٠٦هـ.

١٥٠. حسن الظن بالله عزوجل لأبي بكر بن أبي الدنيا ،تحقيق مخلص محمد ط.دار طيبة –الرياض ،ط.الأولى ١٤٠٨هـ.

١٥١. حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني طبعة دار الكتاب العربي ،ط.الخامسة عام ١٤٠٧هـ.

١٥٢. حنين بن إسحاق العصر الذهبي للترجمة د. ماهر عبد القادر ط. دار النهضة العربية بيروت .

١٥٣. حنين بن إسحاق دراسة لغوية وتاريخية أحمد الدبيلان ط. مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤١٤هـ.

١٥٤. الحيدة والاعتذار في الرد على من قال بخلق القرآن للكناني ، تحقيق د. علي الفقيهي.

١٥٥. خبر الواحد في التشريع الإسلامي وحجيته للقاضي برهوم ،ط.الأولى ١٤١٥هـ.

١٥٦. الخطط للمقريزي ، مصورة بولاق.

١٥٧. الخلافة الراشدة والدولة الأموية من فتح الباري جمعاً وتوثيقاً د. يحي اليحي ، ط. دار الهجرة ط. الأولى عام ١٤١٧هـ.

١٥٨. الخلافة العباسية في عصر الفوضى العسكرية د. فاروق عمر ، ط.مكتبة المثنى . بغداد ط. الثانية ١٩٧٧م.

١٥٩. الخوارج : دراسة ونقد لمذهبهم للشيخ ناصر السعوي ط.دار المعراج ط.الأولى ١٤١٧هـ.

١٦٠. الدر المنثور للسيوطي ط. دار الفكر بيروت ١٤١٤هـ.

١٦١. درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية .تحقيق د. محمد رشاد سالم ط. جامعة الإمام.

١٦٢. دراسات في الحديث النبوي للأعظمي.ط.المكتب الإسلامي ط.١٤٠٠هـ.

١٦٣. دراسات في الحضارة الإسلامية د. حسن الباشا ط . دار النهضة العربية ط.١٩٨٨م .

١٦٤. دراسات في تاريخ إفريقية في الحضارة الإسلامية في العصر الوسيط ط.منشورات الجامعة التونسية ، ١٩٨٢م للدكتور محمد الطابي.

١٦٥. دراسات في تاريخ الخلافة العباسية د. أمينة البطار ، ط. دار القلم والكتاب ط. الأولى ١٤١٨ هـ.

١٦٦. دراسة المسائل العقدية في سنن الترمذي -القسم الأول- إعداد:الشيخ فهد الفهيد، إشراف: الشيخ د.عبد الرحمن البراك (لم تطبع).

١٦٧. دراسة المسائل العقدية في سنن الترمذي- القسم الثاني- إعداد:الشيخ يوسف الطريف ، إشراف: الشيخ د.عبد الرحمن البراك (لم تطبع).

١٦٨. دفاع عن أبي هريرة لعبدالمنعم صالح العلي العزي ، ط.دار القلم -بيروت ط.الثانية ١٩٨١م.

١٦٩. دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين ، ط.الأزهر -القاهرة ١٩٦٧م.

١٧٠. دلائل النبوة لأبي القاسم التيمي ،تحقيق مساعد الراشد الحميد ،ط.دار العاصمة -الرياض ،ط.الأولى ١٤١٢هـ.

١٧١. دليل مؤلفات الحديث الشريف المطبوعة لـ محي الدين عطية وصلاح الدين حفني ومحمد خير رمضان يوسف ، ط.دار ابن حزم ط.الأولى ١٤١٦هـ.

١٧٢. دولة الإسلام في الأندلس لمحمد عنان ط.الرابعة ، ط.المجمع الثقافي – أبو ظبي عام ١٤١٧هـ .

١٧٣. الدين الخالص لصديق حسن خان ،مكتبة دار التراث - القاهرة.

١٧٤. ذم التأويل لابن قدامة المقدسي ، تحقيق بدر البدر ، ط.الدار السلفية الأولى ١٤٠٦هـ.

١٧٥. ذم الكلام للهروي، بتحقيق أبو جابر الأنصاري ط. مكتبة الغرباء الأثرية .ط.الأولى سنة ١٤١٩هـ.

١٧٦. ذم الهوى تحقيق أحمد عطا ط.دار الكتب العلمية ط.الثانية ١٤١٣هـ.

١٧٧. الرؤى عند أهل السنة والجماعة والمخالفين ،إعداد الشيخ سهل بن رفاع العتيبي (وهي رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الماجستير بقسم العقيدة بجامعغة الإمام محمد بن سعود بإشراف د.محمد بن عودة السعوي) لم تطبع.

١٧٨. الرد على البكري ، ط.الدار العلمية –دلهي الهند ط.الثانية ١٤٠٥هـ.

١٧٩. الرد على الجهمية للدارمي ، تحقيق د. بدر البدر ط. دار الأثير ، الكويت ط. الثانية ١٤١٦هـ.

١٨٠. الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد ،تحقيق عبد الرحمن عميرة ط.دار اللواء.

١٨١. الرد على بعض أتباع سعد الدين ابن حمدويه رسالة لشيخ الإسلام ط.دار عالم الفوائد ط.الأولى ١٤٢٢هـ بتحقيق محمد عزير شمس .

١٨٢. الرد على من يقول (آلم) حرف لينفي الألف واللام والميم عن كلام الله عزوجل ،تحقيق عبدالله الجديع ط.دار العاصمة –الرياض ط.الأولى عام١٤٠٩هـ.

١٨٣. الردة للواقدي بتحقيق د. الجبوري ط. دار الغرب الإسلامي ط. الأولى ١٤١٠هـ.

١٨٤. الردود والتعقبات على ماوقع للإمام النووي في شرح صحيح مسلم من التأويل في الصفات لمشهور حسن سلمان ، ط.دار الهجرة ط.الأولى ١٤١٣هـ.

١٨٥. رسالة إبراهيم الحربي في أن القرآن غير مخلوق ، تحقيق الشبل .

١٨٦. رسالة أبي داوّد إلى أهل مكة في وصف سننه ، تحقيق د. الصباغ ط. المكتب الإسلامي ، ط. الثالثة ١٤٠٥هـ.

١٨٧. رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكرالحرف والصوت للسجزي بتحقيق محمد با كريم باعبدالله ط.دار الراية ط. الأولى عام ١٤١٤هـ.

١٨٨. الرسالة القشيرية ، للقشيري ط.دار الكتاب العربي –بيروت وبهامشها تعليقات زكريا الأنصاري.

١٨٩. الرسالة المستطرفة للكتاني ط.سنة ١٣٧٩هـ .

١٩٠. رسالة شرح تراجم أبواب صحيح البخاري للشيخ المحدث أحمد الدهلوي ، ط.دار الحديث –بيروت.

١٩١. رسالة في الرد على الرافضة للمقدسي ، تحقيق عبدالوهاب خليل الرحمن، ط.الدار السلفية الهند ، ط.الأولى ١٤٠٣هـ.

١٩٢. الرسالة للشافعي تحقيق أحمد شاكر، ط. دار الفكر ط. ١٣٠٩هـ.

١٩٣. الرضا عن الله بقضائه لابن أبي الدنيا ، تحقيق ضياء الحسن السلفي ، ط.الدار السلفية ،ط.الأولى ١٤١٠هـ.

١٩٤. الروح لابن القيم تحقيق د.بسام العموش ،ط.مكتبة المنار-الأردن ،ط.الأولى ١٤١٠هـ.

١٩٥. روضة العقلاء لابن حبان ، تحقيق علي بن مشرف العمري ، طبعة الكليات الأزهرية، طبعة ١٤٠١هـ.

١٩٦. رياض النفوس لأبي بكر المالكي، تحقيق :حسين مؤنس ، ط.الأولى ، مكتبة النهضة المصرية –القاهرة ١٩٥١م.

١٩٧. زاد المعاد لابن القيم ، بتحقيق الأرناؤوط ، ط. مؤسسة الرسالة ، ط. الثالثة عشر سنة ١٤٠٦هـ .

١٩٨. الزهد لوكيع ، تحقيق د.عبد الرحمن الفروائي ، ط.مكتبة الدار – المدينة، ط. الأولى ١٤٠٤هـ.

١٩٩. سعادة الدارين في الصلاة على سيد الكونين للنبهاني ،بدون طبعة.

٢٠٠. السلسلة الصحيحة للألباني ، ط.مكتبة المعارف –الرياض.

٢٠١. السنة النبوية في القرن الأول الهجري د.محمد أحمد ، ط. دار البخاري –بريدة ، ط.الأولى عام ١٤١٢هـ.

٢٠٢. السنة قبل التدوين د. محمد عجاج الخطيب ، ط. دار الفكر ، ط. الخامسة.

٢٠٣. السنة لابن أبي عاصم ، تحقيق د. باسم الجوابرة ، ط. دار الصميعي ، ط. الأولى ١٤١٩هـ.

٢٠٤. السنة لعبد الله بن الإمام أحمد ، تحقيق د.محمد القحطاني ، ط. دار ابن القيم . الأولى ١٤٠٦هـ.

٢٠٥. السنة للخلال ، تحقيق د.عطية الزهراني ، ط.دار الراية ، ط.الأولى ١٤١٠هـ.

٢٠٦. السنة لمحمد بن نصر المروزي ، تحقيق أبو محمد السلفي ، ط.مؤسسة الكتب الثقافية ، ط.الأولى ١٤٠٨هـ.

٢٠٧. سنن ابن ماجه ، بتحقيق الأعظمي ، ط. الثانية ١٤٠٤هـ .

٢٠٨. سنن أبي داود ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ، ط. المكتبة الإسلامية –اسطانبول .

٢٠٩. السنن الأبين والمورد الأمعن في المحاكمة بين الإمامين في السند المعنعن لابن رشيد الفهري ،تحقيق أبو عبد الرحمن المصرتي ،ط.مكتبة الغرباء الأثرية ،ط.الأولى ١٤١٧هـ.

سنن الدارمي (طبع باسم مسند الدارمي)تحقيق حسين سليم أسد ط.دار المغني ط.الأولى ١٤٢١هـ.

٢١٠. سنن الدارمي ، تحقيق فؤاد زمرلي ، ط. دار الكتاب العربي ، ط. الأولى سنة١٤٠٧هـ.

٢١١. السنن الكبرى للبيهقي ط.دار المعرفة –بيروت ط.١٤١٣هـ.

٢١٢. السنن الكبرى للنسائي القسم الأول تحقيق : د.عبد العزيز المشعل بإشراف د.عزت عطية سنة ١٤٠٦هـ (وهي رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه بقسم السنة بكلية أصول الدين بجامعة الإمام ولم تنشر).

٢١٣. السنن الكبرى للنسائي القسم الثالث تحقيق : موسى إسماعيل البسيط بإشراف د.عزت عطية سنة ١٤٠٧هـ. (وهي رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه بقسم السنة بكلية أصول الدين بجامعة الإمام ولم تنشر).

٢١٤. السنن الكبرى للنسائي القسم الثاني تحقيق : د.إبراهيم علي الكليب بإشراف د.عزت عطية سنة ١٤٠٦هـ. (وهي رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه بقسم السنة بكلية أصول الدين بجامعة الإمام ولم تنشر).

٢١٥. السنن الكبرى للنسائي القسم الخامس تحقيق : صالح بن عبد الله المحطب بإشراف د.عزت عطية سنة ١٤٠٨هـ . (وهي رسالة علمية مقدمة لنيل درجة الدكتوراه بقسم السنة بكلية أصول الدين بجامعة الإمام ولم تنشر).

٢١٦. سنن النسائي الكبرى ،تحقيق وإشراف شعيب الأرناؤوط ،ط.مؤسسة الرسالة ،ط.الأولى ١٤٢٢هـ.

٢١٧. سنن سعيد بن منصور ،تحقيق د. الحميد ،ط. دار الصميعي ط. الأولى ١٤١٤هـ

٢١٨. سير أعلام النبلاء للذهبي ، مؤسسة الرسالة ، ط.السابعة سنة ١٤١٠هـ.

٢١٩. سيرة ابن هشام ، بتحقيق عمر عبد السلام تدمري ، ط. دار الكتاب العربي ط. الثانية ١٤٠٩هـ .

٢٢٠. السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية لـ د. مهدي رزق الله ، ط. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ،ط. الأولى عام ١٤١٢هـ .

٢٢١. السيل الجرار للشوكاني ، ط. دار الكتب العلمية ، ط. ١٤٠٥هـ.

٢٢٢. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية للشيخ محمد بن مخلوف ،ط.دار الفكر.

٢٢٣. شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي ،ط.دار الفكر عام ١٤٠٩هـ.

٢٢٤. شرح ابن القيم لسنن أبي داود بهامش عون المعبود ، مصورة مكتبة ابن تيمية –القاهرة ، ط. الثالثة ١٤٠٧هـ .

٢٢٥. شرح أصول اعتقاد أهل السنة ، تحقيق د. أحمد سعد حمدان ، ط. دار طيبة ط. الأولى.

٢٢٦. شرح أصول إعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي ، تحقيق :د.أحمد سعد حمدان ، ط.دار طيبة ط.الأولى ١٤٠٩هـ.

٢٢٧. شرح الأصفهانية لشيخ الإسلام ابن تيمية، طبعة مكتبة الرشد، ط.الأولى، ١٤١٥هـ.

٢٢٨. شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ، ط.مكتبة وهبة ، ط.الثانية ١٤٠٨هـ.

٢٢٩. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك ، ط. دار الفكر ، ط. ١٣٥٥هـ.

٢٣٠. شرح السنة للبغوي ،تحقيق زهير الشاويش وشعيب الأرناؤط ، ط.المكتب الإسلامي ،ط.الثانية ١٤٠٣هـ.

٢٣١. شرح السنة للمزني ، بتحقيق: جمال المرزوق ، طبعة مكتبة الغرباء الأثرية.

٢٣٢. شرح العقيدة الطحاوية تحقيق الأرناؤوط ود. التركي ط.مؤسسة الرسالة ط.الأولى ١٤٠٨هـ

٢٣٣. شرح سنن ابن ماجة لمغلطاي(ولم يتمه) طبع مؤخراً بتحقيق : كامل عويضة ط. دار الباز ط. الثانية ١٤٢٠هـ .

٢٣٤. شرح صحيح مسلم للنووي مصورة المطبعة المصرية سنة ١٣٤٧هـ .

٢٣٥. شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري د.الغنيمان ، ط.مكتبة لينة ط.الثانية ١٤١٣هـ.

٢٣٦. شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي ، تحقيق د. محمد سعيد خطيب ، ط. دار احياء السنة .

٢٣٧. شروط الأئمة الستة للمقدسي ، ط. دار الكتب العلمية – بيروت ، ط. الأولى ١٤٠٥هـ.

٢٣٨. الشريعة للإمام الآجري ، تحقيق د. عبد الله عمر الدميجي ، ط. دار الوطن الأولى ١٤١٨هـ.

٢٣٩. الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ط .عالم الكتب ، ط.الثالثة ١٤٠٤هـ.

٢٤٠. الشعر والشعراء لابن قتيبة ،ط.دار الحديث –القاهرة ،ط.الثانية ١٤١٨هـ.

٢٤١. شفاء العليل لابن القيم ، ط. مكتبة ابن تيمية .

٢٤٢. شفاء العليل لابن القيم، تحقيق عمر الحفيان ط.العبيكان ط.الأولى ١٤٢٢هـ.

٢٤٣. صحائف الصحابة لأحمد الصويان ط. الأولى عام ١٤١٠هـ .

٢٤٤. الصحاح للجوهري ط.دار العلم للملايين ط.الرابعة ١٩٩٠م .

٢٤٥. صحيح الأدب المفرد للألباني ، ط. دار الصديق –الجبيل ، ط.الأولى سنة ١٤٣٤هـ.

٢٤٦. صحيح الجامع للألباني، ط. المكتب الإسلامي ط. الأولى ١٤٠٥هـ.

٢٤٧. صحيح مسلم – ترتيب فؤاد عبد الباقي، ط. دار الحديث – القاهرة الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ.

٢٤٨. صفة الجنة لابن أبي الدنيا بتحقيق طارق طنطاوي، ط. مكتبة الفرقان.

٢٤٩. صفة الجنة وما أعد الله لأهلها من النعيم للحافظ ابن أبي الدنيا، تحقيق طارق الطنطاوي، ط.مكتبة القرآن –القاهرة.

٢٥٠. صفة النار لابن أبي الدنيا، تحقيق محمد خير رمضان، ط.مكتبة دار ابن حزم –بيروت ط.الأولى ١٤١٧هـ.

٢٥١. صفة النفاق وذو المنافقين للفريابي، تحقيق بدر البدر، ط.دار الخلفاء –الكويت ١٤٠٥هـ.

٢٥٢. الصفدية، تحقيق محمد رشاد سالم، ط.مكتبة ابن تيمية ط.الثانية ١٤٠٦هـ.

٢٥٣. صلة الخلف بموصول السلف لمحمد بن سليمان الروداني، تحقيق محمد حجي، ط.دار الغرب الإسلامي –بيروت ط. الأولى ١٤٠٨هـ.

٢٥٤. الصواعق المرسلة لابن القيم، تحقيق د. علي الدخيل الله، ط. دار العاصمة ط. الأولى عام ١٤٠٨هـ.

٢٥٥. صون المنطق للسيوطي، تحقيق د. النشار، ط. الأولى ط. السعادة مصر.

٢٥٦. صيانة صحيح مسلم من الإخلال والغلط لابن الصلاح، تحقيق موفق عبد القادر، ط.الغرب الإسلامي –بيروت ط.الثانية١٤٠٨هـ.

٢٥٧. الضعفاء للعقيلي، بتحقيق د. عبد المعطي قلجعي، ط. دار الكتب العلمية ط. الأولى.

٢٥٨. طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى بتحقيق د.عبدالرحمن العثيمين ط.الأولى ١٤١٩هـ. طبقات

الحنابلة لابن أبي يعلى ط.دار المعرفة .

٢٥٩. طبقات الداوّدي لشمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداودي، تحقيق علي محمد عمر ، بمركز تحقيق التراث بدار الكتب ، نشر مكتبة وهب الطبعة الأولى عام ١٣٩٢هـ .

٢٦٠. الطبقات السنية في تراجم الحنفية للمولى تقي الدين الداري الغزي المصري الحنفي، تحقيق د.عبد الفتاح الحلو ، ط.دار الرفاعي ط.الأولى١٤٠٣هـ.

٢٦١. طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ، تحقيق الحلو والطناحي ، ط. هجر ط. الثانية ١٤١٣هـ .

٢٦٢. طبقات الشافعية الكبرى للسبكي ،تحقيق الطناحي والحلو ،ط.هجر ،ط.الثانية ١٤١٣هـ.

٢٦٣. طبقات المحدثين بأصبهان لأبي الشيخ، ط.بتحقيق عبدالغفور البلوشي، ط.مؤسسة الرسالة ط.الأولى ١٤١٢هـ.

٢٦٤. طبقات فقهاء اليمن لعمر بن علي الجعدي ، بتحقيق فؤاد السيد ، ط.دار الكتب العلمية – بيروت ط. الثانية ١٤٠١هـ.

٢٦٥. الطبقات لابن سعد ، ط. دار التحرير – القاهرة ط. ١٣٨٨هـ.

٢٦٦. الطرق الحكمية لابن القيم ، تحقيق بشير عيون ،ط.مكتبة المؤيد ط.الاولى ١٤١٠هـ.

٢٦٧. ظلال الجنة تخريج أحاديث السنة للألباني ، ط. المكتب الإسلامي.

٢٦٨. العالم الإسلامي في العصر العباسي د.حسن أحمد محمود ود. أحمد شريف ط. دار الفكر العربي ط. الخامسة.

٢٦٩. عبد الله بن سبأ وأثره في أحداث الفتن ، د. سليمان العودة ، ط. دار طيبة ط. الثانية.

٢٧٠. العبر في خبر من غبر للذهبي ، تحقيق زغلول ، ط.دار الكتب العلمية –بيروت.

٢٧١. العرب والتدوين العلمي والأدبي في الجاهلية قبل الإسلام تأليف عيسى ميخائيل ساب ، ط.المخلصية –دير المخلص –صيدا لبنان ١٩٤٨م.

٢٧٢. عصر الخلافة الراشدة لـ د.أكرم العمري ، ط . مكتبة العبيكان ط. الأولى ١٤١٦هـ.

٢٧٣. عقيدة أبي حاتم الرازي تحقيق الحداد ، ط.دار الفرقان.

٢٧٤. عقيدة الإمام ابن قتيبة لـدكتور علي بن نفيع ط.مكتبة الصديق ،ط.الأولى ١٤١٢هـ.

٢٧٥. عقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني ، تحقيق د.ناصر الجديع ، ط.دار العاصمة – الرياض ط.الأولى١٤١٥هـ.

٢٧٦. العلم لأبي خيثمة تحقيق الألباني ،ط.المكتب الإسلامي ،ط.الثانية ١٤٠٣هـ.

٢٧٧. العلم للإمام النسائي ، تحقيق د.فاروق حمادة ، ط.الدار العالمية للكتاب الإسلامي ،ط.الثانية ١٤١٥هـ.

٢٧٨. العلو للعلي العظيم وإيضاح صحيح الأخبار من سقيمها ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه بقسم العقيدة ، إعداد عبد الله بن صالح بن علي البراك .

٢٧٩. علوم الحديث لابن الصلاح ، تحقيق نور الدين عتر ط. دار الفكر ١٤٠٦هـ.

٢٨٠. عمدة القاري للعيني ، ط.المنيرية مصورة دار إحياء التراث العربي بيروت –لبنان.

٢٨١. العواصم والقواصم لابن الوزير ، تحقيق الأرناؤوط ط. الرسالة ، ط. الأولى ١٤١٢هـ.

٢٨٢. عيون الأخبار لابن قتيبة ط.دار الكتب .

٢٨٣. غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ، عني بنشره ج.برجستراسر ط.الكتب العلمية –بيروت ، ط.الثالثة ١٤٠٢هـ .

٢٨٤. الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ،ط.دار المعرفة– بيروت ،ط.الأولى ١٤٠٩هـ.

٢٨٥. فتح الباري لابن حجر ط. السلفية الثانية مصورة دار الريان ط. ١٤٠٩هـ .

٢٨٦. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ ، تحقيق د.الوليد الفريان ط.دار الصميعي ط.الثانية ١٤١٧هـ.

٢٨٧. فتح المغيث بشرح ألفية الحديث للسخاوي تحقيق علي حسين علي ط. دار الإمام الطبري ط. الثامنة ١٤١٢هـ.

٢٨٨. فتح المغيث للسخاوي ط. دار الطبري بتحقيق: علي حسين علي ط. الثانية ١٤١٢هـ.

٢٨٩. فتح المنان شرح سنن الدارمي ط. الدار المكية.

٢٩٠. الفتنة السوداء لمحمد عثمان جمال ، ط.دارالسلام – القاهرة .

٢٩١. الفتوح الإسلامية عبر العصور د.عبد العزيز العمري ، ط.دار اشبيليا ط.الأولى عام ١٤١٨هـ.

٢٩٢. الفرق بين الفرق للبغدادي ، ط. دار الكتب العلمية بيروت- لبنان .

٢٩٣. فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام د. غالب عواجي ط. مكتبة لينة ط. الأولى ١٤١٢هـ.

٢٩٤. الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ، تحقيق د.محمد نصر، و د. عبد الرحمن عميرة ، ط. عكاظ للنشر والتوزيع ط.الأولى ١٤٠٢هـ.

٢٩٥. فصول في أصول التفسير لمساعد الطيار ، طبعة دار النشر الدولي ، ط.الأولى، عام ١٤١٣هـ.

٢٩٦. الفصول في سيرة الرسول لابن كثير، بتحقيق محمد الخطراوي ومحي الدين مستو، ط.دار ابن كثير ومكتبة دار التراث ، ط.الرابعة ١٤٠٥هـ.

٢٩٧. فضائل الصحابة للإمام أحمد بتحقيق وصي الله محمد عباس ، إشراف السيد أحمد صقر (رسالة علمية بجامعة أم القرى –كلية الشريعة –مكة المكرمة سنة ١٤٠١هـ).

٢٩٨. فضل علم السلف على علم الخلف لابن رجب ، بتحقيق محمد ناصر العجمي ، ط.دار البشائر.ط.الأولى ١٤١٦هـ.

٢٩٩. الفطرة حقيقتها ومذاهب الناس فيها للشيخ علي بن عبد الله القرني ،رسالة علمية قدمت لنيل درجة الماجستير .

٣٠٠. فهرست ابن الرصاع ، تحقيق محمد العنابي ،نشر مكتبة العتيقة –جامع الزيتونة ،تونس.

٣٠١. فهرست ابن خير ط.الخانجي ط.الثانية ١٣٨٢هـ.

٣٠٢. فهرست ابن عطية تحقيق أبو الأجفان ومحمد الزاهي ط.دار الغرب الإسلامي –بيروت ط.الأولى ١٩٨٠هـ.

٣٠٣. فهرست اللبلي لأحمد بن يوسف بن يعقوب بن علي الفهري تحقيق ياسين عياش وعواد أبو

زينة ط.دار الغرب ط.الأولى ١٤٠٨هـ.

٣٠٤. الفهرست لابن النديم ، تحقيق :رضا تجدد ابن علي المازندي ، ط.دار المسيرة.

٣٠٥. الفوائد البهية في تراجم الحنفية للعلامة اللكنوي ،تحقيق :محمد بدر الين النعساني ط.دار الكتاب الإسلامي –القاهرة .

٣٠٦. القاضي أبو يعلى وكتابه مسائل الإيمان دراسةً وتحقيقاً ،تحقيق سعود بن عبد العزيز الخلف ،ط.دار العاصمة –الرياض ،ط.الأولى ١٤١٠هـ.

٣٠٧. القاموس الفقهي لسعدي أبو حبيب ، ط. إدارة القرآن والعلوم الإسلامية.

٣٠٨. القاموس المحيط،.ط.مؤسسة الرسالة .

٣٠٩. قانون التأويل لأبي بكر بن العربي ، تحقيق محمد السليماني ، ط.دار القبلة –جدة ، وط.مؤسسة علوم القرآن –بيروت ط.١٤٠٦هـ.

٣١٠. القدر للفريابي ،تحقيق :عبد الله بن حمد المنصور ،ط.أضواء السلف ،ط.الأولى ١٤١٨هـ.

٣١١. القدر وما ورد في ذلك من الآثار للإمام عبد الله بن وهب بن مسلم ، تحقيق عمر بن سليمان الحفيان ط.دار العطاء ط. الأولى ١٤٢٢هـ.

٣١٢. قصائد مختارة في العقيدة لعلماء أهل السنة والجماعة جمع واختيار د.عبد الله بن محمد البصيري ، ط.الأولى ١٤٢٢هـ.

٣١٣. القواعد للمقري ، تحقيق د.أحمد بن الشيخ عبدالله بن حميد، ط.جامعة أم القرى .

٣١٤. القواعد والفوائد الحديثية من منهاج السنة بقلم علي محمد العمران ، ط.دار عالم الفوائد ،ط.الأولى ١٤١٧هـ.

٣١٥. الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن القيم ، تحقيق العمير ط.دار ابن خزيمة.

٣١٦. الكامل لابن عدي ، ط. دار الفكر ط.الثالثة ١٤٠٩هـ.

٣١٧. كتاب التوحيد لابن منده ، تحقيق د.علي ناصر فقيهي ، ط.مكتبة الغرباء الأثرية –المدينة ط.الثانية ١٤١٤هـ.

٣١٨. الكتاب الجامع لسيرة عمر بن عبد العزيز تأليف أبي حفص عمر محمد الخضر المعروف بالملاء ، تحقيق : د.محمد صدقي البورنو ، ط.مؤسسة الرسالة ط.الأولى ١٤١٦هـ.

٣١٩. كتاب السنن من سنن أبي داود دراسة وشرحاً ،إعداد:الشيخ عبد الله البراك ،إشراف :الشيخ د.علي الدخيل الله (لم تطبع).

٣٢٠. كتاب العرش وماروي فيه للحافظ ابن أبي شيبة ،تحقيق محمد بن حمد الحمود ، ط.مكتبة المعلا –الكويت ،ط.الأولى ١٤٠٦هـ.

٣٢١. كتب حذر منها العلماء للشيخ مشهورحسن سلمان ، ط.دار الصميعي ط.الأولى ١٤١٥هـ.

٣٢٢. كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي ،ط.دار صادر بيروت .

٣٢٣. كشف الاستار عن زوائد مسند البزار ، بتحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ط. مؤسسة الرسالة ط. الأولى ١٣٩٩هـ.

٣٢٤. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون لحاجي خليفة ، ط.مكتبة الفيصلية – مكة.

٣٢٥. الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ، مراجعة عبد الحليم محمد عبد الحليم ، ط. دار الكتب الحديثة بالقاهرة ط. الثانية .

٣٢٦. الكليات للكفوي ، بتحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، ط.مؤسسة الرسالة ، ط.الثانية ١٤١٩هـ

٣٢٧. الكواكب الدراري شرح صحيح البخاري للكرماني ، ط.دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ط.الثانية ط. ١٤٠١هـ.

٣٢٨. اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة للسيوطي ، طبعة دار المعرفة بيروت .

٣٢٩. لحظ اللحظ في بيان مسألة اللفظ تأليف سليمان مريزن عسيري ، ط.دار البيان الحديثة– الطائف ط.الأولى ١٤٢٢هـ.

٣٣٠. لسان العرب لابن منظور ، ط.دار صادر مصورة دار الفكر –بيروت.

٣٣١. لسان الميزان لابن حجر ط.دار الكتاب الإسلامي ط.الثانية.

٣٣٢. لطائف المعارف لابن رجب، تحقيق السواس، طبعة دار ابن كثير عام ١٤١٣هـ.

٣٣٣. ما جاء في البدع لإمام محمد بن وضاح تحقيق بدر البدر ،ط.دار الصميعي ط.الأولى ١٤١٦هـ.

٣٣٤. الماتريدية دراسة وتقويماً د. أحمد عوض الله الحربي ، ط. دار العاصمة ط. الأولى ١٤١٣هـ.

٣٣٥. الماتريدية وموقفهم من توحيد الأسماء والصفات للشمس السلفي الأفغاني ، ط. مكتبة الصديق ط. الأولى ١٤١٣هـ.

٣٣٦. متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار ، تحقيق د.عدنان زرزور ،ط.دار التراث –القاهرة.

٣٣٧. المتواري على أبواب البخاري لابن المنيِّر ، تحقيق على حسن عبدالحميد ، ط.المكتب الإسلامي ط. الأولى ١٤١١هـ.

٣٣٨. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير ، تحقيق د.أحمد الحوفي ود.بدوي طبانة ، ط.الثانية ،منشورات دار الرفاعي بالرياض ١٤٠٣هـ.

٣٣٩. المجروحين لابن حبان ، تحقيق محمود إبراهيم زايد ، ط. دار الوعي – حلب ط. الثانية ١٤٠٢هـ.

٣٤٠. مجمع الأمثال للميداني، تحقيق أبوالفضل ابراهيم ، ط.البابي الحلبي.

٣٤١. المجمع المؤسس للمعجم المفهرس لابن حجر ، تحقيق د.عبدالرحمن المرعشلي ط.دار المعرفة ط.الأولى ١٤١٣هـ.

٣٤٢. مجمل اللغة لابن فارس ، تحقيق زهيرعبد المحسن سلطان ، ط. مؤسسة الرسالة ط. الأولى ١٤٠٤هـ.

٣٤٣. مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم وابنه ،ط. عالم الكتب –الرياض ،ط.الأولى عام ١٤١٢هـ.

٣٤٤. المجموع في الضعفاء والمتروكين (البخاري –النسائي –الدار قطني) ،تحقيق عبد العزيز السيروان ،ط.دار القلم ،ط.الأولى ١٤٠٥هـ.

٣٤٥. مجموع فيه ثلاث رسائل بتحقيق الدكتور عبدالله البراك ط.دار الوطن ،ط.الأولى ١٤١٩هـ.

٣٤٦. مجموعة الرسائل الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية ط.دار إحياء التراث العربي –بيروت.

٣٤٧. محاضرات تاريخ الأمم الإسلامي – الدولة العباسية ، للشيخ محمد الخضيري بك ط. دار المعرفة بيروت لبنان .

٣٤٨. المحدث الفاصل بين الراوي والواعي للقاضي الحسن بن عبدارحمن الرمهرمزي ،تحقيق :محمد عجاج الخطيب ،ط.دارالفكر - بيروت ط.الأولى ١٣٩١هـ.

٣٤٩. المحكم لابن سيده ، تحقيق مصطفى الستار و د. حسين نصار، ط. الأولى ١٣٧٧هـ، مصورة مكتبة الباز.

٣٥٠. مختصر الصواعق المرسلة لابن الموصلي البعلي الحنبلي ط.دار الكتب العلمية بيروت –لبنان ط. الأولى ١٤٠٥هـ.

٣٥١. المخصص لابن سيده ، ط.المكتب التجاري –بيروت .

٣٥٢. المدخل إلى دراسة بلاغة أهل السنة للدكتور محمد بن على الصامل ، ط.دار إشبيليا،ط.الأولى ١٤١٨هـ.

٣٥٣. المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل لابن بدران ، تحقيق د.التركي ،ط.مؤسسة الرسالة ،ط.الثانية ١٤٠١هـ.

٣٥٤. مدخل لدراسة العقيدة لعثمان جمعة ضميرية ، ط. مكتبة الوادي ط. الأولى ١٤١٤هـ.

٣٥٥. مذكرة أصول الفقه للشنقيطي ، ط.المكتبة السلفية ، المدينة.

٣٥٦. مذهب أهل التفويض في نصوص الصفات –عرض ونقد- للشيخ الدكتور أحمد بن عبدالرحمن القاضي ، ط.دار العاصمة ط.الأولى ١٤١٦هـ.

٣٥٧. المراسيل لأبي داود، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، طبعة مؤسسة الرسالة، ط.الأولى، ١٤٠٨هـ.

٣٥٨. مروج الذهب للمسعودي ، ط.دار الكتاب اللبناني –بيروت ط.الأولى ١٤٠٢هـ.

٣٥٩. مسائل الاعتقاد في سنن الدارمي إعداد: جمال صفا خان ، إشراف :د. محمد الخميس (لم تطبع).

٣٦٠. مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية ابنه أبي الفضل صالح ، تحقيق :د.فضل الرحمن دين محمد ،ط.مكتبة الدار العلمية ،ط.الأولى ١٤٠٨هـ.

٣٦١. مسائل الإيمان لابن أبي يعلى ، تحقيق :سعود الخلف ،ط.دار العاصمة ط.الأولى ١٤١٠هـ.

٣٦٢. مسائل العقيدة في سنن ابن ماجة –القسم الأول – إعداد:الشيخ وليد خالد بسيوني ،إشراف :الشيخ د.عبد العزيز العسكر (لم تطبع).

٣٦٣. المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة ، جمع وتحقيق ودراسة عبد الإله بن سليمان بن سالم الأحمدي ط.دار طيبة للنشر والتوزيع ط.الأولى، ١٤١٢هـ.

٣٦٤. المستدرك للحاكم ، ط. دار الفكر – بيروت ١٣٩٨هـ .

٣٦٥. المسند للإمام أحمد ، ط. مكتبة قرطبة مصورة عن بولاق.

٣٦٦. مسند الطيالسي د. محمد التركي ، ط. هجر ط. الأولى ١٤١٩هـ.

٣٦٧. مشارق الأنوار للقاضي عياض ، ط.المكتبة العتيقة– تونس .

٣٦٨. مشكاة المصابيح للتبريزي ، تحقيق الألباني ، ط.المكتب الإسلامي ط.الثانية ١٤٠٥هـ.

٣٦٩. مشكل الآثار للطحاوي ، تحقيق الأرناؤط ، ط. مؤسسة الرسالة ط. الأولى سنة ١٤١٥هـ .

٣٧٠. مشكل الحديث وبيانه لابن فورك ،تحقيق موسى محمد علي ،المكتبة العصرية بيروت.

٣٧١. المصادر العامة للتلقي عند الصوفية عرضاً ونقداً لصادق سليم صادق ط.مكتبة الرشد – الرياض ،ط.الأولى ١٤١٥هـ.

٣٧٢. مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجة للبوصيري تحقيق كمال الحوت ط.دار الجنان ط.الأولى ١٤٠٦هـ.

٣٧٣. المصباح المنير للفيومي ، ط.المكتبة العصرية ط.الأولى ١٤١٧هـ.

٣٧٤. مصنف ابن أبي شيبة ، تحقيق حمد الجمعة ومحمد اللحيدان – كتاب الطهارة فقط– ط. الأولى ١٤١٦هـ .

٣٧٥. المصنف لابن أبي شيبة ، بتحقيق : محمد عبد السلام شاهين ، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت.

٣٧٦. المصنف لعبد الرازاق تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي ، المكتب الإسلامي الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ .

٣٧٧. معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان لعبد الرحمن بن محمد الدباغ ، تحقيق :محمد أبو النور ومحمد ماضور ط.مكتبة الخانجي ط.الثانية ١٣٨٨هـ.

٣٧٨. معجم البلدان للحموي ، تحقيق فريد الجندي ط.دار الباز ط. الأولى سنة ١٤١٠هـ .

٣٧٩. المعجم الشامل للتراث العربي المطبوع للدكتور محمد عيسى صالحية (من إصدارات المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم –معهد المخطوطات العربية) –القاهرة١٩٩٢م.

٣٨٠. معجم المصنفات الواردة في فتح الباري لمشهور حسن سلمان ، ط.دارالهجرة ط.الأولى١٤١٢هـ.

٣٨١. المعجم المفهرس لابن حجر ، تحقيق محمد المياديني ، ط.الرسالة ط.الأولى ١٤١٨هـ.

٣٨٢. المعجم الوسيط ط.الثانية .

٣٨٣. المعجم لابن الأعرابي ، تحقيق د. أحمد البلوشي ، ط. مكتبة الكوثر ط. الأولى سنة ١٤١٢هـ .

٣٨٤. معجم لمصنفات ابن أبي الدنيا في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ، بتحقيق صلاح الدين المنجد جماد الآخرة ١٣٩٤هـ.

٣٨٥. معجم مقايس اللغة لابن فارس ،تحقيق عبد السلام هارون ،ط.الثانية ١٣٨٩هـ.

٣٨٦. المعرّب للجوليقي ، ط.دار القلم– دمشق ، ط.الأولى سنة ١٤١٠هـ .

٣٨٧. معرفة النسخ والصحف الحديثية د. بكر أبو زيد ط. دار الراية ط. الأولى ١٤١٢هـ.

٣٨٨. معرفة علوم الحديث للحاكم ،ط. دار إحياء العلوم – بيروت ط. الأولى ١٤٠٦هـ.

٣٨٩. المعلم بفوائد مسلم للمازري ، تحقيق :الشيخ محمد الشاذلي النيفر ، ط. دار المغرب الإسلامي ط. الثانية عام ١٩٩٢هـ.

٣٩٠. المغازي للواقدي ، بتحقيق د. مارسون جونس ، ط. عالم الكتب، ط. الثالثة ١٤٠٤هـ.

٣٩١. المغني في الضعفاء للذهبي ، تحقيق حازم القاضي، طبعة دار الكتب العلمية، ط. الأولى ، عام ١٤١٨هـ.

٣٩٢. المغني في ضبط أسماء الرجال للهندي ، ط.دار الكتاب العربي – بيروت ط. ١٤٠٢هـ.

٣٩٣. مفاتيح الغيب للرازي وبهامشه تفسير ابي السعود ط.دار الفكر –بيروت ط.١٣٩٨هـ.

٣٩٤. مفتاح السنة للخولي ، ط. دار الكتب العلمية ، ط. الرابعة ١٤٠٣هـ.

٣٩٥. مفتاح دار السعادة لابن القيم، تحقيق الحلبي ، ط. دار ابن المنان .

٣٩٦. مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني ط. دار القلم بتحقيق صفوان داوودي ط. الأولى ١٤١٢هـ .

٣٩٧. مقالات الإسلاميين للأشعري ، تحقيق محي الدين عبد الحميد ط. المكتبة العصرية ط.١٤١١هـ.

٣٩٨. الملل والنحل للشهرستاني ، تحقيق محمد كيلاني ط. دار المعرفة –بيروت.

٣٩٩. من تاريخ الإلحاد د.عبدالرحمن بدوي ، ط.سينا للنشر–القاهرة ،مصر ،ط.الثانية ١٩٩٣م.

٤٠٠. المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم، تحقيق عبدالفتاح أبو غدة، طبعة مكتبة المطبوعات ، ط.الثانية، ١٤٠٣هـ .

٤٠١. مناسبات تراجم البخاري لبدر الدين ابن جماعة تحقيق محمد إسحاق السلفي ، نشر الدار السلفية –الهند بومباي ط.الأولى ١٤٠٤هـ.

٤٠٢. المناظرة لجعفر الصادق ، بتحقيق الشيخ علي الشبل ط.الأولى١٤١٧هـ.

٤٠٣. مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي تحقيق د. التركي .

٤٠٤. مناقب الشافعي للإمام البيهقي، تحقيق السيد أحمد صقر، ط.مكتبة التراث ط.الأولى ١٣٩٠هـ.

٤٠٥. مناهج البحث في العقيدة الإسلامية د. عبد الرحمن الزنيدي ، ط. دار اشبيليا ط. الأولى عام ١٤١٨هـ.

٤٠٦. مناهج التأليف عند العلماء العرب للدكتور مصطفى الشكعة ، ط.دار العلم للملايين ط.السادسة١٩٩١م.

٤٠٧. المنتخب من مسند عبد ابن حميد ،تحقيق العدوي ط. الأولى ١٤٠٥هـ دار الأرقم الكويت .

٤٠٨. منهاج السنة لابن تيمية، تحقيق د.محمد رشاد سالم، ط.جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

٤٠٩. المنهج الأحمد للعليمي ، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ،ط صادر -بيروت.،توزيع مكتبة الرشيد -الرياض ،ط.الأولى ١٩٩٧م.

٤١٠. منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد لعثمان علي حسن ، ط.مكتبة الرشد -الرياض ط.الأولى ١٤١٢هـ.

٤١١. منهج الإمام البخاري في تقرير العقيدة والدفاع عنها ،إعداد :الشيخ سعد بن بجاد العتيبي ،إشراف :الشيخ د.محمد السمهري (لم تطبع).

٤١٢. منهج البحث عند الكندي لفاطمة إسماعيل ، ط. المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ط. الأولى ١٤١٨هـ .

٤١٣. منهج الجدل والمناظرة في تقرير مسائل الاعتقاد لأخينا الشيخ عثمان علي حسن ، ط.دار إشبيليا ط.الأولى ١٤٢٠هـ، وهي مقدمة كرسالة لنيل درجة الدكتوراة بإشراف الشيخ عبدالرحمن البراك.

٤١٤. منهج السلف والمتكلمين في موافقة العقل للنقل، لجابر إدريس علي أمير، طبعة أضواء السلف، ط.الأولى، ١٤١٩هـ.

٤١٥. منهج النعت في علوم الحديث، د. نورالدين عتر ، طبعة دار الفكر، ط. الثالثة،عام ١٤٠٦هـ.

٤١٦. منهج كتابة التاريخ الإسلامي د. محمد صامل السلمي ، ط. دار طيبة ط. الأولى ١٤٠٦هـ.

٤١٧. منهجية فقه الحديث عند القاضي عياض في إكمال المعلم بفوائد صحيح مسلم للدكتور الحسين بن محمد شِواط ، ط.دار ابن عفان الاولى ١٤١٤هـ.

٤١٨. موارد ابن القيم في كتبه للشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد ، ط.المكتب الإسلامي –بيروت ،مكتبة الرشد –الرياض ،ط.الأولى ١٤٠٣هـ.

الموافقات للشاطبي ، طبعة دار الكتب العلمية، تعليق دراز تحقيق عبد السلام عبد الشافي ، ط.الأولى، ١٤١١هـ .

٤١٩. الموافقات للشاطبي ط. دار ابن عفان تحقيق مشهور حسن سلمان ط. الأولى .

٤٢٠. موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي لسعدي أبو حبيب ، طبعة دار الفكر ، سوريا، ط .الثالثة ، ١٤١٩هـ .

٤٢١. موسوعة الأديان والمذاهب للعميد عبدالرزاق محمد أسود ، ط.الدار العربية للموسوعات-بيروت ،لبنان، ط.الثانية ١٤٢٠هـ.

٤٢٢. الموضوعات لابن الجوزي ،تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ،ط.المكتبة السلفية –المدينة المنورة ،ط.الأولى ١٣٨٦هـ.

٤٢٣. موطأ مالك برواية أبي مصعب الزهري بتحقيق د. بشار عواد ومحمود محمد خليل ط. مؤسسة الرسالة ط. الثانية ١٤١٣هـ.

٤٢٤. موطأ مالك برواية يحيى الليثي بتحقيق فؤاد عبد الباقي ، وله طبعة أخرى من إعداد أحمد راتب عرموش ط. دار النفائس ط. العاشرة ١٤٠٧هـ.

٤٢٥. موطأ مالك رواية محمد بن الحسن الشيباني مع التعليق الممجد للكنوي تحقيق د. تقي اللدين الندوي ط. دار السنة والسير ، دار القلم . دمشق ط. الأولى ١٤١٢هـ.

٤٢٦. الموطآت للإمام مالك تأليف نذير حمدان ، ط. دار القلم- دمشق ط. الأولى ١٤١٢هـ.

٤٢٧. موقف ابن تيمية من الأشاعرة د.عبد الرحمن المحمود ، ط. مكتبة الرشد ط. الأولى ١٤١٥هـ .

٤٢٨. موقف ابن تيمية من الأشاعرة للشيخ د. عبدالرحمن بن صالح المحمود ،ط.مكتبة الرشد –الرياض ،ط.الأولى ١٤١٥هـ.

٤٢٩. ميزان الاعتدال للذهبي ، بتحقيق البجاوي ط.دار الفكر الإسلامي.

٤٣٠. النبوات لشيخ الإسلام ابن تيمية ،تحقيق د.عبدالعزيز الطويان ط.أضواء السلف ط.الأولى سنة ١٤٢٠هـ.

٤٣١. نزهة الألباب في الألقاب لابن حجر ، تحقيق :عبد العزيز السديري ،ط.مكتبة الرشد – الرياض، ط.الأولى ١٤٠٩هـ.

٤٣٢. نزهة النظر شرح النخبة لابن حجر، ط.الفرقان ط.الثالثة .

٤٣٣. نشر البنود عليمراقي السعود ، لسيدي عبدالله بن الحاج الشنقيطي، ط.مشتركة بين الإمارات والمغرب .

٤٣٤. نصب الراية للزيلعي ط. دار الحديث .

٤٣٥. نظرات فقهية وتربوية في أمثال الحديث ، د.عبدالمجيد محمود عبدالمجيد ط. مكتبة البيان بالطائف ط.٢ عام ١٤١٣هـ.

٤٣٦. نفح الطيب للمقري ، ط. القاهرة .

٤٣٧. نقض الإمام أبي سعيد عثمان بن سعيد علي المريسي الجهمي العنيد فيما افترى على الله عز وجل من التوحيد، تحقيق د.رشيد الألمعي، ط. مكتبة الرشد ط. الأولى ١٤١٨هـ.

٤٣٨. نقض المنطق لشيخ الإسلام ، بتحقيق الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة وتصحيح الشيخ محمد الفقي ط.المكتبة العلمية –بيروت .

٤٣٩. النكت على كتاب ابن الصلاح لابن حجر تحقيق د.ربيع المدخلي ط.دار الراية الرياض

ط.الثانية ١٤٠٨هـ.

٤٤٠. النهاية في غريب الحديث ط.المكتبة العلمية بيروت.

٤٤١. نونية ابن القيم المسماة بـ"الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية" ، تحقيق: عبدالله العمير، طبعة دار ابن خزيمة، ط .الأولى، ١٤١٦هـ.

٤٤٢. هدية العارفين أسماء المولفين وآثار المصنيفين من كشف الظنون لإسماعيل باشا ط.مكتبة الفيصلية – مكة.

٤٤٣. وسطية أهل السنة بين الفرق للدكتور محمد باكريم وهي رسالة دكتوراة علمية بالجامعة الإسلامية أشرف عليها الدكتور علي فقيهي ط.دارالراية ط.الأولى ١٤١٥هـ.

٤٤٤. وفيات الأعيان لابن خلكان، تحقيق د.إحسان عباس ،ط.دار صادر –بيروت.

فهرس الموضوعات